

من كتاب المستطرف فى كل فن مستظرف

تأليف

الامام الأوحد العالم العلامة اللوذعى الفهامة الشيخ شهاب الدين
أحمد الابشيهى تغمده الله بالرحمة والرضوان آمين

وبهامشه

كتاب ثمرات الأوراق فى المحاضرات لحجة العرب وترجمان الأدب الامام تقى الدين بن أبى بكر بن على المعروف بابن حجة الحموى الحنفى تغمده الله برحمته وأسكنه فراديس جنته مكملا بهجة آدابه للواقف عليه * بأن نظم فى سموط فرائده عقود ذيليه أولهما فى المحاضرات أيضا للامام ابن حجة المذكور ضاعف الله لنا وله الأجور وثانيهما للعلامة الأديب والفهامة الأريب الهمام الكامل واللوذعى الفاضل الشيخ ابراهيم بن الأحدب بلغه الله فى آخرته كل مأرب بمنه وكرمه آمين بجاه سيد الأولين والآخرين

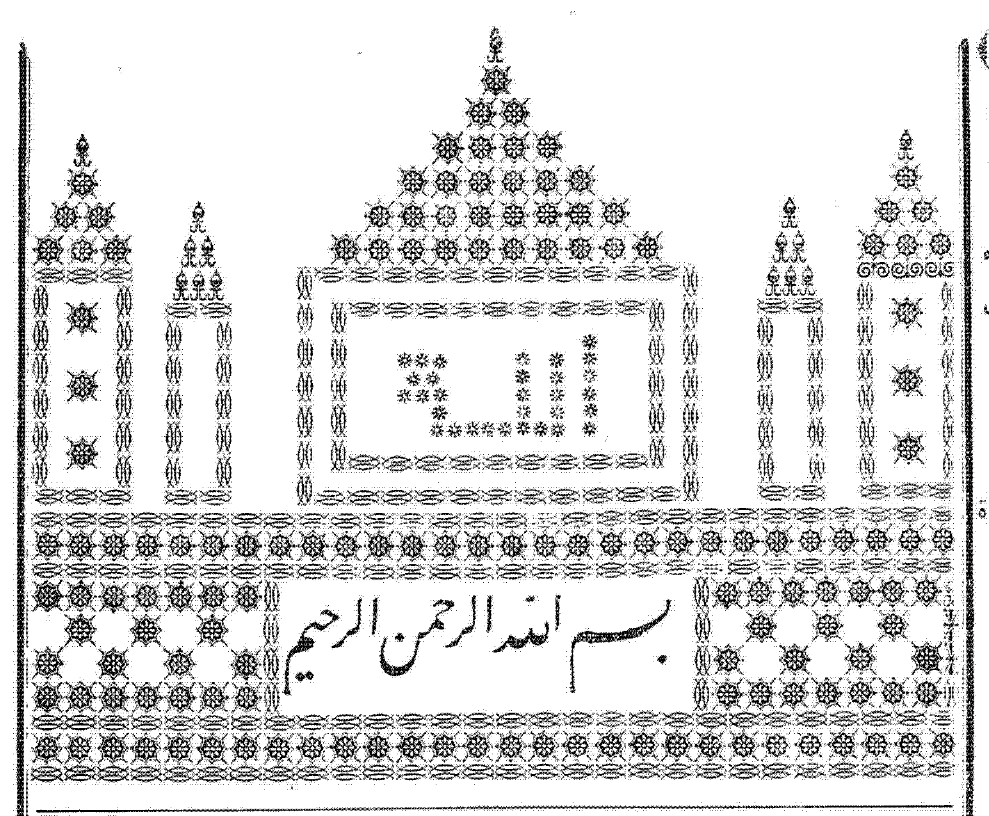
يطلب من مكتبة

محمود توفيق

الكتبى بميدان الأزهر الشريف بمصر

الطبعة الثانية — ١٣٥٤ هـ — ١٩٣٥ م

مطبعة المشاهد بجوار قسم الجمالية بالقاهرة
ادارة محمد عبد اللطيف حجازى



الحمد لله الملك العظيم العلى الكبير * الغنى الحميد اللطيف الخبير * المنفرد بالعز والبقاء والارادة والتدبير * الحى العليم الذى ليس كمثله شىء وهو السميع البصير * تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير * أحمده حمد عبد معترف بالعجز والتقصير * وأشكره على ما أعان عليه من قصد ويسر من عسير * وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا مشير * ولا ظهير له ولا وزير * وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله البشير النذير السراج المنير * المبعوث إلى كافة الخلق من غنى وفقير * ومأمور وأمير * صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه صلاة يفوز قائلها من الله بمغفرة وأجر كبير * وينجو بها فى الآخرة من عذاب السعير * وحسبنا الله ونعم الوكيل فنعم المولى ونعم النصير * ﴿أما بعد﴾ فقد رأيت جماعة من ذوى الهمم * جمعوا أشياء كثيرة من الآداب والمواعظ والحكم * وبسطوا مجلدات فى التواريخ والنوادر والأخبار والحكايات واللطائف ورقائق الأشعار وألفوا فى ذلك كتبا كثيرة * وتفرد كل منها بفرائد فوائد لم تكن فى غيره من الكتب محصورة * فاستخرت الله تعالى وجمعت من مجموعها هذا المجموع اللطيف * وجعلته مشتملا على كل فن ظريف * ﴿وسميته المستطرف * فى كل فن مستظرف﴾ واستدللت فيه بآيات كثيرة من القرآن العظيم وأحاديث صحيحة من أحاديث النبي الكريم * وطرزته بحكايات حسنة عن الصالحين الأخيار * ونقلت فيه كثيرا مما أودعه الزمخشرى فى كتابه ربيع الأبرار * وكثيرا مما نقله ابن عبد ربه فى كتابه العقد الفريد * ورجوت أن يجد مطالعه فيه كل ما يقصد ويريد * وجمعت فيه لطائف وظرائف عديدة * من منتخباب الكتب النفيسة المفيدة * وأودعته من الأحاديث النبوية * والأمثال الشعرية * والالفاظ اللغوية * والحكايات الجدية * والنوادر الهزلية * ومن الغرائب والدقائق * والاشعار والرقائق * ما تشنف بذكره الاسماع وتقر برؤيته العيون * وينشرح بمطالعته كل قلب محزون

من

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قال) الشيخ الامام حجة العرب وترجمان الأدب تقى الدين أبو بكر بن حجة الحنفى منشىء دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية تغمده الله برحمته (أما بعد) حمدا لله الذى فكهنا بثمار أوراق العلماء * والصلاة والسلام على نبيه شجرة العلم التى أصلها ثابت وفرعها فى السماء * وعلى آله وصحبه الذين هم فروع هذه الشجرة * وأغصانها التى دنت لهذه الامة قطوفها المثمرة * فانى وريت بتسمية هذا الكتاب بثمار الاوراق * عالما أن قطوفه لم تدن لغير ذوى الاذواق ﴿فمن ذلك﴾ ما نقلته من درة الغواص لأبى محمد القاسم بن على الحريرى صاحب المقامات أن أبا العباس المبرد روى أن بعض أهل الذمة سأل أبا عثمان المازنى فى قراءة كتاب سيبويه عنه وبذل له مائة دينار فى تدريسه إياه فامتنع أبو عثمان من ذلك فقال له المبرد جعلت فداك أترد هذه النفقة مع فاقتك واحتياجك

من كل معنى يكاد الميت يفهمه * حسنا و يعشقه القرطاس والقلم
(وجعلته) يشتمل على أربعة وثمانين بابا من أحسن الفنون متوجة بالفاظ كأنها الدر المكنون كما قال بعضهم شعرا فى المعنى

ففى كل باب منه در مؤلف * كنظم عقود زينتها الجواهر
فان نظم العقد الذى فيه جوهر * على غير تأليف فما الدر فاخر

(وضمنته) كل لطيفة ونظمته بكل ظريفة وقرنت الاصول فيه بالفصول ورجوت أن يتيسر لى مارمته من الاصول (وجعلت) أبوابه مقدمة وفصلتها فى مواضعها مرتبة منظمة ليقصد الطالب الى كل باب منها عند الاحتياج اليه و يعرف مكانه بالاستدلال عليه فيجد كل معنى فى بابه إن شاء الله تعالى والله المسؤل فى تيسير المطلوب وأن يلهم الناظر فيه ستر ما يراه من خلل وعيوب انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير وهذه فهرست الكتاب والله سبحانه المهون للصعاب

اليها فقال أبو عثمان هذا الكتاب يشتمل على ثلثمائة حديث وكذا كذا آية من كتاب الله واست أرى أن أمكن منها ذميا غيرة على كتاب الله تعالى وحمية له قال فاتفق أن غنت جارية بحضرة الواثق من شعر العرجى

أظلوم ان مصابكم رجلا
أهدى السلام تحية ظلم

فاختلف من بالحضرة فى اعراب رجلا فنهم من نصبه وجعله اسم ان ومنهم من رفعه على أنه خبرها والجارية مصرة على أن شيخها أبا عثمان المازنى لقنها اياه بالنصب فأمر الواثق باشخاصه قال أبو عثمان فلما مثلت بين يديه قال ممن الرجل قلت من مازن يا أمير المؤمنين قال أى الموازن قلت من مازن ربيعة فكلمنى بكلام قومى وقال با اسمك لأنهم يقلبون الميم باء والباء ميما اذا كانت فى أول الاسماء فكرهت أن أجيبه على لغة قومى لئلا أواجهه بالمكر فقلت بكر يا أمير المؤمنين ففطن لما قصدته وأعجبه منى ذلك ثم قال ما تقول فى قول الشاعر

أظلوم ان مصابكم رجلا
أهدى السلام تحية ظلم

أترفع رجلا أم تنصبه
فقلت الوجه النصب ياأمير
المؤمنين قال ولم ذلك فقلت
إن مصابكم مصدر بمعنى
أصابتكم فأخذ اليزيدي
في معارضتي فقلت هو
بمنزلة قولك إن ضربك
زيداً ظلم فالرجل مفعول
مصابكم ومنصوب به والدليل
عليه أن الكلام متعلق إلى أن
تقول ظلم فيتم فاستحسنه
الواثق وأمر له بألف دينار
قال أبو العباس المبرد فلما عاد
أبو عثمان الى البصرة قال
لي كيف رأيت رددنا لله
مائة فعوضنا ألفا (ونقلت
من درة الغواص أيضا)
أن حامد بن العباس سأل
علي بن عيسى في ديوان
الوزارة ما دواء الخمار وكان
قد علق به فأعرض عن
كلامه وقال ما أنا وهذه
المسئلة فخجل حامد منه
والتفت الى قاضي القضاة
أبي عمر فسأله عن ذلك
فتنحنح لاصلاح صوته
ثم قال قال الله تعالى وما
آتاكم الرسول فخذوه وما
نهاكم عنه فانتهوا وقال
النبي صلى الله عليه وسلم
استعينوا على كل صنعة
بصالح أهلها والاعشى
هو المشهور بهذه الصناعة
في الجاهلية حيث قال

﴿ الباب الأول فى مبانى الاسلام وفيه خمسة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول فى الاخلاص لله تعالى والثناء عليه ﴾

وهو أن تعلم أن الله تعالى واحد لاشريك له فرد لامثل له صمد لاند له أزلى قائم أبدى دائم لا أول لوجوده ولا آخر لأبديته قيوم لا يفنيه الأبد ولا يغيره الامد بل هو الأول والآخر والظاهر والباطن منزه عن الجسمية ليس كمثله شيء وهو فوق كل شيء فوقيته لاتزيده بعدا عن عباده وهو أقرب إلى العبيد من حبل الوريد وهو على كل شيء شهيد وهو معكم أينما كنتم لا يشابه قربه قرب الاجسام كما لا يشابه ذاته ذوات الاجرام منزه عن أن يحده زمان مقدس عن أن يحيط به مكان تراه أبصار الابرار فى دار القرار على مادلت عليه الآيات والاخبار حى قادر جبار قاهر لا يعتريه عجز ولا قصور ولا تأخذه سنة ولا نوم له الملك والملكوت والعزة والجبروت خلق الخلق وأعمالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم لا تحصى مقدوراته ولا تتناهى معلوماته عالم بجميع المعلومات لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السموات يعلم السر وأخفى ويطلع على هواجس الضمائر وخفيات السرائر مريد للكائنات مدبر للحادثات لايجرى فى ملكه قليل ولا كثير ولا جليل ولا حقير خير أو شر نفع أو ضر إلا بقضائه وقدره وحكمه ومشيئته فما شاء كان ومالم يشأ لم يكن فهو المبدئ والمعيد الفاعل لما يريد لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ولا مهرب لعبد عن معصيته الا بتوفيقه ورحمته ولا قوة له على طاعته الا بمحبته وإرادته لو اجتمع الانس والجن والملائكة والشياطين على أن

وكأس شربت على لذة
وأخرى تداويت منها بها
ثم تلاه أبو نواس فى الاسلام فقال

دع عنك لومى فان اللوم اغراء
وداونى بالتى كانت هى الداء

فاصفر حينئذ وجه حامد وقال لابن عيسى ماضرك يابارد أن تجيب ببعض ماأجاب به مولانا قاضى القضاة وقد استظهر فى جواب المسألة بقول الله تعالى أولا ثم بقول النبى صلى الله عليه وسلم ثانياً وأدى المعنى وخرج من العهدة فكان خجل ابن عيسى أكثر من خجل حامد لما ابتدأه بالمسألة انتهى * ويضارع هذه الحكاية فى لين بعض القضاة المتقشفين وادعائهم مع الزهد و[illegible] للمستفتين ما نقلته من درة الغواص للحريرى أيضا قال اجتمع قوم على شراب فتغنى مغنيهم بشعر حسان

ان التى ناولتنى فرددتها
قتلت قتلت فهاتها لم تقتل
كلتاهما حلب العصير فعاطنى
بزجاجة أرخاهما للمفصل

فقال بعضهم امرأتى طالق ان لم أسأل الليلة عبيد الله بن الحسن القاضى عن علة هذا الشعر كيف قال ان التى فوحد

يحركوا في العالم ذرة أو يسكنوها دون إرادته لعجزوا سميع بصير متكلم بكلام لا يشبه كلام خلقه وكل ما سواه سبحانه وتعالى فهو حادث أوجده بقدرته وما من حركة وسكون إلا وله في ذلك حكمة دالة على وحدانيته قال الله تعالى إن في خلق السموات والأرض الآية وقال أبو العتاهية

فيا عجبا كيف يعصى الاله * أم كيف يجحده الجاحد * وفي كل شيء له آية
تدل على أنه الواحد * ولله في كل تحريكة * وتسكينة في الورى شاهد

وقال غيره كل ما ترتقي إليه بوهم * من جلال وقدرة وسناء
فالذي أبدع البرية أعلى * منه سبحانه مبدع الأشياء

وقال علي رضي الله عنه في بعض وصاياه لولده اعلم يا بني أنه لو كان لربك شريك لأتتك رسله ولرأيت آثار ملكه وسلطانه ولعرفت أفعاله وصفاته ولكنه إله واحد لا يضاده في ملكه أحد * وعنه عليه الصلاة والسلام كل ما يتصور في الاذهان فالله سبحانه بخلافه وقال لبيد بن ربيعة

ألا كل شيء ما خلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل * وكل ابن أنثى لو تطاول عمره
إلى الغاية القصوى فللقبر آيل * وكل أناس سوف تدخل بينهم * دويهية تصفر منها الانامل
وكل امرىء يوماً سيعرف سعيه * إذا حصلت عند الاله الحصائل

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر أن أشعر كلمة قالتها العرب * ألا كل شيء ما خلا الله باطل * ثم بعد هذا الاعتقاد الاقرار بالشهادة بأن محمداً رسول الله بعثه برسالته الى الخلائق كافة وجعله خاتم الانبياء ونسخ بشريعته الشرائع وجعله سيد البشر والشفيع المشفع في المحشر وأوجب على الخلق تصديقه فيما أخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة فلا يصح إيمان عبد حتى يؤمن بما أخبر به بعد الموت من سؤال منكر ونكير وهما ملكان من ملائكة الله تعالى يسألان العبد في قبره عن التوحيد والرسالة ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك ويؤمن بعذاب القبر وأنه حق وأن الميزان حق والصراط حق والحساب حق وأن الجنة حق والنار حق وأن الله تعالى يدخل الجنة من يشاء بغير حساب وهم المقربون وأنه يخرج عصاة الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى في جهنم من في قلبه مثقال ذرة من الايمان ويؤمن بشفاعة الانبياء ثم بشفاعة العلماء ثم بشفاعة الشهداء وأن يعتقد فضل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ويحسن الظن بجميعهم على ما وردت به الاخبار وشهدت به الآثار فمن اعتقد جميع ذلك مؤمنا به موقنا فهو من أهل الحق والسنة مفارق لعصابة الضلال والبدعة رزقنا الله الثبات على هذه العقيدة وجعلنا من أهلها ووفقنا للدوام الى الممات على التمسك والاعتصام بحبلها إنه سميع مجيب فهذه العقيدة قد اشتملت على أحد أركان الاسلام الخمسة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلا

﴿الفصل الثاني في الصلاة وفضلها﴾ قال الله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين وقال تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وقال تعالى إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا * واختلفوا في اشتقاق اسم الصلاة مم هو فقيل هو من الدعاء وتسمية الصلاة دعاء معروفة في كلام العرب فسميت الصلاة صلاة لما فيها من الدعاء وقيل سميت بذلك من الرحمة قال الله تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبي فهي من الله رحمة ومن الملائكة استغفار ومن الناس دعاء قال صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى أي ارحمهم وقيل سميت بذلك من الاستقامة من قولهم صليت العود على النار إذا قومته والصلاة تقيم العبد على طاعة الله وخدمته وتنهاه عن خلافه قال الله تعالى إن الصلاة تنهى

ثم قال كلتاهما فتني فأشفقوا على صاحبهم وتركوا ما كانوا فيه ومضوا يتخبطون القبائل إلى بني شقرة فوجدوا عبيد الله ابن الحسن يصلي فلما فرغ من صلاته قالوا له قد جئناك في أمر دعتنا إليه الضرورة وشرحوا له الخبر وسألوه الجواب فقال مع زهده وتقشفه ان التي ناولتني فرددتها عني بها الخمرة الممزوجة بالماء ثم قال كلتاهما حلب العصير يريد الخمرة المتحلبة من العنب والماء المتحلب من السحاب المكنى عنه بالمعصرات انتهى (قال الحريري) وقد بقي في الشعر ما يحتاج إلى تفسيره أما قوله ان التي ناولتني فرددتها قتلت قتلت فانه خاطب به الساقي الذي ناوله كأسا ممزوجة لانه يقال قتلت الخمرة إذا مزجتها فأراد أن يعلمه أنه فطن لما فعله ثم ما اقتنع بذلك منه حتى دعا عليه بالقتل في مقابلة المزج ثم انه عقب الدعاء عليه بأن استعطى منه مالم تقتل يعني الصرف التي لم تمزج وقوله أرخاها للمفصل يعني به اللسان وسمى

عن الفحشاء والمنكر وقيل لأنها صلة بين العبد وربه وعن رسول الله ﷺ قال علم الايمان الصلاة فمن فرغ لها قلبه وحافظ عليها بحدودها فهو مؤمن وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه قال وهو على المنبر ان الرجل ليشيب عارضاه في الاسلام وما أكمل لله تعالى صلاة قيل وكيف ذلك قال لا يتم ركوعها وسجودها وخشوعها وتواضعه واقباله على الله فيها وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها كان رسول الله ﷺ يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه وقيل للحسن ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوها فقال لانهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره وقال بعضهم لا تفوت أحداً صلاة في جماعة الا بذنب * وكانت رابعة العدوية تصلي في اليوم والليلة ألف ركعة وتقول والله ما أريد بها ثوابا ولكن ليسر بذلك رسول الله ﷺ ويقول للانبياء عليهم الصلاة والسلام انظروا الى امرأة من أمتي هذا عملها في اليوم والليلة * وقال بعضهم صليت خلف ذي النون المصري فلما أراد أن يكبر رفع يديه وقال الله ثم بهت وبقي كأنه جسد لا روح فيه إعظاما لربه جل وعلا ثم قال الله أكبر فظننت أن قلبي انخلع من هيبة تكبيره * وقيل أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود كذب من ادعى محبتي واذا جن عليه الليل نام عني أليس كل محب يحب الخلوة بحبيبه * ولعبد الله بن المبارك رضي الله تعالى عنه

إذا ما الليل أظلم كابدوه * فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا * وأهل الأمن في الدنيا هجوع

وكان سيدي الشيخ الامام العلامة فتح الدين بن أمين الدين الحكم النحريري رحمه الله كثيرا ما يتمثل بهذه الأبيات

يا أيها الراقد كم ترقد * قم يا حبيبي قد دنا الموعد * وخذ من الليل ولو ساعة
تحظى اذا ما هجع الرقد * من نام حتى ينقضي ليله * لم يبلغ المنزل لو يجهد

وكان سيدي أويس القرني لا ينام ليله ويقول ما بال الملائكة لا يفترون ونحن نفتر وقال حذيفة رضي الله عنه كان رسول الله ﷺ اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة وقال هشام بن عروة كان أبي يطيل المكتوبة ويقول هي رأس المال وقال أبو الطفيل سمعت أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يقول يا أيها الناس قوموا الى نيرانكم فاطفئوها سمعت رسول الله ﷺ يقول الصلاة الى الصلاة كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكبائر * وجزأ محمد بن المنكدر عليه وعلى أمه وعلى أخته الليل أثلاثا فماتت أخته فجزأه عليه وعلى أمه فماتت أمه فقام الليل كله * وكان مسلم بن بشار اذا أراد أن يصلي في بيته يقول لأهله تحدثوا فلست أسمع حديثكم * وكان اذا دخل البيت سكت أهله فلا يسمع لهم كلام فاذا قام الى الصلاة تحدثوا وضحكوا ووقع حريق الى جنبه وهو في الصلاة فما شعر به حتى أطفىء * وكان الحمام يقع على رأس ابن الزبير في المسجد الحرام يحسبه جذعا منصوبا لطول انتصابه في الصلاة وكانت العصافير تقع على ظهر ابراهيم بن شريك وهو ساجد كما تقع على الحائط * وختم القرآن في ركعة واحدة أربعة من الأئمة عثمان بن عفان وتميم الداري وسعيد بن جبير وأبو حنيفة رضي الله تعالى عنهم ورأى الاوزاعي شابا بين القبر والمنبر فلما طلع الفجر استلقى ثم قال

* عند الصباح يحمد القوم السرى * فقال يا ابن أخي لك ولأصحابك لا للجاهلين وكان خلف بن أيوب لا يطرد الذباب عن وجهه في الصلاة فقيل له كيف تصبر فقال بلغني أن الفساق يتصبرون تحت السياط ليقال فلان صبور وأنا بين يدي ربي أفلا أصبر على ذباب يقع علي وقال أبو صفوان بن عوانة ما من منظر أحسن من رجل عليه ثياب بيض وهو قائم يصلي في القمر كأنه يشبه الملائكة وقال الحسن ما كان في

مفصلا بالكسر لأنه يفصل بين الحق والباطل قال الحريري وليس على ما اعتمده القاضي عبيد الله من الاستماح وخفض الجناح ما يقدح في نزاهته ويغض من نبله ونباهته والله أعلم * ونقلت من درة الغواص أن عروة ابن أذينة الشاعر وفد على هشام بن عبد الملك في جماعة من الشعراء فلما دخلوا عليه عرف عروة فقال له ألست القائل لقد علمت وما الاسراف من خلقي * ان الذي هو رزقي سوف يأتيني أسعى له فيعييني تطلبه ولو قعدت أتاني لا يعنيني وأراك قد جئت من الحجاز الى الشام في طلب الرزق فقال له يا أمير المؤمنين زادك الله بسطة في العلم والجسم ولا رد وافدك خائبا والله لقد بالغت في الوعظ وأذكرتني ما أنسانيه الدهر وخرج من فوره الى راحلته فركبها وتوجه راجعا الى الحجاز فلما كان في الليل ذكره هشام وهو في فراشه فقال رجل من قريش قال حكمة ووفد الى فجبهته ورددته عن حاجته وهو مع ذلك

هذه الامة أعبد من فاطمة عليها السلام بنت رسول الله ﷺ كانت تقوم بالاسحار حتى تورمت قدماها وقام رسول الله ﷺ حتى تورمت قدماه وهو المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكانت دموعه تقع في مصلاه كوكف المطر وكان ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام يسمع لقلبه خفقان وغليان * هذا خوف الحبيب والخليل مع ما أعطيا من الاجلال والاكرام وشرف المقام فالعجب كيف يطمئن قلب من أزعجته الآثام وقال رسول الله ﷺ لرجل قال له ادع الله أن يجعلني رفيقك في الجنة فقال أعني على نفسك بكثرة السجود وقال حاتم الاصم رحمه الله تعالى فاتتني صلاة الجماعة مرة فعزاني أبو اسحق البخاري وحده ولو مات لي ولد لعزاني أكثر من عشرة آلاف لان مصيبة الدين عندهم أهون من مصيبة الدنيا وكان السلف رضي الله تعالى عنهم يعزون أنفسهم ثلاثة أيام اذا فاتتهم التكبيرة الاولى وسبعا اذا فاتتهم الجماعة وقال ابن عباس رضي الله عنهما ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه (وأنشد بعضهم)

خسر الذي ترك الصلاة وخابا * وأبى معادا صالحا ومآبا * ان كان يجحدها فحسبك أنه
أضحى بربك كافرا مرتابا * أو كان يتركها لنوع تكاسل * غطى على وجه الصواب حجابا
فالشافعي ومالك رأيا له * ان لم يتب حد الحسام عقابا
والرأي عندي للامام عذابه * بجميع تأديب يراه صوابا

اللهم أعنا على الصلاة وتقبلها منا بكرمك ولا تجعلنا من الغافلين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين (ومما يستحسن الحاقه بهذا الفصل) ذكر شيء من فضل السواك والآذان (أما السواك) فقد قال الرسول ﷺ لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة وقال أيضا صلاة على أثر سواك أفضل من خمس وسبعين صلاة على غير سواك وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه كان رسول الله ﷺ اذا قام ليتهجد شاص فاه بالسواك وقال ﷺ السواك مطهرة للفم مرضاة للرب وعنه ﷺ انه قال لو يعلم الناس ما في السواك لبات مع الرجل في لحافه وقال أيضا أفواهكم طرق لكلام ربكم فنظفوها * والاختيار في السواك أن يكون بعود الاراك ويجزي بغيره من العيدان وبالسعد والاشنان والخرقة الخشنة وغير ذلك مما ينظف ويستاك عرضا مبتدئا بالجانب الأيمن من فيه وينوي به الاتيان بالسنة والسواك بعود الزيتون يزيل الحفر من الاسنان وقال الاصحاب يقول عند السواك اللهم بارك لي فيه يا أرحم الراحمين ويستاك في ظاهر الاسنان وباطنها ويمر السواك على أطراف أسنانه وأضراسه وسقف حلقه إمرارا لطيفا ويستاك بعود متوسط لا شديد اليبوسة ولا شديد اللين فان اشتد يبسه لينه بالماء وقد قيل ان من فضائل السواك أنه يذكر الشهادة عند الموت ويسهل خروج الروح (وأما الآذان) فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال يد الرحمن على رأس المؤذن حتى يفرغ من آذانه قيل في قوله تعالى ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا نزلت في المؤذنين وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال يغفر الله للمؤذن مدى صوته ويشهد له ما سمعه من رطب ويابس وعن معاوية رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول المؤذنون أطول الناس أعناقا يوم القيامة رواه مسلم وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال اذا نودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التاذين رواه البخاري ومسلم وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا انس ولا شيء الا شهد له يوم القيامة رواه البخاري والاحاديث في فضله كثيرة مشهورة والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿الفصل الثالث في الزكاة وفضلها﴾ قرن الله سبحانه وتعالى الزكاة بالصلاة في مواضع شتى من كتابه

شاعر لا آمن ما يقول فلما أصبح سأل عنه فأخبر بانصرافه وقال لاجرم ليعلم أن الرزق سيأتيه ثم دعا مولى له وأعطاه ألفي دينار وقال الحق بهذه ابن أذينة وأعطه إياها قال فلم أدركه الا وقد دخل بيته فقرعت الباب عليه فخرج الي فأعطيته المال فقال أبلغ أمير المؤمنين قولي سعيت فأكديت ورجعت الى بيتي فأتاني رزقي (ويضارع هذه الحكاية) ما حكي عن هدبة بن خالد رحمه الله تعالى قال حضرت مائدة المأمون فلما رفعت المائدة جعلت التقط ما في الارض فنظر الي المأمون فقال أما شبعت يا شيخ قلت بلى يا أمير المؤمنين ولكن حدثني حماد بن سلمة عن ثابت بن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من التقط ما تحت مائدته أمن من الفقر فنظر المأمون الى خادم واقف بين يديه فأشار اليه فما شعرت أن جاءني ومعه منديل فيه ألف دينار فناولني إياه فقلت يا أمير المؤمنين وهذا من ذاك انتهى (ومن لطائف ما جنيت

قال الله تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وقال تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وقال تعالى ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة وعن بريدة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال ما حبس قوم الزكاة إلا حبس الله عنهم القطر وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال ما خالطت الزكاة مالا قط إلا أهلكته وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ قال من كان عنده ما يزكي ولم يزك ومن كان عنده ما يحج ولم يحج سأل الرجعة يعني قوله تعالى رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت (ولنلحق) بهذا الفصل ذكر شيء من الصدقة وفضلها وما جاء فيها وما أعد الله تعالى للمتصدقين من الأجر والثواب ودفع البلاء قال الله تعالى إن الله يجزي المتصدقين وقال تعالى والمتصدقين والمتصدقات الآية والآيات الكريمة في ذلك كثيرة والأحاديث الصحيحة فيه مشهورة وروى الترمذي في جامعه بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره وفي صحيح مسلم وموطأ مالك وجامع الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ما نقص مال من صدقة أو قال ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا وما تواضع عبد إلا رفعه الله تعالى (ودخلت) امرأة شلاء على عائشة رضي الله عنها فقالت كان أبي يحب الصدقة وأمي تبغضها لم تتصدق في عمرها إلا بقطعة شحم وخلقة فرأيت في المنام كأن القيامة قد قامت وكأن أمي قد غطت عورتها بالخلقة وفي يدها الشحمة تلحسها من العطش فذهبت إلى أبي وهو على حافة حوض يسقي الناس فطلبت منه قدحا من ماء فسقيت أمي فنوديت من فوقي ألا من سقاها فشل الله يدها فانتبهت كما ترين (ووقف) سائل على امرأة وهي تتعشى فقامت فوضعت لقمة في فيه ثم بكرت إلى زوجها في مزرعته فوضعت ولدها عنده وقامت لحاجة تريد قضاءها فاختلسه الذئب فوقفت وقالت يارب ولدي فأتاها آت فأخذ بعنق الذئب فاستخرجت ولدها من غير أذى ولا ضرر فقال لها هذه اللقمة بتلك اللقمة التي وضعتها في فم السائل (وعشش) ورشان في شجرة في دار رجل فلما همت أفراخه بالطيران زينت امرأة ذلك الرجل له أخذ أفراخ ذلك الورشان ففعل ذلك مرارا وكلما فرخ الورشان أخذوا أفراخه فشكا الورشان ذلك إلى سليمان عليه السلام وقال يا رسول الله أردت أن يكون لي أولاد يذكرون الله تعالى من بعدي فأخذها الرجل بأمر امرأته ثم أعاد الورشان الشكوى فقال سليمان لشيطانين إذا رأيتماه يصعد الشجرة فشقاه نصفين فلما أراد الرجل أن يصعد الشجرة اعترضه سائل فأطعمه كسرة من خبز شعير ثم صعد وأخذ الأفراخ على عادته فشكا الورشان ذلك إلى سليمان عليه السلام فقال للشيطانين ألم تفعلا ما أمرتكما به فقال اعترضنا ملكان فطرحانا في الخافقين (وقال) النخعي كانوا يرون أن الرجل الظلوم إذا تصدق بشيء دفع عنه البلاء وكان الرجل يضع الصدقة في يد الفقير ويتمثل قائما بين يديه ويسأله قبولها حتى يكون هو في صورة السائل وقال رسول الله ﷺ الصدقة تسد سبعين بابا من الشر وعنه ﷺ قال ردوا صدمة البلاء ولو بمثل رأس الطائر من طعام وروي عنه ﷺ أنه قال ردوا مذمة السائل ولو بظلف محرق وعنه أيضا ﷺ اتقوا النار ولو بشق تمرة وقال عيسى صلوات الله وسلامه عليه من رد سائلا خائبا لم تغش الملائكة ذلك البيت سبعة أيام وكان نبينا محمد ﷺ يناول المسكين بيده وعنه ﷺ ما من مسلم يكسو مسلما ثوبا إلا كان في حفظ الله ما كانت عليه منه رقعة وقال عبد العزيز بن عمير الصلاة تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك عليه وعن الربيع بن خيثم أنه خرج في ليلة شاتية وعليه برنس خز فرأى سائلا فأعطاه إياه وتلا قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وروي عن رسول الله ﷺ أنه

من ثمرات الأوراق) أن رجلا من الحذاق كان يكتب كتابا وإلى جانبه آخر فانتهى في كتابه إلى اسم عمرو فكتبه بغير واو فقال يا مولانا زدها واوا للفرق بينها وبين عمر فقال له والله لقد تفضل مولانا بزيادة الواو بمعنى تفوضل (قلت) وبعضهم يرى أن الواو تزاد بعد لا النافية في الجواب إذا قيل هل فعلت كذا وكذا فيقول لا وعافاك الله * قال أبو الفرج بن الجوزي روى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لرجل عربي أكان كذا وكذا فقال لا أطال الله بقاءك فقال الإمام عمر رضي الله عنه قد علمتم فلم تتعلموا هلا قلت لا وعافاك الله (وحكي) عن الصاحب بن عباد أنه قال هذه الواو هنا أحسن من واوات الأصداغ في وجنات الملاح (قلت) وهذه الواو أعني واو عمرو نظم فيها الشعراء كثيرا منهم أبو نواس قال يهجو أشجع السلمي

قل لمن يدعي سليمى سفاها
لست منها ولا قلامة ظفر
إنما أنت من سليمى كواو
ألحقت في الهجاء ظلما بعمرو

(وقال أبو سعيد الرستمي وأجاد)

أفي الحق أن يعطى ثلاثون شاعرا
ويحرم ما دون الرضا شاعر مثلي

قال لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد فى العمر الا البر وان سوء الخلق شؤم وحسن الملكة نماء والصدقة تدفع ميتة السوء وقال يحيى بن معاذ ما أعرف حبة تزن جبال الدنيا الا من الصدقة وعن عمر رضى الله عنه ان الاعمال تباهت فقالت الصدقة أنا أفضلكن وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تداركوا الهموم والغموم بالصدقات يدفع الله ضركم و ينصركم على عدوكم وعن عبيد بن عمير قال يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط وأعطش ما كانوا قط فمن أطعم لله أشبعه الله ومن سقى لله سقاه الله ومن كسا لله كساه الله وقال الشعبي من لم ير نفسه الى ثواب الصدقة أحوج من الفقير إلى صدقته فقد أبطل صدقته وضرب بها وجهه وكان الحسن بن صالح إذا جاءه سائل فان كان عنده ذهب أو فضة أو طعام أعطاه فان لم يكن عنده من ذلك شىء أعطاه دهنا أو غيره مما ينتفع به فان لم يكن عنده شىء أعطاه كحلا أو أخرج ابرة وخيطا فرقع بهما ثوب السائل * ووجه رجل ابنه فى تجارة فمضت أشهر ولم يقع له على خبر فتصدق برغيفين وأرخ ذلك اليوم فلما كان بعد سنة رجع ابنه سالما رابحا فسأله أبوه هل أصابك فى سفرك بلاء قال نعم غرقت السفينة بنا فى وسط البحر وغرقت فى جملة الناس واذا بشابين أخذانى فطرحانى على الشط وقالا لى قل لوالدك هذا برغيفين فكيف لو تصدقت بأكثر من ذلك وقال على رضى الله تعالى عنه وكرم الله وجهه إذا وجدت من أهل الفاقة من يحمل لك زادك فيوافيك به حيث تحتاج اليه فاغتنم حمله إياه ولله در القائل حيث قال

يبكى على الذاهب من ماله * وانما يبقى الذى يذهب

(وحكى) أن رجلا عبد الله سبعين سنة فبينما هو فى معبده ذات ليلة إذ وقفت به امرأة جميلة فسألته أن يفتح لها وكانت ليلة شاتية فلم يلتفت اليها وأقبل على عبادته فولت المرأة فنظر اليها فأعجبته فملكت قلبه وسلبت لبه فترك العبادة وتبعها وقال إلى أين فقالت إلى حيث أريد فقال هيهات صار المراد مريدا والأحرار عبيدا ثم جذبها فأدخلها مكانه فأقامت عنده سبعة أيام فعند ذلك تذكر ما كان فيه من العبادة وكيف باع عبادة سبعين سنة بمعصية سبعة أيام فبكى حتى غشى عليه فلما أفاق قالت له يا هذا والله أنت ما عصيت الله مع غيرى وأنا ما عصيت الله مع غيرك وانى أرى فى وجهك أثر الصلاح فبالله عليك إذا صالحك مولاك فاذكرنى قال فخرج هائما على وجهه فآواه الليل إلى خربة فيها عشرة عميان وكان بالقرب منهم راهب يبعث اليهم فى كل ليلة بعشرة أرغفة فجاء غلام الراهب على عادته بالخبز فمد ذلك الرجل العاصي يده فأخذ رغيفا فبقى منهم رجل لم يأخذ شيئا فقال أين رغيفى فقال الغلام قد فرقت عليكم العشرة فقال أبيت طاويا فبكى الرجل العاصى وناول الرغيف لصاحبه وقال لنفسه أنا أحق أن أبيت طاويا لانى عاص وهذا مطيع فنام واشتد به الجوع حتى أشرف على الهلاك فأمر الله تعالى ملك الموت بقبض روحه فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة هذا رجل فر من ذنبه وجاء طائعا وقالت ملائكة العذاب بل هو رجل عاص فأوحى الله تعالى اليهم أن زنوا عبادة السبعين سنة بمعصية السبع ليال فوزنوها فرجحت المعصية على عبادة السبعين سنة فأوحى الله اليهم أن زنوا معصية السبع ليال بالرغيف الذى آثر به على نفسه فوزنوا ذلك فرجح الرغيف فتوفته ملائكة الرحمة وقبل الله توبته (وحكى) أن رجلا جالس يوما يأكل هو وزوجته وبين أيديهما دجاجة مشوية فوقف سائل ببابه فخرج اليه وانتهره فذهب فاتفق بعد ذلك أن الرجل افتقر وزالت نعمته وطلق زوجته وتزوجت بعده برجل آخر فجلس يأكل معها فى بعض الأيام وبين أيديهما دجاجة مشوية واذا بسائل يطرق الباب فقال الرجل لزوجته ادفعى اليه هذه الدجاجة فخرجت بها اليه فاذا هو زوجها الاول فدفعت اليه الدجاجة ورجعت وهي باكية فسألها زوجها عن بكائها فأخبرته أن السائل كان زوجها وذكرت له قصتها

(ومن لطائف المجتنى) ما نقل عن السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب قيل انه قال يوما للقاضى الفاضل لنا مدة لم نر فيها العماد الكاتب فلعله ضعيف امض اليه وتفقد أحواله فلما دخل الفاضل إلى دار العماد وجد أشياء أنكرها فى نفسه مثل آثار مجالس أنس ورائحة خمر وآلات طرب فأنشد

ما ناصحتك خبايا الود من رجل
ما لم ينلك بمكروه من العذل
محبتى فيك تأبى عن مسامحتى
بأن أراك على شىء من الزلل

فلما قام من عنده نزع العماد عما كان فيه وأقلع ولم يعد إلى شىء من ذلك ألبتة (ومن اللطائف) ما نقل عن الملك الظاهر رحمه الله تعالى قيل انه لما استعرض الأمير بدر الدين بيليك الخازندار ليشتريه قال له أنا حر يا مولانا السلطان وأحسن الكتابة فأحضرت له دواة فكتب يقول

لولا الضرورة ما فارقتكم أبدا
ولا تنقلت من ناس الى ناس

فأعجبه الاستشهاد بهذا البيت ورغبه ذلك فى مشتراه (ويضارعه ما حكى عن الصاحب كمال الدين ابن العديم) قيل إن إنسانا رفع قصة إلى الصاحب المشار اليه فأعجبه خطها فأمسكها وقال لرافعها هذا خطك قال لا ولكن

مع ذلك السائل الذى انتهره زوجها الاول فقال لها زوجها أنا والله ذلك السائل (وذكر) عن مكحول أن رجلا أتى الى أبى هريرة رضى الله عنه فقال ادع الله لابنى فقد وقع فى نفسى الخوف من هلاكه فقال له ألا أدلك على ما هو أنفع من دعائى وأنجع وأسرع اجابة قال بلى قال تصدق عنه بصدقة تنوى بها نجاة ولدك وسلامة ما معه فخرج الرجل من عنده وتصدق على سائل بدرهم وقال هذا خلاص ولدى وسلامته وما معه فنادى فى تلك الساعة مناد فى البحر ألا ان الفداء مقبول وزيد مغاث فلما قدم سأله أبوه عن حاله فقال ياأبت لقد رأيت فى البحر عجباً يوم كذا وكذا فى وقت كذا وكذا وهو اليوم الذى تصدق فيه والده عنه بالدرهم وذلك انا أشرفنا على الهلاك والتلف فسمعنا صوتا من الهواء ألا إن الفداء مقبول وزيد مغاث وجاءنا رجال عليهم ثياب بيض فقدموا السفينة الى جزيرة كانت بالقرب منا وسلمنا وصرنا بخير أجمعين والآثار والحكايات فى ذلك كثيرة وفيما أشرت اليه كفاية لمن وعى وأن ليس للانسان الا ما سعى والله أعلم

﴿الفصل الرابع فى الصوم وفضله وما أعد الله للصائم من الأجر والثواب﴾ قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون قيل الصوم عموم وخصوص وخصوص الخصوص * فصوم العموم هو كف البطن والفرج وسائر الجوارح عن قصد الشهوة * وصوم الخصوص هو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام * وصوم خصوص الخصوص هو صوم القلب عن الهمم الدنية وكفه عما سوى الله بالكلية * قال رسول الله ﷺ زكاة الجسد الصيام وعنه ﷺ أنه قال للصائم فرحتان فرحة عند افطاره وفرحة عند لقاء ربه وقال وكيع فى قوله تعالى كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية انها أيام الصوم تركوا فيها الأكل والشرب وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال من أفطر يوما فى رمضان من غير رخصة رخصها الله له لم يقض عنه صيام الدهر وروى فى صحيح النسائى عنه أيضا ﷺ انه قال اذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين وروى الزهرى أن تسبيحة واحدة فى شهر رمضان أفضل من ألف تسبيحة فى غيره وروى عن قتادة انه كان يقول من لم يغفر له فى شهر رمضان فلن يغفر له فى غيره وقال رسول الله ﷺ لو يعلم الناس ما فى شهر رمضان من الخير لتمنت أمتى أن يكون رمضان السنة كلها ولو أذن الله للسموات والارض أن تتكلما لشهدتا لمن صام رمضان بالجنة وقال ﷺ ليس من عبد يصلى فى ليلة من شهر رمضان الا كتب الله له بكل ركعة ألفا وخمسمائة حسنة وبنى له بيتا فى الجنة من ياقوتة حمراء لها سبعون ألف باب لكل باب منها مصراعان من ذهب وله بكل سجدة يسجدها شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام وقال ﷺ ان لكل صائم دعوة فاذا أراد أن تقبل فليقل فى كل ليلة عند فطره ياواسع المغفرة اغفر لى وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه من صام يوما من رمضان خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فاذا انسلخ عنه الشهر وهو حى لم يكتب عليه خطيئة حتى الحول ومن عطش نفسه لله فى يوم شديد الحر من أيام الدنيا كان حقا على الله أن يرويه يوم القيامة وقال بعضهم الصيام زكاة البدن ومن صام الدهر فقد وهب نفسه لله تعالى وروى فى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر وعنه ﷺ أنه قال صيام ثلاثة أيام من كل شهر كصيام الدهر وهى الايام البيض وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر وفى صحيح البخارى عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ انه قال من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه * وفضل الصوم

حضرت إلى باب مولانا فوجدت بعض مماليكه فكتبها إلى فقال على به فلما حضر وجده مملوكه فقال هذا خطك قال نعم قال فهذه طريقتى من هو الذى أظهرك عليها فقال يامولانا كنت إذا وقعت لأحد على قصة أخذتها منه وسألته المهلة حتى أكتب عليها سطرين أو ثلاثة فأمره أن يكتب بين يديه ليراه فكتب

وما تنفع الآداب والعلم والحجى ... وصاحبها عند الكمال يموت

فكان اعجاب الصاحب بالاستشهاد أكثر من الخط ورفع منزلته بعد ذلك (وأذكرنى اتفاق التورية فى الكمال هنا) ما حكى عن القاضى فخر الدين لقمان والقاضى تاج الدين أحمد ابن الاثير رحمهما الله أنهما كانا صحبة السلطان على تل العجول ولفخر الدين مملوك اسمه الطنبا فاتفق أنه طلب مملوكه المذكور وناداه ياطنبا فقال له نعم ولم يأته وكانت ليلة ممطرة مظلمة فأخرج فخر الدين ابن لقمان رأسه من الخيمة فقال تقول نعم ولم أرك فقال القاضى تاج الدين

فى ليلة من جمادى ذات أندية ... لا يبصر الكلب فى أرجائها الطنبا

(ومن اتفاق التورية) أيضا ما كتبه الشيخ شرف الدين بن عبد العزيز الانصارى شيخ شيوخ حماة ملغزا فى باب إلى والده

ماواقف فى المخرج * يذهب طورا ويجى

غز يرلانه خصه الله تعالى بالاضافة اليه كما ثبت فى الصحيح من الحديث عن النبى ﷺ أنه قال مخبراً عن ربه عز وجل كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به وقد يكتفى فى فضله بهذا الحديث الجليل وحسبنا الله ونعم الوكيل

﴿الفصل الخامس فى الحج وفضله﴾ قال الله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا وقال رسول الله ﷺ من خرج من بيته حاجا أو معتمرا فمات أجرى الله له أجر الحاج والمعتمر الى يوم القيامة وقال ﷺ من استطاع الحج ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا وفى الحديث ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الوقوف بعرفة وفيه أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله لم يغفر له وهو أفضل يوم فى الدنيا وفى الخبر ان الحجر الاسود ياقوتة من يواقيت الجنة وأنه يبعثه الله يوم القيامة وله عينان ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق وصدق وجاء فى الحديث الصحيح ان آدم عليه الصلاة والسلام لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام وقال مجاهد ان الحجاج اذا قدموا مكة تلقتهم الملائكة فسلموا على ركبان الابل وصافحوا ركبان الحمر واعتنقوا المشاة اعتناقا وكان من سنة السلف رضى الله عنهم أن يشيعوا الغزاة ويستقبلوا الحجاج ويقبلوهم بين أعينهم ويسألوهم الدعاء لهم ويبادروا ذلك قبل أن يتدنسوا بالآثام وعن النبى ﷺ ان الله قد وعد هذا البيت أن يحجه كل سنة ستمائة ألف فان نقصوا كملهم الله تعالى من الملائكة وان الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة فكل من حجها يتعلق بأستارها ويسعى حولها حتى تدخل الجنة فيدخل معها (وحكى) أن جميلة الموصلية بنت ناصر الدولة أبى محمد بن حمدان حجت سنة ست وثمانين وثلثمائة فصارت تاريخا مذكورا قيل انها سقت أهل الموسم كلهم السويق بالطبرزد والثلج واستصحبت البقول المزروعة فى المراكن على الجمال وأعدت خمسمائة راحلة للمنقطعين ونثرت على الكعبة عشرة آلاف دينار ولم تستصبح فيها وعندها الا بشموع العنبر وأعتقت ثلثمائة عبد ومائتى جارية وأغنت الفقراء والمجاورين * ولما بنى آدم عليه الصلاة والسلام البيت وقال يارب إن لكل عامل أجراً فما أجر عملى قال اذا طفت به غفرت لك ذنوبك قال زدنى قال جعلته قبلة لك ولاولادك قال يارب زدنى قال أغفر لكل من استغفرنى من الطائفين به من أهل التوحيد من أولادك قال يارب حسبى * وفى الحديث الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة وقيل للحسن ما الحج المبرور قال أن ترجع زاهداً فى الدنيا راغبا فى الآخرة * وأول من كسا الكعبة الديباج عبدالله بن الزبير وكانت كسوتها المسوح والانطاع وكان يطيبها حتى يوجد ريحها من خارج الحرم وكان حكيم بن حزام يقيم عشية عرفة مائة بدنة ومائة رقبة فيعتق الرقاب عشية عرفة وينحر البدن يوم النحر وكان يطوف بالبيت فيقول لا إله الا الله وحده لا شريك له نعم الرب ونعم الاله أحبه وأخشاه * ورؤى الحسن بن على رضى الله عنهما يطوف بالبيت ثم صار إلى المقام فصلى ركعتين ثم وضع خده على المقام فجعل يبكى ويقول عبيدك ببابك خويدمك ببابك سائلك ببابك مسيكينك ببابك يردد ذلك مرارا ثم انصرف رضى الله عنه فمر بمساكين معهم فلق خبز يأكلون فسلم عليهم فدعوه الى الطعام فجلس معهم وقال لولا انه صدقة لأكلت معكم ثم قال قوموا بنا الى منزلى فتوجهوا معه فأطعمهم وكساهم وأمر لهم بدراهم (وحج) عبدالله بن جعفر رضى الله عنه ومعه ثلاثون راحلة وهو يمشى على رجليه حتى وقف بعرفات فأعتق ثلاثين مملوكا وحملهم على ثلاثين راحلة وأمر لهم بثلاثين ألفا وقال أعتقتهم لله تعالى لعله يعتقنى من النار وقال الحسن بن على رضى الله عنهما انى لاستحيى من ربى أن ألقاه ولم أمش الى بيته فمشى من المدينة الى مكة عشرين مرة * ومن لطيف ما أنشد عمرو بن حبان الضرير حين لم يهد اليه الحجاج شيئا

خصومة واسلام (قيل) إن الصاحب جمال الدين ابن مطروح كتب لبعض الرؤساء رقعة الى صديق له يشفع فيها عنده فكتب ذلك الرئيس هذا الامر على فيه مشقة فكتب ابن مطروح فى جوابه لولا المشقة فلما وقف عليها فهم الاشارة الى قول المتنبى

لولا المشقة ساد الناس كلهم ... الجود يفقر والاقدام قتال

وقضى الشغل على الفور انتهى ﴿قيل﴾ إن يوسف الصديق عليه السلام كتب على باب السجن لما خرج منه هذا قبر الأحياء وشماتة الأعداء وتجربة الاصدقاء (وقال الشاعر)

دعوى الاخاء على الرخاء كثيرة ... بل فى الشدائد تعرف الاخوان

(ولله در يزيد بن المهلب) من ذى مروءة وسخاء وتصديق أمل فانه كان فى سجن الحجاج يعذب فدخل عليه يزيد بن الحكم وقد حل عليه نجم وكانت نجومه فى كل أسبوع ستة عشر الف درهم فقال له

أصبح فى قيدك السماحة والـ ... ـجود وفضل الصلاح والحسب

ولا تضجرن ان تتابعت نقم ... وصارف فى البلاء محتسب

ـنت أخاف شره * مالم يكن بمرتج ... فكتب اليه والده فى الجواب ذهاب وإياب وخوف وشر هذا باب

كان

كان الحجيج الآن لم يقربوا منى * ولم يحملوا منها سواكا ولا نعلا
أتونا فما جادوا بعود أراكة * ولا وضعوا فى كف طفل لنا نقلا
(وقال غيره) يحجون بالمال الذى يجمعونه * حراما الى البيت العتيق المحرم
ويزعم كل منهمو أن وزره * يحط ولكن فوقه فى جهنم
(وقال آخر) حج فى الدهر حجة * حج فيها وأحرما * وأتانا من الحجا
زكا راح محرما * فهوذو الحجة الذى * ماتوقى محرما
وتخاصم بدوى مع حاج عند منصرف الناس فقيل له أتخاصم رجلا من الحجاج فقال
يحج لكيما يغفر الله ذنبه * ويرجع قد حطت عليه ذنوب
وقال أبو الشمقمق اذا حججت بمال أصله دنس * فما حججت ولكن حجت العير
ما يقبل الله إلا كل طيبة * ما كل من حج بيت الله مبرور
والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ الباب الثانى فى العقل والذكاء والحمق وذمه وغير ذلك ﴾

نص الله سبحانه وتعالى فى محكم كتابه العزيز ومنزل خطابه الوجيز على شرف العقل وقد ضرب الله سبحانه وتعالى الأمثال وأوضحها وبين بدائع مصنوعاته وشرحها فقال تعالى وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون وروى عن النبى ﷺ أنه قال أول ما خلق الله تعالى العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر فقال عز من قائل وعزتى وجلالى ما خلقت خلقا أعز على منك بك آخذ وبك أعطى وبك أحاسب وبك أعاقب وقال أهل المعرفة والعلم العقل جوهر مضىء خلقه الله عز وجل فى الدماغ وجعل نوره فى القلب يدرك به المعلومات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدة ﴿ واعلم ﴾ أن العقل ينقسم إلى قسمين قسم لا يقبل الزيادة والنقصان وقسم يقبلهما فأما الأول فهو العقل الغريزى المشترك بين العقلاء وأما الثانى فهو العقل التجريبى وهو مكتسب وتحصل زيادته بكثرة التجارب والوقائع وباعتبار هذه الحالة يقال ان الشيخ أكمل عقلا وأتم دراية وان صاحب التجارب أكثر فهما وأرجح معرفة ولهذا قيل من بيضت الحوادث سواد لمته وأخلقت التجارب لباس جدته وأراه الله تعالى لكثرة ممارسته تصاريف أقداره وأقضيته كان جديرا برزانة العقل ورجاحة الدراية وقد يخص الله تعالى بألطافه الخفية من يشاء من عباده فيفيض عليه من خزائن مواهبه رزانة عقل وزيادة معرفة تخرجه عن حد الاكتساب ويصير بها راجحا على ذوى التجارب والآداب ويدل على ذلك قصة يحيى بن زكريا عليهما السلام فيما أخبر الله تعالى به فى محكم كتابه العزيز حيث يقول وآتيناه الحكم صبيا فمن سبقت له سابقة من الله تعالى فى قسم السعادة وأدركته عناية أزلية أشرقت على باطنه أنوار ملكوتية وهداية ربانية فاتصف بالذكاء والفطنة قلبه وأسفر عن وجه الاصابة ظنه وان كان حديث السن قليل التجربة كما نقل فى قصة سليمان بن داود عليهما السلام وهو صبى حيث رد حكم أبيه داود عليه السلام فى أمر الغنم والحرث * وشرح ذلك فيما نقله المفسرون أن رجلين دخلا على داود عليه السلام أحدهما صاحب غنم والآخر صاحب حرث فقال أحدهما ان هذا دخلت غنمه بالليل إلى حرثى فأهلكته وأكلته ولم تبق لى فيه شيئا فقال داود عليه السلام الغنم لصاحب الحرث عوضا عن حرثه فلما خرجا من عنده مرا على سليمان عليه السلام وكان عمره اذ ذاك على ما نقله أئمة التفسير إحدى عشرة سنة فقال لهما ما حكم بينكما الملك فذكرا له ذلك فقال غير هذا أرفق بالفريقين فعادا إلى داود عليه السلام وقالا له ما قاله ولده سليمان عليه السلام

برزت سبق الجياد فى مهل * وقصرت دون سعيك العرب فالتفت يزيد الى مولى له وقال أعطه نجم هذا الأسبوع ونصبر على العذاب الى السبت الآخر ﴿ قال الأصمعى ﴾ حضرت مجلس الرشيد وفيه مسلم ابن الوليد اذ دخل أبو نواس فقال له الرشيد ما أحدثت بعدنا يا أبا نواس فقال يا أمير المؤمنين ولو فى الخمر فقال قاتلك الله ولو فى الخمر فأنشد
يا شقيق النفس من حكم * نمت عن ليلى ولم أنم
حتى انتهى الى آخرها فقال
فتمشت فى مفاصلهم * كتمشى البرء فى السقم
فقال أحسنت والله يا غلام أعطه عشرة آلاف درهم وعشر خلع فأخذها وخرج قال الأصمعى فلما خرجنا من عنده قال لى مسلم بن الوليد ألم تر إلى الحسن بن هانىء كيف سرق شعرى وأخذ به مالا وخلعا فقلت له وأى معنى سرق لك قال قوله فتمشت فى مفاصلهم البيت فقلت وأى شىء قلت فقال
كأن قلبى وشاحاها اذا خطرت * وقلبها قلبها فى الصمت والخرس
تجرى محبتها فى قلب وامقها * جرى السلامة فى أعضاء منتكس

﴿ ترجمة المعتزلة ﴾ المعتزلة طائفة من المسلمين يرون أن أفعال الخير من الله وأفعال الشر من

فدعاه داود عليه السلام وقال له ماهو إلا رفق بالفريقين فقال سليمان تسلم الغنم الى صاحب الحرث وكان الحرث كرماقد تدلت عناقيده فى قول أكثر المفسرين فيأخذ صاحب الكرم الأغنام يأكل لبنها و ينتفع بدرها و نسلها و يسلم الكرم إلى صاحب الأغنام ليقوم به فاذا عاد الكرم إلى هيئته وصورته التى كان عليها ليلة دخلت الغنم اليه سلم صاحب الكرم الغنم إلى صاحبها و تسلم كرمه كما كان بعناقيده وصورته فقال له داود القضاء كما قلت وحكم به كما قال سليمان عليه السلام وفى هذه القصة نزل قوله تعالى وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما فهذه المعرفة والدراية لم تحصل لسليمان بكثرة التجربة وطول المدة بل حصلت بعناية ربانية وألطاف إلهية واذا قذف الله تعالى شيئا من أنوار مواهبه فى قلب من يشاء من خلقه اهتدى إلى مواقع الصواب ورجح على ذوى التجارب والاكتساب فى كثير من الأسباب و يستدل على حصول كمال العقل فى الرجل بما يوجد منه ومايصدر عنه فان العقل معنى لا يمكن مشاهدته فان المشاهدة من خصائص الأجسام فأقول يستدل على عقل الرجل بأمور متعددة منها ميله إلى محاسن الأخلاق واعراضه عن رذائل الأعمال و رغبته فى اسداء صنائع المعروف وتجنبه ما يكسبه عارا و يورثه سوء السمعة * وقد قيل لبعض الحكماء بم يعرف عقل الرجل فقال بقلة سقطه فى الكلام وكثرة اصابته فيه فقيل له فان كان غائبا فقال باحدى ثلاث إما برسوله واما بكتابه واما بهديته فان رسوله قائم مقام نفسه وكتابه يصف نطق لسانه وهديته عنوان همته فبقدر مايكون فيها من نقص يحكم به على صاحبها وقيل من أكبر الأشياء شهادة على عقل الرجل حسن مداراته للناس و يكفى أن حسن المداراة يشهد لصاحبه بتوفيق الله تعالى إياه فانه روى عن النبى ﷺ أنه قال من حرم مداراة الناس فقد حرم التوفيق فمقتضاه أن من رزق المداراة لم يحرم التوفيق وقالوا العاقل الذى يحسن المداراة مع أهل زمانه وقال رسول الله ﷺ الجنة مائة درجة تسعة وتسعون منها لأهل العقل وواحدة لسائر الناس وقال على بن عبيدة العقل ملك والخصال رعية فاذا ضعف عن القيام عليها وصل الخلل اليها فسمعه أعرابى فقال هذا كلام يقطر عسله وقيل بأيدى العقول تمسك أعنة النفوس وكل شىء اذا كثر رخص الا العقل فانه كلما كثر غلا وقيل لكل شىء غاية وحد والعقل لا غاية له ولا حد ولكن الناس يتفاوتون فيه تفاوت الازهار فى المروج * واختلف الحكماء فى ماهيته فقال قوم هو نور وضعه الله طبعا وغريزة فى القلب كالنور فى العين وهو يزيد و ينقص و يذهب و يعود وكما يدرك بالبصر شواهد الأمور كذلك يدرك بنور القلب المحجوب والمستور وعمى القلب كعمى البصر قال الله تعالى فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وقيل محل العقل الدماغ وهو قول أبى حنيفة رحمه الله تعالى وذهب جماعة الى أنه فى القلب كما روى عن الشافعى رحمه الله تعالى واستدلوا بقوله تعالى فتكون لهم قلوب يعقلون بها و بقوله تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أى عقل وقالوا التجربة مرآة العقل ولذلك حمدت آراء المشايخ حتى قالوا المشايخ أشجار الوقار لا يطيش لهم سهم ولا يسقط لهم فهم وعليكم بآراء الشيوخ فانهم إن عدموا ذكاء الطبع فقد أفادتهم الأيام حيلة وتجربة (قال الشاعر)

ألم تر أن العقل زين لأهله * ولكن تمام العقل طول التجارب

(وقال آخر) اذا طال عمر المرء فى غير آفة * أفادت له الأيام فى كرها عقلا

(وقال) عامر بن عبد قيس اذا عقلك عقلك عما لا يعنيك فأنت عاقل * و يقال لا شرف إلا شرف العقل ولا غنى إلا غنى النفس وقيل يعيش العاقل بعقله حيث كان كما يعيش الأسد بقوته حيث كان قال الشاعر

إذا لم يكن للمرء عقل فانه * وان كان ذا بيت على الناس هين

الإنسان وان القرآن مخلوق محدث ليس بقديم وأن الله تعالى غير مرئى يوم القيامة وأن المؤمن إذا ارتكب الذنب مثل الزنا وشرب الخمر كان فى منزلة بين منزلتين يعنون بذلك أنه ليس بمؤمن ولا كافر وأن إعجاز القرآن فى الصرفة لا أنه فى نفسه معجز ولو لم يصرف الله العرب عن معارضته لأتوا بما يعارضه وان من دخل النار لم يخرج منها وانما سموا معتزلة لأن واصل بن عطاء كان يجلس إلى الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه فلما ظهر الخلاف وقالت الخوارج بكفر مرتكب الكبائر وقال الجماعة بأنهم مؤمنون وان فسقوا بالكبائر خرج واصل عن الفريقين وقال ان الفاسق من هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر بل هو فى منزلة بين منزلتين فطرده الحسن رضى الله تعالى عنه عن مجلسه فاعتزل عنه فقيل لأتباعه معتزلة * ولم يزل مذهب الاعتزال ينمو الى أيام الرشيد فظهر بشر المريسى وأحضر الشافعى مكبلا فى الحديد فسأله بشر والسؤال ماتقول ياقرشى فى القرآن فقال إياى تعنى قال نعم قال مخلوق فخلى عنه وأحس الشافعى رضى الله عنه بالشر وان الفتنة تشتد فى اظهار القول بخلق القرآن فهرب من بغداد إلى مصر ولم

ومن كان ذا عقل أجل لعقله * وأفضل عقل عقل من يتدين

وقالوا العاقل لا تبطره المنزلة السنية كالجبل لا يتزعزع وان اشتدت عليه الريح والجاهل تبطره أدنى منزلة كالحشيش يحركه أدنى ريح وقيل لعلى رضى الله تعالى عنه صف لنا العاقل قال هو الذى يضع الشىء مواضعه قيل فصف لنا الجاهل قال قد فعلت يعنى الذى لا يضع الشىء مواضعه وقال المنصور لولده خذ عنى ثنتين لا تقل من غير تفكير ولا تعمل بغير تدبير وقال اردشير أربعة تحتاج الى أربعة الحسب الى الأدب والسرور الى الأمن والقرابة الى المودة والعقل الى التجربة وقال كسرى أنوشروان أربعة تؤدى الى أربعة العقل الى الرياسة والرأى الى السياسة والعلم الى التصدير والحلم الى التوقير وقال القاسم بن محمد من لم يكن عقله أغلب الخصال عليه كان حتفه من أغلب الخصال عليه وقيل أفضل العقل معرفة العاقل بنفسه وقيل ثلاثة هن رأس العقل مداراة الناس والاقتصاد فى المعيشة والتحبب الى الناس وقيل من أعجب برأى نفسه بطل رأيه ومن ترك الاستماع من ذوى العقول مات عقله وعن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه أنه قال أهل مصر أعقل الناس صغارا وأرحمهم كبارا وقيل العاقل المحروم خير من الاحمق المرزوق وقيل لا ينبغى للعاقل أن يمدح امرأة حتى تموت ولا طعاما حتى يستمرئه ولا يثق بخليل حتى يستقرضه وقيل طول اللحية أمان من العقل وسئل بعضهم أيما أحمد فى الصبا الحياء أم الخوف قال الحياء لأن الحياء يدل على العقل والخوف يدل على الجبن وقيل غضب العاقل على فعله وغضب الجاهل على قوله وقال أبو الدرداء رضى الله تعالى عنه قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعويمر ازدد عقلا تزدد من الله تعالى قربا قلت بأبى وأمى ومن لى بالعقل قال اجتنب محارم الله تعالى وأد فرائض الله تعالى تكن عاقلا ثم تنقل الى صالح الأعمال تزدد فى الدنيا عقلا وتزدد من الله قربا وعزا * وحكى بعض أهل المعرفة قال حياة النفس بالروح وحياة الروح بالذكر وحياة القلب بالعقل وحياة العقل بالعلم ويروى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه كان ينشد هذه الأبيات ويترنم بها

ان المكارم أخلاق مطهرة * فالعقل أولها والدين ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها * والجود خامسها والعرف ساديها
والبر سابعها والصبر ثامنها * والشكر تاسعها واللين عاشيها
والعين تعلم من عينى محدثها * ان كان من حزبها أو من أعاديها
والنفس تعلم أنى لا أصدقها * ولست أرشد الا حين أعصيها

(وقال) بعض الحكماء العاقل من عقله فى ارشاد ورأيه فى امداد فقوله سديد وفعله حميد والجاهل من جهله فى اغراء فقوله سقيم وفعله ذميم ولا يكفى فى الدلالة على عقل الرجل الاغترار بحسن ملبسه وملاحة سمته وتسريح لحيته وكثرة صلفته ونظافة بزته اذ كم من كنيف مبيض وجلد مفضض وقد قال الأصمعى رأيت بالبصرة شيخا له منظر حسن وعليه ثياب فاخرة وحوله حاشية وهرج وعنده دخل وخرج فأردت أن أختبر عقله فسلمت عليه وقلت له ما كنية سيدنا فقال أبو عبد الرحمن الرحيم مالك يوم الدين قال الأصمعى فضحكت منه وعلمت قلة عقله وكثرة جهله ولم يدفع ذلك عنه غزارة خرجه ودخله وقد يكون الرجل موسوما بالعقل مرقوما بعين الفضل فيصدر منه حالة تكشف عن حقيقة حاله وتشهد عليه بقلة عقله واختلاله * وقيل ان اياس بن معاوية القاضى كان من أكابر العقلاء وكان عقله يهديه الى سلوك طرق لا يكاد يسلكها من لم يهتد اليها فكان من جملة الوقائع التى صدرت منه وشهدت له بالعقل الراجح والفكر القادح انه كان فى زمانه رجل مشهور بين الناس بالامانة فاتفق أن رجلا أراد أن يحج فأودع عند ذلك الرجل الامين كيسا فيه جملة من الذهب ثم حج فلما عاد من حجه جاء الى ذلك الرجل وطلب كيسه منه فأنكره وجحده فجاء الى القاضى اياس وقص عليه القصة فقال

يقل الرشيد رحمه الله بخلق القرآن فكان الامر بين أخذ وترك الى أن ولى المأمون فقال بخلق القرآن وبقى يقدم رجلا ويؤخر أخرى فى الدعوة الى ذلك الى ان قوى عزمه فى السنة التى مات فيها وطلب الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه فأخبر فى الطريق أنه توفى فبقى الامام محبوسا بالرقة حتى بويع المعتصم فأحضر الى بغداد وعقد له مجلس المناظرة وفيه عبد الرحمن ابن اسحق والقاضى أحمد بن أبى داود وغيرهما فناظروه ثلاثة أيام فلم يقطع فى بحث وسفه أقوال الجميع فأمر به فضرب بالسياط الى أن أغمى عليه ورمي على بارية وهو مغشى عليه ثم حل وصار الى منزله ولم يقل بخلق القرآن ومكث فى السجن ثمانية وعشرين شهرا ولم يزل يحضر الجمعة ويفتى ويحدث حتى مات المعتصم وولى الواثق فأظهر ما أظهر من المحنة وقال للامام أحمد لا تجمعن اليك أحدا ولا تساكنى فى بلد أنا فيه فاختفى الامام أحمد لا يخرج الى صلاة ولا غيرها حتى مات الواثق وولى المتوكل فأحضره وأكرمه وأطلق له مالا فلم يقبله وفرقه وأجرى على أهله وولده فى كل شهر أربعة آلاف درهم ولم تزل جارية الى أن مات المتوكل وفى أيامه

القاضي هل أخبرت بذلك أحدا غيري قال لا قال فهل علم الرجل أنك أتيت الى قال لا قال انصرف واكتم أمرك ثم عد الى بعد غد فانصرف ثم ان القاضي دعا ذلك الرجل المستودع فقال له قد حصل عندي أموال كثيرة ورأيت أن أودعها عندك فاذهب وهيء لها موضعا حصينا فمضى ذلك الرجل وحضر صاحب الوديعة بعد ذهاب الرجل فقال له القاضي اياس امض الى خصمك واطلب منه وديعتك فان جحدك فقل له امض معي الى القاضي اياس أتحاكم أنا وأنت عنده فلما جاء اليه دفع اليه وديعته فجاء الى القاضي وأعلمه بذلك ثم ان ذلك الرجل المستودع جاء الى القاضي طامعا في تسليم المال فسبه القاضي وطرده وكانت هذه الواقعة مما تدل على عقله وصحة فكره * ولما مات بعض الخلفاء اختلفت الروم واجتمعت ملوكها فقالوا الآن يشتغل المسلمون بعضهم ببعض فتمكننا الغرة منهم والوثبة عليهم وعقدوا لذلك المشورات وتراجعوا فيه بالمناظرات وأجمعوا على أنه فرصة الدهر وكان رجل منهم من ذوي العقل والمعرفة والرأي غائبا عنهم فقالوا من الحزم عرض الرأي عليه فلما أخبروه بما أجمعوا عليه قال لا أرى ذلك صوابا فسألوه عن علة ذلك فقال في غد أخبركم ان شاء الله تعالى فلما أصبحوا أتوا اليه وقالوا قد وعدتنا أن تخبرنا في هذا اليوم بما عولنا عليه فقال سمعا وطاعة وأمر باحضار كلبين عظيمين كان قد أعدهما ثم حرش بينهما وحرض كل واحد منهما على الآخر فتواثبا وتهارشا حتى سالت دماؤهما فلما بلغ الغاية فتح باب بيت عنده وأرسل على الكلبين ذئبا كان قد أعده لذلك فلما أبصراه تركا ما كانا عليه وتألفت قلوبهما ووثبا جميعا على الذئب فقتلاه فأقبل الرجل على أهل الجمع فقال مثلكم مع المسلمين مثل هذا الذئب مع الكلاب لا يزال الهرج بين المسلمين مالم يظهر لهم عدو من غيرهم فاذا ظهر تركوا العداوة بينهم وتألفوا على العدو فاستحسنوا قوله واستصوبوا رأيه فهذه صفة العقلاء

﴿ وأما ذم الحمق ﴾ فقد قال ابن الاعرابي الحماقة مأخوذة من حمقت السوق اذا كسدت فكأنه كاسد العقل والرأي فلا يشاور ولا يلتفت اليه في أمر من الامور والحمق غريزة لا تنفع فيها الحيلة وهو داء دواؤه الموت قال الشاعر

لكل داء دواء يستطب به * إلا الحماقة أعيت من يداويها

والحمق مذموم قال رسول الله ﷺ الاحمق أبغض الخلق الى الله تعالى اذ حرمه أعز الاشياء عليه وهو العقل ويستدل على صفة الاحمق من حيث الصورة بطول اللحية لأن مخرجها من الدماغ فمن أفرط طول لحيته قل دماغه ومن قل دماغه قل عقله ومن قل عقله فهو أحمق وأما صفته من حيث الافعال فترك نظره في العواقب وثقته بمن لا يعرفه والعجب وكثرة الكلام وسرعة الجواب وكثرة الالتفات والخلو من العلم والعجلة والخفة والسفه والظلم والغفلة والسهو والخيلاء ان استغنى بطر وان افتقر قنط وان قال أفحش وان سئل بخل وان سأل ألح وان قال لم يحسن وان قيل له لم يفقه وان ضحك قهقه وان بكى صرخ وان اعتبرنا هذه الخلال وجدناها في كثير من الناس فلا يكاد يعرف العاقل من الاحمق * قال عيسى عليه السلام عالجت الابرص والاكمه فأبرأتهما وعالجت الاحمق فأعياني والسكوت عن الاحمق جوابه ونظر بعض الحكماء الى أحمق على حجر فقال حجر على حجر ﴿ وحكى ﴾ أن أحمقين اصطحبا في طريق فقال أحدهما للآخر تعال نتمن على الله فان الطريق تقطع بالحديث فقال أحدهما أنا أتمنى قطائع غنم أنتفع بلبنها ولحمها وصوفها وقال الآخر أنا أتمنى قطائع ذئاب أرسلها على غنمك حتى لا تترك منها شيئا قال ويحك أهذا من حق الصحبة وحرمة العشرة فتصايحا وتخاصما واشتدت الخصومة بينهما حتى تماسكا بالاطواق ثم تراضيا على أن أول من يطلع عليهما يكون حكما

بينهما

ظهرت السنة وكتب الى الآفاق برفع ما توقع من المحنة واظهار السنة وتكلم في مجلسه بالسنة ولم يزالوا أعني المعتزلة في قوة الى أيام المتوكل ولم يكن في هذه الامة الاسلامية أهل بدعة أكثر منهم (وممن) مشاهيرهم على ماذكروا من الفضلاء الاعيان الجاحظ وواصل بن عطاء والقاضي عبد الجبار والرماني النحوي وأبو علي الفارسي وأقضى القضاة الماوردي الشافعي وهذا غريب ومن المعتزلة أيضا الصاحب ابن عباد وصاحب الكشاف والفراء النحوي والسيرافي وابن جني والله أعلم (ومما جنيته من ثمرات الاوراق) أن الرشيد سأل جعفرا عن جواريه فقال يا أمير المؤمنين كنت في الليلة الماضية مضطجعا وعندي جاريتان وهما يكبسانني فتناومت عنهما لأنظر صنيعهما واحداهما مكية والاخرى مدنية فمدت المدنية يدها الى ذلك الشيء فلعبت به فانتصب فقامت فوثبت المكية وقعدت عليه فقالت المدنية أنا أحق به لأني حدثت عن مالك عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من أحيا أرضا ميتة فهي له فقالت المكية وأنا حدثت عن معمر عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس الصيد لمن أثاره إنما

بينهما فطلع عليهما شيخ بحمار عليه زقان من عسل فحدثاه بحديثهما فنزل بالزقين وفتحهما حتى سال العسل على التراب ثم قال صب الله دمى مثل هذا العسل إن لم تكونا أحمقين * وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال كان رجل يتعبد فى صومعة فأمطرت السماء وأعشبت الارض فرأى حماره يرعى فى ذلك العشب فقال يارب لو كان لك حمار لرعيته مع حمارى هذا فبلغ ذلك بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام فهم أن يدعو عليه فأوحى الله اليه لاتدع عليه فانى أجازى العباد على قدر عقولهم و يقال فلان ذو حمق وافر وعقل نافر ليس معه من العقل إلا مايوجب حجة الله عليه و خطب سهل هند ابنة عتبة لحمقته فقال

وما هوجى يا هنـد إلا سجية * أجر لهـا ذيلى بحسن الخلائق
ولو شئت خادعت الفتى عن قلوصه * ولاطمت فى البطحاء من كل طارق

و يقال للابله السليم القلب هو من بقر الجنة لا ينطح ولا يرمح والأحمق المؤذى هو من بقر سقر والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثالث فى القرآن وفضله وحرمته وما أعد الله تعالى لقارئه من الثواب العظيم والاجر الجسيم﴾

قال الله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر وسمى الله تعالى القرآن كريما فقال تعالى انه لقرآن كريم وسماه حكيما فقال تعالى يس والقرآن الحكيم وسماه مجيدا فقال تعالى ق والقرآن المجيد أنزله الله تعالى على سيد الأنام وخاتم الانبياء الكرام عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام فكان من أعظم معجزاته أن أعجز الله الفصحاء عن معارضته وعن الاتيان بآية من مثله قال تعالى قل فأتوا بسورة من مثله وقال تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فهو النور المبين والحق المستبين لاشىء أسطع من أعلامه ولا أصدع من أحكامه ولا أفصح من بلاغته ولا أرجح من فصاحته ولا أكثر من افادته ولا ألذ من تلاوته قال رسول الله ﷺ القرآن فيه خبر من قبلكم ونبأ من بعدكم وحكم ما بينكم وقال أيضا ﷺ أصغر البيوت بيت صفر من كتاب الله تعالى وقال الشعبى الذى يقرأ القرآن انما يحدث عن ربه عز وجل ووفد غالب ابن صعصعة على على بن أبى طالب كرم الله وجهه ومعه ابنه الفرزدق فقال له من أنت قال غالب بن صعصعة قال ذو الابل الكثيرة قال نعم قال فما فعلت بابلك قال أذهبتها النوائب وزعزعتها الحقوق قال ذلك خير سبلها ثم قال له يا أبا الاخطل من هذا الذى معك قال ابنى وهو شاعر قال علمه القرآن فهو خير له من الشعر فكان ذلك فى نفس الفرزدق حتى قيد نفسه وآلى على نفسه أن لا يحل قيده حتى يحفظ القرآن فحفظه فى سنة وفى ذلك قال

وما صب رجلى فى حديد مجاشع * مع القيد إلا حاجة لى أريدها

وقال أنس رضى الله عنه قال لى رسول الله ﷺ يا بنى لا تغفل عن قراءة القرآن اذا أصبحت واذا أمسيت فان القرآن يحيى القلب الميت وينهى عن الفحشاء والمنكر ﴿وحكى﴾ الزمخشرى فى كتابه ربيع الابرار قال ومن حكايات الحشوية ماقيل ان ابراهيم الخواص مر بمصروع فأذن فى أذنه فناداه الشيطان من جوفه دعنى أقتله فانه يقول القرآن مخلوق * وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى اذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على قراءة القرآن * وكان الامام مالك بن أنس رحمه الله تعالى اذا دخل شهر رمضان يفر من مذاكرة الحديث ومجالسة أهل العلم و يقبل على القراءة فى المصحف وكان أبو حنيفة والشعبى رحمهما الله تعالى يختمان فى رمضان ستين ختمة وقال على رضى الله تعالى عنه من قرأ القرآن فمات فدخل النار فهو ممن كان يتخذ آيات الله هزوا وقال الشعبى اللسان عدل على الاذن والقلب فاقرأ قراءة تسمعها أذنك و يفهمها قلبك وقال رسول الله ﷺ من قرأ القرآن ثم رأى أن

الصيد لمن أخذه فضحك الرشيد حتى استلقى على قفاه وقال هل من سلوة عنهما فقال جعفر هما مولاها تحكم أمير المؤمنين وحملهما اليه (ومن ذلك) ماحكى عن بعض المطربين أنه غنى فى جماعة عند بعض الأمراء

إذا أنت أعطيت السعادة لم تبل
ولو نظرت شزرا اليك القبائل
وان فوق الاعداء نحوك أسهما
ثنتها على أعقابهن المناصل

فطرب الأمير الى الغاية ولما زاد طربه قال لبعض مماليكه هات خلعة لهذا المغنى ولم يفهم المغنى ما يقوله الامير فقام لقلة حظه الى بيت الخلاء وفى غيبته جاء المملوك بالخلعة فوجد المغنى غائبا وقد حصل فى المجلس عربدة وأمر الامير باخراج الجميع فقيل للمغنى بعد ما خرج ان الامير كان قد أمر لك بخلعة فلما كان بعد أيام حضر المغنى عند ذلك الامير وغنى فقال

اذا أنت أعطيت السعادة لم تبل
ولو نظرت شزرا اليك القبائل

بفتح التاء وضم الباء فأنكروا عليه فقال نعم لانى لما بلت فى ذلك اليوم فاتتنى السعادة من الامير فأوضحوا له القصة فضحك وأعجبه ذلك وأمر له بخلعة ﴿ومن المنقول﴾

أحدا أوتى أفضل مما أوتى فقد استصغر ما عظم الله وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد قيل يارسول الله وما جلاؤها قال قراءة القرآن وذكر الموت وقال عمر بن ميمون من نشر مصحفا حين يصلي الصبح فقرأ مائة آية رفع الله له مثل عمل جميع أهل الدنيا وقال علي كرم الله وجهه من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأه وهو جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأه في غير صلاة وهو على وضوء فخمسة وعشرون حسنة ومن قرأه على غير وضوء فعشر حسنات وقال ابن عباس رضي الله عنهما لان أقرأ البقرة وآل عمران أرتلهما وأتدبرهما أحب الي من أن أقرأ القرآن كله هذرمة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وعن صالح المزني قال قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي ياصالح هذه القراءة فاين البكاء وكان عثمان رضي الله عنه يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة الى المائدة وليلة السبت بالانعام الى هود وليلة الاحد بيوسف الى مريم وليلة الاثنين بطه الى طسم وموسى وفرعون وليلة الثلاثاء بالعنكبوت الى ص وليلة الاربعاء بتنزيل الى الرحمن ويختم ليلة الخميس * وعن علي رضي الله عنه لاخير في عبادة لافقه فيها ولاخير في قراءة لاتدبر فيها وكان عكرمة بن أبي جهل رضي الله تعالى عنه ولعن أباه اذا نشر المصحف أغمي عليه ويقول هو كلام ربي وأبطأت عائشة رضي الله عنها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقال ما حبسك قالت قراءة رجل ما سمعت أحسن صوتا منه فقام فاستمع اليه طويلا ثم قال هذا سالم مولى أبي حذيفة الحمد لله الذي جعل في أمتي مثله وقال ابن عيينة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يارسول الله قد اختلفت على القراءات فعلى قراءة من تأمرني فقال على قراءة أبي عمرو * وعن أبي عمرو اني لم أزل أطلب أن أقرأه كما قرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما أنزل عليه فقدمت مكة فلقيت بها عدة من التابعين ممن قرأ على الصحابة رضي الله عنهم أجمعين فقرأت عليهم فاشدد بها يدك * فينبغي للانسان أن يحافظ على تلاوة القرآن ليلا ونهارا سفرا وحضرا * وقال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله تعالى في كتابه الاذكار قد كان للسلف رضي الله عنهم عادات مختلفة في القدر الذي يختمون فيه فكانت جماعة منهم يختمون في كل شهر ختمة وآخرون في كل عشر ليال ختمة وآخرون في كل ثلاث ليال ختمة وكان كثيرون في كل يوم وليلة ختمة وختم جماعة في كل يوم وليلة ختمتين وختم بعضهم في اليوم والليلة ثمان ختمات أربعا في الليل وأربعا في النهار وروي أن مجاهدا رحمه الله تعالى كان يختم القرآن في شهر رمضان فيما بين المغرب والعشاء * وأما الذين ختموا القرآن في ركعة فلا يحصون لكثرتهم فمنهم عثمان بن عفان وتميم الداري وسعيد بن جبير رضي الله تعالى عنهم وروينا في مسند الامام المجمع على حفظه وجلالته واتقانه وبراعته أبي محمد الدارمي رحمه الله عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال اذا وافق ختم القرآن أول الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح واذا وافق أول النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسي قال الدارمي هذا حديث حسن عن سعد وأفضل القراءة ما كان في الصلاة وأما في غير الصلاة فأفضلها قراءة الليل والنصف الاخير منه أفضل من الاول والقراءة بين المغرب والعشاء محبوبة وأما قراءة النهار فأفضلها بعد صلاة الصبح ولا كراهة في وقت من الاوقات ولا في أوقات النهي عن الصلاة ويستحب الاجتماع عند الختم لحصول البركة وقيل إن الدعاء يستجاب عند ختم القرآن وان الرحمة تنزل عند ختمه ويستحب الدعاء عقب الختم استحبابا مؤكدا تأكيدا شديدا ويجب على القاري الاخلاص في قراءته وأن يريد بها وجه الله تعالى وأن لا يقصد بها توصلا الى شيء سوى ذلك وأن يتأدب مع القرآن ويستحضر في ذهنه أنه يناجي ربه سبحانه وتعالى ويتلو كتابه فيقرأ على حالة من يرى الله تعالى فانه ان لم يكن يراه فان الله يراه وينبغي للقاري اذا أراد القراءة أن ينظف فمه بالسواك وأن

أن عبدالله بن المعتز من خلفاء بني العباس مع كماله وغزارة فضله كان لم يزل منغصا في مدة حياته بويع له بالخلافة وظن أن الحظ قد تنبه له فلم يتم الامر له إلا يوما واحدا ثم قبض عليه وقتل رحمه الله تعالى على أنه ما وافق على ولاية الامر حتى اشترط عليهم أن لا يسفكوا في واقعته دما ومحله من الادب لا يخفى وشمعة فضله كالصبح لا تقط ولا تطفى وقد قيل

لله درك من ملك بمضيعة ... ناهيك في العلم والعلياء والحسب

ما فيه لو ولا ليت تنقصه ... وانما أدركته حرفة الادب

(وقال ابن الساعاتي)

عفت القريض فلا أسمو له أبدا ... حتى لقد عفت أن أرويه في الكتب

هجرت نظمي له لا من مهانته ... لكنها خيفة من حرفة الادب

قلت وما برح الزمان مولعا بخمول أهل الادب وخمود نارهم * كان الملك الافضل نور الدين علي ابن صلاح الدين يوسف من كبار أهل الادب وكان حسن السيرة متدينا قل ان عاقب على ذنب وله المناقب الجليلة وكان أكبر اخوته ومع كمال صفاته وآدابه التي سارت بها الركبان ما صفا له الدهر ولا هناه بالملك بعد أبيه السلطان صلاح

يكون

يكون شأنه الخشوع والتدبير والخضوع فهذا هو المقصود والمطلوب وبه تنشرح الصدور وتيسر المرغوب ودلائله أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر وقد كان الواحد من السلف رضى الله عنهم يتلو آية واحدة ليلة كاملة يتدبرها ويستحب البكاء والتباكى لمن لا يقدر على البكاء فان البكاء عند القراءة صفة العارفين وشعار عباد الله الصالحين قال الله تعالى ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا * وقال السيد الجليل صاحب الكرامات والمعارف والمواهب واللطائف ابراهيم الخواص رضى الله تعالى عنه دواء القلب خمسة أشياء قراءة القرآن بالتدبر وخلو البطن وقيام الليل والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين وقد جاءت آثار بفضيلة رفع الصوت بالقراءة وآثار بفضيلة الأسرار قال العلماء ان أراد القارىء بالاسرار بعد الرياء فهو أفضل فى حق من يخاف ذلك فان لم يخف الرياء فالجهر أفضل بشرط أن لا يؤذى غيره من مصل أو نائم أو غيرهما والأحاديث فى فضل القراءة وآداب حملة القرآن كثيرة غير محصورة ومن أراد الزيادة فلينظر فى كتاب التبيان فى آداب حملة القرآن لشيخ مشايخ الاسلام محيي الدين النووى قدس الله روحه ونور ضريحه وقد جاء فى فضل القرآن أحاديث كثيرة * وروى فى فضل قراءة سور من القرآن فى اليوم والليلة فضل كبير منها يس وتبارك الملك والواقعة والدخان فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال من قرأ يس فى يوم وليلة ابتغاء وجه الله تعالى غفر له وفى رواية له من قرأ سورة الدخان فى ليلة أصبح مغفورا له وفى رواية عن ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم سمعت رسول الله ﷺ يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة وعن جابر رضى الله عنه قال كان رسول الله ﷺ لا ينام كل ليلة حتى يقرأ الم تنزيل الكتاب وتبارك الملك وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال من قرأ فى ليلة إذا زلزلت الأرض كانت له كعدل نصف القرآن ومن قرأ قل يا أيها الكافرون كانت له كعدل ربع القرآن ومن قرأ قل هو الله أحد كانت له كعدل الثلث والأحاديث بنحو ماذكرناه كثيرة وقد أشرنا إلى المقاصد منها والله تعالى أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب الرابع فى العلم والأدب وفضل العالم والمتعلم ﴾

قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ تعلموا العلم فان تعلمه لله حسنة ودراسته تسبيح والبحث عنه جهاد وطلبه عبادة وتعليمه صدقة وبذله لأهله قربة لأنه معالم الحلال والحرام وبيان سبيل الجنة والمؤنس فى الوحشة والمحدث فى الخلوة والجليس فى الوحدة والصاحب فى الغربة والدليل على السراء والمعين على الضراء والزين عند الاخلاء والسلاح على الأعداء وبالعلم يبلغ العبد منازل الأخيار فى الدرجات العلى ومجالسة الملوك فى الدنيا ومرافقة الأبرار فى الآخرة والفكر فى العلم يعدل الصيام ومذاكرته تعدل القيام وبالعلم توصل الأرحام وتفصل الأحكام وبه يعرف الحلال والحرام وبالعلم يعرف الله ويوحد وبالعلم يطاع الله ويعبد (قيل) العلم درك حقائق الاشياء مسموعا ومعقولا وقال النبى ﷺ خير الدنيا والآخرة مع العلم وشر الدنيا والآخرة مع الجهل وعنه عليه الصلاة والسلام يوزن مداد العلماء ودماء الشهداء يوم القيامة فلا يفضل أحدهما على الآخر ولغدوة فى طلب العلم أحب إلى الله من مائة غزوة ولا يخرج أحد فى طلب العلم إلا وملك موكل به يبشره بالجنة ومن مات وميراثه المحابر والاقلام دخل الجنة وقال على كرم الله وجهه أقل الناس قيمة أقلهم علما وقال أيضا رضى الله عنه العلم نهر والحكمة بحر والعلماء حول النهر يطوفون والحكماء وسط البحر يغوصون والعارفون فى سفن النجاة يسيرون وقال موسى عليه السلام فى مناجاته الهى من أحب الناس اليك قال عالم يطلب علما وقال

الدين رحمه الله تعالى لبث مدة يسيرة بدمشق المحروسة ثم حضر اليه عمه أبو بكر العادل وأخوه الملك العزيز عثمان فأخرجاه من ملكه بدمشق إلى صرخد ثم جهزاه إلى سميساط وفى ذلك كتب إلى الامام الناصر ببغداد

مولاى ان أبا بكر وصاحبه
عثمان قد منعا بالسيف حق على
فانظر إلى حظ هذا الاسم كيف لقي
من الأواخر مالاقى من الأول

فكتب الناصر الجواب

والكن الفرق مثل الصبح
وافى كتابك يا ابن يوسف معلنا
بالصدق يخبر ان أصلك طاهر
غصبوا عليا حقه إذ لم يكن
بعد النبى له بيثرب ناصر
فاصبر فان غدا عليه حسابهم
وابشر فناصرك الامام الناصر

ولم ينصره الامام الناصر بل توفى فجأة بسميساط رحمه الله تعالى ومن شعره ماذكره ابن واصل فى مفرج الكروب

يامن يسود شعره بخضابه
فعساه من أهل الشبيبة يحصل
ها فاختضب بسواد حظى مرة
ولك الأمان بأنه لاينصل

﴿ قلت ﴾ ومثله الملك الناصر داود ابن الملك المعظم وكان

بعض السلف رضي الله عنهم العلوم أربعة الفقه للأديان والطب للأبدان والنجوم للأزمان والنحو للسان وقيل العالم طبيب هذه الأمة والدنيا داؤها فاذا كان الطبيب يطلب الداء فمتى يبرئ غيره * وسئل الشعبي عن مسألة فقال لا علم لي بها فقيل له ألا تستحي فقال ولم أستحي مما لم تستح الملائكة منه حين قالت لا علم لنا وعن النبي ﷺ فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم وروى كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وقال علي كرم الله وجهه من نصب نفسه للناس اماما فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه وقيل مؤدب نفسه ومعلمها أحق بالاجلال من مؤدب الناس ومعلمهم وأنشدوا

يا أيها الرجل المعلم غيره * هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى * كيما يصح به وأنت سقيم
ونراك تصلح بالرشاد عقولنا * أبدا وأنت من الرشاد عديم
فابدأ بنفسك فانهها عن غيها * فاذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل ما تقول ويهتدي * بالقول منك وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله * عار عليك إذا فعلت عظيم

وقال بعضهم

اني رأيت الناس في عصرنا * لا يطلبون العلم للعلم
الا مباهاة لأصحابه * وعدة للغش والظلم

(نظر) رجل الى امرأته وهي صاعدة في السلم فقال لها أنت طالق ان صعدت وطالق ان نزلت وطالق ان وقفت فرمت نفسها إلى الأرض فقال لها فداك أبي وأمي ان مات الامام مالك احتاج اليك أهل المدينة في أحكامهم وقال النبي ﷺ هلاك أمتي في شيئين ترك العلم وجمع المال * وسئل رسول الله ﷺ عن أفضل الأعمال فقال العلم بالله والفقه في دينه وكررها عليه فقال يا رسول الله أسألك عن العمل فتخبرني عن العلم فقال ان العلم ينفعك معه قليل العمل وان الجهل لا ينفعك معه كثير العمل وقال عيسى عليه السلام من علم وعمل عد في الملكوت الأعظم عظيما * وقال الخليل عليه السلام العلوم أقفال والأسئلة مفاتيحها وعنه عليه السلام زلة العالم مضروب بها الطبل وزلة الجاهل يخفيها الجهل وقال الحسن رأيت أقواما من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون من عمل بغير علم كان ما يفسده أكثر مما يصلحه والعامل بغير علم كالسائر على غير طريق فاطلبوا العلم طلبا لا يضر بالعبادة واطلبوا العبادة طلبا لا يضر بالعلم وقال يزيد بن ميسرة من أراد بعلمه وجه الله تعالى أقبل الله بوجهه ووجوه العباد اليه ومن أراد بعلمه غير وجه الله صرف الله وجهه ووجوه العباد عنه وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال ألا أخبركم بأجود الأجواد قالوا بلى يا رسول الله قال الله أجود الأجواد وأنا أجود ولد آدم وأجود من بعدي رجل علم علما فنشره يبعث يوم القيامة أمة وحده ورجل جاد بنفسه في سبيل الله حتى قتل وقال الثوري كان يقال العالم الفاجر فتنة لكل مفتون وعن الفضيل رحمه الله تعالى أنه قال لو أن أهل العلم اكرموا أنفسهم وأعزوا هذا العلم وصانوه وأنزلوه حيث أنزله الله اذا لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقاد لهم الناس وكانوا لهم تبعا ولكنهم أذلوا أنفسهم وبذلوا علمهم لأبناء الدنيا فهانوا وذلوا فانا لله وانا اليه راجعون فأعظم مصيبة والله أعلم وللقاضي العلامة أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني وقد أحسن كل الاحسان كأنما طرزت في خلع حسان

ولم أقض حق العلم ان كنت كلما * بدا طمع صيرته لي سلما
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي * لأخدم من لاقيت لكن لأخدما
أأشقى به غرسا وأجنيه ذلة * إذا فاتباع الجهل قد كان أسلما
فان قلت زند العلم كاب فانما * كبا حين لم نحرس حماه وأظلما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم

ولو

داود صاحب الكرك مابرح مع كمال فضله منكداً مشتتا في البلاد توجه إلى بغداد ومعه فخر القضاة ابن بصاقة والشيخ شمس الدين الخسرو شاهي وقد استصحب جواهر نفيسة والتجأ إلى الامام الناصر وطلب الحضور بين يديه ليشاهده في الملا فما قدر له ذلك ولا وافق الخليفة عليه حتى امتدحه بقصيدته البائية التي مطلعها

ودان ألمت بالكثيب ذوائبه * وجنح الدجى وحف تجول غياهبه
تقهقه في تلك الربوع رعوده * وتبكي على تلك الطلول سحائبه

(وقال منها في حكاية حاله مع الخليفة)

أيحسن في شرع المعالي ودينها * وأنت الذي تعزى اليه مذاهبه
بأني أخوض الدو والدو مقفر * سباريته مقفرة وسباسبه
ويأتيك غيري من بلاد قريبة * له الأمن فيها صاحب لا يجانبه
فيلقى دنوا منك لم ألق مثله * ويحظى ولا أحظى بما أنا طالبه
وينظر في لألاء قدسك نظرة * فيرجع والنور الامامي صاحبه
ولو كان يعلوني بنفس ورتبة * وصدق ولاء لست فيه أصاقبه

ولو عظموه في النفوس لعظما * ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا * محياه بالاطماع حتى تجهما

وقيل من لم يتعلم في صغره لم يتقدم في كبره وقال الفضيل شر العلماء من يجالس الامراء وخير الامراء من يجالس العلماء وقال لقمان جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الارض بماء السماء وقيل من عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار وكان ابن مسعود رضي الله عنه اذا رأى طالبي العلم قال مرحبا بكم ينابيع الحكمة ومصابيح الظلمة خلقان الثياب جدد القلوب ريحان كل قبيلة وقال علي رضي الله عنه كفى بالعلم شرفا أن يدعيه من لا يحسنه ويفرح به اذا نسب اليه وكفى بالجهل ضعة أن يتبرأ منه من هو فيه ويغضب اذا نسب اليه وعن النبي ﷺ ما آتى الله أحدا علما الا أخذ عليه الميثاق أن لا يكتمه أحدا ودعا بعضهم لآخر فقال جعلك الله ممن يطلب العلم رعاية لا رواية وممن يظهر حقيقة ما يعلمه بما يعمله وعن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال على باب الجنة شجرة تحمل ثمارا كثدي النساء يخرج من تحتها عين ماء يشرب منها العلماء والمتعلمون مثل اللبن الحليب والناس عطاش وعن ابن مسعود رضي الله عنه من تعلم بابا من العلم ليعلمه الناس ابتغاء وجه الله أعطاه الله أجر سبعين نبيا وعن أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل لأمتي من علماء السوء يتخذون العلم تجارة يبيعونها لا أربح الله تجارتهم

العلم أنفس شيء أنت ذاخره * من يدرس العلم لم تدرس مفاخره

أقبل على العلم واستقبل مقاصده * فأول العلم اقبال وآخره

(قال) الشعبي دخلت على الحجاج حين قدم العراق فسألني عن اسمي فأخبرته ثم قال يا شعبي كيف علمك بكتاب الله قلت عني يؤخذ قال كيف علمك بالفرائض قلت الي فيها المنتهى قال كيف علمك بانساب الناس قلت أنا الفيصل فيها قال كيف علمك بالشعر قلت أنا ديوانه قال لله أبوك وفرض لي أموالا وسودني على قومي فدخلت عليه وأنا صعلوك من صعاليك همدان وخرجت وأنا سيدهم (قال البستي)

اذا لم يزد علم الفتى قلبه هدى * وسيرته عدلا وأخلاقه حسنا

فبشره ان الله أولاه فتنة * تغشيه حرمانا وتوسعه حزنا

وقال الهيثم بن جميل شهدت مالك بن أنس رضي الله عنه سئل عن ثمان وأربعين مسئلة فقال في ثنتين وثلاثين منها لا أدري وقال الأوزاعي شكت النواويس الى الله تعالى ما تجد من نتن ريح الكفار فأوحى الله اليها بطون علماء السوء أنتن مما أنتم فيه وقال علي رضي الله عنه من أفتى الناس بغير علم لعنته ملائكة السماء والارض ولصالح اللخمي

تعلم اذا ما كنت لست بعالم * فما العلم الا عند أهل التعلم

تعلم فان العلم أزين للفتى * من الحلة الحسناء عند التكلم

ودخل عبد الله بن مسلم الهذلي على المهدي في القراء فأخذ عشرة آلاف درهم ثم دخل في الرماة فأخذ عشرة آلاف درهم ثم دخل في المغنين فأخذ كذلك ثم دخل في القصاص فأخذ كذلك فقال المهدي لم أر كاليوم أجمع لما يجمع الله في أحد منك وملّ جماعة من الحكماء مجالسة رجل فتواروا عنه في بيت فرقي السطح وجعل يستمع من كوة حتى وقع عليه الثلج فصبر فشكر الله له ذلك فجعله أمام الحكماء لا يختلفون في شيء الا صدروا عن رأيه وشكا رجل الى وكيع بن الجراح سوء الحفظ فقال له استعن على الحفظ بترك المعاصي فانشأ يقول

شكوت الى وكيع سوء حفظي * فأرشدني الى ترك المعاصي

لكنت أسلي النفس مما ترومه وكنت أزود العين عما تراقبه ولكنه مثلي ولو قلت انني أزيد عليه لم يعب ذاك عائبه

الناصر يشير الى مظفر الدين كوكبوري بن كوجك فانه قدم الى الديوان فطلب الحضور فاذن له وبرزله الخليفة وشاهد وجهه ولما وقف الخليفة على هذه القصيدة أعجبته غاية الاعجاب وهي من النظم البديع في غاية لا تدرك فاستدعاه بعد شطر من الليل واجتمع به خلوة وما تم له ما ظفر به مظفر الدين المذكور وسبب ذلك أن الخليفة راعى عمه المذكور والذي ثبت عند أهل التاريخ أن عمه العادل ما فعل ذلك الاحسدا له على كمال أدواته وبلاغة آدابه وقيل إنه كتب خطا منسوبا أزرى بالحدائق المدبجة (وحكى صاحب الريحان والريعان) قال حضر شاب ذكي بعض مجالس الأدب فقال بعضهم ما تصحيف نصحت فخنتني قال تصحيف حسن فاستغرب اسراعه وكان بالمجلس شاعر من أهل بلنسية فاتهم الشاب وقال مختبرا له ما تصحيف بلنسية فأطرق ساعة ثم قال أربعة أشهر فجعل البلنسي يقول صدق ظني انك تدعي وتنتحل ما تقول والفتى يضحك ثم قال له أشعرت أنت يا شاعر فقال له وأي نسبة بين أربعة أشهر وبين بلنسية فقال له ان لم يكن في اللفظ فهو في المعنى ثم قام وهو

وذلك ان حفظ العلم فضل * وفضل الله لا يؤتى لعاصى

ووجد فى بعض الآثار عن بعضهم أنه قال اذا أردت أن تكون أحفظ الناس فقل عند رفع الكتاب أو المصحف أو ابتداء القراءة فى كل شىء أردت بسم الله وسبحان الله ولا إله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم عدد كل حرف كتب ويكتب أبد الآبدين ودهر الداهرين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (قيل) واذا أردت أن لا تنسى حرفا فقل قبل القراءة اللهم افتح علينا حكمتك وانشر علينا رحمتك ياذا الجلال والاكرام واذا أردت أن ترزق الحفظ فقل خلف كل صلاة مكتوبة آمنت بالله الواحد الأحد الحق لا شريك له وكفرت بما سواه (ومن فوائد سيدى الشيخ صالح شهاب الدين أحمد بن موسى بن عجيل رحمه الله تعالى فى الحفظ) يقرأ فى كل يوم عشر مرات ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما الى قوله تعالى وكنا فاعلين ياحى ياقيوم يارب موسى وهارون ويارب ابراهيم ويارب محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام ألزمنى الفهم وارزقنى العلم والحكمة والعقل برحمتك ياأرحم الراحمين وعن أبى يوسف قال مات لى ولد فأمرت من يتولى دفنه ولم أدع مجلس أبى حنيفة خوفا أن يفوتنى منه يوم وقال محمد بن اسحق بن خزيمة ماراأيت تحت أديم السماء أعلم بالحديث ولا أحفظ له من محمد بن اسمعيل البخارى حتى كان يقال ان حديثا لا يعرفه محمد بن اسمعيل ليس بحديث وقال البخارى رحمه الله تعالى أحفظ مائة ألف حديث صحيح ومائتى ألف حديث غير صحيح وقال ماوضعت فى كتابى الصحيح حديثا الا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين وقال أخرجته من ستمائة ألف حديث وصنفته فى ست عشرة سنة وجعلته حجة فيما بينى وبين الله تعالى وقال مجاهد أتينا عمر بن عبد العزيز لنعلمه فما برحنا حتى تعلمنا منه وكان يقال الليث بن سعد رحمه الله تعالى ذهب علمه كله بموته ولهذا قال الشافعى لما قدم مصر بعد موته والله لأنت أعلم من مالك وانما أصحابك ضيعوك وقال الليث بن سعد ماهلك عالم قط الا ذهب ثلثا علمه ولو حرص الناس ويقال اذا سئل العالم فلا تجب أنت فان ذلك استخفاف بالسائل والمسئول وقالوا من خدم المحابر خدمته المنابر

لا تدخر غير العلو * م فانها نعم الذخائر
فالمرء لو ربح البقا * ء مع الجهالة كان خاسر

وللشافعى رضى الله تعالى عنه

أخى لن تنال العلم الا بستة * سأنبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة * وصحبة أستاذ وطول زمان

وقال الزهرى العلماء أربعة سعيد بن المسيب بالمدينة وعامر الشعبى بالكوفة والحسن البصرى بالبصرة ومكحول بالشام وقال بعضهم العلماء سرج الازمنة كل عالم سراج زمانه يستضىء به أهل عصره وقيل لابراهيم بن عيينة أى الناس أطول ندامة قال أما فى الدنيا فصانع المعروف الى من لا يشكره وأما فى الآخرة فعالم مفرط

كن عالما وارض بصف النعال * ولا تكن صدرا بغير الكمال
فان تصدرت بلا آلة * صيرت ذاك الصدر صف النعال

وقيل لما اجتمع موسى بالخضر عليهما السلام جاء عصفور فأخذ بمنقاره من البحر قطرة ثم حط على ورك الخضر ثم طار فنظر الخضر الى موسى عليه السلام وقال يا نبى الله ان هذا العصفور يقول ياموسى أنت على علم من علم الله علمكه الله لا يعلمه الخضر والخضر على علم من علم الله علمه الله إياه لا تعلمه أنت وأنا على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه أنت ولا الخضر وما علمى وعلمك وعلم الخضر فى علم الله الا كهذه القطرة من هذا البحر قال الله تعالى ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء وقال تعالى وما يعلم جنود

الحاضرين ونظر فاذا أربعة أشهر ثلث سنة وهو تصحيف بلنسية يقول ذلك فتنبه بعض تخجل الشاعر المنازع ومضى الى الشاب معترفا ومعتذرا انتهى وهذا المعنى فى بلنسية نظمه الشيخ بدر الدين الدمامينى أحجية فقال

أيا واحد العصر ما بلدة
محاسنها فى الورى تذكر
حجى ما يرادف تصحيفها
وحقك أربعة أشهر

(ومن الغريب) ما نقل عن الفقيه عمارة اليمنى الشاعر. أنه مر بمصلوب فقال

ومد على صليب الصلب منه
يمينا لا تطول الى الشمال
ونكس رأسه لعتاب قلب
دعاه الى الغواية والضلال

فلم يمض ثلاثة أيام حتى صلب بين القصرين مع الجماعة الغرماء (وكان) الفقيه نجم الدين عمارة أديبا ماهرا فقيها شافعى المذهب من أهل السنة قدم فى دولة الفاطميين الى الديار المصرية وصاحبها يومئذ الفائز بن الظافر ووزيره الصالح بن رزيك فكان عنده فى أكرم محل وأعز جانب وانحدبه على ما كان بينهما من الاختلاف فى العقيدة ثم رحل الى اليمن وعاد الى مصر وأقام بها إلى أن زالت دولة الفاطميين على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ورثى أهل القصر بقصيدته التى أولها

ربك إلا هو وقال عبدالله بن عباس رضى الله عنهما خلق الله تعالى أربعين ألف عالم الانس والجن عالمان والبواقى لا يعلمها إلا هو وقال موسى عليه السلام يارب قد قلت للسموات والارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فلو لم تطعك السموات والأرض ماذا كنت فاعلا بهما قال ياموسى كنت آمر دابة من دوابي أن تبتلعهما قال موسى يارب وأين تلك الدابة قال فى مرج من مروجى قال موسى يارب وأين ذلك المرج قال فى علم من علمى لا يعلمه إلا أنا وعن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن فى فكرة فقال فيم تفكرون تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله فان الله خلق من جانب الغرب أرضا يقال لها البيضاء تقطعها الشمس فى أربعين يوما فيها خلق ماعصوا الله طرفة عين فقال ابن عمر يارسول الله أين ابليس منهم قال ماعلموا ابا بليس خلق أم لا قال أمن بنى آدم قال ماعلموا بآدم خلق أم لا فهذه كلها مما أعدها الله فى علم غيبه انما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون وقال قتادة لو كان أحد منا مكتفيا من العلم لاكتفى نبى الله موسى عليه السلام إذ قال هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا وقال الحكماء أفضل العلم وقوف العالم عند علمه وقال بعضهم ليس العلم ماخزنته الدفاتر وانما العلم ماخزنته الصدور وقيل العلم يؤدى إلى التصدير وقيل من تواضع للعلم ناله ومن لم يتواضع له لم ينله وقيل من برق علمه برق وجهه ومن لم يستفد بالعلم مالا اكتسب به جمالا العلم نور وهدى والجهل غى وردى وقال بعضهم العالم يعرف الجاهل والجاهل لا يعرف العالم لان العالم كان جاهلا والجاهل لم يكن عالما وقيل أربعة يسودون العبد العلم والأدب والصدق والامانة وقيل أهل العراق أطلب الناس للعلم وقال حماد بن سلمة مثل الذى يطلب الحديث ولا يعرف النحو كمثل الحمار عليه مخلاة لا شعير فيها ولابراهيم بن خلف المهرانى

النحو يصلح من لسان الألكن * والمرء تكرمه اذا لم يلحن
واذا طلبت من العلوم أجلها * فأجلها منها مقيم الالسن

وقال على بن بشار

رأيت لسان المرء آية عقله * وعنوانه فانظر بماذا تعنون * ولاتعد اصلاح اللسان فانه يخبر عما عنده ويبين * ويعجبنى زى الفتى وجماله * فيسقط من عينى ساعة يلحن

ودخل أعرابى السوق فوجدهم يلحنون فقال سبحان الله يلحنون ويربحون * وكلم أبو موسى بعض قواده فلحن فقال لم لا تنظر فى العربية فقال بلغنى أن من نظر فيها قل كلامه فقال ويحك لان يقل كلامك بالصواب خير لك من أن يكثر كلامك بالخطأ وكان يقال مجالسة الجاهل مرض للعاقل وقال أبو الاسود الدؤلى إذا أردت أن تعذب عالما فاقرن به جاهلا وقال الشاعر

جهلت ولا تدرى بأنك جاهل * ومن لى بأن تدرى بأنك لاتدرى

وقال رجل للحسن أنا أفصح الناس قال لا تقل هذا قال فخذ على كلمة واحدة قال هذه واحدة أبو جهل كناه المسلمون بذلك وكانت قريش تكنيه أبا الحكم فقال حسان رضى الله تعالى عنه

الناس كنوه أبا حكم * والله كناه أبا جهل

﴿وأما ماجاء فى الادب﴾ فقد قال بعض الحكماء العقل يحتاج الى مادة من الادب كما تحتاج الابدان الى قوتها من الطعام وقال على كرم الله وجهه الادب كنز عند الحاجة عون على المروءة صاحب فى المجلس أنيس فى الوحدة تعمر به القلوب الواهية وتحيا به الالباب الميتة وينال به الطالبون ماحاولوا وقيل عقل بلا أدب كشجاع بلا سلاح ﴿وحكى﴾ أن رجلا تكلم بين يدى المأمون فأحسن فقال ابن من أنت

من المكارم ما أربى على الأمل
قوم عرفت بهم كسب الألوف ومن
تمامها أنها جاءت ولم أسل
يالأمى فى هوى أبناء فاطمة
لك الملامة إن قصرت فى عذل
بالله زر ساحة القصرين وابك معى
عليهم الاعلى صفين والجمل
ماذا ترى كانت الافرنج فاعلة
بنسل آل أمير المؤمنين على
وهى طويلة فى غاية الحسن فلما بلغت السلطان صلاح الدين تغير عليه (وقيل) إنه استفتى عليه فى قوله من قصيدته الميمية
وكان مبدأ هذا الأمر من رجل
سعى فأصبح يدعى سيد الامم
فأفتى الفقهاء بقتله وقالوا ان هذا الكلام رأى الفلاسفة فى النبوات وانها بالتكسب وهى احدى المسائل التى كفروا بها والصحيح أنه يجتبى من رسله من يشاء ولم يكن أحد من الانبياء عنده شعور بأنه يكون فيما بعد نبيا والذى يظهر أن هذا

مفتعل على الفقيه عمارة نظمه بعض أعدائه على لسانه ودسه فى تلك القصيدة ومايبعد أن القاضى الفاضل رحمه الله كان

قال ابن الادب يا أمير المؤمنين قال نعم النسب انتسبت اليه ولهذا قيل المرء من حيث يثبت لا من حيث ينبت ومن حيث يوجد لا من حيث يولد قال الشاعر

كن ابن من شئت واكتسب أدبا * يغنيك محموده عن النسب
ان الفتى من يقول ها أناذا * ليس الفتى من يقول كان أبى

وقال بعض الحكماء من كثر أدبه كثر شرفه وان كان وضيعا وبعد صيته وان كان خاملا وساد وان كان غريبا وكثرت حوائج الناس اليه وان كان فقيرا قال بعض الشعراء

لكل شئ زينة فى الورى * وزينة المرء تمام الادب
قد يشرف المرء بآدابه * فينا وان كان وضيع النسب

وقال بعض الاعاجم مفتخرا مالى عقلى وهمتى حسبى * ما أنا مولى وما أنا عربى
اذا انتمى منتم الى أحد * فاننى منتم الى أدبى

وقيل الفضل بالعقل والادب لا بالاصل والحسب وقيل المرء بفضيلته لا بفصيلته وبكماله لا بجماله وبآدابه لا بثيابه وقيل لرجل من أدبك قال رأيت جهل الجهال قبيحا فاجتنبته فتأدبت ومن أدب ولده صغيرا سر به كبيرا من عرف الادب اكتسب به المال والجاه خير الخلال الأدب وشر المقال الكذب وقيل لبقراط ما الفرق بين من له أدب ومن لا أدب له قال كالفرق بين الحيوان الناطق والحيوان الذى ليس بناطق ودخل أبو العالية على ابن عباس رضى الله عنهما فأقعده معه على السرير وأقعد رجالا من قريش تحته فرأى سوء نظرهم اليه وحموضة وجوههم فقال ما لكم تنظرون الى نظر الشحيح إلى الغريم المفلس هكذا الأدب يشرف الصغير على الكبير ويرفع المملوك على المولى ويقعد العبيد على الاسرة وقال جالينوس ان ابن الوضيع اذا كان أديبا كان نقص أبيه زائدا فى منزلته وابن الشريف اذا كان غير أديب كان شرف أبيه زائدا فى سقوطه وقيل أحسن الأدب أن لا يفتخر المرء بأدبه وسمع معاوية رجلا يقول أنا غريب فقال كلا الغريب من لا أدب له ويقال اذا فاتك الادب فالزم الصمت فهو من أعظم الآداب ولعبد الملك بن صالح

فى الناس قوم أضاعوا مجد أولهم * ما فى المكارم والتقوى لهم أرب
سوء التأدب أرداهم وأرذلهم * وقد يزين صحيح المنصب الأدب

وقيل أربعة تسود العبد الادب والعلم والصدق والامانة وقال بعض الحكماء خمسة لا تتم الا بخمسة لا يتم الحسب إلا بالأدب ولا يتم الجمال إلا بالحلاوة ولا يتم الغنى الا بالجود ولا يتم البطش إلا بالجراءة ولا يتم الجهاد إلا بالتوفيق والله تعالى أعلم

﴿ الباب الخامس فى الآداب والحكم وما أشبه ذلك ﴾

قال الحكماء اذا أراد الله بعبد خيرا ألهمه الطاعة وألزمه القناعة وفقهه فى الدين وعضده باليقين فاكتفى بالكفاف واكتسى بالعفاف وإذا أراد به شرا حبب اليه المال وبسط منه الآمال وشغله بدنياه ووكله الى هواه فركب الفساد وظلم العباد الثقة بالله أزكى أمل والتوكل عليه أوفى عمل من لم يكن له من دينه واعظ لم تنفعه المواعظ من سره الفساد ساءه المعاد كل يحصد ما زرع ويجزى بما صنع لا يغرنك صحة نفسك وسلامة أمسك فمدة العمر قليلة وصحة النفس مستحيلة من أطاع هواه باع دينه بدنياه ثمرة العلوم العمل بالمعلوم من رضى بقضاء الله لم يسخطه أحد ومن قنع بعطائه لم يدخله حسد أفضل الناس من لم تفسد الشهوة دينه خير الناس من أخرج الحرص من قلبه وعصى هواه فى طاعة ربه نصرة الحق شرف ونصرة الباطل سرف البخيل حارس

له ميل الى هلاكه لأنه لما استشاره السلطان صلاح الدين فى ضربه قال الكلب يسكت ثم ينبح قال فيسجن قال يرجى له الخلاص قال فيقتل قال كذا الملوك اذا أرادوا شيئا فعلوه ونهض فأمر فصلبه مع الغرماء فلما أمسكوه مروا به على باب الفاضل فلما رآه مقبلا قام ودخل الى بيته وأغلق الباب فقال الفقيه عمارة

عبد الرحيم قد احتجب * ان الخلاص من العجب

(نكتة أدبية) قال ابن سناء الملك من أبيات

صلينى وهذا الحسن باق فربما * يعزل بيت الحسن منه ويكنس

فوقف القاضى الفاضل رحمه الله على هذه القصيدة وكتب الى ابن سناء الملك من جملة فصل وماقلت هذه الغاية الا وتعلمنى انها البداية ولا قلت هذا البيت آية القصيدة الا وتلا ما بعده وما نريهم من آية أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون ولا عيب فى هذه المحاسن الا قصور الافهام وتقصير الانام والا فقد لهج الناس بما تحتها ودونها مادونها والقصيدة فائقة فى حسنها بديعة فى فنها ولكن بيت يعزل ويكنس أردت أن أكنسه من القصيدة فان لفظة الكنس غير لائقة بمكانها انتهى فأجاب ابن سناء الملك

نعمته وخازن لورثته من لزم الطمع عدم الورع إذا ذهب الحياء حل البلاء علم لا ينفع كدواء لا ينجع من جهل المرء أن يعصى ربه فى طاعة هواه ويهين نفسه فى إكرام دنياه أيام الدهر ثلاثة يوم مضى لا يعود اليك ويوم أنت فيه لا يدوم عليك ويوم مستقبل لا يدرى ما حاله ولا تعرف من أهله من كثر ابتهاجه بالمواهب اشتد انزعاجه للمصائب لا تبت على غير وصية وان كنت من جسمك فى صحة ومن عمرك فى فسحة عظ المسىء بحسن أفعالك ودل على الجميل بجميل خلالك اياك وفضول الكلام فانه يظهر من عيوبك ما بطن ويحرك من عدوك ما سكن لا يجد العجول فرحا ولا الغضوب سرورا ولا الملول صديقا حسن النية من العبادة حسن الجلوس من السياسة من زاد فى خلقه نقص فى حظه من ائتمن الزمان خانه أظهر الناس محبة أحسنهم لقاء لا يكمل للانسان دينه حتى يكون فيه أربع خصال يقطع رجاءه مما فى أيدى الناس ويسمع شتم نفسه ويصبر ويحب للناس ما يحب لنفسه ويثق بمواعيد الله اياك والحسد فانه يفسد الدين ويضعف اليقين ويذهب المروءة قيل لأفلاطون ما الشىء الذى لا يحسن أن يقال وان كان حقا قال مدح الانسان نفسه أربعة تؤدى الى أربعة الصمت الى السلامة والبر الى الكرامة والجود الى السيادة والشكر الى الزيادة من ساء تدبيره أهلكه جده الغرة ثمرة الجهل آفة القوة استضعاف الخصم آفة النعم قبيح المن آفة الذنب حسن الظن الحزم أسد الآراء والغفلة أضر الأعداء من قعد عن حيلته أقامته الشدائد ومن نام عن عدوه أيقظته المكايد من قرب السفلة وأطرح ذوى الاحساب والمروءات استحق الخذلان من عفا تفضل من كظم غيظه فقد حلم من حلم فقد صبر ومن صبر فقد ظفر من ملك نفسه عند أربع حرمه الله على النار حين يغضب وحين يرغب وحين يرهب وحين يشتهى من طلب الدنيا بعمل الآخرة فقد خسرهما ومن طلب الآخرة بعمل الدنيا فقد ربحهما كلام المرء بيان فضله وترجمان عقله فاقصره على الجميل واقتصر منه على القليل كل امرىء يعرف بقوله ويوصف بفعله فقل سديدا وافعل حميدا من عرف شأنه وحفظ لسانه وأعرض عما لا يعنيه وكف عن عرض أخيه دامت سلامته وقلت ندامته كن صموتا وصدوقا فالصمت حرز والصدق عز من أكثر مقاله سئم ومن أكثر سؤاله حرم من استخف باخوانه خذل ومن اجترأ على سلطانه قتل ما عز من أذل جيرانه ولا سعد من حرم اخوانه خير النوال ما وصل قبل السؤال أولى الناس بالنوال أزهدهم فى السؤال من حسن صفاؤه وجب اصطفاؤه من غاظك بقبيح الشتم منه فغظه بحسن الحلم عنه من يبخل بماله على نفسه جاد به على زوج عرسه إذا اصطنعت المعروف فاستره واذا اصطنع اليك فانشره من جاور الكرام أمن من الاعدام من طاب أصله زكا فرعه من أنكر الصنيعة استوجب القطيعة من منّ بمعروفه سقط شكره ومن أعجب بعمله حبط أجره من رضى من نفسه بالاساءة شهد على أصله بالرداءة من رجع فى هبته بالغ فى خسته من رقى فى درجات الهمم عظم فى عيون الامم من كبرت همته كثرت قيمته من ساء خلقه ضاق رزقه من صدق فى مقاله زاد فى جماله من هان عليه المال توجهت اليه الآمال من جاد بماله جل ومن جاد بعرضه ذل خير المال ما أخذ من الحلال وصرف فى النوال وشر المال ما أخذ من الحرام وصرف فى الآثام أفضل المعروف اغاثة الملهوف من تمام المروءة أن تنسى الحق لك وتذكر الحق عليك وتستكبر الاساءة منك وتستصغرها من غيرك من أحسن المكارم عفو المقتدر جود الرجل يحببه الى أصدقائه وبخله يبغضه الى أولاده لا تسىء الى من أحسن اليك ولا تعن على من أنعم عليك من كثر ظلمه واعتداؤه قرب هلاكه وفناؤه من طال تعديه كثرت أعاديه شر

قائلا قد علم المملوك ما نبه عليه مولانا من أمر البيت الذى أراد أن يكنسه من القصيدة وقد كان المملوك مشغوفا بهذا البيت مستحليا له معجبا به معتقدا أن قافية بيته أميرة ذلك الشعر وسيدة قوافيه وما أوقعه فى الكنس الا ابن المعتز حيث يقول

وقوامى مثل القناة من الخطـ ـط وخدى من لحيتى مكنوس

والمولى يعلم ان المملوك لم يزل يجرى خلف هذا الرجل ويتعثر ويطلب مطالبه فتتعسر عليه وتتعذر وما مال المملوك الا الى طريق من ميله اليه طبعه ولا سار الا الى من دله عليه سمعه ورأى المملوك أبا عبادة قد قال

ويا عاذلى فى عبرة قد سفحتها لبين وأخرى قبلها للتجنب

يحاول منى شيمة غير شيمتى وتطلب منى مذهبا غير مذهبى

وقال

وما زارنى الا ولهت صبابة اليه والا قلت أهلا ومرحبا

فعلم المملوك ان هذه طريقة لا تسلك وعقيلة لا تملك وغاية لا تدرك ووجد المملوك أبا تمام قد قال سلم على الربع من سلمى بذى سلم

الناس من ينصر الظلوم ويخذل المظلوم من حفر حفيرا لأخيه كان حتفه فيه   من سل سيف العدوان
أغمد في رأسه   من لم يرحم العبرة سلب النعمة ومن لم يقل العثرة سلب القدرة   لا تحاج من يذهلك
خوفه ويملكك سيفه   صمت تسلم به خير من نطق تندم عليه   من قال مالا ينبغي سمع مالا يشتهي
جرح الكلام أصعب من جرح الحسام   من سكت عن جاهل فقد أوسعه جوابا وأوجعه عتابا
من أمات شهوته أحيا مروءته من كثرت عوارفه كثرت معارفه من لم تقبل توبته عظمت خطيئته
اياك والبغي فانه يصرع الرجال   ويقطع الآجال الناس في الخير أربعة أقسام منهم من يفعله
ابتداء ومنهم من يفعله اقتداء ومنهم من يتركه حرمانا ومنهم من يتركه استحسانا فمن فعله ابتداء
فهو كريم ومن فعله اقتداء فهو حكيم ومن تركه حرمانا فهو شقي ومن تركه استحسانا فهو دني   من
سالم سلم ومن قدم الخير غنم   من لزم الرقاد عدم المراد ومن دام كسله خاب أمله   العجول مخطىء
وان ملك والمتأني مصيب وان هلك   من أمارات الخذلان معادات الاخوان استفساد الصديق
من عدم التوفيق الرفق مفتاح الرزق   من نظر في العواقب سلم من النوائب   ومن أسرع في الجواب
أخطأ في الصواب من ركب العجل أدركه الزلل من ضعفت آراؤه قويت أعداؤه من قلت
فضائله ضعفت وسائله من فعل ماشاء لقي ماساء   من كثر اعتباره   قل عثاره من ركب جده غلب
ضده القليل مع التدبير أبقى من الكثير مع التبذير ظن العاقل أصح من يقين الجاهل قليل
تحمد آخرته خير من كثير تذم عاقبته من خاف سطوتك تمنى موتك   إذا استشرت الجاهل
اختار لك الباطل   من أعجبته آراؤه غلبته أعداؤه   من قصر عن السياسة صغر عن الرياسة   لا تشتك
ضعفك الى عدوك فانك تشمته بك وتطمعه فيك   من لم يعمل لنفسه عمل للناس ومن لم يصبر على
كده صبر على الافلاس   من أفشى سره أفسد أمره   الحازم من حفظ مافي يده ولم يؤخر شغل
يومه لغده   من طلب مالا يكون طال تعبه لا تفتح بابا يعييك سده ولا ترم سهما يعجزك رده سوء
التدبير سبب التدمير اغمد سيفك ما ناب عنك لسانك   ليس العجب من جاهل يصحب جاهلا ولكن
العجب من عاقل يصحبه لان كل شيء ينفر من ضده ويميل الى جنسه اذا نزل القدر بطل الحذر   رب
عطب تحت طلب ومنية تحت أمنية لا يخلو المرء من ودود يمدح وعدو يقدح الجوع خير من الخضوع
الكذوب متهم وان صدقت لهجته ووضحت حجته من طاوعه طرفه اشتد حتفه من لم تسر حياته لم
تغم وفاته من أعظم الذنوب تحسين العيوب الشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية   إذا ملك الأراذل
هلك الأفاضل من ساءت أخلاقه طاب فراقه من حسنت خصاله طاب وصاله بعد يورث الصفا
خير من قرب يوجب الجفا اللسان سيف قاطع لا يؤمن حده والكلام سهم نافذ لا يمكن رده
من اطلع على جاره انهتكت حجب أستاره أجهل الناس من قل صوابه وكثر اعجابه أظهر
الناس نفاقا من أمر بالطاعة ولم يأتمر بها ونهى عن المعصية ولم ينته عنها من سلا عن المسلوب
كمن لم يسلب ومن صبر على النكبة كمن لا ينكب   الفضيلة بكثرة الآداب لا بفراهة الدواب من
زادت شهوته نقصت مروءته من عرف بشيء نسب اليه ومن اعتاد شيئا حرص عليه عند الجدال
يظهر فضل الرجال من أخر الاكل لذ طعامه ومن أخر النوم طاب منامه   موت في دولة وعز خير من
حياة في ذلة وعجز مقاساة الفقر هي الموت الأحمر ومسئلة الناس هي العار الاكبر حق يضر خير من
باطل يسر كم من مرغوب فيه يسوء ولا يسر   ومرهوب منه ينفع ولا يضر   عثرة الرجل تزيل القدم
وعثرة اللسان تزيل النعم المزاح يورث الضغائن من حلم ساد ومن تفهم ازداد معاشرة ذوي الالباب
عمارة القلوب شر ما صحب المرء الحسد ربما أصاب الأعمى رشده   وأخطأ البصير قصده اليأس خير

ووجدته أيضا قد قال * خشنت عليه أخت بني خشين * فانمأز من هذا اللفظ طبعه واقشعر منه فهمه ونبا عنه ذوقه وكان سمعه يتجرعه ولا يكاد يسيغه ووجد هذا المبدع السيد عبد الله بن المعتز قد قال

وقفت بالربع أشكو فقد مشبهه
حتى بكت بدموعي أعين الزهر
لو لم أعرها دموع العين تسفحها
لرحمتي لاستعارتها من المطر

وقد قال

قدك غصن لا شك فيه كما
وجهك شمس نهاره جسدك

فوجد المملوك طبعه الى هذا الأمر مائلا وخاطره في بعض الأحيان عليه سائلا فنسج على هذا الأسلوب وغاب على خاطره مع علمه أنه المغلوب وحبك الشيء يعمي ويصم فقد أعماه حبه وأصمه الى أن نظم تلك اللفظة في تلك الابيات تقليدا لابن المعتز قالها وحمل أثقالها وهي زلة تغتفر في جنب حسناته وأما المملوك فهي عورة ظهرت في أبياته (فأجابه الفاضل بقوله) ولا حجة فيما احتجه بابن المعتز عن الكنس في بيته فانه غير معصوم من الغلط ولا يقلد الا في الصواب فقط وقد علم مما ذكره   من

من التضرع إلى الناس لاتكن ضاحكا فى غير عجب ولاماشيا فى غير أرب من سعى بالنميمة حذره
القريب ومقته الغريب الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استبد برأيه أشرف الغنى ترك المنى
من ضاق خلقه مله أهله الحسد للصديق من سقم المودة كل الناس راض عن عقله دنياك كلها وقتك
الذى أنت فيه استر سوأة أخيك لما يعلم فيك خمول الذكر أسنى من الذكر الذميم العجلة أخت الندامة
من كرم أصله لان قلبه ومن قل لبه زاد عجبه رب ما أدرك بالظن الصواب ليس لمعجب رأى ولا
لمتكبر صديق سل عن الرفيق قبل الطريق وعن الجار قبل الدار لا تعادين أحدا فانك لاتخلو من
عداوة جاهل أو عاقل فالحذر من حكمة العاقل وجهل الجاهل ضاحك معترف بذنبه خير من باك
مدل على ربه من قل سروره كان الموت راحته لا تردن على ذى خطأ خطأه فيستفيد منك علما
و يتخذك عدوا استحى من ذم من لو كان حاضرا لبالغت فى مدحه ومدح من لو كان غائبا لسارعت
الى ذمه وقيل المنفعة توجب المحبة والمضرة توجب البغضة والمخالفة توجب العداوة والمتابعة توجب
الألفة والعدل يوجب اجتماع القلوب والجور يوجب الفرقة وحسن الخلق يوجب المودة وسوء الخلق
يوجب المباعدة والانبساط يوجب المؤانسة والانقباض يوجب الوحشة والكبر يوجب المقت
والتواضع يوجب الرفعة والجود يوجب المدح والبخل يوجب الذم والتوانى يوجب التضييع والحزم
يوجب السرور والحذر يوجب السلامة وإصابة التدبير توجب بقاء النعمة وبالتأنى تسهل المطالب
وبحسن المعاشرة تدوم المحبة وبخفض الجانب تأنس النفوس وبسعة خلق المرء يطيب عيشه
والاستهانة توجب التباعد وبكثرة الصمت تكون الهيبة وبعدل المنطق تجاب الجلالة وبالنصفة
تكثر المواصلة وبالافضال يعظم القدر وبصالح الاخلاق تزكو الأعمال وباحتمال المؤن يجب
السودد وبالحلم على السفيه تكثر أنصارك عليه وبالرفق والتودد تستحق اسم الكرامة وبترك مالا
يعنيك يتم لك الفضل * واعلم أن السياسة تكسو أهلها المحبة ومن صغر الهمة الحسد للصديق على
النعمة والنظر فى العواقب نجاة ومن لم يحلم ندم ومن صبر غنم ومن سكت سلم ومن اعتبر أبصر ومن
أبصر فهم ومن فهم علم ومن أطاع هواه ضل ومع العجلة الندامة ومع التأنى السلامة وزارع البر
يحصد السرور وصاحب العقل مغبوط وصداقة الجاهل تعب إذا جهلت فاسأل وإذا زللت فارجع
وإذا أسأت فاندم وإذا ندمت فاقلع المروآت كلها تبع للعقل والرأى تبع للتجربة والعقل أصله التثبت
وثمرته السلامة والأعمال كلها تبع القدر واختار العلماء أربع كلمات من أربع كتب فمن التوراة من
قنع شبع ومن الانجيل من اعتزل نجا ومن الزبور من سكت سلم ومن القرآن ومن يعتصم بالله فقد هدى
إلى صراط مستقيم واجتمعت حكماء العرب والعجم على أربع كلمات لاتحمل بطنك مالا يطيق ولا
تعمل عملا لا ينفعك ولا تغتر بامرأة ولا تثق بمال ولو كثر والله تعالى أعلم

﴿ الباب السادس فى الأمثال السائرة وفيه فصول ﴾

﴿ الفصل الاول فيما جاء من ذلك فى القرآن العظيم وأحاديث النبى الكريم ﴾

﴿اعلم﴾ أن الأمثال من أشرف ماوصل به اللبيب خطابه وحلى بجواهره كتابه وقد نطق كتاب
الله تعالى وهو أشرف الكتب المنزلة بكثير منها ولم يخل كلام سيدنا رسول الله ﷺ عنها وهو أفصح
العرب لسانا وأكملهم بيانا فكم فى إيراده وإصداره من مثل يعجز عن مباراته فى البلاغة كل بطل
وسنذكر إن شاء الله تعالى بعد ذلك نبذة من أمثال العرب والمولدين والعامة * فمن أمثال كتاب الله
تعالى قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون الآن حصحص الحق قضى الأمر الذى فيه تستفتيان
أليس الصبح بقريب ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة ليس لها من دون الله كاشفة أتأمرون الناس بالبر

فذكر من محاسنه مالا يعلق
معه كتاب ومن بارده
وغثه مالا تلبس عليه
الثياب وقد تعصب
القاضى السعيد على
أبى تمام فنقصه حظه
وأما البحترى فأعطاه
أكثر من حقه وقال
ولو كان هذا موضع العتب
لاشتفى
فؤادى ولكن للعتاب
مواضع
(قال) الشيخ صلاح الدين
الصفدى لما وقف على
هذا الفصل رأيت ابن
سناء الملك استعمل هذه
اللفظة فى غير هذا
الموضع ولم يتعظ بنهى
الفاضل ولا ارعوى
ولا ازدجر عما قبحه
بل غلب عليه الهوى
فقال :

وخلصنى من يدى عشقه
ظلام على خده حندسه
كنست فؤادى من حبه
ولحيته كانت المكنسه

﴿قلت﴾ مابرح الشيخ
صلاح الدين غفر الله له
يذوق تقليدا كقوله عن
ابن سناء الملك لما استعمل
فى هذه الصيغة المشتملة
على الهجو بشاعة
المكنسة ولم يتعظ
بنهى الفاضل ولا
ارعوى ولا ازدجر
عما قبحه بل غلب عليه
الهوى أما نقد الفاضل
على ابن سناء الملك بوضع
المكنسة على وجنة معشوقته التى ليس للعذار بوجنتها شعور فنقد صحيح * وأما وضع مكنسة اللحية على وجنة من

وتنسون أنفسكم وحيل بينهم و بين ما يشتهون لكل نبأ مستقر قل كل يعمل على شاكلته وعسى أن تكرهوا شيئا و يجعل الله فيه خيرا كثيرا و إن تصبهم سيئة يفرحوا بها كل نفس بما كسبت رهينة حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة ما على الرسول إلا البلاغ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ما على المحسنين من سبيل تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى هل جزاء الاحسان إلا الاحسان ولا ينبئك مثل خبير ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم كل حزب بما لديهم فرحون لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لا يستوى الخبيث والطيب ففررت منكم لما خفتكم و إن كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكى من يشاء يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه و إنهم لكاذبون اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا فى طغيانهم يعمهون فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر إنا وجدنا آباءنا على أمة و إنا على آثارهم مقتدون يا ليت بينى و بينك بعد المشرقين فبئس القرين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين لا يجليها لوقتها إلا هو فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى كل يوم هو فى شأن فبأى حديث بعده يؤمنون وما ربك بغافل عما تعملون واهجرهم هجرا جميلا من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها إن هى إلا فتنتك فاعتبروا يا أولى الابصار و إنه لقسم لو تعلمون عظيم ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت ولتعلمن نبأه بعد حين وكان بين ذلك قواما لمثل هذا فليعمل العاملون كل من عليها فان كل نفس ذائقة الموت أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون (ومن) الامثال من الحديث النبوى إنما الأعمال بالنيات و إنما لكل امرىء ما نوى نية المرء خير من عمله آفة العلم النسيان من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه أنزلوا الناس منازلهم اليد العليا خير من اليد السفلى من مات غريبا مات شهيدا مطل الغنى ظلم يد الله مع الجماعة الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق من غشنا فليس منا سيد القوم خادمهم الحياء شعبة من الايمان تخيروا لنطفكم ابدأ بنفسك ثم بمن تعول حدث عن البحر ولا حرج المجالس بالأمانات كل ميسر لما خلق له اطلبوا الخير من حسان الوجوه إياك وما يعتذر منه الوحدة خير من الجليس السوء استعينوا على الحوائج بالكتمان الندم توبة لا يكون المؤمن طعانا ولا لعانا دع ما يريبك إلى ما لا يريبك من كثر سواد قوم فهو منهم انصر أخاك ظالما أو مظلوما انتظار الفرج عبادة كاد الفقر أن يكون كفرا نعم صومعة الرجل بيته الأعمال بخواتيمها

﴿ الفصل الثانى فى أمثال العرب ﴾ إن من البيان لسحرا إن الجواد قد يعثر إن البلاء موكل بالمنطق إن أخا الهيجاء من يسعى معك * ومن يضر نفسه لينفعك أنف فى السماء وأست فى الماء إن الذليل الذى ليست له عضد أى الرجال المهذب إنما هو كبرق خلب إذا أدبر الدهر عن قوم كفى عدوهم أمرهم إياك أعنى فاسمعى يا جاره إن لم يكن وفاق ففراق إنك لا تجنى من الشوك العنب إذا حان القضاء ضاق الفضاء إن المناكح خيرها الابكار إذا كنت مناطحا فناطح بذوات القرون أوى الى ركن بلا قواعد إياك أن تضرب بلسانك عنقك أكل وحمد خير من أكل وذم آفة المروءة خلف الوعد اذا قلت له زن طأطأ رأسه وحزن اذا أتاك أحد الخصمين وقد فقئت عينه فلا تقض له حتى يأتيك خصمه فلعله فقئت عيناه ترك الذنب أيسر من طلب التوبة اتق شر من تحسن اليه الناس اخوان وشتى فى الشيم بلغ السيل الزبى أجع كلبك يتبعك حافظ على الصديق ولو فى الحريق اشتدى أزمة تنفرجى أتبع السيئة الحسنة تمحها الخيل أعرف بفرسانها رمتنى بطرفها وانسلت رب رمية من

طلعت لحيته وكان جائرا على عاشقه وسبكها هنا فى قالب الهجو فهى نوع من المرقص والمطرب ولو وقف الفاضل على هذه المكنسة لاعدها لأبياته انتهى (ومن لطائف المنقول) ما حكى عن الشيخ مجد الدين ابن دقيق العيد والد قاضى القضاة تقى الدين تغمدهما الله برحمته ورضوانه وهو أن الشيخ مجد الدين المشار اليه كان كثير الاحسان الى أصحابه يسعى لهم على قدر استحقاقهم فيمن يصلح للحكم وفيمن يصلح للعدالة فجاءه بعض طلبته وشكا اليه رقة الحال وكثرة الضرورة فقال له اكتب قصتك وأنا أتحدث مع الولد فكتب ذلك الطالب المملوك فلان يقبل الأرض وينهى أنه فقير ومظرور بالظاء القائمة وقليل الحض بالضاد وناولها للشيخ فلما قرأها تبسم وقال يا فقير سبحان الله ضرك قائم وحظك ساقط انتهى * ومن لطائف المنقول عن قاضي القضاة شمس الدين ابن خلكان رحمه الله تعالى أنه كان يهوى بعض أولاد الملوك وله فيه الاشعار الرائقة يقال ان أول يوم زاره بسط له الطرحة وقال ما عندى أعز من هذه أطأ عليها ولما فشا أمرها وعلم به أهله منعوه من الركوب فكتب اليه

يا سادتى إنى قنعت وحقكم * فى حبكم منكم بأيسر مطلب

غير

غير رام الرباح مع السماح رب أكلة تمنع أكلات استراح من لاعقل له رب أخ لم تلده أمك رب طمع أدى إلى عطب ربما كان السكوت جوابا رب ملوم لاذنب له رب عين أنم من لسان رحم الله من هدانى الى عيوبى ركوب الخنافس ولا المشى على الطنافس سبق السيف العذل زوج من عود خير من قعود سبك من بلغك السب سحابة صيف عن قليل تقشع شر أيام الديك يوم تغسل رجلاه طاعة النساء ندامة أطلب تظفر طرف الفتى يخبر عن لسانه ظاهر العتاب خير من باطن الحقد عند الصباح يحمد القوم السرى والظلم مرتعه وخيم عند النطاح يغلب الكبش الأجم

العبد يقرع بالعصا * والحر تكفيه الملامة

اعقل وتوكل العتاب قبل العقاب عند الرهان تعرف السوابق عند الامتحان يكرم المرء أو يهان عند النازلة تعرف أخاك فى القمر ضياء والشمس أضوأ منه القول ما قالت حذام لقد أسمعت لو ناديت حيا أقلل طعامك يحمد منامك كل فتاة بأبيها معجبة كل كلب ببابه نباح كاد العروس أن يكون ملكا كثرة العتاب توجب البغضاء أكثر مصارع الرجال تحت بروق المطامع الكلام أنثى والجواب ذكر كل اناء يرشح بما فيه كما تزرع تحصد كل امرىء فى بيته صبى كلب جوال خير من أسد رابض لقد ذل من بالت عليه الثعالب ليس الخبر كالعيان لكل صارم نبوة ولكل جواد كبوة لكل قادم دهشة لعل لها عذرا وأنت تلوم * لكل ساقطة لاقطة لكل مقام مقال لك لسان من رطب ويدان من خشب للباطل جولة ثم يضمحل ليست النائحة الثكلى مثل المستأجرة لكل غد طعام لكل دهر دولة ورجال لاعطر بعد عروس لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين لا يضر السحاب نباح الكلاب لا تقتن من كلب سوء جروا مقتل الرجل بين فكيه ما حك جلدك مثل ظفرك من عتب على الدهر طال عتبه معاتبة الاخوان خير من فقدهم النفس مولعة بحب العاجل هذه بتلك والبادى أظلم ياحبذا الامارة ولو على الحجارة يكسو الناس وأسته عارية يدك منك وإن كانت شلاء

﴿الفصل الثالث فى أمثال العامة والمولدين﴾ التسلط على المماليك دناءة اجلس حيث يؤخذ بيدك وتبر ولا تجلس حيث يؤخذ برجلك وتجرأ أجرأ الناس على الأسد أكثرهم له رؤية الحاجة تفتق الحيلة الحاوى لا ينجو من الحيات الحبة تدور والى الرحى ترجع المؤذى ردى كلما جلوته صدى الأسواق موائد الله فى أرضه السلامة إحدى الغنيمتين الشاة المذبوحة لا يؤلمها السلخ الطير بالطير يصاد اطلع القرد فى الكنيف فقال هذه المرآة لهذا الوجه الظريف العادة طبيعة خامسة الغائب حجته معه الخضوع عند الحاجة رجولية الناس أتباع لمن غلب النكاح يفسد الحب النصح بين الملا تقريع الحر حر وإن مسه الضر والعبد عبد وإن ملك الدر الثقيل إذا تخفف صار طاعونا أضيع من حلى على زنجية العمل للزرنيخ والاسم للنورة أنشط من ايردخل نصفه البغل الهرم لا يفزعه صوت الجلجل بدن وافر وقلب كافر تزاوروا ولا تجاوروا تعاشروا كالاخوان وتعاملوا كالاجانب ثمرة العجلة الندامة جواهر الاخلاق تفضحها المعاشرة تحيما سقط لقط خذل اللص قبل أن يأخذك خذ القليل من اللئيم وذمه ذل من لاسفيه له ريق العدو سم قاتل رب ساع كقاعد زكاة البدن العلل زلق الحمار وكان من سهوة المكارى زلة الرجل عظم يجبر وزلة اللسان لا تبقى ولا تذر سلطان غشوم خير من فتنة تدوم سواء قوله وبوله سفير السوء يفسد ذات البين شهر ليس لك فيه رزق لا تعد أيامه صديق الوالد عم الولد ضرب الطبل تحت الكساطاعة الولاة بقاء العز طفيلى ويقترح عناية القاضى خير من شاهدى عدل دلت على أهلها براقش (وهو اسم كلبة نبحت فدلت على الجيش فقتلوهم) غش القلوب يظهر فى فلتات الالسن وصفحات الوجوه غنى المرء فى الغربة وطن فر من الموت وفى الموت وقع فم يسبح وقلب يذبح فلان

ان لم تجودوا بالوصال تعطفا ورأيتم هجرى وفرط تجنبى لاتمنعوا عينى القريحة أن ترى يوم الخميس جمالكم فى الموكب

لو كنت تعلم ياحبيبى ما الذى ألقاه من كمد إذا لم تركب

لرحمتنى ورثيت لى من حالة لولاك لم يك حملها من مذهبى

قسما بوجهك وهو بدر طالع وبليل طرتك التى كالغيهب

وبقامة لك كالقضيب ركبت من أخطارها فى الحب أصعب مركب

لولم أكن فى رتبة أرعى لها الـ عهد القديم صيانة للمنصب

لهتكت سترى فى هواك ولذلى خلع العذار ولج فيك مؤنبى

لكن خشيت بأن تقول عواذلى قد جن هذا الشيخ فى هذا الصبى

فارحم فديتك حرفة قد قاربت كشف القناع بحق ذياك النبى

(قال الشيخ جمال الدين ابن عبد القادر التبريزى الذى يهواه القاضى شمس الدين بن خلكان رحمه الله الملك المسعود ابن الملك الظاهر وكان قد تيمه حبه وكنت أنام عنده بالعادلية فتحدثنا فى بعض الليالى إلى أن ذهب الناس فقال لى نم أنت ههنا وأتى على فروة

كالكعبة يزار ولا يزور قيل للزمار تهيأ للزمر قال المزمار فى كمى والريح فى فمى كل قليلا تعش كثيراً كلام ريح فى قفص كالابرة تكسو الناس وهى عريانة كلمة حكمة من جوف خرب كاد المريب يقول خذونى كنت سندالا فصرت مطرقة كل مافاتك من الدنيا فهو غنيمة كلما طار قصوا جناحه لو كان المزاح فحلا ما ينتج إلا شراً لسان الجاهل مفتاح حتفه لكل جديد لذة لو ضاعت صفعة ما وجدت إلا فى قفاه لو كان فى اليوم خير مافات الصياد من اعتمد على شرف آبائه فقد عقهم من سعادة المرء أن يكون خصمه عاقلا والله التوفيق

(الفصل الرابع فى الامثال من الشعر المنظوم مرتبة على حروف المعجم)

﴿ حرف الألف ﴾

ألا كل شئ ماخلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل * إذا جاء موسى وألقى العصا
فقد بطل السحر والساحر * إذا لم يكن فيكن ظل ولا جنى * فأبعدكن الله من شجرات
إذا كنت فى فكرى وقلبى ومقلتى * فأى مكان من مكانك ألطف * إذا أراد كريم منع صاحبه
فليس يخفى عليه كيف ينفعه * إذا ما أتيت الأمر من غير بابه * ضللت وإن تقصد إلى الباب تهتد
إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته * على طرف الهجران إن كان يعقل * إذا لم يكن عندى نوال هجرتنى
وإن كان لى مال فأنت صديقى * الناس فى طلب المعاش وإنما * بالجد يرزق منهم من يرزق
أيها السائل عما قد مضى * هل جديد مثل ملبوس خلق * إنما أنفسنا عارية
والعوارى حكمها أن تسترد * إن العدو وإن أبدى مسالمة * إذا رأى منك يوما غرة وثبا
أتمنى على الزمان محالا * أن ترى مقلتاى طلعة حر * إذا ملك لم يكن ذا هبه
فدعه فدولته ذاهبه * إذا ثارت خطوب الدهر يوما * عليك فكن لها ثبت الجنان
إذا كنت لا ترضى بما قد ترى * فدونك الحبل به فاختنق * إن الأمور إذا بدت لزوالها
فعلامة الادبار فيها تظهر * إذا ضاع شئ بين أم وبنتها * فاحداهما لاشك ذلك آخذه
إذا كان رب البيت بالطبل ضارباً * فلا تلم الصبيان فيه على الرقص * إذا ما أراد الله إهلاك نملة
سمت بجناحيها إلى الجو تصعد * إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنى * أصبت حليما أو أصابك جاهل
إذا لم تستطع أمراً فدعه * وجاوزه إلى ما تستطيع * إذا صوت العصفور طار فؤاده
ولكن حديد الناب عند الشدائد * أهن عامراً تكرم عليه فانما * أخو عامر من مسه بهوان
إذا محاسنى اللاتى أتيت بها * عدت ذنوباً فقل لى كيف أعتذر * اخوان صدق مارأوك بغبطة
فاذا افتقرت فقد هوى بك من هوى * إذا اعتاد الفتى خوض المنايا * فأيسر ما يمر به الوحول
ألم تر أن المرء تدوى يمينه * فيقطعها عمداً ليسلم سائره * إذا أنت لم تعلم طبيبك كل ما
يسوءك أبعدت الدواء عن السقم * إذا أنت حملت الخؤن أمانة * فانك قد أسندتها شر مسند
أكل خليل هكذا غير منصف * وكل زمان للكرام بخيل * إذا أنت عبت المرء ثم أتيته
فأنت ومن تزرى عليه سواء * أسأت إذا أحسنت ظنى بكم * والحزم سوء الظن بالناس
الحادثات إذا ألم خطوبها * فلها مساو مرة ومحاسن * الخير لا يأتيك متصلا
والشر يسبق سيله مطره * العلم ينهض بالخسيس الى العلا * والجهل يقعد بالفتى المنسوب
الكفر بالنعمة يدعو الى * زوالها والشكر أبقى لها * أيا دارهم ما كنت أنت بدارهم
ولا أنا مذ سار الركاب بهم أنا * أقلب طرفى لا أرى غير صاحب * يميل مع النعماء حيث تميل
إذا ما قضيت الدين بالدين لم يكن * قضاء ولكن ذاك غرم على غرم

قرظ وقام يدور حول بركة العادلية ويقول فى دورانه أنا والله هالك آيس من سلامتى أو أرى القامة التى قد أقامت قيامتى (وقيل) إن قاضى القضاة شمس الدين المشار اليه رحمه الله سأل بعض أهل دمشق المحروسة وكان المسئول من خواص أصحابه عن ترجمته عند أهل دمشق فاستعفاه من ذلك فألح عليه فقال أما العلم والفضل فهم مجمعون عليه وأما النسب فيدعون فيه الادعاء ويقولون ان مولانا يأكل الحشيش ويحب الغلمان (فقال) أما النسب والكذب فيه فهذا نوع من الهذيان ولو أردت أن أنتسب الى العباس أو الى على بن أبى طالب أو الى أحد من الصحابة لاجازوا ذلك وأما النسب الى قوم لم يبق منهم بقية وأصلهم فرس مجوس فما فيه فائدة وأما الحشيشة فالكل ارتكاب محرم واذا كان ولا بد فكنت أشرب الخمر فانه ألذ وأما محبة الغلمان فالى غد أجيبك عن المسئلة انتهى (ومما يناسب لطيفة قاضى القضاة شمس الدين ما نقلته من روض الجليس ونزهة الانيس) حكى عن سليمان بن محمد المهدى الصقلى قال كان بأفريقية رجل نبيه شاعر وكان يهوى غلاما جميلا من غلمانه فاشتد كلفه به وكان

﴿حرف الباء الموحدة﴾ بنا فوق ما تشكو فصبرا لعلنا * نرى فرجا يشفي السقام قريبا

بالملح نصلح ما نخشى تغيره * فكيف بالملح ان حلت به الغير

بنى عمنا ان العداوة شأنها * ضغائن تبقى فى نفوس الأقارب

﴿حرف التاء المثناة الفوقية﴾ نحن اليه أفئدة البرايا * وتهواه الخلائق للسماع

تلوم على القطيعة من أتاها * وأنت سننتها للناس قبلي * تلجى الضرورات فى الأمور الى سلوك مالا يليق بالأدب * تفرقت الظباء على خراش * وما يدرى خراش ما يصيد

تجتلي الاذن منه أحسن مما * تجتلي العين من وجوه البدور

﴿حرف الجيم﴾ جن له الدهر فنال الغنى * آه لمن أغفله الدهر

جربت أهلي وأهليه فما تركت * لى التجارب فى ود امرىء غرضا

﴿حرف الحاء المهملة﴾ حياك من لم تكن ترجو تحيته * لولا الدراهم ماحياك انسان

﴿حرف الخاء المعجمة﴾ خفض الجأش واصبرن رويدا * فالرزايا اذا توالت تولت

خليلي ان الحب صعب مراسه * وان عز بز القوم فيه يهان * خاطر بنفسك كي تصيب غنيمة ان الجلوس مع العيال قبيح * خيالك فى عيني وذكرك فى فمي * ومثواك فى قلبي فأين تغيب

خن من آمنت ولا تركن الى أحد * فما نصحتك الا بعد تجريبي

﴿حرف الدال المهملة﴾ داود محمود وأنت مذمم * عجبا لذاك وأنتما من عود

دعيني أنهب الأموال حتى * أعف الاكرمين عن اللئام

﴿حرف الذال المعجمة﴾ ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله * وأخو الجهالة فى الشقاء منعم

﴿حرف الراء﴾ رب مهزول سمين عرضه * وسمين الجسم مهزول الحسب

ردوا على صحائفنا سودتها * فيكم بلا حق ولا استحقاق * رضيت ولا أرضى اذا كان مسخطي من الامر مافيه رضا صاحب الامر * رب يوم بكيت منه فلما * صرت فى غيره بكيت عليه

﴿حرف الزاى﴾ زنيم ليس يعرف من أبوه * بغى الأم ذو حسب لئيم

﴿حرف السين المهملة﴾ سروري أن تبقى بخير ونعمة * وانى من الدنيا بذلك قانع

سوء حظى أنالنى منك هجرا * فعلى الحظ لا عليك العتاب * سبكناه ونحسبه لجينا فابدى الكير عن خبث الحديد * ستذكرني اذا جربت غيرى * وتعلم انني نعم الصديق

﴿حرف الشين المعجمة﴾ شفيعي اليك الله لا رب غيره * وليس الى رد الشفيع سبيل

شكرتك قبل الخير ان كنت واثقا * بأنى بعد الخير لاشك شاكر

﴿حرف الصاد المهملة﴾ صحح لنا والده أولا * وأنت فى حل من الوالده

﴿حرف الضاد المعجمة﴾ ضاقت ولو لم تضق لما انفرجت * والعسر مفتاح كل ميسور

﴿حرف الطاء المهملة﴾ طويل عمر المعالى والندى أبدا * قصير عمر الاعادى والمواعيد

طوبى لاعين قوم أنت بينهم * القوم فى نزهة من وجهك الحسن

﴿حرف الظاء المشالة﴾ ظهرت خيانات الثقات وغيرهم * حتى اتهمنا رؤية الابصار

ظلمت أمرأ كلفته غير خلقه * وهل كانت الاخلاق الا غرائزا

﴿حرف العين المهملة﴾ علم الله كيف أنت فاعطا * ك المحل الجليل من سلطانه

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه أن يساعده الدهر * عسى فرج يأتى به الله انه له كل يوم فى خليقته أمر * عتبت على عمرو فلما تركته * وجربت أقواما بكيت على عمرو

الغلام يتجنى عليه ويعرض عنه كثيراً فبينما هو ذات ليلة وقد انفرد بنفسه ليشرب الخمر اذ ذكر محبوبه فجرى بخاطره ما يفعله به من التجني فزاد سكره وقام من الفور وقد غلب عليه سكر الغرام وسكر المدام فأخذ قبس نار وجعله عند باب الغلام ليحرق عليه داره فلما دارت النار بالباب بادر الناس باطفائها واعتقلوه فلما أصبحوا انهضوا به الى القاضي فأعلموه بفعله فقال له القاضي لأى شىء أحرقت باب هذا الغلام فأنشد على الفور

لما تمادى على بعادي * وأضرم النار فى فؤادي

ولم أجد من هواه بدا * ولا معينا على السهاد

حملت نفسي على وقوفي * ببابه وقفة الجواد

فطار من بعض نار قلبي * أقل فى الوصف من زناد

فأحرق الباب دون علمي * ولم يكن ذاك من مرادي

قال فاستظرف القاضي واقعته واستملح شعره ورق لحكاية حاله وتحمل عنه ما أفسده من باب الغلام وأطلقه (ومما يناسب هذه اللطائف) قيل انه رفع الى المأمون أن حائكا يعمل السنة كلها لا يتعطل فى عيد ولا جمعة فاذا ظهر الورد طوى عمله وغرد بصوت عال

طاب الزمان وجاء الورد فاصطبحوا * ما دام للورد أزهار ونوار

فاذا شرب مع ندمائه على الورد غنى

﴿حرف الغين المعجمة﴾ غنى بلادين عن الخلق كلهم * وان الغنى الاعن الشىء لابه
غلام أتاه اللؤم من شطر نفسه * ولم يأته من شطر أم ولا أب
﴿حرف الفاء﴾ فلم أركالأيام للمرء واعظا * ولا كصروف الدهر للمرء هاديا
فنفسك أكرمها فانك ان تهن * عليك فلن تلقي لها الدهر مكرما * فصبر جميل ان في اليأس راحة
اذا الغيث لم يمطر بلادك ماطره * فما أكثر الاصحاب حين تعدهم * ولكنهم في النائبات قليل
فان كانت الاجسام منا تباعدت * فان المدى بين القلوب قريب * فلو كان حمد أيخلد المرء لم يمت
ولكن حمد المرء غير مخلد * فان تفق الانام وأنت منهم * فان المسك بعض دم الغزال
﴿حرف القاف﴾ قد يجمع المال غير آكله * ويأكل المال غير من جمعه
قد زال ملك سليمان فعاوده * والشمس تنحط في المجرى وترتفع * قد يدرك المتأنى نجح حاجته
وقد يكون مع المستعجل الزلل * قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه * خلق وجيب قميصه مرقوع
﴿حرف الكاف﴾ كلوا اليوم من رزق الاله وأبشروا * فان على الخلاق رزقكم غداً
كفى زاجراً للمرء أيام دهره * تروح له بالواعظات وتغتدى * كنت من كربتى أفرّ اليهم
فهم كربتى فاين الفرار * كانوا بنى أم ففرق شملهم * عدم العقول وخفة الاحلام
كل المصائب قد تمر على الفتى * فتهون غير شماتة الاعداء * كأنك من كل النفوس مركب
فانت إلى كل الانام حبيب * كالكلب ان جاع لم يمنعك بصبصة * وان ينل شبعا ينبح من الاشرار
﴿حرف اللام﴾ لعمرك ما يدرى الفتى كيف يتقى * اذا هو لم يجعل له الله واقيا
لعمرى ماضاقت بلاد بأهلها * ولكن أخلاق الرجال تضيق * للموت فينا سهام وهي صائبة
من فاته اليوم سهم لم يفته غداً * لو أن خفة عقله في رجله * سبق الغزال ولم يفته الأرنب
لو كان مابى في صخر لأنحله * فكيف يحمله خلق من الطين * لعمرك ما الايام الا معارة
فما اسطعت من معروفها فتزود * لكل امرىء حالان بؤس ونعمة * وأعطفهم في النائبات أقاربه
﴿حرف الميم﴾ من يحمد الناس يحمدوه * والناس من عابهم يعاب
من لم يعدنا إذا مرضنا * ان مات لم نشهد الجنازه * متى يبلغ البنيان يوما تمامه
اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم * من كان فوق محل الشمس رتبته * فليس يرفعه شىء ولا يضع
من الناس من يغشى الاباعد نفعه * ويشقى به حتى الممات اقاربه * ما كان في المخدع من أمركم
فانه في المسجد الجامع * ما قام عمرو في الولا * ية قائما حتى قعد
﴿حرف النون﴾
تسود أعلاها وتأبى أصولها * وليس الى رد الشباب سبيل * نحن بنو الموتى فما بالنا
نعاف مالا بد من شربه * ندمت ندامة الكسعى لما * رأت عيناه ماصنعت يداه
﴿حرف الهاء﴾ هنا كم الله بالدنيا ومتعكم * بما نحب لكم منها ونرضاه
هل بالحوادث والايام من عجب * أم هل الى رد ماقد فات من طلب * هب الدنيا تقاد اليك عفوا
أليس مصير ذاك إلى الزوال * هنيأ لمن لاذاق للدهر لوعة * ولم تأخذ الايام منه نصيبا
هم يحسدونى على موتى فواحزنى * حتى على الموت لاأخلو من الحسد
﴿حرف الواو﴾ ولم أركالمعروف أما مذاقه * فحلو وأما وجهه فجميل
واذا خشيت من الامور مقدراً * وهربت منه فنحوه تتوجه * والرزق يخطىء باب عاقل قومه
ويبيت بوابا بباب الاحمق * ولا يغررك طول الحلم منى * فما أبدا تصادفنى حليما

ولايزالون في صبوح

اشرب على الورد من حمراء صافية (٣٢) شهراً وعشراً وخمساً بعدها عدداً
وغبوق مابقيت وردة
فاذا انقضى الورد عاد إلى
عمله وغرد بصوت عال
فان يبقنى ربى إلى الورد
أصطبح
وان مت يالهفى على الورد
والخمر
سألت اله العرش جل
جلاله
يواصل قلبي في غبوق إلى
الحشر
فقال المأمون لقد نظر هذا
الرجل الى الورد بعين
جليلة فينبغى أن نعينه
على هذه المروءة فأمر أن
يدفع له في كل سنة عشرة
آلاف درهم في زمن الورد
(ومن اللطائف ماحكي
عن مجير الدين الخياط
الدمشقى) قيل إنه كان
يهوى غلاما من أولاد
الجند فشرب مجير الدين
في بعض الليالى وسكر
فوقع في الطريق فمر الغلام
عليه بشمعة وهو راكب
فرآه في الليل مطروحا
على الطريق فوقع عليه
بالشمعة ونزل فأقعده
ومسح وجهه فسقط من
الشمعة نقطة على وجهه
ففتح عينيه فرأى محبوبه
على رأسه فاستيقظ
وأنشد
يامحرقا بالنار وجه محبه
مهلا فان مدامعى تطفيه
أحرق بها جسدى وكل جوارحى واحذر على قلبي فانك فيه (ومن اللطائف ماحكاه الاصمعى)

ولاخير

ولاخير فيمين لايوطن نفسه * على نائبات الدهر حين تنوب * واذا أتتك مذمتي من ناقص فهى الشهادة لى بأنى كامل * ومالمرء خير في حياة * اذا ماعد من سقط المتاع ومالمرء الا كالهلال وضوءه * يوافى تمام الشهر ثم يغيب * وقد تسلب الايام حالات أهلها وتعدو على أسد الرجال الثعالب * ومن يأمن الدهر الخئون فاننى * برأى الذى لايأمن الدهر اقتدى واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد * ذخرا يكون كصالح الاعمال * ومن يكن الغراب له دليلا يمر به على جيف الكلاب * ومن يكن مثلى ذا عيال ومقترا * من الزاد يطرح نفسه أى مطرح ولربما منع الكريم ومابه * بخل ولكن سوء حظ الطالب * ولابات يسقينا سوى الماء وحده وهذا جزاء من بات ضيف الضفادع * ومن عاش فى الدنيا فلابد أن يرى * من العيش مايصفو ومايتكدر ولودامت الدولات دامت لغيرنا * رعايا ولكن مالهن دوام * وأحسن فان المرء لابد ميت وانك مجزى بما كنت ساعيا * ولاترين الناس الا تجملا * وان كنت صفر الكف والبطن طاويا ومالامرىء طول الخلود وانما * يخلده طول الثناء فيخلد * ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعا وعند الله منها المخرج * وكان رجائى أن أعود ممتعا * فصار رجائى أن أعود مسلما وتجلدى للشامتين أريهم * إنى لريب الدهر لا أتضعضع * ولابد من شكوى الى ذى مروءة يواسيك أو يسليك أو يتوجع * وهون حزنى عن خليلى أننى * اذا شئت لاقيت الذى مات صاحبه ويوم علينا ويوم لنا * ويوم نساء ويوم نسر

﴿ حرف اللام ألف ﴾

لاتنظرن الى الجهالة والحجى * وانظر الى الاقبال والادبار * لاتسأل المرء عن خلائقه فى وجهه شاهد من الخبر * لايصبر الحر تحت ضيم * وانما يصبر الحمار لاتنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم * لايبالى الشتم عرض كله شتم وذم * لاتنظرن الى امرىء ماأصله * وانظر الى أفعاله ثم احكم لايسكن المرء فى أرض يهان بها * الامن العجز أومن قلة الحيل * لا يقبلون الشكر مالم ينعموا نعما يكون لها الثناء تبيعا * لاأسأل الناس عما فى ضمائرهم * مافى ضميرى لهم من ذاك يكفينى

﴿ حرف الياء المثناة التحتية ﴾

يفر من المنية كل حى * ولاينجى من القدر الحذار * يريك الرضا والغل حشو جفونه وقد تنطق العينان والفم ساكت * يهمهم للسعير إذا رآه * ويعبس إن رأى وجه اللجام يفارقنى من لاأطيق فراقه * ويصحبنى فى الناس من لاأريده * يزيد تفضلا وأزيد شكرا وذلك دأبه أبدا ودابى * يواسى الغراب الذئب فى كل صيده * وماصارت الغربان فى سعف النخل يهون علينا أن تصاب جسومنا * وتسلم أعراض لنا وعقول * يغر الفتى مر الليالى سليمة وهن به عما قليل غوائر * يغيظنى وهو على رسله * والمرء فى غيظ سواه حليم يريك البشاشة عند اللقا * ويبريك فى السر برى القلم

﴿ الفصل الخامس فى الامثال السائرة بين الرجال والنساء مرتبة على حروف المعجم ﴾

﴿ حرف الألف ﴾

ان كنت ماتعمل جميل اعمل كما يعمل معك اذا أبغضك جارك حول باب دارك إذا كان صاحبك عسل لاتلحسه كله المستعجل والبطى عند المعدية يلتقى ألف ذقن ولاسلام عليكم ألف ذقن ولاذقنى اذا غاب عنك أصله كانت دلائل نسبته فعله اذا وصلت وسلم الله بع بما قسم الله اذا كنت أعمى وأطروش شم رائحة النقوش اذا كان النبيذ دردى والعشيق كردى والبقل فول حار والعشاء بيسار ايش يكون

قال مررت بكناس يكنس كنيفا وهو يغنى ويقول أضاعونى وأى فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر فقلت له أما سداد الثغر فلا علم لنا كيف أنت فيه وأما سداد الكنف فمعلوم قال الاصمعى وكنت حديث السن فأردت العبث به فأعرض عنى مليا ثم أقبل على وأنشد

وأكرم نفسى أنى إن أهنتها
وحقك لم تكرم على أحد بعدى

فقلت وأى كرامة حصلت لها منك وما يكون من الهوان أكثر مما أهنتها به فقال بل لا والله من الهوان ماهو أكثر وأعظم مما أنا فيه فقلت له وماهو فقال الحاجة اليك والى أمثالك فقال فانصرفت وأنا أخزى الناس (ذكرت) بقول الكناس غريم الاصمعى مايضارع ذلك أعنى قوله

أضاعونى وأى فتى أضاعوا
ليوم كريهة وسداد ثغر

قيل انه كان لأبى حنيفة رضى الله عنه جار اسكاف بالكوفة يعمل نهاره أجمع فاذا جنه الليل رجع الى منزله بلحم وسمك فيطبخ اللحم ويشوى السمك فاذا دب فيه السكر أنشد أضاعونى وأى فتى اضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر ولايزال يشرب ويردد البيت إلى أن يغلبه

الحال اذا كان القطن أحمر والمغسل أعور والدكة مخلعة والنعش مكسر اعلم أن الميت من أهل سقر والوادي الأحمر ايش ينفع الضراط عند طلوع الروح قال تقريف للحاضرين وتفريق للملائكة القشر والقشر والمشا خبيزة أكل الدقة والنوم في الازقة ولا دجاجة محمرة يعقبها مشقة ايش أنت في الحارة يامنخل بلا طاره الرجم بالطوب ولا الهروب اذا وقعت يافصيح لا تصيح أقرع يقول لاقرع امش بنا نزرع في بركة القرعان ايش ما يطلع يطلع النصف لي والربع لي والثمن لي والثمن الآخر لك ولي العدو ما يبقى حبيب حتى يصير الحمار طبيب اقعد ياحمار حتي ينبت لك الشعير أي موضع راح الحزين يلقى جنازة قال الشاعر

ان دام هذا السير يامسعود * لا جمل يبقى ولا قعود

(غيره) اذا لم تكن لي والزمان شرم برم * فلا خير فيك والزمان ترللي

(غيره) اذا أقبلت كادت تقاد بشعرة واذا * أدبرت كادت تقد السلاسلا

﴿ حرف الباء الموحدة ﴾

بينما يتروى البخيل قضى الكريم حاجته بينما يسعد المعتر فرغ عمره بينما أصل قبره نسيت همه بينما يعدل المعتر حاله جا الموت شاله بينما يخلص ربنا حتى انفرقعت جوزة حلقي بينما يقطع الجريد يفعل الله ما يريد بينما يجيء الدرياق من العراق يكون الملسوع مات بين حانه و بانه حلقت لحانه بدوي مقروح لقي التمر مطروح أين يخلي و يروح بدال لحمتك وقلقاسك هات لك شد على راسك بدال اللحمه والباذنجان هات لك قميص ياعريان بدال لحمتك التلاته هات لك شد ياشماته بقي للكلاب سرج وغاشيه وغلمان وحاشيه بقي للخرا مرا و يحلف بالطلاق بعد الجوع والقله بقي لك حمار و بغله

﴿ حرف التاء المثناة فوق ﴾

تموت الحدادي وعينها في الصيد تعالوا بنا نقتبح و نرجع غدا نصطلح تدحرج الخر العند البعر قال له ايش أنت قال له بزم قردش ترك الفضول من حزم العقول تراب العمل ولا زعفران البطالة تسكر وتخانق ما هو شيء وافق تجارة الاحمق على أهل بيته تضارب الريح مع الموج جالهم على النواتيه تزاوروا ولا تجاوروا تبات نار تصبح رماد لها رب يدبرها

﴿ حرف الثاء المثلثة ﴾

ثوب العيرة ما يدفي ثقيل واسمه صخر بن جبل ثور رعلقوه أغمى عليه قال حتى يطلع شيء يرشوه عليه ثور عاجز ما يدور ساقيه ثقيل من أولاد الزنا مر العنا ثوب عليه وثوب على الوتد قال أنا اليوم أحسن من كل من في البلد

﴿ حرف الجيم ﴾

جور القط ولا عدل الفار جمل موضع جمل يبرك جهد المقل دموعه جمل يحبه قال وأين المحبه جيت أصطاد صادوني جار له حق وجار ماله حق وجار لا صحبته عافيه جارك مرآتك ان لم ينظر وجهك نظر قفاك جا كتاب من عند خالته قال كل من هو في حاله جا كتاب من عند عمه قال كل من هو ملهي بهمه جاؤا ينعلوا خيل الباشا مدت أم قويق رجلها جوزوها لله مالها إلا له جوزوا مشكاح لريمه ما على الاثنين قيمه

﴿ حرف الحاء المهملة ﴾

حاجة لا تهمك وصي عليها زوج أمك حول حبيبي ما عونه وقدرته مع كانونه حمار حنكوه بالتوت على باب الغيط يموت حلينا القلوع وأرسينا وأصبحنا على ما أمسينا حب وواري واكره وداري حدثتني ونصحتني عايرتني وفرحتني حط فلساتك في كمك واشتر أبوك وأمك حبة قرض تخرب أرض

﴿ حرف الخاء المعجمة ﴾

خديني وارغبي فيه أنا حصاد ملوخيه وعند الخبز آكل ميه وعند الشغل مالي نيه خبثت لي وصلحت لك خذ ذا الصبي فوق صبيانك تمام لا حزانك خزينة في جره وملحه في صره خبزه بلا ادام و يعزم على

السكر و ينام وكان الامام أبو حنيفة يصلي الليل كله و يسمع حديثه وانشاده ففقد صوته بعض الليالي فسأل عنه فقيل أخذه العسس منذ ثلاثة أيام وهو محبوس فصلى الامام الفجر وركب بغلته ومشى واستأذن على الامير فقال ائذنوا له واقبلوا به راكبا حتى يطأ البساط فلما دخل على الامير أجلسه مكانه وقال ما حاجة الامام فقال لي جار اسكاف أخذه العسس منذ ثلاثة أيام فتأمر بتخليته فقال نعم وكل من أخذ تلك الليلة الى يومنا هذا ثم أمر بتخليته وتخليتهم أجمعين فركب الامام وتبعه جاره الاسكاف فلما وصل الى داره قال له الامام أبو حنيفة أترانا أضعناك قال لا بل حفظت ورعيت جزاك الله خيرا عن صحبة الجوار ورعايته ولله علي أن لا أشرب بعدها خمرا فتاب من يومه ولم يعد إلى ما كان عليه انتهى (ومما يناسب هذه اللطائف) ماذكره الحريري في كتابه الموسوم بتوشيح البيان نقل أن أحمد بن المعدل كان يجد باخيه عبد الصمد وجدا عظيما على تباين طريقيهما لأن أحمد كان صواما قواما وكان عبد الصمد سكيرا خموريا وكانا يسكنان داراً واحدة ينزل احمد في غرفة أعلاها وعبد الصمد في اسفلها فدعا عبد الصمد ليلة

الجيران

﴿ حرف الدال المهملة ﴾

دار الظالم خراب ولو بعد حين درهم لك ودرهم عليك لا لك ولا عليك دواء مالا تشتهى النفوس تعجيل الفراق

﴿ حرف الذال المعجمة ﴾

ذا درب مايسد ريح ذى ماهى رمانه الاقلوب ملانه ذالى وذا أيدى عليه ذى مائدة ما يقعد عليها طفيلى ذا الخبز ماهو من ذا العجين الولد خرا من ظرفه كل من شال رجليه حك أنفه ذكروا مصر القاهره قامت باب اللوق بحشا يشها ذكروا المدن جاءت القرى تحجل

﴿ حرف الراء المهملة ﴾

راح ذاك الزمان بناسه وجا هذا الزمان بناسه وكل من تكلم بالحق كسروا راسه رأوا احجار را كب حيط قالوا الى أين يا حجار قال مسافر قالوا من كانت هذه المطية مطيته لا يشرق ولا يغرب رأوا سكران يقرأ قالوا اغن تشا كل روح رأوا شيخا يتهجى قالوا ايختم على الصراط رأوا اوردانه على سنداس قالوا ما الذى الفسقيه الاذى البلطيه رأوا على قبر مكتوب ياسعادة سا كنه قالوا أبصر من يزاحمه را كب بلاش و يناغش مرات الريس ركبتك و راى حطيت يدك فى الخرج راح الجندى وخلى خلقه عندى رزق الكلاب على المجانين راسين فى عمامه مايكون راحت على جمل وجات على قطه قال ما الذى الشيله الادى الحطه قال الشاعر

راح الذى كنا نعيـ * ـش بفضله بين الورى * وبقى الذين حياتهم * ووجودهم مثل الحرا

﴿ حرف الزاى المعجمة ﴾

زقزوق على بركه يضحك وهو ضحكه زاويه بلاعيش بنيت ليش زوج القصيره يحسبها صغيره زوجت بنتى أقعد فى دارها جاتنى وأربعه وراها قال الشاعر

زوجت بنتى تنستر * و بـتلى بيتى قماش * جاغز لهـا فى أكلها * ونيكها طلع بلاش

زنبور زن على حجر مسن قال له ايش تريد قال الحسك قال أنا الحس البولاد زنبور زن على فلس جحش قال له ايش تطلب قال له عسل قال له قصدت معدن يادندن

﴿ حرف السين المهملة ﴾

سل المجرب ولا تنس الطبيب سحوك مسحر قال فرغ رمضان سحوك حبل قال وطولت سحوك راجع قال ان شاء الله تجىء الحق سبع وزر ولا استتر (قال الشاعر)

سيغنى الله عن بقراط دن * ويأتى الله باللبن الحليب

(وقال آخر) سيغنى الله عن زيد وعمرو * ويأتى الله بالفرج القريب

﴿ حرف الشين المعجمة ﴾

شره ووضيع و يغضب سريع شىء ما نابه وتقطعت ثيابه شعر يحلق وشعر ما يحلق شرب السموم القاتلة ولا الحاجة الى السفل شمنى ولا تدعكنى شىء ما يجى على القلب عنايته صعبه شرا العبد ولا تربيته شخت بغله عامت زبله ركبت خنفسه زمر زنبور قال ماذا الجوق الجليل الا لمقطعات النيل

﴿ حرف الصاد المهملة ﴾

صام سنه وفطر على بصله صبرى على الحبيب ولا فقده صاحب يضر عدو مبين صباح الفوال ولا صباح العطار صباحك يا أعور قال ذى خناقه بايته صباح الخير يا جارى انت فى دارك وأنا فى دارى

﴿ حرف الضاد المعجمة ﴾

ضرب الحبيب كأكل الزبيب ضربتين فى الراس تعمى ضرب وبكى وسبق يشتكى ضربة على كيس غيرى كأنها فى عدل حنا ضمنوا حدايه لغراب قال الكل يطيروا ضربوا بياع الكسبره خرى بياع التوم قال ذى داهيه جات على الخضريه

جماعة من ندمائه وأخذ فى القصف والعزف حتى منعوا أحمد الورد ونغصوا عليه التهجد فاطلع عليهم وقال أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض فرفع عبد الصمد رأسه وقال وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم (وذكرت) بهذا الاقتباس الذى خلب القلوب هنا بحسن موقعه اقتباسا خلب قلوب الناس لعظم موقعه وما ذاك الا أن الحاكم الفاطمى على ماذكر لما بنى المسجد الجامع بالقاهرة المعزية المجاور لباب الفتوح قيل إنه فسد حاله فى آخر أمره وادعى الالوهية وكتب بسم الحاكم الرحمن الرحيم وجمع الناس الى الايمان به وبذل لهم نفائس وكان ذلك فى فصل الصيف والذباب يتراكم على الحاكم والخدام تدفعه ولا يندفع فقرأ فى ذلك الوقت بعض القراء وكان حسن الصوت ياأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ماقدروا الله حق قدره ان الله لقوى عزيز فاضطربت الأمة لعظم وقوع هذه الآية الشريفة فى حكاية الحال حتى كأن الله أنزلها تكذيبا للحاكم فيما ادعاه وسقط الحاكم من فوق سريره

خوفا من أن يقتل وولى هاربا وأخذ فى استجلاب ذلك الرجل الى أن اطمأن اليه فجهزه رسولا

﴿ حرف الطاء المهملة ﴾

طارت الطيور بأرزاقها طفيلي و يجلس فى الصدر طفيلي و يقترح طو يل الكم خطار قليل الفرح فى الدار طبق وجاريه على صحن بساريه طبلوا جا كم عثمان يدمن و راو يدمن قدام طعامك ماجانى ودخانك عمانى طار طيرك وأخذه غيرك طول ما أعيش يكفينى رعى الحشيش طول الغيبه وجانا بالخيبه

﴿ حرف الظاء المعجمة ﴾

ظهرك عندى نصف الليل

﴿ حرف العين المهملة ﴾

عنقود مدلى فى الهوا من لا يصل اليه يقول حامض ولا استوى عشق بداله لا أباله عاشق ما يسمع بكا صغير عاشق ما يسمع كلام مفارق عاشق مقل شىء مازرع ايش جا يستغل عزومه حسبت عليك كل و بحاق عنيك عند المخاضه يبان القيليط عند الطعان يبان الفارس من الجبان عريان التينه وفى حزامه سكينه عريان وفى كمه ميزان

﴿ حرف الغين المعجمة ﴾

غابت السباع ولعبت الضباع غر به وكر به ما يحمل الحال غطاس وقلقاس نحسين فى قدره غالى السوق ولا رخيص البيت

﴿ حرف الفاء ﴾

فرجه بلا كمر تعمى البصر فقير ونفير وكلامه كتير و يقول هاتوا عشا من يخنى فوق الشراطه ملخ أودانه فارس خرا و يسوق فى الوحل فارس خرا واسمه عنتر فارس خرا و يسابق الخيل فرد ضربه فى الراس تكفى فصدوا قرد ضرط قالوا به دم زايد فرغت الرعانه ياجانم

﴿ حرف القاف ﴾

قالوا للأعمى زوق عصاتك قال هو أنا محب فيها * قالوا للحمار اجتر قال مضغ المحال ما ينطلى * قالوا للقرد شب أيادى ملاح وتمسك الماصول * قالوا للقرد اطلب من ربك قال هو أنا عنده بوجه يبسط * قالوا للجمل زمر قال لا شفف ملمومه ولا أيادى مفروده * قالوا للدبة طرزى قالت ذى خفة أيادى * قالوا للكلاب احرثوا قالوا ما جرت بهذا عاده * قالوا للغراب مالك تسرق الصابون قال الاذى طبعى * قالوا البقر الديوان اذا متم يكفنوكم فى حرير قالوا اشتهينا نروح بجلودنا * قالوا للغزاله ارحلى حركت ذنبها * قالوا للعرب ارحلوا حملوا المناسف

﴿ حرف الكاف ﴾

كل من عودته بأكلك كلما نظرك جاع * كشكار دايم ولا علامه مقطوعه * كل كرها واشرب كرها و لا تعاشر كرها * كل هم كاوى عندهمى ياوى * كل شىء لا يشبه قانيه حرام * كل مائة عصفور ما يجو حدايه * كل ألف مصه ما يجو بغصه كل ألف بوسه ما يجو بعبوسه * كملت يالحمان بالشعره والصنان كل حبيبي كل المعانى أعرج وقيليط ومعجبانى كمل حبيبي وأكمل اعرج وقيليط واحول وفيه عاده أخرى لمن يواصل بخرا * كأنه خان للفجر لا يوحشه من غاب ولا يؤانسه من حضر * كأنه من طواحين الكشكار داير على رجل الفار كأنه عصفور ينيك بلاش و يأوى فى الأعشاش

﴿ حرف اللام ﴾

لولاك يا كمى ما كلت يافمى لولاك يالسانى ما انسكيت ياقفاى لولا الغيره والحسد كانت عجوزه كفت بلد لولا أختك ماصرت ابن عمتك لو قلبناها بليه ما جات هكذا لو كان فيها خير ما رماها طير لك وعليك ما يصعب عليك لك اسوه بغيرك لقمه بدقه ولا خروف بزقه لقمه تحت حيطه ولا خروف بعيطه لو سلم الكرم من حارسه طابت مغارسه لو تقطع يده وتدليها من فيه صنعه ما يخليها لو عمل لى من الذهب وليمه هو عندى بتلك العين القديمه لو شال راسه الى السما كأنه عصيده بما لو نظرا الجمل لصنمه كان كدمه لولا الكشط والبرايه ما كانت أولاد الخرا كتاب

الى بعض الجزائر وأمر باغراقه ورؤى بعد ذلك فى المنام فقيل له ماوجدت فقال ماقصر معى صاحب السفينة أرسى بى على باب الجنة (ومن الاقتباسات التى وقعت للمتأخرين فى أحسن المواقع المتعلقة بحكاية الحال) ما سمعت وشهدت حكاية حاله بالجامع الأموى وما ذاك الا أن قاضى القضاة علاء الدين أبا البقاء الشافعى رحمه الله تعالى كان قد عزل من وظيفة قضاء القضاة بدمشق المحروسة فعاد الى وظيفته وألبس التشريف من قلعة دمشق وحضر الى الجامع على العادة ومعه أخوه قاضى القضاة بدر الدين الشافعى بالديار المصرية فاستفتح الشيخ معين الدين الضرير المقرى وقرأ قالوا يا أبانا ما نبغى هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا الى آخر الآية فحصل بالجامع الأموى ترنم صفق له النسر بجناحيه (وروى المرزبان) باسناده أن المجنون خرج مع أصحاب له يمتار من وادى القرى فمر بجبلى نعمان فقالوا ان هذين جبلا نعمان وقد كانت ليلى تنزلها قال فأى ريح تهب من نحو أرضها الى هذا المكان فقالوا

﴿ حرف الميم ﴾

محبه بلا حبه ماتساوى حبه ماشلتك يادمعتى إلا لشدتى من عاشر غير جنسه دق الهم صدره من قدم النحس تعب فى تأخيره من عاشر الحداد احترق بناره من عاشر الزبدانى فاحت عليه روايحه من ركب فى غير سرجه وغرزه دخل الهوا استه وهزه من لا يحط يده بزنده مايعرف حره من برده مارأيتك يانور حتى ابيضت العيون مالى على فراقكم جلد الإهجاجى من البلد ما كفانا هم أبونا قام أبو ناجاب أبوه قال خذوا جدكم ربوه من عدم نابه ونصابه وثيابه وشبابه كان الموت أولى به من يكلم القبيح يروح عرضه و ينفضح ماتنقدوهم كلهم زغليه مافيهم من يعجب النقاد

﴿ حرف النون ﴾

نوابه تسند الجره قال وتسند الزير الكبير نفسك أتلفت أى شىء أخلقت نصف البلا ولا البلا كله ناقص وتحاس ناموسه باتت على شجره أصبحت تقول خاطرك قالت لها وأنت كنت على أى ورقه نيتك مطيتك نسيت يافلاح ما كنت فيه كعبك المشقق والوحل فيه نيك حتى تبقى ديك

﴿ حرف الهاء ﴾

هاتت الزلابيه حتى أكلها بنو وائل هان المسك وانتثر هدية تعرقومها تخليها ولا لو مها هدية الاحباب على ورق السداب قال هو أعمى عن ورق الموز هو عرس تأكل وتنسل أهدوا هديه وأعينهم فيها يقول الله يردها هاتوا إذا الغزل المخبل لذى القلب المدبل

﴿ حرف الواو ﴾

واحد نتفه وآخر لقفه وقال آخر يا قريب الفرج واحد يبخطبوا له وهو قائم عليه قال أنا فى حاجتك واحد جائز رأى قرد يجرش ترمس قال مالذى الفا كهة البدرية الادى الصورة القمرية واحد سموه عنبر وصنعته سرباتى قال الذى كسبه فى الاسم خسره فى الصنعه وحش و يكش و يقعد فى الوش و يغنى بلينا بكم وقت أكل الدجاج ما يفتكرونى وفى وقت شيل التراب هات يدك وايش قام على تومه بفصل الحكومه وقت الشوا واليخنى ماقلت يا أخى الحقنى ووقت ضرب الدره قلت اصفعوا واصفعنى

﴿ حرف اللام ألف ﴾

لاتعيرنى ولا أعيرك الدهر حيرنى وحيرك لا أصل شريف ولا وجه ظريف لا أخوك ولا ابن عمك تشق توبك على ايش لاعاش بليق لاحراس ولادراس لاعاش العار ولا بنى له دار لاريح ثوابه ولا خلاه لاصحابه لا فى الفراق نجد راحه ولا فى الوصل لاتشكرن فتى حتى تجربه لاتفرح لمن يروح حتى تنظر من يجى لا يضر السحاب نبيح الكلاب لا يغرك تظريف الاصل فى ريف

﴿ حرف الياء ﴾

ياشب مليح ما أحسن وصفك لا فى يدك ولا فى طرفك ياويل من ذاق الغنى بعد جوعه يموت وفى قلبه من الهم واجس ياطارق الباب بعد العشى لا تطرق الباب ماثم شى يامن ملنا ما كان حلنا لسا ما لنا فى العشره سنه يهنيكم قدومه قدجاكم بشومه ياليتنا انكسر ناولا بك انتصر نا ياويل من كان عشيه من بيت خيه ياطالب الشر بلا أصل تعال للصائم بعد العصر

﴿ أمثال النساء * حرف الالف ﴾

أحبك ياسوارى مثل معصمى الذى فى قلب أم حنين تحلم به فى الليل ان كنتى حره لا تضيعى نقابك بره ان لم تعملى و تفتخرى والا اقعدى وانعفرى ان كانت الدايه أحن من الوالده قال ذى داهيه عياره الكلام لك ياجاره الا انت حاره ايش تعمل الماشطه فى الوجه المشئوم ايش قام على الحزينه بالنقش

الصبا فقال والله لا أبرح حتى تهب الصبا فأقام فى ناحية من الجبل ومضوا فامتاروا له ولهم ثم أتوا فحبسهم حتى هبت الصبا ورحل معهم وفى ذلك يقول

أيا جبلى نعمان بالله خليا نسيم الصبا يخلص إلى نسيمها
أجد بردها أو تشف منى حرارة على كبد لم يبق الا صميمها
فان الصبا ريح اذا ماتنسمت على نفس مهموم تجلت همومها

وضمن البيت الأول الشيخ صفى الدين الحلى فى مليح اسمه نعمان

أقول وقد عانقت نعمان ليلة بنور محياه أنار أديمها
وقد أرسلت الياه نحوى قسوة يروح كرب المستهام شميمها
أيا جبلى نعمان بالله خليا نسيم الصبا يخلص إلى نسيمها

(وكان) لابن الجوزى رحمه الله تعالى زوجة اسمها نسيم الصبا فاتفق أنه طلقها فحصل له عند ذلك ندم وهيام أشرف منه على التلف فحضرت فى بعض الأيام مجلس وعظه فحين رآها عرفها فاتفق أنه جاء امرأتان وجلستا أمامه فحجبتاها عنه فأنشد فى الحال

أيا جبلى نعمان بالله خليا نسيم الصبا يخلص الى نسيمها

(قلت) وعلى ذكر نعمان

والزينه ايش ينفع النفخ في الوجه الأصم أرمله عدس ومتزوجه عدس اقعدي بعدسكي اسم الزوج والطم الزمل العاقله فينا تزني بيقطينا إذا كان زوجي راضي ايش فضول القاضي استعارت الرعنه شيء حسبته لها أخذت المقص ودارته لها اقعدي في عشك حتى يجي حد ينشك

﴿ حرف الباء الموحدة ﴾

بعدان كنتي لي وحدي بقيت أسمع أخبارك بعدسنه وشهر بن جابت بنت بشفر بن بعدان كان زوجها بقي طباخ في عرسها بعد مشيك في الحلقه بقي لك سلام وغرفه واسمك ستيته بعد أمي وأختي الكل جيراني بينا تنقلب الحوله انصرف القاضي بنت الخرا تزف لابن الخرا بدف بانت ناموسه على جميزه قالت صبحك الله بالخير قالت من دري بك قبله بدال ما تمشي وتهزي كتفك رقعي فردة خفك بخرا وتزاحم بالبوس بقي لام سيمي برقع ولاضفدعه زماره بعد مشيك في الحلافي لبستي الصافي بعيد على الحزينه تستعمل الزينه

﴿ حرف التاء ﴾

تابت القحبه يوم وليله قالت ما بقي في البلد حكام تضاربت المجنونه والحمقا حسبته الرعنه من حقا تضارب وتعري وتصيح يا قلة رجالي تأخذوا أبوناو تكابرونا ترتانه وبيانه ومفاتيح الخزانه تباهت الرعنه بشعر بنت أختها تخلوني وإلا أستحل بجارتنا قالت إذا كان ذا في قلبك خذيه بلا استحلال تتغمى بالخرج ولا تخلي الفنج تقعد عيوشه في ديارتها مالأحد حاجه في زيارتها

﴿ حرف الثاء ﴾

ثوب سيدي ثوب حبيبي ثوب ستي ثوب تحبه

﴿ حرف الجيم ﴾

جاره بجاره والعداوه خساره جاني عذولي ورثالي ماهي محبه الاشماته لي جاريه وزبديه على باذنجانه مقليه جاتنا العدوه مكحله قطران لاغيره وقلبها فرحان جاب ثيابه يغسلهم بلا صابونه معهم

﴿ حرف الحاء المهملة ﴾

حوله وتنقلب بنخ حزاني ماعندهم دقيق اشتروا لهم منخل رقيق حزاني ماعندهم خبز اشتروا لهم بعشره ملوخيه حزينه وواعيه حبله ومرضعه وعلى كتفها أربعه وطلعت الجبل تجيب دوا للحبل حوله ونصرانيه لامليحه ولا أصل طيب حزينه مالها مملوك سمت زنبورها خوشكادم حزينه مالها ملك اكثرت لها بواب حزينه مالها كامليه طلبت لها خف وشعريه

﴿ حرف الخاء المعجمة ﴾

خطبوها تعززت وكان زمان البوار خلت زوجها مكروب وراحت تشوف المصلوب خذي قطيفه وا كتمي سري قالت مايطاوعني قلبي خلت ما يعنيها واتبعت حك رجليها

﴿ حرف الدال المهملة ﴾

دري زوجك بكتيبتك تمي نهارك مع ليلتك دق من أسفل ولا تطلع ما أنت على القلب

﴿ حرف الذال المعجمة ﴾

ذكرت العجوز اطلالها

﴿ حرف الراء ﴾

رقصي ما أحسنتي كان قعادك أجمل رعنا يضحكوا بها وهي تضحك تساعدهم رأوا جاموسه منقبه بحصير قالوا ما الذي الشكل الوضيع الادا القماش الرفيع راحت تبيع ربعه غابت جمعه راحت رجال الهيبة وبقيت رجال الخيبة راحت رجال اللحم والقلقاس وبقيت رجال الخبز بالفسفاس رأوا خنفسه على مكنسه قالوا ما الذي الصيفه الادا الحمار الأذعر

﴿ حرف الزاي ﴾

زمر بالذميمير تبان لك العاقله من المجنونه زوجي ما حكم على قام لي عشيقي بشمعه زوجوا بنت نشادري

والكناية عنه فما ألطف الجليس ونزهة الأنيس وهو أن بعض الرؤساء قال أخبرني بعض الأصحاب قال كنت يوما جالسا عند صديق لي بالموصل إذ جاءه كتاب من بغداد من صديق له وفيه تشوق وفيه عتاب بهذا البيت

تناسيتم العهد القديم كأننا على جبلي نعمان لن نتجمعا

فأخذ يستحسن هذا البيت ويهتز له فقلت بالله عليك أسألك شيئا لا تخفه قال سل قلت هذه معشوقتك صاحبة هذا الكتاب هل كنت تأتيها من وراء الدار فقال أي والله ومن أين علمت ذلك فقلت من البيت لأنها ذكرتك فيه بجبلي نعمان وهما كناية عند الظرفاء من أهل الأدب عن جانبي الكفل للمليح والمليحة فقال والله ما أدركت ما أدركت (ونقلت من اللطائف المسبوكة في قالب التورية) ان بعض الكتاب دخل يسلم على بعض فضلاء النحاة وكان من أصحابه فوجده قائما يلوط بأحد الغلمان الملاح من طلبته في قراءة النحو ولم يره الغلام فجلس النحوي في مكانه وبقي الغلام

لسرباتى قالوا قليلات الخراتند حرج لبعضها ﴿ حرف السين المهملة ﴾

سودا وتنقش بسباخ سودامنقبه قفل على خزانه سألوها عن أبيها قالت جدى شعيب

﴿ حرف الشين المعجمة ﴾

شدى قرطاسك من عند موسه قالوا داشى مفرحتى به وأتى عروسه شامته ومعزيه

﴿ حرف الصاد المهملة ﴾

صارت القحبة واعظه صارت القويقه شاعره ﴿ حرف الضاد المعجمة ﴾

ضحك ابن سنه غمى على أمه قالت ماأخف دمه ﴿ حرف الطاء المهملة ﴾

طامت ترحم نزلت تتوحم ﴿ حرف الظاء المعجمة ﴾

ظريفه وعفيفه ولها نفس شريفه ﴿ حرف العين المهملة ﴾

عميا تحفف مجنونه وتقول حواجبك سود مقرونه عاقلة وجابت طفله وجاتها خطاروا اشتروالها قلقاس دكر وحطب أخضر فى نهارمطر وقالوا لها اطبخى على قدر لحمه تقع الصلحه عجوزه وجابت غلام إذا جئت لاتلام عجوزه وخرفانه دى داهيه كانه ﴿ حرف الغين المعجمة ﴾

غيرك يقوم مقامك عليش قلبى أعذبه ﴿ حرف الفاء ﴾

فرحت حزينه خربت مدينه ﴿ حرف القاف ﴾

قالوا للمغانى اتزوقوا اقلبوا عصايهم قحبه ما كنست بيتها كنست المسجد قالوا دى قحبه تطاب الثواب ﴿ حرف الكاف ﴾

كل من تبعت هواها صارت سراويلها رداها كبرتى يابرقوقه وبقى لك دبوقه كانوا مغانى صاروا ملاهى لاراحت ولاجات كاهى كلى قليه وباتى هنيه كأنها من الباسطيه قماش على جريده كأنها حزمة فجل أصفر وعرقها أخضر كأنها من عمايم اليهود صفرا طويله رفيعه كأنها من بيت الوالى مايتحدث فيها سوى الحاشيه كأنها ضبة جعيدى مخلوعه ولا تاخذشى ﴿ حرف اللام ﴾

لو كان ماينقش الا السمان بارت المواشط من زمان للساعة ماحبلت جابت المرسين لولا المعاير ما كانت الحراير (حرف الميم)

ما شطه وتمشط بنتها من افتكرنا بياسمينا ما نسينا ﴿ حرف النون ﴾

نوايه تسند الجره قال وتسند الزير الكبير ﴿ حرف الهاء ﴾

هش يادبانا أنا حبلى من مولانا ﴿ حرف الواو ﴾

وجه لايرى بالذهب يشترى (حرف اللام ألف)

لا انتى مليحة ولاتغنى بايش تدلى (حرف الياء)

يعيش المدلل بلامكال ياغزالة الاقمار أين كنتى بالنهار ياماتحت النقاب والشعريه من كل بليه يامن ملنا ما كان حلنا للساعه مالنا فى العشره سنه

﴿ الباب السابع فى البيان والبلاغة والفصاحة وذكر الفصحاء من الرجال والنساء وفيه فصول ﴾

﴿ الفصل الاول فى البيان والبلاغة ﴾ أما البيان فقد قال الله تعالى الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان وقال ﷺ ان من البيان لسحرا قال ابن المعتز البيان ترجمان القلوب وصيقل العقول * وأما حده فقد قال الجاحظ البيان اسم جامع لكل ما كشف لك عن المعنى * وأما البلاغة فانها من حيث اللغة هى أن يقال بلغت المكان إذا أشرفت عليه وان لم تدخله قال الله تعالى فاذا بلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى أم لكم أيمان علينا بالغة أى وثيقة كأنها

واقفا مبهوتا فقال الكاتب للنحوى مالى أرى هذا الغلام واقفا فقال النحوى وقع عليه الفعل فانتصب (ومثل ذلك قصة ابن عنين مع الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل) لما كتب اليه فى مرضه

انظر الى بعين مولى لم يزل يولى الندى وتلاف قبل تلافى
أنا كالذى أحتاج مايحتاجه فاغنم دعائى والثناء الوافى

فحضر اليه المعظم بنفسه ومعه ثلثمائة دينار وقال له أنت الذى وأنا العائد وهذه الصلة (وظرف من قال)

وذى أدب بارع لكنه أولجت فيه قد اعتف
فقالت فديتك أعصر عليه ففيه اللذاذة لو تعترف
فقال أجدت ولكن لحنت لقولك أعصر بفتح الالف
فقلت لك الويل من أحمق فقال وأحمق لا ينصرف

(وأظرف منه قول الحسين ابن الريان)

أتيت حانة خمار وصاحبها مما جن متقن للنحو ذو لسن
وحوله كل هيفاء منعمة وكل علق رشيق أهيف حسن
فقال لى اذ رأى عينى قد انصرفت الى النساء كلام الحاذق الفطن
أنث وركب وصف واعدل بمعرفة واجمع وزد واسترح من عجمة وزن

(ومثله ماحكى) أن بعض الفقراء

قد بلغت النهاية وقال اليوناني البلاغة وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الاشارة وقال الهندي البلاغة تصحيح الاقسام واختيار الكلام وقال الكندي يجب للبليغ أن يكون قليل اللفظ كثير المعاني وقيل ان معاوية سأل عمرو بن العاص من أبلغ الناس فقال أقلهم لفظا وأسهلهم معنى وأحسنهم بديهة ولو لم يكن في ذلك الفخر الكامل لما خص به سيد العرب والعجم ﷺ وافتخر به حيث يقول نصرت بالرعب وأوتيت جوامع الكلم وذلك انه كان عليه الصلاة والسلام يتلفظ باللفظ اليسير الدال على المعاني الكثيرة * وقيل ثلاثة تدل على عقول أصحابها الرسول على عقل المرسل والهدية على عقل المهدي والكتاب على عقل الكاتب * وقال أبو عبد الله وزير المهدي البلاغة ما فهمته العامة ورضيت به الخاصة وقال البحتري خير الكلام ما قل وجل ودل ولم يمل * وقالوا البلاغة ميدان لا يقطع الا بسوابق الاذهان ولا يسلك الا ببصائر البيان وقال الشاعر

لك البلاغة ميدان نشأت به * وكلنا بقصور عنك نعترف

مهدلي العذر في نظم بعثت به * من عنده الدر لا يهدى له الصدف

(وروى) أن ليلى الاخيلية مدحت الحجاج فقال ياغلام اذهب الى فلان فقل له يقطع لسانها قال فطلب حجاما فقالت ثكلتك أمك انما أمرك أن تقطع لساني بالصلة فلولا تبصرها بانحاء الكلام ومذاهب العرب والتوسعة في اللفظ ومعاني الخطاب لتم عليها جهل هذا الرجل * وقال الثعالبي البليغ من يحول الكلام على حسب الاماني ويخيط الالفاظ على قدر المعاني والكلام البليغ ما كان لفظه فحلا ومعناه بكرا وقال الامام فخر الدين الرازي رحمة الله تعالى عليه في حد البلاغة انها بلوغ الرجل بعبارته كنه ما في قلبه مع الاحتراز عن الايجاز المخل والتطويل الممل ولهذه الاصول شعب وفصول لا يحتمل كشفها هذا المجموع ويحصل الغرض بهذا القدر وبالله التوفيق الى أقوم طريق

﴿الفصل الثاني في الفصاحة﴾ قال الامام فخر الدين الرازي رحمة الله تعالى عليه اعلم أن الفصاحة خلوص الكلام من التعقيد وأصلها من قولهم أفصح اللبن إذا أخذت عنه الرغوة وأكثر البلغاء لا يكادون يفرقون بين البلاغة والفصاحة بل يستعملونها استعمال الشيئين المترادفين على معنى واحد في تسوية الحكم بينهما ويزعم بعضهم أن البلاغة في المعاني والفصاحة في الالفاظ ويستدل بقولهم معنى بليغ ولفظ فصيح * وقال يحيى بن خالد ما رأيت رجلا قط الا هبته حتى يتكلم فان كان فصيحا عظم في صدري وان قصر سقط من عيني * وقد اختلف الناس في الفصاحة فمنهم من قال انها راجعة الى الالفاظ دون المعاني ومنهم من قال انها لا تخص الالفاظ وحدها واحتج من خص الفصاحة بالالفاظ بأن قال نرى الناس يقولون هذا لفظ فصيح وهذه الالفاظ فصيحة ولا نرى قائلا يقول هذا معنى فصيح فدل على أن الفصاحة من صفات الالفاظ دون المعاني وان قلنا انها تشمل اللفظ والمعنى لزم من ذلك تسمية المعنى بالفصيح وذلك غير مألوف في كلام الناس والذي أراه في ذلك أن الفصيح هو اللفظ الحسن المألوف في الاستعمال بشرط أن يكون معناه المفهوم منه صحيحا حسنا * ومن المستحسن في الالفاظ تباعد مخارج الحروف فاذا كانت بعيدة المخارج جاءت الحروف متمكنة في مواضعها غير قلقة ولا مكدودة والمعيب من ذلك كقول القائل

لو كنت كنت كتمت الحب كنت كما * كنا وكنت ولكن ذاك لم يكن

وكقول بعضهم أيضا

ولا الضعف حتى يبلغ الضعف ضعفه * ولا ضعف ضعف الضعف بل مثله ألف

وكقوله الآخر وقبر حرب بمكان قفر * وليس قرب قبر حرب قبر

وقف على باب نحوي فقرعه فقال النحوي من بالباب فقال سائل فقال ينصرف فقال اسمي أحمد فقال النحوي لغلامه اعط سيبويه كسرة (ومثله قول ابن عنين)

شكا ابن المؤيد من عزله * وذم الزمان وأبدى السفه
فقلت له لا تذم الزمان * فظلم أيامه المنصفه
ولا تعجبن إذا ما صرفت * فلا عدل فيك ولا معرفه

(وألطف منه قول القائل)

ورقيع أراد أن يعرف النحـ * ـو بزي العيار لا المستفق
قال لي لست تعرف النحو مثلي * قلت سلني عنه أجب في الوقت
قال ما المبتدا وما الخبر المجرو * ر أوجز فقلت ذقنك في استي

(وأحسن منه وأبدع قول الشيخ زين الدين بن الوردي)

وشادن يسألني * ما المبتدا والخبر
مثلهما لي مسرعا * فقلت أنت القمر

(ومن النكت المسبوكة في قالب التورية أيضا) ما قيل ان شهاب الدين القوصي حضر عند الملك الاشرف وقد دخل اليه سعد الدين الحكيم فقال الملك الاشرف لشهاب الدين ما تقول في سعد الدين الحكيم فقال يا مولانا السلطان إذا كان بين يديك فهو سعد الدين وعلى السماط سعد بلع وفي الخباء عن الضيوف سعد الاخبية وعند قبل

قيل ان هذا البيت لا يمكن إنشاده في الغالب عشر مرات متوالية إلا ويغلط المنشد فيه لان القرب في المخارج يحدث ثقلا في النطق به وقيل من عرف بفصاحة اللسان لحظته العيون بالوقار * وبالفصاحة والبيان استولى يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام على مصر وملك زمام الامور وأطاعه ملكها على الخفي من أمره والمستور قال الشاعر

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * ولم يبق إلا صورة اللحم والدم

وسمع النبي ﷺ من عمه العباس كلاما فصيحاً فقال بارك الله لك يا عم في جمالك أي فصاحتك (وعرضت) على المتوكل جارية شاعرة فقال أبو العيناء يستجيزها أحمد الله كثيراً * فقالت * حيث أنشاك ضريراً * فقال يا أمير المؤمنين قد أحسنت في اساءتها فاشترها * وقال فيلسوف كما ان الآنية تمتحن باطنانها فيعرف صحيحها من مكسورها فكذلك الانسان يعرف حاله من منطقه * وقال المبرد قلت للمجنون أجزني هذا البيت

أرى اليوم يوما قد تكاثف غيمه * وابراقه فاليوم لاشك ماطر

فقال

وقد حجبت فيه السحائب شمسه * كما حجبت ورد الخدود المحاجر

وقال عبد الملك لرجل حدثني فقال يا أمير المؤمنين افتتح فان الحديث يفتح بعضه بعضاً * وقال الهيثم ابن صالح لابنه يا بني إذا أقللت من الكلام أكثرت من الصواب قال يا أبت فان أنا أكثرت وأكثرت يعني كلاما وصوابا قال يا بني ما رأيت موعوظاً أحق بأن يكون واعظاً منك * وقال الشعبي كنت أحدث عبد الملك بن مروان وهو يأكل فيحبس اللقمة فأقول أجزها أصلحك الله فان الحديث من وراء ذلك فيقول والله لحديثك أحب الي منها * وقال ابن عيينة الصمت منام العلم والنطق يقظته ولا منام الا بيقظ ولا يقظة الا بمنام قال ابن المبارك

وهذا اللسان بريد الفؤاد * يدل الرجال على عقله

ومر رجل بأبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ومعه ثوب فقال له أبو بكر رضى الله عنه أتبيعه فقال لا رحمك الله فقال أبو بكر لو تستقيمون لقومت ألسنتكم هلا قلت لا ورحمك الله (ومنه) ما حكى ان المأموم سأل يحيى بن أكثم عن شيء فقال لا وأيد الله أمير المؤمنين فقال المأمون ما أظرف هذه الواو وأحسن موقعها * وكان الصاحب يقول هذه الواو أحسن من واوات الاصداغ ويقال اللسان سبع صغير الجرم عظيم الجرم وقال بعضهم شعراً

سحبان يقصر عن بحور بيانه * عجزاً ويغرق منه تحت عباب

وكذاك قس ناطق بعكاظه * يعيا لديه بحجة وجواب

(وقيل) انه حج مع ابن المنكدر شابان فكانا إذا رأيا امرأة جميلة قالا قد أبرقنا وهما يظنان ان ابن المنكدر لا يفطن فرأيا قبة فيها امرأة فقالا بارقة وكانت قبيحة فقال ابن المنكدر بل صاعقة * وكان أصحاب أبي علي الثقفي إذا رأوا امرأة جميلة يقولون حجة فعرضت لهم قبيحة فقالوا داحضة وكتب ابراهيم بن المهدي إياك والتتبع لوحشي الكلام طمعا في نيل البلاغة فان ذلك العناء الاكبر وعليك بما سهل من تجنبك الالفاظ السفل ويقال القول على حسب همة القائل يقع والسيف بقدر عضد الضارب يقطع وقال الاحنف سمعت كلام أبي بكر حتى مضى وكلام عمر حتى مضى وكلام عثمان حتى مضى وكلام علي حتى مضى رضي الله تعالى عنهم ولا والله ما رأيت فيهم أبلغ من عائشة وقال معاوية رضى الله تعالى عنه ما رأيت أبلغ من عائشة رضى الله تعالى عنها ما أغلقت بابا فأرادت فتحه إلا فتحته ولا فتحت بابا فأرادت إغلاقه الا أغلقته (ومن غريب) الكنايات الواردة على سبيل الرمز وهو من الزكاء والفصاحة ما حكى

رضى المسلمين سعد الذابح قال فضحك الملك الأشرف واستحسن أتفاقه

البديعي (وأبدع منه في هذا الباب) ما نقل عن الشيخ نظام الدين قيس قيل انه لقي الصاحب عز الدين عبد العزيز بن منصور فسأله الصاحب عن حاله فقال

حال متى علم ابن منصور بها * جاء الزمان الى منها تائباً

(قلت) ان نظام الدين أحق من أبي الطيب بهذا البيت (ومن النكت بالتورية أيضاً) قيل ان بعض الماجنات أرادت السفر فلقيها بعض المجان فقال لها خذي معك هذا الكتاب وأشار الى ذكره فقالت له على الفور ان لم ألق أمك أعطه أختك (ومثل ذلك) ان الشيخ بدر الدين بن الصاحب لقي شخصاً ومعه مليحان فقال ما اسمك فقال عبد الواحد فقال اخرج منهما فأنا عبد الاثنين (ومثله) أن ابن نقيلة المغني مرض وأشرف على الموت فجاء اليه ابن الصاحب يعوده فقال له كيف حال النقيلية فقال ما أخوفني أن تصير مدفونة (ومثله) أن بعض المجان رأى امرأة حاملة سرموجة فقال لها متى زوجك حملك تركاشه فقالت له رح لأرميك منه بفردة (ومثله) أن بعضهم رأى امرأة حاملة فردة سقمان لتخيطه فقال لها اعتقي هذا الغراب

أن رجلا كان أسيراً في بني بكر بن وائل وعزموا على غزو قومه فسألهم في رسول يرسله الى قومه فقالوا لا نرسله الا بحضرتنا لئلا تنذرهم وتحذرهم فجاؤا بعبد أسود فقال له أتعقل ما أقوله لك قال نعم إني لعاقل وأشار بيده الى الليل فقال ماهذا قال الليل قال ما أراك إلا عاقلا ثم ملأ كفيه من الرمل وقال كم هذا قال لا أدري وإنه لكثير فقال أيما أكثر النجوم أم النيران قال كل كثير فقال أبلغ قومي التحية وقل لهم يكرموا فلانا يعني أسيراً كان في أيديهم من بني بكر بن وائل فان قومه لي مكرمون وقل لهم إن العرفج قد دنا وشكت النساء وأمرهم أن يعروا ناقتي الحمراء فقد أطالوا ركوبها وان يركبوا جملي الأصهب بامارة ما أكلت معكم حيسا واسألوا عن خبري أخي الحرث فلما أدى العبد الرسالة اليهم قالوا لقد جن الأعور والله ما نعرف له ناقة حمراء ولا جملا أصهب ثم دعوا بأخيه الحرث فقصوا عليه القصة فقال قد أنذركم أما قوله قد دنا العرفج يريد أن الرجال قد استلأموا ولبسوا السلاح وأما قوله شكت النساء أي أخذت الشكاء للسفر وأما قوله أعروا ناقتي الحمراء أي ارتحلوا عن الدهناء واركبوا الجمل الأصهب أي الجبل وأما قوله أكلت معكم حيساً أي ان اخلاطا من الناس قد عزموا على غزوكم لان الحيس يجمع التمر والسمن والاقط فامتثلوا أمره وعرفوا لحن الكلام وعملوا به فنجوا * وأسرت طيء غلاما من العرب فقدم أبوه ليفديه فاشتطوا عليه فقال أبوه والذي جعل الفرقدين يمسيان ويصبحان على جبل طيء ما عندي غير ما بذلته ثم انصرف وقال لقد أعطيته كلاما ان كان فيه خير فهمه فكأنه قال له الزم الفرقدين يعني في هروبك على جبل طيء ففهم الابن ما أراده أبوه وفعل ذلك فنجى * وكانت علية بنت المهدي تهوى غلاما اسمه طل فحلف الرشيد أن لا تكلمه ولا تذكره في شعرها فاطلع الرشيد وما علمها وهي تقرأ في آخر سورة البقرة فان لم يصبها وابل فالذي نهى عنه أمير المؤمنين ومن ذلك قولهم تركت فلانا يأمر وينهى وهو على شرف الموت أي يأمر بالوصية وينهى عن النوح ويقال ما رأيت فلانا أي ما ضربته في رئته ولا كلمته أي ما جرحته فان الكلوم الجراح وما رأيت ربيعا فالربيع حظ الارض من الماء والربيع النهر وما رأيت كافراً ولا فاسقا فالكافر السحاب والفاسق الذي تجرد من ثيابه وما رأيت فلانا راكعا ولا ساجداً ولا مصليا فالراكع العاثر الذي كبا لوجهه والساجد المدمن النظر والمصلي الذي يجيء بعد السابق وما أخذت لفلان دجاجة ولا فروجا فالدجاجة الكبة من الغزل والفروجة الدراعة وما أخذت لفلان بقرة ولا ثوراً فالبقرة العيال الكثيرة يقال جاء فلان يسوق بقرة أي عياله والثور القطعة الكبيرة من الاقط ﴿وحكى﴾ أن معاوية رضى الله تعالى عنه بينما هو جالس في بعض مجالسه وعنده وجوه الناس فيهم الأحنف بن قيس إذ دخل رجل من أهل الشام فقام خطيبا وكان آخر كلامه أن لعن عليا رضى الله تعالى عنه ولعن لاعنه فقال الأحنف يا أمير المؤمنين ان هذا القائل لو يعلم أن رضاك في لعن المرسلين للعنهم فاتق الله يا أمير المؤمنين ودع عنك عليا رضى الله تعالى عنه فلقد لقي ربه وأفرد في قبره وخلا بعمله وكان والله المبرور سيفه الطاهر ثوبه العظيمة مصيبته فقال معاوية يا أحنف لقد تكلمت بما تكلمت وايم الله لتصعدن على المنبر فتلعنه طوعا أو كرها فقال له الأحنف يا أمير المؤمنين ان تعفني فهو خير لك وان تجبرني على ذلك فوالله لا تجري شفتاي به أبداً فقال قم فاصعد قال أما والله لأنصفنك في القول والفعل قال وما أنت قائل ان أنصفتني قال أصعد المنبر فأحمد الله وأثني عليه وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم أقول أيها الناس ان أمير المؤمنين معاوية أمرني ان ألعن عليا الا وإن معاوية وعليا اقتتلا فاختلفا فادعى كل واحد منهما انه مبغي عليه وعلى فئته فاذا دعوت فأمنوا رحمكم الله ثم أقول اللهم العن أنت وملائكتك وأنبياؤك وجميع خلقك الباغي منهما على صاحبه والعن الفئة الباغية

فقالت له رح لأسيبه ينقرك (ومثله) أن الشيخ بدر الدين المذكور أولا حضر الى مجلس قاضى القضاة ناصر الدين المالكي فذكروا محاسن القاضي محب الدين ناظر الجيشين وحسن أخلاقه ثم ذكروا محاسن الشعر فأنشده قاضي القضاة

فكم أب قد علا بابن ذوى شرف
كما علت برسول الله عدنان

فكل من الجماعة أثنى على هذا البيت فقال الشيخ بدر الدين بن الصاحب والقاضي محب الدين يحب هذا البيت فطربوا له (ومما وقع له بذلك المجلس) أنه لما قدم المشروب على العادة كان قد تولى السقيا مملوك له اسمه يكتمر فلما شرب الشيخ بدر الدين قال له قاضي القضاة ما تقول يا شيخ قال رأيت ملك العلماء يكتمر الساقي (ومثله) أن الصاحب ابن سكر أراد قارئا يقرأ بالمدرسة التى أنشأها بالقاهرة فاختاروا له رجلين أحدهما اسمه زيادة والآخر مرتضى فوقع في ظهر القصة مرتضى زيادة وزيادة مرتضى (ومثله) ان أبا الحسن الخراز جاء إلى باب الصاحب زين الدين بن الزبير فاذن للناس في الدخول ولم يأذنه فكتب في ورقة

الناس كلهم كالايرقد دخلوا
والعبد مثل الخصى ملقى على الباب

اللهم العنهم لعنا كثيرا أمنوا رحمكم الله يامعاوية لاأزيد على هذا ولا أنقص حرفا ولو كان فيه ذهاب روحى فقال معاوية اذا نعفيك ياأبا بحر * وقال معاوية لعقيل بن أبى طالب ان عليا قد قطعك وأنا وصلتك ولا يرضينى منك الا أن تلعنه على المنبر قال أفعل فصعد المنبر ثم قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم أيها الناس ان معاوية بن أبى سفيان قد أمرنى ان ألعن على بن أبى طالب فالعنوه فعليه لعنة الله ثم نزل فقال له معاوية انك لم تبين من لعنت منهما بينه فقال والله لازدت حرفا ولا نقصت حرفا والكلام الى نية المتكلم ودخلت امرأة على هرون الرشيد وعنده جماعة من وجوه أصحابه فقالت يا أمير المؤمنين أقر الله عينك وفرحك بما أتاك وأتم سعدك لقد حكمت فقسطت فقال لها من تكونين أيتها المرأة فقالت من آل برمك ممن قتلت رجالهم وأخذت أموالهم وسلبت نوالهم فقال أما الرجال فقد مضى فيهم أمر الله ونفذ فيهم قدره وأما المال فمردود اليك ثم التفت الى الحاضرين من أصحابه فقال أتدرون ماقالت هذه المرأة فقالوا ما نراها قالت الاخيرا قال ما أظنكم فهمتم ذلك أما قولها أقر الله عينك أى أسكنها عن الحركة واذا سكنت العين عن الحركة عميت وأما قولها وفرحك بما أتاك فأخذته من قوله تعالى حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة وأما قولها وأتم الله سعدك فاخذته من قول الشاعر

اذا تم أمر بدا نقصه * ترقب زوالا إذا قيل تم

وأما قولها لقد حكمت فقسطت فاخذته من قوله تعالى وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا فتعجبوا من ذلك (وحكى) أن بعضهم دخل على عدوه من النصارى فقال له أطال الله بقاءك وأقر عينك وجعل يومي قبل يومك والله انه ليسرنى مايسرك فاحسن اليه وأجازه على دعائه وأمر له بصلة وكان ذلك دعاء عليه لان معنى قوله أطال الله بقاءك حصول منفعة المسلمين به فى أداء الجزية وأما قوله وأقر عينك فمعناه سكن الله حركتها أى أعماها وأما قوله وجعل يومى قبل يومك أى جعل الله يومي الذى أدخل فيه الجنة قبل يومك الذى تدخل فيه النار وأما قوله انه ليسرنى مايسرك فان العافية تسره كما تسر الآخرة فانظر الى الاشتراك وفائدته ولولا الاشتراك ماتهيأ لمستر مراد ولا سلم له فى التخلص قياد وكان حماد الراوية لايقرأ القرآن فكلفه بعض الخلفاء القراءة فى المصحف فصحف فى نيف وعشرين موضعا من جملتها قوله تعالى وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون بالغين المعجمة والسين المهملة وقوله وما كان استغفار ابراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها اياه بالباء الموحدة ليكون لهم عدوا وحزنا بالباء الموحدة وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار بالجيم والباء الموحدة هم أحسن أثاثا ورئيا بالزاى وترك الهمزة عذابى أصيب به من أشاء بالسين المهملة صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة بالنون والعين المهملة سلام عليكم لانبتغى باسقاط التاء بل الذين كفروا فى عزة وشقاق بالغين المعجمة والراء المهملة قرن الشقاق بالغرة وهذا لايقع الا من الأذكياء (وحكى) أن المأمون ولى عاملا على بلاد وكان يعرف منه الجور فى حكمه فارسل اليه رجلا من أرباب دولته ليمتحنه فلما قدم عليه أظهر له أنه قدم فى تجارة لنفسه ولم يعلمه أن أمير المؤمنين عنده علم منه فاكرم نزله وأحسن اليه وسأله أن يكتب كتابا الى أمير المؤمنين المأمون بشكر سيرته عنده ليزداد فيه أمير المؤمنين رغبة فكتب كتابا فيه بعد الثناء على أمير المؤمنين أما بعد فقد قدمنا على فلان فوجدناه آخذا بالعزم عاملا بالحزم قد عدل بين رعيته وساوى فى أقضيته أغنى القاصد وأرضى الوارد وأنزلهم منه منازل الأولاد وأذهب ما بينهم من الضغائن والاحقاد وعمر منهم المساجد الداثرة وأفرغهم من عمل الدنيا وشغلهم بعمل الآخرة وهم مع ذلك داعون لأمير المؤمنين يريدون النظر الى وجهه والسلام فكان معنى قوله آخذا بالعزم أى إذا عزم على ظلم أوجور فعله فى الحال وقوله قد عدل بين رعيته وساوى

فلما قرأها ابن الزبير قال لحاجبه أخرج الى الباب وقل ياخصى ادخل فدخل أبو الحسين وهو يقول هذا دليل على النعمة (ومن التنكيت والحشمة بالتورية) أن الشيخ صلاح الدين الصفدى قال أخبرنى الشيخ فتح الدين بن سيد الناس بالقاهرة قال قلت للشيخ تقى الدين بن دقيق العيد إن بهاء الدين بن النحاس يرجح أبا تمام على المتنبى فما رأيك أنت فسكت فقلت ثانيا فقال كنت كذا فى الأول قال الشيخ صلاح الدين والحكيت للشيخ جمال الدين بن نباتة قال أنا على رأى ابن دقيق العيد قال الشيخ صلاح الدين وممن رأيته يعظم أبا تمام شيخنا أثير الدين ويرجحه على المتنبى فعذلناه فى ذلك فقال أنا ماأسمع عذلا فى حبيب اه (ونقلت) من خط الصاحب فخر الدين ابن مكانس رحمه الله قال سافرت سنة احدى وستين وسبعمائة مع الصاحب فخر الدين ابن قزوينة الى دمشق المحروسة وقد ولى نظر مملكتها ووالدى رحمه الله افتاءها وكان له دوادار يسمى صبيحاً وهو من عتقاء جده الوزير أمين الدين بن الغنام وكان لطيفا كثير النوادر فاتفق أن جمال الدين بن الرهاوى موقع دست الوزارة ركب يوما فتقنطر به

فى أقضيته أى أخذ كل مامعهم حتى ساوى بين الغنى والفقير وقوله عمر منهم المساجد الدائرة وأفرغهم من عمل الدنيا وشغلهم بعمل الآخرة يعنى أن الكل صاروا فقراء لا يملكون شيئا من الدنيا ومعنى قوله يريدون النظر الى وجه أمير المؤمنين أى ليشكوا حالهم وما نزل بهم فلما جاء الكتاب الى المأمون عزله عنهم لوقته وولى عليهم غيره (ومن ذلك ما حكى) أن القاضى الفاضل كان له صديق خصيص به وكان صديقه هذا قريبا من الملك الناصر صلاح الدين وكان فيه فضيلة تامة فوقع بينه وبين الملك أمر فغضب عليه وهم بقتله فتسحب الى بلاد التتر وتوصل الى ان صار وزيرا عندهم وصار يعرف التتر كيف يتوصل الى الملك الناصر بما يؤذيه فلما بلغه ذلك نفر منه وقال للفاضل اكتب اليه كتابا عرفه فيه انى ارضى عليه واستعطفه غاية الاستعطاف الى أن يحضر فاذا حضر قتلته واسترحت منه فتحير الفاضل بين الاثنين صديقه يعز عليه والملك لا يمكنه مخالفته فكتب اليه كتابا واستعطفه غاية الاستعطاف ووعده بكل خير من الملك فلما انتهى الكتاب ختمه بالحمدلة والصلاة والسلام على النبى ﷺ وكتب ان شاء الله تعالى كما جرت به العادة فى الكتب فشدد إن ثم أوقف الملك على الكتاب قبل ختمه فقرأه فى غاية الكمال وما فهم إن وكان قصد الفاضل ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فلما وصل الكتاب الى الرجل فهمه وكتب جوابه بانه سيحضر عاجلا فلما أراد أن ينهى الكتاب ويكتب ان شاء الله تعالى مد النون وجعل فى آخرها ألفا وأراد بذلك إنا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها فلما وصل الكتاب الى الفاضل فهم الاشارة ثم أوقف الملك على الجواب بخطه ففرح بذلك (وحكى) أن بعض الملوك طلع يوما الى أعلى قصره يتفرج فلاحت منه التفاتة فرأى امرأة على سطح دار الى جانب قصره لم ير الراؤن أحسن منها فالتفت الى بعض جواريه فقال لها لمن هذه فقالت يامولاى هذه زوجة غلامك فيروز قال فنزل الملك وقد خامره حبها وشغف بها فاستدعى بفيروز وقال له يافيروز قال لبيك يامولاى قال خذ هذا الكتاب وامض به الى البلد الفلانية وائتنى بالجواب فاخذ فيروز الكتاب وتوجه الى منزله فوضع الكتاب تحت رأسه وجهز أمره وبات ليلته فلما أصبح ودع أهله وسار طالبا لحاجة الملك ولم يعلم بما قد دبره الملك وأما الملك فانه لما توجه فيروز قام مسرعا وتوجه مختفيا الى دار فيروز فقرع الباب قرعا خفيفا فقالت امرأة فيروز من بالباب قال أنا الملك سيد زوجك ففتحت له فدخل وجلس فقالت له أرى مولانا اليوم عندنا فقال زائرا فقالت أعوذ بالله من هذه الزيارة وما أظن فيها خيرا فقال لها ويحك انى أنا الملك سيد زوجك وما أظنك عرفتنى فقالت بل عرفتك يامولاى ولقد علمت انك الملك ولكن سبقتك الأوائل فى قولهم

سأترك ماءكم من غير ورد * وذاك لكثرة الوراد فيه * اذا سقط الذباب على طعام

رفعت يدى ونفسى تشتهيه * وتجتنب الأسود ورود ماء * اذا كان الكلاب ولغن فيه

ويرتجع الكريم خميص بطن * ولا يرضى مساهمة السفيه

وما احسن يامولاى قول الشاعر قل للذى شفه الغرام بنا * وصاحب الغدر غير مصحوب

والله لاقال قائل أبدا * قد أكل الليث فضلة الذيب

ثم قالت أيها الملك تأتى الى موضع شرب كلبك تشرب منه قال فاستحيا الملك من كلامها وخرج وتركها فنسى نعله فى الدار هذا ما كان من الملك * وأما ما كان من فيروز فانه لما خرج وسار تفقد الكتاب فلم يجده معه فى رأسه فتذكر أنه نسيه تحت فراشه فرجع الى داره فوافق وصوله عقب خروج الملك من داره فوجد نعل الملك فى الدار فطاش عقله وعلم أن الملك لم يرسله فى هذه السفرة الا لأمر يفعله فسكت ولم يبد كلاما وأخذ الكتاب وسار الى حاجة الملك فقضاها ثم عاد اليه فانعم عليه بمائة دينار فمضى فيروز الى السوق واشترى ما يليق بالنساء وهيأ هدية حسنة وأتى الى زوجته فسلم عليها وقال لها قومى الى

الفرس وداس على رأس احليله فحمل الى داره وأقام أياما الى أن عوفي وحضر مجلس الوزارة وهو غاص بالناس فقال الصاحب ما سبب تأخرك فقال تقنطر بى الفرس وداس رأس احليلى فكدت أموت والآن فقد لطف الله تعالى وحصل البرء والشفاء فقال له صبيح الحمد لله على سلامة الخصى فانقلب المجلس ضحكا وخجل ابن الرهاوى وانصرف (وحكى) أن بعض الرؤساء كان له خادم وعبد فدخل يوما فوجد العبد فوق الخادم فضربه وخرج فرأى بعض أصدقائه فسأله عن غيظه فقال هذا العبد النحس فعل بالخويدم الصغير فقال بل مولانا السيد الكبير فخجل منه وأبرزها فى قالب المجون (وأنشد ابن الجوزى فى بعض مجالس وعظه)

أصبحت ألطف من مر النسيم على
زهر الرياض يكاد الوهم يؤلمنى
من كل معنى لطيف أجتلى قدحا
وكل ناطقة فى الكون تطربنى

فقام اليه انسان فقال ياسيدى الشيخ فان كان الناطق حمارا فقال أقول له ياحمار اسكت (ويعجبنى) قول برهان الدين القيراطى

صاح هذى قباب طيبة لاحت
وفؤادى على اللقاء حريص
وتبدت نخيلها للمطايا
فعيون المطى للنخل خوص

زيارة

زيارة بيت أبيك قالت وماذاك قال ان الملك أنعم علينا وأريد أن تظهري لأهلك ذلك قالت حبا وكرامة ثم قامت من ساعتها وتوجهت الى بيت أبيها ففرحوا بها وبما جاءت به معها فاقامت عند أهلها مدة شهر فلم يذكرها زوجها ولا ألم بها فاتى اليه أخوها وقال له يافيروز اماان تخبرنا بسبب غضبك واماان تحاكمنا الى الملك فقال ان شئتم الحكم فافعلوا فما تركت لها على حقا فطلبوه الى الحكم فاتى معهم وكان القاضي اذ ذاك عند الملك جالسا الى جانبه فقال أخو الصبية أيدالله مولانا قاضي القضاة انى أجرت هذا الغلام بستانا سالم الحيطان ببئر ماء معين عامرة وأشجار مثمرة فاكل ثمره وهدم حيطانه وأخرب بئره فالتفت القاضي الى فيروز وقال له ماتقول ياغلام فقال فيروز أيها القاضي قد تسلمت هذا البستان وسلمته اليه أحسن ما كان فقال القاضي هل سلم اليك البستان كما كان قال نعم ولكن أريد منه السبب لرده قال القاضي ما قولك قال والله يامولاى مارددت البستان كراهة فيه وانما جئت يوما من الايام فوجدت فيه أثر الاسد فخفت أن يغتالنى فحرمت دخول البستان اكراما للاسد قال وكان الملك متكئا فاستوى جالسا وقال يافيروز ارجع الى بستانك آمنا مطمئنا فوالله ان الأسد دخل البستان ولم يؤثر فيه اثرا ولا التمس منه ورقا ولا ثمرا ولا شيئا ولم يلبث فيه غير لحظة يسيرة وخرج من غير بأس ووالله مارأيت مثل بستانك ولا أشد احترازا من حيطانه على شجره قال فرجع فيروز الى داره وردزوجته ولم يعلم القاضي ولا غيره بشيء من ذلك والله أعلم * وهذا كله مما يأتى به الانسان من غرائب الكنايات الواردة على سبيل الرمز ومنه مايجده المتستر فى أمره من الراحة فى كتمان حاله مع لزوم الصدق ورضا الخصم بما وافق مراده لأن فى المعاريض مندوحة عن الكذب كما روى فى غزوة بدر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان سائرا باصحابه يقصد بدراً فلقيهم رجل من العرب فقال ممن القوم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من ماء فأخذ ذلك الرجل يفكر ويقول من ماء من ماء يرددها لينظر أى العرب يقال لهم ماء فسار النبي صلى الله عليه وسلم باصحابه لوجهته وكان قصده أن يكتم أمره وقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله فان الله عز وجل قال فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق وكما روى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال للكافر الذى سأله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت ذهابهما الى الغار هو رجل يهدينى السبيل وقد صدق فيما قال رضى الله عنه فقد هداه وهدانا السبيل ولا سبيل أوضح ولا أقوم من الاسلام وكما حكى عن الامام الشافعى رضى الله عنه أنه لما سأله بعض المعتزلة بحضرة الرشيد ما تقول فى القرآن فقال الشافعى اياى تعنى قال نعم قال مخلوق فرضى خصمه منه بذلك ولم يرد الشافعى الا نفسه وكما حكى عن ابن الجوزى رحمه الله تعالى انه سئل وهو على المنبر وتحته جماعة من مماليك الخليفة وخاصته وهم فريقان قوم سنية وقوم شيعة فقيل له من أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر أم على رضى الله عنهما فقال أفضلهما بعده من كانت ابنته تحته فارضى الفريقين ولم يرد الا ابا بكر رضى الله عنه لان الضمير فى ابنته يعود الى أبى بكر رضى الله عنه وهى عائشة رضى الله عنها وكانت تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم والشيعة ظنوا أن الضمير فى ابنته يعود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى فاطمة رضي الله عنها وكانت تحت على رضى الله عنه فهذه منه جيدة حسنة وكلمة باتت جفون الفريقين منها وسنة والله أعلم

﴿ الفصل الثالث فى ذكر الفصحاء من الرجال ﴾ دخل الحسن بن الفضل على بعض الخلفاء وعنده كثير من أهل العلم فاحب الحسن أن يتكلم فزجره وقال ياصبي تتكلم فى هذا المقام فقال يا أمير المؤمنين ان كنت صبيا فلست بأصغر من هدهد سليمان ولا أنت باكبر من سليمان عليه السلام حين قال أحطت بما لم تحط به ثم قال ألم ترأن الله فهم الحكم سليمان ولو كان الامر بالكبر لكان داود أولى (ولما)

يطربنى ماحكاه أبو الفوارس ابن اسرائيل الدمشقى) قال كنت يوما عند السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب فحضر رسول صاحب المدينة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ومعه قود وهدايا فلما جلس أخرج من كمه مروحة بيضاء عليها سطران بالسعف الأحمر وقال الشريف يخدم مولانا السلطان ويقول هذه المروحة ما رأى مولانا السلطان ولا أحد من بنى أيوب مثلها فاستشاط السلطان صلاح الدين غضبا فقال الرسول يا مولانا السلطان لاتعجل قبل تأملها وكان السلطان صلاح الدين ملكا حليما فتأملها فاذا عليها مكتوب

أنا من نخلة تجاور قبرا ساد من فيه سائر الناس طراً

شملتنى عناية القبر حتى صرت فى راحة ابن أيوب أقرا

وإذا هى من خوص النخل الذى فى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فقبلها السلطان صلاح الدين ووضعها على رأسه وقال لرسول صاحب المدينة النبوية صدقت فيما قلت من تعظيم هذه المروحة (وأحسن ما سمع فيها) قول عرقلة الدمشقى

ومحبوبة فى القيظ لم تخل من يد وفى القر تسلوها أكف الحبائب

إذا ماالهوى المقصور هيج عاشقا

أفضت الخلافة الى عمر بن عبد العزيز أتته الوفود فاذا فيهم وفد الحجاز فنظر الى صبي صغير السن وقد أراد أن يتكلم فقال ليتكلم من هو أسن منك فانه أحق بالكلام منك فقال الصبي يا أمير المؤمنين لو كان القول كما تقول لكان في مجلسك هذا من هو أحق به منك قال صدقت فتكلم فقال يا أمير المؤمنين انا قدمنا عليك من بلد تحمد الله الذي من علينا بك ماقدمنا عليك رغبة منا ولا رهبة منك أما عدم الرغبة فقد أمنا بك في منازلنا وأما عدم الرهبة فقد أمنا جورك بعدلك فنحن وفد الشكر والسلام فقال له عمر رضي الله عنه عظني يا غلام فقال يا أمير المؤمنين ان أناسا غرهم حلم الله وثناء الناس عليهم فلا تكن ممن يغره حلم الله وثناء الناس عليه فتزل قدمك وتكون من الذين قال الله فيهم ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون فنظر عمر في سن الغلام فاذا له اثنتا عشرة سنة فانشدهم عمر رضي الله تعالى عنه

تعلم فليس المرء يولد عالما * وليس أخو علم كمن هو جاهل
فان كبير القوم لا علم عنده * صغير إذ التفت عليه المحافل

(وحكي) أن البادية قحطت في أيام هشام فقدمت عليه العرب فهابوا أن يكلموه وكان فيهم درواس ابن حبيب وهو ابن ست عشرة سنة له ذؤابة وعليه شملتان فوقعت عليه عين هشام فقال لحاجبه ماشاء أحد أن يدخل علي الا دخل حتى الصبيان فوثب درواس حتى وقف بين يديه مطرقا فقال يا أمير المؤمنين ان للكلام نشرا وطيا وانه لا يعرف ما في طيه الا بنشره فان أذن لي أمير المؤمنين أن أنشره نشرته فاعجبه كلامه وقال له انشره لله درك فقال يا أمير المؤمنين انه أصابتنا سنون ثلاث سنة أذابت الشحم وسنة أكلت اللحم وسنة دقت العظم وفي أيديكم فضول مال فان كانت لله ففرقوها على عباده وان كانت لهم فعلام تحبسونها عنهم وان كانت لكم فتصدقوا بها عليهم فان الله يجزي المتصدقين فقال هشام ما ترك الغلام لنا في واحدة من الثلاث عذرا فامر للبوادي بمائة ألف دينار وله بمائة ألف درهم ثم قال له ألك حاجة قال مالي حاجة في خاصة نفسي دون عامة المسلمين فخرج من عنده وهو من أجل القوم (وقيل) ان سعد بن ضمرة الاسدي لم يزل يغير على النعمان بن المنذر يستلب أمواله حتى عيل صبره فبعث إليه يقول ان لك عندي ألف ناقة على أنك تدخل في طاعتي فوفد عليه وكان صغير الجثة فاقتحمته عينه وتنقصه فقال مهلا أيها الملك ان الرجال ليسوا بعظم اجسامهم وانما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ان نطق نطق ببيان وان صال صال بجنان ثم انشأ يقول

يا أيها الملك المرجو نائله * اني لمن معشر شم الذرى زهر * فلا تغرنك الاجسام ان لنا
أحلام عادوان كنا الى قصر * فكم طويل إذا أبصرت جثته * تقول هذا غداة الروع ذو ظفر
فان ألم به أمر فافظعه * رأيته خاذلا بالأهل والزمر

فقال صدقت فهل لك علم بالامور قال اني لأنقض منها المفتول وأبرم منها المحلول وأجيلها حتى تجول ثم أنظر فيها الى ما تؤول وليس للدهر بصاحب من لا ينظر في العواقب قال فتعجب النعمان من فصاحته وعقله ثم أمر له بألف ناقة وقال له يا سعد ان أقمت واسيناك وان رحلت وصلناك فقال قرب الملك أحب الي من الدنيا وما فيها فأنعم عليه وأدناه وجعله من أخص ندمائه (وحكي) أن هرقل ملك الروم كتب الى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه يسأله عن الشيء ولا شيء وعن دين لا يقبل الله غيره وعن مفتاح الصلاة وعن غرس الجنة وعن صلاة كل شيء وعن أربعة فيهم الروح ولم يركضوا في أصلاب الرجال وأرحام النساء وعن رجل لا أب له وعن رجل لا أم له وعن قبر جرى بصاحبه وعن قوس قزح ماهو وعن بقعة طلعت عليها الشمس مرة واحدة ولم تطلع عليها قبلها ولا بعدها وعن ظاعن ظعن مرة واحدة ولم يظعن قبلها ولا بعدها وعن شجرة نبتت من غير ماء وعن شيء تنفس ولا روح له

لدى القيظ مبثوثا باهداء ريحها
روينا عن الريح الشمال حديثها
على ضعفه مستخرجا من صحيحها

(نقل الحافظ) اليعمري أن أبا نصر المنذري واسمه أحمد ابن يوسف دخل على أبي العلاء المعري في جماعة من أهل الأدب فأنشد كل واحد منهم من شعره ما تيسر فأنشده أبو نصر

وقانا لفحة الرمضاء واد
سقاه مضاعف الغيث العميم
نزلنا دوحه فحنا علينا
حنو الوالدات على الفطيم
وأرشفنا على ظمأ زلالا
ألذ من المدامة للنديم
يصد الشمس أنى واجهتنا
فيحجبها ويأذن للنسيم
يروع حصاه حالية العذارى
فتلمس جانب العقد النظيم

فقال أبو العلاء أنت أشعر من بالشام ثم رحل أبو العلاء الى بغداد فدخل المنازي عليه في جماعة من أهل الادب ببغداد وابو العلاء لا يعرف منهم أحدا فأنشد كل واحد ما حضره من شعره

وعن

وعن اليوم وأمس وغدو بعدغدوعن البرق والرعد وصوته وعن المحو الذى فى القمر فقيل لمعاوية لست هناك ومتى أخطأت فى شىء من ذلك سقطت من عينه فاكتب الى ابن عباس يخبرك عن هذه المسائل فكتب اليه فأجابه أما الشىء فالماء قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شىء حى وأما لاشىء فانها الدنيا تبيد وتفنى وأما دين لا يقبل الله غيره فلا إله إلا الله وأما مفتاح الصلاة فالله أكبر وأما غرس الجنة فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وأما صلاة كل شىء فسبحان الله وبحمده وأما الأربعة الذين فيهم الروح ولم يركضوا فى أصلاب الرجال وأرحام النساء فآدم وحواء وناقة صالح وكبش اسمعيل وأما الرجل الذى لا أب له فالمسيح وأما الرجل الذى لا أم له فآدم عليه السلام وأما القبر الذى جرى بصاحبه فحوت يونس عليه السلام سار به فى البحر وأما قوس قزح فامان من الله لعباده من الغرق وأما البقعة التى طلعت عليها الشمس مرة واحدة فبطن البحر حين انفلق لبنى اسرائيل وأما الظاعن الذى ظعن مرة ولم يظعن قبلها ولا بعدها فجبل طورسينا كان بينه و بين الأرض المقدسة أربع ليال فلما عصت بنو اسرائيل أطاره الله تعالى بجناحين فنادى مناد ان قبلتم التوراة كشفته عنكم والا ألقيته عليكم فاخذوا التوراة معذرين فرده الله تعالى الى موضعه فذلك قوله تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم الآية وأما الشجرة التى نبتت من غير ماء فشجرة اليقطين التى أنبتها الله تعالى على يونس عليه السلام وأما الشىء الذى تنفس بلا روح فالصبح قال الله تعالى والصبح اذا تنفس وأما اليوم فعمل وأمس فمثل وغد فاجل و بعد غد فامل وأما البرق فمخاريق بايدى الملائكة تضرب بها السحاب وأما الرعد فاسم الملك الذى يسوق السحاب وصوته زجره وأما المحو الذى فى القمر فقول الله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة ولولا ذلك المحو لم يعرف الليل من النهار ولا النهار من الليل * ودعا بعض البلغاء لصديق له فقال تمم الله عليك ما أنت فيه وحقق ظنك فيما ترجوه وتفضل عليك بما لم تحتسبه

﴿ وحكى ﴾ أن الحجاج سأل يوما الغضبان بن القبعثرى عن مسائل يمتحنه فيها من جملتها أن قال له من أكرم الناس قال أفقههم فى الدين وأصدقهم لليمين وأبذلهم للمسلمين وأكرمهم للمهانين وأطعمهم للمساكين قال فمن ألأم الناس قال المعطى على الهوان المقتر على الاخوان الكثير الالوان قال فمن شر الناس قال أطولهم جفوة وأدومهم صبوة وأكثرهم خلوة وأشدهم قسوة قال فمن أشجع الناس قال أضربهم بالسيف وأقراهم للضيف وأتركهم للحيف قال فمن أجبن الناس قال المتأخر عن الصفوف المنقبض عن الزحوف المرتعش عند الوقوف المحب ظلال السقوف الكاره لضرب السيوف قال فمن أثقل الناس قال المتفنن فى الملام الضنين بالسلام المهذار فى الكلام المقبقب على الطعام قال فمن خير الناس قال أكثرهم احسانا وأقومهم ميزانا وأدومهم غفرانا وأوسعهم ميدانا قال لله أبوك فكيف يعرف الرجل الغريب أحسيب هو أم غير حسيب قال أصلح الله الأمير ان الرجل الحسيب يدلك أدبه وعقله وشمائله وعزة نفسه وكثرة احتماله وبشاشته وحسن مداراته على أصله فالعاقل البصير بالاحساب يعرف شمائله والنذل الجاهل يجهله فمثله كمثل الدرة إذا وقعت عند من لا يعرفها ازدراها واذا نظر اليها العقلاء عرفوها وأكرموها فهى عندهم لمعرفتهم بها حسنة نفيسة فقال الحجاج لله أبوك فما العاقل والجاهل قال أصلح الله الأمير العاقل الذى لا يتكلم هذرا ولا ينظر شزرا ولا يضمر غدرا ولا يطلب عذرا والجاهل هو المهذار فى كلامه المنان بطعامه الضنين بسلامه المتطاول على امامه الفاحش على غلامه قال لله أبوك فما الحازم الكيس قال المقبل على شأنه التارك لما لا يعنيه قال فما العاجز قال المعجب

شجى قلب الخلى فقيل غنى
و برح بالشجى فقيل ناحا
وكم للشوق فى أحشاء صب
اذا اندملت أجد لها جراحا
ضعيف الصبر عنك وان تقاوى
وسكران الفؤاد وان تصاحى
بذاك بنو الهوى سكرى صحاة
كأحداق المها مرضى صحاحا

فقال أبو العلاء ومن بالعراق عطفا على قوله من بالشأم انتهى (نادرة) مشى البيدق الزيدى مع شاب موسوم بالجمال فقال له شمس الدين ابن المنجم الشاعر أراك يا بيدق تفرزنت حول هذه النفس فقال وإذا كان فقال أخشى عليك من ذلك الرخ لا يقطعك من الحاشية ويرميك عن الفرس ويقطع عليك الرقعة ولو كان فى كف الفيل (ومثله فى الظرف) أن بعض الاجناد كان كثير اللعب بالشطرنج وكان الجندى خليعا ظريفا فاعطاه الامير فى بعض الأيام فرسا وقال له لا تفرط فيها فقال نعم و بعد ذلك التقاه الأمير وهو لابس جوخة فقال و يلك أين الفرس فقال يا خوند ضربنى الشتاء

با آرائه الملتفت الى ورائه قال هل عندك من النساء خبر قال أصلح الله الأمير انى بشأنهن خبير ان شاء الله تعالى ان النساء من أمهات الأولاد بمنزلة الاضلاع ان عدلتها انكسرت ولهن جوهر لا يصلح الا على المداراة فمن دارهن انتفع بهن وقرت عينه ومن شاورهن كدرن عيشه وتكدرت عليه حياته وتنغصت لذاته فاكرمهن أعفهن وأفخرأحسابهن العفة فاذا زلن عنها فهن أنتن من الجيفة فقال له الحجاج ياغضبان انى موجهك الى ابن الاشعث وافدا فماذا أنت قائل له قال أصلح الله الأمير أقول مايرديه ويؤذيه ويضنيه فقال انى أظنك لا تقول له ماقلت وكأنى بصوت جلاجلك تجلجل فى قصرى هذا قال كلا أصلح الله الأمير سأحدد له لسانى وأجريه فى ميدانى قال فعند ذلك أمره بالمسير إلى كرمان فلما توجه الى ابن الاشعث وهو على كرمان بعث الحجاج عينا عليه أى جاسوسا وكان يفعل ذلك مع جميع رسله فلما قدم الغضبان على ابن الاشعث قال له ان الحجاج قدهم بخلعك وعزلك فخذ حذرك وتغدبه قبل أن يتعشى بك فأخذحذره عند ذلك ثم أمر للغضبان بجائزة سنية وخلع فاخرة فأخذها وانصرف راجعا فأتى الى رملة كرمان فى شدة الحر والقيظ وهى رملة شديدة الرمضاء فضرب قبته فيها وحط عن رواحله فبينما هو كذلك اذا باعرابى من بنى بكر بن وائل قد أقبل على بعير قاصدا نحوه وقد اشتد الحر وحميت الغزالة وقت الظهيرة وقد ظمى ءظمأ شديدا فقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال الغضبان هذه سنة وردها فريضة قد فاز قائلها وخسر تاركها ماحاجتك يااعرابى قال أصابتنى الرمضاء وشدة الحر والظمأ فتيممت قبتك أرجو بركتها قال الغضبان فهلا تيممت قبة أكبر من هذه وأعظم قال أيتهن تعنى قال قبة الأمير بن الاشعث قال تلك لا يوصل اليها قال ان هذه أمنع منها فقال الاعرابى مااسمك ياعبد الله قال آخذ فقال وما تعطى قال أكره أن يكون لى اسمان قال بالله من أين أنت قال من الأرض قال فأين تريد قال أمشى فى مناكبها فقال الاعرابى وهو يرفع رجلا ويضع أخرى من شدة الحر أتقرض الشعر قال انما يقرض الفأر فقال أفتسجع قال انما تسجع الحمامة فقال ياهذا ائذن لى أن أدخل قبتك قال خلفك أوسع لك فقال قد أحرقنى حر الشمس قال مالى عليها من سلطان فقال الرمضاء أحرقت قدمى قال بل عليها تبرد فقال انى لا أريد طعامك ولا شرابك قال لا تتعرض لما لا تصل اليه ولو تلفت روحك فقال الاعرابى سبحان الله قال نعم من قبل أن تطلع أضراسك فقال الاعرابى ماعندك غير هذا قال بلى هراوة أضرب بها رأسك فاستغاث الاعرابى ياجار بنى كعب قال الغضبان بئس الشيخ أنت فوالله ماظلمك أحد فتستغيث فقال الاعرابى مارأيت رجلا أقسى منك أتيتك مستغيثا فحجبتنى وطردتنى هلا أدخلتنى قبتك وطارحتنى القريض قال مالى بمحادثتك من حاجة فقال الاعرابى بالله ما اسمك ومن أنت فقال أنا الغضبان بن القبعثرى فقال اسمان منكران خلقا من غضب قال قف متوكئا على باب قبتى برجلك هذه العوجاء فقال قطعها الله ان لم تكن خيرا من رجلك هذه الشنعاء قال الغضبان لو كنت حاكما لجرت فى حكومتك لان رجلى فى الظل قاعدة ورجلك فى الرمضاء قائمة فقال الاعرابى انى لأظنك حروريا قال اللهم اجعلنى ممن يتحرى الخير ويريده فقال انى لأظن عنصرك فاسدا قال ما أقدرنى على اصلاحه فقال الاعرابى لا أرضاك الله ولا حياك ثم ولى وهو يقول

لابارك الله فى قوم تسودهم * انى أظنك والرحمن شيطانا
أتيت قبته أرجو ضيافته * فأظهر الشيخ ذو القرنين حرمانا

فلما قدم الغضبان على الحجاج وقد بلغه الجاسوس ماجرى بينه وبين ابن الاشعث وبين الاعرابى قال له الحجاج ياغضبان كيف وجدت أرض كرمان قال أصلح الله الأمير أرض يابسة الجيش بها ضعاف هزلاء

شاه مات فتسترت بالفرس (ويعجبنى قول الشيخ بدر الدين بن الصاحب)

تأمل تر الشطرنج كالدهر دولة
نهارا وليلا ثم بؤسا وأنعما
محركها باق وتفنى جميعها
وبعد الفنا تحيا وتبعث أعظما

(قلت) ويشبه هذا قول الفاضل وقد أخرج له السلطان الملك الناصر صلاح الدين من القصر من يعانى الخيال أعنى خيال الظل ليفرجه عليه فقام الفاضل عند الشروع فى عمله فقال له الناصر ان كان حراما فما نحضره وكان حديث العهد بخدمته قبل أن يلى السلطنة فما أراد أن يكدر عليه فقعد الى آخره فلما انقضى ذلك قال له الملك الناصر كيف رأيت ذلك قال رأيت موعظة عظيمة رأيت دولا تمضى ودولا تأتى ولما طوى الازار إذا المحرك واحد فأخرج ببلاغته هذا الجد فى هذا الهزل انتهى (وللشيخ بدر الدين الصاحب مضمنا فى الشطرنج)

أميل لشطرنج أهل النهى
وأسلوه من ناقل الباطل
وكم رمت تهذيب لعابها
وتأبى الطباع على الناقل

ويعجبنى قول الشيخ عز الدين الموصلى حيث قال

جاهل شطرنج ينادى وقد
أمات نفس اللعب من عكسه
ما تفعل الأفعال فى جاهل
ما يفعل الجاهل فى نفسه

هزلاء ان كثروا جاعوا وان قلوا ضاعوا فقال له الحجاج ألست صاحب الكلمة التي بلغتني أنك قلت لابن الاشعث تغدبا الحجاج قبل أن يتعشى بك فوالله لأحبسنك عن الوساد ولأنزلنك عن الجياد ولأشهرنك في البلاد قال الامان أيها الأمير فوالله ماضرت من قيلت فيه ولا نفعت من قيلت له فقال له ألم أقل لك كأني بصوت جلالك تجلجل في قصري هذا اذهبوا به الى السجن فذهبوا به فقيد وسجن فمكث ماشاء الله ثم ان الحجاج ابتنى الخضراء بواسط فأعجب بها فقال لمن حوله كيف ترون قبتي هذه و بناءها فقالوا أيها الأمير انها حصينة مباركة منيعة نضرة بهجة قليل عيبها كثير خيرها قال لم تخبروني بنصح قالوا لا يصفها لك الا الغضبان فبعث الى الغضبان فأحضره وقال له كيف ترى قبتي هذه و بناءها قال أصلح الله الامير بنيتها في غير بلدك لا لك ولا لولدك لا تدوم لك ولا يسكنها وارثك ولا تبقى لك وما أنت لها بباق فقال الحجاج قد صدق الغضبان ردوه الى السجن فلما حملوه قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين فقال أنزلوه فلما أنزلوه قال رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين فقال اضربوا به الارض فلما ضربوا به الارض قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى فقال جروه فأقبلوا يجرونه وهو يقول بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم فقال الحجاج ويلكم اتركوه فقد غلبني دهاء وخبثا ثم عفا عنه وأنعم عليه وخلى سبيله (وحدث) الزبير قال دخل محمد بن عبد الملك ابن صالح على المأمون وقد كانت ضياعهم أخذت فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين محمد بن عبد الملك بين يديك سليل نعمتك وغصن من أغصان دوحتك أتأذن له في الكلام فقال تكلم فقال الحمد لله رب العالمين ولا إله إلا الله رب العرش العظيم وصلى الله والملائكة على محمد خاتم النبيين ونستمتع الله لحياطة ديننا ودنيانا ورعاية أدنانا وأقصانا ببقائك يا أمير المؤمنين ونسأل الله أن يمد في عمرك من أعمارنا وأن يقيك الاذى بأسماعنا وأبصارنا فان الحق لا تعفو آثاره ولا ينهدم مناره ولا ينبت حبله ولا يزول مادمت بين الله و بين عباده والأمين على بلاده يا أمير المؤمنين هذا المقام مقام العائذ بظلك الهارب الى كنفك الفقير الى رحمتك وعدلك من تعاود النوائب وسهام المصائب وكلب الدهر وذهاب النعمة وفي نظر أمير المؤمنين ما يفرج كربة المكروب و يبرد غليل القلوب وقد نفذ أمر أمير المؤمنين في الضياع التي أفادناها نعم آبائه الطيبين ونوافل أسلافه الطاهرين الراشدين وقد قمت مقامي هذا متوسلا اليك بآبائك الطيبين و بالرشيد خير الهداة الراشدين والمهدي ناصر المسلمين والمنصور منكل الظالمين ومحمد خير المحمدين بعد خاتم النبيين مزدلفا اليك بالطاعة التي أفرع عليها غصني واحتنكت بها سني وريش بها جناحي متعوذا من شماتة الأعداء وحلول البلاء ومقارفة الشدة بعد الرخاء يا أمير المؤمنين قد مضى جدك المنصور وعمك صالح بن علي جدي و بينهما من الرضاع والنسب ما علمه أمير المؤمنين وعرفه وقد أثبت الله الحق في نصابه وأقره في داره وأربابه يا أمير المؤمنين ان الدهر ذو اغتيال وقد يقلب حالا بعد حال فارحم يا أمير المؤمنين الصبية الصغار والعجائز الكبار الذين سقاهم الدهر كدرا بعد صفو ومرا بعد حلو وهبنا نعم آبائك اللاتي غذتنا صغارا وكبارا وشبابا وأشياخا وأمشاجا في الاصلاب ونطفا في الارحام وقدمنا في القرابة حيث قدمنا الله منك في الرحم فان رقابنا قد ذلت لسخطك و وجوهنا قد عنت لطاعتك فأقلنا عثرتنا يا أمير المؤمنين ان الله قد سهل بك الوعور وجلا بك الديجور وملأ من خوفك القلوب والصدور بك يردع الفاسق و يقمع بك المنافق فارتبط نعم الله عندك بالعفو والاحسان فان كل راع مسئول عن رعيته وان النعم لا ينقطع المزيد فيها حتى ينقطع الشكر عليها يا أمير المؤمنين انه لا عفو أعظم من عفو امام قادر عن مذنب عاثر وقد قال الله جل ثناؤه وتعالت قدرته وليعفوا وليصفحوا

(وقال الشيخ جمال الدين ابن نباتة) أفديه لاعب شطرنج قد اجتمعت * في شكله من معاني الحسن أشتات

عيناه منصوبة للقلب غالبة * والخد فيه لقتل النفس شامات

(نادرة لطيفة)

حكي أن السراج الوراق جهز غلاما له يوما ليبتاع له زيتا طيبا ليأكل به لفتا فأحضره وقليه على اللفت فوجده زيتا حارا فأنكر على الغلام ذلك فأخذه وجاء الى البياع وقال له لم تفعل مثل هذا فقال له والله ياسيدي مالي ذنب لانه قال أعطني زيتا للسراج انتهى (ومثله) ما حكاه الصاحب فخر الدين ابن مكانس عن صاحبه سراج الدين القوصي أنه كان حصل له طلوع في جسده فتردد اليه المزين وصنع له فتائل على العادة قال فقلت له يوما كيف الحال يا سراج الدين فقال كيف حال سراج فيه سبع فتائل (ورأيت له في ديوانه يداعب سراج الدين المذكور بقوله)

ياذا السراج اشترى ايرى فأنت به * أولى وذلك للامر الذي وجبا

سكندري وتدعى بالسراج وذا * مثل المنار اذا ماقام وانتصبا

﴿ نادرة لطيفة ﴾ اجتمع محدث ونصراني في سفينة فصب النصراني من

ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم أحاط الله أمير المؤمنين بستره الواقى ومنعه الكافى ثم أنشد يقول

أمير المؤمنين أتاك ركب * لهم قربى وليس لهم تلاد * هم الصدر المقدم من قريش

وأنت الرأس تتبعك العباد * لقد طابت بك الدنيا ولذت * وأرجوأن يطيب بك المعاد

فكيف تنالكم لحظات عين * وكيف يقل سوددك البلاد

قال فاستحسن المأمون كلامه وأمر له بالحلل الفاخرة والجوائز السنية وأمر برد ضياعه وقرب منزلته وأدناه ودفع اليه من المال ما أغناه (ومن حكايات الفصحاء ونوادر البلغاء) ما حكى أن عبد الملك ابن مروان جلس يوما وعنده جماعة من خواصه وأهل مسامرته فقال أيكم يأتينى بحروف المعجم فى بدنه وله على ما يتمناه فقام اليه سويد بن غفلة فقال أنا لها يا أمير المؤمنين قال هات فقال نعم يا أمير المؤمنين أنف بطن ترقوة ثغر جمجمة حلق خد دماغ ذكر رقبة زند ساق شفة صدر ضلع طحال ظهر عين غبب فم قفا كف لسان منخر نغنوغ هامة وجه يد وهذه آخر حروف المعجم والسلام على أمير المؤمنين فقام بعض أصحاب عبد الملك وقال يا أمير المؤمنين أنا أقولها من جسد الانسان مرتين فضحك عبد الملك وقال لسويد أسمعت ما قال قال أصلح الله الامير أنا أقولها ثلاثا فقال هات ولك ما تتمناه فابتدأ يقول أنف أسنان أذن بطن بنصر بزة ترقوة تمرة تينة ثغر ثنايا ثدى جمجمة جنب جبهة حلق حنك حاجب خد خنصر خاصرة دبر دماغ دردادير ذقن ذكر ذراع رقبة رأس ركبة زند زردمة زب فهنالك ضحك عبد الملك حتى استلقى على قفاه ساق سرة سبابة شفة شفر شارب صدر صدغ صلعة ضلع ضفيرة ضرس طحال طرة طرف ظفر ظلم عين عنق عاتق غبب غلصمة غنة فم فك فؤاد قلب قفا قدم كف كتف كعب لسان لحية لوح منخر مرفق منكب نغنوغ ناب نن هامة هيئة هيف وجه وجنة ورك يمين يسار يافوخ ثم نهض مسرعا فقبل الارض بين يدى أمير المؤمنين قال فعندها ضحك عبد الملك وقال والله ما تزيد ناعليها شيئا اعطوه ما يتمناه ثم أجازه وأنعم عليه وبالغ فى الاحسان اليه (وكان) الحجاج بن يوسف الثقفى من الفصحاء وكان على عتوه واسرافه جوادا وكان اذا ضحك واستغرق فى الضحك اتبع ذلك بالاستغفار مرات وكان يطعم على ألف خوان وكان يطوف على الموائد ويقول يا أهل الشام مزقوا الخبز لئلا يعود اليكم ثانيا وكان يجلس على كل مائدة عشرة رجال وذلك فى كل يوم وكان يقول أرى الناس يتخلفون عن طعامى فقيل له إنهم يكرهون الحضور قبل أن يدعوا فقال قد جعلت رسولى اليهم كل يوم الشمس إذا طلعت وعند المساء اذا غربت (حكى) عن عبد الملك بن عمير أنه قال لما بلغ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان اضطراب أهل العراق جمع أهل بيته وأولى النجدة من جنده وقال أيها الناس ان العراق كدر ماؤها وكثر غوغاؤها واملولح عذبها وعظم خطبها وظهر ضرامها وعسر اخماد نيرانها فهل من ممهد لهم بسيف قاطع وذهن جامع وقلب ذكى وأنف حمى فيخمد نيرانها ويردع غيلانها وينصف مظلومها ويدارى الجرح حتى يندمل فتصفو البلاد وتأمن العباد فسكت القوم ولم يتكلم أحد فقام الحجاج وقال يا أمير المؤمنين أنا للعراق قال ومن أنت لله أبوك قال أنا الليث الضمضام والهزبر الهشام أنا الحجاج بن يوسف قال ومن أين قال من ثقيف كهوف الضيوف ومستعمل السيوف قال اجلس لا أم لك فلست هناك ثم قال مالى أرى الرءوس مطرقة والألسن معتقلة فلم يجبه أحد فقام اليه الحجاج وقال أنا مجندل الفساق ومطفىء نار النفاق قال ومن أنت قال أنا قاصم الظلمة ومعدن الحكمة الحجاج بن يوسف

النصرانى جعلت فداك هذا خمر فقال من أين علمت أنها خمر قال اشتراها غلامى من خمار يهودى وحلف أنها خمر عتيق فشربها بالعجلة وقال للنصرانى أنت أحمق نحن أصحاب الحديث نروى عن الصحابة والتابعين أفنصدق نصرانيا عن غلامه عن يهودى والله ماشربتها الا لضعف الاسناد ﴿ نادرة لطيفة ﴾ نظر طفيلى الى قوم ذاهبين فلم يشك أنهم فى دعوة ذاهبون إلى وليمة فقام وتبعهم فاذا هم شعراء قد قصدوا السلطان بمدائح لهم فلما أنشد كل واحد شعره وأخذ جائزته لم يبق الا الطفيلى وهو جالس ساكت فقال له أنشد شعرك فقال لست بشاعر قيل فمن أنت قال من الغاوين الذين قال الله تعالى فى حقهم والشعراء يتبعهم الغاوون فضحك السلطان وأمر له بجائزة الشعراء (وحكى) الهيثم ابن عدى قال ماشيت الامام أبا حنيفة رضى الله تعالى عنه فى نفر من أصحابه الى عيادة مريض من أهل الكوفة وكان المريض بخيلا وتواصينا على أن نعرض بالغداء فلما دخلنا وقضينا حق العيادة قال بعضنا آتنا

يوسف معدن العفو والعقوبة وآفة الكفر والريبة قال اليك عني وذاك فلست هناك ثم قال من للعراق فسكت القوم وقام الحجاج وقال أنا للعراق فقال اذن أظنك صاحبها والظافر بغنائمها وان لكل شيء يا ابن يوسف آية وعلامة فما آيتك وما علامتك قال العقوبة والعفو والاقتدار والبسط والازورار والادناء والابعاد والجفاء والبر والتأهب والحزم وخوض غمرات الحروب بجنان غير هيوب فمن جادلني قطعته ومن نازعني قصمته ومن خالفني نزعته ومن دنا مني أكرمته ومن طلب الأمان أعطيته ومن سارع إلى الطاعة بجلته فهذه آيتي وعلامتي وما عليك يا أمير المؤمنين أن تبلوني فان كنت للأعناق قطاعا وللأموال جماعا وللأرواح نزاعا ولك في الأشياء نفاعا والا فليستبدل بي أمير المؤمنين فان الناس كثير ولكن من يقوم بهذا الأمر قليل فقال عبد الملك أنت لها فما الذي تحتاج اليه قال قليل من الجند والمال فدعا عبد الملك صاحب جنده فقال هيء له من الجند شهوته وألزمهم طاعته وحذرهم مخالفته ثم دعا الخازن فأمره بمثل ذلك فخرج الحجاج قاصدا نحو العراق قال عبد الملك بن عمير فبينما نحن في المسجد الجامع بالكوفة إذا أتانا آت فقال هذا الحجاج قدم أميراً على العراق فتطاولت الأعناق نحوه وأفرجوا له عن صحن المسجد فاذا نحن به يمشي وعليه عمامة حمراء متلثما بها ثم صعد المنبر فلم يتكلم كلمة واحدة ولا نطق بحرف حتى غص المسجد بأهله وأهل الكوفة يومئذ ذوو حالة حسنة وهيئة جميلة فكان الواحد منهم يدخل المسجد ومعه العشرون والثلاثون من أهل بيته ومواليه وأتباعه عليهم الخز والديباج قال وكان في المسجد يومئذ عمير بن ضابيء التميمي فلما رأى الحجاج على المنبر قال لصاحب له أسبه لكم قال اكفف حتى نسمع ما يقول فأبى ابن ضابيء وقال لعن الله بني أمية حيث يولون ويستعملون مثل هذا على العراق وضيع الله العراق حيث يكون هذا أميرها فوالله لو دام هذا أميرا كما هو ما كان بشيء والحجاج ساكت ينظر يمينا وشمالا فلما رأى المسجد قد غص بأهله قال هل اجتمعتم فلم يرد عليه أحد شيئا فقال اني لا أعرف قدر اجتماعكم فهل اجتمعتم فقال رجل من القوم قد اجتمعنا أصلح الله الأمير فكشف عن لثامه ونهض قائما فكان أول شيء نطق به أن قال والله اني لأرى رؤسا أينعت وقد حان قطافها واني لصاحبها واني لأرى الدماء ترقرق بين العمائم واللحى والله يا أهل العراق ان أمير المؤمنين نثر كنانة بين يديه فعجم عيدانها فوجدني أمرها عودا وأصلبها مكسرا فرماكم بي لأنكم طالما أثرتم الفتنة واضطجعتم في مراقد الضلال والله لأنكلن بكم في البلاد ولأجعلنكم مثلا في كل واد ولأضربنكم ضرب غرائب الابل واني يا أهل العراق لا أعد إلا وفيت ولا أعزم إلا أمضيت فاياي وهذه الزرافات والجماعات وقيل وقال وكان ويكون يا أهل العراق إنما أنتم أهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأتاها وعيد القرى من ربها فاستوثقوا واستقيموا واعملوا ولا تميلوا وتابعوا وبايعوا واجتمعوا واستمعوا فليس مني الاهدار والاكثار انما هو هذا السيف ثم لا ينسلخ الشتاء من الصيف حتى يذل الله لأمير المؤمنين صعبكم ويقيم له أودكم ثم اني وجدت الصدق مع البر ووجدت البر في الجنة ووجدت الكذب مع الفجور ووجدت الفجور في النار وقد وجهني أمير المؤمنين اليكم وأمرني أن أنفق فيكم وأوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة واني أقسم بالله لا أجد رجلا يتخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا ضربت عنقه يا غلام اقرأ كتاب أمير المؤمنين فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك بن مروان إلى من بالكوفة من المسلمين سلام عليكم فلم يرد أحد شيئا فقال الحجاج اكفف يا غلام ثم أقبل على الناس فقال أيسلم عليكم أمير المؤمنين فلا تردون شيئا عليه هذا أدبكم الذي تأدبتم به أما والله لأؤدبنكم أدبا غير هذا الأدب اقرأ يا غلام فقرأ حتى بلغ قوله سلام عليكم

غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال فتمطى المريض وقال ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج فغمز أبو حنيفة أصحابه وقال قوموا فما لكم هنا من فرج انتهى (ومن غرائب المنقول) أن يحيى بن اسحق كان طبيبا حاذقا صانعا بيده وكان في صدر دولة عبد الرحمن الناصر لدين الله واستوزروه نقل عنه من حذقه أنه أتى اليه بدوي على حمار وهو يصيح على باب داره أدركوني وكلموا الوزير بخبري فلما دخل عليه قال ما بالك قال ورم بإحليلي منعني النوم منذ أيام وأنا في الموت فقال له اكشف عنه فاذا هو وارم فقال لرجل جاء معه أحضر لي حجراً أملس فطلبه فوجده فقال له ضع عليه الاحليل فلما تمكن احليل الرجل على الحجر جمع الوزير يده وضرب الاحليل ضربة غشي على الرجل منها ثم اندفع الصديد يجرى فلما انقطع جريان الصديد فتح الرجل عينيه ثم بال في أثر ذلك فقال له اذهب فقد برأت علتك وأنت رجل عابث واقعت بهيمة في دبرها فصادفت شعيرة من علفها ولجت في عين الاحليل فورم لها وقد خرجت في الصديد فقال له الرجل قد فعلت ذلك وهذا يدل على الحذق المفرط (ومثله)

فلم يبق أحد إلا قال وعلى أمير المؤمنين السلام ثم نزل بعدما فرغ من خطبته وقراءته ووضع للناس عطاياهم فجعلوا يأخذونها حتى أتاه شيخ يرعش فقال أيها الأمير انى على الضعف كما ترى ولى ابن هو أقوى منى على الاسفار أفتقبله بدلا منى فقال نقبله أيها الشيخ فلما ولى قال له قائل أتدرى من هذا أيها الأمير قال لا قال هذا عمير بن صابىء الذى يقول

هممت ولم أفعل وكدت وليتنى * تركت على عثمان تبكى حلائله

ولقد دخل هذا الشيخ على عثمان رضى الله عنه وهو مقتول فوطىء فى بطنه فكسر ضلعين من أضلاعه فقال الحجاج ردوه فلما ردوه قال له الحجاج أنت الفاعل بأمير المؤمنين عثمان ما فعلت يوم قتل الدار إن فى قتلك أيها الشيخ اصلاحا للمسلمين ياسياف اضرب عنقه فضرب عنقه وكان من أمره بعد ذلك ما عرف وسطر ﴿ ومن حكايات الحجاج ﴾ ما حكى أنه لما أسرف فى قتل أسرى دير الجماجم وأعطى الأموال بلغ ذلك أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فشق عليه وكتب اليه أما بعد فقد بلغنى عنك اسراف فى الدماء وتبذير فى العطاء وقد حكمت عليك فى الدماء فى الخطأ بالدية وفى العمد بالقود وفى الاموال أن تردها إلى مواضعها ثم تعمل فيها برأيى فانما هو مال الله تعالى ونحن أمناؤه فان كنت أردت الناس لى فما أغنانى عنهم وإن كنت أردتهم لنفسك فما أغناك عنهم وسيأتيك عنى أمران لين وشدة فلا يؤمننك إلا الطاعة ولا يوحشنك إلا المعصية وإذا أعطاك الله عزوجل الظفر فلا تقتلن جانحا ولا أسيرا وكتب فى أسفل الكتاب

إذا أنت لم تترك أمورا كرهتها * وتطلب رضائى بالذى أنا طالبه * فان ترمنى غفلة قرشية
فيا ربما قد غص بالماء شاربه * وان ترمنى وثبة أموية * فهذا وهذا كل ذا أنا صاحبه
فلا تأمننى والحوادث جمة * فانك تجزى بالذى أنت كاسبه * فلا تعد ما يأتيك منى وان تعد
يقمن به يوما عليك نوادبه * فلا تمنعن الناس حقا علمته * ولا تعطين ما ليس للناس واجبه
فانك ان تعطى الحقوق فانما * النوافل شىء لا يثيبك واهبه

فلما ورد الكتاب على الحجاج كتب إلى أمير المؤمنين أما بعد فقد ورد كتاب أمير المؤمنين بذكر اسرافى وتبذيرى فى الأموال ولعمرى ما بلغت فى عقوبة أهل المعصية ولا قضيت حقوق أهل الطاعة فان كان قتلى العصاة اسرافا واعطائى المطيعين تبذيرا فليمض لى أمير المؤمنين ما سلف والله ما أصبت القوم خطأ فأوديهم ولا ظلمتهم عمدا فأقادبهم ولا قتلت إلا لك ولا أعطيت إلا فيك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وكتب فى أسفل الكتاب

إذا أنا لا أبغى رضاك وأتقى * أذاك فليلى لا توارى كواكبه * وما لامرىء بعد الخليفة جنة
تقيه من الامر الذى هو راكبه * إذا قارف الحجاج فيك خطيئة * لقامت عليه بالصياح نوادبه
فاذا أنا لم أدن الشفيق لنصحه * واقص الذى تسرى إلى عقاربه * واعط المواسى فى البلاء عطية
لرد الذى ضاقت على مذاهبه * فمن يتقى بؤسى ويرجو مودتى * ويخشى غدا والدهر جم نوائبه
وأمرى اليك اليوم ما قلت قلته * وما لم تقله لم أقل ما يقاربه * ومهما أردت اليوم منى اردته
وما لم ترده اليوم انى مجانبه * وقف بى على حد الرضا لا أجوزه * مدى الدهر حتى يرجع الدر حالبه
والا فدعنى والامور فاننى * شفيق رفيق أحكمته تجاربه

فلما انتهى الكتاب إلى عبد الملك قال خاف أبو محمد صولتى ولم يعاود لأمر كرهته ان شاء الله تعالى فمن يلومنى على محبته ياغلام اكتب اليه الشاهد يرى ما لا يرى الغائب وأنت أعلى عينا بما هناك ﴿ وفى مروج الذهب للسعودى ﴾ ان أم الحجاج وهى الفارعة بنت همام ولدته مشوها لا دبر له فنقب له

أن ابن جميع الاسرائيلى كان من الأطباء المشهورين والعلماء المذكورين خدم سلطان مصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وحظى فى أيامه وكان رفيع المنزلة نافذ الأمر * ومما نقل عنه فى حذقه أنه كان جالسا فى دكان وقد مرت عليه جنازة فلما نظر اليها صاح يا أهل الميت ان صاحبكم لم يمت ولا يحل أن تدفنوه حيا فقال بعضهم لبعض هذا الذى يقوله لا يضرنا ويتعين أن نمتحنه فان كان حيا فهو المراد وان لم يكن حيا فما يتغير علينا شىء فاستدعوه اليهم وقالوا بين لنا ما قلت فأمرهم بالعود إلى البيت وأن ينزعوا أكفانه فلما فرغوا من ذلك أدخله الحمام وسكب عليه الماء الحار وأحمى بدنه ونطله فظهر فيه أدنى حس وتحرك حركة خفيفة فقال أبشروا بعافيته ثم تمم علاجه إلى أن أفاق وصحى فكان ذلك مبدأ اشتهاره بشدة الحذق والعلم ثم انه سئل بعد ذلك ومن أين علمت أن فى ذلك الميت بقية روح وهو فى الاكفان محمول فقال نظرت إلى قدميه فوجدتهما قائمتين وأقدام الموتى منبسطة فحدست أنه حى وكان حدسى صائبا ﴿ نادرة لطيفة ﴾ قيل إن المنصور ابن أبى عامر الاندلسى كان إذا قصد غزاة عقد لواءه بجامع قرطبة ولم يسر الى الغزاة الامن الجامع فاتفق أنه

دبر وأبى أن يقبل الثدي وأعياهم أمره فيقال ان الشيطان تصور له في صورة الحرث بن كلدة حكيم العرب فسألهم عن ذلك فأخبره مخبر من أهله فقال لهم اذبحوا له تيسا وألعقوه من دمه وأولغوه فيه ثم اطلوا به وجهه ففعلوا ذلك فقبل الثدي فلأجل ذلك كان لا يصبر عن سفك الدماء وكان يخبر عن نفسه أن أكبر لذاته سفك الدماء وارتكاب أمور لا يقدر غيره عليها وكانت أمه متزوجة قبل أبيه الحرث ابن كلدة فدخل عليها يوما في السحر فوجدها تخلل أسنانها فطلقها فسألته لم فعل فقال لها ان كنت باكرت الغداء فأنت شرهة وان كان بقايا طعام بفيك فأنت قذرة فقالت كل ذلك لم يكن وانما تخللت من شظايا السواك فقال قضي الأمر فتزوجها بعده يوسف بن عقيل الثقفي فأولدها الحجاج * وقيل ان الحجاج تقلد الامارة وهو ابن عشرين سنة ومات وله ثلاث وخمسون سنة وكان من عنف السياسة وثقل الوطأة وظلم الرعية والاسراف في القتل على مالا يبلغه وصف أحصي من قتله الحجاج بأمره سوى من قتله في حروبه فكانوا مائة ألف وعشرين ألفا ووجد في سجنه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة لم يجب على أحد منهم قطع ولا قتل وكان يحبس الرجال والنساء في موضع واحد ولم يكن لحبسه سقف يستر الناس من الحر والبرد وقيل للشعبي أكان الحجاج مؤمنا قال نعم بالطاغوت وقال لو جاءت كل أمة بخبيثها وفاسقها وجئنا بالحجاج وحده لزدنا عليهم والله أعلم وقد مضى القول في ذكر الفصحاء من الرجال وحكاياتهم وما أعان الله تعالى عليه واستحضرته من أخبارهم وأنا قائل إن شاء الله تعالى ما استحضرته من ذكر فصحاء النساء وأخبارهن وحكاياتهن والله المستعان

﴿ ذكر فصحاء النساء وحكاياتهن ﴾

﴿ حكى ﴾ عن أبي عبد الله النميري أنه قال كنت يوما مع المأمون وكان بالكوفة فركب للصيد ومعه سرية من العسكر فبينما هو سائر اذ لاحت له طريدة فأطلق عنان جواده وكان على سابق من الخيل فأشرف على نهر ماء من الفرات فاذا هو بجارية عربية خماسية القد قاعدة النهد كأنها القمر ليلة تمامه وبيدها قربة قد ملأتها ماء وحملتها على كتفها وصعدت من حافة النهر فانحل وكاؤها فصاحت برفيع صوتها يا أبت أدرك فاها قد غلبني فوها لا طاقة لي بفيها قال فعجب المأمون من فصاحتها ورمت الجارية القربة من يدها فقال لها المأمون يا جارية من أي العرب أنت قالت أنا من بني كلاب قال وما الذي حملك أن تكوني من الكلاب فقالت والله لست من الكلاب وانما أنا من قوم كرام غير لئام يقرون الضيف ويضربون بالسيف ثم قالت يافتى من أي الناس أنت فقال أوعندك علم بالانساب قالت نعم قال لها أنا من مضر الحمراء قالت من أي مضر قال من أكرمها نسبا وأعظمها حسبا وخيرها أما وأبا ممن تهابه مضر كلها قالت أظنك من كنانة قال أنا من كنانة قالت فمن أي كنانة قال من أكرمها مولدا وأشرفها محتدا وأطولها في المكرمات يدا ممن تهابه كنانة وتخافه فقالت اذن أنت من قريش قال أنا من قريش قالت من أي قريش قال من أجملها ذكرا وأعظمها فخرا ممن تهابه قريش كلها وتخشاه قالت أنت والله من بني هاشم قال أنا من بني هاشم قالت من أي هاشم قال من أعلاها منزلة وأشرفها قبيلة ممن تهابه هاشم وتخافه قال فعند ذلك قبلت الارض وقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين قال فعجب المأمون وطرب طربا عظيما وقال والله لأتزوجن بهذه الجارية لانها من أكبر الغنائم ووقف حتى تلاحقته العساكر فنزل هناك وأنفذ خلف أبيها وخطبها منه فزوجه بها وأخذها وعاد مسرورا وهي والدة ولده العباس والله أعلم ﴿وحكى﴾ أن هند ابنة النعمان كانت أحسن أهل زمانها فوصف للحجاج حسنها فأنفذ اليها يخطبها وبذل لها مالا جزيلا وتزوج بها وشرط لها عليه بعد الصداق مائتي ألف درهم ودخل بها ثم انها انحدرت معه الى بلد أبيها المعرة وكانت

مض حركاته للغزاة توجه الى الجامع لعقد اللواء فاجتمع عنده القضاة والعلماء وأرباب الدولة فرفع حامل اللواء اللواء فصادف ثريا من قناديل الجامع فانكسرت على اللواء وتبدد عليه الزيت فتطير الحاضرون من ذلك وتغير وجه المنصور فقال رجل أبشر يا أمير المؤمنين بغزاة هينة وغنيمة سارة فقد بلغت أعلامك الثريا وسقاها الله من شجرة مباركة فاستحسن المنصور ذلك واستبشر به وكانت الغزوة من أبرك الغزوات (ومثل هذا) لما خرج المنصور العباسي الى قتال أبي يزيد الخارجي في جماعة من الأولياء وواجه الحصن سقط الرمح من يده فأخذه بعض الاولياء فمسحه وقال

فألقت عصاها واستقر بها النوى
كما قر عينا بالاياب المسافر

قال فضحك المنصور وقال لم لاقلت فألقى موسى عصاه فقال يا أمير المؤمنين العبد تكلم بما عنده من اشارات المتأدبين وتكلم أمير المؤمنين بما أنزل على النبي من كلام رب العالمين فكان الامر على ماذكره وأخذ الحصن وحصل الظفر بأبي يزيد (حكى) أن الشيخ شهاب الدين بن محمود قال عدت قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان في دمشق بالمدرسة النجيبية سنة إحدى وثمانين وستمائة فأنشدني لبعض أهل

هند فصيحة أديبة فأقام بها الحجاج بالمعرة مدة طويلة ثم ان الحجاج رحل بها الى العراق فأقامت معه ماشاء الله ثم دخل عليها في بعض الايام وهي تنظر في المرآة وتقول

وما هند إلا مهرة عربية * سليلة أفراس تحللها بغل

فان ولدت فحلا فلله درها * وان ولدت بغلا فجاء به البغل

فانصرف الحجاج راجعا ولم يدخل عليها ولم تكن علمت به فأراد الحجاج طلاقها فأنفذ اليها عبد الله ابن طاهر وأنفذ لها معه مائتي ألف درهم وهي التي كانت لها عليه وقال يا ابن طاهر طلقها بكلمتين ولا تزد عليهما فدخل عبد الله بن طاهر عليها فقال لها يقول لك أبو محمد الحجاج كنت فبنت وهذه المائتا ألف درهم التي كانت لك قبله فقالت اعلم يا ابن طاهر انا والله كنا فما حمدنا فبنا فما ندمنا وهذه المائتا ألف درهم التي جئت بها بشارة لك بخلاصي من كلب بني ثقيف ثم بعد ذلك بلغ أمير المؤمنين عبد الملك ابن مروان خبرها ووصف له جمالها فأرسل اليها يخطبها فأرسلت اليه كتابا تقول فيه بعد الثناء عليه اعلم يا أمير المؤمنين أن الاناء ولغ فيه الكلب فلما قرأ عبد الملك الكتاب ضحك من قولها وكتب اليها يقول اذا ولغ الكلب في اناء أحدكم فليغسله سبعا احداهن بالتراب فاغسلي الاناء يحل الاستعمال فلما قرأت كتاب أمير المؤمنين لم يمكنها المخالفة فكتبت اليه بعد الثناء عليه يا أمير المؤمنين والله لا أحل العقد إلا بشرط فان قلت ماهو الشرط قلت أن يقود الحجاج محملي من المعرة الى بلدك التي أنت فيها ويكون ماشيا حافيا بحليته التي كان فيها أولا فلما قرأ عبد الملك ذلك الكتاب ضحك ضحكا شديدا وأنفذ الى الحجاج وأمره بذلك فلما قرأ الحجاج رسالة أمير المؤمنين أجاب وامتثل الامر ولم يخالف وأنفذ الى هند يأمرها بالتجهز فتجهزت وسار الحجاج في موكبه حتى وصل المعرة بلد هند فركبت هند في محمل الزفاف وركب حولها جواريها وخدمها وأخذ الحجاج بزمام البعير يقوده ويسير بها فجعلت هند تتواغد عليه وتضحك مع الهيفاء دايتها ثم انها قالت للهيفاء يا داية اكشفي لي سجف المحمل فكشفته فوقع وجهها في وجه الحجاج فضحكت عليه فأنشأ يقول

فان تضحكي مني فيا طول ليلة * تركتك فيها كالقباء المفرج

فأجابته هند تقول

وما نبالي اذا أرواحنا سلمت * بما فقدناه من مال ومن نشب

فالمال مكتسب والعز مرتجع * اذا النفوس وقاها الله من عطب

ولم تزل كذلك تضحك وتلعب الى أن قربت من بلد الخليفة فرمت بدينار على الارض ونادت يا جمال انه قد سقط منا درهم فارفعه الينا فنظر الحجاج الى الارض فلم يجد إلا دينارا فقال إنما هو دينار فقالت بل هو درهم قال بل دينار فقالت الحمد لله سقط منا درهم فعوضنا الله دينارا فخجل الحجاج وسكت ولم يرد جوابا ثم دخل بها على عبد الملك بن مروان فتزوج بها وكان من أمرها ما كان وقد وجدت في بعض النسخ ماهو أوسع من هذا ولكن اقتصرت على القليل منه إذ فيه الغرض والله أعلم * وقيل ان جارية عرضت على الرشيد ليشتريها فتأملها وقال لولا ها خذ جاريتك فلولا كلف بوجهها وخنس بأنفها لاشتريتها فلما سمعت الجارية مقالة أمير المؤمنين قالت مبادرة يا أمير المؤمنين اسمع مني ما أقول فقال قولي فأنشدت تقول

ما سلم الظبي على حسنه * كلا ولا البدر الذي يوصف

الظبي فيه خنس بين * والبدر فيه كلف يعرف

قال فعجب من فصاحتها وأمر بشرائها * وقيل عرضت على المأمون جارية بارعة في الجمال فائقة في الكمال غير أنها كانت تعرج برجلها فقال لولا ها خذ بيدها وارجع فلولا عرج بها لاشتريتها فقالت الجارية يا أمير المؤمنين انه في وقت حاجتك لا يكن بحيث تراه فأعجبه سرعة جوابها وأمر بشرائها (ومن ذلك)

ما حكي

الادب في نقيب الاشراف بالمدائن رثاء خلب قلبي وهو يقول قد قلت للرجل المولى غسله * هلا أطاع وكنت من نصحائه

جنبه ماءك ثم غسله بما * اذرت عيون المجد عند بكائه

وأزل أناوية الحنوط ونحها * عنه وحنطه بطيب ثنائه

ومر الملائكة الكرام بنقله * شرفا ألست تراهم بازائه

لا توه أعناق الرجال بحمله * يكفي الذي حملوه من نعمائه

قال الشيخ شهاب الدين فوقع في نفسي أنه أحق الناس بهذا الرثاء وأنه نعى نفسه فمات في ذلك الأسبوع برد الله مضجعه

﴿ نكتة لطيفة ﴾ قيل إنه لما رجع الشيخ شهاب الدين السهروردي رحمه الله من الشام الى بغداد وجلس على عادته أخذ يقال أحوال الناس ويهضم جانب الرجال ويقول انه ما بقي من يجاري وقد خلت الدنيا وأنشد

ما في الصحاب أخو وجد نطارحه * حديث نجد ولا خل نجاريه

فصاح من أطراف المجلس رجل عليه قباء وكلوتة فقال يا شيخ كم تنتقص بالقوم والله ان فيهم من لم يرض أن يجاريك وقصاراك أن تفهم ما يقول هلا قلت ما في الصحاب وقد سارت حمولهم * الا محب له في الركب محبوب

ماحكي ان كريم الملك كان من ظرفاء الكتاب فعبر يوما تحت جوسق ببستان فرأى جارية ذات وجه زاهر وكمال باهر لا يستطيع أحد وصفها فلما نظر اليها ذهل عقله وطار لبه فعاد إلى منزله وأرسل اليها هدية نفيسة مع عجوز كانت تخدمه وكانت الجارية عزباً وكتب اليها رقعة يعرض اليها بالزيارة في جوسقها فلما قرأت الرقعة قبلت الهدية ثم أرسلت اليه مع العجوز عنبراً وجعلت فيه زر ذهب وربطت ذلك على منديل وقالت للعجوز هذا جواب رقعته فلما رأى كريم الملك ذلك لم يفهم معناه وتحير في أمره وكانت له ابنة صغيرة السن فلما رأت أباها متحيرا في ذلك قالت له يا أبت أنا علمت معناه قال وما هو لله درك قالت

أهدت لك العنبر في جوفه * زر من التبر خفي اللحام
فالزر والعنبر معناهما * زر هكذا مختفيا في الظلام

قال فعجب من فطنتها وفصاحتها واستحسن ذلك منها «وحكي» ان طائفة من بني تميم كانوا يكسرون أول الفعل فمرت فتاة منهم جميلة الصورة على جماعة فناداها شخص منهم وأراد أن يوقعها فيما ينسب اليهم من كسر الفعل فقال لأي شيء يا بني تميم ماتكتنون فقالت ولم لا نكتني وكسرت الفعل فضحك عليها وقال أفعل إن شاء الله فخجلت من قوله وتغير وجهها وأرادت أن توقعه كما أوقعها فقالت له هل تحسن شيئا من العروض قال نعم قالت قطع لي حولوا عنا كنيستكم * يا بني حمالة الحطب فقطعه فوقف على عن ثم ابتدأ بالنون والالف مع بقية الحروف فضحكت عليه وأضحكت أصحابه فقال ويحك لم تبرحي حتى أخذت بثارك «وحكي» أن شاعراً كان له عدو فبينما هو سائر ذات يوم في بعض الطرق اذا هو بعدوه فعلم الشاعر أن عدوه قاتله لا محالة فقال له يا هذا أنا أعلم أن المنية قد حضرت ولكن سألتك الله اذا أنت قتلتني امض الى داري وقف بالباب وقل * ألا أيها البنتان ان أباكما * فقال سمعا وطاعة ثم انه قتله فلما فرغ من قتله أتى الى داره ووقف بالباب وقال * ألا أيها البنتان ان أباكما * وكان للشاعر ابنتان فلما سمعتا قول الرجل * ألا أيها البنتان إن أباكما * أجابتاه بفم واحد * قتيل خذا بالثار ممن أتاكما * ثم تعلقتا بالرجل ورفعتاه الى الحاكم فاستقرره فاقر بقتله فقتله والله أعلم * وقيل بينما كثير عزة مارا بالطريق يوما اذا هو بعجوز عمياء على قارعة الطريق تمشي فقال لها تنحي عن الطريق فقالت له ويحك ومن تكون قال أنا كثير عزة قالت قبحك الله وهل مثلك يتنحى له عن الطريق قال ولم قالت ألست القائل

وماروضة بالحسن طيبة الثرى * يمج الندى جثجاثها وعرارها
بأطيب من أردان عزة موهنا * إذا أوقدت بالمجمر اللدن نارها

ويحك يا هذا لو تبخر بالمجمر اللدن مثلي ومثل أمك لطاب ريحها لا قلت مثل سيدك امرىء القيس

وكنت اذا ماجئت بالليل طارقا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب

فقطعته ولم يرد جوابا * وقيل أتي الحجاج بامرأة من الخوارج فقال لاصحابه ماتقولون فيها قالوا عاجلها بالقتل أيها الأمير فقالت الخارجية لقد كان وزراء صاحبك خيراً من وزرائك يا حجاج قال ومن هو صاحبي قالت فرعون استشارهم في موسى عليه السلام فقالوا أرجه وأخاه * وأتى بأخرى من الخوارج فجعل يكلمها وهي لا تنظر اليه فقيل لها الأمير يكلمك وأنت لا تنظرين اليه فقالت اني لاستحي ان أنظر الى من لا ينظر الله اليه (وحكي) ابن الجوزي في كتابه المنتظم في مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لما ولي عمر رضي الله عنه الخلافة بلغه أن أصدقة أزواج النبي ﷺ خمسمائة درهم وان فاطمة رضي الله عنها كان صداقها على علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أربعمائة درهم فادى اجتهاد أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أن لا يزيد أحد على صداق البضعة النبوية فاطمة رضي الله عنها

نما يوسف في كل راحلة والحي في كل بيت منه يعقوب فصاح (٥٥) السهروردي ونزل عن الكرسي وطلب الشاب فلم يجده (حكي) عن ابن المطرزي الشاعر أنه مر وفي رجله نعل بالية بالشريف الرضي فأمر باحضاره وقال أنشدني أبياتك التي تقول فيها

اذا لم تبلغني اليك ركائبي * فلا وردت ماء ولا رعت العشبا

فأنشده اياها فلما انتهى الى هذا البيت أشار الى نعله البالية وقال هذه كانت ركائبك فأطرق ابن المطرزي ساعة ثم قال لما عادت هبات مولانا الشريف الى مثل قوله

وخذ النوم من جفوني فاني * قد خلعت الكرى على العشاق

عادت ركائبي الى مثل ماترى لانك خلعت مالا تملك على من لا يقبل فخجل الشريف وقابله بما يليق من الاكرام (قلت) وأما الأجوبة الهاشمية وبلاغتها فهي في المحل الارفع (فمن ذلك) أنه اجتمع عند معاوية عمرو بن العاص والوليد بن عقبة وعقبة ابن ابي سفيان والمغيرة ابن شعبة فقالوا يا أمير المؤمنين ابعث لنا الحسن بن علي فقال لهم فيم فقالوا كي نوبخه ونعرفه ان أباه قتل عثمان فقال

فصعد المنبر وحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال أيها الناس لا تزيدوا فى مهور النساء على اربعمائة درهم فمن زاد
القيت زيادته فى بيت مال المسلمين فهاب الناس أن يكلموه فقامت امرأة فى يدها طول فقالت له كيف
يحل لك هذا والله تعالى يقول وآتيتم احداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئا فقال عمر رضى الله عنه
امرأة أصابت ورجل أخطأ * وقيل جاءت امرأة إلى أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه فقالت يا أمير
المؤمنين ان زوجى يصوم النهار ويقوم الليل فقال لهم نعم الرجل زوجك وكان فى مجلسه رجل يسمى
كعبا فقال يا أمير المؤمنين ان هذه المرأة تشكو زوجها فى أمر مباعدته اياها عن فراشه فقال له كما فهمت
كلامها احكم بينهما فقال كعب على بزوجها فاحضر فقال له ان هذه المرأة تشكوك قال أفى أمر طعام أم
شراب قال بل فى أمر مباعدتك اياها عن فراشك فانشأت المرأة تقول

يا أيها القاضي الحكيم أنشده * ألهى خليلى عن فراشى مسجده
نهاره وليله لا يرقده * فلست فى أمر النساء أحمده

فأنشأ الزوج يقول زهدنى فى فرشها وفى الحلل * أنى امرؤ أذهلنى ماقد نزل
فى سورة النمل وفى السبع الطول * وفى كتاب الله تخويف يجل

فقال له القاضى ان لها عليك حقا لم يزل * فى أربع نصيبها لمن عقل
* فعاطها ذاك ودع عنك العلل *

ثم قال ان الله تعالى أحل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع فلك ثلاثة أيام بلياليهن ولها يوم وليلة فقال
عمر رضى الله عنه لا أدرى من أيكم أعجب أمن كلامها أم من حكمك بينهما اذهب فقد وليتك البصرة

﴿حكاية المتكلمة بالقرآن﴾ قال عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى خرجت حاجا الى بيت الله الحرام
وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام فبينما أنا فى بعض الطريق اذا أنا بسواد على الطريق فتميزت ذاك
فاذا هي عجوز عليها درع من صوف وخمار من صوف فقلت السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقالت سلام
قولا من رب رحيم قال فقلت لها يرحمك الله ما تصنعين فى هذا المكان قالت ومن يضلل الله فلا هادى له
فعلمت أنها ضالة عن الطريق فقلت لها أين تريدين قالت سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد
الحرام الى المسجد الأقصى فعلمت أنها قد قضت حجها وهى تريد بيت المقدس فقلت لها أنت منذ كم فى
هذا الموضع قالت ثلاث ليال سويا فقلت ما أرى معك طعاما تأكلين قالت هو يطعمنى ويسقين فقلت
فبأى شىء تتوضئين قالت فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فقلت لها ان معى طعاما فهل لك فى
الأكل قالت ثم أتموا الصيام الى الليل فقلت ليس هذا شهر رمضان قالت ومن تطوع خيرا فان الله
شاكر عليم فقلت قد أبيح لنا الافطار فى السفر قالت وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون فقلت لم
لا تكلمينى مثل ما أكلمك قالت ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد فقلت فمن أى الناس أنت قالت
ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا فقلت قد أخطأت
فاجعلينى فى حل قالت لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم فقلت فهل لك أن أحملك على ناقتى هذه
فتدركى القافلة قالت وما تفعلوا من خير يعلمه الله قال فانخت ناقتى قالت قل للمؤمنين يغضوا من
أبصارهم فغضضت بصرى عنها وقلت لها اركبى فلما ارادت أن تركب نفرت الناقة فمزقت ثيابها
فقالت وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم فقلت لها اصبرى حتى أعقلها قالت ففهمناها سليمان
فعقلت الناقة وقلت لها اركبى فلما ركبت قالت سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى
ربنا لمنقلبون قال فاخذت بزمام الناقة وجعلت أسعى وأصيح فقالت واقصد فى مشيك واغضض
من صوتك فجعلت أمشى رويدا رويدا وأترنم بالشعر فقالت فاقرؤا ما تيسر من القرآن فقلت لها لقد

أوتيت

ضم انكم لا تنتصفون منه ولا تقولون شيئا الا كذبكم الناس ولا يقول لكم شيئا ببلاغته الأصدقه الناس فقال
أرسل اليه فانا سنكفيك
أمره فارسل اليه معاوية
فلما حضر قال ياحسن
انى لم أرسل إليك ولكن
هؤلاء أرسلوا اليك فاسمع
مقالتهم وأجب ولا
تحرمنى فقال الحسن عليه
السلام فليتكلموا ونسمع
فقام عمرو بن العاص
فحمد الله وأثنى عليه ثم
قال هل تعلم ياحسن أن
أباك أول من أثار الفتنة
وطلب الملك فكيف
رأيت صنع الله به ثم قام
الوليد بن عقبة بن أبى
معيط فحمد الله وأثنى
عليه ثم قال يابنى هاشم
كنتم اصهار عثمان بن
عفان فنعم الصهر كان
يفضلكم ويقربكم ثم
بغيتم عليه فقتلتموه ولقد
أردنا ياحسن قتل أبيك
فانقذنا الله منه ولو قتلناه
بعثمان ما كان علينا من
الله ذنب ثم قام عقبة
فقال تعلم ياحسن ان أباك
بغى على عثمان فقتله حسداً
على الملك والدنيا فسلبها
ولقد أردنا قتل أبيك
حتى قتله الله تعالى ثم
قام المغيرة بن شعبة فكان
كلامه كله سبا لعلى وتعظيما
لعثمان فقام الحسن عليه
السلام فحمد الله تعالى
وأثنى عليه وقال بك أبدأ يامعاوية لم يشتمنى هؤلاء ولكن أنت تشتمنى بغضا وعداوة وخلافا

فلما أوتيت خيرا كثيرا قالت وما يذكر الا أولوا الألباب فلما مشيت بها قليلا قلت ألك زوج قالت يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم فسكت ولم أكلمها حتى أدركت بها القافلة فقلت لها هذه القافلة فمن لك فيها فقالت المال والبنون زينة الحياة الدنيا فعلمت أن لها أولادا فقلت وما شأنهم فى الحج قالت وعلامات وبالنجم هم يهتدون فعلمت أنهم أدلاء الركب فقصدت بها القباب والعمارات فقلت هذه القباب فمن لك فيها قالت واتخذ الله ابراهيم خليلا وكلم الله موسى تكليما يا يحيى خذ الكتاب بقوة فناديت يا ابراهيم يا موسى يا يحيى فاذا أنا بشبان كأنهم الاقمار قد أقبلوا فلما استقر بهم الجلوس قالت فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه فمضى أحدهم فاشترى طعاما فقدموه بين يدى فقالت كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية فقلت الآن طعامكم على حرام حتى تخبرونى بأمرها فقالوا هذه أمنا لها منذ أربعين سنة لم تتكلم الا بالقرآن مخافة أن تزل فيسخط عليها الرحمن فسبحان القادر على ما يشاء فقلت ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب الثامن فى الاجوبة المسكتة والمستحسنة ورشقات اللسان وما جرى مجرى ذلك ﴾

(قيل) ان معن بن زائدة دخل على المنصور فقال له هيه يا معن تعطى مروان بن أبى حفصة مائة ألف على قوله

معن بن زائدة الذى زادت به * شرفا على شرف بنو شيبان

فقال كلا يا أمير المؤمنين انما أعطيته على قوله

مازلت يوم الهاشمية معلنا * بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حوزته وكنت وقاءه * من وقع كل مهند وسنان

فقال أحسنت والله يا معن وأمر له بالجوائز والخلع * ووفد ابن أبى محجن على معاوية فقام خطيبا فأحسن فحسده معاوية وأراد أن يوقعه فقال له أنت الذى أوصاك أبوك بقوله

اذا مت فادفنى الى جنب كرمة * تروى عظامى بعد موتى عروقها
ولا تدفننى فى الفلاة فاننى * أخاف اذا مامت أن لا أذوقها

قال بل أنا الذى يقول أبى لا تسأل الناس ما مالى وكثرته * وسائل الناس ما جودى وما خلقى أعطى الحسام غداة الروع حصته * وعامل الرمح أرويه من العلق * وأطعن الطعنة النجلاء عن عرض وأكتم السر فيه ضربة العنق * ويعلم الناس أنى من سراتهم * اذا سما بصر الرعديد بالفرق فقال له معاوية أحسنت والله يا ابن أبى محجن وأمر له بصلة وجائزة (وقيل) أخذ عبد الملك بن مروان بعض أصحاب شبيب الحارثى فقال له ألست القائل ومنا شريد والبطين وقعنب * ومنا أمير المؤمنين شبيب فقال يا أمير المؤمنين انما قلت ومنا أمير المؤمنين شبيب وأردت بذلك مناداتك فكان ذلك سببا لنجاته * ودخل شريك بن الاعور على معاوية وكان دميما فقال له معاوية انك لدميم والجميل خير من الدميم وانك لشريك وما لله من شريك وان أباك لأعور والصحيح خير من الاعور فكيف سدت قومك فقال له انك معاوية وما معاوية الا كلبة عوت فاستعوت الكلاب وانك لابن صخر والسهل خير من الصخر وانك لابن حرب والسلم خير من الحرب وانك لابن أمية وما أمية الا أمة صغرت فكيف صرت أمير المؤمنين ثم خرج وهو يقول

أيشتمنى معاوية بن حرب * وسيفى صارم ومعى لسانى * وحولى من ذوى يزن ليوث ضراغمة تهش الى الطعان * يعير بالدمامة من سفاه * وربات الحجال من الغوانى

لجدى صلى الله عليه وسلم ثم التفت الى الناس وقال أنشدكم الله أتعلمون أن الرجل الذى شتمه هؤلاء كان أول من آمن بالله وصلى للقبلتين وأنت يا معاوية يومئذ كافر تشرك بالله وكان معه لواء النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر ومع معاوية وأبيه لواء المشركين ثم قال أنشدكم الله والاسلام أتعلمون أن معاوية كان يكتب الرسائل لجدى صلى الله عليه وسلم فأرسل اليه يوما فرجع الرسول وقال هو يأكل فرد الرسول اليه ثلاث مرات كل ذلك وهو يقول هو يأكل فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا أشبع الله بطنه أما تعرف ذلك فى بطنك يا معاوية ثم قال وأنشدكم الله أتعلمون أن معاوية كان يقود بأبيه على جمل وأخوه هذا يسوقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله الجمل وقائده وراكبه وسائقه هذا كله لك يا معاوية وأما أنت يا عمرو فتنازع فيك خمسة من قريش فغلب عليك شبه ألأمهم حسبا وشرهم منصبا ثم قمت وسط قريش فقلت انى شانىء محمدا فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم ان شانئك هو الأبتر ثم هجوت محمدا صلى الله عليه وسلم بثلاثين بيتا من

ودخل يزيد بن أبي مسلم صاحب شرطة الحجاج على سليمان بن عبد الملك بعد موت الحجاج فقال له سليمان قبح الله رجلا أجرك رسنه وأولاك أمانته فقال يا أمير المؤمنين رأيتني والامر لك وهو عني مدبر فلو رأيتني وهو على مقبل لاستكبرت مني مااستصغرت واستعظمت مني مااستحقرت فقال سليمان أترى الحجاج استقر في جهنم فقال يا أمير المؤمنين لا تقل ذلك فان الحجاج وطأ لكم المنابر وأذل لكم الجبابرة وهو يجيء يوم القيامة عن يمين أبيك وشمال أخيك فحيثما كانا كان ﴿ وقال يهودي لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ما لكم لم تلبثوا بعد نبيكم الاخمس عشرة سنة حتى تقاتلتم فقال علي كرم الله وجهه ولم أنتم لم تجف أقدامكم من البلل حتى قلتم ياموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة * ووجد الحجاج على منبره مكتوبا قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار فكتب تحته قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور * ودخل عقيل على معاوية وقد كف بصره فأجلسه معه على سريره ثم قال له أنتم معشر بني هاشم تصابون في أبصاركم فقال له عقيل وأنتم معشر بني أمية تصابون في بصائركم * وقيل اجتمعت بنو هاشم يوما عند معاوية فاقبل عليهم وقال يا بني هاشم ان خيري لكم لممنوح وان بابي لكم لمفتوح فلا يقطع خيري عنكم ولا يرد بابي دونكم ولما نظرت في أمري وأمركم رأيت أمرا مختلفا انكم ترون أنكم أحق بما في يدي مني واذا أعطيتكم عطية فيها قضاء حقوقكم قلتم أعطانا دون حقنا وقصر بنا عن قدرنا فصرت كالمسلوب والمسلوب لاحمد له هذا مع انصاف قائلكم واسعاف سائلكم قال فاقبل عليه ابن عباس رضي الله عنهما فقال والله ما منحتنا شيئا حتى سألناه ولا فتحت لنا بابا حتى قرعناه ولئن قطعت عنا خيرك فخير الله أوسع منك ولئن أغلقت دوننا بابا لنكفن أنفسنا عنك وأما هذا المال فليس لك منه الا ما للرجل من المسلمين ولولا حقنا في هذا المال لم يأتك منا زائر يحمله خف ولا حافر أكفاك أم أزيدك قال كفاني يا ابن عباس * وقال معاوية يوما أيها الناس ان الله حبا قريشا بثلاث فقال لنبيه ﷺ وأنذر عشيرتك الاقربين ونحن عشيرته الاقربون وقال تعالى وانه لذكر لك ولقومك ونحن قومه وقال تعالى لايلاف قريش ايلافهم ونحن قريش فأجابه رجل من الانصار فقال على رسلك يا معاوية فان الله تعالى يقول وكذب به قومك وهو الحق وأنتم قومه وقال تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون وأنتم قومه وقال تعالى وقال الرسول يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا وأنتم قومه ثلاثة بثلاثة ولو زدتنا لزدناك * وقال معاوية أيضا لرجل من اليمن ما كان أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة فقال أجهل من قومي قومك الذين قالوا حين دعاهم رسول الله ﷺ اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ولم يقولوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا اليه * وقال يوما لجارية بن قدامة ما كان أهونك على قومك اذ سموك جارية فقال ما كان أهونك على قومك اذ سموك معاوية وهي الأنثى من الكلاب قال اسكت لا أم لك قال أم لي ولدتني أما والله ان القلوب التي أبغضناك بها لبين جوانحنا والسيوف التي قاتلناك بها لفي أيدينا وانك لم تهلكنا قسوة ولم تملكنا عنوة ولكنك أعطيتنا عهدا وميثاقا وأعطيناك سمعا وطاعة فان وفيت لنا وفينا لك وان نزعت الى غير ذلك فانا تركنا وراءنا رجالا شدادا وأسنة حدادا فقال معاوية لا أكثر الله في الناس مثلك يا جارية فقال له قل معروفا فان شر الدعاء محيط بأهله * وخطب معاوية يوما فقال ان الله تعالى يقول وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم فعلام تلومونني اذا قصرت في عطاياكم فقال له الاحنف وانا والله لا نلومك على ما في خزائن الله ولكن على ما أنزله الله لنا من خزائنه فجعلته في خزائنك وحلت بيننا وبينه * وقيل دخل مجنون الطاق يوما الى الحمام وكان بغير مئزر فرآه أبو حنيفة رضي الله تعالى

الشعر فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم انى لاأحسن الشعر ولكن العن عمرو بن العاص بكل بيت لعنة ثم انطلق الى النجاشي بما علمت وعملت فأكذبك الله وردك خائبا فأنت عدو بني هاشم في الجاهلية والاسلام فلم نلمك على بغضك وأما أنت يا ابن أبي معيط فكيف الومك على سبك لعلي وقد جلد ظهرك في الخمر ثمانين سوطا وقتل أباك صبرا بأمر جدي وقتله جدي بأمر ربي ولما قدمه للقتل قال من للصبية يا محمد فقال لهم النار فلم يكن لكم عند النبي الا النار ولم يكن لكم عند علي غير السيف والسوط وأما أنت يا عتبة فكيف تعد أحدا بالقتل لم لا قتلت الذي وجدته في فراشك مضاجعا لزوجتك ثم أمسكتها بعد ان بغت وأما أنت يا أعور ثقيف ففي أي ثلاث تسب عليا أفي بعده من رسول الله صلى الله عليه وسلم أم في حكم جائر أم في رغبة في الدنيا فان قلت شيئا من ذلك فقد كذبت أكذبك الناس وإن زعمت أن عليا قتل عثمان فقد كذبت وأكذبك الناس وأما وعيدك فانما مثلك كمثل بعوضة وقفت على نخلة فقالت لها استمسكي فاني أريد أن أطير فقالت لها النخلة ما علمت بوقوفك

عنه وكان فى الحمام فغمض عينيه فقال له المجنون متى أعماك الله قال حين هتك سترك (ومن ذلك) ماحكى أن الحجاج خرج يوما متنزها فلما فرغ من نزهته صرف عنه أصحابه وانفرد بنفسه فاذا هو بشيخ من بنى عجل فقال له من أين أيها الشيخ قال من هذه القرية قال كيف ترون عمالكم قال شر عمال يظلمون الناس ويستحلون أموالهم قال فكيف قولك فى الحجاج قال ذاك ماولى العراق شر منه قبحه الله وقبح من استعمله قال أتعرف من أنا قال لا قال أنا الحجاج قال جعلت فداك أوتعرف من أنا قال لا قال أنا فلان بن فلان مجنون بنى عجل أصرع فى كل يوم مرتين قال فضحك الحجاج منه وأمر له بصلة * وقال رجل لصاحب منزل أصلح خشب هذا السقف فانه يقرقع قال لا تخف فانه يسبح قال انى أخاف أن تدركه رقة فيسجد * وقالت عجوز لزلز وجها أما تستحى أن تزنى ولك حلال طيب قال أما حلال فنعم وأما طيب فلا * وقال ملك لوزيره ماخير مايرزقه العبد قال عقل يعيش به قال فان عدمه قال أدب يتحلى به قال فان عدمه قال مال يستره قال فان عدمه قال فصاعقة تحرقه وتريح منه العباد والبلاد * وتنبأ رجل فى زمن المنصور فقال له المنصور أنت نبى سفلة فقال جعلت فداك كل نبى يبعث الى شكله (ومن الاجوبة المسكتة المستحسنة) ماذكر أن ابراهيم مغنى الرشيد غنى يوما بين يديه فقال له أحسنت أحسن الله اليك فقال له ياأمير المؤمنين انما يحسن الله الى بك فأمر له بمائة ألف درهم * وقال رجل لبعض العلوية أنت بستان فقال العلوى وأنت النهر الذى يسقى منه البستان * وذبحت عائشة رضى الله تعالى عنها شاة وتصدقت بها وأفضلت منها كتفا فقال لها النبى ﷺ ماعندك منها فقالت مابقى منها الا الكتف فقال كلها بقى الا الكتف وقال عبدالله بن يحيى لابى العيناء كيف الحال قال انت الحال فانظر كيف أنت لنا فأمر له بمال جزيل وأحسن صلته وكان عمرو بن سعد بن سالم فى حرس المأمون ليلة فخرج المأمون يتفقد الحرس فقال لعمرو من أنت قال عمرو عمرك الله بن سعد أسعدك الله بن سالم سلمك الله قال أنت تكلؤنا الليلة قال الله يكلؤك ياأمير المؤمنين وهو خير حافظا وهو أرحم الراحمين فقال المأمون

ان أخا الهيجاء من يسعى معك * ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك * شتت فيك شمله ليجمعك

ادفعوا اليه أربعة آلاف دينار قال عمرو وددت لو أن الابيات طالت وقال المعتصم للفتح بن خاقان وهو صبى صغير أرأيت يافتح أحسن من هذا الفص لفص كان فى يده قال نعم ياأمير المؤمنين اليد التى هو فيها أحسن منه فأعجبه جوابه وأمر له بصلة وكسوة * وقيل ان رجلا سأل العباس رضى الله عنه أأنت أكبر أم رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ أكبر وأنا ولدت قبله وقال معاوية لسعيد بن مرة الكندى أأنت سعيد قال أمير المؤمنين السعيد وأنا ابن مرة وقال المأمون للسيد بن أنس أأنت السيد قال أمير المؤمنين السيد وأنا ابن أنس وقال الحجاج للمهلب وهو يماشيه أأنا أطول أم أنت قال الامير أطول وأنا أبسط قامة أراد الطول وهو الفضل والاجوبة بهذا المعنى كثيرة لو تتبعتها لعجزت عنها ولكنى اقتصرت على هذا وأوجزت وفيما ذكرته من ذلك كفاية وأسأل الله تعالى العون والعناية

﴿الباب التاسع فى ذكر الخطب والخطباء والشعر والشعراء وسرقاتهم وكبوات الجياد وهفوات الامجاد﴾ قيل خطب المأمون فقال اتقوا الله عباد الله وأنتم فى مهل بادروا الاجل ولا يغرنكم الأمل فكأنى بالموت قد نزل فشغلت المرء شواغله وتولت عنه فواصله وهيئت أكفانه وبكاه جيرانه وصار الى التراب الخالى بجسده البالى فهو فى التراب عفير والى ماقدم فقير * وقال الشعبى ما سمعت أحدا يخطب الا تمنيت أن يسكت مخافة أن يخطئ ماخلا زيادا فانه لا يزداد اكثارا الا ازداد

فكيف يشق على طيرانك وأنت فاشرنا بعداوتك فكيف يشق علينا سبك ثم نفض ثيابه وقام فقال لهم معاوية ألم أقل لكم إنكم لا تنتصفون منه فوالله لقد أظلم على البيت حتى قام فليس فيكم بعد اليوم خير انتهى

﴿ومن غريب النقل﴾ ان شريك بن الأعور دخل على معاوية وهو يختال فى مشيته فقال له معاوية والله انك لشريك وليس لله من شريك وانك ابن الأعور والصحيح خير من الاعور وانك لدميم والوسيم خير من الدميم فبم سودك قومك فقال له شريك والله انك لمعاوية ومامعاوية الا كلبة عوت فاستعوت فسميت معاوية وانك ابن حرب والسلم خير من الحرب وانك ابن صخر والسهل خير من الصخر وانك ابن أمية وما أمية الا أمة صغرت فسميت أمية فكيف صرت أمير المؤمنين فقال له معاوية أقسمت عليك الا ماخرجت عنى

﴿نكتة لطيفة﴾ اتفق ان الملك المعظم عزم على الصيد فقال له بعض جماعته يامولانا ان القمر فى العقرب والسفر فيه مذموم والمصلحة أن تصبر الى أن ينزل القمر القوس فعزم على الصبر فبينما هو منكر اذ دخل عليه مملوك له من أحسن الناس وجها فوقف

احسانا (وخطب) علي رضي الله عنه فقال في خطبته عباد الله الموت الموت ليس منه فوت ان أقمتم أخذكم وان فررتم منه أدرككم الموت معقود بنواصيكم فالنجا النجا والوحا الوحا فان وراءكم طالبا حثيثا وهو القبر ألا وان القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ألا وانه يتكلم في كل يوم ثلاث كلمات فيقول أنا بيت الظلمة أنا بيت الوحشة أنا بيت الديدان ألا وان وراء ذلك اليوم يوما أشد منه يوما يشيب فيه الصغير ويسكر فيه الكبير وتذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ألا وان وراء ذلك اليوم يوما أشد منه فيه نار تستعر حرها شديد وقعرها بعيد وحليها حديد وماؤها صديد ليس لله فيها رحمة قال فبكى المسلمون بكاء شديدا ثم قال ألا وان وراء ذلك اليوم جنة عرضها كعرض السموات والأرض أعدت للمتقين أدخلنا الله وإياكم دار النعيم وأجارنا وإياكم من العذاب الأليم (وخطب) الحجاج بن يوسف فقال في بعض خطبه ان ابراهيم بن عبد الله بن الحسن رضي الله عنه خطب بالبصرة فقال أيها الناس كل كلام في غير ذكر فهو لغو وكل صمت في غير فكر فهو سهو والدنيا حلم والآخرة يقظة والموت متوسط بينهما ونحن في أضغاث أحلام * قيل اجتمع الناس عند معاوية وقام الخطباء لبيعة يزيد وأظهر قوم الكراهة فقام رجل من الخطباء من عذرة يقال له يزيد بن المقنع فاخترط من سيفه شبرا ثم قال أمير المؤمنين هذا وأشار الى معاوية ثم قال فان هلك فهذا وأشار الى يزيد ثم قال فمن أبى فهذا وأشار الى سيفه فقال له معاوية أنت سيد الخطباء

﴿فصل في ذكر الشعر والشعراء وسرقاتهم﴾ قيل ما استدعى شارد الشعر بمثل الماء الجاري والشرف العالي والمكان الخضر الخالي وقيل أمسك على النابغة الجعدي أربعين يوما فلم ينطق بالشعر ثم ان بني جعدة غزوا فظفروا فاستخفه الطرب والفرح فرام الشعر فذل له ما استصعب عليه فقال له قومه والله لنحن باطلاق لسان شاعرنا أسر منا بالظفر بعدونا * وقال أبو نواس ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة منهن الخنساء وليلى فما ظنك بالرجال وقال الخليل الشعراء امراء الكلام يتصرفون فيه كيف شاؤا جائز لهم فيه ما لا يجوز لغيرهم من اطلاق المعنى وتقييده ومن تسهيل اللفظ وتعقيده وقيل وفد زياد بن عبد الله على معاوية فقال له أقرأت القرآن قال نعم قال أفرضت الفرائض قال نعم قال أورويت الشعر قال لا فكتب الى عبد الله أبا زياد بارك الله لك في ابنك فأروه الشعر فقد وجدته كاملا واني سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول أرووا الشعر فانه يدل على محاسن الاخلاق وينهى عن مساويها وتعلموا الانساب فرب رحم مجهولة قد وصلت بعرفان النسب وتعلموا من النجوم ما يدلكم على سبلكم في البر والبحر ولقد هممت بالهرب يوم صفين فما ثبتني الا قول القائل

أقول لها اذا جشأت وجاشت * مكانك تحمدي أو تستريحي

وقيل لم ير قط أعلم بالشعر والشعراء من خلف الأحمر كان يعمل الشعر على ألسنة الفحول من القدماء فلا يتميز عن مقولهم ثم تنسك فكان يختم القرآن كل يوم وليلة وبذل له بعض الملوك مالا جزيلا على أن يتكلم في بيت من الشعر شكوا فيه فأبى * وكان الحسن بن علي رضي الله عنه يعطي الشعراء فقيل له في ذلك فقال خير مالك ما وقيت به عرضك * وقال أبو الزناد ما رأيت أروى للشعر من عروة قلت له ما أرواك يا أبا عبد الله فقال وما روايتي مع رواية عائشة رضي الله عنها ما كان ينزل بها شيء الا أنشدت فيه شعرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بقول القائل * كفى الاسلام والشيب للمرء ناهيا * ولم ينطق به موزونا فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه أشهد أنك رسول الله حقا وتلا قوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له (ولنذكر نبذة من سرقات الشعراء وسقطاتهم) (فمن

أمامه وقد توشح بقوس فقال له بعض الحاضرين بالله يامولانا اركب في هذه الساعة فهذا القمر قد حل في القوس حقيقة فقام لوقته وركب استبشارا بالقول فلم ير أطيب من تلك السفرة ولا أكثر من صيدها ﴿ومن غرائب المنقول﴾ ما حكى اسحق النديم عن أبيه قال استأذنت الرشيد أن يهب لي يوما من الجمعة لأنبعث فيه بجواري واخواني فأذن لي في يوم السبت وقال هو يوم أستثقله فله فيه بما شئت قال فأقمت يوم السبت بمنزلي وتقدمت لاصلاح طعامي وشرابي وأمرت بوابي باغلاق الباب وأن لا يأذن لأحد من الناس فبينما أنا في مجلسي والحرم قد حففن بي اذا أنا بشيخ عليه هيبة وجمال وعلى رأسه قلنسوة وبيده عكازة مقمعة بالفضة وروائح الطيب تفوح منه فداخلني لدخوله علي مع ما قدمت من الوصية غيظ عظيم وهممت بطرد بوابي ومن يحجبني لاجله فسلم علي أحسن سلام فرددت عليه وأمرته بالجلوس فجلس وأخذ في حديث الناس وأيام العرب وأشعارها حتى سكن ما بي فظننت أن غلماني قصدوا مسرتي بادخاله علي لظرفه وأدبه فقلت له هل لك في الطعام فقال لا حاجة لي به فقلت هل لك في الشراب

ذلك) قول قيس بن الحطيم وهو شاعر الأوس وشجاعها

وما المال والأخلاق إلا معارة * فما اسطعت من معروفها فتزود

وكيف يخفى ماأخذه مع اشتهار قصيدة طرفة بن العبد وهى معلقة على الكعبة يقول فيها

لعمرك ماالأيام إلا معارة * فما اسطعت من معروفها فتزود

(ومن ذلك) قول عبدة بن الطيب

فما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

أخذه من قول امرىء القيس فلو أنها نفس تموت شريتها * ولكنها نفس تساقط أنفسا

و يقال من سرق شيئا واسترقه فقد استحقه وهو أن يسرق الشاعر المعنى دون اللفظ * فمن السرقة الفاحشة قول كثير فى عبدالملك بن مروان إذا ماأراد الغزو لم يثن همه * حصان عليها عقد در يزينها

أخذه من قول الحطيئة ولم يغير سوى الروى

إذا ماأراد الغزو لم يثن همه * حصان عليها لؤلؤ وشنوف

وجرير على سعة تبحره وقدرته على غرر الشعر وابتكار الكلام نقل قوله

فلو كان الخلود بفضل قوم * على قوم لكان لنا الخلود

من قول زهير وهو شعر مشهور يحفظه الصبيان وترويه النسوان وهو

فلو كان حمد يخلد المرء لم يمت * ولكن حمد المرء غير مخلد

وقد قال الشماخ وأمر ترجى النفس ليس بنافع * وآخر تخشى ضيره لا يضيرها

وهو المأخوذ من قول الآخر ترجى النفوس الشيء لا تستطيعه * وتخشى من الأشياء لا يضيرها

وأبو تمام مع قوته وقدرته على الكلام يقول

وأحسن من نور تفتحه الصبا * بياض العطايا فى سواد المطالب

أخذه من قول الأخطل رأيت بياضا فى سواد كأنه * بياض العطايا فى سواد المطالب

(ومن سقطات الشعراء) ماقيل إن أبا العتاهية كان مع تقدمه فى الشعر كثير السقط روى أنه أتى محمد ابن مبادر بمكة فمازحه وضاحكه ثم إنه دخل على الرشيد فقال ياأمير المؤمنين هذا شاعر البصرة يقول قصيدة فى كل سنة وأنا أقول فى كل سنة مائتى قصيدة فأدخله الرشيد اليه وقال ماهذا الذى يقول أبو العتاهية فقال ياأمير المؤمنين لو كنت أقول كما يقول ألا ياعتبة الساعه * أموت الساعة الساعه لقلت كثيراً ولكنى أقول ابن عبد الحميد يوم توفى * هد ركنا ماكان بالمهدود

مادرى نعشه ولا حاملوه * ماعلى النعش من عفاف وجود

فأعجب الرشيد قوله وأمر له بعشرة آلاف درهم فكاد أبو العتاهية يموت غما وأسفا وكان بشار بن برد يسمونه أبا المحدثين ويسلمون اليه فى الفضيلة والسبق و بعض أهل اللغة يستشهد بشعره ومع ذلك قال

انما عظم سليمى حبتى * قصب السكر لا عظم الجمل

وإذا أدنيت منها بصلا * غلب المسك على ريح البصل

هذا مع قوله إذا قامت لمشيتها تثنت * كأن عظامها من خيزران

ومع قوله فى الفخر كأن مثار النقع فوق رؤسنا * وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

ومع قوله أيضا إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى * ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه

وأبو الطيب المتنبي فى فضله المشهور وأخذه بزمام الكلام وقوته على رقائق المعانى وعلى مافى شعره من الحكم والأمثال السائرة يقول

قال ذلك اليك قال فشربت رطلا وسقيته مثله فقال ياأبا اسحق هل لك فى أن تغنى ونسمع منك مافقت به على العام والخاص قال فغاظنى منه ذلك ثم سهلت الأمر على نفسي وأخذت العود وضربت وغنيت فقال أحسنت ياإبراهيم فازددت غيظا وقلت مارضى بما فعله حتى سمانى باسمى ولم يحسن مخاطبتى ثم قال هل لك فى أن تزيدنا ونكافئك قال فتقدمت وأخذت العود وضربت وغنيت وتحفظت وقمت بما غنيته قياما تاما فطرب وقال أحسنت ياسيدى ثم قال أتأذن لعبدك فى الغناء فقلت شأنك واستضعفت عقله كيف سولت له نفسه أن يغنى بحضرتى بعد ماسمعه منى فأخذ العود وجسه فوالله لقد خلته ينطق بلسان عربى واندفع يغنى

ولى كبد مقروحة من يبيعنى * بها كبداً ليست بذات قروح

أباها على الناس لا يشترونها * ومن يشترى ذا علة بصحيح

قال إبراهيم فوالله لقد ظننت أن الحيطان والأبواب وكل ما فى البيت يجيبه و يغنى معه وبقيت مبهوتا لا أستطيع الكلام ولا الحركة لما خالط قلبي ثم غنى ألا ياحمامات اللوى الابيات فكاد يذهب عقلى طربا ثم قال ياإبراهيم خذ هذا الغناء

وضاقت الأرض حتى صار هاربهم * إذا رأى غير شيء ظنه رجلا

وغير شيء معناه المعدوم والمعدوم لايرى فهذا سقط فاحش * ومما يستهجن من قوله وتكاد أن تمجه الاسماع قوله

تقلقلت بالهم الذى قلقل الحشا * قلاقل عيش كلهن قلاقل

وقوله وقد جمع بين قبح اللفظ و برودة المعنى

ان كان مثلك كان أو هو كائن * فبرئت حينئذ من الاسلام

ومن معانيه المسروقة قوله * ونهب نفوس أهل النهب أولى * باهل المجد من نهب القماش أخذه من قول أبى تمام * إن الاسود أسود الغاب همتها * يوم الكريهة فى المسلوب لا السلب

قال أبو عبدالله الزبيرى اجتمع راوية جرير وراوية كثير وراوية جميل وراوية الأحوص وراوية نصيب فافتخر كل منهم وقال صاحبي أشعر فحكموا السيدة سكينة بنت الحسين رضى الله تعالى عنهما بينهم لعقلها وتبصرها بالشعر فخرجوا حتى استأذنوا عليها وذكروا لها أمرهم فقالت لراوية جرير أليس صاحبك الذى يقول

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * وقت الزيارة فارجعى بسلام

وأى ساعة أحلى من الزيارة بالطروق قبح الله صاحبك وقبح شعره فهلا قال فادخلى بسلام ثم قالت لراوية كثير أليس صاحبك الذى يقول

يقر بعينى مايقر بعينها * وأحسن شيء مابه العين قرت

وليس شيء أقر بعينها من النكاح أيحب صاحبك أن ينكح قبح الله صاحبك وقبح شعره ثم قالت لراوية جميل أليس صاحبك الذى يقول

فلو تركت عقلى معى ماطلبتها * ولكن طلابيها لما فات من عقلى

فما أراه هوى وانما طلب عقله قبح الله صاحبك وقبح شعره ثم قالت لراوية نصيب أليس صاحبك الذى يقول أهيم بدعد ماحييت فان أمت * فواحزنى من ذا يهيم بها بعدى

فماله همة إلا من يتعشقها بعده قبحه الله وقبح شعره هلا قال

أهيم بدعد ماحييت فان أمت * فلاصلحت دعد لذى خلة بعدى

ثم قالت لراوية الأحوص أليس صاحبك الذى يقول

من عاشقين تواعدا وتراسلا * ليلا إذا نجم الثريا حلقا

باتا بأنعم ليلة وألذها * حتى إذا وضح الصباح تفرقا

قبحه الله وقبح شعره هلا قال تعانقا فلم تثن على واحد منهم واحجم رواتهم عن جوابها رضى الله عنها

(وروى) ابن الكلبى قال لما أفضت الخلافة إلى عمر بن عبدالعزيز وفدت اليه الشعراء كما كانت تفد على الخلفاء من قبله فأقاموا ببابه أياما لايؤذن لهم فى الدخول حتى قدم عدى بن أرطاة عليه وكان منه بمكانة فتعرض له جرير وقال

ياأيها الرجل المزجى مطيته * هذا زمانك انى قد خلا زمنى * أبلغ خليفتنا إن كنت لاقيه أنى لدى الباب كالمشدود فى قرن * لا تنس حاجتنا لاقيت مغفرة * قد طال مكثى عن أهلى وعن وطنى

فقال نعم ياأباعبدالله فلما دخل على عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه قال ياأمير المؤمنين الشعراء ببابك وألسنتهم مسمومة وسهامهم صائبة فقال عمر رضى الله عنه مالى وللشعراء فقال ياأمير المؤمنين ان رسول الله ﷺ مدح فأعطى وفيه أسوة لكل مسلم قال صدقت فمن بالباب منهم قال ابن عمك عمر بن أبى

وانح نحوه فى غنائك وعلمه جواريك فسألته أن يعيد ماغناه فقال لم تحتج إلى شيء من ذلك ثم غاب من بين عينى فارتعت وقمت إلى السيف فجردته ثم غدوت نحو الأبواب وقلت للجوارى أى شيء سمعتن فقلن سمعن أحسن غناء فخرجت متحيرا إلى باب الدار فوجدته مغلقا فسألت البواب عن الشيخ فقال أى شيخ والله مادخل اليك اليوم أحد من الناس فرجعت لأتأمل أمرى فاذا به قد هتف من بعض جوانب الدار فقال لابأس عليك ياأبا اسحق أنا إبليس وقد اخترت منادمتك فى هذا اليوم فلا ترتاع فركبت على الفور إلى الرشيد وأتحفته بهذه الطرفة فقال ويحك اعتبر الأصوات التى أخذتها عنه فأخذت العود فاذاهى راسخة فى صدرى فطرب الرشيد وأمر لى بصلة وقال ليته متعنا يوما واحدا كما أمتعك قال أبو الفرج الاصبهانى هكذا حدثنا ابن أبى الأزهر وماأدرى ماأقول فيه (ويضارع هذا ماأورده ابن خلكان فى ترجمة بن دريد) قال أبو بكر محمد بن الحسين ابن دريد سقطت من منزلى فانكسر بعض أعضائى فسهرت ليلتى فلما كان آخر الليل غمضت عينى فرأيت رجلا طويلا أصفر الوجه كوسجا دخل على وأخذ بعضادتى

أبى ربيعة القرشى قال لاقرب الله قرابته ولاحيا وجهه أليس هو القائل

ألا ليتنى فى يوم تدنو منيتى * شممت الذى ما بين عينيك والفم * وليت طهورى كان ريقك كله

وليت حنوطي من مشاشك والدم * ويا ليت سلمى فى القبور ضجيعتى * هنالك أو فى جنة أو جهنم

فليته عدو الله تمنى لقاءها فى الدنيا ثم يعمل عملا صالحا والله لايدخل على أبدا فمن بالباب غيره ممن ذكرت قال جميل بن معمر العذرى قال أليس هو القائل

ألا ليتنا نحيا جميعا فان نمت * يوافى لدى الموتى ضريحى ضريحها * فما أنا فى طول الحياة براغب

اذا قيل قد سوى عليها صفيحها * أظل نهارى لا أراها وتلتقى * مع الليل روحى فى المنام وروحها

والله لايدخل على أبدا فمن بالباب غيره ممن ذكرت قال كثير عزة قال أليس هو القائل

رهبان مدين والذين عهدتهم * يبكون من حذر الفراق قعودا

لو يسمعون كما سمعت حديثها * خروا لعزة ركعا وسجودا

أبعده الله فوالله لايدخل على أبدا فمن بالباب غيره ممن ذكرت قال الاحوص الانصارى قال أبعده الله والله لادخل على أبدا أليس هو القائل وقد أفسد على رجل من أهل المدينة جاريته حتى هرب بها منه

الله بينى وبين سيدها * يفر منى بها وأتبعه

فمن بالباب غيره ممن ذكرت قال همام بن غالب الفرزدق قال أليس هو القائل يفتخر بالزنا فى قوله

هما دليانى من ثمانين قامة * كما انقض بازلين الريش كاسره

فلما استوت رجلاى فى الارض قالتا * أحى فيرجى أم قتيل نحاذره

فقلت ارفعوا الأحراس لايفطنوا بنا * ووليت فى أعقاب ليل أبادره

والله لادخل على أبدا فمن بالباب غيره ممن ذكرت قال الاخطل التغلبى قال أليس هو القائل

ولست بصائم رمضان عمرى * ولست بآكل لحم الاضاحى * ولست بزاجر عيسا بكورا

الى اطلال مكة بالنجاح * ولست بقائم كالعبد يدعو * قبيل الصبح حى على الفلاح

ولكنى ساشربها شمولا * وأسجد عند منبلج الصباح

أبعده الله عنى فوالله لادخل على أبدا ولاوطىء لى بساطا وهو كافر فمن بالباب غيره من الشعراء ممن ذكرت قال جرير قال أليس هو القائل

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * وقت الزيارة فارجعى بسلام

فان كان ولا بد فهذا فأذن له قال عدى بن أرطاة فخرجت فقلت أدخل ياجرير فدخل وهو يقول

ان الذى بعث النبى محمدا * جعل الخلافة فى الامام العادل * وسع الخلائق عدله ووقاره

حتى ارعووا وأقام ميل المائل * انى لأرجو منه نفعا عاجلا * والنفس مولعة بحب العاجل

والله أنزل فى الكتاب فريضة * لابن السبيل وللفقير العائل

فلما مثل بين يديه قال ياجرير اتق الله ولا تقل الاحقا فأنشأ يقول

كم باليمامة من شعثاء أرملة * ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر * ممن بعدلك يكفى فقد والده

كالفرخ فى العش لم يدرج ولم يطر * أأذكر الجهد والبلوى التى نزلت * أم قد كفانى ما بلغت من خبرى

إنا لنرجو إذا ما الغيث أخلفنا * من الخليفة ما نرجو من المطر * ان الخلافة جاءته على قدر

كما أتى ربه موسى على قدر * هذى الأرامل قد قضيت حاجتها * فمن لحاجة هذا الأرمل الذكر

الخير مادمت حيا لايفارقنا * بوركت ياعمر الخيرات من عمر

فقال والله ياجرير لقد وافيت الأمر ولا أملك الا ثلاثين دينارا فعشرة أخذها عبد الله ابنى وعشرة

الباب وقال أنشدنى أحسن ما قلت فى الخمر فقلت ماترك أبو نواس لأحد شيئا فى هذا الباب فقال أنا أشعر منه فقلت ومن أنت قال أبو ناجية من أهل الشام وأنشدنى

وحمراء قبل المزج صفراء بعده * بدت بين ثوبى نرجس وشقائق
حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا * عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

فقلت له أسأت قال ولم قلت لأنك قلت وحمراء فقدمت الحمرة ثم قلت نرجس وشقائق فقدمت الصفرة فقال ماهذا الاستقصاء فى هذا الوقت يابغيض وأبو ناجية من كنى ابليس * قال قاضى القضاة شمس الدين محمد بن خلكان فى تاريخه وفى رواية أخرى أن الشيخ أبا على الفارسى قال أنشدنى ابن دريد هذين البيتين وقال جاءنى ابليس فى المنام ثم ذكر بقية الكلام الخ (ونقل) ابن خلكان وغيره أن أبا بكر بن قريعة قاضى السندية وغيرها من أعمال بغداد كان من عجائب الدنيا فى سرعة البديهة بالأجوبة عن جميع مايسئل عنه فى أفصح لفظ وأملح سجع وكان مختصا بحضرة الوزير أبى محمد المهلبى ومنقطعا اليه وله مسائل وأجوبة مدونة فى أيدى الناس وكان رؤساء ذلك العصر والعلماء والفضلاء يداعبونه

أخذتها أم عبد الله ثم قال لخادمه ادفع اليه العشرة الثالثة فقال والله يا أمير المؤمنين انها لاحب مال اكتسبته ثم خرج فقال له الشعراء وما وراءك يا جرير فقال ورائي ما يسوءكم خرجت من عند أمير يعطى الفقراء ويمنع الشعراء واني عنه لراض ثم أنشأ يقول

رأيت رقى الجن لا يستفزه * وقد كان شيطاني من الجن راقيا

﴿ ومما جاء في كبوات الجياد وهفوات الامجاد ﴾

قال الاحنف الشريف من عدت سقطاته قالت عثراته وقالوا كل صارم ينبو وكل جواد يكبو وكان الاحنف بن قيس حليما سيدا يضرب به المثل وقد عدت له سقطة وهو ان عمرو بن الاهتم دس اليه رجلا يسفهه فقال يا أبا بحر ما كان أبوك في قومه قال كان أوسطهم وسيدهم ولم يتخلف عنهم فرجع اليه ثانيا ففطن انه من قبل عمرو بن الاهتم فقال ما كان أبوك قال كانت له فتوة ومروءة ومكارم أخلاق ولم يكن أهتم سلاحا وقال سعيد بن المسيب ما فاتني الأذان في مسجد رسول الله ﷺ منذ أربعين سنة ثم قام يريد الصلاة فوجد الناس قد خرجوا من المسجد وقال قتادة ما نسيت شيئا قط ثم قال يا غلام ناولني نعلي قال النعل في رجلك وكان هشام بن عبد الملك من رجال بني أمية ودهاتهم وقد عدت له سقطات منها ان الحادي حدا به يوما فقال

اني عليك أيها النجي * أكرم من يمشي به المطي

فقال هشام صدقت * وذكر عنده سليمان وأخوه فقال والله لأشكونه يوم القيامة الى أمير المؤمنين عبد الملك ولما ولي الخلافة قال الحمد لله الذي أنقذني من النار بهذا المقام قال النابغة أي الرجال المهذب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب العاشر في التوكل على الله تعالى والرضا بما قسم والقناعة وذم الحرص والطمع وما أشبه ذلك وفيه فصول ﴾

﴿ الفصل الأول في التوكل على الله تعالى ﴾ قال الله تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت وقال تعالى وعلى ربهم يتوكلون وقال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير رواه مسلم قيل معناه متوكلون وقيل قلوبهم رقيقة وعن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتعود بطانا وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود من دعاني أجبته ومن استغاثني أغثته ومن استنصرني نصرته ومن توكل علي كفيته فأنا كافي المتوكلين وناصر المستنصرين وغياث المستغيثين ومجيب الداعين (حكى) انه كان في زمن هرون الرشيد قد حصل للناس غلاء سعر وضيق حال حتى اشتد الكرب على الناس اشتدادا عظيما فأمر الخليفة هرون الرشيد الناس بكثرة الدعاء والبكاء وأمر بكسر آلات الطرب ففي بعض الأيام رؤى عبد يصفق ويرقص ويغني فحمل الى الخليفة هرون الرشيد فسأله عن فعله ذلك من دون الناس فقال ان سيدي عنده خزانة بر وأنا متوكل عليه أن يطعمني منها فلهذا أنا اذاً لا أبالي فأنا أرقص وأفرح فعند ذلك قال الخليفة اذا كان هذا قد توكل على مخلوق مثله فالتوكل على الله أولى فسلم للناس أحوالهم وأمرهم بالتوكل على الله تعالى (وحكى) أن حاتما الأصم كان رجلا كثير العيال وكان له أولاد ذكور وإناث ولم يكن يملك حبة واحدة وكان قدمه التوكل فجلس ذات ليلة مع أصحابه يتحدث معهم فتعرضوا لذكر الحج فداخل الشوق قلبه ثم دخل على أولاده فجلس معهم يحدثهم ثم قال لهم لو أذنتم لأبيكم أن يذهب الى بيت ربه في هذا العام حاجا ويدعو لكم ماذا عليكم لو فعلتم فقالت زوجته وأولاده

ويكتبون له المسائل الغريبة المضحكة فيكتب الأجوبة من غير توقف ولا يكتب الا مطابقا لما سألوه وكا الوزير المذكور يغرى به جماعة يصنعون له المسائل الهزلية من معان شتى من النوادر (فمن ذلك) ما كتب اليه بعض الفضلاء على سبيل الامتحان ما يقول القاضي أيده الله تعالى في رجل سمى ولده مداما وكناه أبا الندامى وسمى ابنته الراح وكناها أم الأفراح وسمى عبده الشراب وكناه أبا الاطراب وسمى وليدته القهوة وكناها أم النشوة أينهى عن بطالته أم يؤدب على خلاعته (فكتب تحت السؤال) لو نعت هذا لأبي حنيفة لأقعده خليفة وعقد له راية وقاتل تحتها من خالف رأيه وعلمنا مكانه لقبلنا أركانه فان أتبع هذه الاسماء أفعالا وهذه الكنى استعمالا علمنا أنه أحيا دولة المجون وأقام لواء ابن الزرجون فبايعناه وشايعناه وان تكن أسماء سماها ماله بها من سلطان خلعنا طاعته وفرقنا جماعته فنحن الى امام فعال أحوج منا الى امام قوال (وكتب اليه العباس الكاتب) ما يقول القاضي وفقه الله تعالى في يهودي زنى بنصرانية فولدت له ولدا جسمه للبشر ووجهه للبقر وقد قبض عليهما فما يرى القاضي فيهما (فكتب تحت سؤاله بديها) أنت

هذا من اكبر الشهود على الملاعين اليهود فانهم أشربوا حب العجل فى صدورهم حتى خرج من ايورهم وأرى أن يناط رأس
اليهود برأس العجل ويصلب على عنق النصرانية الساق مع الرجل ويسحبان على الأرض وينادى

أنت على هذه الحالة لا تملك شيئا ونحن على ماترى من الفاقة فكيف تريد ذلك ونحن بهذه الحالة وكان له ابنة صغيرة فقالت ماذا عليكم لو أذنتم له ولا يهمكم ذلك دعوه يذهب حيث شاء فانه مناول للرزق وليس برزاق فذكرتهم ذلك فقالوا صدقت والله هذه الصغيرة ياأبانا انطلق حيث أحببت فقام من وقته وساعته وأحرم بالحج وخرج مسافرا وأصبح أهل بيته يدخل عليهم جيرانهم يوبخونهم كيف أذنوا له بالحج وتأسف على فراقه أصحابه وجيرانه فجعل أولاده يلومون تلك الصغيرة ويقولون لو سكت ماتكلمنا فرفعت الصغيرة طرفها إلى السماء وقالت إلهى وسيدى ومولاى عودت القوم بفضلك وأنك لا تضيعهم فلا تخيبهم ولا تخجلنى معهم فبينما هم على هذه الحالة اذ خرج أمير البلدة متصيدا فانقطع عن عسكره وأصحابه فحصل له عطش شديد فاجتاز ببيت الرجل الصالح حاتم الاصم فاستسقى منهم ماء وقرع الباب فقالوا من أنت قال الأمير ببابكم يستسقيكم فرفعت زوجة حاتم رأسها إلى السماء وقالت إلهى وسيدى سبحانك البارحة بتنا جياعا واليوم يقف الامير على بابنا يستسقينا ثم انها أخذت كوزا جديدا وملأته ماء وقالت للمتناول منها اعذرونا فأخذ الامير الكوز وشرب منه فاستطاب الشرب من ذلك الماء فقال هذه الدار لامير فقالوا لا والله بل لعبد من عباد الله الصالحين يعرف بحاتم الاصم فقال الامير لقد سمعت به فقال الوزير ياسيدى لقد سمعت أنه البارحة أحرم بالحج وسافر ولم يخلف لعياله شيئا وأخبرت أنهم البارحة باتوا جياعا فقال الامير ونحن أيضا قد ثقلنا عليهم اليوم وليس من المروءة أن يثقل مثلنا على مثلهم ثم حل الامير منطقته من وسطه ورمى بها فى الدار ثم قال لأصحابه من أحبنى فليلق منطقته فحل جميع أصحابه مناطقهم ورموا بها اليهم ثم انصرفوا فقال الوزير السلام عليكم أهل البيت لآتينكم الساعة بثمن هذه المناطق فلما نزل الامير رجع اليهم الوزير ودفع اليهم ثمن المناطق مالا جزيلا واستردها منهم فلما رأت الصبية الصغيرة ذلك بكت بكاء شديدا فقالوا لها ماهذا البكاء إنما يجب أن تفرحى فان الله قد وسع علينا فقالت ياأم والله إنما بكائى كيف بتنا البارحة جياعا فنظر الينا مخلوق نظرة واحدة فأغنانا بعد فقرنا فالكريم الخالق إذا نظر الينا لا يكلنا إلى أحد طرفة عين اللهم انظر إلى أبينا ودبره بأحسن التدبير هذا ما كان من أمرهم * وأما ما كان من أمر حاتم أبيهم فانه لما خرج محرما ولحق بالقوم توجع أمير الركب فطلبوا له طبيبا فلم يجدوا فقال هل من عبد صالح فدل على حاتم فلما دخل عليه وكلمه دعا له فعوفى الامير من وقته فأمر له بما يركب وما يأكل وما يشرب فنام تلك الليلة مفكرا فى أمر عياله فقيل له فى منامه ياحاتم من أصلح معاملته معنا أصلحنا معاملتنا معه ثم أخبر بما كان من أمر عياله فأكثر الثناء على الله تعالى فلما قضى حجه ورجع تلقته أولاده فعانق الصبية الصغيرة وبكى ثم قال صغار قوم كبار آخرين ان الله لا ينظر إلى أكبركم ولكن ينظر إلى أعرفكم به فعليكم بمعرفته والاتكال عليه فانه من توكل على الله فهو حسبه * ومن كلام الحكماء من أيقن أن الرزق الذى قسم له لا يفوته تعجل الراحة ومن علم أن الذى قضى عليه لم يكن ليخطئه فقد استراح من الجزع ومن علم أن مولاه خير له من العباد فقصده كفاه همه وجمع شمله وفى الحديث عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كنت عند النبى ﷺ يوما فقال ياغلام انى أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن تنفعك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ولو اجتمعت على أن تضرك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك رفعت الصحف وجفت الاقلام (ورفع) إلى الرشيد أن بدمشق

عليهما ظلمات بعضها فوق بعض والسلام

(نادرة لطيفة) ولما خرج أبو جعفر المنصور يريد الحج بالناس قال لعيسى بن موسى الهادى أنت تعلم أن الخلافة صائرة اليك وأريد أن أسلم لك عمى وعمك عبد الله بن على فخذه واقتله وإياك أن تجبن فى أمره ثم مضى المنصور إلى الحج وكتب اليه من الطريق يستحثه على ذلك فكتب اليه قد أنفذت أمر أمير المؤمنين وكان الأمر بخلاف ذلك فلم يشك أبو جعفر أنه قتله ودعا عيسى بن موسى كاتبه يونس فقال له ان المنصور دفع إلى عمه وأمرنى بقتله فقال له يريد أن يقتلك به فانه أمرك بذلك سرا ويدعى به عليك علانية والرأى أن تستره فى منزلك ولا تطلع عليه أحدا فان طلبه منك علانية دفعته اليه علانية ولا تدفعه اليه سرا أبدا ففعل ذلك وقدم المنصور فدس على عمومته من يحركهم أن يسألوا المنصور أن يهب لهم أخاهم عبد الله ففعلوا ذلك وكلموه فأجاب وقال نعم على بعيسى بن

موسى فأتاه فقال ياعيسى كنت دفعت اليك عمى وعمك عبد الله قبل خروجى إلى الحج وأمرتك أن يكون فى منزلك مكرما قال قد فعلت ذلك قال قد كلمنى فيه عمومتك فرأيت الصفح عنه

رجلا من بني أمية عظيم المال والجاه كثير الخيل والجند يخشى على المملكة منه وكان الرشيد يومئذ بالكوفة قال منارة خادم الرشيد فاستدعاني الرشيد وقال اركب الساعة إلى دمشق وخذ معك مائة غلام وائتني بفلان الاموي وهذا كتابي إلى العامل لا توصله له إلا إذا امتنع عليك فاذا أجاب فقيده وعادله بعد أن تحصي جميع ما تراه وما يتكلم به واذكر لي حاله وماله وقد أجلتك لذهابك ستا ولمجيئك ستا ولاقامتك يوما أفهمت قلت نعم قال فسر على بركة الله فخرجت أطوي المنازل ليلا ونهارا لا أنزل الا للصلاة أو لقضاء حاجة حتى وصلت ليلة السابع باب دمشق فلما فتح الباب دخلت قاصدا نحو دار الأموي فاذا هي دار عظيمة هائلة ونعمة طائلة وخدم وحشم وهيبة ظاهرة وحشمة وافرة ومصاطب متسعة وغلمان فيها جلوس فهجمت على الدار بغير اذن فبهتوا وسألوا عني فقيل لهم ان هذا رسول أمير المؤمنين فلما صرت في وسط الدار رأيت أقواما محتشمين فظننت أن المطلوب فيهم فسألت عنه فقيل لي هو في الحمام فأكرموني وأجلسوني وأمروا بمن معي ومن صحبني إلى مكان آخر وأنا أتفقد الدار وأتأمل الأحوال حتى أقبل الرجل من الحمام ومعه جماعة كثيرة من كهول وشبان وحفدة وغلمان فسلم علي وسألني عن أمير المؤمنين فأخبرته أنه بعافية فحمد الله تعالى ثم أحضرت له أطباق الفاكهة فقال تقدم يا منارة كل معنا فتأملت تأملا كثيرا إذ لم يكنني فقلت ما آكل فلم يعاودني ورأيت ما لم أره إلا في دار الخلافة ثم قدم الطعام فوالله ما رأيت أحسن ترتيبا ولا أعطر رائحة ولا أكثر آنية منه فقال تقدم يا منارة فكل قلت ليس لي به حاجة فلم يعاودني ونظرت إلى أصحابي فلم أجد أحدا منهم عندي فخرت لكثرة حفدته وعدم من عندي فلما غسل يديه أحضر له البخور فتبخر ثم قام فصلى الظهر فأتم الركوع والسجود وأكثر من الركوع بعدها فلما فرغ استقبلني وقال ما أقدمك يا منارة فناولته كتاب أمير المؤمنين فقبله ووضعه على رأسه ثم فضه وقرأه فلما فرغ من قراءته استدعى جميع بنيه وخواص أصحابه وغلمانه وسائر عياله فضاقت الدار بهم على سعتها فطار عقلي وما شككت أنه يريد القبض علي فقال الطلاق يلزمه والحج والعتق والصدقة وسائر أيمان البيعة لا يجتمع منكم اثنان في مكان واحد حتى ينكشف أمره ثم أوصاهم على الحريم ثم استقبلني وقدم رجليه وقال هات يا منارة قيودك فدعوت الحداد فقيده وحمل حتى وضع في المحمل وركبت معه في المحمل وسرنا فلما صرنا في ظاهر دمشق ابتدأ يحدثني بانبساط ويقول هذه الضيعة لي تعمل في كل سنة بكذا وكذا وهذا البستان لي وفيه من غرائب الأشجار وطيب الثمار كذا وكذا وهذه المزارع يحصل لي منها كل سنة كذا وكذا فقلت يا هذا ألست تعلم أن أمير المؤمنين أهمه أمرك حتى أنفذني خلفك وهو بالكوفة ينتظرك وأنت ذاهب اليه ما تدري ما تقدم عليه وقد أخرجتك من منزلك ومن بين أهلك ونعمتك وحيدا فريدا وأنت تحدثني حديثا غير مفيد ولا نافع لك ولا سألتك عنه وكان شغلك بنفسك أولى بك فقال إنا لله وإنا اليه راجعون لقد أخطأت فراستي فيك يا منارة ما ظننت أنك عند الخليفة بهذه المكانة إلا لوفور عقلك فاذا أنت جاهل عامي لا تصلح لمخاطبة الخلفاء أما خروجي على ما ذكرت فاني على ثقة من ربي الذي بيده ناصيتي وناصية أمير المؤمنين فهو لا يضر ولا ينفع إلا بمشيئة الله تعالى فان كان قد قضى علي بأمر فلا حيلة لي بدفعه ولا قدرة لي على منعه وان لم يكن قد قدر علي بشيء فلو اجتمع أمير المؤمنين وسائر من على وجه الارض على أن يضروني لم يستطيعوا ذلك إلا باذن الله تعالى ومالي ذنب فأخاف وانما هذا واش وشى عند أمير المؤمنين ببهتان وأمير المؤمنين

فأتى به فقال يا أمير المؤمنين ألم تأمرني بقتله قال لا بل أمرتك بحبسه عندك ثم قال المنصور لعمومته ان هذا قد أقر لكم بقتل أخيكم وادعى اني أمرته بذلك وقد كذب قالوا فادعه الينا نقتله قال شأنكم فاخرجوه إلى صحن الدار واجتمع الناس واشتهر الامر فقام أحدهم وشهر سيفه وتقدم إلى عيسى ليضرب به فقال عيسى لا تعجلوا فان عمي حي ردوني إلى أمير المؤمنين فردوه اليه فقال يا أمير المؤمنين إنما أردت بقتله قتلي هذا عمك حي ان أمرتني بدفعه اليهم دفعته قال ائتنا به فأتى به فجعله في بيت فسقط عليه فمات وكان المنصور قد وضع في أساس البيت ملحا لما شرع في عمارته وأعده لهذا المعنى وللمجلس فيه عمه أجرى الماء في أساس البيت سرا بحيث لا يشعر به أحد فذاب الملح وسقط البيت وركب المنصور بعد موت عمه وفي خدمته عباس ابن المتوفى وكان يباسطه في كل وقت فقال له المنصور وهو يحادثه هل تعرف ثلاثة في أول أسمائهم عين قتلوا ثلاثة في أول أسمائهم عين قال لا أعرف الا ما تقول العامة يا أمير المؤمنين ان عليا قتل عثمان وكذبوا والله وعبد الملك ابن مروان قتل عبد الله ابن الزبير وسقط البيت على عم أمير المؤمنين قال فضحك المنصور وقال اذا سقط البيت على عمي فما ذنبي قال قلت مالك ذنب يا أمير المؤمنين وقتل عبد الله كان بسبب البيعة التي تقدمت له مع السفاح وشرحها يطول انتهى ونقلت من خط قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان ما صورته

كامل

كامل العقل فاذا اطلع على براءتى فهو لا يستحل مضرتى وعلى عهد الله لا كلمتك بعدها إلا جوابا ثم أعرض عنى وأقبل على التلاوة ومازال كذلك حتى وافينا الكوفة بكرة اليوم الثالث عشر واذا النجب قد استقبلتنا من عند أمير المؤمنين تكشف عن أخبارنا فلما دخلت على الرشيد قبلت الأرض فقال هات يامنارة أخبرنى من يوم خروجك عنى إلى يوم قدومك على فابتدأت أحدثه بأمورى كلها مفصلة والغضب يظهر فى وجهه فلما انتهيت الى جمعه لأولاده وغلمانه وخواصه وضيق الدار بهم وتفقدى لأصحابى فلم أجد منهم أحداً اسود وجهه فلما ذكرت يمينه عليهم تلك الايمان المغلظة تهلل وجهه فلما قلت انه قدم رجليه اسفر وجهه واستبشر فلما أخبرته بحديثى معه فى ضياعه وبساتينه وماقلت له وماقال لى قال هذا رجل محسود على نعمته ومكذوب عليه وقد أزعجناه وأرعبناه وشوشنا عليه وعلى أولاده وأهله اخرج اليه وانزع قيوده وفكه وأدخله على مكرما مافعلت فلما دخل قبل الأرض فرحب به أمير المؤمنين وأجلسه واعتذر اليه فتكلم بكلام فصيح فقال له أمير المؤمنين سل حوائجك فقال سرعة رجوعى إلى بلدى وجمع شملى بأهلى وولدى قال هذا كائن فسل غيره قال عدل أمير المؤمنين فى عماله ما أحوجنى إلى سؤال قال فخلع عليه أمير المؤمنين ثم قال يامنارة اركب الساعة معه حتى ترده إلى المكان الذى أخذته منه قم فى حفظ الله وودائعه ورعايته ولا تقطع أخبارك عنا وحوائجك فانظر إلى حسن توكله على خالقه فانه من توكل عليه كفاه ومن دعاه لباه ومن سأله أعطاه ما تمناه وروى أن هذه الكلمات وجدها كعب الاحبار مكتوبة فى التوراة فكتبها وهى يا ابن آدم لا تخافن من ذى سلطان مادام سلطانى باقيا وسلطانى لا ينفد أبداً يا ابن آدم لا تخش من ضيق الرزق مادامت خزائنى ملآنة وخزائنى لا تنفد أبدا يا ابن آدم لا تأنس بغيرى وأنا لك فان طلبتنى وجدتنى وان أنست بغيرى فتك وفاتك الخير كله يا ابن آدم خلقتك لعبادتى فلا تلعب وقسمت رزقك فلا تتعب وفى أكثر منه فلا تطمع ومن أقل منه فلا تجزع فان أنت رضيت بما قسمته لك أرحت قلبك وبدنك كنت عندى محمودا وان لم ترض بما قسمته لك فوعزتى وجلالى لأسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحوش فى البر ولا ينالك منها إلا ماقد قسمته لك وكنت عندى مذموما يا ابن آدم خلقت السموات السبع والارضين السبع ولم أعى بخلقهن أيعيينى رغيف أسوقه لك من غير تعب يا ابن آدم أنا لك محب فبحقى عليك كن لى محبا يا ابن آدم لا تطالبنى برزق غد كما لا أطالبك بعمل غد فانى لم أنس من عصانى فكيف من أطاعنى وأنا على كل شىء قدير وبكل شىء محيط (قال الشاعر)

وما ثم إلا الله فى كل حالة * فلا تتكل يوما على غير لطفه
فكم حالة تأتى ويكرهها الفتى * وخيرته فيها على رغم أنفه

ولمؤلفه رحمه الله تعالى

توكل على الرحمن فى الامر كله * فما خاب حقا من عليه توكلا
وكن واثقا بالله واصبر لحكمه * تفز بالذى ترجوه منه تفضلا

﴿الفصل الثانى فى القناعة والرضا بما قسم الله تعالى﴾ جاء فى تفسير قوله تعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة أن المراد بها القناعة وقال صلى الله عليه وسلم القناعة مال لا ينفد وقيل يارسول الله ما القناعة قال الاياس مما فى أيدى الناس واياكم والطمع فانه الفقر الحاضر وكان سيدنا عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه من القناعة بالجانب الاوفر وانه كان يشتهى الشىء فيدافعه سنة قال الكندى

العبد حر ما قنع * والحر عبد ماطمع

نقلت من خط القاضى كمال الدين بن العديم من مسودة تاريخه أن ابن الدقاق البلنسى الشاعر المشهور كان يسهر الليل ويشتغل الأدب وكان أبوه حداداً فقيراً فلامه وقال ياولدى نحن فقراء ولاطاقة لنا بالزيت الذى تسهر عليه فاتفق أنه برع فى العلم والأدب وقال الشعر وعمل فى أبى بكر بن عبد العزيز صاحب بلنسية قصيدة مطربة أولها

ياشمس خدر مالها مغرب
وبدر تم قط لا يحجب

وقال منها

ناشدتك الله نسيم الصبا
أين استقرت بعد نار يذب
لم تسر إلا بشذا عرفها
أولا فماذا النفس الطيب

فاطلق له ثلثمائة دينار فجاء إلى أبيه وهو جالس فى حانوته منكب على صنعته فوضعها فى حجره وقال خذ هذه وابتع بها زيتا انتهى (حكى عن عبد العزيز بن الفضل) قال خرج القاضى أبو العباس احمد بن عمر بن شريح وأبو بكر بن داود وأبو عبد الله نفطويه إلى وليمة فأفضى بهم الطريق إلى مكان ضيق فأراد كل منهم تقديم صاحبه عليه فقال ابن شريح ضيق الطريق يورث سوء الأدب فقال ابن داود لكنه تعرف به مقادير الرجال فقال نفطويه إذا استحكمت المودة بطلت التكاليف (وحكى عن شريح جد أبى العباس المشهور بالصلاح الوافر) أنه كان أعجميا لا يعرف بلسان العرب شيئا فاتفق له أنه رأى البارى عز وجل فى النوم فحادثه وقال ياشريح طلبكن فقال ياخدادى سار بسار وهذا لفظ أعجمى معناه بالعربى ياشريح اطلب فقال يارب رأسا برأس

كما قال رضيت أن أخلص راسا برأس (ومن لطائف المنقول) أنه كان بالعقبة ظاهر دمشق المحروسة خان تجمع فيه أسباب الملاذ و يتفق فيه من الفسوق (٦٨) والفجور ما لا يحد ولا يوصف فرجع ذلك إلى أبي الفتح موسى بن أبي بكر العادل

وقال بشر بن الحرث خرج فتى في طلب الرزق فبينما هو يمشي فأعيا فأوى إلى خراب يستريح فيه فبينما هو يدير بصره إذ وقعت عيناه على أسطر مكتوبة على حائط فتأملها فاذا هي

انى رأيتك قاعدا مستقبلي * فعلمت انك للهموم قرين

هون عليك وكن بربك واثقا * فاخو التوكل شأنه التهوين

طرح الأذى عن نفسه في رزقه * لما تيقن أنه مضمون

قال فرجع الفتى إلى بيته ولزم التوكل وقال اللهم أدبنا أنت قال الجاحظ انما خالف الله تعالى بين طبائع الناس ليوفق بينهم في مصالحهم ولولا ذلك لاختاروا كلهم الملك والسياسة والتجارة والفلاحة وفي ذلك بطلان المصالح وذهاب المعايش فكل صنف من الناس مزين لهم ما هم فيه فالحائك إذا رأى من صاحبه تقصيراً أو خلفاً قال ويلك يا حجام والحجام إذا رأى مثل ذلك من صاحبه قال ويلك يا حائك فجعل الله تعالى الاختلاف سببا للائتلاف فسبحانه من مدبر قادر حكيم ألا ترى الى البدوي في بيت من قطعة خيش معمد بعظام الجيف كلبه معه في بيته لباسه شملة من وبر أو شعر ودواؤه بعر الابل وطيبه القطران وبعر الظباء وحلي زوجته الودع وثماره المقل وصيده اليربوع وهو في مفازة لا يسمع فيها الاصوت بومة وعواء ذئب وهو قانع بذلك مفتخر به وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه يا بني إذا طلبت الغنى فاطلبه في القناعة فانها مال لا ينفد وإياك والطمع فانه فقر حاضر وعليك باليأس فانك لم تيأس من شيء إلا أغناك الله عنه وأصاب داود الطائي فاقة كبيرة فجاءه حماد بن أبي حنيفة رضي الله عنه بأربعمائة درهم من تركة أبيه وقال هي من مال رجل ما أقدم عليه أحدا في زهده وورعه وطيب كسبه فقال لو كنت أقبل من أحد شيئا لقبلتها تعظيما للميت وإكراما للحي ولكني أحب أن أعيش في عز القناعة وقال عيسى عليه الصلاة والسلام اتخذوا البيوت منازل والمساجد مساكن وكلوا من بقل البرية واشربوا من الماء القراح واخرجوا من الدنيا بسلام وأنشد المبرد

ان ضن زيد بما في بطن راحته * فالأرض واسعة والرزق مبسوط

ان الذى قدر الأشياء بحكمته * لم ينسني قاعداً والرحل محطوط

قال لي عبد الواحد بن زيد ما أحسب أن شيئا من الأعمال يتقدم الصبر الا الرضا ولا أعلم درجة أرفع من الرضا وهو رأس المحبة قيل له متى يكون العبد راضيا عن ربه قال إذا سرته المصيبة كما تسره النعمة وكان عبد الله بن مرزوق من ندماء المهدي فسكر يوما ففاتته الصلاة فجاءته جارية له بجمرة فوضعتها على رجله فانتبه مذعوراً فقالت له إذا لم تصبر على نار الدنيا فكيف تصبر على نار الآخرة فقام فصلى الصلوات وتصدق بما يملكه وذهب يبيع البقل فدخل عليه فضيل وابن عيينة فاذا تحت رأسه لبنة وما تحت جنبه شيء فقالا له انه لم يدع أحد شيئا لله إلا عوضه الله منه بديلا فما عوضك عما تركت له قال الرضا بما أنا فيه وقال الثوري ما وضع أحد يده في قصعة غيره الا ذل له وقال الفضيل من رضي بما قسم الله بارك الله له فيه وكان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول الشمس في الشتاء جلالي ونور القمر سراجي وبقل البرية فاكهتي وشعر الغنم لباسي أبيت حيث يدركني الليل ليس لي ولد يموت ولا بيت يخرب أنا الذى كببت الدنيا على وجهها

ان القناعة من يحلل بساحتها * لم يلق في ظلها هما يؤرقه

(وقال) عيسى عليه الصلاة والسلام انظروا الى الطير تغدو وتروح ليس معها شيء من أرزاقها لا تحرث ولا تحصد والله يرزقها فان زعمتم انكم أكبر بطونا من الطير فهذه الوحوش والبقر والحمر لا تحرث ولا

ابن أيوب الملقب بالاشرف فهدمه وعمره جامعا وسماه الناس جامع التوبة كأنه تاب إلى الله وأناب مما كان فيه وجرت في خطابته نكتة لطيفة وهو أنه كان بمدرسة الشام التي خارج البلد امام يعرف بالجمال قيل انه كان في زمان صباه يلعب بشيء من الملاهي وهي التي تسمى الجغانة ولما كبر حسنت طريقته وعاشر العلماء وأهل الصلاح حتى صار معدودا في الاخيار فلما احتاج الجامع المذكور إلى خطيب رشح جانبه للخطابة لكثرة الثناء عليه فتولاها فلما توفي تولى بعده العماد الواسطي الواعظ وكان متهما باستعمال الشراب وكان صاحب دمشق يومئذ الملك الصالح عماد الدين اسمعيل بن العادل أيوب فكتب اليه الجمال عبد الرحيم المعروف بابن رويتية أبياتا وهي هذه

يا مليكا اوضح الحق لدينا وأبانه

جامع التوبة قد حمـ ـلني منه أمانه

قال قل للملك الصا لح أعلى الله شانه

يا عماد الدين يا من * حمد الناس زمانه

لى خطيب واسطى * يعشق الشرب ديانه

كم الى كم أنا في بؤ * س وضر واهانه

والذى قد كان من قبـ * ـل يغني بجغانه

فكما نحن وما زلـ * ـنا ولا أبرح حانه

تحصد

قصده الله برزقها * وقيل وفد عروة بن أذينة على هشام بن عبد الملك فشكا اليه خلته فقال له ألست القائل

لقد علمت وما الاسراف من خلقي * أن الذي هو رزقي سوف يأتيني
أسعى اليه فيعييني تطلبه * ولو قعدت أتاني ليس يعييني

وقد جئت من الحجاز الى الشام في طلب الرزق فقال يا أمير المؤمنين لقد وعظت فابلغت وخرج فركب ناقته وكر الى الحجاز راجعا فلما كان من الليل نام هشام على فراشه فذكر عروة فقال في نفسه رجل من قريش قال حكمة ووفد على فجبهته ورددته خائبا فلما أصبح وجه اليه بألفي دينار فقرع عليه الرسول باب داره بالمدينة وأعطاه المال فقال أبلغ أمير المؤمنين مني السلام وقل له كيف رأيت قولي سعيت فأكديت فرجعت فأتاني رزقي في منزلي ولما ولي عبد الله بن عامر العراق قصده صديقان له أنصاري وثقفي فلما سارا تخلف الانصاري وقال الذي أعطى ابن عامر العراق قادر على أن يعطيني فوفد الثقفي وقال احوز الحظين فلما دخل على عبد الله بن عامر قال له ما فعل زميلك الانصاري قال رجع الى أهله فأمر للثقفي بأربعة آلاف دينار و بعث الى الانصاري بثمانية آلاف دينار فخرج الثقفي وهو يقول

فوالله ما حرص الحريص بنافع * فيغني ولا زهد القنوع بضائر * خرجنا جميعا من مساقط روسنا
على ثقة منا بجود ابن عامر * فلما أنخنا الناجعات ببابه * تخلف عني اليثربي ابن جابر
وقال ستكفيني عطية قادر * على ما يشاء اليوم للخلق قاهر * فان الذي أعطى العراق ابن عامر
لربي الذي أرجو لسد مفاقري * فقلت خلالي وجهه ولعله * سيجعل لي حظ الفتى المتزاور
فلما رآني سال عنه صبابة * اليه كما حنت ظؤار الاباعر
فأبت وقد أيقنت أن ليس نافعا * ولا ضائري شيء خلاف المقادر

قيل أوحى الله تعالى الى موسى صلوات الله وسلامه عليه أتدري لم رزقت الاحمق قال لا يارب قال ليعلم العاقل أن طلب الرزق ليس بالاحتيال ولبعض العرب

ولا تجزع إذا أعسرت يوما * فقد أيسرت في الزمن الطويل * ولا تظنن بربك ظن سوء
فان الله أولى بالجميل * وان العسر يتبعه يسار * وقول الله أصدق كل قيل
فلو أن العقول تسوق رزقا * لكان المال عند ذوي العقول

وأوحى الله تعالى الى يوسف عليه الصلاة والسلام انظر الى الارض فنظر اليها فانفجرت فرأى دودة على صخرة ومعها الطعام فقال له أتراني لم أغفل عنها وأغفل عنك وأنت نبي وابن نبي ودخل علي بن أبي طالب رضي الله عنه المسجد وقال لرجل كان واقفا على باب المسجد أمسك على بغلتي فأخذ الرجل لجامها ومضى وترك البغلة فخرج علي وفي يده درهمان ليكافيء بهما الرجل على امساكه بغلته فوجد البغلة واقفة بغير لجام فركبها ومضى ودفع لغلامه درهمين يشتري بهما لجاما فوجد الغلام اللجام في السوق قد باعه السارق بدرهمين فقال علي رضي الله عنه ان العبد ليحرم نفسه الرزق الحلال بترك الصبر ولا يزداد على ما قدر له وقيل لراهب من أين تأكل فأشار الى فيه وقال الذي خلق هذه الرحى يأتيها بالطحين وقال سلم بن المهاجر الجيلي

كسوت جميل الصبر وجهي فصانه * به الله عن غشيان كل بخيل * فما عشت لم آت البخيل ولم أقم

للنمط الاول واستبق زمانه (ومن لطائف المنقول) أن بثينة وعزة دخلتا على عبد الملك بن مروان فانحرف الى عزة وقال أنت عزة كثير قالت لست لكثير بعزة لكنني أم بكر قال أتروين قول كثير

وقد زعمت اني تغيرت بعدها * ومن ذا الذي يا عز لا يتغير

قالت لست أروي هذا ولكنني أروي قوله

كأني أنادي أو أكلم صخرة * من الصم لو تمشي بها العصم زلت

ثم انحرف الى بثينة فقال أنت بثينة جميل قالت نعم يا أمير المؤمنين قال ما الذي رأى فيك جميل حتى لهج بذكرك من بين نساء العالمين قالت الذي رأى الناس فيك فجعلوك خليفتهم قال فضحك حتى بدا له ضرس أسود ولم ير قبل ذلك وفضل بثينة على عزة في الجائزة ثم أمرهما أن يدخلا على عاتكة فدخلتا عليها فقالت لعزة أخبريني عن قول كثير

قضى كل ذي دين فوفى غريمه * وعزة ممطول معنى غريمها

ما كان دينه وما كنت وعدتيه قالت كنت وعدته قبلة ثم تأثمت منها قالت عاتكة وددت أنك فعلت وأنا كنت تحملت اثمها عنك ثم ندمت عاتكة واستغفرت الله تعالى وأعتقت عن هذه الكلمة أربعين رقبة انتهى (و يعجبني قول أسامة بن منقذ في ابن أطليب المصري وقد احترقت داره)

انظر الى الايام كيف تسوقنا * قسرا الى الاقرار بالاقدار

ما أوقد ابن طليب قط بداره ۞ نارا وكان حريقها بالنار ۞ قلت ومما يناسب هذه الواقعة ان الوجيه بن صـ
المصري دلال الكتب بمصر كان له دار موصوفة بالحسن فاحترقت فعمل فيها نشو الملك المعروف بابن المـ

على بابه يوما مقام ذليل ۞ وان قليلا يستر الوجه أن يرى ۞ الى الناس مبذولا لغير قليل
وصلى معروف الكرخي خلف إمام فلما فرغ من صلاته قال الامام لمعروف من أين تأكل قال اصـ
حتى أعيد صلاتي التي صليتها خلفك قال ولم قال لان من شك في رزقه شك في خالقه وقال ابو حازم ما
يكتب لي لو ركبت الريح ما أدركته وقال عمر بن أبي عمر اليوناني

غلا السعر في بغداد من بعد رخصه ۞ واني في الحالين بالله واثق
فلست أخاف الضيق والله واسع ۞ غناه ولا الحرمان والله رازق

وقال القهستاني غنى بلا دنيا عن الخلق كلهم ۞ وان الغنى الاعلى عن الشيء لا به
وقال منصور الفقيه الموت أسهل عندي ۞ بين القنا والاسنه ۞ والخيل تجرى سراعا
مقطعات الأعنه ۞ من أن يكون لنذل ۞ على فضل ومنه
(وأنشد اعرابي) أيا مالك لا تسأل الناس والتمس ۞ بكفيك فضل الله فالله أوسع
ولو تسأل الناس التراب لأوشكوا ۞ إذا قيل هاتوا أن يملوا و يمنعوا
وقال رجل لرسول الله ﷺ أوصني قال عليك باليأس مما في أيدي الناس واياك والطمع فانه فقر
حاضر وقيل إذا وجدت الشيء في السوق فلا تطلبه من صديقك وقيل لاعرابية من أين معاشكم قالت
لو لم نعش الامن حيث نعلم لم نعش وقال أعرابي أحسن الاحوال حال يغبطك بها من دونك ولا
يحقرك معها من فوقك
وقال المعري إذا كنت تبغي العيش فابغ توسطا ۞ فعند التناهي يقصر المتطاول
توقى البدور النقص وهي أهلة ۞ ويدركها النقصان وهي كوامل
(وقال آخر) اقنع بايسر رزق أنت نائله ۞ واحذر ولا تتعرض للارادات
فما صفا البحر الا وهو منتقص ۞ ولا تعكر الا في الزيادات
وقال أعرابي استظهر على الدهر بخفة الظهر قال هشام بن ابراهيم البصري
وكم ملك جانبته عن كراهة ۞ لاغلاق باب أو لتشديد حاجب
ولي في غني نفسي مراد ومذهب ۞ إذا انصرفت عني وجوه المذاهب
وقيل ينبغي أن يكون المرء في دنياه كالمدعو الى الوليمة ان أتته صحفة تناولها وان لم تأته لم يرصدها ولم
يطلبها وقال شقيق بن ابراهيم البلخي قال لي ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى أخبرني عما أنت عليه
قلت ان رزقت أكلت وان منعت صبرت قال هكذا تعمل كلاب بلخ فقلت كيف تعمل أنت
قال ان رزقت آثرت وان منعت شكرت وقال بعضهم
هي القناعة فالزمها تعش ملكا ۞ لو لم يكن منك الا راحة البدن
وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها ۞ هل راح منها بغير القطن والكفن
(وقال آخر) وان القناعة كنز الغنى ۞ فصرت بأذيالها ممتسك ۞ فلا ذا يراني على بابه
ولا ذا يراني له منهمك ۞ فصرت غنيا بلا درهم ۞ أمر على الناس شبه الملك
جاء فتح الموصلي الى أهله بعد العتمة فلم يجد عندهم شيئا للعشاء ووجدهم بغير سراج فجلس ليلته يبكي
من الفرح و يقول بأي يد كانت مني تركت مثلي على هذه الحالة والله تعالى أعلم

﴿ الفصل الثالث في ذم الحرص والطمع وطول الأمل ﴾ قال الله تعالى ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر

أقول وقد عاينت دار ابن صورة
وللنار فيها مارج يتضرم
كذا كل مال أصله من نهاوش
فعما قليل في نهابر يعدم
وما هو الا كافر طال عمره
فجاءته لما استبطأته جهنم
قلت وهذه اللطائف تضارع قصة أبي الحسين الجزار مع بعض أهل الأدب بمصر وكان شيخنا قد ظهر عليه جرب فالتطخ بالكبريت فلما سمع أبو الحسين الجزار بذلك كتب اليه
أيها السيد الاديب دعاء
من محب خال عن التنكيت
أنت شيخ وقد قربت من النا
ر فكيف ادهنت بالكبريت
(قيل) إن أبا القاسم الزعفراني مدح الصاحب ابن عباد بقصيدة نونية وانتهى إلى قوله منها
وحاشية الدار يمشون في ۞
صنوف من الخز إلا أنا
فقال الصاحب قرأت في أخبار معن بن زائدة الشيباني أن رجلا قال له احملني أيها الأمير فأمر له
بناقة وفرس و بغل وحمار وجارية ثم قال لو علمت أن الله سبحانه وتعالى خلق مركوبا غير هذا ۞ وروى
لحملتك عليه وقد أمرنا لك من الخز بجبة وقميص وعمامة ودراعة وسراويل ومنديل ومطرف ورداء وكساء وجورب وكيس

علمنا لباسا من الخز لأعطيناكه (و بلغ) حديث معن المذكور للعلاء بن أيوب فقال رحم الله ابن زائدة لو كان أن الغلام يركب لأمر له به ولكنه كان عربيا خالصا لم يدنس

بقاذورات الاعاجم انتهى (قيل) ن

روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر قال يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت ولبست فأبليت وتصدقت فأمضيت وروى عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ياعائشة ان أردت اللحوق بي فليكفك من الدنيا كزاد الراكب واياك ومجالسة الأغنياء ولا تستخلقي ثوبا حتى ترقعيه وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين وهلاك آخر هذه الأمة بالبخل والأمل وقيل الحرص ينقص من قدر الانسان ولا يزيد في رزقه وقيل لحكيم مابال الشيخ أحرص على الدنيا من الشاب قال لانه ذاق من طعم الدنيا مالم يذقه الشاب وما أحسن ماقال بعضهم

إذا طاوعت حرصك كنت عبداً * لكل دنيئة تدعى اليها

(وقال آخر وأجاد)

قد شاب رأسى ورأس الدهر لم يشب * ان الحريص على الدنيا لفى تعب

وقيل للاسكندر ماسرور الدنيا قال الرضا بما رزقت منها قيل فما غمها قال الحرص عليها وقال الحسن لو رأيت الاجل ومروره لنسيت الأمل وغروره وقال أبو سعيد الخدري رضى الله عنه اشترى أسامة بن زيد وليدة بمائة دينار الى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا تعجبون من أسامة اشترى الى شهران أسامة لطويل الامل وقال ابن عباس رضى الله عنهما كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يخرج فيبول ثم يمسح بالتراب فأقول ان الماء منك قريب فيقول مايدريني لعلى ما أبلغه وعن أبي هريرة رضى الله عنه يرفعه لايزال الكبير شابا في اثنين حب المال وطول الامل وقيل لمحمد بن واسع كيف تجدك قال قصير الاجل طويل الامل مسيء العمل وقيل من جرى في عنان امله كان عاثرا بأجله لو ظهرت الآجال لافتضحت الآمال ولقد أحسن أبو العباس أحمد بن مروان في قوله

وذى حرص تراه يلم وفراً * لوارثه ويدفع عن حماه

ككلب الصيد يمسك وهو طاو * فريسته ليأكلها سواه

ولقد أحسن من قال فى الجناس الحقيقى

إذا ماانا زعتك النفس حرصا * فأمسكها عن الشهوات أمسك

ولا تحرص ليوم أنت فيه * وعد فرزق يومك رزق أمسك

ومن كلام الحكماء اياكم وطول الامل فان من ألهاه أمله أخزاه عمله قال عبد الصمد بن المعدل

ولى أمل قطعت به الليالى * أرانى قد فنيت به وداما

قال الحسن اياكم وهذه الامانى فانه لم يعط أحد بالأمنية خيرا قط فى الدنيا ولا فى الآخرة (قال قس بن ساعدة)

وماقد تولى فهو لاشك فائت * فهل ينفعنى ليتنى ولعلنى

(وقال آخر) ولا تتعلل بالامانى فانها * عطايا أحاديث النفوس الكواذب

(وقال آخر وأجاد) الله أصدق والآمال كاذبة * وجل هذى المنى فى الصدر وسواس

(وقال آخر) شط المزار بسعدى وانتهى الامل * فلا خيال ولا رسم ولا طلل

الارجاء فما ندرى أندركه * أم يستمر فيأتى دونه الاجل

(وقال أبو العتاهية) لقد لعبت وجد الموت فى طلبى * وان فى الموت لى شغلا عن اللعب

بيوت الشعر أربعة فخر ومديح وهجاء ونسيب وكان جرير أفحل شعراء الاسلام فى الاربعة

(فالفخر قوله)

اذا غضبت عليك بنو تميم
حسبت الناس كلهم غضابا

(والمديح قوله)

ألستم خير من ركب المطايا
وأندى العالمين بطون راح

(والهجاء قوله)

فغض الطرف انك من نمير
فلا كعبا بلغت ولا كلابا

(والنسيب قوله)

ان العيون التى فى طرفها حور
قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لاحراك به
وهن أضعف خلق الله انسانا

(وقال أبو عبيدة)

التقى جرير والفرزدق بمنى وهما حاجان فقال الفرزدق لجرير

فانك لاق بالمنازل من منى
فخاراً فأخبرنى بما أنت فاخر

فقال له جرير بلبيك اللهم لبيك قال أبو عبيدة أصحابنا يستحسنون هذا الجواب من جرير ويعجبون منه (قيل) لما استخلف عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وفد الشعراء اليه وأقاموا ببابه أياما لايؤذن لهم فبينما هم كذلك اذ مربهم رجاء بن حيوة وكان جليس عمر

لو شمرت فكرتى فيما خلقت له * مااشتدحرصي على الدنيا ولاطلبي

(وله أيضا) تعالى الله ياسلم بن عمرو * أذل الحرص أعناق الرجال

هب الدنيا تقاد إليك عفوا * أليس مصير ذلك الزوال

﴿وقد ضمنت البيت الاخير فقلت﴾

أيامن عاش فى الدنيا طويلا * وأفنى العمر فى قيل وقال * وأتعب نفسه فيما سيفنى

وجمع من حرام أو حلال * هب الدنيا تقاد إليك عفواً * أليس مصير ذلك للزوال

(ومما جاء فى الطمع وذمه) قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع وقال رضى الله عنه ماالخمر صرفا بأذهب لعقول الرجال من الطمع وفى الحديث اياك والطمع فانه الفقر الحاضر وقال فيلسوف العبيد ثلاثة عبدرق وعبد شهوة وعبد طمع وقال بعضهم من أراد أن يعيش حراً أيام حياته فلا يسكن قلبه الطمع * وقيل اجتمع كعب وعبدالله بن سلام فقال له كعب يا ابن سلام من أرباب العلم قال الذين يعملون به قال فما أذهب العلم عن قلوب العلماء بعد ان علموه قال الطمع وشره النفس وطلب الحوائج الى الناس * واجتمع الفضل وسفيان وابن كريمة اليربوعي فتواصوا ثم افترقوا وهم مجمعون على أن أفضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع وقيل لما خلق الله آدم عليه السلام عجن بطينته ثلاثة أشياء الحرص والطمع والحسد فهى تجرى فى أولاده الى يوم القيامة فالعاقل يخفيها والجاهل يبديها ومعناه أن الله تعالى خلق شهوتها فيه قال اسمعيل بن قطرى القراطيسى

حسبي بعلمي ان نفع * ماالذل إلا فى الطمع * من راقب الله نزع

عن سوء ما كان صنع * ماطار طير وارتفع * الا كما طار وقع

(وقال سابق البربرى)

يخادع ريب الدهر عن نفسه الفتى * سفاها وريب الدهر عنها يخادعه

ويطمع فى سوف ويهلك دونها * وكم من حريص أهلكته مطامعه

وقيل لاشعب ما بلغ من طمعك قال أرى دخان جارى فأفت خبزى وقال أيضا مارأيت رجلين يتساران فى جنازة الا قدرت ان الميت أوصى لى بشىء من ماله ومازفت عروس الا كنست بيتى رجاء أن يغلطوا فيدخلوا بها إلى قال بعضهم

لاتغضبن على امرىء * لك مانع مافى يديه

واغضب على الطمع الذى استدعاك تطلب مالديه

والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الحادى عشر فى المشورة والنصيحة والتجارب والنظر فى العواقب﴾

قال الله تعالى لنبيه ﷺ وشاورهم فى الامر واختلف أهل التأويل فى أمره بالمشاورة مع ما أمده الله تعالى من التوفيق على ثلاثة أوجه أحدها أنه أمره بها فى الحرب ليستقر له الرأى الصحيح فيعمل عليه وهذا قول الحسن ثانيها أنه أمره بالمشاورة لما علم فيها من الفضل وهذا قول الضحاك ثالثها أنه أمره بمشاورتهم ليستن به المسلمون وان كان فى غنية عن مشورتهم وهذا قول سفيان وقال ابن عيينة كان رسول الله ﷺ إذا أراد أمرا شاور فيه الرجال وكيف يحتاج الى مشاورة المخلوقين من الخالق مدبر أمره ولكنه تعليم منه ليشاور الرجل الناس وان كان عالما وقال عليه الصلاة والسلام

فلما رآه جرير داخلا قام اليه وأنشده يا أيها الرجل المرخى عمامته هذا زمانك فاستأذن لنا عمراً فدخل عليه ولم يذكر له شيئا من أمرهم ثم مر بهم عدى بن أرطاة فقال جرير أبياتا آخرها قوله لاتنس حاجتنا لقيت مغفرة قد طال مكثى عن أهلى وأوطانى قال فدخل عدى على عمر فقال ياأمير المؤمنين الشعراء ببابك وسهامهم مسمومة وأقوالهم نافذة قال ويحك ياعدى مالى وللشعراء قال أعز الله أمير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امتدح وأعطى ولك فى رسول الله عليه الصلاة والسلام أسوة حسنة قال كيف قال امتدحه العباس ابن مرداس السلمى فأعطاه حلة فقطع بها لسانه قال أوتروى من قوله شيئا قال نعم قوله

رأيتك ياخير البرية كلها نشرت كتابا جاء بالحق معلما

شرعت لنا دين الهدى بعد جورنا عن الحق لما أصبح الحق مظلماً

ونورت بالبرهان أمراً مدلسا وأطفأت بالاسلام ناراً تضرما

فمن مبلغ عنى النبي محمداً وكل امرىء يجزى بما كان قدما

أقمت سبيل الحق بعد اعوجاجه وكان قديما ركنه قد تهدما

فقال عمر ويلك ياعدي ماخاب من بالباب منهم قال عمر بن أبى ربيعة قال أليس هو الذى يقول

ثم نبهتها فمدت كعابا طفلة ماتبين رجع الكلام

ساعة ثم انها بعد قالت * و يلنا قد عجلت يا ابن الكرام * فلو كان عدو الله اذ فجر كتم على نفسه لكان أستر له لا يدخل والله على أبدا فمن بالباب سواه قال الفرزدق قال أو ليس الذي يقول هما دلياني من ثمانين قامة

ماخاب من استخار ولا ندم من استشار ولا افتقر من اقتصد وقال عليه الصلاة والسلام من أعجب برأيه ضل ومن استغنى بعقله زل وكان يقال ما استنبط الصواب بمثل المشاورة وقال حكيم المشورة موكل بها التوفيق لصواب الرأى * وقال الحسن الناس ثلاثة فرجل رجل ورجل نصف رجل ورجل لا رجل فأما الرجل الرجل فذو الرأى والمشورة وأما الرجل الذى هو نصف رجل فالذى له رأى ولا يشاور وأما الرجل الذى ليس برجل فالذى ليس له رأى ولا يشاور وقال المنصور لولده خذ عنى ثنتين لا تقل فى غير تفكير ولا تعمل بغير تدبير وقال الفضل المشورة فيها بركة وانى لاستشير حتى هذه الحبشية الاعجمية وقال اعرابى لامال أوفر من العقل ولا فقر أعظم من الجهل ولا ظهر أقوى من المشورة وقيل من بدأ بالاستخارة وثنى بالاستشارة فحقيق أن لا يخيب رأيه وقيل الرأى السديد أحمى من البطل الشديد (قال أبو القاسم النهروندى)

وما ألف مطرور السنان مسدد * يعارض يوم الروع رأيا مسددا

وقال على رضى الله عنه خاطر من استغنى برأيه وسمع محمد بن داود وزير المأمون قول القائل

اذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة * فان فساد الرأى أن يترددا

فأضاف اليه قوله وان كنت ذا عزم فانفذه عاجلا * فان فساد العزم أن يتقيدا

ولمحمد بن أدريس الطائى ذهب الصواب برأيه فكانما * آراؤه اشتقت من التأييد

فاذا دجا خطب تبلج رأيه * صبحا من التوفيق والتسديد

(ولمحمد الوراق) ان اللبيب اذا تفرق أمره * فتق الأمور مناظرا ومشاورا

وأخو الجهالة يستبد برأيه * فتراه يعتسف الامور مخاطرا

وقال الرشيد حين بدا له تقديم الامين على المأمون فى العهد

لقد بان وجه الرأى لى غير أننى * عدلت عن الامر الذى كان أحزما * فكيف يرد الدر فى الضرع بعد ما توزع حتى صار نهبا مقسما * أخاف التواء الامر بعد استوائه * وان ينقض الحبل الذى كان أبرما

(وقال آخر) خليلى ليس الرأى فى جنب واحد * أشيرا على اليوم ما تريان

(ووصف) رجل عضد الدولة فقال له وجه فيه ألف عين وفم فيه ألف لسان وصدر فيه ألف قلب وقال اردشير بن بابك أربعة تحتاج الى أربعة الحسب الى الادب والسرور الى الامن والقرابة الى المودة والعقل الى التجربة وقال لا تستحقر الرأى الجزيل من الرجل الحقير فان الدرة لا يستهان بها لهوان غائصها وقال جعفر بن محمد لا تكونن أول مشير واياك والرأى الخطير وتجنب ارتجال الكلام ولا تشيرن على مستبد برأيه ولا على متلون ولا على لجوج وقيل ينبغى أن يكون المستشار صحيح العلم مهذب الرأى فليس كل عالم يعرف الرأى الصائب وكم ناقد فى شىء ضعيف فى غيره قال أبو الاسود الدؤلى وما كل ذى نصح بمؤتيك نصحه * وما كل مؤت نصحه بلبيب

ولكن اذا ما استجمعا عند واحد * فحق له من طاعة بنصيب

وكان اليونان والفرس لا يجمعون وزراءهم على أمر يستشيرونهم فيه وانما يستشيرون الواحد منهم من غير أن يعلم الآخر به لمعان شتى منها لئلا يقع بين المستشار بن منافسة فتذهب اصابة الرأى لأن من طباع المشتركين فى الامر التنافس والطعن من بعضهم فى بعض وربما سبق أحدهم بالرأى الصواب فحسدوه وعارضوه وفى اجتماعهم أيضا للمشورة تعريض السر للاذاعة فاذا كان كذلك وأذيع

كما انقض باز أقتم الريش كاسره

فلما استوت رجلاى فى الارض قالتا

أحى فيرجى أم قتيل نحاذره

لا يدخل على والله فمن بالباب سواه قال الأخطل قال يا عدى هو الذى يقول

ولست بصائم رمضان طوعا

ولست بآكل لحم الأضاحى

ولست بزاجر عيسا بكورا

الى بطحاء مكة للنجاح

ولست بزائر بيتا عتيقا

بمكة أبتغى فيه صلاحى

ولست بقائم بالليل أدعو

قبيل الصبح حى على الفلاح

ولكنى سأشربها شمولا

وأسجد عند مبتلج الصباح

والله لا يدخل على وهو كافر أبدا فمن بالباب سوى من ذكرت قال الاحوص قال أليس الذى يقول

الله بينى و بين سيدها

يفر منى بها وأتبعه

فما هو بدون من ذكرت فمن هنا أيضا قال جميل ابن معمر قال أليس هو الذى يقول

ألا ليتنا نحيا جميعا وان أمت

يوافق فى الموتى ضريحى

ضريحها * فلو كان عدو الله تمنى لقاءها * فى الدنيا ليعمل بعد ذلك صالحا لكان أصلح والله لا يدخل على أبدا فهل سوى من ذكرت أحد قال جرير قال أما هو الذى يقول طرقتك صائدة القلوب وليس ذا *

المرء لم يقدر الملك على مقابلة من أذاعه للابهام فان عاقب الكل عاقبهم بذنب واحد وان عفا عنهم ألحق الجانى بمن لاذنب له وقيل اذا أشار عليك صاحبك برأى ولم تحمد عاقبته فلا تجعلن ذلك عليه لوما وعتابا بأن تقول أنت فعلت وأنت أمرتنى ولولا أنت فهذا كله ضجر ولوم وخفة * وقال أفلاطون اذا استشارك عدوك فجرد له النصيحة لانه بالاستشارة قد خرج من عداوتك الى موالاتك وقيل من بذل نصحه واجتهاده لمن لا يشكره فهو كمن بذر فى السباخ قال الشاعر يمدح من له رأى و بصيرة

بصير بأعقاب الأمور كأنما * يخاطبه من كل أمر عواقبه

وقال ابن المعتز المشورة راحة لك وتعب على غيرك وقال الاحنف لا تشاور الجائع حتى يشبع ولا العطشان حتى يروى ولا الاسير حتى يطلق ولا المقل حتى يجد (ولما) أراد نوح بن مريم قاضى مرو أن يزوج ابنته استشار جاراله مجوسيا فقال سبحان الله الناس يستفتونك وأنت تستفتينى قال لا بد أن تشير على قال ان رئيس الفرس كسرى كان يختار المال ورئيس الروم قيصر كان يختار الجمال ورئيس العرب كان يختار الحسب ورئيسك محمد كان يختار الدين فانظر لنفسك بمن تقتدى وكان يقال من أعطى أربعا لم يمنع أربعا من أعطى الشكر لم يمنع المزيد ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب وقيل اذا استخار الرجل ربه واستشار صحبه وأجهد رأيه فقد قضى ما عليه و يقضى الله تعالى فى أمره ما يحب وقال بعضهم خمير الرأى خير من فطيره وتقديمه خير من تأخيره وقالت الحكماء لا تشاور معلما ولا راعى غنم ولا كثير القعود مع النساء ولا صاحب حاجة يريد قضاءها ولا خائفا ولا حاقنا وقيل سبعة لا ينبغى لصاحب لب أن يشاورهم جاهل وعدو وحسود ومراء وجبان وبخيل وذوهوى فان الجاهل يضل والعدو يريد الهلاك والحسود يتمنى زوال النعمة والمرائى واقف مع رضا الناس والجبان من رأيه الهرب والبخيل حريص على جمع المال فلا رأى له فى غيره وذو الهوى أسير هواه فلا يقدر على مخالفته (وحكى) أن رجلا من أهل يثرب يعرف بالاسلمى قال ركبنى دين أثقل كاهلى وطالبنى به مستحقوه واشتدت حاجتى الى ما لابد منه وضاقت على الارض ولم أهتد الى ما أصنع فشاورت من أثق به من ذوى المودة والرأى فأشار على بقصد المهلب بن أبى صفرة بالعراق فقلت له تمنعنى المشقة و بعد الشقة وتيه المهلب ثم انى عدلت عن ذلك المشير الى استشارة غيره فلا والله ما زادنى على ما ذكره الصديق الاول فرأيت أن قبول المشورة خير من مخالفتها فركبت ناقتى وصحبت رفقة فى الطريق وقصدت العراق فلما وصلت دخلت على المهلب فسلمت عليه وقلت له أصلح الله الأمير إنى قطعت اليك الدهناء وضربت أكباد الابل من يثرب فانه أشار على بعض ذوى الحجى والرأى بقصدك لقضاء حاجتى فقال هل أتيتنا بوسيلة أو بقرابة وعشيرة فقلت لا ولكنى رأيتك أهلا لقضاء حاجتى فان قمت بها فاهل لذلك أنت وان يحل دونها حائل لم أذم يومك ولم أيأس من غدك فقال المهلب لحاجبه اذهب به وادفع اليه ما فى خزانة مالنا الساعة فأخذنى معه فوجدت فى خزانته ثمانين ألف درهم فدفعها الى فلما رأيت ذلك لم أملك نفسى فرحا وسرورا ثم عاد الحاجب به اليه مسرعا فقال هل ما وصلك يقوم بقضاء حاجتك فقلت نعم أيها الأمير وزيادة فقال الحمد لله على نجح سعيك واجتنائك جنى مشورتك وتحقق ظن من أشار عليك بقصدنا قال الاسلمى فلما سمعت كلامه وقد أحرزت صلته أنشدته وأنا واقف بين يديه

يامن على الجود صاغ الله راحته * فليس يحسن غير البذل والجود * عمت عطاياك أهل الارض قاطبة *

وقت الزيارة فارجعى بسلام فان كان ولا بد فهو الذى يدخل فلما مثل بين يديه قال يا جرير اتق الله ولا تقل إلا حقا فأنشده قصيدته الرائية المشهورة التى منها

إنا لنرجوا اذا ما الغيث أخلفنا من الخليفة ما نرجوا من المطر

نال الخلافة أو كانت له قدرا كما أتى ربه موسى على قدر

هذى الارامل قد قضيت حاجتها فمن لحاجة هذا الارمل الذكر

الخير ما دمت حيا لا يفارقنا بوركت يا عمر الخيرات من عمر

فقال يا جرير ما أرى لك فيما ههنا حقا قال بلى يا أمير المؤمنين إنى ابن سبيل ومنقطع فقال له ويحك يا جرير قد ولينا هذا الامر ولا نملك إلا ثلثمائة درهم فمائة أخذها عبد الله ومائة أخذتها أم عبد الله يا غلام أعطه المائة الباقية قال فأخذها جرير وقال والله لهى أحب مال اكتسبته ثم خرج فقال له الشعراء ما وراءك فقال ما يسوءكم خرجت من عند خليفة يعطى الفقراء ويمنع الشعراء وانى عليه لراض وأنشد

رأيت رقى الشيطان لا تستفزه وقد كان شيطانى من الجن راقيا

(ومن لطائف الظرف) ما حدث ابراهيم بن المهدى قال قال لى جعفر يوما إنى استأذنت أمير المؤمنين فى الخلوة غدا فهل أنت مساعدى فقلت جعلت فداك أنا أسعد بمساعدتك وأسر بمحادثتك قال فبكر الى بكور

الغراب قال فأتيته عند الفجر فوجدت الشمعة بين يديه وهو ينتظرني للميعاد فصلينا ثم أفضينا الى الحديث وقدم الطعام فأكلنا فلما غسلنا أيدينا خلعت علينا ثياب المنادمة ثم ضمخنا بالخلوق ومدت الستائر ثم إنه ذكر حاجة فدعا الحاجب فقال اذا أتى عبد الملك فائذن له يعني قهرمانا له فاتفق أن جاء عبد الملك بن صالح الهاشمي شيخ الرشيد وهو من جلالة القدر والورع والامتناع من منادمة أمير المؤمنين على أمر جليل وكان الرشيد قد اجتهد أن يشرب معه قدحا واحدا فلم يقدر عليه ترفعا لنفسه فلما رفع الستر وطلع علينا سقط في أيدينا وعلمنا أن الحاجب قد غلط بينه وبين عبد الملك القهرمان فأعظم جعفر ذلك وارتاع له ثم قام اجلالا له فلما نظر الى تلك الحال دعا غلامه فدفع اليه سيفه وعمامته ثم قال اصنعوا بنا ما صنعتم بأنفسكم قال فجاء اليه الغلمان فطرحوا عليه الثياب الحرير وضمخوه ودعى بالطعام فطعم وشرب ثلاثا ثم قال ليخفف عني فانه شيء ما شربته والله فتهلل وجه جعفر وفرح ثم التفت اليه فقال جعلت فداءك بالغت في الخير والفضل فهل من حاجة تبلغ اليها قدرتي وتحيط بها نعمتي فاقض بها مكافأة لما صنعت قال بلى ان في قلب أمير المؤمنين على غضبا فتسأله الرضا عني فقال له جعفر قد رضي أمير المؤمنين عنك ثم قال وعلى عشرة آلاف دينار فقال هي لك حاضرة من مالي ومن مال أمير المؤمنين مثلها ثم قال وابني ابراهيم أحب أن أشد ظهره بصهر من أمير

فانت والجود منحوتان من عود * من استشار فباب النجح منفتح * لديه فيما ابتغاه غير مردود

ثم عدت الى المدينة فقضيت ديني ووسعت على أهلي وجازيت المشير علي وعاهدت الله تعالى أن لا أترك الاستشارة في جميع أموري ما عشت (وحكى) عن الخليفة المنصور أنه كان صدر من عمه عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس أمور مؤلمة لا تحتملها حراسة الخلافة ولا تتجاوز عنها سياسة الملك فحبسه عنده ثم بلغه عن ابن عمه عيسى بن موسى بن علي وكان واليا على الكوفة ما أفسد عقيدته فيه وأوحشه منه وصرف وجه ميله اليه عنه فتألم المنصور من ذلك وساءظنه وتأرق جفنه وقل أمنه وتزايد خوفه وحزنه فأدته فكرته الى أمر دبره وكتمه عن جميع حاشيته وستره واستحضر ابن عمه عيسى ابن موسى وأجراه على عادة اكرامه ثم أخرج من كان بحضرته وأقبل على عيسى وقال يا ابن العم انى مطلعك على أمر لا أجد غيرك من أهله ولا أرى سواك مساعدا لي على حمل ثقله فهل أنت في موضع ظني بك وعامل ما فيه بقاء نعمتك التي هي منوطة ببقاء ملكي فقال له عيسى بن موسى أنا عبد أمير المؤمنين ونفسي طوع أمره ونهيه فقال ان عمي وعمك عبد الله قد فسدت بطانته واعتمد على ما بعضه يبيح دمه وفي قتله صلاح ملكنا فخذه اليك واقتله سرا ثم سلمه اليه وعزم المنصور على الحج مضمرا أن ابن عمه عيسى اذا قتل عمه عبد الله ألزمه القصاص وسلمه إلى أعمامه اخوة عبد الله ليقتلوه به قصاصا فيكون قد استراح من الاثنين عبد الله وعيسى قال عيسى فلما أخذت عمي وأفكرت في قتله رأيت من الرأي أن أشاور في قضيته من له رأي عسى أن أصيب الصواب في ذلك فأحضرت يونس بن قرة الكاتب وكان لي حسن ظن في رأيه وعقيدة صالحة في معرفته فقلت له ان أمير المؤمنين دفع الى عمه عبد الله وأمرني بقتله واخفاء أمره فما رأيك في ذلك وما تشير به فقال لي يونس أيها الأمير احفظ نفسك بحفظ عمك وعم أمير المؤمنين فاني أرى لك أن تدخله في مكان داخل دارك وتكتم أمره عن كل أحد ممن عندك وتتولى بنفسك حمل طعامه وشرابه اليه وتجعل دونه مغالق وأبوابا وأظهر لأمير المؤمنين انك قتلته وأنفذت أمره فيه وانتهيت الى العمل بطاعته فكأني به اذا تحقق منك أنك فعلت ما أمرك به وقتلت عمه أمرك باحضاره على رءوس الاشهاد فاذا اعترفت انك قتلته بأمره أنكر أمره لك وآخذك بقتله وقتلك قال عيسى بن موسى فقبلت مشورة يونس وعملت بها وأظهرت لأمير المؤمنين اني أنفذت أمره ثم حج المنصور فلما قدم من حجه وقد استقر في نفسه اني قد قتلت عمه عبد الله دس الى عمومته اخوة عبد الله وحثهم على أن يسألوه في اخيهم ويستوهبوه منه فجاؤا اليه وقد جلس والناس بين يديه على مراتبهم فسألوه في عبد الله فقال نعم ان حقوقكم تقتضي اسعافكم بحاجتكم كيف وفيها صلة رحم واحسان الى من هو في مقام الوالد ثم أمر باحضار عيسى بن موسى فاحضر لوقته فقال يا عيسى كنت دفعت اليك قبل خروجي الى الحج عمي عبد الله ليكون عندك في منزلك الى حين رجوعي فقال عيسى قد فعلت يا أمير المؤمنين فقال المنصور قد سألني فيه عمومتك وقد رأيت الصفح عنه وقضاء حاجتهم وصلة الرحم باجابة سؤالهم فيه فائتنا به الساعة قال عيسى فقلت يا أمير المؤمنين ألم تأمرني بقتله والمبادرة الى ذلك قال كذبت لم آمرك بذلك ولو أردت قتله لأسلمته الى من هو بصدد ذلك ثم أظهر الغيظ وقال لعمومته قد أقر بقتل أخيكم مدعيا انى أمرته بقتله وقد كذب علي قالوا يا أمير المؤمنين فادفعه الينا لنقتله به ونقتص منه فقال شأنكم به قال عيسى فاخذوني الى الرحبة واجتمع الناس علي فقام واحد من عمومتي الي وسل سيفه ليضرب بي به فقلت له يا عم أفاعل أنت قال أي والله

المؤمنين قال قد زوجه أمير المؤمنين ابنته العالية قال وأحب أن تخفق على رأسه الالوية قال قد ولاه أمير المؤمنين مصر فا فانصرف
عبد الملك بن صالح قال ابراهيم بن (٧٦) المهدى فبقيت متحيرا متعجبا من أقدام جعفر على أمير المؤمنين من غير استئذان وقلت
عسى أن يجيبه فيما سأل من الرضا والمال والولاية ولكن من أطلق لجعفر أو لغيره تزويج بنات الرشيد فلما كان من الغد بكرت الى باب الرشيد لأرى ما يكون فدخل جعفر فلم يلبث حتى دعا بأبي يوسف القاضي وابراهيم بن عبد الملك ابن صالح فخرج ابراهيم وقد عقد نكاحه بالعالية بنت الرشيد وعقد له على مصر والروايات والالوية بين يديه وحملت البدر الى منزل عبد الملك وخرج جعفر فأشار الينا فقال تعلقت قلوبكم بحديث عبد الملك فأحببتم علم آخره فلما دخلت على أمير المؤمنين ومثلت بين يديه قال كيف كان يومك يا جعفر فقصصت عليه القصة حتى بلغت الى دخول عبد الملك وكان متكئا فاستوى جالسا وقال ايه ولله أبوك فقلت سألني في رضا أمير المؤمنين قال فبم أجبت قلت قد رضي أمير المؤمنين عنك قال قد رضيت ثم ماذا قلت وذكر أن عليه عشرة آلاف دينار قال فبم أجبته قلت قد قضاها أمير المؤمنين
عنك قال قد قضيت قلت وذكر أنه راغب في أن يشد ظهر ولده ابراهيم بصهر منك قال فبم أجبته ولمعاذ
قلت قد زوجه أمير المؤمنين ابنته العالية قال قد أمضيت ذلك ثم ماذا لله أبوك قلت وذكر أنه يشتهي أن تخفق على رأس

كيف لا أقتلك وقد قتلت أخي فقال لهم لا تعجلوا وردوني الى أمير المؤمنين فردوني اليه فقلت يا أمير المؤمنين انما أردت قتلي بقتله والذي دبرته على عصمني الله تعالى من فعله وهذا عمك باق حي سوي فان أمرتني بدفعه اليهم دفعته الساعة فاطرق المنصور وعلم أن ريح فكره صادفت اعصارا وان انفراده بتدبيره قارف خسارا ثم رفع رأسه وقال ائتنا به فمضى عيسى وأحضر عبد الله فلما رآه المنصور قال لعمومته اتركوه عندي وانصرفوا حتى أرى فيه رأيا قال عيسى فتركته وانصرفت وانصرف اخوته فسلمت روحي وزالت كربتي وكان ذلك ببركة الاستشارة بيونس وقبول مشورته والعمل بها ثم ان المنصور أسكن عبد الله في بيت أساسه قد بني على الملح ثم أرسل الماء حوله ليلا فذاب الملح وسقط البيت فمات عبد الله ودفن بمقابر باب الشام وسلم عيسى من هذه المكيدة ومن سهام مراميها البعيدة

﴿وما جاء في النصيحة﴾ اعلموا ان النصيحة للمسلمين وللخلائق أجمعين من سنن المرسلين قال الله تعالى اخبارا عن نوح عليه الصلاة والسلام ولا ينفعكم نصحي ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم واليه ترجعون وقال شعيب عليه السلام ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين وقال صالح عليه السلام ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين ولعامتهم * فالنصح لله هو وصفه بما هو أهله وتنزيهه عما ليس له بأهل والقيام بتعظيمه والخضوع له ظاهرا وباطنا والرغبة في محابه والبعد عن مساخطه وموالاة من أطاعه ومعاداة من عصاه والجهاد في رد العصاة الى طاعته قولا وفعلا * والنصيحة لكتابه اقامته في التلاوة وتحسينه عند القراءة وتفهم ما فيه والذب عنه من تأويل المحدثين وطعن الطاعنين وتعليم ما فيه للخلائق أجمعين قال الله تعالى كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب * والنصيحة للرسول عليه السلام احياء سنته بالطلب لها واحياء طريقته في بث الدعوى وتأليف الكلمة والتخلق بالاخلاق الطاهرة * والنصيحة للأئمة معاونتهم على ما كلفوا القيام به بتنبيههم عند الغفلة وارشادهم عند الهفوة وتعليمهم ما جهلوا وتحذيرهم ممن يريد بهم السوء واعلامهم باخلاق عمالهم وسيرتهم في الرعية وسد خلتهم عند الحاجة ورد القلوب النافرة اليهم * والنصيحة لعامة المسلمين الشفقة عليهم وتوقير كبيرهم والرحمة لصغيرهم وتفريج كربهم وتوقي ما يشغل خواطرهم أو يفتح باب الوسواس عليهم (واعلم) ان جرعة النصيحة مرة لا يقبلها إلا أولو العزم وقال ميمون بن مهران قال لي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قل لي في وجهي ما أكره فان الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له في وجهه ما يكره وفي منثور الحكم ودك من نصحك وقلاك من مشى في هواك وقال أبو الدرداء رضي الله عنه إن شئتم لانصحن لكم ان أحب عباد الله الى الله الذين يحببون الله تعالى إلى عباده ويعملون في الارض نصحا ولورقة بن نوفل

لقد نصحت لاقوام وقلت لهم * اني النذير فلا يغرركم أحد * لا شيء مما ترى تبقى بشاشته
الا الاله ويردى المال والولد * لم تغن عن هرمز يوما خزائنه * والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

وقال بعض الخلفاء لجرير بن يزيد اني قد أعددتك لامر قال يا أمير المؤمنين ان الله تعالى قد أعد لك مني قلبا معقودا بنصيحتك ويدا مبسوطة لطاعتك وسيفا مجردا على عدوك وأنشد الأصمعي

النصح أرخص ما باع الرجال فلا * ترد على ناصح نصحا ولا تلم
ان النصائح لا تخفى مناهلها * على الرجال ذوي الألباب والفهم

ولمعاذ بن مسلم

نصحتك والنصيحة ان تعدت * هوى المنصوح عزلها القبول
نخالفت الذى لك فيه حظ * فنالك دون ماأملت غول

وقيل أشار فيروز بن حصين على يزيد بن المهلب أن لا يضع يده فى يد الحجاج فلم يقبل منه وسار اليه فحبسه وحبس أهله فقال فيروز

أمرتك أمراً حازما فعصيتنى * فأصبحت مسلوب الامارة نادما
أمرتك بالحجاج اذ أنت قادر * فنفسك أول اللوم ان كنت لائما
فما أنا بالباكى عليك صبابة * وما أنا بالداعى لترجع سالما

ويقال من اصفر وجهه من النصيحة اسود لونه من الفضيحة وقال طرفة

ولا ترفدن النصح من ليس أهله * وكن حين تستغنى برأيك غانيا
وان امرأ يوما تولى برأيه * فدعه يصيب الرشد أو يك غاويا

وفى مثله قال بعضهم

من الناس من ان يستشرك فتجتهد * له الرأى يستغششك مالم تتابعه
فلا تمنحن الرأى من ليس أهله * فلا أنت محمود ولا الرأى نافعه

والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب الثانى عشر فى الوصايا الحسنة والمواعظ المستحسنة وما أشبه ذلك ﴾

قال الله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن وقال الله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون وقال تعالى ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات والآيات فى ذلك كثيرة مشهورة وفوائدها جمة منشورة وروينا فى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان * وقال شيخنا محيى الدين النووى رحمة الله تعالى عليه فى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ان هذه الآية الكريمة مما يغتر بها أكثر الجاهلين ويحملونها على غير وجهها بل الصواب فى معناها أنكم اذا فعلتم ما أمرتم به لا يضركم ضلالة من ضل ومن جملة ما أمروا به الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والآية مرتبة فى المعنى على قوله تعالى ما على الرسول الا البلاغ * وقال محمد بن تمام الموعظة جند من جنود الله تعالى ومثلها مثل الطين يضرب به على الحائط ان استمسك نفع وان وقع أثر * ومن كلام على رضى الله تعالى عنه لا تكونن ممن لا تنفعه الموعظة الا اذا بالغت فى ايلامه فان العاقل يتعظ بالادب والبهائم لا تتعظ الا بالضرب وأنشد الجاحظ

وليس يزجركم ما توعظون به * والبهم يزجرها الراعى فتنزجر

وكتب رجل الى صديق له أما بعد فعظ الناس بفعلك ولا تعظهم بقولك واستح من الله بقدر قربه منك وخفه بقدر قدرته عليك والسلام وقيل من كان له من نفسه واعظ كان له من الله حافظ وقال لقمان الموعظة تشق على السفيه كما يشق صعود الوعر على الشيخ الكبير * قيل أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام انك ان أتيتنى بعبد آبق كتبتك عندى حميدا ومن كتبته عندى حميدا لم أعذبه بعدها ابدا وقال الرشيد لمنصور بن عمار عظنى وأوجز فقال يا أمير المؤمنين هل أحد أحب اليك من نفسك قال لا قال ان أردت ان لا تسىء الى من تحب فافعل وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض خطبه أيها الناس الايام تطوى والاعمار تفنى والابدان فى الثرى

له ابراهيم الالوية قال فيم أجبته قلت قد ولاه أمير المؤمنين مصر قال قد وليته فأحضر ابراهيم والقضاة والفقهاء وأتم له جميع ذلك من ساعته قال ابراهيم بن المهدى فوالله ما أدرى أيهم أكرم وأعجب ما ابتدأه عبد الملك من الموافقة وشرب الخمر ولم يكن شربها قط ولباسه ما ليس من لبسه من ثياب المنادمة أم إقدام جعفر على الرشيد بما أقدم أم إمضاء الرشيد جميع ما حكم به جعفر عليه

(ومن لطائف المنقول) ماحكى عن أبى معشر البلخى المنجم الامام المصنف صاحب التصانيف المفيدة فى علم النجوم قيل إنه كان متصلا بخدمة بعض الملوك وان ذلك الملك طلب رجلا من أتباعه وأكابر دولته ليعاقبه بسبب جريمة صدرت منه فاستخفى وعلم أن أبا معشر يدل عليه بالطريقة التى يستخرج بها الخبايا والاشياء الكامنة فأراد أن يعمل شيئا حتى لا يهتدى اليه ويبعد عنه حدسه فأخذ طستا وجعل فيه دما وجعل فى الدم هاون ذهب وقعد على الهاون أياما وتطلبه الملك وبالغ فى الطلب فلما عجز عنه أحضر أبا معشر وطلب منه اظهاره فعمل المسألة التى يستخرج بها وسكت زمانا حائرا فقال له الملك ما سبب سكوتك وحيرتك فقال أرى شيئا عجيبا فقال وما هو قال أرى الرجل المطلوب على جبل من ذهب والجبل فى بحر من دم ولا أعلم فى العالم موضعا على هذه الصفة فقال له أعد نظرك ففعل ثم قال ما أرى الا ما ذكرت وهذا شىء ما وقع لى مثله فلما أيس الملك من تحصيله نادى فى البلد بالامان للرجل ولما أخفاه فلما اطمأن الرجل ظهر وحضر بين

أبلى وان الليل والنهار يترا كضان ترا كض البريد ويقربان كل بعيد ويخلقان كل جديد وفى ذلك عباد الله ما ألهى عن الشهوات ورغب فى الباقيات الصالحات *ولما لقى ميمون بن مهران الحسن البصرى قال له لقد كنت أحب أن القاك فعظنى فقرأ الحسن البصرى أفرأيت من اتخذ الهه هواه أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون فقال عليك السلام أبا سعيد لقد وعظتنى أحسن موعظة *ولما ضرب ابن ملجم لعنه الله عليا رضى الله عنه دخل منزله فاعترته غشية ثم أفاق فدعا الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما وقال أوصيكما بتقوى الله تعالى والرغبة فى الآخرة والزهد فى الدنيا ولا تأسفا على شىء فاتكما منها فانكما عنها راحلان افعلا الخير وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا ثم دعا محمدا ولده وقال له أما سمعت ما أوصيت به أخويك قال بلى قال فانى أوصيك به وعليك ببر أخويك وتوقيرهما ومعرفة فضلهما ولا تقطع أمرا دونهما ثم أقبل عليهما وقال أوصيكما به خيرا فانه أخوكما وابن أبيكما وأنتما تعلمان أن أباه كان يحبه فأحباه ثم قال يا بنى أوصيكم بتقوى الله فى الغيب والشهادة وكلمة الحق فى الرضا والغضب والقصد فى الغنى والفقر والعدل فى الصديق والعدو والعمل فى النشاط والكسل والرضا عن الله فى الشدة والرخاء يا بنى ما شر بعده الجنة بشر ولا خير بعده النار بخير وكل نعيم دون الجنة حقير وكل بلاء دون النار عافية يا بنى من أبصر عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره ومن رضى بما قسم الله له لم يحزن على ما فاته ومن سل سيف البغى قتل به ومن حفر لأخيه بئرا وقع فيها ومن هتك حجاب أخيه هتكت عورات بنيه ومن نسى خطيئته استعظم خطيئة غيره ومن أعجب برأيه ضل ومن استغنى بعقله زل ومن تكبر على الناس ذل ومن خالط الانذال احتقر ومن دخل مداخل السوء اتهم ومن جالس العلماء وقر ومن مزح استخف به ومن أكثر من شىء عرف به ومن كثر كلامه كثر خطؤه ومن كثر خطؤه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ومن مات قلبه دخل النار يا بنى الادب ميزان الرجل وحسن الخلق خير قرين يا بنى العافية عشرة أجزاء تسعة منها فى الصمت الا عن ذكر الله تعالى وواحد فى ترك مجالسة السفهاء يا بنى زينة الفقر الصبر وزينة الغنى الشكر يا بنى لا شرف أعلى من الاسلام ولا كرم أعز من التقوى ولا شفيع أنجح من التوبة ولا لباس أجمل من العافية يا بنى الحرص مفتاح التعب ومطية النصب (ولما) حضرت هشام بن عبد الملك الوفاة نظر الى أهله يبكون حوله فقال جاد لكم هشام بالدنيا وجدتم له بالبكاء وترك لكم جميع ما جمع وتركتم عليه ما حمل ما أعظم منقلب هشام ان لم يغفر الله له وقال الاوزاعى للمنصور فى بعض كلامه يا أمير المؤمنين أما علمت أنه كان بيد رسول الله ﷺ جريدة يابسة يستاك بها ويردع بها المنافقين فأتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد ماهذه الجريدة التى بيدك اقذفها لا تملأ قلوبهم رعبا فكيف بمن سفك دماء المسلمين وانتهب أموالهم يا أمير المؤمنين ان المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر دعا الى القصاص من نفسه بخدشة خدشها اعرابيا من غير تعمد يا أمير المؤمنين لو أن ذنوبا من النار صب ووضع على الارض لأحرقها فكيف بمن يتجرعه ولو أن ثوبا من النار وضع على الارض لأحرقها فكيف بمن يتقمصه ولو أن حلقة من سلاسل جهنم وضعت على جبل لذاب فكيف بمن يتسلسل بها ويرد فضلها على عاتقه وروى زيد بن أسلم عن أبيه قال قلت لجعفر بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وكان والى المدينة احذر أن يأتى رجل غدا ليس له فى الاسلام نسب ولا أب ولا جد فيكون أولى برسول الله ﷺ منك كما كانت امرأة فرعون أولى بموسى وكما كانت امرأة نوح وامرأة لوط أولى بفرعون ومن أخطأ به

يدى الملك فسأله عن الموضع الذى كان فيه فأخبره بما اعتمد عليه فأعجبه حسن احتياله فى اخفاء نفسه ولطافة أبى معشر المنجم فى استخراجه وله غير ذلك من الاصابات (قال قاضى القضاة شمس الدين بن خلكان) ومما يناسب هذا من فطن المتطببين ما رواه الحسين ابن ادريس الحلوانى قال سمعت الامام محمد بن ادريس الشافعى رضى الله عنه يقول ما أفلح سمين قط الا أن يكون محمد بن الحسن قيل له ولم ذلك قال لانه لا يعدو العاقل احدى خلتين اما أن يهتم لآخرته ومعاده أو لدنياه ومعاشه والشحم مع الهم لا ينعقد ثم قال وكان بعض ملوك الارض قديما كثير الشحم لا ينتفع بنفسه فجمع الحكماء وقال احتالوا لى بحيلة يخف عنى لحمى هذا قليلا قال فما قدروا له على شىء فجاءه رجل عاقل لبيب متطبب فقال عالجنى ولك الغنى قال أصلح الله الملك أنا طبيب منجم دعنى حتى أنظر الليلة فى طالعك لأرى أى دواء يوافقه فلما أصبح قال أيها الملك الأمان فلما أمنه قال رأيت طالعك يدل على أنه لم يبق من عمرك غير شهر واحد فان اخترت عالجتك وان أردت بيان ذلك فاحبسنى عندك فان كان لقولى حقيقة فخل عنى والا فاقتص منى قال فحبسه ثم رفع الملك الملاهى واحتجب عن الناس وخلا وحده مغتما فكلما انسلخ يوم ازداد هما وغما حتى هزل وخف لحمه ومضى لذلك ثمان وعشرون يوما فبعث اليه وأخرجه فقال ماترى فقال أعز الله الملك أنا أهون على الله من أن أعلم الغيب والله انى لم أعلم عمرى فكيف أعلم عمره

عمرك ولكن لم يكن عندي دواء إلا الغم فلم اقدر أجلب اليك الغم إلا بهذه الحيلة فان الغم يذيب الشحم فأجازه على ذلك وأحسن اليه غاية الاحسان وذاق حلاوة الفرح بعد مرارة الغم (قلت) ويعجبني (٧٩) قول جعفر بن شمس الخلافة في هذا المعنى

هي شدة يأتي الرخاء عقيبها
وأسى يبشر بالسرور العاجل
واذا نظرت فان بؤسا عاجلا
للمرء خير من نعيم زائل

(ويعجبني قوله وان كان في غير مانحن فيه)

مدحتك ألسنة الأنام مخافة
وتشاهدت لك بالثناء الأحسن
أترى الزمان مؤخرا في مدتي
حتى أعيش إلى انطلاق الألسن

(نادرة لطيفة) نقل عن قاضي القضاة شمس الدين ابن خلكان في تاريخه أن الجنيد قال ما انتفعت بشيء كانتفاعي بأبيات سمعتها قيل له وما هي قال مررت بدرب القراطيس فسمعت جارية تغني من دار وتقول هذه الأبيات

إذا قلت أهدى الهجر لي حلل البلى
تقولين لولا الهجر لم يطب الحب
وان قلت ما أذنبت قالت مجيبة
حياتك ذنب لا يقاس به ذنب

فصعقت وصحت فبينما أنا كذلك اذ خرج صاحب الدار فقال ماهذا ياسيدي فقلت له مما سمعت فقال انها هبة مني اليك فقلت قد قبلت وهي حرة لوجه الله تعالى ثم دفعها لبعض أصحابنا بالرباط فولدت منه ولدا نبيلا حج على قدميه ثلاثين

عمله لم يسرع به نسبه ومن أسرع به عمله لم يبطىء به نسبه وروى زياد عن مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه قال لما بعث أبو جعفر الى مالك بن أنس وابن طاوس قال دخلنا عليه وهو جالس على فرش وبين يديه أنطاع قد بسطت وجلادون بأيديهم السيوف يضربون الأعناق فأومأ الينا أن اجلسا فجلسنا فأطرق زمانا طويلا ثم رفع رأسه والتفت الى ابن طاوس وقال حدثني عن أبيك قال سمعت أبي يقول قال رسول الله ﷺ ان أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل أشركه الله تعالى في ملكه فأدخل عليه الجور في حكمه فامسك أبو جعفر ساعة حتى اسود ما بيننا وبينه قال مالك فضممت ثيابي مخافة أن ينالها شيء من دم ابن طاوس ثم قال يا ابن طاوس ناولني هذه الدواة فامسك عنه فقال ما يمنعك أن تناولنيها قال أخاف أن تكتب بها معصية فأكون شريكك فيها فلما سمع ذلك قال قوما عني فقال ابن طاوس ذلك ما كنا نبغي قال مالك فما زلت أعرف لابن طاوس فضله من ذلك اليوم * وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب الاحبار يا كعب خوفنا قال أوليس فيكم كتاب الله وسنة نبيه ﷺ قال بلى يا كعب ولكن خوفنا فقال يا أمير المؤمنين اعمل فانك لو وافيت يوم القيامة بعمل سبعين نبيا لازدريت عملهم مما ترى فنكس عمر رضي الله عنه رأسه وأطرق مليا ثم رفع رأسه وقال يا كعب خوفنا فقال يا أمير المؤمنين لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها فنكس عمر ثم أفاق فقال يا كعب زدنا فقال يا أمير المؤمنين ان جهنم لتزفر زفرة يوم القيامة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جثا على ركبتيه يقول يارب لا أسألك اليوم الا نفسي * وقال سيدي الشيخ أبو بكر الطرطوشي رحمة الله تعالى عليه دخلت على الافضل بن أمير الجيوش وهو أمير على مصر فقلت السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد السلام على نحو ما سلمت ردا جميلا وأكرمني اكراما جزيلا وأمرني بدخول مجلسه وأمرني بالجلوس فيه فقلت أيها الملك ان الله تعالى قد أحلك محلا عليا شامخا وأنزلك منزلا شريفا باذخا وملكك طائفة من ملكه وأشركك في حكمه ولم يرض أن يكون أمر أحد فوق أمرك فلا ترض أن يكون أحد أولى بالشكر منك وليس الشكر باللسان وانما هو بالفعال والاحسان قال الله تعالى «اعملوا آل داود شكرا» واعلم أن هذا الذي أصبحت فيه من الملك انما صار اليك بموت من كان قبلك وهو خارج عنك بمثل ما صار اليك فاتق الله فيما خولك من هذه الأمة فان الله تعالى سائلك عن الفتيل والنقير والقطمير قال الله تعالى «فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون» وقال تعالى «وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين» واعلم أيها الملك ان الله تعالى قد أتى ملك الدنيا بحذافيرها سليمان بن داود عليهما السلام فسخر له الانس والجن والشياطين والطير والوحش والبهائم وسخر له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ثم رفع عنه حساب ذلك أجمع فقال له هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب فوالله ما عدها نعمة كما عددتموها ولا حسبها كرامة كما حسبتموها بل خاف أن تكون استدراجا من الله تعالى ومكرا به فقال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر فافتح الباب وسهل الحجاب وانصر المظلوم وأغث الملهوف أعانك الله على نصر المظلوم وجعلك كهفا للملهوف وأمانا للخائف ثم أتممت المجلس بأن قلت قد جبت البلاد شرقا وغربا فما اخترت مملكة وارتحت اليها ولذت لي الاقامة فيها غير هذه المملكة ثم أنشدته

والناس أكيس من أن يحمدوا رجلا * حتى يروا عنده آثار احسان

(وقال) الفضل بن الربيع حج هرون الرشيد سنة من السنين فبينما أنا نائم ذات ليلة اذ سمعت قرع

الباب فقلت من هذا فقال أجب أمير المؤمنين فخرجت مسرعا فقلت يا أمير المؤمنين لو أرسلت الى أتيتك فقال ويحك قد حاك فى نفسي شيء لا يخرجه إلا عالم فانظر لي رجلا أسأله عنه فقلت ههنا سفيان بن عيينة فقال امض بنا اليه فأتيناه فقرعت عليه الباب فقال من هذا فقلت أجب أمير المؤمنين فخرج مسرعا فقال يا أمير المؤمنين لو أرسلت الى أتيتك فقال جد لما جئنا له فحادثه ساعة ثم قال له أعليك دين قال نعم فقال يا أبا العباس اقض دينه ثم انصرفنا فقال ما أغنى عنى صاحبك شيئا فانظر لى رجلا أسأله فقلت ههنا عبد الرزاق بن همام فقال امض بنا اليه فأتيناه فقرعت عليه الباب فقال من هذا قلت أجب أمير المؤمنين فخرج مسرعا فقال يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلى أتيتك فقال جد لما جئنا به فحادثه ساعة ثم قال له أعليك دين قال نعم فقال يا أبا العباس اقض دينه ثم انصرفنا فقال ما أغنى عنى صاحبك شيئا فانظر لى رجلا أسأله فقلت ههنا الفضيل بن عياض فقال امض بنا اليه فأتيناه فاذا هو قائم يصلي فى غرفته يتلو آية من كتاب الله تعالى وهو يرددها فقرعت عليه الباب فقال من هذا فقلت أجب أمير المؤمنين فقال مالى ولأمير المؤمنين فقلت سبحان الله أما تجب عليك طاعته ففتح الباب ثم ارتقى الى أعلى الغرفة فأطفأ السراج ثم التجأ الى زاوية من زوايا الغرفة فجعلنا نجول عليه بأيدينا فسبقت كف الرشيد كفى اليه فقال أواه من كف ما ألينها ان نجت غدا من عذاب الله تعالى فقلت فى نفسي ليكلمنه الليلة بكلام نقي من قلب تقى فقال جد لما جئناله رحمك الله تعالى فقال وفيم جئت حملت على نفسك وجميع من معك حملوا عليك حتى لو سألتهم أن يتحملوا عنك شقصا من ذنب ما فعلوا ولكان أشدهم حبا لك أشدهم هربا منك ثم قال إن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لما ولى الخلافة دعا سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي ورجاء بن حيوة فقال لهم انى قد ابتليت بهذا البلاء فاشيروا على فعد الخلافة بلاء وعددتها أنت وأصحابك نعمة فقال سالم بن عبد الله ان أردت النجاة غدا من عذاب الله فصم عن الدنيا وليكن افطارك فيها على الموت وقال محمد بن كعب ان أردت النجاة غدا من عذاب الله تعالى فليكن كبير المسلمين عندك أبا وأوسطهم عندك أخا وأصغرهم عندك ولدا فبر أباك وارحم أخاك وتحنن على ولدك وقال رجاء بن حيوة ان أردت النجاة غدا من عذاب الله تعالى فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك ثم مت متى شئت وانى لأقول هذا وانى لأخاف عليك أشد الخوف يوم تزل الأقدام فهل معك رحمك الله مثل هؤلاء القوم من يأمرك بمثل هذا فبكى هرون بكاء شديدا حتى غشي عليه فقلت له ارفق بأمير المؤمنين فقال يا ابن الربيع قتلته أنت وأصحابك وارفق به أنا ثم أفاق هرون الرشيد فقال زدني فقال يا أمير المؤمنين بلغني أن عاملا لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه شكا اليه سهرا فكتب له عمر يقول يا أخي اذكر سهر أهل النار فى النار وخلود الأبدان فان ذلك يطرد بك إلى ربك نائما ويقظان واياك أن تزل قدمك عن هذا السبيل فيكون آخر العهد بك ومنقطع الرجاء منك فلما قرأ كتابه طوى البلاد حتى قدم عليه فقال له عمر ما أقدمك فقال له لقد خلعت قلبي بكتابك لا وليت ولاية أبدا حتى ألقى الله عز وجل فبكى هرون بكاء شديدا ثم قال زدني قال يا أمير المؤمنين إن العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم جاء اليه فقال يا رسول الله أمرني امارة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عباس نفس تحييها خير من امارة لا تحصيها ان الامارة حسرة وندامة يوم القيامة فان استطعت أن لا تكون أميرا فافعل فبكى هرون الرشيد بكاء شديدا ثم قال زدني يرحمك الله فقال يا حسن الوجه أنت الذي يسألك الله عن هذا الخلق يوم القيامة فان استطعت أن تقي هذا الوجه من النار فافعل

حجة (وذكر قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان فى ترجمة أبى على الفارسى) أنه كان يوما يساير عضد الدولة بن بويه فى ميدان سيران فقال له لم انتصب (٨٠) المستثنى فى قولنا قام القوم إلا زيدا فقال الشيخ الفعل مقدر تقديره استثنى زيدا فقال له عضد الدولة هل رفعته وقدرت الفعل امتنع زيد فانقطع وقال هذا الجواب ميدانى ثم إنه لما رجع الى منزله وضع فى ذلك كلاما حسنا وحمل اليه فاستحسنه (وحكى أبو القاسم احمد الاندلسي) قال جرى ذكر الشعر بحضرة أبى على الفارسى وأنا حاضر فقال إنى لأغبطكم على قول الشعر فان خاطرى لا يوافقنى إلى ذلك مع تحقيق العلوم التى هى من معاده فقال له رجل فما قلت قط شيئا منه قال ما أعلم أن لى شعرا غير ثلاثة أبيات فى الشيب هو قولى

خضبت الشيب لما كان عيبا
وخضب الشيب أولى أن يعابا
ولم أخضب مخافة هجر خلى
ولا عيبا خشيت ولا عتابا
ولكن المشيب بدا ذميما
فصيرت الخضاب له عقابا

(ومن لطائف المنقول أن أبا محمد الوزير المهلبى) كان فى غاية من الادب والمحبة لأهله وكان قبل اتصاله بمعز الدولة بن بويه فى شدة عظيمة من الضرورة والمضايقة وسافر وهو على تلك الحالة ولقى فى سفره شدة عظيمة فاشتهى اللحم فلم يقدر عليه فقال ارتجالا

ألا موت يباع فأشتريه فهذا العيش مالا خير فيه

فافعل و إياك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غش لرعيتك فان النبي صلى الله عليه وسلم قال من أصبح لهم غاشا لم يرح رائحة الجنة فبكى هرون الرشيد بكاء شديدا ثم قال له أعليك دين قال نعم دين لربي يحاسبني عليه فالويل لي ان ناقشني والويل لي إن سألني والويل لي ان لم يلهمني حجتي قال هرون انما أعني دين العباد قال ان ربي لم يأمرني بهذا وانما أمرني أن أصدق وعده وأطيع أمره قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فقال له هرون هذه ألف دينار خذها وأنفقها على عيالك وتقو بها على عبادة ربك فقال سبحان الله انا دللتك على سبيل الرشاد تكافئني أنت بمثل هذا سلمك الله و وفقك ثم صمت فلم يكلمنا فخرجنا من عنده فقال لي هرون إذا دللتني على رجل فدلني على مثل هذا فان هذا سيد المسلمين اليوم (واعلم) ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر له شروط وصفات قال سليمان الخواص من وعظ أخاه فيما بينه و بينه فهي نصيحة ومن وعظه على رؤس الاشهاد فانما بكته * وقالت أم الدرداء رضي الله تعالى عنها من وعظ أخاه سرا فقد سره و زانه ومن وعظه علانية فقد ساءه وشانه و يقال من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وسره ومن وعظه جهرا فقد فضحه وضره * وعن عبد العزيز بن أبي رواد قال كان الرجل إذا رأى من أخيه شيئا امره في ستر ونهاه في ستر فيؤجر في ستره و يؤجر في أمره و يؤجر في نهيه وعن عمر رضي الله تعالى عنه اذا رأيتم أخا كم ذا زلة فقوموه وسددوه وادعوا الله أن يرجع به الى التوبة فيتوب عليه ولا تكونوا أعوانا للشيطان على أخيكم و بالله التوفيق الى أقوم طريق وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب الثالث عشر في الصمت وصون اللسان والنهي عن الغيبة والسعي بالنميمة ومدح العزلة وذم الشهرة وفيه فصول ﴾

﴿ الفصل الاول في الصمت وصون اللسان ﴾ قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقال تعالى ان ربك لبالمرصاد (واعلم) أنه ينبغي للعاقل المكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام الا كلاما تظهر المصلحة فيه ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة فالسنة الامساك عنه لانه قد يجر الكلام المباح الى حرام أو مكروه بل هذا كثير وغالب في العادة والسلامة لا يعادلها شيء وروينا في صحيحي البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت قال الشافعي رضي الله تعالى عنه في الأم إذا أراد أحدكم الكلام فعليه أن يفكر في كلامه فان ظهرت المصلحة تكلم وان شك لم يتكلم حتى تظهر وروينا في صحيحيهما عن أبي موسى الاشعري رضي الله تعالى عنه قال قلت يارسول الله أي المسلمين أفضل قال من سلم الناس من لسانه و يده وروينا في كتاب الترمذي عن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه قال قلت يارسول الله ما النجاة قال أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك قال الترمذي حديث حسن وروينا في كتاب الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه والاحاديث الصحيحة في ذلك كثيرة وفيما أشرت اليه كفاية لمن وفقه الله تعالى (وأما الآثار) عن السلف وغيرهم في هذا الباب فكثيرة لا تحصر لكن ننبه على شيء منها * فمما جاء من ذلك ما بلغنا أن قس بن ساعدة وأكثم بن صيفي اجتمعا فقال أحدهما لصاحبه كم وجدت في ابن آدم من العيوب فقال هي أكثر من أن تحصر وقد وجدت خصلة إن استعملها الانسان سترت العيوب كلها قال وما هي قال حفظ اللسان وقال الامام

ألاموت لذيذ الطعم يأتي ... يخلصني من العيش الكريه
إذا أبصرت قبرا من بعيد ... وددت لو أنني فيما يليه
ألا رحم المهيمن نفس حر ... تصدق بالوفاة على أخيه

وكان له رفيق يقال له أبو عبد الله الصوفي وقيل أبو الحسن العسقلاني فلما سمع الابيات اشترى له لحما بدرهم وطبخه وأطعمه وتفارقا وتنقلت الاحوال وولي الوزارة ببغداد لمعز الدولة المذكور وضاق الحال برفيقه الذي اشترى له اللحم في السفر وبلغه وزارة المهلبي فقصده وكتب اليه

ألا قل للوزير فدته نفسي ... مقال مذكر ما قد نسيه
أتذكر إذ تقول لضيق عيش ... ألاموت يباع فأشتريه

(فلما) وقف عليها تذكر الحال وهزته أريحية الكرم فأمر له بسبعمائة درهم ووقع له في وقعته مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ثم دعا به فخلع عليه وقلده عملا يرتفق منه انتهى * وذكر الحريري صاحب المقامات في كتابه المسمى بدرة الغواص * ما مثاله قال حماد الراوية كان انقطاعي الى يزيد بن عبد الملك ابن مروان في خلافته وكان أخوه هشام يجفوني لذلك فلما مات يزيد وأفضت الخلافة الى هشام خفته ومكثت في بيتي سنة

لا أخرج الا لمن أثق به من اخواني سرا فلما لم أسمع أحدا ذكرني في السنة أمنت وخرجت وصليت الجمعة في الرصافة فاذا شرطيان قد وقفا علي وقالا ياحماد أجب الامير يوسف بن عمر الثقفي وكان واليا على

الشافعي رضي الله عنه لصاحبه الربيع يا ربيع لا تتكلم فيما لا يعنيك فانك إذا تكلمت بالكلمة ملكتك ولم تملكها وقال بعضهم مثل اللسان مثل السبع ان لم توثقه عدا عليك ولحقك شره ومما أنشدوه في هذا الباب

احفظ لسانك أيها الانسان * لا يلدغنك انه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه * كانت تهاب لقاءه الشجعان

وقال الفارسي

لعمرك ان في ذنبي لشغلا * لنفسي عن ذنوب بني أميه
على ربي حسابهم اليه * تناهى علم ذلك لا اليه

وقال علي رضي الله عنه إذا تم العقل نقص الكلام وقال أعرابي رب منطق صدع جمعا وسكوت شعب صدعا وقال وهب بن الورد بلغنا أن الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت والعاشر في عزلة الناس وقال علي بن هشام رحمة الله تعالى عليه

لعمرك ان الحلم زين لأهله * وما الحلم الا عادة وتحلم
إذا لم يكن صمت الفتى عن ندامة * وعي فان الصمت أولى وأسلم

وقال ابن عيينة من حرم الخير فليصمت فان حرمهما فالموت خير له وعن رسول الله ﷺ أنه قال لأبي ذر رضي الله عنه عليك بالصمت الا من خير فانه مطردة للشيطان وعون على أمر دينك ومن كلام الحكماء من نطق في غير خير فقد لغا ومن نظر في غير اعتبار فقد سها ومن سكت في غير فكر فقد لها وقيل لو قرأت صحيفتك لأغمدت صفيحتك ولو رأيت في ميزانك لختمت على لسانك ولما خرج يونس عليه السلام من بطن الحوت طال صمته فقيل له ألا تتكلم فقال الكلام صيرني في بطن الحوت وقال حكيم إذا أعجبك الكلام فاصمت واذا أعجبك الصمت فتكلم وكان يقال من السكوت ما هو أبلغ من الكلام لأن السفيه اذا سكت عنه كان في اغتنام وقيل لرجل بم سادكم الاحنف فوالله ما كان بأكبركم سنا ولا بأكثركم مالا فقال بقوة سلطانه على لسانه وقيل الكلمة أسيرة في وثاق الرجل فاذا تكلم بها صار في وثاقها وقيل اجتمع أربعة ملوك فتكلموا فقال ملك الفرس ما ندمت على ما لم أقل مرة وندمت على ما قلت مرارا وقال قيصر أنا على رد ما لم أقل أقدر مني على رد ما قلت وقال ملك الصين ما لم أتكلم بكلمة ملكتها فاذا تكلمت بها ملكتني وقال ملك الهند العجب ممن يتكلم بكلمة ان رفعت ضرت وان لم ترفع لم تنفع وكان بهرام جالسا ذات ليلة تحت شجرة فسمع منها صوت طائر فرماه فاصابه فقال ما أحسن حفظ اللسان بالطائر والانسان لو حفظ هذا لسانه ما هلك وقال علي رضي الله تعالى عنه بكثرة الصمت تكون الهيبة وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه الكلام كالدواء ان أقللت منه نفع وان أكثرت منه قتل وقال لقمان لولده يا بني اذا افتخر الناس بحسن كلامهم فافتخر أنت بحسن صمتك يقول اللسان كل صباح وكل مساء للجوارح كيف أنتن فيقلن بخير ان تركتنا قال الشاعر

احفظ لسانك لا تقول فتبتلى * ان البلاء موكل بالمنطق

﴿ الفصل الثاني في تحريم الغيبة ﴾ اعلم أن الغيبة من أقبح القبائح وأكثرها انتشارا في الناس حتى لا يسلم منها الا القليل من الناس وهي ذكرك الانسان بما يكره ولو بما فيه سواء كان في دينه أو بدنه أو نفسه أو خلقه أو خلقه أو ماله أو ولده أو والده أو زوجته أو خادمه أو عمامته أو ثوبه أو مشيته أو حركته أو بشاشته أو خلاعته أو غير ذلك مما يتعلق به سواء ذكرته بلفظك أو بكتابك أو رمزت اليه بعينك أو يدك أو رأسك أو نحو ذلك فاما البدن فكقولك سارق خائن ظالم متهاون بالصلاة متساهل

اهراق فقلت في نفسي من هذا كنت أخاف ثم قلت لهما تدعاني حتى آتي أهلي وأودعهم ثم أسير معكما فقالا ما الى ذلك من سبيل فاستسلمت في أيديهما ثم صرت الى يوسف بن عمر وهو في الايوان الاحمر فسلمت عليه فرد علي السلام ورمى الي بكتاب فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف ابن عمر أما بعد فاذا قرأت كتابي هذا فابعث الى حماد الراوية من يأتيك به من غير ترويع وادفع له خمسمائة دينار وجملا مهريا يسير عليه ثنتي عشرة ليلة إلى دمشق فأخذت الدنانير ونظرت فاذا جمل مرحول فركبت وسرت حتى وافيت دمشق في ثنتي عشرة ليلة فنزلت على باب هشام واستأذنت فأذن لي فدخلت عليه وهو جالس على طنفسة حمراء وعليه ثياب من حرير أحمر وقد ضمخ بالمسك فسلمت عليه فرد علي السلام واستدناني فدنوت منه حتى قبلت رجله فاذا جاريتان لم أر أحسن منهما قط فقال كيف أنت وكيف حالك فقلت بخير يا أمير المؤمنين فقال أتدري فيما بعثت اليك فقلت لا قال بعثت اليك بسبب بيت خطر ببالي لا أعرف قائله قلت وما هو يا أمير المؤمنين قال

ودعوا بالصبوح يوما فجاءت * قينة في يمينها ابريق

فقلت يقوله عدي بن زيد العبادي في قصيدة قال أنشدنيها فأنشدته

بكر العاذلون في وضح الصبح * يقولون لي أما تستفيق
ويلومون فيك يا ابنة عبد الله * والقلب عندكم موثوق

في النجاسات ليس بارا بوالديه قليل الأدب لا يضع الزكاة مواضعها لا يجتنب الغيبة وأما البدن فكقولك أعمى أو أعرج أو أعمش أو قصير أو طويل أو أسود أو أصفر وأما غيرها فكقولك فلان قليل الادب متهاون بالناس لا يرى لاحد عليه حقا كثير النوم كثير الأكل وما أشبه ذلك أو كقولك فلان أبوه نجار أو اسكاف أو حداد أو حائك تريد تنقيصه بذلك أو فلان سيء الخلق متكبر مراء معجب عجول جبار ونحو ذلك أو فلان واسع الكم طويل الذيل وسخ الثوب ونحو ذلك وقد روينا في صحيح مسلم وسنن أبي داود والترمذي والنسائي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال أتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قيل وان كان في أخي ما أقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته قال الترمذي حديث حسن صحيح وروينا في سنن أبي داود والترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت للنبي ﷺ حسبك من صفية كذا وكذا قال بعض الرواة تعني قصيرة فقال لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته أي خالطته مخالطة يتغير بها طعمه وريحه لكثرة نتنها وروينا في سنن أبي داود عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لما عرج بي الى السماء مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم وروى عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال اياكم والغيبة فان الغيبة أشد من الزنا ثم قال رسول الله ﷺ ان الرجل ليزني فيتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لم يغفر له حتى يغفر له صاحبها وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال من اغتاب المسلمين وأكل لحومهم بغير حق وسعى بهم الى السلطان جيء به يوم القيامة مزرقة عيناه ينادي بالويل والثبور يعرف أهله ولا يعرفونه وقال معاوية بن قرة أفضل الناس عند الله أسلمهم صدرا وأقلهم غيبة وقال الأحنف في خصلتان لا أغتاب جليسي اذا غاب عني ولا أدخل في أمر قوم لا يدخلوني فيه * وقيل للربيع بن خيثم ما نراك تعيب أحدا فقال لست عن نفسي راضيا فأتفرغ لذم الناس وأنشد

لنفسي أبكي لست أبكي لغيرها * لنفسي من نفسي عن الناس شاغل

وقال كثير عزة وسعى الى بعيب عزة نسوة * جعل الاله خدودهن نعالها

وقال محمد بن حزم أول من عمل الصابون سليمان وأول من عمل السويق ذو القرنين وأول من عمل الخبيص يوسف وأول من عمل خبز الجرادق نمروذ وأول من كتب في القراطيس الحجاج وأول من اغتاب ابليس لعنه الله اغتاب آدم عليه السلام * وأوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام ان المغتاب إذا تاب فهو آخر من يدخل الجنة وان أصر فهو أول من يدخل النار وقال لا تأمن من كذب لك أن يكذب عليك ومن اغتاب عندك غيرك أن يغتابك عند غيرك وقيل للحسن البصري رضي الله تعالى عنه ان فلانا اغتابك فأهدى اليه طبقا من رطب فأتاه الرجل وقال له اغتبتك فأهديت الي فقال الحسن أهديت الي حسناتك فأردت أن أكافئك وعن ابن المبارك رحمه الله تعالى قال لو كنت مغتابا أحدا لاغتبت والدي لانهما أحق بحسناتي واذا حاكى انسان انسانا بان يمشي متعارجا أو متطأطئا أو غير ذلك من الهيآت يريد تنقيصه بذلك فهو حرام وبعض المتفقهين والمتعبدين يعرضون بالغيبة تعريضا تفهم به كما تفهم بالتصريح فيقال لأحدهم كيف حال فلان فيقول الله يصلحنا الله يغفر لنا الله يصلحه نسأل الله العافية نحمد الله الذي لم يبتلنا بالدخول على الظلمة نعوذ

لست أدرى اذا كثر العذل فيها * أعذول يلومني أم صديق

(قال حماد فانتهيت فيها الى قوله)

ودعوا بالصبوح يوما فجاءت * قينة في يمينها ابريق

قدمته على عقار كعين الـ * ـديك صفي سلافها الراووق

مرة قبل مزجها فاذا ما * مزجت لذ طعمها من يذوق

قال فطرب هشام ثم قال أحسنت يا حماد سل حاجتك قلت احدى الجاريتين قال هما جميعا لك مما عليهما ومالهما فأقام عنده مدة ثم وصله بمائة ألف درهم قلت انظر أيها المتأمل الى نفاق رخيص الادب في ذلك العصر وكساد غاليه في هذا العصر وبشهادة الله أن البيت الذي طلب حماد الراوية بسببه من بغداد الى دمشق في اثني عشرة ليلة وأجيز عليه بالجاريتين والمائة ألف درهم تأنف نفسي أن أضمه في قصيدة من قصائدي لرخصه وسفالته وهو

ودعوا بالصبوح يوما فجاءت * قينة في يمينها ابريق

(وكنت أود) أن أكون في ذلك العصر ويسمع هشام بن عبد الملك قولي في هذا الباب من قصيدة قلتها

في ليلة رقم البدر المنير لها * طارا به العصا الجوزاء نقرات

وبات لي من الماء اذ تبسم لي * تحت الضفا صبيحات وغبقات

والراح دق على فهمي تصورها * لكن لما ضاع في الكاسات نفحات

كانت علامة تحقيق وقال في

هي المنازل لي فيها علامات * مذ أنشأتنا سجعنا في محاسنها

مغردين وللانشاء سجعات

هذا وأفواه كاساتي قد ابتسمت ومازجتها ثغور لؤلؤيات ومن يقل حركات الهم ماسكنت فللحباب على التسكين جزمات (قال ثعلب) ماأحد من الشعراء تكلم فى الليل الطويل إلاقارب ولكن خالدالكاتب أبدع فيه فقال

بالله من الكبر يعافينا الله من قلة الحياء الله يتوب علينا وما أشبه ذلك مما يفهم تنقيصه فكل ذلك غيبة محرمة ﴿واعلم﴾ أنه كما يحرم على المغتاب ذكر الغيبة كذلك يحرم على السامع استماعها فيجب على من يستمع انسانا يبتدىء بغيبة أن ينهاه ان لم يخف ضررا فان خافه وجب عليه الانكار بقلبه ومفارقة ذلك المجلس ان تمكن من مفارقته فان قال بلسانه اسكت وقلبه يشتهى سماع ذلك قال بعض العلماء ان ذلك نفاق قال الله تعالى واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ومما أنشدوه فى هذا المعنى

وسمعك صن عن سماع القبيح * كصون اللسان عن النطق به * فانك عند سماع القبيح
شريك لقائله فانتبه * وكم أزعج الحرص من طالب * فوافى المنية فى مطلبه

﴿الفصل الثالث فى تحريم السعاية بالنميمة﴾ قال الله تعالى ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم الآية وحسبك بالنمام خسة ورذيلة سقوطه وضعته والهماز المغتاب الذى يأكل لحوم الناس الطاعن فيهم وقال الحسن البصرى هو الذى يغمز بأخيه فى المجلس وهو الهمزة اللمزة وقال على والحسن البصرى رضى الله عنهما العتل الفاحش السيء الخلق وقال ابن عباس رضى الله عنهما العتل الفاتك الشديد المنافق وقال عبيد بن عمير العتل الأكول الشروب القوى الشديد يوضع فى الميزان فلا يزن شعيرة وقال الكلبى هو الشديد فى كفره وقيل العتل الشديد الخصومة بالباطل والزنيم هو الذى لا يعرف من أبوه قال الشاعر

زنيم ليس يعرف من أبوه * بغى الأم ذو حسب لئيم

وروينا فى صحيحى البخارى ومسلم عن حذيفة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال لا يدخل الجنة نمام وروى أن النبى ﷺ مر بقبرين فقال انهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستتره من بوله قال الامام أبو حامد الغزالى رحمة الله تعالى عليه النميمة انما تطلق فى الغالب على من ينم قول الغير الى المقول فيه كقوله فلان يقول فيك كذا فينبغى للانسان أن يسكت عن كل مارآه من أحوال الناس الا مافى حكايته فائدة لمسلم أو دفع معصية وينبغى لمن حملت اليه النميمة وقيل له قال فيك فلان كذا أن لا يصدق من نم اليه لان النمام فاسق وهو مردود الخبر وان ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح فعله ويبغضه فى الله تعالى فانه بغيض عند الله والبغض فى الله واجب وان لا يظن بالمنقول عنه السوء لقول الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن اثم وسعى رجل الى بلال بن أبى بردة برجل وكان أمير البصرة فقال له انصرف حتى أكشف عنك فكشف عنه فاذا هو ابن بغى يعنى ولد زنا فقال أبو موسى الاشعرى رضى الله عنه لا ينم على الناس إلا ولد بغى وروى أن النبى ﷺ قال ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى يارسول الله قال شراركم المشاؤن بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون العيوب وروى أبو هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال ملعون ذو الوجهين ملعون ذو اللسانين ملعون كل شغاز ملعون كل قتات ملعون كل نمام ملعون كل منان والشغاز المحرش بين الناس يلقى بينهم العداوة والقتات النمام والمنان الذى يعمل الخير ويمن به وأما السعاية الى السلطان والى كل ذى قدرة فهى المهلكة والحالقة لانها تجمع الخصال الذميمة من الغيبة وشؤم النميمة والتغرير بالنفوس والاموال فى النوازل والاحوال وتسلب العزيز عزه وتحط المكين عن مكانته والسيد عن مرتبته فكم دم أراقه سعى ساع وكم حريم استبيح بنميمة نمام وكم من صفيين تباعدا وكم

رقدت فلم ترث للساهر
وليل المحب بلا آخر
ولم تدر بعد ذهاب الرقا
د ما صنع الدمع بالناظر

وقال بعض من كان يحضر مجالس المبرد كنا نختلف اليه فاذا كان آخر المجلس أملى علينا من طرف الاخبار وملح الاشعار ماترتاح الى حفظه فأنشدنا يوما مرثية زياد الاعجم فى المغيرة بن المهلب التى منها

فاذا مررت بقبره فاعقرله
كرم الهجان وكل طرف سابح
وانضح جوانب قبره بدمائها
فلقد يكون أخادم وذبائح

قال فخرجت من عنده وأنا أديرها فى لسانى لأحفظها فاذا بشيخ قد خرج من خربة وفى يده حجر فهم أن يرمينى به فتترست بالمحبرة والدفتر فقال ماذا تقول أتشتمنى فقلت اللهم لا ولكنى كنت عند أستاذنا أبى العباس المبرد فأنشدنا مرثية زياد الأعجم فى المغيرة بن المهلب فقال له ايه ايه أنشدنى ما أنشدكم باردكم لامبردكم فأنشدته فقال والله ماأجود الرائى ولا أنصف المرثى ولا أحسن الراوى قلت فما عساه أن يقول قال كان يقول

احملانى ان لم يكن لكما عقـ ر الى جنب قبره فاعقرانى

من

من متواصلين تقاطعا وكم من محبين افترقا وكم من ألفين تهاجرا وكم من زوجين تطالقا فليتق الله ربه عزوجل رجل ساعدته الأيام وتراخت عنه الأقدار أن يصغى لساع أو يستمع لنمام * ووجد فى حكم القدماء أبغض الناس إلى الله المثلث قال الأصمعى هو الرجل يسعى بأخيه إلى الامام فيهلك نفسه وأخاه وامامه وقال بعض الحكماء احذروا أعداء العقول ولصوص المودات وهم السعاة والنمامون إذا سرق اللصوص المتاع سرقوا هم المودات وفى المثل السائر من أطاع الواشى ضيع الصديق وقد تقطع الشجرة فتنبت ويقطع اللحم السيف فيندمل واللسان لا يندمل جرحه * ودفع انسان رقعة الى الصاحب بن عباد يحثه فيها على أخذ مال يتيم وكان مالا كثيراً فكتب اليه على ظهرها النميمة قبيحة وان كانت صحيحة والميت رحمه الله واليتيم جبره الله والساعى لعنه الله ولا حول ولا قوة الا بالله وروينا فى كتاب أبى داود والترمذى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبلغنى أحد من أصحابى عن أحد شيئا فانى أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر * ومن الناس من يتلون ألوانا ويكون بوجهين ولسانين فيأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها قال صالح بن عبد القدوس رحمه الله تعالى

قل للذى لست أدرى من تلونه * أناصح أم على غش يناجينى
انى لأكثر مما سمتنى عجبا * يد تشج وأخرى منك تأسونى
تغتابنى عند أقوام وتمدحنى * فى آخرين وكل عنك يأتينى
هذان شيآن قد نافيت بينهما * فاكفف لسانك عن شتمى وتزيينى

وقيل لألف لحوح جموح خير من واحد متلون وكان يشبه المتلون بأبى براقش وأبى قلمون فأبو براقش طائر منقط بألوان النقوش يتلون فى اليوم ألوانا وأبو قلمون ضرب من ثياب الحرير ينسج بالروم يتلون ألوانا ويقال للطائش الذى لا ثبات معه أبو رياح تشبيها بمثال فارس من نحاس بمدينة حمص على عمود حديد فوق قبة بباب الجامع يدور مع الريح ويمناه ممدودة وأصابعها مضمومة الا السبابة فاذا أشكل عليهم مهب الريح عرفوه به فانه يدور بأضعف نسيم يصيبه والذى يعمله الصبيان من قرطاس على قصبة يسمى أبا رياح أيضا ويقال أخلاق الملوك مثل فى المتلون قال بعضهم

ويوم كأخلاق الملوك تلونا * فصحو وتغييم وطل ووابل
أشبهه إياك يا من صفاته * دنو واعراض ومنع ونائل

وكلم معاوية الاحنف فى شىء بلغه عنه فأنكره الأحنف فقال له معاوية بلغنى عنك الثقة فقال له الأحنف ان الثقة لا يبلغ مكروها وكان الفضل بن سهل يبغض السعاية وإذا أتاه ساع يقول له ان صدقتنا أبغضناك وان كذبتنا عاقبناك وان استقلتنا أقلناك وكتب فى جواب كتاب ساع نحن نرى أن قبول السعاية شر من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شىء وأخبر به كمن قبله وأجازه فاتقوا الساعى فانه لو كان فى سعايته صادقا لكان فى صدقه لئيما إذا لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة وقيل من سعى بالنميمة حذره الغريب ومقته القريب وقال المأمون النميمة لا تقرب مودة إلا أفسدتها ولا عداوة إلا جددتها ولا جماعة إلا بددتها ثم لابد لمن عرف بها ونسب اليها أن يجتنب ويخاف من معرفته ولا يوثق بمكانه وأنشد بعضهم

من نم فى الناس لم تؤمن عقاربه * على الصديق ولم تؤمن أفاعيه
كالسيل بالليل لا يدرى به أحد * من أين جاء ولا من أين يأتيه
الويل للعهد منه كيف ينقضه * والويل للود منه كيف يفنيه

وانضحا من دمى عليه فقد كا   ن دمى من نداه لو تعلمان   قال فقلت هل رأيت أحداً واسى أحداً بنفسه قال نعم هذا الفتى الفتح ابن خاقان طرح نفسه على المتوكل حتى خلط لحمه بلحمه ودمه بدمه ثم تركنى وتولى فلما عدت إلى المبرد قصصت عليه القصة فقال أتعرفه قلت لا قال ذلك خالد الكاتب تأخذه السوداء أيام الباذنجان انتهى * قيل كبر خالد الكاتب حتى دق عظمه ورق جلده وقوى به الوسواس ورؤى ببغداد والصبيان يتبعونه فأسند ظهره إلى قصر المعتصم والصبيان يصيحون به يابارد فقال كيف أكون بارداً وأنا الذى أقول

بكى عاذلى من رحمتى فرحمته وكم مثله من مسعد ومعين
ورقت دموع العين حتى كأنها دموع دموعى لادموع جفونى

(وحدث أبو الحسن على ابن مقلة) قال حدثنى أبى عن عمه قال اجتاز بى خالد الكاتب وأنا على باب دارى بسر من رأى والصبيان حوله يعبثون به فجاءنى لما رآنى وسألنى صرفهم عنه فصرفتهم وأدخلته دارى وقلت له ماتشتهى تأكل قال الهريسة فتقدمت باصلاحها له فلما أكل قلت أى شىء تحب بعد هذا قال رطب فأمرت باحضاره فأكل فلما فرغ من أكله قلت له أنشدنى من شعرك فأنشدنى

تناسيت ماأوعيت سمعك ياسمعى كأنك بعد الضر خال من النفع
فان كنت مطبوعا على الصد والجفا فمن أين لى صبر فاجعله طبعى

(وقال آخر) يسعى عليك كما يسعى اليك فلا * تأمن غوائل ذى وجهين كياد

وقال صالح بن عبد القدوس رحمه الله تعالى

من يخبرك بشتم عن أخ * فهو الشاتم لامن شتمك

ذاك شىء لم يواجهك به * انما اللوم على من أعلمك

وقال آخر إن يعلموا الخير أخفوه وان علموا * شراً أذاعوا وان لم يعلموا كذبوا

وقال آخر إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا * منى وما سمعوا من صالح دفنوا

صم إذا سمعوا خيراً ذكرت به * وان ذكرت بسوء عندهم أذنوا

وقال الحسن ستر ما عاينت أحسن من اشاعة ما ظننت وقال عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه من سمع بفاحشة فأفشاها فهو كالذى أتاها

﴿ ومما جاء فى النهى عن اللعن ﴾

ماروينا فى صحيح البخارى ومسلم عن ثابت بن الضحاك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن المؤمن كقتله وروينا فى صحيح مسلم أيضاً عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايكون اللعانون شفعاء ولاشهداء يوم القيامة وروينا فى سنن أبى داود عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد إذا لعن شيئاً صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها ثم تأخذ يميناً وشمالاً فاذا لم تجد مساغاً رجعت الى الذى لعن ان كان أهلاً لذلك والا رجعت إلى قائلها ويجوز لعن أصحاب الأوصاف المذمومة على العموم كقوله لعن الله الظالمين لعن الله الكافرين لعن الله اليهود والنصارى لعن الله الفاسقين لعن الله المصورين ونحو ذلك * وثبت فى الأحاديث الصحيحة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الواصلة والمستوصلة وأنه قال لعن الله آكل الربا وأنه قال لعن الله المصورين وأنه قال لعن الله من لعن والديه وأنه قال لعن الله من ذبح لغير الله وأنه قال لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وأنه قال لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال وجميع هذه الألفاظ فى البخارى ومسلم بعضها فيهما وبعضها فى أحدهما والله أعلم

﴿ ومما جاء فى العزلة ومدح الخمول وذم الشهرة ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمول نعمة وكل يتبرأ والظهور نقمة وكل يتمنى وقال بعضهم

تلحف بالخمول تعش سليما * وجالس كل ذى أدب كريم

(وقال جعفر بن الفراء) من أخمل النفس أحياها وروحها * ولم يبت طاويا منها على ضجر

ان الرياح إذا اشتدت عواصفها * فليس ترمى سوى العالى من الشجر

وقال اعرابى رب وحدة أنفع من جليس ووحشة أنفع من أنيس وكان أبو معاوية الضرير يقول فى خصلتان ما يسرنى بهما رد بصرى قلة الاعجاب بنفسى وخلو قلبى من اجتماع الناس الى وقال عمر رضى الله عنه خذوا حظكم من العزلة وصعد حسان على أطم من آطام المدينة ونادى بأعلى صوته ياصباحاه فاجتمعت الخزرج فقالوا ما عندك قال قلت بيت شعر فأحببت أن تسمعوه قالوا هات ياحسان فقال

وان امرأ أمسى وأصبح سالما * من الناس الا ماجنى لسعيد

ولما بنى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه منزله بالعقيق قيل له تركت منازل اخوانك وأسواق الناس ونزلت بالعقيق فقال رأيت أسواقهم لاغية ومجالسهم لاهية فوجدت الاعتزال فيما هنالك عافية

بى كان أضحى فوق خديك روضة فان على خدى غديراً من الدمع فقلت زدنى فقال لايساوى تهر سك ورطبك غير هذا (ومن المروى عنه) قال بعض طلبة المبرد خرجت من مجلس المبرد فلقيت خالد الكاتب فقال من أين قلت من مجلس المبرد قال بل البارد ثم قال ما الذى أنشدكم اليوم قلت أنشدنى

أعار الغيث نائله
إذا ماؤه نفدا
وان أسدا شكا جنبا
أعار فؤاده الأسدا

فقال أخطأ قائل هذا الشعر قلت كيف قال ألا تعلم أنه إذا أعار الغيث نائله بقى بلا نائل وإذا أعار الأسد فؤاده بقى بلا فؤاد قلت فكيف كان يقول فأنشد

علم الغيث الندى من يده
مذ دعاه علم البأس الأسد
فاذا الغيث مقر بالندى
واذا الليث مقر بالجلد

قال فكتبتهما وانصرفت

﴿ نادرة لطيفة ﴾ دخل أبودلامة على المهدى فأنشده قصيدة فقال سل حاجتك فقال ياأمير المؤمنين هب لى كلبا قال فغضب وقال أقول لك سل حاجتك تقول هب لى كلبا فقال ياأمير المؤمنين الحاجة لى أولك فقال بل لك فقال انى أسألك أن تهب لى كلب صيد فأمر له بكلب فقال ياأمير المؤمنين هبنى خرجت للصيد أعدو على رجلى فأمر له بدابة فقال له ياأمير المؤمنين فمن يقوم عليها فأمر له بغلام فقال ياأمير المؤمنين هبنى صدت صيدا وأتيت به المنزل فمن يطبخه فأمر له بجارية فقال ياأمير المؤمنين فهؤلاء

وقيل

وقيل لعروة أخى مرداس لم لاتحدثنا ببعض ماعندك من العلم فقال أكره أن يميل قلبي باجتماعكم الى حب الرياسة فأخسر الدارين وقال سفيان بن عيينة دخلنا على الفضل فى مرضه نعوده فقال ماجاء بكم والله لو لم تجيئوا لكان أحب الى ثم قال نعم الشيء المرض لولا العيادة وقيل للفضل ان ابنك يقول وددت لو أنى بالمكان الذى أرى الناس فيه ولا يرونى فقال ويح ابنى لم لا أتمها فقال لا أراهم ولا يرونى وقال على رضى الله تعالى عنه طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وطوبى لمن لزم بيته وأكل قوته واشتغل بطاعته وبكى على خطيئته فكان من نفسه فى شغل والناس منه فى راحة وقال سفيان الزهد فى الدنيا هو الزهد فى الناس وقيل لراهب فى صومعته ألا تنزل فقال من مشى على وجه الارض عثر والكلام فى مثل هذا كثير وقد اكتفينا بهذا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب الرابع عشر فى الملك والسلطان وطاعة ولاة أمور الاسلام ومايجب للسلطان على الرعية ومايجب لهم عليه ﴾

روى عن الحسن أنه قال للحجاج سمعت ابن عباس رضى الله عنهما يقول قال رسول الله ﷺ وقروا السلاطين وبجلوهم فانهم عز الله وظله فى الارض اذا كانوا عدولا فقال الحجاج ألم نكن فيهم اذا كانوا عدولا قال قلت بلى وعن عمر رضى الله تعالى عنه قال قلت للنبى ﷺ أخبرنى عن هذا السلطان الذى ذلت له الرقاب وخضعت له الاجساد ماهو قال ظل الله فى الارض فاذا أحسن فله الاجر وعليكم الشكر واذا أساء فعليه الاصر وعليكم الصبر وعنه عليه الصلاة والسلام أيما راع استرعى رعيته ولم يحطها بالامانة والنصيحة من ورائها الا ضاقت عليه رحمة الله تعالى التى وسعت كل شيء وقال مالك بن دينار رضى الله تعالى عنه وجدت فى بعض الكتب يقول الله تعالى أنا ملك الملوك رقاب الملوك بيدى فمن أطاعنى جعلتهم عليه رحمة ومن عصانى جعلتهم عليه نقمة لا تشغلوا ألسنتكم بسب الملوك ولكن توبوا إلى الله يعطفهم عليكم وقال جعفر بن محمد رحمة الله تعالى عليه كفارة عمل السلطان الاحسان الى الاخوان وقال كسرى لسيرين ما أحسن هذا الملك لو دام فقال لو دام لاحد ماانتقل الينا ومر طارق الشرطى بابن شبرمة فى موكبه فقال

أراها وان كانت تحب فانها * سحابة صيف عن قليل تقشع

وجلس الاسكندر يوما فما رفع اليه حاجة فقال لا أعد هذا اليوم من أيام ملكى وقال الجاحظ ليس شيء ألذ ولا أسر من عز الامر والنهى ومن الظفر بالاعداء ومن تقليد المنن أعناق الرجال لان هذه الامور تصيب الروح وحظ الذهن وقسمة النفس وقيل الملك خليفة الله فى عباده ولن يستقيم أمر خلافته مع مخالفته وقال الحجاج سلطان تخافه الرعية خير من سلطان يخافها وقال اردشير لابنه يابنى الملك والدين أخوان لاغنى لاحدهما عن الآخر فالدين أس والملك حارس ومالم يكن له أس فمهدوم ومالم يكن له حارس فضائع قيل لما دنت وفاة هرمز وامرأته حامل عقد التاج على بطنها وأمر الوزراء بتدبير المملكة حتى ولدته ولده فتملك وأغار العرب على نواحى فارس فى صباه فلما أدرك ركب وانتخب من أهل النجدة فرسانا وأغار على العرب فانتهكهم بالقتل ثم خلع أكتاف سبعين ألفا فقيل له ذو الاكتاف وأمر العرب حينئذ بارخاء الشعور ولبس المصبغات وان يسكنوا بيوت الشعر وأن لايركبوا الخيل الاعراة (وقيل) من أخلاق الملوك حب التفرد كان اردشير اذا وضع التاج على رأسه لم يضع أحد على رأسه قضيب ريحان واذا لبس حلة لم ير على أحد مثلها واذا تختم بخاتم كان حراما على

أين يبيتون فأمر له بدار فقال ياأمير المؤمنين قد صيرت فى عنقى عيالا فمن أين لى مايقوت هؤلاء قال المهدى اعطوه جريب نخل ثم قال هل بقيت لك حاجة قال نعم تأذن لى أن أقبل يدك انتهى (وحكى) أن هشام بن عبد الملك قدم حاجا الى بيت الله الحرام فلما دخل الحرم قال ائتونى برجل من الصحابة فقيل ياأمير المؤمنين قد تفانوا قال فمن التابعين فأتى بطاوس اليمانى فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم بأمير المؤمنين ولم يكنه وجلس الى جانبه بغير اذنه وقال كيف أنت ياهشام فغضب من ذلك غضبا شديدا حتى هم بقتله فقيل له أنت ياأمير المؤمنين فى حرم الله وحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون ذلك فقال ياطاوس ماحملك على ماصنعت قال وما صنعت قال خلعت نعليك بحاشية بساطى ولم تسلم بيا أمير المؤمنين ولم تكننى وجلست بازائى بغير اذنى وقلت ياهشام كيف أنت فقال له طاوس أما خلع نعلى بحاشية بساطك فانى أخلعهما بين يدى رب العزة فى كل يوم خمس مرات ولا يعاتبنى ولا يغضب على وأما قولك لم تسلم على بامرة المؤمنين فليس كل المؤمنين راضيا بامرتك فخفت أن أكون كاذبا وأما قولك لم تكننى فان الله عز وجل سمى أنبياءه فقال ياداود يايحيى ياعيسى وكنى أعداءه فقال تبت يدا أبى لهب وأما قولك جلست بازائى فانى سمعت أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول اذا أردت أن تنظر الى رجل من أهل النار فانظر الى رجل جالس وحوله قوم قيام فقال له عظنى فقال له إنى سمعت أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول ان فى جهنم حيات وعقارب كالبغال

أهل المملكة أن يتختموا بمثله وكان سعيد بن العاص بمكة اذا اعتم لم يعتم أحد بمثل عمامته مادامت على رأسه وكان الحجاج اذا وضع على رأسه عمامة لم يجترىء أحد من خلق الله ان يدخل عليه بمثلها وكان عبد الملك اذا لبس الخف الاصفر لم يلبس أحد مثله حتى ينزعه وأخبرني من سافر الى اليمن انه لا يأكل الأوز بها أحد غير الملك وقيل من حق الملك أن يفحص عن أسرار الرعية فحص المرضعة عن ابنها وكان اردشير متى شاء قال لأرفع أهل مملكته وأوضعهم كان عندك في هذه الليلة كيت وكيت حتى كان يقال يأتيه ملك من السماء وماذاك الا بتفحصه وتيقظه وكان علم عمر رضي الله عنه بمن نأى عنه كعلمه بمن بات معه على وساد واحد ولقد اقتفى معاوية أثره وتعرف الى زياد رجل فقال أتتعرف الي وأنا أعرف بك من أبيك وأمك وأعرف هذا البرد الذي عليك ففزع الرجل حتى ارتعد من كلامه وعن بعض العباسيين قال كلمت المأمون رحمه الله تعالى في امرأة خطبتها وسألته النظر اليها فقال يا أبا فلان من قصتها وحليتها وفعلها وشأنها كيت وكيت فوالله مازال يصفها ويصف أحوالها حتى أبهتني

﴿ ومما جاء في طاعة ولاة أمور الاسلام ﴾ أمر الله تعالى بذلك في كتابه العزيز على لسان نبيه الكريم فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم وروينا في صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله الانصاري رضي الله عنهما قال بايعت رسول الله ﷺ على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة والسمع والطاعة والنصح لكل مسلم * وسئل كعب الاحبار عن السلطان فقال ظل الله في أرضه من ناصحه اهتدى ومن غشه ضل * وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه لا تسبوا السلطان فانه ظل الله في الارض به يقوم الحق ويظهر الدين وبه يدفع الله الظلم ويهلك الفاسقين وقال عمر بن عبد العزيز لمؤدبه كيف كانت طاعتي لك قال أحسن طاعة قال فأطعني كما كنت أطيعك خذ من شاربك حتى تبدو شفتاك ومن ثوبك حتى تبدو عقباك وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع أمري فقد أطاعني ومن عصى أمري فقد عصاني وقد ورد في الاحاديث الصحيحة ان النبي ﷺ أمر بالسمع والطاعة لولي الامر ومناصحته ومحبته والدعاء له ولو تتبعت ذلك لطال الكلام لكن اعلم أرشدني الله واياك الى الاتباع وجنبنا الزيغ والابتداع ان من قواعد الشريعة المطهرة والملة الحنيفية المحررة أن طاعة الأئمة فرض على كل الرعية وان طاعة السلطان تؤلف شمل الدين وتنظيم أمور المسلمين وان عصيان السلطان يهدم أركان الملة وان أرفع منازل السعادة طاعة السلطان وان طاعته عصمة من كل فتنة وبطاعة السلطان تقام الحدود وتؤدى الفروض وتحقن الدماء وتؤمن السبل وما أحسن ماقالت العلماء ان طاعة السلطان هدى لمن استضاء بنورها وان الخارج عن طاعة السلطان منقطع العصمة بريء من الذمة وان طاعة السلطان حبل الله المتين ودينه القويم وأن الخروج منها خروج من أنس الطاعة إلى وحشة المعصية ومن غش السلطان ضل وزل ومن أخلص له المحبة والنصح حل من الدين والدنيا في أرفع محل وان طاعة السلطان واجبة أمر الله تعالى بها في كتابه العظيم المنزل على نبيه الكريم وقد اقتصرنا في ذلك على ما أوردناه واكتفينا بما بيناه ونسأل الله تعالى أن يلهمنا رشدنا وأن يعيذنا من شرور أنفسنا وسيآت أعمالنا وأن يصلح شأننا انه قريب مجيب وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

﴿ الباب الخامس عشر فيما يجب على من صحب السلطان والتحذير من صحبته ﴾

تلدغ كل أمير لا يعدل في رعيته ثم قام فخرج انتهى (نادرة لطيفة) مروية عن أبي عمر عامر الشعبي ولكن يتعين أن نبدأ بشيء من ترجمته قال الزهري العلماء أربعة ابن المسيب بالمدينة والحسن البصري بالبصرة ومكحول بالشام والشعبي بالكوفة ويقال انه أدرك خمسمائة من الصحابة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (والنادرة الموعود بذكرها) هي ماحكى الشعبي قال أنفذني عبد الملك ابن مروان الى ملك الروم فلما وصلت اليه جعل لا يسألني عن شيء الا أجبته وكانت الرسل لا تطيل الاقامة فحبسني عنده أياما كثيرة فلما أردت الانصراف قال أمن بيت المملكة أنت فقلت لا ولكني من العرب فدفع الي رقعة وقال اذا أديت الرسائل الى صاحبك أوصل اليه هذه الرقعة قال فأديت الرسائل عند وصولي الى عبد الملك وأنسيت الرقعة فلما وصلت الباب أريد الخروج تذكرت الرقعة فرجعت فأوصلتها اليه فقال لي هل قال لك شيئا قبل أن يدفعها اليك قلت نعم قال لي أنت من أهل بيت المملكة قلت لا ولكني رجل من العرب في الجملة ثم خرجت من عند عبد الملك فلما بلغت الباب طلبني فرددت فلما مثلت بين يديه قال أتدري ما في الرقعة قلت لا قال اقرأها فقرأتها فاذا فيها عجبت من قوم فيهم مثل هذا كيف ملكوا غيره قلت يا أمير المؤمنين لو علمت ما فيها ما حملتها وانما قال هذا لانه لم يرك قال أتدري لم كتبها قلت لا قال حسدني عليك فأراد أن يغريني بقتلك انتهى (وقيل) كان الشعبي ضئيلا نحيلا فقيل له في ذلك

(أما

فقال زوجمت في الرحم وكان قد ولد هو وأخ آخر وأقام في البطن سنتين ذكره صاحب كتاب المعارف (و يقال) ان الحجاج قال
له يوما كم عطاءك في السنة فقال ألفين فقال له ويحك كم عطاؤك قال ألفان فقال ويحك كيف لحنت أولا فقال لحن الأمير

(أما صحبة السلطان) فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما قال لي أبي يابني اني أرى أمير المؤمنين يستخليك ويستشيرك ويقدمك على الاكابر من أصحاب محمد ﷺ واني أوصيك بخلال ثلاث لا تفشين له سرا ولا تجربن عليه كذبا ولا تغتابن عنده أحدا قال الشعبي رحمه الله تعالى قلت لابن عباس كل واحدة منهن خير من ألف فقال أي والله ومن عشرة آلاف وقال بعض الحكماء إذا زادك السلطان تأنيسا فزده اجلالا واذا جعلك أخا فاجعله أبا واذا زادك احسانا فزده فعل العبد مع سيده واذا ابتليت بالدخول على السلطان مع الناس فأخذوا في الثناء عليه فعليك بالدعاء له ولا تكثر في الدعاء له عند كل كلمة فان ذلك شبيه بالوحشة والغربة * وقال مسلم بن عمرو لمن خدم السلطان لا تغتر بالسلطان اذا أدناك ولا تتغير منه اذا أقصاك * وروي أن بعض الملوك استصحب حكيما فقال له أصحبك على ثلاث خصال قال وما هن قال لا تهتك لي سترا ولا تشتم لي عرضا ولا تقبل في قول قائل حتى تستشيرني قال هذا لك فما لي عليك قال لا أفشي لك سرا ولا أدخر عنك نصيحة ولا أوثر عليك أحدا قال نعم الصاحب للمستصحب أنت وقال بزرجمهر إذا خدمت ملكا من الملوك فلا تطعه في معصية خالقك فان إحسانه اليك فوق احسان الملك وايقاعه بك أغلظ من ايقاعه * وقالوا اصحب الملوك بالهيبة لهم والوقار لانهم انما احتجبوا عن الناس لقيام الهيبة وان طال أنسك بهم تزدد غما * وقالوا اعلم السلطان وكأنك تتعلم منه وأشر عليه وكأنك تستشيره واذا أحلك السلطان من نفسه بحيث يسمع منك ويثق بك فاياك والدخول بينه وبين بطانته فانك لا تدري متى يتغير منك فيكونون عونا عليك وإياك ان تعادي من اذا شاء أن يطرح ثيابه ويدخل مع الملك في ثيابه فعل وفي الامثال القديمة احذروا زمارة المخدة وفيه قيل

ليس الشفيع الذي يأتيك متزرا * مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا

وقال يحيى بن خالد اذا صحبت السلطان فداره مداراة المرأة العاقلة لصحبة الزوج الاحمق (وأما ما جاء في التحذير من صحبة السلطان) فقد اتفقت حكماء العرب والعجم على النهي عن صحبة السلطان قال في كتاب كليلة ودمنة ثلاثة لا يسلم عليها الا القليل صحبة السلطان وائتمان النساء على الاسرار وشرب السم على التجربة * وكان يقال قد خاطر بنفسه من ركب البحر وأعظم منه خطرا من صحب السلطان وكان بعض الحكماء يقول أحق الأمور بالتثبت فيها أمور السلطان فان من صحب السلطان بغير عقل فقد لبس شعار الغرور وفي حكم الهند صحبة السلطان على ما فيها من العز والثروة عظيمة الخطر * وقيل للعتابي لم لا تصحب السلطان على ما فيك من الادب قال لاني رأيته يعطي عشرة آلاف في غير شيء ويرمي من السور في غير شيء ولا أدري أي الرجلين أكون * وقال معاوية لرجل من قريش إياك والسلطان فانه يغضب غضب الصبي ويبطش بطش الاسد * وقال ميمون بن مهران قال لي عمر ابن عبد العزيز يا ميمون احفظ عني أربعا لا تصحبن السلطان وان أمرته بالمعروف ونهيته عن المنكر ولا تخلون بامرأة وان أقرأتها القرآن ولا تصل من قطع رحمه فانه لك أقطع ولا تتكلم بكلام اليوم تعتذر منه غدا وكم رأينا وبلغنا ممن صحب السلطان من أهل الفضل والعقل والعلم والدين ليصلحه ففسد هو به فكان كما قيل

عدوى البليد الى الجليد سريعة * والجمر يوضع في الرماد فيخمد

فلحنت فلما أعرب أعربت وما يحسن أن يلحن الأمير وأعرب فاستحسن ذلك منه وأجازه (نادرة بديعة غريبة) منقولة عن سديد الملك أبي الحسن علي بن منقذ صاحب قلعة شيزر وكان سديد المذكور مقصودا من البلاد ممدوحا مدحه جماعة من الشعراء كابن الخياط والخفاجي وغيرهما وله شعر جيد أيضا ومنه قوله وقد غضب على مملوكه فضربه

أسطو عليه وقلبي لو تمكن من * كفي غلهما غيظا الى عنقي
وأستعين إذا عاقبته حنقا * وأين ذل الهوى من عزة الحنق

وكان موصوفا بقوة الفطنة ويحكى عنه في ذلك حكاية عجيبة وهي أنه كان يتردد على حلب قبل تملكه قلعة شيزر وصاحب حلب يومئذ تاج الملوك محمود ابن صالح بن مرداس فجرى أمر خاف سديد الملك منه على نفسه فخرج من حلب الى طرابلس الشام وصاحبها يومئذ جلال الملك بن عمار فأقام عنده

 فتقدم محمود صاحب حلب الى كاتبه أبي نصر محمد بن الحسين بن النحاس الحلبي أن يكتب إلى سديد الملك كتابا يتشوقه فيه ويستعطفه ويستدعيه الى حلب ففهم الكاتب أنه يقصد له شرا إذا جاء اليه وكان

ومثل من صحب السلطان ليصلحه مثل من ذهب ليقيم حائطا مائلا فاعتمد عليه ليقيمه نخر الحائط عليه فاهلكه قال الشاعر

ومعاشر السلطان شبه سفينة * في البحر ترجف دائما من خوفه
ان أدخلت من مائه في جوفها * يغتالها مع مائها في جوفه

وفي كتاب كليلة ودمنة لا يسعد من ابتلى بصحبة الملوك فانهم لا عهد لهم ولا وفاء ولا قريب ولا حميم ولا يرغبون فيك الا أن يطمعوا فيما عندك فيقربوك عند ذلك فاذا قضوا حاجتهم منك تركوك ورفضوك ولا ود للسلطان ولا إخاء والذنب عنده لا يغفر * وقالت الحكماء صاحب السلطان كراكب الاسد يخافه الناس وهو لمركوبه أخوف * وقال محمد بن واسع والله لسف التراب ولقضم العظم خير من الدنو من أبواب السلاطين * وقال محمد بن السماك الذباب على العذرة خير من العابر على أبواب الملوك * وقيل من صحب السلطان قبل أن يتأدب فقد غرر بنفسه * وقال ابن المعتز من شارك السلطان في عز الدنيا شاركه في ذل الآخرة وعنه اذا زادك السلطان تأنيسا واكراما فزده تهيبا واحتشاما * وقال أبو علي الصفاني اياك والملوك فان من والاهم أخذوا ماله ومن عاداهم أخذوا رأسه وقيل مكتوب على باب قرية من قرى بلخ اسمها بهار أبواب الملوك تحتاج الى ثلاثة عقل وصبر ومال وتحته مكتوب كذب عدو الله من كان له واحد منها لم يقرب باب السلطان وقال حسان بن ربيع الحميري لا تثقن بالملك فانه ملول ولا بالمرأة فانها خؤن ولا بالدابة فانها شرود وقال عبيد بن عمير ما ازداد رجل من السلطان قربا الا ازداد من الله بعدا ولا كثرت أتباعه الا كثرت شياطينه ولا كثر ماله الا كثر حسابه وقال ابن المبارك رحمه الله

أرى الملوك بأدنى الدين قد قنعوا * ولا أراهم رضوا في العيش بالدون
فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما اسـ * ـتغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال بعضهم في ولاة بني مروان

اذا ما قطعتم ليلكم بمدامكم * وأفنيتمو أيامكم بمنام * فمن ذا الذي يغشاكم في ملمة
ومن ذا الذي يغشاكم بسلام * رضيتم من الدنيا بأيسر بلغة * بلثم غلام أو بشرب مدام
ولم تعلموا أن اللسان موكل * بمدح كرام أو بذم لئام

نهت الحكماء عن خدمة الملوك فقالوا ان الملوك يستعظمون في الثواب رد الجواب ويستقلون في العقاب ضرب الرقاب وقيل شر الملوك من أمنه الجريء وخافه البريء والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم المصير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب السادس عشر في ذكر الوزراء وصفاتهم وأحوالهم وما أشبه ذلك ﴾

قال الله تعالى حاكيا عن موسى عليه السلام واجعل لي وزيرا من أهلي فلو كان السلطان يستغني عن الوزراء لكان أحق الناس بذلك كليم الله موسى بن عمران عليه السلام ثم ذكر حكمة الوزارة فقال أشدد به أزري وأشركه في أمري دلت هذه الآية على أن الوزارة تشد قواعد المملكة وأن يفوض اليه السلطان اذا استكملت فيه الخصال المحمودة ثم قال كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا دلت هذه الآية على أن بصحبة العلماء والصالحين وأهل الخبرة والمعرفة تنتظم أمور الدنيا والآخرة وكما يحتاج

الكاتب صديقا الى سديد الملك فكتب الكاتب كما أمره مخدومه الى أن بلغ الى آخره وهو ان شاء الله فشدد النون وفتحها فلما وصل الكتاب الى سديد الملك عرضه على ابن عمار صاحب طرابلس ومن بمجلسه من خواصه فاستحسنوا عبارة الكتاب واستعظموا ما فيه من رغبة محمود فيه وايثاره لقربه فقال سديد الملك اني أرى ما لا ترون في الكتاب ثم أجاب عن الكتاب بما اقتضاه الحال وكتب في جملة فصول الكتاب أنا الخادم المقر بالانعام وكسر الهمزة من أنا وشدد النون فلما وصل الكتاب الى محمود ووقف عليه سر بما فيه وقال لاصدقائه قد علمت ان الذي كتبته لا يخفى على مثله وقد أجاب بما طيب قلبي عليه وكان الكاتب قد قصد قوله تعالى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فأجاب سديد الملك بقوله انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها وكانت هذه الحكاية معدودة من شدة تيقظه وفهمه انتهى ﴿ وحكى الصابيء في كتاب الاعيان والامثال ﴾ ان رجلا اتصلت عطلته وانقطعت مادته فزور كتابا من الوزير أبي الحسن علي ابن الفرات وزير المقتدر بالله العباسي الى ابن زيتون المارداني عامل مصر يتضمن المبالغة في الوصايا وزيادة الاكرام وعمل المصالح فلما دخل مصر اجتمع بابن زيتون ودفع اليه الكتاب فلما قرأ ابن زيتون الكتاب ارتاب في أمره لتغير لفظ الخطاب عما جرت به العادة وكون الدعاء أكثر مما يقتضيه محله فراعاه مراعاة قريبة ووصله صلة قليلة وحبسه عنده على وعد وعده به ثم كتب إلى أبي الحسن بن الفرات

أشجع الناس إلى السلاح وأفره الخيل إلى السوط وأحد الشفار إلى المسن كذلك يحتاج أجل الملوك وأعظمهم وأعلمهم إلى الوزير وروى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصمه الله وقال وهب بن منبه قال موسى لفرعون آمن ولك الجنة ولك ملكك قال حتى أشاور هامان فشاوره في ذلك فقال له هامان بينما أنت رب تعبد اذ صرت تعبد فأنف واستكبر وكان من أمره ما كان وعلى هذا النمط كان وزير الحجاج يزيد بن مسلم لا يألوه خبالا ولبئس القرناء شر قرين لشر خدين وأشرف منازل الآدميين النبوة ثم الخلافة ثم الوزارة وفي الأمثال نعم الظهير الوزير وأول ما يظهر نبل السلطان وقوة تمييزه وجودة عقله في انتخاب الوزراء واستنقاء الجلساء ومحادثة العقلاء فهذه ثلاث خلال تدل على كماله وبهذه الخلال يجمل في الخلق ذكره وترسخ في النفوس عظمته والمرء موسوم بقرينه وكان يقال حلية الملوك وزينتهم وزراؤهم وفي كتاب كليلة ودمنة لا يصلح السلطان الا بالوزراء والأعوان وقال شريح بن عبيد لم يكن في بني اسرائيل ملك إلا ومعه رجل حكيم إذا رآه غضبان كتب اليه صحائف في كل صحيفة ارحم المسكين واخش الموت واذكر الآخرة فكلما غضب الملك ناوله الحكيم صحيفة حتى يسكن غضبه ومثل الملك الخير والوزير السوء الذي يمنع الناس خيره ولا يمكنهم من الدنو منه كالماء الصافي فيه التمساح فلا يستطيع المرء دخوله وان كان سابحا والى الماء محتاجا ومثل السلطان كمثل الطبيب ومثل الرعية كمثل المرضى ومثل الوزير كمثل السفير بين المرضى والأطباء فاذا كذب السفير بطل التدبير وكما أن السفير إذا أراد أن يقتل أحدا من المرضى وصف للطبيب نقيض دائه فاذا اسقاه الطبيب على صفة السفير هلك العليل كذلك الوزير ينقل إلى الملك ما ليس في الرجل فيقتله الملك فمن ههنا شرط في الوزير أن يكون صدوقا في لسانه عدلا في دينه مأمونا في أخلاقه بصيرا بأمور الرعية وتكون بطانة الوزير أيضا من أهل الأمانة والبصيرة وليحذر الملك أن يولي الوزارة لئيما فاللئيم اذا ارتفع جفا أقاربه وأنكر معارفه واستخف بالأشراف وتكبر على ذوي الفضل ودخل بعض الوزراء على بعض الخلفاء وكان الوزير من أهل العقل والأدب فوجد عنده رجلا ذميا كان الخليفة يميل اليه ويقربه فقال الوزير منشدا

يا ملكا طاعته لازمه * وحبه مفترض واجب

ان الذي شرفت من أجله * يزعم هذا انه كاذب

وأشار الى الذمي فسأله يا أمير المؤمنين عن ذلك فسأله فلم يجد بدا من أن يقول هو صادق فاعترف بالاسلام وكان بعض الملوك قد كتب ثلاث رقاع وقال لوزيره اذا رأيتني غضبان فادفع الى رقعة بعد رقعة وكان في الأولى انك لست باله وانك ستموت وتعود إلى التراب فيأكل بعضك بعضا وفي الثانية ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء وفي الثالثة اقض بين الناس بحكم الله فانهم لا يصلحهم الا ذلك ولما كانت أمور المملكة عائدة الى الوزراء وأزمة الملوك في أكف الوزراء سبق فيهم من العقلاء المثل السائر فقالوا لا تغتر بمودة الأمير اذا غشك الوزير واذا أحبك الوزير فنم ولا تخش الأمير ومثل السلطان كالدار والوزير بابها فمن أتى الدار من بابها ولج ومن أتاها من غير بابها انزعج وموقع الوزارة من المملكة كموقع المرآة من البصر فكما أن من لم ينظر في المرآة لا يرى محاسن وجهه وعيوبه كذلك السلطان اذا لم يكن له وزير لا يعلم محاسن دولته وعيوبها ومن شروط الوزير أن يكون كثير الرحمة للخلق رؤفا بهم

يذكر الكتاب الذي ورد عليه وأنفذه بعينه فلما وقف عليه ابن الفرات عرف الرجل وذكر ما كان عليه من الحرمة وماله من الحقوق القديمة عليه فعرضه على كتابه وعرفهم الصورة وعجب اليهم منها وقال لهم ما الرأي في مثل هذا الرجل فقال بعضهم تأديبه وقال بعضهم قطع ابهامه وقال أجملهم محضرا يكشف لابن زيتون أمره ويرسم له بطرده وحرمانه فقال ابن الفرات ما أبعدكم من الخير رجل توسل بنا وحمل المشقة إلى مصر وأمل الخير بجاهنا والانتساب الينا يكون حاله عند أحسنكم نظرا تكذيب ظنه وتخييب سعيه والله لا كان هذا أبدا ثم أخذ القلم ووقع على الكتاب المزور هذا كتابي ولست أعلم لم أنكرت أمره واعترضتك فيه شبهة وليس كل من يخدمنا نعرفه وهذا رجل خدمني أيام نكبتي فأحسن تفقده ورفده وصرفه فيما يعود نفعه عليه ثم رد الكتاب إلى ابن زيتون من يومه ومضت على ذلك مدة طويلة اذ دخل على ابن الفرات رجل ذو هيئة مقبولة وبزة جميلة فاقبل يدعو له ويثني عليه ويبكي ويقبل يديه والأرض فقال له ابن الفرات من أنت بارك الله فيك قال صاحب الكتاب المزور إلى ابن زيتون الذي صححه كرم الوزير بفضله فضحك ابن الفرات وقال كم وصل اليك منه قال أوصل الى من ماله ومن قسط قسطه على عماله عشرين ألف دينار فقال الحمد لله على صلاح حالك ثم اختبره فوجده كاتبا سديدا فاستخدمه انتهى والحمد لله على ذلك (ذكر الحصري في كتابه المسمى بالدر المصون في سر

الهوى المكنون﴾ أن الجاحظ ذكر للواثق لتأديب بعض أولاده فلما رآه استبشع منظره فأمر له بعشرة آلاف درهم وصرفه
قال الجاحظ فخرجت من عنده فرأيت محمد بن ابراهيم وهو يريد الانحدار إلى مدينة السلام فعرض على

﴿واعلم﴾ أنه ليس للوزير أن يكتم عن السلطان نصيحة وان استقلها وموضع الوزير من المملكة كموضع العينين من الرأس وكما أن المرآة لا تريك وجهك إلا بصفاء جوهرها وجودة صقلها ونقائها من الصدا كذلك السلطان لا يكمل أمره إلا بجودة عقل الوزير وصحة فهمه ونقاء قلبه والله تعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

﴿ الباب السابع عشر في ذكر الحجاب والولاية وما فيها من الغرر والخطر ﴾

(أما الحجاب) فقد قيل لا شيء أضيع للمملكة وأهلك للرعية من شدة الحجاب وقيل إذا سهل الحجاب أحجمت الرعية عن الظلم وإذا عظم الحجاب هجمت على الظلم وقال ميمون بن مهران كنت عند عمر بن عبد العزيز فقال لحاجبه من بالباب فقال رجل أناخ ناقته الآن يزعم أنه ابن بلال مؤذن رسول الله ﷺ فأذن له أن يدخل فلما دخل قال حدثني أبي أنه سمع رسول الله ﷺ يقول من ولي شيئاً من أمور المسلمين ثم حجب عنه حجبه الله عنه يوم القيامة فقال عمر لحاجبه الزم بيتك فما رؤي على بابه بعد ذلك حاجب وكان خالد بن عبد الله القشيري يقول لحاجبه اذا أخذت مجلسي فلا تحجبن عني أحداً فان الوالي لا يحتجب إلا لثلاث عيب يكره أن يطلع عليه أحد أو ريبة يخاف منها أن تظهر أو بخل يكره معه أن يسأل شيئاً وكانت العجم تقول لا شيء أضيع للمملكة من شدة حجاب الملك ولا شيء أهيب للرعية وأكف لهم عن الظلم من سهولته وقيل لبعض الحكماء ما الجرح الذي لا يندمل قال حاجة الكريم إلى اللئيم ثم يرده بغير قضائها قيل فما الذي هو أشد منه قال وقوف الشريف بباب الدنيء ثم لا يؤذن له ووقف عبد الله بن العباس بن الحسن العلوي على باب المأمون يوما فنظر اليه الحاجب ثم أطرق فقال عبد الله لقوم معه انه لو أذن لنا لدخلنا ولو صرفنا لانصرفنا ولو اعتذر الينا لقبلنا وأما النظرة بعد النظرة والتوقف بعد التعرف فلا أفهم معناه ثم تمثل بهذا البيت

وما عن رضى كان الحمار مطيتي * ولكن من يمشي سيرضى بما ركب

ثم انصرف فبلغ ذلك المأمون فضرب الحاجب ضرباً شديداً وأمر لعبد الله بصلة جزيلة وعشر دواب

(قال الشاعر) رأيت أناساً يسرعون تبادرا * اذا فتح البواب بابك اصبعاً
ونحن جلوس ساكتون رزانة * وحلما إلى أن يفتح الباب أجمعاً

ووقف رجل خراساني بباب أبي دلف العجلي حيناً فلم يؤذن له فكتب رقعة وتلطف في وصولها اليه وفيها

إذا كان الكريم له حجاب * فما فضل الكريم على اللئيم

فأجابه أبو دلف بقوله إذا كان الكريم قليل مال * ولم يعذر تعلل بالحجاب
وأبواب الملوك محجبات * فلا تستنكرن حجاب بابي

(ومن) محاسن النظم في ذم الاحتجاب قول بعضهم

سأهجركم حتى يلين حجابكم * على أنه لابد سوف يلين
خذوا حذركم من صفوة الدهر انها * وان لم تكن خانت فسوف تخون

وقال آخر ماذا على بواب داركم الذي * لم يعطنا اذنا ولا يستأذن
لو ردنا رداً جميلاً عنكم * أو كان يدفع بالتي هي أحسن

الانحدار معه فانحدرت ونصبت ستارة وأمر بالغناء فاندفعت عوادة تغني

كل يوم قطيعة وعتاب * ينقضي دهرنا ونحن غضاب
ليت شعري أنا خصصت بهذا * دون ذا الخلق أم كذا الأحباب

ثم سكتت فأمر طنبورية فغنت

وارحمتا للعاشقينا * ما ان أرى لهم معينا
كم يهجرون ويصرمو * ن ويقطعون فيصبرونا

فقالت لها العوادة فيصنعون ماذا فقالت يصنعون هكذا وضربت بيدها على الستارة وبدت كأنها فلقة بدر ثم رمت بنفسها في الماء قال وكان على رأس محمد غلام يضاهيها في الجمال وفي يده مذبة فألقى المذبة من يده لما رأى ما صنعت الجارية ثم أتى إلى موضع سقوطها ونظر اليها وأنشد

أنت التي غرقتني * بعد القضا لو تعلمينا

ورمى بنفسه في أثرها فادار الملاح الحراقة فاذا بهما متعانقين ثم غاصا فهال ذلك محمداً واستعظمه وقال يا عمرو إن لم تحدثني حديثاً يسليني عنهما ألحقتك بهما قال الجاحظ وقال
حضرني خبر سليمان بن عبد الملك وقد قعد يوما للظالم وعرضت عليه القصص فمرت قصة مكتوب فيها ان رأى أمير المؤمنين أعز

وقال آخر أمرت بالتسهيل فى الاذن لى * ولم ير الحاجب أن يأذنا
فلن ترانى بعدها عائدا * ولن تراه بعد مستأذنا

وقال آخر ولقد رأيت بباب دارك جفوة * فيها لحسن صنيعك التكدير
مابال دارك حين تدخل جنة * وبباب دارك منكر ونكير

وقال آخر إذا جئت ألقى عند بابك حاجبا * محياه من فرط الجهالة حالك
ومن عجب مغناك جنة قاصد * وحاجبها من دون رضوان مالك

وقال آخر سأترك بابا أنت تملك إذنه * ولو كنت أعمى عن جميع المسالك
فلو كنت بواب الجنان تركتها * وحولت رجلى مسرعا نحو مالك

وقال آخر ماذا يفيدك أن تكون محجباً * والعبد بالباب الكريم يلوذ
ما أنت الا فى الحصار معى فلا * تتعب فكل محاصر مأخوذ

وقال أبو تمام سأترك هذا الباب مادام اذنه * على ما أرى حتى يلين قليلا
فما خاب من لم يأته متعمداً * ولا فاز من قد نال منه وصولا
إذا لم نجد للاذن عندك موضعاً * وجدنا إلى ترك المجىء سبيلا

واستأذن رجل على أمير فقال للحاجب قل له ان الكرى قد خطب إلى نفسى وانما هى هجعة وأهب فخرج الحاجب فقال له الرجل ما الذى قال لك قال قال كلاما لا أفهمه وهو يريد أن لا يأذن لك وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه انما أمهل فرعون مع دعواه الألوهية لسهولة اذنه وبذل طعامه وقال عمرو بن مرة الجهنى لمعاوية سمعت رسول الله ﷺ يقول مامن أمير يغلق بابه دون ذوى الحاجة والخلة والمسئلة الا أغلق الله أبواب السموات دون حاجته وخلته ومسئلته * وجاء النامى الشاعر لبعض الامراء فحجبه فقال

سأصبر إن جفوت فكم صبرنا * لمثلك من أمير أو وزير * رجوناهم فلما أخلفونا تمادت فيهم غير الدهور * فبتنا بالسلامة وهى غنم * وباتوا فى المحابس والقبور
ولما لم ننل منهم سروراً * رأينا فيهم كل السرور

(وأنشدوا فى ذلك أيضا) قل للذين تحجبوا عن راغب * بمنازل من دونها الحجاب
ان حال عن لقيا كم بوابكم * فالله ليس لبابه بواب

واستأذن سعد بن مالك على معاوية فحجبه فهتف بالبكاء فأتى اليه الناس وفيهم كعب فقال وما يبكيك ياسعد فقال ومالى لا أبكى وقد ذهب الاعلام من أصحاب رسول الله ﷺ ومعاوية يلعب بهذه الامة فقال كعب لا تبك فان فى الجنة قصرا من ذهب يقال له عدن أهله الصديقون والشهداء وأنا أرجو أن تكون من أهله * واستأذن بعضهم على خليفة كريم وحاجبه لئيم فحجبه فقال

فى كل يوم لى ببابك وقفة * أطوى اليه سائر الابواب
واذا حضرت رغبت عنك فانه * ذنب عقوبته على البواب

﴿وأما ذكر الولايات وما فيها من الخطر العظيم﴾ فقد قال الله تعالى لداود عليه السلام ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب جاء فى التفسير ان مع اتباع الهوى أن يحضر الخصمان

الله أن يخرج إلى جاريته فلانة حتى تغنينى ثلاثة أصوات فعل ان شاء الله تعالى فاغتاظ سليمان لذلك وأمر من يأتيه برأسه ثم أردفه رسولا آخر أن يدخل به اليه فلما دخل قال ما حملك على ما صنعت قال الثقة بحلمك والاتكال على عفوك فأمره بالقعود حتى لم يبق أحد من بنى أمية إلا خرج ثم أمر بالجارية فأخرجت ومعها عود فقال لها غنى مايقول لك فقال الفتى غنى
تألق البرق نجديا فقلت له * أيها البرق انى عنك مشغول
فغنته فقال له سليمان أتأمر لى برطل فأتى به فشربه ثم قال لها غنى
حبذا رجعها الينا يداها * فى يدى درعها تحل الازارا
فغنته فقال لسليمان أتأمر لى برطل فأتى به فشربه ثم قال غنى
أفاطم مهلا بعض هذا التدلل * وان كنت قد أزمعت صرمي فاجملى
فغنته فقال لسليمان أتأمر لى برطل فما استتم شربه حتى صعد على الفور على قبة لسليمان فرمى بنفسه على دماغه فمات فقال سليمان إنا لله وإنا اليه راجعون أتراه الأحمق ظن أنى أخرج اليه جاريتى وأردها إلى ملكى ياغلمان خذوا بيد هذه الجارية وانطلقوا بها إلى أهله ان كان له أهل والا فبيعوها وتصدقوا بثمنها عليه فلما انطلقوا بها نظرت إلى حفيرة فى دار سليمان اتخذت للمطر فجذبت نفسها من أيديهم ثم قالت
من مات عشقا فليمت هكذا * لاخير فى عشق بلا موت * فرمت بنفسها فى الحفيرة فماتت فسرى عن محمد وأحسن صلتى

انتهى ﴿وكتب﴾ أبو منصور أفتكين التركى متولى دمشق الى عضد الدولة بن بويه كتابا مضمونه أن الشام قد صفا وصار في يدي وزال عنه حكم صاحب مصر وان قويتنى بالأهوال والرجال والعدد حاربت القوم فى مستقرهم فكتب

اليه عضد الدولة فى جوابه هذه الكلمات وهى متشابهة فى الخط لا تعرف الا بعد النقط والضبط وهى غرك عزك فصار قصار ذلك ذلك فاخش فاحش فعلك فعلك تهدأ بهذا قال القاضى شمس الدين ابن خلكان تغمده الله برحمته لقد أبدع غاية الابداع ﴿قلت﴾ وأبدع منه قول السلامى فيه من قصيدته التى منها

اليك طوى عرض البسيطة جاعل
قصار المطايا أن يلوح لها القصر

فكنت وعزمى فى الظلام وصارمى
ثلاثة أشياء كما اجتمع النسر

وبشرت آمالى بملك هو الورى
ودار هى الدنيا ويوم هو الدهر

قال ابن خلكان هذا على الحقيقة هو السحر الحلال كما يقال * وقد أخذ هذا المعنى القاضى أبو بكر الارجانى فقال

يا سائلى عنه لما جئت أمدحه
هذا هو الرجل العارى من النار

لقيته فرأيت الناس فى رجل
والدهر فى ساعة والارض فى دار

ولكن أين الثريا من الثرى * وألم أبو الطيب المتنبي أيضا بهذا المعنى لكنه ما استوفى بقوله

هو الغرض الاقصى ورؤيتك المنى * ومنزلك الدنيا وأنت الخلائق

ولكن ليس لاحد منهما طلاوة بيت السلامى

بين يديك فتود أن يكون الحق للذى فى قلبك حبه خاصة وبهذا سلب سليمان بن داود ملكه قال ابن عباس رضى الله عنهما كان الذى أصاب سليمان بن داود عليهما السلام أن ناسا من أهل جرادة امرأته وكانت من أكرم نسائه عليه تحاكموا اليه مع غيرهم فأحب أن يكون الحق لأهل جرادة فيقضى لهم فعوقب بسبب ذلك حيث لم يكن هواه فيهم واحدا * وروى عن عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه قال قال لى رسول الله ﷺ يا عبد الرحمن لا تسأل الامارة فانك ان أعطيتها من غير مسئلة أعنت عليها وان أعطيتها عن مسئلة وكلت اليها وقال معقل بن يسار رضى الله عنه سمعت النبي ﷺ يقول ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصيحته الا لم يجد رائحة الجنة وفى الحديث من ولى من أمور المسلمين شيئا ثم لم يحطهم بنصيحته كما يحوط أهل بيته فليتبوأ مقعده من النار وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعث إلى عاصم يستعمله على الصدقة فأبى وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول اذا كان يوم القيامة يؤتى بالوالى فيقف على جسر جهنم فيأمر الله تعالى الجسر فينتفض انتفاضة فيزول كل عضو منه عن مكانه ثم يأمر الله تعالى بالعظام فترجع الى أماكنها فان كان لله مطيعا أخذ بيده وأعطاه كفلين من رحمته وان كان لله عاصيا انخرق به الجسر فهوى به فى نار جهنم مقدار سبعين خريفا فقال عمر رضى الله عنه سمعت من النبي ﷺ ما لم أسمع قال نعم وكان سلمان وأبو ذر حاضرين فقال سلمان أى والله يا عمر ومع السبعين سبعون خريفا فى واد يلتهب التهابا فضرب عمر رضى الله عنه بيده على جبهته وقال انا لله وانا اليه راجعون من يأخذها بما فيها فقال سلمان من أرغم الله أنفه وألصق خده بالأرض وروى أبو داود فى السنن قال جاء رجل الى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله ان أبى عريف على الماء وانى أسألك أن تجعل لى العرافة من بعده فقال النبي ﷺ العرفاء فى النار وروى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ان أشد الناس عذابا يوم القيامة الامام الجائر وقالت عائشة رضى الله عنها سمعت رسول الله ﷺ يقول يؤتى بالقاضى العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يود أنه لم يقض بين اثنين فى تمرة وقال الحسن البصرى ان النبي ﷺ دعا عبد الرحمن بن سمرة يستعمله فقال يا رسول الله خر لى فقال اقعد فى بيتك وقال أبو هريرة رضى الله عنه ما من أمير يؤمر على عشرة الا جيء به يوم القيامة مغلولا لا ينجاه عمله أو أهلكه وقال طاوس لسليمان بن عبد الملك هل تدرى يا أمير المؤمنين من أشد الناس عذابا يوم القيامة قال سليمان قل فقال طاوس أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل أشركه الله فى ملكه فجار فى حكمه فاستلقى سليمان على سريره وهو يبكى فما زال يبكى حتى قام عنه جلساؤه وقال ابن سيرين جاء صبيان إلى أبى عبيدة السلمانى يتخيرون اليه فى ألواحهم فلم ينظر اليها وقال هذا حكم لا أتولى حكما أبدا وقال أبو بكر بن أبى مريم حج قوم فمات صاحب لهم بأرض فلاة فلم يجدوا ماء فأتاهم رجل فقالوا له دلنا على الماء فقال احلفوا لى ثلاثا وثلاثين يمينا انه لم يكن صرافا ولا مكاسا ولا عريفا ويروى ولا عرافا ولا بريدا وأنا أدلكم على الماء فحلفوا له ثلاثا وثلاثين يمينا كما قال فدلهم على الماء فقالوا له أعنا على غسله فقال لا حتى تحلفوا لى ثلاثا وثلاثين يمينا كما تقدم فحلفوا له فأعانهم على غسله ثم قالوا له تقدم فصل عليه فقال لا حتى تحلفوا لى ثلاثا وثلاثين يمينا كما تقدم فحلفوا له فصلى عليه ثم التفتوا فلم يجدوا أحدا فكانوا يرون أنه الخضر عليه السلام وقال أبو ذر رضى الله عنه قال لى رسول الله ﷺ يا أبا ذر انى أحب لك ما أحب لنفسى وانى أراك ضعيفا فلا تتأمرن على اثنين ولا تلين مال يتيم ﴿ومن غريب ما اتفق وعجيب ما سبق﴾ ما حكى أن

انتهى ﴿نادرة لطيفة﴾ كان أبو بكر المحلي يتولى نفقات أبي المسك كافور الاخشيدي وكان له في كل عيد أضحى عادة وهو أن يسلم إلى أبي بكر المذكور بغلا محملا ذهبا وجريدة تتضمن أسماء قوم من حد القرافة الى الجبانة (٩٥) وما بينهما قال أبو بكر المذكور وكان يمشي معي صاحب الشرطة ونقيب يعرف المنازل وأطوف من بعد العشاء الاخيرة إلى آخر الليل حتى أسلم ذلك إلى من تضمنت اسمها الجريدة فاطرق منزل كل إنسان ما بين رجل وامرأة وأقول الاستاذ ابو المسك كافور الاخشيدي يهنئك بالعيد ويقول لك اصرف هذا في منفعتك فارفع إليه ماجعل له وفي آخر وقت زاد في الجريدة الشيخ ابا عبد الله بن جابار وجعل له في ذلك العيد مائة دينار فطفت في تلك الليلة وانفقت المال في أربابه ولم يبق الا الصرة فجعلتها في كمي وسرت مع النقيب حتى أتينا منزله بظاهر القرافة فطرقت الباب فنزل الينا الشيخ وعليه أثر السهر فسلمت عليه فلم يرد علي وقال ما حاجتك قلت الاستاذ أبو المسك كافور يخص الشيخ بالاسلام فقال والي بلدنا قلت نعم قال حفظه الله الله يعلم اني أدعو له في الخلوات وادبار الصلوات بما الله سامعه ومستجيبه قلت وقد انفذ معي نفقة وهي هذه الصرة ويسألك قبولها لتصرف في مؤنة هذا العيد المبارك فقال نحن رعيته ونحبه في الله تعالى وما نفسد هذه المحبة بعلة فراجعته القول فتبين لي الضجر في وجهه والقلق واستحييت من الله أن أقطعه عما هو عليه فتركته وانصرفت قال فجئت فوجدت الامير

ملكا من ملوك الفرس يقال له أردشير وكان ذا مملكة متسعة وجند كثير وكان ذا بأس شديد قد وصف له بنت ملك بحر الاردن بالجمال البارع وأن هذه البنت بكر ذات خدر فسير أردشير من يخطبها من أبيها فامتنع من اجابته ولم يرض بذلك فعظم ذلك على أردشير وأقسم بالايمان المغلظة ليغزون الملك أبا البنت وليقتلنه هو وابنته شر قتلة وليمثلن بهما أخبث مثلة فسار إليه أردشير في جيوشه فقاتله فقتله أردشير وقتل سائر خواصه ثم سأل عن ابنته المخطوبة فبرزت إليه جارية من القصر من أجمل النساء وأكمل البنات حسنا وجمالا وقدا واعتدالا فبهت أردشير من رؤيته اياها فقالت له أيها الملك اني ابنة الملك الفلاني ملك المدينة الفلانية وان الملك الذي قتلته أنت قد غزا بلدنا وقتل أبي وقتل سائر أصحابه قبل أن تقتله أنت وانه أسرني في جملة الاسارى وأتى بي في هذا القصر فلما رأتني ابنته التي أرسلت تخطبها أحبتني وسألت أباها أن تتركني عندها لتأنس بي فتركني لها فكنت أنا وهي كأننا روحان في جسد واحد فلما ارسلت تخطبها خاف أبوها عليها منك فأرسلها إلى بعض الجزائر في البحر الملح عند بعض أقاربه من الملوك فقال أردشير وددت لو اني ظفرت بها فكنت أقتلها شر قتلة ثم أنه تأمل الجارية فرآها فائقة في الجمال فمالت نفسه اليها فاخذها للتسري وقال هذه أجنبية من الملك ولا أحنث في يميني بأخذها ثم انه واقعها وازال بكارتها فحملت منه فلما ظهر عليها الحمل اتفق انها تحدثت معه يوما وقد رأته منشرح الصدر فقالت له انت غلبت أبي وأنا غلبتك فقال لها ومن أبوك فقالت له هو ملك من بحر الاردن وأنا ابنته التي خطبتها منه واني سمعت انك أقسمت لتقتلني فتحيلت عليك بما سمعت والآن هذا ولدك في بطني فلا يتهيأ لك قتلي فعظم ذلك على أردشير اذ قهرته امرأة وتحيلت عليه حتى تخلصت من يديه فانتهرها وخرج من عندها مغضبا وعول على قتلها ثم ذكر لوزيره ما اتفق له معها فلما رأى الوزير عزمه قويا على قتلها خشي أن تتحدث الملوك عنه بمثل هذا وانه لا يقبل فيها شفاعة شافع فقال أيها الملك ان الرأي هو الذي خطر لك والمصلحة هي التي رأيتها أنت وقتل هذه الجارية في هذا الوقت أولى وهو عين الصواب لأنه أحق من أن يقال ان امرأة قهرت رأي الملك وحنثته في يمينه لاجل شهوة النفس ثم قال أيها الملك ان صورتها مرحومة وحمل الملك معها وهي أولى بالستر ولا أرى في قتلها أستر ولا أهون عليها من الغرق فقال له الملك نعم ما رأيت خذها غرقها فاخذها الوزير ثم خرج بها ليلا إلى بحر الاردن ومعه ضوء ورجال وأعوان فتحيل إلى أن طرح شيئا في البحر أوهم من كان معه انها الجارية ثم انه أخفاها عنده فلما أصبح جاء إلى الملك فأخبره انه غرقها فشكره على ما فعل ثم ان الوزير ناول الملك حقا مختوما وقال ايها الملك اني نظرت مولدي فرأيت أجلي قد دنا على ما يقتضيه حساب حكماء الفرس في النجوم وان لي أولادا وعندي مال قد ادخرته من نعمتك فخذه إذا أنا مت ان رأيت وهذا الحق فيه جوهر أسأل الملك ان يقسمه بين أولادي بالسوية فانه ارثي الذي قد ورثته من أبي وليس عندي شيء اكتسبته منه إلا هذا الجوهر فقال له الملك يطول الرب في عمرك ومالك لك ولأولادك سواء كنت حيا أو ميتا فألح عليه الوزير أن يجعل الحق عنده وديعة فأخذه الملك وأودعه عنده في صندوق ثم مضت اشهر الجارية فوضعت ولدا ذكرا جميلا حسن الخلقة مثل فلقة القمر فلاحظ الوزير جانب الادب في تسميته فرأى انه ان اخترع له اسما وسماه به وظهر لوالده بعد ذلك فيكون قد أساء الادب وان هو تركه بلا اسم لم يتهيأ له ذلك فسماه شاه بور ومعنى شاه بور بالفارسية ابن ملك فان شاه ملك وبور ابن ولغتهم مبنية على تأخير المتقدم وتقديم المتأخر

وهذه تسمية ليس فيها مؤاخذة ولم يزل الوزير يلاطف الجارية والولد إلى أن بلغ الولد حد التعليم فعلمه كل ما يصلح لاولاد الملوك من الخط والحكمة والفروسية وهو يوهم أنه مملوك له اسمه شاه بور الى أن راهق البلوغ هذا كله وأردشير ليس له ولد وقد طعن في السن وأقعده الهرم فمرض وأشرف على الموت فقال للوزير أيها الوزير قد هرم جسمي وضعفت قوتي واني أرى اني ميت لا محالة وهذا الملك يأخذه من بعدي من قضى له به فقال الوزير لو شاء الله أن يكون للملك ولد كان قد ولي بعده الملك ثم ذكره بأمر بنت ملك بحر الاردن وحملها فقال الملك لقد ندمت على تغريقها ولو كنت أبقيتها حتى تضع فلعل حملها يكون ذكراً فلما شاهد الوزير من الملك الرضا قال أيها الملك انها عندي حية ولقد وضعت ولداً ذكرا من أحسن الغلمان خلقا وخلقا فقال الملك أحق ما تقول فاقسم الوزير أن نعم ثم قال أيها الملك ان في الولد روحانية تشهد بأبوة الاب وفي الوالد روحانية تشهد ببنوة الابن لا يكاد ذلك ينخرم أبداً واني آتي بهذا الغلام بين عشرين غلاما في سنه وهيئته ولباسه وكلهم ذوو آباء معروفين خلاه واني أعطي كل واحد منهم صولجانا وكرة وآمرهم أن يلعبوا بين يديك في مجلسك هذا ويتأمل الملك صورهم وخلقتهم وشمائلهم فكل من مالت اليه نفسه وروحانيته فهو هو فقال الملك نعم التدبير الذي قلت فأحضرهم الوزير على هذه الصورة ولعبوا بين يدي الملك فكان الصبي منهم إذا ضرب الكرة وقربت من مجلس الملك تمنعه الهيبة أن يتقدم ليأخذها الا شاه بور فانه كان اذا ضربها وجاءت عند مرتبة أبيه تقدم فاخذها ولا تأخذه الهيبة منه فلاحظ أردشير ذلك منه مراراً فقال له أيها الغلام ما اسمك قال شاه بور فقال له صدقت أنت ابني حقا ثم ضمه اليه وقبله بين عينيه فقال له الوزير هذا هو ابنك أيها الملك ثم أحضر بقية الصبيان ومعهم عدول فأثبت لكل صبي منهم والدا بحضرة الملك فتحقق الصدق في ذلك ثم جاءت الجارية وقد تضاعف حسنها وجمالها فقبلت يد الملك فرضي عنها فقال الوزير أيها الملك قد دعت الضرورة في هذا الوقت الى احضار الحق المختوم فأمر الملك باحضاره ثم أخذه الوزير وفك ختمه وفتحه فاذا فيه ذكر الوزير وأنثياه مقطوعة مصانة فيه من قبل أن يتسلم الجارية من الملك وأحضر عدولا من الحكماء وهم الذين كانوا فعلوا به ذلك فشهدوا عند الملك بأن هذا الفعل فعلناه به من قبل أن يتسلم الجارية بليلة واحدة قال فدهش الملك أردشير وبهت لما أبداه هذا الوزير من قوة النفس في الخدمة وشدة مناصحته فزاد سروره وتضاعف فرحه لصيانة الجارية واثبات نسب الولد ولحوقه به ثم ان الملك عوفي من مرضه الذي كان به وصح جسمه ولم يزل يتقلب في نعمه وهو مسرور بابنه الى أن حضرته الوفاة ورجع الملك الى ابنه شاه بور بعد موت أبيه وصار ذلك الوزير يخدم ابن الملك أردشير وشاه بور يحفظ مقامه ويرعى منزلته حتى توفاه الله تعالى والله تعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين

﴿ الباب الثامن عشر فيما جاء في القضاء وذكر القضاة وقبول الرشوة والهدية على الحكم وما يتعلق بالديون وذكر القصاص والمتصوفة وفيه فصول ﴾

﴿ الفصل الأول فيما جاء في القضاء وذكر القضاة وأحوالهم وما يجب عليهم ﴾ قال الله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب وقال تعالى فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط وقال تعالى

قد تهيأ للركوب وهو ينتظرني فلما رآني قال ايه يا أبا بكر قلت أرجو الله أن يستجيب فيك كل دعوة صالحة دعيت لك في هذه الليلة وفي هذا اليوم الشريف فقال الحمد لله الذي جعلني لايصال الراحة الى عباده ثم أخبرته بامتناع ابن جابار فقال نعم هو جدير لم تجر بيننا وبينه معاملة قبل هذا اليوم ثم قال لي عد اليه واركب دابة من دواب النوبة واطرق بابه فاذا نزل اليك فانه سيقول لك ألم تكن عندنا فلا ترد عليه جوابا ثم استفتح واقرأ بسم الله الرحمن الرحيم طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى يا ابن جابار الاستاذ كافور يقول لك ومن كافور العبد الاسود ومن هو ومولاه ومن الخلق ليس لأحد مع الله ملك ولا شركة تلاشى الناس كلهم ههنا اتدري من هو معطيك وعلى من رددت أنت ما سألت وانما هو أرسل لك يا ابن جابار أنت ما تفرق بين السبب والمسبب * قال أبو بكر فركبت وسرت فطرقت منزله فنزل الي فقال لي مثل لفظ كافور فاضربت عن الجواب وقرأت طه ثم قلت له ما قال لي كافور فبكى وقال لي أين ما حملت فاخرجت الصرة فاخذها وقال علمنا الاستاذ كيف التصوف قلت له أحسن الله جزاءك ثم عدت اليه ومن فاخبرته بذلك فسر وسجد شكراً لله تعالى وقال الحمد لله على ذلك (ونقل ابن خلكان في تاريخه) أن أبا عبدالله محمد بن الاعرابي كان

ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون وقال رسول الله ﷺ من حكم بين اثنين تحاكما اليه وارتضياه فلم يقض بينهما بالحق فعليه لعنة الله وعن أبي حازم قال دخل عمر على أبي بكر رضوان الله عليهما فسلم عليه فلم يرد عليه فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف أخاف أن يكون وجد على خليفة رسول الله ﷺ فكلم عبد الرحمن أبا بكر فقال أتاني وبين يدي خصمان قد فرغت لهما قلبي وسمعي وبصري وعلمت أن الله سائلي عنهما وعما قالا وقلت وادعى رجل على علي عند عمر رضي الله عنهما وعلي جالس فالتفت عمر اليه وقال يا أبا الحسن قم فاجلس مع خصمك فتناظرا وانصرف الرجل ورجع علي الى مجلسه فتبين لعمر التغير في وجه علي فقال يا أبا الحسن مالي أراك متغيرا أكرهت ما كان قال نعم قال وماذاك قال كنيتني بحضرة خصمي هلا قلت يا علي قم فاجلس مع خصمك فأخذ عمر برأس علي رضي الله عنهما فقبله بين عينيه ثم قال بأبي أنتم بكم هدانا الله وبكم أخرجنا من الظلمات الى النور * وعن أبي حنيفة رضي الله عنه القاضي كالغريق في البحر الاخضر الى متى يسبح وان كان سابحا * وأراد عمر بن هبيرة أن يولي أبا حنيفة القضاء فأبى فحلف ليضربنه بالسياط وليسجننه فضربه حتى انتفخ وجه أبي حنيفة ورأسه من الضرب فقال الضرب بالسياط في الدنيا أهون علي من الضرب بمقامع الحديد في الآخرة * وعن عبد الملك بن عمير عن رجل من أهل اليمن قال أقبل سيل باليمن في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه فكشف عن باب مغلق فظنناه كنزا فكتبنا الى أبي بكر رضي الله تعالى عنه فكتب الينا لا تحركوه حتى يقدم اليكم كتابي ثم فتح فاذا برجل على سرير عليه سبعون حلة منسوجة بالذهب وفي يده اليمنى لوح مكتوب فيه هذان البيتان

اذا خان الأمير وكاتباه * وقاضي الارض داهن في القضاء

فويل ثم ويل ثم ويل * لقاضي الارض من قاضي السماء

واذا عند رأسه سيف أشد خضرة من البقلة مكتوب عليه هذا سيف عاد بن ارم عن ابن أبي أوفى عن النبي ﷺ أنه قال ان الله مع القاضي مالم يجر فاذا جار برىء الله منه ولزمه الشيطان وقال محمد بن حريث بلغني أن نصر بن علي راودوه على القضاء بالبصرة واجتمع الناس اليه فكان لا يجيبهم فلما ألحوا عليه دخل بيته ونام على ظهره وألقى ملاءة على وجهه وقال اللهم إن كنت تعلم أني لهذا الامر كاره فاقبضني اليك فقبض * وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ القضاة جسور للناس يمرون على ظهورهم يوم القيامة وقال حفص بن غياث لرجل كان يسأله عن مسائل القضاء لعلك تريد أن تكون قاضيا لان يدخل الرجل أصبعه في عينيه فيقلعهما ويرمي بهما خير له من أن يكون قاضيا وقيل أول من أظهر الجور من القضاة بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الاشعري كان أمير البصرة وقاضيها وكان يقول ان الرجلين يتقدمان الي فأجد أحدهما أخف على قلبي من الآخر فأقضي له * وتقدم المأمون بين يدي القاضي يحيي بن أكثم مع رجل ادعى عليه بثلاثين ألف دينار فطرح للمأمون مصلى يجلس عليه فقال له يحيي لا تأخذ على خصمك شرف المجلس ولم يكن للرجل بينة فأراد أن يحلف المأمون فدفع اليه المأمون ثلاثين ألف دينار وقال والله مادفعت لك هذا المال إلا خشية أن تقول العامة إني تناولتك من جهة القدرة ثم أمر ليحيي بمال وأجزل عطاءه * وقدم خادم من وجوه خدم المعتضد بالله الى أبي يوسف بن يعقوب في حكم فارتفع الخادم على خصمه في المجلس فزجره الحاجب عن ذلك فلم يقبل فقال أبو يوسف قم أتؤمر أن تقف بمساواة خصمك في المجلس فتمتنع ياغلام ائتني بعمرو بن أبي

يزعم أن الاصمعي وأبا عبيدة لا يحسنان شيئا وكان يقول جائز في كلام العرب أن يعاقب بين الضاد والظاء فلا يخطىء من يجعل هذا في موضع هذا وينشد الى الله أشكو من خليل أوده ثلاث خصال كلها لي غائض ويقول هكذا سمعته بالضاد (ومن النوادر اللطيفة) ورد أبو نصر الفارابي الى دمشق على سيف الدولة بن حمدان وهو إذذاك سلطانها قيل إنه لما دخل عليه وهو بزي الأتراك وكان ذلك زيه دائما وقف فقال له سيف الدولة اجلس فقال حيث أنا أو حيث أنت فقال حيث أنت فتخطى رقاب الناس حتى انتهى الى مسند سيف الدولة وزاحمه فيه حتى أخرجه عنه وكان على رأس سيف الدولة مماليك وله معهم لسان خاص يسارورهم به فقال لهم بذلك اللسان ان هذا الشيخ قد أساء الأدب واني سائله عن أشياء ان لم يعرفها أخرجوا به فقال له أبو نصر بذلك اللسان أيها الامير اصبر فان الأمور بعواقبها فعجب سيف الدولة منه وعظم عنده ثم أخذ يتكلم مع العلماء والحاضرين في كل فن فلم يزل كلامه يعلو وكلامهم يسفل حتى صمت الكل وبقي يتكلم وحده ثم أخذوا يكتبون ما يقوله فصرفهم سيف

الدولة وخلا به فقال له هل لك في أن تأكل قال لا قال فهل لك أن تشرب قال لا فقال هل تسمع قال لا فأمر سيف الدولة بإحضار القيان فحضر كل ماهر في الصنعة بأنواع الملاهي فخطأ الجميع فقال له سيف الدولة هل تحسن

عمرو النخاس فانه ان قدم على الساعة أمرته ببيع هذا العبد وحمل ثمنه الى أمير المؤمنين ثم ان الحاجب أخذ بيده حتى أوقفه بمساواة خصمه فلما انقضى الحكم رجع الخادم الى المعتضد و بكى بين يديه وأخبره بالقصة فقال له لو باعك لاجزت بيعه ولم أردك الى ملكى فليست منزلتك عندى تزن رتبة المساواة بين الخصمين فى الحكم فان ذلك عمود السلطان وقوام الاديان والله تعالى أعلم (وقال) الابرش العكلى يمدح بعض القضاة

رفضت وعطلت الحكومة قبله * فى آخرين وملها رواضها
حتى اذا ما قام ألف بينها * بالحق حتى جمعت أوفاضها

(وفى ضد ذلك قول بعضهم)

أبكى وأندب ملة الاسلام * إذ صرت تقعد مقعد الحكام
إن الحوادث ما علمت كثيرة * وأراك بعض حوادث الايام

وتقدمت امرأة الى قاض فقال لها جامعك شهودك فسكتت فقال كاتبه إن القاضى يقول لك جاء شهودك معك قالت نعم هلا قلت مثل ما قال كاتبك كبر سنك وقل عقلك وعظمت لحيتك حتى غطت على لبك ما رأيت ميتا يقضى بين الاحياء غيرك * وقيل المضروب بهم المثل فى الجهل وتحريف الاحكام قاضى منى وقاضى كسكر وقاضى أيدج وهو الذى قال فيه أبو اسحق الصابى

يارب علج أعلج * مثل البعير الاهوج * رأيته مطلعا * خلف باب مرتج
وخلفه عذيبة * تذهب طورا وتجى * فقلت من هذا ترى * فقيل قاضى أيدج

وقاضى شلبة وهو الذى قال فيه أبو الحسن الجوهرى

رأيت رأسا كدبه * ولحية كالمذبه فقلت من أنت قل لى * فقال قاضى شلبه

(وتقدمت) امرأة جميلة الى الشعبى فادعت عنده فقضى لها فقال هذيل الاشجعى

فتن الشعبى لما * رفع الطرف اليها فتنته ببنان * كيف لو رأى معصميها
ومشت مشيا رويدا * ثم هزت منكبيها فقضى جورا على الخصم * ولم يقض عليها

فتناشدها الناس وتداولوها حتى بلغت الشعبى فضرب الاشجعى ثلاثين سوطا (وحكى) ابن أبى ليلى قال انصرف الشعبى يوما من مجالس القضاء ونحن معه فمررنا بخادمة تغسل الثياب وهى تقول فتن الشعبى لما * ولم تعرف بقية البيت فلقنها الشعبى وقال رفع الطرف اليها * ثم قال أبعده الله أما انا فما قضيت إلا بالحق * وأنشد بعضهم فى أمين الحكم

تماوتن اذا مشيت تخشعا * حتى تصيب وديعة ليتيم

﴿ الفصل الثانى فى الرشوة والهدية على الحكم وما جاء فى الديون ﴾ أما الرشوة فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لعن الله الراشى والمرتشى وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا تولوا اليهود ولا النصارى فانهم يقبلون الرشا ولا يحل فى دين الله الرشا قال الشهيدى وأصحابنا اليوم أقبل للرشا منهم وفى نوابغ الحكم أن البراطيل تنصر الاباطيل وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال من شفع شفاعة ليرد بها حقا أو يدفع بها ظلما فأهدى له فقبل فذلك السحت فقيل له ما كنا نرى السحت إلا الاخذ على الحكم قال الاخذ على الحكم كفر وأنشد المبرد رحمه الله تعالى

وكنت اذا خاصمت خصما كببته * على الوجه حتى خاصمتنى الدراهم

هذه الصنعة قال ثم أخرج من وسطه خريطة ففتحها فأخرج منها عيدانا وركبها ثم لعب بها فضحك كل من فى المجلس ثم فكها وركبها تركيبا آخر فبكى كل من فى المجلس ثم فكها وغير تركيبها وحركها فنام كل من فى المجلس حتى البواب فتركهم نياما وخرج * وهو الذى وضع القانون وكان منفردا بنفسه لا يجالس الناس وكان مدة إقامته بدمشق لا يكون غالبا إلا عند مجتمع المياه أو مشتبك الرياض وهناك يؤلف كتبه وكان أزهد الناس فى الدنيا لا يحتفل بأمر مسكن ولا مكسب وسأله سيف الدولة فى مرتب من بيت المال فقال يكفينى أربعة دراهم ولم يزل على ذلك الى أن توفى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة بدمشق وصلى عليه سيف الدولة وأربعة من خواصه وقد ناهز ثمانين سنة ودفن بظاهر دمشق خارج الباب الصغير (ومن المنقول من خط القاضى الفاضل) أن نور الدين الشهيد كتب الى راشد الدين سنان صاحب القلاع الاسماعيلية كتابا يهدده فيه فشق ذلك على سنان فكتب اليه بما هو فوق الوصف بحكاية الحال وهو

ياذا الذى بقراع السيف هددنا * لاقام مصرع قلب كنت تصرعه
قام الحمام الى البازى يهدده * واستصرخت بأسود الغاب أضبعه
أضحى يسد فم الافعى بأصبعه * يكفيه ماذا تلاقى منه أصبعه

فلما وقفنا على تفصيله وجمله وعلمنا ما هددنا به من قوله وعمله فيالله العجب

من ذبابة تطن فى أذن الفيل و بعوضة تعد فى التماثيل ولقد قالها من قبلك قوم آخرون فدمرنا عليهم فما كان لهم من ناصرين أو للحق تدحضون وللباطل تنصرون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون (٩٩) وأما ماصدر من قولك فتلك أمانى كاذبة وخيالات غير صائبة فان الجواهر لاتزول بالأعراض كما أن الأرواح لاتضمحل بالأمراض فان عدنا إلى الظواهر والمحسوسات وعدلنا عن البواطن والمعقولات فلنا أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله ما أوذى نبى ما أوذيت ولقد علمتم ماجرى على عترته وأهل بيته وشيعته والحال ماحال والأمر مازال ولله الحمد فى الآخرة والأولى إذ نحن مظلومون لاظالمون ومغصوبون لاغاصبون وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وقد علمتم ظاهر حالنا وكيفية رجالنا وما يتمنونه من الفوت ويستقربون به إلى حياض الموت قل فتمنوا الموت ان كنتم صادقين وفى أمثال العامة أو للبط تهددون بالشط فهى للبلاء جلبابا وتدرع للرزايا أثوابا وانك لكالباحث حتفه بظلفه أو الجادع أنفه بكفه وما ذلك على الله بعزيز

{ ومن غرائب الظرف ماحكاه ابن خلكان فى تاريخه } قال حدثنى من أثق به أن شخصا قال له رأيت فى تأليف أبى العلاء المعرى ما صورته أصلحك الله وأبقاك لقد كان من الواجب أن تأتينا اليوم الى منزلنا الخالى لكى يحدث لى

فلما تنازعنا الحكومة غلبت * على وقالت قم فانك ظالم

{ وأما الدين وما جاء فيه نعوذ بالله من غلبة الدين وقهر الرجال }

فقد روى عن أبى أمامة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال من تداين بدين وفى نفسه وفاؤه ثم مات تجاوز الله عنه وأرضى غريمه بما شاء ومن تداين بدين وليس فى نفسه وفاؤه ثم مات اقتص الله لغريمه منه يوم القيامة رواه الحاكم وروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال كان رسول الله ﷺ إذا أتى له بجنازة لم يسأل عن شىء من عمل الرجل و يسأل عن دينه فان قيل عليه دين كف عن الصلاة عليه وان قيل ليس عليه دين صلى عليه فأتى بجنازة فلما قام ليكبر سأل ﷺ هل على صاحبكم من دين فقالوا ديناران يارسول الله فعدل النبى ﷺ عنه وقال صلوا على صاحبكم فقال على كرم الله وجهه هما على يارسول الله وهو برىء منهما فتقدم رسول الله ﷺ فصلى عليه ثم قال لعلى رضى الله عنه جزاك الله عنه خيرا فك الله رهانك كما فككت رهان أخيك انه ليس من ميت يموت وعليه دين إلا وهو مرتهن بدينه ومن فك رهان ميت فك الله رهانه يوم القيامة * وقال بعض الحكماء الدين هم بالليل وذل بالنهار وهو غل جعله الله فى أرضه فاذا أراد الله أن يذل عبدا جعله طوقا فى عنقه وجاء سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه يتقاضى دينا له على رجل فقالوا اخرج إلى الغزو فقال أشهد أن رسول الله ﷺ قال لو أن رجلا قتل فى سبيل الله ثم أحيى ثم قتل لم يدخل الجنة حتى يقضى دينه * وعن الزهرى قال لم يكن رسول الله ﷺ يصلى على أحد عليه دين ثم قال بعد أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم من مات وعليه دين فعلى قضاؤه ثم صلى عليهم وعن جابر لاهم إلا هم الدين ولا وجع إلا وجع العين * وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن أن النبى ﷺ قال من تزوج امرأة بصداق ينوى أن لا يؤديه اليها فهو زان ومن استدان دينا ينوى أن لا يقضيه فهو سارق وقال حبيب بن ثابت مااحتجت إلى شىء استقرضه إلا استقرضته من نفسى أراد أنه يصبر الى أن تمكن الميسرة ونظيره قول القائل

وإذا غلى شىء على تركته * فيكون أرخص مايكون اذا غلا

وقال بعضهم أيضا

لقد كان القريض سمير قلبى * فألهتنى القروض عن القريض

وقال غيلان بن مرة التميمى

وانى لأقضى الدين بالدين بعدما * يرى طالبى بالدين أن لست قاضيا

فأجابه ثعلبة بن عمير

اذا ماقضيت الدين بالدين لم يكن * قضاء ولكن ذاك غرم على غرم

واستقرض من الأصمعى خليل له فقال حبا وكرامة ولكن سكن قلبى برهن يساوى ضعف ما تطلبه فقال ياأباسعيد أما تثق بى قال بلى وان خليل الله كان واثقا بربه وقد قال له ولكن ليطمئن قلبى اللهم أوف عنا دين الدنيا بالميسرة ودين الآخرة بالمغفرة برحمتك ياأرحم الراحمين

{ الفصل الثالث فى ذكر القصاص والمتصوفة وماجاء فى الرياء ونحو ذلك }

{ أما ماجاء فى ذكر القصاص والمتصوفة } فقد روى عن خباب بن الارت قال قال رسول الله ﷺ ان بنى اسرائيل لما قصوا هلكوا و روى أن كعبا كان يقص فلما سمع الحديث ترك القصص وقال ابن عمر رضى الله عنهما لم يقص أحد على عهد رسول الله ﷺ ولا عهد أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم وانما كان القصص حين كانت الفتنة وقال ابن المبارك سألت الثورى من الناس قال العلماء قلت فمن الأشراف قال المتقون قلت فمن الملوك قال الزهاد قلت فمن الغوغاء قال القصاص الذين يستأصلون أموال الناس بالكلام قلت فمن السفهاء قال الظلمة قيل

وهب رجل لقاص خاتما بلافص فقال وهب الله لك فى الجنة غرفة بلاسقف وقال قيس بن جبير النهشلى الصعقة التى عند القصاص من الشيطان وقيل لعائشة رضى الله عنها إن أقواما إذا سمعوا القرآن صعقوا فقالت القرآن أكرم وأعظم من أن تذهب منه عقول الرجال وسئل ابن سيرين عن أقوام يصعقون عند سماع القرآن فقال ميعاد ما بيننا وبينهم أن يجلسوا على حائط فيقرأ عليهم القرآن من أوله إلى آخره فان صعقوا فهو كما قالوا * وكان بمرو قاص يبكى بمواعظه فاذا طال مجلسه بالبكاء أخرج من كمه طنبورا صغيرا فيحركه ويقول مع هذا الغم الطويل يحتاج الى فرح ساعة وقال بعضهم قلت لصوفى بعنى جبتك فقال اذا باع الصياد شبكته فبأى شىء يصيد * وسئل بعض العلماء عن المتصوفة فقال أكلة رقصة * وعظ عيسى عليه السلام بنى اسرائيل فأقبلوا يمزقون الثياب فقال ما ذنب الثياب أقبلوا على القلوب فعاتبوها

﴿ وأما ما جاء فى الرياء ﴾ فقد قال الله تعالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال قال لى رسول الله ﷺ يا معاذ احذر أن يرى عليك آثار المحسنين وأنت تخلو من ذلك فتحشر مع المرائين وقيل لو أن رجلا عمل عملا من البر فكتمه ثم أحب أن يعلم الناس انه كتمه فهو من أقبح الرياء وقيل كل ورع يحب صاحبه أن يعلمه غير الله فليس من الله فى شىء وعن شداد ابن أوس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا ما الشرك الأصغر يا رسول الله قال الرياء * وقيل بينما عابد يمشى ومعه غمامة على رأسه تظله فجاء رجل يريد أن يستظل معه فمنعه وقال ان أقمت معى لم يعلم الناس أن الغمامة تظلنى فقال له الرجل قد علم الناس أنى لست ممن تظله الغمامة فحولها الله تعالى الى ذلك الرجل وقال عبد الاعلى السامى يوما الناس يزعمون أنى مراء وكنت أمس والله صائما ولا أخبرت بذلك أحدا اللهم أصلح فساد قلوبنا واستر فضائحنا برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب التاسع عشر فى العدل والاحسان والانصاف وغير ذلك ﴾

(اعلم) أرشدك الله ان الله تعالى أمر بالعدل ثم علم سبحانه وتعالى أنه ليس كل النفوس تصلح على العدل بل تطلب الاحسان وهو فوق العدل فقال تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى الآية فلو وسع الخلائق العدل ما قرن الله به الاحسان والعدل ميزان الله تعالى فى الأرض الذى يؤخذ به للضعيف من القوى والمحق من المبطل * واعلم أن عدل الملك يوجب محبته وجوره يوجب الافتراق عنه وأفضل الأزمنة ثوابا أيام العدل وروينا من طريق أبى نعيم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال لعمل الامام العادل فى رعيته يوما واحدا أفضل من عمل العابد فى أهله مائة عام أو خمسين عاما وروى عن النبى ﷺ أنه قال عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة وروينا فى سنن أبى داود من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم تحمل على الغمام وتفتح لها أبواب السماء وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال لكعب الأحبار أخبرنى عن جنة عدن قال يا أمير المؤمنين لا يسكنها الا نبى أو صديق أو شهيد أو امام عادل فقال عمر والله ما أنا نبى وقد صدقت رسول الله ﷺ وأما الامام العادل فانى أرجو أن لا أجور وأما الشهادة فانى لى بها قال الحسن فجعله الله صديقا شهيدا حكما عدلا وسأل الاسكندر حكماء أهل بابل أيما أبلغ عندكم الشجاعة أو العدل قالوا اذا

فقلت للقائل اصـبر حـتى أنظر فيـه ولا تقـل ما قاله فأجاب القاضى شمس الدين بن خلكان بعـد حسن النظر بما أجاب به عنه الرجل وهـذه الكلمات تخرج من بحر الرجز وتشتمل على أربعة أبيات فى روى اللام وهى على صورة يصوغ استعمالها عند العروضيين ومن لا يكون له بهذا الفن معرفة ينكرها لأجـل قطع الموصول منها ولابد من الاتيان بهذا لتظهر صورة ذلك وهى

أصلحك الله وأبـ ... قاك لقد كان من الـ
واجب أن تأتينا الـ ... يوم الى منزلنا الـ
خالى لكى يحدث لى ... أنسك يا بن الاخل
لاء فما مثلك من * غير عهدا أو غفل (قلت)

وعلى ذكر ابن العلاء الضرير يعجبنى قول مظفر بن جماعة الضرير قالوا عشقت وأنت أعمى

ظبيا كحيل الطرف ألمى ... وحلاه ما عاينتها
وتقول قد شغفتك وهما ... وخياله بك فى المنا
م فما أطاف ولا ألما ... من أين أرسل للفؤا
د وأنت لم تنظره سهما ... ومتى رأيت جماله
حتى كساك هواه سقما ... وبأى جارحة وصلـ
ـت لوصفه نثرا ونظما ... استعملنا

استعملنا العدل استغنينا به عن الشجاعة و يقال عدل السلطان أنفع من خصب الزمان وقيل اذا رغب السلطان عن العدل رغبت الرعية عن طاعته * وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يشكو اليه من خراب مدينته و يسأله مالا يرمها به فكتب اليه عمر قد فهمت كتابك فاذا قرأت كتابي فحصن مدينتك بالعدل ونق طرقها من الظلم فانه مرمتها والسلام * و يقال ان الحاصل من خراج سواد العراق فى زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان مائة ألف ألف وسبعة وثلاثين ألف ألف فلم يزل يتناقص حتى صار فى زمن الحجاج ثمانية عشر ألف ألف فلما ولى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ارتفع فى السنة الأولى إلى ثلاثين ألف ألف وفى الثانية إلى ستين ألف ألف وقيل أكثر وقال ان عشت لأبلغنه الى ما كان فى أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فمات فى تلك السنة * ومن كلام كسرى لاملك الا بالجند ولا جند الا بالمال ولا مال الا بالبلاد ولا بلاد الا بالرعايا ولا رعايا الا بالعدل (ولما) مات سلمة بن سعيد كان عليه ديون للناس ولأمير المؤمنين المنصور فكتب المنصور لعامله استوف لأمير المؤمنين حقه وفرق ما بقى بين الغرماء فلم يلتفت الى كتابه وضرب للمنصور بسهم من المال كما ضرب لأحد الغرماء ثم كتب للمنصور انى رأيت أمير المؤمنين كاحد الغرماء فكتب اليه المنصور ملئت الأرض بك عدلا وكان أحمد بن طولون والى مصر متحليا بالعدل مع تجبره وسفكه للدماء وكان يجلس للمظالم و ينصف المظلوم من الظالم (حكى) أن ولده العباس استدعى بمغنية وهو يصطبح يوما فلقيها بعض صالحى مصر ومعها غلام يحمل عودها فكسره فدخل العباس اليه وأخبره بذلك فأمر باحضار ذلك الرجل الصالح فلما أحضر اليه قال أنت الذى كسرت العود قال نعم قال أفعلمت لمن هو قال نعم هو لابنك العباس قال أفما أكرمته لى قال أكرمه لك بمعصية الله عز وجل والله تعالى يقول والمؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر ورسول الله ﷺ يقول لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق فاطرق أحمد بن طولون عند ذلك ثم قال كل منكر رأيته فغيره وأنا من ورائك * ووقف يهودى لعبد الملك بن مروان فقال يا أمير المؤمنين ان بعض خاصتك ظلمنى فانصفنى منه وأذقنى حلاوة العدل فاعرض عنه فوقف له ثانيا فلم يلتفت اليه فوقف له مرة ثالثة وقال يا أمير المؤمنين انا نجد فى التوراة المنزلة على كليم الله موسى صلوات الله وسلامه عليه ان الامام لا يكون شريكا فى ظلم أحد حتى يرفع اليه فاذا رفع اليه ذلك ولم يزله فقد شاركه فى الظلم والجور فلما سمع عبد الملك كلامه فزع و بعث فى الحال الى من ظلمه فعزله وأخذ لليهودى حقه منه (وروى) أن رجلا من العقلاء غصبه بعض الولاة ضيعة له فأتى الى المنصور فقال له أصلحك الله يا أمير المؤمنين أأذكر لك حاجتى أم أضرب لك قبلها مثلا فقال بل اضرب المثل فقال إن الطفل الصغير إذا نابه أمر يكرهه فانما يفزع الى أمه اذ لا يعرف غيرها وظنا منه أن لا ناصر له غيرها فاذا ترعرع واشتد كان فراره الى أبيه فاذا بلغ وصار رجلا وحدث به أمر شكاه الى الوالى لعلمه أنه أقوى من أبيه فاذا زاد عقله شكاه الى السلطان لعلمه أنه أقوى ممن سواه فان لم ينصفه السلطان شكاه الى الله تعالى لعلمه أنه أقوى من السلطان وقد نزلت بى نازلة وليس أحد فوقك أقوى منك الا الله تعالى فان أنصفتنى والا رفعت أمرى الى الله تعالى فى الموسم فانى متوجه الى بيته وحرمه فقال المنصور بل ننصفك وأمر أن يكتب الى واليه برد ضيعته اليه وكان الاسكندر يقول يا عباد الله إنما الهكم الله الذى فى السماء الذى نصر نوحا بعد حين الذى يسقيكم الغيث عند الحاجة واليه مفزعكم عند الكرب والله لا يبلغنى ان الله

فجبت انى موسوي العشق انصاتا وفهما أهوى بجارحة السماع ولا أرى ذات المسمى
(ويعجبنى أيضا قول ضرير آخر) وغادة قالت لأترابها ياقوم ما أعجب هذا الضرير
أيعشق الانسان مالا يرى فقلت والدمع بعينى غزير
ان لم تكن عينى رأت شخصها فانها قد مثلت فى الضمير
(ومثل هذا) قول المهذب عمر بن الشحنة
وانى امرؤ أحببتكم لمحاسن سمعت بها والاذن كالعين تعشق
وتقدمه بشار بقوله
ياقوم أذنى لبعض القوم عاشقة والاذن تعشق قبل العين أحيانا
(ونقل الشيخ جمال الدين بن نباتة) فى كتابه المسمى بسرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون عن على بن أبى طالب انه قال سبحان الله ما أزهد كثيراً من الناس فى الخير عجبا لرجل يجيئه أخوه المسلم فى حاجة فلا يرى نفسه أهلا للخير ولا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا وكان ينبغى له أن يسارع الى مكارم الاخلاق فانها تدل على سبل النجاح فقام اليه رجل فقال يا أمير المؤمنين أسمعته من النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم لما أتى بسبايا طيء وقعت جارية بهاجيلة لما رأيتها أعجبت بها فلما تكلمت نسيت جمالها بفصاحتها فقالت يامحمد ان رأيت أن تخلى سبيلى ولا تشمت بى أحياء العرب فانى

ابنة سيد قومى وان أبى كان يفك العانى و يشبع الجائع و يكسو العارى و يفشى السلام ولا يرد طالب حاجة قط أنا بنت حاتم الطائى فقال النبى صلى الله عليه وسلم هذه صفات المؤمنين خلوا عنها فان أباها كان يحب مكارم الاخلاق والمنقول عن حاتم فى زيادة الكرم كثير (من ذلك) ما حكاه المدائنى قال أقبل ركب من بنى أسد و بنى قيس يريدون النعمان فلقوا حاتما فقالوا تركنا قومنا يثنون عليك وقد أرسلوا اليك رسالة قال وماهى فأنشده الاسديون شعرا للنابغة فيه فلما أنشدوه قالوا انا نستحى أن نسألك شيئا وان لنا حاجة قال وما هى قالوا صاحب لنا قد أرجل يعنى فقدت راحلته فقال حاتم خذوا فرسى هذه فاحملوه عليها فأخذوها وربطت الجارية فلوها بثوبها فأفلت يتبع أمه فتبعته الجارية لترده فصاح حاتم ماتبعكم فهو لكم فذهبوا بالفرس والفلو والجارية (وقيل) أجود العرب فى الجاهلية ثلاثة حاتم الطائى وهرم ابن سنان وكعب ابن مامة وحاتم كان أشهرهم بالكرم ذكر أنه أدرك مولد النبى صلى الله عليه وسلم (وحكى الهيثم بن عدى) قال تمارى ثلاثة فى أجواد الاسلام فقال رجل أسخى الناس فى عصرنا هذا عبدالله ابن جعفر بن أبى طالب وقال آخر أسخى الناس عرابة الأوسى وقال آخر بل قيس بن سعد بن عبادة وأكثروا الجدال فى ذلك وكثر ضجيجهم وهم بفناء الكعبة فقال لهم رجل قد أكثرتم الجدال فى ذلك فما عليكم أن يمضى كل واحد منكم

تعالى أحب شيئا الا أحببته واستعملته الى يوم أجلى ولا أبغض شيئا الا أبغضته وهجرته الى يوم أجلى وقد أنبئت أن الله تعالى يحب العدل فى عباده و يبغض الجور من بعضهم على بعض فويل للظالم من سيفى وسوطى ومن ظهر منه العدل من عمالى فليتكئ فى مجلسى كيف شاء و ليتمن على ماشاء فلن تخطئه أمنيته والله تعالى المجازى كلا بعمله و يقال اذا لم يعمر الملك ملكه بالانصاف خرب ملكه بالعصيان (وقيل) مات بعض الاكاسرة فوجدوا له سفطا ففتح فوجد فيه حبة رمان كأكبر مايكون من النوى معها رقعة مكتوب فيها هذه من حب رمان عمل فى خراجه بالعدل (وقيل) تظلم أهل الكوفة من واليهم فشكوه الى المأمون فقال ماعلمت فى عمالى أعدل ولا أقوم بأمر الرعية وأعود بالرفق عليهم منه فقال رجل منهم يا أمير المؤمنين ما أحد أولى بالعدل والانصاف منك فان كان بهذه الصفة فعلى أمير المؤمنين أن يوليه بلدا بلدا حتى يلحق كل بلد من عدله مثل الذى لحقنا و يأخذ بقسطه منه كما أخذنا واذا فعل ذلك لم يصبنا منه أكثر من ثلاث سنين فضحك المأمون من قوله وعزله عنهم وقدم المنصور البصرة قبل الخلافة فنزل بواصل بن عطاء وقال بلغنى أبيات عن سليم بن يزيد العدوى فى العدل فقم بنا اليه فأشرف عليهم من غرفة فقال لواصل من هذا الذى معك قال عبدالله بن محمد بن على بن عبدالله بن عباس رضى الله عنهم فقال رحب على رحب وقرب على قرب فقال انه يحب أن يسمع أبياتك فى العدل فقال سمعا وطاعة وأنشد يقول

حتى متى لا نرى عدلا نسر به * ولا نرى لولاة الحق أعوانا * مستمسكين بحق قائمين به
اذا تلون أهل الجور ألوانا * يا للرجال لداء لادواء له * وقائد ذى عمى يقتاد عميانا

فقال المنصور وددت لو أنى رأيت يوم عدل ثم مت وقيل لما ولى عمر بن عبدالعزيز أخذ فى رد المظالم فابتدأ بأهل بيته فاجتمعوا الى عمة له كان يكرمها وسألوها أن تكلمه فقال لها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سلك طريقا فلما قبض سلك أصحابه ذلك الطريق الذى سلكه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أفضى الأمر الى معاوية جره يمينا وشمالا وايم الله لئن مد فى عمرى لأردنه الى ذلك الطريق الذى سلكه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقالت له يا ابن أخى إنى أخاف عليك منهم يوما عصيبا فقال كل يوم أخافه دون يوم القيامة فلا أمننيه الله * وقال وهب بن منبه اذا هم الوالى بالجور أو عمل به أدخل الله النقص فى أهل مملكته فى الاسواق والزروع والضروع وكل شىء واذا هم بالخير والعدل أو عمل به أدخل الله البركة فى أهل مملكته كذلك وقال الوليد بن هشام ان الرعية لتصلح بصلاح الوالى وتفسد بفساده وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان ملكا من الملوك خرج يسير فى مملكته متنكرا فنزل على رجل له بقرة تحلب قدر ثلاث بقرات فتعجب الملك من ذلك وحدثته نفسه بأخذها فلما كان من الغد حلبت له النصف مما حلبت بالأمس فقال له الملك مابال حلبها نقص أرعت فى غير مرعاها بالامس فقال لا ولكن أظن أن ملكنا رآها أو وصله خبرها فهم بأخذها فنقص لبنها فان الملك إذا ظلم أوهم بالظلم ذهبت البركة فتاب الملك وعاهد ربه فى نفسه ان لا يأخذها ولا يحسد أحدا من الرعية فلما كان من الغد حلبت عادتها ومن المشهور بأرض المغرب أن السلطان بلغه ان امرأة لها حديقة فيها القصب الحلو وان كل قصبة منها تعصر قدحا فعزم الملك على أخذها منها ثم أتاها وسألها عن ذلك فقالت نعم ثم إنها عصرت قصبة فلم يخرج منها نصف قدح فقال لها أين الذى كان يقال فقالت هو الذى بلغك الا أن يكون السلطان قد عزم على أخذها منى فارتفعت البركة منها فتاب الملك وأخلص لله النية وعاهد الله أن لا يأخذها

الى صاحبه يسأله حتى ننظر ما يعطيه ونحكم على العيان فقام صاحب عبد الله اليه فصادفه قد وضع رجله فى غرز ناقته يريد ضيعة له فقال يا ابن عم رسول الله قال قل ما تشاء قال ابن سبيل ومنقطع

به قال فأخرج رجله من غرز الناقة وقال له ضع رجلك واستو على الراحلة وخذ ما فى الحقيبة واحتفظ بسيفك فانه من سيوف على بن أبى طالب رضى الله عنه قال فجاء بالناقة والحقيبة فيها مطارف خز وأربعة آلاف دينار وأعظمها وأجلها السيف ومضى صاحب قيس بن سعد بن عبادة فصادفه نائما فقالت الجارية هو نائم فما حاجتك اليه قال ابن سبيل ومنقطع به قالت حاجتك أهون من ايقاظه هذا كيس فيه سبعماية دينار والله يعلم ان ما فى دار قيس غيره خذه وامض الى معاطن الابل الى أموال لنا بعلامتنا تخذ راحلة من رواحله وما يصلحها وعبدا وامض لشأنك فقيل ان قيسا لما انتبه من رقدته أخبرته بما صنعت فاعتقها ومضى صاحب عرابة الأوسى اليه فالفاه قد خرج من منزله يريد الصلاة وهو يمشى على عبدين وقد كف بصره فقال ياعرابة ابن سبيل ومنقطع به قال فخل

يأخذها منها أبدا ثم أمرها فعصرت قصبة منها فجاءت ملء قدح (وحكى) سيدى أبو بكر الطرطوشى رحمه الله فى كتابه سراج الملوك قال حدثنى بعض الشيوخ ممن كان يروى الاخبار بمصر قال كان بصعيد مصر نخلة تحمل عشرة أرادب ولم يكن فى ذلك الزمان نخلة تحمل نصف ذلك فغصبها السلطان فلم تحمل شيئا فى ذلك العام ولا تمرة واحدة وقال لى شيخ من أشياخ الصعيد أعرف هذه النخلة وقد شاهدتها وهى تحمل عشرة أرادب ستين ويبة وكان صاحبها يبيعها فى سنى الغلاء كل ويبة بدينار (وحكى) أيضا رحمه الله تعالى قال شهدت فى الاسكندرية والصيد مطلق للرعية السمك يطفو على الماء لكثرته وكانت الاطفال تصيده بالخرق من جانب البحر ثم حجزه الوالى ومنع الناس من صيده فذهب السمك حتى لا يكاد يوجد الى يومنا هذا وهكذا تتعدى سرائر الملوك وعزائمهم ومكنون ضمائرهم الى الرعية ان خيرا فخير وان شرا فشر *وروى أصحاب التواريخ فى كتبهم قالوا كان الناس اذا أصبحوا فى زمان الحجاج يتساءلون اذا تلاقوا من قتل البارحة ومن صلب ومن جلد ومن قطع وما أشبه ذلك وكان الوليد بن هشام صاحب ضياع واتخاذ مصانع فكان الناس يتساءلون فى زمانه عن البنيان والمصانع والضياع وشق الأنهار وغرس الأشجار ولما ولى سليمان بن عبد الملك وكان صاحب طعام ونكاح كان الناس يتحدثون ويتساءلون فى الاطعمة الرفيعة ويتغالون فى المناكح والسرارى ويعمرون مجالسهم بذكر ذلك ولما ولى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كان الناس يتساءلون كم تحفظ من القرآن وكم وردك كل ليلة وكم يحفظ فلان وكم يختم وكم يصوم من الشهر وما أشبه ذلك فينبغى للامام أن يكون على طريقة الصحابة والسلف رضى الله عنهم ويقتدى بهم فى الأقوال والأفعال فمن خالف ذلك فهو لا محالة هالك وليس فوق السلطان العادل منزلة الا نبى مرسل أو ملك مقرب وقد قيل ان مثله كمثل الرياح التى يرسلها الله تعالى بشرا بين يدى رحمته فيسوق بها السحاب ويجعلها لقاحا للثمرات وروحا للعباد ولو تتبعت ما جاء فى العدل والانصاف وفضل الامام العادل لألفت فى ذلك مجموعا جامعا لهذا المعنى ولكن اقتصرت على ما ذكرته مخافة أن يمله الناظر ويسأمه السامع والله التوفيق الى أقوم طريق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب العشرون فى الظلم وشؤمه وسوء عواقبه وذكر الظلمة وأحوالهم وغير ذلك ﴾

قال الله تعالى ألا لعنة الله على الظالمين وقال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون قيل هذا تسلية للمظلوم ووعيد للظالم وقال تعالى إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وقال تعالى وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون وقال رسول الله ﷺ من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم خرج من الاسلام وقال أيضا ﷺ رحم الله عبدا كان لاخيه قبله مظلمة فى عرض أو مال فأتاه فتحلله منها قبل أن يأتى يوم القيامة وليس معه دينار ولا درهم وقال أيضا ﷺ من اقتطع حق امرىء مسلم أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة فقال له رجل يا رسول الله ولو كان شيئا يسيرا قال ولو كان قضيبا من أراك وعن حذيفة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ أوحى الله تعالى الى يا أخا المرسلين يا أخا المنذرين أنذر قومك فلا يدخلوا بيتا من بيوتى ولأحد من عبادى عند أحد منهم مظلمة فانى ألعنه ما دام قائما يصلى بين يدى حتى يرد تلك الظلامة الى أهلها فأكون سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويكون من أوليائى وأصفيائى ويكون جارى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فى الجنة وعن على رضى الله عنه عن النبى ﷺ اياك ودعوة المظلوم فانما يسأل الله تعالى حقه وعنه ﷺ أنه قال

العبدين وصفق بيمناه على يسراه وقال أواه أواه ما تركت الحقوق لعرابة مالا ولكن خذهما يعنى العبدين قال ما كنت بالذى أقص جناحيك قال ان لم تأخذهما فهما حران فان شئت تأخذ وان شئت تعتق وأقبل يلتمس الحائط بيده

راجعا الى منزله قال فأخذهما وجاء بهما فثبت أنهم أجود عصرهم الا أنهم حكموا لعرابة لأنه أعطى جهده ﴿ نادرة غريبة ﴾ حضر يعقوب بن اسحق الكندى المسمى بوقته فيلسوف الاسلام مجلس احمد بن المعتصم وقد دخل عليه أبو تمام

ما من عبد ظلم فشخص ببصره إلى السماء الا قال الله عز وجل لبيك عبدى حقا لانصرنك ولو بعد حين وعنه أيضا أنه قال ألا ان الظلم ثلاثة فظلم لا يغفر وظلم لا يترك وظلم مغفور لا يطلب فاما الظلم الذى لا يغفر فالشرك بالله والعياذ بالله تعالى قال الله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وأما الظلم الذى لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضا وأما الظلم المغفور الذى لا يطلب فظلم العبد نفسه ومر رجل برجل قد صلبه الحجاج فقال يارب ان حلمك على الظالمين قد أضر بالمظلومين فنام تلك الليلة فرأى فى منامه ان القيامة قد قامت وكأنه قد دخل الجنة فرأى ذلك المصلوب فى أعلى عليين واذا مناد ينادى حلمى على الظالمين أحل المظلومين فى أعلى عليين وقيل من سلب نعمة غيره سلب نعمته غيره وسمع مسلم بن بشار رجلا يدعو على من ظلمه فقال له كل الظالم الى ظلمه فهو أسرع فيه من دعائك ويقال من طال عدوانه زال سلطانه وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم ورىء لوح فى أفق السماء مكتوب فيه لا إله إلا الله محمد رسول الله وتحته هذا البيت

فلم أر مثل العدل للمرء رافعا * ولم أر مثل الجور للمرء واضعا

وقال الشاعر

كنت الصحيح وكنا منك فى سقم * فان سقمت فانا السالمون غدا
دعت عليك أكف طالما ظلمت * ولن ترد يد مظلومة أبدا

وكان معاوية يقول انى لأستحى أن أظلم من لا يجد على ناصرا الا بالله وقال أبو العيناء كان لى خصوم ظلمة فشكوتهم الى أحمد بن أبى داود وقلت قد تضافروا على وصاروا يدا واحدة فقال يد الله فوق أيديهم فقلت له ان لهم مكرا فقال ولا يحيق المكر السىء الا بأهله قلت هم فئة كثيرة فقال كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله وقال يوسف بن اسباط من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله فى أرضه وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال أبو القاسم ﷺ من أشار الى أخيه بحديدة فان الملائكة تلعنه وان كان أخاه لأبيه وأمه وقال مجاهد يسلط الله على أهل النار الجرب فيحكون أجسادهم حتى تبدو العظام فيقال لهم هل يؤذيكم هذا فيقولون أى والله فيقال لهم هذا بما كنتم تؤذون المؤمنين وقال ابن مسعود رضى الله عنه لما كشف الله العذاب عن قوم يونس عليه السلام ترادوا المظالم بينهم حتى كان الرجل ليقلع الحجر من أساسه فيرده الى صاحبه وقال أبو ثور بن يزيد الحجر فى البنيان من غير حله عربون على خرابه وقال غيره لو أن الجنة وهى دار البقاء أسست على حجر من الظلم لأوشك أن تخرب وقال بعض الحكماء اذكر عند الظلم عدل الله فيك وعند القدرة قدرة الله عليك لا يعجبك رحب الذراعين سفاك الدماء فان له قاتلا لا يموت وقال سحنون بن سعيد كان يزيد بن حاتم يقول ما هبت شيئا قط هيبتى من رجل ظلمته وأنا أعلم أن لا ناصر له إلا الله فيقول حسبك الله الله بينى وبينك وقال بلال بن مسعود اتق الله فيمن لا ناصر له إلا الله * وبكى على بن الفضل يوما فقيل له ما يبكيك قال أبكى على من ظلمنى اذا وقف غدا بين يدى الله تعالى ولم تكن له حجة وروى أن النبى ﷺ قال يقول الله تعالى اشتد غضبى على من ظلم من لا يجد له ناصرا غيرى * ونادى رجل سليمان بن عبد الملك وهو على المنبر ياسليمان اذكر يوم الأذان فنزل سليمان من على المنبر ودعا بالرجل فقال له ما يوم الأذان فقال قال الله تعالى فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين قال فما ظلامتك قال أرض لى بمكان كذا وكذا أخذها وكيلك فكتب الى وكيله ادفع اليه أرضه وأرضا مع أرضه * وروى أن كسرى أنوشروان كان له معلم حسن التأديب يعلمه حتى فاق فى العلوم فضربه المعلم يوما من غير ذنب فأوجعه فحقد أنوشروان عليه فلما ولى الملك قال للمعلم ما حملك على

فأنشد قصيدته السينية المشهورة فلما بلغ الى قوله

إقدام عمرو فى سماحة حاتم
فى حلم أحنف فى ذكاء إياس

قال له الكندى ما صنعت شيئا فقال كيف قال ما زدت على أن شبهت ابن أمير المؤمنين بصعاليك العرب وأيضا فان شعراء دهرنا تجاوزوا بالممدوح من كان قبله ألا ترى الى قول العكوك فى أبى دلف

رجل أبر على شجاعة عامر
بأسا وغبر فى محيا حاتم

فأطرق أبو تمام ثم أنشأ يقول

لا تنكروا ضربى له من دونه
مثلا شرودا فى الندى والباس
فالله قد ضرب الاقل لنوره
مثلا من المشكاة والنبراس

ولم يكن هذا فى القصيدة فتزايد العجب منه ثم طلب أن تكون الجائزة ولاية عمل فاستصغر عن ذلك فقال الكندى ولوه لأنه قصير العمر لأن ذهنه ينحت من قلبه فكان كما قال وقد تكون ظهرت له دلائل من شخصه فى ذلك الوقت على قرب أجله انتهى وسمع الكندى

وفى أربع منى حلت منك أربع * فما أنا أدرى أيها هاج لى كربى
خيالك فى عينى أم الذكر فى فمى * أم النطق فى سمعى أم الحب فى قلبى

على ضربي يوم كذا وكذا ظالما فقال له لما رأيتك ترغب في العلم رجوت لك الملك بعد أبيك فأحببت أن أذيقك طعم الظلم لئلا تظلم فقال أنوشروان زه زه * وقال محمد بن سويد وزير المأمون

فلا تأمنن الدهر حرا ظلمته * فما ليل حر إن ظلمت بنائم

وروى أن بعض الملوك رقم على بساطه

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرا * فالظلم مصدره يفضي الى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه * يدعو عليك وعين الله لم تنم

وما أحسن ما قال الآخر

أتهزأ بالدعاء وتزدريه * وما تدري بما صنع الدعاء
سهام الليل نافذة ولكن * لها أمد وللأمد انقضاء
فيمسكها اذا ما شاء ربي * ويرسلها اذا نفذ القضاء

وقال أبو الدرداء إياك ودمعة اليتيم ودعوة المظلوم فانها تسري بالليل والناس نيام وقال الهيثم بن فراس السامي من بني سامة بن لؤي في الفضل بن مروان

تجبرت يا فضل بن مروان فاعتبر * فقبلك كان الفضل والفضل والفضل
ثلاثة أملاك مضوا لسبيلهم * أبادهم الموت المشتت والقتل

يريد الفضل بن الربيع والفضل بن يحيى والفضل بن سهل * ووجد تحت فراش يحيى بن خالد البرمكي رقعة مكتوب فيها

وحق الله ان الظلم لؤم * وان الظلم مرتعه وخيم
الى ديان يوم الدين نمضي * وعند الله تجتمع الخصوم

ووجد القاسم بن عبيد الله وزير المكتفي في مصلاه رقعة مكتوبا فيها

بغى وللبغي سهام تنتظر * أنفذ في الأحشاء من وخز الابر * سهام أيدي القانتين في السحر

وقال المنصور بن المعتمر لابن هبيرة حين أراد أن يوليه القضاء ما كنت لألي هذا بعد ما حدثني ابراهيم قال وما حدثك ابراهيم قال حدثني عن علقمة عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الظلمة وأعوان الظلمة وأشياع الظلمة حتى من برى لهم قلما أو لاق لهم دواة فيجمعون في تابوت من حديد ثم يرمى بهم في نار جهنم * وروى هرون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال جلس أبي للمظالم يوما فلما انقضى المجلس رأى رجلا جالسا فقال له ألك حاجة قال نعم أدنني اليك فاني مظلوم وقد أعوزني العدل والانصاف قال ومن ظلمك قال أنت ولست أصل اليك فأذكر حاجتي قال وما يحجبك وقد ترى مجلسي مبذولا قال يحجبني عنك هيبتك وطول لسانك وفصاحتك قال ففيم ظلمتك قال في ضيعتي الفلانية أخذها وكيلك غصبا مني بغير ثمن فاذا وجب عليها خراج أديته باسمي لئلا يثبت لك اسم في ملكها فيبطل ملكي فوكيلك يأخذ غلتها وأنا أؤدي خراجها وهذا لم يسمع بمثله في المظالم فقال له محمد هذا قول تحتاج معه الى بينة وشهود وأشياء فقال له الرجل أيؤمنني الوزير من غضبه حتى أجيب قال نعم قد أمنتك قال البينة هم الشهود واذا شهدوا فليس يحتاج معهم الى شيء آخر فما معنى قولك بينة وشهود وأشياء وأي شيء هذه الأشياء ان هي الا الجور وعدولك عن العدل فضحك محمد وقال صدقت والبلاء موكل بالمنطق واني لأرى فيك مصطنعا ثم وقع له برد ضيعته وأن يطلق له مائة دينار يستعين بها على عمارة ضيعته وصيره من أصحابه فكان قبل أن يتوصل الى الانصاف واعادة ضيعته له يقال له يا فلان كيف الناس فيقول بشر بين مظلوم لا ينصر وظالم لا ينتصر فلما صار من أصحاب محمد

فقال لقد قسمتها تقسيما فلسفيا انتهى ونقل الشيخ جمال الدين بن نباتة في كتابه المسمى بسرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون أن واضع العود بعض حكماء الفرس ولما فرغ منه سماه البربط وتفسيره باب النجاة ومعناه أنه مأخوذ من صرير باب الجنة وجعلت أوتاره أربعة بازاء الطبائع الاربع فالزير بازاء السوداء والبم بازاء الصفراء والمثنى بازاء الدم والمثلث بازاء البلغم فاذا اعتدلت أوتاره المرتبة على ما يجب جانست الطبائع وأنتجت الطرب وهو رجوع النفس الى الحالة الطبيعية دفعة واحدة وبديء هذا العلم ببطليموس وختم باسحق ابن ابراهيم الموصلي (وحكى ابن حمدون في تذكرته) أن الحسن ابن حماد قال كنت بالمدينة فخلا لي الطريق نصف النهار فجعلت اتغنى بشعر ذي يزن وهو

ما بال قومك يا رباب * خزرا كأنهم غضاب

فاذا كوة قد فتحت واذا وجه قد بدا منها تتبعه لحية حمراء فقال يا فاسق أسأت التأدية ومنعت القائلة وأذعت الفاحشة ثم اندفع يغني فغنى الصوت غناء لم أسمع بمثله فقلت أصلحك الله من أين لك هذا الغناء قال نشأت وأنا غلام يعجبني الاخذ عن المغنين فقالت أمي يا بني ان المغني إذا كان قبيح الوجه لم يلتفت الى غنائه فدع الغناء واطلب

الفقه فتركته وتبعت الفقهاء فبلغ بي الى ما ترى فقلت أعد لي الصوت جعلت فداك فقال لا ولا كرامة أتريد أن تقول أخذته عن مالك بن أنس ﴿ فائدة غريبة ﴾ روى عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال

ابن عبد الملك ورد عليه ضيعته وأنصفه قال له ليلة كيف الناس الآن قال بخير قد اعتمدت معهم الانصاف ورفعت عنهم الاجحاف ورددت عليهم الغصوب وكشفت عنهم الكروب وأنا أرجو لهم ببقائك نيل كل مرغوب والفوز بكل مطلوب ﴿ومما نقل﴾ في الآثار الاسرائيلية في زمان موسى صلوات الله وسلامه عليه أن رجلا من ضعفاء بني اسرائيل كان له عائلة وكان صيادا يصطاد السمك ويقوت منه أطفاله وزوجته فخرج يوما للصيد فوقع في شبكته سمكة كبيرة ففرح بها ثم أخذها ومضى الى السوق ليبيعها ويصرف ثمنها في مصالح عياله فلقيه بعض العوانية فرأى السمكة معه فأراد أخذها منه فمنعه الصياد فرفع العواني خشبة كانت بيده فضرب بها رأس الصياد ضربة موجعة وأخذ السمكة منه غصبا بلا ثمن فدعا الصياد عليه وقال الهي جعلتني ضعيفا وجعلته قويا عنيفا فخذ لي بحقي منه عاجلا فقد ظلمني ولا صبر لي الى الآخرة ثم ان ذلك الغاصب الظالم انطلق بالسمكة الى منزله وسلمها الى زوجته وأمرها أن تشويها فلما شوتها قدمتها له ووضعتها بين يديه على المائدة ليأكل منها ففتحت السمكة فاها ونكزته في أصبع يده نكزة طار بها عقله وصار لا يقر بها قراره فقام وشكا الى الطبيب ألم يده وما حل به فلما رآها قال له دواؤها أن تقطع الأصبع لئلا يسري الالم الى بقية الكف فقطع أصبعه فانتقل الألم والوجع الى الكف واليد وازداد التألم وارتعدت من خوفه فرائصه فقال له الطبيب ينبغي أن تقطع اليد الى المعصم لئلا يسري الألم الى الساعد فقطعها فانتقل الالم الى الساعد فما زال هكذا كلما قطع عضوا انتقل الألم الى العضو الآخر الذي يليه فخرج هائما على وجهه مستغيثا الى ربه ليكشف عنه ما نزل به فرأى شجرة فقصدها فأخذه النوم عندها فنام فرأى في منامه قائلا يقول يا مسكين الى كم تقطع اعضاءك امض الى خصمك الذي ظلمته فارضه فانتبه من النوم وفكر في أمره فعلم أن الذي أصابه من جهة الصياد فدخل المدينة وسأل عن الصياد وأتى اليه فوقع بين يديه يتمرغ على رجليه وطلب منه الاقالة مما جناه ودفع اليه شيئا من ماله وتاب من فعله فرضى عنه خصمه الصياد فسكن في الحال ألمه وبات تلك الليلة فرد الله تعالى عليه يده كما كانت ونزل الوحي على موسى عليه السلام يا موسى وعزتي وجلالي لولا أن ذلك الرجل أرضي خصمه لعذبته مهما امتدت به حياته ﴿ومما تضمنته أخبار الأخيار﴾ ما رواه أنس رضي الله عنه قال بينما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قاعد إذ جاءه رجل من أهل مصر فقال يا أمير المؤمنين هذا مقام العائذ بك فقال عمر رضي الله عنه لقد عذت بمجير فما شأنك فقال سابقت بفرسي ابنا لعمرو بن العاص وهو يومئذ أمير على مصر فجعل يقنعني بسوطه ويقول أنا ابن الأكرمين فبلغ ذلك عمرا أباه فخشي أن آتيك فحبسني في السجن فانفلت منه فهذا الحين أتيتك فكتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص إذا أتاك كتابي هذا فاشهد الموسم أنت وولدك فلان وقال للمصري أقم حتى يأتيك فأقام حتى قدم عمرو وشهد موسم الحج فلما قضى عمر الحج وهو قاعد مع الناس وعمرو بن العاص وابنه الى جانبه قام المصري فرمى اليه عمر رضي الله عنه بالدرة قال أنس رضي الله عنه فلقد ضربه ونحن نشتهي أن يضربه فلم ينزع حتى أحببنا أن ينزع من كثرة ما ضربه وعمر يقول اضرب ابن الأكرمين قال يا أمير المؤمنين قد استوفيت واشتفيت قال ضعها على صلع عمرو فقال يا أمير المؤمنين لقد ضربت الذي ضربني قال أما والله لو فعلت ما منعك أحد حتى تكون أنت الذي تنزع ثم أقبل على عمرو بن العاص وقال يا عمرو متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا فجعل عمرو يعتذر اليه ويقول اني لم أشعر بهذا * وقيل لما ظلم

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وتغنوا به من لم يتغن بالقرآن فليس منا رواه ابن ماجه ﴿نادرة لطيفة﴾ قال عبد الله بن أبي يزيد مر بنا أبو لبابة فاتبعناه حتى دخل بيته فاذا رجل رث الهيئة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس منا من لم يتغن بالقرآن قال فقلت لابن أبي مليكة يا أبا محمد أرأيت ان لم يكن حسن الصوت قال يحسنه ما استطاع رواه أبو داود ﴿نادرة لطيفة﴾ تتضمن المثل السائر في قولهم عن الخائب رجع بخفي حنين المنقول عن حنين انه كان اسكافا من أهل الحيرة ساومه اعرابي بخفين ولم يشتر منه شيئا وغاظه ذلك فخرج الى الطريق التي لا بد للاعرابي من المرور منها فعلق الفردة الواحدة منهما في شجرة على طريقه وتقدم قليلا فطرح الفردة الثانية واختفى فجاء الاعرابي فرأى أحد الخفين فوق الشجرة فقال ما أشبهه بخف حنين لو كان معه آخر لتكلفت أخذه وتقدم فرأى الخف الآخر مطروحا فنزل وعقل بعيره وأخذه ورجع ليأخذ الاول فخرج حنين من الكمين فأخذ بعيره وذهب ورجع الاعرابي الى ناحية بعيره فلم يجده فرجع بخفي حنين فصارت مثلا ﴿نادرة لطيفة﴾ قيل إن بعض وفود العرب قدموا على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وكان فيهم شاب فقام وتقدم وقال يا أمير المؤمنين أصابتنا سنون سنة

أحمد

أحمد بن طولون قبل أن يعـدل استغاث الناس من ظلمه وتوجهوا الى السيدة نفيسة يشكونه اليها فقالت لهم متى يركب قالوا فى غد فكتبت رقعة ووقفت بها فى طريقه وقالت يا أحمد يا بن طولون فلما رآها عرفها فترجل عن فرسه وأخذ منها الرقعة وقرأها فاذا فيها ملكتم فأسرتم وقدرتم فقهرتم وخولتم فعسفتم وردت اليكم الأرزاق فقطعتم هذا وقد علمتم أن سهام الاسحار نافذة غير مخطئة لاسيما من قلوب أوجعتموها وأكباد جوعتموها وأجساد عريتموها فمحال أن يموت المظلوم ويبقى الظالم اعملوا ماشئتم فانا صابرون وجوروا فانا إلى الله مستجير وظلموا فانا بالله متظلمون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون قال فعدل لوقته ﴿ وحكى ﴾ أن الحجاج حبس رجلا فى حبسه ظلما فكتب اليه رقعة فيها قد مضى من بؤسنا أيام ومن نعيمك أيام والموعد القيامة والسجن جهنم والحاكم لا يحتاج الى بينة وكتب فى آخرها

ستعلم يا نؤم اذا التقينا * غدا عند الاله من الظلوم
أما والله ان الظلم لؤم * ومازال الظلوم هو الملوم
سينقطع التلذذ عن أناس * أداموه وينقطع النعيم
الى ديان يوم الدين نمضى * وعند الله تجتمع الخصوم

﴿ وحكى ﴾ أبو محمد الحسين بن محمد الصالحى قال كنا حول سرير المعتضد بالله ذات يوم نصف النهار فنام بعد أن أكل فانتبه منزعجا وقال يا خدم فأسرعنا الجواب فقال ويلكم أعينونى والحقوا بالشط فأول ملاح ترونه منحدرا فى سفينة فارغة فاقبضوا عليه وائتونى به ووكلوا بالسفينة من يحفظها فأسرعنا فوجدنا ملاحا فى سفينة منحدرة وهى فارغة فقبضنا عليه ووكلنا بها من يحفظها وصعدنا به الى المعتضد فلما رآه الملاح كاد يتلف فصاح عليه المعتضد صيحة عظيمة كادت روحه تذهب منها وقال أصدقنى يا ملعون عن قضيتك مع المرأة التى قتلتها اليوم والاضربت عنقك فتلعثم وقال نعم كنت سحرا فى المشرعة الفلانية فنزلت امرأة لم أر مثلها عليها ثياب فاخرة وحلى كثير وجواهر فطمعت فيها واحتلت عليها حتى سددت فمها وغرقتها وأخذت جميع ما كان عليها ثم طرحتها فى الماء ولم أجسر على حمل سلبها الى دارى لئلا يفشو الخبر على فعولت على الهروب والانحدار الى واسط فصبرت الى أن خلا الشط فى هذه الساعة من الملاحين وأخذت فى الانحدار فتعلق بى هؤلاء القوم فحملونى اليك فقال وأين الحلى والسلب قال فى صدر السفينة تحت البوارى قال المعتضد على به الساعة فحضروا به فأمر بتغريق الملاح ثم أمر أن ينادى ببغداد من خرجت له امرأة إلى المشرعة الفلانية سحرا وعليها ثياب فاخرة وحلى فليحضر فحضر فى اليوم الثانى ثلاثة من أهلها وأعطوا صفتها وصفة ما كان عليها فسلم ذلك اليهم قال فقلت يا مولاى من أعلمك وأوحى اليك بهذه الحالة وأمر هذه الصبية فقال بل رأيت فى منامى رجلا شيخا أبيض الرأس واللحية والثياب وهو ينادى يا أحمد أول ملاح ينحدر الساعة فاقبض عليه وقرره على المرأة التى قتلها اليوم ظلما وسلبها ثيابها وأقم عليه الحد ولا يفتك فكان ماشاهدتم * فيتعين على كل ولى أمر أن يعدل فى الاحكام وأن يتبصر فى رعيته وعلى كل عاقل أن يكف يده عن الظلم ويسلك سنن العدل ويعامل بالنصفة ويراقب الله فى السر والعلانية ويعلم أن الله يجازى على الخير والشر ويعاقب الظالم على ظلمه وينتصر للظلوم ويأخذ له حقه ممن ظلمه واذا أخذ الظالم لم يفلته والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم

أذابت الشحم وسنة أكلت اللحم وسنة أذابت العظم وفى أيديكم فضول أموال فان كانت لنا فعلام تمنعونها عنا وان كانت لله ففرقوها على عباد الله وان كانت لكم فتصدقوا بها علينا إن الله يجزى المتصدقين فقال عمر بن عبد العزيز ماترك الاعرابى لنا عذرا فى واحدة ﴿ ووقف اعرابى على حلقة الحسن البصرى ﴾ فقال رحم الله من تصدق من فضل أوواسى من كفاف أوآثر من قوت فقال الحسن البصرى ماترك الاعرابى أحدا منكم حتى عمه بالسؤال قلت هـذا النوع سماه البديعيون بالتقسيم ﴿ نادرة أدبية بديعة ﴾ حكى ضياء الدين بن الاثير فى المثل السائر بعدما أورد لغزا فى الخلخال

ومضروب بلا جرم
مليح اللون معشوق
له شكل الهلال على
رشيق القد ممشوق
وأكثر مايرى أبدا
على الامشاط فى السوق

قال بلغنى أن بعض الناس سمع هذه الأبيات فقال دخلت السوق فلم أر على الامشاط شيئا ﴿ ومن نوادر الأدب أيضا ﴾ اشارة الحجاج الى قول ابن نباتة السعدى فى فرس أغر محجل

غضبت صباح وقد رأتنى قابضا
ايرى فقلت لها مقالة فاجر
بالله الا مالطمت جبينه
حتى يحقق فيك قول الشاعر

يريد بذلك قوله

وكأنما لطم الصباح جبينه
فاقتص منه فخاض فى أحشائه

(ومن المنقول

الوكيل ولاحول ولاقوة الابالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

﴿ الباب الحادى والعشرون فى بيان الشروط التى تؤخذ على العمال وسيرة السلطان فى استجباء الخراج وأحكام أهل الذمة وفيه فصلان ﴾

﴿ الفصل الأول فى سيرة السلطان فى استجباء الخراج والانفاق من بيت المال وسيرة العمال ﴾ قال جعفر بن يحيى الخراج عماد الملوك وما استعزوا بمثل العدل وما استنذروا بمثل الظلم وأسرع الأمور فى خراب البلاد تعطيل الأرضين وهلاك الرعية وانكسار الخراج من الجور ومثل السلطان اذا أجحف بأهل الخراج حتى يضعفوا عن عمارة الأرضين مثل من يقطع لحمه ويأكله من الجوع فهو ان شبع من ناحية فقد ضعف من ناحية أخرى وما أدخل على نفسه من الضعف والوجع أعظم مما دفع عن نفسه من ألم الجوع ومثل من كلف الرعية فوق طاقتهم كالذى يطين سطحه بتراب أساس بيته واذا ضعف المزارعون عجزوا عن عمارة الارضين فيتركونها فتخرب الارض ويهرب المزارعون فتضعف العمارة ويضعف الخراج وينتج من ذلك ضعف الاجناد واذا ضعف الجند طمع الأعداء فى السلطان (وروى) أن المأمون أرق ذات ليلة فاستدعى سميرا يحدثه فقال يا أمير المؤمنين كان بالموصل بومة وبالبصرة بومة فخطبت بومة الموصل بنت بومة البصرة لابنها فقالت بومة البصرة لا أجيب خطبة ابنك حتى تجعلى فى صداقها بنتى مائة ضيعة خربة فقالت بومة الموصل لا أقدر عليها لكن ان دام والينا سلمه الله علينا سنة واحدة فعلت ذلك قال فاستيقظ لها المأمون وجلس للمظالم وأنصف الناس بعضهم من بعض وتفقد أمور الولاة والعمال والرعية * وقال أبو الحسن ابن على الأسدى أخبرنى أبى قال وجدت فى كتاب قبطى باللغة الصعيدية مما نقل بالعربية أن مبلغ ما كان يستخرج لفرعون فى زمن يوسف الصديق صلوات الله وسلامه عليه من أموال مصر لخراج سنة واحدة من الذهب العين أربعة وعشرون ألف ألف وأربعمائة دينار من ذلك ماينصرف فى عمارة البلاد كحفر الخلجان والانفاق على الجسور وسد الترع وتقوية من يحتاج الى التقوية من غير رجوع عليه بها لاقامة العوامل والتوسعة فى البلدان وغير ذلك من الآلات وأجرة من يستعان به لحمل البذور وسائر نفقات تطبيق الأرض ثمانمائة ألف دينار ولما ينصرف للأرامل والايتام وان كانوا غير محتاجين حتى لايخلو أمثالهم من بر فرعون أربعمائة ألف دينار ولما ينصرف لكهنتهم وبيوت صلاتهم مائتا ألف دينار ولما ينصرف فى الصدقات مما يصب صبا وينادى عليه برئت الذمة من رجل كشف وجهه لفاقة ولم يحضر فيحضر لذلك جمع كثير مائتا ألف دينار فاذا فرقت الاموال على أربابها دخل امناء فرعون اليه وهنؤه بتفرقة الاموال ودعواله بطول البقاء ودوام العز والنعماء والسلامة وأنهوا اليه حال الفقراء فيأمر باحضارهم وتغيير شعثهم ويمد لهم السماط فيأكلون بين يديه ويشربون ويستفهم من كل واحد منهم عن سبب فاقته فان كان ذلك من آفة الزمان زاد عليه مثل الذى كان له ولما ينصرف فى نفقات فرعون الراتبة فى كل سنة مائتا ألف دينار ويفضل بعد ذلك مما يسلمه يوسف الصديق عليه السلام للملك ويجعله فى بيت المال لنوائب الزمان أربعة عشر ألف ألف وستمائة ألف دينار * وقال أبو رهم كانت أرض مصر أرضا مدبرة حتى ان الماء ليجرى تحت منازلها وأفنيتها فيحبسونه حيث شاؤا او يرسلونه حيث شاؤا وذلك قول فرعون أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى الآية وكان ملك مصر عظيما لم يكن فى الارض أعظم منه ملكا وكانت الجنان بحافتى

النيل

المشهور) أن الادب وأهله كان عند أصحاب حماة فى الذروة العالية ولكن قصة زكى الدين بن عبد الرحمن العوفى مع الملك المظفر محمود بن الملك المنصور محمد بن الملك تقى الدين عمر بن شهنشاه كانت على غير المعهود منه ومن سلفه الطاهر وماذاك الأن زكى الدين المذكور أنشد الملك المظفر محمودا قبل أن يتملك حماة

متى أراك ومن تهوى وأنت كما ... تهوى على رغمهم روحين فى بدن

هناك أنشد والآمال حاضرة ... هنئت بالملك والاحباب والوطن

فوعده ان تملك حماة أن يعطيه ألف دينار فلما ملكها أنشد

مولاى هذا الملك قد نلته ... برغم مخلوق من الخالق

والدهر منقاد لما شئته ... فذا أوان الوعد الصادق

فدفع له ألف دينار وأقام معه مدة ولزمته أسفار أنفق فيها المال الذى أعطاه ولم يحصل بيده زيادة عليه فقال

ان الذى أعطونى جملة ... قد استردوه قليلا قليل

فليت لم يعطوا ولم يأخذوا ... وحسبنا الله ونعم الوكيل

فبلغ ذلك الملك المظفر فأخرجه من دار كان قد أنزله بها فقال

أتخرجنى من كسر بيت مهدم ... ولى فيك من حسن الثناء بيوت

فان عشت لم أعدم مكانا يضمنى ... وأنت فتدرى ذكر من سيموت

فحبسه المظفر فقال ماذنبى اليك فقال حسبنا الله ونعم الوكيل وأمر بخنقه فلما أحس بذلك قال أعطيتنى الألف تعظيما وتكرمة

ياليت شعري أم أعطيتني دبتي (قلت) كان والد الملك المظفر أليق بهذا المقام الذي لم يقصد به زكي الدين العوفي غير
نزويج الأدب في اختلاف المعاني والمداعبة به والتوصل بذلك (١٠٩) الى بسط الملك المظفر ولكن حال
الزكي كقول الشاعر

وكنت كالمتمني أن يرى فلقا
من الصباح فلما أن رآه عمي

(قلت) وكان والد السلطان الملك المظفر المنصور من كبار أهل الأدب وكان أحب الناس لأهله وله كتاب طبقات الشعراء عشر مجلدات وسمع الحديث من الحافظ السلفي بالاسكندرية وكان مغرما بحب الأدباء والعلماء وجمع تاريخا على السنين في عشر مجلدات ومن مصنفاته كتابه المسمى بمظاهر الحقائق وسر الخلائق وهو كبير نفيس يدل على فضله وجمع عنده من الكتب مالا مزيد عليه وكان في خدمته ماينا هز مائتي متعمم من الفقهاء والأدباء والنحاة والمشتغلين بالحكمة والمنجمين والكتاب وأقامت دولته ثلاثين سنة وتوفي سنة عشر وستمائة ومن شعره

أربى راح وريحا
ن ومحبوب وشادي
والذي ساق لي الملـ
ك له دفع الاعادي

(قلت) وقد تقدم القول وقد تقرران جميع ملوك حماة المحروسة من بني أيوب وكان لهم المام بالأدب وأهله وقد تعين أن نذكر هنا ترجمة مؤيدهم فانه كان بدر كمالهم ومسك ختامهم وهو الملك المؤيد عماد الدين أبو الفداء اسمعيل بن

النيل متصلة لاينقطع منها شيء عن شيء والزروع كذلك من أسوان الى رشيد وكانت أرض مصر كلها تروى من ستة عشر ذراعا لما دبروا من جسورها وحافاتها والزروع ما بين الجبلين من أولها الى آخرها وذلك قوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم (وقال) عبد الله بن عمر رضي الله عنهما استعمل فرعون هامان على حفر خليج سردوس فاخذ في حفره وتدبيره فجعل أهل القرى يسألونه أن يجري لهم الخليج تحت قراهم ويعطوه مالا فكان يذهب به من قرية الى قرية من المشرق الى المغرب ومن الشمال الى القبلة ويسوقه كيف أرادوا الى حيث قصد فليس خليج بمصر أكثر عطوفا منه فاجتمع له من ذلك أموال عظيمة جزيلة فحملها الى فرعون وأخبره بالخبر فقال له فرعون انه ينبغي للسيد أن يعطف على عبيده ويفيض عليه من خزائنه وذخائره ولا يرغب فيما بايديهم رد على أهل القرى أموالهم فرد عليهم ما أخذه منهم * فاذا كانت هذه سيرة من لا يعرف الله ولا يرجو لقاءه ولا يخاف عذابه ولا يؤمن بيوم الحساب فكيف تكون سيرة من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله و يوقن بالحساب والثواب والعقاب وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى اجعلني على خزائن الأرض قال هي خزائن مصر ولما استوثق أمر مصر ليوسف عليه السلام وكمل وصارت الاشياء اليه وأراد الله تعالى أن يعوضه على صبره لما لم يرتكب محارمه وكانت مصر أربعين فرسخا في مثلها وما أطاع يوسف فرعون وهو الريان بن مصعب وناب عنه الا بعد أن دعاه الى الاسلام فاسلم وكانت السنون التي حصل فيها الغلاء والجوع مات العزيز وتملك يوسف وافتقرت زليخا وعمي بصرها فجعلت تتكفف الناس فقيل لها لو تعرضت للملك ربما يرحمك ويعينك ويغنيك فطالما كنت تحفظينه وتكرمينه ثم قيل لها لا تفعلي لانه ربما يتذكر ما كان منك اليه من المراودة والحبس فيسيء اليك و يكافئك على ماسبق منك اليه فقالت أنا أعلم بحلمه وكرمه فجلست له على رابية في طريقه يوم خروجه وكان يركب في زهاء مائة ألف من عظماء قومه وأهل مملكته فلما أحست به قامت ونادت سبحان من جعل الملوك عبيداً بمعصيتهم والعبيد ملوكا بطاعتهم فقال يوسف عليه السلام من أنت فقالت أنا التي كنت أخدمك بنفسي وأرجل شعرك بيدي وأكرم مثواك بجهدي وكان مني ما كان وقد ذقت وبال أمري وذهبت قوتي وتلف مالي وعمي بصري وصرت أسأل الناس فمنهم من يرحمني ومنهم من لا يرحمني وبعدما كنت مغبوطة أهل مصر كلها صرت مرحومتهم بل محرومتهم وهذا جزاء المفسدين فبكى يوسف عليه السلام بكاء شديداً وقال لها هل في قلبك من حبك اياي شيء قالت نعم والذي اتخذ ابراهيم خليلا لنظرة اليك أحب الي من ملء الأرض ذهبا وفضة فمضى يوسف وأرسل اليها يقول ان كنت أيما تزوجناك وان كنت ذات بعل أغنيناك فقالت لرسول الملك أنا أعرف أنه يستهزيء بي هو لم يردني في أيام شبابي وجمالي فكيف يقبلني وأنا عجوز عمياء فقيرة فامر بها يوسف عليه السلام فجهزت وتزوج بها وأدخلت عليه فصف يوسف عليه السلام قدميه وقام يصلي ويدعو الله تعالى باسمه العظيم الأعظم فرد الله عليها حسنها وجمالها وشبابها وبصرها كهيئتها يوم راودته فواقعها فاذا هي بكر فولدت له افرائيم بن يوسف ومنشا بن يوسف وطاب في الاسلام عيشهما حتى فرق الموت بينهما فينبغي للقوي أن لا ينسى الضعيف وللغني أن لا ينسى الفقير فرب مطلوب يصير طالبا ومرغوب فيه يصير راغبا ومسئول يصير سائلا وراحم يصير مرحوما فنسأل الله تعالى أن يرحمنا برحمته ويغنينا بفضله * ولما ملك يوسف عليه السلام خزائن الأرض كان يجوع

ويأكل من خبز الشعير فقيل له أتجوع وبيدك خزائن الأرض فقال أخاف أن أشبع فأنسى الجائع

﴿ومن حسن سيرة العمال﴾ ماروى أن عمر رضى الله عنه استعمل على حمص رجلا يقال له عمير ابن سعد فلما مضت السنة كتب اليه عمر رضى الله عنه ان اقدم علينا فلم يشعر عمر إلا وقد قدم عليه ماشيا حافيا عكازته بيده وأداوته ومزوده وقصعته على ظهره فلما نظر اليه عمر قال له ياعمير أأجبتنا أم البلاد بلاد سوء فقال ياأمير المؤمنين أمانهاك الله أن تجهر بالسوء وعن سوء الظن وقد جئت اليك بالدنيا أجرها بقرابها فقال له ومامعك من الدنيا قال عكازة أتوكأ عليها وأدفع بها عدوا إن لقيته ومزود أحمل فيه طعامي واداوة أحمل فيها ماء لشربى ولطهورى وقصعة أتوضأ فيها وأغسل فيها رأسي وآكل فيها طعامى فوالله ياأمير المؤمنين ماالدنيا بعد الا تبع لمامعى قال فقام عمر رضى الله عنه من مجلسه الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر رضى الله عنه فبكى بكاء شديدا ثم قال اللهم ألحقنى بصاحبي غير مفتضح ولا مبدل ثم عاد الى مجلسه فقال ماصنعت فى عملك ياعمير فقال أخذت الابل من أهل الابل والجزية من أهل الذمة عن يدوهم صاغرون ثم قسمتها بين الفقراء والمساكين وأبناء السبيل فوالله ياأمير المؤمنين لو بقى عندى منها شىء لأتيتك به فقال عمر عد الى عملك ياعمير قال أنشدك الله ياأمير المؤمنين أن تردنى الى أهلى فأذن له فأتى أهله فبعث عمر رجلا يقال له حبيب بمائة دينار وقال له اختبر لى عميرا وأنزل عليه ثلاثة أيام حتى ترى حاله هل هو فى سعة أم ضيق فان كان فى ضيق فادفع اليه المائة دينار فأتاه حبيب فنزل به ثلاثا فلم ير له عيشا الا الشعير والزيت فلما مضت ثلاثة أيام قال ياحبيب ان رأيت أن تتحول الى جيراننا فلعلهم أن يكونوا أوسع عيشا منا فاننا والله وتالله لو كان عندنا غير هذا لآثرناك به قال فدفع اليه المائة دينار وقال قد بعث بها أمير المؤمنين اليك فدعا بفرو خلق لامرأته فجعل يصر منها الخمسة دنانير والستة والسبعة ويبعث بها الى اخوانه من الفقراء الى أن أنفدها فقدم حبيب على عمر وقال جئتك ياأمير المؤمنين من عند أزهد الناس وماعنده من الدنيا قليل ولا كثير فأمر له عمر بوسقين من طعام وثوبين فقال ياأمير المؤمنين أما الثوبان فأقبلهما وأما الوسقان فلا حاجة لى بهما عند أهلى صاع من بر هو كافيهم حتى ارجع اليهم (وروى) أن عمر رضى الله عنه صر اربعمائة دينار وقال للغلام اذهب بها الى أبى عبيدة بن الجراح ثم تربص عنده فى البيت ساعة حتي تنظر ما يصنع بها فذهب بها الغلام اليه وقال له يقول لك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب اجعل هذه فى بعض حوائجك قال وصله الله ورحمه ثم دعا بجاريته وقال لها اذهبى بهذه السبعة الى فلان وبهذه الخمسة الى فلان حتى أنفدها فرجع الغلام الى عمر وأخبره فوجده قد عد مثلها لمعاذ بن جبل فقال له انطلق بها الى معاذ بن جبل وانظر مايكون من أمره فمضى اليه وقال له كما قال لابى عبيدة بن الجراح ففعل معاذ كما فعل أبو عبيدة فرجع الغلام فأخبره عمر فقال انهم اخوة بعضهم من بعض رضى الله تعالى عنهم أجمعين

﴿الفصل الثانى فى أحكام أهل الذمة﴾ روى عن عبد الرحمن بن غنم قال كتبنا لعمر بن الخطاب رضى الله عنه حين صالح نصارى أهل الشام بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من نصارى مدينة كذا الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب انكم لما قدمتم علينا سألناكم الامان لأنفسنا وذرارينا وأموالنا وأهل ملتنا وشرطنا لكم على أنفسنا أن لانحدث فى مدائننا ولا فيما حوالها كنيسة ولا ديرا ولا قلية ولا صومعة راهب ولا نجدد ماخرب منها ولا ما كان مختطا منها فى خطط المسلمين فى ليل ولا فى نهار وان نوسع أبوابها للمار وابن السبيل وان ننزل من مر بنا من المسلمين ثلاث ليال نطعمهم ولا نؤوى فى كنائسنا

الملك الافضل ابن الملك المظفر بن الملك المنصور بن الملك المظفر صاحب حماة المحروسة كان أميرا بدمشق المحروسة فخدم الملك الناصر لما كان بالكرك وبالغ فى خدمته فوعده بحماة ووفى له بذلك وجعله بها سلطانا يفعل فيها مايشاء من أقطاع وغيره ليس لأحد من الدولة المصرية معه حديث وأركبه فى القاهرة بشعار المملكة وأبهة السلطنة ومشى الامراء فى خدمته حتى الامير سيف الدين ابن أرغون النائب وقام له القاضى كريم الدين بكل مايحتاج اليه فى ذلك المهم من التشاريف والانعامات على وجوه الدولة ولقبوه بالملك الصالح ثم بعد ذلك بقليل لقب بالمؤيد وتقدم أمر السلطان الملك الناصر الى نوابه أن يكتبوا اليه يقبل الارض والمقام الشريف العالى المولوى السلطانى الملكى المؤيدى العمادى وفى العنوان صاحب حماة وكان الملك الناصر يكتب اليه أخوه محمد بن قلاوون أعز الله المقام الشريف العالى السلطانى الملكى المؤيدى العمادى المولوى * وكان الملك المؤيد من علماء الفقه والادب والطب والحكمة والهيئة ونظم الحاوى وله تاريخ بديع وكتاب الكناش وكتاب تقويم البلدان هذبه وجدوله وأجاد فيه ماشاء وله كتاب الموازين * وكان قد رتب للشيخ جمال الدين بن نباتة فى كل شهر الف درهم غير مايتحفه وهو مقيم بدمشق وتوجه الملك المؤيد فى بعض السنين الى الديار ولا

ولا فى منازلنا جاسوسا ولا نكتمه عن المسلمين ولا نعلم أولادنا القرآن ولا نظهر شرعنا ولا ندعو اليه أحدا ولا نمنع أحدا من ذوى قراباتنا الدخول فى دين الاسلام ان أرادوا وأن نوقر المسلمين ونقوم لهم من مجالسنا إذا أرادوا الجلوس وأن لا نتشبه بالمسلمين فى شىء من ملابسهم من قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا نتكلم بكلامهم ولا نتكنى بكناهم ولا نركب فى السروج ولا نتقلد بالسيوف ولا نتخذ شيئا من السلاح ولا نحمله معنا ولا ننقش على خواتمنا بالعربية ولا نبيع الخمر وأن نجز مقادم رؤسنا ونلزم زينا حيثما كنا وأن نشد الزنار على أوساطنا ولا نظهر صلبانا ولا كتبنا فى شىء من أسواق المسلمين وطرقهم ولا نضرب بالنواقيس فى كنائسنا الا ضربا خفيفا ولا نرفع أصواتنا مع موتانا ولا نظهر النيران فى شىء من طرق المسلمين ولا أسواقهم ولا نجاورهم بموتانا ولا نتخذ من الرقيق ما جرى عليه سهام المسلمين ولا نتطلع على منازلهم وقد شرطنا ذلك على أنفسنا وعلى أهل ملتنا وقبلنا عليه الأمان فان نحن خالفنا فى شىء مما شرطناه لكم وضمناه على أنفسنا فلا ذمة لنا وقد حل بنا ما يحل بأهل المعاندة والشقاق فكتب اليه عمر رضى الله عنه أن امض ماسألوه والحق فيه حرفين واشترطهما عليهم مع ما شرطوا على أنفسهم أن لا يشتروا شيئا من سبايا المسلمين ومن ضرب مسلما عمدا فقد خلع عهده * وروى أن بنى ثعلبة دخلوا على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فقالوا يا أمير المؤمنين انا قوم من العرب أفرض لنا قال نصارى قالوا نصارى قال ادعوا إلى حجام ففعلوا فجز نواصيهم وشق من أرديتهم حزما يحتزمون بها وأمرهم أن لا يركبوا بالسروج وأن يركبوا على الاكف من شق واحد * وروى أن أمير المؤمنين الخليفة جعفر المتوكل أقصى اليهود والنصارى ولم يستعملهم وأذلهم وأبعدهم وخالف بين زيهم وزى المسلمين وقرب منه أهل الحق وأبعد عنه أهل الباطل فأحيا الله به الحق وأمات به الباطل فهو يذكر بذلك ويترحم عليه ما دامت الدنيا وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لا تستعملوا اليهود والنصارى فانهم أهل رشا فى دينهم ولا يحل فى دين الله الرشا ولما استقدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه أبا موسى الاشعرى رضى الله عنه من البصرة وكان عاملا عليها للحساب دخل على عمر وهو فى المسجد فاستأذن لكاتبه وكان نصرانيا فقال له عمر قاتلك الله وضرب بيده على فخذه وليت ذميا على المسلمين أما سمعت الله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض الآية هلا اتخذت حنيفيا فقال يا أمير المؤمنين لى كتابته وله دينه فقال لا أكرمهم إذ أهانهم الله ولا أعزهم اذ أذلهم الله ولا أدنيهم اذ أقصاهم الله وكتب بعض العمال الى عمر رضى الله عنه أن العدو قد كثر وان الجزية قد كثرت أفنستعين بالاعاجم فكتب اليه انهم أعداء الله وانهم لنا غششة فأنزلوهم حيث أنزلهم الله * ولما خرج رسول الله ﷺ الى بدر لحقه رجل من المشركين عند الحرة فقال انى أريد أن أتبعك وأصيب معك قال أتؤمن بالله ورسوله قال لا قال ارجع فلن نستعين بمشرك ثم لحقه عند الشجرة فقال جئتك لأتبعك وأصيب معك قال أتؤمن بالله ورسوله قال لا قال فارجع فلن أستعين بمشرك ثم لحقه عند ظهر البيداء فقال له مثل ذلك فأجابه بمثل الأول فقال نعم فخرج به وفرح المسلمون وكان له قوة وجلد وهذا أصل عظيم فى أن لا يستعان بكافر هذا وقد خرج ليقاتل بين يدى النبى ﷺ ويراق دمه فكيف استعمالهم على رقاب المسلمين * وكتب عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه إلى عماله أن لا تولوا على أعمالنا إلا أهل القرآن فكتبوا اليه انا قد وجدنا فيهم خيانة فكتب اليهم ان لم يكن فى أهل القرآن خير فاجدر أن لا يكون فى غيرهم قال أصحاب الشافعى ويلزمهم

المصرية ومعه ابنه الملك الأفضل محمد فمرض ولده فجهز اليه السلطان الحكيم جمال الدين بن المغربى رئيس الأطباء فكان يجىء اليه بكرة وعشيا فيراه ويبحث معه فى مرضه ويقدر له الأدوية ويطبخ له الشراب بيده فى دست فضة فقال له ابن المغربى يا مولانا السلطان أنت والله ما تحتاج إلى المملوك وما أجىء إلا امتثالا للأوامر الشريفة ولما عوفى أعطاه بغلة بسرج ذهب ولجام وكنبوش مزركش وعشرة آلاف درهم والدست الفضة وقال يا رئيس اعذرنى فانى لما خرجت من حماة ما حسبت مرض هذا الولد ومدحه شعراء زمانه وأجازهم وبنى بظاهر حماة المحروسة جامعا حسنا وسماه جامع الدهيشة وأوقف عليه كتبا قيل انها ما اجتمعت لغيره من سائر الفنون فانه اجتهد فى جمعها من سائر البلاد شرقا وغربا وتوفى رحمه الله سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة ومن شعره

كم من دم حلت وما ندمت
تفعل ما تشتهى فلا عدمت

سمت فلو تبلغ الشموس الى
لثم مواطىء أقدامها لثمت

(والمنقول عن القاسم المكنى بأبى دلف) أنه جمع بين طرفى الكرم والشجاعة ولى دمشق فى خلافة المعتصم فأما شجاعته فانه لحق قوما من الاكراد قطعوا الطريق فطعن فارسا طعنة فنفذت الطعنة الى فارس آخر رديفه فقتلهما فقال بكر بن النطاح

قالوا وينظم فارسين بطعنة * يوم الهياج ولا تراه كليلا

أن يتميزوا في اللباس عن المسلمين وأن يلبسوا قلانس يميزونها عن قلانس المسلمين بالحمرة ويشدوا الزنانير على أوساطهم ويكون في رقابهم خاتم من نحاس أو رصاص أو جرس يدخلون به الحمام وليس لهم أن يلبسوا العمائم ولا الطيلسانات وأما المرأة فانها تشد الزنار تحت الازار وقيل فوق الازار وهو الأولى ويكون في عنقها خاتم تدخل به الحمام ويكون أحد خفيها أسود والآخر أبيض ولا يركبون الخيل ولا البغال ولا الحمير الا بالأكف عرضا ولا يركبون بالسروج ولا يتصدرون في المجالس ولا يبدأون بالسلام ويلجأون إلى أضيق الطرق ويمنعون أن يتطاولوا على المسلمين في البناء وتجوز المساواة وقيل لا تجوز وأن تملكوا دارا عالية أقروا عليها ويمنعون من اظهار المنكر كالخمر والخنزير والناقوس والجهر بالتوراة والانجيل ويمنعون من المقام في أرض الحجاز وهي مكة والمدينة واليمامة وان امتنعوا من أداء الجزية والتزام أحكام أهل الملة انتقض عهدهم وان زنى أحد منهم بمسلمة أو أصابها بنكاح أو آوى عينا للكفار أو دل على عورة المسلمين أو فتن مسلما عن دينه أو قتله أو قطع عليه الطريق تنتقض ذمته وفي تقدير الجزية اختلاف بين العلماء فمنهم من قال إنها مقدرة الأقل والأكثر على ما كتب به عمر رضي الله عنه إلى عثمان بن حنيف بالكوفة فوضع على الغني ثمانية وأربعين درهما وعلى من دونه أربعة وعشرين درهما وعلى من دونه اثني عشر درهما وذلك بمحضر من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ولم يخالفه أحد وكان الصرف اثنا عشر بدينار وهذا مذهب أبي حنيفة وأحمد بن حنبل وأحد قولي الشافعي ويجوز للامام أن يزيد على ماقدره عمر ولا يجوز أن ينقص عنه ولا جزية على النساء والمماليك والصبيان والمجانين * وأما الكنائس فأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن تهدم كل كنيسة بعد الاسلام ومنع أن تجدد كنيسة وأمر أن لا تظهر عليه خارجة من كنيسة ولا يظهر صليب خارج من كنيسة الا كسر على رأس صاحبه وكان عروة بن محمد يهدمها بصنعاء وهذا مذهب علماء المسلمين أجمعين وشدد في ذلك عمر ابن عبد العزيز وأمر أن لا يترك في دار الاسلام بيعة ولا كنيسة بحال قديمة ولا حديثة والله تعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب الثاني والعشرون في اصطناع المعروف واغاثة الملهوف وقضاء حوائج المسلمين وادخال السرور عليهم ﴾

قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم وقال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال رسول الله ﷺ من مشى في عون أخيه ومنفعته فله ثواب المجاهدين في سبيل الله وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال الخلق كلهم عيال الله فأحب خلقه اليه أنفعهم لعياله رواه البزار والطبراني في معجمه ومعنى عيال الله فقراء الله تعالى والخلق كلهم فقراء الله تعالى وهو يعولهم وروينا في مسند الشهاب عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال خير الناس أنفعهم للناس وعن كثير بن عبيد بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ان لله خلقا خلقهم لقضاء حوائج الناس آلى على نفسه أن لا يعذبهم بالنار فاذا كان يوم القيامة وضعت لهم منابر من نور يحدثون الله تعالى والناس في الحساب وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ من سعى لأخيه المسلم في حاجة فقضيت له أو لم تقض غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

وأما شهرته في الكرم فهو الذي قال فيه أبو تمام
يا طالبا للكيمياء وعلمها
مدح ابن عيسى الكيمياء الاعظم
لو لم يكن في الارض الا درهم
ومدحته لأتاك ذاك الدرهم
ودخل عليه بعض الشعراء فأنشد أبو دلف ان المكارم لم تزل
مغلولة تشكو الى الله حالها
فبشرها منه بميلاد قاسم
فأرسل جبريلا اليها فحلها
فأمر له بمال فقال له الخازن لم يكن هذا القدر ببيت المال فأمر له بضعفه فقال هذا غير ممكن فأمر له بضعفه فلما حمل اليه المال قال أبو دلف
أتعجب ان رأيت على دينا
وان ذهب الطريف مع التلاد
وما وجبت على زكاة مال
وهل تجب الزكاة على جواد
وقال آخر
ان سار سار المجد أو حل وقف
أنظر بعينيك الى أسنى الشرف
هل ناله بقدرة أو بكلف
خلق من الناس سوى أبي دلف فأعطاه خمسين ألف درهم وفيه يقول العكوك بن علي بن أبي جبلة

إنما الدنيا أبو دلف * بين باديه ومحتضره
فاذا ولى أبو دلف * ولت الدنيا على اثره

وكتب

وكتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق وعن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ من قضى لاخيه المسلم حاجة كنت واقفا عند ميزانه فان رجح والا شفعت له رواه أبو نعيم فى الحلية وروينا فى مكارم الاخلاق لابى بكر الخرائطى عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من مشى فى حاجة أخيه المسلم كتب الله له بكل خطوة سبعين حسنة وكفر عنه سبعين سيئة فان قضيت حاجته على يده خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فان مات فى خلال ذلك دخل الجنة بغير حساب وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ من مشى مع أخيه فى حاجة فناصحه فيها جعل الله بينه وبين النار سبع خنادق ما بين الخندق والخندق كما بين السماء والأرض رواه أبو نعيم وابن أبى الدنيا وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ ان لله عند أقوام نعما يقرها عندهم ما داموا فى حوائج الناس ما لم يملوا فاذا ملوا نقلها الله إلى غيرهم رواه الطبرانى وروينا من طريق الطبرانى باسناد جيد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ ما من عبد أنعم الله عليه نعمة فاسبغها عليه ثم جعل حوائج الناس اليه فتبرم فقد عرض تلك النعمة للزوال وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من أغاث ملهوفا كتب الله له ثلاثا وسبعين حسنة واحدة منها يصلح بها آخرته ودنياه والباقى فى الدرجات وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ أتدرون ما يقول الاسد فى زئيره قالوا الله ورسوله أعلم قال يقول اللهم لا تسلطنى على أحد من أهل المعروف رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال قيل يا رسول الله أى الناس أحب اليك قال أنفع الناس للناس قيل يا رسول الله فأى الاعمال أفضل قال ادخال السرور على المؤمن قيل وما سرور المؤمن قال اشباع جوعته وتنفيس كربته وقضاء دينه ومن مشى مع أخيه فى حاجة كان كصيام شهر واعتكافه ومن مشى مع مظلوم يعينه ثبت الله قدمه يوم تزل الاقدام ومن كف غضبه ستر الله عورته وان الخلق السىء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من لقى أخاه المسلم بما يحب ليسره بذلك سره الله يوم القيامة رواه الطبرانى فى الصغير باسناد حسن وروى عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ من أدخل على أهل بيت من المسلمين سرورا لم يرض الله له ثوابا دون الجنة رواه الطبرانى وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ما أدخل رجل على مؤمن سرورا إلا خلق الله من ذلك السرور ملكا يعبد الله تعالى ويوحده فاذا صار العبد فى قبره أتاه ذلك السرور فيقول له أما تعرفنى فيقول له من أنت فيقول أنا السرور الذى أدخلتنى على فلان أنا اليوم أؤانس وحشتك وألقنك حجتك وأثبتك بالقول الثابت وأشهد مشاهدك يوم القيامة وأشفع لك إلى ربك وأريك منزلك فى الجنة رواه ابن أبى الدنيا وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه يرفعه اذا أراد أحدكم الحاجة فليبكر لها يوم الخميس وليقرأ إذا خرج من منزله آخر سورة آل عمران وآية الكرسى وانا أنزلناه فى ليلة القدر وأم الكتاب فان فيها حوائج الدنيا والآخرة وهو حديث مرفوع * ومن كلام الحكماء إذا سألت كريما حاجة فدعه يفكر فانه لا يفكر الا فى خير واذا سألت لئيما حاجة فعاجله لئلا يشير عليه طبعه أن لا يفعل وسأل رجل رجلا حاجة ثم توانى عن طلبها فقال له المسئول أنمت عن حاجتك فقال ما نام عن حاجته من أسهرك لها ولا عدل بها عن محجة النجح من قصدك بها فعجب من فصاحته وقضى حاجته

كل من فى الارض من عرب بين باديه إلى حضره مستعير منك مكرمة يكتسبها يوم مفتخره فأعطاه أبو دلف مائة ألف درهم ولما بلغت المأمون غضب غضبا شديدا على العكوك فطلب فهرب فاجتهدوا إلى أن جاؤا به مقيدا فلما صار بين يديه قال له يا ابن اللخناء أنت القائل فى مدحك لأبى دلف كل من فى الارض من عرب البيتين جعلتنا ممن يستعير المكارم منه ويفتخر بها فقال يا أمير المؤمنين أنتم أهل بيت لا يقاس بكم لأن الله تعالى اختصكم لنفسه على عباده وآتاكم الكتاب والحكم وانما ذهبت فى شعرى لأقران وأشكال أبى دلف فقال والله ما أبقيت من أحد ولقد أدخلتنا فى الكل وما أستحل دمك بهذا ولكن بكفرك حيث قلت فى عبد ذليل مهين

أنت الذى تنزل الآيات منزلها
وتنقل الدهر من حال إلى حال
وما نظرت مدى طرف إلى أحد
الا قضيت بأرزاق وآجال

ذاك هو الله يا كافر اخرجوا لسانه من قفاه ففعلوا به ذلك فمات * ومن مصنفاته كتاب البزاة والصيد وكتاب السلاح وكتاب النزه وكتاب سياسة الملوك وكانت له اليد الطولى فى الغناء وهو مترجم بذلك فى كتاب الاغانى وذكر أبو عبيدة فى كتاب مثالب أهل البصرة أن النضر بن شميل النحوى البصرى كان عالما بفنون من العلم صاحب غريب وفقه وشعر ومعرفة بأيام العرب ورواية الحديث وهو من أصحاب الخليل بن أحمد فاتفق أن ضاقت به المعيشة ورق حاله فخرج يريد خراسان فشيعه من

وأمر له بمال جزيل * وقال مسلمة لنصيب سلنى فقال كفك بالعطية أبسط من لسانى بالمسئلة فأمر له بألف دينار وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه فوت الحاجة أهون من طلبها إلى غير أهلها وعنه أيضا قال لا تكثر على أخيك الحوائج فان العجل اذا أفرط فى مص ثدى أمه نطحته وقال ذو الرياستين لثمامة بن أشرس ماأدرى ماأصنع بكثرة الطلاب فقال زل عن موضعك وعلى أن لا يلقاك منهم أحد فقال له صدقت وجلس لهم فى قضاء حوائجهم وحدث أبو جعفر محمد بن القاسم الكرخى قال عرضت على أبى الحسن على بن محمد بن الفرات رقعة فى حاجة لى فقرأها ووضعها من يده ولم يوقع فيها بشىء فأخذتها وقمت وأنا أقول متمثلا من حيث يسمع هذين البيتين

وإذا خطبت الى كريم حاجة * وأبى فلا تقعد عليه بحاجب

فلربما منع الكريم وما به * بخل ولكن سوء حظ الطالب

فقال وقد سمع ماقلت ارجع ياأبا جعفر بغير سوء حظ الطالب ولكن اذا سألتمونا الحاجة فعاودونا فان القلوب بيد الله تعالى فأخذ الرقعة ووقع فيها بما أردت * وسأل اسحق بن ربعى اسحق بن ابراهيم المصعبى أن يوصل له رقعة الى المأمون فقال لكاتبه ضمها الى رقعة فلان فقال

تأن لحاجتى واشدد عراها * فقد اضحت بمنزلة الضياع

إذا شاركتها بلبان أخرى * أضر بها مشاركة الرضاع

(وقال أبو دقاقة البصرى)

أضحت حوائجنا اليك مناخة * معقولة برحابك الوصال

أطلق فديتك بالنجاح عقالها * حتى تثور معا بغير عقال

(وقال سلم الخاسر)

إذا أذن الله فى حاجة * أتاك النجاح على رسله

فلا تسأل الناس من فضلهم * ولكن سل الله من فضله

(ولله در القائل حيث قال)

أيها المادح العباد ليعطى * ان لله ما بأيدى العباد

فاسأل الله ما طلبت اليهم * وارج فرض المقسم الجواد

وعن عبد الله بن الحسن بن الحسين رضى الله تعالى عنهم قال أتيت باب عمر بن عبد العزيز فى حاجة فقال اذا كانت لك حاجة الى فأرسل الى رسولا أو اكتب لى كتابا فانى لأستحى من الله أن يراك ببابى وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال والذى وسع سمعه الاصوات مامن أحد أودع قلبا سرورا الاخلق الله تعالى من ذلك السرور لطفا فاذا نزلت به نائبة جرى اليها كالماء فى انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الابل وقال لجابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنهما ياجابر من كثرت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس اليه فان قام بما يجب لله فيها عرضها للدوام والبقاء وان لم يقم فيها بما يجب لله عرضها للزوال نعوذ بالله من زوال النعمة ونسأله التوفيق والعصمة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

﴿الباب الثالث والعشرون فى محاسن الأخلاق ومساويها﴾

قال الله تعالى لنبيه ﷺ وانك لعلى خلق عظيم فخص الله تعالى نبيه ﷺ من كريم الطباع ومحاسن

الاخلاق

أهل البصرة ثلاثة آلاف رجل مافيهم الا محدث أو نحوى أو عروضى أو لغوى أو اخبارى أو فقيه فلما بعدوا عن المدينة جلس فقال يا أهل البصرة يعز على فراقكم والله لو وجدت كل يوم أكلة باقلاء مافارقتكم قال فلم يكن أحد فيهم يتكفل له بذلك القدر اليسير وسار حتى وصل الى خراسان فاستفاد بها مالا عظيما فمن ذلك أنه أخذ على حرف ثمانين ألف درهم وهذه القصة نقلها الحريرى صاحب المقامات فى كتابه المسمى بدرة الغواص فى أوهام الخواص قال حكى عن محمد بن ناصح الاهوازى قال حدثنى النضر بن شميل المازنى قال كنت أدخل المأمون فى سمره فدخلت ذات ليلة وعلى قميص مرقوع فقال يانضر ماهذا التقشف حتى تدخل على أمير المؤمنين فى هذه الخلقان قلت ياأمير المؤمنين أنا رجل كبير وضعيف وحر مرو شديد فأتبرد بهذه الخلقان قال ولكنك قشف ثم أجرينا الحديث فأجرى ذكر النساء فقال حدثنى هشام عن مجاهد عن الشعبى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تزوج الرجل المرأة لجمالها ودينها كانت سدادا من عوز بفتح السين من سداد فقلت صدق ياأمير المؤمنين هشام حدثنا عوف عن ابن أبى جميلة عن الحسن عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كانت سدادا من عوز بكسر السين قال وكان أمير

الاخلاق من الحياء والكرم والصفح وحسن العهد بما لم يؤته غيره ثم ما أثنى الله تعالى عليه بشيء من فضائله بمثل ما أثنى عليه بحسن الخلق فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم قالت عائشة رضى الله عنها كان خلقه القرآن يغضب لغضبه و يرضى لرضاه وكان الحسن رضى الله عنه اذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أكرم ولد آدم على الله عز وجل أعظم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام منزلة عند الله أتى بمفاتيح الدنيا فاختار ما عند الله تعالى وكان يأكل على الارض و يجلس على الارض و يقول انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد ولا يأكل متكئا ولا على خوان وكان يأكل خبز الشعير غير منخول وكان يأكل القثاء بالرطب و يقول برد هذا يطفيء حر هذا وكان أحب الطعام اليه اللحم و يقول هذا يزيد فى السمع ولو سألت ربى أن يطعمنيه كل يوم لفعل وكان يحب الدباء و يقول يا عائشة اذا طبختم قدرا فأكثروا فيه من الدباء فانها تشد قلب الحزين وكان يقول اذا طبختم الدباء فأكثروا من مرقها وكان يكتحل بالاثمد ولا يفارقه فى سفره قارورة الدهن والكحل والمرآة والمشط والابرة يخيط ثوبه بيده وكان يضحك من غير قهقهة و يرى اللعب المباح و لا ينكره وكان يسابق أهله قالت عائشة رضى الله عنها سابقته فسبقته فلما كثر لحمى سابقته فسبقنى فضرب بكتفى وقال هذه بتلك وكان له عبيد واماء لا يرتفع على أحد منهم فى مأكل ولا مشرب ولا ملبس وهو أمى لا يقرأ ولا يكتب نشأ فى بلاد الجهل والصحارى يتيما لا أب له ولا أم فعلمه الله تعالى جميع محاسن الاخلاق وكان أفصح الناس منطقا وأحلاهم كلاما وكان يقول أنا أفصح العرب وقال أنس رضى الله عنه والذى بعثه بالحق نبيا ما قال لى فى شيء قط كرهه لم فعلته ولا فى شيء لم أفعله لم لا فعلته ولا لامنى أحد من أهله الا قال دعوه انما كان هذا بقضاء وقدر وقال بعض مشايخنا رحمهم الله تعالى لا مانع من أن النبى صلى الله عليه وسلم اذا هضم نفسه وتواضع لا يمنع من المرتبة التى هى أعلى مرتبة من العبودية فالنبى صلى الله عليه وسلم أعطاه الله تعالى مرتبة الملك مع كونه عبد الله متواضعا فحاز المرتبتين مرتبة العبودية ومرتبة الملكية ومع ذلك كان يلبس المرقع والصوف و يرقع ثوبه و يخصف نعله و يركب الحمار بلا اكاف و يردف خلفه و يأكل الخشن من الطعام وما شبع قط من خبز بر ثلاثة أيام متوالية حتى لقى الله تعالى من دعاه لباه ومن صافحه لم يرفع يده حتى يكون هو الذى يرفعها يعود المريض و يتبع الجنائز و يجالس الفقراء أعظم الناس من الله مخافة وأتعبهم لله عز وجل بدنا وأجدهم فى أمر الله لا تأخذه فى الله لومة لائم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر أما والله ما كان تغلق من دونه الابواب ولا كان دونه حجاب صلى الله عليه وسلم وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة قط ولا خادما له ولا ضرب بيده شيئا الا أن يجاهد فى سبيل الله ولا خير بين أمرين الا اختار أيسرهما الا أن يكون اثما أو قطيعة رحم فيكون أبعد الناس منه وقال ابراهيم بن عباس لو وزنت كلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحاسن الناس لرجحت وهى قوله عليه الصلاة والسلام انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم وفى رواية أخرى فسعوهم ببسط الوجه والخلق الحسن وعنه صلى الله عليه وسلم حسن الخلق زمام من رحمة الله تعالى فى أنف صاحبه والزمام بيد الملك والملك يجره الى الخير والخير يجره الى الجنة وسوء الخلق زمام من عذاب الله تعالى فى أنف صاحبه والزمام بيد الشيطان والشيطان يجره الى الشر والشر يجره الى النار وقال بعض السلف الحسن الخلق ذو قرابة عند الاجانب والسيء الخلق أجنبى عند أهله وقال الفضيل لأن يصحبنى فاجر حسن الخلق

المؤمنين متكئا فاستوى جالسا وقال يا نضر كيف قلت سدادا قلت نعم يا أمير المؤمنين لان سدادا بالفتح هنا لحن قال أوتلحننى قلت انما لحن هشام وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه قال فما الفرق بينهما قلت السداد بالفتح القصد فى الدين والسبيل والسداد بالكسر البلغة وكل ما سددت به شيئا فهو سداد قال أوتعرف العرب ذلك قلت نعم هذا العرجى يقول

أضاعونى وأى فتى أضاعوا ... ليوم كريهة وسداد ثغر

فقال المأمون قبح الله من لا أدب له وأطرق مليا ثم قال ما مالك يا نضر قلت أريضة لى بمرو قال أفلا نفيدك معها مالا قلت انى الى ذلك لمحتاج قال فأخذ القرطاس وأنا لا أدرى ما يكتب ثم قال كيف تقول اذا أمرت أن يترب قلت أتربه قال فهو ماذا قلت مترب قال فمن الطين قلت أطنه قال فهو ماذا قلت مطين قال هذه أحسن من الأولى ثم قال يا غلام أتربه ثم صلى بنا العشاء ثم قال لغلامه تبلغ النضر الى الفضل بن سهل قال فلما قرأ الفضل الكتاب قال يا نضر ان أمير المؤمنين قد أمر لك بخمسين ألف درهم فما كان السبب فأخبرته ولم أكذبه شيئا فقال ألحنت أمير المؤمنين قلت كلا انما لحن هشام وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه وقد تتبع ألفاظ الفقهاء ورواة الآثار ثم أمر لى الفضل بثلاثين ألف درهم فأخذت ثمانين ألف درهم بحرف واحد انتهى * وحكى أن النضر ابن شميل مرض فدخل عليه قوم يعودونه فقال له رجل منهم يكنى أبا صالح مسح الله ما بك فقال لا تقل مسح

بالسين ولكن قل مصح الله بالصاد أي أذهبه وفرقه أما سمعت قول الاعشى

وإذا ماالخمرفيها أزبدت

أفل الازباد فيها ومصح

فقال له الرجل ان السين قد تبدل

أحب الى من أن يصحبني عابد سيء الخلق لأن الفاجر اذا حسن خلقه خف على الناس وأحبوه والعابد اذا ساء خلقه مقتوه

اذا رام التخلق جاذبته * خلائقه الى الطبع القديم

قيل أبى الله لسيء الخلق التوبة لأنه لايخرج من ذنب الا دخل في ذنب آخر لسوء خلقه وعن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ إذا بلغه عن الرجل شيء لم يقل مابال فلان ولكن يقول مابال أقوام يقولون حتى لايفضح أحدا وعنه ﷺ ماشيء في الميزان أثقل من حسن الخلق وعنه أيضا ﷺ قال ثلاث من كن فيه كن له من صدق لسانه زكا عمله ومن حسنت نيته زيد في رزقه ومن حسن بره لأهل بيته زيد له في عمره ثم قال وحسن الخلق وكف الأذى يزيدان في الرزق وقيل سوء الخلق يعدي لانه يدعوالى أن يقابل بمثله * وكتب الحسن بن علي إلى أخيه الحسين رضي الله عنهم في اعطائه الشعراء فكتب اليه الحسين أنت أعلم مني بأن خير المال ماوقى به العرض فانظر الى شرف أدبه وحسن خلقه كيف ابتدأ كتابه بأنت أعلم مني وكان بينه وبين أخيه كلام فقيل له ادخل على أخيك فهو أكبر منك فقال اني سمعت جدي رسول الله ﷺ يقول أيما اثنين جرى بينهما كلام فطلب أحدهما رضا الآخر كان سابقه الى الجنة وأنا أكره أن أسبق أخي الاكبر الى الجنة فبلغ ذلك الحسن فجاءه عاجلا رضي الله عنهما وأنشد في المعنى

وانى لألقى المرء أعلم أنه * عدو وفي أحشائه الضغن كامن

فأمنحه بشرا فيرجع قلبه * سليما وقد ماتت لديه الضغائن

(وسرق) بعض حاشية جعفر بن سليمان جوهرة نفيسة وباعها بمال جزيل فأنفذ الى الجوهريين بصفتها فقالوا باعها فلان من مدة ثم ان ذلك الرجل الذي سرقها قبض عليه وأحضر بين يدي جعفر فلما رأى ماظهر عليه قال له أراك قد تغير لونك ألست يوم كذا طلبت مني هذه الجوهرة فوهبتها لك وأقسم بالله لقد أنسيت هذا ثم أمر للجوهري بثمنها وقال للرجل خذها الآن حلالا طيبا وبعها بالثمن الذي يطيب خاطرك به لا تبع بيع خائف * ودخل محمد بن عباد على المأمون فجعل يعممه بيده وجارية على رأسه تتبسم فقال لها المأمون مم تضحكين فقال ابن عباد أنا أخبرك ياأمير المؤمنين تتعجب من قبحي واكرامك اياي فقال لا تعجبي فان تحت هذه العمامة كرما ومجدا قال الشاعر

وهل ينفع الفتيان حسن وجوههم * اذا كانت الاعراض غير حسان

فلا تجعل الحسن الدليل على الفتى * فما كل مصقول الحديد يماني

(وحكي) أن بهرام الملك خرج يوما للصيد فانفرد عن أصحابه فرأى صيدا فتبعه طامعا في لحاقه حتى بعد عن عسكره فنظر الى راع تحت شجرة فنزل عن فرسه ليبول وقال للراعي احفظ على فرسي حتى أبول فعمد الراعي الى العنان وكان ملبسا ذهبا كثيرا فاستغفل بهرام وأخرج سكينا فقطع أطراف اللجام وأخذ الذهب الذي عليه فرفع بهرام نظره اليه فرآه فغض بصره وأطرق برأسه الى الارض وأطال الجلوس حتى أخذ الرجل حاجته ثم قام بهرام فوضع يده على عينيه وقال للراعي قدم الى فرسي فانه قد دخل في عيني من سافي الريح فلا أقدر على فتحهما فقدمه اليه فركب وسار الى أن وصل الى عسكره فقال لصاحب مراكبه ان أطراف اللجام قد وهبتها فلا تتهمن بها أحدا (وذكر) أن أنوشروان وضع الموائد للناس في يوم نوروز وجلس ودخل وجوه أهل مملكته

بالصاد كما يقال الصراط والسراط وصقر وسقر فقال له النضر فأنت اذا أبو ساخ (قلت) ويشبه هذه النادرة ماحكي أن بعض الادباء جوز بحضرة الوزير أبي الحسن بن الفرات أن تقام السين مقام الصاد في كل موضع فقال الوزير أتقول جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم أم سلح فخجل الرجل وانقطع والذي ذكره أرباب اللغة في جواز ابدال الصاد من السين انه في كل كلمة كان فيها سين وجاء بعدها أحد الحروف الاربعة وهي الطاء والخاء والغين والقاف فتقول الصراط والسراط وفي سخر لكم صخر لكم وفي مسغبة مصغبة وفي سيقل صيقل وقس على هذا (ونقل قاضي القضاة شمس الدين ابن خلكان في تاريخه) أن أبا جعفر أحمد بن عيسى البلاذري المؤرخ قال كنت من جلساء المستعين فقصده الشعراء فقال لست أقبل الامن يقول مثل قول البحتري في المتوكل

فلو أن مشتاقا تكلف فوق ما * في وسعه لسعى اليك المنبر

في

قال البلاذري فرجعت الى داري وأتيته وقلت قد قلت فيك أحسن مما قاله البحتري قال هاته فأنشدته

في الايوان فلما فرغوا من الطعام جاؤا بالشراب وأحضرت الفواكه والمشموم في آنية الذهب والفضة فلما رفعت آنية المجلس أخذ بعض من حضر جام ذهب وزنه ألف مثقال وخبأه تحت ثيابه وأنو شروان يراه فلما فقده الشرابي صاح بصوت عال لا يخرجن أحد حتى يفتش فقال كسرى ولم فأخبره بالقضية فقال قد أخذه من لا يرده ورآه من لا ينم عليه فلا تفتش أحدا فأخذ الرجل الجام ومضى فكسره وصاغ منه منطقة وحلية لسيفه وجدد له كسوة جميلة فلما كان في مثل ذلك اليوم جلس الملك ودخل ذلك الرجل بتلك الحلية فدعاه كسرى وقال له هذا من ذاك فقبل الأرض وقال نعم أصلحك الله * وقال عبد الله بن طاهر كنت عند المأمون يوما فنادى بالخادم يا غلام فلم يجبه أحد ثم نادى ثانيا وصاح يا غلام فدخل غلام تركي وهو يقول ما ينبغي للغلام أن يأكل ولا يشرب كلما خرجنا من عندك تصيح يا غلام يا غلام إلى كم يا غلام فنكس المأمون رأسه طويلا فما شككت أنه يأمرني بضرب عنقه ثم نظر الي فقال يا عبد الله ان الرجل إذا حسنت أخلاقه ساءت أخلاق خدمه واذا ساءت أخلاقه حسنت أخلاق خدمه وانا لا نستطيع أن نسيء أخلاقنا لتحسن أخلاق خدمنا * وقال ابن عباس رضي الله عنهما ورد علينا الوليد بن عتبة بن أبي سفيان المدينة واليا وكأن وجهه ورقة من ورق المصحف فوالله ما ترك فينا فقيرا الا أغناه ولا مديونا الا أدى عنه دينه وكان ينظر إلينا بعين أرق من الماء ويكلمنا بكلام أحلى من الجنى ولقد شهدت منه مشهدا لو كان من معاوية لذكرته تغدينا يوما عنده فأقبل الفراش بصحفة فعثر في وسادة فوقعت الصحفة من يده فوالله ما ردها الا ذقن الوليد وانكب جميع ما فيها في حجره فبقي الغلام متمثلا واقفا ما معه من روحه الا ما يقيم رجليه فقام الوليد فدخل فغير ثيابه وأقبل علينا تبرق أسارير جبهته فأقبل على الفراش وقال يا بائس ما أرانا الا روعناك اذهب فأنت وأولادك أحرار لوجه الله تعالى * ومرض أحمد بن أبي داود فعاده المعتصم وقال نذرت ان عافاك الله تعالى أن أتصدق بعشرة آلاف دينار فقال له أحمد يا أمير المؤمنين فاجعلها في أهل الحرمين فقد لقوا من غلاء الأسعار شدة فقال نويت أن أتصدق بها على من ههنا وأطلق لأهل الحرمين مثلها فقال أحمد متع الله الاسلام وأهله بك يا أمير المؤمنين فانك كما قال النميري لأبيك الرشيد رحمة الله تعالى عليه

ان المكارم والمعروف أودية * أحلك الله منها حيث تجتمع

من لم يكن بأمين الله معتصما * فليس بالصلوات الخمس ينتفع

(وقيل) للأحنف بن قيس ممن تعلمت حسن الخلق فقال من قيس بن عاصم بينما هو ذات يوم جالس في داره اذ جاءته خادم له بسفود عليه شواء حار فنزعت السفود من اللحم وألقته خلف ظهرها فوقع على ابن له فقتله لوقته فدهشت الجارية فقال لا روع عليك أنت حرة لوجه الله تعالى * وكان ابن عمر رضي الله عنه اذا رأى أحدا من عبيده يحسن صلاته يعتقه فعرفوا ذلك من خلقه فكانوا يحسنون الصلاة مراآة له فكان يعتقهم فقيل له في ذلك فقال من خدعنا في الله انخدعنا له وروى أن أبا عثمان الزاهد اجتاز ببعض الشوارع في وقت الهاجرة فألقي عليه من فوق سطح طست رماد فتغير أصحابه وبسطوا ألسنتهم في الملقي للرماد فقال أبو عثمان لا تقولوا شيئا فان من استحق أن يصب عليه النار فصولح بالرماد لم يجز له أن يغضب وقيل لابراهيم بن أدهم تغمده الله تعالى برحمته هل فرحت في الدنيا قط فقال نعم مرتين احداهما أني كنت قاعدا ذات يوم فجاء انسان فبال علي والثانية كنت جالسا

ولو أن برد المصطفى إذ لبسته * يظن لظن البرد أنك صاحبه

وقال وقد أعطيته ولبسته * نعم هذه أعطافه ومناكبه

فقال ارجع الى منزلك وافعل ما آمرك به فرجعت فبعث إلى بسبعة (١١٧) آلاف دينار وقال ادخر هذه للحوادث من بعدي ولك الجراية والكفاية مادمت حيا (ويعجبني من المدائح الرافلة في حلل الحشمة) قول عبد الله الأسطرلابي

أهدي لمجلسه الكريم وإنما * أهدي له ماحزت من نعمائه

كالبحر يمطره السحاب وماله * فضل عليه لأنه من مائه

(ومثله) قول القاضي الفاضل وقد كتبت به إلى وزير بغداد

يا أيها المولى الوزير ومن له * منن حللن من الزمان وثاقي

من شاكر عني نداك فانني * من عظم ما أوليت ضاق نطاقي

منن تخف على يديك وإنما * ثقلت مؤونتها على الاعناق

(قلت) كان نظم القاضي الفاضل رحمه الله ونثره كفرسي رهان ولكن نثره أكثر مما نظم وأجمع الناس أنه أتى مع الاكثار بالعجائب (وذكر قاضي القضاة شمس الدولة بن خلكان في تاريخه) أن مسودات رسائله اذا جمعت ما تقصر عن مائة مجلد وهو مجيد في أكثرها ولعمري أن الانشاء الذي صدر في الأيام الأموية والأيام العباسية نسي وألغي بانشاء الفاضل وما اخترعه من النكت الأدبية والمعاني المخترعة

فجاء انسان فصفعني وروى أن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه دعا غلاما له فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فرآه مضطجعا فقال أما تسمع يا غلام قال نعم قال فما حملك على ترك جوابي قال أمنت عقوبتك فتكاسلت فقال اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى ﴿وحكى﴾ أن أبا عثمان الحيري دعاه انسان الى ضيافة فلما وافى باب الدار قال له الرجل يا أستاذ ليس لي وجه في دخولك فانصرف رحمك الله فانصرف أبو عثمان فلما وافى منزله عاد الرجل اليه وقال يا أستاذ ندمت وأخذ يعتذر له وقال احضر الساعة فقام معه فلما وافى داره قال له مثل ما قال في الأولى ثم فعل به ذلك أربع مرات وأبو عثمان ينصرف ويحضر ثم قال له يا أستاذ انما أردت بذلك اختبارك والوقوف على أخلاقك ثم جعل يعتذر له ويمدحه فقال أبو عثمان لا تمدحني على خلق تجده في الكلاب فان الكلب اذا دعي حضر واذا زجر انزجر * وقال الحرث بن قصي يعجبني من القراء كل فصيح مضحاك فأما الذي تلقاه ببشر ويلقاك بوجه عبوس فلا كثر الله في المسلمين مثله ﴿ومن محاسن الأخلاق﴾ ما حكي عن القاضي يحيى بن أكثم قال كنت نائما ذات ليلة عند المأمون فعطش فامتنع أن يصيح بغلام يسقيه وأنا نائم فينغص على نومي فرأيته وقد قام يمشي على أطراف أصابعه حتى أتى موضع الماء وبينه وبين المكان الذي فيه الكيزان نحو من ثلثمائة خطوة فأخذ منها كوزا فشرب ثم رجع يمشي على أطراف أصابعه حتى قرب من الفراش الذي أنا عليه فخطا خطوات خائف لئلا ينبهني حتى صار الى فراشه ثم رأيته آخر الليل قام يبول وكان يقوم في أول الليل وآخره فقعد طويلا يحاول أن أتحرك فيصيح بالغلام فلما تحركت وثب قائما وصاح يا غلام وتأهب للصلاة ثم جاءني فقال لي كيف أصبحت يا أبا محمد وكيف كان مبيتك قلت خير مبيت جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين قال لقد استيقظت للصلاة فكرهت أن أصيح بالغلام فأزعجك فقلت يا أمير المؤمنين قد خصك الله تعالى بأخلاق الانبياء وأحب لك سيرتهم فهناك الله تعالى بهذه النعمة وأتمها عليك فأمر لي بألف دينار فأخذتها وانصرفت قال وبت عنده ذات ليلة فانتبه وقد عرض له السعال فجعلت أرمقه وهو يحشو فمه بكم قميصه يدفع به السعال حتى غلبه فسعل وأكب على الارض لئلا يعلو صوته فانتبه قال يحيى وكنت معه يوما في بستان ندور فيه فجعلنا نمر بالريحان فيأخذ منه الطاقة والطاقتين ويقول لقيم البستان أصلح هذا الحوض ولا تغرس في هذا الحوض شيئا من البقول قال يحيى ومشينا في البستان من أوله الى آخره وكنت أنا مما يلي الشمس والمأمون مما يلي الظل فكان يجذبني أن أتحول أنا في الظل ويكون هو في الشمس فأمتنع من ذلك حتى بلغنا آخر البستان فلما رجعنا قال يحيى والله لتكونن في مكاني ولأكونن في مكانك حتى آخذ نصيبي من الشمس كما أخذت نصيبك وتأخذ نصيبك من الظل كما أخذت نصيبي فقلت والله يا أمير المؤمنين لو قدرت أن أقيك يوم الهول بنفسي لفعلت فلم يزل بي حتى تحولت الى الظل وتحول هو الى الشمس ووضع يده على عاتقي وقال بحياتي عليك الا ما وضعت يدك على عاتقي مثل ما فعلت أنا فانه لا خير في صحبة من لا ينصف فانظر الى أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم ما أحسنها والى أفعالهم ما أزينها نسأل الله تعالى أن يحسن أخلاقنا وأن يبارك لنا في أرزاقنا انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الرابع والعشرون في حسن المعاشرة والمودة والاخوة والزيارة وما أشبه ذلك﴾

﴿اعلم﴾ ان المودة والاخوة والزيارة سبب التآلف والتآلف سبب القوة والقوة سبب التقوى والتقوى

والأنواع البديعة والذي يؤيده قول العماد الكاتب في الجريدة انه في صناعة الانشاء كالشريعة المحمدية نسخت الشرائع (ومن غرر نثره) هذه الرسالة التي أنشأها في حمائم (١١٨) الرسائل وسحب فيها ذيل البلاغة والفصاحة على سحبان وائل (وهي) سرحة لا تحمل من البطائق أجنحة وتجهز جيوش المقاصد والاقلام أسلحة وتحمل من الأخبار ما تحمله الضمائر وتطوى الأرض اذا نشرت الجناح الطائر وتزوى لها الأرض حتى ترى ما سيبلغه ملك هذه الأمة وتقرب منها السماء حتى ترى ما لا يبلغه وهم ولا همة وتكون مراكب الأغراض والأجنحة قلوعا وتركب الجو بحرا يصفق فيه هبوب الرياح مرجا وموجا وتعلق الحاجات على أعجازها ولا تعوق الارادات عن انجازها ومن بلاغات البطائق استفادت ما هي مشهورة به من السجع ومن رياض كتبها ألفت الرياض فهي دائمة الرجع وقد سكنت النجوم فهي أنجم وأعدت في كنانتها فهي للحاجات أسهم وكادت تكون ملائكة لأنها رسل واذا أنيطت بالرقاع صارت أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع وقد باعد الله بين أسفارها وقرّبها وجعلها طيف خيال اليقظة الذي صدق العين وما كذبها وقد أخذت عهود أداء الامانة في رقابها أطواقا وأدنت من أدنابها أوراقا وصارت خوافي حصن من وراء الخوافي وأعطت سرها المودع بكتمان سحبت عليه ذيول ريشها الصوافي ترغم أنف النوى بتقريب العهود وتكاد العيون

حصن منيع وركن شديد بها يمنع الضيم وتنال الرغائب وتنجح المقاصد وقد من الله تعالى على قوم وذكرهم نعمته عليهم بان جمع قلوبهم على الصفاء وردها بعد الفرقة إلى الالفة والاخاء فقال تعالى واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ووصف نعيم الجنة وما أعد فيها لأوليائه من الكرامة اذ جعلهم اخوانا على سرر متقابلين وقد سن رسول الله ﷺ الاخاء وندب اليه وآخى بين الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين وقد ذكر الله تعالى أهل جهنم وما يلقون فيها من الألم اذ يقولون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه الرجل بلا أخ كشمال بلا يمين وأنشدوا في ذلك

وما المرء الا باخوانه * كما يقبض الكف بالمعصم
ولا خير في الكف مقطوعة * ولا خير في الساعد الأجذم

وقال زياد خير ما اكتسب المرء الاخوان فانهم معونة على حوادث الزمان ونوائب الحدثان وعون في السراء والضراء * ومن كلام علي رضي الله عنه وكرم وجهه

عليك باخوان الصفاء فانهم * عماد إذا استنجدتهم وظهور
وان قليلا ألف خل وصاحب * وان عدوا واحدا لكثير

وقال الاوزاعي الصاحب للصاحب كالرقعة في الثوب ان لم تكن مثله شانته وقال عبد الله بن طاهر المال غاد ورائح والسلطان ظل زائل والاخوان كنوز وافرة وقال المأمون للحسن بن سهل نظرت في اللذات فوجدتها كلها مملولة سوى سبعة قال وما السبعة يا أمير المؤمنين قال خبز الحنطة ولحم الغنم والماء البارد والثوب الناعم والرائحة الطيبة والفراش الوطيء والنظر الى الحسن من كل شيء قال فأين أنت يا أمير المؤمنين من محادثة الرجال قال صدقت وهي أولاهن وقال سليمان بن عبد الملك أكلت الطيب ولبست اللين وركبت الفاره وافتضضت العذراء فلم يبق من لذاتي الا صديق أطرح معه مؤنة التحفظ وكذلك قال معاوية رضي الله عنه نكحت النساء حتى ما أفرق بين امرأة وحائط وأكلت الطعام حتى لا أجد ما أستمرئه وشربت الاشربة حتى رجعت الى الماء وركبت المطايا حتى اخترت نعلي ولبست الثياب حتى اخترت البياض فما بقي من اللذات ما تتوق إليه نفسي الا محادثة أخ كريم وأنشدوا في معنى ذلك

وما بقيت من اللذات الا * محادثة الرجال ذوي العقول
وقد كنا نعدهم قليلا * فقد صاروا أقل من القليل

(وقال لبيد) ما عاتب المرء اللبيب كنفسه * والمرء يصلحه الجليس الصالح
(وقال آخر) اذا ما أتت من صاحب لك زلة * فكن أنت محتالا لزلته عذرا

وقيل لابن السماك أي الاخوان أحق ببقاء المودة قال الوافر دينه الوافي عقله الذي لا يملك على القرب ولا ينساك على البعد ان دنوت منه داناك وان بعدت عنه راعاك وان استعنت به عضدك وان احتجت اليه رفدك وتكون مودة فعله أكثر من مودة قوله وأنشدوا في المعنى

ان أخاك الصدق من يسعى معك * ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك * شتت فيك شمله ليجمعك

(وقال غيره) وليس أخي من ودني بلسانه * ولكن أخي من ودني وهو غائب

بملاحظتها تلاحظ نجم السعود وهي أنبياء الطيور لكثرة ما تأتي به من الانباء وخطباؤها لانها تقوم على منابر الاغصان مقام الخطباء * ومن غريب المنقول أني حضرت في بعض الليالي على جانب النيل المبارك في خدمة مولانا المقر الأشرف المرحومي القاضوي الناصري محمد بن البارزي الجهني الشافعي صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية المحروسة كان تغمده الله تعالى بالرحمة والرضوان وبيده الكريمة جزء من تذكرة الشيخ صلاح الدين الصفدي بخطه وهذه الرسالة أول الجزء فشرع في قراءتها وكررها مرارا وهو يترنم في بديعها وغريبها ورسم في اثناء ذلك بمعارضتها فلم أجد بدا من الشروع لالتزام الواجب وأوترت قوس العزم مطمئنا بهذا الرأي الصائب وقد أوصلت هنا شمل القطعتين ليتأمل المتأمل في جنى الجنتين ويتنزه نظره في حدائق الروضتين ويطرب لسجع حمائم الدوحتين (قلت) شرح فما سرح العيون الا دون رسالته المقبولة وطاب السبق فلم يرض معرق البرق سرجا ولا استطلى صفحته المصقولة وهمز جواد التسليم فقصر وأمست أذياله بعرق السحب مبلولة وأرسل فأقر الناس برسالته وكتابه الصدق وانقطع كوكب الصبح خلفه فقال عند التقصير كنت محابا وعلى يدي مخلق يؤدي ما جاء على يده من الرسل فيهيج الأشواق وما برحت لحمائم تحسن الاداء في الاوراق وصحبناه على الهدى فقال ما ضل صاحبكم وما غوى ومن روى عنه حديث الفضل المسند

ومن عكرمة قدروى يطير مع الهواء لفرط صلاحه ولم يبق على السر المصون جناح اذا دخل تحت جناحه أن برز من مقفصه .
يبق للبرد قيمة بل تنعزل بتدبيج أوراقه وتعلق عليه من العين التميمة ماسجن إلا صبر على السجن وضيق

ومن ماله مالى اذا كنت معدما * ومالى له ان أعوزته النوائب

(وقال أبو تمام) من لى بانسان إذا أغضبته * وجهلت كان الحلم رد جوابه
وإذا صبوت الى المدام شربت من * أخلاقه وسكرت من آدابه
وتراه يصغى للحديث بطرفه * وبقلبه ولعله أدرى به

وقيل لخالد بن صفوان أى اخوانك أحب اليك قال الذى يسد خللى ويغفر زللى ويقيل عثرتى وقيل من لا يؤاخى الامن لاعيب فيه قل صديقه ومن لم يرض من صديقه الا بايثاره على نفسه دام سخطه ومن عاتب على كل ذنب ضاع عتبه وكثر تعبه قال الشاعر

ومن لم يغمض عينه عن صديقه * وعن بعض مافيه يمت وهو عاتب

(وقال آخر) اذا كنت فى كل الامور معاتبا * صديقك لم تلق الذى لاتعاتبه
وان أنت لم تشرب مرارا على الاذى * ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه

وقالوا اذا رأيت من أخيك أمرا تكرهه أو خلة لاتحبها فلا تقطع حبله ولا تصرم وده ولكن داو كلمته واستر عورته وأبقه وابرأ من عمله قال الله تعالى فان عصوك فقل انى برىء مما تعملون فلم يأمره بقطعهم وانما أمره بالبراءة من عملهم السىء وقال ﷺ الارواح أجناد مجندة فما تعارف منها ائتلف وماتناكر منها اختلف وقال عليه الصلاة والسلام ان روحى المؤمنين ليلتقيان من مسيرة يوم ومارأى أحدهما صاحبه وفى ذلك قال بعضهم

هويتكم بالسمع قبل لقائكم * وسمع الفتى يهوى لعمرى كطرفه
وخبرت عنكم كل جود ورفعة * فلما التقينا كنتم فوق وصفه

(وقال آخر) تبسم الثغر عن أوصافكم فغدر * من طيب ذكركم نشراً فأحيانا
فمن هناك عشقناكم ولم نركم * والاذن تعشق قبل العين أحيانا

ماتحاب اثنان فى الله الا كان أفضلهما عند الله أشدهما حبا لصاحبه مازار أخ أخاه فى الله شوقا اليه ورغبة فى لقائه الا نادته ملائكة من ورائه طبت وطابت لك الجنة وقالوا ليس سرور يعدل لقاء الاخوان ولا غم يعدل فراقهم وقالوا شر الاخوان الواصل فى الرخاء الخاذل عند الشدة وقالوا ان من الوفاء أن تكون لصديق صديقك صديقا ولعدو صديقك عدوا وقالوا أعجب الأشياء ودمن يهودى وحفظ من نصرانى ورياضة من دهرى وكرم من أعجمى والحذر من الكريم اذا أهنته واللئيم اذا أكرمته والعاقل اذا أحرجته والاحمق اذا مازحته والفاجر اذا عاشرته وقالوا أصحب من الاخوان من أولاك جمائل كثيرة فكافأته بجميلة واحدة فنسى جمائله وبقى شاكراً ناشراً ذاكراً لجميلتك يوليك عليها الاحسان الكثير الجزيل ويجعل أنه مابلغ من مكافأتك القليل وقال ابن عائشة لقاء الخليل شفاء الغليل وقال بعض الحكماء اذا وقع بصرك على شخص فكرهته فاحذره جهدك قال عبد الله بن طاهر

خليلى للبغضاء حال مبينة * وللحب آثار ترى ومعارف
فما تنكر العينان فالقلب منكر * وماتعرف العينان فالقلب عارف

(وقال آخر) وكنت اذا الصديق أراد غيظى * وشرقنى على ظمأ بريقى
غفرت ذنوبه وكظمت غيظى * مخافة أن أعيش بلا صديق

الاطواق ولهذا حمدت عواقبه على الاطلاق ولا غنى على عود الا أسال دموع الندى من حدائق الرياض ولا أطلق من كبد الجو الا كان سهما مريشا تبلغ به الاغراض كم علا فصار بريش القوادم كالاهداب لعين الشمس وأمسى عند الهبوط لعين الهلال كالشمس فهو الطائر الميمون والغاية السباقة والامير الذى اذا أودع أسرار الملوك حملها بطاقة فهو من الطيور التى خلالها الجو فنقرت ما شاءت من حبات النجوم والعجماء التى من أخذ عنها شرح المعلقات فقد أعرب عن دقائق الفهوم والمقدمة والنتيجة الكتاب الحجلى فى منطق الطير وهى من جملة الكتاب الذى اذا وصل القارىء منه الى الفتح تهلل بفاتحة الخير وان تصدر البارزى بغير علم فكم جمعت بين طرفى كتاب وان سألت العقبان عن بديع السجع أحجمت عن رد الجواب

رعت النسور بقوة جيف الفلا
ورعى الذباب الشهد وهو ضعيف . وقال

ماقدمت الا وأورثتنا من شمائلها اللطيفة نعم القادمة وأظهرت لنا من خوافيها ماكانت له خير كاتمة كم

(وقال آخر) وليس فتى الفتيان من جل همه * صبوح وان أمسى ففضل غبوق
ولكن فتى الفتيان من راح أو غدا * لضر عدو أو لنفع صديق

(وأما آداب المعاشرة) فالبشاشة والبشر وحسن الخلق والادب فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال من أخلاق النبيين والصديقين البشاشة اذا تراءوا والمصافحة اذا تلاقوا وكان القعقاع بن شور الهذلي اذا جالسه رجل يجعل له نصيبا من ماله و يعينه على حوائجه ودخل يوما على معاوية فامر له بألف دينار وكان هناك رجل قد فسح له في المجلس فدفعها للذي فسح له فقال

وكنت جليس قعقاع بن شور * وما يشقى بقعقاع جليس
ضحوك السن إن نطقوا بخير * وعند الشر مطراق عبوس

وقال ابن عباس رضي الله عنهما الجليس على ثلاث أن أرمقه بطرفي اذا أقبل وأوسع له اذا جلس وأصغي له إذا حدث و يقال لكل شيء محل ومحل العقل مجالسة الناس ومثل الجليس الحسن كالعطار إن لم يصبك من عطره أصابك من رائحته ومثل الجليس السوء مثل الكير إن لم يحرق ثوبك بناره آذاك بدخانه وكانت تحية العرب صبحتك الانعمة وطيب الاطعمة وتقول أيضا صبحتك الافالح وكل طير صالح ووصف المأمون تمامة بحسن المعاشرة فقال انه يتصرف مع القلوب تصرف السحاب مع الجنوب وقيل أول ما يتعين على الجليس الانصاف في المجالسة بأن يلحظ بعين الادب مكانه من مكان جليسه فيكون كل منهما في محله وقال ﷺ ذوا العلم والسلطان أحق بشرف المنزل وقال جعفر الصادق رضي الله عنه اذا دخلت منزل أخيك فاقبل كرامته كلها ماعدا الجلوس في الصدر و ينبغي للانسان أن لا يقبل بحديثه على من لا يقبل عليه فقد قيل ان نشاط المتكلم بقدر إقبال السامع و يتعين عليه أن يحدث المستمع على قدر عقله ولا يبتدع كلاما لا يليق بالمجالس فقد قيل لكل مقام مقال وخير القول ما وافق الحال وأوجبوا على المستمع أنه اذا ورد عليه من المتكلم ما كان مر سمعه أو لا أن لا يقطع عليه ما يقوله بل يسكت الى أن يستوعب منه القول وعدوا ذلك من باب الادب ولعله اذا صبر وسكت استفاد من ذلك زيادة فائدة لم تكن في حفظه وقيل ثمانية ان أهينوا فلا يلوموا إلا أنفسهم الجالس في مجلس ليس له بأهل والمقبل بحديثه على من لا يسمعه والداخل بين اثنين في حديثهما ولم يدخلاه فيه والمتعرض لما لا يعنيه والمتأمر على رب البيت في بيته والآتي الى مائدة بلا دعوة وطالب الخير من أعدائه والمستخف بقدر السلطان و يتعين على الجليس أن يراعي ألفاظه و يكون على حذر أن يعثر لسانه خصوصا إذا كان جليسه ذا هيبة فقد قيل رب كلمة سلبت نعمة وقال أبو العباس السفاح ما رأيت أغزر من فكر أبي بكر الهذلي لم يعد على حديثا قط وقيل ان أبا العباس كان يحدثه يوما إذ عصفت الريح فأرمت طستا من سطح إلى المجلس فارتاع من حضر ولم يتحرك الهذلي ولم تزل عينه مطابقة لعين السفاح فقال ما أعجب شأنك ياهذلي فقال ان الله يقول ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وانما لي قلب واحد فلما غمره النور بمحادثة أمير المؤمنين لم يكن فيه لحادث مجال فلو انقلبت الخضراء على الغبراء ما أحسست بها ولا وجمت لها فقال السفاح لئن بقيت لك لأرفعن مكانك ثم أمر له بمال جزيل وصلة كبيرة وكان ابن خارجة يقول ما غلبني أحد قط غلبة رجل يصغي الى حديثي * وفي توابغ الحكم أكرم حديث أخيك بانصاتك وصنه من وصمة التفاتك وقيل من حق الملك اذا تثاءب اوألقى المروحة من يده أو مد رجليه أو تمطى أو

أهدت من مخالقها وهي غادية رائحة وكم حنت اليها الجوارح وهي أدام الله اطلاقها غير جارحة وكم أدارت من كؤس السجع ما هو أرق من قهوة الانشا وأبهج على زهر المنثور من صبيح الاعشا وكم عامت بحور الفضا ولم تحفل بموج الجبال وكم جاءت ببشارة وخضبت الكف ورمت من تلك الانملة قلامة الهلال وكم زاحمت النجوم بالمناكب حتى ظفرت بكف الخضيب وانحدرت كأنها دمعة سقطت على خد الشفق لأمر مريب وكم لمع في أصيل الشمس خضاب كفها الوضاح فصارت بسموها وفرط البهجة كمشكاة فيها مصباح والله تعالى يديم بأفنان أبوابه العالية ألحان السواجع ولا برح تغريدها مطربا بين البادي والراجع انتهى (وذكر ضياء الدين أبو الفتح نصر الله المعروف بابن الأثير الجزري في كتابه المسمى بالوشي المرقوم في حل المنظوم) قال حدثني الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني بمدينة دمشق سنة (٥٨٨) ثمان وثمانين وخمسمائة وكان إذ ذاك كاتب الدولة الصلاحية أن فن الانشاء لا تخلو منه رأس مكانا أو بيانا وكل من أنشأ أقام لسلطانه بانشائه سلطانا وكان من العادة أن كلا من أرباب البيوت اذا نشأ له ولد أحضره الى ديوان المكاتبات ليتعلم فن الكتابة ويتدرب ويسمع فأرسلني والدي وكان إذ ذاك قاضيا بثغر عسقلان الى الديار المصرية في أيام الحافظ العبيدي وهو أحد خلفائها فدخلت ديوان المكاتبات وكان الذي يرأس به في تلك الأيام وهو صاحب الانشاء

بمصر موفق الدين أبا الحجاج يوسف المعروف بابن الخلال فلما مثلت بين يديه وعرفته من أنا وما طلبي رحب بي ثم قال ما الذي اعددت
لفن الانشاء وكتابته فقلت ليس (١٢٢) عندي سوى انى أحفظ القرآن الكريم وكتاب الحماسة فقال في هذا بلاغ ثم أمرني بملازمته
فلما ترددت اليه وتدربت عليه وطال تدربي بين يديه أمرني أن أحل عليه ديوان الحماسة فحللته من أوله الى آخره ثم أمرني أن أحله مرة أخرى فحللته انتهى ما ذكره ابن الاثير (قلت) وقال عماد الدين الكاتب في كتاب الخريدة في حق موفق الدين بن الخلال كان فن الترسل والانشاء آل اليه وكان في ذلك ناظر مصره وانسان ناظره وقبلة جامع مفاخره ﴿ قلت ﴾ الذي ثبت عند المؤرخين وعلماء هذا الفن ان القاضي الفاضل رحمه الله تعالى أخذ علم الانشاء وحكمه عن موفق الدين بن الخلال منشيء الخليفة الحافظ العلوي ورتبته في الانشاء معلومة ولكن جنحت الى الوقوف على شيء من نظمه لانظر في الرتبتين كما قررت ذلك في نظم القاضي الفاضل ونثره فوجدت قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان رحمه الله قد أورد له في تاريخه نظما ونثرا دلني على أن نظمه ونثره
رضيعا لبان وفرسا رهان ﴿ فمن ذلك قوله في الشمعة ولله دره حيث أجاد ﴾ وأما
وصحيحة بيضاء تطلع في الدجا * صبحا وتشفي الناظرين بدائها شابت ذوائبها أوان شبابها * وأسود مفرقها أوان فنائها

اتكأ أو فعل ما يدل على كسله أن يقوم من بحضرته وكان أردشير اذا تمطى قام سماره ومن حق الملك أن لا يعاد عليه حديث وان طال الدهر قال روح بن زنباع أقمت مع عبد الملك سبع عشرة سنة فما أعدت عليه حديثا إلا مرة واحدة فقال لي قد سمعته منك وعن الشعبي قال ما حدثت بحديث مرتين رجلا بعينه وقال عطاء بن أبي رباح ان الرجل ليحدثني بالحديث فأنصت له كأني لم أسمعه قط وقد سمعت به من قبل أن يولد وقيل المودة طلاقة الوجه والتودد الى الناس وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه ان المسلمين اذا التقيا فضحك كل واحد منهما في وجه صاحبه ثم أخذ بيده تحاتت ذنوبهما كتحات ورق الشجر وقيل البشر يدل على السخاء كما يدل النور على الثمر وقيل من السنة اذا حدثت القوم أن لا تقبل على واحد منهم ولكن اجعل لكل واحد منهم نصيبا وقالوا اذا أردت حسن المعاشرة فالق عدوك وصديقك بالطلاقة ووجه الرضا والبشاشة ولا تنظر في عطفيك ولا تكثر الالتفات ولا تقف على الجماعات واذا جلست فلا تتكبر على أحد وتحفظ من تشبيك أصابعك ومن العبث بلحيتك ومن اللعب بخاتمك وتخليل أسنانك وادخال أصبعك في أنفك وكثرة بصاقك وكثرة التمطي والتثاؤب في وجوه الناس وفي الصلاة وليكن مجلسك هادئا وحديثك منظوما مرتبا واصغ الى كلام مجالسك واسكت عن المضاحك ولا تتصنع تصنع المرأة في التزين ولا تلح في الحاجات ولا تشجع أحدا على الظلم ولا تمازح أمتك ولا عبدك فيسقط وقارك عندهما واذا خاصمت فانصف وتحفظ من جهلك وتجنب عجلتك وتفكر في حجتك ولا تكثر الاشارة بيدك ولا الالتفات الى من وراءك واهدىء غضبك وتكلم واذا قاربك سلطان فكن منه على حذر واحذر انقلابه عليك وكلمه بما يشتهي ولا يحملنك لطفه بك على أن تدخل بينه وبين أهله وحشمه وان كنت لذلك مستحقا عنده وإياك وصديق العافية فانه أعدى الاعداء ولا تجعل مالك أكرم من عرضك ولا تجالس الملوك فان فعلت فالزم ترك الغيبة ومجانبة الكذب وصيانة السر وقلة الحوائج وتهذيب الألفاظ والمذاكرة بأخلاق الملوك والحذر منهم وان ظهرت المودة ولا تتجشأ بحضرتهم ولا تخلل أسنانك بعد الاكل عندهم ولا تجالس العامة فان فعلت فآداب ذلك ترك الخوض في حديثهم وقلة الاصغاء الى أراجيفهم والتغافل عما يجري من سوء ألفاظهم واياك أن تمازح لبيبا أو سفيها فان اللبيب يحقد عليك والسفيه يتجرأ عليك ولان المزح يخرق الهيبة ويذهب بماء الوجه ويعقب الحقد ويذهب بحلاوة الايمان والود ويشين فقه الفقيه ويجرىء السفيه ويميت القلب ويباعد عن الرب تعالى ويكسب الغفلة والذلة ومن بلي في مجلس بمزاح أو لغط فليذكر الله عند قيامه فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب اليك غفر له ما كان في مجلسه ذلك

﴿ وأما آداب المسايرة ﴾ فقد روي أن رسول الله ﷺ تعقب هو وعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورجل آخر من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين في سفر على بعير فكان اذا جاءت نوبته في المشي مشى فيعزمان عليه أن لا يمشي فيأبى ويقول ما أنتم بأقدر مني على المشي وما أنا بأغنى منكم على أجر وقال ﷺ لا تتخذوا ظهور الدواب كراسي وقيل لا تتقدم الاصاغر على الاكابر إلا في ثلاث اذا ساروا ليلا أو خاضوا سيلا أو واجهوا خيلا وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لا يكون الصديق صديقا حتى يحفظ أخاه في ثلاث في نكبته وغيبته ووفاته

﴿ وأما ماجاء فى الاخوان القليلى الموافاة العديمى المكافأة الذين ليس عندهم لصديق مصافاة ﴾
فقال وهب بن منبه صحبت الناس خمسين سنة فما وجدت رجلا غفر لى زلة ولا أقالنى عثرة ولا ستر لى عورة وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه اذا كان الغدر طبعا فالثقة بكل أحد عجز وقيل لبعضهم ما الصديق قال اسم وضع على غير مسمى وحيوان غير موجود (قال الشاعر)

سمعنا بالصديق ولا نراه * على التحقيق يوجد فى الانام
وأحسبه محالا نمقوه * على وجه المجاز من الكلام

وقال أبو الدرداء كان الناس ورقالا شوك فيه فصاروا شوكالا ورق فيه وقال جعفر الصادق لبعض إخوانه أقلل من معرفة الناس وأنكر من عرفت منهم وان كان لك مائة صديق فاطرح تسعة وتسعين وكن من الواحد على حذر * وقيل لبعض الولاة كم لك صديق فقال أما فى حال الولاية فكثير وأنشد

الناس اخوان من دامت له نعم * والويل للمرء ان زلت به القدم

(ولما) نكب على بن عيسى الوزير لم ينظر ببابه أحدا من أصحابه الذين كانوا يألفونه فى ولايته فلما ردت اليه الوزارة وقف أصحابه ببابه ثانيا فقال

ماالناس إلا مع الدنيا وصاحبها * فكلما انقلبت يوما به انقلبوا
يعظمون أخا الدنيا فان وثبت * يوما عليه بمالا يشتهى وثبوا

(وقال آخر) فما أكثر الأصحاب حين نعدهم * ولكنهم فى النائبات قليل
(وقال البحترى) اياك تغتر أو تخدعك بارقة * من ذى خداع يرى بشرا وألطافا

فلو قلبت جميع الأرض قاطبة * وسرت فى الأرض أوساطا وأطرافا
لم تلق فيها صديقا صادقا أبدا * ولا أخا يبذل الانصاف ان صافى

(وقال بعضهم فى المعنى أيضا) خليلى جربت الزمان وأهله * فما نالنى منهم سوى الهم والعنا
وعاشرت أبناء الزمان فلم أجد * خليلا يوفى بالعهود ولا أنا

(وقال آخر) لما رأيت بنى الزمان وما بهم * خل وفى للشدائد أصطفى
فعلمت أن المستحيل ثلاثة * الغول والعنقاء والخل الوفى

(بيت مفرد) وكل خليل ليس فى الله وده * فانى به فى وده غير واثق
(وقال آخر) إذا ما كنت متخذا خليلا * فلا تأمن خليلك أن يخونا
فانك لم يخنك أخ أمين * ولكن قلما تلقى أمينا
(وقال آخر) تحب عدوى ثم تزعم أننى * أودك إن الرأى عنك لعازب
وليس أخى من ودنى بلسانه * ولكن أخى من ودنى وهو غائب
ومن ماله مالى اذا كنت معدما * ومالى له إن أعوزته النوائب

ولما غضب السلطان على الوزير ابن مقلة وأمر بقطع يده لما بلغه أنه زور عنه كتبا الى أعدائه وعزله لم يأت اليه أحد ممن كان يصحبه ولا توجع له ثم ان السلطان ظهر له فى بقية يومه أنه برىء مما نسب اليه فخلع عليه ورد اليه وظائفه فأنشد يقول هذه الأبيات

تحالف الناس والزمان * فحيث كان الزمان كانوا * عادانى الدهر نصف يوم
فانكشف الناس لى وبانوا * ياأيها المعرضون عنا * عودوا فقد عاد لى الزمان

كتب عمر بن عبد العزيز الى عدى بن أرطاة أن اجمع بين اياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة قولى القضاء أفقههما فجمع بينهما فقال له اياس أيها الرجل سل عنى وعنه فقيهى المصر الحسن وابن سيرين وكان القاسم يأتيهما واياس لا يأتيهما ففهم القاسم ان سألها عنه أشار به فقال له لا تسل عنى ولا عنه فوالله الذى لا إله إلا هو إن اياس بن معاوية أفقه منى وأعلم منى بالقضاء فان كنت كاذبا فما عليك أن تولنى وأنا كاذب وان كنت صادقا فينبغى أن تقبل قولى فقال له اياس انك جئت برجل وقفت به على شفير جهنم فنجى نفسه منها بيمين كاذبة يستغفر الله تعالى منها و ينجو مما يخاف فقال له عدى أما اذ فهمتها فأنت لها أهل فاستقضاه (نادرة لطيفة) نقل ابن عبدربه فى العقد أن أبا سفيان زار معاوية فى الشام فلما رجع من عنده دخل على الامام عمر رضى الله عنه فقال له الامام أجدنا قال ما أصبنا شيئاً فنجديك فأخذ الامام عمر خاتمه فبعث به الى هند وقال للرسول قل لها يقول لك أبو سفيان انظرى الخرجين اللذين جئت بهما من عند معاوية فاحضريهما فلم يلبث عمر أن أتى بالخرجين فيهما عشرة آلاف درهم فألقاها عمر فى بيت المال فلما

(ومثله في المعنى) أخوك أخوك من يدنو وترجو * مودته وان دعي استجابا
اذا حاربت حارب من تعادي * وزاد سلاحه منك اقترابا

(وقال أبو بكر الخالدي) وأخ رخصت عليه حتى ملني * والشيء مملول اذا ما يرخص
ما في زمانك من يعز وجوده * ان رمته الا صديق مخلص

فيجب على الانسان أن لا يصحب إلا من له دين وتقوى فان المحبة في الله تنفع في الدنيا والآخرة وما أحسن ما قال بعضهم

وكل محبة في الله تبقى * على الحالين من فرج وضيق
وكل محبة فيما سواه * فكالحلفاء في لهب الحريق

فينبغي للانسان أن يجتنب معاشرة الأشرار ويترك مصاحبة الفجار ويهجر من ساءت خلته وقبحت بين الناس سيرته قال الله تعالى « الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين » وقال تعالى « ومامن دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم » فأثبت الله المماثلة بيننا وبين البهائم وذلك انما هو في الأخلاق خاصة فليس أحد من الخلق إلا وفيه خلق من أخلاق البهائم ولهذا تجد أخلاق الخلائق مختلفة فاذا رأيت الرجل جاهلا في خلائقه غليظا في طبائعه قويا في بدنه لا تؤمن ضغائنه فألحقه بعالم النمورة والعرب تقول أجهل من نمر واذا رأيت الرجل هجاما على أعراض الناس فقد ماثل عالم الكلاب فان دأب الكلب أن يجفو من لا يجفوه ويؤذي من لا يؤذيه فعامله بما كنت تعامل به الكلب اذا نبح ألست تذهب وتتركه واذا رأيت انسانا قد جبل على الخلاف ان قلت نعم قال لا وان قلت لا قال نعم فألحقه بعالم الحمير فان دأب الحمار إن أدنيته بعد وإن أبعدته قرب فلا تنتفع به ولا يمكنك مفارقته وان رأيت انسانا يهجم على الأموال والأرواح فألحقه بعالم الأسود وخذ حذرك منه كما تأخذ حذرك من الأسد واذا بليت بانسان خبيث كثير الروغان فألحقه بعالم الثعالب واذا رأيت من يمشي بين الناس بالنميمة ويفرق بين الأحبة فألحقه بعالم الظربان وهي دابة صغيرة تقول العرب عند تفرق الجماعة مشى بينهم ظربان فتفرقوا واذا رأيت انسانا لا يسمع الحكمة والعلم وينفر من مجالسة العلماء ويألف أخبار أهل الدنيا فألحقه بعالم الخنافس فانه يعجبها أكل العذرات وملامسة النجاسات وتنفر من ريح المسك والورد واذ شمت الرائحة الطيبة ماتت لوقتها واذا رأيت الرجل يصنع بنفسه كما تصنع المرأة لبعلها يبيض ثيابه ويعدل عمامته وينظر في عطفيه فألحقه بعالم الطواويس واذ بليت بانسان حقود لا ينسى الهفوات ويجازي بعد المدة الطويلة على السقطات فألحقه بعالم الجمال والعرب تقول أحقد من جمل فتجنب قرب الرجل الحقود وعلى هذا النمط فليحترز العاقل من صحبة الأشرار وأهل الغدر ومن لا وفاء لهم فانه اذا فعل ذلك سلم من مكائد الخلق وأراح قلبه وبدنه والله أعلم

﴿ وأما الزيارة والاستدعاء اليها ﴾ فقد قال رسول الله ﷺ يقول الله تعالى وجبت محبتي للمتحابين في والمتباذلين في والمتزاورين في اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي وقال ﷺ من عاد مريضا أو زار أخا نادى مناد أن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا وقيل المحبة شجرة أصلها الزيارة قال الشاعر

زر من تحب وان شطت بك الدار * وحال من دونه حجب وأستار

ولي عثمان بن عفان رضي الله عنه أراد ردها اليه قال ما كنت لآخذ مالا عابه عمر علي والله ان لنا اليه حاجة ولكن لا ترد على من قبلك فيرد عليك من بعدك (قلت) وما ظنك بشيء قد جعله الله في كتابه العزيز مدحة وفخرا لأنبيائه فقال واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد ولو لم يكن في خلف الوعد الا قول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون لكفى قال عمر بن الحرث كانوا يقولون ويفعلون فصاروا يقولون ولا يفعلون ثم صاروا لا يقولون ولا يفعلون فهم ضنوا بالكذب فضلا عن الصدق (ويعجبني قول العباس بن الأحنف)

ما ضر من شغل الفؤاد ببخله
لو كان عللني بوعد كاذب
صبرا عليك فما أرى لي حيلة
الا التمسك بالرجاء الخائب
سأموت من مطل وتبقى حاجتي
فيما لديك وما لها من طالب

(وذكر حيان بن سلمان عامر بن الطفيل فقال) والله كان اذا وعد الخير وفى واذا اوعد الشر أخلف وهو القائل

ولا يرهب ابن العم ما عشت صولتي * ويأمن مني صولة المتهدد
وإني وان أوعدته أو وعدته * لمخلف ايعادي ومنجز موعدي

لا

وقال ابن حازم) إذا قلت عن شيء نعم فأتمه * فان نعم دين على الحر واجب والا فقل لا تسترح وترح بها * لئلا يظن الناس أنك كاذب

ويعجبني قول عبد الصمد الرقاشي في خالد بن ديسم عامل الري وقد أبطأ عليه بوعد)

لا يمنعك بعد من زيارته * ان المحب لمن يهواه زوار

ولكن الزيارة غبا لقوله ﷺ زر غبا تزدد حبا قال الشاعر في معنى ذلك

عليك باغباب الزيارة انها * إذا كثرت صارت الى الهجر مسلكا

ألم تر أن الغيث يسأم دائما * ويسأل بالايدي إذا هو أمسكا

ويقال الاكثار من الزيارة ممل والاقلال منها مخل وكتب صديق الى صديقه هذا البيت

إذا ما تقاطعنا ونحن ببلدة * فما فضل قرب الدار منا على البعد

(وقال آخر) وان مروري بالديار التي بها * سليمى ولم ألمم بها لجفاء

(وقال آخر) قد أتانا من آل سعدى رسول * حبذا ما يقول لي وأقول

(وقال آخر) أزور بيوتا لاصقات ببيتها * وقلبي في البيت الذي لا أزوره

وزار محمد بن يزيد المهلبي المستعين وهب له مائتي ألف درهم وأقطعه أرضا فقال

وخصصتني بزيارة أضحى لنا * مجدها طول الزمان مؤثل

وقضيت ديني وهو دين وافر * لم يقضه مع جوده المتوكل

وكتب المأمون الى جاريته الخيزران يستدعيها للزيارة

نحن في أفضل السرور ولكن * ليس الا بكم يتم السرور * عيب مانحن فيه يا أهل ودي

انكم غبتم ونحن حضور * فأجدوا المسير بل ان قدرتم * أن تطيروا مع الرياح فطيروا

وقيل لفيلسوف أي الرسل أنجح قال الذي له جمال وعقل وقيل إذا أرسلتم رسولا في حاجة فاتخذوه حسن الوجه حسن الاسم وقال لقمان لابنه يابني لا تبعث رسولا جاهلا فان لم تجد حكيما عارفا فكن رسول نفسك وقال بعضهم

إذا أبطأ الرسول فقل نجاح * ولا تفرح إذا عجل الرسول

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الخامس والعشرون في الشفقة على خلق الله تعالى والرحمة بهم وفضل الشفاعة واصلاح ذات البين وفيه فصلان﴾

﴿الفصل الاول في الشفقة على خلق الله تعالى والرحمة بهم﴾ قال الله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم ووصف الله نفسه لعباده فقال عز وجل ان الله بالناس لرؤف رحيم وقال الله تعالى الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم قال المفسرون الرحمن اسم رقيق يدل على العطف والرقة واللطف والكرم والمنة والحلم على الخلق والرحيم مثله وقيل يقال رحمن الدنيا ورحيم الآخرة وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده لا يضع الله الرحمة الا على رحيم قلنا يارسول كلنا رحيم قال ليس الرحيم الذي يرحم نفسه وأهله خاصة ولكن الرحيم الذي يرحم المسلمين رواه أبو يعلى والطبراني وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال من لا يرحم لا يرحم ومن لا يغفر لا يغفر له وعنه ﷺ قال ارحموا ترحموا واغفروا يغفر لكم وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ قال الله عز وجل ان كنتم تريدون رحمتي فارحموا خلقي رواه أبو محمد بن عدي في كتاب الكامل وروينا من طريق الطبراني عن الشعبي عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ مثل المؤمنين

أخالد إن الري قد أجحفت بنا وضاق علينا رسمها ومعاشها وقد أطمعتنا منك يوما سحابة أضاءت لنا برقا وأبطا رشاشها فلا غيمها يصحو فيرجع طامعا ولا ودقها يهمي فتروى عطاشها (قلت) ومن البلاغة المرقصة في هذا الباب خطاب كوثر بن زفر وقد وعده يزيد بن المهلب وأبطأ بوعده وهو * أصلح الله الأمير أنت أعظم من أن يستعان بك أو يستعان عليك ولست تفعل من الخير شيئا الا وهو يصغر عنك وأنت تكبر عنه وليس العجب أن تفعل ولكن العجب أن لا تفعل * قيل ان يزيد بن المهلب لما سمع هذا الخطاب البليغ مال سكرا وطربا وقال له سل حاجتك قال حملت من عشيرة عشر ديات قال قد أمرت لك بها وشفعتها بمثلها (ويعجبني قول بعضهم) أما بعد فان شجرة وعدك قد أورقت فليكن وعدها

سالما من جوائح المطل والسلام ﴿لطيف الاستمناح﴾ قال الحكماء لطيف الاستمناح سبب النجاح والنفس ربما انطلقت وانشرحت للطيف السؤال وامتنعت وانقبضت بجفاء السائل (ولله در القائل) ان الكريم أخو المودة والنهى * من ليس في حاجاته بمثقل

في تراحمهم وتوادهم وتواصلهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى قال الطبرانى انى رأيت رسول الله ﷺ فى المنام فسألته عن هذا الحديث فقال النبى ﷺ وأشار بيده صحيح صحيح صحيح ثلاثا وعن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال من مسح على رأس يتيم كان له بكل شعرة تمر عليه يده نور يوم القيامة ودخل عامل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه فوجده مستلقيا على ظهره وصبيانه يلعبون على بطنه فانكر ذلك عليه فقال له عمر كيف أنت مع أهلك قال اذا دخلت سكت الناطق فقال له اعتزل فانك لا ترفق باهلك وولدك فكيف ترفق بامة محمد ﷺ وروى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ان ابدال امتى لن يدخلوا الجنة بالاعمال ولكن يدخلونها برحمة الله وسخاوة النفس وسلامة الصدر والرحمة لجميع المسلمين

﴿الفصل الثانى فى الشفاعة واصلاح ذات البين﴾ قال الله تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتا وقال رسول الله ﷺ ان الله تعالى يسأل العبد عن جاهه كما يسأله عن عمره فيقول له جعلت لك جاها فهل نصرت به مظلوما أو قمعت به ظالما أو أغثت به مكروبا وقال ﷺ أفضل الصدقة أن تعين بجاهك من لا جاه له وعن أبى بردة عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إذا جاءنى طالب حاجة فاشفعوا له لكي تؤجروا ويقضى الله تعالى على لسان نبيه ماشاء وعن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ أفضل الصدقة صدقة اللسان قيل يارسول الله وما صدقة اللسان قال الشفاعة تفك بها الاسير وتحقن بها الدماء وتجر بها المعروف الى أخيك وتدفع عنه بها كريهة رواه الطبرانى فى المكارم وقال على رضى الله عنه الشفيع جناح الطالب وقال رجل لبعض الولاة ان الناس يتوسلون اليك بغيرك فينالون معروفك ويشكرون غيرك وأنا أتوسل اليك بك ليكون شكرى لك لا لغيرك * وقيل كان المنصور معجبا بمحادثة محمد بن جعفر بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهم وكان الناس لعظم قدره يفزعون اليه فى الشفاعات فثقل ذلك على المنصور فحجبه مدة ثم لم يصبر عنه فامر الربيع أن يكلمه فى ذلك فكلمه وقال اعف يا أمير المؤمنين لا تثقل عليه فى الشفاعات فقبل ذلك منه فلما توجه إلى الباب اعترضه قوم من قريش معهم رقاع فسألوه ايصالها الى المنصور فقص عليهم القصة فابوا الا أن يأخذها فقال اقذفوها فى كمى ثم دخل عليه وهو فى الخضراء مشرف على مدينة السلام وما حولها من البساتين فقال له أما ترى الى حسنها يا أبا عبد الله فقال له يا أمير المؤمنين بارك الله لك فيما آتاك وهنأك باتمام نعمتك عليك فيما أعطاك فما بنت العرب فى دولة الاسلام ولا العجم فى سالف الايام أحصن ولا أحسن من مدينتك ولكن سمجتها فى عينى خصلة قال وما هى قال ليس لى فيها ضيعة فتبسم وقال قد حسنتها فى عينك بثلاث ضياع قد أقطعتكها فقال أنت والله يا أمير المؤمنين شريف الموارد كريم المصادر فجعل الله تعالى باقى عمرك أكثر من ماضيه ثم أقام معه يومه ذلك فلما نهض ليقوم بدت الرقاع من كمه فجعل يردهن ويقول ارجعن خائبات خاسرات فضحك المنصور وقال بحقى عليك الا أخبرتنى وأعلمتنى بخبر هذه الرقاع فاعلمه وقال ما أتيت يا ابن معلم الخير الا كريما وتمثل بقول عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر

لسنا وإن احسابنا كرمت * يوما على الاحساب نتكل
نبنى كما كانت أوائلنا * تبنى وتفعل مثل ما فعلوا

﴿دخل عبد الملك بن صالح﴾ على الرشيد فقال له أسالك بالقرابة والخاصة أم بالخلافة والعامة فقال بالخلافة والعامة فقال يا أمير المؤمنين يداك بالعطية أطلق من لسانى فاجزل عطيته ﴿وقفت امرأة على قيس بن سعد بن عبادة﴾ فقالت أشكو اليك قلة الجرزان فقال ما أحسن هذه الكناية املؤا لها بيتها لحما وخبزا وسمنا ﴿نادرة لطيفة﴾ كان أبو جعفر المنصور أيام بنى أمية إذا دخل البصرة دخل متنكرا وكان يجلس فى حلقة أزهر السمان المحدث فلما أفضت اليه الخلافة قدم أزهر عليه فرحب به وقربه وقال ما حاجتك يا أزهر فقال يا أمير المؤمنين دارى متهدمة وعلى أربعة آلاف درهم وأريد أزوج ابنى محمدا فوصله باثنى عشر ألف درهم وقال قد قضينا حاجتك يا أزهر فلا تأتنا بعد هذا طالبا فأخذها وارتحل فلما كان بعد سنة أتاه فقال له أبو جعفر ماحاجتك يا أزهر قال جئت مسلما فقال لا والله بل جئت طالبا وقد أمرنا لك باثنى عشر ألفا فلا تأتنا طالبا ولا مسلما فأخذها ومضى فلما كان بعد سنة أتاه فقال ما حاجتك يا أزهر قال أتيت عائدا فقال لا والله بل جئت طالبا وقد أمرنا لك باثنى عشر ألفا فاذهب ولا تأتنا بعد طالبا ولا مسلما ولا عائدا فأخذها وانصرف فلما مضت السنة أقبل فقال له ماحاجتك يا أزهر قال يا أمير المؤمنين دعاء كنت أسمعك تدعو به جئت لأكتبه فضحك أبو جعفر وقال الدعاء الذى تطلبه غير مستجاب فانى دعوت الله به أن لا أراك فلم يستجب

ثم تصفح الرقاع وقضى حوائجهم عن آخرها قال محمد فخرجت من عنده وقد ربحت وأربحت * وقال المبرد أتاني رجل لأشفع له في حاجة فانشدني لنفسه

اني قصدتك لا أدلي بمعرفة * ولا بقرب ولكن قد فشت نعمك
فبت حيران مكروبا يؤرقني * ذل الغريب ويغشيني الكرى كرمك
مازلت أنكب حتى زلزلت قدمي * فاحتل لتثبيتها لازلزلت قدمك
فلو هممت بغير العرف ماعلقت * به يداك ولا انقادت له شيمك

قال فشفعت له وأنلته من الاحسان ماقدرت عليه وكتب رجل إلى يحيى بن خالد رقعة فيها هذا البيت

شفيعي اليك الله لاشيء غيره * وليس الى رد الشفيع سبيل

فامره بلزوم الدهليز فكان يعطيه كل يوم عند الصباح ألف درهم فلما استوفى ثلاثين ألفا ذهب الرجل فقال يحيى والله لو أقام الى آخر عمره ماقطعتها عنه

وقد جئتكم بالمصطفى متشفعا * وما خاب من بالمصطفى يتشفع
إلى باب مولانا رفعت ظلامتي * عسى الهم عني والمصائب ترفع

وقال آخر

تشفع بالنبي فكل عبد * يجار إذا تشفع بالنبي
ولا تجزع إذا ضاقت أمور * فكم لله من لطف خفي

وروى أن جبريل عليه السلام قال يا محمد لو كانت عبادتنا لله تعالى على وجه الأرض لعملنا ثلاث خصال سقي الماء للمسلمين وإعانة أصحاب العيال وستر الذنوب على المسلمين اذا أذنبوا اللهم استر ذنوبنا واقض عنا تبعاتنا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب السادس والعشرون في الحياء والتواضع ولين الجانب وخفض الجناح وفيه فصلان ﴾

﴿ الفصل الأول في الحياء ﴾ قالت عائشة رضي الله تعالى عنها مكارم الأخلاق عشرة صدق الحديث وصدق اللسان وأداء الأمانة وصلة الرحم والمكافأة بالصنيع وبذل المعروف وحفظ الذمام للجار وحفظ الذمام للصاحب وقرى الضيف ورأسهن الحياء وقال رسول الله ﷺ الحياء شعبة من الايمان وقال رسول الله ﷺ ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى اذا لم تستح فاصنع ما شئت وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من كساه الحياء ثوبه لم يرى الناس عيبه وعن زيد بن علي عن آبائه يرفعونه من لم يستح فهو كافر وقال أبو موسى الأشعري رضى الله عنه اني لادخل البيت المظلم أغتسل فيه من الجنابة فاحني فيه صلبي حياء من ربي وقال بعضهم الوجه المصون بالحياء كالجوهر المكنون في الوعاء وقال الخواص ان العباد عملوا على أربع منازل على الخوف والرجاء والتعظيم والحياء فارفعها منزلة الحياء لما أيقنوا أن الله يراهم على كل حال قالوا سواء علينا رأيناه أو رآنا وكان الحاجز لهم عن معاصيه الحياء منه ويقال القناعة دليل الأمانة والأمانة دليل الشكر والشكر دليل الزيادة والزيادة دليل بقاء النعمة والحياء دليل الخير كله

﴿ الفصل الثاني في التواضع ولين الجانب وخفض الجناح ﴾ قال الله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين وقال تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين وقال رسول الله ﷺ أفضل العبادة التواضع وقال ﷺ لاترفعوني فوق قدري فتقولوا في ما قالت النصارى في المسيح فان الله عز وجل اتخذني عبدا قبل أن يتخذني رسولا وأتاه ﷺ رجل فكلمه

وقد أمرنا لك باثني عشر ألفا وتعال إذا شئت فقد أعيتنا الحيلة فيك ﴿ ودخل رجل من الشعراء ﴾ على يحيى بن خالد بن برمك فأنشده

سألت الندى هل أنت حر فقال لا * ولكنني عبد ليحيى بن خالد
فقلت شراء قال لا بل وراثة * توارثني من والد بعد والد

فأمر له بعشرة آلاف درهم ﴿ أجواد الجاهلية الذين انتهى اليهم الجود ثلاثة نفر ﴾ حاتم بن عدي الطائي وهرم بن سنان المزني وكعب بن مامة الأيادي ولكن المضروب به المثل حاتم وحده وكان إذا اشتد البرد وكلب الشتاء أوقد نارا في بقاع الأرض لينظر اليها المار ليلا فيبادر اليها وهو القائل لغلامه يسار

أوقد فان الليل ليل قر * والريح ياموقد ريح صر
حتى يرى نارك من يمر * ان جلبت ضيفا فأنت حر

﴿ وأما ﴾ هرم بن سنان فهو صاحب زهير الذي يقول فيه

تراه إذا ماجئته متهللا * كأنك تعطيه الذي أنت سائله

(وأما) كعب بن مامة الايادي فلم يأت له الا ماذكر عنه من ايثاره رفيقه السعدي بالماء حتى مات عطشا ونجا السعدي وناهيك بهذا الكرم الذي ماسبق اليه (وأما أجواد الحجاز) فثلاثة في عصر واحد وهم عبيد الله بن العباس وعبد الله بن جعفر وسعيد بن العاص (وأجود أهل البصرة خمسة في عصر واحد) وهم عبد الله بن عامر وعبد الله بن أبي بكر مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسالم بن زياد وعبد الله بن معمر القرشي التيمي وطلحة الطلحات وهو طلحة بن خالد الخزاعي (وأجواد أهل

وأخذته رعدة فقال ﷺ له هون عليك فاني لست بملك انما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد وكان ﷺ يرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم في مهنة أهله ولم يكن متكبرا ولا متجبرا أشد الناس حياء وأكثرهم تواضعا وكان إذا احدث بشيء مما آتاه الله تعالى قال ولا فخر وقال ﷺ ان العفو لا يزيد العبد الا عزاً فاعفوا يعزكم الله وان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله وان الصدقة لا تزيد المال الا نماء فتصدقوا يزدكم الله وقال عدي بن أرطاة لاياس بن معاوية انك لسريع المشية قال ذلك أبعد من الكبر وأسرع في الحاجة وخرج معاوية على ابن الزبير وابن عامر فقام ابن عامر وجلس ابن الزبير فقال معاوية لابن عامر اجلس فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول من أحب أن يتمثل له الناس قياما فليتبوأ مقعده من النار وقيل التواضع سلم الشرف ولبس مطرف بن عبد الله الصوف وجلس مع المساكين فقيل له في ذلك فقال ان أبي كان جبارا فأحببت أن أتواضع لربي لعله أن يخفف عن أبي تجبره وقال مجاهد ان الله تعالى لما أغرق قوم نوح شمخت الجبال وتواضع الجودي فرفعه فوق الجبال وجعل قرار السفينة عليه وقال الله تعالى لموسى عليه السلام هل تعرف لم كلمتك من بين الناس قال لا يا رب قال لاني رأيتك تتمرغ بين يدي في التراب تواضعا لي وقيل من رفع نفسه فوق قدره استجلب مقت الناس وقال أبو مسلم صاحب الذخيرة ما تاه الا وضيع ولا فاخر الا لقيط وكل من تواضع لله رفعه الله فسبحان من تواضع كل شيء لعز جبروت عظمته وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب السابع والعشرون في العجب والكبر والخيلاء وما أشبه ذلك ﴾

(اعلم) أن الكبر والاعجاب يسلبان الفضائل ويكسبان الرذائل وحسبك من رذيلة تمنع من سماع النصح وقبول التأديب والكبر يكسب المقت ويمنع من التألف قال رسول الله ﷺ لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر وقال رسول الله ﷺ من جر ثوبه خيلاء لا ينظر الله اليه وقال الأحنف ابن قيس ما تكبر أحد الا من زلة يجدها في نفسه ولم تزل الحكماء تتحامى الكبر وتأنف منه ونظر أفلاطون إلى رجل جاهل معجب بنفسه فقال وددت أني مثلك في ظنك وأن أعدائي مثلك في الحقيقة ورأى رجل رجلا يختال في مشيه فقال جعلني الله مثلك في نفسك ولا جعلني مثلك في نفسي وقال الأحنف عجبت لمن جرى في مجرى البول مرتين كيف يتكبر * ومر بعض أولاد المهلب بمالك بن دينار وهو يتبختر في مشيه فقال له مالك يا بني لو تركت هذه الخيلاء لكان أجمل بك فقال أوما تعرفني قال أعرفك معرفة جيدة أولك مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت بين ذلك تحمل العذرة فأرخى الفتى رأسه وكف عما كان عليه وقال لا يدوم الملك مع الكبر وحسبك من رذيلة تسلب الرياسة والسيادة وأعظم من ذلك أن الله تعالى حرم الجنة على المتكبرين فقال تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا فقرن الكبر بالفساد وقال تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق قال بعض الحكماء ما رأيت متكبرا الا تحول ما به بي يعني أتكبر عليه * واعلم أن الكبر يوجب المقت ومن مقته رجاله لم يستقم حاله والعرب تجعل جذيمة الابرش غاية في الكبر يقال انه كان لا ينادم أحدا لتكبره ويقول انما ينادمني الفرقدان وكان ابن عوانة من أقبح الناس كبرا وروي أنه قال لغلامه اسقني ماء فقال نعم فقال انما يقول نعم من يقدر أن يقول لا اصفعوه فصفع ودعا أكارا فكلمه فلما فرغ دعا بماء فتمضمض به استقذارا لمخاطبته ويقال فلان وضع نفسه في درجة لو سقط منها

الكوفة ثلاثة في عصر واحد) وهم عتاب بن ورقاء الرياحي واسماء بن خارجة وعكرمة الفياض * فمن جود عبيد الله أنه أول من فطر جيرانه وأول من وضع الموائد على الطريق (ومن جوده) أن أتاه رجل وهو بفناء داره فقام بين يديه وقال يا ابن عباس ان لي عندك يدا وقد احتجت اليها فصعد فيه بصره وصوبه فلم يعرفه فقال له ما يدك عندنا قال رأيتك واقفا بزمزم وغلامك يملأ من مائها والشمس قد صهرتك فظللتك بطرف كسائي حتى شربت فقال أجل إني لأذكر لك ذلك ثم قال لغلامه ما عندك قال مائتا دينار عشرة آلاف درهم قال ادفعها اليه وما أراها تفي بحق يده عندنا فقال له الرجل والله لو لم يكن لاسمعيل ولد غيرك لكان فيك كفاية فكيف وقد ولد سيد المرسلين ثم شفع بك وبأبيك (ومن جوده أيضا) أن معاوية حبس عن الحسين بن علي رضي الله عنه صلاته حتى ضاقت عليه الحال فقيل له لو وجهت إلى عمك عبيد الله بن العباس لكفاك وقد قدم بألف ألف قال الحسين فما مقدارها عنده والله إنه لأجود من الريح إذا عصفت وأسخى من البحر اذا زخر ثم وجه اليه رسوله بكتاب يذكر فيه حبس معاوية عنه صلاته وضيق حاله وأنه يحتاج إلى مائة ألف فلما قرأ عبيد الله كتابه وكان أرق الناس قلبا وألينهم لتكسر عطفا انهملت عيناه ثم قال ويلك يا معاوية تسكون لين المهاد رفيع العماد والحسين يشكو ضعف الحال وكثرة العيال

لتكسر * قال الجاحظ المشهورون بالكبر من قريش بنو مخزوم وبنو أمية ومن العرب بنو جعفر بن كلاب وبنو زرارة بن عدي وأما الاكاسرة فكانوا لا يعدون الناس الا عبيدا وأنفسهم الا أربابا وقيل لرجل من بني عبد الدار ألا تأتي الخليفة فقال أخاف أن لا يحمل الجسر شرفي وقيل للحجاج بن ارطاة مالك لا تحضر الجماعة قال أخشى أن يزاحمني البقالون وقيل أتى وائل بن حجر الى النبي ﷺ فاقطعه أرضا وقال لمعاوية أعرض هذه الارض عليه واكتبها له فخرج معه معاوية في هاجرة شديدة ومشى خلف ناقته فاحرقه حر الشمس فقال له أردفني خلفك على ناقتك قال لست من أرداف الملوك قال فاعطني نعليك قال ما بخل يمنعني يا ابن أبي سفيان ولكن أكره أن يبلغ أقيال اليمن أنك لبست نعلي ولكن امش في ظل ناقتي فحسبك بها شرفا وقيل إنه لحق زمن معاوية ودخل عليه فأقعده معه على السرير وحدثه * وقال المسرور بن هند لرجل أتعرفني قال لا قال أنا المسرور بن هند قال ما أعرفك قال فتعسا ونكسا لمن لم يعرف القمر قال الشاعر

قولا لأحمق يلوي التيه أخدعه * لو كنت تعلم ما في التيه لم تته
التيه مفسدة للدين منقصة * للعقل مهلكة للعرض فانتبه

وقيل لا يتكبر الا كل وضيع ولا يتواضع الا كل رفيع والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب الثامن والعشرون في الفخر والمفاخرة والتفاضل والتفاوت ﴾

فمن شواهد المفاخرة قوله تعالى أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون نزلت في علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وعقبة بن أبي معيط وكانا تفاخرا وقوله تعالى أفمن يلقى في النار خير أمن يأتي آمنا يوم القيامة نزلت في أبي جهل وعمار بن ياسر والنسب إلى سيدنا رسول الله ﷺ أشرف الأنساب وقد قال ﷺ أنا سيد ولد آدم ولا فخر وقد نفى الله تعالى الفخر بالانساب بقوله تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم فالفخر في الاسلام بالتقوى وقال رسول الله ﷺ ان نبيكم واحد وان أباكم واحد وانه لا فضل لعربي على عجمي ولا لأحمر على اسود الا بالتقوى ألا هل بلغت (وقال الأصمعي) بينما أنا أطوف بالبيت ذات ليلة اذ رأيت شابا متعلقا بأستار الكعبة وهو يقول

يامن يجيب دعا المضطر في الظلم * يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا * وأنت ياحي ياقيوم لم تنم
أدعوك ربي حزينا هائما قلقا * فارحم بكائي بحق البيت والحرم
ان كان جودك لا يرجوه ذو سفه * فمن يجود على العاصين بالكرم

ثم بكى بكاء شديدا وأنشد يقول

ألا أيها المقصود في كل حاجتي * شكوت اليك الضر فارحم شكايتي
ألا يارجائي أنت تكشف كربتي * فهب لي ذنوبي كلها واقض حاجتي
أتيت بأعمال قباح رديئة * وما في الورى عبد جنى كجنايتي
أتحرقني بالنار ياغاية المنى * فأين رجائي ثم أين مخافتي

ثم سقط على الارض مغشيا عليه فدنوت منه فاذا هو زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين فرفعت رأسه في حجري وبكيت فقطرت دمعة من دموعي على خده ففتح عينيه

ثم قال لقهرمانه احمل الى الحسين نصف ما نملكه من ذهب وفضة ودابة وأخبره أني شاطرته فان أقنعه ذلك والا فارجع واحمل اليه النصف الآخر قال فلما وصل الرسول الى الحسين قال انا لله ثقلت والله على عمي وما ظننت انه يتسع بهذا كله فأخذ الشطر من ماله وهو أول من فعل هذا في الاسلام (ومن جوده أيضا) أن معاوية أهدى اليه وهو عنده في شهر من هدايا النوروز حللا كثيرة ومسكا وآنية من ذهب وفضة ووجهها اليه مع حاجبه فلما وضعها بين يديه نظر الى الحاجب وهو يطيل النظر فيها فقال هل في نفسك منها شيء قال نعم والله ان في نفسي منها ما كان في نفس يعقوب من يوسف فضحك عبيد الله فقال فشأنك بها فهي لك قال جعلت فداءك أنا أخاف أن يبلغ ذلك معاوية فيغضب لذلك قال فاختمها بخاتمك وادفعها الى الخازن وهو يحملها اليك ليلا فقال الحاجب والله ان هذه الحيلة في الكرماء أكثر من الكرم ولوددت أني لا أموت حتى أراك مكانه يعني معاوية فظن عبيد الله أنها مكيدة منه فقال دع هذا الكلام انا من قوم نفي بما عقدنا ولا ننقض ما أكدنا وقال له رجل من الانصار جعلت فداءك والله لو سبقت حاتما بيوم ما ذكرته العرب وأنا أشهد أن عفو جودك أكثر من مجهوده وطل صوبك أكثر من وابله (ومن جود عبد الله بن جعفر) أن عبد الله بن أبي عمارة دخل على نخاس يعرض قيانا للبيع فشغفه حب واحدة منهن ولم يكن له جدة يتوصل بها الى المشتري فشبب

وقال من هذا الذي يهجم علينا قالت عبيدك الأصمعي سيدي ماهذا البكاء والجزع وأنت من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة أليس الله تعالى يقول انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا فقال هيهات هيهات يا أصمعي ان الله خلق الجنة لمن أطاعه ولو كان عبدا حبشيا وخلق النار لمن عصاه ولو كان حرا قرشيا أليس الله تعالى يقول فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون والفخر وان نهت عنه الأخبار النبوية ومجته العقول الذكية الا أن العرب كانت تفتخر بما فيها من البيان طبعا لا تكلفا وجبلة لا تعلما ولم يكن لهم من ينطق بفضلهم إلا هم ولا ينبه على مناقبهم سواهم وكان كعب بن زهير اذا أنشد شعرا قال لنفسه أحسنت وجاوزت والله الاحسان فيقال له أتحلف على شعرك فيقول نعم لاني أبصر به منكم وكان الكميت اذا قال قصيدة صنع لها خطبة في الثناء عليها ويقول عند انشادها أي علم بين جنبي وأي لسان بين فكي وقال الجاحظ لو لم يصف الطبيب مصالح دوائه للمعالجين ماوجد له طالب ولما أبدع ابن المقفع في رسائله التي سماها باليتيمة تنزيها لها عن المثل سكنت من النفوس موضع ارادته من تعظيمها ولو لم ينحلها هذا الاسم لكانت كسائر رسائله وسنذكر في هذا الباب ان شاء الله تعالى شيئا من نظم البلغاء ونثرهم في الافتخار ومن تفاخر منهم بعون الله وفضله وتيسيره * قال أبو بكر الهذلي سايرت المنصور فعرض لنا رجل على ناقة حمراء تطوي الفلاة وعليه جبة خز وعمامة عدنية وفي يده سوط يكاد يمس الارض فلما رآه المنصور أمرني باحضاره فدعوته وسألته عن نسبه وبلاده وعن قومه وعشيرته وعن ولاة الصدقة فاحسن الجواب فأعجبه ما رأى منه فقال أنشدني شعرا فأنشده شعرا لأوس بن حجر وغيره من الشعراء من بني عمرو بن تميم وحدثه حتى أتى على بيت شعر لطريف بن تميم وهو قوله

ان الامور اذا أوردتها صدرت * ان الامور لها ورد واصدار

فقال ويحك ما كان طريف فيكم حيث قال هذا البيت قال كان أثقل العرب على عدوه وطأة وأقراهم لضيفه وأحوطهم من وراء جاره اجتمعت العرب بعكاظ فكلهم أقروا له بهذه الخلال فقال له والله يا أخا بني تميم لقد أحسنت اذ وصفت صاحبك ولكني أحق ببيته منه ومن شعر أبي الطحان

واني من القوم الذين هم هم * اذا مات منهم سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما غاب كوكب * بدا كوكب تأوي اليه كواكبه
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
ومازال فيهم حيث كان مسودا * تسير المنايا حيث سارت ركائبه

ولما قدم معاوية المدينة صعد المنبر فخطب وقال من ابن علي رضي الله تعالى عنه فقام الحسن فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان الله عز وجل لم يبعث بعثا الا جعل له عدوا من المجرمين فانا ابن علي وأنت ابن صخر وأمك هند وأمي فاطمة وجدتك قتيلة وجدتي خديجة فلعن الله ألأمنا حسبا وأخملنا ذكرا وأعظمنا كفرا وأشدنا نفاقا فصاح أهل المسجد آمين آمين فقطع معاوية خطبته ودخل منزله * وروى أن معاوية خرج حاجا فمر بالمدينة ففرق على أهلها أموالا ولم يحضر الحسن بن علي رضي الله عنهما فلما خرج من المدينة اعترضه الحسن بن علي فقال له معاوية مرحبا برجل تركنا حتى نفد ما عندنا وتعرض لنا ليبخلنا فقال له الحسن ولم ينفد ما عندك وخراج الدنيا يجبى اليك فقال معاوية اني قد أمرت

يذكرها حتى مشى اليه عطاء وطاوس ومجاهد يعدلونه في ذلك فكان جوابه أن قال

يلومني فيك أقوام أجالسهم * فما أبالي أطار اللوم أم وقعا

فانتهى خبره الى عبدالله بن جعفر فلم يكن له هم غيره فحج وبعث الى مولى الجارية فاشتراها منه بأربعين ألف درهم وأمر قيمة جواريه ان تزينها وتحليها ففعلت وبلغ الناس قدومه فدخلوا عليه فقال مالي لا أرى ابن عمارة زائرا فأخبر بذلك فأتى مسلما فلما أراد أن ينهض استجلسه ثم قال مافعل بك حب فلانة قال حبها في اللحم والدم والمخ والعصب قال أتعرفها ان رأيتها قال لو أدخلت الجنة لم أنكرها فأمرها عبدالله أن تخرج اليه وقال له انما اشتريتها لك والله مادنوت منها فشأنك بها بارك الله لك فيها فلما ولى قال ياغلام احمل اليه مائة ألف درهم قال فبكى عبد الله وقال يا أهل البيت لقد خصكم الله بشرف ماخص به أحدا من صلب آدم فهناكم الله بهذه النعمة وبارك لكم فيها (ولقد) تقرر أن أجواد الاسلام أحد عشر جوادا ذكرت من جود بعضهم ماتيسر وقال صاحب العقد إنه جاء بعدهم طبقة أخرى وهي الطبقة الثانية (فمنهم) الحكم بن أحطب قيل سأله اعرابي فأعطاه خمسمائة دينار فبكى الاعرابي فقال له لعلك استقللت ما أعطيناك فقال لا والله ولكني أبكي لما تأكل الارض منك ثم أنشد لك

فكأن آدم حين حان وفاته * أوصاك وهو يجود بالحوباء
ببنيه ان ترعاهم فرعيتهم * وكفيت آدم عيلة الابناء

(وحكى) عن العتبي أنه قال حدثني رجل قال قدم علينا الحكم بن أحطب وهو مملق فأغنانا فقلت فكيف أغناكم وهو مملق فقال علمنا المكارم فعاد غنينا على فقيرنا (ومنهم معن بن زائدة) يقال فيه حدث عن البحر ولا حرج وحدث عن معن ولا حرج وأتاه رجل يستحمله فقال ياغلام أعطه فرسا وبرذونا وبغلا وعيرا وبعيرا وجارية ولو عرفت مركوبا غير هذا لأعطيتك (ومنهم يزيد بن المهلب) قيل كان هشام بن حسان اذا ذكره قال كانت السفن تجري في بحر جوده (حكي) الأصمعي أنه قدم على يزيد قوم من قضاعة فقال رجل منهم

والله ماندري اذا مافاتنا * طلب اليك من الذي نتطلب

ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد * أحدا سواك الى المكارم ينسب

فاصبر لعادتك التي عودتنا * أولا فأرشدنا الى من نذهب

فأمر له بألف دينار (ومنهم يزيد بن حاتم) قيل ان ربيعة الرأي قدم مصر فأتى يزيد السلمي فلم يعطه شيئا ثم عطف على يزيد بن حاتم فشغل عنه لأمر ضروري فخرج وهو يقول

أراني ولا كفران لله راجعا * بخفي حنين من نوال ابن حاتم

فلما فرغ يزيد من ضرورته سأل عنه فأخبر عنه أنه خرج وهو يقول كذا وأنشد البيت فأرسل من يجد في طلبه فأتى به فقال كيف قلت فأنشد البيت فقال شغلنا عنك وعجلت علينا ثم

لك بمثل ماأمرت به لأهل المدينة وأنا ابن هند فقال الحسن قد رددته عليك وأنا ابن فاطمة * ودخل الحسين يوما على يزيد بن معاوية فجعل يزيد يفتخر ويقول نحن ونحن ولنا من الفخر والشرف كذا وكذا والحسين ساكت فأذن المؤذن فلما قال أشهد أن محمدا رسول الله قال الحسين يا يزيد جدمن هذا فخجل يزيد ولم يرد جوابا وفي ذلك يقول علي بن محمد بن جعفر

لقد فاخرتنا من قريش عصابة * بمط خدود وامتداد أصابع * فلما تنازعنا الفخار قضى لنا عليهم بما نهوى نداء الصوامع * ترانا سكوتا والشهيد بفضلنا * عليهم جهير الصوت من كل جامع

(وله أيضا) اني وقومي من أنساب قومهم * كمسجد الخيف من بحبوحة الخيف

ماعلق السيف منا بابن عاشرة * الا وهمته أمضى من السيف

وتفاخر العباس بن عبد المطلب وطلحة بن شيبة وعلي بن أبي طالب فقال العباس أنا صاحب السقاية والقائم عليها وقال طلحة أنا خادم البيت ومعي مفتاحه فقال علي ماأدري ماتقولان أنا صليت الى هذه القبلة قبلكما بستة أشهر فنزلت أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر الآية * وتفاخر رجلان على عهد موسى عليه السلام فقال أحدهما أنا فلان بن فلان حتى عد تسعة آباء مشركين فقال الآخر أنا ابن فلان ولولا أنه مسلم ماذكرته فأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام أما الذي عد تسعة آباء مشركين فحق على الله أن يجعل عاشرهم في النار والذي انتسب الى أب مسلم فحق على الله أن يجعله مع أبيه المسلم في الجنة قال سلمان الفارسي

أبي الاسلام لا أب لي سواه * اذا افتخروا بقيس أو تميم

وتفاخر جرير والفرزدق عند سليمان بن عبد الملك فقال الفرزدق أنا ابن محيي الموتى فأنكر سليمان قوله فقال يا أمير المؤمنين قال الله تعالى ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا وجدي فدى الموءودات فاستحياهن فقال سليمان انك مع شعرك لفقيه وكان صعصعة جد الفرزدق أول من فدى الموءودات وللعباس بن عبد المطلب

ان القبائل من قريش كلها * ليرون أنا هام أهل الابطح

وترى لنا فضلا على ساداتها * فضل المنار على الطريق الأوضح

وكتب الحكم بن عبد الرحمن المرواني من الاندلس الى صاحب مصر يفتخر

ألسنا بني مروان كيف تبدلت * بنا الحال أودارت علينا الدوائر

اذا ولد المولود منا تهللت * له الارض واهتزت اليه المنابر

وكتب اليه كتابا يهجوه فيه ويسبه فكتب اليه صاحب مصر أما بعد فانك عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لأجبناك والسلام * وكان أبو العباس السفاح يعجبه السمر ومنازعة الرجال بعضهم بعضا فحضر عنده ذات ليلة ابراهيم بن مخرمة الكندي وخالد بن صفوان بن الأهتم فخاضوا في الحديث وتذاكروا مضر واليمن فقال ابراهيم بن مخرمة يا أمير المؤمنين ان أهل اليمن هم العرب الذين دانت لهم الدنيا ولم يزالوا ملوكا ورثوا الملك كابرا عن كابر وآخرا عن أول منهم النعمان والمنذر ومنهم عياض صاحب البحرين ومنهم من كان يأخذ كل سفينة غصبا وليس من شيء له خطر الا اليهم ينسب ان سئلوا أعطوا وان نزل بهم ضيف قروه فهم العرب العاربة وغيرهم المتعربة فقال أبو العباس ما أظن التميمي رضي بقولك ثم قال ما تقول أنت يا خالد قال ان أذن لي أمير المؤمنين في الكلام تكلمت قال تكلم ولا

نهب أحدا قال أخطأ المقتحم بغير علم ونطق بغير صواب وكيف يكون ذلك لقوم ليس لهم ألسن فصيحة ولا لغة صحيحة نزل بها كتاب ولا جاءت بها سنة يفتخرون علينا بالنعمان والمنذر ونفتخر عليهم بخير الانام وأكرم الكرام سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام فلله المنة به علينا وعليهم فمنا النبي المصطفى والخليفة المرتضى ولنا البيت المعمور زمزم والحطيم والمقام والحجابة والبطحاء وما لا يحصى من المآثر ومنا الصديق والفاروق وذو النورين والرضا والولي وأسد الله وسيد الشهداء وبنا عرفوا الدين وأتاهم اليقين فمن زاحمنا زاحمناه ومن عادانا اصطلمناه ثم أقبل خالد على ابراهيم فقال ألك علم بلغة قومك قال نعم قال فما اسم العين عندكم قال الجمجمة قال فما اسم السن قال الميدن قال فما اسم الأذن قال الصنارة قال فما اسم الاصابع قال الشناتير قال فما اسم الذئب قال الكنع قال أفعالم أنت بكتاب الله عز وجل قال نعم قال فان الله تعالى يقول انا أنزلناه قرآنا عربيا وقال تعالى بلسان عربي مبين وقال تعالى وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه فنحن العرب والقرآن بلساننا أنزل ألم تر أن الله تعالى قال والعين بالعين ولم يقل والجمجمة بالجمجمة وقال تعالى والسن بالسن ولم يقل والميدن بالميدن وقال تعالى والأذن بالأذن ولم يقل والصنارة بالصنارة وقال تعالى يجعلون أصابعهم في آذانهم ولم يقل شناتيرهم في صناراتهم وقال تعالى فأكله الذئب ولم يقل فأكله الكنع ثم قال لابراهيم اني أسألك عن أربع ان أقررت بهن قهرت وان جحدتهن كفرت قال وماهن قال الرسول منا أو منكم قال منكم قال فالقرآن أنزل علينا أو عليكم قال عليكم قال فالمنبر فينا أو فيكم قال فيكم قال فالبيت لنا أو لكم قال لكم قال فاذهب فما كان بعد هؤلاء فهو لكم بل ما أنتم الا سائس قرد أو دابغ جلد أو ناسج برد قال فضحك أبو العباس وأقر لخالد وحباهما جميعا * وقال بشار بن برد يفتخر

اذا نحن صلنا صولة مضرية * هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما
اذا ما أعرنا سيدا من قبيلة * ذرا منبر صلى علينا وسلما

﴿ وقال السموأل بن عادياء ﴾

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه * فكل رداء يرتديه جميل * وان هو لم يحمل على النفس ضيمها
فليس الى حسن الثناء سبيل * تعيرنا أنا قليل عديدنا * فقلت لها ان الكرام قليل
وما قل من كانت بقاياه مثلنا * شباب تسامى للعلا وكهول * وما ضرنا أنا قليل وجارنا
عزيز وجار الأكثرين ذليل * لنا جبل يحتله من نجيره * منيع يرد الطرف وهو كليل
رسا أصله تحت الثرى وسما به * الى النجم فرع لا يزال طويل * وإنا أناس لا نرى القتل سبة
اذا ما رأته عامر وسلول * يقرب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول
وما مات منا سيد حتف أنفه * ولا طل منا حيث كان قتيل * تسيل على حد الظبات نفوسنا
وليست على غير الظبات تسيل * ونحن كماء المزن ما في نصابنا * كهام ولا فينا يعد بخيل
وننكر ان شئنا على الناس قولهم * ولا ينكرون القول حين نقول * اذا سيد منا خلا قام سيد
قؤول بما قال الكرام فعول * وما أخمدت نار لنا دون طارق * ولا ذمنا في النازلين نزيل
وأيامنا مشهورة في عدونا * لها غرر مشهورة وحجول * وأسيافنا في كل شرق ومغرب
بها من قراع الدارعين فلول * معودة أن لا تسل نصالها * فتغمد حتى يستباح قتيل
سلي ان جهلت الناس عنا وعنهم * فليس سواء عالم وجهول

أدر عفيه فخلعا من رجليه وملئا مالا وقال ارجع بهما بدلا من خفي حنين (ومنهم أبو دلف) واسمه القاسم وفيه يقول ابن أبي جبلة

انما الدنيا أبو دلف   بين باديه ومحتضره
فاذا ولى أبو دلف   ولت الدنيا على أثره

وقال

إن سار سار المجد أو حل وقف
انظر بعينك الى أعلى الشرف
هل ناله بقدرة أو بكلف
خلق من الناس سوى أبي دلف

فأعطاه خمسين ألف درهم (ومنهم خالد بن عبد الله القسري) قيل انه كان جالسا في مظلة اذ نظر الى اعرابي يخب على بعيره مقبلا نحوه فقال لحاجبه اذا قدم لا تحجبه فلما قدم أدخله فسلم فقال

أصلحك الله قل ما بيدي   فما أطيق العيال إذ كثروا
أناخ دهر رمى بكلكله   فأرسلوني اليك وانتظروا

فقال خالد اذا أرسلوك الي وانتظروا والله لتعودن اليهم بما يسرهم فأمر له بجائزة عظيمة وكسوة شريفة (ومنهم عدي بن حاتم) حكى صاحب العقد قال دخل أبو دارة على عدي بن حاتم فقال إني مدحتك قال امسك حتى آتيك بمال فاني أكره أن أعطيك ثمن ما تقول هذه ألف شاة وألف درهم وثلاثة أعبد وثلاث اماء وفرسي هذا حبس في سبيل الله فامدحني على حسب ما أجزتك ﴿ قيل ﴾ ان أروى بنت الحرث بن عبد المطلب كانت أغلظ الوافدات على معاوية خطابا وكان حلم معاوية أعظم من خطابها دخلت عليه وهي

فانا بني الريان قطب لقومهم * تدور رحاهم حولهم وتجول

(ولما) قدم وفد تميم على رسول الله ﷺ ومعهم خطيبهم وشاعرهم خطب خطيبهم فافتخر فلما سكت أمر رسول الله ﷺ ثابت بن قيس أن يخطب بمعنى ما خطب به خطيبهم فخطب ثابت بن قيس فأحسن ثم قام شاعرهم وهو الزبرقان بن بدر فقال

نحن الملوك فلا حي يفاخرنا * فينا العلاء وفينا تنصب البيع * ونحن نطعمهم في القحط ما أكلوا من العبيط اذا لم يؤنس الفزع * وننحر الكوم عبطا في أرومتنا * للنازلين اذا ما أنزلوا شبعوا

تلك المكارم حزناها مقارعة * اذا الكرام على أمثالها اقترعوا

ثم جلس فقال رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت قم فقام فقال

ان الذوائب من فهر واخوتهم * قد بينوا سننا للناس تتبع * يرضى بها كل من كانت سريرته تقوى الاله بالامر الذي شرعوا * قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم * أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا سجية تلك منهم غير محدثة * ان الخلائق فاعلم شرها البدع * لو كان في الناس سباقون بعدهم فكل سبق لأدنى سبقهم تبع * لا يرفع الناس ما أوهت أكفهم * عند الدفاع ولا يوهون ما رفعوا ولا يضنون عن جار بفضلهم * ولا يمسهم في مطمع طمع * خذ منهم ما أتوا عفوا اذا عطفوا ولا يكن همك الأمر الذي منعوا * أكرم بقوم رسول الله شيعتهم * اذا تفرقت الأهواء والشيع

فقال التميميون عند ذلك وربك ان خطيب القوم أخطب من خطيبنا وان شاعرهم أشعر من شاعرنا وما انتصفنا ولا قاربنا وقال شاعر من بني تميم

أيبغي آل شداد علينا * وما يرعى لشداد فصيل
فان تغمد مناصلنا نجدها * غلاظا في أنامل من يصول

﴿ وقال سالم بن أبي وابصة ﴾

عليك بالقصد فيما أنت فاعله * ان التخلق يأتي دونه الخلق * وموقف مثل حد السيف قمت به أحمي الذمار وترميني به الحدق * فما زلقت ولا أبديت فاحشة * اذا الرجال على أمثالها زلقوا

﴿ وأما التفاضل والتفاوت ﴾

فقد روي أن رسول الله ﷺ كان اذا نظر لخالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل قال يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي لأنهما كانا من خيار الصحابة وأبواهما أعدى عدو لله ولرسوله ﷺ ومن كلام علي رضي الله عنه لمعاوية رضي الله عنه أما قولك انا بنو عبد مناف فكذلك نحن ولكن ليس أمية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا أبو سفيان كأبي طالب وقال أحمد بن سهل الرجال ثلاثة سابق ولاحق وماحق فالسابق الذي سبق بفضله واللاحق الذي لحق بأبيه في شرفه والماحق الذي محق شرف آبائه * وقيل ان عائشة بنت عثمان كفلت أبا الزناد صاحب الحديث وأشعب الطماع وربتهما قال أشعب فكنت أسفل وكان يعلو حتى بلغت أنا وهو هاتين الغايتين وقال أبو العواذل زكريا بن هرون

علي وعبد الله بينهما أب * وشتان ما بين الطبائع والفعل
ألم تر عبد الله يلحى على الندى * عليا ويلحاه علي على البخل

عجوز كبيرة فلما رآها معاوية قال مرحبا بك ياخالة كيف كنت بعدنا قالت بخير يا أمير المؤمنين لقد كفرت النعمة وأسأت لابن عمك صحبة وتسميت بغير اسمك وأخذت غير حقك من غير دين كان منك ولا من آبائك ولا سابقة في الاسلام بعد ان كفرتم برسول الله فأتعس الله منكم الجدود وأضرع منكم الخدود ورد الحق الى أهله ولو كره المشركون وكانت كلمتنا هي العليا ونبينا هو المنصور فوليتم علينا بعد فأصبحتم تحتجون على سائر العرب بقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن أقرب اليه منكم وأولى بهذا منكم فكنا فيكم بمنزلة بني اسرائيل في آل فرعون وكان علي رضي الله عنه عند نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بمنزلة هرون من موسى فغايتنا الجنة وغايتكم النار فقال لها عمرو ابن العاص كفي أيتها العجوز الضالة واقصري عن قولك مع ذهاب عقلك اذ لا تجوز شهادتك وحدك فقالت له وأنت يا ابن الباغية تتكلم وأمك كانت أشهر بغي بمكة وأرخصهن أجرة وادعاك خمسة نفر كلهم يزعم أنك ابنه فسئلت أمك عن ذلك فقالت كلهم أتاني فانظروا أشبههم به فألحقوه به فغلب عليك شبه العاص ابن وائل فلحقت به فقال مروان كفي أيتها العجوز واقصدي ما جئت له فقالت وأنت أيضا يا ابن الزرقاء تتكلم ثم التفتت الى معاوية فقالت والله ما أجرأ هؤلاء غيرك وأمك القائلة في قتل حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم

نحن جزيناكم بيوم بدر * والحرب بعد الحرب ذات سعر

وحج أبو الاسود الدؤلى بامرأته وكانت شابة جميلة فعرض لها عمر بن أبى ربيعة فغازلها فأخبرت أبا الاسود فأتاه فقال

وانى لينهانى عن الجهل والخنا * وعن شتم أقوام خلائق أربع * حياء واسلام وتقوى وانى كريم ومثلى من يضر وينفع * فشتان مابينى و بينك انى * على كل حال أستقيم وتضلع

﴿ وقال ربيعة البرقى ﴾

لشتان ما بين اليزيدين فى الندى * يزيد سليم والاعز بن حاتم * يزيد سليم سالم المال والفتى فتى الازد للاموال غير مسالم * فهم الفتى الازدى اتلاف ماله * وهم الفتى القيسى جمع الدراهم فلا يحسب القيسى انى هجوته * ولكننى فضلت أهل المكارم

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر فى أخيه الحسين

يقول أنا الكبير فعظمونى * ألا ثكلتك أمك من كبير * اذا كان الصغير أعم نفعا وأجلد عند نائبة الأمور * ولم يأت الكبير بيوم خير * فما فضل الكبير على الصغير

والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب التاسع والعشرون فى الشرف والسؤدد وعلو الهمة ﴾

قال رسول الله ﷺ من رزقه الله مالا فبذل معروفه وكف اذاه فذلك السيد وقيل لقيس بن عاصم بم سدت قومك قال لم أخاصم أحدا الا تركت للصلح موضعا وقال سعيد بن العاص ماشاتمت رجلا مذ كنت رجلا لانى لم أشاتم الا أحد الرجلين اما كريم فانا أحق ان أجله و إما لئيم فانا أولى أن أرفع نفسى عنه وقالوا من نعت السيد أن يكون يملأ العين جمالا والسمع مقالا وقيل قدم وفد من العرب على معاوية وفيهم الأحنف بن قيس فقال الحاجب ان أمير المؤمنين يعزم عليكم أن لا يتكلم منكم أحد الا لنفسه فلما وصلوا اليه قال الأحنف لولا عزم أمير المؤمنين لأخبرته ان رادفة ردفت ونازلة نزلت ونائبة نابت والكل بهم حاجة الى المعروف من أمير المؤمنين فقال له معاوية حسبك يا أبا بحر فقد كفيت الشاهد والغائب * وقال رجل للاحنف بم سدت قومك وما أنت بأشرفهم بيتا ولا أصبحهم وجها ولا أحسنهم خلقا فقال بخلاف ما فيك قال وما ذاك قال تركى من أمرك مالا يعنينى كما عناك من أمرى مالا يعنيك وقيل السيد من يكون للأولياء كالغيث الغادى وعلى الاعداء كالليث العادى * وكان سبب ارتفاع عرابة الاوسى وسودده أنه قدم من سفر فجمعه والشماخ ابن ضرار المزنى الطريق فتحادثا فقال له عرابة ما الذى أقدمك المدينة ياشماخ قال قدمتها لامتار منها فملأ له عرابة رواحله براوتمرا وأتحفه بتحف غير ذلك فأنشد يقول

رأيت عرابة الأوسى يسمو * الى الخيرات منقطع القرين
اذا ماراية رفعت بمجد * تلقاها عرابة باليمين

﴿ وأما علو الهمة فهو أصل الرياسة ﴾

فممن علت همته وشرفت نفسه عمارة بن حمزة قيل انه دخل يوما على المنصور وقعد فى مجلسه فقام رجل وقال مظلوم يا أمير المؤمنين قال ومن ظلمك قال عمارة بن حمزة غصبنى ضيعتى فقال المنصور ياعمارة قم فاقعد مع خصمك فقال ماهو لى بخصم ان كانت الضيعة له فلست أنازعه فيها وان كانت لى فقد وهبتها له ولا أقوم من مقام شرفنى به أمير المؤمنين ورفعنى وأقعد فى أدنى منه لضيعة * وتحدث السفاح هو

ما كان لى عن عتبة من صبر ولا أخى وعمه وبكر سكنت وحشيا غليل صدرى فشكر وحشى على دهرى حتى ترم أعظمى فى قبرى (فأجابها ابنة عمي بقولها) خزيت فى بدر وغير بدر يابنت جبار عظيم الكفر

فقال معاوية عفا الله عما سلف يا خالة هات حاجتك فقالت مالى اليك حاجة وخرجت عنه وهذه العبارة بنصها منقولة من العقد لابن عبد ربه رحمه الله تعالى ﴿ وحكى صاحب العقد أيضا ﴾ قال قدم عقيل بن أبى طالب على معاوية فأكرمه وقربه وقضى عنه دينه ثم قال له فى بعض الايام ياعقيل أنا خير لك من أخيك على قال صدقت أخى آثر دينه على دنياه وأنت آثرت دنياك على دينك فأنت خير لى من أخى وأخى خير لنفسه منك لنفسك (ودخل) عقيل أيضا على معاوية وقد كف بصره فأقعده على سرير معه ثم قال له أنتم معاشر بنى هاشم تصابون فى أبصاركم فقال عقيل وأنتم معاشر بنى أمية تصابون فى بصائركم (ودخل) عليه يوما فقال معاوية لأصحابه هذا عقيل عمه أبو لهب فقال عقيل وهذا معاوية عمته حمالة الحطب ثم قال يامعاوية اذا دخلت النار فأعدل ذات اليسار فانك ستجد عمى أبا لهب مفترشا عمتك حمالة الحطب فانظر أيهما خيرا الفاعل أم المفعول به (وقال له يوما) ماأبين الشبق فى رجالكم يابنى هاشم قال لكنه فى نسائكم أبين يابنى أمية (وقال الجاحظ)

وأم

وأم سلمة يوما فى نزاهة نفس عمارة وكبره فقالت له ادع به وأنا أهب له سبحتى هذه فان ثمنها خمسون ألف دينار فان هو قبلها علمنا أنه غير نزه النفس فوجه اليه فحضر فحادثته ساعة ثم رمت اليه بالسبحة وقالت هى من الطرف وهى لك فجعلها عمارة بين يديه ثم قام وتركها فقالت لعله نسيها فبعثت بها اليه مع خادم فقال للخادم هى لك فرجع الخادم فقال قد وهبها لى فأعطت أم سلمة للخادم ألف دينار واستعادتها منه * وأهدى عبيد الله بن السرى الى عبد الله بن طاهر لما ولى مصر مائة وصيف مع كل وصيف ألف دينار ووجه إليه بذلك ليلا فرده وكتب اليه لو قبلت هديتك ليلا لقبلتها نهارا وما آتانى الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون (وكان) سبب فتح المعتصم عمورية ان امرأة من الثغر سبيت فنادت وامحمداه وامعتصماه فبلغه الخبر فركب لوقته وتبعه الجيش فلما فتحها قال لبيك أيتها المنادية * وكان سعيد بن عمرو بن العاص ذا نخوة وهمة قيل له فى مرضه ان المريض يستريح الى الأنين والى شرح ما به الى الطبيب فقال أما الأنين فهو جزع وعار والله لا يسمع الله منى أنينا فأكون عنده جزوعا وأما وصف ما بى الى الطبيب فوالله لا يحكم غير الله فى نفسى ان شاء أمسكها وان شاء قبضها * ومن كبر النفس ما روى عن قيس بن زهير أنه أصابته الفاقة واحتاج فكان يأكل الحنظل حتى قتله ولم يخبر أحدا بحاجته ومن الشرف والرياسة حفظ الجوار وحمى الذمار وكانت العرب ترى ذلك دينا تدعو اليه وحقا واجبا تحافظ عليه وكان أبو سفيان بن حرب اذا نزل به جار قال ياهذا انك اخترتنى جارا واخترت دارى دار الجناية يدك على دونك وان جنت عليك يد فاحتكم حكم الصبى على أهله * وكان الفرزدق يجير من عاذ بقبر أبيه غالب بن صعصعة فمن استجار بقبر أبيه فأجاره امرأة من بنى جعفر بن كلاب خافت لما هجا الفرزدق بنى جعفر أن يسميها وينسبها فعاذت بقبر أبيه فلم يذكر لها اسما ولا نسبا ولكن قال

عجوز تصلى الخمس عاذت بغالب * فلا والذى عاذت به لا أضيرها

وقال مروان بن أبى حفصة هم يمنعون الجار حتى كأنما * لجارهم بين السماكين منزل

(وقال ابن نباتة) ولو يكون سواد الشعر فى ذمم * ما كان للشيب سلطان على القمم

(وقيل) إن الحجاج أخذ يزيد بن المهلب بن أبى صفرة وعذبه واستأصل موجوده وسجنه فتوصل يزيد بحسن تلطفه وأرغب السجان واستماله وهرب هو والسجان وقصد الشام الى سليمان بن عبد الملك بن مروان وكان الخليفة فى ذلك الوقت الوليد بن عبد الملك فلما وصل يزيد بن المهلب الى سليمان بن عبد الملك أكرمه وأحسن اليه وأقامه عنده فكتب الحجاج الى الوليد يعلمه أن يزيد هرب من السجن وانه عند سليمان بن عبد الملك أخى أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين وأن أمير المؤمنين أعلى رأيا فكتب الوليد الى أخيه سليمان بذلك فكتب سليمان الى أخيه يقول يا أمير المؤمنين انى ما أجرت يزيد بن المهلب الا لانه هو وأبوه واخوته من صنائعنا قديما وحديثا ولم أجر عدوا لأمير المؤمنين وقد كان الحجاج قصده وعذبه وأغرمه أربعة آلاف ألف درهم ظلما ثم طالبه بعدها بثلاثة آلاف ألف درهم وقد صار الى واستجار بى فأجرته وأنا أغرم عنه هذه الثلاثة آلاف ألف درهم فان رأى أمير المؤمنين أن لا يخزينى فى ضيفى فليفعل فانه أهل الفضل والكرم فكتب اليه الوليد انه لابد أن ترسل الى يزيد مغلولا مقيدا فلما ورد ذلك على سليمان أحضر ولده أيوب فقيده ودعا يزيد بن المهلب فقيده ثم شد قيد هذا الى قيد هذا بسلسلة وغلهما جميعا بغلين وأرسلهما الى أخيه الوليد وكتب اليه أما بعد يا أمير المؤمنين فقد وجهت اليك يزيد وابن أخيك أيوب بن سليمان ولقد هممت أن أكون ثالثهما فان هممت يا أمير المؤمنين بقتل

اجتمعت يوما بنو هاشم عند معاوية فاقبل عليهم فقال يابنى هاشم والله ان خيرى لكم لممنوح وان بابى لكم لمفتوح وقد نظرت فى أمرى وأمركم فرأيت أمرا مختلفا انكم ترون أنكم أحق منى بما فى يدى فاذا أعطيتكم عطية فيها قضاء حقوقكم قلتم أعطانا دون حقنا وقصر بنا عن قدرنا هذا مع انصاف قائلكم واسعاف سائلكم فاقبل عليه ابن عباس رضى الله عنهما وكان جريئا عليه فقال والله ما منحتنا شيئا حتى سألناه ولا فتحت لنا بابا حتى قرعناه وأما هذا المال فمالك منه الا ما لرجل واحد من المسلمين ولولا حقنا فى هذا المال لم يأتك منا أثر تحمله خف ولا حافر وأما حربنا اياك بصفين فعلى تركك الحق وادعائك الباطل أكفاك أم أزيدك قال كفانى (وقال الشعبى) قال ابن الزبير يوما لابن عباس قاتلت أم المؤمنين وحوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما أم المؤمنين فأنت أخرجتها أنت وأبوك وخالك وبنا سميت أم المؤمنين وكنا لها خير بنين وقاتلت أنت وأبوك عليا فان كان مؤمنا ضللتم بقتال المؤمنين وان كان على كافرا فقد بؤتم بسخط من الله بفراركم من الزحف (وذكر صاحب العقد) أن عبد الله بن الزبير تزوج امرأة من فزارة يقال لها أم عمرو فلما دخل بها قال هل تدرين من معك قالت نعم عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد قال ليس هذا قالت فأى شىء تريد قال معك من أصبح فى قريش كمنزلة الرأس من الجسد لا بل العينين من

الرأس قالت أما والله لو أن بعض الهاشميين حضرك قال خلافا لقولك قال فالطعام والشراب على حرام حتى أحضر الهاشميين وغيرهم ولا يستطيعون لذلك انكارا قالت ان أطعتني لم تفعل فأنت أعلم بشأنك نخرج من المجلس فاذا بحلقة

يزيد فبالله عليك أبدأ بأيوب من قبله ثم اجعل يزيد ثانيا واجعلني إذا شئت ثالثا والسلام فلما دخل يزيد بن المهلب وأيوب بن سليمان في سلسلة واحدة أطرق الوليد استحياء وقال لقد أسأنا الى أبي أيوب اذ بلغنا به هذا المبلغ فأخذ يزيد ليتكلم ويحتج لنفسه فقال له الوليد ما يحتاج الى كلام فقد قبلنا عذرك وعلمنا ظلم الحجاج ثم انه أحضر حدادا وأزال عنهما الحديد وأحسن اليهما ووصل أيوب بن أخيه بثلاثين ألف درهم ووصل يزيد بن المهلب بعشرين ألف درهم وردهما الى سليمان وكتب كتابا الى الحجاج يقول له لاسبيل لك على يزيد بن المهلب فاياك أن تعاودني فيه بعد اليوم فسار يزيد الى سليمان ابن عبد الملك وأقام عنده في أعلى المراتب وأرفع المنازل (وحكي) أن رجلا من الشيعة كان يسعى في فساد الدولة فجعل المهدي لمن دل عليه أو أتى به مائة ألف درهم فأخذه رجل من بغداد فأيس من نفسه فمر به معن بن زائدة فقال له يا أبا الوليد أجرني أجارك الله فقال معن للرجل مالك وماله فقال ان أمير المؤمنين طالبه قال خل سبيله قال لا أفعل فأمر معن غلمانه فأخذوه غصبا وأردفه بعضهم خلفه ومضى الرجل فأخبر أمير المؤمنين المهدي بالقصة فأرسل خلف معن فاحضره فلما دخل عليه قال له يا معن اتجير علي قال نعم يا أمير المؤمنين قتلت في يوم واحد في طاعتكم خمسة آلاف رجل هذا مع أيام كثيرة تقدمت فيه طاعتي أفما تروني اهلا أن تجيروا إلي رجلا واحدا استجار بي فاستحيا المهدي وأطرق طويلا ثم رفع رأسه وقال قد أجرنا من أجرت يا أبا الوليد قال ان رأى أمير المؤمنين أن يصل من استجار بي فيكون قد أجاره وحباه قال قد أمرت له بخمسين ألف درهم فقال معن يا أمير المؤمنين ينبغي أن تكون صلات الخلفاء على قدر جنايات الرعية وان ذنب الرجل عظيم فان رأى أمير المؤمنين أن يجزل صلته فليفعل قال قد أمرت له بمائة ألف درهم فرجع معن الى منزله ودعا بالرجل ودفع له المال ووعظه وقال له لا تتعرض لسخط الخلفاء وكان جعفر بن أبي طالب يقول لابيه يا أبت اني لا استحي أن أطعم طعاما وجيرا اني لا يقدرون على مثله فكان أبوه يقول اني لارجو أن يكون فيك خلف من عبد المطلب * وسقط الجراد قريبا من بيت بعض العرب فجاء أهل الحي فقالوا نريد جارك فقال أما اذ جعلتموه جاري فوالله لا تصلون اليه وأجاره حتى طار فسمي مجير الجراد وقيل هو أبو حنبل والحكايات في معنى ذلك كثيرة والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب الثلاثون في الخير والصلاح وذكر السادة الصحابة وذكر الأولياء والصالحين رضي الله تعالى عنهم أجمعين ﴾

(اعلم) أن أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين وفضائلهم أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر واني والله أحبهم وأحب من يحبهم وأسأل الله أن يميتني على محبة النبي محمد ﷺ ومحبتهم وأن يحشرنا في زمرتهم وتحت ألويتهم انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير

اني أحب أبا حفص وشيعته * كما أحب عتيقا صاحب الغار
وقد رضيت عليا قدوة علما * ومارضيت بقتل الشيخ في الدار
كل الصحابة ساداتي ومعتقدي * فهل علي بهذا القول من عار

وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من أصبح منكم اليوم صائما فقال أبو بكر أنا يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ فمن أطعم اليوم منكم مسكينا فقال أبو بكر أنا قال فمن عاد منكم

اليوم

فيها جماعة من قريش وفيها من بني هاشم عبد الله بن عباس رضي الله عنه وعبد الله بن الحرث ابن عبد المطلب فقال لهم ابن الزبير اني أحب ان تنطلقوا معي الى منزلي فقام القوم بأجمعهم حتى وقفوا على باب بيته فقال ابن الزبير يا هذه اطرحي عليك سترك ثم أذن للقوم فلما أخذوا مجالسهم دعا ابن الزبير بالمائدة فتغدى القوم فلما فرغوا قال ابن الزبير انما جمعتكم لحديث ردته على صاحبة هذا الستر وزعمت ان لو كان بعض بني هاشم حاضرا ما أقر لي بما قلت وقد حضرتم جميعا والحديث الذي ردته علي قلت لها ليلة الدخول بها وأنا معها في خدرها ان معك من أصبح في قريش بمنزلة الرأس من الجسد لا بل العينين من الرأس فردت على مقالي فقال ابن عباس ان شئت أقول وان شئت أكفف قال لا بل قل وما عسيت أن تقول ألست تعلم أن الزبير حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وان أمي أسماء بنت أبي بكر الصديق ذات النطاقين وان خديجة سيدة نساء أهل الجنة عمتي وان صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم جدتي وأن عائشة أم المؤمنين خالتي فهل تستطيع لهذا انكارا يا ابن عباس قال ابن عباس

اليوم مريضا قال أبو بكر أنا فقال رسول الله ﷺ ما اجتمعن فى أحد الا دخل الجنة وقال ﷺ لو كان بعدى نبي لكان عمر وقال له النبي ﷺ والذى بعثنى بالحق بشيرا ما سلكت واديا الا سلك الشيطان واديا غيره ولما أسلم رضي الله عنه قال يارسول الله ألسنا على الحق قال بلى قال والذى بعثك بالحق نبيا لا نعبد الله سرا بعد هذا اليوم ولما قدم عمر رضى الله عنه الشأم وقف على طور سيناء فأرسل البطريق عظيما لهم وقال انظر الى ملك العرب فرآه على فرس وعليه جبة صوف مرقعة مستقبل الشمس بوجهه ومخلاته فى قربوس السرج وعمر يدخل يده فيها ويخرج فلق خبز يابس يمسحها من التبن ويلوكها فوصفه للبطريق فقال لا نرى بمحاربة هذا طاقة اعطوه ما شاء وأما أمير المؤمنين عثمان رضى الله تعالى عنه ففضائله كثيرة ومناقبه شهيرة فهو جامع القرآن ومن استحيت منه ملائكة الرحمن رضى الله عنه وقال جميع بن عمير دخلت على عائشة رضى الله عنها فقلت لها أخبرينى من كان أحب الناس الى رسول الله ﷺ قالت فاطمة قلت إنما أسألك عن الرجال قالت زوجها فوالله لقد كان صواما قواما ولقد سالت نفس رسول الله ﷺ فى يده فردها الى فيه قلت فما حملك على ما كان فأرسلت خمارها على وجهها وبكت وقالت أمر قضى على وقال معاوية لضرار بن حمزة الكنانى صف لى عليا فاستعفى فألح عليه فقال أما اذن فلابد انه والله كان بعيد المدى شديد القوى يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل وظلمته كان والله غزير العبرة طويل الفكرة يقلب كفه ويعاتب نفسه يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن وكان والله يجيبنا إذا سألناه ويأتينا إذا دعوناه ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه هيبة له يعظم أهل الدين ويحب المساكين لا يطمع القوى فى باطله ولا ييأس الضعيف من عدله فاشهد الله لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه وقد مثل فى محرابه قابضا على لحيته يتململ تململ الخائف ويبكى بكاء الحزين فكانى الآن أسمعه يقول يادنيا الى تعرضت أم إلى تشوقت هيهات هيهات غرى غيرى لقد أبنتك ثلاثا لا رجعة لى فيك فعمرك قصير وعيشك حقير وخطرك كبير آه من قلة الزاد ووحشة الطريق قال فوكفت دموع معاوية حتى ما يملكها على لحيته وهو يمسحها وقد اختنق القوم بالبكاء وقال رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه ياضرار قال حزنى عليه والله حزن من ذبح ولدها فى حجرها فلا ترقأ عبرتها ولا تسكن حيرتها ثم قام فخرج * وقيل أول من سل سيفا فى سبيل الله تعالى الزبير بن العوام رضى الله عنه وذلك أنه صاح على أهل مكة ليلا صائح فقال قتل محمد فخرج متجردا وسيفه معه صلتا فتلقاه رسول الله ﷺ فقال مالك يازبير قال سمعت أنك قتلت قال فماذا أردت أن تصنع قال أردت والله أن أستعرض على أهل مكة وروى أخبط بسيفى من قدرت عليه فضمه رسول الله ﷺ وأعطاه ازاره فاستتر به وقال له أنت حوارى ودعا له * قال الاوزاعى كان للزبير ألف مملوك يؤدون الضريبة لا يدخل بيت ماله منها درهم بل كان يتصدق بها وباع داراله بستمائة ألف درهم فقيل له يا أبا عبد الله غبنت قال كلا والله انى لم أغبن أشهدكم أنها فى سبيل الله تعالى وهبط جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ يوم أحد فقال من حملك على ظهره وكان حمله على ظهره طلحة حتى استقل على الصخرة قال طلحة قال أقرئه السلام وأعلمه انى لا أراه يوم القيامة فى هول من أهوالها الا استنقذته منه من هذا الذى عن يمينك قال المقداد بن الاسود قال ان الله يحبه ويأمرك أن تحبه من هذا الذى بين يديك يتقى عنك قال عمار بن ياسر قال بشره بالجنة حرمت النار على عمار * ومر أبو ذر على النبى ﷺ

لا ولكن ذكرت شرفا وفخرا عظيما غير أنك نلت ذلك كله وانت تفاخر من بفخره فخرت وتسامى من بفضله سموت قال ابن الزبير وكيف ذلك قال لم تذكر مفخراً إلا برسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن أهل بيته وأقرب اليه وأولى بالفخر به قال ابن الزبير فأنا أفاخرك بما كان قبل النبى صلى الله عليه وسلم فقال ابن عباس لقد أنصفت أسائلكم أيها الحضور أعبد المطلب كان أشرف فى قريش أم خويلد قالوا عبد المطلب قال أسائلكم أهاشم كان أشرف فى قريش أم أمية قالوا بل هاشم قال فأسألكم بالله أعبد مناف كان أشرف أم عبد العزى قالوا اللهم عبد مناف فأنشد ابن عباس يقول

تفاخرنى يا ابن الزبير وقد مضى
عليك رسول الله لا قول هازل
فلو غيرنا يا ابن الزبير فخرته
ولكن بنا ساميت شمس الاصائل

وروى عن رسول الله ﷺ انه قال ما افترقت فرقتان الا وكنت فى خيرهما فقد فارقك من لدن قصى بن كلاب فنحن فى فرقة الخير أولا ونحن فى فرقة الخير آخرا فان قلت نعم خصمت وان قلت لا كفرت قال فضحك بعض القوم وقالت المرأة من خلف الستر أما والله لقد نهيته عن هذا المجلس فأبى الاماترى فقال ابن عباس مه أيتها المرأة اقنعى ببعلك وأخذ القوم بيد ابن عباس فقالوا انهض أيها الرجل فقد أفحمته فى منزله غير مرة فنهض ابن عباس وهو يقول

ألا ياقومنا ارتحلوا وسيروا   فلو ترك القطا ليلا لنا ما ﴿ وحكى ﴾ صاحب العقد قال بينما معاوية جالس وعنده
وجوه الناس اذ دخل رجل (١٣٨) من أهل الشام فقام خطيبا وقال لعن الله عليا فاطرق الناس وفيهم الاحنف

فقال الاحنف يا أمير المؤمنين ان هذا القائل ان علم ان رضاك فى لعن المرسلين لعنهم فاتق الله ودع عنك عليا فقد لقى ربه وأفرد بقبره وخلا بعمله وكان والله مبرورا فى سبقه طاهر الثوب ميمون النقيبة عظيم المصيبة فقال له معاوية يا أحنف لقد أغضيت العين على القذى أما والله لتصعدن المنبر وتلعن عليا طوعا أو كرها فقال ان تعفنى خير لك وان تجبرنى على ذلك فوالله لا تجرى شفتاى به أبدا قال وما أنت قائل يا أحنف قال أحمد الله وأصلى على نبيه ثم أقول ان أمير المؤمنين أمرنى أن ألعن عليا ومعاوية وعلى اقتتلا واختلفا وادعى كل واحد منهما أنه مبغى عليه فاذا دعوت فأمنوا رحمكم الله اللهم العن أنت وملائكتك وأنبياؤك وجميع خلقك الباغى منهما على صاحبه والعن الفئة الباغية أمنوا رحمكم الله يامعاوية لا أزيد على ذلك ولا أنقص ولو كان فيه ذهاب نفسى فقال معاوية إذا

أعفيناك انتهى (وقال معاوية) لعقيل ان عليا قطعك ووصلتك ولا يرضينى منك الا أن تلعنه على المنبر قال افعل ما
فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان أمير المؤمنين أمرنى أن ألعن عليا فالعنوه عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين

ومعه جبريل عليه السلام فى صورة دحية الكلبى فلم يسلم فقال جبريل هذا أبوذر لو سلم لرددنا عليه فقال أتعرفه ياجبريل قال والذى بعثك بالحق نبيا لهو فى ملكوت السموات السبع أشهر منه فى الأرض قال بم نال هذه المنزلة قال بزهده فى هذه الحطام الفانية وقال ابن عمر رضى الله عنهما سمعت رسول الله ﷺ يقول ان الله ليدفع بالمسلم الصالح عن ألف بيت من جيرانه البلاء ثم قرأ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض الآية وقال أبو بكر السفاح لابى بكر الهذلى بم بلغ الحسن ما بلغ قال جمع كتاب الله تعالى وهو ابن اثنتى عشرة سنة لم يجاوز سورة الى غيرها حتى يعرف تأويلها ولم يقلب درهما قط فى تجارة ولم يل عملا لسلطان ولم يأمر بشىء حتى يفعله ولم ينه عن شىء حتى يدعه قال السفاح بهذا بلغ وقال الجاحظ كان الحسن يستثنى من كل غاية فيقال فلان أزهد الناس الا الحسن وأفقه الناس الا الحسن وأفصح الناس الا الحسن واخطب الناس الا الحسن وقال بعضهم كان عمر بن عبد العزيز أزهد من أويس لأن عمر ملك الدنيا فزهد فيها وأويس لم يملكها فقيل لو ملكها لفعل كما فعل عمر فقال ليس من لم يجرب كمن جرب وقال أنس فى ثابت البنانى ان للخير مفاتيح وان ثابتا من مفاتيح الخير وكان حبيب الفارسى من أخيار الناس وهو الذى اشترى نفسه من ربه أربع مرات بأربعين ألفا كان يخرج البدرة فيقول يارب اشتريت نفسى منك بهذه ثم يتصدق بها وكان أيوب السختيانى من أزهد الناس وأورعهم ذكر عند أبى حنيفة رحمه الله تعالى فقال رحم الله أيوب لقد شهدت منه مقاما عند منبر النبى ﷺ لا أذكر ذلك المقام الا اقشعر جلدى وقال سفيان الثورى جهدت جهدى على أن أكون فى السنة ثلاثة أيام على ماعليه ابن المبارك فلم أقدر وكان الخليل بن أحمد النحوى من أزهد الناس وأعلاهم نفسا وكان الملوك يقصدونه ويبذلون له الأموال فلا يقبل منها شيئا وكان يحج سنة ويغزو سنة حتى مات رحمه الله وقال ابن خارجة جالست ابن عون عشرين سنة فما اظن الملكين كتبا عليه شيئا وروى أنه غسل كرز بن وبرة فلم يوجد على جسده مثقال لحم وعن محمد بن الحسن قال كان أبو حنيفة واحد زمانه لو انشقت عنه الأرض لانشقت عن جبل من الجبال فى العلم والكرم والزهد والورع وحج وكيع بن الجراح أربعين حجة ورابط فى عبادان أربعين ليلة وختم بها القرآن اربعين ختمة وتصدق بأربعين ألفا وروى أربعة آلاف حديث ومارؤى واضعا جنبه قط ووقف عمر بن عبد العزيز على عطاء ابن أبى رباح وهو أسود مفلفل الشعر يفتى الناس فى الحلال والحرام فتمثل يقول * تلك المكارم لاقعبان من لبن * ومن مشايخ الرسالة رضوان الله عليهم أجمعين سيدى أبو عبد الله محمد بن اسمعيل المغربى استاذ ابراهيم بن شيبان كان عجيب الشأن لم يأكل مما وصلت اليه أيدى بنى آدم سنين كثيرة وكان أكله من أصول العشب شيئا تعود أكله (ومنهم) سيدى فتح بن شحرف بن داود يكنى أبا نصر من الزاهدين الورعين لم يأكل الخبز ثلاثين سنة قال احمد بن عبد الجبار سمعت أبى يقول صحبت فتح بن شحرف ثلاثين سنة فلم أره رفع رأسه الى السماء ثم رفعها يوما فقال طال شوقى اليك فعجل قدومى عليك وقال محمد بن جعفر سمعت اناسا يقول غسلنا فتح بن شحرف فرأينا مكتوبا على فخذه لا إله إلا الله فتوهمناه مكتوبا واذا هو عرق داخل الجلد ومات ببغداد فصلى عليه ثلاثا وثلاثين مرة أقل قوم كانوا يصلون عليه كانوا نحوا من خمسة وعشرين ألفا الى ثلاثين ألفا (ومنهم) سيدى فتح بن سعيد الموصلى يكنى أبا نصر من أقران بشر الحافى وسرى السقطى كبير الشأن فى باب الورع والمجاهدات قال ابراهيم بن نوح الموصلى رجع فتح الموصلى إلى أهله بعد صلاة العتمة وكان صائما فقال عشونى فقالوا ماعندنا شىء نعشيك به فقال مابالكم جلوس فى الظلمة فقالوا

ثم نزل فقال له معاوية ياعقيل انك لم تبين من المراد منا قال والله لازدت حرفا والكلام راجع إلى نية المتكلم (ومن غريب المنقول) مانقل عن المنصور وهو أنه وعد الهذلى بجائزة ونسى فحجا (١٣٩) معا ومرا فى المدينة النبوية ببيت عاتكة فقال الهذلى يا أمير المؤمنين هذا بيت عاتكة الذى يقول فيه الأحوص

يادار عاتكة التى أتعزل

فأنكر عليه أمير المؤمنين المنصور ذلك لانه تكلم من غير أن يسئل فلما رجع الخليفة نظر فى القصيدة إلى آخرها ليعلم ما أراد الهذلى بانشاء ذلك البيت من غير استدعاء فاذا فيها

وأراك تفعل ماتقول وبعضهم * مذق اللسان يقول مالا يفعل *

فعلم المنصور أنه أشار الى هذا البيت فتذكر ماوعده به وأنجزه له واعتذر اليه من النسيان (ومثله) ماحكي أن أبا العلاء المعرى كان يتعصب لأبى الطيب المتنبي فحضر يوما مجلس المرتضى فجرى ذكر أبى الطيب فهضم من جانبه المرتضى فقال أبو العلاء لو لم يكن لأبى الطيب من الشعر الا قوله

لك يا منازل فى القلوب منازل

لكفاه فغضب المرتضى وأمر به فسحب وأخرج وبعد اخراجه قال المرتضى هل تعلمون ما أراد بذكر البيت قالوا لا قال عنى به قول أبى الطيب فى القصيدة

واذا أتتك مذمتى من ناقص * فهى الشهادة لى بأنى كامل

(ومثله قصة السرى الرفاء مع سيف الدولة بسبب المتنبي أيضا) فان السرى الرفاء كان من مداح سيف الدولة وجرى

ماعند ناشىء نسرج به فجعل يبكى من الفرح ويقول الهى مثلى يترك بلا عشاء ولا سراج بأى يد كانت منى فمازال يبكى إلى الصباح وقال فتح رأيت بالبادية غلاما لم يبلغ الحلم وهو يمشى وحده ويحرك شفتيه فسلمت عليه فرد على السلام فقلت إلى أين فقال إلى بيت ربى عز وجل فقلت بماذا تحرك شفتيك قال أتلو كلام ربى فقلت انه لم يجر عليك قلم التكاليف قال رأيت الموت يأخذ من هو أصغر سنا منى فقال خطاك قصيرة وطريقك بعيدة فقال انما على نقل الخطا وعليه البلاغ فقلت أين الزاد والراحلة قال زادى يقينى وراحلتى رجلاى فقلت أسألك عن الخبز والماء قال ياعماه أرأيت لو دعاك مخلوق إلى منزله أكان يجمل بك أن تحمل زادك إلى منزله قلت لا فقال إن سيدى دعا عباده إلى بيته وأذن لهم فى زيارته فحماهم ضعف يقينهم على حمل أزوادهم وانى استقبحت ذلك فحفظت الأدب معه أفتراه يضيعنى فقلت حاشا وكلا ثم غاب عن بصرى فلم أره إلا بمكة فلما رآنى قال أنت أيها الشيخ بعد على ذلك الضعف من اليقين (ومنهم) سيدى أبو عثمان سعيد بن اسمعيل الحيرى صحب شاه الكرمانى ويحيى بن معاذ الرازى وكان يقال فى الدنيا ثلاثة لارابع لهم أبو عثمان الحيرى بنيسابور والجنيد ببغداد وأبو عبد الله الحلاج بالشام ومن كلامه لايكمل الرجل حتى يستوى فى قلبه أربعة أشياء المنع والعطاء والعز والذل وقال منذ أربعين سنة أقامنى الله تعالى فى حال فكرهته ولا نقلنى إلى شيء فسخطته (ومنهم) سيدى سليمان الخواص يكنى أباتراب كان أحد الزهاد المعروفين والعباد الموصوفين سكن الشام ودخل بيروت وكان أكثر مقامه ببيت المقدس قيل اجتمع حذيفة المرعشى وابراهيم بن أدهم ويوسف بن أسباط فتذاكروا الفقر والغنى وسليمان ساكت فقال بعضهم الغنى من كان له بيت يسكنه وثوب يستره وسداد من عيش يكفه عن فضول الدنيا وقال بعضهم الغني من لم يحتج الى الناس فقيل لسليمان ماتقول أنت فى ذلك فبكى وقال رأيت جوامع الغنى فى التوكل ورأيت جوامع الفقر فى القنوط والغنى حق الغنى من أسكن الله فى قلبه من غناه يقينا ومن معرفته توكلا ومن قسمته رضا فذلك الغنى حق الغنى وان أمسى طاويا وأصبح معوزا فبكى القوم من كلامه (ومنهم) سيدى أبو سليمان بن عبد الرحمن بن أحمد بن عطية الدارانى أحد رجال الطريقة قدس الله سره كان من أجل السادات وأرباب الجد فى المجاهدات ومن كلامه من أحسن فى نهاره كفى فى ليله ومن أحسن فى ليله كفى فى نهاره ومن صدق فى ترك شهوة ذهب الله بها من قلبه والله تعالى أكرم من أن يعذب قلبا بشهوة تركت له وقال لكل شيء علامة وعلامة الخذلان ترك البكاء وقال لكل شيء صدأ وصدأ نور القلب شبع البطن وقال أحمد بن أبى الحوارى شكوت إلى أبى سليمان الوسواس فقال اذا أردت أن ينقطع عنك فأى وقت أحسست به فافرح فانك إذا فرحت به انقطع عنك لأنه لاشيء أبغض الى الشيطان من سرور المؤمن واذا اغتممت به زادك وقال ذوالنون المصرى رحمه الله تعالى اجتمعوا ليلا على أبى سليمان الدارانى فسمعوه يقول يارب ان طالبتنى بسريرتى طالبتك بتوحيدك وان طالبتنى بذنوبى طالبتك بكرمك وان جعلتنى من أهل النار أخبرت أهل النار بحبى اياك وقال على بن الحسين الحداد سألت أبا سليمان بأى شيء تعرف الأبرار قال بكتمان المصائب وصيانة الكرامات وروى عنه أنه قال نمت ليلة عن وردى فاذا حوراء تقول لى أتنام وأنا أربى لك فى الخدور منذ خمسمائة عام (ومنهم) سيد أبو محمد عبدالله بن حنيف من زهاد المتصوفة كوفى الأصل ولكنه سكن انطاكية * ومن كلامه لاتغتم الا من شيء يضرك غدا ولا تفرح الا بشيء يسرك غدا وله كرامات ظاهرة وبركات متواترة (ومنهم) سيدى أبو عبد الله محمد بن يوسف البناء أصبهانى الأصل

كتب عن سبعمائة شيخ ثم غلب عليه الانفراد والخلوة الى ان خرج الى مكة بشرط التصوف وقطع البادية على التجريد وكان في ابتداء أمره يكتسب في كل يوم ثلاثة دراهم وثلثا فيأخذ من ذلك لنفسه دانقا ويتصدق بالباقي ويختم مع العمل كل يوم ختمة فاذا صلى العتمة في مسجده خرج إلى الجبل إلى قريب الصبح ثم يرجع الى العمل وكان يقول في الجبل يارب اما أن تهب لي معرفتك أو تأمر الجبل أن ينطبق علي فاني لا أريد الحياة بلا معرفتك (ومنهم) سيدي يحيى بن معاذ الرازي قدس الله سره يكنى أبا زكريا أحد رجال الطريق كان أوحد وقته ومن كلامه لا تكن ممن يفضحه يوم موته ميراثه ويوم حشره ميزانه وقال ليكن حظ المؤمن منك ثلاث خصال ان لم تنفعه فلا تضره وان لم تسره فلا تغمه وان لم تمدحه فلا تذمه وقال الصبر على الخلوة من علامات الاخلاص وقال بئس الصديق صديق يحتاج إلى أن يقال له اذكرني في دعائك وقال على قدر حبك لله يحبك الخلق وعلى قدر خوفك من الله تهابك الخلق وعلى قدر شغلك لله تشتغل في أمرك الخلق وقال من كان غناه في كيسه لم يزل فقيراً ومن كان غناه في قلبه لم يزل غنيا ومن قصد بحوائجه المخلوقين لم يزل محروما وروي أنه قدم شيرازا فجعل يتكلم على الناس في علم الأسرار فأتته امرأة من نسائها فقالت كم تريد أن تأخذ من هذه البلدة قال ثلاثون ألفا أصرفها في دين علي بخراسان فقالت لك علي ذلك على أن تأخذها وتخرج من ساعتك فرضي بذلك فحملت اليه المال فخرج من الغد فعوتبت تلك المرأة فيما فعلت فقالت إنه كان يظهر أسرار أولياء الله تعالى للسوقة والعامة فغرت على ذلك (ومنهم) سيدي يوسف بن الحسين الرازي يكنى أبا يعقوب كان وحيد وقته في اسقاط التصنع عالما أديبا صحب ذا النون المصري وأبا تراب النخشبي من كلامه إذا أردت أن تعلم العاقل من الأحمق فحدثه بالمحال فان قبل فاعلم أنه أحمق وقال إذا رأيت المريد يشتغل بالرخص فاعلم أنه لا يجيء منه شيء وقال لان ألقى الله تعالى بجميع المعاصي أحب الي من أن ألقاه بذرة من التصنع وقال أبو الحسن الدراج قصدت زيارة بن الحسين الرازي من بغداد فلما دخلت بلده سألت عن منزله فكل من سألته يقول أي شيء تريد من هذا الزنديق فضيقوا صدري حتى عزمت على الانصراف فبت تلك الليلة في مسجد ثم قلت في نفسي جئت هذه البلدة فلا أقل من زيارته فلم أزل أسأل عنه حتى وصلت إلى مسجده فوجدته جالسا في المحراب وبين يديه مصحف يقرا فيه فدنوت منه وسلمت عليه فرد علي السلام وقال من أين قلت من بغداد فقال أتحسن من قولهم شيئا قلت نعم وأنشدته

رأيتك تبني دائما في قطيعتي * ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبني

فأطبق المصحف ولم يزل يبكي حتى ابتلت لحيته وثوبه ورحمته من كثرة بكائه ثم التفت إلي وقال يا بني أتلوم أهل البلد على قولهم يوسف بن الحسين زنديق وها أنا ذا من وقت صلاة الصبح أقرأ القرآن ولم تقطر من عيني قطرة وقد قامت علي القيامة بهذا البيت (ومنهم) سيدي حاتم ابن علوان الاصم قدس الله سره يكنى أبا عبد الرحمن من أكابر مشايخ خراسان صاحب شقيق البلخي ومن كلامه الزم خدمة مولاك تأتك الدنيا راغمة والآخرة راغبة وقال من ادعى ثلاثا بغير ثلاث فهو كذاب من ادعى حب الله تعالى من غير ورع عن محارمه فهو كذاب ومن ادعى محبة النبي ﷺ من غير محبة الفقر فهو كذاب ومن ادعى حب الجنة من غير انفاق ماله فهو كذاب وسأله رجل علام بنيت أمرك في التوكل على الله عز وجل قال على أربع خصال علمت أن رزقي لا يأكله غيري فاطمأنت به نفسي وعلمت أن عملي لا

يعمله

في مجلسه يوما ذكر أبي الطيب فبالغ سيف الدولة في الثناء عليه فقال له السري اشتهي أن الأمير ينتخب لي قصيدة من غرر قصائده لأعارضها ويتحقق الامير بذلك انه أركب المتنبي في غير سرجه فقال له سيف الدولة على الفور عارض لنا قصيدته التي مطلعها

لعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقي * وللحب ما لم يبق مني وما بقي

قال السري فكتبت القصيدة واعتبرتها في تلك الليلة فلم أجدها من مختارات أبي الطيب لكن رأيته يقول في آخرها عن ممدوحه

إذا شاء أن يلهو بلحية احمق * أراه غباري ثم قال له الحق

فقلت والله ما أشار سيف الدولة إلا إلى هذا البيت (ومثله) ما حكاه ابن الجوزي في كتاب الأذكياء وهو من الغرائب في هذا الباب أن رجلا من طلبة العلم قعد على جسر بغداد يتنزه فأقبلت امرأة بارعة في الجمال من جهة الرصافة إلى الجانب الغربي فاستقبلها شاب فقال لها رحم الله علي بن الجهم فقالت المرأة رحم الله أبا العلاء المعري وما وقفا بل سار مشرقا ومغربا قال الرجل فتبعت المرأة وقلت والله ان لم تقولي لي ما أراد بابن الجهم فضحتك قالت أراد به قوله

عيون المها بين الرصافة والجسر * جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

وعنيت أنا بأبي العلاء قوله

فيا دارها بالخيف ان مزارها * قريب ولكن دون ذلك أهوال

(ومثله) ما هو منقول عن الامام الحافظ فتح الدين أبي الفتح محمد بن

يعمله غيري فأنا مشغول به وعلمت أن الموت يأتيني بغتة فأنا أبادره وعلمت أني لا أخلو من عين الله عز وجل حيث كنت فأنا أستحي منه * وسبب تسميته بالأصم ماحكاه أبو علي الدقاق أن امرأة جاءت تسأله عن مسألة فاتفق أنه خرج منها صوت ريح فخجلت المرأة فقال حاتم ارفعي صوتك وأراها أنه أصم فسرت المرأة بذلك وقالت انه لم يسمع الصوت فغلب عليه هذا الاسم رحمة الله تعالى عليه (ومنهم) الحسن بن أحمد الكاتب من كبار مشايخ المصريين صحب أبا بكر المصري وأبا علي الروذباري وكان أوحد مشايخ وقته من كلامه روائح نسيم المحبة تفوح من المحبين وان كتموها وتظهر عليهم دلائلها وان أخفوها وتدل عليهم وان ستروها وأنشدوا في هذا المعنى

اذا ما أسرت أنفس الناس ذكره * تبينه فيهم ولم يتكلموا
تطيب به أنفاسهم فتذيعها * وهل سر مسك أودع الريح يكتم

ومن كلامه أيضا اذا انقطع العبد الى الله تعالى بالكلية فأول مايفيده الاستغناء به عن الناس وقال صحبة الفساق داء ودواؤها مفارقتهم وقال اذا سكن الخوف في القلب لاينطق اللسان بما لايعنيه (ومنهم) سيدي جعفر بن نصر الخلدي يكنى بأبي محمد بغدادي المنشأ والمولد صحب الجنيد وانتمى اليه وحج قريبا من ستين حجة روي أنه مر بمقبرة الشونيزية وامرأة على قبر تندب وتبكي بكاء بحرقة فقال لها مالك تبكين فقالت ثكلى بولدي فأنشأ يقول

يقولون ثكلى ومن لم يذق * فراق الأحبة لم يثكل
لقد جرعتني ليالي الفراق * سرابا أمر من الحنظل

وروي أنه كان له فص فوقع منه يوما في الدجلة وكان عنده دعاء مجرب لرد الضالة اذا دعا به عادت فدعا به فوجد الفص في وسط أوراق كان يتصفحها وصورة الدعاء أن تقول ياجامع الناس ليوم لاريب فيه اجمع على ضالتي وقد روي أنه يقرأ قبله سورة الضحى ثلاثا وروى الحافظ أبو بكر الخطيب في تاريخه قال ودعت في بعض حجاتي المزين الكبير الصوفي قلت زودني شيئا فقال ان فقدت شيئا أو أردت أن يجمع الله بيني وبينك وبين انسان فقل ياجامع الناس ليوم لاريب فيه اجمع بيني وبين كذا فان الله يجمع بينك أو بينك وبين ذلك الشيء أو الانسان (ومنهم) سيدي معروف بن فيروز الكرخي قدس الله سره يكنى أبا محفوظ من كبار المشايخ مجاب الدعوة وهو أستاذ السري وكان أبواه نصرانيين فأسلماه الى مؤدبهم وهو صبي فكان المؤدب يقول له قل هو ثالث ثلاثة فيقول بل هو الواحد الصمد فضربه المؤدب على ذلك ضربا وجيعا فهرب منه فكان أبواه يقولان ليته يرجع الينا على أي دين شاء فنوافقه عليه فرجع الى أبويه فدق الباب فقيل من بالباب فقال معروف فقيل على أي دين فقال على دين الاسلام فأسلم أبواه وكان مشهورا باجابة الدعوة ومن كلامه رضي الله عنه اذا أراد الله بعبد خيرا فتح له باب العمل وأغلق عليه باب الفترة والكسل وكان يعاتب نفسه ويقول يامسكين كم تبكي وتندب أخلص تخلص وقال سري سألت معروفا عن الطائعين لله بأي شيء قدروا على الطاعات لله عز وجل قال بخروج حب الدنيا من قلوبهم ولو كانت في قلوبهم لما صحت لهم سجدة ومن انشاداته

الماء يغسل ما بالثوب من درن * وليس يغسل قلب المذنب الماء

وقال ابراهيم الاطروش كان معروف قاعدا يوما على الدجلة ببغداد فمر بنا صبيان في زورق

محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري أن الشيخ بهاء الدين بن النحاس رحمه الله دخل إلى الجامع الأزهر فوجد أبا الحسين الجزار جالسا والى جانبه مليح ففرق بينهما وصلى ركعتين ولما فرغ قال لأبي الحسين ما أردت الا قول ابن سناء الملك فقال أبو الحسين الجزار وأنا تفاءلت بقول صاحبنا السراج الوراق أما مراد الشيخ بهاء الدين فهو اشارة الى قول ابن سناء الملك

أنا في مقعد صدق * بين قواد وعاق

وأما مراد أبي الحسين من قول سراج الوراق فهو

ومهفهف راضي الابى * فقادة سلس القياد
فلما توسط بيننا * جرت الامور على السداد

فبلغ كل منهما ما أراد من صاحبه ولم يشعر أحد بمراد الاثنين غيرهما (قلت) وبالنسبة الى هذا الذكاء المفرط الصادر من هؤلاء القوم يتعين أن نورد هنا نبذة من كتاب الاذكياء لابن الجوزي (فمن ذلك) ماروى عن منصور بن العباس وهو أنه جلس يوما في احدى قباب المدينة فرأى رجلا ملهوفا يجول في الطرقات فأرسل اليه من أتاه به فسأله عن حاله فأخبره أنه خرج في تجارة فأفاد فيها مالا كثيرا وانه رجع بها الى زوجته ودفع المال اليها فذكرت المرأة أن المال سرق من المنزل ولم ير نقبا ولا مسلقا فقال له المنصور منذ كم تزوجتها قال منذ سنة قال تزوجتها بكرا أم ثيبا قال ثيبا قال شابة أم مسنة قال شابة فدعا كل

يضربون بالملاهي و يشربون فقال له أصحابه أما ترى هؤلاء يعصون الله تعالى على هذا الماء فادع
عليهم فرفع يديه إلى السماء وقال إلهي وسيدي كما فرحتهم في الدنيا أسألك أن تفرحهم في الآخرة
فقال له أصحابه انما سألناك أن تدعو عليهم ولم نقل لك ادع لهم فقال اذا فرحهم في الآخرة تاب
عليهم في الدنيا ولم يضركم ذلك وقال سري رأيت معروفا في المنام كأنه تحت العرش والله تعالى
يقول لملائكته من هذا فقالوا أنت أعلم يارب قال هذا معروف الكرخي سكر بحبي لا يفيق
الا بلقائي وقيل له في مرضه أوص فقال إذا مت فتصدقوا بقميصي هذا فاني أحب أن أخرج
من الدنيا عريانا كما دخلتها عريانا وقال أبو بكر الخياط رأيت في المنام كأني دخلت المقابر فاذا
أهل القبور جلوس على قبورهم و بين أيديهم الريحان وإذا أنا بمعروف الكرخي بينهم يذهب و يجي
فقلت يا أبا محفوظ مافعل الله بك أوليس قد مت قال بلى ثم أنشد يقول

موت التقي حياة لا نفاد لها * قد مات قوم وهم في الناس أحياء

(ومنهم قاسم بن عثمان الكرخي) يكنى أبا عبد الملك من أجلاء المشايخ صحب أبا سليمان
الداراني وغيره وكان من أقران السري والحرث المحاسبي وكان أبو تراب النخشبي يصحبه
ومن كلامه من أصلح فيما بقي من عمره غفر له مامضى وما بقي ومن أفسد فيما بقي من عمره
أخذ بما مضى وما بقي السلامة وقال السلامة كلها في اعتزال الناس والفرح كله في الخلوة بالله عز
وجل وسئل عن التوبة فقال التوبة رد المظالم وترك المعاصي وطلب الحلال وأداء الفرائض
وقال لأصحابه أوصيكم بخمس ان ظلمتم فلا تظلموا وان مدحتم فلا تفرحوا وان ذممتم فلا تحزنوا وان
كذبتم فلا تغضبوا وان خانوكم فلا تخونوا وقال محمد بن الفرج سمعت قاسم بن عثمان يقول ان لله عبادا
قصدوا الله بهممهم فأفردوه بطاعتهم واكتفوا به في توكلهم ورضوا به عوضا عن كل ماخطر على قلوبهم
من أمر الدنيا فليس لهم حبيب غيره ولا قرة عين الا فيما قرب اليه وكان يقول قليل العمل مع المعرفة خير
من كثير العمل بلا معرفة ثم قال اعرف وضع رأسك ونم فما عبد الله الخلق بشيء أفضل من المعرفة
و روي عنه أنه قال رأيت في الطواف حول البيت رجلا فتقربت منه فاذا هو لا يزيد على قوله اللهم
قضيت حاجة المحتاجين وحاجتي لم تقض فقلت له مالك لا تزيد على هذا الكلام فقال أحدثك كنا سبعة
رفقاء من بلاد شتى غزونا أرض العدو فاستأسرونا كلنا فاعتزل بنا لتضرب أعناقنا فنظرت إلى
السماء فاذا سبعة أبواب مفتحة عليها سبع جوار من الحور العين في كل باب جارية فقدم رجل منا
فضربت عنقه فرأيت جارية في يدها منديل قد هبطت إلى الأرض فضربت أعناق الستة و بقيت
أنا و بقي باب وجارية فلما قدمت لتضرب عنقي استوهبني بعض خواص الملك فوهبني له فسمعتها
تقول بأي شيء فاتك هذا يا محروم وأغلقت الباب فأنا يا أخي متحسر على مافاتني قال قاسم بن عثمان أراه
أفضلهم لأنه رأى مالم يروا وترك يعمل على الشوق (ومنهم) سيدي أبو بكر دلف بن جحدر الشبلي
كان جليل القدر مالكي المذهب عظيم الشأن صحب الجنيد ومن في عصره وكان يبالغ في تعظيم الشرع
المطهر وكان إذا دخل شهر رمضان المعظم جد في الطاعات و يقول هذا شهر عظمه ربي فأنا أولى
بتعظيمه وسئل عن قول النبي ﷺ خير عمل المرء كسب يمينه فقال اذا كان الليل فخذ ماء وتهيأ
للصلاة وصل ماشئت ومد يديك وسل الله عز وجل فذلك كسب يمينك ولما حج ورأى مكة
المشرفة شرفها الله تعالى وقع مغشيا عليه فلما أفاق أنشد يقول

المنصور بقارورة طيب وقال تطيب بهذا فانه يذهب همك فأخذها وانقلب إلى أهله فقال المنصور لجماعة من نقبائه
اقعدوا على أبواب المدينة فمن مر بكم وشممتم فيه روائح الطيب فأتوني به ومضى الرجل بالطيب إلى
بيته فدفعه إلى المرأة وقال هذا من طيب أمير المؤمنين فلما شمته أعجبها إلى الغاية فبعثت به إلى رجل كانت تحبه وهو الذي دفعت المال اليه فقالت له تطيب بهذا الطيب فتطيب به ومر مجتازا ببعض الأبواب ففاحت منه روائح الطيب فأخذ وأتي به إلى المنصور فقال له من أين استفدت هذا الطيب فتلجلج في كلامه فسلمه إلى صاحب شرطته وقال له ان أحضر كذا وكذا من الدنانير فخذ منه والا فاضربه ألف سوط فما هو إلا أن جرد وهدد حتى أذعن برد الدنانير وأحضرها كهيئتها ثم أعلم المنصور بذلك فدعا صاحب الدنانير وقال له أرأيتك ان رددت اليك الدنانير اتحكمني في امرأتك قال نعم يا أمير المؤمنين قال ها هي دنانيرك وقد طلقت امرأتك وقص عليه الخبر (ومن ذلك) ماروي عن المهدي وهو أن شريك بن عبد الله القاضي دخل عليه يوما فأراد
المهدي أن يبخره فقال للخادم أحضر للقاضي عودا فذهب الخادم فجاء بالعود الذي يلهى به فوضعه في حجر شريك فاضطرب هذه
شريك من ذلك وقال ماهذا يا أمير المؤمنين قال عود أخذه صاحب العسس البارحة فأحببنا أن يكون كسره على يد القاضي فقال شريك

هذه دراهم وأنت محب * مابقاء الدموع فى الآماق

وروى أنه قال كنت يوما جالسا فجرى فى خاطرى أنى بخيل فقلت مهما فتح الله على به اليوم أدفعه إلى أول فقير يلقانى قال فبينما أنا متفكر إذ دخل على شخص ومعه خمسون دينارا فقال اجعل هذه فى مصالحك فأخذتها وخرجت وإذا أنا بفقير مكفوف بين يدى مزين يحلق رأسه فتقدمت اليه وناولته الصرة فقال لى ادفعها للمزين فقلت له إنها دنانير فقال انك لبخيل قال فناولتها للمزين فقال المزين ان من عادتنا أن الفقير اذا جلس بين أيدينا لا نأخذ منه أجرا قال فرميتها فى الدجلة وقلت ما أعزك أحد إلا أذله الله تعالى (ومنهم) سيدى زرقان بن محمد أخو ذى النون المصرى صاحب سياحة كان بجبل لبنان (حكى) عن يوسف بن الحسين الرازى قال بينما أنا بجبل لبنان أدور اذ أبصرت زرقان أخا ذى النون المصرى جالسا على عين ماء وقت صلاة العصر فسلمت عليه وجلست من ورائه فالتفت الى وقال ما حاجتك فقلت بيتا شعر سمعتهما من أخيك ذى النون المصرى أعرضهما عليك فقال قل فقلت سمعته يقول

قد بقينا مذبذبين حيارى * نطلب الوصل ما اليه سبيل
فدواعى الهوى تخف علينا * وخلاف الهوى علينا ثقيل

فقال زرقان ولكنى أقول قد بقينا مذهلين حيارى * حسبنا ربنا ونعم الوكيل
حيثما الفوز كان ذاك منانا * واليه فى كل أمر نميل

فعرضت أقوالهما على طاهر المقدسى فقال رحم الله ذا النون المصرى رجع الى نفسه فقال ما قال ورجع زرقان الى ربه فقال ما قال وقال أبو عبد الرحمن السلمى زرقان بن محمد أخو ذى النون المصرى وأظن أنه أخوة مؤاخاة لا أخوة نسب وكان من أقرانه ورفقائه (ومنهم) سيدى أبو عبد الله النباجى سعيد بن بريد كان من أقران ذى النون المصرى ومن أقران استاذى أحمد بن أبى الحوارى له كلام حسن فى المعرفة وغيرها روى عنه أنه قال أصابنى ضيق وشدة فبت وأنا مفكر فى المسير الى بعض اخوانى فسمعت قائلا يقول لى فى النوم أيجمل بالحر المريد اذا وجد عند الله ما يريد أن يميل بقلبه الى العبيد فانتبهت وأنا من أغنى الناس (ومنهم) سيدى بشر بن الحرث قدس الله روحه يكنى أبا نصر أحد رجال الطريقة أصله من مرو وسكن بغداد وكان من كبار الصالحين وأعيان الاتقياء المتورعين صحب الفضيل بن عياض وروى عن سرى السقطى وغيره ومن كلامه لا تكون كاملا حتى يأمنك عدوك وكيف يكون فيك خير وأنت لا يأمنك صديقك وقال أول عقوبة يعاقبها ابن آدم فى الدنيا مفارقة الأحباب وقال غنيمة المؤمن غفلة الناس عنه وخفاء مكانه عنهم وقال التكبر على المتكبر من التواضع وسئل عن الصبر الجميل فقال الصبر الجميل هو الذى لا شكوى فيه إلى الناس وقيل إنه لقى رجلا سكران فجعل الرجل يقبل يد بشر ويقول ياسيدى يا أبا نصر وبشر لا يدفعه عن نفسه فلما ولى الرجل تغرغرت عينا بشر وجعل يقول رجل أحب رجلا على خير توهمه لعل المحب قد نجا والمحبوب لا يدرى ما حاله * وروى أن امرأة جاءت الى أحمد بن حنبل تسأله فقالت انى امرأة أغزل بالليل والنهار وأبيعه ولا أبين غزل الليل من غزل النهار فهل على فى ذلك شىء فقال يجب أن تبينى فلما انصرفت قال أحمد لابنه اذهب فانظر أين تدخل فرجع فقال دخلت دار بشر فقال قد عجبت أن تكون هذه السائلة من غير بيت بشر ولما مرض مرضه الذى مات فيه قال له أهله نرفع ماءك الى الطبيب قال

جزاك الله خيرا يا أمير المؤمنين ثم أفاضوا فى الحديث حتى نسى الأمر فقال المهدى اشريك ما تقول فى رجل أمر وكيلا له أن يأتى بشىء بعينه فجاء بغيره فتلف ذلك الشىء فقال يضمن يا أمير المؤمنين فقال للخادم اضمن ما أتلفت

(ومن ذلك) أنه حكى انه قدم رجل الى بغداد ومعه عقد يساوى ألف دينار فأراد بيعه فلم يتفق فجاء الى عطار موصوف بالخير والديانة فأودع العقد عنده وحج وأتى بهدية للعطار وسلم عليه فقال من أنت ومن يعرفك فقال أنا صاحب العقد فلما كلمه رفسه وألقاه عن دكانه فاجتمع الناس وقالوا ويلك هذا رجل صالح فما وجدت من تكذب عليه الا هذا فتحير الحاج وتردد اليه فما زاده الا شتما وضربا فقيل له لو ذهبت الى عضد الدولة لحصل لك من فراسته خير فكتب قصته وجعلها على قصبة وعرضها عليه فقال ما شأنك فقص عليه القصة فقال اذهب غدا واجلس فى دكان العطار ثلاثة أيام حتى أمر عليك فى اليوم الرابع فأقف وأسلم عليك فلا ترد على الا السلام فاذا انصرفت أعد عليه ذكر العقد ثم أعلمنى بما يقول لك ففعل الحاج ذلك فلما كان فى اليوم الرابع جاء عضد الدولة فى موكبه العظيم فلما رأى الحاج وقف وقال السلام عليكم فقال الحاج وعليكم السلام ولم يتحرك فقال يا أخى تقدم من العراق ولا تأتينا ولا تعرض علينا حوائجك فقال له ما اتفق هذا ولم يزده على ذلك شيئا هذا والعسكر واقف بكماله فانذهل العطار وأيقن بالموت فلما

أنا بعين الطبيب يفعل بي ما يريد فالحوا عليه فقال لأخته ادفعي اليهم الماء فدفعته اليهم في قارورة وكان بالقرب منهم طبيب نصراني فدفعوا اليه القارورة فقال حركوا الماء فحركوه فقال ضعوه فوضعوه فقالوا له ما بهذا وصفت لنا قال وبماذا وصفت لكم قالوا وصفت بأنك أحذق أهل زمانك في الطب قال هو كما وصفت لكم أن هذا الماء ان كان ماء نصراني فهو ماء راهب قد فتت الخوف كبده وان كان ماء مسلم فماء بشر الحافي لأن ما في زمانه أخوف منه قالوا هو ماء بشر فقال أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فلما رجعوا إلى بشر قال لهم أسلم الطبيب قالوا ومن أعلمك بهذا قال لما خرجتم من عندي نوديت يا بشر ببركة مائك أسلم الطبيب توفي سنة سبع وعشرين ومائتين (ومنهم) سيدي أبو يزيد طيغور بن عيسى البسطامي من أجل المشايخ كبير الشأن ومن كلامه مازلت أسوق الى الله تعالى نفسي وهي تبكي الى أن سقتها وهي تضحك وسئل بأي شيء وجدت هذه المعرفة فقال ببطن جائع وبدن عار وقيل له ما أشد ما لقيت في سبيل الله تعالى فقال لا يمكن وصفه فقيل له ما أهون ما لقيته نفسك منك فقال أما هذا فنعم دعوتها الى شيء من الطاعات فلم تجبني فمنعتها الماء سنة وقال الناس كلهم يهربون من الحساب ويتجافون عنه وأنا أسال الله تعالى أن يحاسبني فقيل له لم فقال لعله يقول فيما بين ذلك يا عبدي فأقول لبيك فقوله لي يا عبدي أحب إلي من الدنيا وما فيها ثم بعد ذلك يفعل بي ما يشاء وقال له رجل دلني على عمل أتقرب به الى ربي فقال أحب أولياء الله ليحبوك فان الله تعالى ينظر الى قلوب أوليائه فلعله ينظر إلى اسمك في قلب ولي فيغفر لك وسئل عن المحبة فقال استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك توفي سنة احدى وستين ومائتين رحمه الله تعالى (ومنهم) شيخ الطائفة سيدي أبو القاسم الجنيد بن محمد القواريري شيخ وقته وفريد عصره أصله من نهاوند ومولده ومنشؤه ببغداد صحب جماعة من المشايخ وصحب خاله السري والحرث المحاسبي ودرس الفقه على أبي ثور وكان يفتي في مجلسه بحضرته وهو ابن عشرين سنة * ومن كلامه رضي الله عنه علامة اعراض الله تعالى عن العبد أن يشغله بما لا يعنيه وقال الادب أدبان أدب السر وأدب العلانية فأدب السر طهارة القلوب وأدب العلانية حفظ الجوارح من الذنوب ورؤي في يده يوماً سبحة فقيل له أنت مع تمكنك وشرفك تأخذ بيدك سبحة فقال نعم سبب وصلنا به إلى ما وصلنا لا نتركه أبداً وقال الحسن بن محمد السراج سمعت الجنيد يقول رأيت ابليس في منامي وكأنه عريان فقلت له ألا تستحي من الناس فقال بالله هؤلاء عندك من الناس لو كانوا من الناس ما تلاعبت بهم كما يتلاعب الصبيان بالكرة ولكن الناس عندي ثلاثة نفر فقلت ومن هم قال في مسجد الشونيزي قد أضنوا قلبي وانحلوا جسمي كلما هممت بهم أشاروا الى الله عز وجل فكادوا أن أحرق قال الجنيد فانتبهت من نومي ولبست ثيابي وجئت الى مسجد الشونيزي بليل فلما دخلت أخرج أحدهم رأسه وقال يا أبا القاسم أنت كلما قيل لك شيء تقبل قيل ان الثلاثة الذين كانوا في المسجد الشونيزي أبو حمزة وأبو الحسن النوري وأبو بكر الدقاق رضي الله عنهم وقال محمد بن قاسم الفارسي بات الجنيد ليلة العيد في الموضع الذي كان يعتاده في البرية فاذا هو وقت السحر بشاب ملتف في عباءة وهو يبكي ويقول

بحرمة غربتي كم ذا الصدود * ألا تحنوا على ألا تجودوا * سرور العيد قد عم النواحي
وحزني في ازدياد لا يبيد * فان كنت اقترفت خلال سوء * فعذري في الهوى أن لا أعود

توفي الجنيد رحمه الله تعالى سنة سبع وتسعين ومائتين ببغداد وصلى عليه نحو ستين ألفا رضوان الله عليهم أجمعين

انصرف عضد الدولة التفت العطار الى الحاج وقال له يا أخي متى أودعتني هذا العقد وفي أي شيء هو ملفوف فذكرني لعلي أتذكر فقال من صفته كذا وكذا فقام وفتش ثم فتح (١٤٤) جرابا وأخرج منه العقد وقال الله أعلم اني كنت ناسيا ولو لم تذكرني ما تذكرت فأخذ الحاج العقد ومضى الى عضد الدولة فأعلمه فعلقه في عنق العطار وصلبه على باب دكانه ونودي عليه هذا جزاء من استودع ثم جحد ثم أخذ الحاج العقد ومضى الى بلاده (ومثله ما نقل عن ذكاء اياس الذي سارت به الركبان) قيل ان رجلا استودع امين اياس مالا وخرج المودع الى الحجاز فلما رجع طلبه فجحده فأتى اياسا فأخبره فقال له اياس أعلمته انك أتيتني قال لا قال افنازعته عند غيري قال لا قال فانصرف واكتم سرك ثم عد الي بعد يومين فمضى الرجل ودعا أياس أمينة فقال قد حضر عندنا مال كثير أريد أن أسلمه اليك أفحصين منزلك قال نعم قال فأعد موضعا للمال وقوما يحملونه وعاد الرجل الى اياس فقال انطلق الى صاحبك فان اعطاك المال فذاك وان جحد فقل له اني أخبر القاضي بالقصة فأتى الرجل صاحبه فقال تعطيني الوديعة او أشكوك الى القاضي وأخبره بالحال فدفع اليه المال فرجع الرجل وأخبر اياسا وقال أعطاني الوديعة وجاء الأمين الى اياس ليأخذ المال الموعود به فزجره وقال له لا تقربني بعد هذا يا خائن (ومثله) انه ولي القضاء بواسط رجل مشهور بالدين والذكاء المفرط فجاءه رجل استودع

بعض الشهود كيسا مختوما ذكر أن فيه ألف دينار فلما حصل الكيس عند الشاهد وطالت غيبة المودع ظن أنه قد مات فهم بانفاق المال وخشي من مجيء صاحبه ففتق الكيس من أسفله وأخذ الدنانير وجعل مكانها دراهم وأعاد الخياطة كما كانت فقدر أن الرجل حضر الى واسط وطالب الشاهد بوديعته فأعطاه الكيس بختمه فلما حصل فى منزله فض ختمه فاذا فى الكيس دراهم فرجع الى الشاهد وقال له أردد على مالى فانى أودعتك دنانير والذى وجدت دراهم فأنكر فاستدعى عليه الى القاضي المتقدم ذكره فلما حضرا بين يديه قال الحاكم للمستودع منذ كم أودعك الكيس قال منذ خمس عشرة سنة فقال القاضى لصاحب الكيس أحضر لى الدراهم فأحضرها فقال القاضى للشهود اعتبروا تواريخ الدراهم فقرؤا سككها فاذا منها ماله سنتان وثلاث سنين ونحو ذلك فأمره أن يدفع له الدنانير فدفعها وعزله القاضى وأطاف به البلد وأسقطه

﴿ومثله بل أغرب منه﴾ أن رجلا استودع رجلا مالا ثم طلبه فجحده فخاصمه الى إياس وقال المدعى انى أطالبه بمال أودعته اياه وقدره كذا وكذا فقال له أياس ومن حضرك قال كان رب العزة حاضرا قال دفعته اليه فى أى مكان قال فى موضع كذا قال فأى شيء تعهده من ذلك الموضع قال شجرة عظيمة قال فانطلق الى الموضع وانظر الى الشجرة لعل الله يظهر لك علامة يتبين بها حقك أو لعلك

أجمعين وممن صحبته وانتفعت بصحبته وفاضت الخيرات على بركته سيدى الشيخ الامام العالم العامل أبو المعالى وأبو الصدق أبو بكر بن عمر الطربنى المالكى قدس الله سره وروحه ونور ضريحه كان أوحد زمانه فى الزهد والورع قامعا لأهل الضلال والبدع وله أسرار ظاهرة وبركات متواترة قد أطاع أمره الخلائق عجما وعربا وانتشر ذكره فى البلاد شرقا وغربا وأتت الملوك الى بابه واختاروا أن يكونوا من جملة أصحابه ما أتاه مكروب إلا فرج الله كربته ولا طالب حاجة إلا قضى الله حاجته كان محافظا على النوافل ملازما للفرض وكان أكثر أكله من المباح من نبات الأرض لم يمتع نفسه فى الدنيا بالمآكل والمشارب اللذيذة بل قيل انه غضب على نفسه مرة فمنعها شرب الماء شهوراً عديدة وكان رضى الله عنه كثير الشفقة والحنو على أصحابه نصوحا لجميع خلق الله من أعدائه وأحبابه يدخل عليه أعدى عدوه فيقبل ببشره وبره عليه فيخرج من عنده وهو أحب الناس اليه كما قال بعضهم

وإنى لالقى المرء أعلم أنه * عدوى وفى أحشائه الضغن كامن
فأمنحه بشرى فيرجع قلبه * سليما وقد ماتت لديه الضغائن

وكانت حملة أهل زمانه عليه وأحوالهم فى كل أمر راجعة اليه وكنت كثيرا ما أسمعه يتمثل بهذا البيت

وما حملونى الضيم إلا حملته * لأنى محب والمحب حمول

وكان رضى الله عنه كثير المصافاة عظيم الموافاة شأنه الحلم والستر لم يهتك حرمة مسلم ولا فضحه وما استشاره أحد فى أمر إلا أرشده الى الخير ونصحه صحبته رضي الله عنه نحو خمس عشرة سنة فكأنها من طيبها كانت سنة ما قطع بره يوما واحدا عنى حتى كنت أظن أن ليس عنده أخص منى وكان ذلك فعله مع جميع أصحابه قاطبة بيض الله وجهه فى القيامة وبلغه من فضل ربه ما آربه وكان رضى الله عنه فقيها فى مذهب الامام مالك إمام كبير لم ير له فى زمانه من شبيه ولا نظير وله فى علم الحقيقة أقوال وكم رأينا له من مكاشفات وأحوال ولو تتبعت مناقبه لاتسع الكلام ولكنى أقول كان أوحد عصره والسلام عاش رضى الله عنه نيفا وستين سنة وكان الناس فى زمانه فى عيشة راضية وأحوال حسنة وكان رضى الله عنه كثير الامراض والأسقام حصل له فى آخر عمره ضعف شديد أقام به نحو سنة ثم تزايد مرضه فى العشر الأول من ذى الحجة الحرام فلما كانت ليلة الحادى عشر اشتد به الأمر واحتضر ولم يزل فى النزع الى ثلث الليل الأول من الليلة المذكورة ثم توفى رحمه الله تعالى سعيدا حميدا فى ليلة الجمعة حادى عشر ذى الحجة الحرام سنة سبع وعشرين وثمانمائة ولما أخبر الناس بوفاته عظم مصابه على المسلمين ووقع النوح والبكاء والاسف فى أقطار البلدان حتى طوائف المخالفين للملة من النصارى وغيرهم وصاروا يبكون ويتوجعون ويتأسفون على فراقه وكيف لا وهو إمام العصر علامة الدهر حق فيه قول القائل

حلف الزمان ليأتين بمثله * حنثت يمينك يا زمان فكفر

رضى الله عنه ورضى عنا به ونفعنا ببركته فى الدين والدنيا والآخرة فشرعوا فى تجهيزه وغسله فكنت ممن حضر غسله ولكن لم يكن ذهنى معى فى تلك الساعة لما جرى علينا من المصيبة بفقده كيف لا وقد كان لى والدا شفوقا وبارا محسنا عشوقا فلما انتهى غسله رضى الله عنه جاء القضاة والنواب والكشاف والولاة وحملوه على أعناقهم ومضوا به الى جامع الخطبة بالمحلة فضاق بهم الجامع على سعته وضاقت الشوارع والسكك والطرقات من كثرة الناس فلم يرأ كثر جمعا ولا أغزر دمعا من ذلك اليوم وهذا دليل

على أنه كان قطب أهل زمانه * قال الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه بيننا وبينهم الجنائز يريد بذلك اجماع الناس والله أعلم فارتفع نعشه على أعناقهم وتقدم للصلاة شيخه العارف بالله تعالى سيدى سليمان الدواخلى نفعنا الله ببركته ودفن يوم الجمعة بزاويته التى أنشأها بسندفامع والده الشيخ الامام العالم العلامة مفتى المسلمين سراج الدين أبى حفص عمر الطرينى المالكى فى قبر واحد نفعنا الله ببركته وجعل الجنة متقلبه ومثواه وحشرنا واياه فى زمرة سيد الأولين والآخرين محمد خاتم النبيين وأفضل المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ونسأله لنا التوفيق والاعانة وأن يمتع المسلمين بطول بقاء أخيه سيدنا ومولانا الشيخ شمس الدين محمد الطرينى أدام الله أيامه للمسلمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

﴿ الباب الحادى والثلاثون فى مناقب الصالحين وكرامات الأولياء رضى الله عنهم ﴾

﴿ اعلم ﴾ أن كرامات الاولياء لا تنكر ومناقبهم أكثر من أن تحصر نسأل الله تعالى أن يحشرنا معهم فى زمرة نبينا محمد ﷺ يوم المحشر انه على مايشاء قدير وبالاجابة جدير وهو حسبنا ونعم الوكيل ﴿حكاية﴾ قال مالك بن دينار رحمه الله تعالى احتبس عنا المطر بالبصرة فخرجنا نستسقى مرارا فلم نر للاجابة أثرا فخرجت أنا وعطاء السلمى وثابت البنانى ويحيى البكاء ومحمد بن واسع وأبو محمد السختيانى وحبيب الفارسى وحسان بن ثابت بن أبى سنان وعتبة الغلام وصالح المزنى حتى اذا صرنا الى المصلى بالبصرة خرج الصبيان من المكاتب ثم استسقينا فلم نر للاجابة أثرا حتى انتصف النهار وانصرف الناس وبقيت أنا وثابت البنانى بالمصلى فلما أظلم الليل إذا أنا بعبد أسود مليح رقيق الساقين عليه جبة صوف قومت ماعليه بدرهمين فجاء بماء فتوضأ ثم جاء الى المحراب فصلى ركعتين خفيفتين ثم رفع طرفه الى السماء وقال إلهى وسيدى ومولاى الى كم ترد عبادك فيما لا ينفعك أنفد ماعندك أم نقص مافى خزائنك أقسمت عليك بحبك لى الا ما أسقيتنا غيثك الساعة قال فما تم كلامه حتى تغيمت السماء وجاءت بمطر كأفواه القرب قال مالك فتعرضت له وقلت له يا أسود أما تستحى مما قلت قال وما قلت قلت قولك بحبك لى ومايدريك أنه يحبك قال تنح عنى يامن اشتغل عنه بنفسه أفتراه بدأنى بذلك إلا لمحبته إياى ثم قال محبته لى على قدره ومحبتى له على قدرى فقلت له يرحمك الله ارفق قليلا فقال إنى مملوك وعلى فرض من طاعة مالكى الصغير قال فانصرف وجعلنا نقفوا أثره على البعد حتى دخل دار نخاس فلما أصبحنا أتينا النخاس فقلت يرحمك الله عندك غلام تبيعه منا للخدمة قال نعم عندى مائة غلام للبيع فجعل يعرض علينا غلاما بعد غلام حتى عرض علينا سبعين غلاما فلم ألق حبيبى فيهم فقال عودا الى فى غير هذا الوقت فلما أردنا الخروج من عنده دخلنا حجرة خربة خلف داره واذا بالأسود قائم يصلى فقلت حبيبى ورب الكعبة فجئت الى النخاس فقلت له بعنى هذا الغلام فقال يا أبا يحيى هذا الغلام ليست له همة فى الليل إلا البكاء وفى النهار إلا الخلوة والوحدة فقلت له لا بد من أخذه منك ولك الثمن وما عليك منه فدعاه فجاء وهو يتناعس فقال خذه بما شئت بعد أن تبرئنى من عيوبه كلها فاشتريته منه بعشرين دينارا وقلت له ما اسمك قال ميمون فأخذت بيده أريد المنزل فالتفت الى وقال يامولاى الصغير لماذا اشتريتنى وأنا لا أصلح لخدمة المخلوقين فقلت له والله ياسيدى انما اشتريتك لأخدمك بنفسى قال ولم ذلك فقلت ألست صاحبنا البارحة بالمصلى قال بلى وقد اطلعت على ذلك قلت نعم وأنا الذى عارضتك البارحة فى الكلام بالمصلى قال فجعل يمشى حتى أتى الى مسجد فاستأذننى ودخل المسجد فصلى فيه ركعتين خفيفتين ثم رفع طرفه الى السماء وقال إلهى وسيدى ومولاى سر كان بينى

وبينك

دفنت مالك تحت الشجرة فنسيت فتذكره اذا رأيت الشجرة فمضى الرجل مسرعا فقال أياس للرجل المدعى عليه اقعد حتى يرجع خصمك فجلس واياس يقضى بين الناس (١٤٦) ونظر اليه بعد ذلك ثم قال له ياهذا أترى صاحبك بلغ موضع الشجرة التى ذكرها قال لا فقال له والله ياعدو الله انك لخائن فقال أقلنى أقالك الله يا أمير المؤمنين فأمر من يحتفظ به حتى جاء الرجل فقال أياس قد أقر بحقك فخذه ﴿ ومن لطائف المنقول من كتاب الأذكياء ﴾ أن يحيى بن أكثم القاضى ولى القضاء بالبصرة وسنه عشرون سنة فاستصغره أهل البصرة فقال أحدهم كم سن القاضى فعلم يحيى أنه استصغره فقال أنا أكبر من عتاب بن أسيد حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضيا على أهل مكة يوم الفتح وأنا أكبر من معاذ بن جبل حين وجه به رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضيا على أهل اليمن وأنا أكبر من كعب بن سور حين ولاه عمر بن الخطاب قاضيا على أهل البصرة قال فعظم فى أعين أهل البصرة وهابوه ﴿ ومن المنقول من كتاب الأذكياء ﴾ أن بعض اللصوص دخل بيته ومعه جماعة تحت أمره ونهيه فى القتل والسرقة فظفروا بصاحب البيت وأوقفوه للقتل فتدخل عليهم فى إبقاء مهجته وأخذ ما فى البيت بكماله فقال كبيرهم حلفوه بالطلاق الثلاث وعلى المصحف أنه لا يعلم بهم أحدا فأصبح الرجل يرى اللصوص يبيعون متاعه ولا

وبينك أطلعت عليه غيرك فكيف يطيب الآن عيشي أقسمت عليك بك الا ماقبضتني اليك الساعة ثم سجد فانتظرته ساعة فلم يرفع رأسه فجئت اليه وحركته فاذا هو قد مات رحمة الله تعالى عليه قال فمددت يديه ورجليه فاذا هو ضاحك مستبشر وقد غلب البياض على السواد ووجهه كالقمر ليلة البدر واذا شاب قد دخل من الباب وقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أعظم الله أجورنا وأجوركم في أخينا ميمون هاكم الكفن فناولني ثوبين ما رأيت مثلهما قط فغسلناه وكفناه فيهما ودفناه قال مالك بن دينار فبقبره نستسقي الى الآن ونطلب الحوائج من الله تعالى رحمة الله عليه (وحكى) عن حذيفة المرعشي رضي الله عنه وكان قد خدم ابراهيم الخواص رضي الله عنه وصحبه مدة فقيل له ما أعجب ما رأيت منه فقال بقينا في طريق مكة أياما لم نأكل طعاما فدخلنا الكوفة فأوينا الى مسجد خرب فنظر إلي ابراهيم وقال يا حذيفة أرى بك أثر الجوع فقلت هو كما ترى فقال علي بدواة وقرطاس فأحضرتهما إليه فكتب بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقصود بكل حال والمشار اليه بكل معنى ثم قال

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر * أنا جائع أنا ضائع أنا عاري * هي ستة وأنا الضمين لنصفها
فكن الضمين لنصفها يا باري * مدحي لغيرك لهب نار خضتها * فأجر عبيدك من لهيب النار

قال حذيفة ثم دفع إلي الرقعة وقال اخرج بها ولا تعلق قلبك بغير الله تعالى وادفعها إلى أول من يلقاك قال فخرجت فأول من لقيني رجل على بغلة فناولته الرقعة فأخذها فقرأها وبكى وقال ما فعل بصاحب هذه الرقعة قلت هو في المسجد الفلاني فدفع إلي صرة فيها ستمائة درهم فأخذتها ومضيت فوجدت رجلا فسألته من هذا الراكب على البغلة فقال هو رجل نصراني قال فجئت ابراهيم وأخبرته بالقصة فقال لا تمس الدراهم فان صاحبها يأتي الساعة فلما كان بعد الساعة أقبل النصراني راكبا على بغلته فترجل على باب المسجد ودخل فأكب على ابراهيم يقبل رأسه ويديه ويقول أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله قال فبكى ابراهيم الخواص فرحا به وسرورا وقال الحمد لله الذي هداك للاسلام وشريعة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ﴿ وحكى ﴾ أن بعضهم كان ملاحا ببحر النيل المبارك بمصر قال كنت أعدي من من الجانب الغربي الى الجانب الشرقي ومن الجانب الشرقي إلى الجانب الغربي فبينما أنا ذات يوم في الزورق اذا بشيخ مشرق الوجه عليه مهابة فقال السلام عليكم فرددت عليه السلام فقال أتحملني إلى الجانب الغربي لله تعالى فقلت نعم فطلع الى الزورق وعديت به الى الجانب الغربي وكان على ذلك الفقير مرقعة وبيده ركوة وعصا فلما أراد الخروج من الزورق قال اني أريد أن أحملك أمانة قلت وما هي قال اذا كان غدا وقت الظهر تجدني عند تلك الشجرة ميتا وستنسى فاذا ألهمت فأتني وغسلني وكفني في الكفن الذي تجده عند رأسي وصل علي وادفني تحت الشجرة وهذه المرقعة والعصا والركوة يأتيك من يطلبها منك فادفعها اليه ولا تحتقره قال الملاح ثم ذهب وتركني فتعجبت من قوله وبت تلك الليلة فلما أصبحت انتظرت الوقت الذي قال لي فلما جاء وقت الظهر نسيت فما تذكرت الا قريب العصر فسرت بسرعة فوجدته تحت الشجرة ميتا ووجدت كفنا جديدا عند رأسه تفوح منه رائحة المسك فغسلته وكفنته فلما فرغت من غسله حضر عندي جماعة عظيمة لم أعرف منهم أحدا فصلينا عليه ودفنته تحت الشجرة كما عهد إلي ثم عدت الى الجانب الشرقي وقد دخل الليل فنمت فلما طلع الفجر وبانت

بقدر ان يتكلم لأجل اليمين فجاء الى أبي حنيفة وأعلمه بحاله فقال له احضر أكابر حيك خبرن وأدجيرانك وامام جماعتك فلما حضروا قال لهم أبو حنيفة هل تحبون أن يرد الله على هذا الرجل متاعه قالوا نعم فقال اجمعوا داعريكم فادخلوهم الجامع ثم أخرجوهم واحدا واحدا وكلما خرج منهم واحد قولوا هذا لصك فان كان ليس بلصه قال لا وان كان لصه فليسكت فاذا سكت فاقبضوا عليه ففعلوا ذلك فرد الله عليه ما سرق له (ومنه) ان الربيع صاحب المنصور كان يعادي أبا حنيفة فحضر يوما عند أمير المؤمنين فقال الربيع يا أمير المؤمنين ان أبا حنيفة يخالف جدك ابن عباس وكان جدك يقول اذا حلف الرجل على شيء ثم استثنى بعد ذلك بيوم أو بيومين كان ذلك جائزا وأبو حنيفة لا يجوز ذلك الا متصلا باليمين فقال أبو حنيفة يا أمير المؤمنين ان الربيع يزعم أن ليس لك في رقاب جندك عهد قال كيف ذلك قال يحلفون لك ثم يرجعون الى منازلهم فيستثنون فتبطل أيمانهم فضحك المنصور وقال يا ربيع لا تتعرض لأبي حنيفة (ومنه) ان الامام أبا حنيفة رضي الله عنه قال دخلت البادية فاحتجت الى الماء فجاءني اعرابي ومعه قربة ملآنة فأبى أن يبيعها الا بخمسة دراهم فدفعتها له ثم أخذت القربة فقلت ما رأيك يا اعرابي في السويق فقال هات فأعطيته سويقا ملتوتا بزيت فجعل يأكل حتى امتلأ ثم عطش فقال علي بشربة فقلت بخمسة دراهم على

الوجوه اذا نا بشاب قد أقبل علي فحققت النظر في وجهه فاذا هو من صبيان الملاهي كان يخدمهم فأقبل
وعليه ثياب رقاق وهو مخضوب الكفين وطاره تحت ابطه فسلم علي فرددت عليه السلام فقال ياملاح
أنت فلان بن فلان قلت نعم قال هات الوديعة التي عندك قلت ومن أين لك هذا قال لا تسأل فقلت لابد
أن تخبرني فقال لا أدري الا أني البارحة كنت في عرس فلان التاجر فسهرنا نرقص ونغني الى أن
ذكر الله الذاكرون على المآذن فنمت لأستريح واذا برجل قد أيقظني وقال ان الله تعالى قد قبض
فلانا الولي وأقامك مقامه فسر الى فلان بن فلان صاحب الزورق فان الشيخ أودع لك عنده كيت
وكيت قال فدفعتها له فخلع أثوابه الرقاق ورمى بها في الزورق وقال تصدق بها على ماشئت وأخذ الركوة
والعصا ولبس المرقعة وسار وتركني أتحرق وأبكي لما حرمت من ذلك وأقمت يومي ذلك أبكي إلى
الليل ثم نمت فرأيت رب العزة جل جلاله في النوم فقال ياعبدي أثقل عليك ان مننت على عبد عاص
بالرجوع إلي إنما ذلك فضلي أوتيه من أشاء من عبادي وأنا ذو الفضل العظيم (وحكى) أبو اسحق
الصعلوكي قال خرجت سنة إلى الحج فبينما أنا في البادية تائه وقد جن الليل وكانت ليلة مقمرة اذ سمعت
صوت شخص ضعيف يقول يا أبا اسحق قد انتظرتك من الغداة فدنوت منه فاذا هو شاب نحيف الجسم
قد أشرف على الموت وحوله رياحين كثيرة منها ما أعرف ومنها مالا أعرف فقلت له من أنت ومن أين
أنت قال من مدينة شمشاط كنت في عز ورفعة فطالبتني نفسي بالغربة والعزلة فخرجت وقد أشرفت
الآن على الموت فدعوت الله تعالى أن يقيض لي وليا من أوليائه وأرجو أن تكون أنت هو فقلت ألك
حاجة قال نعم لي والدة واخوة واخوات فقلت هل اشتقت اليهم قط قال لا الا اليوم اشتقت أن أشم
ريحهم فهممت أريدهم فاحتوشتني السباع والهوام وبكين معي وحملوا إلى هذه الرياحين التي تراها قال
أبو اسحق فبينما أنا معه يرق له قلبي واذا بحية عظيمة في فمها باقة نرجس كبيرة فقالت دع ولي الله تعالى فان
الله يغار على أوليائه قال فغشي عليه وغشي علي فما أفقت الا وهو قد خرجت روحه رحمه الله قال فدخلت
مدينة شمشاط بعد ماحججت فاستقبلتني امرأة بيدها ركوة ما رأيت أشبه بالشاب منها فلما رأتني
نادت يا أبا اسحق ماشأن الشاب الغريب الذي مات غريبا فاني منتظرتك منذ كذا فذكرت لها القصة الى
أن قلت لها أشم ريحهم فصاحت أواه أواه قد بلغ والله الشم ثم شهقت شهقة خرجت روحها فخرج اليها
بنات أتراب عليهن مرقعات ومروط فكفلن أمرها وتولين دفنها وهن مستترات رضوان الله على الجميع

يا نسيما هب من وادي قبا * خبرني كيف حال الغربا
كم سألت الدهر أن يجمعنا * مثل ما كنا عليه فأبى

(وحكى) أن رجلا كان يعرف بدينار العيار وكان له والدة صالحة تعظه وهو لا يتعظ فمر في بعض
الأيام بمقبرة فأخذ منها عظما فتفتت في يده ففكر في نفسه وقال ويحك يادينار كأني بك وقد صار
عظمك هكذا رفاتا والجسم ترابا فندم على تفريطه وعزم على التوبة ورفع رأسه إلى السماء وقال إلهي
وسيدي ألقيت اليك مقاليد أمري فاقبلني وارحمني ثم أقبل نحو أمه متغير اللون منكسر القلب فقال يا أماه
مايصنع بالعبد الآبق اذا أخذه سيده قالت يخشن ملبسه ومطعمه ويغل يديه وقدميه فقال أريد
جبة من صوف وأقراصا من شعير وغلين وافعلي بي كما يفعل بالعبد الآبق لعل مولاي يرى ذلي فيرحمني
ففعلت به ما أراد فكان اذا جن عليه الليل أخذ في البكاء والعويل ويقول لنفسه ويحك يادينار ألك قوة على
النار كيف تعرضت لغضب الجبار ولا يزال كذلك الى الصباح فقالت له أمه يا بني ارفق بنفسك

قدح من ماء فاستزدت الخمسة وبقي الماء (ومنه) أنه استودع رجل بالكوفة رجلا مالا وحج ورجع فطلبه فجحده
وجعل يحلف له فانطلق الرجل الى أبي حنيفة فخلا به وأخبره بذلك فقال له الامام لا تكلم أحدا بجحوده وكان
الرجل يجالس أبا حنيفة فقال له وقد خلا لهم المكان ان هؤلاء بعثوا يستشيرونني في رجل يصلح للقضاء وقد اخترتك فانصرف من عند الامام فجاء صاحب الوديعة فقال له الامام ارجع الى صاحبك وذكره لاحتمال أن يكون ناسيا فذهب اليه وسأله فلم يحتج معه الى علامة بل دفع اليه متاعه وتوجه بعد ذلك الى أبي حنيفة فقال له أبو حنيفة اني نظرت في أمرك فأردت أن أرفع قدرك ولا أسميك حتى يحضر ما هو أنفس من هذا (ومنه) أنه كان بجوار أبي حنيفة شاب يغشى مجلسه فقال له يوما من الأيام ياامام أريد التزوج الى فلانة من أهل الكوفة وقد خطبتها من وليها فطلب مني من المهر فوق وسعي وطاقتي فقال أبو حنيفة فاستخر الله تعالى وأعطهم ماطلبوه فلما عقدوا النكاح جاء الى أبي حنيفة فقال اني سألتهم أن يأخذوا مني البعض ويدعوا البعض عند الدخول فأبوا فما ترى قال احتل واقترض حتى
تدخل بأهلك فان الأمر يكون أسهل عليك من تعقيدهم ففعل ذلك فلما زفت اليه ودخل بها قال أبو حنيفة له فقال
ما عليك أن تظهر الخروج بأهلك عن هذا البلد الى موضع بعيد فاكترى الرجل جملين وأحضر آلة السفر وما يحتاج اليه وأظهر أنه يريد

فقال دعيني أتعب قليلا لعلي أستريح طويلا يا أماه ان لي غدا موقفا طويلا بين يدي رب جليل ولا أدري أيؤمر بي الى ظل ظليل أو الى شر مقيل قالت يا بني خذ لنفسك راحة قال لست للراحة اطلب كأنك يا أماه غدا بالخلائق يساقون الى الجنة وأنا أساق الى النار مع أهلها فتركته وما هو عليه فأخذ في البكاء والعبادة وقراءة القرآن فقرأ في بعض الليالي فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون فتفكر فيها وجعل يبكي حتى غشي عليه فجاءت أمه اليه فنادته فلم يجبها فقالت له يا حبيبي وقرة عيني أين الملتقى فقال بصوت ضعيف يا أماه ان لم تجديني في عرصات القيامة فاسألي مالكا خازن النار عني ثم شهق شهقة فمات رحمه الله تعالى فغسلته أمه وجهزته وخرجت تنادي أيها الناس هلموا الى الصلاة على قتيل النار فجاء الناس من كل جانب فلم ير أكثر جمعا ولا أغزر دمعا من ذلك اليوم فلما دفنوه نام بعض أصدقائه تلك الليلة فرآه يتبختر في الجنة وعليه حلة خضراء وهو يقرأ الآية فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ويقول وعزته وجلاله سألني ورحمني وغفر لي وتجاوز عني ألا أخبروا عني والدتي بذلك

(وحكي) عن الحسن البصري قال نزل سائل بمسجد فسأل الناس أن يطعموه كسرة فلم يطعموه فقال الله تعالى لملك الموت اقبض روحه فانه جائع فقبض روحه فلما جاء المؤذن رآه ميتا فاخبر الناس بذلك فتعاونوا على دفنه فلما دخل المؤذن المسجد وجد الكفن في المحراب مكتوبا عليه هذا الكفن مردود عليكم بئس القوم أنتم استطعمكم فقير فلم تطعموه حتى مات جوعا من كان من أحبابنا لا نكله الى غيرنا (وحكي) أبو علي المصري قال كان لي جار شيخ يغسل الموتى فقلت له يوما حدثني بأعجب ما رأيت من الموتى فقال جاءني شاب في بعض الأيام مليح الوجه حسن الثياب فقال لي أتغسل لنا هذا الميت قلت نعم فتبعته حتى أوقفني على باب فدخل هنيهة فاذا بجارية هي أشبه الناس بالشاب قد خرجت وهي تمسح عينيها فقالت أنت الغاسل قلت نعم قالت بسم الله ادخل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فدخلت الدار واذا أنا بالشاب الذي جاءني يعالج سكرات الموت وروحه في لبته وقد شخص بصره وقد وضع كفنه وحنوطه عند رأسه فلم اجلس اليه حتى قبض فقلت سبحان الله هذا ولي من أولياء الله تعالى حيث عرف وقت وفاته فأخذت في غسله وأنا أرتعد فلما أدرجته أتت الجارية وهي أخته فقبلته وقالت أما اني سألحق بك عن قريب فلما أردت الانصراف شكرت لي وقالت أرسل الى زوجتك ان كانت تحسن ما تحسنه أنت فارتعدت من كلامها وعلمت أنها لاحقة به فلما فرغت من دفنه جئت أهلي فقصصت عليها القصة وأتيت بها الى تلك الجارية فوقفت بالباب واستاذنت فقالت بسم الله تدخل زوجتك فدخلت زوجتي واذا بالجارية مستقبلة القبلة وقد ماتت فغسلتها زوجتي وأنزلتها على أخيها رحمة الله عليهما

أأحبابنا بنتم عن الدار فاشتكت * لعبدكم آصالها وضحاها * وفارقتم الدار الانيسة فاستوت رسوم مبانيها وفاح كلاها * كأنكم يوم الفراق رحلتم * بنومي فعيني لا تصيب كراها وكنت شحيحا من دموعي بقطرة * فقد صرت سمحا بعدكم بدماها * يراني بساما خليلي يظن بي سرورا وأحشاي السقام ملاها * وكم ضحكة في القلب منها حرارة * يشب لظاها لو كشفت غطاها

رعى الله أياما بطيب حديثكم * تقضت وحياها الحيا وسقاها

فما قلت إيها بعدها لمسامر * من الناس الا قال قلبي آها

(وحكي) سري السقطي رحمه الله تعالى قال أرقت ليلة ولم أقدر على النوم فلما طلع الفجر صليت فلما

الخروج من البلد في طلب المعاش وأن يصحب أهله معه فاشتد ذلك على أهل المرأة وجاؤا الى أبي حنيفة يستشيرونه فقال لهم أبو حنيفة له أن يخرجها الى حيث شاء فقالوا لم نصبر على ذلك فقال أرضوه بان تردوا عليه ما أخذتم منه فأجابوه الى ذلك فقال أبو حنيفة للفتى إن القوم قد سمعوا وأجابوا الى أن يردوا عليك ما أخذوا منك من المهر ويبروك فقال الفتى لابد من زيادة آخذها منهم فقال أبو حنيفة أيما أحب اليك أن ترضى بما بذلوا لك والا أقرت المرأة لرجل بدين عليها ولا يمكنك حملها ولا السفر بها حتى يقضى ما عليها من الدين قال فقال الفتى الله الله يا امام لا يسمع أحد منهم بذلك ثم أجاب وأخذ ما بذلوه من المهر (ومنه) أن رجلا جاء الى أبي حنيفة وقال يا امام دفنت مالا من مدة طويلة ونسيت الموضع الذي دفنته فيه فقال الامام ليس في هذا فقه فأحتال لك ولكن اذهب فصل الليلة الى الغداة فانك ستذكره إن شاء الله تعالى ففعل فلم يمض الا أقل من ربع الليل حتى ذكر الموضع الذي دفن فيه فجاء إلى أبي حنيفة فاخبره فقال قد علمت أن الشيطان لا يدعك تصلي الليل كله فهلا أتممت ليلتك كلها شكرا لله تعالى (ومنه) أن بعضهم كانت له زوجة جميلة وكان يحبها حبا شديدا وتبغضه بغضا شديدا ولم تزل المنافرة بينهما ألبتة وأضجره ذلك وطالت مدة تجرئها عليه في الكلام فقال لها يوما أنت طالق ثلاثا بتاتا ان خاطبتيني بشيء ولم أخاطبك بشيء مثله فقالت له في الحال أنت طالق ثلاثا بتاتا فابلس

الرجل ولم يدر ما يجيب وخاف فى جوابها من وقوع الطلاق وأرشد الى ابى جعفر الطبرى فأخبره بما جرى فقال له إذا طالبتك بالجواب فقل لها أنت طالق ثلاثا بتا تاإن انا طلقتك فتكون قد خاطبتها ووفيت بيمينك (ومنه ماقيل إن ذاالنون المصرى كان يعرف الاسم الاعظم قال يوسف بن الحسن لما تحققت منه ذلك قصدت مصر وخدمته سنة ثم قلت له يرحمك الله انى قد خدمتك ووجب حقى عليك وأشتهى أن تعلمنى اسم الله الاعظم فلا تجد له موضعا مثلى قال فسكت ولم يجبني ستة أشهر وأومأ الى أنه يعلمنى ثم أخرج من بيته طبقا ومكبة وقد شدا بمنديل وكان ذو النون يسكن الجيزة فقال تعرف فلانا صديقنا من الفسطاط قلت نعم قال فأحب أن تؤدى هذا اليه قال فأخذت الطبق وهو مشدود وجعلت أمشى طول الطريق وأقول مثل ذى النون يوجه الى فلان بهدية ترى أى شىء هى فلم أصبر أن بلغت الجسر فحللت المنديل ورفعت المكبة فاذا فأرة نفرت من الطبق وفرت فاغتظت غيظا شديدا وقلت ذو النون المصرى يسخر بى ويوجه مع مثلى فأرة فرجعت على ذلك الغيظ فلما رآنى علم مافى وجهى فقال يا أحمق ائتمنتك على فأرة فخنتنى فكيف أأتمنك على اسم الله الاعظم فسرعنى فلا أراك بعدها (ومن ذلك ماهو منقول عن الافراط فى ذكاء العرب) قيل سار مضر وربيعة واياد وانمار أولاد نزار بن معد الى أرض نجران فبيناهم

أصبحت دخلت المارستان فاذا أنا بجارية مقيدة مغلولة وهى تقول

تغل يدى الى عنقي * وماخانت وماسرقت و بين جوانحى كبد * أحس بها قد احترقت

قال فقلت للقيم ماهذه الجارية قال هذه جارية اختل عقلها فحبست لعلها تصلح فلما سمعت كلامه تبسمت وقالت

معشر الناس ماجننت ولكن * أنا سكرانة وقلبى صاحى * لم غللتم يدى ولم آت ذنبا غير هتكى فى حبه وافتضاحى * أنا مفتونة بحب حبيب * لست ابغى عن بابه من براح

ما على من أحب مولى الموالى * وارتضاه لنفسه من جناح

قال فلما سمعت كلامها بكيت بكاء شديدا فقالت ياسرى هذا بكاؤك من الصفة فكيف لو عرفته حق المعرفة قال فبينما هى تكلمنى إذ جاء سيدها فلما رآنى عظمنى فقلت والله هى أحق منى بالتعظيم فلم فعلت بها هذا قال لتقصيرها فى الخدمة وكثرة بكائها وشدة حنينها وأنينها كأنها ثكلى لا تنام ولا تدعنا ننام وقد اشتريتها بعشرين ألف درهم لصناعتها فانها مطربة قلت فما كان بدء أمرها قال كان العود فى حجرها يوما فجعلت تقول

وحقك لا نقضت الدهر عهدا * ولا كدرت بعد الصفو ودا * ملأت جوانحى والقلب وجدا فكيف أقر ياسكنى واهدا * فيامن ليس لى مولى سواه * تراك رضيتنى بالباب عبدا

فقلت لسيدها اطلقها وعلى ثمنها فصاح وافقراه من أين لك عشرون ألفا ياسرى فقلت لا تعجل على فقال تكون فى المارستان حتى توفينى ثمنها فقلت نعم قال سرى فانصرفت وعينى تدمع وقلبى يخشع وأنا والله ماعندى درهم من ثمنها فبت طول ليلتى أتضرع الى الله تعالى فاذا بطارق يطرق الباب ففتحت فدخل على رجل ومعه ستة من الخدم ومعهم خمس بدر فقال أتعرفنى ياسرى قلت لا قال أنا أحمد بن المثنى كنت نائما فهتف بى هاتف وقال لى يا أحمد هل لك فى معاملتنا فقلت ومن أولى منى بذلك فقال أحمل الى سرى السقطى خمس بدر من أجل الجارية الفلانية فان لنا بها عناية قال سرى فسجدت لله شكرا وجلست أتوقع طلوع الفجر فلما طلع صلينا وذكرنا وانصرفنا نحوها فسمعناها تقول

قد تصبرت الى أن * عيل من حبك صبرى ضاق من غلى وقيدى * وامتهانى منك صدرى ليس يخفى عنك أمرى * يامنى قلبى وذخرى أنت قد تعتق رقى * وتفك اليوم أسرى

قال سرى فبينما أنا أسمعها واذا بمولاها قد جاء وهو يبكى فقلت لا بأس عليك قد جئناك برأس مالك وربح عشرة آلاف درهم فقال والله لا فعلت ذلك قلت نزيدك قال والله لو أعطيتنى ما بين الخافقين مافعلت وهى حرة لوجه الله تعالى قال فتعجبت من ذلك وقلت ما كان هذا كلامك بالأمس فقال حبيبى لا توبخنى فالذى وقع لى من التوبيخ كفانى وأشهدك أنى قد خرجت من جميع مالى صدقة فى سبيل الله تعالى وانى هارب الى الله تعالى فبالله لا تردنى عن صحبتك فقلت نعم ثم التفت فرأيت صاحب المال يبكى فقلت مايبكيك قال ياأستاذى ماقبلنى مولاى لما ندبنى اليه ورد على مابذلت أشهدك أنى قد خرجت من جميع ماأملكه لله تعالى فى سبيل الله وكل عبد أملكه وجارية أحرار لوجه الله تعالى قال سرى فقلت ماأعظم بركتك ياجارية قال فنزعنا الغل من عنقها والقيد من رجلها وأخرجناها من المارستان فنزعت ما كان عليها من ناعم الثياب ولبست خمارا من صوف ومدرعة

ومدرعة من شعر و ولت قال سري فتوجهت أنا ومولاها وصاحب المال إلى مكة فبينما نحن نطوف إذ سمعنا صوتا فتبعناه فاذاهى امرأة كالخيال فلما رأتنى قالت السلام عليك ياسري فقلت لها وعليك السلام و رحمة الله و بركاته من أنت فقالت لا إله إلا الله وقع الشك بعد المعرفة فتأملتها فاذا هى الجارية فقلت لها ما الذى أفادك الحق بعد انفرادك عن الخلق فقالت أنسى به و وحشتى من غيره ثم توجهت إلى البيت وقالت إلهى كم تخلفنى فى دار لا أرى فيها أنيسا قد طال شوقى اليك فعجل قدومي عليك ثم شهقت شهقة وخرت ميتة رحمة الله تعالى عليها فلما نظر اليها مولاها بكى وجعل يدعو و يضعف كلامه الى أن خر الى جانبها ميتا رحمة الله عليه فدفناهما فى قبر واحد

بحرمة ما قد كان بينى و بينكم * من الود الا ما رجعتم إلى وصل * ولا تحرمونى نظرة من جمالكم
فلن تجدوا عبدا ذليلا لكم مثلى * فوالله مايهوى فؤادى سواكم * ولو رشقوه بالاسنة والنبل

﴿وحكى﴾ أنه كان فى زمن بنى إسرائيل رجل من العباد الموصوفين بالزهد وكان قد سخر الله له سحابة تسير معه حيث يسير فاعتراه فتور فى بعض الايام فأزال الله عنه سحابته وحجب إجابته فكثر لذلك حزنه وشجونه وطال كمده وأنينه ومازال يشتاق الى زمن الكرامة و يبكى و يتأسف و يتحسر و يتلهف فقام ليلة من الليالى فصلى ماشاء الله و بكى وتضرع ودعا الله تعالى ونام فقيل له فى المنام اذا أردت أن يرد الله تعالى عليك سحابتك فائت الملك الفلانى فى بلد كذا واسأله أن يدعو الله لك أن يرد عليك سحابتك قال فسار الرجل يقطع الارض حتى وصل الى تلك البلد التى ذكرت له فى المنام فدخلها وسأل من يرشده إلى قصر الملك فجاء إلى القصر واذا عند بابه غلام جالس على كرسى عظيم من الذهب الاحمر مرصع بالدر والجوهر والناس بين يديه يسألونه حوائجهم وهو يصرف الناس فوقف الرجل الصالح بين يديه وسلم عليه فقال له الغلام من أين أنت وما حاجتك فقال من بلاد بعيدة وقصدى الاجتماع بالملك فقال له الغلام لا سبيل لك اليه اليوم فسل حاجتك أقضها لك ان استطعت فقال ان حاجتى لا يقضيها الا الملك فقال الغلام ان الملك ليس له الا يوم واحد فى الجمعة يجتمع اليه الناس فيه فاذهب حتى يأتى ذلك اليوم فانصرف الرجل إلى مسجد داثر واقام يعبد الله تعالى فيه وأنكر على الملك لاحتجابه عن الناس فلما كان ذلك اليوم الذى يجلس فيه الملك جاء الى القصر فوجد خلقا كثيرا عند الباب ينتظرون الاذن فوقف مع جملة الناس فلما خرج الوزير أذن للناس فى الدخول فدخل أرباب الحوائج ودخل صاحب السحابة معهم واذا بالملك جالس و بين يديه أرباب دولته على قدر مراتبهم فجعل رأس النوبة يقدم الناس واحدا بعد واحد حتى وصلت النوبة لصاحب السحابة فلما نظر اليه الملك قال مرحبا بصاحب السحابة اجلس حتى أفرغ من حوائج الناس وانظر فى أمرك قال فتحير صاحب السحابة فى أمره فلما فرغ الملك من حوائج الناس قام من مجلسه فأخذ بيد صاحب السحابة وأدخله معه الى قصره ثم مشى به فى دهليز القصر فلم يجد فى طريقه الا مملوكا واحدا فسار به حتى انتهى الى باب من جريد واذا به بناء مهدوم وحيطان مائلة و بيت خرب فيه برش وليس هناك ما يساوى عشرة دراهم الا سجادة خلقة وقدح للوضوء وحصير رثة وشىء من الخوص فانخلع الملك من ثياب الملك ولبس مرقعة من صوف وجعل على رأسه قلنسوة من شعر ثم جلس وأجلس صاحب السحابة ونادى يافلانة قالت لبيك قال أتدرين من هو الليلة ضيفنا قالت نعم هو صاحب السحابة فدعا بها لحاجة فخرجت فاذا هى امرأة كالشن البالى عليها مسح من شعر خشن وهى شابة صغيرة قال الرجل فالتفت

يسيرون اذا رأى مضر كلأ قد رعى فقال البعير الذى رعى هذا أعور فقال ربيعة وهو ازور وقال اياد وهو أبتر وقال انمار وهو شرود فلم يسيروا الا قليلا حتى لقيهم رجل على راحلة فسألهم عن (١٥١) البعير مضر فقال أهو أعور قال نعم قال ربيعة أهو أزور قال نعم قال اياد أهو أبتر قال نعم قال انمار أهو شرود قال نعم والله هذه صفات بعيرى دلونى عليه فحلفوا أنهم مارأوه فلزمهم وقال فكيف أصدقكم وأنتم تصفون بعيرى بصفته فساروا حتى قربوا نجران فنزلوا بالافعى الجرهمى فنادى صاحب البعير هؤلاء القوم وصفوا الى بعيرى بصفته ثم أنكروه فقال الجرهمي كيف وصفتموه ولم تروه فقال مضر رأيته يرعى جانبا و يترك جانبا فعلمت أنه أعور وقال ربيعة رأيت احدى يديه ثابتة الأثر والأخرى فاسدة الاثر فعلمت أنه أفسدها بشدة وطئه لازوراره وقال إياد عرفت بتره باجتماع بعره ولو كان ز يالا لتفرق وقال انمار انما عرفت أنه شرود لانه كان يرعى فى المكان الملتف نبته ثم يجوزه إلى مكان أرق منه وأخبث فقال الافعى ليسوا بأصحاب بعيرك فاطلبه ثم سألهم من هم فأخبروه فرحب بهم وأضافهم وبالغ فى اكرامهم

(ومنه) أن عقبة الازدى كان مشهورا بمعالجة الجن وصدق العزائم فأتوه بجارية قد جنت فى ليلة عرسها فعزم عليها فاذاهى قد سقطت فقال لأهلها اخلونى بها فأجابوه فلما خلا بها قال لها أصدقيني عن نفسك وعلى خلاصك فقالت انه كان لى

صدق وأنا في بيت أهلي وانهم أرادوا أن يدخلوني على زوجي ولست ببكر فخفت الفضيحة فهل عندك حيلة في أمري قال نعم ثم خرج إلى أهلها فقال ان الجني

أجابني إلى الخروج منها فاختاروا من أي عضو واعلموا أن العضو الذي يخرج منه الجني لابد أن يهلك ويفسد فان خرج من عينها عميت وان خرج من أذنها صمت وان خرج من يدها شلت وان خرج من رجلها زمنت وان خرج من فرجها ذهبت بكارتها فقال أهلها انا لم نجد شيئا أهون من ذهاب عذرتها فاخرج الشيطان منه فأوهمهم أنه فعل ذلك وأدخلت المرأة على زوجها (ومن ذلك) أن الامام عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل رجلا على عمل فبلغه عنه أنه قال

اسقني شربة ألذ عليها
واسق بالله مثلها ابن هشام

قال فاشخصه وعلم الرجل بالحال فضم اليه بيتا آخر فلما قدم على الامام قال ألست القائل

اسقني شربة ألذ عليها
واسق بالله مثلها ابن هشام

قال نعم يا أمير المؤمنين ان لهذا البيت ثانيا وهو

عسلا باردا بماء سحاب
انني لا أحب شرب المدام

فقال الامام الله الله ارجع الى عملك (ومن لطائف هزليات الأذكياء)

إلى الملك وقال يا أخي نطلعك على حالنا أو نقضي حاجتك وتنصرف فقلت والله لقد شغلني حالكما عما جئت بسببه فقال الملك الله يعلم انه كان لي في هذا الأمر آباء كرام صالحون يتوارثون المملكة كابرا عن كابر فلما توفوا إلى رحمة الله تعالى ووصل الامر إلى بغض الله الى الدنيا وأهلها فأردت أن أسيح في الارض وأترك الناس ينظرون لهم من يسوس أمرهم فيملكونه عليهم فخفت عليهم دخول الفتنة وتضييع الدين والشرائع وتبديل شمل الدين فبايعوني وأنا والله كاره فتركت أمورهم على ما كانت عليه وجعلت السماط على عادته والحراس على حالها والمماليك على دأبها ولم أغير شيئا وأقعدت المماليك على الأبواب بالسلاح أرهابا لاهل الشر وردعا عن أهل الخير وتركت القصر مزينا على حاله وفتحت له بابا وهو الذي رأيته يوصلني إلى هذه الخربة فادخل فيها وأنزع ثياب الملك وألبس هذا وأضفر الخوص وأبيعه وأتقوت من ثمنه أنا وزوجتي هذه التي رأيتها وهي ابنة عمي زهدت في الدنيا كزهدي واجتهدت حتى صارت كالشن البالي والناس لا يعلمون ما نحن فيه ثم اني أقمت لي نائبا ينوب عني طول الجمعة وعلمت أني مسئول فجعلت لي يوما في الجمعة أبرز للناس فيه واكشف عن مظالمهم كما رأيت وأنا على هذه الحالة مدة فأقم عندنا يرحمك الله حتى نبيع خوصاتنا ونبتاع من ثمنها طعاما وتفطر معنا وتبيت عندنا الليلة ثم تنصرف بحاجتك ان شاء الله تعالى فلما كان آخر النهار دخل علينا غلام خماسي العمر فأخذ ما عملاه من خوص وسار به إلى السوق فباعه واشترى من ثمنه خبزا وفولا واشترى بباقي ثمنه خوصا فلما كان عند الغروب أفطرا وأفطرت معهما وبت عندهما قال فقاما في نصف الليل يصليان ويبكيان فلما كان عند السحر قال الملك اللهم ان عبدك هذا يطلب منك رد سحابته وانك قد دللته علينا اللهم اردها عليه انك على كل شيء قدير والمرأة تؤمن على دعائه واذا بالسحابة قد طلعت من قبل السماء فقال لي لك البشارة بقضاء حاجتك وتعجيل اجابتك قال فودعتهما وانصرفت والسحابة معي كما كانت فأنا بعد ذلك لا أسأل الله تعالى بسرهما شيئا الا أعطاني إياه رحمة الله تعالى عليهما

استعمل الصبر تجني بعده العسلا * ولازم الباب حتى تبلغ الاملا * ومرغ الخد في أعتابه سحرا
واحمل لمرضاته في الحب كل بلا * فما يفوز بوصل يا أخي سوى * صب لثقل الهوى والوجد قد حملا
هذا الحبيب ينادي في الدجى سحرا * فانهض وكن رجلا بالسعي قد وصلا

(وحكي) عن مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال خرجت الى مكة حاجا فبينما أنا سائر اذ رأيت شابا ساكتا لا يذكر الله تعالى فلما جن الليل رفع وجهه نحو السماء وقال يا من لا تسره الطاعات ولا تضره المعاصي هب لي ما لا يسرك واغفر لي ما لا يضرك ثم رأيته بذي الحليفة وقد لبس احرامه والناس يلبون وهو لا يلبي فقلت هذا جاهل فدنوت منه فقلت له يا فتى قال لبيك قلت لم لا تلبي فقال يا شيخ وما تغني التلبية وقد بارزته بذنوب سالفات وجرائم مكتوبات والله اني لأخشى أن أقول لبيك فيقول لا لبيك ولا سعديك لا أسمع كلامك ولا أنظر اليك فقلت له لا تقل ذلك فانه حليم اذا غضب رضي واذا رضي لم يغضب واذا وعد وفي ومتى توعد عفا فقال يا شيخ أتشير علي بالتلبية قلت نعم فبادر الى الأرض واضطجع ووضع خده على التراب وأخذ حجرا فوضعه على خده الآخر وأسبل دموعه وقال لبيك اللهم لبيك قد خضعت لك وهذا مصرعي بين يديك فأقام كذلك ساعة ثم مضى فما رأيته الا بمنى وهو يقول اللهم ان الناس قد ذبحوا ونحروا وتقربوا اليك وليس لي شيء أتقرب به اليك سوى نفسي فتقبلها مني ثم

أن الرشيد خرج متنزها فانفرد عن العسكر ومعه الفضل بن الربيع فاذا هو بشيخ قد ركب حمارا ضعيفا وهو رطب العينين فغمز الفضل عليه فقال له الفضل أين تريد يا شيخ فقال حائطا لي قال هل أدلك على شيء تداوي

شهق

شهق شهقة وخر ميتا رحمة الله تعالى عليه ﴿وحكى﴾ أنه كان بمدينة بغداد رجل يعرف بأبى عبد الله الاندلسى وكان شيخا لكل من بالعراق وكان يحفظ ثلاثين ألف حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقرأ القرآن بجميع الروايات فخرج فى بعض السنين الى السياحة ومعه جماعة من أصحابه مثل الجنيد والشبلى وغيرهما من مشايخ العراق قال الشبلى فلم نزل فى خدمته ونحن مكرمون بعناية الله تعالى إلى أن وصلنا إلى قرية من قرى الكفار فطلبنا ماء نتوضأ به فلم نجد فجعلنا ندور بتلك القرية وإذا نحن بكنائس وبها شمامسة وقساقسة ورهبان وهم يعبدون الاصنام والصلبان فتعجبنا منهم ومن قلة عقلهم ثم انصرفنا إلى بئر فى آخر القرية وإذا نحن بجوار يستقين الماء على البئر وبينهن جارية حسنة الوجه ما فيهن أحسن ولا أجمل منها وفى عنقها قلائد الذهب فلما رآها الشيخ تغير وجهه وقال هذه ابنة من فقيل له هذه ابنة ملك هذه القرية فقال الشيخ فلم لا يدللها أبوها ويكرمها ولا يدعها تستقى الماء فقيل له أبوها يفعل ذلك بها حتى إذا تزوجها رجل أكرمته وخدمته ولا تعجبها نفسها فجلس الشيخ ونكس رأسه ثم أقام ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب ولا يكلم أحدا غير أنه يؤدى الفريضة والمشايخ واقفون بين يديه ولا يدرون ما يصنعون قال الشبلى فتقدمت اليه وقلت له ياسيدى ان أصحابك ومريديك يتعجبون من سكوتك ثلاثة أيام وأنت ساكت لم تكلم أحدا قال فأقبل علينا وقال ياقوم اعلموا أن الجارية التى رأيتها أمس قد شغفت بها حبا واشتغل بها قلبى وما بقيت أقدر أفارق هذه الأرض قال الشبلى فقلت له ياسيدى أنت شيخ أهل العراق ومعروف بالزهد فى سائر الآفاق وعدد مريديك اثنا عشر ألفا فلا تفضحنا واياهم بحرمة الكتاب العزيز فقال ياقوم جرى القلم بما حكم ووقعت فى بحار العدم وقد انحلت عنى عرى الولاية وطويت عنى أعلام الهداية ثم انه بكى بكاء شديدا وقال ياقوم انصرفوا فقد نفذ القضاء والقدر فتعجبنا من أمره وسألنا الله تعالى أن يجيرنا من مكره ثم بكينا وبكى حتى أروى التراب ثم انصرفنا عنه راجعين الى بغداد فخرج الناس إلى لقائه ومريدوه فى جملة الناس فلم يروه فسألوا عنه فعرفناهم بما جرى فمات من مريديه جماعة كثيرة حزنا عليه وأسفا وجعل الناس يبكون ويتضرعون إلى الله تعالى أن يرده عليهم وغلقت الرباطات والزوايا والخوانق ولحق الناس حزن عظيم فأقمنا سنة كاملة وخرجت مع بعض أصحابى نكشف خبره فأتينا القرية فسألنا عن الشيخ فقيل لنا انه فى البرية يرعى الخنازير قلنا وما السبب فى ذلك قالوا انه خطب الجارية من أبيها فأبى أن يزوجها إلا ممن هو على دينها ويلبس العباءة ويشد الزنار ويخدم الكنائس ويرعى الخنازير ففعل ذلك كله وها هو فى البرية يرعى الخنازير قال الشبلى فانصدعت قلوبنا وانهملت بالبكاء عيوننا وسرنا اليه واذا به قائم قدام الخنازير فلما رآنا نكس رأسه واذا عليه قلنسوة النصارى وفى وسطه زنار وهو متوكىء على العصا التى كان يتوكأ عليها إذا قام إلى المحراب فسلمنا عليه فرد علينا السلام فقلنا يا شيخ ماذاك وماذا وما هذه الكروب والهموم بعد تلك الأحاديث والعلوم فقال يا اخوانى وأحبابى ليس لى من الأمر شىء سيدى تصرف فى كيف شاء وحيث أراد أبعدنى عن بابه بعد ان كنت من جملة أحبابه فالحذر الحذر يا أهل وداده من صده وابعاده والحذر الحذر يا أهل المودة والصفاء من القطيعة والجفاء ثم رفع طرفه إلى السماء وقال يا مولاى ما كان ظنى فيك هذا ثم جعل يستغيث ويبكى ونادى يا شبلى اتعظ بغيرك فنادى الشبلى بأعلى صوته بك المستعان وأنت المستغاث وعليك التكلان اكشف عنا هذه الغمة بحلمك فقد دهمنا أمر لا كاشف له غيرك قال فلما سمعت الخنازير بكاءهم وضجيجهم

بعينيك فتذهب هذه الرطوبة فقال ما أحوجنى إلى ذلك فخذ عيدان الهواء وغبار الماء وورق الكمأة فصير الجميع فى قشر جوزة واكتحل من القشر فانه يذهب رطوبة عينيك فاتكأ الشيخ على ظهر حماره وضرط ضرطة طويلة ثم قال خذ هذه الضرطة أجرة وصفك فان نفعتنا زدناك فضحك الرشيد حتى كاد يسقط عن ظهر دابته (ومن الجد المفحم) أن رجلا من اليهود قال للامام على رضى الله عنه ما دفنتم نبيكم حتى قال الأنصار منا أمير ومنكم أمير فقال الامام أنتم ما جفت أقدامكم من ماء البحر حتى قلتم ياموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة (ومنه) أن المتوكل قال يوما لجلسائه نقم المسلمون على عثمان أشياء منها أن الامام أبا بكر رضى الله عنه لما تسنم المنبر هبط عن مقام النبي صلى الله عليه وسلم بمرقاة ثم قام عمر دون مقام أبى بكر وصعد عثمان ذروة المنبر فقال عباد ما أحد أعظم منة عليك من عثمان يا أمير المؤمنين قال وكيف ويلك قال لأنه صعد ذروة المنبر ولو أنه كلما قام خليفة نزل مرقاة ونزل عثمان كمن تقدمه كنت أنت تخبطنا من بئر فضحك المتوكل ومن حوله (ومن المنقول عن أذكياء الأطباء) أن جارية من جوارى الرشيد تمطت فلما أرادت أن تمد يدها لم تطق وحصل فيها الورم فصاحت وآلمها فشق على الرشيد وعجز الاطباء عن علاجها فقال له طبيب حاذق يا أمير المؤمنين لا دواء لها إلا أن يدخل اليها رجل أجنبى غريب فيخلو بها ويمرخها بدهن نعرفه فأجابه الخليفة الى ذلك رغبة فى عافيتها فأحضر الطبيب الرجل

والدهن وقال أريد أن أمير المؤمنين يأمر بتعريتها حتى يمرخ جميع أعضائها بهذا الدهن فشق ذلك على الخليفة وأمره أن يفعل وأضمر في نفسه قتل الرجل وقال للخادم خذه وأدخله عليها بعد أن تعريها فعريت الجارية وأقيمت فلما دخل عليها وقرب منها وسمى الله أومأ بيده إلى فرجها بنفسه غطت الجارية فرجها بيدها التي قد كانت عطلت حركتها ولشدة ما داخلها من الحياء والجزع حمى جسمها بانتشار الحرارة الغريزية فأعانها على ما أرادت من تغطية فرجها واستعمال يدها في فرجها فلما غطت فرجها قال لها الرجل الحمد لله على العافية فأخذه الخادم وجاء به إلى الرشيد وأعلمه بالحال وما اتفق فقال الرشيد للرجل فكيف تعمل في رجل نظر إلى حرمنا فمد الطبيب يده إلى لحية الرجل فانتزعها فإذا هي ملصقة وإذا الشخص جارية وقال يا أمير المؤمنين ما كنت لأبذل حرمك للرجل ولكن خشية أن أكشف لك الخبر فيتصل بالجارية فتبطل الحيلة ولا يفيد العلاج لأني أردت أن أدخل على قلبها فزعا شديدا ليحمى طبعها ويقودها إلى تحريك يدها وتمشي الحرارة الغريزية في سائر أعضائها بهذه الواسطة فسري عن الرشيد ما كان وقر في صدره من الرجل وأجزل عطيته (ومن المنقول عن أذكياء المتطفلين) قال أبو عمرو الجهضمي كان لي جار طفيلي وكان من أحسن الناس منظرا وأعذبهم منطقا وأطيبهم رائحة فكان من شأنه إذا دعيت إلى وليمة يتبعني فيكرمه الناس من أجلي ويظنون

أقبلت إليهم وجعلت تمرغ وجهها بين أيديهم وزعقت زعقة واحدة دويت منها الجبال قال الشبلي فظننت أن القيامة قد قامت ثم إن الشيخ بكى بكاء شديدا قال الشبلي فقلنا له هل لك أن ترجع معنا إلى بغداد فقال كيف لي بذلك وقد استرعيت الخنازير بعد أن كنت أرعى القلوب فقلت يا شيخ كنت تحفظ القرآن وتقرؤه بالسبع فهل بقيت تحفظ منه شيئا فقال نسيته كله إلا آيتين فقلت وما هما قال قوله تعالى ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء والثانية قوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل فقلت يا شيخ كنت تحفظ ثلاثين ألف حديث عن رسول الله ﷺ فهل تحفظ منها شيئا قال حديثا واحدا وهو قوله ﷺ من بدل دينه فاقتلوه قال الشبلي فتركناه وانصرفنا ونحن متعجبون من أمره فسرنا ثلاثة أيام وإذا نحن به أمامنا قد تطهر من نهر وطلع وهو يشهد شهادة الحق ويجدد إسلامه فلما رأيناه لم نملك أنفسنا من الفرح والسرور فنظر إلينا وقال يا قوم أعطوني ثوبا طاهرا فأعطيناه ثوبا فلبسه ثم صلى وجلس فقلنا له الحمد لله الذي ردك علينا وجمع شملنا بك فصف لنا ما جرى لك وكيف كان أمرك فقال يا قوم لما وليتم من عندي سألته بالوداد القديم وقلت له يا مولاي أنا المذنب الجاني فعفا عني بجوده وبستره غطاني فقلنا له بالله نسألك هل كان لمحنتك من سبب قال نعم لما وردنا القرية وجعلتم تدورون حول الكنائس قلت في نفسي ما قدر هؤلاء عندي وأنا مؤمن موحد فنوديت في سري ليس هذا منك ولو شئت عرفناك ثم أحسست بطائر قد خرج من قلبي فكان ذلك الطائر هو الإيمان قال الشبلي ففرحنا به فرحا شديدا وكان يوم دخولنا يوما عظيما مشهودا وفتحت الزوايا والرباطات والخوانق ونزل الخليفة للقاء الشيخ وأرسل إليه الهدايا وصار يجتمع عنده لسماع علمه أربعون ألفا وأقام على ذلك زمانا طويلا ورد الله عليه ما كان نسيه من القرآن والحديث وزاده على ذلك فبينما نحن جلوس عنده في بعض الأيام بعد صلاة الصبح وإذا نحن بطارق يطرق باب الزاوية فنظرت من الباب فإذا شخص ملتف بكساء أسود فقلت له ما الذي تريد فقال قل لشيخكم إن الجارية الرومية التي تركتها بالقرية الفلانية قد جاءت لخدمتك قال فدخلت فعرفت الشيخ فاصفر لونه وارتعد ثم أمر بدخولها فلما دخلت عليه بكت بكاء شديدا فقال لها الشيخ كيف كان مجيئك ومن أوصلك إلى ههنا قالت يا سيدي لما وليت من قريتنا جاءني من أخبرني بك فبت ولم يأخذني قرار فرأيت في منامي شخصا وهو يقول إن أحببت أن تكوني من المؤمنات فاتركي ما أنت عليه من عبادة الأصنام واتبعي ذلك الشيخ وادخلي في دينه فقلت وما دينه قال دين الإسلام قلت وما هو قال شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فقلت كيف لي بالوصول إليه قال أغمضي عينيك وأعطيني يدك ففعلت فمشى قليلا ثم قال افتحي عينيك ففتحتهما فإذا أنا بشاطىء الدجلة فقال امضي إلى تلك الزاوية واقرئي الشيخ مني السلام وقولي له إن أخاك الخضر يسلم عليك قال فأدخلها الشيخ إلى جواره وقال تعبدي ههنا فكانت أعبد أهل زمانها تصوم النهار وتقوم الليل حتى نحل جسمها وتغير لونها فمرضت مرض الموت وأشرفت على الوفاة ومع ذلك لم يرها الشيخ فقالت قولوا للشيخ يدخل علي قبل الموت فلما بلغ الشيخ ذلك دخل عليها فلما رأته بكيت فقال لها لا تبكي فإن اجتماعنا غدا في القيامة في دار الكرامة ثم انتقلت إلى رحمة الله تعالى فلم يلبث الشيخ بعدها إلا أياما قلائل حتى مات رحمة الله تعالى عليه قال الشبلي فرأيته في المنام وقد تزوج بسبعين حوراء وأول ما تزوج بالجارية وهما مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين

النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب الثاني والثلاثون في ذكر الأشرار والفجار وما يرتكبون من الفواحش والوقاحة والسفاهة ﴾

عن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال قبل قيام الساعة يرسل الله ريحا باردة طيبة فتقبض روح كل مؤمن ويبقى شرار الخلق يتهارجون تهارج الحمير وعليهم تقوم الساعة وقال مالك ابن دينار رحمه الله تعالى كفى بالمرء شرا أن لا يكون صالحا ويقع في الصالحين وقال لقمان لابنه يا بني كذب من قال الشر يطفىء الشر فإن كان صادقا فليوقد نارين ثم ينظر هل تطفىء احداهما الأخرى وإنما يطفىء الشر الخير كما يطفىء الماء النار ووصف بعضهم رجلا من أهل الشر فقال فلان عري من حلة التقوى ومحى عنه طابع الهدى لا تثنيه يد المراقبة ولا تكفه خيفة المحاسبة وهو لدعائم دينه مضيع ولدواعي شيطانه مطيع

كأنه التيس قد أودى به هرم * فلا لحم ولا صوف ولا ثمن

وقيل من فعل ما شاء لقى ما ساءه وقيل زنى رجل بجارية فأحبلها فقالوا له يا عدو الله هلا إذا ابتليت بفاحشة عزلت قال قد بلغني أن العزل مكروه وقالوا أفما بلغك أن الزنا حرام وقيل لأعرابي كان يتعشق قينة ما يضرك لو اشتريتها ببعض ما تنفق عليها قال فمن لي إذا ذاك بلذة الخلسة ولقاء المسارقة وانتظار الموعد وقال أبو العيناء رأيت جارية مع النخاس وهي تحلف أن لا ترجع لمولاها فسألتها عن ذلك فقالت يا سيدي إنه يواقعني من قيام ويصلي من قعود ويشتمني باعراب ويلحن في القرآن ويصوم الخميس والاثنين ويفطر رمضان ويصلي الضحى ويترك الفرض فقلت لا أكثر الله في المسلمين مثله * وكانت ظلمة القوادة وهي صغيرة في المكتب تسرق دويات الصبيان وأقلامهم فلما شبت زنت فلما كبرت قادت وقال صاحب المسالك والممالك ان عامة ملوك الهند يرون الزنا مباحا خلا ملك قمار قال الزمخشري رحمه الله أقمت بقمار سنين فلم أر ملكا غيره منه وكان يعاقب على الزنا وشرب الخمر بالقتل وقمار ينسب اليها العود القماري كما ينسب الى مندل قال مسكين الدارمي

ولا ذنب للعود القماري إنه * يحرق ان نمت عليه روائحه

وقال ابن عباس رضي الله عنهما عهدت الناس وهواهم تبع لأديانهم وان الناس اليوم أديانهم تبع لأهوائهم وقال رسول الله ﷺ حسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم

(ماجاء في الوقاحة والسفاهة وذكر الغوغاء) قال رسول الله ﷺ ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ماشئت * وفي ذلك قيل

إذا لم تصن عرضا ولم تخش خالقاً * وتستح مخلوقا فما شئت فاصنع

وقال ابن سلام العاقل شجاع القلب والأحمق شجاع الوجه وذم رجل قوما فقال وجوههم وأيديهم حديد أي وقاح بخلاء ووصف رجل وقحا فقال لو دق الحجارة بوجهه لرضها ولو خلا بأستار الكعبة لسرقها قال الشاعر

لو أن لي من جلد وجهك رقعة * لجعلت منها حافراً للأشهب

وقال آخر إذا رزق الفتى وجها وقاحاً * تقلب في الأمور كما يشاء

صحبني له فاتفق ان جعفر بن القاسم الهاشمي أمير البصرة أراد أن يختن أولاده فقلت في نفسي كأني برسول الأمير قد جاءني وكأني بالطفيلي قد تبعني والله لئن فعل لأفضحنه فأنا على ذلك إذ جاءني رسول الأمير يدعوني فازدت على أن لبست ثيابي وخرجت فإذا أنا بالطفيلي واقف على باب داره وقد سبقني بالتأهب فتقدمت وتبعني فلما حضرت الموائد كان معي على المائدة فلما مد يده ليأكل قلت حدثني درسة ابن زياد عن أبان بن طارق عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دخل دار قوم بغير اذنهم فأكل طعامهم دخل سارقا وخرج مغيرا فلما سمع الطفيلي ذلك قال أنفت لك والله يا أبا عمرو من هذا الكلام على مائدة سيد من أطعم الطعام فانه مامن أحد من الجماعة الا وهو يظن أنك تعرض به دون صاحبه وقد بخلت بطعام غيرك على من سواك ثم ما استحييت حتى حدثت عن درسة ابن زياد وهو ضعيف وعن أبان بن طارق وهو متروك الحديث والمسلمون على خلاف ما ذكرت فان حكم السارق القطع وحكم المغير أن يعزر على مايراه الامام وأين أنت من حديث حدثناه أبو عاصم عن ابن جريج عن الزبير عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الأربعة وطعام الأربعة يكفي الثمانية وهو اسناد صحيح ومتن صحيح متفق عليه قال أبو عمرو والله لقد أفحمني ولم يحضرني جواب فلما خرجنا فارقني من جانب

وقال أنوشروان أربعة قبائح وهي في أربعة أقبح البخل في الملوك والكذب في القضاة والحسد في العلماء والوقاحة في النساء ويقال من جسر أيسر ومن هاب خاب قال الشاعر

لا تكونن في الأمور هيوبا * فالى خيبة يصير الهيوب

وقال علي رضي الله عنه إذا هبت أمراً فقع فيه فان شر توقيه أعظم مما تخاف منه وقال رضي الله عنه الغوغاء إذا اجتمعوا ضروا وإذا افترقوا نفعوا فقيل قد علمنا مضرة اجتماعهم فما منفعة افتراقهم قال يرجع أهل المهن إلى مهنهم فينتفع الناس بهم كرجوع البناء إلى بنائه والنساج إلى منسجه والخباز إلى مخبزه وقال بعض السلف لا تسبوا الغوغاء فانهم يطفئون الحريق ويخرجون الغريق وقال الاحنف ما قل سفهاء قوم الا ذلوا وقال حكيم لا يخرجن أحد من بيته الا وقد أخذ في حجره قيراطين من جهل فان الجاهل لا يدفعه الا الجهل أراد السفه قال الشاعر

ألا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وقيل الجاهل من لا جاهل له أي من لا سفيه له يدفع عنه * وقيل بينما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه جالس إذ جاء أعرابي فلطمه فقام اليه واقد بن عمرو فجلد به الارض فقال عمر ليس بعزيز من ليس في قومه سفيه وقال الشاعر

ولا يلبث الجهال أن يتهضموا * أخا الحلم ما لم يستعن بجهول

وقال صالح بن جناح إذا كنت بين الجهل والحلم قاعدا * وخيرت أنى شئت فالحلم أفضل

ولكن إذا أنصفت من ليس منصفا * ولم يرض منك الحلم فالجهل أمثل

وقال الاحنف بن قيس وذي ضغن أميت القول عنه * بحلم فاستمر على المقال

ومن يحلم وليس له سفيه * يلاق المعضلات من الرجال

(وقال آخر) فان كنت محتاجا الى الحلم انني * الى الجهل في بعض الاحايين أحوج

ولي فرس للخير بالخير ملجم * ولي فرس للشر بالشر مسرج

فمن رام تقويمي فاني مقوم * ومن رام تعويجي فاني معوج

(وقال آخر) فان قيل حلم قلت للحلم موضع * وحلم الفتى في غير موضعه جهل

اللهم إنا نعوذ بك أن نجهل أو يجهل علينا برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب الثالث والثلاثون في الجود والسخاء والكرم ومكارم الأخلاق واصطناع المعروف وذكر الأمجاد وأحاديث الأجواد ﴾

(اعلم) أن الجود بذل المال وأنفعه ما صرف في وجه استحقاقه وقد ندب الله تعالى اليه في قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قيل ان الجود والسخاء والايثار بمعنى واحد وقيل من أعطى البعض وأمسك البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الاكثر فهو صاحب جود ومن آثر غيره بالحاضر وبقي هو في مقاساة الضرر فهو صاحب إيثار وأصل السخاء هو السماحة وقد يكون المعطي بخيلا إذا صعب عليه البذل والممسك سخيا إذا كان لا يستصعب العطاء (فمن الايثار ما حكي) عن حذيفة العدوي أنه قال انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي في القتلى ومعي شيء من الماء وأنا أقول ان كان به رمق سقيته فاذا أنا به بين القتلى فقلت له أسقيك فأشار الي أن نعم فاذا برجل يقول آه فأشار الي ابن

الطريق إلى الجانب الآخر بعد أن كان يمشي ورائي وسمعته يقول ومن ظن ممن يلاقي الحروب * بأن لا يصاب فقد ظن عجزا

(ومن المنقول عن أذكياء المتلصصين) أن بعض التجار قال احتال على رجل بحوالة فكان يأتيني كل يوم ويأخذ قدر نفقته الى أن نفدت وصار بيننا معرفة وألف الجلوس عندي وكان يراني أخرج من صندوق لي فأعطيه فقال لي يوما ان قفل الرجل صاحبه في سفره وأمينه في حضره وخليفته على حفظ ماله وان لم يكن وثيقا تطرقت الحيل اليه وأرى قفلك هذا وثيقا فقل لي ممن ابتعته لابتاع مثله لنفسي فقلت من فلان الاقفالي قال فما شعرت يوما وقد جئت الى دكاني وتقدمت الى الصندوق لاخرج منه شيئا من الدراهم ففتحته فاذا ليس فيه شيء فقلت لغلامي وهو عندي أمين غير متهم هل أنكرت شيئا من أحوال الدكان قال لا قلت ففتش هل ترى نقبا أم في السقف حيلة قال لا قلت فاعلم أن الذي كان في الصندوق قد ذهب فقلق الغلام فأمسكته وقمت مفكرا وتأخر الرجل عني فتيقظت له وذكرت سؤاله عن القفل وقلت للغلام أخبرني كيف تفتح دكاني وتقفله فقال أحمل الدرابيب دفعتين وثلاثة حتى أضعها في محلها وهكذا أصنع في غلقها قلت فمن تدع عند الدكان اذا نقلت الدرابيب قال أتركه خاليا قلت فمن ههنا ذهبت فمضيت إلى الصانع الذي ابتعت منه القفل فقلت جاءك انسان منذ أيام اشترى منك مثل هذا القفل قال نعم رجل من

عمي

صفته كذا وكذا وأعطاني صفة صاحبي فعلمت أنه احتال على الغلام وقت المساء ودخل الدكان واختبأ فيها ومعه مفتاح القفل وأخذ المال ومكث طول الليل الى الصباح فلما فتح الغلام وحمل الدراريب ليضعها في محلها

عمي أن انطلق اليه واسقه فاذا هو هشام بن العاص فقلت أسقيك فأشار الى أن نعم فسمع آخر يقول آه فأشار الى أن انطلق إليه فجئته فاذا هو قدمات فرجعت الى هشام فاذا هو قدمات فرجعت الى ابن عمي فاذا هو قدمات (ومن عجائب ماذكر في الايثار) ما حكاه أبو محمد الأزدي قال لما احترق المسجد بمرو ظن المسلمون أن النصارى أحرقوه فأحرقوا خاناتهم فقبض السلطان على جماعة من الذين أحرقوا الخانات وكتب رقاعا فيها القطع والجلد والقتل ونثرها عليهم فمن وقع عليه رقعة فعل به ما فيها فوقعت رقعة فيها القتل بيد رجل فقال والله ما كنت أبالي لولا أم لي وكان بجنبه بعض الفتيان فقال له في رقعتي الجلد وليس لي أم فخذ أنت رقعتي وأعطني رقعتك ففعل فقتل ذلك الفتى وتخلص هذا الرجل * وقيل لقيس بن سعد هل رأيت قط أسخى منك قال نعم نزلنا بالبادية على امرأة فجاء زوجها فقالت له انه نزل بنا ضيفان فجاء بناقة فنحرها وقال شأنكم فلما كان من الغد جاء بأخرى فنحرها وقال شأنكم فقلنا ما أكلنا من التي نحرت البارحة الا القليل فقال اني لا أطعم ضيفاني البائت فبقينا عنده أياما والسماء تمطر وهو يفعل كذلك فلما أردنا الرحيل وضعنا مائة دينار في بيته وقلنا للمرأة اعتذري لنا اليه ومضينا فلما ارتفع النهار اذا برجل يصيح خلفنا قفوا أيها الركب اللئام أعطيتمونا ثمن قرانا ثم انه لحقنا وقال خذوها والا طعنتكم برمحي هذا فأخذناها وانصرفنا * وقال بعض الحكماء أصل المحاسن كلها الكرم وأصل الكرم نزاهة النفس عن الحرام وسخاؤها بما يملك على الخاص والعام وجميع خصال الخير من فروعه وقال رسول الله ﷺ تجاوزوا عن ذنب السخي فان الله آخذ بيده كلما عثر وفاتح له كلما افتقر وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال ما سئل رسول الله ﷺ شيئا قط فقال لا وعنه ﷺ أنه قال السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار والجاهل سخي أحب الى الله من عابد بخيل وقال بعض السلف منع الموجود سوء ظن بالمعبود وتلا قوله تعالى وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين وقال الفضيل ما كانوا يعدون القرض معروفا وقال أكثم بن صيفي صاحب المعروف لا يقع وان وقع وجد له متكأ وقيل للحسن بن سهل لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير فقلب اللفظ واستوفى المعنى ووجد مكتوبا على حجر انتهز الفرص عند امكانها ولا تحمل نفسك هم ما لم يأتك واعلم أن تقتيرك على نفسك توفير لخزانة غيرك فكم من جامع لبعل حليلته وقال علي رضي الله تعالى عنه ما جمعت من المال فوق قوتك فانما أنت فيه خازن لغيرك وقال النعمان بن المنذر يوما لجلسائه من أفضل الناس عيشا وأنعمهم بالا وأكرمهم طباعا وأجلهم في النفوس قدرا فسكت القوم فقام فتى فقال أبيت اللعن أفضل الناس من عاش الناس في فضله فقال صدقت وكان أسماء بن خارجة يقول ما أحب أن أرد أحدا عن حاجة لانه ان كان كريما أصون عرضه أو لئيما أصون عنه عرضي وكان مورق العجلي يتلطف في ادخال السرور والرفق على إخوانه فيضع عند أحدهم البدرة ويقول له أمسكها حتى أعود اليك ثم يرسل يقول له أنت منها في حل وقال الحسن رضي الله عنه باع طلحة بن عثمان رضي الله تعالى عنه أرضا بسبعمائة ألف درهم فلما جاءه المال قال ان رجلا يبيت هذا عنده لا يدري ما يطرقه لغرير بالله تعالى ثم قسمه في المسلمين * ولما دخل المنكدر على عائشة رضي الله عنها قال لها يا أم المؤمنين أصابتني فاقة فقالت ما عندي شيء فلو كان عندي عشرة آلاف درهم لبعثت بها اليك فلما خرج من عندها جاءتها عشرة آلاف درهم من عند خالد بن أسيد

خرج وانه ما فعل ذلك الا وقد خرج من المدينة فخرجت من البصرة ومعي قفلي ومفتاحي فقلت أبتدىء بواسط فلما صعدت طلبت خانا أنزله فلما دخلت الخان وجدت قفلا مثل قفلي على باب بيت فقلت لقيم الخان هذا البيت من ينزله قال رجل قدم أمس من البصرة فقلت ما صفته فوصف لي صاحبي فما شككت أنه هو وان الدراهم في بيته فاكتريت بيتا الى جانبه ورصدته حتى انصرف قيم الخان ففتحت القفل ودخلت البيت فوجدت كيسي بعينه فأخذته وخرجت ووضعت قفله على بابه ونزلت على الفور في السفينة وانحدرت الى البصرة ولم أقم بواسط غير ساعة من نهار فرجعت الى منزلي بمالي كله (ومن المنقول عن أذكياء الصبيان) أنه وقف اياس بن معاوية وهو صبي على قاضي دمشق ومعه شيخ فقال أصلح الله القاضي هذا الشيخ ظلمني وأكل مالي فقال القاضي ارفق بالشيخ ولا تستقبله بمثل هذا الكلام فقال اياس ان الحق أكبر مني ومنه ومنك قال اسكت قال وان سكت فمن يقوم بحجتي قال فتكلم فوالله لا تتكلم بخير فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له فبلغ ذلك الخليفة فعزل القاضي وولى اياسا مكانه (ومن المنقول عن أذكياء النساء)

فأرسلت بها اليه فى أثره فأخذها ودخل بها السوق فاشترى جارية بألف درهم فولدت له ثلاثة أولاد فكانوا عباد المدينة وعمهم محمد وأبو بكر وعمر بنو المنكدر وأكرم العرب فى الاسلام طلحة بن عبيد الله رضى الله تعالى عنه جاء اليه رجل فسأله برحم بينه وبينه فقال هذا حائطى بمكان كذا وكذا وقد أعطيت فيه مائة ألف درهم يراح الى بالمال العشية فان شئت فالمال وان شئت فالحائط وقال زياد بن جرير رأيت طلحة بن عبيد الله فرق مائة ألف فى مجلس وانه ليخيط ازاره بيده (وذكر) الامام أبو على القالى فى كتاب الامالى ان رجلا جاء الى معاوية رضى الله تعالى عنه فقال له سألتك بالرحم التى بينى وبينك الا ما قضيت حاجتى فقال له معاوية أمن قريش أنت قال لا قال فأى رحم بينى وبينك قال رحم آدم عليه السلام قال رحم مجفوة والله لأكونن أول من وصلها ثم قضى حاجته (وروى) أن الاشعث بن قيس أرسل الى عدى بن حاتم يستعير منه قدورا كانت لأبيه حاتم فملأها مالا وبعث بها اليه وقال إنا لا نعيرها فارغة وكان الاستاذ أبو سهل الصعلوكى من الاجواد ولم يناول أحدا شيئا وانما كان يطرحه فى الارض فيتناوله الآخذ من الارض وكان يقول الدنيا أقل خطرا من أن ترى من أجلها يد فوق يد أخرى وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم اليد العليا خير من اليد السفلى وسأل معاوية الحسن بن على رضى الله تعالى عنهم عن الكرم فقال هو التبرع بالمعروف قبل السؤال والرأفة بالسائل مع البذل وقدم رجل من قريش من سفر فمر على رجل من الاعراب على قارعة الطريق قد أقعده الدهر وأضر به المرض فقال له يا هذا أعنا على الدهر فقال لغلامه ما بقى معك من النفقة فادفعه اليه فصب فى حجره أربعة آلاف درهم فهم ليقوم فلم يقدر من الضعف فبكى فقال له الرجل ما يبكيك لعلك استقللت ما دفعناه اليك فقال لا والله ولكن ذكرت ما تأكل الارض من كرمك فأبكانى * وقال بعضهم قصد رجل الى صديق له فدق عليه الباب فخرج اليه وسأله عن حاجته فقال على دين كذا وكذا فدخل الدار وأخرج اليه ما كان عليه ثم دخل الدار باكيا فقالت له زوجته هلا تعاللت حيث شقت عليك الاجابة فقال انما أبكى لأنى لم أتفقد حاله حتى احتاج الى أن سألنى * وروى أن عبد الله بن أبى بكر وكان من أجود الاجواد عطش يوما فى طريقه فاستسقى من منزل امرأة فأخرجت له كوزا وقامت خلف الباب وقالت تنحوا عن الباب وليأخذه بعض غلمانكم فانى امرأة عزب مات زوجى منذ أيام فشرب عبد الله الماء وقال يا غلام احمل اليها عشرة آلاف درهم فقالت سبحان الله أتسخر بى فقال يا غلام احمل اليها عشرين ألفا فقالت أسأل الله العافية فقال يا غلام احمل اليها ثلاثين ألفا فما أمست حتى كثر خطابها وكان رضى الله تعالى عنه ينفق على أربعين دارا من جيرانه عن يمينه وأربعين عن يساره وأربعين أمامه وأربعين خلفه ويبعث اليهم بالاضاحى والكسوة فى الاعياد ويعتق فى كل عيد مائة مملوك رضى الله تعالى عنه * ولما مرض قيس بن سعد بن عبادة استبطأ اخوانه فى العيادة فسأل عنهم فقيل له انهم يستحيون مما لك عليهم من الدين فقال أخزى الله مالا يمنع عنى الاخوان من الزيارة ثم أمر مناديا ينادى من كان لقيس عنده مال فهو منه فى حل فكسرت عتبة بابه بالعشى لكثرة العواد * وكان عبد الله بن جعفر من الجود بالمكان المشهود وله فيه أخبار يكاد سامعها ينكرها لبعدها عن المعهود وكان معاوية يعطيه ألف ألف درهم فى كل سنة فيفرقها فى الناس ولا يرى الا وعليه دين * وسمن رجل بهيمة ثم خرج بها ليبيعها فمر بعبد الله بن جعفر رضى الله تعالى عنه فقال يا صاحب البهيمة أتبيعها قال لا ولكنها هى لك هبة ثم تركها له وانصرف الى بيته فلم يلبث الا يسيرا واذا بالحمالين على بابه عشرين

حكى المدائنى قال خرج ابن زياد فى فوارس فلقوا رجلا ومعه جارية لم ير مثلها فى الحسن فصاحوا به خل عنها وكان معه قوس فرمى أحدهم فهابوا الاقدام عليه فعاد ليرمى

فانقطع الوتر فهجموا عليه وأخذوا الجارية فهرب واشتغلوا عنه بالجارية ومد بعضهم يده الى أذنها وفيها قرط وفى القرط درة يتيمة لها قيمة عظيمة فقالت وما قدر هذه الدرة انكم لو رأيتم ما فى قلنسوته من الدر لاستحقرتم هذه فتركوها واتبعوه وقالوا له ألق ما فى قلنسوتك وكان فيها وتر قد أعده فنسيه من الدهش فلما ذكره ركبه فى القوس ورجع الى القوم فولى القوم هاربين وخلوا الجارية (وحكى ابن الجوزى فى كتاب الاذكياء) نبذة عن الحيوان الذى كان بذكائه يشبه ذكاء الآدميين * فمن ذلك أن بعض الكتاب مر بمقبرة فاذا قبر عليه قبة مكتوب عليها هذا قبر الكلب فمن أحب أن يعلم خبره فليمض الى قرية كذا وكذا فان فيها من يخبره فسأل الرجل عن القرية فدلوه عليها فقصدها فقيل له ما يعلم ذلك الا شيخ هنا قد جاوز المائة فسأله فقال كان هنا ملك عظيم الشأن وكان يحب التنزه والصيد وكان له كلب قد رباه لا يفارقه فخرج يوما الى بعض منتزهاته وقال لبعض غلمانه قل للطباخ يصلح لنا ثريدة بلبن فجاؤا باللبن الى الطباخ ونسى أن يغطيه بشىء نفرا واشتغل بالطبيخ فخرجت من بعض الشقوق أفعى فكرعت فى ذلك اللبن ومجته فى الثريدة والكلب رابض يرى ذلك ولم يجد له حيلة يصل بها

نفرا عشرة منهم يحملون حنطة وخمسة لحما وكسوة وأربعة يحملون فاكهة ونقلا وواحد يحمل مالا فأعطاه جميع ذلك واعتذر اليه رضى الله تعالى عنه * ولما مات معاوية رضى الله تعالى عنه وفد عبد الله ابن جعفر على يزيد ابنه فقال كم كان أمير المؤمنين معاوية يعطيك فقال كان رحمه الله يعطينى ألف ألف فقال يزيد قد زدناك لترحمك عليه ألف ألف فقال بأبى وأمى أنت فقال ولهذه ألف ألف فقال أما أنى لا أقولها لاحد بعدك فقيل ليزيد أعطيت هذا المال كله من مال المسلمين لرجل واحد فقال والله ما أعطيته الا لجميع أهل المدينة ثم وكل به يزيد من صحبه وهو لا يعلم لينظر ما يفعل فلما وصل المدينة فرق جميع المال حتى احتاج بعد شهر الى الدين * وخرج رضى الله تعالى عنه هو والحسنان وأبو دحية الأنصارى رضى الله تعالى عنهم من مكة الى المدينة فأصابتهم السماء بمطر فلجؤا إلى خباء أعرابى فأقاموا عنده ثلاثة أيام حتى سكنت السماء فذبح لهم الاعرابى شاة فلما ارتحلوا قال عبد الله للاعرابى ان قدمت المدينة فسل عنا فاحتاج الاعرابى بعد سنين فقالت له امرأته لو أتيت المدينة فلقيت أولئك الفتيان فقال قد نسيت أسماءهم فقالت سل عن ابن الطيار فأتى المدينة فلقى سيدنا الحسن رضى الله تعالى عنه فأمر له بمائة ناقة بفحولها ورعاتها ثم أتى الحسين رضى الله تعالى عنه فقال كفانا أبو محمد مؤونة الابل فأمر له بألف شاة ثم أتى عبد الله بن جعفر رضى الله تعالى عنه فقال كفانى اخوانى الابل والشياه فأمر له بمائة ألف درهم ثم أتى أبا دحية رضى الله تعالى عنه فقال والله ما عندى مثل ما أعطوك ولكن ائتنى بابلك فأوقرها لك تمرا فلم يزل اليسار فى عقب الاعرابى من ذلك اليوم * وقال الحسن والحسين يوما لعبد الله بن جعفر رضى الله عنهم إنك قد أسرفت فى بذل المال فقال بأبى أنتما ان الله عز وجل عودنى أن يتفضل على وعودته أن أتفضل على عباده فأخاف أن أقطع العادة فيقطع عنى المادة وامتدحه نصيب فأمر له بخيل وأساس ودنانير ودراهم فقال له رجل مثل هذا الاسود تعطى له هذا المال فقال ان كان أسود فان ثناءه أبيض ولقد استحق بما قال أكثر مما نال وهل أعطيناه الا ثيابا تبلى ومالا يفنى وأعطانا مدحا يروى وثناء يبقى وخرج عبد الله رضى الله تعالى عنه يوما الى ضيعة له فنزل على حائط به نخيل لقوم وفيه غلام أسود يقوم عليه فأتى بقوته ثلاثة أقراص فدخل كلب فدنا من الغلام فرمى اليه بقرص فأكله ثم رمى اليه بالثانى والثالث فأكلهما وعبد الله ينظر اليه فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رأيت قال فلم آثرت هذا الكلب قال أرضنا ماهى بأرض كلاب وانه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت أن أرده قال فما أنت صانع اليوم قال أطوى يومى هذا فقال عبد الله بن جعفر ألام على السخاء وان هذا لأسخى منى فاشترى الحائط ومافيه من النخيل والآلات واشترى الغلام ثم أعتقه ووهبه الحائط بما فيه من النخيل والآلات فقال الغلام ان كان ذلك لى فهو فى سبيل الله تعالى فاستعظم عبد الله ذلك منه فقال يجود هذا وأبخل أنا لا كان ذلك ابدا وكان عبيد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما من الاجواد أتاه رجل وهو بفناء داره فقام بين يديه وقال يا ابن عباس ان لى عندك يدا وقد احتجت اليها فصعد فيه بصره فلم يعرفه فقال مايدك قال رأيتك واقفا بفناء زمزم وغلامك يمتح لك من مائها والشمس قد صهرتك فظللتك بفضل كسائى حتى شربت فقال أجل انى لاذكر ذلك ثم قال لغلامه ماعندك قال مائتا دينار وعشرة آلاف درهم فقال ادفعها اليه وما أراها تفى بحق يده * وقدم عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما على معاوية مرة فأهدى اليه من هدايا النوروز حللا كثيرة

الى الافعى وكان هناك جارية زمنة خرساء قد رأت ماصنعت الافعى ووافى الملك من الصيد فى آخر النهار فقال ياغلمان ادركونى بالثريدة فلما وضعت بين يديه أومأت الخرساء فلم يفهم ماتقول ونبح الكلب (١٥٩) وصاح فلم يلتفت اليه وولج فى الصياح فلم يعلم مراده فقال للغلمان نحوه عنى ومديده الى اللبن بعد مارمى الى الكلب ما كان يرمى اليه فلم يلتفت الكلب الى شىء من ذلك ولم يلتفت الى غير الملك فلما رآه يريد أن يضع اللقمة من اللبن فى فيه وثب الى وسط المائدة وأدخل فمه وكرع فى اللبن فسقط ميتا وتناثر لحمه وبقى الملك متعجبا من الكلب وفعله فأومأت الخرساء اليهم فعرفوا مرادها وما صنع الكلب فقال الملك لحاشيته هذا الكلب فدانى بنفسه وقد وجب أن أكافئه وما يحمله ويدفنه غيرى فدفنه وبنى عليه القبة التى رأيتها (قلت) قد أوردنا نبذة لطيفة من كتاب الاذكياء لابن الجوزى مختلفة الانواع وقد تعين أن نورد له هنا نبذة لطيفة من كتاب الحمقى والمغفلين لانه قال فى كتاب الحمقى ماوضعت ذلك الا لان النفس قد تمل من ملازمة الجد وترتاح إلى بعض المباح من اللهو كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال الحنظلة ساعة وساعة * وعن على رضى الله عنه أنه قال روحوا القلوب بطرائف الحكم فانها تمل الابدان (وكان) رجل يجالس أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحدثهم فاذا أكثروا وثقل عليه الحديث قال ان الاذن مجاجة وان القلوب حمضة هاتوا من أشعاركم

ومسكا وآنية من ذهب وفضة ووجهها اليه مع حاجبه فلما وضعها بين يديه نظر الى الحاجب وهو ينظر اليها فقال له هل في نفسك منها شيء قال نعم والله ان في نفسي منها ما كان في نفس يعقوب من يوسف عليهما الصلاة والسلام فضحك عبدالله وقال خذها فهي لك قال جعلت فداءك أخاف أن يبلغ ذلك معاوية فيحقد علي قال فاختمها بخاتمك وسلمها الى الخازن فاذا كان وقت خروجنا حملناها اليك ليلا فقال الحاجب والله لهذه الحيلة في الكرم أكثر من الكرم * وحبس معاوية عن الحسين ابن علي رضي الله تعالى عنهما صلاته فقيل له لو وجهت الى ابن عمك عبدالله بن عباس فانه قدم بنحو ألف ألف فقال الحسين وأين تقع ألف ألف من عبدالله فوالله لهو أجود من الريح اذا عصفت وأسخى من البحر اذا زخر ثم وجه اليه مع رسوله بكتاب يذكر فيه حبس معاوية صلاته عنه وضيق حاله وأنه يحتاج الى مائة ألف درهم فلما قرأ عبد الله كتابه انهملت عيناه وقال ويلك يا معاوية أصبحت لين المهاد رفيع العماد والحسين يشكو ضيق الحال وكثرة العيال ثم قال لوكيله احمل الى الحسين نصف ما أملكه من ذهب وفضة ودواب وأخبره أني شاطرته فان كفاه والا احمل اليه النصف الثاني فلما أتاه الرسول قال إنا لله وإنا اليه راجعون ثقلت والله على ابن عمي وما حسبت أنه يسمح لنا بهذا كله رضوان الله عليهم أجمعين وجاء رجل من الانصار إلى عبدالله بن عباس رضي الله تعالى عنهما فقال له يا ابن عم محمد ﷺ انه ولد لي في هذه الليلة مولود واني سميته باسمك تبركا بك وان أمه ماتت فقال له بارك الله لك في الهبة وآجرك على المصيبة ثم دعا بوكيله وقال له انطلق الساعة فاشتر للمولود جارية تحضنه وادفع لأبيه مائتي دينار لينفقها على تربيته ثم قال الانصاري عد الينا بعد أيام فانك جئتنا وفي العيش يبس وفي المال قلة فقال الانصاري جعلت فداءك لو سبقت حاتما بيوم ما ذكرته العرب وقال أبو جهم بن حذيفة يوما لمعاوية أنت عندنا يا أمير المؤمنين كما قال ابن عبد كلال

يقينا ما نخاف وان ظننا * به خيرا أراناه يقينا * نميل على جوانبه كأنا
اذا ملنا نميل على أبينا * نقلبه لنخبر حالتيه * فنخبر منهما كرما ولينا

فأمر له بمائة ألف درهم وأنشده عبدالله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما

بلوت الناس قرنا بعد قرن * فلم أر غير ختال وقال * ولم أر في الخطوب أشد وقعا
وأمضى من معادات الرجال * وذقت مرارة الاشياء طرا * فما شيء أمر من السؤال

فأعطاه مائة ألف درهم ودخل عليه الحسن يوما وهو مضطجع على سريره فسلم عليه وأقعده عند رجليه وقال ألا تعجب من قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تزعم أني لست للخلافة أهلا ولا لها موضعا فقال الحسن أو عجبا مما قالت قال كل العجب قال الحسن وأعجب من هذا كله جلوسي عند رجليك فاستحيا معاوية واستوى جالسا ثم قال أقسمت عليك يا أبا محمد الا ما أخبرتني كم عليك دينا قال مائة ألف درهم فقال يا غلام أعط أبا محمد ثلاثمائة ألف درهم مائة ألف يقضي بها دينه ومائة ألف يفرقها على مواليه ومائة ألف يستعين بها على نوائبه وسوغها اليه الساعة وكان معن بن زائدة من الاجواد وكان عاملا على العراق بالبصرة قيل انه أتى اليه بعض الشعراء فأقام ببابه مدة يريد الدخول عليه فلم يتهيأ له ذلك فقال يوما لبعض الخدم اذا دخل الامير البستان فعرفني فلما دخل أعلمه بذلك فكتب الشاعر بيتا ونقشه على خشبة وألقاها في الماء الذي يدخل البستان وكان معن

وحدثكم (وقال) أبو الدرداء رضي الله عنه اني لاستجم نفسي بشيء من الباطل كراهة أن أحملها من الحق ما يملها (وعن) ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يحدث أصحابه ساعة ثم يقول حمضونا فيأخذ في أحاديث العرب وأشعارهم ومثله عن الزهري ومالك ابن دينار (وكان) شعبة يحدث فاذا رأى أبا زيد قال له ايه أبا زيد

استعجمت دار نعم ما تكلمنا
والدار لو كلمتنا ذات أخبار

(ووصف) رجل عند ابن عائشة فقيل هو جد كله فقال ابن عائشة لقد أعان على نفسه وقصر لها طول المدى ولو فكهها بالانتقال من حال الى حال نفس عنها ضيق العقد ورجع الى الجد بنشاط (وقال) الرشيد النوادر تستحد الاذهان وتفتق الآذان (وقال آخر) لا يحب الملح إلا ذكران الرجال ولا يكرهها الا مؤنثوهم وقال الشاعر

أروح القلب ببعض الهزل
تجاهلا مني بغير جهل
أمزح فيه مزح أهل الفضل
والمزح أحيانا جلاء العقل

(قال ابن الجوزي في كتاب الحمقى) ان الأحنف ابن قيس قال اذا رأيتم الرجل طويل القامة عظيم اللحية فاحكموا عليه بالحمق * وقال معاوية لرجل كفى أن نشهد عليك بالحمق ما نراه من طول لحيتك * وقال آخر وتلطف ما شاء من طالت لحيته تكوسج عقله * وقال أصحاب الفراسة من طالت قامته وطالت لحيته وجبت تعزيته في عقله * وقالوا إذا كان الرجل طويلا طويل

جالسا على القناة فلما رأى الخشبة أخذها وقرأها فاذا فيها بيت مفرد

أياجود معن ناج معنا بحاجتي * فليس إلى معن سواك شفيع

فقال من الرجل صاحب هذه فأتى به اليه فقال كيف قلت فأنشده البيت فأمر له بعشر بدر فأخذها وانصرف ووضع معن الخشبة تحت بساطه فلما كان في اليوم الثاني أخرجها من تحت البساط ونظر فيها وقال علي بالرجل صاحب هذه فأتى به فقال له كيف قلت فأنشده البيت فأمر له بعشر بدر فأخذها وانصرف ووضع معن الخشبة تحت بساطه فلما كان في اليوم الثالث أخرجها ونظر فيها وقال علي بالرجل صاحب هذه فأتى به اليه فقال له كيف قلت فأنشده البيت فأمر له بعشر بدر فأخذها وتفكر في نفسه وخاف أن يأخذ منه ما أعطاه فخرج من البلد بما معه فلما كان في اليوم الرابع طلب الرجل فلم يجده فقال معن لقد ساء والله ظنه ولقد هممت أن أعطيه حتى لا يبقى في بيت مالي درهم ولا دينار وفيه يقول القائل

يقولون معن لا زكاة لماله * وكيف يزكي المال من هو باذله
إذا حال حول لم تجب في دياره * من المال إلا ذكره وجمائله
تراه إذا ما جئته متهللا * كأنك تعطيه الذي أنت نائله
تعود بسط الكف حتى لو انه * أراد انقباضا لم تطعه أنامله
فلو لم يكن في كفه غير نفسه * لجاد بها فليتق الله سائله

(ومن قول معن)

دعيني أنهب الأموال حتى * أعف الأكرمين عن اللئام

وكان يزيد بن المهلب من الأجواد الأسخياء وله أخبار في الجود عجيبة * من ذلك ما حكاه عقيل ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال لما أراد يزيد بن المهلب الخروج إلى واسط أتيته فقلت أيها الأمير إن رأيت أن تأذن لي فأصحبك قال إذا قدمت واسط فائتنا إن شاء الله تعالى فسافر وأقمت فقال لي بعض اخواني اذهب اليه فقلت كان جوابه فيه ضعف قالوا أتريد من يزيد جوابا أكثر مما قال قال فسرت حتى قدمت عليه فلما كان في الليل دعيت إلى السمر فتحدث القوم حتى ذكروا الجواري فالتفت إلى يزيد وقال ايه يا عقيل فقلت

أفاض القوم في ذكر الجواري * فأما الأعزبون فلم يقولوا

قال انك لم تبق عزبا فلما رجعت إلى منزلي إذا أنا بخادم قد أتاني ومعه جارية وفرش بيت وبدرة عشرة آلاف درهم وفي الليلة الثانية كذلك فمكثت عشر ليال وأنا على هذه الحالة فلما رأيت ذلك دخلت عليه في اليوم العاشر فقلت أيها الأمير قد والله أغنيت وأقنيت فان رأيت أن تأذن لي في الرجوع فأكبت عدوي وأسر صديقي فقال انما أخيرك بين خلتين اما أن تقيم فنوليك أو ترحل فنغنيك فقلت أولم أيها الأمير قال انما هذا تغني أثاث المنزل ومصلحة القدوم فنالني من فضله مالا أقدر على وصفه ﴿وحدث﴾ أبو اليقظان عن أبيه قال حج يزيد بن المهلب فطلب حلاقا فجاؤه بحلاق فحلق رأسه فأمر له بخمسة آلاف درهم فتحير الحلاق ودهش وقال آخذ هذه الخمسة الآلاف وأمضي إلى أم فلان وأخبرها اني قد استغنيت فقال اعطوه خمسة آلاف أخرى فقال امرأته طالق إن حلقت رأس أحد بعدك وقيل ان الحجاج حبسه على خراج وجب عليه مقدار مائة ألف درهم فجمعت له وهو في السجن فجاءه الفرزدق يزوره فقال للحاجب استأذن لي عليه فقال انه في مكان لا يمكن

اللحية وأضيف إلى ذلك أن يكون صغير الرأس فاحكم عليه بالحمق (وقال زياد) ما زادت لحية الرجل على قبضة إلا كان ذلك نقصانا من عقله وقال الشاعر

إذا عرضت للفتى لحية * وطالت وصارت إلى سرته
فقد ضاق عقل الفتى عندنا * بمقدار ما زاد من لحيته

﴿وقال ابن الرومي﴾

ان تطل لحية عليك وتعرض * فالمخالي معروفة للحمير
علق الله في عذاريك مخلا * ة ولكنها بغير شعير

(وقال بعضهم) صارم الأحمق فليس له خير من الهجران * وقيل مكتوب في التوراة من اصطنع إلى أحمق معروفا فهي كخطيئة مكتوبة عليه * وقال سفيان الثوري هجران الأحمق قربة إلى الله تعالى (فمن ضرب المثل بحمقه وتغفله) هبنقة واسمه يزيد وكان قد جعل في عنقه قلادة من عظام وودع وقال أخشى أن أضيع من نفسي ففعلت ذلك لأعرفها فحولت أمه القلادة إلى عنق أخيه فلما أصبح ورآها قال يا أخي أنا أنت وأنت أنا وضل له بعير فجعل يقول من وجده فهو له فقيل له فلم تنشده قال لحلاوة الظفر (واختصمت) بنو طفاوة وبنو راسب في رجل ادعى من الفريقين انه منهم فقال هبنقة حكمه أن يلقى في الماء فان طفا فهو من طفاوة وان رسب فهو من راسب فقال الرجل ان كان الحكم هكذا فقد زهدت في الطائفتين (ومنهم أبو غيشان) رجل

من خزاعة كان يلي سدانة البيت فاجتمع مع قصي بن كلاب بالطائف على الشراب فلما سكر اشترى منه قصي ولاية سدانة البيت بزق من خمر وأخذ منه مفاتيحه وسار بها إلى مكة وقال يا قريش هذه مفاتيح أبيكم ابراهيم

الدخول عليه فيه فقال الفرزدق إنما أتيت متوجعا لما هو فيه ولم آت ممتدحا فأذن له فلما أبصره قال

أبا خالد ضاقت خراسان بعدكم * وقال ذوو الحاجات أين يزيد

فما قطرت بالشرق بعدك قطرة * ولا اخضر بالمروين بعدك عود

وما المرور بعد عزك بهجة * وما لجواد بعد جودك جود

فقال يزيد للحاجب ادفع اليه المائة ألف درهم التي جمعت لنا ودع الحجاج ولحمي يفعل فيه ما يشاء فقال الحاجب للفرزدق هذا الذي خفت منه لما منعتك من دخولك عليه ثم دفعها اليه فأخذها وانصرف ومر يزيد بن المهلب عند خروجه من سجن عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه بعجوز أعرابية فذبحت له عنزا فقال لابنه ما معك من النفقة قال مائة دينار قال ادفعها اليها فقال هذه يرضيها اليسير وهي لا تعرفك قال ان كان يرضيها اليسير فأنا لا أرضى إلا بالكثير وان كانت لا تعرفني فأنا أعرف نفسي وقال مروان بن أبي الجنوب الشاعر أمر لي المتوكل بمائة وعشرين ألفا وخمسين ثوبا ورواحل كثيرة فقلت أبياتا في شكره فلما بلغت قولي

فأمسك ندى كفيك عني ولا تزد * فقد خفت أن أطغى وأن أتجبرا

فقال والله لا أمسك حتى أغرقك بجودي وأمر له بضياع تقوم بألف ألف وقال أبو العيناء تذاكروا السخاء فاتفقوا على آل المهلب في الدولة المروانية وعلى البرامكة في الدولة العباسية ثم اتفقوا على أن أحمد ابن أبي داود أسخى منهم جميعا وأفضل وسئل اسحق الموصلي عن سخاء أولاد يحيى بن خالد فقال أما الفضل فيرضيك فعله وأما جعفر فيرضيك قوله وأما محمد فيفعل بحسب ما يجد وفي يحيى يقول القائل

سألت الندى هل أنت حر فقال لا * ولكنني عبد ليحيى بن خالد

فقلت شراء قال لا بل وراثة * توارثني من والد بعد والد

﴿ وفي الفضل يقول القائل ﴾

إذا نزل الفضل بن يحيى ببلدة * رأيت بها غيث السماحة ينبت

فليس بسعال إذا سيل حاجة * ولا بمكب في ثرى الأرض ينكت

وفي محمد يقول القائل سألت الندى والجود مالي أراكما * تبدلتما عزا بذل مؤبد

وما بال ركن المجد أمسى مهدما * فقالا أصبنا بابن يحيى محمد * فقلت فهلا متما بعد موته

وقد كنتما عبديه في كل مشهد * فقالا أقمنا كي نعزى بفقده * مسافة يوم ثم نتلوه في غد

وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وكرم وجهه من كانت له إلى حاجة فليرفعها إلي في كتاب لأصون وجهه عن المسألة وجاءه رضي الله تعالى عنه اعرابي فقال يا أمير المؤمنين ان لي اليك حاجة الحياء يمنعني أن أذكرها فقال خطها في الأرض فكتب اني فقير فقال يا قنبر اكسه حلتي فقال الاعرابي

كسوتني حلة تبلى محاسنها * فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا * ان نلت حسن الثنا قد نلت مكرمة

وليس تبغي بما قدمته بدلا * ان الثناء ليحيي ذكر صاحبه * كالغيث يحيي نداه السهل والجبلا

لا تزهد الدهر في عرف بدأت به * كل امرىء سوف يجزى بالذي فعلا

فقال يا قنبر زده مائة دينار فقال يا أمير المؤمنين لو فرقتها في المسلمين لأصلحت بها من شأنهم فقال رضي الله تعالى عنه صه يا قنبر فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول اشكروا لمن أثنى عليكم واذا أتاكم كريم قوم فأكرموه ولعبد الله بن جدعان

اني وان لم ينل مالي مداخلتي * وهاب ما ملكت كفي من المال

رضها الله عليكم من غير غدر ولا ظلم وأفاق أبو غبشان فندم غاية الندم فقيل أحمق من أبي غبشان وقال شاعرهم

باعت خزاعة بيت الله اذ سكرت

بزق خمر فبئست صفقة البادي

باعت سدانتها بالخمر وانقرضت

عن المقام وظل البيت والنادي

(ومنهم ربيعة البكاء) سمي البكاء لانه دخل على أمه وهي تحت زوجها فبكى وصاح أتقتل أمي فقالوا أهون مقتول أم تحت زوج فذهبت مثلا (ومنهم حمزة بن بيض) قال يوما لغلامه أي يوم صلينا الجمعة بالرصافة فافتكر الغلام ساعة ثم قال يوم الثلاثاء (ومنهم حجي) قال بعضهم كان من أذكياء الناس وانما كان بينه وبين قوم عداوة فوضعوا عليه حكايات سارت بها الركبان وقيل كان من كبار الحمقى والمغفلين (قيل) إنه دخل الحمام وخرج منه فضربته ريح باردة فمس خصيتيه فاذا احداهما قد تقلصت فرجع الى الحمام وجعل يفتش الناس فقالوا له ما لك فقال سرقت احدى بيضتي ثم انه دخل في الحمام وحمي فرجعت البيضة فلما وجدها سجد شكرا لله وقال كل شيء لا تسرقه اليد لا يفقد (واشترى) يوما دقيقا وحمله على حمال فلما دخل الحمال في الزحام هرب فرآه حجي بعد أيام فاستتر منه لئلا

لا أحبس المال الا حيث أنفقه * ولا يغيرني حال الى حال

وقال بعض العرب لولده يابني لاتزهدن في معروف فان الدهر ذو صروف فكم راغب كان مرغوبا اليه وطالب كان مطلوبا ماليه وكن كما قال القائل

وعد من الرحمن فضلا ونعمة * عليك اذا ماجاء للخير طالب
ولا تمنعن ذا حاجة جاء راغبا * فانك لاتدري متى أنت راغب

(وقال بعضهم) أبيت خميص البطن عريان طاويا * وأوثر بالزاد الرفيق على نفسي
وأمنحه فرشي وأفترش الثرى * وأجعل ستر الليل من دونه لبسي
حذار أحاديث المحافل في غد * اذا ضمني يوما الى صدره رمسي

وقال يحيى البرمكي أعط من الدنيا وهي مقبلة فان ذلك لاينقصك منها شيئا وأعطي منها وهي مدبرة فان منعك لايبقي عليك منها شيئا فكان الحسن بن سهل يتعجب من ذلك ويقول لله دره ما أطبعه على الكرم وأعلمه بالدنيا وقد أمر يحيى من نظمه فقال

لاتبخلن بدنيا وهي مقبلة * فليس ينقصها التبذير والسرف
فان تولت فاحرى أن تجود بها * فليس تبقى ولكن شكرها خلف

وقال يحيى لولده جعفر يابني مادام قلمك يرعد فأمطره معروفا وقال بعضهم

لاتكثري في الجود لائمتي * واذا بخلت فاكثري لومي
كفي فلست بحامل أبدا * ماعشت هم غد الى يومي

وقال علي رضي الله تعالى عنه وكرم وجهه لاتستح من عطاء القليل فالحرمان أقل منه * وسئل اسحق الموصلي عن الخلوع فقال كان أمره كله عجبا كان لايبالي أين يقعد مع جلسائه وكان عطاؤه عطاء من لايخاف الفقر كان عنده سليمان بن أبي جعفر يوما فأراد الرجوع الى أهله فقال له سفر البر أحب اليك أم سفر البحر قال البحر ألين علي فقال أوقروا له زورقه ذهبا وأمر له بألف ألف درهم * وشكا سعيد بن عمرو بن عثمان بن عفان موسى شهوات الى سليمان بن عبد الملك وقال قد هجاني ياأمير المؤمنين فاستحضره سليمان وقال لا أم لك أتهجو سعيدا قال ياأمير المؤمنين أخبرك الخبر عشقت جارية مدنية وأتيت سعيدا فقلت اني أحب هذه الجارية وان مولاتها أعطيت فيها مائتي دينار وقد أتيتك فقال لي بورك فيك فقال سليمان ليس هذا موضع بورك فيك قال فأتيت ياأمير المؤمنين سعيد بن خالد فذكرت له حالي فقال ياجارية هاتي مطرفا فأتته بمطرف خز فصر لي في كل زاوية مائتي دينار فخرجت وأنا أقول

أبا خالد أعني سعيد بن خالد * أخا العرف لا أعني ابن بنت سعيد
ولكنني أعني ابن عائشة الذي * أبو أبويه خالد بن أسيد
عقيد الندى ماعاش يرضى به الندى * فان مات لم يرض الندى بعقيد
ذروه ذروه انكم قد رقدتمو * وما هو عن احسانكم برقود

فقال سليمان قل ماشئت * وكتب كلثوم بن عمر الى بعض الكرماء رقعة فيها

اذا تكرهت أن تعطي القليل ولم * تقدر على سعة لم يظهر الجود
بث النوال ولا تمنعك قلته * فكل ماسد فقرا فهو محمود

فشاطره ماله حتى بعث اليه بنصف خاتمه وفردة نعله وباع عبد الله بن عتبة بن مسعود أرضا بثمانين

يطالبه بالاجرة (وكان) لهم جارية تسمى عميرة فضربتها ذات يوم أمه فصاحت الجارية فاجتمع الناس على الباب فخرج اليهم فقال مالكم عافاكم الله انما هي أمي تجلد عميرة (ومنهم ابن الجصاص) قيل انه كان يقصد التبالة خيفة من الوزير ابن الفرات (فمن المنقول من حمقه) انه كان يوما مع الوزير في مركب ومعه بطيخة فأراد أن يعطيها للوزير ويبصق في البحر فبصق في وجه الوزير ورمى البطيخة في البحر هذا من المنقول عما ظهر عنه من التبالة والافقد روي عنه أنه قال لما ولي ابن الفرات الوزارة قصدني قصدا قبيحا وأنفذ العمال الى ضياعي وبسط لساني بثلبي ونقصني في مجلسه فدخلت يوما داره فسمعت حاجبه وقد وليت يقول هذا بيت مال يمشي على وجه الأرض ليس له من يأخذه فقلت هذا من كلام صاحبه وقد كان عندي في ذلك الوقت سبعة آلاف ألف دينار عينا سوى الجواهر والذخائر وغير ذلك فسهرت في ليلتي أفكر في أمري معه فوقع في نفسي في الثلث الأخير من الليل أن ركبت الى داره على الفور فوجدت الأبواب مغلقة فطرقتها فقال البواب من هذا قلت ابن الجصاص فقال ليس هذا وقت وصول والوزير نائم فقلت عرف الحجاب أني حضرت في مهم فعرفهم فخرج الى أحدهم وقال انه في هذا الوقت لاينتبه فقلت الأمر أهم من ذلك فأيقظه وعرفه عني ما قلت لك فدخل وأبطأ ساعة ثم خرج وأدخلني فارتاع لدخولي وظن أني جئته برسالة من الخليفة أو حدثت حادثة وهو متوقع لما أورده عليه فنظر الى

وقال ما الذي جاء بك في هذا الوقت قلت خير ماحدثت حادثة ولا معي رسالة ولا جئته إلا في أمر يخصني ويخص الوزير ولم تصلح مفاوضته إلا على خلوة فسكن روعه وقال لمن حوله انصرفوا فمضوا فقال هات فقلت أيها الوزير انك قصدتني بأقبح قصد وشرعت في هلاكي وازالة نعمتي وفي ازالتها خروج نفسي وليس عن النفس عوض وقد جعلت هـذا الكلام عذرا بيني وبينك فان نزلت تحت حكمي في الصلح وإلا قصدت الخليفة في هذه الساعة وحولت اليه الف الف دينار وأنت تعلم قدرتي عليها وأقول له خذ هذا المال وسلم الى ابن الفرات وأسلمك لمن أختاره للوزارة ويقع في نفسي أنه يجيب إلى تقليده ممن له وجه مقبول ولسان عذب وخط حسن ولا أعتمد الا على بعض كتابك فانه لايفرق بينك وبينه اذا رأى المال حاضراً فيسلمك في الحال اليه ويفرغ عليك العذاب بحضوري ويأخذ منك المال المعين وأنت تعلم أن حالك تفي بها ولكنك تفتقر بعدها ويرجع المال الى وأكون أهلكت عدوي وشفيت غيظي وزاد محلي بتقليدي وزيرا فلما سمع هـذا الكلام سقط في يده وقال ياعدو الله أو تستحل ذلك فقلت بل عـدو الله من استحل مني هذا فقال وما تريد فقلت تحلف الساعة بما أستحلفك من الايمان المغلظة أن تكون معي لا علي في صغير أمري وكبيره ولا تنقص لي رسما ولا تضع مني بل تبالغ في رفعتي ولا تبطن علي فقال وتحلف أنت أيضا لي بمثل هذا اليمين على جميل النية وحسن الطاعة وقدم

ألفا فقيل له لو اتخذت لولدك من هذا المال ذخراً فقال بل أجعله ذخراً لي وأجعل الله ذخرا لولدي وقسمه بين ذوي الحاجات وكان ابن مالك القشيري من الأجواد وقيل انه أنهب الناس ماله بعكاظ ثلاث مرات فعاتبه خاله فقال

ياخال ذرني ومالي مافعلت به * وخذ نصيبك منه انني مودي * فلن أطيعك الا أن تخلدني فانظر بكيدك هل تستطيع تخليدي * الحمد لايشترى الا بمكرمة * ولن أعيش بمال غير محمود

وقال المهلب عجبت لمن يشتري المماليك بماله كيف لا يشتري الأحرار بفعاله * ونزل بأبي البحتري وهب بن وهب القرشي ضيفا فسارع عبيده الى انزاله وخدموه أحسن خدمة وفعلوا به كل جميل فلما هم بالرحيل لم يقربه أحد منهم وتجنبوه فأنكر ذلك عليهم فقالوا نحن إنما نعين النازل على الاقامة ولا نعينه على الرحيل * ووفدت ليلى الاخيلية على الحجاج فقالت فيه

اذا ورد الحجاج أرضا مريضة * تتبع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذي بها * غلام اذا هز القناة سقاها

فقال لا تقولي غلام ولكن قولي همام ياغلام أعطها خمسمائة فقال أيها الأمير اجعلها نعما فجعلها ابلا أناثا وقال أبو الفياض الطبري

والعز ضيف لايراه بربعه * من لايرى بذل التلاد تلادا
والجود أعلى كعب كعب قبلنا * فمضى جوادا يوم مات جوادا

(وقال آخر) أيقنت أن من السماح شجاعة * وعلمت أن من السماحة جودا

وقال أحمد بن حمدون النديم عملت أم المستعين بساطا على صورة كل حيوان من جميع الاجناس وصورة كل طائر من ذهب وأعينهم يواقيت وجواهر انفقت عليه مائة ألف ألف دينار وثلاثين ألف دينار وسألته أن يقف عليه وينظر اليه فكسل ذلك اليوم عن رؤيته قال أحمد بن حمدون فقال لي ولاترجة الهاشمي اذهبا فانظرا اليه وكان معنا الحاجب فمضينا ورأيناه فوالله مارأينا في الدنيا شيئا أحسن منه ولا شيئا حسنا الا وقد عمل فيه فمددت أنا يدي الى غزال من ذهب عيناه ياقوتتان فوضعته في كمي ثم جئناه فوصفنا له حسن مارأيناه فقال أترجة ياأمير المؤمنين انه قد سرق منه شيئا وغمزه على كمي فأرته الغزال فقال بحياتي عليكما ارجعا فخذا ما أحببتما فمضينا فملأنا أكمامنا وأقبيتنا وأقبلنا نمشي كالحبالى فلمارآنا ضحك فقال بقية الجلساء ونحن فما ذنبنا ياأمير المؤمنين فقال قوموا فخذوا ماشئتم ثم قام فوقف على الطريق ينظر كيف يحملون ويضحك ونظر يزيد المهلبي سطلا من ذهب مملوءا مسكا فأخذه بيده وخرج فقال له المستعين إلى أين فقال الى الحمام ياأمير المؤمنين فضحك من قوله وأمر الفراشين والخدم أن ينتهبوا الباقي فانتهبوه فوجهت اليه أمه تقول سرالله أمير المؤمنين لقد كنت أحب أن يراه قبل أن يفرقه فاني أنفقت عليه مائة ألف ألف وثلاثين ألف دينار فقال يحمل اليها مثل ذلك حتى تعيد مثله ففعلت ومضى حتى رآه وفعل به كفعله الأول ودخل طلحة بن عبد الله بن عوف السوق يوما فوافق فيه الفرزدق فقال ياأبافراس اختر عشرا من الابل ففعل فقال ضم اليها مثلها فلم يزل يقول مثل ذلك حتى بلغت مائة فقال هي لك فقال

ياطلح أنت أخو الندى وعقيده * ان النـدى مامات طلحة ماتا
ان النـدى ألقى اليـك رحاله * فبحيث بت من المنازل باتا

وقدم زياد الاعجم على عبدالله بن الحشرج بنيسابور فأكرمه وأنعم عليه وبعث اليه بألف دينار فقال

ان السماحة والمروءة والندى * فى قبة ضربت على ابن الحشرج

فقال زدنى فقال كل شىء وثمنه * ووفد أبو عطاء السدى على نصر بن سيار بخراسان مع رفيقين له فأنزله وأحسن اليه وقال ماعندك ياأباعطاء فقال وماعسى أن أقول وأنت أشعر العرب غير أنى قلت بيتين قال هات ماقلت فقال

ياطالب الجود أما كنت تطلبه * فاطاب على بابه نصر بن سيار
الواهب الخيل تغدو فى أعنتها * مع القيان وفيها ألف دينار

فأعطاه ألف دينار ووصائف وكساه كسوة جميلة فقسم ذلك بين رفيقيه ولم يأخذ منه شيئا فبلغ ذلك نصرا فقال يالله قاتله الله من سيد ماأضخم قدره ثم أمر له بمثله * وقال العتبى أشرف عمرو بن هبيرة يوما من قصره فاذاهو باعرابى يرقل قلوصه فقال عمرو لحاجبه ان أرادنى هذا الاعرابى فأوصله إلى فلما وصل الاعرابى سأله الحاجب فقال أردت الأمير فدخل به اليه فلما مثل بين يديه قال له ماحاجتك فأنشد الاعرابى يقول

أصلحك الله قل مابيدى * ولا أطيق العيال اذ كثروا
أناخ دهرى على كلكله * فأرسلونى اليك وانتظروا

فأخذت عمرا الاريحية فجعل يهتز فى مجلسه ثم قال أرسلوك الى وانتظروا اذن والله لا تجلس حتى ترجع اليهم ثم أمر له بألف دينار * وقيل أراد ابن عامر أن يكتب لرجل بخمسين ألف درهم فجرى القلم بخمسمائة ألف فراجعه الخازن فى ذلك فقال انفذه فما بقى الا انفاذه وان خروج المال أحب إلى من الاعتذار فاستكثره الخازن فقال اذا أراد الله بعبد خيرا صرف القلم عن مجرى ارادة كاتبه الى إرادته وأنا أردت شيئا وأراد الجواد الكريم أن يعطى عبده عشرة أضعافه فكانت ارادة الله الغالبة وأمره النافذ * ووقف اعرابى على ابن عامر فقال ياقمر البصرة وشمس الحجاز ويا ابن ذروة العرب وابن بطحاء مكة برحت بى الحاجة وأكدت بى الآمال الا بفنائك فامنحنى بقدر الطاقة لا بقدر المجد والشرف والهمة فأمر له بمائتى ألف * وسمع المأمون قول عمارة بن عقيل أأترك ان قلت دراهم خالد * زيارته إنى اذا للئيم فقال أوقلت دراهم خالد احملوا اليه مائة ألف درهم فبعثها خالد بن يحيى الى عمارة بن عقيل وقال هذه قطرة من سحابك * ولما عزل عبد الرحمن بن الضحاك عن المدينة بكى ثم قال والله ما بكائى جزعا من العزل ولا أسفا على الولاية ولكن أخاف على هذه الوجوه ان يلى أمرها من لا يعرف لها حقا * وأراد الرشيد أن يخرج إلى بعض المتفرجات فقال يحيى بن خالد لرجاء بن عبد العزيز وكان على نفقاته ماعند وكلائنا من الاموال قال سبعمائة ألف درهم قال فاقبضها اليك يارجاء فلما كان من الغد دخل عليه رجاء فقبل يده وعنده منصور بن زياد فلما خرج رجاء قال يحيى لمنصور قد ظننت أن رجاء توهم أنا قد وهبنا المال له وانما أمرناه بقبضه من الوكلاء ليحفظه علينا لحاجتنا اليه فى وجهنا هذا فقال منصور أنا استخبر لك هذا فقال يحيى اذن يقول لك قل له يقبل يدى كما قبلت يده فلا تقل له شيئا فقد تركتها له وقيل إن الرشيد وصل فى يوم واحد بألف ألف وثلثمائة ألف وخمسين ألفا ووصل المنصور فى يوم واحد لبنى هاشم ووجوه قواده بعشرة آلاف ألف دينار على ماذكر * وعن الاخفش الصغير قال كان أسيد بن عنقاء الفزارى من أكبر أهل زمانه قدرا وأكثرهم أدبا وأفصحهم لسانا وأثبتهم

فقلت أفعل فقال لعنك الله والله لقد سحرتنى واستدعى بدواة فعملنا نسخة يمين وحلف كل منا عليها فلما أردت القيام قال لى ياأباعبدالله لقد عظمت فى نفسى والله ماكان المقتدر يفرق بينى وبين أحسن كتابى اذا رأى المال فليكن ما جرى بيننا مطويا فقلت سبحان الله فقال اذا كان غدا فسر الى المجلس فترى ماأعاملك به فقمت فأمر الغلمان أن يسيروا فى خدمتى بأجمعهم الى دارى ولما أصبحت جئته فبالغ فى الاكرام والتعظيم وأمر بانشاء الكتب الى النواحى باعزازى وكلائى وحماية أملاكى فشكرته وقمت فأمر الغلمان أيضا بالمشى بين يدى والحجاب والناس يتعجبون من ذلك ولم يعلم أحد ما السبب وما حدثت بهذا الحديث الا بعد القبض عليه (وذكر ابن الجوزى فى الباب السابع من كتاب الحمقى والمغفلين) أن جماعة من العقلاء صدر عنهم أفعال الحمقى وأصروا على ذلك مستصوبين لها فصاروا بذلك الاصرار حمقى ومغفلين (فأول القوم إبليس لعنه الله تعالى) فانه صوب نفسه وخطأ حكمة الله تعالى ورمى عن قوس الاعتراض فى عدم السجود لآدم عليه السلام ثم قال أنظرنى إلى يوم يبعثون فصارت لذته فى إيقاع العاصى فى الذنب كانه يغبط ونسى عقابه الدائم فلا حمق كحمقه ولا غفلة كغفلته ولله در القائل فى ابليس عجبت من ابليس فى غفلته وخبث ما أظهر من نيته * تاه على آدم فى سجدة * وصار قوادا لذريته (الثانى فرعون) فى دعواه الربوبية

وافتخاره بقوله أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي فافتخر بساقية لا هو أجراها ولا يعرف مبدأها ولا منتهاها ونسي أمثالها مما ليس تحت قدرته وليس (١٦٦) فى الحمق أعظم من ادعائه الالهية وقد ضربت الحكماء بذلك مثلا فقالوا دخل ابليس على فرعون فقال له من أنت قال ابليس قال ماجاء بك قال جئت متعجبا من جنونك قال كيف قال أنا عاديت مخلوقا مثلى فامتنعت من السجود له فطردت ولعنت وأنت تدعى أنك إله هذا والله هو الحمق والجنون البارد (ومن عجيب الحمق والتغفل) اتخاذ الأصنام باليد والاقبال على عبادتها والاله ينبغى أن يفعل ولا يفعل (وكذلك) نمروذ فى بنائه الصرح ثم رميه بنشابة يريد أن يقتل اله السموات والأرض (وكذلك) بنو اسرائيل حين جاوزوا البحر وقد أنجاهم الله تعالى من تلك الاهوال واستنقذهم من فرعون قالوا اجعل لنا إلها كما لهم آلهة (وكذلك) قول النصارى إن عيسى اله وابن إله ثم يقرون أن اليهود صلبوه وهذا غاية البله والغفلة (وكذلك) الرافضة يعلمون اقرار على ببيعة أبى بكر وعمر واستيلاده الحنفية من سبى أبى بكر وتزويجه أم كلثوم ابنته من عمر وكل ذلك دليل على رضاه ببيعتهما ثم فى الرافضة من يسبهما وفيهم من يكفرهما وكل ذلك يطلبون به حب على بزعمهم وقد تركوا حبهم وراء ظهورهم (وقد روى) عن الامام أحمد بن حنبل أنه قال لو جاءنى رجل فقال انى حلفت بالطلاق أن لا أكلم فى هذا اليوم من هو أحمق وكلم رافضيا أو نصرانيا لم

جنانا فطال عمره ونكبه دهره فخرج عشية يتنقل لأهله فمر به عميلة الفزاري فسلم عليه وقال ما أصارك ياعم الى ما أرى فقال بخل مثلك بماله وصون وجهى عن مسألة الناس فقال والله لئن بقيت إلى غد لاغيرن ما أرى من حالك فرجع ابن عنقاء الى أهله فأخبرها بما قال له عميلة فقالت له لقد غرك كلام غلام فى جنح ليل قال فكأنما ألقمت فاه حجراً وبات متململا بين رجاء ويأس فلما كان وقت السحر سمع رغاء الابل وصهيل الخيل تحت الاموال فقال ماهذا قالوا عميلة قد قسم ماله شطرين وبعث إليك بشطره فأنشأ يقول

رآنى على مابى عميلة فاشتكى * الى ماله حالى فواسى وما هجر * ولما رأى المجد استعيرت ثيابه تردى رداء سابغ الذيل واتزر * غلام حباه الله بالحسن يافعا * له سيمياء لا تشق على البصر

كأن الثريا علقت فى جبينه * وفى أنفه الشعرى وفى جيده القمر

وكان عمر بن عبيد الله بن معمر التميمى من الاجواد قيل انه كان لرجل جارية يهواها فاحتاج إلى بيعها فابتاعها منه ابن معمر بمال جزيل فلما قبض ثمنها أنشأت تقول

هنيئاً لك المال الذى قد قبضته * ولم يبق فى كفى غير التحسر

أبوء بحزن من فراقك موجع * أناجى به صدراً طويل التفكر

فأجابها بقوله ولولا قعود الدهر بى عنك لم يكن * يفرقنا شىء سوى الموت فاعذرى

عليك سلام لا زيارة بيننا * ولا وصل إلا أن يشاء ابن معمر

فقال ابن معمر قد شئت وقد وهبتك الجارية وثمنها فخذها وانصرف * ووفد أبو الشمقمق إلى مدينة سابور يريد محمد بن عبد السلام فلما دخلها توجه الى منزله فوجده فى دار الخراج يطالب فدخل عليه يتوجع له فلما رآه محمد قال ولقد قدمت على رجال طالما * قدم الرجال عليهم فتمولوا

أخنى الزمان عليهم فكأنما * كانوا بأرض أقفرت فتحولوا

فقال أبو الشمقمق الجود أفلسهم وأذهب مالهم * فاليوم ان راموا السماحة يبخلوا

قال فخلع محمد ثوبه وخاتمه ودفعهما إليه فكتب بذلك مستوفى الخراج الى الخليفة فوقع الى عامله باسقاط الخراج عن محمد بن عبد السلام فى تلك السنة واسقاط ماعليه من البقايا وأمر له بمائة ألف درهم معونة له على مروءته * وقال أبو العيناء حصلت لى ضيقة شديدة فكتمتها عن أصدقائى فدخلت يوما على يحيى بن أكثم القاضى فقال إن أمير المؤمنين المأمون جلس للمظالم وأخذ القصص فهل لك فى الحضور قلت نعم فمضيت معه الى دار أمير المؤمنين فلما دخلنا عليه أجلسه وأجلسنى ثم قال ياأبا العيناء بالالفة والمحبة ما الذى جاء بك فى هذه الساعة فأنشدته

لقد رجوتك دون الناس كلهم * والرجاء حقوق كلها تجب

ان لم يكن لى أسباب أعيش بها * ففى العلا لك أخلاق هى السبب

فقال ياسلامة انظر أى شىء فى بيت مالنا دون مال المسلمين فقال بقية من مال قال فادفع له منها مائة ألف درهم وابعث له بمثلها فى كل شهر فلما كان بعد أحد عشر شهراً مات المأمون فبكى عليه أبو العيناء حتى تقرحت أجفانه فدخل عليه بعض أولاده فقال ياأبتاه بعد ذهاب العين ماذا ينفع البكاء فأنشأ أبو العيناء يقول

شيآن لو بكت الدماء عليهما * عيناى حتى يؤذنا بذهاب

فقلت له حنثت فقال له ابن الديناري أعزك الله ولم صارا أحمقين قال لأنهما خالفا الصادقين (أما الصادق الاول) فعيسى عليه السلام قال للنصارى انى عبد الله وقال أن اعبدوا الله فقالوا لا وعبدوه جهلا وحمقا (١٦٧) (والصادق الثانى) الامام على رضى الله عنه فانه قال عنه صلى الله عليه وسلم انه قال عن أبى بكر وعمر هذان سيدا كهول أهل الجنة والرافضة يسبونهما (ومن المنقول عن حمق النساء) أن الأمين لما حوصر قال لجاريته غنى فغنت

أبكي فراقهم عينى فأرقها * ان التفرق للاحباب بكاء

فقال لعنك الله أما تعرفين غير هذا فغنت

ما اختلف الليل والنهار ولا * دارت نجوم السماء فى فلك

الا لينتقل السلطان من ملك * غيب تحت الثرى الى ملك

فقال لها قومى فقامت فعثرت بقدح بلور فكسرته فقال قائل قضى الأمر الذى فيه تستفتيان ولما قتله المأمون دخل على زبيدة ليعزيها به فقالت إن أردت أن تسليني فتغد عندى فتغدى عندها فأخرجت له من جوارى الأمير من تغنيه فغنت

هم قتلوه كى يكونوا مكانه * كما غدرت يوما بكسرى مرازبه

فوثب المأمون مغضبا فقالت له زبيدة أحرمنى الله أجره ان كنت دسسته اليها أو لقنتها فصدقها وانصرف (ومن ذلك) أن المعتصم لما فرغ من بناء قصر له أدخل الناس عليه فاستأذن اسحق بن ابراهيم فى الانشاد فأذن له فأنشد

لم يبلغا المعشار من حقيهما * فقد الشباب وفرقة الأحباب

وكان أحمد بن طولون كثير الصدقة وكان راتبه منها فى الشهر ألف دينار سوى ما يطرأ عليه من نذر أوصلة وسوى ما يطبخ فى دار الصدقة وكان الموكل بصدقته سليم الخادم فقال له سليم يوما أيها الأمير انى أطوف القبائل وأدق الأبواب لصدقاتك وان اليد تمد الى وفيها الحناء وربما كان فيها الخاتم الذهب والسوار الذهب أفأعطى أم أرد قال فأطرق طويلا ثم قال كل يد امتدت اليك فلا تردها * وقال سلمة بن عياش فى جعفر بن سليمان

وما شم أنفى ريح كف شممتها * من الناس الا ريح كفك أطيب

فأمر له بألف دينار ومائة مثقال مسك ومائة مثقال عنبر * وكان عبد العزيز بن عبد الله جوادا مضيافا فتغدى عنده اعرابى يوما فلما كان من الغد مر على بابه فرأى الناس فى الدخول على هيئتهم الأمس فقال أو كل يوم يطعم الأمير الناس قالوا نعم فأنشأ يقول

كل يوم كأنه عيد أضحى * عند عبد العزيز أو عيد فطر

وله ألف جفنة مترعات * كل قدر يمدها ألف قدر

وتعشى الناس ليلة عند سعيد بن العاص فلما خرجوا بقى فتى من الشأم قاعدا فقال له سعيد ألك حاجة وأطفأ الشمعة كراهة أن يخجل الفتى فذكر أن أباه مات وخلف دينا وعيالا وسأله أن يكتب له كتابا الى أهل دمشق ليقوموا ببعض اصلاح حاله فدفع له عشرة آلاف دينار وقال له لا أدعك تقاسى الذل على أبوابهم * ودخل رجل على على بن سليمان الوزير فقال له سألتك بالله العظيم ونبيه الكريم الا ما أجرتنى من خصمى فقال ومن خصمك حتى أجيرك منه فقال الفقر فأطرق الوزير ساعة وقال قد أمرت لك بمائة ألف درهم فأخذها وانصرف فبينما هو فى الطريق إذ أمر الوزير برده اليه فلما رجع قال له سألتك بالله العظيم ونبيه الكريم متى أتاك خصمك معنفا فارجع الينا متظلما وقال الأعمش كانت عندى شاة فمرضت وفقدت الصبيان لبنها فكان خيثمة بن عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشى ويسألنى هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها وكان تحتى لبد أجلس عليه فكان إذا خرج يقول خذ ما تحت اللبد حتى وصل الى من علة الشاة أكثر من ثلثمائة دينار من بره حتى تمنيت أن الشاة لم تبرأ (وحكى) أبو قدامة القشيرى قال كنا مع يزيد بن مزيد يوما فسمع صائحا يقول يا يزيد بن مزيد فطلبه فأتى به اليه فقال ما حملك على هذا الصياح قال فقدت دابتى ونفدت نفقتى وسمعت قول الشاعر

إذا قيل من للجود والمجد والندى * فنادى بصوت يا يزيد بن مزيد

فأمر له بفرس أبلق كان معجبا به وبمائة دينار وخلعة سنية فأخذها وانصرف (وحكى) أن قوما من العرب جاؤا الى قبر بعض أسخيائهم يزورونه فباتوا عند قبره فرأى رجل منهم صاحب القبر فى المنام وهو يقول له هل لك أن تبيعنى بعيرك بنجيبى وكان الميت قد خلف نجيبا وكان للرائى بعير سمين فقال نعم وباعه فى النوم بعيره بنجيبه فلما وقع بينهما عقد البيع عمد صاحب القبر الى البعير فنحره فى النوم فانتبه الرائى من نومه فوجد الدم يسيح من نحر بعيره فقام وأتم نحره وقطع لحمه وطبخوه وأكلوا ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم الثانى وهم فى الطريق سائرون استقبلهم ركب فتقدم منهم شاب فنادى هل فيكم فلان بن فلان فقال صاحب البعير نعم ها أنا فلان بن فلان

فقال هل بعت من فلان الميت شيئا قال نعم بعته بعيرى بنجيبه فى النوم فقال هذا نجيبه فخذوا نا ولده وقد رأيته فى النوم وهو يقول ان كنت ولدى فادفع نجيبي الى فلان فانظر الى هذا الرجل الكريم كيف أكرم أضيافه بعد موته (وروى) عن الهيثم بن عدى أنه قال تمارى ثلاثة نفر فى الاجواد فقال رجل أسخى الناس فى عصرنا هذا عبد الله بن جعفر فقال الآخر أسخى الناس قيس بن سعيد بن عبادة فقال الآخر بل أسخى الناس اليوم عرابة الأوسى فتنازعوا بفناء الكعبة فقال لهم رجل لقد أفرطتم فى الكلام فليمض كل واحد منكم الى صاحبه يسأله حتى ننظر بما يعود فنحكم على العيان فقام صاحب ابن جعفر فوافاه وقد وضع رجله فى ركاب راحلته يريد ضيعة له فقال الرجل يا ابن عم رسول الله ﷺ ابن سبيل ومنقطع به قال فاخرج رجله وقال ضع رجلك واستو على الناقة وخذ ما فى الحقيبة وكان فيها مطارف خز وأربعة آلاف دينار ومضى صاحب قيس فوجده نائما فقالت له جارية لقيس ما حاجتك فقال ابن سبيل ومنقطع به فقالت له الجارية حاجتك أهون من ايقاظه هذا كيس فيه سبعمائة دينار ما فى دار قيس اليوم غيرها وامض الى معاطن الابل فخذ راحلة من رواحله وما يصلحها وعبدا وامض لشأنك قيل ان قيسا لما انتبه أخبرته الجارية بما صنعت فاعتقها ولو لم تعلم أن ذلك يرضيه ما جسرت أن تفعله فخلق خدم الرجل مقتبس من خلقه قال بعض الشعراء

وإذا ما اختبرت ودصديق * فاختبر وده من الغلمان

ومضى صاحب عرابة فوجده قد خرج من منزله يريد الصلاة فقال يا عرابة ابن سبيل ومنقطع به وكان معه عبدان فصفق بيده اليمنى على اليسرى وقال أواه أواه والله ما أصبح ولا أمسى الليلة عند عرابة شيء ولا تركت له الحقوق مالا ولكن خذ هذين العبدين فقال الرجل والله ما كنت بالذى يسلبك عبديك فقال ان أخذتهما والا فهما حران لوجه الله تعالى فان شئت فخذ وان شئت فاعتق فاخذ الرجل العبدين ومضى ثم اجتمعوا وذكروا قصة كل واحد فحكموا لعرابة لانه أعطى على جهد * قيل ان شاعرا قصد خالد بن يزيد فانشده شعراً يقول فيه

سألت الندى والجود حران أنتما * فقالا يقينا اننا لعبيد
فقلت ومن مولا كما فتطاولا * إلى وقالا خالد ويزيد

فقال ياغلام اعطه مائة ألف درهم وقل له ان زدتنا زدناك فأنشد يقول

كريم كريم الامهات مهذب * تدفق يمناه الندى وشمائله
هو البحر من أى الجهات أتيته * فلجته المعروف والجود ساحله
جواد بسيط الكف حتى لو انه * دعاها لقبض لم تجبه أنامله

فقال ياغلام اعطه مائة ألف درهم وقل له إن زدتنا زدناك فأنشد يقول

تبرعت لى بالجود حتى نعشتنى * وأعطيتنى حتى حسبتك تلعب
وأنبت ريشا فى الجناحين بعدما * تساقط منى الريش أو كاد يذهب
فانت الندى وابن الندى وأخو الندى * حليف الندى ما للندى عنك مذهب

فقال ياغلام اعطه مائة ألف درهم وقل له ان زدتنا زدناك فقال حسب الامير ما سمع وحسبي ما أخذت وانصرف (وأما الذين انتهى اليهم الجود فى الجاهلية) فهم حاتم بن عبد الله الطائى وهرم ابن سنان وخالد بن عبد الله وكعب بن مامة الايادى وضرب المثل بحاتم وكعب وحاتم أشهرهما * فاما

يادار غيرك البلى ومحاك ياليت شعرى ما الذى أبلاك فتطير المعتصم وجميع من حضر المجلس وتعجبوا كيف يصدر من مثل اسحق هذا التغفل المفرط ولم يجتمع بعد ذلك بالدار اثنان (ومن لطائف المنقول عن الحمقى والمغفلين) أن عيسى ابن صالح تولى قنسرين والعواصم للرشيد وكان من الحمق على جانب عظيم قال بعضهم أتانى رسوله بالليل فأمرنى بالحضور فتوهمت أن كتابا جاءه من أمير المؤمنين فى مهم احتاج فيه الى حضور مثلى فركبت الى داره فلما دخلت سألت الحجاب هل ورد كتاب من الخليفة أو حدث أمر فقالوا لا فامضيت الى الخدم فسألتهم فقالوا مثل مقالة الحجاب فصرت الى الموضع الذى هو فيه فقال لى ادخل ليس عندى أحد فدخلت فوجدته على فراشه فقال اعلم انى سهرت الليلة مفكراً فى أمر الى ساعتى هذه فقلت وما هو الامر أصلح الله الامير قال اشتهيت أن يصيرنى الله حورية فى الجنة ويجعل زوجى يوسف الصديق فطال لذلك فكرى فقلت له هلا اشتهيت محمداً صلى الله عليه وسلم أن يكون زوجك فانه سيد الأنبياء عليهم السلام فقال لا تظن انى لم أفكر فى هذا فقد فكرت فيه ولكنى كرهت أن أغيظ عائشة رضى الله عنها (ومن لطائف المنقول عن المغفلين من الاعراب) قيل صلى اعرابى خلف بعض الأئمة فى الصف الاول وكان اسم الاعرابى مجرما فقرأ الامام والمرسلات عرفا فلما بلغ الى قوله تعالى ألم نهلك الاولين

كعب

كعب فجاد بنفسه وآثر رفيقه بالماء في المفازة ومات عطشا وليس له خبر مشهور * وأما خالد ابن عبيد الله فانه جاء اليه بعض الشعراء ورجله في الركاب يريد الغزو فقال له اني قلت فيك بيتين من الشعر فقال في مثل هذا الحال قال نعم فقال هاتهما فأنشده يقول

ياواحد العرب الذي * ما في الأنام له نظير
لو كان مثلك آخره * ما كان في الدنيا فقير

فقال ياغلام اعطه عشرين ألف دينار فأخذها وانصرف * وأما حاتم فاخباره كثيرة وآثاره في الجود شهيرة ويكنى أباسفانة وأباعدي وكان يسير في قومه بالمرباع والمرباع ربع الغنيمة وكان ولده عدي يعادي النبي ﷺ فبعث النبي ﷺ عليا الى طيء فهرب عدي بأهله وولده ولحق بالشام وخلف أخته سفانة فاسرتها خيل رسول الله ﷺ فلما أتي بها الى النبي ﷺ قالت يامحمد هلك الوالد وغاب الرافد فان رأيت أن تخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب فان أبي كان سيد قومه يفك العاني ويقتل الجاني ويحفظ الجار ويحمي الذمار ويفرج عن المكروب ويطعم الطعام ويفشي السلام ويحمل الكل ويعين على نوائب الدهر وما أتاه أحد في حاجة فرده خائبا أنا بنت حاتم الطائي فقال لها النبي ﷺ ياجارية هذه صفات المؤمنين حقا لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه خلوا عنها فان أباها كان يحب مكارم الأخلاق وقال فيها ارحموا عزيزا ذل وغنيا افتقر وعالما ضاع بين جهال فأطلقها ومن عليها فاستأذنته في الدعاء له فأذن لها وقال لأصحابه اسمعوا وعوا فقالت أصاب الله ببرك مواقعه ولا جعل لك إلى لئيم حاجة ولا سلب نعمة عن كريم قوم إلا وجعلك سببا في ردها عليه فلما أطلقها ﷺ رجعت الى قومها فأتت أخاها عديا وهو بدومة الجندل فقالت له يا أخي ائت هذا الرجل قبل أن تعلقك حبائله فاني قد رأيت هديا ورأيا سيغلب أهل الغلبة رأيت خصالا تعجبني رأيته يحب الفقير ويفك الأسير ويرحم الصغير ويعرف قدر الكبير وما رأيت أجود ولا أكرم منه ﷺ واني أرى أن تلحق به فان يك نبيا فللسابق فضله وان يك ملكا فلن تذل في عز اليمن فقدم عدي الى النبي ﷺ فأتى له بوسادة محشوة ليفا وجلس النبي ﷺ على الأرض فأسلم عدي ابن حاتم وأسلمت أخته سفانة بنت حاتم المتقدم ذكرها وكانت من أجود نساء العرب وكان أبوها يعطيها الضريبة من إبله فتهبها وتعطيها الناس فقال لها أبوها يابنية ان الكريمين اذا اجتمعا في المال أتلفاه فاما أن أعطي وتمسكي واما أن أمسك وتعطي فانه لا يبقى على هذا شيء فقالت له منك تعلمت مكارم الأخلاق قال ابن الأعرابي كان حاتم الطائي من شعراء الجاهلية وكان جوادا يشبه جوده شعره ويصدق قوله فعله وكان حيثما نزل عرف منزله وكان مظفرا إذا قاتل غلب وإذا سئل وهب واذا سابق سبق واذا أسر أطلق وكان اذا هل رجب الذي كانت تعظمه مضر في الجاهلية نحر كل يوم عشرا من الابل وأطعم الناس واجتمعوا اليه وكان قد تزوج ماوية بنت عفير وكانت تلومه على اتلاف المال فلا يلتفت لقولها وكان لها ابن عم يقال له مالك فقال لها يوما ما تصنعين بحاتم فوالله لئن وجد مالا ليتلفنه وان لم يجد ليتكلفن ولئن مات ليتركن أولاده عالة على قومك فقالت ماوية صدقت إنه كذلك وكانت النساء يطلقن الرجال في الجاهلية وكان طلاقهن ان يكن في بيوت من شعر فان كان باب البيت من قبل المشرق حولته إلى المغرب وان كان من قبل المغرب حولته إلى المشرق وان كان من قبل اليمن حولته الى الشام وان كان من قبل الشام حولته الى اليمن فاذا رأى الرجل ذلك علم أنها طلقته فلم يأتها ثم قال لها ابن عمها طلقي حاتما وأنا أتزوجك وأنا خير لك منه وأكثر مالا وأنا أمسك

تأخر الأعرابي إلى الصف الأخير فقال ثم تبعهم الآخرين فرجع إلى الصف الاوسط فقال كذلك نفعل بالمجرمين فولى هاربا وهو يقول والله ما المطلوب غيري (ومثله) صلى أعرابي خلف إمام صلاة الصبح فقرأ الامام سورة البقرة وكان الأعرابي مستعجلا ففاته مقصوده فلما كان من الغد بكر إلى المسجد فابتدأ فقرأ سورة الفيل فقطع الأعرابي الصلاة وولى هاربا وهو يقول أمس قرأت سورة البقرة فلم تفرغ منها الى نصف النهار واليوم تقرأ سورة الفيل ماأظنك تفرغ منها الى الليل (ومنه) كان أعرابي قائما يصلي فأخذ قوم يصفونه بالصلاح وهو يسمع فقطع الصلاة وقال وأنا مع هذا صائم (ومنه) دخل خالد بن صفوان الحمام وفي الحمام رجل ومعه ابنه فأراد الرجل أن يعرف خالدا ماعنده من البيان والنحو فقال يابني ابدأ بيداك ورجلاك ثم التفت الى خالد فقال له ياأباصفوان هذا كلام قد ذهب أهله فقال خالد هذا كلام ما خلق الله له أهلا (ومن لطائف المنقول عن المغفلين من الشعراء) أن بعضهم دخل مسجد الكوفة يوم الجمعة وقد نما خبر المهدي أنه مات وهم يتوقعون قراءة الكتاب عليهم

بذلك فقال رافعا صوته * مات الخليفة أيها الثقلان * فقالوا هذا أشعر الناس فانه نعى الخليفة الى الانس والجن في نصف بيت ومدت الناس أبصارهم وأسماعهم اليه فقال * فكأنني أفطرت في رمضان * قال فضحك

الناس وصار شهرة فى الحمق (ومثله) ان سيف الدولة بن حمدان انصرف من حرب وقد نصر على عدوه فدخل عليه الشعراء
وأنشدوه ودخل معهم رجل شامي فأنشده

وكانوا كفأر وسوسوا خلف حائط   وكنت كسنور عليهم تسقفا

فأمر باخراجه فقام على الباب يبكى فأخبر سيف الدولة ببكائه فرق له وأمر برده وقال له مالك تبكى قال قصدت مولانا بكل ما أقدر عليه أطلب منه بعض ما يقدر عليه فلما خاب أملى بكيت فقال سيف الدولة ويلك فمن يكون له مثل هذا النسل يكون له ذلك النظم وكم كنت أملت قال خمسمائة درهم فأمر له بألف درهم فأخذها وانصرف ﴿ومن المنقول عن المغفلين على الاطلاق﴾ قال بعضهم دخلت مسجد دمشق فاذا أنا بجماعة عليهم سمة العلم فجلست اليهم وهم ينقصون من على بن أبى طالب رضى الله عنه فقمت من عندهم مغضبا فرأيت شيخا جميلا يصلى فظننت به الخير فجلست اليه فقلت له يا عبد الله أما ترى هؤلاء القوم يشتمون على بن أبى طالب وينقصونه وهو زوج فاطمة الزهراء وابن عم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقال لى يا عبد الله لو نجا أحد من الناس لنجا منهم أبو محمد رحمه الله تعالى قال فقلت ومن أبو محمد قال الحجاج بن يوسف وجعل يبكى فقمت من عنده وحلفت لا أقيم بها (ومن ذلك) أن رجلا سأل بعضهم وكان من الحمق على جانب عظيم فقال أيما أفضل عندك معاوية أو عيسى بن مريم فقال ما رأيت سائلا أجهل منك

عليك وعلى ولدك فلم يزل بها حتى طلقته فأتاها حاتم وقد حولت باب الخباء فقال حاتم لولده ياعدى ماترى مافعلت أمك فقال قد رأيت ذلك قال فأخذا بنه وهبط بطن واد فنزل فيه فجاءه قوم فنزلوا على باب الخباء كما كانوا ينزلون وكانت عدتهم خمسين فارسا فضاقت بهم ماوية ذرعا وقالت لجاريتها اذهبي الى ابن عمي مالك وقولى له ان أضيافا لحاتم قد نزلوا بنا وهم خمسون رجلا فارسل الينا بشيء نقريهم ولبن نسقيهم وقالت لها انظرى الى جبينه وفمه فان شافهك بالمعروف فاقبلى منه وان ضرب بلحيته على زوره ولطم رأسه فاقبلى ودعيه فلما أتته وجدته متوسدا وطبا من لبن فأيقظته وأبلغته الرسالة وقالت له انما هى الليلة حتى يعلم الناس مكان حاتم فلطم رأسه بيده وضرب بلحيته وقال اقرئيها السلام وقولى لها هذا الذى أمرتك أن تطلقى حاتما لأجله وما عندى لبن يكفى أضياف حاتم فرجعت الجارية فأخبرتها بما رأت وبما قال لها فقالت لها اذهبى الى حاتم وقولى له ان أضيافك قد نزلوا بنا الليلة ولم يعلموا مكانك فارسل الينا بناقة نقريهم ولبن نسقيهم فأتت الجارية حاتما فصاحت به فقال لبيك قريبا دعوت فاخبرته بما جاءت بسببه فقال حبا وكرامة ثم قام الى الابل فاطلق اثنتين من عقالهما وصاح بهما حتى أتيا الخباء ثم ضرب عراقيبهما فطفقت ماوية تصيح هذا الذى طلقتك بسببه تترك أولادنا وليس لهم شيء فقال ويحك ياماوية الذى خلقهم وخلق الخلق متكفل بأرزاقهم وكان اذا اشتد البرد وغلب الشتاء أمر غلمانه بنار فيوقدونها فى بقاع الأرض لينظر اليها من ضل عن الطريق ليلا فيقصدها ولم يكن حاتم يمسك شيئا ماعدا فرسه وسلاحه فانه كان لا يجود بهما ثم جاد بفرسه فى سنة مجدبة ﴿حكى﴾ ان ملكان ابن أخى ماوية قال قلت لها يوما ياعمة حدثينى ببعض عجائب حاتم وبعض مكارم أخلاقه فقالت يا ابن أخى أعجب ما رأيت منه أصابت الناس سنة أذهبت الخف والظلف وقد أخذنى واياه الجوع وأسهرنا فأخذت سفانة وأخذ عديا وجعلنا نعللهما حتى ناما فاقبل على يحدثنى ويعللنى بالحديث حتى انام فرققت به لما به من الجوع فامسكت عن كلامه لينام فقال لى أنمت فلم أجبه فسكت ونظر فى فناء الخباء فاذا شيء قد أقبل فرفع رأسه فاذا امرأة فقال ما هذا فقالت يا أبا عدى أتيتك من عند صبية يتعاوون كالكلاب أو كالذئاب جوعا فقال لها احضرى صبيانك فوالله لأشبعنهم فقامت سريعة لأولادها فرفعت رأسى وقلت له يا حاتم بماذا تشبع أطفالها فوالله ما نام صبيانك من الجوع الا بالتعليل فقال والله لأشبعنك وأشبعن صبيانك وصبيانها فلما جاءت المرأة نهض قائما وأخذ المدية بيده وعمد الى فرسه فذبحه ثم أجج نارا ودفع اليها شفرة وقال قطعى واشوى وكلى وأطعمى صبيانك فأكلت المرأة وأشبعت صبيانها فأيقظت أولادى وأكلت وأطعمتهم فقال والله ان هذا لهو اللؤم تأكلون وأهل الحى حالهم مثل حالكم ثم أتى الحى بيتا بيتا يقول لهم انهضوا عليكم بالنار فاجتمعوا حول الفرس وتقنع حاتم بكسائه وجلس ناحية فوالله ما أصبحوا وعلى وجه الأرض منها قليل ولا كثير الا العظم والحافر ولا والله ما ذاقها حاتم وانه لأشدهم جوعا وأخباره كثيرة مشهورة ومن شعره

أماوى ان المال غاد ورائح * ويبقى من المال الأحاديث والذكر
وقد علم الأقوام لو أن حاتما * أراد ثراء المال كان له وفر

وأغار قوم على طيء فركب حاتم فرسه وأخذ رمحه ونادى فى جيشه وأهل عشيرته ولقى القوم فهزمهم وتبعهم فقال له كبيرهم يا حاتم هب لى رمحك فرمى به اليه فقيل لحاتم عرضت نفسك للهلاك ولو عطف عليك لقتلك فقال قد علمت ذلك ولكن ما جواب من يقول هب لى ولما مات عظم على طيء موته فادعى

أخوه

أخوه أنه يخالفه فقالت له أمه هيهات شتان والله ما بين خلقتيكما وضعته فبقي والله سبعة أيام لا يرضع حتى ألقمت إحدى ثديي طفلا من الجيران وكنت أنت ترضع ثديا وبيدك على الآخر فأنى لك ذلك قال الشاعر

يعيش الندى ما عاش حاتم طيء * وان مات قام للسخاء مأتم

وكانت العرب تسمي الكلب داعي الضمير ومتمم النعم ومشيد الذكر لما يجلب من الأضياف بنباحه والضمير الغريب وكانوا إذا اشتد البرد وهبت الرياح ولم تشب النيران فرقوا الكلاب حوالي الحي وربطوها إلى العمد لتستوحش فتنبح فتهدي الضلال وتأتي الأضياف على نباحها والحكايات في ذكر الأجواد والكرماء والأسخياء وأهل المعروف وما كانوا عليه من السخاء والكرم أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر ففي مثل هذه المناقب فليتنافس المتنافسون ولمثلها فليعمل العاملون فان فيها عز الدنيا وشرف الآخرة وحسن الصيت وخلود جميل الذكر فانا لم نجد شيئا يبقى على ممر الدهر إلا الذكر حسنا كان أو قبيحا وقد قال الشاعر

ولا شيء يدوم فكن حديثا * جميل الذكر فالدنيا حديث

فانتهز فرصة العمر ومساعدة الدنيا ونفوذ الأمر وقدم لنفسك كما قدموا واذكر بالصالحات كما ذكروا وادخر نفسك في القيامة كما ادخروا واعلم أن المأكول للبدن والموهوب للمعاد والمتروك للعدو فاختر أي الثلاث شئت وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب الرابع والثلاثون في البخل والشح وذكر البخلاء وأخبارهم وما جاء عنهم ﴾

قال الله تعالى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله الآية وقال رسول الله ﷺ إياكم والشح فان الشح أهلك من كان قبلكم وعنه ﷺ أنه قال البخل جامع لمساوي القلوب وهو زمام يقاد به إلى كل سوء وقالت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنهما ان البخل لو كان قميصا ما لبسته أو كان طريقا ما سلكته * وقيل بخلاء العرب أربعة الحطيئة وحميد الارقط وأبو الأسود الدؤلي وخالد بن صفوان * فأما الحطيئة فمر به انسان وهو على باب داره وبيده عصا فقال أنا ضيف فأشار الى العصا وقال لكعاب الضيفان أعددتها وأما حميد الارقط فكان هجاء للضيفان فحاشا عليهم نزل به مرة أضياف فأطعمهم تمرا وهجاهم وذكر أنهم أكلوه بنواه * وأما أبو الأسود فتصدق على سائل بتمرة فقال له جعل الله نصيبك من الجنة مثلها وكان يقول لو أطعنا المساكين في أموالنا كنا أسوأ حالا منهم * وأما خالد بن صفوان فكان يقول للدرهم إذا دخل عليه يا عيار كم تعير وكم تطوف وتطير لأطيلن حبسك ثم يطرحه في الصندوق ويقفل عليه وقيل له لم لا تنفق ومالك عريض فقال الدهر أعرض منه وأنشد بعضهم

وهبني جمعت المال ثم خزنته * وحانت وفاتي هل أزاد به عمرا

إذا خزن المال البخيل فانه * سيورثه غما ويعقبه وزرا

واستأذن حنظلة على صديق له بخيل فقيل هو محموم فقال كلوا بين يديه حتى يعرق وكتب سهل بن هرون كتابا في مدح البخل وأهداه إلى الحسن بن سهل فوقع على ظهره قد جعلنا ثوابك عليه ما أمرت به فيه وقال ابن أبي فنن

ذريني واتلافي لمالي فانني * أحب من الأخلاق ما هو أجمل

ولا سمعت بن قاس كاتب الوحي إلى نبي النصارى (ومن ذلك) أن لصا تسور روزنة وكان اللص مغفلا فنظر من خلال الروزنة فوجد رجلا وزوجته وهي تقول له يا رجل من أين اكتسبت هذا المال العظيم فقال لها كنت لصا وكنت إذا تسورت روزنة بيت صبرت إلى أن يطلع القمر فاذا طلع اعتنقت الضوء الذي في الروزنة وتدليت بلا حبل وقلت شولم شولم ونزلت فآخذ جميع ما في البيت ولا تبقى ذخيرة من ذخائر البيت إلا ظهرت لي ثم أقول شولم شولم وأصعد في الضوء ولا ينتبه أحد من أهل البيت وأذهب بلا تعب ولا كلفة فسمع اللص ذلك فصبر إلى أن طلع القمر ونام أهل البيت فتعلق في ضوء الروزنة فوقع وتكسرت أضلاعه فقام اليه صاحب البيت وقبض عليه وأسلمه إلى صاحب الشرطة (ومنهم) من كان يسوق عشرة حمير فركب واحدا منها وعدها فاذا هي تسعة حمير فنزل وعدها فاذا هي عشرة فقال أمشي وأربح حمارا خير من أن أركب وأخسر حمارا فمشى حتى كاد يتلف الى أن بلغ قريته (ومنهم) من مات بعض أقاربه فقيل له لم لا تبعت جنازته فقال هذا الكلام ما يقوله عاقل أكون منسيا فاذكر بنفسي (ومن ذلك) أن بعض المغفلين سمع رجلا ينشد

وكان بنو عمي يقولون مرحبا * فلما رأوني معدما مات مرحب

فقال كذب الشاعر مرحب قتله علي بن أبي طالب ولم يمت إلا قتيلا (ومنهم) من باع دارا وكان يؤذن بباب مسجد بالقرب منها فأنسى أنه باعها فصلى ورجع

الهاودخل من الباب فصاحت النسوة وقلن له يارجل اتق الله فينا فقال اعذرونى فانى ولدت فى هذا الدار ولم أذكر البيع (ومنهم) من رأى جاريته تحت رجل يجامعها فقال (١٧٢) لها ياجارية ماحملك على هذا فقالت له يامولاى حلفنى بحياة رأسك وأنت تعلم صدق محبتى لك فسكت (ومنهم) من سمع أن صوم يوم عرفة يعدل صوم سنة فصام الى الظهر وقال يكفينى ستة أشهر (ومنهم) من جاء الى الجب ونظر فيه فرأى خيال وجهه فذهب الى أمه وقال ياأمى فى الجب لص فجاءت الأم فتطلعت فيه فرأت خيال وجهها فقالت صدقت ومعه قحبة (ومنهم) من دعا فقال اللهم اغفر لى ولأمى ولأختى ولامرأتى فقيل له لم تركت ذكر أبيك قال لانه مات وأنا صبى لم أدركه (وقال) رجل لرجل كم يوم فى هذا الشهر فنظر وقال والله لست من أهل هذه المدينة (ومن ذلك) أن هشام ابن عبد الملك عرض الجند فتقدم رجل حمصى بفرس كلما قدمه يتأخر فقال له هشام ماهذا قال ياسيدى فاره ولكنه شبهك ببيطار كان يعالجه فنفر (ومنهم) من قيل له عندك مال جزيل وليس لك الا والدة عجوز وان مت ورثتك فأفسدت مالك فقال انها لاترثنى قيل وكيف قال لأنى طلقها قبل أن يموت (ومنهم) من جاء اليه جماعة يسألونه فى كفن لجار له مات فقال ماعندى الآن شىء ولكن عاودونى فى وقت آخر قالوا أفنملحه الى أن يتيسر عندك شىء (ومنهم) من تقدم يصلى المغرب بجماعة فأطال القيام فلما فرغ من الصلاة سجد

أبو

وان أحق الناس باللوم شاعر * يلوم على البخل الرجال ويبخل

وكان عمر بن يزيد الاسدى بخيلا جداً اصابه القولنج فى بطنه فحقنه الطبيب بدهن كثير فانحل مافى بطنه فى الطست فقال لغلامه اجمع الدهن الذى نزل من الحقنة وأسرج به وكان المنصور شديد البخل جداً مر به مسلم الحادى فى طريقه إلى الحج فحدا له يوما بقول الشاعر

أغر بين الحاجبين نوره * يزينه حياؤه وخيره
ومسكه يشوبه كافوره * إذا تغدى رفعت ستوره

فطرب حتى ضرب برجله المحمل ثم قال ياربيع اعطه نصف درهم فقال مسلم نصف درهم يا أمير المؤمنين والله لقد حدوت لهشام فأمر لى بثلاثين ألف درهم فقال تأخذ من بيت مال المسلمين ثلاثين ألف درهم ياربيع وكل به من يستخلص منه هذا المال قال الربيع فمازلت أمشى بينهما وأروضه حتى شرط مسلم على نفسه أن يحدو له فى ذهابه وإيابه بغير مؤنة وكان أبو العتاهية ومروان بن أبى حفصة بخيلين يضرب ببخلهما المثل قال مروان مافرحت بشىء أشد مما فرحت بمائة ألف درهم وهبها لى المهدى فوزنتها فرجحت درهما فاشتريت به لحما واشترى يوما لحما بدرهم فلما وضعه فى القدر دعاه صديقه فرد اللحم على القصاب بنقصان دانقين فجعل القصاب ينادى على اللحم ويقول هذا لحم مروان واجتاز يوما بأعرابية فأضافته فقال ان وهب لى أمير المؤمنين مائة ألف درهم وهبت لك درهما فوهبه سبعين ألف درهم فوهبها أربعة دوانق * ومن الموصوفين بالبخل أهل مرو يقال ان من عادتهم إذا ترافقوا فى سفر أن يشترى كل واحد منهم قطعة لحم ويشكها فى خيط ويجمعون اللحم كله فى قدر ويمسك كل واحد منهم طرف خيطه فاذا استوى جر كل منهم خيطه وأكل لحمه وتقاسموا المرق وقيل لبخيل من أشجع الناس قال من سمع وقع أضراس الناس على طعامه ولم تنشق مرارته وقيل لبعضهم أما يكسوك محمد بن يحيى فقال والله لو كان له بيت مملوء إبرا وجاء يعقوب ومعه الأنبياء شفعاء والملائكة ضمناء يستعير منه إبرة ليخيط بها قميص يوسف الذى قد من دبر ما أعاره اياها فكيف يكسونى وقد نظم ذلك من قال

لو أن دارك أنبتت لك واحتشت * ابرا يضيق بها فناء المنزل
وأتاك يوسف يستعيرك ابرة * ليخيط قد قميصه لم تفعل

وكان المتنبى بخيلا جداً امتدحه انسان بقصيدة فقال له كم أملت منا على مدحك قال عشرة دنانير قال له والله لو ندفت قطن الأرض بقوس السماء على جباه الملائكة مادفعت لك دانقا وقال دعبل كنا عند سهل بن هرون فلم نبرح حتى كاد يموت من الجوع فقال ويلك ياغلام آتنا غداءنا فأتى بقصعة فيها ديك مطبوخ تحته ثريد قليل فتأمل الديك فرآه بغير رأس فقال لغلامه وأين الرأس فقال رميته فقال والله انى لأكره من يرمى برجله فكيف برأسه ويحك أما علمت أن الرأس رئيس الاعضاء ومنه يصيح الديك ولولا صوته ماأريد وفيه فرقه الذى يتبرك به وعينه التى يضرب بها المثل فيقال شراب كعين الديك ودماغه عجيب لوجع الكلية ولم نر عظما أهش تحت الأسنان من عظم رأسه وهبك ظننت أنى لاآكله أما قلت عنده من يأكله أنظر فى أى مكان رميته فأتنى به فقال والله لاأدرى أين رميته فقال لكنى أنا اعرف أين رميته رميته فى بطنك الله حسيبك وقيل من الناس من يبخل بالطعام ويجود بالمال وبالعكس قال بعضهم فى أبى دلف

أبو دلف يضيع الف ألف * ويضرب بالحسام على الرغيف

أبو دلف لمطبخه قتار * ولكن دونه سل السيوف

واشتكى رجل مروزى صدره من سعال فوصفوا له سويق اللوز فاستثقل النفقة ورأى الصبر على الوجع أخف عليه من الدواء فبينما هو يماطل الأيام ويدافع الآلام إذ أتاه بعض أصدقائه فوصف له ماء النخالة وقال انه يجلو الصدر فأمر بالنخالة فطبخت له وشرب من مائها فجلا صدره ووجده يعصم فلما حضر غداؤه أمر به فرفع الى العشاء وقال لامرأته اطبخى لأهل بيتنا النخالة فانى وجدت ماءها يعصم ويجلو الصدور فقالت لقد جمع الله لك بهذه النخالة بين دواء وغذاء فالحمد لله على هذه النعمة * وعن خاقان بن صبيح قال دخلت على رجل من أهل خراسان ليلا فأتانا بمسرجة فيها فتيلة فى غاية الرقة وقد علق فيها عودا بخيط فقلت له ما بال هذا العود مربوطا قال قد شرب الدهن واذا ضاع ولم نحفظه احتجنا الى غيره فلا نجد الا عودا عطشانا ونخشى أن يشرب الدهن قال فبينما أنا أتعجب وأسأل الله العافية اذ دخل علينا شيخ من أهل مرو فنظر الى العود فقال للرجل يا فلان لقد فررت من شىء ووقعت فيما هو شر منه أما علمت أن الريح والشمس يأخذان من سائر الأشياء وينشفان هذا العود لم لا اتخذت مكان هذا العود إبرة من حديد فان الحديد أملس وهو مع ذلك غير نشاف والعود أيضا ربما يتعلق به شعرة من قطن الفتيلة فينقصها فقال له الرجل الخراسانى أرشدك الله ونفع بك فلقد كنت فى ذلك من المسرفين * وقال الهيثم بن عدى نزل على أبى حفصة الشاعر رجل من اليمامة فاخلى له المنزل ثم هرب مخافة أن يلزمه قراه فى هذه الليلة فخرج الضيف واشترى ما احتاج اليه ثم رجع وكتب اليه

يا أيها الخارج من بيته * وهاربا من شدة الخوف
ضيفك قد جاء بزاد له * فارجع وكن ضيفا على الضيف

واشترى رجل من البخلاء دارا وانتقل اليها فوقف ببابه سائل فقال له فتح الله عليك ثم وقف ثان فقال له مثل ذلك ثم وقف ثالث فقال له مثل ذلك ثم التفت الى ابنته فقال لها ما أكثر السؤال فى هذا المكان قالت يا أبت مادمت مستمسكا لهم بهذه الكلمة فما تبالى كثروا أم قلوا وألأم اللئام وأبخلهم حميد الارقط الذى يقال له هجاء الأضياف وهو القائل فى ضيف له يصف أكله بهذا البيت من قصيدة له

ما بين لقمته الأولى اذا انحدرت * وبين أخرى تليها قيد اظفور

(وقال فيه أيضا) تجهز كفاه ويحدر حلقه * الى الزور ماضمت عليه الانامل

وأكل أعرابى مع أبى الأسود رطبا فاكثر ومد أبو الاسود يده الى رطبة ليأخذها فسبقه الاعرابى اليها فسقطت منه فى التراب فأخذها أبو الأسود وقال لا أدعها للشيطان يأكلها فقال الاعرابى والله ولا لجبريل وميكائيل لو نزلا من السماء ما تركها وقال أعرابى انزل نزل به نزلت بواد غير ممطور ورجل بك غير مسرور فأقم بعدم أو ارحل بندم وللحمدونى

رأيت أبا زرارة قال يوما * لحاجبه وفى يده الحسام * لئن وضع الخوان ولاح شخص لاختطفن رأسك والسلام * فقال سوى أبيك فذاك شيخ * بغيض ليس يردعه الكلام فقام وقال من حنق اليه * ببيت لم يرد فيه القيام * أبى وابنا أبى والكلب عندى بمنزلة اذا حضر الطعام * وقال له أبن لى يا ابن كلب * على خبزى أصادر أو أضام

اذا حضر الطعام فلا حقوق * على لوالدى ولا ذمام

سجدتى السهو ولم يكن سها فقيل نحن أنكرنا عليك طول القراءة فما الجواب عن سجدتى السهو ولم تكن سهوت فقال ذكرت أنى صليت بكم على غير وضوء فسجدت للسهو (ومن ذلك) ان عبدا كان بين اثنين فى الشركة فجعل أحدهما يضربه فلامه شريكه فقال انما ضربت حصتى (ومنهم) من قيل له كيف صنعتم فى رمضان فقال اجتمعنا ثلاثين فأنفذناه فى يوم واحد واسترحنا منه (قال الأصمعى) خرج جماعة من بنى غفار ومعهم رجل مغفل فأصابتهم ريح فى البحر أيسوا معها من الحياة فأعتق كل واحد منهم مملوكا أو مملوكة فقال ذلك الرجل اللهم انك تعلم أنى ليس لى مملوك ولا مملوكة ولكن امرأتى طالق طلقة واحدة لوجهك الكريم (قال ابن الجوزى فى آخر كتاب الحمقى والمغفلين) ان المعلمين للصبيان صناعتهم تكاد أن تكون اكسيرا لقلة العقل وابريزا للحماقة (وقال) عدل عقل امرأة سبعين حائكا وعدل عقل حائك سبعين معلما وسبب قلة عقل المعلم أنه مع الصبيان بالنهار ومع النساء بالليل (وكان) يحيى بن أكثم لا يقبل شهادة المعلم (وقيل) لصبى مالنا نراك كثير الحمق فقال لو لم أكن كذلك لكنت ولد زنا (وقيل) لمعلم مالك تضرب هذا الصبى ولم يذنب قال انما ضربته قبل أن يذنب لئلا يذنب (وقال) الجاحظ مررت بمعلم وهو يقرىء صبيا واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا وأكيد كيدا فقلت له ويحك قد أدخلت سورة فى سورة فقال نعم طافك الله

فما في الارض أقبح من خوان * عليه الخبز يحضره الزحام

فأين هذا من القائل بخيل يرى في الجود عارا وانما * يرى المرء عارا أن يضن ويبخلا

اذا المرء أثرى ثم لم يرج نفعه * صديق فلاقته المنية أولا

(وقال آخر) وآمرة بالبخل قلت لها اقصري * فليس اليه ما حييت سبيل

أرى الناس اخوان الكريم وما أرى * بخيلا له في العالمين خليل

وقالوا اذا سألت لئيما شيئا فعاجله ولا تدعه يفكر فانه كلما فكر ازداد بعدا وقال بديع الهمداني

جمعت صنوف المال من كل وجهة * وما نلتها الا بكف كريم

واني لأرجو أن أموت وتنقضي * حياتي وما عندي يد للئيم

﴿ وأنشد الجاحظ لأبي الشمقمق ﴾

ممن تعلمت هذا * أن لا تجود بشيء أما مررت بعبد * لعبد حاتم طي

(ومما قالته الشعراء في البخلاء وطعامهم) فمن أهجى ما قيل فيهم بيت جرير في بني تغلب

والتغلبي اذا تنحنح للقرى * حك استه وتمثل الامثالا

(وله أيضا فيهم) قوم اذا أكلوا أخفوا كلامهم * واستوثقوا من رتاج الباب والدار

قوم اذا استنبح الضيفان كلبهم * قالوا لأمهم بولي على النار * فتمنع البول شحا أن تجود به

وما تبول لهم الا بمقدار * والخبز كالعنبر الهندي عندهم * والقمح خمسون أردبا بدينار

(فأين هؤلاء من الذي قال فيه الشاعر)

أبلج بين حاجبيه نوره * اذا تغدى رفعت ستوره

(وقال بعضهم في بخيل)

أتانا بخيل بخبز له * كمثل الدراهم في رقته

اذا ما تنفس حول الخوان * تطاير في البيت من خفته

(وقال آخر) تراهم خشية الاضياف خرسا * يقيمون الصلاة بلا أذان

(وقال آخر وقد بات عند بخيل

فبتنا كأنا بينهم أهل مأتم * على ميت مستودع بطن ملحد

يحدث بعضا بعضنا بمصابه * ويأمر بعضا بعضنا بالتجلد

(وقال آخر) وجيرة لا ترى في الناس مثلهم * اذا يكون لهم عيد وافطار

ان يوقدوا يوسعونا من دخانهم * وليس يبلغنا ماتطبخ النار

(وقال آخر وأجاد)

فصدق ايمانه ان قال مجتهدا * لا والرغيف فذاك البر من قسمه

فان هممت به فاعبث بخبزته * فان موقعها من لحمه ودمه

قد كان يعجبني لو أن غيرته * على جرادقه كانت على حرمه

(وقال آخر) ذهب الكرام فلا كرام * وبقي العضاريط اللئام

من لا يقبل ولا ينيل ولا يشم له طعام

(وقال آخر) خليلي من كعب أعينا أخاكما * على دهره ان الكريم معين

ولا تبخلا بخل ابن قزعة انه * مخافة أن يرجى نداه حزين

اذا كان أبو يدخل شهرا في شهر فأنا أيضا أدخل سورة في سورة ولا آخذ شيئا ولا ابنه يتعلم شيئا انتهى ماتخيرته من كتاب الاذكياء والحمقى والمغفلين (١٧٤) (ومما تخيرته من سلوان المطاع لابن ظفر) أن الوليد بن يزيد لما بلغه أن ابن عمه يزيد بن الوليد ابن عبد الملك قد شرد عنه القلوب واستجاش عليه أهل اليمن ونازعه في ملكه احتجب عن سماره ودعا في بعض الليالي خادما فقال له انطلق متنكرا حتى تقف ببعض الطرق وتأمل من يمر بك من الناس فاذا رأيت كهلا رث الهيئة يمشي مشيا هوينا وهو مطرق فسلم عليه وقل له في أذنه أمير المؤمنين يدعوك فان أسرع في الاجابة فائتني به وان استراب فدعه واطلب غيره حتى تجد رجلا على الشرط الذي ذكرت لك فانطلق الخادم فأتاه برجل على الشرط فلما دخل الرجل على الوليد حياه بتحية الخلافة فأمره الوليد بالجلوس والدنو منه وصبر الى أن ذهب روعه وسكن جأشه ثم أقبل عليه فقال له أتحسن المسامرة للخلفاء فقال نعم يا أمير المؤمنين فقال الوليد ان كنت تحسنها فاخبرنا ماهي فقال يا أمير المؤمنين المسامرة اخبار لمنصت وانصات لخبر ومفاوضة فيما يعجب ويليق قال له الوليد أحسنت لأزيدك امتحانا فقل أسمع لقولك فقال الكهل نعم يا أمير المؤمنين ولكن المسامرة صنفان لا ثالث لهما إذا أحدهما الاخبار بما يوافق خبرا مسموعا والثاني الاخبار بما يوافق غرضا من أغراض صاحب المجلس واني لم أسمع بحضرة أمير المؤمنين

طريقة فانحوا نحوها والزم أسلوبها فقال الوليد صدقت وها نحن نقترح لك ما تقتفيه قد بلغنا أن رجلا من رعيتنا سعى في ضرر ملكنا فاثر سعيه وشق ذلك علينا فهل سمعت بذلك فقال الكهل نعم يا أمير المؤمنين فقال له الوليد قل الآن على حسب ما سمعت وعلى ما ترى من التدبير فقال يا أمير المؤمنين بلغني عن أمير المؤمنين عبد الملك ابن مروان أنه لما ندب الناس لقتال ابن الزبير وخرج بهم متوجها الى مكة حرسها الله تعالى استصحب عمرو بن سعيد ابن العاص وكان عمرو قد انطوى على فساد نية وخبث طوية وطماعية في نيل الخلافة وكان أمير المؤمنين عبد الملك ابن مروان قد فطن لذلك الا أنه كان يحترمه ولما أبعد أمير المؤمنين عن دمشق تمارض عمرو ابن سعيد فاستأذن أمير المؤمنين في العود الى دمشق فأذن له فلما دخل عمرو دمشق صعد المنبر فخطب الناس خطبة نال فيها من الخليفة واستولى على دمشق ودعا الناس الى خلع عبد الملك فاجابوه الى ذلك وبايعوه وحصن بعد ذلك سور دمشق وحمى حوزتها فبلغ ذلك عبد الملك وهو متوجه إلى ابن الزبير وبلغه مع ذلك أن والي حمص قد نزع يده من الطاعة وأن أهل الثغور قد تشوفوا للخلاف فاحضر وزراءه فاطلعهم على ما بلغه وقال لهم دمشق ملكنا قد استولى عليها عمر بن سعيد وهذا عبد الله بن الزبير قد استولى على الحجاز والعراق واليمن ومصر وخراسان وهذا النعمان بن بشير أمير حمص وزفر بن الحرث

إذا جئته في حاجة سد بابه * فلم تلقه الا وأنت كمين

(وقال آخر) له يومان يوم ندى ويوم * يسل السيف فيه من القراب

فاما جوده فعلى قحاب * وأما سيفه فعلى الكلاب

(وقال آخر)

زففت الى نبهان من صفو فكرتي * عروسا غدا بطن الكتاب لها صدرا

فقبلها عشرا وهام بحبها * فلما ذكرت المهر طلقها عشرا

(وقال آخر) لو عبر البحر بأمواجه * في ليلة مظلمة بارده

وكفه مملوءة خردلا * ما سقطت من كفه واحده

(وقال آخر) يا قائما في داره قاعدا * من غير معنى لا ولا فائده

قد مات أضيافك من جوعهم * فاقرأ عليهم سورة المائده

(وقال آخر) نوالك دونه شوك القتاد * وخبزك كالثريا في البعاد

فلو أبصرت ضيفا في منام * لحرمت الرقاد الى المعاد

(وقال آخر)

لا تعجبن لخبز زل من يده * فالكوكب النحس يسقي الارض أحيانا

(وقال ابن أبي حازم)

وقالوا قد مدحت فتى كريما * فقلت وكيف لي بفتى كريم

بلوت ومر بي خمسون حولا * وحسبك بالمجرب من عليم

فلا أحد يعد ليوم خير * ولا أحد يجود على عديم

(ومن رؤساء أهل البخل) محمد بن الجهم وهو الذي قال وددت لو أن عشرة من الفقهاء وعشرة من الخطباء وعشرة من الشعراء وعشرة من الأدباء تواطؤا على ذمي واستهلوا شتمي حتى ينتشر ذلك في الآفاق فلا يمتد الى أمل آمل ولا ينبسط نحوي رجاء راج وقال له أصحابه يوما انا نخشى أن نقعد عندك فوق مقدار شهوتك فلو جعلت لنا علامة نعرف بها وقت استثقالك لمجالستنا فقال علامة ذلك أن أقول يا غلام هات الغداء * وقال عمر بن ميمون مررت ببعض طرق الكوفة فاذا أنا برجل يخاصم جارا له فقلت ما بالكما فقال أحدهما ان صديقا لي زارني فاشتهى رأسا فاشتريته وتغدينا وأخذت عظامه فوضعتها على باب داري أتجمل بها فجاء هذا فأخذها ووضعها على باب داره يوهم الناس انه هو الذي اشترى الرأس * قال رجل من البخلاء لأولاده اشتروا لي لحما فاشتروه فأمر بطبخه فلما استوى أكله جميعه حتى لم يبق في يده الا عظمة وعيون أولاده ترمقه فقال ما أعطي أحدا منكم هذه العظمة حتى يحسن وصف أكلها فقال ولده الأكبر أمششها يا أبت وأمصها حتى لا أدع للذر فيها مقيلا قال لست بصاحبها فقال الأوسط ألوكها يا أبت وألحسها حتى لا يدري أحد لعام هي أم لعامين قال لست بصاحبها فقال لأصغر يا أبت أمصها ثم أدقها وأسفها سفا قال أنت صاحبها وهي لك زادك الله معرفة وحزما * ووقف اعرابي على أبي الأسود وهو يتغدى فسلم فرد عليه ثم أقبل على الأكل ولم يعزم عليه فقال له الاعرابي أما اني قد مررت بأهلك قال كذلك كان طريقك قال وامرأتك حبلى قال كذلك كان عهدي بها قال قد ولدت قال كان لا بد لها أن تلد قال ولدت غلامين قال كذلك كانت أمها قال مات أحدهما قال

ما كانت تقوى على ارضاع اثنين قال ثم مات الآخر قال ما كان ليبقى بعد موت أخيه قال وماتت الأم قال حزنا على ولديها قال ما أطيب طعامك قال لأجل ذلك أكلته وحدي ووالله لا ذقته يا اعرابي *

وقيل خرج اعرابي قد ولاه الحجاج بعض النواحي فاقام بها مدة طويلة فلما كان في بعض الايام ورد عليه اعرابي من حيه فقدم اليه الطعام وكان اذ ذاك جائعا فسأله عن أهله وقال ما حال ابني عمير قال على ما تحب قد ملأ الأرض والحي رجالا ونساء قال فما فعلت أم عمير قال صالحة أيضا قال فما حال الدار قال عامرة باهلها قال وكلبنا ايقاع قال قد ملأ الحي نبحا قال فما حال جملي زريق قال على ما يسرك قال فالتفت الى خادمه وقال ارفع الطعام فرفعه ولم يشبع الاعرابي ثم أقبل عليه يسأله وقال يا مبارك الناصية أعد على ما ذكرت قال سل عما بدالك قال فما حال كلبي ايقاع قال مات قال وما الذي أماته قال اختنق بعظمة من عظام جملك زريق فمات قال أومات جملي زريق قال نعم قال وما الذي أماته قال كثرة نقل الماء الى قبر أم عمير قال أوماتت أم عمير قال نعم قال وما الذي أماتها قال كثرة بكائها على عمير قال أومات عمير قال نعم قال وما الذي أماته قال سقطت عليه الدار قال أوسقطت الدار قال نعم قال فقام له بالعصا ضاربا فولى من بين يديه هاربا (وحكى) بعضهم قال كنت في سفر فضللت عن الطريق فرأيت بيتا في الفلاة فأتيته فاذا به اعرابية فلما رأتني قالت من تكون قلت ضيف قالت أهلا ومرحبا بالضيف انزل على الرحب والسعة قال فنزلت فقدمت لي طعاما فأكلت وماء فشربت فبينما أنا على ذلك إذ أقبل صاحب البيت فقال من هذا فقالت ضيف فقال لا أهلا ولا مرحبا ما لنا وللضيف فلما سمعت كلامه ركبت من ساعتي وسرت فلما كان من الغد رأيت بيتا في الفلاة فقصدته فاذا فيه اعرابية فلما رأتني قالت من تكون قلت ضيف قالت لا أهلا ولا مرحبا بالضيف ما لنا وللضيف فبينما هي تكلمني إذ أقبل صاحب البيت فلما رآني قال من هذا قالت ضيف قال مرحبا وأهلا بالضيف ثم أتى بطعام حسن فأكلت وماء فشربت فذكرت ما مر بي بالأمس فتبسمت فقال مم تبسمك فقصصت عليه ما اتفق لي مع تلك الأعرابية وبعلها وما سمعت منه ومن زوجته فقال لا تعجب ان تلك الاعرابية التي رأيتها هي أختي وأن بعلها أخو امرأتي هذه فغلب على كل طبع أهله وحكايات هؤلاء وأمثالهم كثيرة وأخبارهم ونوادرهم شهيرة وفيما ذكرته كفاية وأسأل الله تعالى التوفيق والهداية انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الخامس والثلاثون في الطعام وآدابه والضيافة وآداب المضيف والضيف واخبار الاكلة وما جاء عنهم وغير ذلك﴾

﴿أما اباحة الطيب من المطاعم﴾ فقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون وقال تعالى يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين وقال تعالى قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم محرم الحلال كمحلل الحرام وقال عليه الصلاة والسلام ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده في مأكله ومشربه وكان الحسن رضي الله تعالى عنه يقول ليس في اتخاذ الطعام سرف وسئل الفضيل عمن يترك الطيبات من اللحم والخبيص للزهد فقال ما للزهد وأكل الخبيص ليتك تأكل وتتقي الله ان الله لا يكره أن تأكل الحلال إذا اتقيت الحرام انظر كيف برك بوالديك وصلتك للرحم وكيف

عطفك

امير فلسطين قد خرجا عن الطاعة وبايعا الناس لابن الزبير وهذه المضربة بسيوفها تطالبنا بقتلى المرج فلما سمع وزراؤه مقالته ذهلت عقولهم فقال لهم عبد الملك مالكم لا تنطقون هذا وقت الحاجة اليكم فقال أفضلهم وددت أن أكون طيرا على عوسج من عوسج تهامة حتى تنقضي هذه الفتن فلما سمع عبد الملك مقالة صاحبه قام وأمرهم بلزوم مواضعهم وركب منفردا وأمر جماعة من شجعانه أن يتبعوه متباعدين ففعلوا وسار عبد الملك حتى انتهى إلى شيخ ضعيف البدن سيء الحال وهو يجمع سمرا فسلم عليه عبد الملك وآنسه بحديثه ثم قال له أيها الشيخ ألك علم بنزول هذا العسكر فقال الشيخ وما سؤالك عنه فقال عبد الملك اني أردت الانتظام في سلكه فقال له اني أرى عليك سمة الرياسة فينبغي لك أن تصرف نفسك عن هذا الرأي فان الامير الذي أنت قاصده قد انحلت عرا ملكه والسلطان في اضطراب أموره كالبحر إذا هاج فقال عبد الملك أيها الشيخ قد قوي على جذب نفسي الى صحبة هذا الامير فهل لك أن ترشدني الى رأي اتفق به عنده فلعله يكون سبب قربي منه فقال الشيخ ان هذه النازلة التي نزلت بهذا الامير من النوازل التي لا تنفذ فيها العقول وإني لأكره أن أرد مسئلتك بالخيبة فقال له عبد الله قل جزاك الله خيرا فقال الشيخ ان هذا الخليفة خرج الى قتال عدوه والارادة غير قابلة لمراده والدليل على ذلك أن الله تعالى لم يرد ما قصده من محاربة ابن الزبير ووثوب

عمرو بن سعيد على منبره واستيلائه على بيوت أمواله وسرير خلافته فاذا قصدت هذا الأمير وانتظمت فى سلكه انظر فى أمره فان رأيته قد أصر على قصده ابن الزبير فاعلم أنه مخذول فاجتنبه وان رأيته قد رجع من حيث جاء وترك قصده الأول فارج له النصر والسلامة فقال عبد الملك ياشيخ وهل رجوعه إلى دمشق الا كمسيره إلى ابن الزبير فقال الشيخ ان الذى أشكل عليك لواضح وها أنا أزيل عنك اللبس وهو أن عبد الملك إذا قصد ابن الزبير كان فى صورة ظالم لان ابن الزبير لم يطعه طاعة قط ولا وثب له على مملكة فاذا قصد ابن سعيد كان فى صورة مظلوم لانه نكث بيعته وخان أمانته ووثب على دار ملك لم تكن له ولا لأبيه من قبله بل كانت لعبد الملك ولأبيه من قبله وعمرو عليها متعد * ومن الأمثال سمين الغصب مهزول وولى الغدر معزول وسأضرب لك مثلا يشفى النفس ويزيل اللبس * زعموا أن ثعلبا كان يسمى ظالما وكان له جحر يأوى اليه وكان مغتبطا به فخرج يوما يبتغى ما يأكل ثم رجع فوجد فيه حية فانتظر خروجها فلم تخرج فعلم أنها استوطنته وذلك أن الحية لا تتخذ جحرا بل إذا أعجبها جحرا اغتصبته وطردت من به من الحيوان ولهذا قيل فلان أظلم من حية فهذا ظلمها ولما رأى ظالم أن الحية قد استوطنت جحره ولم يمكنه السكنى معها ذهب يطلب لنفسه مأوى فانتهى به السير الى جحر حسن الظاهر حصين

عطفك على الجار وكيف رحمتك للمسلمين وكيف كظمك للغيظ وكيف عفوك عمن ظلمك وكيف احسانك الى من أساء اليك وكيف صبرك واحتمالك الأذى أنت إلى أحكام هذا أحوج من ترك الخبيص (وأما نعوت الأطعمة وما جاء فيها) فقد نقل عن الرشيد أنه سأل أبا الحرث عن الفالوذج واللوزينج أيهما أطيب فقال يا أمير المؤمنين لا أقضى على غائب فأحضرهما اليه فجعل يأكل من هذا لقمة ومن هذا لقمة ثم قال يا أمير المؤمنين كلما أردت أن أقضى لأحدهما أتى الآخر بحجته * واختلف الرشيد وأم جعفر فى الفالوذج واللوزينج أيهما أطيب فحضر أبو يوسف القاضى فسأله الرشيد عن ذلك فقال يا أمير المؤمنين لا يقضى على غائب فأحضرهما فأكل حتى اكتفى فقال له الرشيد احكم قال قد اصطلح الخصمان يا أمير المؤمنين فضحك الرشيد وأمر له بألف دينار فبلغ ذلك زبيدة فأمرت له بألف دينار الا دينارا * وسمع الحسن البصرى رجلا يعيب الفالوذج فقال لباب البر بلعاب النحل بخالص السمن ما أظن عاقلا يعيبه * وقال الأصمعى أول من صنع الفالوذج عبد الله ابن جدعان * وأتى اعرابى بفالوذج فأكل منه لقمة فقيل له هل تعرف هذا فقال هذا وحياتك الصراط المستقيم * وكان أحب الطعام إلى رسول الله ﷺ اللحم وعن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم وكان ﷺ يقول هو سيد الطعام فى الدنيا والآخرة وهو يزيد فى السمع ولو سألت ربى أن يطعمنيه كل يوم لفعل وكان ﷺ يحب الدباء ويقول يا عائشة إذا طبختم قدرا فأكثروا فيها من الدباء فانها تشد القلب الحزين وهى شجرة أخى يونس وعنه ﷺ أنه قال عليكم بالقرع فانه يشد الفؤاد ويزيد فى الدماغ وعليكم بالعدس فانه يرق القلب ويغزر الدمعة وعن أبى رافع قال كان أبو هريرة رضى الله تعالى عنه يقول أكل التمر أمان من القولنج وشرب العسل على الريق أمان من الفالج وأكل السفرجل يحسن الولد وأكل الرمان يصلح الكبد والزبيب يشد العصب ويذهب بالنصب والوصب والكرفس يقوى المعدة ويطيب النكهة وأطيب اللحم الكتف وكان يديم أكل الهريسة وكان يأكل على سماط معاوية ويصلى خلف على ويجلس وحده فسئل عن ذلك فقال طعام معاوية أدسم والصلاة خلف على أفضل وهو أعلم والجلوس وحدى لى أسلم وسميت المتوكلية بالمتوكل والمأمونية بالمأمون وقال الحسن بن سهل يوما على مائدة المأمون الأرز يزيد فى العمر فسأله المأمون عن ذلك فقال يا أمير المؤمنين ان طب الهند صحيح وهم يقولون ان الأرز يرى منامات حسنة ومن رأى مناما حسنا كان فى نهارين فاستحسن قوله ووصله وقال أبو صفوان الأرز الأبيض بالسمن والسكر ليس من طعام أهل الدنيا وقيل لأبى الحرث ما تقول فى الفالوذجة قال وددت لو أنها وملك الموت اعتلجا فى صدرى والله لو أن موسى لقى فرعون بالفالوذجة لآمن ولكنه لقيه بعصا وكانت العرب لا تعرف الالوان انما كان طعامهم اللحم يطبخ بالماء والملح حتى كان زمن معاوية رضى الله تعالى عنه فاتخذ الالوان ويقال للرقة المسخنة بنت نارين وكان بعض المترفهين يقول جنبوا مائدتى بنت نارين وقالوا كل طعام أعيد عليه التسخين مرتين فهو فاسد وقيل إذا ألقى اللحم فى العسل ثم أخرج بعد شهر طريا فانه لا يتغير ويقال للسكباج سيد المرق وشيخ الأطعمة وزين الموائد ويقال إذا طبخت اللحم بالخل فقد ألقيت عن معدتك ثلث المؤنة ويقال للخبز ابن حبة قال بعضهم

فى حبة القلب منى * زرعت حب ابن حبه

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما رفعه أكرموا الخبز قالوا وما كرامته يا رسول الله قال لا ينتظر به

الادام إذا وجدتم الخبز فكلوه حتى تؤتوا بغيره وفى الحديث من داوم على اللحم أربعين يوما
قسا قلبه ومن تركه أربعين يوما ساء خلقه وقيل المائدة التى أنزلت على بنى اسرائيل كان
عليها كل البقول الا الكراث وسمكة عند رأسها خل وعند ذنبها ملح وسبعة أرغفة على كل واحد
زيتون وحب رمان ودخل ابن قزعة يوما على عز الدولة وبين يديه طبق فيه موز فتأخر عن استدعائه
فقال مابال مولانا ليس يدعونى الى الفوز بأكل الموز فقال صفه حتى أطعمك منه فقال ما الذى أصف
من حسن لونه فيه سبائك ذهبية كأنها حشيت زبدا وعسلا أطيب الثمر كأنه مخ الشحم سهل المقشر
لين المكسر عذب المطعم بين الطعوم سلس فى الحلقوم ثم مد يده وأكل وسمع رجلا يذم الزبد
فقال ما الذى ذممت منه سواد لونه أم بشاعة طعمه أم صعوبة مدخله أم خشونة ملمسه وقيل له ما تقول
فى الباذنجان قال أذناب المحاجم وبطون العقارب وبزور الزقوم قيل له انه يحشى باللحم فيكون طيبا فقال
لو حشى بالتقوى والمغفرة ما أفلح وصنع الحجاج وليمة واحتفل فيها ثم قال لزازان هل عمل كسرى مثلها
فاستعفاه فأقسم عليه فقال أولم عبد عند كسرى فأقام على رءوس الناس ألف وصيفة فى يد كل واحدة
ابريق من ذهب فقال الحجاج أف والله ماتركت فارس لمن بعدها من الملوك شرفا وأهدى رجل إلى آخر
فالوذجة زنخة وكتب اليه انى اخترت لعملها السكر السوسى والعسل الماردانى والزعفران الاصبهانى
فأجابه والله العظيم ماعملت الاقبل أن توجد أصبهان وقبل أن تفتح السوس وقبل أن يوحى ربك الى
النحل وقيل ان أباجهم بن عطية كان عينا لابى مسلم الخولانى على المنصور فاحس المنصور
بذلك فطاوله الحديث يوما حتى عطش فاستسقى فدعا له بقدح من سويق اللوز فيه السم
فناوله اياه فشرب منه فما بلغ داره حتى مات فقيل فى ذلك

تجنب سويق اللوز لاتقربنه * فشرب سويق اللوز أردى أباجهم

﴿ وقال أبو طالب المأمونى ﴾

فما حملت كف امرىء متطعما * ألذ وأشهى من أصابع زينب

وأصابع زينب ضرب من الحلوى يعمل ببغداد يشبه أصابع النساء المنقوشة ودخل السائب
على على رضى الله تعالى عنه فى يوم شاة فناوله قدحا فيه عسل وسمن ولبن فأباه فقال أما
انك لو شربته لم تزل دفئا شبعان سائر يومك وعن نافع بن أبى نعيم قال كان أبوطالب يعطى
عليا قدحا من اللبن يصبه على اللات فكان على يشرب اللبن ويبول على اللات ﴿ وأما الزهد
فى المآكل ﴾ فقد زهد فيه كثير من الأخيار مع القدرة عليه ومنهم من لا يقدر عليه قالت
عائشة رضى الله تعالى عنها والذى بعث محمدا ﷺ بالحق ما كان لنا منخل ولا أكل رسول
الله ﷺ خبزا منخولا منذ بعثه الله تعالى الى أن قبض قيل فكيف كنتم تأكلون الشعير قالت كنا
نقول أف أف وعن جابر رضى الله تعالى عنه رفعه نعم الأدم الخل وكفى بالمرء سرفا أن يتسخط
ما قرب اليه وقال عمر رضى الله تعالى عنه ما اجتمع عند رسول الله ﷺ ادمان الا أكل أحدهما
وتصدق بالآخر وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها ما كان يجتمع لونان فى لقمة فى فم رسول الله
ﷺ ان كان لحما لم يكن خبزا وان كان خبزا لم يكن لحما وعن النبى ﷺ انه قال ياعلى ابدأ بالملح واختم
به فان فيه شفاء من سبعين داء وروى أن نبيا من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام شكا الى الله الضعف
فأمره أن يطبخ اللحم باللبن فان القوة فيهما وسنذكر فضل الزهد فى المآكل والمشارب فى باب

مدح

فى أرض منيعة ذات أشجار ملتفة وماء معين فأعجبه وسأل عنه فقالوا هذا الجحر يملكه ثعلب اسمه مفوض وأنه ورثه
عن أبيه فناداه ظالم فخرج اليه ورحب به وأدخله إلى جحره وسأله عن حاله فقص عليه خبره
مع الحية فرق له مفوض وقال له الموت فى طلب النار خير من الحياة فى العار والرأى عندى أن تنطلق معى إلى مأواك الذى أخذ منك غصبا حتى أنظر اليه فلعلى أهتدى الى مكيدة تخلص بها مأواك فانطلقا معا الى ذلك الجحر فتأمله مفوض وقال لظالم اذهب معى فبت الليلة عندى لانظر ليلتى هذه فيما يسنح من الرأى والمكيدة ففعلا ذلك وبات مفوض مفكرا وجعل ظالم يتأمل مسكن مفوض فرأى من سعته وطيب هوائه وحصانته ما اشتد به حرصه عليه وطفق يدبر فى حيلة اغتصابه ونفى مفوض عنه فلما أصبحا قال مفوض لظالم انى رأيت ذلك الجحر بعيدا من الشجر والماء فاصرف نفسك عنه وهلم أعينك على احتفار جحر فى هذا المكان المشتهى فقال ظالم هذا غير ممكن لان لى نفسا تهلك لبعد الوطن حنينا فلما سمع مفوض مقالة ظالم وما يتظاهر به من الرغبة فى وطنه قال له انى أرى أن تذهب يومنا هذا
فنحتطب حطبا ونربط منه حزمتين فاذا جاء الليل انطلقنا إلى بعض هذه الخيام فأخذنا قبس
نار واحتملنا الحطب والقبس إلى مسكنك فنجعل الحزمتين فى بابه ونضرم النار فان خرجت الحية احترقت وان لزمت

مدح الفقراء ان شاء الله تعالى ﴿ وأما ماجاء فى آداب الاكل ﴾ فقد قال رسول الله ﷺ من قال عند مطعمه ومشربه بسم الله خير الاسماء بسم الله رب الأرض والسماء لم يضره ما أكل وما شرب وكان ﷺ اذا وضع بين يديه الطعام قال بسم الله اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وعليك خلفه وقال ﷺ من أكل طعاما فقال الحمد لله الذى أطعمنى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولاقوة غفر له ماتقدم من ذنبه ومن لبس ثوبا فقال الحمد لله الذى كسانى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولاقوة غفرله ماتقدم من ذنبه * وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها قال رسول الله ﷺ إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله فان نسي فى أوله فليقل بسم الله أوله وآخره وفى حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله ﷺ اذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه واذا شرب فليشرب بيمينه فان الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله وقال ﷺ الاكل فى السوق دناءة وعن أنس رضى الله تعالى عنه أن النبي ﷺ زجر عن الشرب قائما قال فسألناه عن الأكل قائما فقال هو شر من الشرب وأوصى رجل من خدم الملوك ابنه فقال إذا أكلت فضم شفتيك ولاتلتفتن يمينا ولا شمالا ولا تلقمن بسكين ولا تجلس فوق من هو أشرف منك وارفع منزلة ولا تبصق فى الاماكن النظيفة ومن هذا مارواه الزهرى أن النبي ﷺ نهى عن النفخ فى الطعام والشراب وقال على رضى الله تعالى عنه نهى رسول الله ﷺ أن يؤكل الطعام حارا وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال ماعاب النبي ﷺ طعاما قط ان اشتهاه أكله والاتركه وقال عمر بن هبيرة عليكم بمباكرة الغداء فان مباكرته تطيب النكهة وتعين على المروءة قيل وما إعانته على المروءة قال أن لا تتوق نفسك الى طعام غيرك وعن النبي ﷺ قال من أكل من سقط المائدة عاش فى سعة وعوفى فى ولده وولد ولده من الحمق وعنه ﷺ من التقط شيئا من الطعام فأكله حرم الله جلده على النار وكان الحرث بن كلدة يقول اذا تغدى أحدكم فلينم على غدائه واذا تعشى فليخط أربعين خطوة وقيل خير الغداء بواكره وخير العشاء سوافره وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال نهى رسول الله ﷺ أن يتبع الرجل بصره لقمة أخيه وقال الحجاج لاعرابى يوما على سماطه ارفق بنفسك فقال وأنت ياحجاج اغضض من بصرك وقال معاوية لرجل على مائدته خذ الشعرة من لقمتك فقال وانك لتراعينى مراعاة من يرى الشعرة فى لقمتى لاأكلت لك طعاما أبدا ووضع معاوية بين يدى الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما دجاجة ففكها فقال معاوية هل بينك وبين أمها عداوة فقال الحسن فهل بينك وبين أمها قرابة أراد معاوية أن الحسن يوقر مجالسه كما توقر مجالس الملوك والحسن أعلم منه بالآداب والرسوم المستحسنة رضى الله تعالى عنهما وحضر أعرابى على مائدة بعض الخلفاء فقدم جدى مشوى فجعل الاعرابى يسرع فى أكله منه فقال له الخليفة أراك تأكله بحرد كأن أمه نطحتك فقال أراك تشفق عليه كأن أمه أرضعتك ﴿ وأما ماجاء فى كثرة الأكل ﴾ فقد روى عن حذيفة رضى الله تعالى عنه عن النبي ﷺ من قل طعامه صح بطنه وصفا قلبه ومن كثر طعامه سقم بطنه وقسا قلبه وعنه صلى الله عليه وسلم لاتميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع اذا كثر عليه الماء مات وقال ﷺ مازين الله رجلا بزينة أفضل من عفاف بطنه وقال عمرو ابن عبيد مارأيت الحسن ضاحكا الامرة واحدة قال رجل من جلسائه ما آذانى طعام قط فقال له آخر أنت لو كانت فى معدتك الحجارة لطحنتها وقال على كرم الله وجهه البطنة تذهب الفطنة وقال

الجحر قتلها الدخان فقال له ظالم هذا نعم الرأى فذهبا واحتطبا حزمتين ولما جاء الليل انطلق مفوض الى ظاهر تلك الخيام فاخذ قبسا فعمد ظالم الى إحدى الحزمتين فازالها الى موضع غيبها فيه ثم جر الحزمة الاخرى الى باب مسكن مفوض فسده بها سدا محكما وقدر فى نفسه أن مفوضا إذا أتى الجحر لم يمكنه الدخول اليه لحصانته فاذا يئس منه ذهب فنظر لنفسه مأوى وكان ظالم قد رأى فى منزل مفوض طعاما ادخره لنفسه فعول ظالم على أنه يقتات به إن حاصره مفوض وهو من داخل وأذهله الشره والحرص عن فساد هذا الرأى ثم ان مفوضا جاء بالقبس فلم يجد ظالما ولا وجد الحطب فظن أن ظالما قد حمل الحزمتين تخفيفا عنه وانه سبقه الى مسكنه الذى فيه الحية اشفاقا على مفوض فشق ذلك عليه وظهر له من الرأى أن يبادر اليه ويلحقه ليحمل معه الحطب فوضع القبس بالقرب من الحطب ولم يشعر أن الباب مسدود به لشدة الظلمة فما بعد عن الباب الا وضوء النار وشدة الدخان قد لحقا به فعاد وتأمل الباب فرأى الحطب قد صار نارا فعلم مكيدة ظالم ورآه قد احترق من داخل الجحر وحاق به مكره فقال هذا الباحث على حتفه بظلفه ثم إن مفوضا صبر حتى انطفأت النار فدخل جحره فأخرج جثة ظالم فألقاها واستوطن جحره آمنا فهذا المثل ضربته لك لانه ملائم لفعل عمرو بن سعيد فى بغيه ومخادعته عبد الملك وحيلته فى أخذ دار ملكه وتحصينها منه وهذا

كفعل ظالم مع مفوض والله أعلم فلما سمع عبد الملك حكمة الشيخ فى ضرب أمثاله سر بذلك سرورا عظيما ثم أقبل عليه
فقال جزيت عنى خيرا وانى (١٨٠) أريد أن تجعل بينى و بينك موعدا وتعرفنى مكانك لألقاك له بعد يومى هذا فقال
الشيخ وما تريد بذلك
فقال له عبد الملك انى أريد
مكافأتك على ما كان منك
فقال له الشيخ انى أعطيت
الله عهدا أن لا أقبل
منه لبخيل فقال عبد الملك
ومن أين علمت انى بخيل
فقال لانك أخرت صلتى
مع القدرة فما عليك
لو وصلتنى ببعض ما عليك
فقال عبد الملك أقسم
بالله لقد ذهلت ثم نزع
سيفه وقال له اقبل منى
هذا واحرص عليه
فقيمته عشرون ألف درهم
فقال الشيخ انى لا أقبل
صلة ذاهل ودعنى وربي
الذى لا يذهل ولا يبخل
فهو حسبى فلما سمع عبد
الملك كلام الشيخ عظم فى
عينه وعلم فضله فى دينه
فقال له أنا عبد الملك فارفع
حوائجك الى فقال الشيخ
وأنا أيضا عبد الملك فهلم
نرفع حوائجنا الى من أنا
وأنت له عبدان فانطلق
عبد الملك وعمل برأى
الشيخ فانجح الله قصده
وانتصر على أعدائه فلما سمع
الوليد ما أخبره به الكهل
استرجح عقله واستظرف
أدبه واستحسن محاضرته
وسأله عن نفسه فتسمى
له وانتسب فلم يعرفه الوليد فاستحى منه وقال له من جهل مثلك فى رعيته ضاع فقال له الكهل يا أمير المؤمنين ان الملوك
لا تعرف الا من تعرف اليها ولزم أبوابها فقال له الوليد صدقت ثم أمر له بصدقة معجلة وعهد اليه فى ملازمته فكان يتمتع

ابن المقفع كانت ملوك الاعاجم اذا رأت الرجل نهما شرها أخرجوه من طبقة الجد إلى باب الهزل
ومن باب التعظيم الى باب الاحتقار وتقول العرب أقل طعاما تحمد مناما وكانت العرب تعير بعضها
بكثرة الأكل وأنشدوا

لست بأكال كأكل العبد * ولا بنوام كنوم الفهد

وأنشد الاصمعى لرجل من بنى فهد

اذا لم أزر الا لآكل أكلة * فلا رفعت كفى الى طعامى
فما أكلة ان نلتها بغنيمة * ولا جوعة ان جعتها بغرام

وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها أراد رسول الله ﷺ أن يشترى غلاما فالقى بين يديه تمرا فأكل
فأكثر فقال ﷺ ان كثرة الاكل شؤم وقالوا الوحدة خير من الجليس السوء والجليس السوء خير من
الاكيل السوء وشكا أبو العيناء الى صديق له سوء الحال فقال اشكر فان الله قد رزقك الاسلام
والعافية قال أجل ولكن بينهما جوع يقلقل الكبد ودعت أبا الحرث حبيبة له فحادثته ساعة فجاع
فطلب الاكل فقالت له أما فى وجهى ما يشغلك عن الاكل قال جعلت فداءك لو أن جميلا وبثينة
قعدا ساعة لا يأكلان لبصق كل منهما فى وجه صاحبه وافترقا

(وأما أخبار الاكلة) فقد قيل ان وهب بن جرير سأل ميسرة البراش عن أعجب ما أكل فقال
اكلت مائة رغيف بمكوك ملح * ومر ميسرة المذكور يوما بقوم وهو راكب حمارا فدعوه للضيافة
فذبحوا له حماره وطبخوه وقدموه له فأكله كله فلما أصبح طلب حماره ليركبه فقيل له هو فى بطنك *
وقال المعتمر بن سليمان قلت لهلال المازنى ما أكلة بلغتنى عنك قال جعت مرة ومعى بعير لى فنحرته
وشويته وأكلته ولم أبق منه الا شيئا يسيرا حملته على ظهرى فلما كان الليل أردت أن أجامع أمة لى فلم
أقدر أصل اليها فقالت كيف تصل الى و بيننا جمل فقلت له كم تكفيك هذه الاكلة فقال أربعة
أيام وقال الاصمعى أن سليمان بن عبد الملك كان شرها نهما وكان من شرهه أنه إذا أتى بالسفود وعليه
الدجاج السمين المشوى لا يصبر الى أن يبرد ولا أن يؤتى بمنديل فيأخذ بكمه فيأكل واحدة واحدة حتى
يأتى عليها فقال الرشيد ويحك يا أصمعى ما أعلمك بأخبار الناس انى عرضت على جباب سليمان
فرأيت فيها آثار الدهن فظننته طيبا حتى حدثتنى ثم أمر لى بجبة منها فكنت إذا لبستها
أقول هذه جبة سليمان بن عبد الملك * وقال الشمردل وكيل عمرو بن العاص قدم
سليمان بن عبد الملك الطائف فدخل هو وعمر بن عبد العزيز الى وقال ياشمردل ما عندك
ما تطعمنى قلت عندى جدى كأعظم ما يكون سمنا قال عجل به فأتيته به كأنه عكة سمن
فجعل يأكل منه ولا يدعو عمر حتى إذا لم يبق منه الا الفخذ قال هلم يا أبا جعفر فقال انى صائم
فأكله ثم قال ياشمردل ويلك أما عندك شىء قلت ست دجاجات كأنهن أفخاذ نعام فاتيته
بهن فأتى عليهن ثم قال ياشمردل أما عندك شىء قلت سويق كأنه قراضة الذهب فاتيته به
فعبه حتى أتى عليه ثم قال ياغلام أفرغت من غدائنا قال نعم قال ماهو قال نيف وثلاثون قدرا قال
ائتنى بقدر قدر فأتاه بها ومعه الرقاق فأكل من كل قدر ثلثه ثم مسح يده واستلقى على فراشه وأذن
للناس فدخلوا وصف الخوان فقعد وأكل مع الناس وكان هلال بن الاسعر يضع القمع على
فيه ويصب اللبن أو النبيذ وكان غليظا عتلا * وقال اعرابى لرجل رآه سمينا أرى عليك قطيفة من

نسج

نسج أضراسك * وقال أبو المحسر الاعرابى كانت لى بنت تجلس معى على المائدة فتبرز كفا كأنها صلفة فى ذراع كأنه جمارة فلا تقع عينها على لقمة نفيسة الا خصتنى بها فكبرت وزوجتها وصرت أجلس على المائدة مع ابن لى فيبرز كفا كأنها كرنافة فوالله لن تسبق عينى الى لقمة طيبة الا سبقت يده اليها وقال مسلم بن قتيبة عددت للحجاج أربعة وثمانين رغيفا مع كل رغيف سمكة * ويقال فلان يحاكى حوت يونس فى جودة الالتقام وعصا موسى فى سرعة الالتهام * وقيل لأبى مرة أى الطعام أحب اليك قال لحم سمين وخبز سميذ أضرب فيه ضرب ولى السوء فى مال اليتيم * وقال صدقة بن عبيد المازنى أولم لى أبى لما تزوجت فعمل عشر جفان ثريد من جزور فكان أول من جاءنا هلال المازنى فقدمنا له جفنة مترعة فأكلها ثم أخرى فأكلها حتى أتى على الجميع ثم أتى بقربة مملوءة من النبيذ فوضع طرفها فى شدقه وفرغها فى جوفه ثم قام فخرج واستأنفنا عمل الطعام * وكان عبيد الله بن زياد يأكل فى كل يوم خمس أكلات فخرج يوما يريد الكوفة فقال له رجل من بنى شيبان الغداء أصلح الله الامير فنزل فذبح له عشرين طائرا من الاوز فأكلها ثم قدم الطعام فأكل ثم أتى بزنبيلين فى احدهما تين وفى الآخر بيض فجعل يأكل من هذا تينة ومن هذا بيضة حتى أتى على ذلك جميعه ثم رجع وهو جائع وكان ميسرة البراش يأكل الكبش العظيم ومائة رغيف فذكر ذلك للمهدى فقال دعوت يوما بالفيل وأمرت فألقى اليه رغيف رغيف فأكل تسعة وتسعين وألقى اليه تمام المائة فلم يأكله * وحدث الشيخ نبيه الدين الجوهرى انه سمع الشيخ الامام عز الدين بن عبد السلام يقول ان معاوية بن أبى سفيان كان يأكل فى كل يوم مائة رطل بالدمشقى ولا يشبع * ونزل رجل بصومعة راهب فقدم اليه الراهب أربعة أرغفة وذهب ليحضر اليه العدس فحمله وجاء فوجده قد أكل الخبز فذهب فأتى بخبز فوجده قد أكل العدس ففعل معه ذلك عشر مرات فسأله الراهب أين مقصدك قال الى الاردن قال لماذا قال بلغنى ان بها طبيبا حاذقا أسأله عما يصلح معدتى فانى قليل الشهوة للطعام فقال له الراهب ان لى اليك حاجة قال وماهى قال اذا ذهبت وأصلحت معدتك فلا تجعل رجوعك على

﴿ وأما المهازلة على الطعام ﴾ فقد روى عن يحيى بن عبد الرحمن رضى الله تعالى عنه قال قالت عائشة رضى الله تعالى عنها كان عندى رسول الله ﷺ وسودة فصنعت حريرة فجئت به فقلت لسودة كلى فقالت لا أحبه فقلت والله لتأكلين أو لألطخن وجهك فقالت ما أنا بذائقته فأخذت من الصحفة شيئا فلطخت به وجهها ورسول الله ﷺ جالس بينى وبينها فتناولت من الصحفة شيئا فلطخت به وجهى وجعل رسول الله ﷺ يضحك * واشترى غندر يوما سمكا وقال لأهله اصلحوه ونام فأكل عياله السمك ولطخوا يده فلما انتبه قال قدموا الى السمك قالوا قد أكلت قال لا قالوا شم يدك ففعل فقال صدقتم ولكن ما شبعت * ودخل الحمدونى على رجل وعنده أقوام بين أيديهم أطباق الحلوى ولا يمدون أيديهم فقال لقد ذكرتمونى ضيف ابراهيم وقول الله تعالى فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة ثم قال كلوا رحمكم الله فضحكوا وأكلوا والحكايات فى ذلك كثيرة

﴿ وأما الضيافة وإطعام الطعام ﴾ فقد قال الله تعالى هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين وقال رسول الله ﷺ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ولا يؤذ جاره وقال صلى الله

بأدبه وحكمته الى أن كان من أمر الوليد ما هو مشهور والله أعلم (ومما تخيرته من عجائب سلوان المطاع) قيل لما عزم سابور ابن هرمز على الدخول الى بلاد الروم متنكرا نهاه نصحاؤه وعقلاء وزرائه وحذروه من ذلك فعصاهم وكان يقال أوزر الناس وزراء الاحداث من الملوك وعشاق الفتيان من المشايخ فان سابور توجه نحو بلاد الروم واستصحب وزيرا كان له ولأبيه من قبله وكان من أدهى الناس فى الحزم وسداد الرأى واختلاف الأديان ولغاتها وكان من المتبحرين فى العلوم والمبرزين بالمكايد فسلم اليه سابور جميع ما يحتاج اليه فى سفره وأمر أن لا يتجاوز فى السير ولا يبعد عنه بحيث يراعى جميع أحواله فى ليله ونهاره فتوجها نحو الشام ولبس ذلك الوزير زى الرهبان وتكلم بلسانهم وتحرف بصناعة الطب الجرائحى وكان معه الدهن الصينى الذى اذا دهنت به الجراحات ختمت بسرعة واندملت فكان ذلك الوزير فى مسيره نحو بلاد الروم يداوى الجراحات بأدوية يضيف اليها يسيرا من ذلك الدهن فتبرأ بسرعة واذا عنى بأحد من ذوى الاقدار داواه بذلك الدهن صرفا فيبرأ على الفور ولا يأخذ على ذلك أجرة فانتشر ذكره فى بلاد الروم وعقدت عليه الخناصر وأقبل عليه الناس مع انفراده وكان مع سابور يراعى جميع أحواله فلم يزل كذلك حتى طاف جميع الشام وقصد القسطنطينية فقدماها فذهب الوزير الى البطرك وتفسير هذا الاسم أبو الآباء

عليه وسلم من أكل وذو عينين ينظر اليه ولم يواسه ابتلى بداء لادواء له وقال الحسن كنا نسمع ان احدى مواجب الرحمة اطعام الاخ المسلم الجائع وقيل لابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام بم اتخذك الله خليلا قال بثلاث ماخيرت بين شيئين الا اخترت الذي لله على غيره ولا اهتممت بما تكفل لي به ولا تغديت ولا تعشيت الا مع ضيف ويقولون ماخلا مضيف الخليل عليه الصلاة والسلام الى يومنا هذا ليلة واحدة من ضيف وكان الزهري اذا لم يأكل أحد من أصحابه من طعامه حلف لايحدثه عشرة أيام وقالوا المائدة مرزوقة أي من كان مضيافا وسع الله عليه وقالوا أول من سن القرى ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وأول من ثرد الثريد وهشمه هاشم وأول من أفطر جيرانه على طعامه في الاسلام عبدالله بن عباس رضي الله تعالى عنهما وهو أول من وضع موائده على الطريق وكان اذا خرج من بيته طعام لايعود منه شيء فان لم يجد من يأكله تركه على الطريق وقيل لبعض الكرماء كيف اكتسبت مكارم الاخلاق والتأدب مع الاضياف فقال كانت الاسفار تحوجني إلى أن أفد على الناس فما استحسنته من أخلاقهم اتبعته وما استقبحته اجتنبته

(وأما آداب المضيف) فهو أن يخدم أضيافه ويظهر لهم الغنى وبسط الوجه فقد قيل البشاشة في الوجه خير من القرى قالوا فكيف بمن يأتي بها وهو ضاحك وقد ضمن الشيخ شمس الدين البديوي رحمه الله هذا الكلام بابيات فقال

اذا المرء وافى منزلا منك قاصدا * قراك وأرمته لديك المسالك
فكن باسما في وجهه متهللا * وقل مرحبا أهلا ويوم مبارك
وقدم له ماتستطيع من القرى * عجولا ولاتبخل بما هو هالك
فقد قيل بيت سالف متقدم * تداوله زيد وعمرو ومالك
بشاشة وجه المرء خير من القرى * فكيف بمن يأتي به وهو ضاحك

وقالت العرب تمام الضيافة الطلاقة عند أول وهلة واطالة الحديث عند المؤاكلة وقال حاتم الطائي

سلي الطارق المعتر يا أم مالك * اذا ما أتاني بين ناري ومجزري
أأبسط وجهي انه أول القرى * وأبذل معروفي له دون منكري

(وقال آخر في عبدالله بن جعفر) انك يا ابن جعفر خير فتى * وخيرهم لطارق اذا أتى

(ولله در القائل) الله يعلم أنه ماسرني * شيء كطارقة الضيوف النزل
مازلت بالترحيب حتى خلتني * ضيفا له والضيف رب المنزل

(أخذه من قول الشاعر) ياضيفنا لو زرتنا لوجدتنا * نحن الضيوف وأنت رب المنزل

(وما أحسن ماقال سيف الدولة بن حمدان)

منزلنا رحب لمن زاره * نحن سواء فيه والطارق
وكل ما فيه حلال له * الا الذي حرمه الخالق

(وقال الأصمعي) سألت عيينة بن وهب الدارمي عن مكارم الاخلاق فقال أو ماسمعت قول عاصم بن وائل

وانا لنقري الضيف قبل نزوله * وتشبعه بالبشر من وجه ضاحك

(وقال بعض الكرام) أضاحك ضيفي قبل أن أنزل رحله * ويخصب عندي والمحل جديب
وما الخصب للاضياف أن تكثر القرى * ولكنما وجه الكريم خصيب

(وقال آخر) عودت نفسي اذا ما الضيف نبهني * عقرت العشار على عسر وايسار

(ومن آداب المضيف) أن يتفقد دابة ضيفه ويكرمها قبل اكرام الضيف قال الشاعر

مطية

فاستأذن عليه فأذن له وسأله عن قصده فأخبره أنه هاجر اليه ليتشرف بخدمته ويدخل في أتباعه ثم أهدى اليه هدية نفيسة حسن موقعها من البطرك فقربه وأكرمه وأحسن نزله وألحقه ببطانته واختبره فوجده عالما بدينهم بل مبرزا فاعجب به غاية الاعجاب وجعل الوزير يتأمل أحوال البطرك ليصحبه بما يلائمه وينفق عنده فوجده مائلا الى الفكاهات معجبا بنوادر الاخبار وكان الوزير في ذلك غاية فأخذ يتحفه بكل نادرة غريبة وملحة عجيبة فصار البطرك لم يطق عن الوزير صبرا لأنه حلا لعينه وحل بقلبه وجعل الوزير مع ذلك يعالج الجراحات ولا يأخذ على ذلك عوضا فعظم قدره في الناس هذا وهو يتعاهد أحوال سابور في كل وقت الى أن صنع قيصر وليمة وحضر الناس اليها على طبقاتهم فأراد سابور حضورها ليطلع على أحوال قيصر وعلى رتبته في قصره وعظم وليمته فنهاه وزيره عن ذلك فعصاه وتزيا بزي ظن أنه يستتر به ودخل دار قيصر مع من حضر الوليمة وكان قيصر من شدة احتراسه من سابور وخيفته من أن يطرق بلاده وتحسن له همته العالية وحدة الشبيبة ذلك صور سابور في مجلسه وعلى ستور بيته وعلى فرشه وفي آلات أكله وشربه ولما دخل سابور يوم الوليمة واستقر في مجلسه وأكل مع من حضر أتوا بالشراب في كؤس البلور والذهب والفضة والزجاج المحكم

مطية الضيف عندي تلو صاحبها * لن يأمن الضيف حتى تكرم الفرسا

وقال على بن الحسين رضي الله تعالى عنهما من تمام المروءة خدمة الرجل ضيفه كما خدمهم أبونا ابراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه بنفسه وأهله أما سمعت قول الله عز وجل وامرأته قائمة * ومن آداب المضيف أن يحدث أضيافه بما تميل اليه نفوسهم ولا ينام قبلهم ولا يشكو الزمان بحضورهم و يبش عند قدومهم و يتألم عند وداعهم وأن لا يحدث بما يروعهم به كما حكى بعضهم قال استدعانى اسحق بن ابراهيم الظاهرى الى أكل هريسة فى بكرة نهار فدخلت فاحضرت لنا الهريسة فاكلنا فاذا شعرة قد جاءت على لقمة غفل عنها طباخه فاستدعى خادمه فاسر اليه شيئاً لم نعلمه فعاد الخادم ومعه صينية مغطاة فكشف عن الصينية فاذا يد الطباخ مقطوعة تختلج فتكدر علينا عيشنا وقمنا من عنده ونحن لا نعقل فيجب على المضيف أن يراعى خواطر أضيافه كيفما أمكن ولا يغضب على أحد بحضورهم ولا ينغص عيشهم بما يكرهونه ولا يعبس بوجهه ولا يظهر نكدا ولا ينهر أحدا ولا يشتمه بحضرتهم بل يدخل على قلوبهم السرور بكل ما أمكن كما حكى عن بعض الكرام أنه دعا جماعة من أصحابه الى بستانه وعمل لهم سماطا وكان له ولد جميل الطلعة فكان الولد فى أول النهار يخدم القوم و يأنسون به ففى آخر النهار صعد الى السطح فسقط فمات لوقته فحلف أبوه على أمه بالطلاق الثلاث أن لا تصرخ ولا تبكى الى أن تصبح فلما كان الليل سأله أضيافه عن ولده فقال هو نائم فلما أصبحوا وأرادوا الخروج قال لهم ان رأيتم ان تصلوا على ولدى فانه بالامس سقط من على السطح فمات لساعته فقالوا له لم لا اخبرتنا حين سألناك فقال ماينبغى لعاقل أن ينغص على أضيافه فى التذاذهم ولا يكدر عليهم فى عيشهم فتعجبوا من صبره وتجلده ومكارم أخلاقه ثم صلوا على الغلام وحضروا دفنه و بكوا عليه وانصرفوا وعلى المضيف أن يأمر غلمانه بحفظ نعال أضيافه وتفقد غلمانهم بما يكفيهم و يسهل حجابه وقت الطعام ولا يمنع واردا * وقيل لبعض الأمراء الكرام لا بأس بالحجاب لئلا يدخل من لا يعرفه الأمير و يحترز عن العدو فقال ان عدوا يأكل طعامنا ولا ينخدع لا يمكنه الله منا والأليق بالكريم الرئيس أن يمنع حاجبه من الوقوف ببابه عند حضور الطعام فان ذلك أول الشناعة عليه وعليه أن يسهر مع أضيافه و يؤانسهم بلذيذ المحادثة وغريب الحكايات وأن يستميل قلوبهم بالبذل لهم من غرائب الظرف ان كان من أهل ذلك وأن يرى أضيافه مكان الخلاء فقد قيل عن ملك الهند أنه قال إذا ضافك أحد فأره الكنيف فانى ابتليت به مرة فوضعته فى قلنسوتى وقالوا لا بأس أن يدخل الرجل دار أخيه يستطعم للصداقة الوكيدة وقد قصد النبى ﷺ والشيخان منزل الهيثم بن التيهان وأبى أيوب الانصارى وكذلك كانت عادة السلف رضى الله تعالى عنهم وكان لعون بن عبد الله المسعودى ثلثمائة وستون صديقا فكان يدور عليهم فى السنة ولا بأس أن يدخل الرجل بيت صديقه فيأكل وهو غائب فقد دخل رسول الله ﷺ دار بريرة رضى الله عنها فأكل طعامها وهى غائبة وكان الحسن رضى الله عنه يوما عند بقال فجعل يأخذ من هذه الجونة تينة ومن هذه فستقة فيأكلها فقال له هشام مابدا لك ياأبا سعيد فى الورع فقال له يالكع اتل على آية الأكل فتلا ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم الى قوله أو صديقكم فقال الصديق من استروحت إليه النفس واطمأن إليه القلب وعلى المضيف الكريم أن لا يتأخر عن أضيافه ولا يمنعه عن ذلك قلة مافى يده بل يحضر اليهم ما وجد فقد جاء عن أنس وغيره من الصحابة رضى الله عنهم أنهم كانوا

وكان فى المجلس رجل من حكماء الروم ودهاتهم فلما وقعت عينه على سابور أنكره وجعل يتأمل شخصه فرأى عليه مخايل الرياسة ولما زاد فى تأمله وصل اليه دور الكأس فتأمل الصورة التى على الكاس وراجع النظر فى سابور فما شك ان الصورة التى على الكأس وضعت على مثاله وغلب على ظنه انه سابور فأمسك الكاس فى يده امساكا طويلا ثم قال رافعا صوته ان هذه الصورة التى على هذا الكاس تخبرنى اخبارا عجيبا فقيل له وما الذى تخبرك فقال تخبرنى ان الذى هى مثال له معنا فى مجلسنا هذا ثم نظر الى سابور وقد تغير لونه حين سمع مقالته فحقق ظنه فبلغ ذلك قيصر فأدناه وقربه وسأله فأخبره أن سابور معه فى مجلسه واشار اليه فأمر قيصر بالقبض عليه وقرب من قيصر فسأله عن نفسه فتعلل بضروب من العلل لم تقبل فقال ذلك المتفرس أيها الملك لا تقبل قوله فانه سابور لا محالة فهدده قيصر بالقتل فاعترف أنه سابور فحبسه قيصر مكرما وأمر أن يعمل له من جلود البقر صورة بقرة وتطبق عليها الجلود سبع طبقات و يتخذ لها باب وتجعل لها كوة لاجل المبال و يستقر سابور بها وتجمع يداه الى عنقه بجامعة من الذهب ذات سلسلة يمكنه معها تناول مايعمل له من طعام وشراب وغير ذلك فلما دخل سابور جوف تلك الصورة جمع قيصر جنوده واستعد لغزو بلاد فارس ووكل بسابور وهو داخل البقرة مائة رجل من ذوى البأس والشدة

يقدمون الكسرة اليابسة وحشف التمر و يقولون ماندري أيهما أعظم وزرا الذي يحتقر ماقدم اليه أو الذي يحتقر ماعنده أن يقدمه وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال من ألقم أخاه لقمة حلوة صرف الله عنه مرارة الموقف (وحكي) عن الامام الشافعي رضي الله عنه أنه كان نازلا عند الزعفراني ببغداد فكان الزعفراني يكتب في كل يوم رقعة بما يطبخ من الالوان و يدفعها الى الجارية فأخذها الشافعي منها يوما وألحق فيها لونا آخر فعرف الزعفراني ذلك فأعتق الجارية سرورا بذلك وكانت سنة السلف رضي الله عنهم أن يقدموا جملة الالوان دفعة ليأكل كل شخص مايشتهي ومن السنة أن يشيع المضيف الضيف الى باب الدار وعلى المضيف إذا قدم الطعام الى أضيافه أن لا ينتظر من يحضر من عشيرته فقد قيل ثلاثة تضني سراج لا يضيء ورسول بطيء ومائدة ينتظر لها من يجيء ونزل الامام الشافعي رضي الله عنه بالامام مالك رضي الله عنه فصب بنفسه الماء على يديه وقال له لا يرعك مارأيت مني فخدمة الضيف على المضيف فرض

اعرض طعامك وابذله لمن أكلا * واحلف على من أبى واشكر لمن فعلا
ولا تكن سابري العرض محتشما * من القليل فلست الدهر محتفلا

ومن البخلاء من يعزم على الضيف فيعتذر له فيمسك عنه بمجرد الاعتذار كأنه تخلص من ورطة وقيل لبعض البخلاء ما الفرج بعد الشدة قال أن يعتذر الضيف بالصوم ومن البخلاء من يعجبه طعامه و يصف زباديه و يشتهي أن تبقى على حالها ومنهم من يحضر طعامه فاذا رآه ضيوفه أمر بأن يرفع منها أطيبها وأشهاها الى النفوس و يعتذر أن في أصحابه من يحضر بالغداة عنده (وحكي) عن بعض البخلاء أنه استأذن عليه ضيف و بين يديه خبز و زبدية فيها عسل نحل فرفع الخبز وأراد أن يرفع العسل فدخل الضيف من قبل أن يرفعه فظن البخيل أن ضيفه لا يأكل العسل بلا خبز فقال له ترى أن تأكل عسلا بلا خبز قال نعم وجعل يلعق العسل لعقة بعد لعقة فقال له البخيل مهلا يا أخي والله انه يحرق القلب قال نعم صدقت ولكنه قلبك (وحكي) عن بعضهم انه قال غلب على الجوع مرة فقلت أمضي الى دار فلان لأتغدى عنده فجئت الى باب بيته فوجدت غلامه فقلت له أين سيدك فقال والله لاقلت لك عليه إلا ان اعطيتني كسرة قال فرجعت هاربا * ومن البخل تقديم الشيء اليسير وتفخيمه * حكي عن بعض البخلاء انه حلف يوما على صديقه وأحضر له خبزا وجبنا وقال له لا تستقل الجبن فان الرطل منه بثلاثة دراهم فقال له ضيفه أنا أجعله بدرهم ونصف قال وكيف ذلك قال آكل لقمة بجبن ولقمة بلا جبن فأين هؤلاء من الذي يقول

قالت أما ترحل تبغي الغنى * قلت فمن للطارق المعتم * قالت فهل عندك شيء له
قلت نعم جهد الفتى المعدم * فكم وحق الله من ليلة * قد أطعم الضيف ولم أطعم
ان الغنى بالنفس ياهذه * ليس الغنى بالمال والدرهم

﴿ وقال بعض البخلاء ﴾

سرى نحونا يبغي القرى طاوي الحشى * لقد عملت فيه الظنون الكواذب
فبات له منا الى الصبح شاتم * يعدد تطفيل الضيوف وضارب

فشتان مابين القائلين

﴿ وأما آداب الضيف ﴾ فهو أن يبادر الى موافقة المضيف في أمور منها أكل الطعام ولا يعتذر بشبع بل يأكل كيف أمكن * فقد حكي أنه ورد على بعض الاعراب ضيف فدخل به الى بيته

يحملونها وصرف أمره الى المطران وهو خليفة البطرك فكانت تلك الصورة تحمل بين يديه فاذا نزل العسكر نزلت الصورة التي فيها سابور وسط العسكر وضربت عليها قبة وتضرب للمطران قبة مجاورة لقبة سابور وسار قيصر محتفلا بجنوده وعساكره وقد عزم على خراب فارس ولما جد السير قال وزير سابور للبطرك أيها الاب انما استفدت بخدمتك الرغبة في مصالح الاعمال ولا عمل أصلح من تنفيس كربة عن مجهود وجر منفعة الى مضطر وقد علمت اجتهادي في مداواة الجرحى وان نفسي تنازعني الى صحبة الملك قيصر في سفره هذا لا غير فلعل الله تعالى يستنقذني نفسا صالحة أو يسوقني الى مداواة جريح من العسكر ليتقدم قلبي بهذه المثوبات فذكره البطرك ذلك وقال له قد علمت أني لا أستطيع فراقك فكيف تطلبني بالسفر البعيد قال فلم يزل وزير سابور يتضرع الى البطرك الى أن استحى منه وسمح له بذلك وزوده وكتب معه الى المطران يخبره برتبته عنده وأنه يحله في أعلى المراتب و يستضيء برأيه اذا أشكل عليه أمر فقدم وزير سابور على المطران فعرف له حقه وأنزله في قبته وجعل زمام أمره ونهيه بيده وصار الوزير يستميله بما يميل اليه و يطرفه في كل ليلة بطرف الأخبار رافعا بها صوته وقدم ليسمع سابور حديثه فيتسلى بذلك و يدس في أحاديثه مايريد أن يعلمه به و يبطنه من الأسرار فكان سابور يجد بذلك راحة عظيمة

وقدم له الطعام فقال الضيف لست بجائع وانما أحتاج إلى مكان أبيت فيه فقال الاعرابى اذا كان هذا عزمك فكن ضيف غيرى فانى لا أرى أن تمدحنى فى البلاد وتهجونى فيما بينى و بينك (وحكى) عن بعض التجار قال استدعانى أبو حفص محمد بن القاسم الكرخى لاعرض عليه قماشا من تجارتى فبينما أنا بين يديه واذا بأطباق الفاكهة قد حضرت فقمت من مجلسه فقال يافلان ماهذا الخلق العامى اجلس فجلست وتحققت كرمه وجعلت آكل الكمثراة فى لقمة والتفاحة فى لقمة ثم قدم الطعام وكنت جائعا فأكلت أكلا جيدا ثم انصرفت فلم أشعر فى اليوم الثانى الا وقد جاءنى غلامه بغلته فاستدعانى اليه فقال لى يافلان انى قليل الاكل بطىء الهضم ولقد طابت لى مؤاكلتك بالامس فأريد أن لا تنقطع بعدها عنى قال فكنت متى انقطعت حضر غلامه فى طلبى فحصل لى بقربى منه مال كثير وجاه عريض ومن آداب الضيف أيضا أن لا يسأل صاحب المنزل عن شىء من داره سوى القبلة وموضع قضاء الحاجة وأن لا يتطلع الى ناحية الحريم وأن لا يخالفه اذا أجلسه فى مكان وأكرمه به وأن لا يمتنع من غسل يديه واذا رأى صاحب المنزل قد تحرك بحركة فلا يمنعه منها فقد نقل فى بعض المجاميع أن بعض الكرماء كان عربيدا على أضيافه سىء الخلق بهم فبلغ ذلك بعض الاذكياء فقال الذى يظهر لى من هذا الرجل انه كريم الاخلاق وما أظن سوء أخلاقه الا لسوء أدب الاضياف ولابد أن أتطفل عليه لارى حقيقة أمره قال فقصدته وسلمت عليه فقال هل لك أن تكون ضيفى قلت نعم فسار بين يدى إلى أن جاء الى باب داره فأذن لى فدخلت فأجلسنى فى صدر مجلسه فجلست حيث أجلسنى وأعطانى مسندا فاستندت اليه فأخرج لى شطرنجا وقال أتتقن شيئا قلت نعم فلعبت معه فلما حضر الطعام جعل يقدم لى ما استطابه وأنا آكل فلما فرغنا قدم طستا وابريقا وأراد أن يسكب الماء على يدى فلم أمنعه من ذلك وأراد الخروج من بين يدى بعد أن قدم نعلى فلم أرده عن ذلك فلما أراد الرجوع قلت ياسيدى أنشدك الله الا فرجت عنى كربة قال وماهى فأخبرته الخبر فقال والله مايحوجنى لذلك الا سوء أدبهم يصل الضيف إلى دارى فأجلسه فى الصدر فيأبى ذلك ثم أقدم اليه الطعام فلا أتحفه بشىء مستظرف الا رده على ثم أريد أن أصب الماء على يديه عند الغسل فيحلف بالطلاق الثلاث ماتفعل ثم أريد أن أشيعه فلا يمكننى من ذلك فأقول فى نفسى لا يحكم الانسان على نفسه حتى فى بيته فعند ذلك أشتمه وألعنه بل وأضربه وفى معنى ذلك يقول بعضهم

لا ينبغى للضيف أن يعترض * ان كان ذا حزم وطبع لطيف
فالامر للانسان فى بيته * ان شاء أن ينصف أو أن يحيف

(ومما) يعاب على الضيف أمور منها كثرة الاكل المفرط الا أن يكون بدويا فانها عادته ومنها أن يتتبع طريق الشرهين كمن يتخذ معه خريطة مشمعة يقلب فيها الزبادى والاوراق والحلوى وغير ذلك ومنها أن يأخذ معه ولده الصغير و يعلمه أن يبكى وقت الانصراف من الطعام ليعطى على اسم ولده الصغير ومنها قبح المؤاكلة وقد عد فيها عيوب كثيرة فمنها المتشاوف والعداد والجراف والرشاف والنفاض والقراض والنهات واللتات والعوام والقسام والخلال والمزبد والمرنخ والمرشش والمفتش والمنشف والملبب والصباغ والنفاخ والحامى والمجنح والشطرنجى والمهندس والمتمنى والفضولى * فأما المتشاوف فهو الذى يستحكم جوعه قبل فراغ الطعام فلا تراه الا متطلعا لناحية الباب يظن أن كل مادخل هو الطعام وأما العداد فهو الذى يستغرق فى عد الزبادى

وكان الوزير قد أعد لخلاص سابور أنواعا من المكايد رتبها عند ماقدم على المطران منها أنه امتنع عن مؤاكلة المطران وأخبره أنه لا يخالط بطعام البطرك غيره لأجل بركته فكان اذا حضر طعام المطران أخرج هو ذلك الزاد الذى معه وانفرد بالأكل وحده فلم يزل قيصر سائرا بجنوده حتى بلغ أرض فارس فأكثر فيها القتل والسبى وتغوير المياه وقطع الأشجار وخراب القرى والحصون وهو مع ذلك يواصل السير ليستولى على دار ملك سابور قبل أن يشعروا فيما لكوا عليهم رجلا منهم ولم يكن للفرس هم الا الفرار من بين يديه والاعتصام بالمعاقل والحصون فلم يزل قيصر على تلك الحال حتى بلغ مدينة سابور وقرار ملكه فأحاط بها ونصب عليها آلات الحصار ولم يكن عندها قوة ولا منعة فى دفعه أكثر من ضبط الاسوار والقتال عليها وكل ذلك فهمه سابور من كنايات الوزير فى محاضراته للمطران ولكن لم يسمع له كلمة من حين سجنه قيصر فى تلك الصورة فلما علم سابور أن قيصر قد ثقلت وطأته وأشرف على فتح البلد عيل صبره وساء ظنه ويئس من الحياة فلما جاءه الموكل بطعامه قال له ان هذه الجامعة قد نالت منى منالا ضعفت قوتى عن احتماله فان كنتم تريدون بقاء نفسى فنفسوا عنى منها واجعلوا بينها و بين يدى وعنقى خرقا من الحرير فجاء الموكل بالطعام إلى المطران وأعلمه بالذى قاله سابور فسمعه الوزير وعلم أن سابور قد جزع وساء ظنه وفطن

ويعد على أصابعه ويشير اليها ويلسى نفسه والجراف هو الذي يجعل اللقم في جانب الزبيدة ويجرف بها إلى الجانب الآخر والرشاف هو الذي يجعل اللقمة في فيه ويرتشفها فيسمع لها حين البلع حس لا يخفى على جلسائه وهو يلتذ بذلك والنفاض هو الذي يجعل اللقمة في فيه وينفض أصابعه في الزبدية والقراض هو الذي يقرض اللقمة بأطراف أسنانه حتى يهذبها ويضعها في الطعام بعد ذلك والبهات هو الذي يبهت في وجوه الآكلين حتى يبهتهم ويأخذ اللحم من بين أيديهم واللتات هو الذي يلت اللقمة بأطراف أصابعه قبل وضعها في الطعام والعوام هو الذي يميل ذراعيه يمنة ويسرة لأخذ الزبادي والقسام هو الذي يأكل نصف اللقمة ويعيد باقيها في الطعام من فيه والخلال هو الذي يخلل أسنانه بأظفاره والمزبد هو الذي يحمل معه الطعام والمرتخ هو الذي يرتخ اللقمة في الامراق فلا يبلع الاولى حتى تلين الثانية والمرشش هو الذي يفسخ الدجاج بغير خبرة فيرش على مؤاكليه والمنقش هو الذي ينقش على اللحم بأصابعه والمنشف هو الذي ينشف يديه من الدهن باللقم ثم يأكلها والملبب هو الذي يملأ الطعام لبابا والصباغ هو الذي ينقل الطعام من زبدية إلى زبدية ليبرده والنفاخ هو الذي ينفخ في الطعام والحامي هو الذي يجعل اللحم بين يديه فيحميه عن مؤاكليه والمجنح هو الذي يزاحم مؤاكليه بجناحيه حتى يفسح له في المجلس فلا يشق عليه الاكل والشطرنجي هو الذي يرفع زبدية ويضع زبدية أخرى مكانها والمهندس هو الذي يقول لمن يضع الزبادي ضع هذه هنا وهذه ههنا حتى يأتي قدامه ما يحب والمتمني هو الذي يقول ليتني لم يكن معي من يأكل والفضولي هو الذي يقول لصاحب المنزل عند فراغ الطعام ان كان قد بقي عندك في القدر شيء فاطعم الناس فان فيهم من لم يأكل * ومن الاضياف من لا يلذ له حديث الا وقت غسل يديه فيبقى الغلام واقفا والابريق في يده والناس ينتظرونه ومنهم من يغسل يديه بالاشنان مرة واحدة فاذا اجتمع الوسخ والدفر تسوك بها ومنهم من يدخل الدار فيبتدىء بالهندسة أولا فيقول كان ينبغي أن يكون باب المجلس من ههنا والايوان كان ينبغي أن يكون ههنا وينتقل من الهندسة الى ترتيب المجلس فينقل الفاكهة من موضعها الى موضع آخر وان كان قد استحكم جوعه استعفى من الطعام وذهل عن بقية الاضياف وشدة جوعهم * ومنهم من يخرج فيطوف على أصدقاء صاحب الدعوة فيتألم من انقطاعهم ويستوحش من غيبتهم ويسلطهم على عرض صاحبهم * ولقد حكي عن مغن غير مجيد أنه لم يبطل ولا ليلة واحدة وما ذاك الا أنه كان اذا سئل أين كنت قال كنت عند الناس واذا قيل له أين أكلت قال أكلت في بطني واذا قيل له أين شربت قال شربت في فمي ومنهم من يفهم عن صاحب الدعوة أنه يقول لغلامه اشتر كذا فيقول والله العظيم أو الطلاق الثلاث يلزمه ما يشتري شيئا فأذوقه فيعجز صاحب المنزل ويخجله اذا لم يكن في بيته شيء موجود وليت شعري اذا كان لا يأكل فلأي شيء حضر ومنهم من يرى صاحب البيت قد أسر الى صديقه شيئا فيقول ما الذي قال المولى لصاحبنا وهو لا يريد أن يعلمه ومنهم من يستعجل صاحب المنزل بالاكل ويشكو الجوع ويظن أن ذلك بسط ومكارم أخلاق وانما ذلك يكون في بيته لا في بيوت الناس ومنهم من يقول لصاحب الدعوة من يغني لنا فيقول فلان فيقول له غلطت لم لا دعوت فلانا ومنهم من يسأل صاحب البيت كيف قوته في النكاح فيقول له أنا رجل كبير قد ضعفت قوتي وشهوتي أو يقول مالي قوة طائلة في ذلك فيقول أنا والله كلما مر علي عام تزايدت شهوتي وكثر لهذا الفن تشوقي ويلعن بذلك حتى تسمعه صاحبة البيت ومنهم من يشكو حاله مع أهل بيته

لما أراد سابور فلما جن الليل وجلس لمسامرة المطران قال له قد ذكرت الليلة حديثا عجيبا ما ذكرته منذ كذا وكذا ووددت أني كنت حدثت به البطرك قبل سفري فقال له المطران اني أرغب اليك أن تحدثني الليلة أيها الراهب الحكيم فقال الوزير حبا وكرامة ثم اندفع يحدثه رافعا صوته ليسمع سابور ويفهم الغرض بسياسته فقال اعلم أيها المطران أنه كان ببلادنا فتى وفتاة ليس في زمانهما أحسن منهما اسم الفتى عين أهله واسم الفتاة سيدة الناس وكانا زوجين متآلفين لا ينبغي أحدهما بالآخر بدلا ثم ان عين أهله جلس يوما مع أصحابه فتذاكروا النساء الى أن ذكر أحدهم امرأة أطنب في وصفها وبالغ وذكر أن اسمها سيدة الذهب فوقع في قلب عين أهله حبها فسأل الواصف عن منزلها فذكر أنها ببلد بالقرب من بلده ففكر عين أهله في أمرها وخامره حبها فانطلق إلى البلد التي هي ساكنة بها وسأل عن منزلها فعرفه ولم يزل يتردد الى بابها حتى رآها فرأى منظرا حسنا ولكن لم تكن بأحسن من امرأته بل ضرورات النفس حب التنقل في الأحوال ولازم عين أهله المعاودة إلى منزل سيدة الذهب حتى فطن له بعلها وكان جافيا غليظ الطبع شديد البطش يسمى الذئب فرصد عين أهله حتى مر به فلما رآه وثب عليه وقتل فرسه ومزق ثيابه واستعان بجماعته عليه فاحتملوه إلى داخل دار الذئب وربطوه الى سارية في الدار ووكل به عجوزا مقطوعة اليد جدعاء عوراء شوهاء فلما جن

عليه الليل أوقدت تلك العجوز النار بالقرب منه وجعلت تصطلي فذكر عين أهله ما كان فيه من السلامة والعافية والرفاهية والعز فبكى بكاء شديدا فأقبلت عليه العجوز وقالت له ما ذنبك الذي أوجب هذا فقال عين أهله ما علمت لي ذنبا فقالت العجوز هكذا قال الفرس للخنزير وكذب فقال عين أهله للعجوز وما الذي كذب فيه الفرس عند الخنزير فقالت له العجوز ذكروا أن فرسا كان لأحد الشجعان فكان يبالغ في اكرامه ويحسن اليه ويعده لمهماته ولا يصبر عنه ساعة وكان يخرج به في صحبته كل يوم فيزيل لجامه وسرجه ويطيل رسنه فيتمرغ ويرعى في كل مرج مخصب حتى يرتفع النهار فيرده وهو على يده ثم انه خرج يوما الى المرج راكبا ونزل عنه فلما استقرت قدماه على الارض نفر الفرس وجمح ومر يعدو بسرجه ولجامه فطلبه الفارس يومه كله فأعجزه وغاب عنه عند غروب الشمس فرجع الفارس الى أهله وقد يئس من الفرس ولما انقطع الطلب عن الفرس وأظلم عليه الليل جاع وطلب أن يرعى فمنعه اللجام ورام أن يتمرغ فمنعه السرج ورام أن يضطجع فمنعه الركاب فبات بشر فلما اصبح ذهب يبتغي فرجا مما هو فيه فاعترضه نهر فدخله ليقطعه الى جهته الأخرى فاذا هو بعيد القعر فسبح فيه وكان حزامه ولببه من جلد ما أتقن في دبغه فلما خرج أصابت الشمس الحزام واللبب فيبسا واشتدا عليه فورم موضع اللبب والحزم واشتد به الضرر وقوى به الجوع ومضت عليه أيام تزايد

بيته ويذكر نفقته عليهن وكسوتهن لهن وكثرة انعامه واحسانه اليهن وما عليه زوجته من سوء الأخلاق وكبر النفس لتستقل زوجة صاحب البيت ما هي فيه مع زوجها وربما كان ذلك سببا لفراقهما منه ومنهم من تعجبه نفسه ويستحسن لباسه ويستطيب رائحته واذا سمع الغناء تواجد وأظهر الطرب وحرك رأسه ويقوم قائما يتمايل حتى يرى أهل الرجل أنه لطيف الشكل بديع الحركات ويظن في نفسه أنه يعشق وأن رسول صاحبة البيت لا يبطىء عنه ومنهم من يقال له العب الشطرنج فيأباه ويشتغل بالدندنة فيقع في الفضول ومنهم من يتأمر على غلمان صاحب البيت ويبين أولاده ويظن أنه يدل عليهم ومنهم من يقول له صاحب البيت كل فيقول ما آكل إلا أنا ورفيقي ومنهم من يسمع السائل على الباب فيتصدق عليه من مال صاحب البيت بغير إذنه أو يقول للسائل فتح الله عليك ومنهم من يدعو الناس لصاحب الوليمة بغير اذنه ويقلده بذلك المن وأكثر الناس واقع في ذلك نسأل الله تعالى أن يلهمنا رشدنا وأن يعيذنا من شرور أنفسنا بمنه وكرمه انه جواد كريم رءوف رحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب السادس والثلاثون في العفو والحلم والصفح وكظم الغيظ والاعتذار وقبول المعذرة والعتاب وما أشبه ذلك ﴾

قد ندب الله عز وجل نبيه ﷺ إلى الصفح والعفو بقوله تعالى فاصفح الصفح الجميل قيل هو الرضا بلا عتب وقال تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقال تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وقال تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ رأيت قصورا مشرفة على الجنة فقلت ياجبريل لمن هذه قال للكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه لما بعثني رسول الله ﷺ الى اليمن قال مازال جبريل عليه السلام يوصيني بالعفو فلولا علمي بالله لظننت أنه يوصيني بترك الحدود وقال الحسن بن أبي الحسن اذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له على الله أجر فليقم فلا يقوم الا العافون عن الناس وتلا قوله تعالى فمن عفا وأصلح فأجره على الله وقال علي كرم الله وجهه أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة وكان المأمون رحمه الله تعالى يحب العفو ويؤثره ويقول لقد حبب الى العفو حتى اني أخاف أن لا أثاب عليه وكان يقول لو علم أهل الجرائم لذتي في العفو لارتكبوها وقال لو علم الناس حبي للعفو لما تقربوا الى الا بالجنايات وقال علي كرم الله وجهه إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه وقال رضي الله تعالى عنه أقيلوا ذوي المروءات عثراتهم فما يعثر منهم عاثر الا ويده بيد الله يرفعه وقال رضي الله عنه ان أول عوض الحليم عن حلمه أن الناس أنصاره على الجاهل وقال المنتصر لذة العفو يلحقها حمد العاقبة ولذة التشفي يلحقها ذم الندم وقال ابن المعتز لا تشن وجه العفو بالتقريع وقيل ما عفا عن الذنب من قرع به وقال رجل لرجل سبه اياك أعني فقال له وعنك أعرض وكان الأحنف رحمه الله تعالى كثير العفو والحلم وكان يقول ما آذاني أحد الا أخذت في أمره باحدى ثلاث ان كان فوقي عرفت له فضله وان كان مثلي تفضلت عليه وان كان دوني أكرمت نفسي عنه وكان مشهورا بين الناس بالحلم وبذلك ساد عشيرته وكان يقول وجدت الاحتمال أنصر لي من الرجال وقيل له ممن تعلمت الحلم فقال من قيس بن عاصم كنا نختلف اليه في الحلم كما نختلف الى الفقهاء في الفقه ولقد حضرت عنده يوما وقد أتوه بأخ له قد قتل ابنه فجاؤا به

مكتوفا فقال ذعرتم أخى أطلقوه واحملوا الى أم ولدى ديته فانها ليست من قومنا ثم أنشأ يقول

أقول للنفس تصبيراً وتعزية * إحدى يدى أصابتنى ولم ترد
كلاهما خلف من فقد صاحبه * هذا أخى حين أدعوه وذا ولدى

وقيل من عادة الكريم اذا قدر غفر واذا رأى زلة ستر وقالوا ليس من عادة الكرام سرعة الغضب والانتقام وقيل من انتقم فقد شفى غيظه وأخذ حقه فلم يجب شكره ولم يحمد في العالمين ذكره والعرب تقول لاسودد مع الانتقام والذى يجب على العاقل إذا أمكنه الله تعالى أن لا يجعل العقوبة شيمته وان كان ولا بد من الانتقام فليرفق فى انتقامه إلا أن يكون حداً من حدود الله تعالى وقال المنصور لجان عجز عن العذر ماهذا الوجوم وعهدى بك خطيبا لسنا فقال يا أمير المؤمنين ليس هذا موقف مباهاة ولكنه موقف توبة والتوبة بالاستكانة والخضوع فرق له وعفا عنه وسعى الى المنصور برجل من ولد الاشتر النخعى ذكر له عنه أنه يميل إلى بنى على والتعصب لهم فأمر باحضاره فلما مثل بين يديه قال يا أمير المؤمنين ذنبى أعظم من نقمتك وعفوك أعظم من ذنبى ثم قال

فهبنى مسيئاً كالذى قلت ظالما * فعفواً جميلا كى يكون لك الفضل
فان لم أكن للعفو منك لسوء ما * أتيت به أهلا فأنت له أهل

فعفا عنه وأمر له بصلة وأحضر الى المأمون رجل قد أذنب ذنبا فقال له أنت الذى فعلت كذا وكذا قال نعم يا أمير المؤمنين أنا ذاك الذى أسرف على نفسه واتكل على عفوك فعفا عنه وخلى سبيله * وأحضر الى الهادى رجل من أصحاب عبد الله بن مالك فوبخه على ذنب فقال يا أمير المؤمنين ان اقرارى يلزمنى ذنبا لم أفعله ويلحق بى جرما لم أقف عليه وانكارى رد عليك ومعارضة لك ولكنى أقول

فان كنت تبغى بالعقاب تشفيا * فلا تزهدن عند التجاوز فى الأجر

فقال لله درك من معتذر بحق أو باطل ما أمضى لسانك وأثبت جنانك وعفا عنه وخلى سبيله وركب يوما عمرو بن العاص رضى الله عنه بغلة له شهباء ومر على قوم فقال بعضهم من يقوم للأمير فيسأله عن أمه وله عشرة آلاف فقال واحد منهم أنا فقام وأخذ بعنان بغلته وقال أصلح الله الأمير أنت أكرم الناس خيلا فلم ركبت دابة اشهاب وجهها فقال انى لا أمل دابتى حتى تملنى ولا أمل رفيقى حتى يملنى فقال أصلح الله الأمير أما العاص فقد عرفناه وعلمنا شرفه فمن الأم قال على الخبير سقطت أمى النابغة بنت حرملة بن عزة سبتها رماح العرب فأتى بها سوق عكاظ فبيعت فاشتراها عبد الله بن جدعان ووهبها للعاص بن وائل فولدت وأنجبت فان كان قد جعل لك جعل فارجع وخذه وأرسل عنان الدابة وقيل ان أمه كانت بغيا عند عبد الله بن جدعان فوطئها فى طهر واحد أبو لهب وأمية بن خلف وأبو سفيان بن حرب والعاص بن وائل فولدت عمراً فادعاه كلهم فحكمت فيه أمه فقالت هو للعاص لأن العاص هو الذى كان ينفق عليها وقالوا كان أشبه بأبى سفيان * وكان الواثق يتشبه بالمأمون فى أخلاقه وحلمه وكان يقال له المأمون الصغير نقل عنه أنه دخلت عليه ابنة مروان بن محمد فقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال لست به فقالت السلام عليك أيها الأمير فقال لها وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقالت ليسعنا عدلكم فقال إذا لا يبقى على وجه الأرض منكم أحد لأنكم حاربتم على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه ومنعتم حقه وسممتم الحسن رضى الله عنه ونقضتم شرطه وقتلتم الحسين رضى الله عنه وسبيتم أهله ولعنتم على بن أبى طالب رضى الله عنه على منابركم

ضعفه وعجز عن المشى فمر به خنزير فهم بقتله فرآه ضعيفا جداً فسأله عن حاله فأخبره بما هو فيه من أضرار اللجام واللبب والحزام وسأله أن يصنع معه معروفا ويخلصه مما هو فيه فسأله الخنزير عن الذنب الذى أوقعه فى تلك العقوبة فزعم الفرس أن لا ذنب له فقال له الخنزير كذبت ولو صدقت خلصتك مما أنت فيه ومن جهل ذنوبه وأصر عليها لم يرج فلاحه فحدثنى يا فرس عن ابتداء أمرك فيما نزل بك وعن حالك قبل ذلك فصدقه الفرس وأخبره بجميع أمره وكيف كان عند فارسه مكرما وكيف فارقه وما لقى فى طريقه الى حين اجتماعه بالخنزير فقال الخنزير قاتلك الله لقد كفرت النعم وأكثرت الذنوب منها خلافك لفارسك الذى بالغ فى الاحسان اليك واعدائك لهباته ومنها كفرك احسانه ومنها تعديك على ما ليس لك وهو السرج واللجام ومنها اساءتك لنفسك بتعاطيك التوحش الذى لست من أهله ولا لك عليه مقدرة ومنها اصرارك على ذنبك وكنت قادراً على العود الى فارسك قبل أن يوهنك اللجام والجوع والحزام واللبب بالألم فقال الفرس للخنزير قد عرفت ذنبى فأطلق عنى ودعنى فانى أستحق أضعاف ما أنا فيه فقال الخنزير بعد أن عرفت وعدت على نفسك باللوم واخترت لها العقوبة على جهلها تعين الشروع فى خلاصك ثم ان الخنزير قطع عذار اللجام فسقط وقطع الحزام فنفس عن الفرس قال فلما سمع عين أهله ما خاطبته به العجوز قال لها صدقت فيما نطقت

قد أدبتني فتأدبت ثم أعلمها بخبره ثم رغبها فى أن تمن عليه بالخلاص كما فعل الخنزير بالقرس فقالت العجوز الذى سألتنى لا يمكننى فعله الآن ولعلى أجد لك فرجا ومخرجا عن قريب فعليك بالصبر وأمسكت العجوز عن مخاطبته قال فلما انتهى الوزير فى حديثه الى هذه الغاية أقبل على المطران وقال إنى أحس فى أعضائى فتورا وفى رأسى صداعا ولم أقدر الليلة على اتمام الحديث ولعلى أكون الليلة القابلة نشيطا الى ذلك فنهض الى مضجعه فجعل سابور يتأمل حديث الوزير ويتأمل الامثال التى ضربها له ودسها فى المسامرة ففهم أن الوزير كنى عن سابور بعين أهله وكنى عن مملكته بسيدة الناس وكنى عن بلاد الروم بسيدة الذهب وكنى عن قيصر بالذئب الذى ذكر أنه بعل سيدة الذهب وكنى عن طموح نفس سابور الى مملكة الروم بطموح نفس عين أهله الى رؤية سيدة الذهب وكنى عن أخذ قيصر له بقبض الذئب على عين أهله وكنى عن نفسه وحاله وعجزه بالعجوز القطعاء وعرفه أنه لا يمكنه تخليصه فى هذا الوقت كما قررت العجوز لعين أهله وأنه شاع فى خلاصه فاستروح سابور ريح الفرج فسكنت نفسه ووثق بوزيره فلما كانت الليلة القابلة وتمشى المطران وأخذ مقعده للمسامرة قال الوزير أيها الحكيم الراهب أخبرنى عن ما كان من أمر عين أهله وهل خلصته العجوز من وثاق الذئب أم لا فقال الوزير سمعا وطاعة فشرع فى حديثه وقال ان عين أهله أقام على حالته عدة أيام وكل يوم يدخل

وضربتم على بن عبد الله ظلما بسياطكم فعدلنا لا يبقى منكم أحد أفقالت فليسعنا عفوكم قال أما هذا فنعم وأمر بردأموالها عليها وبالغ فى الاحسان اليها * وكان معاوية رضى الله عنه يعرف بالحلم وله فيه أخبار مشهورة وآثار مذكورة وكان يقول انى لآنف أن يكون فى الارض جهل لا يسعه حلمى وذنب لا يسعه عفوى وحاجة لا يسعها جودى وهذه مروءة عالية المرتبة وقال له رجل يوما ما أشبه استك باست أمك فقال ذلك الذى أعجب أباسفيان منها وكتب معاوية الى عقيل بن أبى طالب رضى الله عنه يعتذر اليه من شىء جرى بينهما يقول من معاوية بن أبى سفيان الى عقيل بن أبى طالب أما بعد يا بنى عبد المطلب فأنتم والله فروع قصى ولباب عبد مناف وصفوة هاشم فأين أخلاقكم الراسية وعقولكم الكاسية وقد والله أساء أمير المؤمنين ما كان جرى ولن يعود لمثله إلى أن يغيب فى الثرى فكتب اليه عقيل يقول

صدقت وقلت حقا غير أنى * أرى أن لا أراك ولا ترانى
ولست أقول سوأ فى صديقى * ولكنى أصد اذا جفانى

فركب اليه معاوية رضى الله عنه وناشده فى الصفح عنه واستعطفه حتى رجع ﴿ وحكى ﴾ عنه رضى الله عنه انه لما ولى الخلافة وانتظمت اليه الامور وامتلأت منه الصدور وأذعن لامره الجمهور وساعده فى مراده القدر المقدور واستحضرت ليلة خواص أصحابه وذاكرهم وقائع أيام صفين ومن كان يتولى كبر الكريهة من المعروفين فانهمكوا فى القول الصحيح والمريض وآل حديثهم الى من كان يجتهد فى ايقاد نار الحرب عليهم بزيادة التحريض فقالوا امرأة من أهل الكوفة تسمى الزرقاء بنت عدى كانت تعتمد الوقوف بين الصفوف وترفع صوتها صارخة يا أصحاب على تسمعهم كلاما كالصوارم مستحثة لهم بقول لو سمعه الجبان لقاتل والمدبر لأقبل والمسالم لحارب والفار لكر والمتزلزل لاستقر فقال لهم معاوية رضى الله عنه أيكم يحفظ كلامها فقالوا كلنا نحفظه قال فما تشيرون على فيها قالوا نشير بقتلها فانها أهل لذلك فقال لهم معاوية رضى الله عنه بئسما أشرتم به وقبحا لما قلتم أيحسن أن يشتهر عنى أنى بعد ما ظفرت وقدرت قتلت امرأة قد وفت لصاحبها انى اذا للئيم لا والله لا فعلت ذلك أبدا ثم دعا بكاتبه فكتب كتابا الى واليه بالكوفة أن أنفذ الى الزرقاء بنت عدى مع نفر من عشيرتها وفرسان من قومها ومهدلها وطاء لينا ومركبا ذلولا فلما ورد عليه الكتاب ركب اليها وقرأه عليها فقالت بعد قراءة الكتاب ما أنا بزائغة عن الطاعة فحملها فى هودج وجعل غشاءه خزا مبطنا ثم أحسن صحبتها فلما قدمت على معاوية قال لها مرحبا وأهلا خير مقدم قدمه وافد كيف حالك ياخالة وكيف رأيت سيرك قالت خير مسير فقال هل تعلمين لم بعثت اليك قالت لا يعلم الغيب إلا الله سبحانه وتعالى قال ألست راكبة الجمل الاحمر يوم صفين وأنت بين الصفوف توقدين نار الحرب وتحرضين على القتال قالت نعم قال فما حملك على ذلك قالت يا أمير المؤمنين انه قدمات الرأس وبتر الذنب والدهر ذو غير ومن تفكر أبصر والأمر يحدث بعده الأمر فقال صدقت فهل تعرفين كلامك وتحفظين ما قلت قالت لا والله قال لله أبوك فلقد سمعتك تقولين أيها الناس ان المصباح لا يضىء فى الشمس وان الكواكب لا تضىء مع القمر وان البغل لا يسبق الفرس ولا يقطع الحديد الا بالحديد ألا من استرشدنا أرشدناه ومن سألنا أخبرناه ان الحق كان يطلب ضالة فأصابها فصبرا يا معشر المهاجرين والانصار فكأنكم وقد التأم شمل الشتات وظهرت كلمة العدل وغلب الحق باطله فانه

لا يستوى المحق والمبطل أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون فالنزال النزال والصبر الصبر ألا وإن خضاب النساء الحناء وخضاب الرجال الدماء والصبر خير الأمور عاقبة ائتوا الحرب غير نا كصين فهذا يوم له ما بعده يا زرقاء أليس هذا قولك وتحريضك قالت لقد كان ذلك قال لقد شاركت عليا في كل دم سفكه فقالت أحسن الله بشارتك يا أمير المؤمنين وأدام سلامتك مثلك من يبشر بخير ويسر جليسه فقال معاوية أوقد سرك ذلك قالت نعم والله لقد سرني قولك وأني لي بتصديقه فقال لها معاوية والله لوفاؤكم له بعد موته أعجب إلي من حبكم له في حياته فاذكري حوائجك تقض فقالت يا أمير المؤمنين اني آليت على نفسي أن لا أسأل أحدا بعد علي حاجة فقال قد أشار علي بعض من عرفك بقتلك فقالت لؤم من المشير ولو أطعته لشاركته قال كلا بل نعفو عنك ونحسن اليك ونرعاك فقالت يا أمير المؤمنين كرم منك ومثلك من قدر فعفا وتجاوز عمن أساء وأعطى من غير مسألة قال فأعطاها كسوة ودراهم وأقطعها ضيعة تغل لها في كل سنة عشرة آلاف درهم وأعادها إلى وطنها سالمة وكتب إلى والي الكوفة بالوصية بها وبعشيرتها وقيل كان لعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أرض وكان له فيها عبيد يعملون فيها والى جانبها أرض لمعاوية وفيها أيضا عبيد يعملون فيها فدخل عبيد معاوية في أرض عبد الله بن الزبير فكتب عبد الله كتابا إلى معاوية يقول له فيه أما بعد يا معاوية ان عبيدك قد دخلوا في أرضي فانههم عن ذلك والا كان لي ولك شأن والسلام فلما وقف معاوية على كتابه وقرأه دفعه الى ولده يزيد فلما قرأه قال له معاوية يا بني ما ترى قال أرى أن تبعث اليه جيشا يكون أوله عنده وآخره عندك يأتونك برأسه فقال بل غير ذلك خير منه يا بني ثم أخذ ورقة وكتب فيها جواب كتاب عبد الله بن الزبير يقول فيه أما بعد فقد وقفت على كتاب ولد حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وساءني ما ساءه والدنيا بأسرها هينة عندي في جنب رضاه نزلت عن أرضي لك فاضمها إلى أرضك بما فيها من العبيد والأموال والسلام فلما وقف عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما على كتاب معاوية رضي الله عنه كتب اليه قد وقفت على كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ولا أعدمه الرأي الذي أحله من قريش هذا المحل والسلام فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله بن الزبير وقرأه رمى به الى ابنه يزيد فلما قرأه تهلل وجهه وأسفر فقال له أبوه يا بني من عفا ساد ومن حلم عظم ومن تجاوز استمال اليه القلوب فاذا ابتليت بشيء من هذه الأدواء فداوه بمثل هذا الدواء * ولما دخل الفيل من دمشق واجتمع الناس لرؤيته صعد معاوية في مكان مرتفع ينظر اليه فبينما هو كذلك اذ نظر في بعض الحجر من قصره رجلا مع بعض حرمه فأتى الحجرة ودق الباب فلم يكن من فتحه بد فوقعت عينه على الرجل فقال له يا هذا في قصري وتحت جناحي تهتك حرمتي وأنك في قبضتي ما حملك على هذا قال فبهت الرجل وقال حلمك أوقعني فقال له معاوية فان عفوت عنك تسترها علي قال نعم فعفا عنه وخلى سبيله وهذا من الحلم الواسع أن يطلب الستر من الجاني وهو عروض قول الشاعر

اذا مرضتم أتيناكم نعودكم * وتذنبون فنأتيكم ونعتذر

﴿ وحكى ﴾ عن الربيع مولى الخليفة المنصور قال ما رأيت رجلا أربط جأشا وأثبت جنانا من رجل سعى به إلى المنصور أن عنده ودائع وأموالا لبني أمية فأمرني باحضاره فأحضرته اليه فقال له المنصور قد رفع الينا خبر الودائع والأموال التي عندك لبني أمية فأخرج لنا منها وأحضرها ولا تكتم منها شيئا فقال يا أمير المؤمنين أنت وارث بني أمية قال لا قال فوصي لهم في أموالهم ورباعهم

قال

عليه الذئب ويهدده بالقتل ويزيده قيدا ثم ان العجوز جاءته في بعض الليالي وأضرمت لها بالقرب منه نارا وجلست تصطلي ثم أقبلت على عين أهله وقالت له ساعدني على خلاصك بالصبر فقال لها عين أهله هان على الطليق ما لقي الاسير فقالت العجوز حداثة سنك قصرت فهمك عن ادراك الحقائق أفتسمع حديثا لك فيه سلوة قال نعم فقالت العجوز ذكروا أن بعض التجار كان له ولد وكان مشغوفا به فاتحفه بعض معارفه بخشف غزال فعلق قلب الصبي بذلك الخشف الصغير فكان لا يفارقه وجعلوا في جيده حليا نفيسا وربطوا له شاة ترضعه حتى اشتد ونجم قرناه فأعجبه بريقهما وسوادهما وقال لأهله ما هذا الذي ظهر في رأس الخشف قالوا قرناه وقالوا له انهما سيكبران ويطولان فقال الغلام لأبيه اني أحب أن أرى غزالا كبير القرنان كاملان فأمر أبوه بعض الصيادين أن يصيد له غزالا كبيرا فاحضر له غزالا قد استكمل قوة ونموا فاعجب الغلام وحلى جيده أيضا فتأنس الغزال الكبير بالخشف الصغير المجانسة الطبيعية فقال الخشف للغزال ما كنت أظن لي في الارض شكلا قبل أن أراك فقال له الغزال ان أشكالك كثيرة فقال الخشف وأين هي فأخبره الغزال بتوحشها وانفرادها في فلوات الأرض وتناسلها فارتاح الخشف لذلك وتمنى أن يراها فقال له الغزال هذه أمنية لا خير لك فيها لأنك نشأت في رفاهية من العيش ولو تحصلت على ما تمنيت لندمت

قال لا قال فما مسئلتك عما فى يدى من ذلك قال فأطرق المنصور وتفكر ساعة ثم رفع راسه وقال ان بنى أمية ظلموا المسلمين فيها وأنا وكيل المسلمين فى حقوقهم وأريد أن آخذ ما ظلموا المسلمين فيه فأجعله فى بيت أموالهم فقال يا أمير المؤمنين فتحتاج إلى إقامة بينة عادلة أن ما فى يدى لبنى أمية مما خانوه وظلموه فان بنى أمية قد كانت لهم أموال غير أموال المسلمين قال فاطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه وقال يا ربيع ما أرى الشيخ الا قد صدق وما يجب عليه شىء وما يسعنا الا أن نعفو عما قيل عنه ثم قال هل لك من حاجة قال نعم حاجتى يا أمير المؤمنين أن تجمع بينى وبين من سعى فى إليك فوالله الذى لا إله الا هو ما فى أيدى لبنى أمية مال ولا وديعة ولكننى لما مثلت بين يديك وسألتنى عما سألتنى عنه قابلت بين هذا القول الذى ذكرته الآن وبين ذلك القول الذى ذكرته أولا فرأيت ذلك أقرب الى الخلاص والنجاة فقال يا ربيع اجمع بينه وبين من سعى به فجمعت بينهما فلما رآه قال هذا غلامى اختلس لى ثلاثة آلاف دينار من مالى وأبق منى وخاف من طلبى له فسعى بى عند أمير المؤمنين قال فشدد المنصور على الغلام وخوفه فأقر بأنه غلامه وأنه أخذ المال الذى ذكره وسعى به كذبا عليه وخوفا من أن يقع فى يده فقال له المنصور سألتك أيها الشيخ أن تعفو عنه فقال قد عفوت عنه وأعتقته ووهبته الثلاثة آلاف التى أخذها وثلاثة آلاف أخرى أدفعها إليه فقال له المنصور ما على ما فعلت من مزيد قال بلى يا أمير المؤمنين ان هذا كله لقليل فى مقابلة كلامك لى وعفوك عنى ثم انصرف قال الربيع فكان المنصور يتعجب منه وكلما ذكره يقول ما رأيت مثل هذا الشيخ يا ربيع * وغضب الرشيد على حميد الطوسى فدعا له بالنطع والسيف فبكى فقال له ما يبكيك فقال والله يا أمير المؤمنين ما أفزع من الموت لانه لا بد منه وإنما بكيت أسفا على خروجى من الدنيا وأمير المؤمنين ساخط على فضحك وعفى عنه وقال ان الكريم إذا خادعته انخدع * وأمر زياد بضرب عنق رجل فقال أيها الأمير ان لى بك حرمة قال وما هى قال ان أبى جارك بالبصرة قال ومن أبوك قال يا مولاى انى نسيت اسم نفسى فكيف لا أنسى اسم أبى فرد زياد كمه على فمه وضحك وعفا عنه * وأمر الحجاج بقتل رجل فقال أسألك بالذى أنت غدا بين يديه أذل موقفا منى بين يديك الا عفوت عنى فعفا عنه ولما ضرب الحجاب رقاب أصحاب ابن الاشعث أتى رجل من بنى تميم فقال والله يا حجاج لئن كنا أسأنا فى الذنب ما أحسنت فى العفو فقال الحجاج أف لهذه الجيف أما كان فيهم من يحسن الكلام مثل هذا وعفا عنه وخلى سبيله * وكان ابراهيم ابن المهدى يقول والله ما عفا عنى المأمون تقربا الى الله تعالى ولا صلة للرحم ولكن له سوق فى العفو يكره أن تكسد بقتلى * وسئل الفضل عن الفتوة فقال الصفح عن عثرات الاخوان وفى بعض الكتب المنزلة ان كثرة العفو زيادة فى العمر وأصله قوله تعالى وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض وقال يزيد بن مزيد أرسل الى الرشيد ليلا يدعونى فأوجست منه خيفة فقال له أنت القائل أنا ركن الدولة والثائر لها والضارب أعناق بغاتها لا أم لك أى ركن وأى ثائر أنت قلت يا أمير المؤمنين ما قلت هذا انما قلت أنا عبد الدولة والثائر لها فأطرق وجعل ينحل غضبه عن وجهه ثم ضحك فقلت أحسن من هذا قولى

خلافة الله فى هرون ثابتة * وفى بنيه الى أن ينفخ الصور

فقال يا فضل أعطه مائتى ألف درهم قبل أن يصبح * وأمر مصعب بن الزبير بقتل رجل فقال ما أقبح

فقال الخشف للغزال لا بد من اللحاق بأشكالى فلما رأى الغزال أن الخشف غير راجع لم يجد بدا من قضاء أربه لحرمة الالفة ترصدا وقتا قابلا وخرجا معا حتى لحقا بالصحراء فلما عاينها الخشف فرح (١٩١) ومرح ومر يعدو ولا يلتفت الى ماوراءه فسقط فى أخدود ضيق قد قطعه السيل فانتظر أن يأتيه الغزال فيخلصه فلم يأته وأما ولد التاجر فانه تنكد لفقد الخشف والغزال وأشفق أبوه عليه فاستدعى كل من يعانى الصيد فعرفهم القصة وكلفهم طلب الخشف والغزال ووعدهم بالمكافأة على ذلك وركب التاجر معهم وفرق أتباعه على أبواب المدينة ينتظرون من يأتى من الصيادين وانطلق هو وعبيده حتى دخلوا الصحراء فرأوا على بعد رجلا متكئا على شىء بين يديه فأسرعوا نحوه فرأوا صيادا قد أوثق غزالا كبيرا وقد عزم على ذبحه فتأمله التاجر فاذا هو الغزال الكبير الذى لولده فخلصه من الصياد وأمر عبيده ففتشوه فوجدوا معه الحلى الذى كان على الغزال فسأله كيف ظفر به وأين وجده فقال إنى بت فى هذه الصحراء ونصبت شركا ومكثت قريبا منه فلما أصبحت مر على الغزال ومعه خشف يعدو ويمرح فى جهة غير جهة الشرك وجاء هذا الغزال يمشى حتى حصل فيه فقنصته وقصدت به المدينة فلما بلغت هذا الموضع ظهر لى انى مخطىء فى ادخال هذا الظبى الى المدينة حليا لعلمى أنه اذا رؤى حيا طولبت بما كان عليه من الحلى فرأيت أن أذبحه وأدخل به لحما فهذا خبرى فقال له التاجر لقد جنى عليك

طمعك الخيبة فماذا عليك لو أطلقته وخلصت ما كان عليه من الحلي ثم ان التاجر ارسل الغزال الى ولده مع أحد عبيده وقال للصياد ارجع معي فأرني الجهة التي رأيت الخشف سعى نحوها فرجع به الى تلك الجهة فسمع من قريب صوته

بي أن أقوم يوم القيامة الى صورتك هذه الحسنة ووجهك هذا الذي يستضاء به فأتعلق بأطواقك وأقول أي رب سل مصعبا لم قتلني فقال اطلقوه فلما أطلق وقال أيها الأمير اجعل ما وهبت لي من حياتي في خفض عيش قال قد أمرت لك بمائة ألف درهم فقال

أنا المذنب الخطاء والعفو واسع * ولو لم يكن ذنب لما عرف العفو

وتغيظ عبد الملك بن مروان على رجل فقال والله لئن أمكنني الله منه لأفعلن به كذا وكذا فلما صار بين يديه قال له رجاء بن حيوة يا أمير المؤمنين قد صنع الله ما أحببت فاصنع ما أحب الله فعفا عنه وأمر له بصلة وقال الحسن ان أفضل رداء تردى به الانسان الحلم وهو والله عليك أحسن من برد الحبر وفيه قال أبو تمام

رقيق حواشي الحلم لو أن حلمه * بكفيك ماماريت في أنه برد

ويقال الحليم سليم والسفيه كليم وقال محمد بن عجلان ما شيء أشد على الشيطان من عالم معه حلم ان تكلم تكلم بعلم وان سكت سكت بحلم يقول الشيطان سكوته على أشد من كلامه

إذا كنت تبغي شيمة غير شيمة * طبعت عليها لم تطعك الضرائب

وعن علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما أقرب ما يكون العبد من غضب الله إذا غضب * وفي التوراة اذكرني إذا غضبت أذكرك إذا غضبت فلا أمحقك فيما أمحق واذا ظلمت فاصبر وارض بنصرتي فان نصرتي لك خير من نصرتك لنفسك * وكان ابن عون إذا غضب على انسان قال له بارك الله فيك وكانت له ناقة كريمة فضربها الغلام فاندر عينها فقالوا إن غضب ابن عون فانه يغضب اليوم فقال للغلام غفر الله لك وقال رجل لرسول الله ﷺ أي شيء أشد قال غضب الله قال فما يباعدني من غضب الله قال أن لا تغضب ويقال من أطاع الغضب أطاع الأرب قال أبو العتاهية

ولم أر في الأعداء حين اختبرتهم * عدوا لعقل المرء أعدى من الغضب

وقال أبو هريرة رضي الله عنه ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وقال ابن مسعود رضي الله عنه كفى بالمرء اثما أن يقال له اتق الله فيغضب ويقول عليك نفسك * وكتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الى عامل من عماله أن لا تعاقب عند غضبك واذا غضبت على رجل فاحبسه فاذا سكن غضبك فاخرجه فعاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز به خمسة عشر سوطا * وقيل لابن المبارك رحمه الله تعالى اجمع لنا حسن الخلق في كلمة واحدة قال ترك الغضب * وقال المعتمر بن سليمان كان رجل ممن كان قبلكم يغضب ويشتد غضبه فكتب ثلاث صحائف فأعطى كل صحيفة رجلا وقال للأول إذا اشتد غضبي فقم الي بهذه الصحيفة وناولنيها وقال للثاني إذا سكن بعض غضبي فناولنيها وقال للثالث إذا ذهب غضبي فناولنيها وكان في الأولى اقصر فما أنت وهذا الغضب انك لست باله انما أنت بشر يوشك أن يأكل بعضك بعضا وفي الثانية ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء وفي الثالثة احمل عباد الله على كتاب الله فانه لا يصلحهم إلا ذاك روى أنه أنوشروان وكان الشعبي أولع شيء بهذا البيت

ليست الأحلام في حال الرضا * انما الأحلام في حال الغضب

وعن معاذ بن جبل عن أنس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ من كظم غيظه وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رءوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره في أي الحور شاء وروى ملأه الله أمنا

فصاح به التاجر فعرف الخشف صوته فصوت فسمع التاجر الصوت فأدركه فاذا هو في ذلك الأخدود ملقى فأخذوه ووهب التاجر للصياد ما رضي به وصرفه ورجع التاجر بالخشف الى ولده فكملت مسرة الغلام وجعل الخشف يتجنب الغزال الكبير إذا رآه ولا يألفه فتنغصت مسرة الغلام لذلك وجهد أهله بكل حيلة أن يجمعوا بين الخشف والغزال فلم يقدروا على ذلك فبينما الخشف نائم في كناسه إذ دخل عليه الغزال فأيقظه وعاتبه على نفاره منه فقال الخشف أما أنت الذي غدرت وقد علمت احتياجي في غربتي الى معاونتك فقال له والله ما أخرني عن ذلك إلا وقوعي في شرك الصياد وقص عليه القصة فقبل عذره وعاد الى الالفة كما كانا فلما سمع عين أهله خطاب العجوز فهم كنايتها عن عجزها في تخليصه أمسك عن خطابها قيل فلما انتهى وزير سابور من حديثه الى هذا الحديث سكت فقال له المطران أيها الحكيم الراهب ما هذا السكوت فقال الوزير قد عاودني ذلك الفتور الذي أجده في اعطائي فقال المطران وايمانا لا تفعل فان ذلك يشق علي فقال الوزير نعم أفعل ذلك طلبا لمرضاتك ثم اندفع يحدثه قال وبات عين أهله تلك الليلة في أضيق

وإيمانا * وقال ابن السماك أذنب غلام لامرأة من قريش فاخذت السوط ومضت خلفه حتى إذا قاربته رمت بالسوط وقالت ما تركت التقوى أحدا يشفي غيظه * وقال أبو ذر لغلامه لم أرسلت الشاة على علف الفرس قال أردت أن أغيظك قال لأجمعن مع الغيظ أجرا أنت حر لوجه الله تعالى واستأذن رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فأذن لهم فقالوا السام عليك يا محمد فقالت عائشة رضي الله تعالى عنها بل السام عليكم واللعنة فقال يا عائشة ان الله يحب الرفق في الامر كله فقالت ألم تسمع ما قالوا قال قد قلت وعليكم * ورفع الى عبد الملك بن مروان أعرابي يقال له حمزة سرق وقامت عليه البينة فهم عبد الملك بقطع يده فكتب اليه حمزة من السجن يقول

يدي يا أمير المؤمنين أعيذها * بعفوك أن تلقى مقاما يشينها

فلا خير في الدنيا وكانت خبيثة * إذا ما شمال فارقتها يمينها

قال فأبى عبد الملك الا قطعه فدخلت عليه أم حمزة وقالت يا أمير المؤمنين بني وكاسبي وواحدي فقال لها عبد الملك بئس الكاسب لك هذا حد من حدود الله تعالى فقالت يا أمير المؤمنين فاجعله أحد ذنوبك التي تستغفر الله منها فقال عبد الملك ادفعوه اليها وخلى سبيله

إذا ما طاش حلمك عن عدو * وهان عليك هجران الصديق * فلست إذا أخا عفو وصفح ولا لأخ على عهد وثيق * إذا أزل الرفيق وأنت ممن * بلا رفق بقيت بلا رفيق إذا أنت اتخذت أخا جديدا * لما أنكرت من خلق عتيق * فما تدري لعلك مستجير من الرمضاء فر الى الحريق * فكم من سالك لطريق أمن * أتاه ما يحاذر في الطريق

وشتم رجل رجلا فقال له يا هذا لا تغرق في شتمنا ودع للصلح موضعا فاني أبيت مشاتمة الرجال صغيرا فلن أجيئها كبيرا واني لا أكافئ من عصى الله في بأكثر من أن أطيع الله فيه (وحكى) عن جعفر الصادق رضي الله عنه أن غلاما له وقف يصب الماء على يديه فوقع الابريق من يد الغلام في الطست فطار الرشاش في وجهه فنظر جعفر اليه نظر مغضب فقال يا مولاي والكاظمين الغيظ قال قد كظمت غيظي قال والعافين عن الناس قال قد عفوت عنك قال والله يحب المحسنين قال اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى وقيل لما قدم نصر بن منيع بين يدي الخليفة وكان قد أمر بضرب عنقه قال يا أمير المؤمنين اسمع مني كلمات أقولها قال قل فأنشأ يقول

زعموا بأن الصقر صادف مرة * عصفور برساقه التقدير * فتكلم العصفور تحت جناحه والصقر منقض عليه يطير * اني لمثلك لا أتم لقمة * ولئن شويت فانني لحقير

فتهاون الصقر المدل بصيده * كرما وأفلت ذلك العصفور

قال فعفا عنه وخلى سبيله (قال الشاعر)

أقرر بذنبك ثم اطلب تجاوزهم * عنه فان جحود الذنب ذنبان

(وقال بعضهم)

يستوجب العفو الفتى اذا اعترف * وتاب عما قد جناه واقترف

لقوله قل للذين كفروا * ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

(وقال آخر)

ذا ذكرت أياديك التي سلفت * مع قبيح فعلي وزلاتي ومجترمي

الاحوال ولما أصبح دخل عليه الذئب فنال منه وهدده بالقتل وخرج من عنده فجعل يعلل نفسه بقية نهاره ويمنيها بالفرج فلما أقبل عليه الليل استوحش وانتظر أن تجلس اليه العجوز وتحادثه فلم تفعل فأيقن بقتله في تلك الليلة فأقبل على البكاء حتى مضى جانب من الليل ثم قال للعجوز لم أحظ في هذه الليلة بمؤانستك فقالت له قد جرحت قلبي لقولك لي هان على الطليق ما لقي الاسير ولو اعتبرت باطن حالي لعلمت أن أسري أشد من أسرك فاستمع لي أحدثك * واعلم أيها الفتى أني كنت زوجة لبعض الفرسان وكان لي محبا فكنت معه في أرغد عيش وولدت له أولادا كثيرة فغضب الملك على زوجي لأمر كان منه فقتله وقتل أولادي الذكور وباعني أنا وبناتي فاشتراني هذا الفارس الذي عدا عليك واحتملني الى هذه البلدة وأساء الي وكلفني من العمل ما لا أطيق ولي معه على هذه الحالة سبع سنين ثم فررت منه فظفر بي فقطع يدي وعاود عسفي ومضرتي وقد عزمت على تخليصك الليلة وما أشك أنه يقتلني وجل قصدي ذلك لأجل الراحة مما أنا فيه ولأجل ذلك أنا أكثر الدخول والخروج اليك وأنا في غاية الحيرة من الفزع والجزع ثم انها فتحت قيود عين أهله وقطعت وثاقه وتناولت سكينا لتقتل نفسها فقال لها عين أهله إن تركتك تقتلين نفسك فقد شاركتك في دمك وانتزع السكين من يدها وقال لها قومي اذهبي معي لكي ننجو معا

أو نعطب معافقالت إن كبرسنى وضعف بصرى يمنعانى من اتباعك فقال لها عين أهله ان الليل متسع والموضع الذى أنا فيه قريب ولى قوة على حمالك فقالت له العجوز اذا عزمت على هذا فانى لا أحوجك الى حملى وخرجا معا فلم

ينقض الليل حتى بلغا حيث أمنا فجزاها عن أهله خيرا على ماصنعت واتخذها أما فهذا ما بلغنى من ذلك فقال المطران ماأعجب أحاديثك أيها الحكيم ولقدوددت أنى لا أفارقك أبدا ونهض كل واحد منهما الى مضجعه وبات سابور يتصفح حديث وزيره و يتأمل أمثاله ففهم أن الخشف مثل لسابور وأن الغزال الكبير مثل للوزير وأن خروج الخشف مع الغزال الى الصحراء وحصول الخشف فى الاخدود مثل لصحبة سابور وزيره حتى حصل سابور فى حبس قيصر وأن نفار الخشف عن الغزال لسوء ظن سابور بوزيره لتأخره عن استنقاذه وتحقق أن الوزير قدعزم على خلاصه والخروج به الى المدينة ليلا وأن المدينة قريبة منهما وأنه يحمله ان عجز عن المشى فأيقن سابور بالفرج ولما كانت الليلة القابلة تلطف وزير سابور حتى دخل الخيمة التى يطبخ بها الطعام للمطران وبها الموكلون بقبة سابور يأمون ينتظرون الطعام فتحيل الى أن ألقى فى الطعام مرقدا قوى الفعل ولما حضر طعام المطران انفرد الوزير بأكل زاده على ماجرت به العادة فلم تكن الاساعة حتى صرع القوم فبادر الوزير

أ كاد أقتل نفسى ثم يدركني * علمى بأنك مجبول على الكرم

وروى ان عمر رضى الله عنه رأى سكران فأراد أن يأخذه ليعزره فشتمه السكران فرجع عنه فقيل له ياأمير المؤمنين لما شتمك تركته قال انما تركته لأنه أغضبنى فلوعزرته لكنت قد انتصرت لنفسى فلاأحب أن أضرب مسلما لحمية نفسى وغضب المنصور على رجل من الكتاب فأمر بضرب عنقه فأنشأ يقول

وانا الكاتبونا وان أسأنا * فهبنا للكرام الكاتبينا

فعفا عنه وخلى سبيله وأكرمه * وقال الرشيد لاعرابى بم بلغ فيكم هشام بن عروة هذه المنزلة قال بحلمه عن سفيهنا وعفوه عن مسيئنا وحمله عن ضعيفنا لامنان اذا وهب ولاحقود اذا غضب رحب الجنان سمح البنان ماضى اللسان قال فأومأ الرشيد الى كلب صيد كان بين يديه وقال والله لوكانت هذه فى هذا الكلب لاستحق بها السودد * وقيل لمعن بن زائدة المؤاخذة بالذنب من السودد قال لا ولكن أحسن مايكون الصفح عمن عظم جرمه وقل شفعاؤه ولم يجد ناصرا * وقال محمود الوراق

سألزم نفسى الصفح عن كل مذنب * وان عظمت منه على الجرائم
فما الناس الا واحد من ثلاثة * شريف ومشروف ومثل مقاوم
فأما الذى فوقى فاعرف قدره * وأتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذى دونى فان قال صنت عن * اجابته نفسى وان لام لائم
وأما الذى مثلى فان زل أوهفا * تفضلت ان الحر بالفضل حاكم

وقال الأحنف بن قيس لابنه يابنى اذا أردت أن تؤاخى رجلا فاغضبه فان أنصفك والافاحذره (قال الشاعر)

اذا كنت مختصا لنفسك صاحبا * فمن قبل أن تلقاه بالود اغضبه
فان كان فى حال القطيعة منصفا * والا فقد جربته فتجنبه

ومن أمثال العرب احلم تسد (قال الشاعر)

لن يبلغ المجد أقوام وان شرفوا * حتى يذلوا وان عزوا لاقوام
و يشتموا فترى الالوان مسفرة * لاصفح ذل ولكن صفح اكرام

(وقال آخر) وجهل رددناه بفضل حلومنا * ولو أننا شئنا رددناه بالجهل

وقال الأحنف اياكم ورأى الاوغاد قالوا ومارأى الاوغاد قال الذين يرون الصفح والعفو عارا * وقال رجل لأبى بكر الصديق رضى الله عنه لأسبنك سبا يدخل معك قبرك فقال معك والله يدخل لامعى وقيل ان الأحنف سبه رجل وهو يماشيه فى الطريق فلما قرب من المنزل وقف الاحنف وقال له ياهذا ان كان قد بقى معك شىء فهات وقله ههنا فانى أخاف أن يسمعك فتيان الحى فيؤذوك ونحن لانحب الانتصار لأنفسنا وقال لقمان لابنه يابنى ثلاثة لايعرفون الاعند ثلاثة لا يعرف الحليم الاعند الغضب ولا الشجاع الاعند الحرب ولا أخوك الاعند الحاجة اليه ومن أشعر بيت قيل فى الحلم قول كعب بن زهير

اذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا * أصبت حليما أوأصابك جاهل

(وقال

(وقال آخر) وإذا بغى باغ عليك بجهله * فاقتله بالمعروف لا بالمنكر

(وقال آخر) قل ما بدا لك من صدق ومن كذب * حلمي أصم وأذني غير صماء

ويروى في بعض الأخبار أن ملكا من الملوك أمر أن يصنع له طعام وأحضر قوما من خاصته فلما مد السماط أقبل الخادم وعلى كفه صحن فيه طعام فلما قرب من الملك أدركته الهيبة فعثر فوقع من مرق الصحن شيء يسير على طرف ثوب الملك فأمر بضرب عنقه فلما رأى الخادم العزيمة على ذلك عمد بالصحن فصب جميع ما كان فيه على رأس الملك فقال له ويحك ما هذا فقال أيها الملك انما صنعت هذا شحا على عرضك وغيرة عليك لئلا يقول الناس إذا سمعوا ذنبي الذي به تقتلني قتله في ذنب خفيف لم يضره وأخطأ فيه العبد ولم يقصده فتنسب إلى الظلم والجور فصنعت هذا الذنب العظيم لتعذر في قتلي وترفع عنك الملامة قال فأطرق الملك مليا ثم رفع رأسه اليه وقال يا قبيح الفعل يا حسن الاعتذار قد وهبنا قبيح فعالك وعظيم ذنبك لحسن اعتذارك اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى

(وحكي) عن أمير المؤمنين المأمون وهو المشهود له بالاتفاق على علمه والمشهور في الآفاق بعفوه وحلمه انه لما خرج عمه ابراهيم بن المهدي عليه وبايعه العباسيون بالخلافة ببغداد وخلعوا المأمون وكان المأمون إذ ذاك بخراسان فلما بلغه الخبر قصد العراق فلما بلغ بغداد اختفى ابراهيم بن المهدي وعاد العباسيون وغيرهم الى طاعة المأمون ولم يزل المأمون متطلبا لابراهيم حتى أخذه وهو متنقب مع نسوة فحبس ثم أحضر حتى وقف بين يدي المأمون فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال المأمون لا سلم الله عليك ولا قرب دارك استغواك الشيطان حتى حدثتك نفسك بما تنقطع دونه الأوهام فقال له ابراهيم مهلا يا أمير المؤمنين فان ولي الثأر محكم في القصاص والعفو أقرب للتقوى ولك من رسول الله ﷺ شرف القرابة وعدل السياسة وقد جعلك الله فوق كل ذي ذنب كما جعل كل ذي ذنب دونك فان أخذت فبحقك وان عفوت فبفضلك والفضل أولى بك يا أمير المؤمنين ثم قال هذه الابيات

ذنبي إليك عظيم * وأنت أعظم منه * فخذ بحقك أولا
فاصفح بعفوك عنه * ان لم أكن في فعالي * من الكرام فكنه

فلما سمع المأمون كلامه وشعره ظهرت الدموع في عينيه وقال يا ابراهيم الندم توبة وعفو الله تعالى أعظم مما تحاول وأكثر مما تأمل ولقد حبب الي العفو حتى خفت أن لا أوجر عليه لا تثريب عليك اليوم ثم أمر بفك قيوده وادخاله الحمام وازالة شعثه وخلع عليه ورد أمواله جميعها إليه فقال فيه مخاطبا

رددت مالي ولم تبخل علي به * وقبل ردك مالي قد حقنت دمي
فان جحدتك ما أوليت من كرم * إني لباللوم أولى منك بالكرم

وكتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج يأمره أن يبعث إليه برأس عباد بن أسلم البكري فقال له عباد أيها الأمير أنشدك الله لا تقتلني فوالله اني لأعول أربعا وعشرين امرأة مالهن كاسب غيري فرق لهن واستحضرهن واذا واحدة منهن كالبدر فقال لها الحجاج ما أنت منه قالت أنا بنته فاسمع يا حجاج مني ما أقول ثم قالت

أحجاج إما أن تمن بتركه * علينا واما أن تقتلنا معا
أحجاج لا تفجع به ان قتلته * ثمانا وعشرا واثنتين وأربعا

إلى فتح باب البقرة واستخراج سيده وأزال الجامعة عن عنقه ويديه وتلطف حتى أخرجه من عسكر قيصر وقصد به المدينة فانتهيا معا الى سورها فصرخ بهم الموكلون فتقدم الوزير إليهم وأمرهم بخفض أصواتهم وأعلمهم بسلامة الملك ثم عرفهم نفسه فابتدروا لها وأدخلوهما المدينة فقويت نفوس أهلها وأمرهم سابور بالاجتماع وفرق فيهم السلاح وأمرهم أن يأخذوا أهبتهم فاذا ضربت نواقيس النصارى الضرب الأول يخرجون من المدينة ويفترقون على عسكر الروم فاذا ضربت النواقيس الضرب الثاني يحملون بأجمعهم فامتثلوا أمره ثم ان سابور انتخب كتيبة عظيمة فيها شجعان أساورته ووقف معهم مما يلي الجهة التي فيها أخبية قيصر فلما ضربت النواقيس الضرب الثاني حملوا من كل جهة وقصد سابور أخبية قيصر ولم يكن الروم متأهبين لعلمهم بضعف الفرس عن مقاومتهم وسد أبوابهم فما شعروا حتى دهموهم وأخذ سابور قيصر أسيرا وغنم جميع ما في عسكره واحتوى على جميع خزائنه ولم ينج من جنوده الا اليسير ثم عاد سابور الى مدينته ودار مملكته فقسم تلك الغنائم بين أهل عسكره وأحسن إلى حفظة ملكه وفوض جميع أموره الى الوزير ثم انه أحضر قيصر فلاطفه وأكرمه وقال له اني مبق عليك كما أبقيت علي وغير مجاز لك على التضييق ولكني آخذك باصلاح ما أفسدت من جميع مملكتي فتبني ما هدمت وتغرس جميع ما قلعت وتطلق كل ما عندك من أسارى الفرس فضمن

له جميع ذلك ووفى به فلما أتم سابور ماأراد من ذلك كله أحسن إلى قيصر وأطرفه وجهزه الى دار ملكه واستمر قيصر على مهادنته والانقياد إلى طاعته انتهى (١٩٦) ومن لطائف المنقول قصة أرينب بنت اسحق زوج عبد الله ابن سلام) كان عبدالله ابن سلام واليا بالعراق من قبل معاوية وكانت أرينب بنت اسحق زوجا له وهي من أجمل نساء عصرها وأحسنهن أدبا وأكثرهن مالا وكان يزيد ابن معاوية قدهام بجمالها وأدبها على السماع وبما بلغه عنها من حسن الخلق والخلق وفتن بها فلما عيل صبره خص بسره خصيصا بمعاوية اسمه رفيف فذكر ذلك رفيف لمعاوية وذكر شدة شغف يزيد بها فبعث معاوية الى يزيد فاستفسره عن أمره فبث له شأنه فقال معاوية مهلا يايزيد قال علام تأمرني بالمهل وقد انقطع منها الأمل فقال معاوية وأين حجاك ومروءتك فقال له يزيد قد عيل الحجى ونفد الصبر قال له يا بني ساعدني على أمرك بالكتمان والله بالغ أمره وكانت أرينب بنت اسحق قد سارت بذكر جمالها الركبان وضربت بها الأمثال فأخذ معاوية في الحيلة حتى يبلغ يزيد رضاه وينال غرضه ومناه فكتب الى عبدالله ابن سلام يستحثه على الحضور لمصلحة عينها له وكان عند معاوية يومئذ بالشام أبوهريرة وأبو الدرداء صاحبا رسول الله ﷺ فلما قدم عليه عبد الله بن سلام من الشام أعد له معاوية منزلا حسنا ونقله إليه وبالغ في اكرامه ثم قال لأبي هريرة وأبي الدرداء ان ابنتي قد بلغت وأريد انكاحها وقد رضيت

أحجاج لا تترك عليه بناته * وخالاته يندبنه الدهر أجمعا

فبكى الحجاج ورق له واستوهبه من أمير المؤمنين عبدالملك وأمر له بصلة * ولما قدم عيينة بن حصن على ابن أخيه الحر بن قيس وكان من النفر الذين يدنيهم عمر رضي الله عنه وكان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولا كانوا أو شبانا فقال عيينة لابن أخيه يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه فاستأذن فأذن له عمر فلما دخل قال هيه يا ابن الخطاب فوالله ماتعطينا الجزل ولا تحكم فينا بالعدل فغضب عمر حتى هم أن يوقع به فقال له الحر يا أمير المؤمنين ان الله سبحانه وتعالى قال لنبيه عليه الصلاة والسلام خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وان هذا من الجاهلين فوالله ماجاوزها عمر رضي الله عنه حين تلاها عليه وكان وقافا عند كتاب الله تعالى ﴿ وحكي ﴾ أن رجلا زور ورقة عن خط الفضل بن الربيع تتضمن أنه أطلق له ألف دينار ثم جاء بها إلى وكيل الفضل فلما وقف الوكيل عليها لم يشك أنها خط الفضل فشرع في أن يزن له الألف دينار واذا بالفضل قد حضر ليتحدث مع وكيله في تلك الساعة في أمر مهم فلما جلس أخبره الوكيل بأمر الرجل وأوقفه على الورقة فنظر الفضل فيها ثم نظر في وجه الرجل فرآه كاد يموت من الوجل والخجل فأطرق الفضل بوجهه ثم قال للوكيل أتدري لم أتيتك في هذا الوقت قال لا قال جئت لاستنهضك حتى تعجل لهذا الرجل اعطاء المبلغ الذي في هذه الورقة فأسرع عند ذلك الوكيل في وزن المال وناوله الرجل فقبضه وصار متحيرا في أمره فالتفت إليه الفضل وقال له طب نفسا وامض الى سبيلك آمنا على نفسك فقبل الرجل يده وقال له سترتني سترك الله في الدنيا والآخرة ثم أخذ المال ومضى فيجب على الانسان أن يتأسى بهذه الأخلاق الجميلة والأفعال الجليلة ويقتفي سنة نبيه عليه الصلاة والسلام فقد كان أكثر الناس حلما وأحسنهم خلقا وأكرمهم خلقا وأكثرهم تجاوزا وصفحا وأبرهم للمعتر عليه نجحا صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين ﴿ وأما ماجاء في العتاب ﴾ فقد قيل العتاب خير من الحقد ولا يكون العتاب الا على زلة وقد مدحه قوم فقالوا العتاب حدائق المتحابين ودليل على بقاء المودة وقد قال أبو الحسن بن منقذ

أسطو عليه وقلبي لو تمكن من * يدي غلهما غيظا الى عنقي

وأستعير له من سطوتي حنقا * وأين ذل الهوى من عزة الحنق

وذمه بعضهم قال اياس بن معاوية خرجت في سفر ومعي رجل من الأعراب فلما كان في بعض المناهل لقيه ابن عم له فتعانقا وتعاتبا والى جانبهما شيخ من الحي فقال لهما أنعما عيشا ان المعاتبة تبعث التجني والتجني يبعث المخاصمة والمخاصمة تبعث العداوة ولا خير في شيء ثمرته العداوة قال الشاعر

فدع ذكر العتاب فرب شر * طويل هاج أوله العتاب

وقيل العتاب من حركات الشوق وانما يكون هذا بين المتحابين قال الشاعر

علامة مابين المحبين في الهوى * عتابهم في كل حق وباطل

وكتب بعضهم يعاتب صديقه على تغير حاله معه يقول

عرضنا أنفسا عزت علينا * عليكم فاستخف بها الهوان

ولو أنا رفعناها لعزت * ولكن كل معروض مهان

(وقال آخر يعاتب صديقه)

وكنت إذا ماجئت أدنيت مجلسي * ووجهك من البشاشة يقطر

فمن لى بالعين التى كنت مرة * الى بها فى سالف الدهر تنظر

(وقال أبو الحسن بن منقذ)

اخلاقك الغر السجايا مالها * حملت قذى الواشين وهى سلاف

ومرآة رأيك فى عبيدك مالها * صدئت وأنت الجوهر الشفاف

وقال آخر يعاتب صديقه على كتاب أرسله اليه وفيه حط عليه

اقرأ كتابك واعتبره قريبا * فكفى بنفسك لى عليك حسيبا

أكذا يكون خطاب اخوان الصفا * ان أرسلوا جعلوا الخطاب خطوبا

ما كان عذرى ان أجبت بمثله * أو كنت بالعتب العنيف مجيبا

لكننى خفت انتقاص مودتى * فيعد احسانى اليك ذنوبا

(وقال آخر) أراك اذا ما قلت قولا قبلته * وليس لأقوالى لديك قبول

وماذاك الا أن ظنك سيء * بأهل الوفا والظن فيك جميل * فكن قائلا قول الحماسى تائها

بنفسك معجبا وهو منك قليل * وننكر ان شئنا على الناس قولهم * ولا ينكرون القول حين نقول

وكان لمحمد بن الحسن بن سهل صديق فنالته اضاقة ثم ولى عملا فاثرى فقصده محمد مسلما فرأى منه تغيراً فكتب اليه

لئن كانت الدنيا أنالتك ثروة * فاصبحت ذا يسر وقد كنت ذا عسر

فقد كشف الاثراء منك خلائقا * من اللؤم كانت تحت ثوب من الفقر

(وقال آخر فى المعنى) دعوت الله أن تسمو وتعلو * علو النجم فى أفق السماء

فلما أن سموت بعدت عنى * فكان اذاً على نفسى دعائى

وكان ابن عرادة السعدى مع سلم بن زياد بخراسان وكان له مكرما وابن عرادة يتجنى عليه ففارقه وصاحب غيره ثم ندم ورجع اليه وقال

عتبت على سلم فلما فقدته * وصاحبت أقواما بكيت على سلم

رجعت اليه بعد تجريب غيره * فكان كبرء بعد طول من السقم

وقال مسلم بن الوليد ويرجعنى اليك اذا نأت بى * ديارى عنك تجربة الرجال

(وقال أبو الحسن القابسى)

اذا أنا عاتبت الملوم فانما * أخط باقلامى على الماء أحرفا

وهبه ارعوى بعد العتاب ألم تكن * مودته طبعا فصارت تكلفا

وقال أبو الدرداء رضى الله عنه معاتبة الصديق أهون من فقده وما أحسن ما قيل فى العتاب

وفى العتاب حياة بين أقوام * وهو المحك لدى لبس وابهام

فما ثم شيء أحسن من معاتبة الأحباب ولا أذم من مخاطبة ذوى الالباب والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد النبى الامى وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب السابع والثلاثون فى الوفاء بالوعد وحفظ العهد ورعاية الذمم﴾

أرجح دليل يتمسك به الانسان كتاب الله تعالى الذى من تمسك به هداه ومن استدل به أرشده هداه قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود وقال جل ذكره وتقدس اسمه الذين يوفون بعهد

عبد الله بن سلام لدينه وشرفه وفضله وادبه وقد كنت جعلت لها فى نفسها شورى ولكن أرجو أن لا تخرج عن رأيى ان شاء الله تعالى فخرجا من عنده متوجهين الى منزل عبد الله بن سلام بالذى قال لها معاوية ثم دخل معاوية على ابنته فقال لها اذا دخل عليك أبو الدرداء وأبو هريرة فعرضا عليك عبد الله بن سلام وانكاحى اياك منه وحضاك على المسارعة الى رضائى فقولى لهما عبد الله بن سلام كفء كريم غير أن تحته أرينب بنت اسحق وأنا خائفة أن يعرض لى من الغيرة ما يعرض للنساء ولست بفاعلة حتى يفارقها وأما أبو الدرداء وأبو هريرة فانهما لما وصلا الى عبد الله بن سلام أعلماه بما قال لهما معاوية فردها خاطبين عنه فلما مثلا بين يدى معاوية قال انى كنت أعلمتكما انى جعلت لها فى نفسها شورى فادخلا عليها وأعلماها بما رأيت لها فدخلا عليها وأعلماها بذلك فأبدت ما قرره أبوها عندها من قبل فعادا الى عبد الله بن سلام فأعلماه بذلك ففهم المراد وأشهدهما عليه بطلاق أرينب وبعثهما اليه خاطبين فلما دخلا على معاوية أعلماه بطلاق أرينب فأظهر معاوية كراهية ذلك وقال ما استحسنت طلاق زوجته ولا أحببته فانصرفا فى عافية وعودا الينا وكتب الى ابنه يزيد يعلمه بما كان من طلاق عبد الله بن سلام لأرينب بنت اسحق وعاد بعد ذلك أبو الدرداء وأبو هريرة الى معاوية فأمرهما بالدخول على ابنته وسؤالها عن رضاها وهو يقول

الله ولا ينقضون الميثاق وقال جل وعلا وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقال تعالى وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا والآيات فى ذلك كثيرة ومن أشدها قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون * وروى فى صحيحى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان فالوفاء من شيم النفوس الشريفة والاخلاق الكريمة والخلال الحميدة يعظم صاحبه فى العيون وتصدق فيه خطرات الظنون و يقال الوعد وجه والانجاز محاسنه والوعد سحابة والانجاز مطره وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لكل شيء رأس ورأس المعروف تعجيله وأنشدوا

اذا قلت فى شيء نعم فأتمه * فان نعم دين على الحر واجب
والا فقل لا تسترح وترح بها * لئلا يقول الناس انك كاذب

(وقال آخر) لا كلف الله نفسا فوق طاقتها * ولا تجود يد الا بما تجد
فلا تعد عدة الا وفيت بها * واحذر خلاف مقال للذى تعد

وقال اعرابى وعد الكريم نقد وتعجيل ووعد اللئيم مطل وتعليل وقال اعرابى أيضا العذر الجميل خير من المطل الطويل * ومدح بشار خالد بن برمك فامر له بعشرين ألفا فأبطأت عليه فقال لقائده أقمنى حيث يمر فأقامه فمر فأخذ بلجام بغلته وأنشأ يقول

أظلت علينا منك يوما سحابة * أضاء لها برق وأبطا رشاشها
فلا غيمها يجلى فييأس طامع * ولا غيثها يأتى فتروى عطاشها

فقال لا يبرح حتى تؤتى بها وقال صالح اللخمى

لئن جمع الآفات فالبخل شرها * وشر من البخل المواعيد والمطل
ولا خير فى وعد اذا كان كاذبا * ولا خير فى قول اذا لم يكن فعل

وقيل ماتت للهذلى أم ولد فأمر المنصور الربيع أن يعزيه و يقول له ان أمير المؤمنين موجه اليك جارية نفيسة لها أدب وظرف يسليك بها وأمر لك معها بفرس وكسوة وصلة فلم يزل الهذلى يتوقع وعد أمير المؤمنين ونسيه المنصور فحج المنصور ومعه الهذلى فقال المنصور وهو بالمدينة انى احب أن أطوف الليلة بالمدينة فاطلب لى من يطوف بى فقال الهذلى أنا لها يا أمير المؤمنين فطاف به حتى وصل بيت عاتكة فقال يا أمير المؤمنين وهذا بيت عاتكة الذى يقول فيه الاحوص

يا بيت عاتكة الذى أتغزل * حذر العدا وبه الفؤاد موكل
انى لامنحك الصدود وانى * قسما إليك مع الصدود لأميل

فكره المنصور ذكر بيت عاتكة من غير أن يسأله عنه فلما رجع المنصور أمر القصيدة على قلبه فاذا فيها

وأراك تفعل ما تقول و بعضهم * مذق اللسان يقول مالا يفعل

فذكر المنصور الوعد الذى كان وعد به الهذلى فانجزه له واعتذر اليه وقال الشاعر

تعجيل وعد المرء أكرومة * تنشر عنه أطيب الذكر
والحر لا يمطل معروفه * ولا يليق المطل بالحر

وقال

لم يكن لى أن أكرهها وقد جعلت الشورى فى نفسها فدخلا عليها وأعلماها بطلاق عبد الله بن سلام امرأته ليسرها بذلك وذكرا فضله وشرفه وكرمه ومروءته فقالت جف القلم بما هو كائن ولا أنكر شرفه وفضله وانى سائلة عنه حتى أعرف دخيلة خبره ولا قوة إلا بالله فان يك صدر هذا اليوم ولى فان غداً لناظره قريب ثم تزايد حديث الناس بطلاق أرينب وخطبة ابنة معاوية واستحث عبد الله أبا الدرداء وأبا هريرة فأتياها فقال لها اصنعى ما أنت صانعة واستخيرى الله فقالت أرجو والحمد لله أن يكون الله قد اختار لى فانه لا يكل الى غيره وقد سبرت أمره وسألت عنه فوجدته غير ملائم ولا موافق لما أريد لنفسى مع اختلاف من استشرته فيه فمنهم الناهى عنه والآمر به فلما بلغه كلامها علم انها حيلة وانه مخدوع وقال متعزيا ليس لأمر الله راد ولعل ما سروا به لا يدوم لهم سروره قال وذاع أمره وفشا فى الناس وقالوا خدعه معاوية حتى طلق امرأته لغرض ابنه بئس ما صنع ثم ان معاوية بعد انقضاء أيامها المعلومة وجه أبا الدرداء الى العراق خاطبا لها على ابنه يزيد فخرج حتى قدمها وبها يومئذ الحسين ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهما فقال أبو الدرداء اذا قدم العراق ما ينبغى لذى عقل أن يبدأ بشيء قبل زيارة الحسين سيد شباب أهل الجنة اذا دخل موضعا هو فيه فقصد الحسين رضى الله عنه فلما رآه قام اليه وصافحه اجلالا

(وقال آخر) ولقد وعدت وأنت أكرم واعد * لا خير في وعد بغير تمام
أنعم على بما وعدت تكرما * فالمطل يذهب بهجة الانعام
(وقال آخر) لعبدك وعد قد تقدم ذكره * فأوله حمد وآخره شكر
وقد جمعت فيك المكارم كلها * فمالك عن تأخير مكرمة عذر
(وقال آخر) وميعاد الكريم عليه دين * فلا تزد الكريم على السلام
يذكره سلامك ما عليه * ويغنيك السلام عن الكلام
(وقال آخر) شكاك لساني ثم أمسكت نصفه * فنصف لساني بامتداحك ينطق
فان لم تنجز ما وعدت تركتني * وباقي لساني بالمذمة مطلق
(وقال آخر) باتت لوعدك عيني غير راقدة * والليل حتى الدياجي منبت السحر
هذا وقد بت من وعد على ثقة * فكيف لو بت من هجر على حذر
(وقال آخر) نذكر بالرقاع إذا نسينا * ويأبى الله أن تنسى الكرام

(وأما الوفاء بالعهد ورعاية الذمم) فقد نقل فيه من عجائب الوقائع وغرائب البدائع ما يطرب السماع ويشنف المسامع كقضية الطائي وشريك نديم النعمان بن المنذر وتلخيص معناها أن النعمان كان قد جعل له يومين يوم بؤس من صادفه فيه قتله وأرداه ويوم نعيم من لقيه فيه أحسن اليه وأغناه وكان هذا الطائي قد رماه حادث دهره بسهام فاقته وفقره فأخرجته الفاقة من محل استقراره ليرتاد شيئا لصبيته وصغاره فبينما هو كذلك إذ صادفه النعمان في يوم بؤسه فلما رآه الطائي علم أنه مقتول وان دمه مطلوب فقال حيا الله الملك ان لي صبية صغارا وأهلا جياعا وقد أرقت ماء وجهي في حصول شيء من البلغة لهم وقد أقدمني سوء الحظ على الملك في هذا اليوم العبوس وقد قربت من مقر الصبية والأهل وهم على شفا تلف من الطوى ولن يتفاوت الحال في قتلي بين أول النهار وآخره فان رأى الملك أن يأذن لي في أن أوصل اليهم هذا القوت وأوصي بهم أهل المروءة من الحي لئلا يهلكوا ضياعا ثم أعود الى الملك وأسلم نفسي لنفاذ أمره فلما سمع النعمان صورة مقاله وفهم حقيقة حاله ورأى تلهفه على ضياع أطفاله رق له ورثى لحاله غير أنه قال لا آذن لك حتى يضمنك رجل معنا فان لم ترجع قتلناه وكان شريك بن عدي بن شرحبيل نديم النعمان معه فالتفت الطائي الى شريك وقال له

يا شريك بن عدي * ما من الموت انهزام من لأطفال ضعاف * عدموا طعم الطعام
بين جوع وانتظار * وافتقار وسقام يا أخا كل كريم * أنت من قوم كرام
يا أخا النعمان جد لي * بضمان والتزام ولك الله بأني * راجع قبل الظلام

فقال شريك بن عدي أصلح الله الملك على ضمانه فمر الطائي مسرعا وصار النعمان يقول لشريك ان صدر النهار قد ولى ولم يرجع وشريك يقول ليس للملك على سبيل حتى يأتي المساء فلما قرب المساء قال النعمان لشريك قد جاء وقتك قم فتأهب للقتل فقال شريك هذا شخص قد لاح مقبلا وأرجو أن يكون الطائي فان لم يكن فأمر الملك ممتثل قال فبينماهم كذلك واذا بالطائي قد اشتد عدوه في سيره مسرعا حتى وصل فقال خشيت أن ينقضي النهار قبل وصولي ثم وقف قائما وقال أيها الملك مر بأمرك فاطرق النعمان ثم رفع رأسه وقال والله ما رأيت أعجب منكما أما أنت يا طائي فما تركت لأحد في الوفاء مقاما يقوم فيه ولا ذكرا يفتخر به وأما أنت يا شريك فما تركت لكريم سماحة يذكر بها في

أم حبيبة لجده ﷺ وقال ما أتى بك يا أبا الدرداء قال وجهني معاوية خاطبا على ابنه يزيد أرينب بنت اسحق فرأيت على حقا أن لا أبدأ بشيء قبل السلام عليك فشكره الحسين على ذلك وأثنى عليه وقال لقد ذكرت نكاحها وأردت الارسال اليها إذا انقضت عدتها وقد أتى الله بك فاخطب على بركة الله على وعليه وهي أمانة في عنقك واعطها من المهر مثل ما بذل لها معاوية عن ابنه فقال أفعل ان شاء الله فلما دخل قال أيتها المرأة ان الله خلق الأمور بقدرته وكونها بعزته وجعل لكل أمر قدرا ولكل قدر سببا فليس لأحد عن قدر الله مخلص فكان ما سبق لك وقدر عليك من فراق عبد الله بن سلام على غير قياس ولعل ذلك لا يغيرك وجعل الله فيه خيرا كثيرا وقد خطبك أمير هذه الأمة وابن ملكها وولي عهده والخليفة من بعده يزيد ابن معاوية والحسين بن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن أول من آقر به من أمته وسيد شباب أهل الجنة فاختاري أيهما شئت فسكتت طويلا ثم قالت يا أبا الدرداء لو جاءني هذا الأمر وأنت غائب لا شخصت فيه الرسل اليك واتبعت فيه رأيك فأما إذا كنت أنت المرسل فيه فقد فوضت أمري فيه بعد الله اليك وجعلته في يديك فاختر لي أرضاهما لربك والله شاهد عليك فاقض ولا يصدنك عن ذلك اتباع الهوى فليس أمرهما عليك خفيا فقال أبو الدرداء أيتها المرأة انما على اعلامك ولك الاختيار لنفسك فقالت عفا الله

عنك إنما أنا بنت أخيك ولا يمنعك أحد من قول الحق فيما طوقتك به فقد وجب عليك أداء الامانة فلم يجد بدا من القول فقال يابنية ابن بنت رسول الله (٢٠٠) ﷺ أحب الى فى ذلك وأرضى عندى والله أعلم وقد رأيت رسـول الله صلى الله عليه وسلم واضعا شفتيه على شفتى الحسين فضعى شفتيك حيث وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم شفتيه قالت قد اخترته ورضيته فتزوجها الحسين بن على عليهما السلام فساق لها مهرا عظيما و بلغ معاوية مافعله أبو الدرداء فعظم عليه وقال من يرسل ذا بله وعمى ركب خلاف ما يهوى وكان عبد الله بن سلام قد استودعها قبل فراقه اياها ذهبا وكان معاوية قد اطرحه وقطع عنه جميع روادفه لقوله انه خدعه حتى طلق امرأته فلم يزل يجفوه حتى قل ما بيده فرجع الى العراق فلما قدمها لقى الحسين فسلم عليه ثم قال لقد علمت ما كان من خبرى وخبر ارينب وكنت قبل فراقى اياها استودعتها مالا وكان الذى كان ولم أقبضه ووالله ان ظنى بها جميل فذاكرها فى أمرى فان الله يجزيك به اجرك فسكت عنه فلما انصرف الى أهله قال لها قدم عبيد الله بن سلام وهو كثير الثناء عليك فى دينك وحسن صحبتك فسرنى ذلك وأعجبنى وذكر انه استودعك مالا فقالت صدق استودعنى مالا وقال لا أدرى لمن هو وانه لمطبوع عليه بخاتمه وهاهو ذا فادفعه اليه بطابعه فأثنى عليه الحسين خيرا وقال ألا أدخله عليك حتى

الكرماء فلا أكون أنا الآلام الثلاثة الاوانى قد رفعت يوم بؤسى عن الناس وانقضت عادتى كرامة لوفاء الطائى وكرم شريك فقال الطائى

ولقد دعتنى للخلاف عشيرتى * فعددت قولهمو من الاضلال
إنى امرؤ منى الوفاء سجية * وفعال كل مهذب مفضال

فقال له النعمان ماحملك على الوفاء وفيه اتلاف نفسك فقال دينى فمن لا وفاء فيه لا دين له فاحسن اليه النعمان ووصله بما أغناه وأعاده مكرما الى أهله وأناله ما تمناه (ومن ذلك) ماحكى أن الخليفة المأمون لما ولى عبدالله بن طاهر بن الحسين مصر والشام وأطلق حكمه دخل على المأمون بعض اخوانه يوما فقال ياأمير المؤمنين ان عبدالله بن طاهر يميل الى ولد أبى طالب وهواه مع العلويين وكذلك كان أبوه قبله فحصل عند المأمون شىء من كلام أخيه من جهة عبدالله بن طاهر فتشوش فكره وضاق صدره فاستحضر شخصا وجعله فى زى الزهاد والنساك الغزاة ودسه الى عبدالله بن طاهر وقال له امض الى مصر وخالط أهلها وداخل كبراءها واستملهم الى القاسم بن محمد العلوى واذكر مناقبه ثم بعد ذلك اجتمع ببعض بطانة عبدالله بن طاهر ثم اجتمع بعبدالله بن طاهر بعد ذلك وادعه الى القاسم بن محمد العلوى واكشف باطنه وابحث عن دفين نيته وائتنى بما تسمع ففعل ذلك الرجل ما أمره به المأمون وتوجه إلى مصر ودعا جماعة من أهلها ثم كتب ورقة لطيفة ودفعها إلى عبدالله بن طاهر وقت ركوبه فلما نزل من الركوب وجلس فى مجلسه خرج الحاجب اليه وأدخله على عبد الله بن طاهر وهو جالس وحده فقال له لقد فهمت ماقصدته فهات ماعندك فقال ولى الأمان قال نعم فأظهر له ما أراده ودعاه إلى القاسم بن محمد فقال له عبدالله أوتنصفنى فيما أقوله لك قال نعم قال فهل يجب شكر الناس بعضهم لبعض عند الاحسان والمنة قال نعم قال فيجب على وأنا فى هذه الحالة التى تراها من الحكم والنعمة والولاية ولى خاتم فى المشرق وخاتم فى المغرب وأمرى فيما بينهما مطاع وقولى مقبول ثم انى التفت يمينا وشمالا فأرى نعمة هذا الرجل غامرة واحسانه فائضا على أفتدعونى الى الكفر بهذه النعمة وتقول اغدر وجانب الوفاء والله لو دعوتنى الى الجنة عيانا لما غدرت ولما نكثت بيعته وتركت الوفاء له فسكت الرجل فقال له عبدالله والله ما أخاف الا على نفسك فارحل من هذا البلد فلما يئس الرجل منه وكشف باطنه وسمع كلامه رجع الى المأمون فأخبره بصورة الحال فسره ذلك وزاد فى إحسانه اليه وضاعف انعامه عليه (ومما) يعد من محاسن الشيم ومكارم أخلاق أهل الكرم ويحث على الوفاء بالعهود ورعاية الذمم مارواه حمزة بن الحسين الفقيه فى تاريخه قال قال لى أبو الفتح المنطيقى كنا جلوسا عند كافور الاخشيدى وهو يومئذ صاحب مصر والشام وله من البسطة والمكنة ونفوذ الأمر وعلو القدر وشهرة الذكر مايتجاوز الوصف والحصر فحضرت المائدة والطعام فلما أكلنا نام وانصرفنا فلما انتبه من نومه طلب جماعة منا وقال امضوا الساعة الى عقبة النجارين وسلوا عن شيخ منجم أعور كان يقعد هناك فان كان حيا فاحضروه وان كان قد توفى فسلوا عن أولاده واكشفوا أمرهم قال فمضينا الى هناك وسألنا عنه فوجدناه قد مات وترك بنتين احداهما متزوجة والأخرى عاتق فرجعنا الى الكافور وأخبرناه بذلك فسير فى الحال واشترى لكل واحدة منهما دارا وأعطاهما مالا جزيلا وكسوة فاخرة وزوج العاتق وأجرى على كل واحدة منهما رزقا وأظهر أنهما من المتعلقين به لرعاية أمورهما فلما فعل ذلك وبالغ فيه ضحك

وقال أتعلمون سبب هذا قلنا لافقال اعلموا أنى مررت يوما بوالدها المنجم وأنا فى ملك ابن عباس الكاتب وأنا بحالة رثة فوقفت عليه فنظر إلى واستجلبنى وقال أنت تصير الى رجل جليل القدر وتبلغ منه مبلغا كبيرا وتنال خيرا كثيرا ثم طلب منى شيئاً فأعطيته درهمين كانا معى ولم يكن معى غيرهما فرمابهما إلى وقال أبشرك بهذه البشارة وتعطينى درهمين ثم قال وأزيدك أنت والله تملك هذا البلد وأكثر منه فاذكرنى اذا صرت إلى الذى وعدتك به ولا تنس فقلت له نعم فقال عاهدنى أنك تفى لى ولا يشغلك ذلك عن افتقادى فعاهدته ولم يأخذ منى الدرهمين ثم انى شغلت عنه بما تجدد لى من الأمور والأحوال وصرت إلى هذه المنزلة ونسيت ذلك فلما أكلنا اليوم ونمت رأيته فى المنام قد دخل على وقال لى أين الوفاء بالعهد الذى بينى وبينك واتمام وعدك لا تعذر فيه نذر بك فاستيقظت وفعلت ما رأيتم ثم زاد فى احسانه الى بنات المنجم وفاء لوالدهما بما وعد والله أعلم (ومما) أسفرت عنه وجوه الأوراق وأخبرت به الثقات فى الآفاق وظهرت روايته بالشام والعراق وضرب به الأمثال فى الوفاء بالاتفاق حديث السموءل بن عاديا وتلخيص معناه أن امرأ القيس الكندى لما أراد المضى إلى قيصر ملك الروم أودع عند السموءل دروعا وسلاحا وأمتعة تساوى من المال جملة كثيرة فلما مات امرؤ القيس أرسل ملك كندة يطلب الدروع والأسلحة المودعة عند السموءل فقال السموءل لا أدفعها الا لمستحقها وأبى أن يدفع اليه منها شيئا فعاوده فأبى وقال لا أغدر بذمتى ولا أخون أمانتى ولا أترك الوفاء والواجب على فقصده ذلك الملك من كندة بعسكره فدخل السموءل فى حصنه وامتنع به فحاصره ذلك الملك وكان ولد السموءل خارج الحصن فظفر به ذلك الملك فأخذه أسيرا ثم طاف حول الحصن وصاح بالسموءل فأشرف عليه من أعلى الحصن فلما رآه قال له ان ولدك قد أسرته وها هو معى فان سلمت الى الدروع والسلاح التى لامرىء القيس عندك رحلت عنك وسلمت اليك ولدك وان امتنعت من ذلك ذبحت ولدك وأنت تنظر فاختر أيهما شئت فقال له السموءل ما كنت لاخفر ذمامى وأبطل وفائى فاصنع ما شئت فذبح ولده وهو ينظر ثم لما عجز عن الحصن رجع خائبا واحتسب السموءل ذبح ولده وصبر محافظة على وفائه فلما جاء الموسم وحضر ورثة امرىء القيس سلم اليهم الدروع والسلاح ورأى حفظ ذمامه ورعاية وفائه أحب اليه من حياة ولده وبقائه فصارت الأمثال فى الوفاء تضرب بالسموءل واذا مدحوا أهل الوفاء فى الانام ذكروا السموءل فى الاول وكم أعلى الوفاء رتبة من اعتلقه بيديه وأغلى قيمة من جعله نصب عينيه واستنطق الافواه لنا علها بالثناء عليه واستطلق الايدى المقبوضة عنه بالاحسان اليه (ومما) وضع فى بطون الدفاتر واستحسنته عيون البصائر ونقلته الاصاغر عن الاكابر وتداولته الالسنة من الاوائل والاواخر ما رواه خادم أمير المؤمنين المأمون قال طلبنى أمير المؤمنين ليلة وقد مضى من الليل ثلثه فقال لى خذ معك فلانا وفلانا وسماهما أحدهما على بن محمد والآخر دينار الخادم واذهب مسرعا لما أقوله لك فانه قد بلغنى أن شيخا يحضر ليلا إلى دور البرامكة وينشد شعرا ويذكرهم ذكرا ويندبهم ويبكى عليهم ثم ينصرف فامض الآن أنت وعلى ودينار حتى ترواهذه الخرابات فاستتروا خلف بعض الجدران فاذا رأيتم الشيخ قد جاء وبكى وندب وأنشد شيئا فائتونى به قال فأخذتهما ومضينا حتى أتينا الخرابات واذا نحن بغلام قد أتى ومعه بساط وكرسى حديد واذا شيخ وسيم له جمال وعليه مهابة ووقار قد أقبل فجلس على الكرسى وجعل يبكى وينتحب ويقول

تبرئى منه ثم لقى عبد الله فقال ما أنكرت مالك وزعمت أنه كما دفعته اليها بطابعك فادخل ياهذا اليها واستوف مالك منها بحيث تحصل البراءة من الطرفين فلما دخل عليها قال لها الحسين هذا عبد الله بن سلام قد جاء يطلب وديعته فأخرجت اليه البدر فوضعتها بين يديه وقالت له هذا مالك فشكروأثنى فخرج الحسين عنهما وفض عبد الله خواتم بدره وحثى لها من ذلك جانبا كبيرا وقال لها والله هذا قليل منى فاستعبرا حتى علت أصواتهما بالبكاء على ما ابتليا به فدخل الحسين عليهما وقد رق لهما ثم قال أشهد الله أنها طالق ثلاثا اللهم أنت تعلم أنى لم أستنكحها رغبة فى مالها ولا فى جمالها ولكنى أردت احلالها لزوجها فطلقها ولم يأخذ شيئاً مما ساق لها فى مهرها بعد ما عرضته عليه وقال الذى أرجوه من الثواب خير لى فلما انقضت عدتها تزوجها عبد الله بن سلام وعادا على ما كانا عليه من حسن الصحبة إلى أن فرق الموت بينهما هكذا نقله ابن بدرون فى تاريخه والله أعلم (ومن غرائب المنقول وعجائبه) عن الأمير بدر الدين أبى المحاسن يوسف المهمندار المعروف بمهمندار العرب أنه قال حكى الأمير شجاع الدين محمد

 الشيرازى متولى القاهرة فى الايام الكاملية سنة ثلاث وستمائة قال بتنا عند رجل ببعض بلاد الصعيد فأكرمنا وكان الرجل شديد السمرة وهو شيخ كبير فحضر له أولاد بيض الوجوه حسان الاشكال فقلنا له هؤلاء أولادك فقال نعم وكأنى بكم وقد

ولما رأيت السيف جندل جعفرا * ونادى مناد للخليفة في يحيى
بكيت على الدنيا وزاد تأسفي * عليهم وقلت الآن لا تنفع الدنيا

مع أبيات أطالها وردها فلما فرغ قبضنا عليه وقلنا له أجب أمير المؤمنين ففزع فزعا شديدا وقال دعوني حتى أوصي وصية فاني لا أوقن بعدها بحياة ثم تقدم إلى بعض الدكاكين فاستفتح وأخذ ورقة وكتب فيها وصية ودفعها الى غلامه ثم سرنا به فلما مثل بين يدي أمير المؤمنين زجره وقال له من أنت وبماذا استوجبت البرامكة منك ما تفعله في خرائب دورهم وما تقوله فيها قال الخادم ونحن وقوف نسمع فقال يا أمير المؤمنين ان للبرامكة عندي أيادي خطيرة أفتأذن لي أن أحدثك حديثي معهم قال قل قال يا أمير المؤمنين أنا المنذر بن المغيرة من أولاد الملوك وقد زالت عني نعمتي كما تزول عن الرجال فلما ركبني الدين واحتجت إلى بيع مسقط رأسي ورؤوس أهلي أشاروا علي بالخروج الى البرامكة فخرجت من دمشق ومعي نيف وثلاثون امرأة وصبيا وصبية وليس معنا ما يباع ولا ما يوهب حتى دخلنا بغداد ونزلنا في بعض المساجد فدعوت بثويبات لي كنت قد أعددتها لاستمنح بها الناس فلبستها وخرجت وتركتهم جياعا لا شيء عندهم ودخلت شوارع بغداد أسائل عن دور البرامكة فاذا أنا بمسجد مزخرف وفيه مائة شيخ بأحسن زي وزينة وعلى الباب خادمان فطمعت في القوم وولجت المسجد وجلست بين أيديهم وأنا أقدم وأؤخر والعرق يسيل مني لأنها لم تكن صناعتي واذا بخادم قد أقبل فدعا القوم فقاموا وأنا معهم فدخلوا دار يحيى بن خالد ودخلت معهم واذا بيحيى جالس على دكة له في وسط بستان فسلمنا وهو يعدنا مائة وواحدا وبين يديه عشرة من ولده واذا غلام أمرد عذاره خداه قد أقبل من بعض المقاصير بين يديه مائة خادم ممنطقون في وسط كل خادم منطقة من ذهب يقرب وزنها من ألف مثقال ومع كل خادم مجمرة من ذهب في كل مجمرة قطعة من عود كهيئة الفهر قد قرن بها مثلها من العنبر السلطاني فوضعوه بين يدي الغلام وجلس الغلام إلى جنب يحيى ثم قال يحيى للقاضي تكلم وزوج بنتي عائشة من ابن عمي هذا فخطب القاضي وزوجه وشهد أولئك الجماعة واقبلوا علينا بالنثار ببنادق المسك والعنبر فالتقطت والله يا أمير المؤمنين ملء كمي ونظرت فاذا نحن في المكان ما بين يحيى والمشايخ وولده والغلام مائة واثنا عشر رجلا فخرج الينا مائة واثنا عشر خادما مع كل خادم صينية من فضة عليها الف دينار فوضعوا بين يدي كل رجل منا صينية فرأيت القاضي والمشايخ يصبون الدنانير في أكمامهم ويجعلون الصواني تحت آباطهم ويقوم الأول فالأول حتى بقيت وحدي بين يدي يحيى لا أجسر على أخذ الصينية فغمز لي الخادم فجسرت وأخذتها وجعلت الذهب في كمي وأخذت الصينية في يدي وقمت وجعلت ألتفت الي ورائي مخافة أن أمنع من الذهاب بها فبينما أنا كذلك في صحن الدار ويحيى يلحظني اذ قال للخادم ائتني بذلك الرجل فرددت اليه فأمر بصب الدنانير والصينية وما كان في كمي ثم أمرني بالجلوس فجلست فقال لي ممن الرجل فقصصت عليه قصتي فقال للخادم ائتني بولدي موسى فأتى به فقال له يا بني هذا رجل غريب خذه اليك واحفظه بنفسك وبنعمتك فقبض موسى على يدي وأدخلني إلى دار من دوره فأكرمني غاية الاكرام وأقمت عنده يومي وليلتي في ألذ عيش وأتم سرور فلما أصبح دعا بأخيه العباس وقال ان الوزير قد أمرني بالعطف على هذا الرجل وقد علمت اشتغالي في دار أمير المؤمنين فاقبضه اليك وأكرمه ففعل ذلك وأكرمني غاية الاكرام فلما كان من الغد تسلمني أخوه أحمد ثم لم أزل في أيدي القوم يتداولوني

أبكرتهم بياضهم وسوادي فقلنا له ثم قال هؤلاء أمهم افرنجية أخذتها في أيام الملك الناصر صلاح الدين وأنا شاب فقلنا وكيف أخذتها قال حديثي بها عجيب قلنا (٢٠٢) أتحفنا به قال زرعت كتانا في هذه البلدة وقلعته ونفضته فانصرف عليه خمسمائة دينار ولم يبلغ الثمن إلى أكثر من ذلك فحملته إلى القاهرة فلم يحصل إلى أكثر من ذلك فأشير علي بحمله إلى الشام فحملته فما زاد على تلك القيمة شيئا فوصلت به الى عكا فبعت بعضه بالأجل والبعض تركته عندي واكتريت حانوتا أبيع فيه على مهلي إلى حيث انقضاء المدة فبينما أنا أبيع اذ مرت بي امرأة افرنجية ونساء الافرنج يمشين في الاسواق بلا نقاب فأتت تشتري مني كتانا فرأيت من جمالها ما بهرني فبعتها وسامحتها ثم انصرفت وعادت الي بعد أيام فبعتها وسامحتها أكثر من المرة الاولى فتكررت الي وعلمت أني أحبها فقلت للعجوز التي معها انني قد تلفت بحبها وأريد منك الحيلة فقالت لها ذلك فقالت تروح أرواحنا الثلاثة أنا وأنت وهو فقلت لها قد سمحت بروحي في حبها واتفق الحال على أن أدفع خمسين دينارا صورية فوزنتها وسلمتها للعجوز فقالت نحن الليلة عندك فمضيت وجهزت ما قدرت عليه من مأكول ومشروب وشمع وحلواء فجاءت الافرنجية فأكلنا وشربنا وجن الليل ولم يبق غير النوم فقلت في نفسي أما تستحي من الله وأنت غريب تعصى الله مع نصرانية اللهم اني أشهدك اني قد عففت عنها في هذه الليلة حياء منك وخوفا من عقابك ثم نمت إلى الصبح

يتداولوني عشرة أيام لا أعرف خبر عيالي وصبياني أفي الأموات هم أم في الأحياء فلما كان اليوم الحادي عشر جاءني خادم ومعه جماعة من الخدم فقالوا لي قم فاخرج الى عيالك بسلام فقلت واويلاه سلبت الدنانير والصينية وأخرج الى عيالي على هذه الحالة انا لله وانا اليه راجعون فرفع الستر الأول ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع فلما رفع الخادم الستر الأخير قال لي مهما كان لك من الحوائج فارفعها الي فاني مأمور بقضاء جميع ما تأمرني به فلما رفع الستر رأيت حجرة كالشمس حسنا ونورا واستقبلني منها رائحة الند والعود ونفحات المسك واذا بصبياني وعيالي يتقلبون في الحرير والديباج وحمل الي ألف ألف درهم وعشرة آلاف دينار ومنشورين بضيعتين وتلك الصينية التي كنت أخذتها بما فيها من الدنانير والبنادق وأقمت يا أمير المؤمنين مع البرامكة في دورهم ثلاث عشرة سنة لا يعلم الناس أمن البرامكة أنا أم رجل غريب اصطنعوني فلما جاءتهم البلية ونزل بهم من أمير المؤمنين الرشيد ما نزل أجحفني عمرو بن مسعدة وألزمني في هاتين الضيعتين من الخراج ما لا يفي دخلهما به فلما تحامل على الدهر كنت في أواخر الليل أقصد خرابات القوم فأندبهم وأذكر حسن صنيعهم الي وأشكرهم على احسانهم فقال المأمون على بعمرو بن مسعدة فلما أتي به قال له يا عمرو أتعرف هذا الرجل قال نعم يا أمير المؤمنين هو بعض صنائع البرامكة قال كم ألزمته في ضيعته قال كذا وكذا قال رد له كل ما استأديته منه في مدته ووقع لهما ليكونا له ولعقبه من بعده قال فعلا نحيب الرجل وبكاؤه فلما رأى المأمون كثرة بكائه قال له يا هذا قد أحسنا اليك فلم تبكي قال يا أمير المؤمنين وهذا أيضا من صنائع البرامكة إذ لو لم آت خراباتهم فابكيهم وأندبهم حتى اتصل خبري بأمير المؤمنين ففعل ما فعل فمن أين كنت أصل الى أمير المؤمنين قال ابراهيم بن ميمون فلقد رأيت المأمون وقد دمعت عيناه وظهر عليه حزنه وقال لعمري هذا من صنائع البرامكة فعليهم فابك واياهم فاشكر ولهم فاوف ولا حسانهم فاذكر * وقيل اذا أردت أن تعرف وفاء الرجل ودوام عهده فانظر الى حنينه الى أوطانه وتشوقه الى اخوانه وكثرة بكائه على ما مضى من زمانه قال الشاعر .

سقى الله أطلال الوفاء بكفه * فقد درست أعلامه ومنازله

وقال آخر أشدد يديك بمن بلوت وفاءه * ان الوفاء من الرجال عزيز

وقال مالك بن عمارة اللخمي كنت جالسا في ظل الكعبة أيام الموسم عند عبد الملك بن مروان وقبيصة بن ذؤيب وعروة بن الزبير وكنا نخوض في الفقه مرة وفي المذاكرة مرة وفي أشعار العرب وأمثال الناس مرة فكنت لا أجد عند أحد ما أجده عند عبد الملك بن مروان من الاتساع في المعرفة والتصرف في فنون العلم وحسن استماعه إذا حدث وحلاوة لفظه إذا حدث فخلوت معه ليلة فقلت له والله اني لمسرور بك لما شاهدته من كثرة تصرفك وحسن حديثك واقبالك على جليسك فقال إن تعش قليلا فسترى العيون طامحة الي والاعناق نحوي متطاولة فاذا اصار الأمر الي فلعلك أن تنقل الي ركابك فلأملأن يديك فلما افضت اليه الخلافة توجهت اليه فوافيته يوم الجمعة وهو يخطب على المنبر فلما رآني أعرض عني فقلت لعله لم يعرفني أو عرفني وأظهر لي نكره فلما قضيت الصلاة ودخل بيته لم ألبث أن خرج الحاجب فقال أين مالك بن عمارة فقمت فأخذ بيدي وأدخلني عليه فمد الي يده وقال انك تراءيت لي في موضع لا يجوز فيه الا ما رأيت فاما الآن فرحبا وأهلا كيف كنت بعدي فاخبرته فقال لي اتذكر ما كنت قلت لك قلت نعم فقال والله ما هو بميراث رعيناه ولا أثر رويناه ولكني أخبرك بخصال مني سمت بها نفسي الى الموضع الذي ترى ما خنت

فنامت الى الصبح وقامت في السحر وهي غضبى ومضت ومضيت أنا الى حانوتي فجلست فيه واذا هي قد عبرت علي هي والعجوز وهي مغضبة وكأنها القمر فهلكت فقلت في نفسي من هو أنت حتى تترك هذه البارعة في حسنها ثم لحقت العجوز وقلت ارجعي فقالت وحق المسيح ما أرجع اليك الا بمائة دينار فقلت ثم رضيت فوزنت مائة دينار فلما حضرت الجارية عندي لحقتني الفكرة الأولى وعففت عنها وتركتها حياء من الله تعالى ثم مضت ومضيت الى موضعي ثم عبرت بعد ذلك علي وكانت مستعربة فقالت وحق المسيح ما بقيت تفرح بي عندك الا بخمسمائة دينار أو تموت كمدا فارتعدت لذلك وعزمت انني أصرف عليها ثمن الكتان جميعه فبينما أنا كذلك والمنادي ينادي معاشر المسلمين ان الهدنة التي بيننا وبينكم قد انقضت وقد أمهلنا من هنا من المسلمين الى جمعة فانقطعت عني وأخذت أنا في تحصيل ثمن الكتان الذي لي والمصالحة على ما بقي منه وأخذت معي بضاعة حسنة وخرجت من عكا وفي قلبي من الافرنجية ما فيه فوصلت الى دمشق وبعت البضاعة بأوفى ثمن بسبب فراغ الهدنة ومن الله بكسب وافر وأخذت أتجر في الجواري عسى أن يذهب ما بقلبي من الافرنجية فمضت ثلاث سنين وجرى للسلطان الملك الناصر ما جرى من وقعة حطين وأخذه جميع الملوك وفتحه بلاد الساحل باذن الله تعالى فطلب مني جارية للملك الناصر فاحضرت جارية حسناء فاشتريت له مني بمائة

دينار فأوصلوا الى تسعين دينار او بقيت عشرة دنانير فلم يلتقوها فى الخزانة ذلك اليوم لانه أنفق جميع الاموال فشاوروه على ذلك فقال امضوا به الى الخزانة

التى فيها السبي من نساء الأفرنج نخيروه فى واحدة منهن يأخذها بالعشرة الدنانير التى له فأتيت الخيمة فعرفت غريمتى الأفرنجية فقلت أعطونى هاتيك فأخذتها ومضيت الى خيمتى وخلوت بها وقلت لها أتعرفينى قالت لا فقلت أنا صاحبك التاجر الذى جرى لى معك ما جرى وأخذت منى الذهب وقلت ما بقيت تبصرنى الا بخمسمائة دينار وقد أخذتك ملكا بعشرة دنانير فقالت مد يدك أنا أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فاسلمت وحسن اسلامها فقلت والله لاوصلت اليها الا بأمر القاضى فرحت الى ابن شداد وحكيت له ماجرى فعجب وعقد لى عليها وباتت تلك الليلة عندى فحملت منى ثم رحل العسكر وأتينا دمشق وبعد مدة يسيرة أتى رسول الملك يطلب الاسارى والسبايا باتفاق وقع بين الملوك فردوا من كان أسيرا من الرجال والنساء ولم يبق الا التى عندى فسألوا عنها واتضح الخبر أنها عندى وطلبت منى فحضرت وقد تغير لونى وأحضرتها معى بين يدى مولانا السلطان الملك الناصر والرسول حاضر فقال لها الملك الناصر بحضرة الرسول ترجعين الى بلادك أو الى زوجك فقد فككنا أسرك وأسر غيرك فقالت يامولانا السلطان أنا قد أسلمت وحبلت وها بطنى كما ترونه

داود قط ولا شمت بمصيبة عدو قط ولا أعرضت عن محدث حتى ينتهى حديثه ولا قصدت كبيرة من محارم الله تعالى متلذذا بها فكنت أؤمل بهذه أن يرفع الله تعالى منزلتى وقد فعل ثم دعا بغلام فقال له يا غلام بوئه منزلا فى الدار فاخذ الغلام بيدى وأفرد لى منزلا حسنا فكنت فى ألذ حال وأنعم بال وكان يسمع كلامى وأسمع كلامه ثم أدخل عليه فى وقت عشائه وغدائه فيرفع منزلتى ويقبل على ويحادثنى ويسألنى مرة عن العراق ومرة عن الحجاز حتى مضت لى عشرون ليلة فتغديت يوما عنده فلما تفرق الناس نهضت قائما فقال على رسلك فقعدت فقال أى الامرين أحب اليك المقام عندنا مع النصفة لك فى المعاشرة والرجوع الى أهلك ولك الكرامة فقلت يا أمير المؤمنين فارقت أهلى وولدى على أنى أزور أمير المؤمنين وأعود اليهم فان أمرنى أمير المؤمنين اخترت رؤيته على الاهل والولد فقال لا بل أرى لك الرجوع اليهم والخيار لك بعد فى زيارتنا وقد أمرنا لك بعشرين ألف دينار وكسوناك وحملناك أتراني قد ملأت يديك فلا خير فيمن ينسى اذا وعد وعدا إذا شئت صحبتك السلامة (ومن ذلك) ماروى عن أبى بكار الاعمى وكان قد انقطع الى آل برمك قال مسرور الكبير لما أمرنى الرشيد بقتل جعفر بن يحيى دخلت عليه فوجدت عنده أبابكار الأعمى يغنيه ويقول

فلا تحزن فكل فتى سيأتى * عليه الموت يطرق أو يغادى

فقلت فى هذا والله قد أتيتك ثم أمسكت بيد جعفر وأقمته وضربت عنقه فقال أبو بكار ناشدتك الله الا ما ألحقتنى به فقلت له ما الذى حملك على هذا فقال أغنانى عن الناس فقلت حتى أستأمر الرشيد ثم أحضرت الرأس الى الرشيد وأخبرته بخبر أبى بكار فقال هذا رجل فيه مصطنع أضممه اليك وانظر ما كان يجرى عليه جعفر فادفعه اليه وكان يحيى بن خالد إذا أكد فى يمينه قال لا والذى جعل الوفاء أعز ما يرى قال ابو فراس بن حمدان الشاعر

بمن يثق الانسان فيما ينوبه * ومن أين للحر الكريم صحاب
وقد صار هذا الناس الا أقلهم * ذئابا على أجسادهن ثياب

وسأل المنصور بعض بطانة هشام عن تدبيره فى الحروب فقال كان رحمه الله تعالى يفعل كذا وكذا فقال المنصور عليك لعنة الله تطأ بساطى وتترحم على عدوى فقال ان نعمة عدوك لقلادة فى عنقى لا ينزعها الاغاسلى فقال له المنصور ارجع ياشيخ فانى أشهد أنك لوفى حافظ للخير ثم أمر له بمال فاخذه ثم قال والله لولا جلالة أمير المؤمنين وامضاء طاعته ما لبست لاحد بعد هشام نعمة فقال له المنصور لله درك فلو لم يكن فى قومك غيرك لكنت قد أبقيت لهم مجدا مخلدا * وخرج سليمان بن عبد الملك ومعه يزيد بن المهلب فى بعض جبابين الشام فاذا امرأة جالسة على قبر تبكى قال سليمان فرفعت البرقع عن وجهها فحكت شمسا عن متون غمامة فوقفنا متحيرين ننظر اليها فقال لها يزيد بن المهلب ياأمة الله هل لك فى أمير المؤمنين بعلا فنظرت الينا ثم أنشأت تقول

فان تسألانى عن هواى فانه * يحول بهذا القبر يا فتيان
وانى لاستحييه والترب بيننا * كما كنت استحييه وهو يرانى

(ومن ذلك) ماروى عن نائلة بنت القرافصة بن الاخوص الكلبى زوج عثمان رضى الله عنهما ان عثمان لما قتل أصابتها ضربة على يدها وخطبها معاوية فردته وقالت مايعجب الرجل منى قالوا ثناياك فكسرت ثناياها وبعثت بها الى معاوية فكان ذلك مما رغب قريشا فى نكاح نساء بنى كلب * ولما أحس

ومابقيت الأفرنج تنتفع بى فقال لها الرسول أيما أحب اليك هذا المسلم أوزوجك الأفرنجى فلان فأعادت عبارتها الأولى فقال الرسول لمن معه من الأفرنج اسمعوا كلامها ثم قال لى الرسول خذزوجتك فوليت بها فطلبنى ثانياً وقال ان أمها أرسلت معى وديعة وقالت ان ابنتى أسيرة وأشتهى أن توصل لها هذه الكسوة فتسلمت الكسوة ومضيت إلى الدار وفتحت القماش فاذا هو قماشها بعينه قد سيرته لها أمها ووجدت الصرتين الذهب الخمسين دينارا والمائة دينار كما هما بربطتى لم يتغيرا وهؤلاء الاولاد منها وهى التى صنعت لكم هذا الطعام ﴿ ومن لطائف المنقول من المستجاد ﴾ قال الواقدى كان ابراهيم ابن المهدى قد ادعى الخلافة لنفسه بالرى وأقام مالكها سنة وأحد عشر شهرا واثنى عشر يوما وله أخبار كثيرة أحسنها عندى ما حكاه لى قال لما دخل المأمون الرى فى طلبى وجعل لما أتاه بى مائة ألف درهم خفت على نفسى وتحيرت فى أمرى فخرجت من دارى وقت الظهر وكان يوما صائفا وما أدرى أين أتوجه فوقفت فى شارع غير نافذ وقلت انا لله وانا اليه راجعون ان عدت على أثرى يرتاب فى أمرى فرأيت فى صدر الشارع عبدا أسود قائما على باب دار فتقدمت اليه وقلت هل عندك موضع أقيم فيه ساعة من نهار فقال نعم وفتح الباب فدخلت الى بيت نظيف فيه حصر و بسط ووسائد جلود الا أنها نظيفة ثم أغلق الباب على ومضى فتوهمته قد سمع الجعالة فى وأنه خرج ليدل على فبقيت على مثل النار فبينما أنا كذلك اذ أقبل

مصعب بن الزبير بالقتل دفع إلى مولاه زياد فص ياقوت قيمته ألف ألف وقال له انج بهذا فأخذه زياد ودقه بين حجرين وقال والله لا ينتفع به أحد بعدك * ولما قدم هدبة بن الخشرم للقتل بحضرة مروان ابن الحكم قالت زوجته ان لهدبة عندى وديعة فامهله حتى آتيك بها فقال أسرعى فان الناس قد كثروا وكان مروان قد جلس لهم بارزا عن داره فمضت إلى السوق وأتت إلى قصاب فقالت اعطنى شفرتك وخذ هذين الدرهمين وأنا أردها عليك فأخذتها وقربت من حائط وأرسلت ملحفتها على وجهها ثم جدعت أنفها من أصله وقطعت شفتيها وردت الشفرة إلى القصاب ثم أقبلت حتى دخلت بين الناس فقالت أترانى ياهدبة متزوجة بعدما ترى فقال الآن طابت نفسى بالموت فجزاك الله من حليلة وفية خيرا (ولنجعل) لهذا الباب من القضايا ختاما هو أوجزها كلاما وأحسنها نظاما وأبينها حكما واحكاما وهى قضية جمعت الأمرين وفاء وغدرا وعرفا ونكرا وخيرا وشرا ونفعا وضرا واشتملت على حال شخصين أحدهما وفى بعهده ففاز ونجا وحاز من مقترحات مناه ما أمل ورجا وغدر الآخر فلم يجد له من جزاء غدره الى النجاة فرجا ولم يلق له من ضيق الغدر مخرجا وهو ما ذكره عبدالله بن عبد الكريم وكان مطلعا على أحوال أحمد بن طولون عارفا بأموره عالما بوروده وصدوره فقال ما معناه إن أحمد بن طولون وجد عند سقايته طفلا مطروحا فالتقطه ورباه وسماه أحمد وشهره باليتيم فلما كبر ونشأ كان أكثر الناس ذكاء وفطنة وأحسنهم زيا وصورة فصار يرعاه ويعلمه حتى تهذب وتمرن فلما حضرت أحمد بن طولون الوفاة أوصى ولده أبا الجيش خمارويه به فأخذه اليه فلما مات أحمد بن طولون أحضره الأمير أبو الجيش اليه وقال له أنت عندى بمكانة أرعاك بها ولكن عادتى انى آخذ العهد على كل من أصرفه فى شىء أنه لا يخوننى فعاهده ثم حكمه فى أمواله وقدمه فى أشغاله فصار أحمد اليتيم مستحوذا على المقام حاكما على جميع الحاشية الخاص والعام والأمير أبو الجيش بن طولون يحسن اليه فلما رأى خدمته متصفة بالنصح ومساعيه متسمة بالنجح ركن اليه واعتمد فى أمور بيوته عليه فقال له يوما يا أحمد امض الى الحجرة الفلانية ففى المجلس حيث أجلس سبحة جوهر فائتنى بها فمضى أحمد فلما دخل الحجرة وجد جارية من مغنيات الامير وحظاياه مع شاب من الفراشين ممن هو من الأمير بمحل قريب فلما رأياه خرج الفتى وجاءت الجارية الى أحمد وعرضت نفسها عليه ودعته الى قضاء وطره فقال لها معاذ الله أن أخون الامير وقد أحسن الى وأخذ العهد على ثم تركها وأخذ السبحة وانصرف الى الامير وسلمها اليه وبقيت الجارية شديدة الخوف من أحمد بعدما أخذ السبحة وخرج من الحجرة لئلا يذكر حالها للامير فأقامت أياما لم تجد من الامير ما غيره عليها ثم اتفق أن الامير اشترى جارية وقدمها على حظاياه وغمرها بعطاياه واشتغل بها عمن سواها وأعرض لشغفه بها عن كل من عنده حتى كاد لا يذكر جارية غيرها ولا يراها وكان أولا مشغولا بتلك الجارية الخاسرة الخائنة الخائنة الغادرة العائبة العاهرة الفاسقة الفاجرة فلما أعرض عنها اشتغالا بالجارية الجديدة الممجدة السعيدة المسعدة الحامدة المحمودة الوصيفة الموصوفة الاليفة المألوفة العارفة المعروفة وصرف لبهجة محاسنها وكثرة آدابها وجهه من ملاعبة أترابها وشغلته بعذوبة رضابها عن ارتشاف ضرب أضرابها وكانت تلك الجارية الاولى لحسنها متأمرة على تأميره لا تخاف من وليه ولا نصيره فكبر عليها اعراضه عنها ونسبت ذلك الى أحمد اليتيم لاطلاعه على ما كان منها فدخلت على الامير وقد ارتدت من الكآبة بجلباب نكرها وأعلنت بالبكاء

بين يديه لاتمام كيدها ومكرها وقالت ان أحمد اليتيم راودني عن نفسي فلما سمع الأمير ذلك استشاط غيظاً وغضباً وهم في الحال بقتله ثم عاوده حاكم عقله فتأنى في فعله واستحضر خادما يعتمد عليه وقال له إذا أرسلت اليك انسانا ومعه طبق من ذهب وقال لك على لسانه املأ هذا الطبق مسكا فاقتل ذلك الانسان واجعل رأسه في الطبق وأحضره مغطى ثم ان الأمير أبا الجيش جلس لشربه وأحضر عنده ندماءه الخواص وأدناهم لمجلس قربه وأحمد اليتيم واقف بين يديه آمن في سربه لم يخطر بخاطره شيء ولا هجس هاجس في قلبه فلما مثل بين يدي الأمير وأخذ منه الشراب شرع في التدبير فقال يا أحمد خذ هذا الطبق وامض به إلى فلان الخادم وقل له يقول لك أمير المؤمنين املأ هذا الطبق مسكا فأخذه أحمد اليتيم ومضى فاجتاز في طريقه بالمغنين وبقية الندماء والخواص فقاموا اليه وسألوه الجلوس معهم فقال أنا ماض في حاجة للأمير أمرني باحضارها في هذا الطبق فقالوا له أرسل من ينوب عنك في احضارها وخذها أنت وادخل بها على الأمير فأدار عينيه فرأى الفتى الفراش الذي كان مع الجارية فأعطاه الطبق وقال له امض إلى فلان الخادم وقل له يقول لك الأمير املأ هذا الطبق مسكا فمضى ذلك الفراش إلى الخادم فذكر له ذلك فقتله وقطع رأسه وغطاه وجعله في الطبق وأقبل به فناوله لأحمد اليتيم فأخذه وليس عنده علم من باطن الأمر فلما دخل به على الأمير كشفه وتأمله وقال ما هذا فقص عليه خبره وقعوده مع المغنين وبقية الندماء وسؤالهم له الجلوس معهم وما كان من انفاذ الطبق وارساله مع الفراش وأنه لا علم عنده غير ما ذكره قال أتعرف لهذا الفراش خبرا يستوجب به ما جرى عليه فقال أيها الأمير ان الذي تم عليه بما ارتكبه من الخيانة وقد كنت رأيت الاعراض عن اعلام الأمير بذلك وأخذ أحمد يحدثه بما شاهده وما جرى له من حديث الجارية من أوله إلى آخره لما أنفذه لاحضار السبحة الجوهر فدعا الامير أبو الجيش بتلك الجارية واستقررها فأقرت بصحة ما ذكره أحمد فأعطاه اياها وأمره بقتلها ففعل وازدادت مكانة أحمد عنده وعلت منزلته اليه وضاعف احسانه اليه وجعل أزمة جميع ما يتعلق به بيديه * فانظر رحمك الله إلى آثار الوفاء كيف تحمي من المعاطب وتنجي من قبضة التلف بعد امضاء القواضب ويفضي بصاحبه إلى ارتقاء غوارب المراتب فهذا الغلام لما وفى لمولاه بعهده وهو بشر مثله وليس في الحقيقة بعبده واطلع الله عز وجل على صدق نيته وقصده دفع عنه هذه القتلة الشنيعة بلطف من عنده فاذا كان العبد مع خالقه ورازقه وافيا في طاعته بعقده كيف لا يفيض عليه من ألطاف مواهب بره ورفده ويفتح له من أنواع رحمته وأقسام نعمته ممالا ممسك له من بعده وقالوا ليس شيء أوفى من القمرية إذا مات ذكرها لم تقرب آخر بعده ولا تزال تنوح عليه الى أن تموت والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

﴿ الباب الثامن والثلاثون في كتمان السر وتحصينه وذم افشائه ﴾

قال الله تعالى حكاية عن يعقوب صلوات الله وسلامه عليه يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك الآية فلما أفشى يوسف عليه السلام رؤياه بمشهد امرأة يعقوب أخبرت اخوته فحل به ما حل * ومن شواهد الكتاب العزيز في السر قوله تعالى فأوحى الى عبده ما أوحى وقوله تعالى وما هو على الغيب بضنين أى

حمال عليه كل ما يحتاج اليه من خبز ولحم وقدر جديدة وجرة نظيفة وكيزان جدد فحط عن الحمال ثم التفت إلى وقال جعلني الله فداك أنا رجل حجام وأنا أعلم أنك تتقرف مني لما أتولاه من معيشتي فشأنك بما لم تقع عليه يد وكان بي حاجة إلى الطعام فطبخت لنفسي قدرا ما أذكر أني أكلت مثلها فلما قضيت أربي من الطعام قال هل لك في شراب فانه يسلي الهم فقلت ما أكره ذلك رغبة في مؤانسته فأتى بقطرميز جديد لم تمسه يد وجاءني بدست شراب مطينة وقال لي روق لنفسك فروقت شرابا في غاية الجودة واحضر لي قدحا جديدا وفاكهة وأبقالا مختلفة في طسوت فخار جدد ثم قال بعد ذلك أتأذن لي جعلت فداءك أن أقعد ناحية وآتي بشرابي فأشرب سرورا بك فقلت له افعل فشرب وشربت ثم دخل الى خزانة له فأخرج عودا مصفحا ثم قال ياسيدي ليس من قدري أن أسألك في الغناء ولكن قد وجبت على مروءتك حرمتي فان رأيت أن تشرف عبدك فلك علو الرأي فقلت ومن أين لك اني أحسن الغناء فقال ياسبحان الله مولانا أشهر من ذلك أنت ابراهيم بن المهدي خليفتنا بالأمس الذي جعل المأمون لمن دله عليك مائة ألف درهم فلما قال ذلك عظم في عيني وثبتت مروءته عندي فتناولت العود وأصلحته وغنيت وقد مر بخاطري فراق أهلي وولدي

بهم

وعسى الذي أهدى ليوسف أهله ... واعزه في السجن وهو أسير

أن يستجيب لنا فيجمع شملنا ... والله رب العالمين قدير

بهم وفى الحديث استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فان كل ذى نعمة محسود وقال على رضى الله عنه وكرم وجهه سرك أسيرك فاذا تكلمت به صرت أسيره واعلم أن أمناء الأسرار أقل وجودا من أمناء الأموال وحفظ الأموال أيسر من كتمان الأسرار لأن احراز الأموال منيعة بالأبواب والاقفال واحراز الأسرار بارزة يذيعها لسان ناطق ويشيعها كلام سابق وحمل الأسرار أثقل من حمل الأموال فان الرجل يستقل بالحمل الثقيل فيحمله ويمشى به ولا يستطيع كتم السر وان الرجل يكون سره فى قلبه فيلحقه من القلق والكرب مالا يلحقه من حمل الأثقال فاذا أذاعه استراح قلبه وسكن خاطره وكأنما ألقى عن نفسه حملا ثقيلا وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه القلوب أوعية والشفاه أقفالها والألسن مفاتيحها فليحفظ كل انسان مفتاح سره * ومن عجائب الأمور أن الأموال كلما كثرت خزانها كان أوثق لها وأما الأسرار فانها كلما كثرت خزانها كان أضيع لها وكم من اظهار سر أراق دم صاحبه ومنعه من بلوغ مآربه ولو كتمه أمن من سطوته وقال أنوشروان من حصن سره فله بتحصينه خصلتان الظفر بحاجته والسلامة من السطوات وقيل كلما كثرت خزان الأسرار زادت ضياعا وقيل انفرد بسرك لا تودعه حازما فيزل ولا جاهلا فيخون وقال كعب بن سعد الغنوى

ولست بمبد للرجال سريرتى * ولا أنا عن أسرارهم بسؤل

وقال أبو مسلم صاحب الدولة

أدركت بالحزم والكتمان ماعجزت * عنه ملوك بنى مروان اذ جهدوا * مازلت أسعى عليهم فى ديارهم والقوم فى غفلة بالشام قد رقدوا * حتى ضربتهم بالسيف فانتبهوا * من نومة لم ينمها قبلهم أحد

ومن رعا غنما فى أرض مسبعة * ونام عنها تولى رعيها الأسد

وأسر رجل الى صديقه حديثا ثم قال له أفهمت قال بل جهلت ثم قال له أحفظت قال بل نسيت وقيل لبعضهم كيف كتمانك للسر قال أجحد المخبر وأحلف للمستخبر وقال المهلب أدنى أخلاق الشريف كتمان السر وأعلى أخلاقه نسيان ما أسر اليه ومن أحسن ماقيل فى كتمان السر قول الشاعر

ولها سرائر فى الضمير طويتها * نسى الضمير بأنها فى طيه

وقد أجازه الشيخ شمس الدين البدوى فقال

انى كتمت حديث ليلى لم أبح * يوما بظاهره ولا بخفيه * وحفظت عهود ودادها متمسكا فى حبها برشاده أو غيه * ولها سرائر فى الضمير طويتها * نسى الضمير بانها فى طيه

وقيل كتمان الأسرار يدل على جواهر الرجال وكما أنه لاخير فى آنية لا تمسك مافيها فكذلك لاخير فى انسان لايمسك سره قال الشاعر

ومستودعى سرا كتمت مكانه * عن الحس خوفا أن يتم به الحس

وخفت عليه من هوى النفس شهوة * فأودعته من حيث لايبلغ الحر

(وقال قيس بن الحطيم)

أجود بمكنون التلاد وانى * بسرى عمن سالنى لضنين

وان ضيع الأقوام سرى فاننى * كتوم لأسرار العشير أمين

فاستولى عليه الطرب المفرط وطاب عيشه كثيرا ومن شدة طربه وسروره قال لى ياسيدى أتأذن لى أن اغنى ماسنح بخاطرى وان كنت من غير أهل هذه الصناعة فقلت هذا زيادة فى أدبك ومروءتك فأخذ العود وغنى

شكونا الى أحبابنا طول ليلنا
فقالوا لنا ما أقصر الليل عندنا
وذاك لأن النوم يغشى عيونهم
سريعا ولا يغشى لنا النوم أعينا
اذا مادنا الليل المضر بذى الهوى
جزعنا وهم يستبشرون اذا دنا
ولو أنهم كانوا يلاقون مثل ما
نلاقى لكانوا فى المضاجع مثلنا

فوالله لقد أحسست بالبيت قد سار بى وذهب عنى كل ما كان بى من الهلع وسألته أن يغنى فغنى

تعيرنا انا قليل عديدنا
فقلت لها ان الكرام قليل
وماضرنا انا قليل وجارنا
عزيز وجار الأكثرين ذليل
وانا لقوم لانرى القتل سبة
اذا مارأته عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا لنا
وتكرهه آجالهم فتطول

فداخلنى من الطرب مالا مزيد عليه الى أن عاجلنى السكر فلم أستيقظ الا بعد المغرب فعاودنى فكرى فى نفاسة هذا الحجام وحسن أدبه وظرفه فقمت وغسلت وجهى وأيقظته وأخذت خريطة كانت صحبتى فيها دنانير لها قيمة فرميت بها اليه وقلت له استودعتك الله فانى ماض من عندك وأسألك أن تصرف مافى

(وقال جعفر بن عثمان)

يا ذا الذى أودعنى سره * لاترج أن تسمعه منى
لم أجره قط على فكرتى * كأنه لم يجر فى أذنى

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول ما أفشيت سرى الى أحد قط فأفشاه فلمته اذ كان صدرى به أضيق وقال الأحنف بن قيس يضيق صدر الرجل بسره فاذا حدث به أحداً قال اكتمه على قال الشاعر

اذا المرء أفشى سره بلسانه * ولام عليه غيره فهو أحمق
اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه * فصدر الذى يستودع السر أضيق

وقال آخر
اذا ما ضاق صدرك عن حديث * وأفشته الرجال فمن تلوم
وان عاتبت من أفشى حديثى * وسرى عنده فأنا الملوم

وقال صالح بن عبد القدوس لاتودع سرك الى طالبه فالطالب للسر مذيع ولاتودع مالك عند من يستدعيه فالطالب للوديعة خائن * وقيل لأعرابى ما بلغ من حفظك للسر قال أفرقه تحت شغاف قلبى ثم أجمعه وأنساه كأنى لم أسمعه وكان يقال أحزم الناس من لايفشى سره الى صديقه مخافة أن يقع بينهما شر فيفشيه عليه وقال حكيم قلوب الأحرار قبور الأسرار وقيل الطمأنينة الى كل أحد قبل الاختبار حمق وقال بعضهم

اذا ما غفرت الذنب يوما لصاحب * فلست معيدا ما حييت له ذكرا
ولست اذا ما صاحب خان عهده * وعندى له سر مذيعا له سرا

وأين هذا من قول القائل

ولاتودع الأسرار أذنى فانما * تصبن ماء فى اناء مثلم

أو القائل
ولا أكتم الاسرار لكن أذيعها * ولا أدع الاسرار تعلو على قلبى
وان قليل العقل من بات ليلة * تقلبه الاسرار جنبا الى جنب

وقال آخر
وانك كلما استودعت سرا * أنم من النسيم على الرياض

وقال اسحق بن ابراهيم الموصلى

أناس أمناهم فنموا حديثنا * فلما كتمنا السر عنهم تقولوا

(ولله در المتنبى حيث قال)

وللسر منى موضع لايناله * نديم ولا يفضى اليه شراب

وقد اقتصرنا من ذلك على هذا القدر اليسير وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

﴿ الباب التاسع والثلاثون فى الغدر والخيانة والسرقة والعداوة والبغضاء والحسد وفيه فصول ﴾

﴿ الفصل الأول فى الغدر والخيانة ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعجل الأشياء عقوبة البغى وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المكر والخديعة والخيانة فى النار وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه ثلاث من كن فيه كن عليه البغى والنكث والمكر قال الله تعالى انما بغيكم على أنفسكم وقال تعالى فمن نكث فانما ينكث على نفسه وقال تعالى ولايحيق المكر السيء إلا بأهله وكم أوقع الغدر فى المهالك من غادر وضاقت عليه من موارد الهلكات فسيحات المصادر وطوقه غدره طوق خزى فهو على فكه

هذه الخريطة فى بعض مهماتك ولك عندى المزيد ان أمنت من خوفى فأعادها على منكدا وقال ياسيدى ان الصعاليك منا لاقدر لهم عندكم أآخذ على ما وهبنيه الزمان من قربك وحلولك عندى ثمنا والله لئن راجعتنى فى ذلك لأقتلن نفسى فأعدت الخريطة الى كمى وقد أثقلنى حملها فلما انتهيت الى باب داره قال لى ياسيدى ان هذا المكان أخفى لك من غيره وليس فى مؤنتك على ثقل فأقم عندى الى أن يفرج الله عنك فرجعت وسألته أن ينفق من تلك الخريطة ولم يفعل فأقمت عنده أياما على تلك الحالة فى ألذ عيش فتذممت من الاقامة فى مؤنته واحتشمت من التثقيل عليه فتركته وقد مضى يجدد لنا حالا وقمت فتزييت بزى النساء بالخف والنقاب وخرجت فلما صرت فى الطريق داخلنى من الخوف أمر شديد وجئت لأعبر الجسر فاذا أنا بموضع مرشوش بماء فبصرنى جندى ممن كان يخدم منى فعرفنى فقال هذه حاجة المأمون فتعلق بى فمن حلاوة الروح دفعته هو وفرسه فرميتهما فى ذلك الزلق فصار عبرة وتبادر الناس اليه فاجتهدت فى المشى حتى قطعت الجسر ودخلت شارعا فوجدت باب دار وامرأة واقفة فى دهليز فقلت ياسيدة النساء أحقنى دمى فانى رجل خائف فقالت على الرحب وأطلعتنى الى غرفة مفروشة وقدمت لى طعاما وقالت ليهدأ روعك غير ما علم بك مخلوق واذا بالباب يدق دقا عنيفا فخرجت وفتحت الباب واذا بصاحبى الذى دفعته على الجسر وهو مشدوخ

غير قادر وأوقعه فى خطة خسف وورطة حتف فماله من قوة ولا ناصر ويشهد لصحة هذه الأسباب ما أحاطت به علوم ذوى الألباب من قصة ثعلبة بن حاطب الأنصارى وتلخيص معناها أن ثعلبة هذا كان من أنصار النبى ﷺ فجاءه يوما وقال يارسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا فقال له رسول الله ﷺ ويحك يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه ثم أتاه بعد ذلك مرة أخرى فقال يارسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا فقال رسول الله ﷺ يا ثعلبة أمالك فى رسول الله أسوة حسنة والذى نفسى بيده لو أردت أن تسير الجبال معى ذهبا وفضة لسارت ثم أتاه بعد ذلك مرة ثالثة فقال يارسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا والذى بعثك بالحق نبيا لئن رزقنى الله مالا لأعطين كل ذى حق حقه وعاهد الله تعالى على ذلك فقال رسول الله ﷺ اللهم ارزق ثعلبة ما قال فاتخذ ثعلبة غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها ونزل واديا من أوديتها وهى تنمو كما ينمو الدود وكان ثعلبة لكثرة ملازمته للمسجد يقال له حمامة المسجد فلما كثرت الغنم وتنحى صار يصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر ويصلى بقية الصلوات فى غنمه فكثرت ونمت حتى بعد عن المدينة فصار لا يشهد الا الجمعة ثم كثرت ونمت فتباعد أيضاً عن المدينة حتى صار لا يشهد جمعة ولا جماعة فكان إذا كان يوم الجمعة خرج يتلقى الناس ويسألهم عن الأخبار فذكره رسول الله ﷺ ذات يوم فقال مافعل ثعلبة قالوا يارسول الله اتخذ غنما ما يسعها واد فقال رسول الله ﷺ ياويح ثعلبة فأنزل الله تعالى آية الصدقة فبعث رسول الله ﷺ رجلين رجل من بنى سليم ورجل من جهينة وكتب لهما أنصاب الصدقة وكيف يأخذانها وقال لهما مرا بثعلبة بن حاطب وبرجل آخر من بنى سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله ﷺ فقال ماهذه الا جزية أو ماهذه الا أخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الى فانطلقا وسمع بها السلمى فنظر إلى خيار ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأياه قالا ماهذا قال خذاه فان نفسى به طيبة فمرا على الناس وأخذا الصدقات ثم رجعا إلى ثعلبة فقال أرونى كتابكما فقرأه ثم قال ماهذه الا جزية أو ماهذه الا أخت الجزية اذهبا حتى أرى رأيا قال فذهبا من عنده وأقبلا على رسول الله ﷺ فلما رآهما قال قبل أن يتكلما ياويح ثعلبة فأنزل الله تعالى ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب وكان عند رسول ﷺ رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال ويحك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبى ﷺ فسأله أن يقبل صدقته فقال ان الله تعالى منعنى أن أقبل منك صدقة فجعل ثعلبة يحثو التراب على رأسه ووجهه فقال رسول الله ﷺ هذا عملك قد أمرتك فلم تطعنى فلما أبى رسول الله ﷺ أن يقبل صدقته رجع إلى منزله وقبض رسول الله ﷺ ولم يقبل منه شيئا ثم أتى إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين استخلف فقال قد علمت منزلتى من رسول الله ﷺ وموضعى من الأنصار فاقبل صدقتى فقال أبو بكر رضى الله عنه لم يقبلها رسول الله ﷺ منك فلا أقبلها أنا فقبض أبو بكر رضى الله تعالى عنه ولم يقبلها فلما ولى عمر رضى الله عنه فقال يا أمير المؤمنين اقبل صدقتى فلم يقبلها منه وقال لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر رضى الله عنه فانا لا أقبلها وقبض عمر رضى الله عنه ولم يقبلها ثم ولى عثمان بن عفان رضى الله

الرأس ودمه يجرى على ثيابه وليس معه فرس فقالت ياهذا مادهاك فقال ظفرت بالمغنى وانفلت عنى فاخبرها بالحال فاخرجت خرقا وعصبته بها وفرشت له ونام عليلا وطلعت إلى وقالت أظنك صاحب القصة فقلت نعم قالت لا بأس عليك ثم جددت لى الكرامة وأقمت عندها ثلاثا ثم قالت انى خائفة عليك من هذا الرجل لئلا يطلع عليك فينم بك فانج بنفسك فسألتها المهلة الى الليل ففعلت فلما دخل الليل لبست زى النساء وخرجت من عندها فأتيت إلى بيت مولاة كانت لنا فلما رأتنى بكت وتوجعت وحمدت الله على سلامتى وخرجت كأنها تريد السوق للاهتمام بالضيافة فظننت خيرا فما شعرت الا بابراهيم الموصلى بنفسه فى خيله ورجله والمولاة معه حتى سلمتنى اليه فرأيت الموت عيانا وحملت بالزى الذى أنا فيه الى المأمون فجلس مجلسا عاما وأدخلنى اليه فلما مثلت بين يديه سلمت عليه بالخلافة فقال لا سلم الله عليك ولا حياك ولا رعاك فقلت له على رسلك يا أمير المؤمنين ان ولى الثار محكم فى القصاص والعفو أقرب للتقوى وقد جعلك الله فوق كل عفو كما جعل ذنبى فوق كل ذنب فان تأخذ فبحقك وان تعف فبفضلك ثم أنشدت

ذنبى إليك عظيم ... وأنت أعظم منه

فخذ بحقك أولا ... فاصفح بحلمك عنه

ان لم أكن فى فعالى ... من الكرام فكنه

فرفع إلى رأسه فبدرته وقلت

أتيت ذنبا عظيما وأنت للعفو أهل فان عفوت فمن وان جزيت فعدل فرق المأمون واستروحت روائح الرحمة من شمائله ثم أقبل على ابنه العباس وأخيه أبي اسحق وجميع من حضر من خاصته فقال ماترون في أمره فكل أشار بقتله الا أنهم اختلفوا في القتلة كيف تكون وقال المأمون لاحمد بن أبي خالد ماتقول يا أحمد فقال يا أمير المؤمنين ان قتلته وجدنا مثلك قتل مثله وان عفوت عنه لم نجد مثلك عفا عن مثله فنكس المأمون رأسه وجعل ينكت في الارض وأنشد متمثلا

قومي هم قتلوا أميم أخي
فاذا رميت يصيبني سهمي

فكشفت المقنعة عن رأسي وكبرت تكبيرة عظيمة وقلت عفا والله عني أمير المؤمنين فقال المأمون لا بأس عليك ياعم فقلت ذنبي ياأمير المؤمنين أعظم من أن أتفوه معه بعذر وعفوك أعظم من أن أنطق معه بشكر ولكن أقول

ان الذي خلق المكارم حازها
في صلب آدم للامام السابع
ملئت قلوب الناس منك مهابة
وتظل تكلؤهم بقلب خاشع
ما ان عصيتك والغواة تمدني
أسبابها الا بنية طائع
فعفوت عمن لم يكن عن مثله
عفو ولم يشفع اليك بشافع
ورحمت أطفالا كأفراخ القطا
وحنين والدة بلب جازع

فقال المأمون أينسى لا تثريب عليك اليوم قد عفوت عنك ورددت عليك مالك وضياعك فقلت

رددت مالي ولم تبخل علي به
وقبل ردك مالي قد حقنت دمي

عنه فسأله أن يقبل صدقته فقال له لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر رضي الله عنهما فأنا لا أقبلها ثم هلك ثعلبة في خلافة عثمان رضي الله عنه * فانظر الى سوء عاقبة غدره كيف أذاقه وبال أمره ووسمه بسمة عار قضت عليه بخسره وأعقبه نفاقا يخزيه يوم فاقته وفقره فاي خزي أرجح من ترك الوفاء بالميثاق وأي سوء أقبح من غدر يسوق الى النفاق وأي عار أفضح من نقض العهد إذا عدت مساوي الأخلاق وكان يقال لم يغدر غادر قط إلا لصغر همته عن الوفاء واتضاع قدره عن احتمال المكاره في جنب نيل المكارم قال الشاعر

غدرت بأمر كنت أنت جذبتنا * اليه وبئس الشيمة الغدر بالعهد

ولما حلف محمد الأمين للمأمون في بيت الله الحرام وهما وليا عهد طالبه جعفر بن يحيى أن يقول خذلني الله ان خذلته فقال ذلك ثلاث مرات فقال الفضل بن الربيع قال لي الأمين في ذلك الوقت عند خروجه من بيت الله ياأبا العباس أجد في نفسي أن أمري لا يتم فقلت له ولم ذلك أعز الله الأمير قال لاني كنت أحلف وأنا أنوي الغدر وكان كذلك لم يتم أمره (وورد) في أخبار العرب أن الضيزن بن معاوية بن قضاعة كان ملكا بين دجلة والفرات وكان له هناك قصر مشيد يعرف بالجوسق وبلغ ملكه الشام فأغار على مدينة سابور ذي الاكتاف فأخذها وأخذ أخت سابور وقتل منهم خلقا كثيرا ثم ان سابور جمع جيوشا وسار إلى الضيزن فأقام على الحصن أربع سنين لا يصل منه إلى شيء ثم ان النضيرة بنت الضيزن عركت أي حاضت فخرجت من الربض وكانت من أجمل أهل دهرها وكذلك كانوا يفعلون بنسائهم إذا حضن وكان سابور من أجمل أهل زمانه فرآها ورأته فعشقها وعشقته وأرسلت اليه تقول ماتجعل لي ان دللتك على ماتهدم به هذه المدينة وتقتل أبي فقال أحكمك فقالت عليك بحمامة مطوقة ورقاء فاكتب عليها بحيض جارية ثم أطلقها فانها تقعد على حائط المدينة فتتداعى المدينة كلها وكان ذلك طلسما لا يهدمها إلا هو ففعل ذلك فقالت له وأنا أسقي الحرس الخمر فاذا صرعوا فاقتلهم ففعل ذلك فتداعت المدينة وفتحها سابور عنوة وقتل الضيزن واحتمل ابنته النضيرة وأعرس بها فلما دخل بها لم تزل ليلتها تتضرر وتتململ في فراشها وهو من حرير محشو بريش النعام فالتمس ماكان يؤذيها فاذا هو ورقة آس التصقت بعكنتها وأثرت فيها وقيل كان ينظر إلى مخ عظمها من صفاء بشرتها ثم إن سابور بعد ذلك غدر بها وقتلها قيل انه أمر رجلا فركب فرسا جموحا وضفر غدائرها بذنبه ثم استركضه فقطعها قطعا قطعه الله ما أغدره * وتقول العرب جزاني جزاء سنمار وهو أن ازدجرد بن سابور لما خاف على ولده بهرام وكان قبله لا يعيش له ولد سأل عن منزل صحيح مريء فدل على ظهر الجزيرة فدفع ابنه بهرام إلى النعمان وهو عامله على أرض العرب وأمره أن يبني له جوسقا فامتثل أمره وبنى له جوسقا كأحسن مايكون وكان الذي بنى الجوسق رجلا يقال له سنمار فلما فرغ من بنائه عجبوا من حسنه فقال لو علمت أنكم توفوني أجرته لبنيته بناء يدور مع الشمس حيث دارت فقالوا وانك لتبني أحسن من هذا ولم تبنه ثم أمر به فطرح من أعلى الجوسق فتقطع فكانت العرب تقول جزاني جزاء سنمار * وممن غدر عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله غدر بعلي رضي الله عنه وقتله وعمرو بن جرموز غدر بالزبير بن العوام رضي الله عنه وقتله وأبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة لعنه الله غدر بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقتله * وجعل المنصور العهد الى عيسى بن موسى ثم غدر به وأخره وقدم المهدي عليه فقال عيسى

أيقتلني بنو العباس ذبي عنهم * بسيفي ونار الحرب زاد سعيرها * فتحت لهم شرق البلاد وغربها
فذل معاديها وعز نصيرها * أقطع أرحاما على عزيزة * وأبدي مكيدات لها وأثيرها
فلما وضعت الأمر في مستقره * ولاحت له شمس تلألأ نورها
دفعت عن الامر الذي أستحقه * وأوسق أوساقا من الغدر غيرها

وخرج قوم لصيد فطردوا ضبعة حتى ألجؤها الى خباء اعرابي فأجارها وجعل يطعمها ويسقيها فبينما هو نائم ذات يوم اذ وثبت عليه فبقرت بطنه وهربت فجاء ابن عمه يطلبه فوجده ملقى فتبعها حتى قتلها وأنشد يقول

ومن يصنع المعروف مع غير أهله * يلاقي كما لاقى مجير أم عامر * أعد لها لما استجارت ببيته
أحاليب ألبان اللقاح الدرائر * وأسمنها حتى اذا ما تمكنت * فرته بأنياب لها وأظافر
فقل لذوي المعروف هذا جزاء من * يجود بمعروف على غير شاكر

(وحكي) بعضهم قال دخلت البادية فاذا أنا بعجوز بين يديها شاة مقتولة والى جانبها جرو ذئب فقالت أتدري ما هذا فقلت لا قالت هذا جرو ذئب أخذناه صغيرا وأدخلناه بيتنا وربيناه فلما كبر فعل بشاتي ما ترى وأنشدت

بقرت شويهتي وفجعت قومي * وأنت لشاتنا ابن ربيب * غذيت بدرها ونشأت معها
فمن أنباك أن أباك ذيب * اذا كان الطباع طباع سوء * فلا أدب يفيد ولا أديب

اللهم انا نعوذ بك من البغي وأهله ومن الغادر وفعله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الفصل الثاني في السرقة والسراق) قيل مر عمرو بن عبيد بجماعة وقوف فقال ما هذا قيل السلطان يقطع سارقا فقال لا إله إلا الله سارق العلانية يقطع سارق السر وأمر الاسكندر بصلب سارق فقال أيها الملك اني فعلت ما فعلت وأنا كاره فقال وتصلب أيضا وأنت كاره * وسرق مدني قميصا فأعطاه لابنه يبيعه فسرق منه فجاء له فقال بكم بعته قال برأس المال وقال أكتل السلمي وكان لصا فاتكا

واني لأستحيي من الله أن أرى * أجرجر حبلي ليس فيه بعير
وان أسأل المرء الدنيء بعيره * واجمال ربي في البلاد كثير

(قال الفرزدق) وان أبا الكرشاء ليس بسارق * ولكن متى ما يسرق القوم يأكل

وكان لعمرو بن دويرة البجلي أخ قد كلف ببنت عم له فتسور عليها الدار ذات ليلة فأخذه أخوتها وأتوا به خالد بن عبد الله القسري وجعلوه سارقا فسأله خالد فصدقهم ليدفع الفضيحة عن الجارية فهم خالد بقطعه فقال عمرو أخوه

أخالد قد والله أوطئت عشوة * وما العاشق المظلوم فينا بسارق
أقر بما لم يأته المرء انه * رأى القطع خيرا من فضيحة عاشق

فعفا عنه خالد وزوجه الجارية

(الفصل الثالث فيما جاء في العداوة والبغضاء) قد ذكر الله عز وجل العداوة والبغضاء في كتابه العزيز فقال تعالى وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة وقال تعالى ان الشيطان للانسان

فلو بذلت دمي أبغي رضاك به   والمال حتى أرسل النعل من قدمي   ما كان ذاك سوى عارية رجعت   اليك لو لم تعرها كنت لم لم
فان جحدتك ما أوليت من كرم   انى الى اللؤم أولى منك بالكرم   فقال المأمون ان من الكلام درا وهذا منه وخلع عليه وقال ياعم ان أبا اسحق والعباس أشارا بقتلك فقلت انهما نصحاك يا أمير المؤمنين ولكن أتيت بما أنت أهله ودفعت ما خفت بما رجوت فقال المأمون ياعم أمت حقدي بحياة عذرك وقد عفوت عنك ولم أجرعك مرارة امتنان الشافعين ثم سجد المأمون طويلا ورفع رأسه وقال ياعم اتدري لم سجدت قلت شكرا لله تعالى الذي اظفرك بعدو دولتك فقال ما أردت هذا ولكن شكرا لله الذي ألهمني العفو عنك فحدثني الآن حديثك فشرحت له صورة أمري وما جرى لي مع الحجام والجندي والمرأة والمولاة التي نمت علي فأمر المأمون باحضارها وهي في دارها تنتظر الجائزة فقال لها ماحملك على ما فعلت مع سيدك فقالت الرغبة في المال فقال لها هل لك ولد أو زوج فقالت لا فأمر بضربها مائتي سوط وخلد سجنها ثم قال احضروا الجندي وامرأته والحجام فاحضروا فسأل الجندي عن السبب الذي حمله على ما فعل فقال الرغبة في المال فقال المأمون أنت يجب أن تكون حجاما ووكل به ما يلزمه الجلوس في دكان الحجام لتعلم الحجامة وأكرم زوجته وأدخلها الى القصر وقال هذه امرأة عاقلة تصلح للمهمات ثم قال للحجام

عدو مبين وقال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وقال تعالى ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال رسول الله ﷺ أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه العداوة تتوارث وقال زياد بن عبد الله

فلو أني بليت بهاشمي * خؤلته بنو عبد المدان
صبرت على عداوته ولكن * تعالوا فانظروا بمن ابتلاني

ونث رجل في وجه أبي عبيدة مكروها فانشأ يقول

فلو أن لحمي اذ وهى لعبت به * سباع كرام أو ضباع وأذؤب
لهون وجدي أو اسلى مصيبتي * ولكنما أودى بلحمي أكلب

وقيل لكسرى أي الناس أحب اليك أن يكون عاقلا قال عدوي قيل وكيف ذلك قال لانه اذا كان عاقلا كنت منه في عافية وأمن وقيل كونوا من المرء الدغل أخوف من الكاشح المعلن فان مداواة أهل العلل الظاهرة أهون من مداواة ماخفي و بطن وقالوا اياك أن تعادي من اذا شاء طرح ثيابه ودخل مع الملك في لحافه وقال أبو العتاهية

تنح عن القبيح ولا ترده * ومن أوليته حسنا فزده
ستلقى من عدوك كل كيد * اذا كاد العدو ولم تكده

وكانت جليلة بنت مرة أخت جساس تحت كليب فقتل أخوها زوجها وهي حبلى بهجرس ابن كليب فلما كبر وشب قال

أصاب أبي خالد وما أنا بالذي * أميل وأمري بين خالي ووالدي
وأورث جساس بن مرة غصة * اذا مااعترتني حرها غير بارد

ثم قال بعد ذلك يا للرجال لقلب ماله جلد * كيف العزاء وثاري عند جساس

ثم حمل على خاله فقتله وقال

ألم ترني ثأرت أبي كليبا * وقد يرجى المرشح للدخول
غسلت العار عن جسم ابن بكر * بجساس بن مرة ذي البتول

(بيت) سن العداوة آباء لنا سلفوا * فلن تبيد وللآباء أبناء

ويقال دار عدوك لأحد أمرين إما لصداقة تؤمنك أو لفرصة تمكنك وكتب سويد الى مصعب

فبلغ مصعبا عني رسولي * وهل تلقى النصيح بكل واد
تعلم أن أكثر من تناجي * وان ضحكوا اليك هم الأعادي

ويقال فلان كثير المراق من المذاق وقال الحجاج لخارجي والله اني لابغضك قال أدخل الله الجنة أشدنا بغضا لصاحبه * ولما أراد نوشروان أن يقلد ابنه هرمز ولاية العهد استشار عظماء مملكته فذكروا عليه وقال بعضهم ان أمه تركية وقد علمت في أخلاقهم ماعلمت فقال ان الابناء ينسبون الى الآباء لا الى الامهات وكانت أم قباذ تركية وقد رأيتم من حسن سيرته مارأيتم فقيل هو قصير وذلك يذهب ببهاء الملك فقال ان قصره من رجليه ولا يكاد يرى الا جالسا أو راكبا فلا يستبين ذلك فيه فقيل هو بغيض في الناس فقال أوّاه هلك ابني هرمز فقد قيل اذا كان في الانسان خير واحد ولم يكن ذلك الخير المحبة في الناس فلا خير فيه واذا كان فيه عيب واحد ولم يكن ذلك العيب

لقد ظهر من مروءتك مايوجب المبالغة في اكرامك وسلم اليه دار الجندي بما فيها وخلع عليه وانعم عليه برزقه وزيادة ألف دينار في كل سنة ولم يزل في تلك النعمة الى أن مات (ومما يضارع ذلك)

أنه لما أفضت الخلافة الى بني العباس اختفت رجال بني أمية ومنهم ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك وكان ابراهيم رجلا عالما عاملا أديبا كاملا وهو في سن الشبيبة فاخذوا له أمانا من السفاح فقال له يوما حدثني عما مر بك في اختفائك قال كنت يا أمير المؤمنين مختفيا بالحيرة في منزل بشارع على الصحراء فبينما أنا على ظهر البيت اذ نظرت الى أعلام سود قد خرجت من الكوفة تريد الحيرة فتخيلت أنها تريدني فخرجت من الدار متنكرا حتى أتيت الكوفة ولا أعرف أحدا أختفي عنده فبقيت في حيرة فاذا أنا بباب كبير رحبته واسعة فدخلت فيها فاذا رجل وسيم حسن الهيئة على فرس فدخل الرحبة ومعه جماعة من غلمانه وأتباعه فقال من أنت وما حاجتك فقلت رجل خائف على دمه وقد استجار بمنزلك فأدخلني منزله ثم صيرني في حجرة تلي حرمه وكنت عنده في ذلك على ما أحبه من مطعم ومشرب وملبس لا يسألني عن شيء من حالي الا أنه يركب في كل يوم ركبة فقلت له يوما أراك تدمن الركوب ففيم ذلك فقال ابراهيم بن سليمان قتل أبي صبرا وقد بلغني أنه مختف فأنا أطلبه لادرك منه ثأري فكثر

البغض في الناس فلا عيب فيه

ولست براء عيب ذي الود كله * ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا
فعين الرضا عن كل عيب كليلة * كما أن عين السخط تبدي المساويا

وفي المعنى قيل وعين البغض تبرز كل عيب * وعين الحب لاتجد العيوبا

وعن أبي حيان قال قال لقمان نقلت الصخور وحملت الحديد فلم أر شيأ أثقل من الدين وأكلت الطيبات وعانقت الحسان فلم أر شيأ ألذ من العافية وأنا أقول لو نزحوا البحار وكنسوا القفار لوجدوها أهون من شماتة الأعداء خصوصا اذا كانوا مساهمين في نسب أو مجاورين في بلد اللهم انا نعوذ بك من تتابع الاثم وسوء الفهم وشماتة ابن العم وقيل لأيوب عليه السلام أي شيء كان عليك في بلائك أشد قال شماتة الأعداء وأنشد الجاحظ تقول العاذلات تسل عنها * وداو غليل قلبك بالسلو
وكيف ونظرة منها اختلاسا * ألذ من الشماتة بالعدو

وقال ابن أبي جهينة المهلبي كل المصائب قد تمر على الفتى * فتهون غير شماتة الأعداء

وقال الجاحظ مارأيت سنانا أنفذ من شماتة الأعداء وقيل لما قبض رسول الله ﷺ سمع بموته نساء من كندة وحضرموت فخضبن أيديهن وضربن بالدفوف فقال رجل منهم

أبلغ أبا بكر اذا ماجئته * ان البغايا من بني مرام * أظهرن في موت النبي شماتة
وخضبن أيديهن بالعلام * فاقطع هديت أكفهن بصارم * كالبرق أومض في متون غمام

فكتب أبو بكر الصديق رضي الله عنه الى المهاجر عامله فأخذهن وقطع أيديهن ويقال فلان يتربص بك الدوائر ويتمنى لك الغوائل ولا يؤمل صلاحا الا في فسادك ولا رفعة الا في سقوط حالك وقال حكيم لا تأمن عدوك وان كان ضعيفا فان القناة قد تقتل وان عدمت السنان قال الشاعر

فلا تأمن عدوك لو تراه * أقل اذا نظرت من القراد
فان الحرب ينشأ من جبان * وان النار تضرم من رماد

(بيت مفرد) فمن لم يكن منكم مسيئا فانه * يشد على كف المسيء فيجلب

وقال عبدالله بن سليمان بن وهب

كفاية الله خير من توقينا * وعادة الله في الماضين تكفينا * كاد الاعادي فلا والله ماتركوا
قولا وفعلا وتلقينا وتهجينا * ولم نزد نحن في سر وفي علن * على مقالتنا يا ربنا اكفينا
فكان ذاك ورد الله حاسدنا * بغيظه لم ينل تقديره فينا

(الفصل الرابع في الحسد) قال الله تعالى أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال رسول الله ﷺ استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وقال علي رضي الله عنه الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له وقيل الحسود غضبان على القدر ويقال ثلاثة لا يهنأ لصاحبها عيش الحقد والحسد وسوء الخلق وقيل بئس الشعار الحسد وقيل لبعضهم مابال فلان يبغضك قال لانه شقيقي في النسب وجاري في البلد وشريكي في الصناعة فذكر جميع دواعي الحسد وقال اعرابي الحسد داء منصف يفعل في الحاسد أكثر من فعله في المحسود وهو مأخوذ من الحديث قاتل الله الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله وقال الفقيه أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى يصل الى الحاسد خمس عقوبات قبل أن يصل حسده الى المحسود أولاها غم لا ينقطع الثانية

والله تعجبي وقلت القدر ساقني الى حتفي في منزل من يطلب دمي وكرهت الحياة فسألت الرجل عن اسمه واسم أبيه فاخبرني فعلمت أن الخبر صحيح وأنا الذي قتلت أباه فقلت له ياهذا قد وجب على حقك ومن حقك أن أدلك على خصمك وأقرب اليك الخطوة قال وماذاك قلت أنا ابراهيم ابن سليمان قاتل أبيك فخذ بثأرك فقال انى أحسبك رجلا قد مضه الاختفاء فاحببت الموت فقلت لا والله ولكن أقول لك الحق يوم كذا وكذا بسبب كذا وكذا فلما علم صدقي تغير لونه واحمرت عيناه وأطرق مليا ثم قال اما أنت فستلقى أبي عند حكم عدل فيأخذ بثاره وأما انا فغير مخفر ذمتي فاخرج عني فلست آمن عليك من نفسي واعطاني الف دينار فلم آخذها منه وانصرفت عنه فهذا اكرم رجل رأيته بعد أمير المؤمنين (ومن لطائف مانقلته من المستجاد) حدث أبو الحسن بن صالح البلخي بمصر قال أخبرني بعض عمال شيوخنا عن شيبة بن محمد الدمشقي قال كان في أيام سليمان ابن عبدالملك رجل يقال له خزيمة بن بشر من بني أسد مشهور بالمروءة والكرم والمواساة وكانت نعمته وافرة فلم يزل على تلك الحالة حتى احتاج الى اخوانه الذين كان يواسيهم ويتفضل عليهم فواسوه حينا ثم ملوه فلما لاح له تغيرهم أتى امرأته وكانت ابنة عمه فقال لها يابنت العم قد رأيت من اخواني تغيرا وقد عزمت على لزوم بيتي الى أن يأتيني الموت ثم أغلق بابه عليه وأقام يتقوت بما عنده حتى نفد وبقي حائرا في حاله فكان عكرمة

مصيبة لا يؤجر عليها الثالثة مذمة لا يحمد عليها الرابعة سخط الرب الخامسة يغلق عنه باب التوفيق ﴿ ومن ذلك ﴾ ماحكى أن رجلا من العرب دخل على المعتصم فقربه وأدناه وجعله نديمه وصار يدخل على حريمه من غير استئذان وكان له وزير حاسد فغار من البدوى وحسده وقال فى نفسه ان لم أحتل على هذا البدوى فى قتله أخذ بقلب أمير المؤمنين وأبعدنى منه فصار يتلطف بالبدوى حتى أتى به الى منزله فطبخ له طعاما وأكثر فيه من الثوم فلما أكل البدوى منه قال له احذر أن تقترب من أمير المؤمنين فيشم منك رائحة الثوم فيتأذى من ذلك فانه يكره رائحته ثم ذهب الوزير الى أمير المؤمنين فخلا به وقال يا أمير المؤمنين ان البدوى يقول عنك للناس ان أمير المؤمنين أبخر وهلكت من رائحة فمه فلما دخل البدوى على أمير المؤمنين جعل كمه على فمه مخافة أن يشم منه رائحة الثوم فلما رآه أمير المؤمنين وهو يستر فمه بكمه قال ان الذى قاله الوزير عن هذا البدوى صحيح فكتب أمير المؤمنين كتابا الى بعض عماله يقول له فيه إذا وصل إليك كتابى هذا فاضرب رقبة حامله ثم دعا بالبدوى ودفع اليه الكتاب وقال له امض به الى فلان وائتنى بالجواب فامتثل البدوى ما رسم به أمير المؤمنين وأخذ الكتاب وخرج به من عنده فبينما هو بالباب اذ لقيه الوزير فقال أين تريد قال أتوجه بكتاب أمير المؤمنين الى عامله فلان فقال الوزير فى نفسه ان هذا البدوى يحصل له من هذا التقليد مال جزيل فقال له يا بدوى ما تقول فيمن يريحك من هذا التعب الذى يلحقك فى سفرك ويعطيك ألفى دينار فقال أنت الكبير وأنت الحاكم ومهما رأيته من الرأى افعل قال اعطنى الكتاب فدفعه اليه فأعطاه الوزير ألفى دينار وسار بالكتاب الى المكان الذى هو قاصده فلما قرأ العامل الكتاب أمر بضرب رقبة الوزير فبعد أيام تذكر الخليفة فى أمر البدوى وسأل عن الوزير فاخبر بأن له أياما ما ظهر وان البدوى بالمدينة مقيم فتعجب من ذلك وأمر باحضار البدوى فحضر فسأله عن حاله فأخبره بالقصة التى اتفقت له مع الوزير من أولها الى آخرها فقال له أنت قلت عنى للناس انى أبخر فقال معاذ الله يا أمير المؤمنين أن أتحدث بما ليس لى به علم وانما كان ذلك مكرا منه وحسدا وأعلمه كيف دخل به الى بيته وأطعمه الثوم وما جرى له معه فقال أمير المؤمنين قاتل الله الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله ثم خلع على البدوى واتخذه وزيرا وراح الوزير بحسده وقال المغيرة شاعر آل المهلب

آل المهلب قوم ان مدحتهم * كانوا الأكارم آباء وأجدادا
ان العرانين تلقاها محسدة * ولا ترى للئام الناس حسادا

وقال عمر رضى الله عنه يكفيك من الحاسد أنه يغتم وقت سرورك وقال مالك بن دينار شهادة القراء مقبولة فى كل شىء الا شهادة بعضهم على بعض فانهم أشد تحاسدا من التيوس وعن أنس رضى الله تعالى عنه رفعه ان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال منصور الفقيه

منافسة الفتى فيما يزول * على نقصان همته دليل
ومختار القليل أقل منه * وكل فوائد الدنيا قليل

يقول الله عز وجل الحاسد عدو نعمتى متسخط لفعلى غير راض بقسمتى التى قسمت لعبادى قال الشاعر

أيا حاسدا لى على نعمتى * أتدرى على من أسأت الأدب

الفياض واليا على الجزيرة فبينما هو فى مجلسه وعنده جماعة من أهل البلد اذ جرى ذكر خزيمة بن بشر فقال عكرمة ما حاله فقالوا صار فى أسوأ الاحوال وقد أغلق بابه ولزم بيته فقال عكرمة الفياض وما سمى الفياض الا للافراط فى الكرم فما وجد خزيمة ابن بشر مواسيا ولا مكافئا فامسك عن ذلك فلما كان الليل عمد الى أربعة آلاف دينار فجعلها فى كيس واحد ثم أمر باسراج دابته وخرج سرا من أهله فركب ومعه غلام واحد يحمل المال ثم سار حتى وقف بباب خزيمة فاخذ الكيس من الغلام ثم ابعده عنه وتقدم الى الباب فطرقه بنفسه فخرج خزيمة فقال له أصلح بهذا شأنك فتناوله فرآه ثقيلا فوضعه وقبض على لجام الدابة وقال له من أنت جعلت فداك قال له ما جئت فى هذا الوقت وأنا أريد أن تعرفنى قال خزيمة فما أقبله أو تخبرنى من أنت قال أنا جابر عثرات الكرام قال زدنى قال لا ثم مضى ودخل خزيمة بالكيس الى امرأته فقال لها ابشرى فقد أتى الله بالفرج فلو كان فى هذا فلوس كانت كثيرة قومى فاسرجى قالت لا سبيل الى السراج فبات يلمس الكيس فيجد تحت يده خشونة الدنانير ورجع عكرمة الى منزله فوجد امرأته قد افتقدته وسألت عنه فاخبرت بركوبه منفردا فارتابت وشقت جيبها ولطمت خدها فلما رآها على تلك الحالة قال لها ما دهاك يا ابنة العم قالت سوء فعلك بابنة عمك أمير الجزيرة يخرج

بعد هدأة من الليل منفردا عن غلمانه فى سر من أهله الا إلى زوجة أوسرية فقال لقد علم الله ماخرجت لواحدة منهما
قالت لابد أن تعلمنى قال فاكتميه اذا قالت أفعل فأخبرها بالقصة على وجهها ثم قال أتحبين أن أحلف
لك قالت لا قد سكن قلبى ثم أصبح خزيمة صالح غرماءه وأصلح من حاله ثم تجهز يريد سليمان ابن عبد الملك بفلسطين فلما وقف ببابه دخل الحاجب فأخبره بمكانه وكان مشهورا لمروأته وكان الخليفة به عارفا فأذن له فلما دخل عليه وسلم بالخلافة قال ياخزيمة ماأبطأك عنا فقال سوء الحال ياأمير المؤمنين قال فامنعك من النهضة الينا قال ضعفى قال فمن أنهضك قال لم أشعر ياأمير المؤمنين بعد هدأة من الليل الا ورجل يطرق بابى وكان منه كيت وكيت وأخبره بقصته من أولها الى آخرها فقال هل عرفته قال لاوالله لأنه كان متنكرا وما سمعت منه الا جابر عثرات الكرام قال فتلهف سليمان بن عبد الملك على معرفته وقال لو عرفناه لأعناه على مروءته ثم قال على بقناة فأتى بها فعقد لخزيمة الولاية على الجزيرة وعلى عمل عكرمة الفياض وأجزل عطاياه وأمره بالتوجه الى الجزيرة فخرج خزيمة متوجها اليها فلما قرب منها خرج عكرمة وأهل البلد للقائه فسلم عليه ثم سارا جميعا الى أن دخلا البلد فنزل خزيمة فى دار الامارة وأمر أن يؤخذ عكرمة وأن يحاسب فحوسب ففضل عليه مال كثير فطلبه خزيمة بالمال فقال مالى

أسأت على الله فى حكمه * لأنك لم ترض لى ماوهب
فأخزاك ربى بأن زادنى * وسد عليك وجوه الطلب

وقال الاصمعى رأيت اعرابيا قد بلغ عمره مائة وعشرين سنة فقلت له ماأطول عمرك فقال تركت الحسد فبقيت وقال لايخلو السيد من ودود يمدح وحسود يقدح وقال ابن مسعود رضى الله عنه ألا لاتعادوا نعم الله قيل ومن يعادى نعم الله قال الذين يحسدون الناس على ماآتاهم الله من فضله وقيل لعبدالله بن عروة لم لزمت البدو وتركت قومك فقال وهل بقى الا حاسد على نعمة أوشامت على نكبة وقال الشاعر

ياطالب العيش فى أمن وفى دعة * رغدا بلا قتر صفوا بلا رنق
خلص فؤادك من غل ومن حسد * فالغل فى القلب مثل الغل فى العنق

(وقال آخر)

اصبر على حسد الحسو * د فان صبرك قاتله
كالنار تأكل بعضها * ان لم تجد ماتأكله

وفى نوابغ الحكم الحسد حسك من تعلق به هلك ولبعضهم

انى حسدت فزادالله فى حسدى * لاعاش من عاش يوما غير محسود

(وقال نصر بن سيار)

انى نشأت وحسادى ذووا عدد * ياذا المعارج لاتنقص لهم عددا
ان يحسدونى على مابى لما بهم * فمثل مابى مما يجلب الحسدا

وكان عمر رضى الله عنه يقول نعوذ بالله من كل قدر وافق ارادة حاسد وقيل لارسطاطاليس مابال الحسود أشد غما قال لأنه أخذ بنصيبه من غموم الدنيا ويضاف الى ذلك غمه لسرور الناس والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب الأربعون فى الشجاعة وثمرتها والحروب وتدبيرها وفضل الجهاد وشدة البأس والتحريض على القتال وفيه فصلان ﴾

﴿ الفصل الأول فى فضل الجهاد فى سبيل الله وشدة البأس ﴾ قد أثنى الله تعالى على الصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ووصف المجاهدين فقال تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص وندب الى جهاد الاعداء ووعد عليه أفضل الجزاء والرأى فى الحرب امام الشجاعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة وقال صلى الله عليه وسلم مامن قطرة أحب الى الله تعالى من قطرة دم فى سبيله أو قطرة دمع فى جوف ليل من خشيته وسمع رجل عبدالله بن قيس رضى الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الجنة تحت ظلال السيوف فقال ياأباموسى أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله قال نعم فرجع الى أصحابه فقال أقرأ عليكم السلام ثم كسر جفن سيفه فألقاه ثم مشى بسيفه الى العدو فضرب به حتى قتل وكتب أبوبكر الصديق رضى الله عنه الى خالد بن الوليد اعلم ان عليك عيونا من الله ترعاك وتراك فاذا لقيت العدو فاحرص على الموت توهب لك السلامة ولاتغسل الشهداء من دمائهم فان دم الشهيد يكون له نورا يوم القيامة وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انتهينا الى خيبر الله أكبر خربت خيبر إنا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وعنه رفعه لغدوة فى سبيل الله أوروحة خير من الدنيا ومافيها وعن ابن مسعود رفعه ان أرواح الشهداء فى حواصل طيور

الى شيء منه سبيل فأمر بحبسه ثم بعث بطالبه فأرسل اليه انى لست ممن يصون ماله لعرضه فاصنع ماشئت فأمر به فكبل
بالحديد وضيق عليه وأقام على ذلك شهرا فاضناه ثقل الحديد وأضر به و بلغ ذلك ابنة عمه فجزعت

خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى الى تلك القناديل وقيل ان
أنس بن النضر عم أنس بن مالك رضى الله عنه لم يشهد بدرا فلم يزل متحسرا يقول أول مشهد شهده
رسول الله ﷺ غيبت عنه فلما كان يوم أحد قال واها لريح الجنة دون أحد فقاتل حتى قتل فوجد
فى بدنه بضع وثمانون ما بين ضربة وطعنة ورمية فقالت أخته الربيع بنت النضر فما عرفت أخى
الا ببنانه وعن فضالة بن عبيد رفعه كل ميت يختم على عمله الا المرابط فانه ينمى له عمله الى يوم القيامة
و يؤمن من فتنة القبر وعن سهل بن حنيف رفعه من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء
وان مات على فراشه فنسأل الله أن يرزقنا الشهادة و يجعلنا من الذين أحسنوا لهم الحسنى وزيادة

﴿ الفصل الثانى فى الشجاعة وثمرتها والحروب وتدبيرها ﴾ اعلم ان الشجاعة عماد الفضائل ومن
فقدها لم تكمل فيه فضيلة و يعبر عنها بالصبر وقوة النفس قال الحكماء وأصل الخير كله فى ثبات القلب
والشجاعة عند اللقاء على ثلاثة أوجه الوجه الأول اذا التقى الجمعان وتزاحف العسكران وتكالحت
الأحداق بالأحداق برز من الصف الى وسط المعترك يحمل و يكر و ينادى هل من مبارز والثانى
اذا نشب القوم واختلطوا ولم يدر أحد منهم من أين يأتيه الموت يكون رابط الجأش ساكن القلب حاضر
اللب لم يخالطه الدهش ولا تأخذه الحيرة فيتقلب تقلب المالك لأموره القائم على نفسه والثالث اذا
انهزم أصحابه يلزم الساقة و يضرب فى وجوه القوم و يحول بينهم و بين عدوهم و يقوى قلوب أصحابه
و يرجى الضعيف و يمدهم بالكلام الجميل و يشجع نفوسهم فمن وقع أقامه ومن وقف حمله ومن
كبا به فرسه حماه حتى ييأس العدو منهم وهذا أحمدهم شجاعة وعن هذا قالوا إن المقاتل من وراء
الفارين كالمستغفر من وراء الغافلين ومن أكرم الكرم الدفاع عن الحرم (وحكى) سيدى أبو بكر
الطرطوشى رحمة الله تعالى عليه فى كتابه سراج الملوك قال كان شيوخ الجند يحكون لنا فى بلادنا
قالوا دارت حرب بين المسلمين والكفار ثم افترقوا فوجدوا فى المعترك قطعة خودة قدر الثلث بما حوته
الرأس فقالوا انه لم ير قط ضربة أقوى منها ولم يسمع بمثلها فى جاهلية ولا اسلام فحملتها الروم وعلقتها
فى كنيسة لهم فكانوا اذا عيروا بانهزامهم يقولون لقينا أقواما هذا ضربهم فيرحل أبطال الروم اليها
ليروها قالوا ومن الحزم أن لا يحتقر الرجل عدوه وان كان ذليلا ولا يغفل عنه وان كان حقيرا فكم
برغوث أسهر فيلا ومنع الرقاد ملكا جليلا قال الشاعر

فلا تحقرن عدوا رماك * وان كان فى ساعديه قصر
فان السيوف تحز الرقاب * وتعجز عما تنال الابر

واعلموا أن الناس قد وضعوا فى تدبير الحروب كتبا ورتبوا فيها ترتيبا ولنصف منها أشياء نبدأ منها أولا
بما ذكره الله تعالى فى القرآن العظيم قال الله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون
به عدو الله وعدوكم فقوله تعالى ما استطعتم مشتمل على كل ما هو فى مقدور البشر من العدة والآلة والحيلة
وفسر النبى ﷺ القوة حين مر على أناس يرمون فقال ألا ان القوة الرمى ألا ان القوة الرمى ألا ان القوة
الرمى وأفضل العدة أن تقدم بين يدى اللقاء عملا صالحا من صدقة وصيام ورد المظالم وصلة الرحم ودعاء
مخلص وأمر بمعروف ونهى عن منكر وأمثال ذلك والشأن كل الشأن فى استجادة القواد وانتخاب الامراء
وأصحاب الالوية فقد قالت حكماء العجم أسد يقود ألف ثعلب خير من ثعلب يقود ألف أسد فلا ينبغى أن
يقدم الجيش الا الرجل ذو البسالة والنجدة والشجاعة والجراءة ثابت الجأش صارم القلب صادق البأس

عليه واغتمت ثم دعت مولاة لها ذات عقل وقالت امضى الساعة الى باب هذا الامير فقولى عندى نصيحة فاذا طلبت منك قولى لا أقولها الا للامير خزيمة فاذا دخلت عليه سليه الخلوة فاذا فعل قولى له ما كان هذا جزاء جابر عثرات الكرام منك فى مكافأتك له بالضيق والحبس والحديد قال ففعلت ذلك فلما سمع خزيمة قولها قال واسوأتاه جابر عثرات الكرام غريمى قالت نعم فأمر من وقته بدابته فأسرجت وركب الى وجوه أهل البلد فجمعهم وسار بهم الى باب الحبس ففتح ودخل فرأى عكرمة الفياض فى قاع الحبس متغيرا قد أضناه الضر فلما نظر عكرمة الى خزيمة والى الناس أحشمه ذلك فنكس رأسه فاقبل خزيمة حتى انكب على رأسه فقبله فرفع رأسه اليه وقال ما أعقب هذا منك قال كريم فعالك وسوء مكافأتى قال يغفر الله لنا ولك ثم أمر بفك قيوده وأن توضع فى رجليه فقال عكرمة تريد ماذا قال
أريد أن ينالنى من الضر مثل ما نالك فقال أقسم عليك بالله أن لا تفعل فخرجا
جميعا الى أن وصلا الى دار خزيمة فودعه عكرمة وأراد الانصراف فلم يمكنه من ذلك قال وما تريد قال أغير من حالك وحيائى

ممن

ممن قد توسط الحروب ومارس الرجال ومارسوه ونازل الأقران وقارع الأبطال عارفا بمواضع الفرس خبيرا بمواقع القلب والميمنة والميسرة من الحروب فانه اذا كان كذلك وصدر الكل عن رأيه كانوا جميعا كأنهم مثله فانه ان رأى لقراع الكتائب وجها والا رد الغنم الى الزريبة * واعلم أن الحرب خدعة عند جميع العقلاء وكان عظماء الترك يقولون ينبغي للعاقل العظيم القياد أن يكون فيه عدة أخلاق من البهائم شجاعة الديك وبحث الدجاجة وقلب الأسد وحملة الخنزير وروغان الثعلب وصبر الكلب على الجراح وحراسة الكركي وغارة الذئب وسمن نغير وهي دويبة تكون بخراسان تسمن على التعب والشقاء * وكان يقال أشد خلق الله تعالى عشرة الجبال والحديد ينحت الجبال والنار تأكل الحديد والماء يطفيء النار والسحاب يحمل الماء والريح تصرف السحاب والانسان يتقي الريح بجناحيه والسكر يصرع الانسان والنوم يذهب السكر والهم يمنع النوم فأشد خلق ربك الهم اللهم انا نعوذ بك من الهم والحزن * ومن الحيل في الحرب أن يبث جواسيسه في عسكر عدوه ليستعلم أخبارهم ويستميل قلوب رؤسائهم وذوي الشجاعة منهم فيدس اليهم ويعدهم وعدا جميلا ويقوي أطماعهم في نيل ما عنده من الهبات الفخيمة والولايات السنية وان رأى وجها عاجلهم بالهدايا وسامهم اما الغدر بصاحبهم واما الاعتزال وقت اللقاء ويكتب على السهام أخبارا مزورة ويرمي بها في جيوشهم واعلم أن الحيلة لا ترد القضاء والقدر وان الدول اذا زالت صارت حيلتها وبالا عليها واذا أذن الله تعالى في حلول البلاء كانت الآفة في الحيلة وقال الحكماء اذا نزل القضاء كان العطب في الحيلة ويغلب الضعيف باقبال دولته كما يغلب القوي ببقاء مدته فمن الحزم المألوف عند سواس الحروب أن تكون حماة الرجال وكماة الابطال في القلب فانه اذا انكسر الجناحان كانت العيون ناظرة الى القلب فاذا كانت رايته تخفق وطبوله تضرب كان حصنا للجناحين يأوي اليه كل منهزم واذا انكسر القلب تمزق الجناحان مثال ذلك أن الطائر اذا انكسر أحد جناحيه ترجى عودته ولو بعد حين واذا انكسر الرأس ذهب الجناحان وقل عسكر انكسر قلبه فأفلح أو تراجع اللهم الا أن تكون مكيدة من صاحب الجيش فيخلي القلب قصدا وتعمدا حتى اذا توسطه العدو واشتغل بنهبه انطبق عليه الجناحان فقد فعل ذلك رجل من أهل الحروب ويقال حبب الى عدوك الفرار بأن لا تتبعهم اذا انهزموا ويقال الشجاع محبب حتى الى عدوه والجبان مبغض حتى الى أمه * ولما أقبل كسرى بن هرمز الى محاربة بهرام قال له صاحبه أما تستعد قال عدتي ثبات قلبي واصابة رأيي ونصل سيفي ونصرة خالقي * وخرج يزيد ابن عبد الملك من بعض مقاصيره وعليه درع وذلك في أيام قتال يزيد بن المهلب فأنشده مسلمة قول الحطيئة

قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم * دون النساء ولو باتت باطهار

فقال يزيد انما ذاك اذا حاربنا أكفاءنا وأما مثل هذا ونظرائه فلا فقام اليه مسلمة فقبله بين عينيه وقيل لما مات ملك الفرس أرادوا أن يملكوا عليهم رجلا من آل ساسان فوفد عليهم بهرام جور فقال اعمدوا الى أسدين جائعين فاطرحوا بينهما التاج فمن أخذه فهو الملك ففعلوا فدنا منهما فأهويا نحوه فأخذ برأس أحدهما فأدناه من رأس الآخر ثم نطحه به فقتلهما جميعا وشد على التاج فأخذه ووضعه على رأسه وملكته الفرس عليهم (وقيل) لم يكن في العجم أرمى من الملك بهرام خرج يتصيد يوما وهو مردف حظية له كان يعشقها فعرضت له ظباء فقال في أي موضع تريدين أن أضع هذا

من ابنة عمك أشد من حيائي منك ثم أمر بالحمام فاخليت ودخلا جميعا ثم قام خزيمة فتولى خدمته بنفسه ثم خرج فخلع عليه وحمل اليه مالا كثيرا ثم سار معه الى داره واستأذنه في الاعتذار من ابنة عمه فاذن له فاعتذر (٢١٧) اليها وتذمم من ذلك ثم سأله أن يسير معه الى أمير المؤمنين وهو يومئذ مقيم بالرملة فأنعم له بذلك فسارا جميعا حتى قدما على سليمان ابن عبد الملك فدخل الحاجب فأخبره بقدوم خزيمة بن بشر فراعه ذلك وقال والي الجزيرة يقدم علينا بغير أمرنا مع قرب العهد به ما هذا الا لحادث عظيم فلما دخل عليه قال قبل أن يسلم ما وراءك ياخزيمة قال خير يا أمير المؤمنين قال فما أقدمك قال ظفرت بجابر عثرات الكرام فأحببت أن أسرك لما رأيت من شوقك الى رؤيته قال ومن هو قال عكرمة الفياض فاذن له في الدخول فدخل فسلم عليه بالخلافة فرحب به وأدناه من مجلسه وقال ياعكرمة كان خيرك له وبالا عليك ثم قال له اكتب حوائجك وما تختاره في رقعة فكتبها وقضيت على الفور ثم أمر له بعشرة آلاف دينار مع ما أضيف اليها من التحف والطرف ثم دعا بقناة وعقد له على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان وقال له أمر خزيمة اليك ان شئت أبقيته وان شئت عزلته قال بل أرده الى عمله يا أمير المؤمنين ثم انصرفا جميعا ولم يزالا عاملين لسليمان بن عبد الملك مدة خلافته ﴿ ويضارع ذلك من المستجاد أيضا ﴾ ما روى عن أبي موسى

محمد بن الفضل بن يعقوب كاتب عيسى بن جعفر قال حدثني أبي قال كنت أتردد الى زينب بنت سليمان بن علي بن
عبد الله بن عباس وأخدمها فتوجهت الى خدمتها يوما فقالت اقعد حتى أحدثك حديثا كان بالأمس
بكتب على الآماق كنت أمس عند الخيزران ومن عادتي أن أجلس بازائها وفي الصدر مجلس لمهدي يجلس فيه وهو يقصدنا في كل وقت فيجلس قليلا ثم ينهض فبينما نحن كذلك اذ دخلت علينا جارية من جواريها فقالت أعز الله السيدة بالباب امرأة ذات جمال وخلقة حسنة وليس وراء ماهي عليه من سوء الحال غاية تستأذن عليك وقد سألناها عن اسمها فامتنعت من أن تخبرني فالتفتت الى الخيزران وقالت ماتريدين فقلت أدخليها فانه لابد من فائدة أو ثواب فدخلت امرأة من أجمل النساء لاتتوارى بشيء فوقفت بجنب عضادة الباب ثم سلمت متضائلة ثم قالت أنا مزنة بنت مروان بن محمد الأموي فقالت الخيزران لاحياك الله ولا قربك فالحمد لله الذي أزال نعمتك وهتك سترك وأذلك أتذكرين ياعدوة الله حين أتاك عجائز أهل بيتي يسألنك أن تكلمي صاحبك في الاذن في دفن ابراهيم بن محمد فوثبت عليهن وأسمعتهن مالا سمعن قبل وأمرت فاخرجن على تلك الحالة فضحكت مزنة فما أنسى حسن ثغرها وعلو صوتها بالقهقهة ثم قالت يابنت العم أي شيء أعجبك من حسن صنيع الله بي

السهم فقالت أريد أن تشبه ذكرانها بالاناث وأناثها بالذكران فرمى ظبيا ذكرا بنشابة ذات شعبتين فاقتلع قرنيه ورمى ظبية بنشابتين أثبتهما في موضع القرنين ثم سألته أن يجمع بين ظلف الظبي وأذنه بنشابة فرمى أصل الأذن ببندقة ثم أهوى الظبي برجله إلى أذنه ليحتك فرماه بنشابة فوصل أذنه بظلفه * ويقال ان من أعظم المكايد في الحرب الكمين وذلك ان الفارس لايزال على حمية في الدفاع وحمى الذمار حتى يلتفت فيرى وراءه بندا منشورا ويسمع صوت الطبل فحينئذ يكون همه اخلاص نفسه وعليك بانتخاب الفرسان واختيار الابطال ولا تنس قول الشاعر

والناس ألف منهم كواحد * وواحد كالألف ان أمر عنى

بل قد جرب ذلك فوجد الواحد خيرا من عشرة آلاف وسأحكي لك من ذلك ماترى فيه العجب فمن ذلك لما التقى المستعين بن هود مع الطاغية بن روميل النصراني على مدينة وشقة من ثغور بلاد الاندلس وكان العسكران كالمتكافئين كل واحد منهما يقارب عشرين ألف مقاتل خيل ورجل فحدث من حضر الوقعة من الاجناد قال لما دنا اللقاء قال الطاغية بن روميل لمن يثق بعقله وممارسته للحروب من رجاله استعلم لي من في عسكر المسلمين من الشجعان الذين نعرفهم كما يعرفوننا ومن غاب منهم ومن حضر فذهب ثم رجع فقال فيهم فلان وفلان فعد سبعة رجال فقال له انظر من في عسكري من الرجال المعروفين بالشجاعة ومن غاب منهم فعدهم فوجدهم ثمانية رجال لايزيدون فقام الطاغية ضاحكا مسرورا وهو يقول ما أبيضك من يوم ثم ثارت الحرب بينهم فلم تزل المضاربة بين الفريقين لم يول أحدهم دبره ولا تزحزح عن مقامه حتى فني أكثر العسكرين ولم يفر واحد منهم قال فلما كان وقت العصر نظروا الينا ساعة ثم حملوا علينا جملة وداخلونا مداخلة ففرقوا بيننا وصرنا شطرين وحالوا بيننا وبين أصحابنا فكان ذلك سبب وهننا وضعفنا ولم تقم الحرب الا ساعة ونحن في خسارة معهم فأشار مقدم العسكر على السلطان أن ينجو بنفسه وانكسر عسكر المسلمين وتفرق جمعهم وملك العدو مدينة وشقة فليعتبر ذو الحزم والبصيرة من جمع يحتوي على أربعين ألف مقاتل ولم يحضره من الشجعان المعدودين الا خمسة عشر نفرا وليعتبر بضمان العلج بالظفر واستبشاره بالغنيمة لما زاد في أبطاله رجل واحد (وحكى) سيدي أبو بكر الطرطوشي رحمة الله تعالى عليه قال سمعت أستاذنا القاضي أبا الوليد يحيى قال بينما المنصور بن أبي عامر في بعض غزواته اذ وقف على نشز من الأرض مرتفع فرأى جيوش المسلمين من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله قد ملؤا السهل والجبل فالتفت الى مقدم العسكر وهو رجل يعرف بابن المضجعي فقال له كيف ترى هذا العسكر أيها الوزير قال أرى جمعا كثيرا وجيشا واسعا كبيرا فقال له المنصور ماترى هل يكون في هذا الجيش ألف مقاتل من أهل الشجاعة والنجدة والبسالة فسكت ابن المضجعي فقال له المنصور ماسكوتك أليس في هذا الجيش ألف مقاتل قال لا فتعجب المنصور ثم قال فهل فيهم خمسمائة مقاتل من الابطال المعدودين قال لا فحنق المنصور ثم قال أفيهم مائة رجل من الابطال قال لا قال أفيهم خمسون رجلا من الابطال قال لا قال فسبه المنصور وأغلظ عليه وأمر به فأخرج على أسوأ حال فلما توسطوا بلاد الروم اجتمعت الروم وتصاف الجمعان فبرز علج من الروم بين الصفين شاكي السلاح وجعل يكر ويفر ويقول هل من مبارز فبرز اليه رجل من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله العلج ففرح المشركون وصاحوا واضطرب المسلمون لها ثم جعل العلج يموج بين الصفين وينادي هل من مبارز اثنين لواحد فبرز اليه رجل من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله العلج وجعل يكر ويحمل وينادي ويقول هل من مبارز ثلاثة لواحد

فبرز

على العقوق حتى أردت أن تتأسى بى فيه والله انى فعلت بنسائك مافعلت فاسلمنى الله لك ذليلة جائعة عريانة وكان ذلك
مقدار شكرك لله تعالى على ماأولاك بى ثم قالت السلام عليكم ثم ولت مسرعة فصاحت بها الخيزران
فرجعت قالت زينب فنهضت اليها الخيزران لتعانقها فقالت ليس فى لذلك موضع مع الحال التى أنا عليها فقالت الخيزران لها فالحمام اذا وأمرت جماعة من جواريها بالدخول معها الى الحمام فدخلت وطلبت ماشطة ترمى ماعلى وجهها من الشعر فلما خرجت من الحمام وافتها الخلع والطيب فأخذت من الثياب ما أرادت ثم تطيبت ثم خرجت الينا فعانقتها الخيزران وأجلستها فى الموضع الذى يجلس فيه أمير المؤمنين المهدى ثم قالت لها الخيزران هل لك فى الطعام فقالت والله مافيكن أحوج منى اليه فعجلوه فأتى بالمائدة فجعلت تأكل غير محتشمة الى أن اكتفت ثم غسلنا أيدينا فقالت لها الخيزران من وراءك مما تعتنين به قالت ماخارج هذه الدار من بينى وبينه نسب فقالت إذا كان الأمر هكذا فقومى حتى تختارى لنفسك مقصورة من مقاصيرنا وتحولى لها جميع ماتحتاجين اليه ثم لا نفترق الى الموت فقامت
ودارت بها فى المقاصير فاختارت أوسعها وأنزهها ولم تبرح حتى حولت اليها جميع ماتحتاج اليه من الفرش والكسوة قالت
زينب ثم تركناها وخرجنا عنها فقالت الخيزران هذه المرأة قد كانت فيما كانت فيه وقد مسها الضر وليس يغسل ما فى قلبها الا المال

فبرز اليه رجل من المسلمين فقتله العلج فصاح المشركون وذل المسلمون وكادت أن تكون كسرة فقيل
للمنصور مالها إلا ابن المضجعى فبعث اليه فحضر فقال له المنصور ألاترى ماصنع هذا العلج الكلب
منذ اليوم فقال لقد رأيته فما الذى تريد قال أن تكفى المسلمين شره قال الآن يكفى المسلمون شره إن
شاء الله تعالى ثم قصد إلى رجال يعرفهم فاستقبله رجل من أهل الثغور على فرس قد تهرت أوراكها
هزالا وهو حامل قربة ماء بين يديه على الفرس والرجل فى حليته ونفسه غير متصنع فقال له ابن
المضجعى ألاترى مايصنع هذا العلج منذ اليوم قال قد رأيته فما الذى تريد قال أريد أن تكفى المسلمين
شره قال حبا وكرامة ثم انه وضع القربة بالأرض وبرز اليه غير مكترث به فتجاولا ساعة فلم ير الناس
إلا المسلم خارجا اليهم يركض ولا يدرون ماهناك واذا برأس العلج يلعب بها فى يده ثم ألقى الرأس
بين يدى المنصور فقال له ابن المضجعى عن هؤلاء الرجال أخبرتك قال فرد ابن المضجعى الى
منزلته وأكرمه ونصر الله جيوش المسلمين وعساكر الموحدين (حكى) أنه كان للعرب
فارس يقال له ابن فتحون وكان أشجع العرب والعجم فى زمانه وكان المستعين يكرمه
ويعظمه ويجرى له فى كل عطية خمسمائة دينار وكانت جيوش الكفار تهابه وتعرف منه
الشجاعة وتخشى لقاءه فيحكى أن الرومى كان إذا سقى فرسه ولم يشرب يقول له ويلك لم لا تشرب
هل رأيت ابن فتحون فى الماء فحسده نظراؤه على كثرة العطاء ومنزلته من السلطان فوشوا به
عند المستعين فأبعده ومنعه من عطائه ثم ان المستعين أنشأ غزوة الى بلاد الروم فتقابل المسلمون
والمشركون صفوفا ثم برز علج إلى وسط الميدان ونادى وقال هل من مبارز فبرز اليه فارس
من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله الرومى فصاح المشركون سرورا وانكسرت نفوس المسلمين
وجعل الكلب الرومى يجول بين الصفين وينادى هل من اثنين لواحد فخرج اليه فارس من
المسلمين فقتله الرومى فصاح الكفار سرورا وانكسرت نفوس المسلمين وجعل الكلب يجول بين
الصفين وينادى ويقول ثلاثة لواحد فلم يجترئ أحد من المسلمين أن يخرج اليه وبقى الناس فى
حيرة فقيل للسلطان ما لها الا أبو الوليد بن فتحون فدعاه وتلطف به وقال له يا أبا الوليد أما ترى مايصنع
هذا العلج فقال ها هو بعينى قال فما الحيلة فيه قال الساعة أكفى المسلمين شره فلبس قميص كتان
واستوى على سرج فرسه بلا سلاح وأخذ بيده سوطا طويلا وفى طرفه عقدة معقودة ثم برز اليه
فتعجب منه النصرانى ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه فلم تخطئ طعنة النصرانى سرج ابن فتحون
واذا ابن فتحون متعلق برقبة الفرس ونزل الى الأرض لا شىء منه فى السرج ثم انقلب فى سرجه
وحمل على العلج وضربه بالسوط فالتوى على عنقه فجذبه بيده من السرج فاقتلعه وجاء به يجره حتى
ألقاه بين يدى المستعين فعلم المستعين أنه كان قد أخطأ فى صنعه مع أبى الوليد بن فتحون فاعتذر اليه
وأكرمه وأحسن اليه وبالغ فى الانعام عليه ورده الى أحسن أحواله وكان من أعز الناس اليه * وينبغى
لقائد الجيش أن يخفى العلامة التى هو مشهور بها فان عدوه قد يستعلم حليته وألوان خيله ورايته ولا يلزم
خيمته ليلا ولا نهارا وليبدل زيه ويغير خيمته كى لا يلتمس عدوه غرة منه واذا سكن الحرب فلا يمشى
فى النفر اليسير من قومه خارج عسكره فان عيون عدوه متجسسة عليه وبهذا الوجه كسر المسلمون
جيوش افريقية عند فتحها وذلك أن الحرب سكنت وسط النهار فجعل مقدم العدو يمشى خارج عسكره
يتميز عساكر المسلمين فجاء الخبر الى عبد الله بن أبى السرح وهو نائم فى قبته فخرج فيمن وثق به من

فاحملوا اليها خمسمائة ألف درهم فحملت اليها وفى أثناء ذلك وافى المهدى فسأل عن الخبر فحدثته الخيزران حديثها وما لقيتها به فوثب مغضبا وقال للخيزران هذا مقدار شكر الله على أنعمه وقد أمكنك من هذه المرأة مع الحالة التى هي عليها فوالله لولا محلك بقلبى لحلفت أن لا أكلمك أبدا فقالت الخيزران يا أمير المؤمنين قد اعتذرت اليها ورضيت وفعلت معها كذا وكذا فلما علم المهدى ذلك قال لخادم كان معه احمل اليها مائة بدرة وادخل اليها وأبلغها منى السلام وقل لها والله ما سررت فى عمرى كسرورى اليوم وقد وجب على أمير المؤمنين اكرامك ولولا احتشامك لحضر اليك مسلما عليك وقاضيا لحقك فمضى الخادم بالمال والرسالة فأقبلت على الفور فسلمت على المهدى بالخلافة وشكرت صنعه وبالغت فى الثناء على الخيزران عنده وقالت ما على أمير المؤمنين حشمة انا فى عدد حرمه ثم قامت الى منزلها فخلفتها عند الخيزران وهى تتصرف فى المنازل والجوارى كتصرف الخيزران فأرخها عندك فانها من أحسن النوادر (وروى) عن عبد الرحمن بن عمر الفهرى عن رجال سماهم أمر المأمون أن يحمل اليه عشرة من أهل البصرة كانوا قد رموا بالزندقة فحملوا فرآهم أحد الطفيلية قد اجتمعوا بالساحل فقال ما اجتمع هؤلاء الا لوليمة فدخل معهم ومضى بهم الموكلون الى البحر وأطلعوهم فى زورق قد أعد لهم فقال الطفيلى لاشك أنها نزهة فصعد

رجاله وحمل على العدو فقتل الملك وكان الفتح * و بمثل هذا قهر ألب أرسلان ملك الترك ملك الروم وقمعه وقتل رجاله وأباد جمعه وكانت الروم قد جمعت جيوشا يقل أن يجمع لغيرهم من بعدهم مثلها وكان قد بلغ عددهم ستمائة ألف مقاتل كتائب متواصلة وعساكر مترادفة وكراديس يتلو بعضها بعضا لايدرك لهم الطرف ولا يحصيهم العدد وقد استعدوا من الكراع والسلاح والمجانيق والآلات المعدة للحروب وفتح الحصون بما لايحصى وكانوا اقتسموا بلاد المسلمين الشام والعراق ومصر وخراسان وديار بكر ولم يشكوا أن الدولة قد دارت لهم وأن نجوم السعود قد خدمتهم ثم استقبلوا بلاد المسلمين فتواترت أخبارهم الى بلاد المسلمين واضطربت لها ممالك أهل الاسلام فاحتشد للقائهم الملك ألب أرسلان وهو الذى يسمى الملك العادل وجمع جموعه بمدينة أصبهان واستعد بما قدر عليه ثم خرج يؤمهم فلم يزل العسكران يتدانيان الى أن عادت طلائع المسلمين إلى المسلمين وقالوا لالب أرسلان غدا يتراءى الجمعان فبات المسلمون ليلة الجمعة والروم فى عدد لا يحصيهم الا الله الذى خلقهم وما المسلمون فيهم إلا أكلة جائع فبقى المسلمون وجلين لما دهمهم فلما أصبحوا صباح يوم الجمعة نظر بعضهم الى بعض فهال المسلمين ما رأوا من كثرة العدو فأمر ألب أرسلان أن يعد المسلمون فبلغوا اثنى عشر ألفا فكانوا كالشامة البيضاء فى الثور الأسود فجمع ذوى الرأى من أهل الحرب والتدبير والشفقة على المسلمين والنظر فى العواقب واستشارهم فى استخلاص أصوب الرأى فتشاوروا برهة ثم اجتمع رأيهم على اللقاء فتوادع القوم وتحاللوا وناصحوا الاسلام وأهله وتأهبوا أهبة اللقاء وقالوا لالب أرسلان بسم الله نحمل عليهم فقال الألب أرسلان يامعشر أهل الاسلام أمهلوا فان هذا يوم الجمعة والمسلمون يخطبون على المنابر ويدعون لنا فى شرق البلاد وغربها فاذا زالت الشمس وعلمنا أن المسلمين قد صلوا ودعوا الله أن ينصر دينه حملنا عليهم إذ ذاك وكان ألب أرسلان قد عرف خيمة ملك الروم وعلامته وزيه وزينته وفرسه ثم قال لرجاله لا يتخلف أحد منكم أن يفعل كفعلى و يتبع أثرى و يضرب بسيفه و يرمى سهمه حيث أضرب بسيفى وأرمى بسهمى ثم حمل برجاله حملة رجل واحد الى خيمة ملك الروم فقتلوا من كان دونها ووصلوا الى الملك فقتلوا من كان دونه وجعلوا ينادون بلسان الروم قتل الملك قتل الملك فسمعت الروم أن ملكهم قد قتل فتبددوا وتمزقوا كل ممزق وعمل السيف فيهم أياما وأخذ المسلمون أموالهم وغنائمهم وأتوا بالملك أسيرا بين يدى ألب أرسلان والحبل فى عنقه فقال له ألب أرسلان ماذا كنت تصنع بى لو أسرتنى قال وهل تشك أنى كنت أقتلك فقال له ألب أرسلان أنت أقل فى عينى من أن أقتلك اذهبوا به فبيعوه لمن يزيد فيه فكان يقاد والحبل فى عنقه و ينادى عليه من يشترى ملك الروم ومازالوا كذلك يطوفون به على الخيام ومنازل المسلمين و ينادون عليه بالدراهم والفلوس فلم يدفع فيه أحد شيئا حتى باعوه من انسان بكلب فأخذه الذى ينادى عليه وأخذ الكلب وأتى بهما الى ألب أرسلان وقال قد طفت به جميع العسكر وناديت عليه فلم يبذل أحد فيه شيئا سوى رجل واحد دفع فيه هذا الكلب فقال قد أنصفك ان الكلب خير منه ثم أمر ألب أرسلان بعد ذلك باطلاقه وذهب الى القسطنطينية فعزلته الروم وكحلوه بالنار * فانظر ماذا يأتى على الملوك إذا عرفوا فى الحرب من الحيلة والمكيدة اللهم انصر جيوش المسلمين وعساكر الموحدين وأهلك الكفرة والمشركين وانصر المسلمين نصرا عزيزا برحمتك ياأرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين

الباب

﴿ الباب الحادي والأربعون فى ذكر أسماء الشجعان وذكر الأبطال وطبقاتهم وأخبارهم وذكر الجبناء وأخبارهم وذم الجبن ﴾

﴿ الطبقة الاولى الذين أدركوا الجاهلية والاسلام ﴾ حمزة بن عبدالمطلب رضى الله عنه عم رسول الله ﷺ أسد الله وأسد رسوله ﷺ قتل فى غزاة أحد رماه وحشي مولى جبير بن مطعم بحربة فقتله وكان فارس قريش غير مدافع وبطلها غير ممانع وعظم قتله على النبي ﷺ ونذر أن يقتل به سبعين رجلا من قريش وكبر عليه فى الصلاة سبعين تكبيرة * أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه آية من آيات الله ومعجزة من معجزات رسول الله ﷺ ومؤيد بالتأييد الالهى كاشف الكروب ومجليها ومثبت قواعد الاسلام ومرسيها وهو المتقدم على ذوى الشجاعة كلهم بلا مرية ولا خلاف روى عنه رضى الله عنه أنه قال والذى نفس ابن أبى طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون على من موتة على فراش وقال بعض العرب ما لقينا كتيبة فيها على بن أبى طالب رضى الله عنه الأوصى بعضنا على بعض وقال رضى الله عنه لمعاوية قد دعوت الناس الى الحرب فدع الناس جانباً واخرج إلى ليعلم أينا المران على قلبه والمغطى على بصره وأنا أبو الحسن قاتل جدك وخالك وأخيك شدخا يوم بدر وذلك السيف معى وبذلك القلب ألقى عدوى وقيل له كرم الله وجهه إذا جالت الخيل فأين نطلبك قال حيث تركتمونى وقيل له كيف كنت تقتل الابطال قال لانى كنت ألقى الرجل فاقدر أنى أقتله ويقدر هو أنى قتلته فأكون أنا ونفسه عونا عليه وقال مصعب بن الزبير كان على رضى الله عنه حذراً فى الحروب شديد الروغان لا يكاد أحد يتمكن منه وكانت درعه صدراً لاظهر لها فقيل له أما تخاف أن تؤتى من قبل ظهرك فقال إذا مكنت عدوى من ظهرى فلا أبقى الله عليه أن أبقى على قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادى لعنة الله تعالى عليه غدره وهو فى صلاة الصبح * وسبب ذلك أن عبد الرحمن بن ملجم لعنة الله عليه تزوج بقطام بنت علقمة وكانت خارجية فقالت له لاأقنع إلا بصداق اسميه وهو ثلاثة آلاف درهم وعبد وأمة وأن تقتل على بن أبى طالب فقال لها لك ماسألت إلا على بن أبى طالب وكيف لى به قالت تغتاله فان سلمت أرحت الناس من شره وأقمت مع أهلك وان أصبت دخلت الجنة فقال

ثلاثة آلاف وعبد وقينة * وضرب على بالحسام المخذم
فلامهر أغلى من على وان علا * ولافتك الادون فتك ابن ملجم

قيل انه طعنه وهو داخل المسجد فى الغلس وذلك فى تاسع عشر رمضان المعظم سنة أربعين كفن رضى الله عنه فى ثلاثة أثواب ودفن فى الرحبة مما يلى باب كندة من أبواب المسجد قالوا ولما ضربه ابن ملجم لعنه الله ثار الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضى الله عنهم فاحتضنوه وقام المغيرة بن نوفل ابن الحرث بن عبدالمطلب فأخذه وأومأ على رضى الله عنه إلى المغيرة ان صل بالناس فصلى بهم الفجر وأقبلت همدان فدخلوا على على فقالوا ياأمير المؤمنين لاتقوم لهم قائمة ان شاء الله تعالى فقال لا تفعلوا انما النفس بالنفس قال ثم ان الحسن رضى الله عنه صلى الفجر وصعد المنبر فأراد الكلام فخنقته العبرة ثم نطق فقال الحمد لله على ما أحببنا وكرهنا وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ وانى أحتسب عند الله عز وجل مصابى بأفضل الآباء رسول الله القائل ﷺ من أصيب بمصيبة فليتسل بمصيبته فى فانها أعظم المصائب والله الذى لا إله

معهم في الرزق فلم يكن بأسرع من أن قيدوا وقيد الطفيلي معهم فعلم انه وقع ورام الخلاص فلم يقدر وساروا بهم إلى أن دخلوا بغداد وحملوا حتى دخلوا على المأمون فلما مثلوا بين يديه أمر بضرب أعناقهم فاستدعوهم بأسمائهم حتى لم يبق الا الطفيلي وهو خارج عن العدة فقال لهم المأمون من هذا قالوا والله ماندرى ياأمير المؤمنين غير انا وجدناه مع القوم فجئنا به فقال له المأمون ما قصتك قال ياأمير المؤمنين امرأتي طالق ان كنت أعرف من أقوالهم شيئا ولا أعرف غير لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم انما رأيتهم مجتمعين فظننت أنهم يدعون الى وليمة فالتحقت بهم قال فضحك المأمون ثم قال بلغ من شؤم التطفل ان أحل صاحبه هذا المحل لقد سلم هذا الجاهل من الموت ولكن يؤدب حتى يتوب قال ابراهيم ابن المهدي هبه لى وأحدثك بحديث عن نفسي فى التطفل عجيب قال المأمون قد وهبته لك هات حديثك قال ياأمير المؤمنين خرجت يوما متنكراً للتنزه فانتهى بى المشى إلى موضع شممت منه روائح طعام وأبازير قد فاحت فتاقت نفسى إليها ووقفت ياأمير المؤمنين لا أقدر على المضى فرفعت بصرى واذا بشباك ومن خلفه كف ومعصم مارأيت أحسن منهما فوقفت حائراً ونسيت روائح الطعام بذلك الكف والمعصم وأخذت فى أعمال الحيلة فاذا خياط قريب من ذلك الموضع فتقدمت اليه وسلمت عليه فرد على السلام فقلت لمن هذه الدار قال

لرجل من النجار قلت ما اسمه قال فلان بن فلان فقلت أهو ممن يشرب الخمر قال نعم وأحسب اليوم أن عنده دعوة وليس
ينادم الا التجار فبينما نحن في الكلام (٢٢٢) اذ أقبل رجلان نبيلان راكبان فأعلمني أنهما أخص الناس بصحبته
وأعلمني باسميهما فحركت دابتي فلقيتهما وقلت جعلت فداكما قد استبطأكما أبو فلان وسايرتهما حتى أتيا الباب فدخلت ودخلا فلما رآني صاحب الدار معهما لم يشك اني منهما فرحب بي وأجلسني في أفضل المواضع ثم جيء بالمائدة فقلت في نفسي هذه الألوان قد من الله علي ببلوغ الغرض منها بقي الكف والمعصم ثم نقلنا إلى مجلس المنادمة فرأيت مجلسا محفوفا باللطائف وجعل صاحب المجلس يتلطف بي ويقبل علي في الحديث لظنه اني ضيف لأضيافه وهم على مثل ذلك حتى شربنا أقداحا اذ خرجت علينا جارية كأنها غصن بان في غاية الظرف وحسن الهيئة فسلمت غير خجلة واتي بعود فأخذته وجسته فاذا هي حاذقة واندفعت تقول

أليس عجيبا أن بيتا يضمني واياك لانخلو ولا نتكلم
سوى أعين تبدى سرائر أنفس وتقطيع أنفاس على النار تضرم
اشارة أفواه وغمز حواجب وتكسير أجفان وكف يسلم

فهيجت يا أمير المؤمنين بلابلي فطربت لحذقها صرع
وحسن شعرها الذي غنت به فحسدتها وقلت قد بقي عليك ياجارية شيء فرمت العود وقالت متى كنتم تحضرون البغضاء

الا هو الذي أنزل على عبده الفرقان لقد قبض في هذه الليلة رجل ماسبقه الاولون بعد رسول الله ﷺ ولايدركه الآخرون فعند الله نحتسب مادخل علينا وعلى جميع أمة محمد ﷺ فوالله لاأقول اليوم الا حقا لقد دخلت مصيبة اليوم على جميع العباد والبلاد والشجر والدواب ولقد قبض في الليلة التي رفع فيها عيسى بن مريم عليهما السلام الى السماء وقبض فيها موسى بن عمران ويوشع بن نون عليهما السلام وأنزل فيها القرآن على محمد ﷺ ولقد كان رسول الله ﷺ يبعثه في السرية ويسير جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فما يرجع حتى يفتح الله عز وجل على يديه وماترك صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم أراد أن يبتاع بها خادما لأهله ألا ان أمور الله تعالى تجري على أحوالها فما أحسنها من الله وأسوأها من أنفسكم ألا ان قريشا أعطت أزمتها شياطينها فقادتها بأعنتها الى النار فمنهم من قاتل رسول الله ﷺ حتى أظهره الله تعالى عليهم ومنهم من أسر الضغينة حتى وجد على النفاق أعوانا فرفع الكتاب وجف القلم وأمور تقضى في كتاب قد خلا ثم أطرق الحسن فبكى الناس بكاء شديدا ثم نزل فجرد سيفه ودعا بابن ملجم فأقبل يخطر واضعا شعره على أذنيه حتى قام بين يديه فقال ياحسن اني ماعاهدت الله تعالى على عهد قط الا وفيت به عاهدت الله تعالى على أن أقتل أباك وقد قتلته فان تخلني أقتل معاوية فان أنا قتلته أضع يدي على يدك وان أقتل فهو الذي تريد فقال الحسن رضي الله عنه أما والله لاسبيل الى بقائك ثم قام اليه فضربه بالسيف فاتقاه ابن ملجم بيده ثم أسرع السيف فيه فقتله * ومن الابطال خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي رضي الله عنه سيف الله وسيف رسوله ﷺ بطل مذكور وفارس مشهور في الجاهلية والاسلام قتل مالك بن نويرة وقتل مسيلمة الكذاب لعنه الله وكان الفتح لخالد يوم اليمامة وهو الذي فتح دمشق وأكثر بلاد الشام وله وقائع عظيمة في الروم أيد الله بها الاسلام مات على فراشه وكان يقول لقد شهدت كذا وكذا زحفا ومافي جسدي موضع شبر الا وفيه أثر من طعنة أوضربة أورمية وها أنا أموت على فراشي لانامت عين الجبان وكان ينشد ويرتجز ويقول

لاترعبونا بالسيوف المبرقه * ان السهام بالردى مفوقه
والحرب دونها العقال مطلقه * وخالد من دينه على ثقه

رضي الله عنه * الزبير بن العوام رضي الله عنه حواري رسول الله ﷺ وابن عمته بطل شجاع لايماري وشهم لايجاري قتله عمرو بن جرموز اغتيالا وهو في الصلاة * عمرو بن معد يكرب الزبيدي فارس من فرسان الجاهلية وله مواقف مذكورة ومواطن مشهورة وأسلم ثم ارتد ثم عاد إلى الاسلام وشهد حروب الفرس وكان له فيها أفعال عظيمة وأحوال جسيمة وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا رآه قال الحمد لله الذي خلقنا وخلق عمرا وروي عنه رضي الله عنه أنه سأله يوما فقال له ياعمرو أي السلاح أفضل في الحرب قال فعن أيها تسأل قال ماتقول في السهام قال منها مايخطىء ويصيب قال فما تقول في الرمح قال أخوك وربما خانك قال فما تقول في الترس قال هو الدائر وعليه تدور الدوائر قال فما تقول في السيف قال ذلك العدة عند الشدة وقيل انه نزل يوم القادسية على النهر فقال لأصحابه اني عابر على هذا الجسر فان أسرعتم مقدار جزر الجزور وجدتموني وسيفي بيدي أقاتل به تلقاء وجهي وقد عرقني القوم وأنا قائم بينهم وان أبطأتم وجدتموني قتيلا بينهم ثم انغمس فحمل على القوم فقال بعضهم لبعض يابني زبيد علام تدعون صاحبكم والله مانظن انكم تدركونه حيا فحملوا فانتهوا اليه وقد

صرع عن فرسه وقد أخذ برجل فرس رجل من العجم فأمسكها والفارس يضرب فرسه فلم تقدر أن تتحرك فلما رآنا أدركناه رمى الرجل نفسه وخلى فرسه فركبه عمرو وقال أنا أبو ثور كدتم والله تفقدونني فقالوا أين فرسك فقال رمى بنشابة فغار وشب فصرعني ويروى أنه حمل يوم القادسية على رستم وهو الذى كان قدمه يزدجرد ملك الفرس يوم القادسية على قتال المسلمين فاستقبله عمرو وكان رستم على فيل فضرب عمرو الفيل فقطع عرقوبه فسقط رستم وسقط الفيل عليه مع خرج كان فيه أربعون ألف دينار فقتل رستم وانهزمت العجم وقتل عمرو بنهاوند فى وقعة الفرس بعد أن عمر حتى ضعف وكان من الشعراء المعدودين وفيه يقول العباس بن مرداس

اذا مات عمرو قلت للخيل اوطئى * زبيدا فقد أودى بنجدتها عمرو

* طلحة الأسدى رضى الله عنه كان من أكبر الشجعان جاهلية واسلاما ثم ارتد وتنبأ وجمع جمعا عظيما ففل خالد بن الوليد جمعه وكان يتكهن ثم عاد الى الاسلام وشهد حرب القادسية وغيرها من الفتوح * المقداد بن الاسود رضى الله عنه كان من أشجع الفرسان شديد البأس قوى الجنان رابط الجاش وله فى الشجعان اسم مشهور ووصف مذكور يعجز الواصف عن وصف صفاته رضى الله عنه وأرضاه * سعد بن أبى وقاص الزهرى الانصارى رضى الله عنه كان فارسا بطلا راميا وهو أول من رمى فى سبيل الله بسهم ولما قتل عثمان بن عفان رضى الله عنه اعتزل ولم يشهد الحرب بعده ومات حتف أنفه * أبو دجانة الانصارى رضى الله عنه الذى خرج يتبختر بين الصفين فقال عليه الصلاة والسلام إنها لمشية يبغضها الله تعالى الا فى هذا الموضع * المثنى بن حارثة الشيبانى رضى الله عنه هو أول من فتح حرب الفرس * أبو عبيد بن مسعود الثقفى رضى الله عنه قاتل القوم يوم قس الناطف فى حرب القادسية * عمار بن ياسر رضى الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قال فيه رسول صلى الله عليه وسلم الحق يدور مع عمار حيث دار وأخبر أنه تقتله الفئة الباغية فقتل بصفين مع على رضى الله عنه * هاشم ابن عتبة رضى الله عنه من أكابر الشجعان صاحب راية على رضى الله عنه بصفين * مالك بن الحرث النخعى الاشتر رضى الله عنه مات مسموما فى شربة من عسل فقال معاوية ان لله جنودا منها العسل * القعقاع بن عمرو طاعن الفيل فى عشية القادسية رضى الله عنه

﴿ الطبقة الثانية ﴾ عبد الله بن الزبير بن العوام رضى الله عنه قاتل جرجير ملك أفريقة الذى كان يرى أنه أشجع أهل عصره قال عمر بن عبد العزيز لابن أبى مليكة صف لى عبد الله بن الزبير فقال والله ما رأيت جلدا قط ركب على لحم ولا لحما على عصب ولا عصبا على عظم مثل جلده ولحمه وعصبه ولا رأيت نفسا بين جنبين مثل نفس ركبت بين جنبيه ولقد قام يوما الى الصلاة فمر حجر من حجارة المنجنيق بين لحيته وصدره فوالله ما خشع له بصره ولا قطع له قراءته ولا ركع دون الركوع الذى كان يركع قتله الحجاج بعد أن حوصر بمكة وأسلمه أصحابه وعشيرته وصلبه الحجاج ألا الى الله تصير الامور * أبو هاشم محمد بن على بن أبى طالب ابن الحنفية رضى الله عنه كان أبوه يلقيه فى الوقائع ويتقى به العظائم وهو شديد البأس ثابت الجنان قيل له يوما ما بال أمير المؤمنين على كرم الله وجهه يقحمك الحروب دون الحسن والحسين رضى الله عنهما فقال لأنهما كانا عينيه وكنت أنا يديه فكان يتقى عينيه بيديه وقيل ان أباه عليا رضى الله عنه اشترى درعا فاستطالها فأراد أن يقطع منها فقال له محمد يا أبت علم موضع القطع فعلم على موضع منها فقبض محمد بيده اليمنى على ذيلها وبالأخرى

فى مجالسكم فندمت على ما كان منى ورأيت القوم قد أنكروا على ذلك فقلت فى نفسى فاتنى جميع ما أملت فقلت أثم عود قالوا نعم فاحضروا عودا فاصلحت ما أردت فيه ثم اندفعت فغنيت

هـذا محبك مطوى على كمده * صب مدامعه تجرى على جسده
له يد تسأل الرحمن راحته * مما به ويد أخرى على كبده
يامن رأى كلفا مستبعدا دنفا * كانت منيته فى عينه ويده

فوثبت الجارية فأكبت على رجلى تقبلها وقالت المعذرة اليك ياسيدى والله ما علمت بمكانك ولا سمعت بمثل هـذه الصناعة ثم أخذ القوم فى اكرامى وتبجيلى بعد ما طربوا غاية الطرب وسألنى كل منهم الغناء فغنيت لهم نوبات مطربة فغلب القوم السكر وغابت عقولهم فحملوا الى منازلهم وبقى صاحب المنزل فشرب معى أقداحا ثم قال ياسيدى ذهب ما مضى من عمرى مجانا اذ لم أعرف مثلك فبالله يامولاى من أنت لأعرف نديمى الذى من الله على به فى هذه الليلة فأخذت أدارى وهو يقسم على فاعلمته فوثب قائما وقال قد عجبت أن يكون هـذا الفضل الا لمثلك ولقد أسدى الى الزمان يدا لا أقوم بشكرها ومتى طمعت أن تزورنى الخلافة فى منزلى وتنادمنى ليلتى وما هـذا الا فى المنام فاقسمت عليه أن يجلس فجلس وأخذ يسألنى عن السبب فى حضورى عنده بالطف معنى فأخبرته بالقصة من أولها الى آخرها وما سترت منها شيئا ثم قلت أما الطعام فقد نلت منه بغيتى

فقال والكف والمعصم ان شاء الله ثم قال يافلانة قولى لفلانة تنزل ثم جعل يستدعى واحدة بعد واحدة يعرضها على وأنا
لاأرى صاحبتى الى أن قال والله مابقي إلاأمي وأختي ووالله لتنزلان فعجبت من كرمه وسعة صدره
فقلت جعلت فداءك تبدأ بالأخت قال حبا وكرامة ثم نزلت أخته فرأيت يدها فاذا هى التى رأيتها فقلت هذه الحاجة فأمر غلمانه لوقته فأحضروا الشهود وأحضروا بدرتين فلما حضر الشهود قال لهم هذا سيدى ابراهيم بن المهدى يخطب أختى فلانة وأشهدكم انى قد زوجتها له وأمهرتها منه عشرين ألف درهم فقلت قبلت ذلك ورضيت فشهدوا علينا فدفع البدرة الواحدة الى أخته والأخرى فرقها على الشهود ثم قال ياسيدى أمهد لك بعض البيوت فتنام مع أهلك فاحشمنى مارأيت من كرمه وتذممت أن أخلو بها فى داره ثم قلت بل أحضر عمارتى وأحملها الى منزلى فقال افعل ماشئت فأحضرت عمارتى وحملتها الى منزلى فوحقك ياأمير المؤمنين لقد حمل الى من الجهاز ماضاقت عنه بيوتنا على سعتها وأولدتها هذا الغلام القائم بين يدى أمير المؤمنين فعجب المأمون من كرم هذا الرجل وقال لله دره ماسمعت قط بمثلها وأمر ابراهيم باحضار الرجل ليشاهده فاحضره بين يديه فاستنطقه فأعجبه وصيره
من جملة خواصه ومحاضريه (ومن غريب المنقول) ان فتى من ذوى النعم قعد بزمانه وكانت له جارية حسناء محسنة فى الغناء

على موضع العلامة ثم جذبها فقطعها من الموضع الذى حده أبوه وكان عبدالله بن الزبير مع تقدمه فى الشجاعة يحسده على قوته واذا حدث بهذا الحديث غضب مات حتف أنفه بشعب رضوى * عبدالله بن حازم السلمى رضى الله عنه والى خرسان شجيع مضر وفارسها فى عصره قتله وكيع بن أبى سويد بخراسان فى الفتنة * وكيع بن أبى سويد قاتل عبدالله بن حازم المتقدم ذكره شجاع فاتك أهوج والى خراسان قيل لما قتل عبد الله بن حازم ولم يتم أمره لهوجه مات حتف أنفه * مصعب بن الزبير بن العوام شجاع بطل جواد جاد بماله و بنفسه قتله عبيدالله بن زياد فى الحروب التى كانت بينه و بين عبدالملك بن مروان * عمير بن الحباب السلمى فارس الاسلام قتله بنو تغلب فى الحرب التى كانت بينهم و بين قيس * مسلمة بن عبدالملك بن مروان فحل بنى أمية وفارسها ووالى حروبها قيل إنه جلس يوما ليقضي بين الناس بمصر فكلمته امرأة فلم يقبل عليها فقالت مارأيت أقل حياء من هذا قط فكشف عن ساقه فاذا فيها أثر تسع طعنات فقال لها هل ترين أثر هذا الطعن والله لو أخرت رجلى قيد شبر ما أصابتنى واحدة منهن ومامنعنى من تأخيرها الا الحياء وأنت تنحلينى قلته * المعتصم بطل شجاع فارس صنديد لم يكن فى بنى العباس أشجع منه ولا اشد قلبا قال ابن أبى داود كان المعتصم يقول لى ياأباعبد الله عض على ساعدى بأكثر قوتك فأقول والله ياأمير المؤمنين ماتطيب نفسى بذلك فيقول إنه لا يضرنى فأروم ذلك فاذا هو لا تعمل فيه الاسنة فكيف تعمل فيه الاسنان و يقال إنه طعنه بعض الخوارج وعليه درع فأقام المعتصم ظهره فقصم الرمح نصفين وكان يشد يده على كتابة الدينار فيمحوها ويأخذ عمود الحديد فيلويه حتى يصير طوقا فى العنق * ابراهيم بن الاشتر النخعى كان من الشجعان المعدودين حارب عبيد الله بن زياد وهو فى أربعة آلاف وعبيد الله فى سبعين ألفا فظفر به وقتله بيده وهزم جيشه * عبد الله بن الحر الجعفى شجاع شاعر فاتك له وقائع عظيمة هائلة وأخباره فى الشجاعة مشهورة * جحدر بن ربيعة العكلى كان بطلا شجاعا فاتكا مغيرا شاعرا قهر أهل اليمامة وأبادهم فبلغ ذلك الحجاج ابن يوسف فكتب الى عامله يوبخه بتغلب جحدر عليه و يأمره بالتجرد له حتى يقتله أو يحمله اليه أسيرا فوجه العامل اليه فتية من بنى حنظلة وجعل لهم جعلا عظيما ان هم قتلوا جحدرا أو أتوا به أسيرا فتوجه الفتية فى طلبه حتى إذا كانوا بالقرب منه أرسلوا يقولون له إنهم يريدون الانقطاع اليه والارتفاق به فوثق بذلك منهم وسكن الى قولهم فبينما هو معهم يوما اذ وثبوا عليه فشدوه وثاقا وقدموا به على العامل فوجه به الى الحجاج معهم فلما قدموا به عليه ومثل بين يديه قال له أنت جحدر قال نعم أصلح الله الامير قال ماجرأك على ما بلغنى عنك قال أصلح الله الأمير كلب الزمان وجفوة السلطان وجراءة الجنان قال وما بلغ من أمرك قال لو ابتلانى الأمير وجعلنى مع الفرسان لرأى منى مايعجبه قال فتعجب الحجاج من ثبات عقله ومنطقه ثم قال ياجحدر انى قاذف بك فى حاجر فيه أسد عظيم فان قتلك كفانا مؤنتك وان قتلته عفونا عنك قال أصلح الله الأمير قرب الفرج إن شاء الله تعالى فأمر به فصفدوه بالحديد ثم كتب الى عامله أن يرتاد له أسدا و يحمله اليه فتحيل العامل وارتاد له أسدا كان كاسرا خبيثا قد أفنى عامة المواشى فتحيلوا حتى أخذوه وصيروه فى تابوت وسحبوه على عجل فلما قدموا به على الحجاج أمر به فألقى فى الحاجر ولم يطعم شيئا ثلاثة أيام حتى جاع واستكلب ثم أمر بجحدر أن ينزلوه اليه فأعطوه سيفا وأنزلوه اليه مقيدا وأشرف الحجاج والناس حوله ينظرون الى الأسد ماهو صانع

بجحدر

أضاق بهما الخناق واشتد بهما الحال فى عدم ما يقتاتان به فقال لها قد ترين ما قد صرنا إليه من هذه الحالة السيئة ووالله
لولى وأنت منى أحسن وأهون على مما أذكره لك فان رأيت أن أبيعك لمن يحسن إليك و يغسل عنك

بجحدر فلما نظر الاسد الى جحدر نهض ووثب وتمطى وزعق زعقة دويت منها الجبال وارتاعت أهل الأرض فشد عليه جحدر وهو ينشد و يقول

ليث وليث فى مجال ضنك * كلاهما ذو قوة وسفك * وصولة و بطشة وفتك
ان يكشف الله قناع الشك * فأنت لى فى قبضتى وملكى

ثم دنا منه وضربه بسيفه ففلق هامته فكبر الناس وأعجب الحجاج ذلك وقال لله درك ما أنجبك ثم أمر به فاخرج من الحاجز وفك عنه قيوده وقال له اختر اما أن تقيم معنا فنكرمك و نقرب منزلتك واما أن نأذن لك فتلحق ببلادك وأهلك على أن تضمن لنا أن لا تحدث بها حدثا ولا تؤذى بها أحدا قال بل اختار صحبتك أيها الأمير فجعله من سماره وخواصه ثم لم يلبث أن ولاه على اليمامة وكان من أمره ما كان * المهلب بن أبى صفرة كان من الشجعان ومن الأبطال المعدودة وأولاده كلهم أنجاد أبطال الا أن المغيرة من بينهم كان أشد تمكنا وكان المهلب يقول ماشهد معى حربا الا رأيت البشرى فى وجهه وحمل عليه بعض الشجعان وفى يديه شجرة فلما رآها نكس رأسه على قربوس السرج وحمل من تحتها فبراها بسيفه وكان المهلب يقول أشجع الناس ثلاثة ابن الكلبية وأحمر قريش وراكب البغلة فابن الكلبية مصعب بن الزبير وأحمر قريش عمر بن عبيدالله بن معمر مالقى خيلا قط إلا فرقها وراكب البغلة عباد بن الحصين ما كان قط فى كربة الا فرجها وهو من فرسان الاسلام وكان للمهلب فى الحروب مكايد مشهورة ووقائعه أبادت الخوارج بعد أن كانوا قد استولوا على المسلمين وكان سيدا كريما مات حتف أنفه وكذلك ابنه المغيرة وفيه يقول زياد الأعجم

مات المغيرة بعد طول تعرض * للقتل بين أسنة وصفائح

وكان فى الخوارج فوارس مشهورة لاتثبت لهم الرجال وذكرهم يطول ويخرج عما أردناه * فمنهم أبو بلال مرداس خرج فى أربعين فهزم ألفين * وشبيب الخارجى الذى غرق فى الفرات نذرت امرأته غزالة أن تصلى فى جامع الكوفة ركعتين تقرأ فى الاولى البقرة وفى الثانية آل عمران فعبر بها جسر الفرات وأدخلها الجامع ووقف على بابه يحميها حتى وفت بنذرها والحجاج فى الكوفة فى خمسين ألفا * ومنهم قطرى بن الفجاءة كان رأس الخوارج وخاطبوه بأمير المؤمنين وعظموه و بجلوه وأشعار فى الشجاعة تدل على مكانه منها قتل فى بعض وقائع الخوارج

﴿ الطبقة الثالثة ﴾ معن بن زائدة الشيبانى قتله الخوارج بسجستان فى أيام المهدى * الوليد بن طريف الشيبانى قتله يزيد بن مزيد * عمرو بن حنيف كان من الفرسان المعدودة نقل عنه انه كان يتصيد فتتبع حمار وحش وما زال يركض الى أن حاذاه فجمع رجليه ووثب من على فرسه وصار على ظهر حمار الوحش وصار يحز عنقه بسيف أو سكين فى يده حتى قتله * أبو دلف القاسم بن عيسى العجلى فارس بطل شاعر نديم جامع لما تفرق فى غيره طعن فارسين رديفين فأنفذ الرمح من ظهريهما وحمل برمحه أربعة نفر وفيه يقول بكر بن النطاح

قالوا وينظم فارسين بطعنة * يوم اللقاء ولا يراه جليلا
لا تعجبوا لو كان مد قناته * ميلا إذا نظم الفوارس ميلا

وسأله يوما رجل شيئا فقال له أتسأل وجدك القائل

ما أنت فيه وأنفرد أنا بما لعله يصير الى من الثمن ولعلك تحصلين عند من تتوصلين الى نعمى معه فقالت والله لولى على تلك الحالة معك آثر عندى من انتقالى إلى غيرك ولو كان خليفة ولكن اصنع ما بدالك قال فخرج وعرضها للبيع فأشار عليه أحد أصدقائه ممن له رأى أن يحملها الى ابن معمر أمير العراق فحملها إليه فلما عرضت عليه استحسنها فقال لمولاها كم كان شراؤها عليك قال مائة ألف درهم وقد أنفقت عليها مالا كثيرا حتى صارت فى رتبة الاستاذين قال أما ما أنفقت عليها فغير محتسب لك به لأنك أنفقته فى لذاتك وأما ثمنها فقد أمرنا لك بمائة ألف درهم وعشرة أسفاط من الثياب وعشرة رؤس من الخيل وعشرة رؤس من الرقيق أرضيت قال نعم أرضى الله الأمير فأمر بالمال فأحضر وأمر قهرمانه بادخال الجارية الى الحرم فأمسكت بجانب الستر وبكت وقالت * هنيئا لك المال

الذى قد أفدته * ولم تبق فى كفى غير التفكر * أقول لنفسى وهى فى كربانها * أقلى فقد بان الحبيب أو اكثرى * إذا لم يكن للأمر عندك موضع * ولم تجدى بدأ من الصبر فاصبرى

ومن يفتقر منا يعش بحسامه * ومن يفتقر من سائر الناس يسأل

وانا لنلهو بالسيوف كما لهت * فتاة بعقد أو سخاب قرنفل

فخرج الرجل فجرد سيفه فلم يصادفه فى طريقه الاوكيل لأبى دلف ومعه مال جزيل فاستلبه منه وقتله فبلغ الخبر أبا دلف فقال دعوه فانى عاهمته على نفسى * بكر بن النطاح بطل شجاع فارس فاتك له أشعار مشهورة وأخبار مذكورة (ومما جاء فى مدح السيف) قال رسول الله ﷺ الخير فى السيف والخير مع السيف والخير بالسيف وكان صمصام عمرو أشهر سيوف العرب وممن تمثل به نهشل فقال

أخ ماجد ماخانى يوم مشهد * كما سيف عمرو لم تخنه مضاربه

ولما وهبه عمرو لخالد بن سعيد بن العاص عامل رسول الله ﷺ على اليمن قال

خليلى لم أخنه ولم يخنى * اذا ما صاب أوساط العظام * خليلى لم أهبه من قلاه

ولكن المواهب للكرام * حبوت به كريما من قريش * فسر به وصين عن اللئام

وودعت الصفى صفى نفسى * على الصمصام أضعاف السلام

ولم يزل فى آل سعيد حتى اشتراه خالد بن عبد الله القسرى بمال جزيل لهشام وكان قد كتب اليه فيه فلم يزل عند بنى مروان ثم طلبه السفاح والمنصور والمهدى فلم يجدوه فجد الهادى فى طلبه حتى ظفر به وكان مكتوبا عليه هذا البيت

ذكر على ذكر يصول بصارم * ذكر يمان فى يمين يمانى

وقال ابن الرومى لم أر شيئا حاضرا نفعه * للمرء كالدرهم والسيف

يقضى له الدرهم حاجاته * والسيف يحميه من الحيف

(وقال زيد بن على رضى الله عنهما)

السيف يعرف عزمى عند هزته * والرمح بى خبر والله لى وزر

انا لنأمل ما كانت أوائلنا * من قبل تأمله ان ساعد القدر

(وقال عبد الله بن طاهر)

يبيت ضجيعى السيف طورا وتارة * يعض بهامات الرجال مضاربه * أخو ثقة أرضاه فى الروع صاحبا وفوق رضاه اننى أنا صاحبه * وليس أخو العلياء الا فتى له * بها كلف ماتستقر ركائبه

وقدم عروة بن الزبير على عبد الملك بن مروان بعد قتل أخيه عبد الله فطلب منه سيف الزبير وقال له رده على فانه السيف الذى أعطاه رسول الله ﷺ له يوم حنين فقال له عبد الملك أوتعرفه قال نعم قال بماذا قال أعرفه بما لا تعرف به سيف أبيك أعرفه بقول الشاعر

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

(وقال الاجدع الهمدانى) لقد علمت نسوان همدان أننى * لهن غداة الروع غير خذول

وأبذل فى الهيجاء وجهى وانى * له فى سوى الهيجاء غير بذول

(وقال آخر) عشرون ألف فتى مامنهم أحد * الا كألف فتى مقدامة بطل

راحت مزاودهم مملوءة أملا * ففرغوها وأوكوها من الاجل

(ومن أخبار الشجعان ماحكاه الفضل بن يزيد) قال نزل علينا بنو ثعلب فى بعض السنين وكنت مشغوفا بأخبار العرب أن أسمعها وأجمعها فبينما أنا أدور فى بعض أحيائهم اذا أنا بامرأة واقفة

فى

فبكى مولاها وأجاب قائلا

ولولا قعود الدهر بى عنك لم يكن * يفرقنا شىء سوى الموت فاعذرى

أروح بهم من فراقك موجع * أناجى به قلبا قليل التصبر

عليك سلامى لا زيادة بيننا * ولا قرب الا أن يشاء ابن معمر

فقال له ابن معمر قد شئت فخذها بارك الله لك فيها وفيما وصل اليك منا فاخذها وأخذ المال والخيل والرقيق والثياب وعاد وقد حسنت حاله (ومما جنيته من ثمرات الاوراق) أن الحجاج لما ولى قتل عبد الله بن الزبير رحل إلى عبد الملك ابن مروان ومعه ابراهيم ابن محمد بن طلحة فلما قدم على عبد الملك سلم عليه بالخلافة وقال قدمت عليك يا أمير المؤمنين برجل الحجاز فى الشرف والابوة وكمال المروءة والأدب وحسن المذهب والطاعة والنصيحة مع القرابة وهو ابراهيم بن محمد ابن طلحة بن عبيد الله فافعل به يا أمير المؤمنين مايستحق أن يفعل بمثله فى أبوته وشرفه فقال عبد الملك يا أبا محمد أذكرتنا حقا واجبا ائذنوا لابراهيم فلما دخل وسلم بالخلافة أمره بالجلوس فى صدر المجلس وقال له عبد الملك ان أبا محمد ذكرنا مالم نزل نعرفه منك من الابوة والشرف فلا تدع حاجة فى خاصة أمرك وعامته الا سألتها فقال ابراهيم أما الحوائج التى نبتغى بها الزلفى ونرجو بها الثواب فما كان لله خالصا ولنبيه ﷺ ولكن لك يا أمير المؤمنين عندى نصيحة لا أجد بداً من ذكرى إياها قال أهى دون أبى محمد قال نعم

قال قم يا حجاج فنهض الحجاج خجلا لا يبصر أين يضع رجله ثم قال عبد الملك قل يا ابن طلحة فقال تالله يا أمير المؤمنين انك عمدت
إلى الحجاج فى ظلمه وتعديه على الحق وإصغائه الى الباطل فوليته الحرمين وفيهما من (٢٢٧) فيهما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأبناء المهاجرين والانصار
يسومهم الخسف ويطأهم
العسف بطغام أهل الشام
ومن لا رؤية له فى اقامة
الحق ولا ازاحة الباطل
قال فاطرق عبد الملك ساعة
ثم رفع رأسه وقال كذبت
يا ابن طلحة ظن فيك
الحجاج غير ما هو فيك قم
فربما ظن الخير بغير أهله
قال فقمت وأنا ما أبصر
طريقا قال وأتبعني حرسيا
وقال اشدد يدك به قال
ابراهيم فما زلت جالساً
حتى دعا الحجاج فما زالا
يتناجيان طويلا حتى ساء
ظني ولا أشك أنه فى أمرى
ثم دعا بى فلقيني الحجاج
فى الصحن خارجا فقبل
بين عيني وقال أحسن الله
جزاءك قال فقلت فى نفسي انه
يهزأ بى ودخلت على عبد الملك
فأجلسني مجلسي الاول ثم
قال يا ابن طلحة هل اطلع
على نصيحتك أحد فقلت
لا والله يا أمير المؤمنين ولا
أردت الا الله ورسوله
والمسلمين وأمير المؤمنين علم
ذلك فقال عبد الملك قد
عزلت الحجاج عن الحرمين
لما كرهتهما وأعلمته انك
استقللت ذلك عليه وسألتني
له ولاية كبيرة وقد وليته
العراقين وقررت له أن ذلك
سؤالك ليلزمه من حقك ما لا بد له من القيام به فاخرج معه غير ذام لصحبته (ومن لطائف المنقول) عن القاضي أبى الحسين بن عبد المحسن
ابن على التنوخي رحمه الله تعالى أن الاسكندر لما انتهى إلى الصين ونزل على ملكها أتاه حاجبه وقد مضى من الليل شطره فقال

في فناء خبائها وهي آخذة بيد غلام فلما رأيت مثله فى حسنه وجماله له ذؤابتان كالسبج المنظوم وهي تعاتبه بلسان رطب وكلام عذب تحن اليه الاسماع وترتاح له القلوب وأكثر ما أسمع منها أى بنى وهو يتبسم فى وجهها قد غلب عليه الحياء والخجل كأنه جارية بكر لا يرد جوابا فاستحسنت ما رأيت واستحليت ما سمعت فدنوت منه وسلمت فرد على السلام فوقفت أنظر اليها فقالت يا حضرى ما حاجتك فقلت الاستكثار مما أسمع والاستمتاع بما أرى من هذا الغلام فقالت يا حضرى ان شئت سقت اليك من خبره ما هو أحسن من منظره فقلت قد شئت يرحمك الله فقالت حملته والرزق عسر والعيش نكد حملا خفيفا حتى مضت له تسعة أشهر وشاء الله عز وجل ان أضعه فوضعته خلقا سويا فوربك ما هو الا أن صار ثالث أبويه حتى أفضل الله عز وجل وأعطى وأتى من الرزق بما كفى وأغنى ثم أرضعته حولين كاملين فلما استتم الرضاع نقلته من خرق المهد الى فراش أبيه فربى كأنه شبل أسد أقيه برد الشتاء وحر الهجير حتى اذا مضت له خمس سنين أسلمته إلى المؤدب فحفظه القرآن فتلاه وعلمه الشعر فرواه ورغب فى مفاخر قومه وآبائه وأجداده فلما أن بلغ الحلم واشتد عظمه وكمل خلقه حملته على عتاق الخيل فتفرس وتمرس ولبس السلاح ومشى بين بيوتات الحى الخيلاء فأخذ فى قرى الضيف وإطعام الطعام وأنا عليه وجلة أشفق عليه من العيون أن تصيبه فاتفق أن نزلنا منهلا من المناهل بين أحياء العرب فخرج فتيان الحى فى طلب ثارلهم وشاء الله تعالى ان أصابته وعكة شغلته عن الخروج حتى اذا أمعن القوم ولم يبق فى الحى غيره ونحن آمنون وادعون إلى أن أدبر الليل وأسفر الصباح حتى طلعت علينا غرر الجياد وطلائع العدو فما هو الا هنيهة حتى أحرزوا الاموال دون أهلها وهو يسألني عن الصوت وأنا أستر عنه الخبر اشفاقا عليه وضنا به إذا علت الأصوات وبرزت المخدرات رمى دثاره وثار كما يثور الاسد وأمر باسراج فرسه ولبس لامة حربه وأخذ رمحه بيده ولحق حماة القوم فطعن أدناهم منه فرمى به ولحق أبعدهم منه فقتله فانصرفت وجوه الفرسان فرأوه صبيا صغيرا لا مدد وراءه فحملوا عليه فأقبل يؤم البيوت ونحن ندعو الله عز وجل له بالسلامة حتى اذا مدهم وراءه وامتدوا فى أثره عطف عليهم ففرق شملهم وشتت جمعهم وقلل كثرتهم ومزقهم كل ممزق ومرق كما يمرق السهم وناداهم خلوا عن المال فوالله لا رجعت الا به أو لاهلكن دونه فانصرفت اليه الاقران وتمايلت نحوه الفرسان وتمزت له الفتيان وحملوا عليه وقد رفعوا اليه الاسنة وعطفوا عليه بالاعنة فوثب عليهم وهو يهدر كما يهدر الفحل من وراء الابل وجعل لا يحمل على ناحية الا حطمها ولا كتيبة الا مزقها حتى لم يبق من القوم الا من نجا به فرسه ثم ساق المال وأقبل به فكبر القوم عند رؤيته وفرح الناس بسلامته فوالله ما رأيناقط يوما كان أسمح صباحا وأحسن رواحا من ذلك اليوم ولقد سمعته يقول فى وجوه فتيان الحى هذه الأبيات

تأملن فعلى هل رأيتين مثله * اذا حشرجت نفس الجبان من الكرب
وضاقت عليه الأرض حتى كأنه * من الخوف مسلوب العزيمة والقلب * ألم أعط كلا حقه ونصيبه
من السمهري اللدن والمرهف العضب * أنا ابن أبى هند بن قيس بن مالك * سليل المعالى والمكارم والسيب
أبى لى أن أعطى الظلامة مرهف * وطرف قوى الظهر والجوف والجنب
وعزم صحيح لو ضربت بحده ا * جبال الرواسى لانحطظن إلى الترب
وعرض نقى اتقى أن أعيبه * وبيت شريف فى ذرى ثعلب الغلب * فان لم أقاتل دونكن واحتمي

لكن وأحميكن بالطعن والضرب * فلاصدق اللاتى مشين الى أبى * يهنينه بالفارس البطل الندب

(وقال الشاعر) آراؤهم ووجوههم وسيوفهم * فى الحادثات اذا دجون نجوم
منها معالم للهدى ومصابح * تجلو الدجى والأخريات رجوم

(وقال آخر) فوارس قوالون للخيل اقدمى * وليس على غير الرءوس مجال
بأيديهم سمر العوالى كأنما * تشب على أطرافهن ذبال

(وقال آخر) قوم اذا قتحموا العجاج رأيتهم * شمسا وخلت وجوههم أقمارا
لا يعدلون برفدهم عن سائل * عدل الزمان عليهم أوجارا
واذا الصريخ دعاهم لملمة * بذلوا النفوس وفارقوا الاعمارا

﴿ ذكر الجبن والجبناء وأخبارهم وماجاء عنهم ﴾ قد استعاذ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجبن فقال اللهم انى أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال نعوذ بالله مما استعاذ منه سيد الخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكفيك أن يقال فى وصف الجبان إن أحس بعصفور طار فؤاده وان طنت بعوضة طال سهاده يفزع من صرير الباب ويقلق من طنين الذباب ان نظرت اليه شزرا أغمى عليه شهرا يحسب خفوق الرياح قعقعة الرماح قال الشاعر

اذا صوت العصفور طار فؤاده * وليث حديد الناب عند الثرائد

وكان حسان بن ثابت رضى الله عنه من الجبناء روى عن ابن الزبير أنه قال كان حسان فى قاع أطم مع النساء يوم الخندق فأتاهم فى ذلك اليوم يهودى يطوف بالحصن فقالت صفية بنت عبد المطلب رضى الله عنها ياحسان ان هذا اليهودى كما ترى يطوف بالحصن وانى والله ما آمنه أن يدل على عوراتنا من وراءه من اليهود فانزل اليه فاقتله فقال يغفر الله لك يابنت عبد المطلب لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا قال فاعتجرت صفية ثم أخذت عمودا ونزلت من الحصن فضربته بالعمود حتى قتلته ورجعت الى الحصن فقالت يا حسان قم اليه فاسلبه فانه مامنعنى من سلبه الا أنه رجل فقال مالى بسلبه من حاجة (وقيل) كان لفتى من قريش جارية مليحة الوجه حسنة الأدب وكان يحبها حبا شديدا فأصابته اضاقة وفاقة فاحتاج الى ثمنها فحملها الى العراق وكان ذلك فى زمن الحجاج بن يوسف فابتاعها منه الحجاج فوقعت منه بمنزلة فقدم عليه فتى من ثقيف من أقاربه فأنزله قريبا منه وأحسن اليه فدخل على الحجاج والجارية تكبسه وكان الفتى جميلا فجعلت الجارية تسارقه النظر ففطن الحجاج بها فوهبها له فأخذها وانصرف فباتت معه ليلتها وهربت بغلس فأصبح لايدرى أين هى وبلغ الحجاج ذلك فأمر مناديا أن ينادى برئت الذمة ممن رأى وصيفة من صفتها كذا وكذا ولم يحضرها فلم يلبث أن أتى لها فقال لها الحجاج ياعدوة الله كنت عندى من أحب الناس إلى فاخترت لك ابن عمى شابا حسن الوجه ورأيتك تسارقينه النظر فعلمت أنك شغفت به فوهبتك له فهربت من ليلتك فقالت ياسيدى اسمع قصتى ثم اصنع بى ماشئت قال هاتى ولا تخفى شيئا قالت كنت للفتى القرشى فاحتاج الى ثمنى فحملنى الى الكوفة فلما قربنا منها دنا منى فوقع على فسمع زئير الأسد فوثب واخترط سيفه وحمل عليه وضربه فقتله وأتى برأسه ثم أقبل على ومابرد ماعنده ثم قضى حاجته وان ابن عمك هذا الذى اخترته لى لما أظلم الليل قام الى فلما علا بطنى وقعت فارة من السقف فضرط ثم غشى عليه فمكث زمانا طويلا

له رسول ملك الصين يستأذن عليك فقال ائذن له فلما دخل عليه وقف بين يديه وسلم وقال ان رأى الملك أن يخلى مجلسه فليفعل فأمر الاسكندر من يخدمه بالانصراف ولم يبق غير حاجبه فقال له الرسول الذى جئت به لا يحتمل أن يسمعه غيرك فأمر بتفتيشه ففتش فلم يوجد معه شىء من السلاح فوضع الاسكندر بين يديه سيفا مجردا وقال له قل ماشئت ثم أخرج جميع من عنده فلما خلا المكان قال له الرسول أنا ملك الصين لا رسوله وقد حضرت أسألك عما تريد فان كان مما يمكن الانقياد اليه ولو على أصعب الوجوه أجبت اليه وغنيت أنا وأنت عن الحرب فقال له الاسكندر وما الذى أمنك منى قال علمى بأنك رجل عاقل وليس بيننا عداوة متقدمة ولا مطالبة بذحل ومتى قتلتنى أقاموا غيرى ولم يسلموا اليك البلد ثم تنسب أنت الى غير الجميل وضد الحزم فأطرق الاسكندر متفكرا فى مقاله وعلم أنه رجل عاقل فقال له أريد ارتفاع ملكك لثلاث سنين عاجلا ونصف ارتفاعه فى كل سنة قال أجبتك قال فكيف تكون حالك قال أكون قتيلا أو محاربا قال فان قنعت منك بارتفاع سنتين كيف حالك قال أصلح مما تقدم ذكره قال فان قنعت منك بارتفاع سنة واحدة قال يكون وأنا مضراً بى ومذهبا لجميع لذاتى قال فان انتصرت منك على السدس قال يكون السدس موفرا والباقى لجيشى ولاسباب الملك

قال قد اقتصرت على هذا فشكره وانصرف فلما أصبح وطلعت الشمس أقبل جيش الصين حتى طبق الارض واختلط بجيش الاسكندر فارتعب وتواثبت أصحابه فركبوا واستعدوا للحرب فبينما هم كذلك إذ ظهر ملك الصين وعليه تاج فلما رأى الاسكندر ترجل فقال له الاسكندر أغدرت قال لا والله قال فما هذا الجيش قال أردت أن أعلمك انى لم أطعك من ضعف ولا من قلة وما غاب عنك من الجيش أكثر لكنى رأيت العالم الاكبر مقبلا عليك ممكنا لك فعلمت انه من حارب العالم الاكبر غلب فاردت طاعته بطاعتك والذلة لامره بالذلة لامرك فقال الاسكندر ليس مثلك يؤخذ منه شىء فما رأيت بينى وبينك أحدا يستحق التفضيل والوصف بالفضل غيرك وقد أعفيتك من جميع ما أردته منك وأنا منصرف عنك فقال ملك الصين أما إذ فعلت ذلك فلست تخسر فلما انصرف الاسكندر أتبعه ملك الصين من الهدايا والتحف بضعف ما كان قدره عليه ﴿ ومن غريب المنقول عن أبى الفرج الأصبهانى ﴾ أنه قال أخبرنى عمى عن أبيه عن الكلبى عن أبيه قال أخبرنى شيخ من بنى نبهان قال أصابت بنى نبهان سنة ذهبت بالاموال فخرج رجل منهم بعياله حتى أنزلهم الحيرة وقال كونوا قريبا من الملك يصبكم من خيره حتى أرجع اليكم ومضى على وجهه يسوق راحلته سبعة أيام حتى انتهى الى عطن ابل عند تطفيل الشمس فاذا خباء عظيم وقبة

وأنا أرش عليه الماء وهو لا يفيق فخفت أن يموت فتتهمنى به فهربت فزعا منك فما ملك الحجاج نفسه من شدة الضحك وقال ويحك اكتمى هذا ولا تعلمى به أحدا قالت على أن لا تردنى اليه قال لك ذلك (وحدث) جار لابى حنيفة النميرى قال كان لابى حنيفة سيف ليس بينه وبين العصا فرق وكان يسميه لعاب المنية فاشرفت عليه ذات ليلة وقد انتضاه وهو واقف على باب بيته وقد سمع حسا فى داره وهو يقول أيها المغتر بنا المجترىء علينا بئس والله ما اخترت لنفسك خير قليل وسيف صقيل وهو لعاب المنية الذى سمعت به أخرج بالعفو عنك قبل أن أدخل بالعقوبة عليك ثم فتح الباب على وجل فاذا كلب قد خرج فقال الحمد لله الذى مسخك كلبا وكفانا حربا * وخرج المعتصم يوما الى بعض متصيداته فظهر له أسد فقال لرجل من أصحابه أعجبه قوامه وسلاحه وتمام خلقه أفيك خير يا رجل قال لا فضحك المعتصم وقال قبح الله الجبان ورأى الاسكندر سميا له لا يزال ينهزم فقال له يا رجل إما أن تغير فعلك وإما أن تغير اسمك * ووقع فى بعض المساكر ضجة فوثب خراسانى الى دابته ليلجمها فصير اللجام فى الذنب من الدهش وقال يخاطب الفرس هب جبهتك عرضت فناصيتك كيف طالت (وخرج) أسلم بن زرعة الكلابى فى ألفين لمحاربة أبى بلال مرداس وكان مرداس فى أربعين رجلا فانهزم أسلم منه فلاموه على ذلك وذمه ابن أبى زياد فقال لان يذمنى ابن أبى زياد حيا أحب الى من أن يمدحنى ميتا وكان أسلم بعد ذلك إذا خرج الى السوق ومر بصبيان صاحوا به أبو بلال وراءك فكبر ذلك عليه فشكاهم الى ابن أبى زياد فأمر صاحب الشرطة أن يكفهم عنه وفى ذلك يقول بعضهم شعرا

يقول جبان القوم فى حال سكره * وقد شرب الصهباء هل من مبارز
وأين الخيول الاعوجيات فى الوغى * أنازل منهم كل ليث مناهز
فى السكر قيس وابن معدى وعامر * وفى الصحو تلقاه كبعض العجائز

هذا ما انتهى الينا من هذا الباب والحمد لله الكريم الوهاب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطاهرين والحمد لله رب العالمين

﴿ الباب الثانى والأربعون فى المدح والثناء وشكر النعمة والمكافأة وفيه فصول ﴾

﴿ الفصل الأول فى المدح والثناء ﴾ المدح وصف الممدوح بأخلاق يمدح عليها صاحبها يكون نعتا حميدا وهذا يصح من المولى فى حق عبده فقد قال الله تعالى فى حق نبيه أيوب عليه الصلاة والسلام انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب وقال تعالى لنبيه محمد ﷺ وانك لعلى خلق عظيم وقال تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون الى آخر الآية فعلى هذا يجوز مدح الانسان بما فيه من الاخلاق الحميدة وأما قوله ﷺ إذا رأيتم المادحين فاحثوا فى وجوههم التراب فقد قال العتبى هو المدح الباطل والكذب وأما مدح الرجل بما فيه فلا بأس به وقد مدح أبو طالب والعباس وحسان وكعب وغيرهم رسول الله ﷺ ولم يبلغنا انه حثا فى وجه مادح ترابا وقد مدح هو ﷺ المهاجرين والانصار رضى الله عنهم وفى حثو التراب معنيان أحدهما التغليظ فى الرد عليه والثانى كأنه يقال له يكفيك التراب وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه إذا مدح قال اللهم أنت أعلم بى من نفسى وأنا أعلم بنفسى منهم اللهم اجعلنى خيرا مما يحسبون واغفر لى ما لا يعلمون ولا تؤاخذنى بما يقولون ومدح سارية الديلى رسول الله ﷺ وهو سارية الذى

أمره عمر رضى الله عنه على السرية وناداه فى خطبته بقوله ياسارية الجبل فمن مدحه فى رسول الله ﷺ قوله

فما حملت من ناقة فوق ظهرها * أبر وأوفى ذمة من محمد

وهوأصدق بيت قالته العرب ومن أحسن مامدحه به حسان رضى الله عنه قوله

وأحسن منك لم ترقط عينى * وأجمل منك لم تلد النساء

خلقت مبرأ من كل عيب * كأنك قد خلقت كما تشاء

ومن أحسن مامدحه به عبدالله بن رواحة الانصارى رضى الله عنه قوله

لو لم تكن فيه آيات مبينة * كانت بديهته تنبيك بالخبر

(ولما) حججت وزرته ﷺ تطفلت على جنابه المعظم وامتدحته بابيات مطولة وأنشدتها بين يديه بالحجرة الشريفة تجاه الصندوق الشريف وأنا مكشوف الرأس وأبكى من جملتها

ياسيد السادات جئتك قاصداً * أرجو رضاك وأحتمى بحماكا * والله ياخير الخلائق ان لى
قلباً مشوقا لايروم سواكا * وبحق جاهك اننى بك مغرم * والله يعلم اننى أهواكا
أنت الذى لولاك ماخلق امرؤ * كلا ولا خلق الورى لولاكا * أنت الذى من نورك البدر اكتسى
والشمس مشرقة بنور بهاكا * أنت الذى لما رفعت الى السما * بك قد سمت وتزينت لسراكا
أنت الذى ناداك ربك مرحباً * ولقد دعاك لقربه وحباكا * أنت الذى فينا سألت شفاعة
ناداك ربك لم تكن لسواكا * أنت الذى لما توسل آدم * من ذنبه بك فاز وهو أباكا
وبك الخليل دعا فعادت ناره * بردا وقد خمدت بنور سناكا * ودعاك أيوب لضر مسه
فازيل عنه الضر حين دعاكا * وبك المسيح أتى بشيراً مخبراً * بصفات حسنك مادحا لعلاكا
وكذاك موسى لم يزل متوسلا * بك فى القيامة مرتج لنداكا * والانبياء وكل خلق فى الورى
والرسل والاملاك تحت لواكا * لك معجزات أعجزت كل الورى * وفضائل جلت فليس تحاكى
نطق الذراع بسمه لك معلناً * والضب قد لباك حين أتاكا * والذئب جاءك والغزالة قد أتت
بك تستجير وتحتمى بحماكا * وكذا الوحوش أتت اليك وسلمت * وشكا البعير اليك حين رآكا
ودعوت أشجاراً أتتك مطيعة * وسعت اليك مجيبة لنداكا * والماء فاض براحتيك وسبحت
صم الحصى بالفضل فى يمناكا * وعليك ظللت الغمامة فى الورى * والجذع حن الى كريم لقاكا
وكذاك لاأثر لمشيك فى الثرى * والصخر قد غاصت به قدماكا * وشفيت ذا العاهات من أمراضه
وملأت كل الارض من جدواكا * ورددت عين قتادة بعد العمى * وابن الحصين شفيته بشفاكا
وكذا حبيب وابن عفرا عندما * جرحا شفيتهما بلمس يداكا * وعلى من رمد به داويته
فى خيبر فشفى بطيب لماكا * وسألت ربك فى ابن جابر بعدما * قد مات أحياه وقد أرضاكا
ومسست شاة لام معبد بعدما * نشفت فدرت من شفا رقياكا * ودعوت عام المحل ربك معلناً
فانهل قطر السحب عند دعاكا * ودعوت كل الخلق فانقادوا الى * دعواك طوعا سامعين نداكا
وخفضت دين الكفر ياعلم الهدى * ورفعت دينك فاستقام هناكا * أعداك عادوا فى القليب بجهلهم
صرعى وقد حرموا الرضا بجفاكا * فى يوم بدر قد أتتك ملائك * من عند ربك قاتلت أعداكا
والفتح جاءك يوم فتحك مكة * والنصر فى الاحزاب قد وافاكا * هود ويونس من بهاك تجملا

من أدم قال فقلت فى نفسى مالهذا الخباء بد من أهل وما لهذه القبة بد من رب ومالهذا العطن بد من ابل فنظرت فى الخباء فاذا شيخ كبير قد أوهاه الكبر وهو شبه النسر فجلست خلفه فلما انصرم النهار أقبل فارس لم أر أعظم من شكله وفى خدمته أسودان يمشيان بين جنبيه واذا مائة من الابل معها فحلها فبرك الفحل و بركن حوله فقال لاحد عبيده احلب فلان فحلبها ثم وضع اللبن بين يدى الشيخ فكرع منه وأخذه وقدمه الى فشربت نصفه ثم أمر بشاة فذبحت وشويت وأكلنا منها جميعا فامهلت حتى اذا ناموا وحكم عليهم النوم سرت الى الفحل فحللت عقاله وركبته فاندفع بى وتبعته الابل فمشيت الى الصباح فلما أصبحت نظرت فلم أجد أحدا ولما تعالى النهار التفت فاذا أنا بخيال كأنه طائر فما زال يدنو حتى تبينته فاذا هو فارس على فرس واذا هو صاحبى بالامس فعلقت الفحل وعمدت الى كنانتى فقال احلل عقاله فقلت كلا لقد خلفت خلفى عيالا جياعا بالحيرة قال فانك ميت حل عقاله لا أم لك وانصب لى خطامه واجعل فيه خمس عقد وقل لى أين تحب أن أضع سهمى فقلت فى هذا الموضع فكأنما وضعه بيده ثم أقبل يرمى حتى أصاب الخمس بخمسة أسهم فرددت نبلى وحططت قوسى وجمال
ووقفت مستسلما فدنا منى وأخذ القوس والسيف ثم أردفنى خلفه وقدعرف أنى الذى شربت اللبن عنده وأكلت اللحم

فقال كيف ظنك بى فقلت أحسن ظن فقال أبشر أنه لن ينالك شر وقد كنت ضيف مهلهل فقلت أزيد الخيل انت قال نعم أنا زيد الخيل فلما انتهينا إلى منزله قال لو كانت هذه الابل لى لسلمتها اليك ولكنها لابنة مهلهل

وجمال يوسف من ضياء سناكا * قد فقت ياطه جميع الأنبيا * نورا فسبحان الذى سواكا
والله ياياسين مثلك لم يكن * فى العالمين وحق من نباكا * عن وصفك الشعراء يامدثر
عجزوا وكلوا عن صفات علاكا * انجيل عيسى قد أتى بك مخبرا * وأتى الكتاب لنا بمدح حلاكا
ماذا يقول المادحون وماعسى * أن يجمع الكتاب من معناكا * والله لو أن البحار مدادهم
والعشب أقلام جعلن لذاكا * لم تقدر الثقلان تجمع ذرة * أبدا وما استطاعوا له ادراكا
لى فيك قلب مغرم ياسيدى * وحشاشة محشوة بهواكا * فاذا سكت ففيك صمتى كله
واذا نطقت فمادح علياكا * واذا سمعت فعنك قولا طيبا * واذا نظرت فلا أرى إلاكا
يامالكى كن شافعى من فاقتى * انى فقير فى الورى لغناكا * ياأكرم الثقلين ياكنز الورى
جدلى بجودك وارضنى برضاكا * أنا طامع فى الجود منك ولم يكن * لابن الخطيب من الانام سواكا

فعساك تشفع فيه عند حسابه * فلقد غدا مستمسكا بعراكا
ولأنت أكرم شافع ومشفع * ومن التجا لحماك نال وفاكا
فاجعل قراى شفاعة لى فى غد * فعسى أرى فى الحشر تحت لواكا
صلى عليك الله ياخير الورى * ماحن مشتاق إلى مثواكا
وعلى صحابتك الكرام جميعهم * والتابعين وكل من والاكا

وماذا عسى أن يقول المادحون فى وصفه . مدحه الله تعالى وأثنى عليه وقد قال ﷺ أنا سيد ولد آدم ولا فخر والله لو أن البحار مداد والأشجار أقلام وجميع الخلائق كتاب لما استطاعوا أن يجمعوا النزر اليسير من بعض صفاته ولكلوا عن الاتيان ببعض بعض وصف معجزاته ﷺ * ومدح رجل هشام بن عبد الملك فقال له ياهذا انه قد نهى عن مدح الرجل فى وجهه فقال مامدحتك ولكن ذكرتك نعم الله عليك لتجدد لها شكرا فقال له هشام هذا أحسن من المدح ووصله وأكرمه وكتب رجل إلى عبد الله بن يحيى بن خاقان رأيت نفسى فيما أتعاطى من مدحك كالمخبر عن ضوء النهار الباهر والقمر الزاهر وأيقنت أنى حيث انتهى من القول منسوب إلى العجز مقصر عن الغاية فانصرفت عن الثناء عليك الى الدعاء لك ووكلت الأخبار عنك الى علم الناس بك * وقال الحرث بن ربيعة فى رجل من آل المهلب

فتى دهره شطران فيما ينوبه * ففى بأسه شطر وفى جوده شطر
فلا من بغاث الخير فى عينه قذى * ولا من زئير الحرب فى أذنه وقر

وقال اعرابى لرجل لايذم بلدا أنت تأويه ولا يشتكى زمان أنت فيه * وكان الحجاج يستثقل زياد بن عمرو العتكى فلما قدم على عبد الملك بن مروان قال ياأمير المؤمنين ان الحجاج سيفك الذى لاينبو وسهمك الذى لا يطيش وخادمك الذى لاتأخذه فيك لومة لائم فلم يكن بعد ذلك على قلب الحجاج أخف منه وقال رجل لآخر أنت بستان الدنيا فقال له وأنت النهر الذى يسقى منه ذلك البستان وقال رجل لأبى عمرو الزاهد صاحب كتاب الياقوتة فى اللغة أنت والله عين الدنيا فقال له وأنت والله نور تلك العين وقال القاسم بن أمية بن أبى الصلت الثقفى

قوم اذا نزل الغريب بدارهم * تركوه رب صواهل وقيان
واذا دعوتهم ليوم كريهة * سدوا شعاع الشمس بالفرسان

(وقال أوس بن حاتم الطائى)

فان تنكحى مارية الخير حاتما * فما مثله فينا ولا فى الأعاجم

فأقم عندى فأقمت عنده أياما فشن الغارة على بنى نمير فأصاب مائة بعير فقال هذه أحب اليك أم تلك قلت هذه قال دونكها وبعث معى خفراء من ماء إلى ماء إلى أن وردت الحيرة فلقينى نبطى فقال يااعرابى احتفظ بابلك فقد قرب مخرج النبى صلى الله عليه وسلم الذى يملك هذه الأرض ويطرد أهلها حتى ان أحدكم ليبتاع البستان بثمن بعير قال فاحتملت بأهلى إلى النبط حتى جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمنا على يديه وما مضت إلا أيام حتى اشتريت بثمن بعير من ابلى بستانا بالحيرة والله أعلم (ونقل عن الواقدى) قال كان لى صديقان أحدهما هاشمى والآخر نبطى فكنا فى الصداقة كنفس واحدة فنالتنى ضيقة شديدة وحضر العيد فقالت امرأتى اما نحن فنصبر على البؤس والشدة وأما صبياننا هؤلاء فقد تقطع قلبى عليهم رحمة لانهم يرون صبيان جيراننا وقد تزينوا فى عيدهم وهم فرحون ولا بأس بالاحتيال فيما نصرفه فى كسوتهم قال فكتبت الى صديقى الهاشمى أسأله التوسعة على بشىء فوجه الى كيسا فيه ألف درهم فما استقر قراره حتى كتب الى صديقى الآخر يشكو الى مثل ما شكوته الى الهاشمى فوجهت اليه

فتى لايزال الدهر أكبر همه * فكاك أسير أو معونة غارم

(وقال ابن حمدون في آل المهلب)

آل المهلب معشر أمجاد * ورثوا المكارم والوفاء فسادوا * شاد المهلب ما بنى آباؤه
وأتى بنوه ما بناه فشادوا * وكذاك من طابت مغارس نبته * وبنى له الآباء والاجداد

وكان الفرزدق هجاء لعمر بن هبيرة فلما سجن ونقب له السجن وسار هو وبنوه تحت الارض قال الفرزدق

ولما رأيت الأرض قد سد ظهرها * ولم يبق الا بطنها لك مخرجا
دعوت الذي ناداه يونس بعدما * ثوى في ثلاث مظلمات ففرجا

فقال ابن هبيرة ما رأيت أشرف من الفرزدق هجاني أميرا ومدحني أسيرا وقال سري بن عبد الرحمن الرفاء في خالد بن حاتم

يا واحد العرب الذي دانت له * قحطان قاطبة وساد نزارا
اني لأرجو إن لقيتك سالما * أن لا أعالج بعدك الأسفارا

(وقال كعب بن مالك الانصاري في آل هاشم)

يا آل هاشم الاله حباكم * ماليس يبلغه اللسان المفصل
قوم لأصلهم السيادة كلها * قدما وفرعهم النبي المرسل

(وقال الحسين بن دعبل الخزاعي)

ملك الامور بجوده وحسامه * شرفا يقود عدوه بزمامه
فأطاع أمر الجود في أمواله * وأطاع أمر الله في أحكامه

(وقال آخر) يلقى السيوف بصدره وبنحره * ويقيم هامته مقام المغفر
ويقول للطرف اصطبر لسنى القنا * فعقرت ركن المجد ان لم تعقر
واذا تراءى شخص ضيف مقبل * متسربل أثواب محل أغبر
أومى الى الكوماء هذا طارق * نحرتني الاعداء ان لم تنحر

(وقال شاعر بني تميم) اذا لبسوا عمائمهم طووها * على كرم وان سفروا أناروا
يبيع ويشتري لهم سواهم * ولكن بالطعان هم تجار
اذا ما كنت جار بني تميم * فأنت لأكرم الثقلين جار

وقالت امرأة من بني نمير وقد حضرتها الوفاة وأهلها مجتمعون من ذا الذي يقول

لعمري ما رماح بني نمير * بطائشة الصدور ولا قصار

قالوا زياد الاعجم قالت أشهدكم أن له الثلث من مالي وكان مالا كثيرا وأثنى رجل على رجل فقال هو أفصح أهل زمانه اذا حدث وأحسنهم استماعا إذا حدث وأمسكهم عن الملاحاة اذا خولف يعطي صديقه النافلة ولا يسأله الفريضة له نفس عن الفحشاء محصورة على المعالي مقصورة كالذهب الابريز الذي يعز كل أوان والشمس المنيرة التي لاتخفى بكل مكان هو النجم المضيء للحيران والمنهل البارد العذب للعطشان وقال الحسن بن هانيء

اذا نحن أثنينا عليك بصالح * فأنت كما نثني وفوق الذي نثني
وان جرت الالفاظ يوما بمدحة * لغيرك انسانا فأنت الذي نعني

(وله في الفضل بن الربيع)

لقد نزلت أبا العباس منزلة * ما ان ترى خلفها الابصار مطرحا

بالكيس على حاله وخرجت الى المسجد وأنا مستح من امرأتي فلما دخلت عليها لم تعنفني لعلمها بالحال فبينما أنا كذلك اذ أقبل صديقي الهاشمي ومعه الكيس بختمه فقال أصدقني عما فعلته فيما وجهت به اليك فأعلمته بالخبر فقال انك وجهت الى ولا أملك الا ما بعثت به اليك وكتبت الى صديقنا أسأله المواساة فوجه الى كيسي بختمه فأخرجنا للمرأة مائة درهم وتقاسمنا الباقي أثلاثا ونما الخبر الى المأمون فأحضرني وسألني عن الخبر فشرحته له فأمر لنا بسبعة آلاف دينار منها ألف للمرأة وألفان لكل واحد منا (ويضارع ذلك ماهو منقول عن الاصمعي) قال قصدت في بعض الايام رجلا كنت أغشاه لكرمه فوجدت على بابه بوابا فمنعني من الدخول اليه ثم قال والله يا أصمعي ما أوقفني على بابه لأمنع مثلك الا لرقة حاله وقصور يده فكتبت رقعة فيها اذا كان الكريم له حجاب * فما فضل الكريم على اللئيم ثم قلت له أوصل رقعتي اليه ففعل وعاد بالرقعة وقد وقع على ظهرها اذا كان الكريم قليل مال * تحجب بالحجاب عن الغريم * ومع الرقعة صرة فيها خمسمائة دينار فقلت والله لاتحفن المأمون بهذا الخبر فلما رآني قال من أين يا أصمعي قلت من عند رجل من أكرم الاحياء حاشى أمير المؤمنين

قال ومن هو فدفعت اليه الورقة والصرة وأعدت عليه الخبر فلما رأى الصرة قال هذا من بيت مالي ولا بد لي من الرجل

وكانت

وكلت بالدهر عينا غير غافلة * بجود كفك تأسو كل ما جرحا

(وقال زياد الأعجم في محمد بن القاسم الثقفي)

ان المنابر أصبحت مختالة * بمحمد بن القاسم بن محمد
قاد الجيوش لسبع عشرة حجة * ياقرب سورة سودد من مولد

(ومن بدائع مدائح المتنبي قوله)

ليت المدائح تستوفي مناقبه * فما كليب وأهل الأعصر الأول
خذ ماتراه ودع شيئا سمعت به * في طلعة البدر مايغنيك عن زحل
وقد وجدت مكان القول ذاسعة * فان وجدت لسانا قائلا فقل

ومدح أبو العتاهية عمرو بن العلاء فاعطاه سبعين ألفا وخلع عليه خلعا سنية حتى انه لم يستطع أن يقوم فغار الشعراء منه فجمعهم وقال يالله العجب ما أشد حسد بعضكم لبعض ان أحدكم يأتينا يمدحنا فيتغزل في قصيدته بخمسين بيتا فما يبلغنا حتى يذهب رونق شعره وقد تشبب أبو العتاهية بأبيات يسيرة ثم قال

اني أمنت من الزمان وصرفه * لما علقت من الامير حبالا
لو يستطيع الناس من اجلاله * جعلوا له حر الوجوه نعالا
ان المطايا تشتكيك لانها * قطعت اليك سباسبا ورمالا
فاذا وردن بنا وردن خفائفا * واذا صدرن بنا صدرن ثقالا

ووفد أبو نواس على الخصيب بمصر فاذن له وعنده الشعراء فانشد الشعراء أشعارهم فلما فرغوا قال أبو نواس أنشد أيها الامير قصيدة هي كعصا موسى تلقف ماصنعوا قال أنشد فانشده قصيدته التي منها قوله

اذا لم تزر أرض الخصيب ركابنا * فاي فتى بعد الخصيب نزور
فتى يشتري حسن الثناء بماله * و يعلم ان الدائرات تدور
فما فاته جود ولا حل دونه * ولكن يسير الجود حيث يسير

فاهتز الخصيب لها طربا وأمر له بألف دينار ووصيف ووصيفة (وحكي) ان أبا دلف سار يوما مع أخيه معقل فرأيا امرأتين يتماشيان فقالت احداهما للأخرى هذا أبو دلف قالت نعم الذي يقول فيه الشاعر

انما الدنيا أبو دلف * بين باديه ومحتضره
فاذا ولى أبو دلف * ولت الدنيا على أثره

فبكى أبو دلف حتى جرت دموعه فقال له معقل مالك ياأخي تبكي فقال لاني لم أقض حق الذي قال هذا قال أولم تعطه مائة ألف درهم قال والله مافي نفسي حسرة إلا لكوني لم أعطه مائة ألف دينار و يقال هذه المدحة فاين المنحة قال بعضهم * اذا ما المدح صار بلا نوال * من الممدوح كان هو الهجاء

وامتدح محمد بن سلطان المعروف بابن جيوش محمد بن نصر صاحب حلب فاجازه بألف دينار ثم مات محمد بن نصر وقام ولده نصر مقامه فقصده محمد بن سلطان بقصيدة مدحه بها منها

تباعدت عنكم حرمة لازهادة * وسرت اليكم حين مسني الضر
فجاء أبو نصر بالف تصرمت * واني عليم أن سيخلفها نصر

فلما فرغ من انشادها قال نصر والله لو قال سيضعفها نصر لأضعفتها له وأعطاه ألف دينار في طبق فضة ومدح بعض الشعراء وقيل هو البديع الهمداني انسانا فقال

يكاد يحكيه صوب الغيث منسكبا * لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا
والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت * والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا

(وقال آخر) أخو كرم يقضي الورى من بساطه * الى روض مجد بالسماح مجود

فقلت والله يا أمير المؤمنين اني أستحي أن أروعه برسلك فقال لبعض خاصته امض مع الأصمعي فاذا أراك الرجل قل له أجب أمير المؤمنين من غير ازعاج قال فلما حضر الرجل بين يدي المأمون قال له أما أنت الذي وقعت لنا بالأمس وشكوت رقة الحال فان الزمان قد أناخ عليك بكلكله فدفعنا اليك هذه الصرة لتصلح بها حالك فقصدك الأصمعي ببيت واحد فدفعتها اليه فقال نعم يا أمير المؤمنين والله ما كذبت فيما شكوت لأمير المؤمنين من رقة الحال لكني استحييت من الله تعالى أن أعيد قاصدي الا كما أعادني أمير المؤمنين فقال له المأمون لله أنت فما ولدت العرب أكرم منك ثم بالغ في اكرامه وجعله من جملة ندمائه ﴿ ومن لطائف المنقول ﴾ ما هو منقول عن الربيع انه قال ما رأيت رجلا أثبت ولا أربط جأشا من رجل رفع الى المنصور أن عنده ودائع وأموالا لبني أمية فأمرني باحضاره فاحضرته ودخلت به اليه فقال له المنصور قد رفع الينا خبر الودائع والاموال التي لبني أمية عندك فاخرج لنا منها فقال يا أمير المؤمنين أوارث أنت لبني أمية قال لا قال أفوصي قال لا قال فما سؤالك عما في يدي من ذلك قال فأطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه وقال ان بني أمية ظلموا المسلمين فيها وأنا وكيل المسلمين في حقهم فأريد أن آخذ أموال المسلمين وأجعلها في بيت مالهم فقال يا أمير المؤمنين تحتاج في ذلك الى اقامة

البينة العادلة على ان الذى فى يدى لبنى أمية مما خانوه وظلموه واغتصبوه من أموال المسلمين فان بنى أمية كان لهم
أموال غير أموال المسلمين قال فأطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه إلى وقال

وكم لجباه الراغبين لديه من * مجال سجود فى مجالس جود

ويقال فلان رفيق الجود ودخيله وزميل الكرم ونزيله وغرة الدهر وتحجيله مواهبه الانواء
وصدره الدهناء عونه موقوف على اللهيف وغوثه مبذول للضعيف يطفو جوده على موجوده
وهمته على قدرته ينابيع الجود تتفجر من أنامله وربيع السماح يضحك عن فواضله ان طلب
كريما فى جوده متقبل وجوده أو ماجدا فى أخلاقه متوثم تلافه باسل تعود الاقدام حيث
تزل الأقدام وشجاع يرى الاحجام عارا لاتمحوه الايام له خلق لومازج البحر لنفى ملوحته
وصفى كدورته خلق كنسيم الاسحار على صفحات الانهار وأطيب من زمن الورد فى الايام
وأبهج من نور البدر فى الظلام خلق يجمع الاهواء المتفرقة على محبته و يؤلف الآراء المتشتتة
فى مودته هو ملح الأرض اذا فسدت وعمارة الدنيا اذا خربت يحل دقائق الاشكال و يزيل
جلائل الاشكال البيان أصغر صفاته والبلاغة عنوان خطراته كأنما أوحى التوفيق الى صدره
وحبس الصواب بين طبعه وفكره فهو يبعث بالكلام و يقوده بألين زمام حتى كان الالفاظ
تتحاسد فى التسابق الى خواطره والمعانى تتغاير فى الامتثال لاوامره يوجز فلا يخل و يطنب
فلا يمل كلامه يشتد مرة حتى تقول الصخر أو أيبس و يلين تارة حتى تقول الماء أو أسلس
فهو اذا انشا وشى واذا عبر حبر واذ أوجز أعجز تاهت به الأيام وباهت فى يمينه الاقلام
له أدب لو تصور شخصا لكان بالقلوب مختصا قال الشاعر

له خلق على الأيام يصفو * كما تصفو على الزمن العقار

(وقال آخر) لوكان يحوى الروض ناضر خلقه * ما كان يذبل نوره بشتائه
أوقابل الافلاك طالع سعده * ماصار نحس فى نجوم سمائه

(وقال آخر) ووجهك بدر فى الغياهب مشرق * وكفك فى شهب السنين غمام
عجيب لبدر لايزال أمامه * سحاب ولا يغشاه منه ظلام
وأعجب من هذا غمام اذا سطا * تلظى مكان البرق منه حسام

﴿ وقال الحسين بن مطير الاسدى ﴾

له يوم بؤس فيه للناس أبؤس * ويوم نعيم فيه للناس أنعم * فيمطر يوم الجود من كفه الندى
و يمطر يوم البؤس من كفه الدم * فلو أن يوم البؤس خلى عقابه * على الناس لم يصبح على الارض مجرم
ولو أن يوم الجود خلى يمينه * عن المال لم يصبح على الارض معدم

﴿ وللشيخ جمال الدين بن نباته ﴾

والله ما عجبى لقدرك انه * قدر على باغى مداه بعيد
الالكونك لست تشكو وحشة * فى هذه الدنيا وأنت وحيد

(ولصفى الدين الحلى) انى فتثنينى صفاتك مظهرا * عيا وكم أعيت صفاتك خاطبا
لو أننى والخلق جمعا السن * تثنى عليك لما قضينا الواجبا

(وللشيخ برهان الدين القيراطى)

أوصافكم تجرى أحاديثها * مجرى النجوم الزهر فى الافق
كما أحاديث الندى عنكم * تسندها الركبان من طرق

﴿ وللشيخ

صدق الرجل يا ربيع
ماوجب عليه عندنا
شيء ثم بش فى وجهه
فقال هل لك من حاجة
فقال نعم يا أمير المؤمنين
حاجتى أن تنفذ كتابى
مع البريد إلى أهلى
ليسكنوا الى سلامتى
فقد راعهم اشخاصى
وقد بقيت لى حاجة
أخرى يا أمير المؤمنين
قال ماهي قال تجمع
بينى و بين من سعى
بى اليك فو الله مالبنى
أمية عندى ولا فى يدى
وديعة ولكننى لما
مثلت بين يديك وسألتنى
ورأيت ماقلته أقرب
الى الخلاص والنجاة
فقال يا ربيع اجمع بينه
و بين من سعى به
فجمعت بينهما فقال
هذا غلامى ضرب
على ثلاثة آلاف من
مالى وأبق فشدد
المنصور على الغلام
فأقر انه غلامه وانه
أخذ المال الذى ذكره
وأبق منه وكذب عليه
خوفا من الوقوع فى يده
فقال المنصور للرجل
نسألك أن تصفح عنه
فقال يا أمير المؤمنين
صفحت عن جرمه وأبرأته من المال وأعطيته ثلاثة آلاف دينار
أخرى فقال المنصور ماعلى مافعلت مزيد فى الكرم قال بلى يا أمير المؤمنين هذا حق كلامك وانصرف

{ وللشيخ جمال الدين بن نباتة }

روت عنك أخبار المعالى محاسنا * كفت بلسان الحال عن ألسن الحمد
فوجهك عن بشر وكفك عن عطا * وخلقك عن سهل ورأيك عن سعد

(وقال غيره) من زار بابك لم تبرح جوارحه * تروى أحاديث ما أوليت من منن
فالعين عن قرة والكف عن صلة * والقلب عن جابر والسمع عن حسن

(ولأبى فراس بن حمدان)

ان خلق الانام لحب كاس * ومزمار وطنبور وعود
فلم يخلق بنو حمدان الا * لمجد أو لبأس أو لجود

(وقال آخر) ان الهبات التي جاد الكرام بها * مطروقة وندى كفيك مبتكر
مازلت تسبق حتى قال حاسدكم * له طريق الى العلياء مقتصر

(ولمحمد بن مناذر فى آل برمك)

أتانا بنو الأملاك من آل برمك * فياطيب أخبار وأحسن منظر * لهم رحلة فى كل عام الى العدا وأخرى الى البيت العتيق المنور * إذا نزلوا بطحاء مكة أشرقت * بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر
فما خلقت الا لجود أكفهم * وأقدامهم الا لسعى مظفر
إذا رام يحيى الامر ذلت صعابه * وناهيك من راع له ومدبر

ولما عزل ابراهيم بن المنذر عن صدقات البصرة تلقاه مجنون وأنشد

ليت شعرى أى قوم أجدبوا * فاغيثوا بك من بعد العجف * نظر الله لهم من بيننا وحرمناك بذنب قد سلف * يا أبا اسحق سر فى دعة * وامض مصحوبا فما منك خلف
إنما أنت ربيع باكر * حيثما صرفه الله انصرف

(وقال آخر) لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم لقيل اقعدوا يا آل عباس
ثم ارتقوا فى شعاع الشمس وارتفعوا * الى السماء فأنتم سادة الناس

وللحسين بن مطير الأسدى فى المهدى

لو يعبد الناس يامهدى أفضلهم * ما كان فى الناس الا أنت معبود * اضحت يمينك من جود مصورة لابل يمينك منها صور الجود * لو أن من نوره مثقال خردلة * فى السود طرا اذن لابيضت السود

(وقال آخر) أوليتنى نعما وفضلا زائدا * وبررتنى حتى رأيتك والدا
أقسمت لو جاز السجود لمنعم * ماكنت الا راكعا لك ساجدا

(وقال آخر) ثناؤك فى الدنيا من المسك أعطر * وحظك فى الدنيا جزيل موفر
وكفك بحر والانامل أنهر * رعى الله كفا فيه بحر وأنهر * أعيذك بالرحمن من كل حاسد فلازالت الحساد تغنى وتصغر * لسانى قصير فى مديحك سيدى * لانى فقير والفقير مقصر

(الفصل الثانى من هذا الباب فى شكر النعمة) أما الشكر الواجب على جميع الخلائق فشكر القلب وهو أن يعلم العبد أن النعمة من الله عزوجل وأن لا نعمة على الخلق من أهل السموات والأرض إلا وبدايتها من الله تعالى حتى يكون الشكر لله عن نفسك وعن غيرك والدليل على أن الشكر محله القلب وهو المعرفة قوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله أى تيقنوا أنها من الله وقيل الشكر معرفة العجز عن الشكر وقد

وكان المنصور يتعجب منه كلما ذكره ويقول ما رأيت مثل هذا الرجل يا ربيع { رحلة الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه } قال الشيخ الامام العالم المقرى أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف الأردبيلى المالكى بالجامع العتيق بمصر فى سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الله بن فتح المعروف بابن الحبشى سنة ثلاثين وخمسمائة أخبرنا الشريف القاضى الموسوى أبو اسمعيل موسى ابن الحسين بن اسمعيل بن على الحسينى المقرى فى سنة أربع وثمانين وأربعمائة بالجامع العتيق بمصر قال أخبرنا الشيخ أبو العباس أحمد بن ابراهيم الفارسى فى ربيع الأول سنة احدى وخمسين وأربعمائة قال أخبرنا يحيى بن عبد الله الرجل الصالح ويحيى ابن موسى المعدل بمصر قال حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد الواعظ المصرى الكرازة قال حدثنى أبو الفرج عبد الرزاق حمدان البطين قال حدثنى أبو بكر محمد بن المثنى قال حدثنى الربيع بن سليمان قال سمعت الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه يقول فارقت مكة وأنا ابن أربع عشرة سنة لا نبات بعارضى من الابطح الى ذى طوى وعلى بردتان يمانيتان فرأيت ركبا فسلمت عليهم فردوا على السلام ووثب الى شيخ كان فيهم قال سألتك بالله الا ماحضرت طعامنا قال الشافعى رضى الله تعالى عنه وما كنت أعلم أنهم أحضروا طعاما فأجبت مسرعا غير محتشم فرأيت القوم يأخذون الطعام بالخمس ويدفعون بالراحة فأخذت

كأخذهم كي لا يستبشع عليهم مأكلي والشيخ ينظر الي ثم أخذت السقاء فشربت وحمدت الله وأثنيت عليه فأقبل على الشيخ وقال أمكي أنت قلت مكي قال أقرشي أنت قلت قرشي ثم أقبلت عليه وقلت ياعم بم استدللت على قال أما في الحضر فبالزي وأما في النسب فبأكل الطعام لأنه من أحب أن يأكل طعام الناس أحب أن يأكلوا طعامه وذلك في قريش خصوصا قال الشافعي رضي الله تعالى عنه فقلت للشيخ من أين أنت قال من يثرب مدينة النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له من العالم بها والمتكلم في نص كتاب الله تعالى والمفتي بأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيد بني أصبح مالك ابن أنس رضي الله تعالى عنه قال الشافعي رضي الله عنه فقلت واشوقاه الى مالك فقال لي قد بل الله شوقك انظر الى هذا البعير الأورق فانه أحسن جمالنا ونحن على رحيل ولك منا حسن الصحبة حتى تصل الى مالك فما كان غير بعيد حتى قطروا بعضها الى بعض وأركبوني البعير الأورق وأخذ القوم في السير وأخذت أنا في الدرس فختمت من مكة الى المدينة ست عشرة ختمة بالليل ختمة وبالنهار ختمة ودخلت المدينة في اليوم الثامن بعد صلاة العصر فصليت العصر في مسجد رسول الله ﷺ ودنوت من القبر فسلمت على النبي ﷺ ولذت بقبره فرأيت مالك بن أنس السلام متزرا ببردة متوشحا بأخرى قال حدثني نافع عن ابن عمر عن صاحب هذا القبر وضرب بيده الى قبر رسول الله ﷺ

روي أن داود عليه السلام قال الهي كيف أشكرك وشكري لك نعمة من عندك فأوحى الله تعالى اليه الآن قد شكرتني وفي هذا يقال الشكر على الشكر أتم الشكر * ولمحمود الوراق

إذا كان شكري نعمة الله نعمة * علي له في مثلها يجب الشكر * فكيف بلوغ الشكر الا بفضله
وان طالت الايام واتصل العمر * إذا مس بالسراء عم سرورها * وان مس بالضراء أعقبها الاجر
فما منهما الا له فيه نعمة * تضيق بها الاوهام والسر والجهر

وفي مناجاة موسى عليه السلام الهي خلقت آدم بيدك وفعلت وفعلت فكيف شكرك فقال علم ان ذلك مني فكانت معرفته بذلك شكره لي * وأما شكر اللسان فقد قال الله تعالى فيه وأما بنعمة ربك فحدث ويروى عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بالنعم شكر وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه تذكروا النعم فان ذكرها شكر * وأما الشكر الذي في الجوارح فقد قال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا الآية فجعل العمل شكرا وروي أن النبي ﷺ قام حتى تورمت قدماه فقيل له يارسول الله أتفعل هذا بنفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا لله شكورا وقال أبو هرون دخلت على أبي حازم فقلت له يرحمك الله ماشكر العينين قال اذا رأيت بهما خيرا ذكرته واذا رأيت بها شرا استرته قلت فما شكر الاذنين قال اذا سمعت بهما خيرا حفظته واذا سمعت بهما شرا نسيته وفي حكمة ادريس عليه الصلاة والسلام لن يستطيع أحد أن يشكر الله على نعمة بمثل الانعام على خلقه ليكون صانعا الى الخلق مثل ما صنع الخالق اليه فاذا أردت أن تحرس دوام النعمة من الله تعالى عليك فأدم مواساة الفقراء وقد وعد الله تعالى عباده بالزيادة على الشكر فقال تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم وقد جعل لعباده علامة يعرف بها الشاكر فمن لم يظهر عليه المزيد علمنا أنه لم يشكر فاذا رأينا الغني يشكر الله تعالى بلسانه وماله في نقصان علمنا أنه قد أخل بالشكر أما إنه لا يزكي ماله أو يزكيه لغير أهله أو يؤخره عن وقته أو يمنع حقا واجبا عليه من كسوة عريان أو إطعام جائع أو شبه ذلك فيدخل في قول النبي ﷺ لو صدق السائل ما أفلح من رده قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم واذا غيروا ما بهم من الطاعات غير الله ما بهم من الاحسان وقال بعض الحكماء من أعطي أربعا لم يمنع من أربع من أعطي الشكر لا يمنع المزيد ومن أعطي التوبة لا يمنع القبول ومن أعطي الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن أعطي المشورة لم يمنع الصواب وقال المغيرة بن شعبة أشكر من أنعم عليك وأنعم على من شكرك فانه لا بقاء للنعم إذا كفرت ولا زوال لها إذا شكرت وكان الحسن يقول ابن آدم متى تنفك من شكر النعمة وأنت مرتهن بها كلما شكرت نعمة تجدد لك بالشكر أعظم منها عليك فانت لا تنفك بالشكر من نعمة الا الى ما هو أعظم منها وروي أن عثمان بن عفان رضي الله عنه دعي إلى أقوام ليأخذهم على ريبة فافترقوا قبل أن يأخذهم عثمان فاعتق رقبة شكرا لله تعالى إذ لم يجر على يديه فضيحة مسلم * وروي ان نملة قالت لسليمان بن داود عليهما السلام يا نبي الله أنا على قدري أشكر لله منك وكان راكبا على فرس ذلول فخر ساجدا لله تعالى ثم قال لولا أني أجلك لسألتك عن أن تنزع مني ما أعطيتني وقال صدقة بن يسار بينما داود عليه السلام في محرابه إذ مرت به دودة فتفكر في خلقها وقال ما يعبأ الله بخلق هذه فأنطقها الله تعالى له فقال له ياداود تعجبك نفسك وأنا على قدر ما آتاني الله تعالى أذكر الله وأشكر له منك على ما آتاك وقال علي رضي الله عنه احذروا نفار النعم فما كل شارد مردود وعنه عليه

السلام اذا وصلت اليكم أطراف النعم فلا تنفروا اقصاها بقلة الشكر وقيل اذا قصرت يداك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر وقال حكيم الشكر ثلاث منازل ضمير القلب ونشر اللسان ومكافأة اليد قال الشاعر

أفادتكم النعماء مني ثلاثة * يدي ولساني والضمير المحجبا

وقال ابن عائشة كان يقال ما أنعم الله على عبد نعمة فظلم بها الا كان حقا على الله تعالى أن يزيلها عنه وأنشد أبو العباس بن عمارة في المعنى

أعارك ماله لتقوم فيه * بواجبه وتقضي بعض حقه
فلم تقصد لطاعته ولكن * قويت على معاصيه برزقه

(وقال آخر) ولو أن لي في كل منبت شعرة * لسانا يطيل الشكر كنت مقصرا

وقال محمد بن حبيب الراوية اذا قل الشكر خسر المن وروى اذا جحدت الصنيعة خسر الامتنان وسئل بعض الحكماء ما أضيع الأشياء قال مطر الجود في أرض سبخة لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها وسراج يوقد في الشمس وجارية حسناء تزف الى أعمى وصنيعة تسدى الى من لا يشكرها وقال عبد الأعلى بن حماد دخلت على المتوكل فقال يا أبا يحيى قد هممنا أن نصلك بخير فتدافعته الأمور فقلت يا أمير المؤمنين بلغني عن جعفر بن محمد الصادق أنه قال من لم يشكر الهمة لم يشكر النعمة وأنشدته

لأشكرن لك معروفا هممت به * فان همك بالمعروف معروف
ولا ألومك ان لم يمضه قدر * فالشر بالقدر المحتوم مصروف

(وقال أبو فراس بن حمدان)

وما نعمة مكفورة قد صنعتها * الى غير ذي شكر تمانعني أخرى
سآتي جميلا ما حييت فانني * اذا لم أفد شكرا افدت به أجرا

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه من اعطي الشكر بلغ به المزيد وقيل من جعل الحمد خاتمة النعمة جعله الله فاتحة المزيد وقال ابن السماك النعمة من الله تعالى على عبده مجهولة فاذا فقدت عرفت وقيل من لم يشكر على النعمة فقد استدعى زوالها وكان يقال اذا كانت النعمة وسيمة فاجعل الشكر لها تميمة وقال حكيم لا تصطنعوا ثلاثة اللئيم فانه بمنزلة الأرض السبخة والفاحش فانه يرى أن الذي صنعت اليه انما هو لمخافة فحشه والأحمق فانه لا يعرف قدر ما أسديت اليه واذا اصطنعت الكريم فازرع المعروف واحصد الشكر ودخل أبو نخيلة على السفاح لينشده فقال ما عسيت أن تقول بعد قولك لمسلمة

أمسلمة يا فخر كل خليفة * ويا فارس الدنيا ويا جبل الأرض
شكرتك ان الشكر دين على الفتى * وما كل من أوليته نعمة يقضي
وأحييت لي ذكري وما كان خاملا * ولكن بعض الذكر أنبه من بعض

وسمعه الرشيد فقال هكذا يكون شعر الأشراف مدح صاحبه ولم يضع نفسه وعن نصر بن سيار عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال من أنعم على رجل نعمة فلم يشكر له فدعا عليه استجيب له ثم قال نصر اللهم اني أنعمت على بني سام فلم يشكروا اللهم اقتلهم فقتلوا كلهم وعن علي ابن الحسين رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ ان المؤمن ليشبع من الطعام فيحمد الله تعالى فيعطيه من الأجر ما يعطي الصائم القائم ان الله شاكر يحب الشاكرين وعن محمد بن علي ما أنعم الله على عبد نعمة فعلم أنها من الله الا كتب الله له شكرها قبل أن يحمده عليها ولا أذنب عبد ذنبا فعلم أن الله قد اطلع عليه ان شاء غفر له وان شاء آخذه قبل أن يستغفره الا غفر الله له قبل أن يستغفره واولى رجل رجلا اعرابيا

قال الشافعي رضي الله عنه فلما رأيت ذلك هبته مهابة عظيمة وجلست حيث انتهى بي المجلس فأخذت عودا من الأرض فجعلت كلما أملى مالك حديثا كتبته بريقي على يدي والامام مالك رضي الله عنه ينظر الي من حيث لا أعلم حتى انقضى المجلس وانتظرني مالك أن أنصرف فلم يرني انصرفت فأشار الي فدنوت منه فنظر الي ساعة ثم قال أحرمي أنت قلت حرمي قال أمكي أنت قلت مكي قال أقرشي أنت قلت قرشي قال كملت أوصافك لكن فيك اساءة أدب قلت وما الذي رأيت من سوء أدبي قال رأيتك وأنا أملي ألفاظ الرسول عليه الصلاة والسلام تلعب بريقك على يدك فقلت له عدمت البياض فكنت أكتب ما تقول فجذب مالك يدي اليه فقال ما أرى عليها شيئا فقلت ان الريق لا يثبت على اليد ولكن فهمت جميع ما حدثت به منذ جلست وحفظته الى حين قطعت فتعجب الامام مالك من ذلك فقال أعد علي ولو حديثا واحدا (قال الشافعي رضي الله عنه) فقلت حدثنا مالك عن نافع عن ابن عمر وأشرت بيدي الى القبر كاشارته حتى أعدت عليه خمسة وعشرين حديثا حدث بها من حين جلس الى وقت قطع المجلس وسقط القرص فصلى مالك المغرب وأقبل على عبده وقال خذ بيد سيدك اليك وسألني النهوض معه (قال الشافعي رحمه الله) فقمت غير ممتنع الى ما دعا من كرمه فلما أتيت الدار أدخلني الغلام الى خلوة في الدار وقال لي القبلة في البيت هكذا وهذا إناء فيه ماء وهذا

خيراً فقال لا أبلاك الله ببلاء يعجز عنه صبرك وأنعم عليك نعمة يعجز عنها شكرك وأنشد بعضهم وأجاد

سأشكر لا أني أجازيك منعما * بشكري ولكن كي يزاد لك الشكر
وأذكر أياما لدى اصطنعتها * وآخر ما يبقى على الشاكر الذكر

(وقال آخر) أوليتني نعما أبوح بشكرها * وكفيتني كل الأمور بأسرها
فلأشكرنك ما حييت وإن أمت * فلتشكرنك أعظمي في قبرها

(وقال آخر) أيارب أحسنت عودا وبدأة * الي فلم ينهض باحسانك الشكر
فمن كان ذا عذر لديك وحجة * فعذري اقراري بأن ليس لي عذر

وقال محمود الوراق الهي لك الحمد الذي أنت أهله * على نعم ما كنت قط لها أهلا
إن زدت تقصيرا تزدني تفضلا * كأني بالتقصير أستوجب الفضلا

وقد أحسن نصيب في وصف الثناء والشكر بقوله

فعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهله * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

﴿ وقال رجل من غطفان ﴾

الشكر أفضل ما حاولت ملتمسا * به الزيادة عند الله والناس

وقيل شكر المنعم عليك وأنعم على الشاكر لك تستوجب من ربك الزيادة ومن أخيك المناصحة ﴿ الفصل الثالث من هذا الباب في المكافأة ﴾ قال رسول الله ﷺ من أسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تقدروا فادعوا له ولما قدم وفد النجاشي على رسول الله ﷺ قام يخدمهم بنفسه فقيل له يا رسول الله لو تركتنا كفيناك فقال كانوا لأصحابي مكرمين وقيل أتى رجل من الأنصار الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال

اذكر صنيعي إذا فاجاك ذوسغه * يوم السقيفة والصديق مشغول

فقال عمر بأعلى صوته ادن مني فدنا منه فأخذ بذراعه حتى استشرفه الناس وقال ألا ان هذا ردعني سفيها من قومه يوم السقيفة ثم حمله على نجيب وزاد في عطائه وولاه صدقة قومه وقرأ هل جزاء الاحسان إلا الاحسان وقال رجل لسعيد بن العاص وهو أمير الكوفة يدي عندك بيضاء قال وما هي قال كبت بك فرسك فتقدمت اليك قبل غلمانك فأخذت بعضدك وأركبتك وأسقيتك ماء قال فأين كنت الى الآن قال حجبت عن الوصول اليك قال قد أمرنا لك بمائتي ألف درهم وبما يملكه الحاجب إذا حجبك عنا (وقال) قطري بن الفجاءة الخارجي أسره الحجاج ثم من عليه فأطلقه عاود قتال عدو الله فقال هيهات شد يداً مطلقها وأرق رقبة معتقها ثم قال

أأقاتل الحجاج عن سلطانه * بيد تقر بأنها مولاته
ماذا أقول إذا وقفت ازاءه * في الصف واحتجت له فعلاته
أأقول جار علي لا اني اذا * لأحق من جارت عليه ولاته
وتحدث الأقوام أن صنائعا * غرست لدي فحنظلت نخلاته

واجتاز الشافعي رحمه الله تعالى بمصر في سوق الحدادين فسقط سوطه فقام انسان فأخذه ومسحه وناوله إياه فقال لغلامه كم معك قال عشرة دنانير قال ادفعها اليه واعتذر له واستنشد عبد الملك عامر الشعبي فأنشده لغير ما شاعر حتى أنشد لحسان

بيت الخلاء (قال الشافعي رضي الله عنه) فما لبث مالك رضي الله عنه حتى أقبل هو والغلام حاملا طبقا فوضعه بين يده وسلم الامام علي ثم قال للعبد اغسل علينا ثم وثب الغلام الى الاناء وأراد أن يغسل على أولا فصاح عليه مالك وقال الغسل في أول الطعام لرب البيت وفي آخر الطعام للضيف (قال الشافعي رضي الله عنه) فاستحسنت ذلك من الامام مالك رضي الله عنه وسألته عن شرحه فقال انه يدعو الناس الى كرمه فحكمه أن يبتدىء بالغسل وفي آخر الطعام ينتظر من يدخل فيأكل معه (قال الشافعي رضي الله عنه) فكشف الامام رضي الله عنه الطبق فكان فيه صحفتان في احداها لبن والأخرى تمر فسمى الله تعالى وسميت فأتيت أنا ومالك على جميع الطعام وعلم مالك أنا لم نأخذ من الطعام الكفاية فقال لي يا أبا عبد الله هذا جهد من مقل الى فقير معدم فقلت لا عذر على من أحسن انما العذر على من أساء (قال الشافعي رضي الله عنه) فأقبل مالك يسألني عن أهل مكة حتى دنت العشاء الآخرة ثم قام عني وقال حكم المسافر أن يقل تعبه بالاضطجاع فنمت ليلتي فلما كان في الثلث الأخير من الليل قرع علي مالك الباب فقال لي الصلاة يرحمك الله فرأيته حامل إناء فيه ماء فتبشع على (من) ذلك فقال لي لا يرعك ما رأيته نخدمة الضيف فرض (قال الشافعي رضي الله عنه) فتجهزت للصلاة وصليت الفجر مع

من سره شرف الحياة فلم يزل * فى عصبة من صالحى الأنصار * البائعين نفوسهم لنبيهم
بالمشرفى وبالقنا الخطار * الناظرين بأعين محمرة * كالجمر غير كليلة الأبصار
فقام أنصارى فقال يا أمير المؤمنين أستوجب عامر الصلة على له ستون من الابل كما أعطينا
حسان يوم قالها فقال عبد الملك وله عندى ستون ألفا وستون من الابل وعن على كرم الله وجهه
أحسنوا فى عقب غيركم تحفظوا فى عقبكم وقال المدائنى رأيت رجلا يطوف بين الصفا والمروة
على بغلة ثم رأيته ماشيا فى سفر فسألته عن ذلك فقال ركبت حيث يمشى الناس فكان حقا على
الله أن يرجلنى حيث يركب الناس

﴿ ومما جاء فى المكافأة ﴾ ماحكى عن الحسن بن سهل قال كنت يوما عند يحيى بن خالد البرمكى
وقد خلا فى مجلسه لأحكام أمر من أمور الرشيد فبينما نحن جلوس اذ دخل عليه جماعة من
أصحاب الحوائج فقضاها لهم ثم توجهوا لشأنهم فكان آخرهم قياما أحمد بن أبى خالد الأحول
فنظر يحيى إليه والتفت الى الفضل ابنه وقال يا بنى إن لأبيك مع أبى هذا الفتى حديثا فاذا
فرغت من شغلى هذا فذكرنى أحدثك به فلما فرغ من شغله وطعم قال له ابنه الفضل أعزك الله
يا أبى أمرتنى أن أذكرك حديث أبى خالد الأحول قال نعم يا بنى لما قدم أبوك من العراق
أيام المهدى كان فقيراً لا يملك شيئا فاشتد بى الأمر الى أن قال لى من فى منزلى انا قد كتمنا حالنا
وزاد ضررنا ولنا اليوم ثلاثة أيام ما عندنا شىء نقتات به قال فبكيت يا بنى لذلك بكاء شديداً وبقيت
ولهان حيران مطرقا مفكراً ثم تذكرت منديلا كان عندى فقلت لهم ما حال المنديل فقالوا هو
باق عندنا فقلت ادفعوه لى فأخذته ودفعته الى بعض أصحابى وقلت له بعه بما تيسر فباعه بسبعة عشر
درهما فدفعتها الى أهلى وقلت انفقوها الى أن يرزق الله غيرها ثم بكرت من الغد الى باب أبى خالد وهو
يومئذ وزير المهدى فاذا الناس وقوف على داره ينتظرون خروجه فخرج عليهم راكبا فلما رآنى سلم على
وقال كيف حالك فقلت يا أبا خالد ما حال رجل يبيع من منزله بالأمس منديلا بسبعة عشر درهما فنظر إلى
نظراً شديداً وما أجابنى جوابا فرجعت إلى أهلى كسير القلب وأخبرتهم بما اتفق لى مع أبى خالد فقالوا
بئس والله ما فعلت توجهت الى رجل كان يرتضيك لأمر جليل فكشفت له سرك وأطلعته على مكنون
أمرك فأزريت عنده بنفسك وصغرت عنده منزلتك بعد أن كنت عنده جليلا فلا يراك بعد اليوم إلا
بهذه العين فقلت قد قضى الأمر الآن بما لا يمكن استدراكه فلما كان من الغد بكرت الى باب
الخليفة فلما بلغت الباب استقبلنى رجل فقال لى قد ذكرت الساعة بباب أمير المؤمنين فلم ألتفت
لقوله فاستقبلنى آخر فقال لى كمقالة الاول ثم استقبلنى حاجب أبى خالد فقال لى أين تكون
قد أمرنى أبو خالد باجلاسك الى أن يخرج من عند أمير المؤمنين فجلست حتى خرج فلما رآنى دعانى
وأمر لى بمركوب فركبت وسرت معه الى منزله فلما نزل قال على بفلان وفلان الحناطين فأحضرا
فقال لهما ألم تشتريا منى غلات السواد بثمانية عشر ألف ألف درهم قالا نعم قال ألم أشترط عليكما شركة
رجل معكما قالا بلى قال هو هذا الرجل الذى اشترطت شركته لكما ثم قال لى قم معهما فلما خرجنا قالا لى
أدخل معنا بعض المساجد حتى نكلمك فى أمر يكون لك فيه الربح الهنىء فدخلنا مسجدا فقالا لى انك
تحتاج فى هذا الأمر الى وكلاء وأمناء وكيالين وأعوان ومؤن لم تقدر منها على شىء فهل لك أن تبيعنا
شركتك بمال نعجله لك فتنتفع به ويسقط عنك التعب والكلف فقلت لهما وكم تبذلان لى فقالا مائة

الامام مالك فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس لا يعرف بعضهم بعضا من شدة الغلس وجلس كل واحد منا فى
صلاه يسبح الله تعالى الى أن طلعت الشمس على رؤس الجبال فجلس مالك فى مجلسه بالأمس وناولنى
الموطأ أمليه وأقرؤه على الناس وهم يكتبونه (قال الشافعى رضى الله عنه) فأتيت على حفظه من أوله إلى آخره وأقمت ضيف مالك ثمانية أشهر فما علم أحد من الانس الذى كان بيننا أينا الضيف ثم قدم على مالك المصريون بعد قضاء حجهم للزيارة واستماع الموطأ (قال الشافعى) فأمليت عليهم حفظا منهم عبد الله بن عبد الحكم وأشهب وابن القاسم قال الربيع وأحسب أنه ذكر الليث بن سعد ثم قدم بعد ذلك أهل العراق لزيارة النبى صلى الله عليه وسلم (قال الشافعى رضى الله عنه) فرأيت بين القبر والمنبر فتى جميل الوجه نظيف الثوب حسن الصلاة فتوسمت فيه خيراً فسألته عن اسمه فأخبرنى وسألته عن بلده فقال العراق فقلت أى العراق فقال لى الكوفة فقلت من العالم بها والمتكلم فى نص الكتاب والمفتى بأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى أبو يوسف ومحمد بن الحسن صاحبا أبى حنيفة رضى الله عنه (قال
الشافعى رضى الله عنه) فقلت ومتى عزمتم تظعنون فقال لى فى غداة غد وقت الفجر فعدت الى مالك فقلت له خرجت من
مكة فى طلب العلم بغير استئذان العجوز أفأعود إليها أو أرحل فى طلب العلم فقال لى العلم فائدة يرجع منها الى فائد ألم تعلم

أن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضاء بما يطلبه (قال الشافعي رضي الله عنه) فلما أزمعت على السفر زودني الأمام مالك رضي الله عنه فلما كان في السحر سار معي مشيعا إلى البقيع ثم صاح بعلو صوته من يكرى راحلته إلى الكوفة فأقبلت عليه وقلت بم تكترى وليس معك ولا معي شيء فقال لي انصرفت البارحة بعد صلاة العشاء الآخرة اذ قرع على قارع الباب فخرجت اليه فأصبت ابن القاسم فسألني قبول هديته فقبلتها فدفع لي صرة فيها مائة دينار وقد أتيتك بنصفها وجعلت النصف لعيالي فاكترى لي بأربعة دنانير ودفع إلى باقي الدنانير وودعني وانصرف وسرت في جملة الحاج حتى وصلت إلى الكوفة يوم رابع عشرين من المدينة فدخلت المسجد بعد صلاة العصر وصليت فبينما أنا كذلك إذا رأيت غلاما قد دخل المسجد وصلى العصر فما أحسن الصلاة فقمت اليه ناصحا وقلت له أحسن صلاتك لئلا يعذب الله هذا الوجه الجميل بالنار فقال لي أنا أظن أنك من أهل الحجاز لأن فيكم الغلظة والجفاء وليس فيكم رقة أهل العراق وأنا أصلي هذه الصلاة خمس عشرة سنة بين يدي محمد بن الحسن وأبي يوسف فما عابا على صلاتي قط وخرج معجبا ينفض رداءه في وجهي فلقي للتوفيق محمد بن الحسن وأبا يوسف بباب المسجد فقال أعلمتما في صلاتي من عيب فقالا اللهم لا قال ففي مسجدنا هذا من عاب صلاتي فقالا اذهب اليه فقل له بم تدخل في الصلاة

السفر

ألف درهم فقلت لا أفعل فمازالا يزيداني وأنا لا أرضى الى أن قالا لي ثمانمائة ألف درهم ولا زيادة عندنا على هذا فقلت حتى أشاور أبا خالد قالا ذلك لك فرجعت اليه وأخبرته فدعا بهما وقال لهما هل وافقتماه على ما ذكر قالا نعم قال اذهبا فاقبضاه المال الساعة ثم قال لي أصلح أمرك وتهيأ فقد قلدتك العمل فأصلحت شأني وقلدني ما وعدني به فمازلت في زيادة حتى صار أمري الى ما صار ثم قال لولده الفضل يا بني فما تقول في ابن من فعل بأبيك هذا الفعل وما جزاؤه فقال حق لعمري وجب عليك له فقال والله يا ولدي ما أجد له مكافأة غير أني أعزل نفسي وأوليه ففعل ذلك رضي الله عنه وهكذا تكون المكافأة (ومن ذلك ما حكى) عن العباس صاحب شرطة المأمون قال دخلت يوما مجلس أمير المؤمنين ببغداد وبين يديه رجل مكبل بالحديد فلما رآني قال لي عباس قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال خذ هذا اليك فاستوثق منه واحتفظ به وبكر به الى في غد واحترز عليه كل الاحتراز قال العباس فدعوت جماعة فحملوه ولم يقدر أن يتحرك فقلت في نفسي مع هذه الوصية التي أوصاني بها أمير المؤمنين من الاحتفاظ به ما يجب الا أن يكون معي في بيتي فأمرتهم فتركوه في مجلس لي في داري ثم أخذت أسأله عن قضيته وعن حاله ومن أين هو فقال أنا من دمشق فقلت جزى الله دمشق وأهلها خيرا فمن أنت من أهلها قال وعمن تسأل قلت أتعرف فلانا قال ومن أين تعرف ذلك الرجل فقلت وقع لي معه قضية فقال ما كنت بالذي أعرفك خبره حتى تعرفني قضيتك معه فقال ويحك كنت مع بعض الولاة بدمشق فبغى أهلها وخرجوا علينا حتى أن الوالي تدلى في زنبيل من قصر الحجاج وهرب هو وأصحابه وهربت في جملة القوم فبينما أنا هارب في بعض الدروب واذا بجماعة يعدون خلفي فمازلت أعدو أمامهم حتى فتهم فمررت بهذا الرجل الذي ذكرته لك وهو جالس على باب داره فقلت أغثني أغاثك الله قال لا بأس عليك ادخل الدار فدخلت فقالت زوجته ادخل تلك المقصورة فدخلتها ووقف الرجل على باب الدار فما شعرت الا وقد دخل والرجال معه يقولون هو والله عندك فقال دونكم الدار ففتشوها ففتشوها حتى لم يبق سوى تلك المقصورة وامرأته فيها فقالوا هو ههنا فصاحت بهم المرأة ونهرتهم فانصرفوا وخرج الرجل وجلس على باب داره ساعة وأنا قائم أرجف ما تحملني رجلاي من شدة الخوف فقالت المرأة اجلس لا بأس عليك فجلست فلم ألبث حتى دخل الرجل فقال لا تخف قد صرف الله عنك شرهم وصرت الى الامن والدعة ان شاء الله تعالى فقلت له جزاك الله خيرا فمازال يعاشرني أحسن معاشرة وأجملها وأفرد لي مكانا في داره ولم يحوجني الى شيء ولم يفتر عن تفقد أحوالي فأقمت عنده أربعة أشهر في أرغد عيش وأهنئه إلى أن سكنت الفتنة وهدأت وزال أثرها فقلت له أتأذن لي في الخروج حتى أتفقد حال غلماني فلعلي أقف منهم على خبر فأخذ على المواثيق بالرجوع اليه فخرجت وطلبت غلماني فلم أر لهم أثرا فرجعت اليه وأعلمته الخبر وهو مع هذا كله لا يعرفني ولا يسألني ولا يعرف اسمي ولا يخاطبني الا بالكنية فقال علام تعزم فقلت عزمت على التوجه إلي بغداد فقال القافلة بعد ثلاثة أيام تخرج وها أنا قد أعلمتك فقلت له إنك تفضلت على هذه المدة ولك على عهد الله اني لا أنسى لك هذا الفضل ولأوفينك مها استطعت قال فدعا غلاما له أسود وقال له أسرج الفرس الفلاني ثم جهز آلة السفر فقلت في نفسي أظن أنه يريد أن يخرج الى ضيعة أو ناحية من النواحي فأقاموا يومهم ذلك في كد وتعب فلما كان يوم خروج القافلة جاءني السحر وقال لي يا فلان قم فان القافلة تخرج الساعة واكره أن تنفرد عنها فقلت في نفسي كيف أصنع وليس معي ما أتزود به ولا ما أكرى به مركوبا ثم قمت فاذا هو وامرأته يحملان بقجة من أفخر الملابس وخفين جديدين وآلة

(قال الشافعي رضي الله عنه) فقال لي يا من عاب صلاتي بم تدخل في الصلاة فقلت بفرضين وسنة فعاد اليهما وأعلمهما بالجواب فعلما أنه جواب من نظر في العلم فقالا اذهب اليه فقل له ماالفرضان وما السنة فأتى إلى فقال ماالفرضان وما السنة فقلت له أما الفرض الأول فالنية والثاني تكبيرة الاحرام والسنة رفع اليدين فعاد اليهما فاعلمهما بذلك فدخلا إلى المسجد فلما نظرا إلى أظنهما ازدرياني فجلسا ناحية وقالا اذهب اليه وقل له أجب الشيخين (قال الشافعي رحمه الله تعالى) فلما أتاني علمت اني مسؤل عن شيء من العلم فقلت من حكم العلم أن يؤتى اليه وما علمت لي اليهما حاجة قال الشافعي رضي الله عنه فقاما من مجلسهما إلي فلما سلما على قمت اليهما وأظهرت البشاشة لهما وجلست بين ايديهما فاقبل على محمد بن الحسن وقال أحرمي أنت فقلت نعم فقال اعربي أم مولى فقلت عربي فقال من أي العرب فقلت من ولد المطلب قال من ولد من قلت من ولد شافع قال رأيت مالكا قلت من عنده أتيت قال لي نظرت في الموطأ قلت أتيت على حفظه فعظم ذلك عليه ودعا بدواة وبياض وكتب مسئلة في الطهارة ومسئلة في الزكاة ومسئلة في البيوع والمرائض والرهان والحج والايلاء ومن كل باب في الفقه مسئلة وجعل بين كل مسألتين بياضا ودفع إلى الدرج وقال أجب عن هذه المسائل كلها من الموطأ (قال الشافعي رضي الله عنه) فاجبت بنص كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام واجماع المسلمين في المسائل كلها ثم دفعت اليه الدرج فتأمله ونظر فيه ثم قال لعبده خذ سيدك اليك (قال الشافعي رضي الله تعالى عنه) ثم سألني النهوض مع العبد فنهضت غير ممتنع فلما صرت إلى الباب قال لي العبد ان سيدي أمرني أن لا تسير إلى المنزل الا راكبا (قال) الشافعي رضي الله تعالى عنه فقلت له قدم فقدم إلى بغلة بسرج محلى فلما علوت على ظهرها رأيت نفسي باطمار رثة فطاف بي أزقة الكوفة إلى منزل محمد بن الحسن فرأيت أبوابا ودهاليز منقوشة بالذهب والفضة فذكرت ضيق أهل الحجاز وماهم فيه فبكيت وقلت أهل العراق ينقشون سقوفهم بالذهب والفضة وأهل الحجاز يأكلون القديد ويمصون النوى ثم أقبل على محمد بن الحسن وأنا في بكائي فقال لا يروعك ياعبد الله مارأيت فما هو الامن حقيقة حلال ومكتسب وما يطالبني الله فيها بفرض واني أخرج زكاتها في كل عام فأسر بها الصديق وأكبت بها العدو (قال الشافعي رضي الله تعالى عنه) فما بت حتى كساني محمد بن الحسن خلعة بألف درهم ثم دخل خزانته فأخرج إلى الكتاب الاوسط تأليف الامام أبي حنيفة فنظرت في أوله وفي آخره ثم ابتدأت الكتاب في ليلتي أتحفظه فما أصبحت إلا وقد حفظته ومحمد بن الحسن لا يعلم بشيء من ذلك وكان المشهور بالكوفة بالفتوى والمجيب في النوازل فانا قاعد عن يمينه في بعض الايام إذا سئل عن مسئلة أجاب فيها وقال هكذا قال أبو حنيفة فقلت قد وهمت في الجواب في هذه المسئلة والجواب عن قول الرجل كذا وكذا وهذه المسئلة تحتها المسئلة الفلانية وفوقها المسئلة الفلانية في الكتاب الفلاني فأمر محمد بن الحسن بالكتاب فاحضر فتصفحه ونظر فيه فوجد القول كما قلت

السفر ثم جاءني بسيف ومنطقة فشدهما في وسطي ثم قدم بغلا فحمل عليه صندوقين وفوقهما فرش ودفع إلى نسخة ما في الصندوقين وفيهما خمسة آلاف درهم وقدم إلى الفرس الذي كان جهزه وقال اركب وهذا الغلام الأسود يخدمك ويسوس مركوبك وأقبل هو وامرأته يعتذران إلى من التقصير في أمري وركب معي يشيعني وانصرفت إلى بغداد وأنا أتوقع خبره لأفي بعهدي له في مجازاته ومكافأته واشتغلت مع أمير المؤمنين فلم أتفرغ أن أرسل اليه من يكشف خبره فلهذا أنا أسأل عنه فلما سمع الرجل الحديث قال لقد أمكنك الله تعالى من الوفاء له ومكافأته على فعله ومجازاته على صنيعه بلا كلفة عليك ولا مؤنة تلزمك فقلت وكيف ذلك قال أنا ذلك الرجل وانما الضر الذي أنا فيه غير عليك حالي وما كنت تعرفه مني ثم لم يزل يذكر لي تفاصيل الاسباب حتى أثبت معرفته فما تمالكت ان قمت وقبلت رأسه ثم قلت له فما الذي أصارك إلى ما أرى فقال هاجت بدمشق فتنة مثل الفتنة التي كانت في أيامك فنسبت إلي وبعث أمير المؤمنين بجيوش فأصلحوا البلد وأخذت أنا وضربت إلى أن أشرفت على الموت وقيدت وبعث بي إلى أمير المؤمنين وأمري عنده عظيم وخطبي لديه جسيم وهو قاتلي لا محالة وقد أخرجت من عند أهلي بلا وصية وقد تبعني من غلماني من ينصرف إلى أهلي بخبري وهو نازل عند فلان فان رأيت أن تجعل من مكافأتك لي أن ترسل من يحضره لي حتى أوصيه بما أريد فان أنت فعلت ذلك فقد جاوزت حد المكافأة وقمت لي بوفاء عهدك قال العباس قلت يصنع الله خيرا ثم أحضر حدادا في الليل فك قيوده وأزال ما كان فيه من الانكال وأدخله حمام داره وألبسه من الثياب ما احتاج اليه ثم سير من أحضر اليه غلامه فلما رآه جعل يبكي ويوصيه فاستدعى العباس نائبه وقال علي بالفرس الفلاني والفرس الفلاني

رجع عن جوابه الى ماقات ولم يخرج الى كتابا بعدهذا (قال الشافعى) واستأذنته فى الرحيل فقال ما كنت لآذن لضيف بالرحيل عنى وبذل لى فى مشاطرة نعمته فقلت مالذا قصدت ولالذا أردت ولا رغبتى إلا فى السفر قال فأمر غلامه أن يأتى بكل مافى خزائنه من بيضاء وحمراء فدفع الى ما كان فيها وهو ثلاثة آلاف درهم وأقبلت أطوف العراق وأرض فارس وبلاد الأعاجم وألقى الرجال حتى صرت ابن احدى وعشرين سنة ثم دخلت العراق فى خلافة هرون الرشيد فعند دخول الباب تعلق بى غلام فلاطفنى وقال لى ما اسمك قلت محمد قال ابن من قلت ابن ادريس الشافعى فقال مطلبى فقلت أجل فكتب ذلك فى لوح كان فى كمه وخلى سبيلى فأويت الى بعض المساجد أفكر فى عاقبة ما فعل حتى اذا ذهب من الليل النصف كبس المسجد وأقبلوا يتأملون وجه كل رجل حتى أتوا الى فقالوا للناس لا بأس عليكم هذا هو الحاجة والغاية المطلوبة ثم أقبلوا على وقالوا أجب أمير المؤمنين فقمت غير ممتنع فلما بصرت بأمير المؤمنين سلمت عليه سلاما بينا فاستحسن الألفاظ ورد على الجواب ثم قال تزعم انك من بنى هاشم فقلت يا أمير المؤمنين كل زعم فى كتاب الله باطل فقال أبن لى عن نسبك فانتسبت حتى لحقت آدم عليه السلام فقال لى الرشيد ماتكون هذه الفصاحة ولا هذه البلاغة الا فى رجل من ولد المطلب هل لك أن أوليك قضاء المسلمين وأشاطرك ما أنا فيه وتنفذ فيه حكمك وحكمى على ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام واجتمعت عليه الأمة فقلت يا أمير المؤمنين لو سألتنى أن أفتح باب القضاء بالغداة وأغلقه بالعشى بنعمتك هذه ما فعلت ذلك أبدا فبكى الرشيد وقال تقبل من عرض الدنيا شيئا قلت يكون معجلا فأمر لى بألف دينار فما برحت من مقامى حتى قبضتها ثم سألنى بعض الغلمان والحشم ان أصلهم من صلتى فلما لم تسع المروءة ان كنت مسئولا غير المقاسمة فيما أنعم الله به على نخرج لى قسم كأقسامهم ثم عدت الى المسجد الذى كنت فيه فى ليلتى فتقدم يصلى بنا غلام صلاة الفجر فى جماعة فأجاد القراءة ولحقه سهو ولم يدر كيف الدخول ولا كيف الخروج فقلت له بعد السلام أفسدت علينا وعلى نفسك أعد فأعاد مسرعا وأعدنا ثم قلت له أحضر بياضا أعمل لك باب السهو فى الصلاة والخروج منها فسارع الى ذلك ففتح الله عز وجل على فألفت له كتابا من كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام واجماع المسلمين وسميته باسمه وهو أربعون جزءا يعرف بكتاب الزعفران وهو الذى وضعته بالعراق حتى تكامل فى ثلاث سنين وولانى الرشيد الصدقات بنجران وقدم الحاج فخرجت أسألهم عن الحجاز فرأيت فتى فى قبته فلما أشرت اليه بالسلام أمر قائد القبة أن يقف وأشار الى بالكلام فسألته عن الامام مالك وعن الحجاز أجاب بخير ثم عاودته الى السؤال عن مالك فقال لى أشرح لك أو أختصر قلت فى الاختصار البلاغة فقال فى صحة جسم وله ثلثمائة جارية يبيت عند الجارية ليلة فلا يعود اليها الى سنة فقد اختصرت لك خبره (قال الشافعى رضى الله تعالى عنه) فاشتهيت أن أراه

والبغل الفلانى والبغلة الفلانية حتى عد عشرة ثم عشرة من الصناديق من الكسوة كذا وكذا ومن الطعام كذا وكذا قال ذلك الرجل وأحضر لى بدرة عشرة آلاف درهم وكيسا فيه خمسة آلاف دينار وقال لنائبه فى الشرطة خذ هذا الرجل وشيعه الى حد الانبار فقلت له ان ذنبى عند أمير المؤمنين عظيم وخطبى جسيم وان أنت احتججت بأنى هربت بعث أمير المؤمنين فى طلبى كل من على بابه فأردوا أقتل فقال لى انج بنفسك ودعنى أدبر أمرى فقلت والله ما أبرح من بغداد حتى أعلم ما يكون من خبرك فان احتجت الى حضورى حضرت فقال لصاحب الشرطة ان كان الأمر على ما يقول فليكن فى موضع كذا فان أنا سلمت فى غداة غد أعلمته وان أنا قتلت فقد وقيته بنفسى كما وقانى بنفسه وأنشدك الله أن لا يذهب من ماله درهم وتجتهد فى اخراجه من بغداد قال الرجل فأخذنى صاحب الشرطة وصيرنى فى مكان أثق به وتفرغ العباس لنفسه وتحنط وجهز له كفنا قال العباس فلم أفرغ من صلاة الصبح الا ورسل المأمون فى طلبى ويقولون يقول لك أمير المؤمنين هات الرجل معك وقم قال فتوجهت الى دار أمير المؤمنين فاذا هو جالس وعليه ثيابه وهو ينتظرنا فقال أين الرجل فسكت فقال ويحك أين الرجل فقلت يا أمير المؤمنين اسمع منى فقال لله على عهد لئن ذكرت انه هرب لأضربن عنقك فقلت لا والله يا أمير المؤمنين ماهرب ولكن اسمع حديثى وحديثه ثم شأنك ماتريد أن تفعله فى أمرى قال قل فقلت يا أمير المؤمنين كان من حديثى معه كيت وكيت وقصصت عليه القصة جميعها وعرفته انى أريد أن أفى له وأكافئه على ما فعله معى وقلت أنا وسيدى ومولاى أمير المؤمنين بين أمرين إما أن يصفح عنى فأكون قد وفيت وكافأت وإما أن يقتلنى فأقيه بنفسى وقد تحنطت وها كفنى يا أمير المؤمنين

فى حال غناه كما رأيته فى حال فقره فقلت له أما عندك من المال مايصلح للسفر فقال انك لتوحشنى خاصة وأهل العراق عامة وجميع مالى فيه لك فقلت له فبم تعيش قال بالجاه ثم نظر الى وحكمنى فى ماله فأخذت منه على حسب الكفاية والنهاية وسرت على ديار ربيعة ومضر فأتيت حران ودخلتها يوم الجمعة فذكرت فضل الغسل وماجاء فيه فقصدت الحمام فلما سكبت الماء رأيت شعر رأسى شعثا فدعوت المزين فلما بدأ برأسى وأخذ القليل من شعرى دخل قوم من أعيان البلد فدعوه الى خدمتهم فسارع اليهم وتركنى فلما قضوا ماأرادوا منه عاد الى فما أردته وخرجت من الحمام فدفعت اليه أكثر ماكان معى من الدنانير وقلت له خذ هذه واذا وقف بك غريب لاتحتقره فنظر لى متعجبا فاجتمع على باب الحمام خلق كثير فلما خرجت عاتبنى الناس فبينما أنا كذلك اذ خرج بعض من كان فى الحمام من الأعيان فقدمت له بغلة ليركبها فسمع خطابى لهم فانحدر عن البغلة بعد أن استوى عليها وقال لى أنت الشافعى فقلت نعم فمد الركاب مما يلينى وقال بحق الله اركب ومشى بى الغلام مطرقا بين يدى حتى أتيت إلى منزل الفتى ثم أنى وقد حصلت فى منزله فاظهر البشاشة ثم دعا بالغسل فغسل علينا ثم حضرت المائدة فسمى وحبست يدى فقال مالك ياعبدالله فقلت له طعامك حرام على حتى أعرف من أين هذه المعرفة فقال أنا ممن سمع منك الكتاب الذى وضعته ببغداد وأنت لى أستاذ (قال الشافعى رضى الله عنه) فقلت العلم بين أهل العقل رحم متصلة فأكلت بفرحة اذ لم يعرف الله تعالى الا بينى وبين أبناء جنسى وأقمت ضيفه ثلاثا فلما كان بعد ثلاث قال ان لى حول حران أربع ضياع مابحران أحسن منها أشهد الله ان اخترت المقام فانها هدية منى اليك فقلت فبم تعيش قال بما فى صناديقى تلك وأشار اليها وهى أربعون ألف درهم وقال اتجربها فقلت ليس الى هذا قصدت ولاخرجت من بلدى لغير طلب العلم فقال لى فالمال اذا من شأن المسافر فقبضت الاربعين ألفا وودعته وخرجت من مدينة حران وبين يدى أحمال ثم تلقانى الرجال وأصحاب الحديث منهم أحمد بن حنبل وسفيان ابن عيينة والاوزاعى فاجزت كل واحد منهم على قدر ماقسم له حتى دخلت مدينة الرملة وليس معى الا عشرة دنانير فاشتريت بها راحلة واستويت على كورها وقصدت الحجاز فما زلت من منهل الى منهل حتى وصلت الى مدينة النبى صلى الله عليه وسلم بعد سبعة وعشرين يوما بعد صلاة العصر فصليت العصر ورأيت كرسيا من الحديد عليه مخدة من قباطى مصر مكتوب عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال الشافعى رضى الله عنه) وحوله أربعمائة دفتر أو يزدن وبينما أنا كذلك اذ رأيت مالك بن أنس رضى الله عنه قد دخل من باب النبى صلى الله عليه وسلم وقد فاح عطره فى المسجد وحوله أربعمائة أو يزيدون يحمل ذيوله منهم أربعة فلما وصل قام اليه من كان قاعدا وجلس على الكرسى فألقى مسئلة فى جراح العمد فلما سمعت ذلك لم يسعنى الصبر فقمت قائما فى سور الحلقة فرأيت انسانا فقلت له قل الجواب كذا وكذا فبادر بالجواب قبل فراغ مالك من السؤال فاضرب عنه مالك وأقبل على أصحابه فسألهم عن الجواب فخالفوه فقال لهم أخطأتم

فلما سمع المأمون الحديث قال ويلك لاجزاك الله عن نفسك خيرا انه فعل بك مافعل من غير معرفة وتكافئه بعد المعرفة والعهد بهذا لا غيرها لا عرفتنى خبره فكنا نكافئه عنك ولا نقصر فى وفائك له فقلت يا أمير المؤمنين انه ههنا قد حلف أن لايبرح حتى يعرف سلامتى فان احتجت الى حضوره حضر فقال المأمون وهذه منة أعظم من الأولى اذهب الآن اليه فطيب نفسه وسكن روعه وائتنى به حتى أتولى مكافأته قال العباس فأتيت اليه وقلت له ليزل خوفك ان أمير المؤمنين قال كيت وكيت فقال الحمد لله الذى لايحمد على السراء والضراء سواه ثم قام فصلى ركعتين ثم ركب وجئنا فلما مثل بين يدى أمير المؤمنين أقبل عليه وأدناه من مجلسه وحدثه حتى حضر الغداء وأكل معه وخلع عليه وعرض عليه أعمال دمشق فاستعفى فامر له المأمون بعشرة أفراس بسروجها ولجمها وعشرة أبغال بآلاتها وعشر بدر وعشرة آلاف دينار وعشرة مماليك بدوابهم وكتب الى عامله بدمشق بالوصية به وإطلاق خراجه وأمره بمكاتبته باحوال دمشق فصارت كتبه تصل الى المأمون وكلما وصلت خريطة البريد وفيها كتابه يقول لى ياعباس هذا كتاب صديقك والله تعالى أعلم (ومن عجائب هذا الاسلوب وغرائبه) ماأورده محمد بن القاسم الانبارى رحمه الله تعالى ان سوارا صاحب رحبة سوار وهو من المشهورين قال انصرفت يوما من دار الخليفة المهدى فلما دخلت منزلى دعوت بالطعام فلم تقبله نفسى فامرت به فرفع ثم دعوت جارية كنت أحبها وأحب حديثها وأشتغل بها فلم تطب نفسى فدخل وقت القائلة فلم يأخذنى النوم فنهضت وأمرت ببغلة لى فاسرجت واحضرت فركبتها فلما خرجت من المنزل استقبلنى وكيل لى ومعه مال فقلت ماهذا فقال ألفا درهم جبيتها من مستغلك الجديد قلت أمسكها

واصاب الرجل ففرح الجاهل باصابته فلما ألقى السؤال الثانى أقبل على الجهل يطلب منى الجاواب فقلت له الجواب كذا وكذا فبادر بالجواب فلم يلتفت اليه مالك فأقبل على أصحابى واستخبرهم عن الجواب نخالفوه فقال لهم أخطأتم وأصاب الرجل (قال الشافعى رضى الله عنه) فلما ألقى السؤال الثالث قلت له قل الجواب كذاوكذا فبادر بالجواب فأعرض مالك عنه وأقبل على أصحابه نخالفوا فقال أخطأتم وأصاب الرجل ثم قال للرجل ادخل ليس ذلك موضعك فدخل الرجل طاعة منه لمالك وجلس بين

يديه فقال له مالك فراسة قرأت الموطأ قال لا قال فنظرت ابن جريج قال لا قال فلقيت جعفر بن محمد الصادق قال لا قال فهذا العلم من أين قال الى جانبى غلام شاب يقول لى قل الجواب كذا وكذا فكنت أقول قال فالتفت مالك والتفت الناس بأعناقهم لالتفات مالك رضى الله عنه فقال للجاهل قم فأمر صاحبك بالدخول الينا (قال الشافعى رضى الله عنه) فدخلت فاذا أنا من مالك بالموضع الذى كان الجاهل فيه جالسا بين يديه فتأملنى ساعة وقال أنت الشافعى فقلت نعم فضمنى الى صدره ونزل عن كرسيه وقال أتم هذا الباب الذى نحن فيه حتى ننصرف الى المنزل الذى هو لك المنسوب الى (قال الشافعى رضى الله عنه) فألقيت أربعمائة مسئلة فى جراح العمد فما أجابنى أحد بجواب واحتجت أن آتى بأربعمائة جواب فقلت الاول كذا وكذا والثانى كذا وكذا حتى سقط القرص وصلينا المغرب فضرب مالك بيده الى فلما وصلت المنزل رأيت بناء غير الاول فبكيت فقال مم بكاؤك كأنك خفت يا أبا عبد الله أن قد بعت الآخرة بالدنيا قلت هو والله ذلك قال طب نفسا وقر عينا هذه هدايا خراسان وهدايا مصر والهدايا تجىء من أقاصى الدنيا وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويرد الصدقة وان لى ثلثمائة خلعة من رزق خراسان وقباطى مصر وعندى عبيد بمثلها لم تستكمل الحلم فهم هدية منى اليك وفى صناديقى تلك خمسة آلاف دينار أخرج زكاتها عند كل حول فلك منى نصفها قلت انك موروث

تقدم

معك واتبعنى فأطلقت رأس البغلة حتى عبرت الجسر ثم مضيت فى شارع دار الرقيق حتى انتهيت الى الصحراء ثم رجعت الى باب الانبار وانتهيت الى باب دار نظيف عليه شجرة وعلى الباب خادم فعطشت فقلت للخادم أعندك ماء تسقينيه قال نعم ثم دخل وأحضر قلة نظيفة طيبة الرائحة عليها منديل فناولنى فشربت وحضر وقت العصر فدخلت مسجدا على الباب فصليت فيه فلما قضيت صلاتى اذا أنا بأعمى يلتمس فقلت ما تريد ياهذا قال إياك أريد قلت فما حاجتك فجاء حتى جلس الى جانبى وقال شممت منك رائحة طيبة فظننت أنك من أهل النعيم فأردت أن أحدثك بشىء فقلت قل قال ألا ترى الى باب هذا القصر قلت نعم قال هـذا قصر كان لأبى فباعه وخرج الى خراسان وخرجت معه فزالت عنا النعم التى كنا فيها وعميت فقدمت هذه المدينة فأتيت صاحب هذه الدار لأسأله شيئا يصلنى به وأتوصل الى سوار فانه كان صديقا لأبى فقلت ومن أبوك قال فلان بن فلان فعرفته فاذا هو كان من أصدق الناس الى فقلت له ياهذا ان الله تعالى قد أتاك بسوار منعه من الطعام والنوم والقرار حتى جاء به فأقعده بين يديك ثم دعوت الوكيل فأخذت الدراهم منه فدفعتها اليه وقلت له اذا كان الغد فسر الى منزلى ثم مضيت وقلت ما أحدث أمير المؤمنين بشىء أظرف من هذا فأتيته فاستأذنت عليه فأذن لى فلما دخلت عليه حدثته بما جرى لى فأعجبه ذلك وأمر لى بألفى دينار فأحضرت فقال ادفعها الى الاعمى فنهضت لأقوم فقال اجلس فجلست فقال أعليك دين قلت نعم قال كم دينك قلت خمسون ألفا فحادثنى ساعة وقال امض الى منزلك فمضيت الى منزلى فاذا بخادم معه خمسون ألفا وقال يقول لك أمير المؤمنين اقض بها دينك قال فقبضت منه ذلك فلما كان من الغد أبطأ على الاعمى وأتانى رسول المهدى يدعونى فجئته فقال قد فكرت البارحة فى أمرك فقلت يقضى دينه ثم يحتاج الى القرض أيضا وقد أمرت لك بخمسين ألفا أخرى قال فقبضتها وانصرفت فجاءنى الاعمى فدفعت اليه الالفى دينار وقلت له قد رزقك الله تعالى بكرمه وكافأك على احسان أبيك وكافأنى على اسداء المعروف اليك ثم أعطيته شيئا آخر من مالى فأخذه وانصرف والله سبحانه وتعالى أعلم (ومما هو أوضح حسنا وأرجح معنى) ما حكاه القاضى يحيى بن أكثم رحمة الله تعالى عليه قال دخلت يوما على الخليفة هرون الرشيد ولد المهدى وهو مطرق مفكر فقال لى أتعرف قائل هذا البيت

الخير أبقى وإن طال الزمان به * والشر أخبث ما أوعيت من زاد

فقلت يا أمير المؤمنين ان لهذا البيت شأنا مع عبيد بن الابرص فقال على بعبيد فلما حضر بين يديه قال له أخبرنى عن قضية هذا البيت فقال يا أمير المؤمنين كنت فى بعض السنين حاجا فلما توسطت البادية فى يوم شديد الحر سمعت ضجة عظيمة فى القافلة ألحقت أولها بآخرها فسألت عن القصة فقال لى رجل من القوم

تقدم ترما بالناس فتقدمت الى أول القافلة فاذا أنا بشجاع أسود فاغر فاه كالجذع وهو يخور كما يخور الثور و يرغو كرغاء البعير فهالني أمره و بقيت لا أهتدي الى ما أصنع في أمره فعدلنا عن طريقه الى ناحية أخرى فعارضنا ثانيا فعلمت أنه لسبب ولم يجسر أحد من القوم أن يقربه فقلت أفدي هذا العالم بنفسي وأتقرب الى الله تعالى بخلاص هذه القافلة من هذا فأخذت قربة من الماء فتقلدتها وسللت سيفي وتقدمت فلما رآني قربت منه سكن و بقيت متوقعا منه وثبة يبتلعني فيها فلما رأى القربة فتح فاه فجعلت فم القربة في فيه وصببت الماء كما يصب في الاناء فلما فرغت القربة تسيب في الرمل ومضى فتعجبت من تعرضه لنا وانصرافه عنا من غير سوء لحقنا منه ومضينا لحجنا ثم عدنا في طريقنا ذلك وحططنا في منزلنا ذلك في ليلة مظلمة مدلهمة فأخذت شيئا من الماء وعدلت الى ناحية عن الطريق فقضيت حاجتي ثم توضأت وصليت وجلست أذكر الله تعالى فأخذتني عيني فنمت مكاني فلما استيقظت من النوم لم أجد للقافلة حسا وقد ارتحلوا و بقيت منفردا لم أر أحدا ولم أهتد الى ما أفعله وأخذتني حيرة وجعلت أضطرب واذا بصوت هاتف أسمع صوته ولا أرى شخصه يقول

يا أيها الشخص المضل مركبه ❊ ما عنده من ذي رشاد يصحبه

دونك هذا البكر منا تركبه ❊ و بكرك الميمون حقا تجنبه

حتى اذا ما الليل زال غيهبه ❊ عند الصباح في الفلا تسيبه

فنظرت فاذا أنا ببكر قائم عندي و بكري الى جانبي فأنختة وركبته وجنبت بكري فلما سرت قدر عشرة أميال لاحت لي القافلة وانفجر الفجر ووقف البكر فعلمت أنه قد حان نزولي فتحولت الى بكري وقلت

يا أيها البكر قد انجيت من كرب ❊ ومن هموم تضل المدلج الهادي

الا تخبرني بالله خالقنا ❊ من ذا الذي جاد بالمعروف في الوادي

وارجع حميدا فقد بلغتنا مننا ❊ بوركت من ذي سنام رائح غادي

فالتفت البكر الي وهو يقول

أنا الشجاع الذي ألفيتني رمضا ❊ والله يكشف ضر الحائر الصادي

فجدت بالماء لما ضن حامله ❊ تكرما منك لم تمنن بانكاد

فالخير أبقى وان طال الزمان به ❊ والشر أخبث ما أوعيت من زاد

هذا جزاؤك مني لا أمن به ❊ فاذهب حميدا رعاك الخالق الهادي

فعجب الرشيد من قوله وأمر بالقصة والأبيات فكتبت عنه وقال لا يضيع المعروف أين وضع والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

﴿ تم الجزء الأول من كتاب المستطرف و يليه الجزء الثاني أوله الباب الثالث والأربعون ﴾

وأنا موروث فلا يبيت جميع ما وعدتني به الا تحت خاتمي ليجري ملكي عليه فان حضرني أجلي كان لورثتي دون ورثتك وان حضرك أجلك كان لي دون ورثتك فتبسم في وجهي وقال أبيت الا العلم فقلت لا يستعمل أحسن منه وما بات الا وجميع ما وعدني به تحت ختمي فلما كان في غداة غد صليت الفجر في جماعة وانصرفت الى المنزل أنا وهو وكل واحد منا يده في يد صاحبه اذ رأيت كراعا على بابه من جياد خراسان و بغالا من مصر فقلت له ما رأيت كراعا أحسن من هذا فقال هو هدية مني اليك يا أبا عبد الله فقلت له دع لك منها دابة فقال اني أستحي من الله أن أطأ قرية فيها نبي الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة (قال الشافعي) رضي الله عنه فعلمت أن ورع الامام مالك باق على حاله فأقمت عنده ثلاثا ثم ارتحلت الى مكة وأنا أسوق خير الله ونعمه ثم أنفذت من يعلم بخبري فلما وصلت الى الحرم خرجت العجوز ونسوة معها فضمتني الى صدرها وضمتني بعدها عجوز كنت آلفها أدعوها خالتي وقالت

ليس أمسك اجتاحت المنايا كل فؤاد عليك أم

فهرست ما فى النصف الأول من كتاب المستطرف فى كل فن مستظرف من الابواب والفصول المعرف جميعها فى ديباجة الكتاب وهى أربعة وثمانون بابا منها فى هذا النصف اثنان وأربعون كما هو موضوع بهذه الفهرست المجعولة للاستدلال على أى باب من الأبواب أو فصل من الفصول فى أى صحيفة من صحائف هذا النصف

تمت

فهرست كتاب ثمرات الاوراق الموشى به الجزء الاول من كتاب المستطرف

﴿تمت﴾



الجزء الثاني

من كتاب المستطرف فى كل فن مستظرف

تأليف

الامام الأوحد العالم العلامة اللوذعى الفهامة الشيخ شهاب الدين
أحمد الابشيهى تغمده الله بالرحمة والرضوان آمين

وبهامشه

بقية كتاب ثمرات الأوراق فى المحاضرات لحجة العرب وترجمان الأدب الامام تقى الدين بن أبى بكر بن على المعروف بابن حجة الحموى الحنفى تغمده الله برحمته وأسكنه فراديس جنته مكملا بهجة آدابه للواقف عليه * بأن نظم فى سموط فرائده عقود ذيليه أولهما فى المحاضرات أيضا للإمام ابن حجة المذكور ضاعف الله لنا وله الأجور وثانيهما للعلامة الأديب والفهامة الأريب الهمام الكامل واللوذعى الفاضل الشيخ ابراهيم بن الأحدب بلغه الله فى آخرته كل مأرب بمنه وكرمه آمين بجاه سيد الأولين والآخرين

يطلب من مكتبة

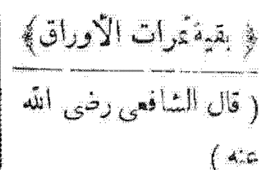
محمود توفيق

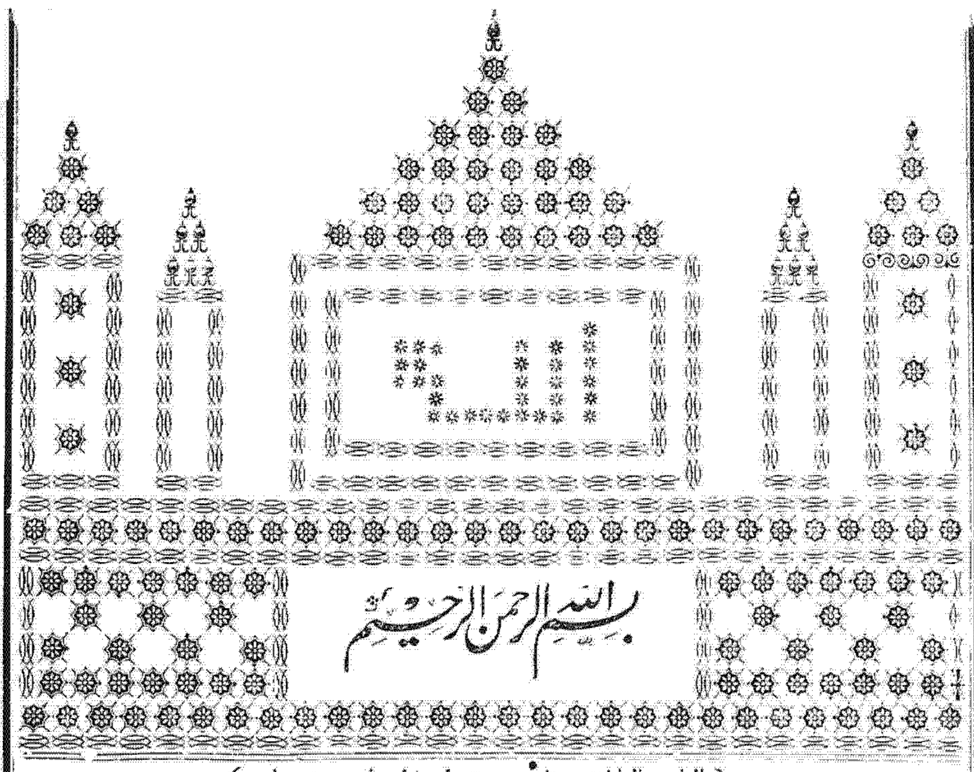
الكتبي بميدان الأزهر الشريف بمصر

الطبعة الثانية

١٣٥٤ هـ — ١٩٣٥ م

مطبعة المعاهد بجوار قسم الجمالية بالقاهرة
ادارة محمد عبد اللطيف حجازى





﴿ الباب الثالث والأربعون فى الهجاء ومقدماته ﴾

القصد من الهجاء الوقوف على ملحه وما فيه من ألفاظ فصيحة ومعان بديعة لا التشفى بالأعراض والوقوع فيها وليس الهجاء دليلا على اساءة المهجو ولا صدق الشاعر فيما رماه به فما كل مذموم بذميم وقد يهجى الانسان بهتانا وظلما أو عبثا أو إرهابا * قال المتوكل لأبى العيناء كم تمدح الناس وتذمهم قال ما أحسنوا وأساؤا * وقد رضى الله تعالى على عبد من عبيده فمدحه فقال نعم العبد انه أواب وغضب على آخر فقال مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم قيل الزنيم الملصق بالقوم وليس منهم وقال دعبل فى المأمون بعد البيعة له وقتل الأمين

انى من القوم الذين همو همو * قتلوا أخاك وشرفوك بمقعد

شادوا لذكرك بعد طول خموله * واستنقذوك من الحضيض الاوهد

فقال المأمون ما أبهته ليت شعرى متى كنت خاملا وفى حجر الخلافة ربيت وبدرها غذيت ولما قتل جعفر بن يحيي بكى عليه أبو نواس فقيل له أتبكى على جعفر وأنت هجوته فقال كان ذلك لركوب الهوى وقد بلغه والله انى قلت

ولست وان أطنبت فى وصف جعفر * باول انسان خرى فى ثيابه

فكتب يدفع اليه عشرة آلاف درهم يغسل بها ثيابه * ومن العبث بالهجو ماروى ان الحطيئة هم بهجاء فلم يجد من يستحقه فقال أبت شفتاى اليوم الا تكلما * بسوء فلا أدرى لمن أنا قائله

أرى لى وجها قبح الله خلقه * فقبح من وجه وقبح حامله

وعبث بامه فقال

تنحى فاجلسى عنا بعيدا * أراح الله منك العالمينا * أغربالا اذا استودعت سرا

وكانونا على المتحدثينا * حياتك علمت ماحياة سوء * وموتك قد يسر الصالحينا

وقال رجل ما أبالى أهجيت أم مدحت فقال له الأحنف أرحت نفسك من حيث تعب الكرام * وقال رجل لآخر ان هجوتنى أتموت ابنتى قال لا قال أفتخرب ضيعتى قال لا قال فرجلى مع ساقى الى حلقى فى

حرأمك

﴿ بقية ثمرات الأوراق ﴾

(قال الشافعى رضى الله عنه)

وهى أول كلمة سمعتها فى الحجاز من امرأة فلما هممت بالدخول قالت لى العجوز إلى أين عزمت فقلت الى المنزل فقالت هيهات تخرج من مكة بالأمس فقيرا وتعود اليها مترفا تفخر على بنى عمك بذلك فقلت ما أصنع فقالت نادبالا بطح فى العرب باشباع الجائع وحمل المنقطع وكسوة العراة فتربح ثناء الدنيا وثواب الآخرة ففعلت ما أمرت به وصار بذلك الفعل الرجال على آباط الأبل وبلغ ذلك مالكا فبعث الى يستحثنى على الفعل ويعدنى أنه يحمل الى فى كل عام مثل ما صار الى منه وما دخلت إلى مكة وأنا أقدر على شيء مما جاء معى الا على بغلة واحدة وخمسين دينارا فوقعت المقرعة فناولتنى اياها امة على كتفها قربة فاخرجت لها خمسة دنانير فقالت لى العجوز ما أنت صانع فقلت أجيزها على فعلها فقالت ادفع اليها جميع ما تأخر معك قال فدفعت اليها ودخلت الى

حر أمك قال ولم تركت رأسك قال لأنظر ما تصنع * وأنا أقول انما يخشى من الهجو من يخاف على عرضه وأما من لا يخاف على عرضه فقد يستوى عنده المدح والذم وبئس الرجل ذاك * وكان الرجل من نمير اذا قيل له ممن الرجل يقول من نمير وأمال بها عنقه فلما هجاهم جرير بقوله

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

صار اذا قيل لأحدهم ممن الرجل يقول من بنى عامر وما لقيت قبيلة من العرب بهجو ما لقيت نمير بهجو جرير وهجا ابن بسام رجلا فقال

ياطلوع الرقيب من غير إلف * يا غريما أتى على ميعاد

ياركوداً فى وقت غيم وصيف * ياوجوه التجار يوم كساد

(وقصد) ابن عيينة قبيصة المهلبي واستماحه فلم يسمح له بشئ فانصرف مغضبا فوجه إليه داود بن يزيد بن حاتم فترضاه وأحسن إليه فقال فى ذلك

داود محمود وأنت مذمم * عجباً لذاك وأنتما من عود * ولرب عود قد شق لمسجد

نصفا وباقيه لحش يهودى * فالحش أنت له وذاك بمسجد * كم بين موضع مسلح وسجود

هذا جزاؤك ياقبيص لأنه * جادت يداه وأنت قفل حديد

وله هجاء فى خالد أبوك لنا غيث يغيث بوبله * وأنت جراد لست تبقى ولا تذر

له أثر فى المكرمات يسرنا * وأنت تعفى دائما ذلك الأثر

(وقال) المبرد فى حقه لم يجتمع لأحد من المحدثين فى بيت واحد هجاء رجل ومدح أبيه الا له * ولما قعد حماد عجرد لتأديب ولد الأمين قال بشار بن برد

قل للأمين جزاك الله صالحة * لا يجمع الله بين السخل والذيب

السخل يعلم أن الذئب آكله * والذئب يعلم ما بالسخل من طيب

(وقال فيه أيضا)

يا أبا الفضل لا تنم * وقع الذئب فى الغنم ان حماد عجرد * شيخ سوء قد اغتنم

بين فخذيه حربة * فى غلاف من الأدم ان رأى ثم غفلة * يجمع الميم بالقلم

فشاعت الأبيات فأمر الأمين باخراج حماد (وقال) رجل لأخيه لأبويه لأهجونك هجاء يدخل معك فى قبرك قال كيف تهجونى وأبوك أبى وأمك أمى قال أقول

بنى أمية هبوا طال نومكمو * ان الخليفة يعقوب بن داود

ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا * خليفة الله بين الماء والعود

فدخل يعقوب على المهدى فأخبره أن بشاراً هجاه فاغتاظ المهدى وانحدر الى البصرة لينظر فى أمرها فسمع أذانا فى ضحى النهار فقال انظروا ما هذا واذا به بشار وهو سكران فقال له يازنديق عجب أن يكون هذا من غيرك ثم أمر به فضرب سبعين سوطا حتى أتلفه بها وألقى فى سفينة فقال عين الشمقمق ترانى حيث يقول ان بشار بن برد * تيس أعمى فى سفينه

فلما مات ألقيت جثته فى الماء فحمله الماء فأخرجه الى الدجلة فجاء بعض أهله فحملوه الى البصرة وأخرجت جنازته فما تبعه أحد وتباشر عامة الناس بموته لما كان يلحقهم من الأذى منه * وخاصم أبو دلامة رجلا فارتفعا الى عافية القاضى فلما رآه أبو دلامة أنشد يقول

لقد خاصمتنى دهاة الرجال * وخاصمتها سنة وافيه * فما أدحض الله لى حجة

ولا خيب الله لى قافيه * ومن خفت من جوره فى القضاء * فلست أخافك ياعافيه

مكة فما بت تلك الليلة الا مديونا وأقام مالك رضى الله عنه يحمل الى فى كل عام مثل ما كان دفع الى أولا إحدى عشرة سنة فلما مات ضاق بى الحجاز وخرجت الى مصر فعوضنى الله عبد الله ابن عبد الحكم فقام بالكفاية فهذا جميع ما لقيته فى سفرى فافهم ذلك ياربيع قال الربيع وسأل الى المزنى املاء ذلك بحضرته فما وجدنا للمجلس فرغة فما وقع كتاب السفر الى أحد غيرى (ومن لطائف المنقول) ما نقله القرطبي فى كتابه المسمى بالأعلام عن صدق محبة أبى طالب لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج الى الكعبة يوما وأراد أن يصلى فلما دخل فى الصلاة قال أبو جهل لعنه الله من يقوم الى هذا الرجل فيفسد عليه صلاته فقام عبد الله بن الزبعرى فأخذ فرثا ودما فلطخ به وجه النبى صلى الله عليه وسلم فانفتل النبى صلى الله عليه وسلم من صلاته وأتى الى أبى طالب عمه وقال ياعم ألا ترى ما فعل بى فقال له أبو طالب من فعل بك

وقال عافية لأشكونك إلى أمير المؤمنين ولأعلمنه أنك هجوتني قال له أبو دلامة اذا والله يعزلك قال ولم قال لأنك لا تعرف الهجاء من المدح قال فبلغ ذلك المنصور فضحك وأمر له بجائزة * ودخل أبو دلامة على المهدي وعنده اسمعيل بن علي وعيسى بن موسى والعباس بن محمد وجماعة من بني هاشم فقال له المهدي والله لئن لم تهج واحداً ممن في هذا البيت لأقطعن لسانك فنظر الى القوم وتحير في أمره وجعل ينظر الى كل واحد فيغمزه بأن عليه رضاه قال أبو دلامة فازددت حيرة فما رأيت أسلم لي من أن أهجو نفسي فقلت

ألا أبلغ لديك أبا دلامه * فلست من الكرام ولا كرامه * جمعت دمامة وجمعت لؤما

كذاك اللؤم تتبعه الدمامه * اذا لبس العمامة قلت قرداً * وخنزيراً اذا نزع العمامه

فضحك القوم ولم يبق منهم أحد الا أجازه (وقال) ابن الأعرابي ان أهجى بيت قاله المحدثون قول محمد ابن وهب في محمد بن هاشم

لم تند كفاك من بذل النوال كما * لم يند سيفك مذ قلدته بدم

(وهجا) بعضهم القمر فقال يهدم العمر ويوجب أجرة المنزل ويشحب الألوان ويقرض الكتان ويضل الساري ويعين السارق ويفضح العاشق * ولابن منقذ في ابن طليب المصري وقد احترقت داره

أنظر الى الأيام كيف تسوقنا * قسراً الى الأقدار بالأقدار

ماأوقد ابن طليب قط بداره * ناراً وكان خرابها بالنار

(وكان للوجيه بن صورة المصري دلال الكتب دار بمصر موصوفة بالحسن فاحترقت فقال فيها ابن المنجم

أقول وقد عاينت دار ابن صورة * وللنار فيها وهجة تتضرم

فما هو إلا كافر طال عمره * فجاءته لما استبطأته جهنم

وقد أحسن الاديب كمال الدين علي بن محمد بن المبارك الشهير بابن الاعمى في ذم دار كان يسكنها حيث قال دار سكنت بها أقل صفاتها * أن تكثر الحشرات في جنباتها * الخير عنها نازح متباعد والشر دان من جميع جهاتها * من بعض مافيها البعوض عدمته * كم أعدم الاجفان طيب سناتها وتبيت تسعدها براغيث متى * غنت لها رقصت على نغماتها * رقص بتنقيط ولكن قافه قد قدمت فيه على أخواتها * وبها ذباب كالضباب يسد عـ * ين الشمس ماطربي سوى غناتها أين الصوارم والقنا من فتكها * فينا وأين الاسد من وثباتها * وبها من الخطاف ماهو معجز أبصارنا عن وصف كيفياتها * وبها خفافيش تطير نهارها * مع ليلها ليست على عاداتها وبها من الجرذان ماقد قصرت * عنه العتاق الجرد في حملاتها * وبها خنافس كالطنافس أفرشت في أرضها وعلت على جنباتها * لو شم أهل الحرب منتن فسوها * أردى الكماة الصيد عن صهواتها وبنات وردان وأشكال لها * مما يفوت العين كنه ذواتها * أبداً تمص دماءنا فكأنها حجامة لبدت على كاساتها * وبها من النمل السليماني ما * قد قل ذر الشمس عن ذراتها ماراعني شيء سوى وزغانها * فتعوذوا بالله من لدغاتها * سجعت على أوكارها فظننتها ورق الحمام سجعن في شجراتها * وبها زنابير تظن عقاربا * حر السموم أخف من زفراتها وبها عقارب كالاقارب رتع * فينا حمانا الله لدغ حماتها * كيف السبيل الى النجاة ولانجا ة ولا حياة لمن رأى حياتها * منسوجة بالعنكبوت سماؤها * والارض قد نسجت على آفاتها

هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن الزبعرى فقام أبو طالب فوضع سيفه على عاتقه ومشى حتى أتى القوم فلما رأوه قد أقبل نهضوا له فقال أبو طالب والله ان قام رجل جللته بسيفي هذا ثم قال يا بني من الفاعل بك هذا فقال عبد الله ابن الزبعرى فأخذ أبو طالب فرثا ودما فلطخ وجوههم ولحاهم وثيابهم وأساء لهم القول فنزلت هذه الآية الشريفة وهم ينهون عنه وينأون عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ياعم نزلت فيك آية قال وماهي قال تمنع قريشا أن يؤذوني وتأبى أن تأمن بي فقال أبو طالب

والله لن يصلوا اليك بجمعهم
حتى أوسد في التراب دفينا
فامض لأمرك قد زعمتك ناصحي
فلقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت دينا قد عرفت بأنه
من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أوحذار مسبة
لوجدتني سمحا بذاك يقينا

* وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله هل تنفع نصرة أبي

فضجيجها

فضجيجها كالرعد فى جنباتها * وترابها كالرمل فى خشناتها * والبوم عاكفة على أرجائها
والدود يبحث فى ثرى عرصاتها * والجن تأتيها إذا جن الدجى * تحكى الخيول الجرد فى حملاتها
والنار جزء من تلهب حرها * وجهنم تعزى إلى لفحاتها * شاهدت مكتوبا على أرجائها
ورأيت مسطورا على جنباتها * لا تقربوا منها وخافوها ولا * تلقوا بأيديكم إلى هلكاتها
أبدا يقول الداخلون ببابها * يارب نج الناس من آفاتها * قالوا إذا ندب الغراب منازلا
يتفرق السكان من ساحاتها * وبدارنا ألفا غراب ناعق * كذب الرواة فأين صدق رواتها
صبراً لعل الله يعقب راحة * للنفس إذ غلبت على شهواتها * دار تبيت الجن تحرس نفسها
فيها وتندب باختلاف لغاتها * كم بت فيها مفردا والعين من * شوق الصباح تسح من عبراتها
وأقول يارب السموات العلا * يارازقا للوحش فى فلواتها * أسكنتنى بجهنم الدنيا ففى
أخراى هب لى الخلد فى جناتها * واجمع بمن أهواه شملى عاجلا * ياجامع الارواح مذ شتاتها

(ولبعضهم فى بلان) أشكو الى الله بلانا لميت به * مست أنامله ظهرى فأدمانى
فلا يدلك تدليكا بمعرفة * ولا يسرح تسريحا باحسان

(وللشيخ شمس الدين البدوى فى بلان أيضا)

وبلان له ظفر يباهى * به حد الشفار المرهفات * هرى جسمى فألبسه نجيعا
على حلل الستور السابلات * ورام يلين أعضائى برفق * فأيبسها وكسر فوقحاتى
ولم أنظر له أبدا جميلا * وذلك من عظيم المهلكات * وأعمى مقلتى بصنان أبط
يفوح به على كل الجهات * فلا تجعل إلهي مثل هذا * يغسلنى إذا حانت وفاتى

(ولبعضهم فى حمام) وحمام دخلناه لأمر * حكى سقرا وفيها المجرمونا
فيصطرخوا يقولوا أخرجونا * فان عدنا فأنا ظالمونا

وللشريف أبى يعلى الهاشمى البغدادى فى نظام الملك يهدده بالهجاء يقول

أيجمل يانظام الملك أنى * أعاود من ذراك كما قدمت * وأصدر عن حياضك وهى نهب
بأفواه السقاة وما وردت * يدل على فعالك سوء حالى * ويخبر عن نوالك ان كتمت
إذا استخبرت ماذا نلت منه * وقد عم الورى كرما سكت

(وممن عرض بالهجو فى شعره الخوارزمى قال فى أبى جعفر

أبا جعفر لست بالمنصف * ومثلك ان قال قولا يفى * فان أنت أنجزت لى ماوعدت
والا هجيت وأدخلت فى * وقد علم الناس ما بعد فى * فغط الحديث ولا تكشف

ومدح السراج الوراق انسانا فلم يجزه فكتب يعرض له بالهجاء ويهدده يقول

أعد مدحى على وخذ سواه * فقد أتعبتنى يامستريح
ولا تغضب اذا أنشدت يوما * سواه وقيل لى هذا صحيح

(وله أيضا يقول) أعد مدحا كذبت عليك فيه * وقد عوقبت بالحرمان عنه
ولكنى سأصدق فيك قولا * فلا يصعب عليك الحق منه

(وقال بعضهم فى حجاج قدموا ولم يهدوا اليه شيئا)

مضوا ليحجوا والوجوه كأنها * تكاد لفرط البشر أن توضح السبلا
وعادوا كأن القار فرق وجوههم * فلا مرحبا بالقادمين ولا سهلا
وجاؤا وماجادوا بعود أراكة * ولا وضعوا فى كف طفل لنا نقلا

طالب قال نعم رفع عنه بذلك الفعل انه لم يقرن مع الشياطين ولم يدخل جب الحيات والعقارب انما عذابه فى نعلين من نار فى رجليه يغلى منهما دماغه وهو أهون أهل النار عذابا * وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى طالب قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة فقال أبو طالب لولا أن يعايرونى بها يعنى قريشا يقولون إنما حمله الجزع لأقررت بها عينك فأنزل الله تعالى انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء (وأما) عبد الله بن الزبعرى فانه أسلم عام الفتح وحسن اسلامه واعتذر الى النبى صلى الله عليه وسلم فقبل عذره وكان شاعرا مجيداً فقال يمدح النبى صلى الله عليه وسلم بأبيات منها فى حكاية حاله

انى لمعتذر اليك من الذى * أسديت اذ أنا فى الضلال مقيم
فاغفر فداؤك والدى كلاهما * وارحم فانك راحم مرحوم

(ومن غريب ما نقله القرطبي فى الأعلام)

(وقال آخر) اذا رمت هجوا فى فلان تصدنى * خلائق قبح عنه لا تتزحزح
تجاوز قدر الهجو حتى كأنه * بأقبح ما يهجى به المرء يمدح
(وهجا بعضهم امرأة فقال)
لها جسم برغوث وساق بعوضة * ووجه كوجه القرد بل هو أقبح
تبرق عينيها اذا ما رأيتها * وتعبس فى وجه الضجيع وتكلح
لها منظر كالنار تحسب أنها * اذا ضحكت فى أوجه الناس تلفح
إذا عاين الشيطان صورة وجهها * تعوذ منها حين يمسى ويصبح
(ولبعضهم فى عظيم أنف)
لك وجه وفيه قطعة أنف * كجدار قد دعموه ببغله
وهو كالقبر فى المثال ولكن * جعلوا نصفه على غير قبله
(وفيه أيضا) رأينا للزكى جدار أنف * يضاهى فى تشامخه الجبالا
تصدى للهلال لكى يراه * فلولا عظمه لرأى الهلالا
(ولبعضهم فى ابخر مخنث)
قالوا فلان به نتن فقلت لهم * ياقوم قد حار فكرى فى مساويه
ياقوم لا تعجبوا من نتن نكهته * فالاير يدفع مافيه إلى فيه
(واصفى الدين الحلى)
رأى فرسى اصطبل عيسى فقال لى * قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل
به لم أذق طعم الشعير كأننى * بسقط اللوى بين الدخول فحومل
تقعقع من برد الشتاء أضالعى * لما نسجتها من جنوب وشمأل
(وله أيضا) ليهنك ان لى ولدا وعبدا * سواء فى المقال وفى المقام
فهذا سابق من غير سين * وهذا عاقل من غير لام
* وله فى طبيب يدعى اسحق *
مباضع اسحق الطبيب كأنها * لها بفناء العالمين كفيل
معودة أن لا تسل نصالها * فتغمد حتى يستباح قتيل
(وله فى أحمق طويل اللسان)
لو أن قوة وجهه فى قلبه * قنص الأسود وجندل الأبطالا
أو كان طول لسانه بيمينه * أفنى الكنوز وأنفد الأموالا
(وهجا اعرابى رجلا ثم مدحه فقال)
انى مدحتك من فساد قريحتى * وعلمت أن المدح فيك يضيع
لكن رأيت المسك عند فساده * يدنى إلى بيت الخلا فيضوع
(وقيل) لبعضهم ماتقول فى فلان وفلان قال هما الخمر والميسر اثمهما أكبر من نفعهما (وقيل) لرجل كيف وجدت فلانا قال طويل اللسان فى اللؤم قصير الباع فى الكرم وثابا على الشر مناعا للخير * وسمع أعرابى قوله تعالى الاعراب أشد كفرا ونفاقا فانتفض ثم سمع قوله تعالى ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر فقال الله أكبر هجانا ثم مدحنا وكذلك قال الشاعر
هجوت زهيرا ثم انى مدحته * وما زالت الاشراف تهجى وتمدح

ان الانصار الذين نصروا النبى صلى الله عليه وسلم كانوا من أولاد العلماء والحكماء الذين كانوا مع تبع الأول فيما ذكر ابن اسحق وكان تبع من الخمسة الذين كانت لهم الدنيا بأسرها وكان كثير الوزراء فاختار واحدا منهم وأخرجه معه لينظر فى ملكه فكان اذا أتى بلده يختار من حكمائها عشرة رجال وكان معه من العلماء والحكماء مائة ألف رجل ثم الذين اختارهم من البلدان وهذا القدر غير محسوب من الجيش فلما انتهى الى مكة لم تخضع له أهل مكة كخضوع أهل البلاد ولم تعظمه فغضب لذلك ودعا وزيره وكان اسمه عماريا فقال له كيف شاهدت هذه البلدة فانهم لم يهابونى ولم يخشوا عسكرى فقال انهم عرب لا يعرفون شيئا ولهم بيت يقال له الكعبة وهم معجبون به ويسجدون فيه للاصنام قال فنزل الملك بعسكره ببطحاء مكة وعزم على هدم البيت وقتل الرجال وسبى النساء فأخذه الله بالصداع وتفجر من عينيه وأذنيه ومنخريه وفمه ماء منتن فلم يصبر عنده أحد طرفة

اسنب رجلان فقال أحدهما للآخر لو قطع زبك وعلق لم تبق زانية بالكوفة الا عرفته (وقال)
أبو زيد العبدى

ولقد قتلتك بالهجاء فلم تمت * ان الكلاب طويلة الأعمار

وقال المتوكل لأبى العيناء مابقى أحد فى المجلس الاهجاك وذمك غيرى فقال

اذا رضيت عنى كرام عشيرتى * فلا زال غضبانا على لئامها

﴿ الباب الرابع والاربعون فى الصدق والكذب وفيه فصلان ﴾

﴿الفصل الأول فى الصدق﴾ قال الله تعالى مبشرا للصادقين هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقال تعالى والصادقين والصادقات فمدحهم و بين لهم المغفرة والأجر العظيم (وقال) عمر رضى الله عنه عليك بالصدق وان قتلك * وماأحسن ماقيل فى ذلك

عليك بالصـدق ولو أنه * أحرقك الصدق بنار الوعيد
وابغ رضا المولى فأغبى الورى * من أسخط المولى وأرضى العبيد

وقال اسمعيل بن عبيدالله لما حضرت أبى الوفاة جمع بنيه فقال لهم يابنى عليكم بتقوى الله وعليكم بالقرآن فتعاهدوه وعليكم بالصدق حتى لو قتل أحدكم قتيلا ثم سئل عنه أقر به والله ما كذبت كذبة قط مذ قرأت القرآن * وعن عائشة رضى الله عنها قالت سألت رسول الله ﷺ بم يعرف المؤمن قال بوقاره ولين كلامه وصدق حديثه * وقيل لكل شىء حلية وحلية النطق الصدق (وقال محمود الوراق)

الصدق منجاة لأربابه * وقربة تدنى من الرب

وقيل الصدق عمود الدين وركن الادب وأصل المروءة فلا تتم هذه الثلاثة الا به وقال ارسطاطاليس أحسن الكلام ماصدق فيه قائله وانتفع به سامعه * وقال المهلب بن أبى صفرة ماالسيف الصارم فى يد الشجاع بأعز له من الصدق * وكان يقال على الصدق فلان وقف لسانه على الصدق ويقال الصدق محمود من كل أحد الا من الساعى * ويقال لو صدق عبد فيما بينه وبين الله تعالى حقيقة الصدق لاطلع على خزائن الغيب ولكان أمينا فى السموات والأرض * وقيل من لزم الصدق وعود لسانه به وفق * ويقال الصدق بالحر أحرى * وقال عتبة بن أبى سفيان اذا اجتمع فى قلبك أمران لاتدرى أيهما أصوب فانظر أيهما أقرب الى هواك فخالفه فان الصواب أقرب الى مخالفة الهوى * وقال ارسطاطاليس الموت مع الصدق خير من الحياة مع الكذب * وكان نقش خاتم ذى يزن وضع الخد للحق عز * وامتدح ابن ميادة جعفر بن سليمان فامر له بمائة ناقة فقبل يده وقال والله ماقبلت يد قرشى غيرك الا واحدا فقال أهو المنصور قال لا والله قال فمن هو قال الوليد بن يزيد قال فغضب وقال والله ماقبلتها لله تعالى فقال والله ولا يدك ماقبلتها لله تعالى ولكن قبلتها لنفسى فقال والله لاضرك الصدق عندى أعطوه مائة أخرى (وقال) عامر العدوانى فى وصيته انى وجدت صدق الحديث طرفا من الغيب فاصدقوا يعنى من الزم الصدق وعوده لسانه وفق فلا يكاد ينطق بشىء يظنه الا جاء على ظنه وخطب بلال لاخيه امرأة قرشية فقال لاهلها نحن من قد عرفتم كنا عبدين فاعتقنا الله تعالى وكنا ضالين فهدانا الله تعالى وكنا فقيرين فاغنانا الله تعالى وأنا أخطب اليكم فلانة لاخى فان تنكحوها له فالحمد لله تعالى وان تردونا فالله أكبر فاقبل بعضهم على بعض فقالوا بلال ممن عرفتم سابقته ومشاهده ومكانه من رسول الله ﷺ فزوجوا أخاه فزوجوه فلما انصرفوا قال له أخوه يغفر الله لك أما كنت تذكر سوابقنا ومشاهدنا مع رسول الله ﷺ وتترك ماعدا ذلك فقال مه ياأخى صدقت فانكحك

عين من نتن الريح فاستيقظ لذلك وقال لوزيره اجمع العلماء والحكماء والاطباء وتكلم معهم فى أمرى فاجتمع عنده العلماء والحكماء والاطباء فلم يقدروا على الجلوس عنده ساعة وعجزوا عن مداواته وقالوا نحن نقدر على مداواة مايعرض من أمور الأرض وهذا شئ من السماء لانستطيع رده ثم اشتد أمره ونفرت الناس عنه ولم يزل أمره فى شدة حتى أقبل الليل فجاء أحد العلماء الى وزيره فقال له أن بينى وبينك سرا وهو ان كان الملك يصدقنى فى حديثه عالجته فاستبشر الوزير بذلك وقال له قل ماشئت فقال أريد الخلوة فأخلى له المكان فلما خلا مجلس الملك قال له العالم أيها الملك أنت نويت لهذا البيت سوأ قال نعم نويت خرابه وقتل رجاله وسبى نسائه فقال له العالم أيها الملك هذه النية هى التى أحدثت لك هذا الداء ورب هذا البيت قادر يعلم الأسرار فبادر وأخرج من قلبك ماهممت به من أمر هذا البيت وأهله ولك خير الدنيا والآخرة قال الملك قد أخرجت ذلك من قلبى ونويت لهذا البيت

الصدق (وخطب) الحجاج فاطال فقام رجل فقال الصلاة فان الوقت لاينتظرك والرب لايعذرك فامر بحبسه فأتاه قومه وزعموا انه مجنون وسألوه أن يخلي سبيله فقال ان أقر بالجنون خليته فقيل له فقال معاذ الله لاأزعم ان الله ابتلاني وقد عافاني فبلغ ذلك الحجاج فعفا عنه لصدقه ﴿ الفصل الثاني من هذا الباب في الكذب وماجاء فيه) قال الله تعالى في الكاذبين ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون وقال تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وقال رسول الله ﷺ اياكم والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور والفجور يهدي الى النار وتحروا الصدق فان الصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة * وعن عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله ﷺ اذا كذب العبد كذبة تباعد الملكان عنه مسيرة ميل من نتن ماجاء به * ويقال راوي الكذب أحد الكذابين * ويقال رأس المآثم الكذب وعمود الكذب البهتان وقيل أمران لاينفكان من الكذب كثرة المواعيد وشدة الاعتذار وقال الحسن في قوله تعالى ولكم الويل مما تصفون وهي لكل واصف كذب الى يوم القيامة * وقال الاصمعي قلت لكذاب أصدقت قط قال لولا اني أخاف أصدق في هذا لقلت لك لا فتعجب (وقال محمود بن أبي الجنود)

لي حيلة فيمن ينم وليس في الكذاب حيله ... من كان يخلق مايقو * ل فحيلتي فيه قليله

(ويقال) فلان أكذب من لمعان السراب ومن سحاب تموز * وكان بفارس محتسب يعرف بجراب الكذب وكان يقول ان منعت الكذب انشقت مرارتي واني والله لأجد به مع مايلحقني من عاره من المسرة مالا أجده بالصدق مع ماينالني من نفعه * وقال فيلسوف من عرف من نفسه الكذب لم يصدق الصادق فيما يقوله (ولبعضهم)

حسب الكذوب من البليـــه ... بعض مايحكى عليه

فمتى سمعت بكذبة ... من غيره نسبت اليه

وأضاف صيرفي قوماً فأقبل يحدثهم فقال بعضهم نحن كما قال تعالى سماعون للكذب أكالون للسحت * وعن عبدالله بن السدي قال قلت لابن المبارك حدثنا حديثاً قال ارجعوا فلست أحدثكم فقيل له انك لم تحلف فقال لو حلفت لكفرت وحدثتكم ولكن لست أكذب فكان هذا أحب الينا من الحديث * وقال مجاهد يكتب على ابن آدم كل شيء حتى أنينه في سقمه وحتى ان الصبي ليبكي فتقول له أمه اسكت وأشتري لك كذا ثم لاتفعل فتكتب كذبة * وقال الفضيل مامن مضغة أحب الى الله تعالى من اللسان اذا كان صدوقا ولامضغة أبغض الى الله تعالى من اللسان اذا كان كذوبا وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه مرفوعاً أعظم الخطايا اللسان الكذوب (قال الشاعر)

لا يكذب المرء الا من مهانته ... أو فعله السوء أو من قلة الادب

لبعض جيفة كلب خير رائحة ... من كذبة المرء في جد وفي لعب

(ولما) نصب معاوية رضي الله تعالى عنه ابنه يزيد لولاية العهد اقعده في قبة حمراء وجعل الناس يسلمون على معاوية ثم يسلمون على يزيد حتى جاء رجل ففعل ذلك ثم رجع إلى معاوية فقال ياأمير المؤمنين اعلم انك لو لم تول هذا أمور المسلمين لاضعتها والاحنف ساكت فقال معاوية مالك لاتقول ياأبابحر فقال أخاف الله تعالى ان كذبت وأخافكم ان صدقت فقال جزاك الله خيراً عما تقول ثم أمر له بالوف فلما خرج الاحنف لقيه ذلك الرجل بالباب فقال له ياأبابحر اني لأعلم ان هذا من شرار خلق الله تعالى ولكنهم استوثقوا من الاموال بالابواب والاقفال فلسنا نطمع في اخراجها الا بما سمعت فقال له

للبيت ولأهله كل خير فلم يخرج العالم من عنده حتى برئ من علته وعافاه الله تعالى بقدرته فآمن بالله من ساعته وخلع على الكعبة سبعة أثواب وهو أول من كسا الكعبة وخرج الى يثرب وهي يومئذ بقعة فيها عين ماء ليس فيها بيت فنزل على رأس العين هو وعسكره وجميع العلماء الذين كانوا معه ومعهم رئيسهم عماريا الذي برئ الملك برأيه ثم ان العلماء والحكماء أخرجوا من بينهم أربعمائة وهم أعلمهم وبايع كل واحد منهم صاحبه أن لايخرجوا من ذلك المقام وان قتلهم الملك فلما علم الملك بما عزموا عليه قالوا للوزير ما شأنهم يمتنعون عن الخروج معي وأنا محتاج اليهم وأي حكمة اقتضت نزولهم في هذا المكان واختيارهم اياه على سائر النواحي فسألهم الوزير عن ذلك فقالوا أيها الوزير ان ذلك البيت وهذه البقعة التي نحن فيها يشرفان برجل يبعث في آخر الزمان يقال له محمد ووصفوه له ثم قالوا طوبى لمن أدركه وآمن به ونحن على رجاء أن ندركه أو تدركه أولادنا فلما سمع

الأحنف ياهذا أمسك فان ذا الوجهين خليق أن لا يكون عند الله وجيها وقيل ان الكذب يحمد اذا وصل بين المتقاطعين أو أصلح بين الزوجين ويذم الصدق اذا كان غيبة وقد رفع الحرج عن الكاذب في الحرب وعن المصلح بين المرء وزوجه * وكان المهلب في حرب الخوارج يكذب لأصحابه يقوي بذلك جأشهم فكانوا اذا رأوه مقبلا اليهم قالوا جاءنا يكذب وقال يحيى ابن خالد رأينا شارب خمر نزع ولصا أقلع وصاحب فواحش رجع ولم نر كذابا صار صادقا وكان عمر بن معد يكرب مشهوراً بالكذب * وقيل لخلف الأحمر وكان شديد التعصب لليمن أكان ابن معد يكرب يكذب فقال كان يكذب في المقال ويصدق في الفعال * قيل ان بلالا لم يكذب مذ أسلم رضي الله تعالى عنه والحمد لله وحده

﴿الباب الخامس والأربعون في بر الوالدين وذم العقوق وذكر الأولاد وما يجب لهم وعليهم وصلة الرحم والقرابات وذكر الانساب وفيه فصول﴾

﴿الفصل الاول في بر الوالدين وذم العقوق﴾ قال الله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا * وقال تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا اياه وبالوالدين احسانا * وقال تعالى أن اشكر لي ولوالديك الي المصير * وقال تعالى فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا * وعن علي رضي الله تعالى عنه لو علم الله شيئا في العقوق أدنى من أف لحرمه فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة وليعمل البار ما شاء ان يعمل فلن يدخل النار * وقيل ان رضا الرب في رضا الوالدين وسخط الرب في سخط الوالدين ﴿وحكى﴾ أبو سهل عن أبي صالح عن أبي نجيح عن ربيعة عن عبد الرحمن عن عطاء بن أبي مسلم أن رسول الله ﷺ قال من حج عن والده بعد وفاته كتب الله لوالده حجة وكتب له براءة من النار وقال رسول الله ﷺ اياكم وعقوق الوالدين فان ريح الجنة يوجد من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق * وكان رجل من النساك يقبل كل يوم قدم أمه فابطأ يوما على اخوته فسألوه فقال كنت أتمرغ في رياض الجنة فقد بلغنا ان الجنة تحت أقدام الأمهات و بلغنا ان الله تعالى كلم موسى عليه السلام ثلاثة آلاف وخمسمائة كلمة فكان آخر كلامه يارب أوصني قال أوصيك بأمك حسنا قال له سبع مرات قال حسبي ثم قال ياموسى ألا ان رضاها رضاي وسخطها سخطي وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه لابن مهران لا تأتين أبواب السلاطين وإن أمرتهم بمعروف أو نهيتهم عن منكر ولا تخلون بامرأة وان علمتها سورة من القرآن ولا تصحبن عاقا فانه لن يقبلك وقد عق والديه * وقال فيلسوف من عق والديه عقه ولده وقال المأمون لم أر أحداً أبر من الفضل بن يحيى بأبيه بلغ من بره له انه كان لا يتوضأ الا بماء سخن فمنعهم السجان من الوقود في ليلة باردة فلما أخذ يحيى مضجعه قام الفضل الى قمقم نحاس فملأه ماء وأدناه من المصباح فلم يزل قائما وهو في يده الى الصباح حتى استيقظ يحيى من منامه (وقيل) طلب بعضهم من ولده أن يسقيه ماء فلما أتاه بالشربة نام أبوه فما زال الولد واقفا بالشربة في يده الى الصباح حتى استيقظ أبوه من منامه * وقال رجل لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ان لي أما بلغ منها الكبر انها لا تقضي حاجتها الا وظهري لها مطية فهل أديت حقها قال لا لأنها كانت تصنع بك ذلك وهي تتمنى بقاءك وأنت تصنعه وتتمنى فراقها وقال ابن المنكدر بت أكبس رجل أبي وبات آخر يصلي ولا يسرني ليلته بليلتي وقيل ان محمد بن سيرين كان يكلم أمه كما يكلم الأمير الذي لا ينتصف منه وقيل لعلي بن الحسين رضي الله تعالى عنه إنك من أبر الناس ولا تأكل مع أمك في صحفة فقال أخاف أن تسبق يدي يدها الى ما تسبق عينها اليه فأكون قد عققتها

الوزير مقالتهم هم بالمقام معهم فلما جاء وقت الرحيل أمرهم الملك أن يرتحلوا فقالوا لا نفعل وقد أعلمنا الوزير بحكمة مقامنا فدعا بالوزير فأخبره بما سمع منهم فتفكر الملك وهم أن يقيم معهم رجاء ان يدرك محمدا صلى الله عليه وسلم فأقام وأمر الناس أن يبنوا أربعمائة دار على عدة العلماء والحكماء واشترى لكل واحد منهم جارية وأعتقها وزوجها برجل منهم وأعطى كل واحد منهم عطاء جزيلا وأمرهم أن يقيموا في ذلك المكان الى أن يجيء زمان النبي صلى الله عليه وسلم ثم كتب الكتاب وختمه بخاتم من ذهب ودفعه الى عالمهم الكبير وأمره أن يدفع الكتاب الى محمد صلى الله عليه وسلم ان أدركه والا فيوصي به أولاده مثل ما أوصاه به وكذلك الاولاد حتى يتصل بالنبي صلى الله عليه وسلم وكان في ذلك الكتاب * أما بعد فاني آمنت بك وبكتابك الذي أنزل عليك وأنا على دينك وسنتك وآمنت بربك وبكل ما جاء من ربك من شرائع الايمان والاسلام فان أدركتك فبها ونعمت والا فاشفع لي ولا تنسني يوم القيامة فاني من أمتك الأولين وقد بايعتك قبل مجيئك وأنا على ملتك وملة أبيك ابراهيم عليه السلام ثم ختم الكتاب

﴿ الفصل الثانى فى الأولاد وحقوقهم وذكر النجباء والاذكياء والبلداء والاشقياء ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الولد ريحانة من الجنة * وقال الفضل ريح الولد من الجنة وكان يقال ابنك ريحانتك سبعا ثم حاجبك سبعا ثم عدو أو صديق * وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال قلت اسيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله هل يولد لأهل الجنة قال والذى نفسى بيده ان الرجل يشتهى أن يكون له ولد فيكون حمله ووضعه وشبابه الذى ينتهى اليه فى ساعة واحدة وقيل من حق الولد على والده أن يوسع عليه حاله كى لا يفسق وقال عمر رضى الله تعالى عنه انى لأكره نفسى على الجماع رجاء ان يخرج الله منى نسمة تسبحه وتذكره وقال رضى الله تعالى عنه أكثروا من العيال فانكم لا تدرون بمن ترزقون وقال شبيب بن شبة ذهب اللذات الامن ثلاث شم الصبيان وملاقاة الاخوان والخلو مع النسوان ودخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده ابنته عائشة فقال من هذه يا أمير المؤمنين قال هذه تفاحة القلب فقال انبذها عنك فانهن يلدن الأعداء ويقربن البعداء ويورثن الضغائن قال لا تقل ياعمرو ذلك فوالله مامرض المرضى ولا ندب الموتى ولا أعان على الاخوان الاهن فقال عمرو ياأمير المؤمنين انك حببتهن الى وقيل لرجل أى ولدك أحب اليك قال صغيرهم حتى يكبر ومريضهم حتى يبرأ وغائبهم حتى يحضر وقال ابن عامر لامرأته أمامة بنت الحكم الخزاعية ان ولدت غلاما فلك حكمك فلما ولدت قالت حكمى أن تطعم سبعة أيام كل يوم على ألف خوان من فالوذج وان تعق بألف شاة ففعل لها ذلك * وغضب معاوية على يزيد فهجره فقال الاحنف ياأمير المؤمنين أولادنا ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم سماء ظليلة وأرض ذليلة وبهم نصول على كل جليلة فان غضبوا فارضهم وان سألوا فاعطهم وان لم يسألوا فابتدئهم ولا تنظر اليهم شزرا فيملوا حياتك ويتمنوا وفاتك فقال معاوية ياغلام اذا رأيت يزيد فاقرأه السلام واحمل اليه مائتى ألف درهم ومائتى ثوب فقال يزيد من عند أمير المؤمنين فقيل له الاحنف فقال يزيد بن معاوية على به فقال ياأبا بحر كيف كانت القصة فحكاها له فشكر صنيعه وشاطره الصلة ﴿ وحكى ﴾ الكسائى أنه دخل على الرشيد يوما فأمر باحضار الأمين والمأمون ولديه قال فلم يلبث قليلا ان أقبلا ككوكبى أفق يزينهما هداهما ووقارهما وقد غضا أبصارهما حتى وقفا فى مجلسه فسلما عليه بالخلافة ودعواله بأحسن الدعاء فاستدناهما وأسند محمدا عن يمينه وعبد الله عن يساره ثم أمرنى أن ألقى عليهما أبوابا من النحو فما سألتهما شيئا الا أحسنا الجواب عنه فسره ذلك سرورا عظيما وقال كيف تراهما فقلت

أرى قمرى أفق وفرعى بشامة * يزينهما عرق كريم ومحتد
سليلى أمير المؤمنين وحائزى * مواريث ماأبقى النبي محمد
يسدان أنفاق النفاق بشيمة * يزينهما حزم وسيف مهند

ثم قلت مارأيت أعز الله أمير المؤمنين أحدا من أبناء الخلافة ومعدن الرسالة وأغصان هذه الشجرة الزلالية آدب منهما ألسنا ولا أحسن ألفاظا ولا أشد اقتدارا على الكلام روية وحفظا منهما أسأل الله تعالى أن يزيد بهما الاسلام تأييدا وعزا ويدخل بهما على أهل الشرك ذلا وقمعا وأمن الرشيد على دعائه ثم ضمهما اليه وجمع عليهما يديه فلم يبسطهما حتى رأيت الدموع تتحدر على صدره ثم أمرهما بالخروج وقال كأنكم بهما وقد دهم القضاء ونزلت مقادير السماء وقد تشتت أمرهما وافترقت كلمتهما بسفك الدماء وتهتك الستور * وكان يقال بنو أمية دنخل أخرج الله منه زق عسل يعنى عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه * وسب اعرابى ولده وذكر له حقه فقال ياأبت ان عظيم حقك على لا يبطل صغير حقى عليك قال سيدى عبد العزيز الديرينى رحمه الله تعالى

أحب بنيتى ووددت أنى * دفنت بنيتى فى قاع لحد

ونقش عليه (لله الامر من قبل ومن بعد) وكتب عنوانه الى محمد بن عبد الله ونبي الله ورسوله وخاتم النبيين ورسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم من تبع الاول الحميرى ودفع الكتاب الى الرجل العالم الذى أبرأه من علته وسار تبع من يثرب حتى وصل الى بلاد الهند فمات بها وكان من اليوم الذى مات فيه تبع الى اليوم الذى بعث فيه النبى صلى الله عليه وسلم ألف سنة لا تزيد ولا تنقص وكانت الانصار الذين نصروا النبى صلى الله عليه وسلم من أولاد أولئك العلماء والحكماء فلما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة سأله أهل القبائل أن ينزل عليهم فكانوا يتعلقون بناقته وهو يقول خلوا الناقة فانها مأمورة حتى جاءت الى دار أبى أيوب وكان من أولاد العالم الذى أبرأ تبعا برأيه ثم استشار الانصار عبد الرحمن بن عوف فى ايصال الكتاب الى النبى صلى الله عليه وسلم لما ظهر خبره قبل هجرته فأشار عبد الرحمن أن يدفعوه الى رجل ثقة فاختاروا رجلا يقال له أبو ليلى وكان من الانصار فدفعوا الكتاب اليه وأوصوه بحفظه فأخذ الكتاب وخرج من المدينة على طريق مكة فوجد النبي صلى الله عليه وسلم فى قبيلة بنى سليم فعرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومابى أن تهون على لكن * مخافة أن تذوق الذل بعدى * فان زوجتها رجلا فقيرا
أراها عنده والهم عندى * وان زوجتها رجلا غنيا * فيلطم خدها ويسب جدى
سألت الله يأخذها قريبا * ولوكانت أحب الناس عندى

﴿ وقال هرون بن على بن يحيي المنجم ﴾

أرى ابنى تشابه من على * ومن يحيي وذاك به خليق
وان يشبههما خلقا وخلقا * فقد تسرى الى الشبه العروق

﴿ وقال أبو النصر مولى بنى سليم ﴾

ونفرح بالمولود من آل برمك * ولاسيمان كان من ولد الفضل

﴿ وقال الحسن بن زيد العلوى ﴾

قالوا عقيم ولم يولد له ولد * والمرء يخلفه من بعده الولد
فقلت من علقت بالحرب همته * عاف النساء ولم يكثر له عدد

﴿ وكان الزبير بن العوام رضى الله عنه يرقص ولده ويقول ﴾

أزهر من آل بنى عتيق * مبارك من ولد الصديق * ألذه كما ألذ ريقى

﴿ وكانت اعرابية ترقص ولدها وتقول ﴾

ياحبذا ريح الولد * ريح الخزامى فى البلد أهكذا كل ولد * أم لم يلد مثلى أحد

﴿ وكان اعرابى يرقص ولده ويقول ﴾

أحبه حب الشحيح ماله * قد ذاق طعم الفقر ثم ناله * إذا أراد بذله بدا له

(وكان) لأعرابى امرأتان فولدت احداهما جارية والأخرى غلاما فرقصته أمه يوما وقالت معايرة لضرتها

الحمد لله الحميد العالى * أنقذنى العام من الجوالى
من كل شوهاء كشن بالى * لاتدفع الضيم عن العيال

فسمعتها ضرتها فأقبلت ترقص ابنتها وتقول

وما على أن تكون جاريه * تغسل رأسى وتكون الغاليه * وترفع الساقط من خماريه
حتى إذا ما بلغت ثمانيه * أزرتها بنقبة يمانيه * أنكحتها مروان أو معاويه
* أصهار صدق ومهور غالية *

قال فسمعها مروان فتزوجها على مائة ألف مثقال وقال ان أمها حقيقة أن لا يكذب ظنها ولا يخان عهدها فقال معاوية لولا مروان سبقنا اليها لاضعفنا لها المهر ولكن لا تحرم الصلة فبعث اليها بمائتى ألف درهم والله أعلم

﴿ ومما جاء فى الأولاد البلداء القليلى التوفيق ﴾

(قيل) نظر أعرابى الى ولده قبيح المنظر فقال له يا بنى انك لست من زينة الحياة الدنيا * وقال رجل لولده وهو فى المكتب فى أى سورة أنت قال لا أقسم بهذا البلد ووالدى بلا ولد فقال لعمرى من كنت أنت ولده فهو بلا ولد * وأرسل رجل ولده يشترى له رشاء للبئر طوله عشرون ذراعا فوصل الى نصف الطريق ثم رجع فقال ياأبت عشرون فى عرض كم قال فى عرض مصيبتى فيك يا بنى * وكان لرجل من الاعراب ولد اسمه حمزة فبينما هو يوما يمشى مع أبيه إذا برجل يصيح بشاب ياعبد الله فلم يجبه ذلك الشاب فقال ألا تسمع فقال ياعم كلنا عبيد الله فأى عبد الله تعنى فالتفت أبو حمزة اليه وقال ياحمزة ألا تنظر الى بلاغة هذا الشاب فلما كان من الغد إذا برجل ينادى شابا ياحمزة فقال حمزة بن الاعرابى كلنا حميز الله فأى حمزة تعنى فقال له أبوه ليس يعنيك يامن أخمد الله به ذكر أبيه * وكان لمحمد بن بشير

فدعاه وقال أنت أبو ليلى قال نعم قال ومعك كتاب تبع الاول قال نعم فبقى أبو ليلى متفكرا وقال فى نفسه ان هذا من العجائب ثم قال له أبو ليلى من أنت فانى لست أعرفك وتوهم انه ساحر وقال فى وجهك أثر السحر فقال له بل أنا محمد رسول الله هات الكتاب فأخرجه ودفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذه النبى صلى الله عليه وسلم ودفعه الى على كرم الله وجهه فقرأه عليه فلما سمع النبى صلى الله عليه وسلم كلام تبع قال مرحبا بالأخ الصالح ثلاث مرات ثم أمر أبا ليلى بالرجوع الى المدينة ليبشرهم بقدومه عليهم (قال أبو عبد الله محمد القرطبى نور الله ضريحه) ماذكرت هذا الخبر وان كان فيه طول الا لما احتوى عليه من فضل مكة والمدينة والتصديق بنبوة النبى صلى الله عليه وسلم قبل ايجاده بألف عام ﴿ومن لطائف ما نقلته من كتاب الاعلام للقرطبى﴾ ما أورده من مسند أبى داود عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قول الله عز وجل اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه الى آخر الآية ان أول من جحد الدين آدم عليه السلام لانه لما أراه الله تعالى ذريته رأى فيهم رجلا أزهر ساطع النور فقال يارب من هذا قال ابنك داود قال يارب فما عمره قال ستون سنة قال

الشاعر ابن جسيم فأرسله فى حاجته فابطأ عليه ثم عاد ولم يقضها فنظر اليه ثم قال

عقله عقل طائر * وهو فى خلقة الجمل

(فأجابه) مشبه بك يا أبى * ليس لى عنك منتقل

(ونهى) أعرابى ابنه عن شرب النبيذ فلم ينته وقال

أمن شربة من ماء كرم شربتها * غضبت على الآن طابت لى الخمر

سأشرب فاسخط لارضيت كلاهما * حبيب إلى قلبى عقوقك والسكر

وقيل قال ذلك يزيد بن معاوية لأبيه حين نهاه عن شرب الخمر

﴿ ومما جاء فى صلة الرحم ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلة الرحم منهاة للولد مثراة للمال * وقيل وجد حجر حين حفر ابراهيم الخليل عليه السلام أساس البيت مكتوب عليه بالعبرانية أنا الله ذو بكة خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمائى فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته أى قطعته وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعجل الخير ثوابا صلة الرحم وحدثنا أبو سهل عن صالح بن جرير بن عبد الحميد عن منصور عن عطاء بن أبى مروان عن أبيه عن كعب الاحبار انه قال والذى فلق البحر لموسى بن عمران ان فى التوراة لمكتوبا يا ابن آدم اتق ربك وبر والديك وصل رحمك أزد فى عمرك وأيسر لك فى يسيرك وأصرف عنك عسيرك وعن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال صنائع المعروف تقى مصارع السوء وصدقة السر تطفىء غضب الرب جل وعلا وصلة الرحم تزيد فى العمر وذكر تمام الحديث

﴿ الفصل الثالث من هذا الباب فى ذكر الانساب والاقارب والعشيرة ﴾ قال عمر رضى الله عنه تعلموا أنسابكم تعرفوا بها أصولكم فتصلوا بها أرحامكم وقيل لو لم يكن من معرفة الانساب الا اعتزازها من صولة الاعداء وتنازع الاكفاء لكان تعلمها من أحزم الرأى وأفضل الثواب ألا ترى الى قول قوم شعيب عليه السلام حيث قالوا ولولا رهطك لرجمناك فأبقوا عليه لرهطه وقال عمر رضى الله عنه تعلموا العربية فانها تزيد فى المروءة وتعلموا النسب فرب رحم مجهولة قد وصلت بعرفان نسبها (وسئل) عيسى عليه السلام أى الناس أشرف فقبض قبضتين من تراب وقال أى هاتين أشرف ثم جمعهما وطرحهما وقال الناس كلهم من تراب ان أكرمكم عند الله أتقاكم * كان أبو كبشة جد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل أمه فلما خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم دين قريش قالوا نزعه عرق أبى كبشة حيث خالفهم فى عبادة الشعرى وقال خالد بن عبد الله القشيرى سألت واصل بن عطاء عن نسبه فقال نسبى الاسلام الذى من ضيعه فقد ضيع نسبه ومن حفظه فقد حفظ نسبه فقال خالد وجه عبد وكلام حر * ومن كلام على كرم الله وجهه أكرم عشيرتك فانهم جناحك الذى به تطير فانك بهم تصول وبهم تطول وهم العدة عند الشدة أكرم كريمهم وعد سقيمهم وأشركهم فى أمورك ويسر عن معسرهم وكان يقال إذا كان لك قريب فلم تمش اليه برجلك ولم تعطه من مالك فقد قطعته ويقال حق الاقارب اعظام الاصغر للاكبر وحنو الاكبر على الاصغر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حق كبير الاخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده وقال بعضهم واذا رزقت من النوافل ثروة * فامنح عشيرتك الادانى فضلها

واعلم بأنك لم تسود فيهم * حتى ترى دمث الخلائق سهلها

﴿ الباب السادس والأربعون فى الخلق وصفاتهم وأحوالهم وذكر الحسن والقبيح والطول والقصر والألوان والثياب وما أشبه ذلك وفيه فصول ﴾

أربعين سنة قال فكتب الله عليه كتابا وأشهد عليه ملائكته فلما حضرته الوفاة قال بقى من عمرى أربعون سنة فقيل له قد وهبتها لابنك داود قال ماوهبت لأحد شيئا فأخرج الله ذلك الكتاب وفيه شهادة الملائكة * وفى رواية ان الله جل جلاله أتم لداود مائة سنة ولآدم ألف سنة أخرجه الترمذى بمعناه وصححه وفيه فقال عليه الصلاة والسلام نسى آدم فنسيت ذريته وجحد آدم فجحدت ذريته والله أعلم

﴿ ومن لطائف الغرائب المنقولة من كتاب الاعلام للقرطبى ﴾ ان العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه مدح النبى صلى الله عليه وسلم بأبيات على قافية بديعة أعجبت النبى صلى الله عليه وسلم منها قوله

وأنت لما ولدت أشرقت الار
ض وضاءت بنورك الأفق
فنحن فى ذلك الضياء وفى النو
ر وسبل الرشاد نخترق

فقال ياعم لكل شاعر جائزة وجائزتك انا الحلانة فى عقبك إلى يوم القيامة ﴿ ومن غرائب التفسير ما نقلته من الاعلام ﴾ ان فى قوله

﴿الفصل الأول فى الحسن ومحاسن الاخلاق﴾ والى سيدنا محمد رسول الله ﷺ ينتهى الحسن والجمال كان سيدنا محمد ﷺ ربعة من القوم لابائنا من طول ولا تقتحمه عين من قصر أبيض اللون مشربا بحمرة أدعج العينين مفلج الثنايا دقيق المسربة أزهر الجبين واضح الخد أقنى الانف كأن عنقه ابريق فضة ظاهر الوضاءة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر شثن الكفين مسيح القدمين واسع الصدر من لبته الى سرته شعر يجرى كالقضيب ليس فى بطنه ولا صدره شعر غيره أشعر الذراعين والمنكبين لم يبلغ شيبه فى رأسه ولحيته عشرين شعرة ضخم الكراديس أنور المتجرد اذا مشى كأنما ينحط من صبب واذا التفت التفت جميعا بين كتفيه خاتم النبوة كأنه زر حجلة أو بيض حمامة لونه كلون جسده أبلج الوجه حسن الخلق وسيما قسيما فى جبينه زجج وفى عينه دعج وفى عنقه سطع وفى لحيته كثاثة ان صمت فعليه الوقار وان تكلم سما وعلاه البهاء أجمل الناس وأبهاهم من بعيد وأحسنهم وأكملهم من قريب كأنما منطقه خرزات نظم يتحدرن قال أنس رضى الله عنه ما رأيت من ذى لمة سوداء فى حلة حمراء أحسن من رسول الله ﷺ ومدحه صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت رضى الله عنه قال

وأحسن منك لم ترقط عينى * وأجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب * كأنك قد خلقت كما تشاء

اللهم صلى وسلم عليه واجعله شفيعا لمن يصلى عليه وقال ﷺ ما حسن الله خلق عبد وخلقه الا استحيا ان يطعم لحمه النار وقد كان المتوكل رحمه الله من أحسن الخلفاء العباسية وجها وأبهاهم منظرا وكان مصعب بن الزبير من أحسن الناس وجها (حكى) انه كان جالسا بفناء داره يوما بالبصرة اذ جاءت امرأة فوقفت تنظر اليه فقال لها ما اوقوفك يرحمك الله فقالت طفىء مصباحنا فجئنا نقتبس من وجهك مصباحا وقيل لاعرابية ظريفة ما بال شفتيك مشققة فقالت ان التين اذا حلا تشقق والورد يتشقق اذا مسه الندى وكانت لبابة بنت عبدالله بن عباس رضى الله تعالى عنهم من أجمل الناس وجها وكانت عند الوليد بن عتبة بن أبى سفيان فكانت تقول ما نظرت وجهى فى مرآة مع انسان الا رحمته من حسن وجهى الا الوليد فكنت اذا نظرت الى وجهى مع وجهه رحمت وجهى من حسن وجهه قال الشاعر

ولو أنها فى عهد يوسف قطعت * قلوب رجال لا أكف نساء
(وقال كثير) لو أن عزة حاكمت شمس الضحى * فى الحسن عند موفق لقضى لها

﴿ومما جاء فى محاسن الخلق منظوما على الترتيب من الفرق الى القدم﴾

(ما قيل فى الشعر) كان يقال من تزوج امرأة أو اتخذ جارية فليستحسن من شعرها فان الشعر الحسن أحد الوجهين قال بكر بن النطاح *

بيضاء تسحب من قيام شعرها * وتغيب فيه وهو وجه أسحم
فكأنها فيه نهار ساطع * وكأنه ليل عليها مظلم
(وللمتنبى) نشرت ثلاث ذوائب من شعرها * فى ليلة فأرت ليالى أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها * فأرتنى القمرين فى وقت معا
(وله أيضا) لبسن الوشى لا متجملات * ولكن كى يصن به الجمالا
وضفرن الغدائر لا لحسن * ولكن خفن فى الشعر الضلالا
(وقال الصفدى) لولا شفاعة شعره فى صبه * ما كان زار ولا أزال سقاما

تعالى ووجدك ضالا فهدى أقوالا ذكرت فى أحكام مخارج القرآن أحسنها ما ذكره بعض المتكلمين ان العرب كانت اذا وجدت شجرة منفردة فى فلاة من الأرض لا شجر معها سموها ضالة فيهتدى بها على الطريق فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ووجدك ضالا فهدى أى وجدتك لا أحد على دينك فهديت بك الخلق الى (قلت) قد تقدم الكلام فى سعادة العباس ابن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم وما نال بالاسلام من العز وقول النبى صلى الله عليه وسلم ان الخلافة فى عقبك الى يوم القيامة وتقدم ذكر شقوة عمه أبى طالب بالشرك مع حمايته ورعايته لجانب النبى صلى الله عليه وسلم وهو الذى تقدم قوله مشيرا الى قريش فى خطابه الى النبى صلى الله عليه وسلم

والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتى أوسد فى التراب دفينا

(قال السهيلى) نور الله ضريحه فى الروض الانف هذا من باب النظر فى حكمة الله (ونقل فى) الروض الانف أيضا عن هشام بن السائب أن أبا طالب لما حضرته الوفاة جمع وجوه قريش وقال لهم أنتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب وفيكم السيد المطاع وفيكم المتقدم الشجاع والواسع الباع لم تتركوا للعرب فى المآثر نصيبا الا أحرزتموه

لكن تنازل فى الشفاعة عنده * فغدا على اقدامه يترامى

(قال ابن الصائغ) ثنى غصنا ومد عليه فرعا * كحظى حين أطلب منه وصلا

وبليله على الأرداف منه * فلم أر مثل ذاك الفرع أصلا

(وقال آخر) أرخى ثلاثا يوم حمامه * ذوائبا تعبق منها الغوالى

فقلت والقصد ذوابته * واسهرى فى ذى الليالى الطوال

(وقال آخر) بدت ثريا قرطها وشعرها * متصل بكعبها كما ترى

ياعجبا لشعرها لما ابتدى * من الثريا فانتهى إلى الثرى

(وقال ابن المعتز) توارت عن الواشى بليل ذوائب * لها من محيا واضح تحته فجر

يغطى عليها شعرها بظلامه * وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر

﴿ ومما قيل فى الاصداغ ﴾

(وقال ابن المعتز) ريم يتيه بحسن صورته * عبث النعاس بلحظ مقلته

وكأن عقرب صدغه وقفت * لما دنت من ورد وجنته

(وقال العادلى) وعهدى بالعقارب حين تشتو * يخفف لدغها ويقل ضرا

فما بال الشتاء أتى وهذى * عقارب صدغها تزداد شرا

(وقال آخر) وماضره نار بخديه ألهبت * ولكن بها قلب المحب يعذب

عناقيد صدغيه بخديه تلتوى * وأمواج ردفيه بخصريه تلعب

شربت الهوى صرفا زلالا وانما * لواحظه تسقى وقلبى يشرب

(وقال آخر) حل القبا ولوى صدغيه فانعقدا * واحيرتى بين محلول ومعقود

وأسكرتنى ثناياه وريقته * هل هذه الخمر من تلك العناقيد

(ومما قيل فى مدح العذار) قال أبو فراس بن حمدان

يامن يلوم على هواه جهالة * انظر الى تلك السوالف تعذر

حسنت وطاب نسيمها فكأنها * مسك تساقط فوق خد أحمر

(وقال محمد بن وهب)

صدودك والهوى هتكا استتارى * وساعدنى البكاء على اشتهارى

وكم أبصرت من حسن ولكن * عليك لشقوتى وقع اختيارى

ولم أخلع عذارا فيك الا * لما عاينت من خلع العذار

(وقال آخر) ومعذر رقت حواشى خده * فقلوبنا وجدا عليه رقاق

لم يكس عارضه السواد وانما * نفضت عليه سوادها الاحداق

(وقال آخر) ومهفهف راقت نضارة وجهه * والعين تنظر منه أحسن منظر

أصلى بنار الخد عنبر خاله * فبدا العذار دخان ذاك العنبر

(وقال آخر) أصبحت سلطان القلوب ملاحة * وجمال وجهك للبرية عسكر

طلعت طلائع وجنتيك منيرة * بالنصر يقدمها اللواء الأخضر

(وقال آخر) ياذا الذى خط العذار بخده * خطين هاجا لوعة وبلابلا

ماصح عندى ان لحظك صارم * حتى حملت بعارضيك حمائلا

(وقال آخر) من لا أرى كعبة الحسن التى حرست * بالنمل حيث مقام النحل فى فمه

ولا شرفا الا أدركتموه فالكم على الناس بذلك الفضيلة ولهم به اليكم الوسيلة والناس لكم حرب وعلى حربكم ألب وانى أوصيكم بتعظيم هذه البنية فان فيها مرضاة للرب وقواما للمعاش وثباتا للوطأة صلوا أرحامكم ولا تقطعوها فان فى صلة الرحم منسأة فى الاجل وزيادة فى العدد واتركوا البغى والعقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم وأجيبوا الداعى وأعطوا السائل فان فيهما شرف الحياة والممات وعليكم بصدق الحديث وأداء الأمانة فان فيهما محبة فى الخاص ومكرمة فى العام وأنا أوصيكم بمحمد خيرا فانه الأمين فى قريش والصديق فى العرب وهو جامع لكل ما أوصيكم به وقد جاء بأمر قبله الجنان وأنكره اللسان مخافة الشنآن وايم الله كأنى أنظر الى صعاليك العرب وأهل البر فى الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره فخاض بهم غمرات فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذنابا ودورها خرابا وضعفاؤها أربابا واذا أعظمهم عليه أحوجهم اليه وأبعدهم منه أحظاهم عنده قد محضته العرب ودادها وأصفت له فؤادها وأعطته قيادها دونكم يامعشر قريش ابن أبيكم كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لا يسلك أحد منكم سبيله الا رشد

فلينظر النمل أضحى فوق عارضه * يطوف سبعا وسبعا حول مبسمه

(وقال بدر الدين الدماميني)

تحدث ليل عارضه بأني * سأسلوه وينصرم المزار
فأشرق صبح غرته ينادي * حديث الليل يمحوه النهار

(وقال آخر) وقالوا تسلى فقد شانه * عذار أراحك من صده
فقلت وهمتم ولكنني * خلعت العذار على خده

(سيدي أبو الفضل بن أبي الوفاء)

على وجنتيه جنة ذات بهجة * ترى لعيون الناس فيها تزاحما
حمى ورد خديه حماة عذاره * فيا حسن ريحان العذار حماحمي

(وقال ابن نباته) وبمهجتي رشأ يميس قوامه * فكأنه نشوان من شفتيه
شغف العذار بخده ورآه قد * نعست لواحظه فدب عليه

(وقال الموصلي) لحديث نبت العارضين حلاوة * وطلاوة هامت بها العشاق
فاذا نهاني المرء قلت ترفقوا * فاليكم هذا الحديث يساق

(وقال آخر) أصبحت مكسوراً بسهم لحاظه * ومقيدا من صدغه بلسانه
حتى بدا سيف العذار مجردا * فخشيت يقتلني وذا من شانه

(وقال آخر) ياصاح قد حضر المدام ومنيتي * وحظيت بعد الهجر بالايناس
وكسا العذار الخد حسنا فاسقني * واجعل حديثك كله في الكاس

(ابن نباتة) وضعت سلاح الصبر عنه فماله * يغازل بالالحاظ من لا يغازله
وسال عذار فوق خديه سائل * على خده فليتق الله سائله

(ومما قيل في ذم العذار) قال الشاعر

غدا لما التحى ليلا بهيما * وكان كأنه قمر منير
وقد كتب السواد بعارضيه * لمن يقرا وجاءكم النذير

(آخر في ذمه) قلت لأصحابي وقد مر بي * منتقبا بعد الضيا بالظلم
بالله يا أهل ودي قفوا * ثم انظروا كيف زوال النعم

(وقال آخر) مازال ينتف ريحانا بعارضه * حتى استطال عليه صار يحلقه
كأنما طور سينا فوق عارضه * طول الزمان فموسى لا يفارقه

(وقال آخر) مازال يحلف لي بكل ألية * أن لا يزال مدى الزمان مصاحبي
لما جنى نزل العذار بخده * فتعجبوا لسواد وجه الكاذب

(ابن المعتز) يارب ان لم يكن في وصله طمع * ولم يكن فرج من طول جفوته
فاشف السقام الذي في لحظ مقلته * واستر ملاحة خديه بلحيته

(ومما قيل في الجبين والحواجب) خالد الكاتب

لها من ظباء الرمل عين مريضة * ومن ناضر الريحان خضرة حاجب
ومن يانع الاغصان قد وقامة * ومن حالك الحبر اسوداد الذوائب

(وقال آخر) غزاني الهوى في جيشه وجنوده * وهب على الجيش من كل جانب
بميسرة أجنادها أعين المها * وميمنة تقضي بزج الحواجب

ثم هلك (ومن شهي المجتنى من ثمرات الأوراق) ما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه مر على طائفة بالمدينة أيام خلافته فاذا بجارية تبكي وتقول

وهويته من قبل قطع تمائمي
متمايسا مثل القضيب الناعم

فكأن نور البدر سنة وجهه
يمشي ويصعد من ذؤابة هاشم

فقرع الباب فخرجت اليه فقال لها أحرة أنت أم أمة فقالت بل أمة ياصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من هويت فبكت وقالت بحق صاحب هذا القبر الا انصرفت عني فقال لست بمنصرف من مكاني حتى تعلميني وتقولي فقالت

وان الذي عمل الفراق بقلبها
فبكت بحب محمد بن القاسم

فسار أبو بكر رضي الله عنه إلى المسجد وبعث إلى مولاها فاشتراها منه وبعث بها إلى علي بن القاسم بن جعفر بن أبي طالب عفي عنه (ومن مناقب الامام عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في فتح بيت المقدس) ان المسلمين تكامل لهم فتوح الشام فأقاموا على دمشق شهرا فجمع أبو عبيدة أمراء المسلمين واستشارهم في المسير إلى قيسارية أو الى بيت المقدس

(وقال آخر) أياقمرا تبسم عن اقاح * وياغصنا يميل مع الرياح
جبينك والمقبل والثنايا * صباح فى صباح فى صباح

(ومما قيل فى العيون) قال الأصمعي ماوصف أحد العيون بمثل ماوصف أحمد بن الرقاع فى قوله

وكأنما دون النساء أعارها * عينيه أحور من جآذر جاسم
وسنان اقصده النعاس تلاعبت * فى جفنه سنة وليس بنائم

(وقال ابن المعتز) عليم بما تحت العيون من الهوى * سريع بكسر اللحظ والقلب جازع
فيجرح أحشائى بعين مريضة * كما لان متن السيف والحد قاطع

(وقال الأخطل) ولاتلمم بدار بنى كليب * ولا تقرب لها أبدا رجالا
ترى فيها بوارق مرهفات * يكدن يكدن بالحرق الرجالا

(وقال أبو فراس وأحسن)

وبيض بألحاظ العيون كأنما * هززن سيوفا واستللن خناجرا
تصدين لى يوما بمنعرج اللوى * فغادرن قلبي بالتصبر غادرا
سفرن بدورا والتقبن أهلة * ومسن غصونا والتفتن جآذرا

(وقال آخر) ومريض جفن ليس يصرف طرفه * نحو امرىء الا رماه بحتفه
قد قلت إذا أبصرته متمايلا * والردف يجذب خصره من خلفه
يامن يسلم خصره من ردفه * سلم فؤاد محبه من طرفه

(وقال أبو هتان) أخود نفت رمته فاقصدته * سهام من جفونك لاتطيش
فواتك لايقال سوى احورار * بهن ولاسوى الا هداب ريش
أصبن فؤاد مهجته فأضحى * سقيما لا يموت ولا يعيش
كئيبا ان ترحل عنه جيش * من البلوى أناخ به جيوش

(وقال آخر) وجاؤا اليه بالتعاويذ والرقى * فصبوا عليه الماء من شدة النكس
وقالوا به من أعين الجن نظرة * ولو انصفوا قالوا به أعين الانس

(عز الدين الموصلى) لها عين لها غزو وغزل * مكحلة ولى عين تباكت
وحاكت فى فعائلها المواضى * فيالك مقلة غزلت وحاكت

(برهان الدين القيراطى)

شبه السيف والسنان بعينى * من لقتلى بين الأنام استحلا
فأتى السيف والسنان وقالا * حدثنا دون ذاك حاشى وكلا

(وله أيضا) بأبى أهيف المعاطف لدن * حسد الأسمر المثقف قده
ذو جفون مذ رمت منها كلاما * كلمتنى سيوفهن بحده

(بدر الدين بن حبيب)

عيناه قد شهدت بأنى مخطىء * وأتت بخط عذاره تذكارا
ياحاكم الحب اتئد فى قتلتى * فالخط زور والشهود سكارى

(جلال الدين بن خطيب داريا)

شهدت جفون معذبى بملالة * منى وأن وداده تكليف
لكننى لم أنا عنه لانه * خبر رواه الجفن وهو ضعيف

(وقال

فقال له معاذ بن جبل أيها الأمير اكتب إلى أمير المؤمنين عمر فحيث أمرك امتثله قال له أصبت الرأى يامعاذ ثم كتب إلى أمير المؤمنين عمر يعلمه بذلك وأرسل الكتاب مع عرفجة بن ناصح النخعى فسار حتى وصل المدينة فسلم الكتاب الى عمر رضى الله عنه فقرأه على المسلمين واستشارهم فقال على رضى الله تعالى عنه ياأمير المؤمنين مرصاحبك ينزل بجيوش المسلمين إلى بيت المقدس فاذا فتح الله بيت المقدس صرف وجهه الى قيسارية فانها تفتح بعدها ان شاء الله تعالى كذا أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر صدق المصطفى صلى الله عليه وسلم وصدقت أنت ياأبا الحسن ثم دعا بدواة وبياض وكتب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر إلى عامله بالشام أبى عبيدة أما بعد فانى أحمد الله الذى لاإله إلا هو وأصلى على نبيه وقد وصلنى كتابك تستشيرنى إلى أى ناحية تتوجه وقد أشار ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسير إلى بيت المقدس فان الله يفتحها على يديك والسلام فلما وصل الكتاب الى أبى عبيدة قرأه على المسلمين ففرحوا بالمسير الى بيت المقدس وتقدمه الجيش إلى بيت المقدس وأقام المسلمون فى القتال عشرة أيام وأهل بيت المقدس يظهرون الفرح لعدم

(وقال الشيخ عز الدين الموصلى)

يامقلة الحب مهلا * فقد أخذت بثارك * وأنت ياوجنتيه * لا تحرقيني بنارك

(وقال ابن الصائغ) لمثلي من لواحظها سهام * لها فى القلب فتك أى فتك
إذا رامت تشك به فؤدا * يموت المستهام بغير شك

(وقال الصلاح الصفدى)

يا عاذلى على عين محجبة * خف سحر ناظرها فالسحر فيه خوف
وخذ فؤادي ودعه نصب مقلتها * لا ترم نفسك بين السهم والهدف

(وقال آخر) بسهم أجفانه رمانى * فذبت من هجره وبينه
ان مت مالى سواه خصم * لانه قاتلى بعينه

(وقال آخر) سهام الجفن كم قتلت لنفس * مبرأة من السلوى زكيه
فما أقوى جفونك وهى مرضى * وأقدرها على قتل البريه

﴿ ومما قيل فى الخال ﴾ للصلاح الصفدى

بروحى خده المحمر أضحى * عليه شامة شرط المحبه
كأن الحسن يعشقه قديما * فنقطه بدينار وحبه

(ولابن الصائغ) بروحى أفدى خاله فوق خده * ومن أنا فى الدنيا فأفديه بالمال
تبارك من أخلى من الشعر خده * وأسكن كل الحسن فى ذلك الخال

﴿ للشيخ جمال الدين بن نباتة ﴾

لله خال على خد الحبيب له * فى العاشقين كما شاء الهوى عبث
أورثته حبة القلب القتيل به * وكان عهدى بأن الخال لا يرث

(وقال آخر) ياسالبا قمر السماء جماله * ألبستنى فى الحزن ثوب سمائه
أحرقت قلبى فارتمى بشرارة * علقت بخدك فانطفت فى مائه

﴿ للشيخ تقى الدين بن حجة ﴾

قلت للخال إذ بدا * فى نقا جيده السعيد * فزت ياعبد قال لى * أنا عبد لكل جيد

(وقال ابن أيبك) فى الجانب الايمن من خدها * نقطة مسك اشتهى شمها
حسبته لما بدا خالها * وجدته من حسنها عمها

﴿ وقال الحسين بن الضحاك ﴾

ياصائد الطير كم ذا * باللحظ تضني وتسبي * نصبت نقطة خال * فصدت طائر قلبى

﴿ ومما قيل فى الخدود ﴾ قال ابن المعتز

صل بخدى خديك تلق عجيبا * من معان يحار فيها الضمير
فبخديك للربيع رياض * وبخدى للدموع غدير

(وقال آخر) ورد الخدود ونرجس اللحظات * وتصافح الشفتين فى الخلوات
شىء أسر به وأعلم أنه * وحياته أحلى من اللذات

﴿ ومما قيل فى الثغور ﴾ قال يوسف بن مسعود الصواف

بروحى من ولى فولى بمهجتى * وولى منامي وهو كالوصل شارد
حمى ثغره منى بسيف لحاظه * وحتام يحمى ثغره وهو بارد

الخوف فلما كان يوم الحادى عشر أشرفت عليهم راية أبى عبيدة وخالد عن يمينه وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق عن يساره فضج الناس ضجة عظيمة بالتهليل والتكبير فوقع الرعب فى أهل بيت المقدس فاجتمعوا بقمامة وهى البيعة المعظمة عندهم فلما وقفوا بين يدى البطرك قال لهم ما هذه الضجة التى أسمع قالوا ياأبانا قد قدم أمير المؤمنين ببقية المسلمين فلما سمع البطرك منهم ذلك انخطف لونه وتغير وجهه وقال انا وجدنا فى علمنا الذى ورثناه ان الذى يفتح الارض هو الرجل الاحمر صاحب نبيهم محمد فان كان قدم عليكم فلا سبيل الى قتاله ولابد أن أشرف عليه وأنظر الى صفته فان كان هو أجبته الى مايريدون وان كان غيره فلا بأس عليكم ثم وثب قائما والقسس والرهبان والشمامسة من حوله وقد رفعوا الصلبان على رأسه فصعدوا الى السور الى أن ورد أبو عبيدة رضى الله عنه فناداهم رجل من الروم باذن البطرك يامعاشر المسلمين كفوا عن القتال حتى نسألكم فأمسك المسلمون عنهم فناداهم الرجل بلسان عربى اعلموا ان الرجل الذى يفتح بلدتنا هذه وجميع الارض صفته عندنا فان كانت فى أميركم لم نقاتلكم بل نسلم اليكم وان لم تكن هذه صفته فلا نسلم اليكم أبدا فاعلم المسلمون أبا عبيدة بذلك فخرج أبو عبيدة

(وقال آخر) أنفقت كنز مدامعي في ثغره * وجمعت فيه كل معنى شارد
وطلبت منه جزاء ذلك قبلة * فقضى وراح تغزلي في البارد

(وقال آخر) رأى ثغر من أهوى عذولي فقال لي * ولم يدر أن اللوم في خده يغري
شغلت بهذا وارتبطت بحسنه * وأحسن ما كان الرباط على ثغر

(وقال ابن ريان) لاحت على مبسمه المشتهى * ثلاث شامات غدت في التثام
لا تعجبوا ان كثرت حوله * فالمنهل العذب كثير الزحام

﴿ ومما قيل في طيب الريق والنكهة ﴾ قال ذو الرمة

أسيلة مجرى الدمع هيفاء طفلة * عروب كايماض الغمام ابتسامها
كأن على فيها وما ذقت طعمه * زجاجة خمر طاب فيها مدامها

﴿ قال شهاب الدين الكردي ﴾

ذكرت ريح حبيبي * بشرب راح تعطر * وليس ذا بعجيب * فالشيء بالشيء يذكر

(غيره) رشفت ريقك حلوا * ولم يكن لي صبر * وسوف أحظى بوصل * فاول الغيث قطر

(الصلاح الصفدي) نقل الأراك بان ريقة ثغره * من قهوة مزجت بماء الكوثر
قد صح ما نقل الاراك لانه * يرويه نصا عن صحاح الجوهري

(وقال آخر) ثلاث تجمعن في ثغرها * ملاح أدلتها واضحه
فان قيل ما هي قل لي أقل * هي الطعم واللون والرائحه

(وقال آخر) يارب ممتنع الوصال محجب * بستوره كالبدر بين غيومه
دارت مراشفه على وكأسه * فسكرت في الحالين من خرطومه

(وقال آخر) أريقا من رضابك أم رحيقا * رشفت فكدت منه لن أفيقا
وللصهباء أسماء ولكن * جهلت بأن في الأسماء ريقا

﴿ ومما قيل في حسن الحديث ﴾ قال البحتري

ولما التقينا والنقا موعد لنا * تعجب رائي الدر حسنا ولاقطه
فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها * ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

(وقال سلم الخاسر) ظللنا فبتنا عند أم محمد * بيوم ولم نشرب شرابا ولا خمرا
إذا صمتت عنا ضجرنا لصمتها * وان نطقت هاجت لالبابنا سكرا

(وقال ابن الرومي) يمسي ويصبح ممرضا فكانه * ملك عزيز قاهر سلطانه
ليست اساءته بناقصة له * در يساقطه الى لسانه

(وما أحسن هذه الابيات) وهي من طارف الشعر ووافره وناقده وجيد الكلام وبارع الوصف
وكل حديث الناس الاحديثها * رجيع وفيما حدثتك الطرائف * جرحن باعناق الظباء وأعين ال
جآذر وارتجت بهن الروادف * رجحن بأرداف ثقال وأسوق * جزال وأعضاء عليها المطارف

﴿ ومما قيل في رقة البشرة ﴾ قال ابن المعتز

نضت عنها القميص لصب ماء * فورد خدها فرط الحياء * وقابلت الهواء وقد تعرت
بمعتدل أرق من الهواء * ومدت راحة كالماء منها * الى ماء عتيد في اناء
فلما أن قضت وطرا وهمت * على عجل الى أخذ الرداء * رأت شخص الرقيب على تدان
فاسبلت الظلام على الضياء * فغاب الصبح منها تحت ليل * وظل الماء يقطر فوق ماء

اليهم الى أن حاذاهم فنظر البطرك وحقق صورته فقال ليس هو الرجل فابشروا وقاتلوا عن دينكم وحريمكم وكان نزول المسلمين على بيت المقدس في فصل الشتاء والبرد فاقاموا عليها أربعة أشهر في أشد قتال مع الصبر على المطر والثلج فلما نظر أهل بيت المقدس الى شدة الحصار في ذلك الفصل الصعب ومانزل بهم من المسلمين وقفوا بين يدي البطرك وقالوا له قد عظم الأمر ونريد منك أن تشرف على القوم وتسأل ما الذي يريدون فان كان أمرا صعبا فتحنا الابواب وخرجنا اليهم فاما نقتل عن آخرنا أو نهزمهم عنا فأجابهم البطرك الى ذلك وصعد السور واجتمع القسيسون والرهبان حوله ونادى منهم رجل بالعربي وقال يامعشر الفرسان عمدة دين النصرانية قد أقبل يخاطبكم فليدن منا أميركم فقام أبو عبيدة يمشي ومعه جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وترجمان فلما وقف بازائهم قال ما الذي تريدون هذا أمير العرب فقال البطرك انكم لو أقمتم علينا عشرين سنة لم تصلوا الى فتح بلدتنا أبدا وانما يفتحه رجل موصوف وليست الصفة معكم قال أبو عبيدة وما صفة من يفتح بلدكم قال البطرك لانخبركم بصفته ولكن قرأنا ان هذا البلد يفتحه صاحب لمحمد اسمه عمر بن الخطاب

(وقال آخر) تغير عن مودته وحالا * وكان مواصلا فطوى الوصالا
وعلمه التدلل كيف هجري * فليت الوصل كان له دلالا * ترى من فوق حقويه قضيبا
إذا ما حركته خطاه مالا * إذا كلمته أثرت فيه * وان حركته فالخمر سالا
(وقال بشار) وما ظفرت عيني غداة لقيتها * بشيء سوى أطرافها والمحاجر
كحوراء من حور الجنان غريرة * يرى وجهه في وجها كل ناظر
﴿ ومنه أخذ أبو نواس قوله ﴾
نظرت الى وجهه نظرة * فأبصرت وجهي في وجهه
(وقال آخر) توهمه قلبي فأصبح خده * وفيه مكان الوهم من نظري أثر
ومر بفكري جسمه فجرحته * ولم أر جسما قط تجرحه الفكر
(وقال آخر) سقى الله روضا قد تبدى لناظر * بهشادن كالغصن يلهو ويمرح
وقد نضحت خداه من ماء ورده * وكل اناء بالذى فيه ينضح
(وقال آخر) وأهيف قده كسى احمرارا * وحاز الحسن فهو بلا شبيه
فلو أخجلته بالقول جهدي * لحمرة خده ما بان فيه
﴿ ومما قيل في التقبيل ﴾ لمظفر الأعمى
قبلته فتلظى جمر وجنته * وفاح من عارضيه العنبر العبق
وجال بينهما ماء ولا عجب * لا ينطفي ذا ولا ذا منه يحترق
(وقال آخر) سألته في ثغره قبلة * فقال ثغري لم يجز ثمه
فها كها في الخد واقنع بها * ما قارب الشيء له حكمه
(وقال صاحب حماة) قال الذى تيمني * قولوا لمن خبلته يروم مني قبلة * لومات ما قبلته
(الشيخ عز الدين الموصلي) كالزرد المنظوم أصداغه * وخده كالورد لما ورد
بالغت في اللثم وقبلته * في الخد تقبيلا يفك الزرد
(وقال آخر) رأيت الهلال على وجهه * فلم أدر أيهما أنور * سوى أن ذاك بعيد المزار
وهذا قريب لمن ينظر * وذاك يغيب وذا حاضر * وما من يغيب كمن يحضر
ونفع الهلال قليل لنا * ونفع الحبيب لنا أكثر
(وقال ابن صابر) قبلت وجنته فألفت جيده * خجلا وماس بعطفه المياس
فانهل من خديه فوق عذاره * عرق يحاكي الطل فوق الآس
فكأنني استقطرت ورد خدوده * بتصاعد الزفرات من أنفاسي
﴿ وقال آخر ﴾
قبلت رجل حبيبي * فازوروا حمر خدا وقال تلثم رجلي * لقد تنازلت جدا
فقلت ماجئت بدعا * ولا تجاوزت حدا رجل سعت بك نحوي * حقوقها لا تؤدى
(ومما قيل في الوجه الحسن) ابن نباتة
انسية في مثال الجن تحسبها * شمسا بدت بين تشريق وتغميم
شقت لها الشمس ثوبا من محاسنها * فالوجه للشمس والعينان للريم
(عبد الله بن أبي خبيص) تصد من غير علة * بالعز أضحت مدله * كأنها حين تدنو
شمس عليها مظله * وان أضاءت بليل * تفوق نورا لأهله

البطرك تبسم وقال فتحنا البلد ورب الكعبة ثم أقبل على البطرك وقال ان رأيت الرجل تعرفه قال نعم وكيف لا أعرفه وصفته عندنا قال أبو عبيدة هو والله خليفتنا وصاحب نبينا صلى الله عليه وسلم قال البطرك فاذا كان الأمر على ماذكرتم فاحقن الدماء وابعث الى صاحبك يأتي فاذا رأيناه وتبينا نعته فتحنا له البلد وأعطيناه الجزية فانصرف أبو عبيدة وأمر الناس بالكف عن القتال وأعلمهم بالخبر فكبروا وكتب أبو عبيدة الى الامام عمر رضي الله عنه يعلمه بالخبر على يد ميسرة بن مسروق فلما وصل الكتاب إلى عمر رضي الله عنه فرح وقرأه على المسلمين وقال ماترون رحمكم الله فيما كتب الينا أمين الأمة فكان أول من تكلم عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه فقال يا أمير المؤمنين ان الله قد أذل الروم فان أنت أقمت ولم تسر اليهم علموا أنك بأمرهم مستخف فلا يلبثون الا يسيرا فلما سمع عمر ذلك من عثمان جزاه خيرا وقال هل عند أحد منكم رأي غير هذا فقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه نعم عندي غير هذا الرأي وأنا أبديه اليك رحمك الله فقال له عمر وما هو يا أبا الحسن قال ان القوم قد سألوك وفي سؤالهم ذل وهو على المسلمين فتح وقد أصابهم جهد عظيم

(وقال آخر) أقسم بالله وآياته * ما نظرت عيني إلى مثله
ولا بدا وجهه طالعا * إلا سألت الله من فضله

(وقال آخر) أقيمي مكان البدر إن أفل البدر * وقومي مقام الشمس قد أمها الفجر
ففيك من الشمس المنيرة نورها * وليس لها منك التبسم والثغر

(عمر بن أبي ربيعة) ذات حسن إن تغب شمس الضحى * فلنا من وجهها عنها خلف
أجمع الناس على تفضيلها * وهواهم في سوى هذا اختلاف

(أخذ أبو تمام هذا المعنى فرده إلى المدح فقال)
لو أن إجماعنا في فضل سودده * في الدين لم يختلف في الأمة اثنان

(وقال آخر) يا مفردا في الحسن والشكل * من دل عينيك على قتلي
البدر من شمس الضحى نوره * والشمس من نورك تستملي

(وقال آخر) ففي أربع مني حلت منك أربع * فما أنا أدري أيها هاج لي كربي
أوجهك في عيني أم الريق في فمي * أم النطق في سمعي أم الحب في قلبي

فلما سمعه إسحق بن يعقوب الكندي قال هذا تقسيم فلسفي وجعله العلوي خمسة فقال
وفي خمسة مني حلت منك خمسة * فريقك منها في فمي طيب الرشف
ووجهك في عيني ولمسك في يدي * ونطقك في سمعي وعرفك في أنفي

(ابن نباتة) أيها العاذل الغبي تأمل * من غدا في صفاته القلب ذائب
وتعجب لطرة وجبين * ان في الليل والنهار عجائب

(محمودة المخزومي)
رأيتك في الشمس المنيرة غدوة * فكنت على عيني أبهى من الشمس
لأنك تزهو ان بدا الليل بهجة * وشمس الضحى ليست تضيء إذا تمسي

(وقال آخر)
إذا احتجبت لم يكفك البدر وجهها * وتكفيك فقد البدر إن غرب البدر
وحسبك من خمر مذاقة ريقها * ووالله ما من ريقها حسبك الخمر

(ومما قيل في البنان المخضب) قال ابن الرومي
وقفت وقفة بباب الطاق * ظبية من مخدرات العراق
بنت سبع وأربع وثلاث * أسرت قلب صبها المشتاق
قلت من أنت يا غزال فقالت * أنا من لطف صنعة الخلاق
لا ترم وصلنا فهذا بنان * قد صبغناه من دم العشاق

(وقال الراضي بالله)
قالوا الرحيل فأنشبت أظفارها * في خدها وقد اعتلقت خطابها
فظننت أن بنانها من فضة * قطفت بنور بنفسج عنابها

(وقال آخر) لما اعتنقنا للوداع وأعربت * عبراتنا عنا بدمع ناطق
فرقن بين محاجر ومعاجر * وجمعن بين بنفسج وشقائق

(وقال آخر) ولما تلاقينا رأيت بنانها * مخضبة تحكي عصارة عندم
فقلت خضبت الكف بعدي أهكذا * يكون جزاء المستهام المتيم
فقالت وأذكت في الحشى لاعج الجوى * مقالة من بالود لم يتبرم

البرد والقتال وطول المقام وإن (٢٠) سرت إليهم فتح الله على يديك هذه المدينة وكان لك في مسيرك الأجر العظيم ولست آمن منهم أنهم إذا أيسوا منك أن يأتيهم المدد من طاغيتهم فيحصل للمسلمين بذلك الضرر والصواب أن تسير إليهم ففرح عمر بمشورة علي وقال لقد أحسن عثمان النظر في المكيدة للعدو وعلي أحسن النظر للمسلمين جزاهما الله خيرا ولست آخذ إلا بمشورة علي فما عرفناه إلا محمود المشورة ميمون الطلعة ثم ان عمر أمر الناس أن يأخذوا الأهبة للسير معه واستخلف على المدينة علي بن أبي طالب وخرج من المدينة وهو على بعير له أحمر عليه غرارتان في احداها سويق وفي الأخرى تمر وبين يديه قربة وخلفه جفنة للزاد وسار إلى أن أقبل على بيت المقدس فالتقاه أبو عبيدة فلما رآه أناخ قلوصه وأناخ عمر بعيره وترجلا ومد أبو عبيدة يده وصافح عمر وتعانقا وسلم كل منهما على صاحبه وأقبل المسلمون يسلمون على عمر ثم ركبوا جميعا إلى أن نزلوا فصلى عمر بالمسلمين صلاة الفجر ثم خطبهم فلما فرغ من خطبته جلس وأبو عبيدة يحدثه بما لقي من الروم إلى أن حضرت صلاة الظهر أذن بلال في ذلك اليوم فلما قال الله أكبر خشعت جوارحهم واقشعرت أبدانهم فلما قال أشهد أن لا إله إلا الله بكيت

بكيت دما يوم النوى فمسحته * بكفى فاحمرت بنانى من دمى

(وقال آخر) دنوت عشية التوديع منى * ولى عينان بالدم تجريان

فلم يمسحن اكراما جفونى * ولكن رمن تخضيب البنان

(ومما قيل فى النحور) قال دعبل

أتاح لك الهوى بيضا حسانا * تباهى بالعيون وبالنحور

نظرت الى النحور فكدت تقضى * فكيف اذا نظرت الى الخصور

(ومما قيل فى نعت النهود) قال العباس بن الأحنف

والله لو أن القلوب كقلبها * مارق للولد الضعيف الوالد

جال الوشاح على قضيب زانه * تفاح صدر ماحوته ناهد

(وقال آخر) ومحبوبة عند الوداع رأيتها * تنشف دمعا بالرداء الممسك

وتبكى حذار البين منها بدمعة * تسيل على الخدين فى حسن مسلك

فتحسب مجرى الدمع من وجناتها * بقية طل فوق ورد ممسك

وقد سفرت عن غرة بابلية * وصدر به نهد بحق مفكك

(عمر بن كلثوم) تراك إذا دخلت على خلاء * قد امنت عيون الكاشحينا

انهد مثل حق العاج حسنا * حصينا من أكف اللامسينا

(وقال آخر) بصدرها كوكبا در كأنهما * ركنان لم يدنسا من لمس مستلم

صانهما بستور من غلائلها * فالناس فى الحل والركنان فى الحرم

(وقال آخر) صدور فوقهن حقاق عاج * ودر زانه حسن اتساق

يقول الناظرون إذا رأوه * أهذا الحلى من هذى الحقاق * وما تلك الحقاق سوى ثدى

جعلن من الحقاق على وفاق * نواهد لايعدلهن عيب * سوى منع المحب من العناق

(وقال آخر) لقد فتكت عيون الغيد فينا * ببيض مرهفات وهى سود

وتطعننا القدود إذا التقينا * بسمر من أسنتها النهود

(ومما قيل فى الأرداف والخصور)قال ابن الرومى

وشربت كأس مدامة من كفها * مقرونة بمدامة من ثغرها

وتمايلت فضحكت من أردافها * عجبا ولكنى بكيت لخصرها

(الطنبغا المحاربى) ردفه زاد فى الثقالة حتى * أقعد الخصر والقوام السويا

نهض الخصر والقوام وقالا * فضعيفان يغلبان قويا

(وقال آخر) ياخصره كم جفاء * تبدى وأنت نحيل * ياردفه ملت عنى * ماأنت الا بخيل

(القيراطى) بدت روادف بدرى * تحت الحنين لعينى * فقلت يابدر هذا * حقا خيال الحينى

(وقال آخر) أسائلها أين الوشاح وقد سرت * معطلة منه معطرة النشر

فقالت وأومت للسوار تحلته * الى معصمى لما تقلق فى خصرى

(وقال آخر) بيض وسمر مقلتاه وقده * بدر وليل وجنتاه وشعره

أقسى من الحجر الأصم فؤاده * وأرق من شكوى المتيم خصره

(وقال آخر) رخيمات المقال مدللات * جواعل فى الثرى قضبا جذالا

جمعن نخامة وخلوص جيد * وقدا بعد ذلك واعتدالا

واشهد أن محمداً رسول الله بكى الناس بكاء شديدا عند ذكر الله وذكر رسوله وكاد بلال أن يقطع الأذان فلما فرغ

الأذان صلى عمر وجلس ثم أمرهم بالركوب فلما هم بالركوب على بعيره وعليه مرقعة الصوف وفيها أربع عشرة رقعة بعضها من أدم قال المسلمون ياأمير المؤمنين لو ركبت غير بعيرك جوادا ولبست ثيابا لكان ذلك أعظم لهيبتك فى قلوب أعدائك وأقبلوا يسألونه ويتلطفون به الى أن أجابهم الى ذلك ونزع مرقعته ولبس ثيابا بيضا قال الزبير أحسبها كانت من ثياب مصر تساوى خمسة عشر درهما وطرح على كتفيه منديلا من الكتان دفعه اليه أبو عبيدة وقدم له برذونا أشهب من براذين الروم فلما صار عمر فوقه جعل البرذون يهملج به فلما نظر عمر الى ذلك نزل مسرعا وقال أقيلوني عثرتى أقالكم الله عثراتكم يوم القيامة لقد كاد أميركم يهلك مما داخله من الكبر ثم انه نزع البياض وعاد الى لبس مرقعته وركوب بعيره فعلت ضجة المسلمين بالتهليل والتكبير فقال البطرك للروم انظروا ماشأن العرب فاشرف رجل من المتنصرة فقال يامعاشر العرب ماقضيتكم فقالوا ان عمر بن الخطاب

قد قدم علينا من مدينة نبينا صلى الله عليه وسلم فرجع المتنصر وأعلم البطرك فأطرق ولم يتكلم فلما كان من الغد صلى عمر

(ومما قيل فى المعاصم) قال عمر بن أبى ربيعة

حسروا الوجوه بأذرع ومعاصم * ورنوا بنجل للقلوب كوالم

حسروا الأكمة عن سواعد فضة * فكأنما انتصبت متون صوارم

(ومما قيل فى اعتدال القوام) قال صلاح الدين الصفدى

تقول له الأغصان مذ هز عطفه * أتزعم أن اللين عندك ماثوى

فقم نحتكم للروض عند نسيمه * ليقضى على من مال منا الى الهوى

(وقيل) ليس لأحد من شعراء العرب فى نعت محاسن النساء من الاوصاف البارعة مع جودة السبك ورقة اللفظ مالذى الرمة حتى كأنه حضرى من أهل المدن لامن أهل الوبر (وقال) القاضى مجد الدين بن مكانس

أقول لحى قم ومل ياممعذبى * كميلة خود غير السكر حالها

ولا تله عن شىء إذا ماحكيتها * فقام كغصن البان لينا ومالها

﴿ وقال آخر ﴾

ومحكم أعاطفه * فى قتل صب ما غوى فاعجب لعادل قده * فى النفس يحكم بالهوى

(وقال آخر) ومهفهف عنى يميل ولم يمل * يوما الى فصحت من ألم الجوى

لم لا تميل الى ياغصن النقا * فأجاب كيف وأنت من أهل الهوى

(ومما قيل فى الساق) قال ذو الرمة

لم أنسه إذ قام يكشف عامداً * عن ساقه كاللؤلؤ البراق

لا تعجبوا إن قام فيه قيامتى * ان القيامة يوم كشف الساق

(وقال آخر) جاءت بساق أبيض أملس * كلؤلؤ يبدو لعشاقها

فافتتنت فيها جميع الورى * وقامت الحرب على ساقها

(وقال ابن منقذ) بدر ولكنه قريب * ظبى ولكنه أنيس

إن لم يكن قده قضيبا * فما لأعطافه تميس

(ومما قيل فى مشى النساء) قال بعضهم

يهززن للمشى أطرافا مخضبة * هز الشمال ضحى عيدان نسرين

أو كاهتزاز ردينى تداوله * أيدى الرجال فزاد المتن فى اللين

(وقال آخر)

يمشين مشى قطا البطاح تأودا * قب البطون رواجح الاكفال

فكأنهن إذا أردن زيارة * يقلعن أرجلهن من أوحال

﴿ ومما قيل فى العناق وطيبه ﴾ لابن المعتز

ماأقصر الليل على الراقد * وأهون السقم على العائد * كأننى عانقت ريحانة تنفست فى ليلها البارد * فلوترانا فى قميص الدجى * حسبتنا فى جسد واحد

(وقال آخر) وموشح نازعت فضل وشاحه * وأعرته من ساعدى وشاحا

بات الغيور يشق جلدة وجهه * وأمال أعطافا على ملاحا

(وقال ابن المعدل)

أقول وجنح الدجى مسبل * والليل فى كل فج يد

بالمسلمين صلاة الفجر ثم قال لأبى عبيدة تقدم الى القوم وأعلمهم أنى قد أتيت فخرج أبو عبيدة وصاح بهم وقال ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قد أتى فما تصنعون فيما قلتم فاعلم البطرك بذلك فخرج من قمامة وعليه المسوح ومن حوله الرهبان والقسس ثم علا السور وأشرف على أبى عبيدة وقال ماهذا أيها الشيخ قال أبو عبيدة هذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فقال البطرك قل له يدنو منى فانا نعرفه بصفاته ونعته وأفردوه من بينكم حتى نراه فرجع أبو عبيدة الى عمر فأخبره بمقال البطرك فهم عمر بالقيام فقال له أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نخشى عليك من الانفراد بلا عدة فقال عمر قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ثم لبس مرقعته وركب بعيره وأبو عبيدة سائر بين يديه الى أن أتى بازاء البطرك قريبا من الحصن فقال أبو عبيدة هذا أمير المؤمنين فمد البطرك عنقه ونظر إليه فزعق زعقة وقال هذا والله الذى صفته ونعته فى كتبنا ثم قال يا أهل بيت المقدس انزلوا إليه وخذوا منه الأمان والذمة فهذا والله صاحب محمد بن عبد الله فنزلوا مسرعين وكانت أنفسهم قد ضاقت من شدة الحصار وفتحوا الباب وخرجوا إلى

ونحن

ونحن ضجيعان فى مسجد * فلله ما ضمنا المسجد
أيا غد إن كنت لى محسنا * فلا تدن من ليلتى يا غد
ويا ليلة الوصل لا تقصرى * كما ليلة الهجر لا تنفد

(وقال آخر) وليل رقيق الطرتين تظلمت * كواكبه من بدره المتألق
لهونا بغزلان الصريمة تحته * نميت الهوى ما بين صدر ومرفق

(وقال ابن المعتز) وكم عناق لنا وكم قبل * مختلسات حذار مرتقب
نقر العصافير وهى خائفة * من النواطير يانع الرطب

(وقال ديك الجن)
ومعدولة مهما أمالت ازارها * فغصن وأما قدها فقضيب
لها القمر السارى شقيق وانها * لتطلع أحيانا له فيغيب
أقول لها والليل مرخ سدوله * وغصن الهوى غض النبات رطيب
لأنت المنى يازين كل مليحة * وأنت الهوى أدعى له فأجيب

(وقال على بن الجهم)
سقى الله ليلا ضمنا بعد فرقة * وأدنى فؤادا من فؤاد معذب
فبتنا جميعا لو تراق زجاجة * من الخمر فيما بيننا لم تسرب

(وقال آخر) ياليل دم لى لا أريد براحا * حسبى بوجه معذبى مصباحا
حسبى به نورا وحسبى ريقه * خمرا وحسبى خده تفاحا
حسبى بمضحكه اذا استضحكته * مستغنيا عن كل نجم لاحا
طوقته طوق العناق بساعد * وجعلت كفى للثام وشاحا
هذا هو اليوم النعيم نخلنا * متعانقين فلا نديم براحا

(وقال آخر) ولم أنس ضمى للحبيب على رضا * ورشفى رضابا كالرحيق المسلسل
ولا قوله لى عند تقبيل خده * تنقل فلذات الهوى فى التنقل

(ومما قيل فى السمن) قال الربيع بن سليمان سمعت الشافعى رضى الله عنه يقول مارأيت سمينا عاقلا الا محمد بن الحسن قال الشاعر
لأعشق الأبيض المنفوخ من سمن * لكننى أعشق السمر المهازيلا
انى امرؤ أركب المهر المضمر فى * يوم الرهان وغيرى يركب الفيلا

﴿ ومما قيل فى مدح الألوان والثياب ﴾

(مدح البياض) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البياض نصف الحسن وكان صلى الله عليه وسلم أبيض أزهر اللون مشربا بحمرة قال الشاعر
بيض الوجوه كريمة أحسابهم * شم الأنوف من الطراز الأول

(ومما قيل فى مدح السواد) قيل لبعضهم ماتقول فى السواد قال النور فى السواد أراد بذلك نور العينين فى سوادهما وقال بعضهم
قالوا تعشقتها سوداء قلت لهم * لون الغوالى ولون المسك والعود
انى امرؤ ليس شأن البيض مرتفعا * عندى ولو خلت الدنيا من السود

(وقال الحيقطان)
لئن كنت جعد الرأس واللون فاحم * فانى بسيط الكف والعرض أزهر
وان سواد اللون ليس بضائرى * إذا كنت يوم الروع بالسيف أخطر

عمر يسألونه العهد فلما رآهم عمر رضى الله عنه فى تلك الحالة تواضع لله سبحانه وتعالى وخر ساجدا على قتب بعيره ثم أقبل عليهم وقال ارجعوا إلى بلدكم ولكم العهد فرجع القوم إلى البلد ولم يغلقوا الباب ورجع عمر فلما كان من الغد وهو يوم الاثنين دخل اليها وأقام بها إلى يوم الجمعة وخط بها محرابا وهو موضع مسجده القدم وصلى بالمسلمين صلاة الجمعة وأقام فى بيت المقدس عشرة أيام وبها أسلم كعب الاحبار على يده وارتحل معه الى المدينة لزيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم وذلك بعد أن كتب الامام عمر لأهل بيت المقدس وأقرهم فى بلدهم على عهدهم وأداء الجزية ﴿ ومن شهى المجتنى من ثمرات الأوراق ﴾ مانقله أبو الحسن على بن عبد المحسن التنوخى فى المستجاد أن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه لما بات على فراش النبى صلى الله عليه وسلم ليفديه بنفسه أوحى الله تعالى إلى جبريل وميكائيل عليهما السلام انى آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختار كل منهما الحياة فأوحى الله اليهما أفلا كنتما مثل على بن أبى طالب آخيت بينه وبين نبيى محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره الحياة اهبطا إلى الأرض واحفظاه من عدوه جبريل عند

(دخل) ابراهيم بن المهدي على المأمون فقال انك لنعم الخليفة الأسود فقال ابراهيم نعم فتمثل المأمون
ببيت نصيب فقال ان كنت عبدا فنفسي حرة كرما * أو أسود اللون اني أبيض الخلق
ثم قال ياعم أخرجنا الهزل إلى الجد فأنشد ابراهيم

ليس يزري السواد بالرجل الشهـ * ـم ولا بالفتى الاريب الأديب
ان يكن للسواد فيك نصيب * فبياض الأخلاق منك نصيبي

وقال آخر) لام العواذل في سوداء فاحمة * كأنها في سواد القلب تمثال
وهام في الخال أقوام وماعلموا * اني أهيم بشخص كله خال

وقيل لمدني كيف رغبتم في السواد فقال لو وجدنا بيضاء لسودناها (وقال آخر)

يكون الخال في خـد قبيح * فيكسوه الملاحة والجمالا
فكيف يلام ذو عشق على من * يراها كلها في الخـد خالا

وقال آخر فاستحسنوا الخال في خد فقلت لهم * اني عشقت مليحا كله خال
وكان أبو حاتم المدني ينشد

ومن يك معجبا ببنات كسرى * فاني معجب ببنـات حام

وتفاخرت حبشية ورومية فقالت الرومية أنا حبة كافور وأنت عدل فحم فقالت الحبشية
أنا حبة مسك وأنت عدل ملح (وقد قال الشاعر)

أحب لحبهـا السودان حتى * أحب لحبهـا سود الكلاب

وقال آخر) أشبهك المسك وأشبهتـه * قائمـة في لونه قاعـده
لاشك اذ لونكما واحـد * أنكما من طينة واحـده

ومما قيل في الصفرة) قال الشاعر

أصفراء كان الهجر منك مزاحا * ليالي كان الود منك مباحا
كأن نساء الحي مادمت فيهم * قباحا فلما غبت صرن ملاحا

وقال آخر) قالوا به صفرة شانت محاسنه * فقلت ما ذاك من عيب به نزلا
عيناه مطلوبة في ثأر من قتلت * فلست تلقاه الا خائفا وجلا

(ومما قيل في طول اللحية) قيل ان اللحية الطويلة عش البراغيث * ونظر يزيد الشيباني إلى
رجل ذي لحية عظيمة تلتف على صدره واذا هو خاضب فقال له ياهذا انك من لحيتك في مؤنة
فقال أجل ولذلك أقول

لها درهم للدهن في كل جمعة * وآخر للحنـاء يبتـدبان
ولولا نوال من يزيد بن مزيد * لأصبح في حافاتهـا الحمنان

(وقال اسحق بن خلف في قصير طويل اللحية)

ماشيت داود فاستضحكت من عجب * كأنه والد يمشي بمولود
ما طول داود إلا طول لحيته * يظن داود فيها غـير موجود

(وقال ابن المقفع) تأملت أسواق العراق فلم أجد * دكاكينهم الا عليها المواليا
جلوسا عليها ينفضون لحاهم * كما نفضت عجف البغال المخاليا

(ومما جاء في عظم الخلقة والطول والقصر)

(قيل) خرب القهندر فبرزت منه جماجم أموات فتصدعت جمجمة فانتثرت أسنانها فوزن السن

رأسه وميكائيل عند رجليه وجبريل ينادي بخ بخ من مثلك يابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة فأنزل
الله تعالى ومن الناس من
يشري نفسه ابتغاء مرضاة
الله والله رءوف بالعباد
(قال أبو الحسن المدائني)
خرج الحسن والحسين
عليهما السلام وعبد الله
ابن جعفر رضي الله عنه
حجاجا ففاتهم أثقالهم
فجاعوا وعطشوا فمروا
بعجوز في خباء لها فقال
أحدهم هل من شراب
قالت نعم فأناخوا اليها
وليس لها الا شويهة
فقالت احلبوها فاشربوا
لبنها ففعلوا فقالوا هل من
طعام قالت لا الا هذه
الشاة فليذبحها أحدكم حتى
أهيء لكم ماتأكلون فقام
اليها أحدهم فذبحها
وكشطها ثم هيأت لهم
طعاما فأكلوا وأقاموا حتى
أبردوا فلما ارتحلوا قالوا
نحن نفر من قريش نريد
هذا الوجه فاذا رجعنا
سالمين فالمي بنا فانا
صانعون اليك خيرا فارتحلوا
وأقبل زوجها فأخبرته
بخبر القوم والشاة فغضب
وقال ويحك تذبحين شاتي
لقوم لاأعرفهم ثم تقولين
نفر من قريش ثم بعد
مدة ألجأتهم الحاجة الى
دخول المدينة فدخلاها
وجعلا يلتقطان البعر
ويعيشان بثمنه فمرت
العجوز ببعض سكك
المدينة فاذا الحسن بن علي على باب داره فعرف العجوز وهي منكرة فبعث اليها غلامه

منها فكان وزنها أربعة أرطال فأتى بها الى ابن المبارك فجعل يقلبها و يتعجب من عظمها ثم قال

اذا ما تذكرت أجسامهم * تصاغرت النفس حتى تهون

(وأراد) ملك الروم أن يباهي أهل الاسلام فبعث الى معاوية برجلين أحدهما طويل والثاني قصير شديد القوة فدعا للطويل بقيس بن سعد بن عبادة فنزع قيس سراويله ورمى بها إليه فلبسها الطويل فبلغت ثدييه فلاموا قيسا على نزع السراويل فقال

أردت لكيما يعلم الناس انها * سراويل قيس والوفود شهود * وكي لا يقولوا غاب قيس وهذه سراويل عاد أحرزتها ثمود * واني من القوم اليمانين سيد * وما الناس الا سيد ومسود

ثم دعا معاوية للرجل الشديد في قوته بمحمد بن الحنفية فخيره بين أن يقعد فيقيمه أو يقوم فيقعده فغلبه في الحالتين وانصرفا مغلوبين (وقيل) كان سلمة بن مرة الناموسي أسر امرأة القيس بن النعمان اللخمي الملك وكان الناموسي قصيرا مقتحما واللخمي طويلا جسيما فقالت بنت امرىء القيس ياهذا القصير اطلق أبي فسمعها سلمة بن مرة فقال

لقد زعمت بنت امرىء القيس انني * قصير وقد أعيا أباها قصيرها

ورب طويل قد نزعت سلاحه * وعانقته والخيل تدمي نحورها

(وقالوا) عظم اللحية يدل على البله وعرضها على قلة العقل وصغرها على لطف الحركة واذا وقع الحاجب على العين دل على الحسد والعين المتوسطة في حجمها تدل على الفطنة وحسن الخلق والمروءة والتي يطول تحديقها تدل على الحمق والتي تكسر طرفها تدل على خفة وطيش والشعر على الاذن يدل على جودة السمع والأذن الكبيرة المنتصبة تدل على حمق وهذيان (ومما قيل في القبح والدمامة) أراد رجل أن يكتب كتابا لبعض أصحابه فلم يجد من يرسله معه الا رجلا وخش الصورة بشع المنظر فلم يقدر على تحليته لفرط دمامته فكتب الى صاحبه يأتيك بهذا الكتاب آية من آيات الله تعالى وقدره فدعه يذهب الى نار الله وسقره (ومر) أبو الاسود الدؤلي بمجلس ابني بشير فقال بعض فتيانهم كأن وجهه وجه عجوز راحت الى أهلها بطلاقها وقال الجاحظ ما أخجلني قط إلا امرأة مرت بي الى صائغ فقالت له أعمل مثل هذا فبقيت مبهوتا ثم سألت الصائغ فقال هذه امرأة أرادت أن أعمل لها صورة شيطان فقلت لا أدري كيف أصوره فأتت بك الى لأصوره على صورتك وفي الجاحظ يقول الشاعر

لو يمسخ الخنزير مسخا ثانيا * ماكان الادون قبح الجاحظ

رجل ينوب عن الجحيم بوجهه * وهو العمى في عين كل ملاحظ

ولو ان مرآة جلت تمثاله * ورآه كان له كاعظم واعظ

وقال الاصمعي رأيت بدوية من أحسن الناس وجها ولها زوج قبيح فقلت ياهذه أترضين أن تكوني تحت هذا فقالت ياهذا لعله أحسن فيما بينه و بين ربه فجعلني ثوابه وأسأت فيما بيني و بين ربي فجعله عذابي أفلا أرضى بما رضى الله به وحج مخنث فرأى رجلا قبيح الوجه يستغفر فقال ياحبيبي ما أراك أن تبخل بهذا الوجه على جهنم * وقال بعضهم لرجل طلع لي دمل في أقبح المواضع فقال له كذبت هذا وجهك ليس فيه شيء وخرج رجل قبيح الوجه إلى المتجر فدخل اليمن فلم ير فيها أحسن منه وجها فقال

لم أر وجها حسنا * مذ دخلت اليمنا فيا شقاء بلدة * أحسن من فيها أنا

وخطب رجل عظيم الانف امرأة فقال لها قد عرفت أني رجل كريم المعاشرة محتمل المكاره فقالت لاشك في احتمالك المكاره مع حملك هذا الانف أربعين سنة (وقال) الشاعر في رجل كبير الانف

فدعا بها فقال لها ياأمة الله أتعرفيني قالت لا قال أنا ضيفك بالأمس يوم كذا وكذا قالت بابي أنت وأمي ثم اشترى لها من شاة الصدقة ألف شاة وأمر لها بالف دينار وبعث بها مع غلامه الى الحسين رضي الله عنهما فأمر لها بمثل ذلك وبعث بها مع غلامه الى عبد الله بن جعفر رضي الله عنه فقال لها بكم وصلك الحسن والحسين قالت بألفي شاة وألفي دينار فقال لها لو بدأت بي لأتعبتهما في العطاء أعطوها عطيتهما فرجعت العجوز الى زوجها باربعة آلاف دينار وأربعة آلاف شاة (ومما يضارع هذه اللطائف) أنه جرى بين الحسين بن علي بن أبي طالب و بين أخيه محمد بن الحنفية رضي الله عنهما كلام فانصرفا متغاضبين فلما وصل محمد الى منزله أخذ رقعة وكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن علي بن أبي طالب الى أخيه الحسين ابن علي بن أبي طالب * أما بعد فان لك شرفا لا أبلغه وفضلا لا أدركه فاذا قرأت رقعتي هذه فالبس رداءك ونعليك وسر الى فترضني واياك أن أكون سابقك الى الفضل الذي أنت أولى به مني والسلام فلما قرأ الحسين رضي الله عنه الرقعة لبس رداءه ونعليه ثم جاء الى أخيه محمد فترضاه (قال أبو الفرج الاصفهاني)

لك وجه وفيه قطعة أنف * كجدار قد أدعموه ببغله
وهو كالقبر فى المثال ولكن * جعلوا نصبه على غير قبله

(وقال آخر) لك أنف أنوف * أنفت منه الانوف
أنت فى القدس تصلى * وهو فى البيت يطوف

(ومما جاء فى الثقلاء) قال مطيع بن اياس

قلت لعباس أخينا * يا ثقيل الثقلاء * أنت فى الصيف سموم
وجليد فى الشتاء * أنت فى الارض ثقيل * وثقيل فى السماء

﴿ ومما جاء فى الملابس وألوانها والعمائم ونحوها ﴾

قال الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث وقال تعالى يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وقال رسول الله ﷺ ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده وقال ﷺ تعمموا تزدادوا حلما وقال ﷺ العمائم تيجان العرب وكان الزبير بن العوام يقاتل يوم بدر وعليه عمامة صفراء فنزلت الملائكة وعليهم عمائم صفر قد أرخوها وبعث رسول الله ﷺ عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل فتخلف عن الجيش وأتى إلى رسول الله ﷺ وعليه عمامة سوداء من خز فنقضها رسول الله ﷺ وعممه بيده وأسدلها بين كتفيه قدر شبر وقال هكذا اعتم يا ابن عوف وبعث ملك الروم الى النبى ﷺ جبة ديباج فلبسها ثم كساها عثمان وكان سعيد بن المسيب يلبس الحلة بألف درهم ويدخل المسجد فقيل له فى ذلك فقال انى أجالس ربى وقيل المروة الظاهرة الثياب الطاهرة وقيل البس البياض والسواد فان الدهر هكذا بياض نهار وسواد ليل

﴿ ومما قيل فى لبس السواد قول أبى قيس ﴾

رأيتك فى السواد فقلت بدرا * بدا فى ظلمة الليل البهيم
وألقيت السواد فقلت شمس * محت بشعاعها ضوء النجوم

وقدم تاجر الى المدينة يحمل من خمر العراق فباع الجميع الا السود فشكا الى الدارمى ذلك وكان الدارمى قد نسك وتعبد فعمل بيتين وأمر من يغنى بهما فى المدينة وهما هذان البيتان

قل للمليحة فى الخمار الأسود * ماذا فعلت بزاهد متعبد
قد كان شمر للصلاة ازاره * حتى قعدت له بباب المسجد

قال فشاع الخبر فى المدينة ان الدارمى رجع عن زهده وتعشق صاحبة الخمار الأسود فلم يبق فى المدينة مليحة الا اشترت لها خمارا أسود فلما أنفد التاجر ما كان معه رجع الدارمى إلى تعبده وعمد إلى ثياب نسكه فلبسها وقال آخر فى لابسة الاحمر

وشمس من قضيب فى كثيب * تبدت فى لباس جلنارى
سقتنى ريقها صرفا وحيت * بوجنتها فهاجت جل نارى

(وقال آخر فى لابسة ثوب خمرى)

فى ثوبها الخمرى قد أقبلت * بوجنة حمراء كالجمر
قلت سكرا حين أبصرتها * لا تنكروا سكرى من الخمر

(وقال الصنوبرى فى لابسة أخضر)

وجارية أدبها الشطاره * ترى الشمس من حسنها مستعاره * بدت فى قميص لها أخضر
كما ستر الورق الجلناره * فقلت لها ما اسم هذا اللباس * فأبدت جوابا لطيف العباره

حدثنى احمد بن محمد الجعدى ومحمد بن يحيى قالا حدثنا محمد بن زكريا العلائى قال حدثنا ابن عائشة قال حج هشام بن عبد الملك فى خلافة أخيه الوليد ومعه رؤساء أهل الشام فطاف وجهد أن يستلم الحجر فلم يقدر من الازدحام فنصب له منبر وجلس عليه ينظر الى الناس فاقبل على بن الحسين رضى الله عنهما وهو أحسن الناس وجها وأنظفهم ثوبا وأطيبهم رائحة فلما طاف بالبيت وبلغ الحجر تنحى الناس كلهم اجلالا له فاستلم الحجر وحده فغاظ ذلك هشاما وبلغ منه فقال رجل من أهل الشام لهشام من هذا أصلح الله الامير قال لا أعرفه وكان به عارفا ولكن خاف من رغبة أهل الشام فقال الفرزدق وكان حاضرا أنا أعرفه ياشامى قال من هو قال

هذا ابن من تعرف البطحاء وطأته * والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم * هذا التقى النقى الطاهر العلم
اذا رأته قريش قال قائلهم * الى مكارم هذا ينتهى الكرم
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله * بجده أنبياء الله قد ختموا
يكاد يمسكه عرفان راحته * ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
أى الخلائق ليست فى رقابهم * لأولية هذا أوله نعم
من يعرف الله يعرف أولية ذا * شققنا

شققنا مرائر قوم به * فنحن نسميه شق المراره

وقال حكيم لابنه اياك أن تلبس مايديم الملك نظره اليك به واعلم ان الوشي لا يلبسه الا الأحمق أو ملك وعليك بالبياض وقيل لباس البخلاء الاستبرق لطول بقائه ولباس المترفين السندس لقلة بقائه ولباس المقتصدين الديباج لتوسط بقائه * وقال بعض الأمراء لحاجبه أدخل على عاقلا فأتاه برجل فقال بم عرفت عقله فقال رأيته يلبس الكتان في الصيف والقطن في الشتاء والملبوس في الحر والجديد في البرد وقيل كان لأبرويز عمامة طولها خمسون ذراعا اذا اتسخت ألقاها في النار فيحترق الوسخ ولا تحترق وكان له رداء حسن يتلون كل ساعة وسراويل مجوهر وتكة من أنابيب الزمرذ وقيل الاقبية لباس الفرس والقراطق لباس الهند والازر لباس العرب وسئل بعض العرب عن الثياب فقال الصفر أشكل والحمر أجمل والخضر أقبل والسود أهول والبيض أفضل وقال أفلاطون الصبغ الشقائقي والروائح الزعفرانية تسكن الغضب والصبغ الياقوتي والروائح الوردية تحرك السرور واذا قرب اللون الأحمر الى اللون الأصفر تحركت القوة العشقية واذا امزجت الحمرة بالصفرة تحركت القوة الغريزية واذا امزجت التفاحية بالحمرة تحركت الطبائع كلها * وكان مصعب بن الزبير يقول لكل شيء راحة وراحة البيت كنسه وراحة الثوب طيه وقال بعض الاعراب رأيت بالبصرة برودا كأنها نسجت بأنواع الربيع ودخل بعض العذريين على معاوية وعليه عباءة فازدراه فقال يا أمير المؤمنين ان العباءة لا تكلمك وانما يكلمك من فيها

﴿ ومما قيل فيمن رذل لبسه وعرف نفسه ﴾ قال الأصمعي رأيت اعرابيا فاستنشدته فأنشدني أبياتا وروى أخبارا فتعجبت من جماله وسوء حاله فسكت سكتة ثم قال

أأخي ان الحادثا * ت عركنني عرك الاديم * لا تنكرن أن قد رأيت
أخاك في طمري عديم * ان كان أثوابي رثاث * فانهن على كريم

(قال بعضهم وقيل للشافعي رحمه الله تعالى)

على ثياب لو تقاس جميعها * بفلس لكان الفلس منهن أكثرا
وفيهن نفس لو يقاس ببعضها * نفوس الورى كانت أجل وأكبرا
وما ضر نصل السيف اخلاق غمده * اذا كان عضبا حيث وجهه برى

ودخل بعضهم على الرشيد فازدراه فأنشده

ترى الرجل الخفيف فتزدريه * وفي أثوابه أسد هصور * ويعجبك الطرير فتبتليه فيخلف ظنك الرجل الطرير * لقد عظم البعير بغير لب * فلم يستغن بالعظم البعير يصرفه الصبي بغير وجه * ويحبسه على الخسف الجرير * وتضربه الوليدة بالهراوى فلا عار عليه ولا نكير * فان أك في شراركمو قليلا * فاني في خياركمو كثير

ويقال كل ما تشتهيه نفسك والبس ما تشتهيه الناس وقد نظمه من قال

ان العيون رمتك اذ فاجأتها * وعليك من مهن الثياب لباس
أما الطعام فكل لنفسك ما اشتهت * واجعل لباسك ما اشتهته الناس

وفي هذا القدر كفاية والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب السابع والاربعون في التختم والحلي والمصوغ والطيب والتطيب وما أشبه ذلك ﴾

(ما جاء في التختم) عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتختم في يمينه وقبض عليه الصلاة والسلام والخاتم في يمينه قال بعض من مدحه عليه الصلاة والسلام

قالذين من بيت هذا ناله الامم * وليس قولك من هذا بضائره فالعرب تعرف من أنكرت والعجم فحبسه هشام ثم أطلقه فوجه اليه علي بن الحسين عشرة آلاف درهم وقال اعذرنا يا أبا فراس فلو كان معنا في هذا الوقت أكثر من هذا لوصلناك به فردها الفرزدق وقال ما قلت ما كان الا لله فقال له علي بن الحسين قد رأى الله مكانك ولكنا أهل بيت اذا أنفذنا شيئا لم نرجع فيه وأقسم عليه فقبلها (ومن غالي جواهر العقد لابن عبد ربه) قال يزيد حدثني أبي أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قدم من المدينة الى الشام على حمار فتلقاه معاوية في موكب نبيل فأعرض عنه عمر فجعل يمشي الى جنبه راجلا فقال له عبد الرحمن بن عوف أتعبت الرجل فأقبل عليه وقال يا معاوية أنت صاحب الموكب مع ما بلغني من وقوف ذوي الحاجات ببابك قال نعم يا أمير المؤمنين قال ولم ذلك قال لأنا في بلاد لا نمتنع من الجواسيس ولا بد لهم ما يروعهم من هيبة السلطان فان أمرتني بذلك أقمت عليه وان نهيتني عنه انتهيت قال ان كان الذي قلت حقا فانه رأي أريب وان كان باطلا فانها خدعة أديب فلا آمرك ولا أنهاك عنه (ومن لطائف معاوية) أنه كان لعبد الله بن الزبير أرض قريبة لأرض معاوية فيها عبيد له من الزنوج يعمرونها فدخلوا

كف الرسالة ليس يخفى حسنها * وتمام حسن الكف لبس الخاتم

وذكر السلامى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتختم فى يمينه والخلفاء بعده فنقله معاوية رضى الله تعالى عنه الى اليسار وأخذ الأموية بذلك ثم نقله السفاح الى اليمين فبقى الى أيام الرشيد رضى الله تعالى عنه فنقله الى اليسار وأخذ الناس بذلك وعن على رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم تختموا بخواتيم العقيق فانه لا يصيب أحدكم غم مادام عليه ذلك وبلغ عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه ان ابنه اشترى فص خاتم بألف دينار فكتب اليه عزمت عليك الا ما بعت خاتمك بألف دينار وجعلتها فى بطن جائع واستعمل خاتما من ورق وانقش عليه رحم الله امرأ عرف نفسه وكان خاتم على رضى الله عنه من ورق ونقشه نعم القادر الله وكان لأبى نواس خاتمان أحدهما عقيق مربع وعليه مكتوب

تعاظمنى ذنبى فلما قرنته * بعفوك ربى كان عفوك أعظما

والآخر حديد صينى عليه أشهد أن لا إله الا الله مخلصا وأوصى عند موته أن يغسل الفص ويجعل فى فمه قال جعفر بن محمد رضى الله تعالى عنه ما افتقرت يد تختمت بخاتم فيروزج وقيل الخواتم أربعة الياقوت للعطش والفيروزج للمال والعقيق للسنة والحديد الصينى للحرز وقيل للخوف والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ذكر ماجاء فى الحلى﴾ قيل إن قرطى مارية بنت ظالم بن وهب بن الحرث بن معاوية كان فيهما درتان كبيض الحمام لم ير مثلهما ولم يدر قيمتهما (وقال محمد) بعثنى يوسف بن عمر إلى هشام بياقوتة حمراء يخرج طرفاها من كفى كانت للرائقة جارية خالد بن عبد الله القسرى اشترتها بثلاثة وسبعين ألف دينار وحبة لؤلؤ أعظم مايكون من الحب فدخلت عليه بهما فقال اكتب معك بوزنهما فقلت ياأمير المؤمنين هما أعظم من أن يكتب بوزنهما فقال صدقت وبعث معاوية الى عائشة رضى الله تعالى عنها طوقا من ذهب فيه جوهرة قومت بمائة ألف دينار فقسمته بين أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وكان ملك العرب كلما مرت عليه سنة من سنى ملكه زيدت فى تاجه خرزة وكان يقال لها خرزات الملك

﴿ذكر ماجاء فى الطيب والتطييب﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب الطيب المسك وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كأنى أنظر الى وبيص الطيب فى مفارق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم * وعن سهل بن سعد يرفعه ان فى الجنة لمرعى من مسك مثل مراعى دوابكم هذه وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنام عندنا فعرق فجاءت أمى بقارورة فجعلت تسلب العرق فيها فاستيقظ وقال ياأم سليم ماهذا الذى تصنعين فقالت هذا عرقك نجعله فى طيبنا وهو من أطيب الطيب وعن عمر رضى الله تعالى عنه قال لو كنت تاجرا مااخترت على العطر ان فاتنى ربحه لم يفتنى ريحه وناول المتوكل فتى فارة المسك فقال

لئن كان هذا طيبنا وهو طيب * لقد طيبته من يديك الانامل

وأهدى عبد الله بن جعفر لمعاوية قارورة من الغالية فسأله كم أنفق عليها فذكر مالا جزيلا فقال هذه غالية فسميت بذلك وشمها مالك بن سليمان بن خارجة من أخته هند بنت أسماء فقال علمينى كيف تصنعين طيبك فقالت لا أفعل تريد أن تعلمه جواريك هولك منى كلما أردته ثم قالت والله انى ما تعلمته الا من شعرك حيث تقول

أطيب الطيب عرف أم أبان * فأر مسك بعنبر مسحوق

قال أبو قلابة كان ابن مسعود رضى الله تعالى عنه إذا خرج من بيته إلى المسجد عرف جيران الطريق انه مر من طيب ريحه وعن الحسن بن زيد الهاشمى عن أبيه قال رأيت ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يطلى جسده فاذا مر فى الطريق قال الناس أمر ابن عباس أم مر المسك * وعنه عن أبيه قال رأيت ابن عباس رضى الله تعالى عنهما حين أحرم والغالية على صدغيه كأنها الزقة وقال أبو الضحى رأيت على رأس الزبير من المسك مالو كان لى لكان رأس مالى وقيل لما بنى عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه بفاطمة

فى أرض عبد الله فكتب الى معاوية أما بعد فانه يامعاوية ان لم تمنع عبيدك من الدخول فى أرضى والا كان لى ولك شأن فلما وقف معاوية على الكتاب دفعه إلى ابنه يزيد فلما قرأه قال له ماترى قال أرى أن تنفذ اليه جيشا أوله عنده وآخره عندك يأتوك برأسه فقال يابنى عندى خير من ذلك على بدواة وقرطاس وكتب وقفت على كتابك يابن حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وساءنى والله ما ساءك والدنيا هينة عندى فى جنب رضاك وقد كتبت على نفسى رقما بالأرض والعبيد وأشهدت على فيه ولتضف الأرض الى أرضك والعبيد الى عبيدك والسلام فلما وقف عبد الله على كتاب معاوية كتب اليه وقفت على كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه فلا عدم الرأى الذى أحله من قريش هذا المحل والسلام فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله رماه الى ابنه يزيد فلما قرأه أسفر وجهه فقال يابنى اذا رميت بهذا الداء داوه بهذا الدواء (نادرة لطيفة) قال الأستاذ أبو على لما سعى غلام خليل بالصوفية إلى الخليفة بالزندقة أمر بضرب أعناقهم فأما الجنيد فانه استتر بالفقه وأما الشحام والرقام والثورى وجماعة فقبض عليهم وبسط النطع لضرب أعناقهم فتقدم الثورى فقال له السياف أتدرى لماذا تتقدم قال نعم قال فما

بنت

بنت عبد الملك أسرج في مسارجه تلك الليلة بالغالية وقال الشعبي الرائحة الطيبة تزيد في العقل وقال علي كرم الله تعالى وجهه تشمموا النرجس ولو في العام مرة فان في قلب الانسان حالة لا يزيلها الا النرجس وكان الشعبي يقول اذا أوردا الورد صدر البرد وكانت الصحابة رضي الله تعالى عنهم يستحبون إذا قاموا من الليل أن يمسوا الخاهم بالطيب وكان من اختلف في طرقات المدينة وجد عرفا طيبا قيل ولذلك سميت طيبة وأقول والله ماطابت طيبة الا بالطيب الطاهر ﷺ وما أحسن ماقيل

إذا لم أطب في طيبة عند طيب * بهطيبة طابت فاين أطيب

وقيل ان فارة المسك دويبة شبيهة بالخشف تصاد لسرتها فاذا صادها الصياد عصب السرة بعصابة شديدة فيجتمع فيها دمها ثم يذبحها ثم يأخذ السرة فيدفنها في الشعير حتى يستحيل الدم المجتمع فيها مسكا ذكيا بعد أن كان لا يرام نتنا وقد يوجد جرذان سود يقال لها فارات المسك ليس عندها الا رائحة لازمة لها (وحكي) ان العنبر يأتي على طفاوة الماء لا يدري أحد معدنه فلا يأكله شيء الا مات ولا ينقره طائر الا بقي منقاره فيه ولا يقع عليه حيوان الا نصلت أظفاره فيه والتجار والعطارون ربما وجدوا أظفارا فيه وقال الزمخشري عفا الله عنه سمعت ناسا من أهل مكة يقولون هو من زبد بحر سرنديب وأجود العنبر الاشهب ثم الازرق وأدونه الاسود * وفي حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ليس في العنبر زكاة انما هو شيء نثره البحر وأما العود فأجوده المندلي وهو منسوب الى مندل قرية من قرى الهند وأجوده أصلبه وامتحان رطبه أن تطبع فيه نقش الخاتم فان انطبع فرطب والا فلا ومن خصائصه ان رائحته تطبع في الثوب أسبوعا فلا يقمل مادامت فيه وأما الكافور فهو ماء شجر بجزيرة الكافور يحزونه بالحديد فاذا خرج ظاهرا وضربه الهواء انعقد كالصموغ الجامدة على الاشجار وأما الند فمصنوع وهو العود المستقطر والعنبر واللبان

لو كنت أحمل خمرا حين زرتكم * لم ينكر الكلب أني صاحب الدار
لكن أتيت وريح المسك يقدمني * والعنبر الند مشبوب على النار

وكانت ملوك الفرس تأمر برفع الطيب أيام الورد وكان المتوكل يلبس أيام الورد الثياب الموردة ويفرش الورد في مجالسه ويطيب جميع آلاته بالورد وقال الحسن بن سهل أمهات الرياحين تقوى بأمهات الطيب فالنرجس يقوى بالورد والورد يقوى بالمسك والبنفسج يقوى بالعنبر والريحان يقوى بالكافور والنسرين يقوى بالعود وقال جالينوس المسك يقوي القلب والعنبر يقوي الدماغ والكافور يقوي الرئة والعود يقوي المعدة والغالية تحل الزكام والصندل يحل الاورام وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال لا تردوا الطيب فانه طيب الريح خفيف المحمل * تبخر بعض الامراء وعنده اعرابي فقرطت من الامير ريح خفيفة فاراد أن يعلم هل فطن بها الاعرابي أم لا فقال ما أطيب هذا الثناث قال نعم ولكنك ربعتها وقال الاحنف ان شم رائحة المسك يحيي القلب وقال سلمة لابن عباس وعنده جعفر بن سليمان ماشممت أنقى من ريح مسك شممته من الناس الا ريح كفك أطيب فأمر له بألف دينار ومائة مثقال مسك ومائة مثقال عنبر والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثامن والاربعون في الشباب والصحة والعافية وأخبار المعمرين وما أشبه ذلك وفيه فصول﴾

﴿الفصل الأول في الشباب وفضله﴾ روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال ما بعث الله نبيا الا شابا ولا أوتي العلم عالم الا شابا ثم تلا هذه الآية قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم وقد أخبر الله تعالى به ثم آتى يحيى بن زكريا الحكمة قال تعالى وآتيناه الحكم صبيا وقال تعالى إذ أوى الفتية الى الكهف وقال تعالى انهم فتية آمنوا بربهم وقال تعالى واذ قال موسى لفتاه وقال أنس رضي الله

بعجلك قال أوثر أصحابي بحياة ساعة فتحير السياف ونما الخبر الى الخليفة فردهم الى القاضي ليعرف أحوالهم فأتى القاضي على أبي الحسن الثوري مسائل فقهية فأجاب عن الكل ثم أخذ يقول ان لله عبادا إذا قاموا قاموا بالله واذا نطقوا نطقوا بالله وسرد حتى بكى القاضي فأرسل الى الخليفة يقول ان كان هؤلاء زنادقة فما على وجه الارض مسلم فاكرمهم وأطلقهم (ومن المروي عن أحمد بن أبي داود القاضي) أنه قال ما رأيت رجلا عرض على الموت فلم يكترث به الا تميم بن جميل الخارجي كان قد خرج على المعتصم ورأيته قد جيء به أسيرا فأدخل عليه في يوم موكب وقد جلس المعتصم للناس مجلسا عاما ودعا بالسيف والنطع فلما مثل بين يديه نظر اليه المعتصم فأعجبه شكله وقده ورآه يمشي الى الموت غير مكترث به فأطال الفكرة فيه ثم استنطقه لينظر في عقله وبلاغته فقال يا تميم ان كان لك عذر فأت به فقال أما اذا أذن أمير المؤمنين جبر الله به صدع الدين ولم به شعث المسلمين وأخمد شهاب الباطل وأنار سبيل الحق فالذنوب يا أمير المؤمنين تخرس الالسن وتصدق الافئدة وايم الله لقد عظمت الجريمة وانقطعت الحجة وساء الظن ولم يبق الا العفو وهو الأليق بشيمتك الطاهرة ثم أنشد

تعالى عنه قبض رسول الله ﷺ وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء وقد قدم رسول الله ﷺ أسامة بن زيد على جميع الانصار وكبار المهاجرين على حداثة سنه وعتاب بن أسيد ولاه مكة وبها أكابر قريش وعبدالله بن عباس على جلالة قدره وحفظه من العلم وقال بعض البلغاء الشباب باكورة الحياة وأطيب العيش أوائله كما أن أطيب الثمار بواكيرها والشباب أبلغ الشفعاء عند النساء وأكثر الوسائل لقلوبهن ولذلك قال الشاعر

أحلى الرجال مع النساء مواقعا * من كان أشبههم بهن خدودا

ومابكت العرب على شيء مابكت على الشباب ولو لم يكن هذا الشباب حميدا وزمانه حبيبا لوسامة صورته وبهجة منظره وجمال خلقته واعتدال قامته لما جاور الله في جنات خلده شاب كما قال رسول الله ﷺ جردا مردا أبناء ثلاثين وقد جاء في ذلك أشياء كثيرة ليس هذا موضع بسطها

﴿ الفصل الثاني في الشيب وفضله ﴾ أول من شاب سيدنا ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وفي الخبر ان الله تعالى يقول الشيب نوري وأنا أستحي أن أحرقه بناري وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال جاء رجلان الى النبي ﷺ شيخ وشاب فتكلم الشاب قبل أن يتكلم الشيخ فقال عليه الصلاة والسلام كبر كبر وبهذه الرواية من وقر كبيرا لكبر سنه آمنه الله من فزع يوم القيامة وعن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال يقول الله تعالى وعزتي وجلالي وفاقة خلقي الى اني لاستحي من عبدي وأمتي يشيبان في الاسلام أن أعذبهما ثم بكى فقيل له مايبكيك يارسول الله قال أبكي ممن يستحي الله منه وهو لا يستحي من الله وقال من بلغ ثمانين من هذه الأمة حرمه الله على النار وقال اذا بلغ المؤمن ثمانين سنة فانه أسير الله في الارض تكتب له الحسنات وتمحى عنه السيآت وقيل كان الرجل فيمن كان قبلكم لايحتلم حتى يبلغ ثمانين سنة وقال ابن وهب ان أصغر من مات من ولد آدم ابن مائتي سنة فبكته الانس والجن لحداثة سنه وقال النخعي كان يقال اذا بلغ الرجل أربعين سنة على خلق لم يتغير عنه حتى يموت وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما رفعه من أتى عليه أربعون سنة ثم لم يغلب خيره على شره فليتجهز إلى النار وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال ملك الموت لنوح عليه الصلاة والسلام ياأطول النبيين عمرا كيف وجدت الدنيا قال كرجل دخل في بيت له بابان فقام وسط البيت ساعة ثم خرج من الباب الثاني ويقال أطع أكبر منك ولو بليلة وقال عبدالعزيز بن مروان من لم يتعظ بثلاث لم ينته بشيء الاسلام والقرآن والشيب قال الشاعر

ياعامر الدنيا على شيبه * فيك أعاجيب لمن يعجب
ماعذر من يعمر بنيانه * وعمره منهدم يخرب

وقال الشعبي الشيب علة لايعاد منها ومصيبة لايعزى عليها وقال الفرزدق

ويقول كيف يميل مثلك للظبا * وعليك من عظم المشيب عذار
والشيب ينقص في الشباب كأنه * ليل يصيح بعارضيه نهار

(وقال أبو دلف في بياض اللحية)

تكونني هم لبيضاء نابتة * لها بغضة في مضمر القلب ثابته
ومن عجب اني اذا رمت قصها * قصصت سواها وهي تضحك نابته

(وقال أيضا) أرى شيب الرجال من الغواني * بمبلغ شيبهن من الرجال

(وقال ابن المعتز) فظلت أطلب وصلها بتذلل * والشيب يغمزها بان لاتفعلي

قيل صاح شاب بشيخ أحدب بكم ابتعت هذا القوس ياعماه فقال يابني اني أعطيتها بغير ثمن * ومر رجل

أرى الموت بين السيف والنطع كامنا * يلاحظني من حيث لا أتلفت
وأكثر ظني انك اليوم قاتلي * وأي امرىء مما قضى الله يفلت
ومن ذا الذي يأتي بعذر وحجة * وسيف المنايا بين عينيه مصلت
وماجزعي من أن أموت وانني * لأعلم أن الموت شيء موقت
ولكن خلفي صبية قد تركتهم * وأكبادهم من حسرة تتفتت
كأني أراهم حين أنعى اليهم * وقد لطموا تلك الخدود وصوتوا
وان عشت عاشوا سالمين بغبطة * أذود الردى عنهم وان مت موتوا
وكم قائل لايبعد الله داره * وآخر جذلان يسر ويشمت

قال فبكى المعتصم وقال ان من البيان لسحرا ثم قال كاد والله ياتميم أن يسبق السيف العذل وقد وهبتك لله ولصبيتك وأعطاه خمسين ألف درهم (ومن لطائف المنقول من المستجاد) انه كان بين غسان بن عباد وبين علي بن عيسى القمر عداوة عظيمة وكان علي ابن عيسى ضامنا أعمال الخراج والضياع ببلده فبقيت عليه بقية مبلغها أربعون ألف دينار فألح المأمون عليه بطلبها

اشمط بامرأة عجيبة في الجمال فقال ياهذه إن كان لك زوج فبارك الله لك فيه وإلا فاعلمينا فقالت كانك تخطبني قال نعم فقالت ان في عيبا قال وما هو قالت شيب في رأسي فثني عنان دابته فقالت على رسلك فلا والله ما بلغت عشرين سنة ولا رأيت في رأسي شعرة بيضاء ولكنني أحببت أن أعلمك اني أكره منك مثل ما تكره مني فانشد و يقال إنه لابن المعتز

رأين الغواني الشيب لاح بمفرقي * فاعرضن عني بالخدود النواضر

(وقال آخر) سألتها قبلة يوما وقد نظرت * شيبي وقد كنت ذامال وذانعم

فاعرضت وتولت وهي قائلة * لاوالذي أوجد الأشياء من عدم

ما كان لي في بياض الشيب من أرب * أفي الحياة يكون القطن حشو فمي

(وقال آخر) قالت أرى مسكة الشعر البهيم غدت * كافورة قد أحالتها يد الزمن

فقلت طيب بطيب والتنقل في * معادن الطيب أمر غير ممتهن

قالت صدقت وما أنكرت ذاك بذا * المسك للشم والكافور للكفن

(وقال آخر) قالت أراك خضبت الشيب قلت لها * سترته عنك ياسمعي ويابصري

فقهقهت ثم قالت من تعجبها * تكاثر الغش حتى صار في الشعر

(وقال ابن نباتة) تبسم الشيب بوجه الفتى * يوجب سح الدمع من جفنه

وكيف لايبكي على نفسه * من ضحك الشيب على ذقنه

(وقال ابن المعتز) فما أقبح التفريط في زمن الصبا * فكيف به والشيب في الرأس شامل

وكان المأمون يتمثل بقول الشاعر

رأت وضحا في الرأس مني فراعها * فريقان مبيض به وبهيم

تفاريق شيب في السواد لوامع * فياحسن ليل لاح فيه نجوم

و يقال في الرجل إذا شاب ليله عسعس وصبحه تنفس

اذا نازع الشيب الشباب فاصلتا * بسيفيهما فالشيب لاشك غالب

(وقال آخر) ألا ان شيب العبد من نقرة القفا * وشيب كرام الناس شيب المفارق

(وقال العتبي) قالت عهدتك مجنونا فقلت لها * ان الشباب جنون برؤه الكبر

(وقال علي بن ربيع) كبرت ودق العظم مني وعقني * بني وزالت عن فراشي العقائد

وأصبحت أعشي أخبط الارض بالعصا * يقودني بين البيوت الولائد

(وقال آخر) عريت من الشباب وكنت غصنا * كما يعرى من الورق القضيب

ونحت على الشباب بدمع عيني * فما نفع البكاء ولا النحيب

فياليت الشباب يعود يوما * فاخبره بما فعل المشيب

(وقال ابن النقيب) وكم كان من عين علي وحافظ * وكم كان من واش لها ورقيب

فلما بدا شيبي اطمأنت قلوبهم * ولم يحفظوني واكتفوا بمشيبي

وقال الامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ماشبهت الشباب الا كشيء كان في كمي فسقط (قال الشاعر)

شيآن لو بكت الدماء عليهما * عيناك حتى يؤذنا بذهاب

لم يبلغا المعشار من حقيهما * فقد الشباب وفرقة الاحباب

(وقال الجاحظ) أترجو أن تكون وأنت شيخ * كما قد كنت في زمن الشباب

لقد كذبتك نفسك ليس ثوب * دريس كالجديد من الثياب

إلى أن قال لعلي بن صالح الحاجب أمهله ثلاثة أيام فان أحضر المال و إلا فاضر به بالسياط حتى يؤدي المال أو يتلف فانصرف علي ابن عيسى من دار المأمون آيسا من نفسه وهو لا يدري وجها يتجه اليه فقال له كاتبه لو عرجت على غسان بن عباد وعرفته خبرك لرجوت أن يعينك على أمرك فقال له على ما بيني و بينه من العداوة فقال نعم فان الرجل أريحي كريم فدخل على غسان فقام اليه وتلقاه بالجميل وأوفاه حقه بالخدمة ثم قال له الحال الذي بيني وبينك على حاله ولكن دخولك إلى داري له حرمة توجب بلوغ ما رجوته مني فاذكر إن كان لك حاجة فقص عليه القصة فقال أرجو أن يكفيكه الله تعالى ولم يزده على ذلك شيئا فنهض علي ابن عيسى وخرج آيسا نادما على قصد غسان وقال لكاتبه ما أفدتني بالدخول على غسان غير تعجيل الشماتة والهوان فلم يصل علي بن عيسى إلى داره حتى حضر اليه كاتب غسان ومعه البغال عليها المال فتقدم وسلمه و بكر الى دار أمير المؤمنين فوجد غسان قد سبقه اليها ودخل على المأمون وقال يا أمير المؤمنين ان لعلي ابن عيسى بحضرتك حرمة وخدمة وسالف أصل وقد لحقه من الخسران في ضمانه ما تعارفه الناس وقد توعدته بضرب السياط بما أطار عقله وأذهب لبه فان رأى

﴿ ومما جاء فى الخضاب ﴾ قال صلى الله عليه وسلم عليكم بالخضاب فانه أهيب لعدوكم وأعجب لنسائكم وعن أبى عامر الانصارى رضى الله عنه رأيت أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه يغير بالحناء والكتم وقيل خضاب الحناء يصفى البصر و يذهب بالصداع و يزيد فى الباه

تسود أعلاها وتأبى أصولها * وليس الى رد الشباب سبيل

وقيل وفد عبد المطلب بن هاشم على سيف بن ذى يزن فقال له لو خضبت شعرك فلما رجع إلى مكة اختضب فقالت امرأته نبيلة ما أحسن هذا لو دام فقال

ولو دام لى هذا الخضاب حمدته * وكان بديلا من خليل قد انصرم
تمتعت منه والحياة قصيرة * ولابد من موت نبيلة أو هرم

(وقال آخر) ياخاضب الشيب الذى * فى كل ثالثة يعود
ان الخضاب إذا نضا * فكأنه شيب جديد
فدع المشيب وما يريد فلن يعود كما تريد

(وقال محمود الوراق) فامنك الشباب ولست منه * إذا سامتك لحيتك الخضابا

﴿ الفصل الثالث فى العافية والصحة ﴾ عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليك انتهت الامانى ياصاحب العافية وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أول مايحاسب به العبد يوم القيامة أن يقال له ألم أصح بدنك وأروك بالماء البارد وقال على رضى الله تعالى عنه فى قوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم هو الأمن والصحة والعافية وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يسأل الله العباد عن الابدان والاسماع والابصار فيم استعملوها وهو أعلم بذلك وقال ابن عيينة من تمام النعمة طول الحياة فى الصحة والامن والسرور وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها لو رأيت ليلة القدر ماسألت الله الا العفو والعافية وقال قبيصة بن ذؤيب كنا نسمع نداء عبد الملك بن مروان من وراء الحجرة فى مرضه ياأهل النعم لا تستقلوا شيئا من النعم مع العافية و يقال البحر لا جوار له والملك لا صديق له والعافية لا ثمن لها قال ابن الرومى

إذا ماكساك الدهر سربال صحة * ولم تخل من قوت يحل و يقرب
فلا تغبطن أهل الكثير فانما * على قدر ما يعطيهم الدهر يسلب

و يقال صحة الجسم أوفر القسم وذكر بعضهم العافية فقال وأى وطاء وأى غطاء وقال حكيم ان كان شىء فوق الحياة فالصحة وان كان شىء مثل الحياة فالغنى وان كان شىء فوق الموت فالمرض وان كان شىء مثل الموت فالفقر وقال على رضى الله تعالى عنه ماالمبتلى الذى اشتد به البلاء بأحوج الى الدعاء من المعافى الذى لايأمن البلاء * وقيل إن فأرة البيوت رأت فأرة الصحراء فى شدة ومحنة فقالت لها ماتصنعين ههنا اذهبى معى الى البيوت التى فيها أنواع النعيم والخصب فذهبت معها واذا صاحب البيت الذى كانت تسكنه قد هيأ لها الرصد لبنة تحتها شحمة فاقتحمت لتأخذ الشحمة فوقعت عليها اللبنة فحطمتها فهربت الفأرة البرية وهزت رأسها متعجبة وقالت أرى نعمة كثيرة و بلاء شديدا الا وان العافية والفقر أحب الى من غنى يكون فيه الموت ثم فرت الى البرية * وكان عند رومى خنزير فربطه الى اسطوانة ووضع العلف بين يديه ليسمنه وكان بجنبه أتان لها جحش وكان ذلك الجحش يلتقط من العلف مايتناثر فقال لأمه ياأماه ما أطيب هذا العلف لو دام فقالت له يابنى لا تقربه فان وراءه الطامة الكبرى فلما أراد الرومى أن يذبح الخنزير ووضع السكين على حلقه جعل يضطرب و ينفخ فهرب الجحش وأتى الى أمه

ولم يزل يتلطف الى أن حط عنه النصف واقتصر على عشرين ألف دينار فقال غسان على أن يجدد عليه أمير المؤمنين الضمان و يشرفه بخلعة تقوى نفسه وترهف عزمه و يعرف بها مكان الرضا عنه فأجابه المأمون الى ذلك قال فيأذن أمير المؤمنين أن أحمل الدواة الى حضرته ليوقع مارآه من هذا الانعام قال أفعل فحمل الدواة الى أمير المؤمنين فوقع ذلك وخرج على بن عيسى بالخلعة والتوقيع بيده فلما حضر فى داره حمل من المال عشرين ألف دينار وأرسلها الى غسان وشكره على جميل فعله معه فقال غسان لكاتبه والله ماشفعت عند أمير المؤمنين الا لتوفر عليه و ينتفع بها فامض بها اليه فلما ردها كاتبه الى على بن عيسى علم قدر مافعل معه غسان فلم يزل يخدمه الى آخر العمر (ومن غريب مايقتطف من ثمرات الأوراق) أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله خلف احد عشر ابنا فأصاب كل ابن نصف وربع دينار وقال لهم عند وفاته يابنى ليس لى مال فأوصى فيه وخلف هشام بن عبد الملك احد عشر ابنا فأصاب كل واحد من البنين ألف ألف دينار فأما أولاد

أمه وأخرج لها أسنانه وقال ويحك يا أماه انظرى هل بقى فى خلال أسنانى شىء من ذلك العلف فاقلعيه فما أحسن القنع مع السلامة والله أعلم بالصواب

﴿ الفصل الرابع فى أخبار المعمرين فى الجاهلية والاسلام ﴾ قال الحسن رضى الله تعالى عنه أفضل الناس ثوابا يوم القيامة المؤمن المعمر وقال رسول الله ﷺ ألا أنبئكم بخياركم قالوا بلى يا رسول الله قال أطولكم أعمارا فى الاسلام إذا سددوا وزعموا أن تبعا الفزارى كان من المعمرين وأنه دخل على بعض خلفاء بنى أمية فسأله عن عمره فقال عشت أربعمائة وعشرين سنة فى فترة عيسى بن مريم عليه السلام فى الجاهلية وستين فى الاسلام قال له أخبرنى عما رأيت فى سالف عمرك قال رأيت الدنيا ليلة فى أثر ليلة ويوما فى أثر يوم ورأيت الناس بين جامع مال مفرق ومفرق مال مجموع وبين قوى يظلم وضعيف يظلم وصغير يكبر وكبير يهرم وحى يموت وجنين يولد وكلهم بين مسرور بموجود ومحزون بمفقود وقد قال ابن الجوزى ان آدم عليه السلام عاش ألف سنة وعاش ابنه شيث تسعمائة سنة وعاش ابنه مهلاييل ثمانمائة وخمسا وتسعين سنة وعاش ابنه ادريس ثلثمائة وخمسا وتسعين سنة وعاش ابنه هود تسعمائة واثنتين وستين سنة وعاش ابنه متوشلخ تسعمائة وستين سنة وأما ابنه نوح عليه السلام فروى عن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال عاش نوح عليه السلام ألفا وأربعمائة وخمسين عاما وأما الخضر عليه السلام واسمه خضرون فهو أطول بنى آدم عمرا وذكر أن لقمان عليه السلام عاش ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة وكانت العرب لا تعد من الأعمار إلا ما بلغ مائة وعشرين سنة فما فوقها وعاش أكثم بن صيفى ثلثمائة وستين سنة وأدرك الاسلام وعاش سطيح سبعمائة سنة وعاش قس بن ساعدة الايادى سبعمائة سنة وكان من حكماء العرب وعاش لبيد بن ربيعة الشاعر مائة وعشرين سنة وأدرك الاسلام وعاش دريد بن الصمة مائة وسبعين سنة حتى سقط حاجباه على عينيه وأدرك الاسلام ولم يسلم ومن المعمرين عدى ابن حاتم الطائى وزهير بن جنادة عاشا مائتين وعشرين سنة ومن المعمرين ذو الأصابع العذرى عاش مائتين وعشرين سنة وهو أحد حكماء العرب فى الجاهلية ومن المعمرين عمرو بن معد يكرب الزبيدى ومن المعمرين عبد المسيح بن نفيلة عاش ثلثمائة وعشرين سنة وأدرك الاسلام وقد رأيت رجلا من أهل محلة مسير بالغربية وذكر أنه بلغ من العمر مائة وأربعين سنة وان امرأته بلغت من العمر كذلك ولقد رأيت منه مالم أر من بعض شبان هذا العصر فى القوة وشدة البأس ورأيت له ولدا شيخا هو أشد قوة من ولده وذلك فى صفر سنة تسع وعشرين وثمانمائة والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ الباب التاسع والأربعون فى الأسماء والكنى والألقاب وما استحسن منها ﴾

فأشرف الأسماء وأعظمها بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى هل تعلم له سميا وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن رسول الله ﷺ من رفع قرطاسا من الأرض مكتوبا عليه بسم الله الرحمن الرحيم اجلالا له ولاسمه عن أن يداس كان عند الله من الصديقين وخفف عنه وعن والديه العذاب وان كانا مشركين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لم ير ابليس لعنه الله قط إلا ثلاث رنات رنة حين لعن وأخرج من ملكوت السموات والأرض ورنة حين ولد محمد ﷺ ورنة حين أنزلت سورة الحمد وفى أولها بسم الله الرحمن الرحيم وعن رسول الله ﷺ لا يرد دعاء أوله بسم الله الرحمن الرحيم وان أمتى يأتون يوم القيامة يقولون بسم الله الرحمن الرحيم فتثقل حسناتهم فى الميزان فتقول الامم ما أثقل موازين أمة محمد فتقول الانبياء عليهم الصلاة والسلام ابتداء كلامهم ثلاثة أسماء من أسماء الله تعالى لو وضعت فى كفة الميزان ووضعت سيآت الخلق فى كفة لرجحت كفة الأسماء

ألف فرس فى سبيل الله تعالى وما رؤى أحد من أولاد هشام بن عبد الملك إلا وهو فقير ولقد شوهد أحدهم وهو يوقد فى الاتون (قيل) لمعاوية ابن أبى سفيان ان بالحيرة رجلا من بنى جرهم قد عمر ورأى أعاجيب فقال معاوية على به فلما حضر قال من الرجل قال عبيد ابن شرية قال ثم ممن قال من قوم لم يبق منهم بقية قال فكم مضى من عمرك قال عشرون ومائتا سنة قال أخبرنى بأعجب ما رأيت فى عمرك قال نعم يا أمير المؤمنين كنت فى حى من احياء العرب فمات عندهم ميت يقال له عشير بن لبيد العذرى فشيت فى جنازته وتأسيت بجماعته فلما دفن فى قبره وأعول النساء فى أثره أدركتنى عليه عبرة ولم أستطع ردها وتمثلت بأبيات كنت سمعتها قديما وعلق الآن على خاطرى منها هذه الأبيات

يا قلب انك من أسماء مغرور
فاذكر وهل ينفعنك اليوم تذكير
قد بحت بالحب ما تخفيه من أحد
حتى جرت لك اطلاقا محاظير
فلست تدرى ولا تدرى أعاجلها
أدنى لرشدك أم ما فيه تأخير
فاستقدر الله خيرا وارضين به
فبينما العسر إذ دارت مياسير

(وأما الاسماء والكنى) فى صحيح مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ
أحب أسمائكم الى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها حارث وهمام وأقبحها حرب ومرة وينبغى
أن تنادى من لا تعرف اسمه بعبارة لطيفة لا يتأذى بها ولا يكون فيها كذب كقولك يافقيه ياأخى
يافقير ياسيدى ياصاحب الثوب الفلانى أو البغل الفلانى أو الفرس الفلانى أو السيف الفلانى وما أشبه
ذلك ودخل عبادة على المتوكل وبين يديه جام من ذهب فيه ألف مثقال فقال له أسألك عن شىء
ان أجبتنى عنه ابتداء من غير أن تفكر فلك الجام بما فيه فقال سل ياأمير المؤمنين قال أسألك
عن شىء له اسم ولا كنية له وعن شىء له كنية ولا اسم له فقال المنارة وأبو رياح فعجب المتوكل وأعطاه
الجام بما فيه وقيل لعثمان ذو النورين رضى الله عنه لانه هو ورقية كانا أحسن زوجين فى الاسلام
وقيل لانه تزوج برقية ثم بأم كلثوم ابنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يوجد من تزوج بابنتى
نبى غيره وكان قتادة بن النعمان الانصارى رضى الله تعالى عنه أصيب فى عينه يوم أحد فسقطت
على خده فردها رسول الله ﷺ فكانت أحسن وأصح من الاخرى فكانت تعتل أى ترمد عينه
الباقية ولا تعتل عينه المردودة فقيل له ذو العينين وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه كنيت بهرة صغيرة
كنت أحملها فى حجرى فالعب بها وكان رسول الله ﷺ يقول ياأباهريرة واختلف فى اسمه
فقيل عبد الرحمن وقيل عبد شمس وقيل عمير وقيل سليمان وقال الشعبى رضى الله تعالى عنه كنية
الدجال أبو يوسف * ذو الشهرة أبو دجانة الانصارى رضى الله تعالى عنه كان له شهرة يلبسها بين
الصفين * ذو الرياستين الفضل بن سهل لانه دبر أمر السيف والقلم وولى رياسة الجيوش والدواوين
ودخل عليه شاعر يوم المهرجان وبين يديه الهدايا فقال

اليوم يوم المهرجان * هديتى فيه اللسان * لك دولتان حديثة
وقديمة ورياستان * لك فى الورى من هاشم * نبت وبيت خسروان
علم الخليفة كيف أز * ت فصرت فى هذا المكان

فأمر له بجميع الهدايا * المطيبون بنو عبد مناف وبنو أسد بن عبد العزى وزهرة بن كلاب ونعيم بن
مرة والحرث بن فهر غمسوا أيديهم فى خلوف ثم تحالفوا * شيبة الحمد عبد المطلب لقب بشيبة كانت
فى رأسه حين ولد وقال حذافة   بنو شيبة الحمد الذى كان وجهه * يضىء ظلام الليل كالقمر البدر
وقيل له عبد المطلب لان عمه المطلب مر به فى سوق مكة مردوفا له فجعلوا يقولون من هذا الذى وراءك
فيقول عبدلى * سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه اسمه عبد الله ولقباه العتيق والصديق لجماله
وتصديقه بخبر الاسراء أو لانه من صدق رسول الله ﷺ سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه لقب
بالفاروق لانه قال يوم أسلم لا يعبد الله اليوم سرا فظهر به الاسلام وفرق بين الحق والباطل * الكامل
سعد بن عبادة رضى الله تعالى عنه لانه كان يكتب ويحسن الرمى والعوم * طلحة بن عبد الله رضى
الله تعالى عنه كان يقال له طلحة الخير وطلحة الفياض وطلحة الطلحات لسخائه * رشح الحجر أبو الريان
عبد الملك بن مروان لقب بذلك لبخله وبخره * عكة العسل سعيد بن العاص رضى الله تعالى عنه
* الحبر عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنه لقب بذلك لعلمه كان يقال له مرة الحبر ومرة البحر *
الاشدق عمرو بن سعيد لانه كان مائل الشدق * الفياض عكرمة بن ربعى لقب بذلك لسخائه * المصطلق
خزيمة بن سعد الخزاعى قيل له المصطلق لحسن صوته وشدته وكان أول من غنى من خزاعة * راح
يكذب لقب به المهلب لانه كان يضع الحديث أيام الخوارج فيحدث به فاذا رأوه قالوا راح يكذب *
واصل الغزال كان يكثر الجلوس فى سوق الغزالين وكان يتتبع العجائز فيتصدق عليهم ولم يكن غزالا

وذو قرابته فى الحى
مسرور
وذاك آخر عهد من أخيك
اذا
ما المرء ضمنه اللحد
الخناسير
فبينما أنا أردد هذه الابيات
وعيناى ينسكبان اذ قال
لى رجل الى جنبى من
عذرة ياعبد الله هل تعرف
قائل هذا الشعر قلت لا
والله قال قائله هذا
الميت الذى دفناه وأنت
الغريب الذى تبكى عليه
ولا تعرفه ولا تعلم انه قائل
هذه الابيات وذو قرابته
الذى ذكرته مسرور هو
ذاك وأشار الى رجل فى
الجماعة فرأيته لا يستطيع
كتمان ما هو عليه من
المسرة فقال معاوية ياأخا
جرهم سل ماشئت قال
مامضى من عمرى ترده
والأجل اذا حضر تدفعه
قال ليس ذلك لى سل
غيره قال ياأمير المؤمنين
ليس اليك رد شبابى ولا
الآخرة فتكرم مآبى
والمال فقد أخذت
منه فى عنفوانى ما كفانى
قال لابد أن تسألنى
قال أما اذ شئت فأمر
لى برغيفين أتغدى
بأحدها وأتعشى
بالآخر واتق الله واعلم
انك مفارق ما أنت فيه وقادم على ما قدمت فأمر له معاوية

سليمان

سليمان التيمي كان داره ومسجده في بني تيم ولم يكن منهم وهو شيباني * أبو عمرو الشيباني لم يكن من بني شيبان وانما كان يعلم يزيد بن مزيد الشيباني * اليزيدي كان يعلم يزيد بن منصور الحميري فنسب اليه * ذو القروح امرؤ القيس كان ملك الروم كساه الحلة المسمومة فقرحته وقالوا لم تكن الكنى لأحد من الأمم الا للعرب وهي مفاخرهم وقال بعضهم

أكنيه حين أناديه لأكرمه * ولا ألقبه والسوءة اللقب

وقيل في قوله تعالى فقولا له قولا لينا أي كنياه ولما ضرب موسى عليه الصلاة والسلام البحر ولم ينفلق أوحى الله تعالى اليه أن كنه فقال انفلق أبا خالد فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم (وأما الالقاب) فقد قال الله تعالى ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان سماه الله تعالى فسوقا واتفق العلماء رضي الله تعالى عنهم على جواز ذلك على وجه التعريف لمن لا يعرف الا بذلك كالأعمش والاعمى والاعرج والاحول والافطس والاقرع ونحو ذلك وقل من المشاهير في الجاهلية والاسلام من ليس له لقب ولم يزل في الامم كلها يجري في المخاطبات والمكاتبات من غير نكير غير أنها كانت تطلق على حسب الموسومين وأما ما استحسن من تلقيب السفلة بالالقاب العلية حتى زال الفضل وذهب التفاوت وانقلب النقص والشرف شرعا واحدا فمنكر وهب أن العذر مبسوط في ذلك فما العذر في تلقيب من ليس من الدين في دبير ولا قبيل ولا له فيه ناقة ولا فصيل بل هو محتو على ما يضاد الدين وينافي كمال الدين وشرف الاسلام وهي لعمر الله الغصة التي لا تساغ والغبن الذي يعجز الصبر دونه فلا يستطاع نسأل الله تعالى اعزاز دينه واعلاء كلمته وأن يصلح فسادنا ويوقظ غافلنا * الرجل يكنى باسم ولده والمرأة كذلك واذا كنوا من لم يكن له ولد فعلى جهة التفاؤل وبناء الامر على رجاء أن يعيش فيولد له وقد يكنون بما يلائم المكنى من غير الاولاد كقول رسول الله ﷺ في علي رضي الله تعالى عنه أبو تراب وذلك أنه نام في غزوة ذي العشيرة فذهب به النوم فجاء رسول الله ﷺ وهو متمرغ في التراب فقال له اجلس أبا تراب وكان أحب أسمائه اليه وكقولهم أبي لهب لحمرة خديه ولونه وقال الزمخشري رحمه الله تعالى وسمعتهم يكنون الكبير الرأس والعمامة بأبي الرأس وأبي العمامة وسمعت العرب ينادون الطويل اللحية يا أبا الطويلة وسمعت عرب البحيرة يكنون بأسماء بناتهم كأبي زهو وأبي سلطانة وأبي ليلى ونحو ذلك ولا حرج في ذلك وقد تكنى جماعة من أفاضل الصحابة بأبي فلانة منهم سيدنا عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه كان له ثلاث كنى أبو عمرو وأبو عبد الله وأبو ليلى ومنهم أبو أمامة وأبو رقية تميم الداري وأبو كريمة المقداد بن معد يكرب وكثير من الصحابة ومن التابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين * أبو عائشة مسروق بن الاجدع وكان لأنس أخ صغير وله نغير يلعب به فمات فدخل رسول الله ﷺ فرآه حزينا فقال ما شأنه فقالوا مات نغيره فقال يا أبا عمير ما فعل النغير * ونظر المأمون الى غلام حسن في الموكب فسأله عن اسمه فقال لا أدري فقال

تسميت لا أدري فانك لا تدري * بما فعل الحب المبرح في صدري

وعن علي رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ اذا سميتم الولد محمدا فاكرموه ووسعوا له في المجلس ولا تقبحوا له وجها وعنه ما من قوم كان بينهم مشورة فحضر معهم من كان اسمه محمد أو أحمد فادخلوه في مشورتهم الا كان خيرا لهم وما من مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه محمد أو أحمد الا قدس الله ذلك المنزل في كل يوم مرتين كل ذلك ببركة هذا الاسم الشريف (ومما جاء في مدح الأسماء منظوما قال بعضهم في مليح اسمه ابراهيم

بأشياء من حنطة وغيرها فردها وقال ان أعطيت المسلمين كلهم مثلها أعطيتني والا فلا حاجة لي في ذلك ثم ودعه وانصرف (قيل) وفد عبد الله بن جعفر رضي الله عنه على أحد خلفاء بني أمية فقال له الخليفة كم كان أمير المؤمنين يعطيك يعني أباه قال كان رحمه الله يعطيني ألف ألف درهم قال زدناك لترحمك عليه ألف ألف درهم قال بأبي أنت وأمي قال وبهذه ألف ألف قال لا أقولها لأحد بعدك قال ولهذه ألف ألف قال منعني من الاطناب في وصفك الاشفاق عليك من جودك قال ولهذه ألف ألف فقيل له فرقت يا أمير المؤمنين بيت مال المسلمين على رجل واحد قال انما فرقته على أهل المدينة أجمعين ثم وكل به من يعلمه بخبره من حيث لا يشعر فلما قدم المدينة فرق جميع ما معه حتى احتاج بعد شهر الى القرض (ومن لطائف المنقول) أن رجلا قال لهشام القرطبي كم تعد قال من واحد الى ألف ألف وأكثر قال لم أرد هذا كم تعد من السن قال اثنين وثلاثين سنا عشر من أعلى وستة عشر من أسفل قال لم أرد هذا كم لك من السنين قال والله ليس لي منها شيء والسنون كلها لله قال يا هذا ما سنك قال عظم قال ابن لي ابن كم أنت قال اثنين رجل وامرأة قال كم أتى عليك قال لو أتى علي شيء قتلني قيل كيف أقول قال تقول كم مضى من عمرك (قيل) عرض

رأيت حبيبي في المنام معانقي * وذلك للمهجور مرتبة عليا
وقد رق لي من بعد هجر وقسوة * وما ضر ابراهيم لو صدق الرؤيا
(وفيه أيضا) لازال بابك كعبة محجوجة * وترابها فوق الجباه وسيم
حتى ينادى في البقاع بأسرها * هذا انقام وأنت ابراهيم
(وفيه أيضا) ياسمي الخليل ان فؤادي * فيه من لوعة الغرام جحيم
وعجيب يا قاتلي ان قلبي * فيه نار وأنت فيه مقيم

﴿ ولبعضهم في مليح اسمه عمر ﴾

ياأعدل الناس أسماكم تجور على * فؤاد مضناك بالهجران والبين
أظنهم سرقوك القاف من قمر * وأبدلوها بعين خيفة العين
(وفيه أيضا) ما علمهم في الهوى لو نظروا * حين سموك فقالوا عمر
أبدلوا قافك عينا غلطا * أخطؤا ما أنت إلا قمر

(ولبعضهم في مليح حامل شمعة موقودة اسمه عثمان)

وافى إلي بشمعة وضياؤها * وضياؤه حكيا لنا القمرين
ناديته ما الاسم ياكل المنى * فأجابني عثمان ذو النورين

(ولبعضهم في مليح اسمه يوسف)

يامن سبي الشعراء نمل عذاره * النجم يشهد لي بأني مدنف
صيرت قلبي من صدودك فاطراً * فامنن على بزورة يايوسف

(وللصفي الحلي فيمن اسمه داود)

وثقت بأن قلبي من حديد * وفيه على الهوى بأس شديد
فلان على هواك ولا عجيب * إذا داود لان له الحديد

(وله فيمن اسمه موسى)

أتى موسى بآية خال خده * حوته صوارم الحدق المراض
فآية ذا بياض في سواد * وآية ذا سواد في بياض
فجاء بضد ماقد جاء موسى * كليم الله في الحقب المواضي

(وللقيراطي في مليح اسمه بدر)

سموه بدراً وذاك لما * أن فاق في حسنه وتما وأجمع الناس إذ رأوه * بأنه اسم على مسمى

(ولمؤلفه رحمه الله تعالى) في قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني

وعظ الأنام أمامنا الحبر الذي * سكب العلوم كبحر فضل طافح
فشفى القلوب بعلمه وبوعظه * والعلم تشفى ان يكن من صالح

وتوجهت مرة الى بلتاج لأجتمع بالحاج خليل بن منصور في ضرورة فلم أجده ولم يقم أحد من اخوته بقضاء ماتوجهت بسببه فقلت

خصال خليل كلهن حميدة * وأوصافه تزرى بكل جميل
فلا خير في بلتاج ان لم يكن بها * ولا خير في الدنيا بغير خليل

(وقال آخر في مقبل)

يامن تحجب عن محب صادق * مازال عنه كل يوم يسأل

والجوار يباع قال وكيف لايباع جوار من ان سألته أعطاك وان سكت عنه ابتدأك وان أسأت إليه أحسن إليك فبلغ ذلك سعيدا فوجه إليه بمائة ألف درهم وقال أمسك دارك عليك (قيل) خرج عبد الله بن جعفر الى ضيعة له فنزل على نخل قوم فيها غلام أسود يقوم عليها فأتى بثلاثة أقراص فدخل كلب فدنا منه فرمى إليه بقرص فأكله ثم رمى إليه بالثاني والثالث فأكلهما وعبد الله ينظر اليه فقال ياغلام كم قوتك كل يوم قال مارأيت قال فلم آثرت الكلب قال لأن أرضنا ماهي بأرض كلاب وأخاله جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت رده قال فما كنت صانعا اليوم قال أطوى يومي هذا فقال عبد الله بن جعفر الأمر مبنى على السخاء والله ان هذا لأسخى مني فاشترى النخل والعبد فأعتقه ووهب ذلك له (ومن لطائف المنقول) أنه رفع للرشيد موت العباس بن الأحنف وابراهيم الموصلي المعروف بالنديم وعشيمة الخمارة في يوم واحد فخرج للصلاة عليهم فصفوا بين يديه فقال من الأول فقالوا ابراهيم الموصلي فقال أخروه وقدموا العباس بن الأحنف فقدم وصلى عليه فلما فرغ

من

من لي بيوم فيه تسمح باللقا * ويقال لي هذا حبيبك مقبل

(ولبعضهم في مليح اسمه محسن)

وأهيف يعلو على عشاقه * برتبة من الجمال نالها
واسمه وهو العجيب محسن * وكم دموع في الهوى أسالها

(صفي الدين الحلي في اسم حسين)

حبيبي وافر والشوق مني * طويل والهوى عندي مديد
وأعجب انني أهوى حسينا * وشوقي في محبته يزيد

(ومما قيل في أسماء النساء) في فاطمة

عجبت من فاتنة لم تزل * لمرتجي الوصل لها فاطمه
تنكر ما ألقاه من وجدها * وهي بشوقي والجوى عالمه

(ابن مكانس في اسم عائشة)

يادهر خبرني بحقك واشفني * فسهام فكري في أمورك طائشه
أيحل أني في المحبة ميت * وحبيبتي من بعد موتي عائشه

(شمس الدين البديري في اسم حليمه)

ولما رأتني في هواها متيما * أكابد من حر الغرام أليمه
فجادت بطيب الوصل منها ولم تجر * ومن أين تدري الجور وهي حليمه

(ولبعضهم في اسم بركة دوبيت)

لما نصب الهوى لقلبي شركه * ناديت وقلبي تارك من تركه
يا قلب أفق ولا تمل لشركه * تغنيك سنين ساعة من بركه

(مردوفا أيضا) لما نصب الهوى لقلبي شركه * في كل طريق
ناديت وقلبي تارك من تركه * لو كان يفيق * ياقلب أفق ولا تمل للشركه
ما الشرك يليق * تغنيك سنين ساعة من بركه * عن كل صديق

ولو تتبعت هذا المعنى لاحتجت الى مجلدات ولكن فيما ذكرته كفاية والله الموفق وأسأله العناية وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الخمسون فيما جاء في الاسفار والاغتراب وماقيل في الوداع والفراق والحث على ترك الاقامة بدار الهوان وحب الوطن والحنين اليه﴾

﴿أما ماجاء في الاسفار والحث على ترك الاقامه بدار الهوان﴾

فقد قال الله تعالى هو الذي جعل لكم الارض ذلولا الآية وفي الاثر سافروا تغنموا وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ لو يعلم الناس رحمة الله للمسافر لاصبح الناس على ظهر سفر وهو ميزان الاخلاق ان الله بالمسافر رحيم ويقال الحركة ولود والسكون عاقر وقال حكيم السفر يسفر عن أخلاق الرجال وكان بعضهم يريد السفر فيمنعه والده اشفاقا عليه فقال يوما

ألا خلني أمضي لشاني ولا اكن * على الاهل كلا ان ذا لشديد
تهيبني ريب المنون ولم أكن * لا هرب عما ليس منه محيد
فلو كنت ذا مال لقرب مجلسي * وقيل اذا أخطأت أنت رشيد
فدعني أجول الارض عمري لعله * يسر صديق أو يغاظ حسود

وانصرف دنا منه هاشم بن عبد الله الخزاعي وقال يا أمير المؤمنين كيف آثرت العباس بالتقديم على من حضر فقال بقوله

وسعى بها قوم وقالوا انها
لهي التي تشقى بها وتكابد
فجحدتهم ليكون غيرك ظنهم
اني ليعجبني المحب الجاحد

ثم قال أتحفظهما قلت نعم قال أليس من قال هذا الشعر أولى بالتقديم فقلت بلى والله يا أمير المؤمنين (قلت ويضارع هذا ما حكاه صاحب الاغاني) حكى ان رجلا أدى شهادة عند بعض القضاة فقال له القاضي هل يعرفك أحد من ذوي العدالة قال نعم فلان فلما حضر قال له القاضي هل تعرف هذا قال نعم أعرفه عدلا وما ذاك الا أني سمعته ينشد لجرير

ان الذين غدوا بلبك غادروا
وشلا بعينك لا يزال معينا
غيضن من أبصارهن وقلن لي
ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فعلمت ان هذا لا يرسخ الا في قلب مؤمن (وقال الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمه الله) كانت رقائق الشيخ تقي الدين السروجي تسلب العقول وكان يغنى بها في عصره لانها في الطريق الغرامي غاية لاتدرك فمن ذلك قوله رحمه الله

وقال رسول الله ﷺ عليكم بالدلجة فان الأرض تطوى بالليل ولا تطوى بالنهار وقال كعب بن مالك رضى الله تعالى عنه كان رسول الله ﷺ يكره أن يسافر الرجل فى غير رفقة وقال ﷺ الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب وقال ﷺ إذا خرج ثلاثة فى ركب فليؤمروا أحدهم (وقيل)أغار حذيفة بن بدر على هجان النعمان بن المنذر بن ماء السماء وسار فى ليلة مسافة ثمانى ليال فضرب به المثل وقال قيس بن الحطيم

همممنا بالاقامة ثم سرنا * مسير حذيفة الخير بن بدر

وسار ذكوان مولى عمر رضى الله تعالى عنه من مكة الى المدينة فى يوم وليلة وقال المأمون لاشىء ألذمن السفر فى كفاية وعافية لأنك تحل كل يوم فى محلة لم تحل فيها وتعاشر قوما لم تعرفهم (ومما قيل فى ترك الاقامة بدار الهوان

(قال الفرزدق) وفى الأرض عن دار القلى متحول * وكل بلاد أوطنتك بلاد

(وقال آخر) وما هى إلا بلدة مثل بلدتى * خيارهما ما كان عونا على دهر

(وقال آخر) واذ البلاد تغيرت عن حالها * فدع المقام وبادر التحويلا

ليس المقام عليك فرضا واجبا * فى بلدة تدع العزيز ذليلا

﴿ وقال الصفى الحلى ﴾

تنقل فلذات الهوى فى التنقل * ورد كل صاف لا تقف عند منهل

ففى الأرض أحباب وفيها منازل * فلا تبك من ذكرى حبيب ومنزل

ولا تستمع قول امرىء القيس انه * مضل ومن ذا يهتدى بمضلل

(وقال عبد الله الجعدى)

فان تجف عنى أو تزرنى اهانة * أجد عنك فى الأرض العريضة مذهبا

﴿ ومما قيل فى الوداع والفراق والشوق والبكاء ﴾ قال جرير

لو كنت أعلم أن آخر عهدكم * يوم الرحيل فعلت مالم أفعل

وقيل لعمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ما كان جدك صانعا فى قوله فعلت مالم أفعل قال كان يقلع عينيه حتى لا يرى مظعن أحبابه ثم أنشد يقول

وماوجد مغلول بصنعاء موثق * بساقيه من ماء الحديد كبول * قليل الموالى مسلم بجريرة له بعد نومات العيون أليل * يقول له الحداد أنت معذب * غداة غد أو مسلم فقتيل

بأكبر منى لوعة يوم راعنى * فراق حبيب ماإليه سبيل

(وقال الشاعر) وماأم خشف طول يوم وليلة * ببلقعة بيداء ظمآن صاديا

تهيم ولا تدرى الى أين تبتغى * مولهة حزنا تجوز الفيافيا * أضربها حر الهجير فلم تجد لغلتها من بارد الماء شافيا * إذا بعدت عن خشفها انعطفت له * فألفته ملهوف الجوانح طاويا

بأوجع منى يوم شدوا حمولهم * ونادى مناد البين أن لا تلاقيا

وقال عبد العزيز الماجشون وهو من فقهاء المدينة قال لى المهدى ياماجشون ماقلت حين فارقت أحبابك قال قلت ياأمير المؤمنين

لله باك على أحبابه جزعا * قد كنت أحذر هذا قبل أن يقعا * ماكان والله شؤم الدهر يتركنى حتى يجرعنى من بعدهم جرعا * ان الزمان رأى إلف السرور لنا * فدب بالبين فيما بيننا وسعى

فليصنع الدهر بى ماشاء مجتهدا * فلا زيادة شىء فوق ماصنعا

وصولا بالذى أنفقته
يامن شغلت بحبه عن غيره
وسلوت كل الناس حين عشقته
كم جال فى ميدان حسنك فارس
بالسبق فيك الى رضاك سبقته
أنت الذى جمع المحاسن وجهه
لكن عليه تصبرى فرقته
قال الوشاة قد ادعى بك نسبة
فسررت لما قلت قد صدقته
بالله ان سألوك عنى قل لهم
عبدى وملك يدى وما أعتقته
أو قيل مشتاق اليك فقل لهم
أدرى بذا وأنا الذى شوقته
(قلت) لو كان الشيخ تقى الدين السروجى رحمه الله فى جملة من صلى عليه الرشيد لم يقدم غيره عليه (قال الشهاب محمود) وكان الشيخ تقى الدين السروجى مع دينه وورعه وزهده وعفته مغرما بالجمال وكذلك قال الشيخ أثير الدين وكان يكره مكانا فيه امرأة ومن دعاه من أصحابه قال شرطى معروف وهو ان لا يحضر بالمجالس امرأة (قال الشهاب محمود) وكنا يوما فى دعوة فأحضر صاحب الدعوة شواء وأمر بادخاله الى النساء ليجعلنه فى الصحون فلما أحضر فقال

فقال والله لأعينك فأعطاه عشرة آلاف دينار (وقال آخر)

وقفت يوم النوى منهم على بعد * ولم أودعهم وجـدا واشفاقا
انى خشيت على الاظعان من نفسى * ومن دموعى احراقا واغراقا

(قال عمر بن أحمد) أتى الرحيل فحين جد ترحلت * مهج النفوس له عن الاجساد
من لم يبت والبين يصدع قلبه * لم يدر كيف تفتت الاكباد

وحكى بعضهم قال دخلنا إلى دير هرقل فنظرنا إلى مجنون فى شباك وهو ينشد شعرا فقلنا له أحسنت فأومأ بيده إلى حجر يرمينا به وقال أمثلى يقال أحسنت ففررنا منه فقال أقسمت عليكم الامارجعتم حتى أنشدكم فان أنا أحسنت فقولوا أحسنت وان أنا أسأت فقولوا أسأت فرجعنا اليه فأنشد يقول

لما أناخوا قبيل الصبح عيسهمو * وحملوها وسارت بالدمى الابل
وقلبت بخلال السجف ناظرها * يرنو إلى ودمع العين ينهمل
وودعت ببنـان زانه عنم * ناديت لاحملت رجلاك ياجمل
ياحادى العيس عرج كى أودعهم * ياحادى العيس فى ترحالك الأجل
انى على العهد لم أنقض مودتهم * ياليت شعرى لطول البعد مافعلوا

فقلنا له ماتوا فقال والله وأنا أموت ثم شهق شهقة فاذا هو ميت رحمه الله تعالى

(وقال آخر) لما علمت بأن القوم قـد رحلوا * وراهب الدير بالناقوس مشتغل
شبكت عشرى على رأسى وقلت له * ياراهب الدير هل مرت بك الابل
فحن لى وبكى بل رق لى ورثى * وقال لى يافتى ضاقت بك الحيل
ان الخيام التى قد جئت تطلبهم * بالأمس كانوا هنا والآن قد رحلوا

(وقال الشيخ الأكبر سيدى محيى الدين ابن العربى رحمه الله تعالى)

مارحلوا يوم ساروا البزل العيسا * الا وقد حملوا فيها الطواويسا
من كل فاتكة الالحاظ مالكة * تخالها فوق عرش الدر بلقيسا
إذا تمشت على صرح الزجاج ترى * شمسا على فلك فى حجرا دريسا
أسقفة من بنات الروم عاطلة * ترى عليها من الأنوار ناموسا
وحشية مالها أنس قد اتخذت * فى بيت خلوتها الذكر ناوسا
ان أومأت تطلب الانجيل تحسبهم * قساقسا أو بطاريقا شماميسا
ناديت اذ رحلوا للبين ناقتها * ياحادى العيس لاتحدو بها العيسا
غيبت أجناد صبرى يوم بينهم * على الطريق كراديسا كراديسا
ساروا وأصبحت أنعى الربع بعدهمو * والوجد فى القلب لاينفك مغروسا

(وقال آخر) ولمـا تبـدت للرحيل جمالنا * وجد بنا سـير وفاضت مدامع
تبدت لنا مذعورة من خبائها * وناظرها باللؤلؤ الرطب دامع
أشارت بأطراف البنان وودعت * وأومت بعينها متى أنت راجع
فقلت لها والله مامن مسافر * يسير ويدرى مابه الله صانع
فشالت نقاب الحسن من فوق وجهها * فسالت من الطرف الكحيل مدامع
وقالت إلهى كن عليه خليفة * فيارب ما خابت لديك الودائع

بعـد ذلك تقرف منه وقال كيف يؤكل وقد مسسنه بأيديهن (قال الشيخ أثير الدين) ولما توفى الشيخ تقى الدين بمصر رابع رمضان المعظم سنة ثلاث وتسعين وستمائة حلف أبو محبوبه أن لا يدفنه الا فى قبر ابنه وقال كان الشيخ يهواه بالحياة وما أفرق بينهما بالممات هـذا لما كان يعلمه من دينه وعفافه (قلت) والشيخ مدرك هو أبو هذه العذرة وثمرة هذه الشجرة فانه ممن هام مع زهده وورعه بالجمال وعف وصبر إلى أن مات وكان الشيخ مدرك المذكور من أكابر علماء المغرب المتفقهين وكان مطبوعا فى نظم الشعر الجيد الرقيق وكان يقرىء الأدب وله مجلس بمحله دار الروم وكان لا يقرىء الا الاحداث ففتن بنصرانى اسمه عمرو بن يوحنا كان من أحسن أهل زمانه وأسلمهم طبعا فهام الشيخ به وكتب رقعة وطرحها فى حجره وهى

بمجالس العـلم التى * بك تم جمع جموعها
الارثيت لمقلة * غرقت بماء دموعها
بينى وبينك حرمة * الله فى تضييعها

فلما قرأها عمرو استحيا وعلم بها من فى المجلس فانقطع عمرو واشتد بالشيخ الوجـد فترك المجلس ونظم القصيدة المشهورة قيل انها اشتملت على سائر عبادات النصارى ومواقيتهم وأسماء المعظمين فى دينهم وعده صاحب مصارع العشاق

(وقال آخر) يا راحلا وجميل الصبر يتبعه * هل من سبيل إلى لقياك يتفق
ما أنصفتك دموعي وهي دامية * ولا وفى لك قلبي وهو يحترق
(وقال البغدادى) قالت وقد نالها للبين أوجعه * والبين صعب على الأحباب موقعه
اجعل يديك على قلبي فقد ضعفت * قواه عن حمل ما فيه وأضلعه
واعطف على المطايا ساعة فعسى * من شقت شمل الهوى بالبين يجمعه
كأنني يوم ولت حسرة وأسى * غريق بحر يرى الشاطي ويمنعه

(وقال ابن البديري)

قفا حاديا ليلى فاني وامق * ولا تعجلا يوما على من يفارق * وزما مطاياها قبيل مسيرها
ليلتذ منها بالتزود عاشق * ولا تزجرا بالسوق أظعان عيسها * فان حبيبي للظعائن سائق
ولما التقينا والغرام يذيبنا * ونحن كلانا فى التفكر غارق
وقفنا ودمع العين يحجب بيننا * تسارقني فى نظرة وأسارق
فلا تسألا ما حل بالبين بيننا * ولا تعجبا أنا مشوق وشائق
(وقال أيضا) تذكرت ليلى حين شط مزارها * وعادت منازلها خليات بلقع
بكيت عليها والقنا يقرع القنا * وسمر العوالى للمنايا تشرع * وخالفت لوامى عليها وعذلى
وحالفت سهدى والخليون هجع * ولم أستطع يوم النوى ردعبرة * فؤادى اسى من حرها يتقطع
فقال خليلى اذا رأى الدمع دائما * يفيض دما من مقلتى ليس يدفع
لئن كان هذا الدمع يجرى صبابة * على غير ليلى فهو دمع مضيع
(وقال آخر) مددت الى التوديع كفا ضعيفة * وأخرى على الرمضاء فوق فؤادى
فلا كان هذا آخر العهد منكو * ولا كان ذا التوديع آخر زادى
(وقال آخر) ولما وقفنا للوداع عشية * وطرفى وقلبى دامع وخفوق
بكيت فاضحكت الوشاة شماتة * كأنى سحاب والوشاة بروق

﴿ ولمؤلفه رحمه الله تعالى ﴾

يا سادة فى سويد القلب مسكنهم * وفى منامى أرى أنى أعانقهم
أوحشتمونا وعز الصبر بعدكو * يا من يعز علينا أن نفارقهم
(وقال آخر) لو أن مالك عالم بذرى الهوى * ومحله من أضلع العشاق
ما عذب العشاق الا بالهوى * واذا استغاثوا غاثهم بفراق

﴿ وقال ابن الوردى ﴾

دهرنا أضحى ضنينا * باللقا حتى ضنينا يا ليالى الوصل عودى * إجمعينا أجمعينا

﴿ وقال الشريف الرضى ﴾

عللانى بذكرهم واسقيانى * وامزجالى دمعى بكاس دهاق
وخذا النوم من جفونى فانى * قد خلعت الكرى على العشاق

﴿ وقال آخر عند ذلك ﴾

قالوا أترقد اذغبنا فقلت لهم * نم وأشفق من دمعى على بصرى
ماحق طرف هدانى نحو حسنكو * أنى أعذبه بالدمع والسهر
(وقال الموصلى) فسدت لطول بعادكم أحلامنا * وعقولنا وجفا الجفون منام

ثلاث وأربعين وأربعمائة قال حدثنا القاضى أبو الفرج المعافى قال أنشدنا أبو القاسم مدرك بن محمد الشيبانى لنفسه فى عمرو النصرانى قال القاضى أبو الفرج وقد رأيت عمرا وقد ابيض رأسه

من عاشق ناء هواه دان
ناطق دمع صامت اللسان
موثق قلب مطلق الجثمان
معذب بالصد والهجران
من غير ذنب كسبت يداه
لكن هوى نمت به عيناه
شوقا الى رؤية من أشقاه
كأنما عافاه من أبلاه
ياويحه من عاشق ما يلقى
من أدمع منهلة ما ترقى
ذاب الى ان كاد يفنى عاشقا
وعن دقيق الفكر سقما دقا
لم يبق منه غير طرف يبكى
بأدمع مثل نظام السلك
تحمد نيران الهوى وتذكى
منهلة قطر السماء تحكى
الى غزال من بنى النصارى
فضل بالحسن على العذارى
وغادر الاسد به حيارى
فى ربقة الحب له أسارى
ريم به أى هزبر يصد
يقتل باللحظ ولا يخشى القود
متى تقل ها قالت الألحاظ قد
كأنه ناسوته حين اتحد
ياليتنى كنت له زنارا
يديرنى فى الخصر كيف دارا حتى اذا الليل طوى النهارا صرت له حينئذا زارا والطيف

والطيف قد وعد الجفون بزورة * ياحبذا ان صحت الأحلام

﴿ ومما قيل فى البكاء ﴾ قال الشاعر

رجوت طيف خياله * وكيف لى بهجوع والذاريات جفونى * والمرسلات دموعى

(وقال آخر) ارحم رحمت للوعتى * وابعث خيالك فى الكرى
ودموع عينى لاتسل * عن حالها ياما جرى

(وقال آخر) ان عينى مذ غاب شخصك عنها * يأمر السهد فى كراها وينهى
بدموع كأنهن الغوادى * لاتسل ماجرى على الخد منها

(وقال آخر) ياقاب صبرا على الفراق ولو * روعت ممن تحب بالبين
وأنت يادمع ان ظهرت بما * أخفيه من قلبى سقطت من عينى

(وقال آخر)
خاض العواذل فى حديث مدامعى * لما غدا كالبحر سرعة سيره
فحبسته لأصون سرهوا كمو * حتى يخوضوا فى حديث غيره

(وقال ابن المواز)
رحت يوم الفراق أجرى دموعى * حسرة اذ قضى الفراق ببينى
قيل كم اذا تجرى دموعك تعمى * أوقف الدمع قلت من بعد عينى

(وقال آخر) لما لبست لبعده ثوب الضنى * وغدوت من ثوب اصطبارى عاريا
أجريت وقف مدامعى من بعده * وجعلته وقفا عليه جاريا

(وقال آخر) ولم أر مثلى غارمن طول ليله * عليه كأن الليل يعشقه معى
ومازلت أبكى فى دجى الليل صبوة * من الوجد حتى ابيض من فيض أدمعى

(وقال الموصلى) عين أفاضت دموعى * لطول صد وبين
ووجنة الخد قالت * رأيت غسلى بعينى

(وقال آخر) ومافارقت ليلى من مراد * ولكن شقوة بلغت مداها
بكيت نعم بكيت وكل إلف * اذا ماتت حبيبته بكاها

وفى بعض الكتب السماوية ان مما عاقبت به عبادى أن ابتليتهم بفراق الاحبة

﴿ ومما جاء فى الحنين الى الوطن ﴾ أمامحبة الوطن فمستولية على الطباع مستدعية أشد الشوق اليها روى ان أبان قدم على النبى ﷺ فقال ياأبان كيف تركت مكة قال تركت الاذخر وقد أعذق والثمام وقد أورق فاغر ورقت عينا رسول الله ﷺ وقال بلال رضى الله تعالى عنه

ألاليت شعرى هل أبيتن ليلة * بوادوحولى اذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لى شامة وطفيل

وقيل من علامة الرشد أن تكون النفس الى بلدها تواقة والى مسقط رأسها مشتاقة ﴿ومن حب الوطن﴾ ماحكى أن سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام أوصى بان يحمل تابوته الى مقابر آبائه فمنع أهل مصر أولياءه من ذلك فلما بعث موسى عليه الصلاة والسلام وأهلك الله تعالى فرعون لعنه الله حمله موسى الى مقابر آبائه فقبره بالارض المقدسة * وأوصى الاسكندر رحمه الله تعالى أن تحمل رمته فى تابوت من ذهب الى بلاد الروم حبا لوطنه * واعتل سابور ذوالاكتاف وكان أسيرا ببلاد الروم فقالت له بنت الملك وكانت قد عشقته ماتشتهى قال شربة من ماء دجلة وشمة من

ليس من الحب بمستريح
ياعمرو بالحق مع اللاهوت
والروح روح القدس والناسوت
ذاك الذى فى مهده المنعوت
عوض بالنطق عن السكوت
بحق ناسوت ببطن مريم
حل محل الريق منها بالفم
ثم استحال فى القنوم الاقدم
يكلم الناس" ولما يفطم
بحق من بعد الممات قمصا
يوما على مقدراه ماقصصا
وكان لله تقيا مخلصا
يشفى ويبرى أكمها وأبرصا
بحق محيى صورة الطيور
وباعث الموتى من القبور
ومن اليه مرجع الامور
يعلم مافى البر والبحور
بحق من فى شامخ الصوامع
من ساجد لربه وراكع
يبكى اذامانام كل هاجع
خوفا من الله بدمع هامع
بحق قوم حلقوا الرؤسا
وعالجوا طول الحياة بوسا
وقرعوا فى البيعة الناقوسا
مشمعلين يعبدون عيسى
بحق مار مريم وبولس
بحق شمعون الصفا وبطرس
بحق دانيل بحق يونس
بحق حزقيل وبيت المقدس

 ونينوى اذقام يدعو ربه مطهرا من كل سوء قلبه ومستقيلا فاقيل ذنبه ونال من مولاه ماأحبه

تراب اصطخر فأتته بعد أيام بشربة من ماء وقبضة من تراب وقالت له هذا من ماء دجلة ومن تربة أرضك فشرب واشتم بالوهم فنفعه من علته وقال الجاحظ كان النفر فى زمن البرامكة اذا سافر أحدهم أخذ معه من تربة أرضه فى جراب يتداوى به وما أحسن ما قال بعضهم

بلاد ألفناها على كل حالة * وقد يؤلف الشيء الذى ليس بالحسن
ونستعذب الأرض التى لاهواء بها * ولا ماؤها عذب ولكنها وطن

ووصف بعضهم بلاد الهند فقال بحرها در وجبالها ياقوت وشجرها عود وورقها عطر وقال عبد الله بن سليمان فى نهاوند أرضها مسك وترابها الزعفران وثمارها الفاكهة وحيطانها الشهد وقال الحجاج لعامله على أصبهان وقد وليتك على بلدة حجرها الكحل وذبابها النحل وحشيشها الزعفران وكان يقال البصرة خزانة العرب وقبة الاسلام لانتقال قبائل العرب اليها واتخاذ المسلمين بها وطناً ومركزاً وكان أبو اسحق الزجاج يقول بغداد حاضرة الدنيا وما سواها بادية وأنا أقول مصر كنانة الله فى أرضه والسلام

﴿ ومما جاء فى ذم السفر ﴾ قيل لرجل السفر قطعة من العذاب فقال بل العذاب قطعة من السفر وقال بعضهم

كل العذاب قطعة من السفر * يارب فارددنا على خير الحضر

وقيل لاعرابى ما الغبطة قال الكفاية مع لزوم الأوطان ومر اياس ابن معاوية بمكان فقال أسمع صوت كلب غريب فقيل له بم عرفت ذلك قال بخضوع صوته وشدة نباح غيره وأراد اعرابى السفر فقال لامرأته

عدى السنين لغيبتى وتصبرى * وذرى الشهور فانهن قصار
(فأجابته) فاذكر صبابتنا اليك وشوقنا * وارحم بناتك انهن صغار

فأقام وترك السفر ويقال رب ملازم لمهنته فاز ببغيته (وقال ابن الهيثم)

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها * ولكن أخلاق الرجال تضيق

وفيما ذكرته كفاية وأسأل الله التوفيق والهداية وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب الحادى والخمسون فى ذكر الغنى وحب المال والافتخار بجمعه ﴾

قال الله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا وقيل الفقر رأس كل بلاء وداعية الى مقت الناس وهو مع ذلك مسلبة للمروءة مذهبة للحياء فمتى نزل الفقر بالرجل لم يجد بداً من ترك الحياء ومن فقد حياءه فقد مروءته ومن فقد مروءته مقت ومن مقت ازدرى به ومن صار كذلك كان كلامه عليه لا له وقال رسول الله ﷺ انك ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس وفى الحديث لاخير فيمن لايحب المال ليصل به رحمه ويؤدى به أمانته ويستغنى به عن خلق ربه وقال على كرم الله تعالى وجهه الفقر الموت الأكبر وقد استعاذ رسول الله ﷺ من الكفر والفقر وعذاب القبر وقيل من حفظ دنياه حفظ الأكرمين دينه وعرضه قال الشاعر

لا تلمنى اذا وقيت الأواقى * بالأواقى لماء وجهى واقى

وقال لقمان لابنه يابنى أكلت الحنظل وذقت الصبر فلم أر شيئاً أمر من الفقر فان افتقرت فلا تحدث به الناس كيلا ينتقصوك ولكن اسأل الله تعالى من فضله فمن ذا الذى سأل الله فلم يعطه أو دعاه فلم يجبه أو تضرع اليه فلم يكشف مابه وكان العباس رضى الله تعالى عنه يقول الناس لصاحب المال ألزم من الشعاع للشمس وهو عندهم أعذب من الماء وأرفع من السماء وأحلى من الشهد وأزكى من الورد

بحق أعياد الصليب الزهر
وعيد أشمعون وعيد الفطر
وبالشعانين الجليل القدر
وعيد مرمارى الرفيع الذكر
وعيد شعياء وبالهيا كل
والدخن اللاتى يكف الحامل
يشفى بها من خبل كل خابل
ومن دخيل السقم فى المفاصل
بحق سبعين من العباد
قاموا بدين الله فى البلاد
وأرشدوا الناس الى الرشاد
حتى اهتدى من لم يكن بهاد
بحق ثنتى عشرة من الأمم
ساروا الى الاقطار يتلون الحكم
حتى اذا صبح الهدى جلا الظلم
ساروا إلى الله ففاز وابالنعم
بحق ما فى محكم الانجيل
من منزل التحريم والتحليل
وخير ذى نبأ جليل
يرويه جيل قد مضى عن جيل
بحق مر عيد التقى الصالح
بحق لوقا بالحكيم الراجح
والشهداء بالفلا الصحاصح
من كل غاد منهم ورائح
بحق معمودية الارواح
والمذبح المشهور فى النواحى
ومن به من لابس الامساح
من راهب باك ومن نواح
بحق تقريبك فى الأعياد
وشرب القهوة كالفرصاد

خطؤه صواب وسيآته حسنات وقوله مقبول يرفع مجلسه ولا يمل حديثه والمفلس عند الناس أكذب من لمعان السراب وأثقل من الرصاص لا يسلم عليه ان قدم ولا يسئل عنه ان غاب ان حضر أزدروه وان غاب شتموه وان غضب صفعوه مصافحته تنقض الوضوء وقراءته تقطع الصلاة وقال بعضهم طلبت الراحة لنفسي فلم أجدها أروح من ترك مالا يعنيها وتوحشت فى البرية فلم أر وحشة أقر من قرين السوء وشهدت الزحوف وغالبت الأقران فلم أر قرينا أغلب للرجل من المرأة السوء ونظرت الى كل مايذل القوي ويكسره فلم أر شيئا أذل له ولا أكسر من الفاقة قال الشاعر

وكل مقل حين يغدو لحاجة * إلى كل مايلقى من الناس مذنب

وكانت بنو عمي يقولون مرحبا * فلما رأوني معدما مات مرحب

(وقال آخر) المال يرفع سقفا لا عماد له * والفقر يهدم بيت العز والشرف

(وقال آخر) جروح الليالي مالهن طبيب * وعيش الفتى بالفقر ليس يطيب

وحسبك ان المرء فى حال فقره * تحمقه الأقوام وهو لبيب

ومن يغترر بالحادثات وصرفها * يبت وهو مغلوب الفؤاد سليب

وماضرني أن قال أخطأت جاهل * اذا قال كل الناس أنت مصيب

(وقال آخر) الفقر يزرى بأقوام ذوى حسب * وقد يسود غير السيد المال

(وقال آخر) لعمرك ان المال قد يجعل الفتى * سنيا وأن الفقر بالمرء قد يزرى

وما رفع النفس الدنيئة كالغنى * ولا وضع النفس النفيسة كالفقر

(وقال آخر) إذا قل مال المرء لانت قناته * وهان على الأدنى فكيف الأباعد

(وقال ابن الاحنف) يمشي الفقير وكل شيء ضده * والناس تغلق دونه أبوابها

وتراه مبغوضا وليس بمذنب * ويرى العداوة لايرى أسبابها * حتى الكلاب إذا رأت ذا ثروة خضعت لديه وحركت أذنابها * واذا رأت يوما فقيرا عابرا * نبحت عليه وكشرت أنيابها

(وقال آخر) فقر الفتى يذهب أنواره * مثل اصفرار الشمس عند المغيب

والله ما الانسان فى قومه * إذا بلى بالفقر الا غريب

(وقال آخر) إن الدراهم فى المواطن كلها * تكسو الرجال مهابة وجمالا

فهي اللسان لمن أراد فصاحة * وهي السلاح لمن أراد قتالا

(وقال آخر) ماالناس الامع الدنيا وصاحبها * فكلما انقلبت يوما به انقلبوا

يعظمون أخا الدنيا فان وثبت * يوما عليه بما لايشتهي وثبوا

وقال بعض الفرس من زعم أنه لايحب المال فهو عندي كذاب

(وقال الكناني) أصبحت الدنيا لنا عبرة * فالحمد لله على ذلكا

قد أجمع الناس على ذمها * وما أرى منهم لها تاركا

(وقال الزمخشري) واذا رأيت صعوبة فى مطلب * فاحمل صعوبته على الدينار

وابعثه فيما تشتهيه فانه * حجر يلين قوة الأحجار

قال الثوري رحمه الله تعالى لأن أخلف عشرة آلاف درهم يحاسبني الله عليها أحب إلى من أن أحتاج إلى لئيم وفى هذا المعنى قال الشاعر

احفظ عرى مالك تحظى به * ولا تفرط فيه تبقى ذليل * وان يقولوا باخل بالعطا فالبخل خير من سؤال البخيل * واحفظ على نفسك من زلة * يرى عزيز القوم فيها ذليل

ناموس له فقيه
شيخان كانا من شيوخ العلم
وبعض أركان التقي والحلم
لم ينطقا قط بغير الفهم
موتهما كان حياة الخصم
بحرمة الأسقف والمطران
والجاثليق العالم الرباني
والقس والشماس والديراني
والبطرق الأكبر والرهبان
بحرمة المحبوس فى أعلى الجبل
ومار قولا حين صل وابتهل
وبالكنيسات القديمات الأول
وبالمسيح المرتضى وما فعل
بحرمة الاسقوفيا والبيرم
وماحوى مغفر رأس مريم
بحرمة الصوم الكبير الاعظم
بحق كل بركة ومحرم
بحق يوم الذبح فى الاشراق
وليلة الميلاد والتلاقي
والذهب الابريز لا الأوراق
بالفصح يامهذب الأخلاق
بكل قداس على قداس
قدسه القس مع الشماس
وقربوا يوم خميس الناس
وقدموا الكاس لكل حاس
الا رغبت فى رضا أديب
باعده الحب عن الحبيب
فذاب من شوق الى المذيب
أعلى مناه أيسر التقريب
أنظر أميري فى صلاح أمري
محتسبا فى عظيم الأجر
مكتسبا مني جميل الشكر
من نثر ألفاظ ونظم شعر
(قلت والشيء بالشيء يذكر) الشيخ مدرك ألجأته الضرورة الغرامية أن يتجشم المشاق ويتقرب الى محبوبه بأقسام لها عند أهل دين النصرانية محل عظيم الموقع كما ألجأت الشيخ مهذب الدين بن منير الطرابلسي

﴿ وأما جاء في الاحتراز على الأموال ﴾

فقد قالوا ينبغي لصاحب المال أن يحترز و يحتفظ عليه من المطمعين والمبرطحين والمحترفين الموهمين والمتنمسين ﴿فأما المطمعون﴾ فهم الذين يتلقون أصحاب الأموال بالبشر والاكرام والتحية والاعظام الى أن يأنسوا بهم و يعرفوهم بالمشاهدة وربما قضوا ماقدروا عليه من حوائجهم إلى أن يألفوهم و يحصل بينهم سبب الصداقة ثم إن أحدهم يذكر لصاحب المال في معرض المقال أنه كسب فائدة كثيرة في معيشته ثم يمشي معه في الحديث إلى أن يقول اني فكرت فيما عليك من المؤن والنفقات وهذا أمر يعود ضرره في المستقبل ان لم تساعد بالمكاسب وغرضي التقرب إليك ونصحك وخدمتك وأريد أن أوجه اليك فائدة من المتجر بشرط أن لا أضع يدي لك على مال بل يكون مالك تحت يدك أو تحت يد أحد من جهتك و يخرج له في صفة الناصحين المشفقين فاذا أجابه الى ذلك كان أمره معه على قسمين ان ائتمنه وجعل المال بيده أعطاه اليسير منه على صفة أنه من الربح وطاول به الاوقات ودفع اليه في المدة الطويلة الشيء اليسير من ماله ثم يحتج عليه ببعض الآفات و يدعي الخسارة فان لزمه صاحب المال قابحه و برطل من جملة المال صاحب جاه فيدفعه و يقول هذا ارابانى فان روعي صاحب المال وفق بينهما على أن يكتب عليه ببقية المال وثيقة فلا يستوفي مافيها الا في الآخرة وان هو لم يأتمنه وعول أن يكون القبض بيده والمتاع مخزونا لديه وواطأ عليه البائعين والمشترين وحصل لنفسه وعمل مايقول به فان حصل لصاحب المال أدنى ربح أوهمه أن مفاتيح الأرزاق بيده وان كسد المشتري أو رخص أحال الأمر على الاقدار وقال ليس لي علم بالغيب * ومن أشد المطمعين المتعرضون لصنعة الكيمياء وهم الطامعون المطمعون في عمل الذهب والفضة من غير معدنهما فيجب أن يحذر التقرب منهم والاستماع لهم في شيء من حديثهم فان كذبهم ظاهر وذلك أنهم يوهمون الغير أنهم ينيلونهم خيراً و يطلعونهم على صنعتهم ابتداء منهم لا لحاجة وهذا يستحيل و يحتجون بأن ما يلجئهم الى ذلك الاعدم الامكان وتعذر المكان فمنهم من يكون شوقه إلى أن يدخل إلى مكان و يترك عنده عدة لها قيمة فيأخذها و ينسحب ومنهم من يشترط أن عمله لا ينتهي الى مدة فيقنع في تلك المدة بالاكل غدوة وعشية وسبيله بعد ذلك ان كان معروفا قال فسد على العمل من جهة كيت وكيت و يقول للذي ينفق عليه هل لك في المعاودة فان حمله الطمع ووافقه كان هذا له أتم غرض ثم يحتال آخر المدة على الفراق بأي سبب كان وان كان منكوراً غافل صاحب المكان وخرج هاربا * ومن المطمعين قوم يجعلون في الجبال أمارات من ردم وحجر و يأتون إلى أصحاب الأموال و يقولون انا نعرف علم كنز فيه من الامارات كيت وكيت ثم يوقفونهم على ورقة متصنعة و يقولون نريد أن تأخذ لنا عدة وتنفق علينا ومهما حصل من فضل الله تعالى لنا ولك فيوافقهم على ذلك و يوطن نفسه على ان المدة تكون قريبة فيعملون يوما أو يومين فيظهر لهم أكثر الامارات فيزداد طمعا و يعتقد الصحة ثم يدرجونه الى أن ينفق عليهم ماشاء الله تعالى و يكون آخر أمرهم كصاحب الكيمياء وان كانوا منكورين ورغبتهم الطمعة في قماشه أو في العدة التي معه فربما قتلوه هناك لأجل ذلك ومضوا فهذا أمر المطمعين (وأما المبرطحون) فهم من الخونة والناس بهم أكثر غررا وذلك أنهم اذا ندب صاحب المال أحداً منهم لشراء حاجة سارع فيها واحتاط في جودتها وتوفير كيلها أو وزنها أو ذرعها ووضع من أصل ثمنها شيئاً أو زنه عنده حتى يبيض وجهه عند صاحب المال و يعتقد نصحه وأمانته ونجح مساعيه وكذلك ان ندبه لشيء يبيعه استظهر واستجاد النقد ولا يزال هكذا دأبه حتى يلقى مقاليد أموره اليه فيستعطفه و يفوز به ثم يغير الحال الأول في الباطن فينبغي لصاحب المال أن لا يغفل عنه (وأما المحترفون الموهمون)

الشاعر المشهور أن يترك التشيع وكان من كبار الشيعة و يرجح جانب السنة و يوهي أقوال الرافضة وموجب ذلك أن مهذب الدين المذكور هاجر إلى بغداد بسبب مدح الشريف الموسوي نقيب الاشراف بها وكان الشريف أيضا من كبار الشيعة فلما دخل بغداد جهز الى الشريف هدية مع مملوكه بل معشوقه تمر الذي سارت الركبان بغرامه فيه فأخذ الهدية وأعجبه المملوك فأخذ فلما وصل الخبر إلى مهذب الدين بن منير أشرف على ذهاب روحه وكتب الى الشريف والى تمر

عذبت طرفي بالسهر
وأذبت قلبي بالفكر
ومزجت صفو مودتي
من بعد بعدك بالكدر
ومنحت جثماني الضنا
وكحلت جفني بالسهر
وجفوت صبا ماله
عن حسن وجهك مصطبر
ياقلب و يحك كم تخا
دع بالغرور وكم تغر
والام تكلف بالأغن
من الظباء و بالاغر
ريم يفوق ان رما
ك بسهم ناظره النظر
تركتك أعين تركها
من بأسهن على خطر
ورمت فاصمت عن قسي
ى لا يناط بها وتر
جرحتك جرحا لا يخي
ط بالخيوط والا الابر
تلهو وتلعب بالعقو
ل عيون أبناء الخزر
فكأنهن صوالج * وكأنهن لها أكر
تخفي الهوى وتسره * وخفي سرك قد ظهر

الموهمون) فهم الذين يتعرضون لذوى الأموال فيظهرون لهم الغنى والكفاية و يباسطونهم مباسطة الأصدقاء و يتمدون جودة اللباس و يستعملون كثيرا من الطيب ثم ان أحدهم يذكر أنه يربح الارباح العظيمة فيما يعانيه و يذكر ذلك مع الغير ولا يزال كذلك حتى يثبت و يستقر فى ذهن صاحب المال انه يكتسب فى كل سنة الجمل الكثيرة من المال وانه لا يبالى اذا أنفق أو أكل أو شرب فتشره نفس صاحب المال لذلك فيقول له على سبيل المداعبة يافلان تريد الدنيا كلها لنفسك لم لا تشركنا فى متاجرك هذه وأرباحك فيقول له أنت جبان يعز عليك اخراج الدينار وتظن انك ان أظهرته خطف منك ولا تدرى انه مثل البازى ان أرسلته أكل وأطعمك وان أمسكته لم يصد شيئا واحتجت الى أن تطعمه والامات وأنا والله لو كان عندى علم انك تنبسط لهذا كنت فعلت معك خيرا كثيرا ولكن ما كان الا هكذا وما كان لا كلام فيه والعمل فى المستأنف فيشكره صاحب المال و يسأله أخذ المال فيمطله بتسليمه فيزداد فيه رغبة الى أن يسلمه اليه فيكون حاله كحال المطمع اذا صار المال تحت يده (وأما المتنمسون) فهم أهل الرياء المظهرون التعفف والنسك ومجانبة الحرام ومواظبة الصلاة والصيام لكى يشتهر ذكرهم عند الخاص والعام ثم يلقون ذوى الأموال بالبشر والاكرام والتلطف فى المقال و يمشون الى أبواب الملوك على صفة التهانى بالأعياد و ربما يأتى معه بأحد من الأولاد و يظهرون النزاهة والغنى و يجعلون الدين سلما الى الدنيا و أكثر أغراضهم أن تودع عندهم الأموال و تفوض اليهم الوصايا و يجلهم العوام وتقبل شهادتهم الحكام و تندبهم الملوك الى الوصايا والأموال وهؤلاء أشر من اللصوص والقطاع وذلك أن شهرة اللصوص والقطاع تدعو الى الاحتراز منهم وتشبه هؤلاء بأهل الخير يحمل الناس على الاغترار بهم قال الشاعر

صلى وصام لأمر كان أمله * حتى حواه فما صلى ولا صاما

وقيل لا فقير أفقر من غنى يأمن الفقر قال الشاعر

ألم تر أن الفقر يرجى له الغنى * وأن الغنى يخشي عليه من الفقر

وأوصى بعض الحكماء ولده فقال له يابنى عليك بطلب العلم وجمع المال فان الناس طائفتان خاصة وعامة فالخاصة تكرمك للعلم والعامة تكرمك للمال وقال بعض الحكماء اذا افتقر الرجل اتهمه من كان به موثقا وأساء به الظن من كان ظنه حسنا ومن نزل به الفقر والفاقة لم يجد بدا من ترك الحياء ومن ذهب حياؤه ذهب بهاؤه ومامن خلة هي للغنى مدح الا وهى للفقير عيب فان كان شجاعا سمى أهوج وان كان مؤثرا سمى مفسدا وان كان حليما سمى ضعيفا وان كان وقورا سمى بليدا وان كان لسنا سمى مهذارا وان كان صموتا سمى عييا قال ابن كثير

الناس أتباع من دامت له نعم * والويل للمرء إن زلت به القدم

المال زين ومن قلت دراهمه * حى كمن مات الا أنه صنم * لما رأيت أخلائى وخالصتى والكل مستتر عنى ومحتشم * أبدوا جفاء واعراضا فقلت لهم * أذنبت ذنبا فقالوا ذنبك العدم

وكان ابن مقلة وزيرا لبعض الخلفاء فزور عنه يهودى كتابا الى بلاد الكفار وضمنه أمورا من أسرار الدولة ثم تحيل اليهودى الى أن وصل الكتاب الى الخليفة فوقف عليه وكان عند ابن مقلة حظية هويت هذا اليهودى فأعطته درجا بخطه فلم يزل يجتهد حتى حاكى خطه ذلك الخط الذى كان فى الدرج فلما قرأ الخليفة الكتاب أمر بقطع يد ابن مقلة وكان ذلك يوم عرفة وقد لبس خلعة العيد ومضى الى داره وفى موكبه كل من فى الدولة فلما قطعت يده وأصبح يوم العيد لم يأت أحد اليه ولا توجع له ثم اتضحت القضية فى أثناء النهار للخليفة أنها من جهة اليهودى والجارية فقتلها شر

أفهل لوجدك من مدى يقضى اليه فينتظر نفسى الفداء لشادن * أنا من هواه على خطر
رشأ تحاوله الخوا
طران تثنى أو خطر
عذل العذول وما رآه
فخين عاينه عذر
قمر يزين ضوء صبح
جبينه ليل الشعر
تدمى للواحظ خده
فيرى لها فيه أثر
هو كالهلال ملثما
والبدر حسنا ان سفر
ويلاه ما أحلاه فى *
قلبي الشقي وما أمر
نومى المحرم بعده
وربيع لذاتى صفر
بالمشعرين وبالصفا
والبيت أقسم والحجر
وبمن سعى فيه وطا
ف ولبى واعتمر
لان الشريف الموسوى
ابن الشريف أبى مضر
أبدى الجحود ولم يرد
الى مملوكى تستر
واليت آل أمية الط
طهر الميامين الغرر
وجحدت بيعة حيدر
وعدلت عنه الى عمر
واذا جرى ذكر الصحا
بة بين قوم واشتهر
قلت المقدم شيخ تيـ
م ثم صاحبه عمر
ماسل قط ظبا على * آل
النبي ولا شهر كلا ولا صد
البتول
عن التراب ولا زجر
وأثابها الحسنى وما
شق الكتاب ولا بقر
وبكيت عثمان الشهيـ
ـد بكاء نسوان الحضر
وشرحت حسن صلاته
جنح الظلام المعتكر

قتله ثم أرسل إلى ابن مقلة أموالا كثيرة وخلعا سنية وندم على فعله واعتذر اليه فكتب ابن مقلة على باب داره يقول

تحالف الناس والزمان * فحيث كان الزمان كانوا * عادانى الدهر نصف يوم
فانكشف الناس لى وبانوا * يا أيها المعرضون عنى * عودوا فقد عاد لى الزمان

ثم أقام بقية عمره يكتب بيده اليسرى قال بعضهم

انما قوة الظهور النقود * وبها يكمل الفتى ويسود
كم كريم أزرى به الدهر يوما * ولئيم تسعى اليه الوفود

والأطباء يعلمون أمراضا من علاجها اللعب بالدينار وشرب الأدوية والمساليق التى يغلى فيها الذهب
قال الشاعر احرص على الدرهم والعين * تسلم من العيلة والدين
فقوة العين بانسانها * وقوة الانسان بالعين

(واعلم) أن القلب عمود البدن فاذا قوى القلب قوى سائر البدن وليس له قوة أشد من المال وبالضد إذا ضعف من الفقر ضعف له البدن (حكى) أن ملكا رأى شيخا قد وثب وثبة عظيمة على نهر فتخطاه والشاب يعجز عن ذلك فعجب منه فاستحضره فحادثه فى ذلك فاراه ألف دينار مربوطة على وسطه وقال لقمان لابنه يا بنى شيآن اذا أنت حفظتهما لا تبالى بما صنعت بعدهما دينك لمعادك ودرهمك لمعاشك والكلام فى هذا المعنى كثير وقد اقتصرت منه على النزر اليسير وقد كان فى الناس من يتظاهر بالغنى ويراه مروءة وفخرا (فمن ذلك) ما حكى عن أحمد بن طولون أنه دخل يوما بعض بساتينه فرأى النرجس وقد تفتح ظهره فاستحسنه فدعا بغدائه فتغدى ثم دعا بشرابه فشرب فلما انتشى قال على بألف مثقال من المسك فنثره على أوراق النرجس * ولنذكر الآن نبذة من الذخائر والتحف (حكى) الرشيد بن الزبير فى كتابه الملقب بالعجائب والطرف أن أبا الوليد ذكر فى كتابه المعروف بأخبار مكة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة عام الفتح فى سنة ثمان من الهجرة وجد فى الجب الذى كان فى الكعبة سبعين ألف أوقية من الذهب مما كان يهدى للبيت قيمتها ألف ألف وتسعمائة ألف وتسعون ألف دينار وباع زهرة التميمى يوم القادسية منطقة كان قتل صاحبها بثمانين ألف دينار ولبس سلبه وقيمته خمسمائة ألف وخمسون ألفا وأصاب رجل يوم القادسية راية كسرى فعوض عنها ثلاثين ألف دينار وكانت قيمتها ألف ألف دينار ومائتى ألف ووجد المستورد بن ربيعة يوم القادسية ابريق ذهب مرصعا بالجواهر فلم يدر أحد ما قيمته فقال رجل من الفرس أنا آخذه بعشرة آلاف دينار ولم يعرف قيمته فذهب به الى سعد بن أبى وقاص فأعطاه اياه وقال لا تبعه الا بعشرة آلاف دينار فباعه سعد بمائة ألف دينار ولما أتت الترك الى عبد الله بن زياد ببخارى فى سنة أربع وخمسين كان مع ملكهم امرأته خاتون فلما هزمهم الله تعالى أعجلوها عن لبس خفها فلبست احدى فردتيه ونسيت الأخرى فأصابها المسلمون فقومت بمائتى ألف دينار ولما فتح قتيبة بن مسلم بخارى فى سنة تسع وثمانين وجد فيها قدور ذهب ينزل اليها بسلالم * ودفع مصعب ابن الزبير حين أحس بالقتل الى زياد مولاه فصا من ياقوت أحمر وقال له انج به وكان قد قوم ذلك الفص بألف ألف درهم فأخذه زياد ورضه بين حجرين وقال والله لا ينتفع به أحد بعد مصعب * وذكر مصعب بن الزبير أن بعض عمال خراسان فى ولايته ظهر على كنز فوجد فيه حلة كانت لبعض الأكاسرة مصوغة من الذهب مرصعة بالدر والجواهر والياقوت الأحمر والأصفر والزبرجد فحملها إلى مصعب بن الزبير تخرج من فومها فبلغت قيمتها ألفى ألف دينار فقال إلى من أدفعها فقيل الى

وقرات من أوراق مصـ حفه البراءة والزمر
ورثيت طلحة والزبـ ير بكل شعر مبتكر
وأزور قبرهما وأز جر من لحانى أو زجر
وأقول أم المؤمنـ ين عقوقها احدى الكبر
ركبت على جمل لتصـ بح من بنيها فى زمر
وأتت لصلح بين جيـ ش المسلمين على غرر
فأتى أبو حسن وسا ل حسامه وسطا وكر
وأذاق اخوته الردى وبعير أمهم عقر
ماضره لو كان كف وعف عنهم إذ قدر
وأقول ان أمامكم ولى بصفين وفر
وأقول ان أخطا معا وية فما أخطا القدر
هذا ولم يغدر معا وية ولا عمرو مكر
بطل بسوأته يقا تل لا يصارمه الذكر
وجنيت من رطب النوا صب ماتمر واختمر
وأقول ذنب الخارج ين على مغتفر
لا ثائر لقتالهم فى النهر وان ولا أثر
والا شعرى بما يقو ل اليه أمرهما شعر
قال انصبوا لى منبرا فأنا البرىء من الخطر
فعلا وقال خلعت صا حبكم وأوجز واختصر
وأقول ان يزيد ما شرب الخمور ولا فجر
ولجيشه بالكف عن ابناء فاطمة أمر
نسائك

نسائك وأهلك فقال لا بل إلى رجل قدم عندنا يداوأولانا جميلا ادع لى عبد الله بن أبى دريد فدفعها اليه (ولما) صار وجود عماد الدولة فى قبضة أمير الجيوش وجد فى جملته دملج ذهب فيه جوهرة حمراء كالبيضة وزنها سبعة عشر مثقالا فأنفذها أمير الجيوش إلى المستنصر فقومت بتسعين ألف دينار ووجد فى بستان العباس بن الحسن الوزير مما أعده من آلة الشرب يوم قتل سبعمائة صينية من ذهب وفضة ووجد مائة ألف مثقال عنبر * وترك هشام بن عبد الملك بعد موته اثنى عشر ألف قميص وشى وعشرة آلاف تكة حرير وحملت كسوته الحج على سبعمائة جمل وترك بعد وفاته أحد عشر ألف ألف دينار ولم تأت دولة بنى العباس الا وجميع أولاده فقراء لا مال لواحد منهم وبين الدولة العباسية ووفاة هشام سبع سنين (ولما) قتل الافضل بن أمير الجيوش فى شهر رمضان سنة خمس عشرة وخمسمائة خلف بعده مائة ألف ألف دينار ومن الدراهم مائة وخمسين أردبا وخمسة وسبعين ألف ثوب ديباج ودواة من الذهب قوم ماعليها من الجواهر واليواقيت بمائتى ألف دينار وعشرة بيوت فى كل بيت منها مسمار ذهب قيمته مائة دينار على كل مسمار عمامة لونا وخلف كعبة عنبر يجعل عليه ثيابه إذا نزعها وخلف عشرة صناديق مملوءة من الجوهر الفائق الذى لا يوجد مثله وخلف خمسمائة صندوق كبار لكسوة حشمه وخلف من الزبادى الصينى والبلور المحكم وسق مائة جمل وخلف عشرة آلاف ملعقة فضة وثلاثة آلاف ملعقة ذهب وعشرة آلاف زبدية فضة كبار وصغار وأربع قدور ذهبا كل قدر وزنها مائة رطل وسبعمائة جام ذهبا بفصوص زمرد وألف خريطة مملوءة دراهم خارجا عن الأرادب فى كل خريطة عشرة آلاف درهم وخلف من الخدم والرقيق والخيل والبغال والجمال وحلى النساء مالا يحصى عدده الا الله تعالى وخلف ألف حسكة ذهبا وألفى حسكة فضة وثلاثة آلاف نرجسة ذهبا وخمسة آلاف نرجسة فضة وألف صورة ذهبا وألف صورة فضة منقوشة عمل المغرب وثلثمائة تور ذهبا وأربعة آلاف تور فضة وخلف من البسط الرومية والأندلسية ماملأ به خزائن الايوان وداخل قصر الزمرذ وخلف من البقر والجاموس والأغنام مايباع لبنه فى كل سنة بثلاثين ألف دينار وخلف من الحواصل المملوءة من الحبوب مالا يحصى (ولما) احتوى الناصر على ذخائر قصر العاضد وجد فيه طبلا كان بالقرب من موضع العاضد محتفظا به فلما رأوه سخروا منه فضرب عليه انسان فضرط فضحكوا منه ثم أمسكه آخر وضرب به فضرط فضحكوا عليه فكسروه استهزاء وسخرية ولم يدروا خاصيته وكانت الفائدة فيه أنه وضع للقولنج فلما أخبروا بخاصيته ندموا على كسره * وقد جمعت الملوك من الأموال والذخائر والتحف كنوزا لا تحصى وبعد ذلك ماتوا ونفدت ذخائرهم وفنيت أموالهم فسبحان من يدوم ملكه وبقاؤه قال بعضهم

هب الدنيا تقاد اليك عفوا * أليس مصير ذلك للزوال

﴿فضمنت أنا هذا البيت وقلت﴾

أيا من عاش فى الدنيا طويلا * وأفنى العمر فى قيل وقال * وأتعب نفسه فيما سيفنى
وجمع من حرام أوحلال * هب الدنيا تقاد اليك عفوا * أليس مصير ذلك للزوال

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثانى والخمسون فى ذكر الفقر ومدحه﴾

قد دل قوله تعالى كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى على ذم الغنى ان كان سبب الطغيان وسئل أبو حنيفة رحمه الله تعالى عن الغنى والفقر فقال وهل طغى من طغى من خلق الله عز وجل الا بالغنى

ونويت صوم نهاره
وصيام أيام أخر
ولبست فيه أجل ثو
ب الملابس يدخر
وسهرت فى طبخ الحبو
ب من العشاء الى السحر
وغدوت مكتحلا أصا
فح من لقيت من البشر
ووقفت فى وسط الطر
يق أقص شارب من عبر
وأكلت جرجير البقو
ل بلحم جونى الجعفر
وجعلتها خير المآ
كل والفواكه والخضر
وغسلت رجلى كلها
ومسحت خفى فى السفر
وأمين أجهر فى الصلا
ة كمن بها قبلى جهر
وأسن تسنيم القبو
ر لكل قبر يحتفر
واذا جرى ذكر الغدي
ر أقول ما صح الخبر
وسكنت جلق واقتدي
ت بهم وان كانوا بقر
وأقول مثل مقالهم
بالفاشر يافد فشر
مصطيحتى مكسورة
وفطيرتى فيها قصر
بقرترى برئيسهم
طيش الظليم إذا نفر
وخفيفهم مستثقل
وصواب قولهم هذر
وطباعهم كجبالهم
خبثت وقدت من حجر
مابدرك التشبيب تغـ
ريد البلابل فى السحر

وأقول فى يوم تحا ر له البصائر والبصر   والصحف ينشر طيها   والنار ترمى بالشرر

وتلا هذه الآية المتقدمة والمحققون يرون الغنى والفقر من قبل النفس لا فى المال وكان الصحابة رضى الله تعالى عنهم يرون الفقر فضيلة وحدث الحسن رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يدخل فقراء أمتى الجنة قبل الأغنياء بأربعين عاما فقال جليس للحسن أمن الأغنياء أنا أم من الفقراء فقال هل تغديت اليوم قال نعم قال فهل عندك ما تتعشى به قال نعم قال فاذا أنت من الاغنياء وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان النبى ﷺ يبيت طاويا ليالى ماله ولا لأهله عشاء وكان عامة طعامه الشعير وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع وكان ﷺ يأكل خبز الشعير غير منخول هذا وقد عرضت عليه مفاتيح كنوز الارض فأبى أن يقبلها صلوات الله وسلامه عليه وكان يقول اللهم توفنى فقيرا ولا تتوفنى غنيا واحشرنى فى زمرة المساكين وقال جابر رضى الله تعالى عنه دخل النبى ﷺ على ابنته فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها وهى تطحن بالرحى وعليها كساء من وبر الابل فبكى وقال تجرعى يا فاطمة مرارة الدنيا لنعيم الآخرة * قال الله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال ﷺ الفقر موهبة من مواهب الآخرة يهبها الله تعالى لمن اختاره ولا يختاره الا أولياء الله تعالى وفى الخبر اذا كان يوم القيامة يقول الله عز وجل للملائكته أدنوا الى أحبائى فتقول الملائكة ومن أحباؤك يا إله العالمين فيقول فقراء المؤمنين أحبائى فيدنونهم منه فيقول يا عبادى الصالحين انى ما زويت الدنيا عنكم لهوانكم على ولكن بكرامتكم تمتعوا بالنظر الى وتمنوا ما شئتم فيقولون وعزتك وجلالك لقد أحسنت الينا بما زويت عنا منها ولقد أحسنت بما صرفت عنا فيأمر بهم فيكرمون ويحبرون ويزفون الى أعلى مراتب الجنان وقال ﷺ هل تنصرون الا بفقرائكم وضعفائكم والذى نفسى بيده ليدخلن فقراء أمتى الجنة قبل أغنيائها بخمسمائة عام والأغنياء يحاسبون على زكاتهم وقال عليه الصلاة والسلام رب أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه به لو أقسم على الله تعالى لأبره أى لو قال اللهم انى أسألك الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا وقال عليه الصلاة والسلام ان أهل الجنة كل أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه به الذين إذا استأذنوا على الأمير لا يؤذن لهم وان خطبوا النساء لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لهم حوائج أحدهم تتلجلج فى صدره لو قسم نوره على الناس يوم القيامة لوسعهم * وروى عن خالد ابن عبد العزيز أنه قال كان حيوة بن شريح من البكائين وكان ضيق الحال جدا فجلست اليه ذات يوم وهو جالس وحده يدعو فقلت له يرحمك الله لو دعوت الله تعالى ليوسع عليك فى معيشتك قال فالتفت يمينا وشمالا فلم ير أحدا فأخذ حصاة من الارض وقال اللهم اجعلها ذهبا فاذا هى تبرة فى كفه ما رأيت أحسن منها قال فرمى بها الى وقال هو أعلم بما يصلح عباده فقلت ما أصنع بهذه قال أنفقها على عيالك فهبته والله ان أردها عليه وقال عون بن عبد الله صحبت الأغنياء فلم أجد فيهم أحدا أكثر منى هما لانى كنت أرى ثيابا أحسن من ثيابى ودابة أحسن من دابتى ثم صحبت الفقراء بعد ذلك فاسترحت قال بعضهم

وقد يهلك الانسان كثرة ماله * كما يذبح الطاوس من أجل ريشه

(وقال عبد الله بن طاهر)

ألم تر أن الدهر يهدم ما بنى * ويأخذ ما أعطى ويفسد ما أسدى

فمن سره أن لا يرى ما يسوءه * فلا يتخذ شيئا يخاف به فقدا

وكان من دعاء السلف رضى الله تعالى عنهم اللهم انى أعوذ بك من ذل الفقر وبطر الغنى وقيل مكتوب على باب مدينة الرقة ويل لمن جمع المال من غير حقه وويل لمن ورثه لمن لا يحمده وقدم على من لا يعذره (ولما) فتحت بلخ فى زمن عمر رضى الله تعالى عنه وجد على بابها صخرة مكتوب

هذا الشريف أضلنى بعد الهدية والنظر مالى مضل فى الورى الا الشريف أبومضر فيقال خذ بيد الشريف فمستقر كما سقر لواحة تسطو فما * تبقى عليه ولا تذر والله يغفر للمسىء اذا تنصل واعتذر فاخش الاله بسوء فعلك واحتذر كل الحذر واليكها بدوية * رقت لرقتها الحضر شامية لو شامها قس الفصاحة لافتخر ودرى وأيقن اننى * بحر وألفاظى درر حبرتها فغدت كزهر الروض باكره المطر والى الشريف بعثتها لما قرأها وانبهر رد الغلام وما استمر على الجحود ولا أصر وأثابنى وجزيته شكرا وقال لقد صبر

(ومن لطائف المنقول) ما نقله الشيخ الامام العالم العلامة الحبر زين الدين أبو حفص عمر بن الوردى رحمه الله تعالى لما دخل دمشق المحروسة فى أيام قاضى القضاة نجم الدين بن مصرى الشافعى تغمده الله برحمته ورضوانه فأجلسه فى صفة الشهود المعروفة بالشباك وكان الشيخ زين الدين يلبس زى أهل المعرة فاستزراه الشهود فحضر كتاب مشترى فقال بعضهم أعطوا المعرى يكتبه فقال الشيخ زين الدين

فيها أعما يتبين الفقير من الغني بعد الانصراف من بين يدي الله تعالى أي بعد العرض قال الشاعر

ومن يطلب الأعلى من العيش لم يزل * حزينا على الدنيا رهين غبونها
إذا شئت أن تحيا سعيدا فلا تكن * على حالة إلا رضيت بدونها

(وقال آخر) ولا ترهبن الفقر ما عشت في غد * لكل غد رزق من الله وارد

﴿قال هرون بن جعفر الطالبي﴾

بوعدت همتي وقورب مالي * فعفالي مقصر عن مقالي * ما اكتسى الناس مثل ثوب اقتناع
وهو من بين ما اكتسوا سربالي * ولقد تعلم الحوادث أني * ذو اصطبار على صروف الليالي

وقال اعرابي من ولد في الفقر أبطره الغنى ومن ولد في الغنى لم يزده إلا تواضعا فما أحسن الفقر وأكثر ثوابه وأعظم أجر من رضي به وصبر عليه اللهم اجعلنا من الصابرين برحمتك يا أرحم الراحمين يارب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

﴿الباب الثالث والخمسون في التلطف في السؤال وذكر من سئل فجاد﴾

(روى) الامام مالك في الموطأ عن زيد بن أسلم رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال أعطوا السائل ولو جاء على فرس وماسئل عليه السلام شيئا قط فقال لا وأتى اعرابي علي علي رضي الله تعالى عنه فسأله شيئا فقال والله ما أصبح في بيتي شيء فضل عن قوتي فولى الاعرابي وهو يقول والله ليسألنك الله عن موقفي بين يديك يوم القيامة فبكى علي رضي الله تعالى عنه بكاء شديدا وأمر برده وقال يا قنبر ائتني بدرعي الفلانية فدفعها إلى الاعرابي وقال لا تخدعن عنها فطالما كشفت بها الكروب عن وجه رسول الله ﷺ فقال قنبر يا أمير المؤمنين كان يجزيه عشرون درهما فقال يا قنبر والله ما يسرني أن لي زنة الدنيا ذهبا وفضة فتصدقت به وقبل الله مني ذلك وأنه يسألني عن موقف هذا بين يدي وقال علي رضي الله تعالى عنه ان لكل شيء ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح وقال مسلمة انصيب سلني فقال كفك بالعطية أبسط من لساني بالمسئلة فقال لحاجبه ادفع اليه ألف دينار * وسأل رجل الحسن رضي الله تعالى عنه فقال له ما وسيلتك قال وسيلتي أني أتيتك عام أول فبررتني فقال مرحبا بمن توسل الينا بنا ثم وصله وأكرمه ويقال الكريم إذا سئل ارتاح واللئيم إذا سئل ارتاع (ولما) وفد المهدي من الري الى العراق امتدحه الشعراء فقال أبو دلامة

أني نذرت لئن رأيتك قادما * أرض العراق وأنت ذو وفر
لتصلين على النبي محمد * ولتملأن دراهما حجري

فقال المهدي صلى الله على محمد فقال أبو دلامة ما أسرعك للاولى وأبطأك عن الثانية فضحك وأمر ببدرة فصبت في حجره * وسمع الرشيد أعرابية بمكة تقول

طحنتنا كلاكل الاعوام * وبرتنا طوارق الايام
فأتيناكم نمد أكفا * لالتقام من زادكم والطعام
فاطلبوا الاجر والمثوبة فينا * أيها الزائرون بيت حرام

فبكى الرشيد وقال لمن معه سألتكم بالله تعالى إلا مادفعتم اليها صدقاتكم فألقوا عليها الثياب حتى وارتها كثرة وملؤا حجرها دراهم ودنانير * وسأل اعرابي بمكة وأحسن في سؤاله فقال أخ في الله وجار في بلد الله وطالب خير من عند الله فهل من أخ يواسيني في الله قال الشاعر

ليس في كل وهلة وأوان * تتهيأ صنائع الاحسان
فاذا أمكنت فبادر اليها * حذرا من تعذر الامكان

وقال البصري أضحت حوائجنا اليك مناخة * معقولة برحابك الوصال

ترسمون أأكتبه نظما أو نثرا فزاد استهزاؤهم فقالوا نظما فأخذ القرطاس وكتب

باسم إله الخلق هذا ما اشترى
محمد بن يونس بن سنقرا
من مالك بن أحمد بن الأزرق
كلاهما قد عرف من جاق
فباعه قطعة أرض واقعه
بكورة الفوطة وهي جامعه
لشجر مختلف الأجناس
والأرض في البيع مع الغراس
وذرع هذي الارض بالذراع عشرون في الطول بلا نزاع
وذرعها في العرض أيضا عشره
وهي ذراع باليد المعتبره
وحدها من قبلة ملك التقي
وحائز الروم حد المشرق
ومن شمال ملك أولاد علي
والغرب ملك عامل بن جهبل
وهذه تعرف من قديم
بأنها قطعة بيت الرومي
بيعا صحيحا لازما شرعيا
ثم شراء قاطعا مرعيا
بثمن مبلغه من فضه
وازنة جيدة مبيضه
جارية للناس في المعامله
ألفان منها النصف ألف كامله
قبضها البائع منه وافيه
فعادت الذمة منه خاليه
وسلم الارض إلى من اشترى
فقبض القطعة منه وجرى
بينهما بالبدن التفرق
طوعا فما لأحد تعلق
ثم ضمان الدرك المشهور
فيه على بائعه المذكور
وأشهد عليهما بذاك في
الرابع عشر رمضان الاشرف
من عام سبعمائة وعشره
من بعد خمس تلوها للهجره
والحمد لله وصلى ربي
على النبي وآله والصحب يشهد بالمضمون هذا عمر بن المظفر المعري اذ حضر فلما فرغ الشيخ

أطلق فديتك بالنجاح عقالها * حتى تثور بنا بغير عقال

وعن على رضى الله تعالى عنه قال يا كميل مر أهلك أن يروحوا فى كسب المكارم ويدلجوا فى حاجة من هو نائم فوالذى وسع سمعه الاصوات مامن أحد أودع قلبا سرورا الاخلق الله تعالى من ذلك السرور لطفا فاذا نابته نائبة جرى اليها كالماء فى انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الابل وقال لجابر بن عبد الله ياجابر من كثرت نعم الله تعالى عليه كثرت حوائج الناس اليه فاذا قام بما يجب لله فيها فقد عرضها للدوام والبقاء ومن لم يقم بما يجب لله فيها عرض نعمه لزوالها وكان لبيد رحمه الله تعالى آلى على نفسه كلما هبت الصبا أن ينحر ويطعم وربما ذبح العناق إذا ضاق الخناق فخطب الوليد بن عتبة يوما فقال قد علمت ماجعل أبو عقيل على نفسه فاعينوه على مروءته ثم بعث اليه بخمس من الابل وبهذه الابيات

أرى الجزار يشحذ مديتيه * إذا هبت رياح بنى عقيل * طويل الباع أبلج جعفرى
كريم الجد كالسيف الصقيل * وفى ابن الجعبرى بمانواه * على العلات بالمال القليل

فدعا لبيد بنتاله خماسية وقال يا بنية انى تركت قول الشعر فأجيبى الأمير عنى فقالت

إذا هبت رياح بنى عقيل * تداعينا لهبتها الوليدا * طويل الباع أبلج عبشمى
أعان على مروءته لبيدا * بامثال الهضاب كان رعيا * عليها من بنى حام قعودا
أبا وهب جزاك الله خيرا * نحرناها وأطعمنا الثريدا
فعد إن الكريم له معاد * وظنى فى ابن عتبة أن يعودا

فقال لقد أحسنت والله يا بنية لولا أنك سألت وقلت عد فقالت يا أبت ان الملوك لا يستحيا منهم فى المسئلة فقال والله لأنت فى هذا أشعر منى * ووفد رجل من بنى ضبة على عبد الملك فانشده

والله ماندرى إذا ما فاتنا * طلب اليك من الذى نتطلب * ولقد ضربنا فى البلاد فلم نجد
أحدا سواك الى المكارم ينسب * فاصبر لعادتك التى عودتنا * أولا فأرشدنا الى من نذهب

فأمر له بالف دينار فعاد اليه من قابل وقال يا أمير المؤمنين ان الروى لينازعنى وان الحياء يمنعنى فأمر له بألف دينار وقال والله لو قلت حتى تنفد بيوت الأموال لأعطيتك * وقيل ان رجلا عرض للمنصور فسأله حاجة فلم يقضها فعرض له بعد ذلك فقال له المنصور أليس قد كلمتنى مرة قبل هذه قال نعم ياأمير المؤمنين ولكن بعض الاوقات أسعد من بعض وبعض البقاع أعز من بعض فقال صدقت وقضى حاجته واحسن اليه * وروى أن أبا دلامة الشاعر كان واقفا بين يدى السفاح فى بعض الايام فقال له سلنى حاجتك فقال كلب صيد فقال اعطوه اياه فقال ودابة أصيد عليها فقال اعطوه دابة فقال وغلاما يقود الكلب ويصيد به قال اعطوه غلاما قال وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه قال أعطوه جارية فقال هؤلاء يا أمير المؤمنين عيال ولابد لهم من دار يسكنونها قال أعطوه دارا تجمعهم قال فان لم يكن لهم ضيعة فمن أين يعيشون قال قد أقطعته عشر ضياع عامرة وعشر ضياع غامرة فقال ما الغامرة يا امير المؤمنين قال مالا نبات فيها قال قد أقطعتك يا أمير المؤمنين مائة ضيعة غامرة من فيافى بنى أسد فضحك وقال اجعلوها كلها عامرة فانظر الى حذقه بالمسئلة ولطفه فيها كيف ابتدأ بكلب صيد فسهل القضية وجعل يأتى بمسئلة بعد مسئلة على ترتيب وفكاهة حتى سأل ما سأله ولو سأل ذلك بديهة لما وصل اليه (وحكى) عن المأمون أنه قال ليحيى بن أكثم يوما سر بنا نتفرج فسارا فبينما هما فى الطريق واذا بمقصبة خرج منها رجل بقصبة

للمأمون

زين الدين وتأمل الجماعة سرعة بديهته مع استيعاب الشروط الشرعية اعترفوا بفضله واعتذروا اليه لما علموا أنه ابن الوردى وأجلسوه فى الصدر ولكنهم عجزوا عن رسم الشهادة نظما وسألوه ذلك فكتب عن شخص منهم الى جانبه يدعى ابن رسول

قد حضر العقد لذاك أحمد ابن رسول وبذاك يشهد

﴿ تحفة من فوائد كتاب الانشاء ﴾ قال عبد الحميد كاتب مروان آخر ملوك بنى أمية لو كان الوحى ينزل على أحد بعد الانبياء لنزل على كتاب الانشاء وقال البلاغة هى مارضيته الخاصة وفهمته العامة ومن كلامه خير الكلام ما كان فخلا ومعناه بكرا (اسمعيل بن صبيح كاتب الرشيد) كتب الى يحيى بن خالد فى شكر ما تقدم من احسانك شاغل عن استبطاء ما تأخر منه جمع من الشكر والاستزادة بابلغ عبارة وأوجز (عمرو بن مسعدة كاتب المأمون) كتب اليه كتابى هذا وأجناد أمير المؤمنين على أحسن ما تكون عليه طاعة جند تأخرت أرزاقهم واختلت أحوالهم فقال المأمون لاحمد بن يوسف لله در عمرو ما أبلغه ألا ترى الى ادماجه المسئلة فى الاخبار واعفائه من الاكثار (ابراهيم الصولى كاتب المعتصم والواثق والمتوكل) كان يقول التصفح للكتاب أبصر بمواقع الخلل من

للأمون يتظلم له فنفرت دابته فالقته على الأرض صريعا فأمر بضرب ذلك الرجل فقال يا أمير المؤمنين ان المضطر يرتكب الصعب من الأمور وهو عالم به و يتجاوز حد الادب وهو كاره لتجاوزه ولو أحسنت الايام مطالبتي لاحسنت مطالبتك ولانت على رد ما لم تفعل أقدر من رد ما قد فعلت قال فبكى المأمون وقال بالله أعد على ما قلت فأعاده فالتفت المأمون الى يحيى بن أكثم وقال اما تنظر الى مخاطبة هذا الرجل باصغريه والنبي صلى الله عليه وسلم يقول المرء باصغريه قلبه ولسانه والله لا وقفت لك الا وأنا قائم على قدمى فوقف وأمر له بصلة جزيلة واعتذر اليه فلما هم المأمون بالانصراف قال الرجل يا أمير المؤمنين بيتان قد حضراني ثم أنشد يقول ما جاد بالوفر الا وهو معتذر * ولا عفا قط الا وهو مقتدر

وكلما قصدوه زاد نائله * كالنار يؤخذ منها وهي تستعر

(وقيل) ان بعض الحكماء لزم باب كسرى فى حاجة دهراً فلم يوصل اليه فكتب أربعة أسطر فى ورقة ودفعها للحاجب فكان فى السطر الأول العدم لا يكون معه صبر على المطالبة وفى السطر الثانى الضرورة والامل أقدماني عليك وفى السطر الثالث الانصراف من غير فائدة شماتة الاعداء وفى السطر الرابع أما نعم فثمرة وأما لا فمريحة فلما قرأها كسرى دفع له فى كل سطر ألف دينار (وحكى) أن رجلا كان جاراً لابن عبيد الله فأصاب الناس قحط بالعراق حتى رحل أكثر الناس عنه فعزم جار ابن عبيد الله على الخروج من البلاد فى طلب المعيشة وكانت له زوجة لا تقدر على السفر فلما رأت زوجها تهيأ للسفر قالت له إذا سافرت من ينفق علينا قال إن لى على ابن عبيد الله دينا ومعى به إشهاد عليه شرعي فخذى الاشهاد وقدميه اليه فاذا قرأه أنفق عليك مما عنده حتى أحضر ثم ناولها رقعة كتب فيها هذه الابيات يقول

قالت وقد رأت الاحمال محدجة * والبين قد جمع المشكو والشاكي

من لى اذا غبت فى ذا المحل قلت لها * الله وابن عبيد الله مولاكي

فمضت اليه المرأة وحكت له ما قال زوجها وأخبرته بسفره وناولته الرقعة فقرأها وقال صدق زوجك ومازال ينفق عليها ويواصلها بالبر والاحسان الى أن قدم زوجها فشكره على فضله واحسانه (وحكى) ان مطيع بن اياس مدح معن بن زائدة بقصيدة حسنة ثم أنشدها بين يديه فلما فرغ من انشاده أراد معن أن يباسطه فقال يا مطيع ان شئت أعطيناك وان شئت مدحناك كما مدحتنا فاستحيا مطيع من اختيار الثواب وكره اختيار المدح وهو محتاج فلما خرج من عند معن أرسل إليه بهذين البيتين

ثناء من أمير خير كسب * لصاحب نعمة وأخى ثراء

ولكن الزمان برى عظامى * ومالى كالدراهم من دواء

فلما قرأها معن ضحك وقال ما مثل الدراهم من دواء وأمر له بصلة جزيلة ومال كثير قال الشاعر

هززتك لا انى جعلتك ناسيا * لأمرى ولا انى أردت التقاضيا

ولكن رأيت السيف من بعد سله * الى الهز محتاجا وان كان ماضيا

(وقال آخر) ماذا أقول اذا رجعت وقيل لى * ماذا لقيت من الجواد الافضل

إن قلت أعطانى كذبت وان أقل * بخل الجواد بماله لم يجمل

فاختر لنفسك ما أقول فاننى * لابد أخبرهم وان لم أسئل

(وقال آخر) لنوائب الدنيا خبأتك فانتبه * يا نائما من جملة النوام

أعلى الصراط تزيل لوعة كربتى * أم فى المعاد تجود بالانعام

﴿ومما يستحسن الحاقه بهذا الباب ذكر شيء مما جاء فى ذم السؤال والنهى عنه﴾ روى عن

منشئه وكان يقل الخبز ليومه والطبيخ لساعته والنبيذ لسنته (ومن بديع نثره) ما كتبه عن امير المؤمنين الى بعض الخارجين يتهددهم ويتوعدهم أما بعد فان لأمير المؤمنين أناة فان لم تغن عقب بعدها وعيداً فان لم يغن أغنت عزائمه والسلام * وهذا الكلام وجازته فى غاية الابداع وينشأ منه بيت شعر وهو

اناة فان لم تغن عقب بعدها * وعيدا فان لم يغن أغنت عزائمه

(وكان) يقول ما اتكلت فى مكاتبتى الا على ما يتخيله خاطرى ويجلس فى صدرى الاقولى وصار ما يحرزهم يبرزهم وما كان يعقلهم يعتقلهم وقولى من أخرى فانزلوه من معقل الى عقال وبدلوه آجالا من آمال فانى ألممته بقولى آجالا من آمال بقول مسلم بن الوليد الانصارى المعروف بصريع الغوانى

موف على مهج فى يوم ذى رهج * كأنه أجل يسعى الى أمل

(وفى المعقل والعقال بقول أبى تمام)

فان باشر الاصحاء فالبيض والقنا * قراه وأحواض المنايا مناهله

وان تبن حيطانا عليه فانما * أولئك عقالاته لا معاقله

والا فاعلمه بأنك ساخط * عليه فان الخوف لاشك قاتله

﴿ومن رقيق شعره﴾ حين أحضر لمناظرته أحمد بن المدبر فقال ارتجالا

صد عني وصدق الاقوالا * وأطاع الوشاة والعذالا

عبد الرحمن بن عوف بن مالك الاشجعي رضى الله تعالى عنه كنا عند رسول الله ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال ألا تبايعون رسول الله ﷺ فبسطنا أيدينا وكنا حديثي عهد بالمبايعة فقلنا قد بايعناك يارسول الله فعلام يارسول الله نبايعك قال أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وتقيموا الصلوات الخمس وتطيعوا الله وأسر كلمة خفية وهى ولا تسألوا الناس شيئا فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدا يناوله إياه رواه مسلم * وقال رجل لابنه إياك أن تريق ماء وجهك عند من لا ماء فى وجهه وكان لقمان يقول لولده يابنى إياك والسؤال فانه يذهب ماء الحياء من الوجه وأعظم من هذا استخفاف الناس بك وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام لأن تدخل يدك فى فم التنين إلى المرفق خير لك من أن تبسطها إلى غنى قد نشأ فى الفقر * وقيل لاعرابى ما السقم الذى لا يبرأ أو الجرح الذى لا يندمل قال حاجة الكريم إلى اللئيم وقال أبو محلم السعدى

إذا مارماك الدهر فى الضيق فانتجع * قديم الغنى فى الناس إنك حامده

ولا تطلبن الخير ممن أفاده * حديثا ومن لا يورث المجد والده

وقال رسول الله ﷺ مسئلة الناس من الفواحش ما أحل من الفواحش غيرها وقال عليه الصلاة والسلام لان يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتى رجلا فيسأله أعطاه أو منعه قال الشاعر

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله * عوضا ولو نال الغنى بسؤال

واذا السؤال مع النوال وزنته * رجح السؤال وخف كل نوال

(وقال أحمد الانبارى) لموت الفتى خير من البخل للغنى * وللبخل خير من سؤال بخيل

لعمرك ما شيء لوجهك قيمة * فلا تلق انسانا بوجه ذليل

(وقال سلم الخاسر) إذا أذن الله فى حاجة * أتاك النجاح على رسله

فلا تسأل الناس من فضلهم * ولكن سل الله من فضله

ويقال احب الناس إلى الله من سأله وأبغض الناس إلى الناس من احتاج إليهم وسألهم وفى هذا المعنى قيل

لا تسألن بنى آدم حاجة * وسل الذى أبوابه لا تحجب

الله يغضب إن تركت سؤاله * وبنى آدم حين يسئل يغضب

(وقال محمود الوراق) شاد الملوك قصورهم وتحصنوا * من كل طالب حاجة أو راغب

فارغب إلى ملك الملوك ولا تكن * ياذا الضراعة طالبا من طالب

(وقال ابن دقيق العيد) وقائلة مات الكرام فمن لنا * إذا عضنا الدهر الشديد بنابه

فقلت لها من كان غاية قصده * سؤالا لمخلوق فليس بنابه

إذا مات من يرجى فمقصودنا الذى * ترجينه باق فلوذى ببابه

(وقال بعض أهل الفضل) لما افتقرت لصحبي ماوجدتهمو * لجأت لله لبانى وأغنانى

واها على بذل وجهى للورى سفها * فلو بذلت إلى مولاى والانى

وسأل رجل رجلا حاجة فلم يقضها فقال سألت فلانا حاجة أقل من قيمته فردنى ردا أقبح من خلقته وسأل عروة مصعبا حاجة فلم يقضها فقال علم الله تعالى أن لكل قوم شيخا يفزعون اليه وأنا أفزع منك ويقال لاشيء أوجع للاخيار من الوقوف بباب الأشرار وقال الامام الشافعى رحمه الله تعالى

بلوت بنى الدنيا فلم أرفيهم * سوى من غدا والبخل ملء اهابه * فجردت من غمد القناعة صارما

قطعت رجائى منهم بذبابه * فلاذا يرانى واقفا فى طريقه

ولاذا يرانى قاعدا عند بابه * غنى بلا مال عن الناس كلهم

وليس الغنى إلا عن الشيء لابه * إذا ظالم يستحسن الظلم مذهبا

شعره أيضا قوله)
دنت بأناس عن تناء زيارة
وشط بليل عن دنو مزارها
وان مقيمات بمنعرج اللوى
لاقرب من ليلى وهاتيك
دارها

(الحسن بن وهب سئل عن مبيته فقال) شربت البارحة على عقد الثريا ونطاق الجوزاء فلما تنبه الصبح نمت فلم استيقظ إلا بلبس قميص الصبح

(بديع الزمان الهمدانى) الحمد لله الذى بيض القار وسماه الوقار وعسى الله أن يغسل الفؤاد كما غسل الفؤاد (ومن انشائه البديع) قد يوحش اللفظ وكله ود ويكره الشيء وليس منه بد هذه العرب تقول لا أبا لك ولا يقصدون الذم وويل أمه لامر اذا هم وسبيل ذوى الألباب فى الدخول من هذا الباب أن ينظروا فى القول إلى قائله فان كان وليا فهو للولاء وان خشن وان كان عدوا فهو للبلاء وان حسن (ومن انشاء أبى القاسم على بن الحسن المعروف بالمغربى) وصلت الرقعة فاستجفيت النسيم بالاضافة إلى لطافتها واستثقلت عقود اللؤلؤ بالقياس إلى خفة موقعها (ومن بديع انشائه) وغرقت فى هواجس الفكر

ووساوس التذكر حتى نسيتكم من شدة التذكر أو لقيتكم من حدة التصور والله تعالى أسأل

ولج عتوا في قبيح اكتسابه * فكله الى صرف الليالي فانها * ستبدى له مالم يكن في حسابه
فكم قد رأينا ظالما متمردا * يرى النجم تيها تحت ظل ركابه * فعما قليل وهو في غفلاته
أناخت صروف الحادثات ببابه * فاصبح لامال ولاجاه يرتجى * ولا حسنات تلتقى في كتابه
وجوزى بالامر الذى كان فاعلا * وصب عليه الله سوط عذابه
(وقال آخر) لاتسألن الى صديق حاجة * فيحول عنك كما الزمان يحول
واستغن بالشيء القليل فانه * ماصان عرضك لا يقال قليل * من عف خف على الصديق لقاؤه
وأخو الحوائج وجهه مملول * وأخوك من وفرت مافى كفه * ومتى علقت به فأنت ثقيل
(وقال آخر) ليس جودا أعطيته بسؤال * قد يهز السؤال غير جواد
انما الجود ما أتاك ابتداء * لم تذق فيه ذلة الترداد
(وقال آخر) لاتحسبن الموت موت البلى * انما الموت سؤال الرجال
كلاهما موت ولكن ذا * أخف من ذاك لذل السؤال
﴿ وقال الشافعي رضى الله تعالى عنه ﴾
قنعت بالقوت من زماني * وصنت نفسي عن الهوان * خوفا من الناس أن يقولوا
فضل فلان على فلان * من كنت عن ماله غنيا * فلا أبالى إذا جفاني
ومن رآني بعين نقص * رأيته بالتي رآني * ومن رآني بعين تم * رأيته كامل المعاني
والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب الرابع والخمسون في ذكر الهدايا والتحف وما أشبه ذلك ﴾

قال الله تعالى وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها فسرها بعضهم بالهدية وقال ﷺ تهادوا تحابوا فانها تجلب المحبة وتذهب الشحنا وقال ﷺ الهدية مشتركة وقال ﷺ من سألكم بالله فاعطوه ومن استعاذكم فأعيذوه ومن أهدى اليكم كراعا فاقبلوه وكان ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها ماهو خير منها * وفي الاثر الهدية تجلب المودة الى القلب والسمع والبصر * ومن الامثال إذا قدمت من سفر فأهد لأهلك ولو حجرا وقال الفضل بن سهل ما استرضى الغضبان ولا استعطف السلطان ولا سلبت السخائم ولا دفعت المغارم ولا استميل المحبوب ولا توقى المحذور بمثل الهدية وأتى فتح الموصلي بهدية وهي خمسون دينارا فقال حدثنا عطاء عن النبي ﷺ انه قال من آتاه الله رزقا من غير مسئلة ورده فكأنما رده على الله تعالى وأهدى رسول الله ﷺ هدية الى عمر فردها فقال يا عمر لم رددت هديتي فقال رضى الله تعالى عنه اني سمعتك تقول خيركم من لم يقبل شيئا من الناس فقال يا عمر انما ذاك ما كان عن ظهر مسئلة فاما إذا أتاك من غير مسئلة فانما هو رزق ساقه الله اليك وقالت أم حكيم الخزاعية سمعت رسول الله ﷺ يقول تهادوا فانه يضاعف الحب ويذهب بغوائل الصدر ويقال في نشر المهادة طي المعادة

﴿ذكر أنواع الهدايا للخلفاء وغيرهم ممن قصرت به قدرته فاهدى اليسير وكتب معه مكاتبة يعتذر بها﴾

أهدى الى سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ثمانية أشياء متباينة في يوم واحد فيلة من ملك الهند وجارية من ملك الترك وفرس من ملك العرب وجوهرة من ملك الصين واستبرق من ملك الروم ودرة من ملك البحر وجرادة من ملك النمل وذرة من ملك البعوض فتأمل ذلك وقال سبحان القادر على جمع الاضداد * واهدى ملك الروم الى المأمون هدية فقال المأمون أهدوا له ما يكون ضعفها مائة مرة ليعلم عز الاسلام ونعمة الله تعالى علينا ففعلوا ذلك فلما عزموا على حملها قال ما أعز الاشياء

البحار ونجم إذا طلع تضاءلت الشموس والاقمار وسابق لا يمسح وجهه الا بهيادب الغيوم وصارم لا يجلى غمده الا بافراد النجوم (ضياء الدين بن الأثير الجزري) ودولته هي الضاحكة وان كان نسبها الى العباس وهي خير دولة أخرجت للدهر ورعاياها خير أمة أخرجت للناس ولم يجعل شعارها من لون الشباب الا تفاؤلا بانها لا تهرم وانها لا تزال محبوة من أبكار السعادة بالوصل الذي لا يصرم * (وله في القلم) فهو الملقب بالجواد المضمر واذا أخذت السوابق في احضارها بلغ الغاية وما أحضر وله لون تحقق فيه القول النبوى لو جمعت الخيل في صعيد لسبقها الاشقر (ومن انشاء القاضي تاج الدين بن الاثير) والمنجنيقات تفوق الهم قسيها وتخيل لهم انها ساعية بحبالها ليهم وعصيها وهي للحصون من آكد الخصوم واذا أمت حصنا حكم بأنه ليس بامام معصوم ومتى امترى خالق في آلات الفتوح لم يكن فيها أحد من الممترين واذا نزلت بساحة قوم فساء صباح المنذرين تدعى الى الوغى

فتكم وما أقيمت صلاة حرب عند حصن الا كان ذلك الحصن ممن يسجد ويسلم * ولقد سهوت عن الصابي وكان في هذا الفن أمة

عندهم قالوا المسك والسمور قال وكم في الهدية من ذلك قالوا مائتا رطل مسكا ومائتا فروة سمور (وأهدت) قطر الندى الى المعتضد بالله في يوم نيروز في سنة اثنتين وثمانين ومائتين هدية كان فيها عشرون صينية ذهب في عشرة منها مشام عنبر وزنها أربعة وثمانون رطلا وعشرون صينية فضة في عشرة منها مشام صندل زنتها نيف وثلاثون رطلا وخمس خلع وشي قيمتها خمسة آلاف دينار * وعملت شمامات ليوم النيروز بلغت النفقة عليها ثلاثة عشر ألف دينار * وأهدى يعقوب بن الليث الصفار الى المعتمد على الله هدية في بعض السنين من جملتها عشرة بازات منها باز أبلق لم ير مثله ومائة مهر وعشرون صندوقا على عشر بغال فيهم طرائف الصين وغرائبه ومسجد فضة بدرابزين يصلي فيه خمسة عشر انسانا ومائة رطل من مسك ومائة رطل عود هندي وأربعة آلاف ألف درهم * وأهدت ثريا بنت الأوباري ملكة افرنجة وما والاها الى المكتفي بالله في سنة ثلاث وسبعين ومائتين خمسين سيفا وخمسين رمحا وعشرين ثوبا منسوجا بالذهب وعشرين خادما صقلبيا وعشرين جارية صقلبية وعشرة كلاب كبار لا تطيقها السباع وستة بازات وسبع صقور ومضرب حرير متلون بجميع الألوان كلون قوس قزح يتلون في كل ساعة من ساعات النهار وثلاثة أطيار من الأطيار الافرنجية اذا نظرت الى الطعام أو الشراب المسموم صاحت صياحا منكرا وصفقت بأجنحتها حتى يعلم بذلك وخرزا يجذب النصول بعد نبات اللحم عليها بغير وجع وحمارة وحشية عظيمة الخلقة في قدر البغل وآذانها شبه آذان البغل وهي مخططة تخطيطا عاما لجميع خلقها * وأهدى قسطنطين ملك الروم الى المستنصر بالله في سنة سبع وثلاثين وأربعمائة هدية عظيمة اشتملت قيمتها على ثلاثين قنطارا من الذهب الأحمر كل قنطار منها عشرة آلاف دينار عربية قيمة ذلك ثلثمائة ألف دينار عربية (وحكى) أن الخيزران جارية المهدي كانت أديبة شاعرة فعزم المهدي على شرب دواء فأنفذت اليه جام بلور فيه شراب اختارته له مع وصيفة بكر بارعة الجمال وكتبت اليه تقول

إذا خرج الامام من الدواء * وأعقب بالسلامة والشفاء * وأصلح حاله من بعد شرب
بهذا الجام من هذا الطلاء * فينعم للتي قد أنفذته * اليه بزورة بعد العشاء

فسر بذلك ووقعت الجارية منه أعظم موقع وزار الخيزران وأقام عندها يومين * وأهدى الصابي الى عضد الدولة اسطرلابا في يوم المهرجان وكتب اليه يقول

أهدى اليك بنو الاملاك واحتفلوا * في مهرجان جديد أنت تبليه
لكن عبدك ابراهيم حين رأى * سمو قدرك عن شيء يدانيه
لم يرض بالارض يهديها اليك وقد * أهدى لك الفلك الاعلى بما فيه

وأهدى رجل الى المتوكل قارورة ذهب وكتب معها ان الهدية اذا كانت من الصغير الى الكبير فكلما لطفت ودقت كانت أبهى وأحسن واذا كانت من الكبير الى الصغير فكلما عظمت وجلت كانت أوقع وأنفع * وأهدى مرة أبو الهذيل الى موسى بن عمران دجاجة ووصفها له بصفات جليلة ثم لم يزل يذكرها وكلما ذكر شيء بجمال أو سمن قال هو أحسن أو أسمن من الدجاجة التي أهديتها اليكم وان ذكر حادث قال ذلك قبل أن أهدي لكم الدجاجة بشهر وما كان بين ذلك وبين إهداء الدجاجة الا أيام قلائل فصارت مثلا لمن يستعظم الهدية ويذكرها قال الشاعر

وان امرأ أهدى الى صنيعة * وذكرنيها مرة للئيم

وقال سفيان الثوري إذا أردت أن تتزوج فأهد للأم وكان سفيان يروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من أهديت اليه هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها فأهدى اليه صديق له ثيابا من ثياب مصر وعنده قوم فذكروا الخبر فقال انما ذلك فيما يؤكل و يشرب أما في ثياب مصر فلا * وكتب الحمدوني

وهو أبو اسحق ابراهيم بن هلال صاحب الرسائل المشهورة والنظم البديع كان كاتب الانشاء ببغداد عند الخليفة وعند معز الدولة ابن بويه وكان متشددا في دينه واجتهد معز الدولة أن يسلم فلم يفعل وكان يصوم شهر رمضان ويحفظ القرآن الكريم أحسن حفظ واستعمله في رسائله والصابيء عند العرب من خرج عن دين قومه (قيل) للصابيء ان الصاحب بن عباد قال ما بقي من أوطاري وأغراضي الا أن أملك العراق وأتصدر ببغداد وأستكتب الصابيء ويكتب عني وأغير عليه فقال الصابيء ويغير علي وان أصبت (ومن انشائه) ما كتب به الى أبي الخير عن رقعة وصلت تتضمن انه أهدى اليه جملا وصلت رقعتك ففضضتها عن بلاغة يعجز عنها عبد الحميد في بلاغته وسحبان في خطابته وتصرف بين جد أمضى من القدر وهزل أرق من نسيم السحر الا أن الفعل قصر عن القول لأنك ذكرت جملا جعلته لصفتك جملا وكان المعيدي أن تسمع لا أن تراه صغر عن الكبر وكبر عن القدم يعجب العاقل من حلول الحياة به ومن تأتي الحركة فيه لانه عظم مجلد قد طال للكلا فقده وبعد بالمرعى عهده لم ير القت الا نائما

إلى جارية اسمها برهان وقد حج مواليها فقال

حجوا مواليك يابرهان واعتمروا * وقد أتتك الهدايا من مواليك
فأطرفيني بما قد أطرفوك به * ولا تكن طرفتي غير المساويك
ولست أقبل الا ماجلوت به * ثنيتيك وما رددت في فيك

وكتب بعضهم إلى صديقه وقد أهدى إليه هدية يسيرة يقول

تفضل بالقبول على إني * بعثت بما يقل العبد عندك

وأهدى بعضهم إلى صديقه هدية في يوم نيروز وكتب اليه يقول هذا يوم جرت فيه العادة بألطاف العبيد للسادة وقدر الأمير يجل عما نحيط به المقدرة وفي سودده مايوجب التفضل ببسط المعذرة وقد وجهت ماحضر علما بانه لا يستكثر ماجل ولا يستقل لعبده ماقل فان رأى أن يتطول بقبول القليل كتطوله باهداء الجزيل فعل وجعل يقول

رأيت كثير مايهدى إليكم * قليلا فاقتصرت على الدعاء

و بلغ الحسن بن عمارة ان الاعمش يقع فيه ويقول ظالم ولي المظالم فاهدى اليه هدية فمدحه الاعمش بعد ذلك وقال الحمد لله الذي ولى علينا من يعرف حقوقنا فقيل له كنت تذمه ثم الآن تمدحه فقال حدثني خيثمة عن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال جبلت القلوب على حب من أحسن اليها و بغض من أساء إليها وقال عبد الملك بن مروان ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها الكتاب يدل على عقل كاتبه والرسول يدل على عقل مرسله والهدية تدل على عقل مهديها والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب الخامس والخمسون في العمل والكسب والصناعات والحرف وما أشبه ذلك ﴾

﴿ أما العمل ﴾ فقد روى عن النبي ﷺ أنه قال أفضل العمل أدومه وان قل وقال علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه قليل مدام عليه خير من كثير مملول وفي التوراة حرك يدك أفتح لك باب الرزق * وكان ابراهيم بن أدهم يسقي و يرعى و يعمل بالكراء و يحفظ البساتين والمزارع و يحصد بالنهار و يصلي بالليل * وعن علي رضي الله تعالى عنه قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يارسول الله ماينفي عني حجة العلم قال العمل وعنه ﷺ أنه قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني * وقال الأوزاعي إذا أراد الله بقوم سوأ أعطاهم الجدل ومنعهم العمل وأنشد يقول

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه * ففي صالح الأعمال نفسك فاجعل

وقال بعض الحكماء لاشيء أحسن من عقل زانه حلم ومن عمل زانه علم ومن حلم زانه صدق ودخل بعض الخواص على ابراهيم بن صالح وهو أمير فلسطين فقال له عظني فقال له الولي بلغني رحمك الله ان أعمال الأحياء تعرض على أقاربهم الموتى فانظر ماذا تعرض على رسول الله ﷺ من عملك فبكى ابراهيم حتى سالت دموعه * وقيل من جد وجد وأنشدوا في المعنى

إني رأيت وفي الأيام تجربة * للصبر عاقبة محمودة الاثر
وقل من جد في أمر يحاوله * واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

وتقول العرب فلان وثاب على الفرص وقال بعضهم

واني إذا باشرت أمراً أريده * تدانت أقاصيه وهان أشده

وعن أنس رضي الله تعالى عنه يتبع الميت ثلاث يرجع اثنان و يبقى واحد يتبعه أهله وماله وعمله

ولاعرف الشعير الا حالما وقد كنت ملت إلى استبقائه لما تعرفه من محبتي للتوفير ورغبتي في التشمير فلم أجد فيه مستبقى لبقاء ولا مدفعا لعناء لانه ليس بأنثى فتلد ولا بفتى فينسل ولا بصحيح فيرعى ولا بسليم فيبقى فقلت اذبحه ليكون وظيفة للعيال وأقيمه رطبا مقام قديد الغزال فأنشدني وقد أضرمت النار وحددت الشفار

أعيذها نظرات منك صادقة * أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

ولست بذي لحم فاصبح للاكل لان الدهر قد أكل لحمي ولا بذي جلد يصلح للدباغ لان الايام قد مزقت أدمي ولا بذي صوف يصلح للغزل لان الحوادث قد حصت وبري الا أن تطالبني بذحل أو بيني و بينك دم فوجدته صادقا في مقالته ناصحا في مشورته ولم أعلم من أي أمر به أعجب أمن مطالبته الدهر بالبقاء أم من صبره على الضر والبلاء أم من قدرتك عليه مع عدم مثله أم من هديتك اياه للصديق مع خساسة قدره وياليت شعري ما كنت مهديا لو أني رجل من عرض الكتاب كابي علي وأبي الخطاب ما كنت مهديا الا كلبا أجرب أو قردا أحدب والسلام (وله من رسالة) هو أخفض قدراً ومكانة وأظهر عجزاً ومهانة من أن يستقل به قدم في

مطاولتنا أو تطمئن له ضلوع فى منابذتنا وهو فى نشوزه عنا وطلبنا اياه كالضالة المنشودة والظلامة المردودة

فيرجع أهله وماله ولا يرجع عمله * وقال بعضهم العمل سعى الأركان الى الله والنية سعى القلوب الى الله والقلب ملك والأركان جنود ولا يحارب الملك الا بالجنود ولا الجنود الا بالملك * وقيل الدنيا كلها ظلمات الاموضع العلم والعلم كله هباء الاموضع العمل والعمل كله هباء إلاموضع الاخلاص هذا هو العمل (وأما الكسب) فقد جاء فى تفسير قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم أى دروع من الحديد وذلك أن داود عليه الصلاة والسلام كان يدور فى الصحارى فاذا رأى من لا يعرفه تحدث معه فى أمر داود فاذا سمعه عابه بشىء يصلحه من نفسه فسمع يوما من يقول إنى لا أجد فى داود عيبا إلا أنه يأ كل من غير كسبه فعند ذلك صلى داود عليه الصلاة والسلام فى محرابه وتضرع بين يدى الله تعالى وسأله أن يعلمه ما يستعين به على قوته فعلمه الله تعالى صنعة الحديد وجعله فى يده كالشمع فاحترفها واستعان بها على أمره وسار يحكم منها الدروع * وقال رسول الله ﷺ جعل رزقى تحت رمحى فكانت حرفته الجهاد وقال رسول الله ﷺ ان الله يحب العبد المحترف وقال ﷺ ان الله تعالى يبغض العبد الصحيح الفارغ وقال عليه الصلاة والسلام من اكتسب قوته ولم يسأل الناس لم يعذبه الله تعالى يوم القيامة ولو تعلمون ما أعلم من المسئلة لما سأل رجل رجلا شيئا وهو يجد قوت يومه وليس عند الله أحب من عبد يأ كل من كسب يده ان الله تعالى يبغض كل فارغ من أعمال الدنيا والآخرة وعن أنس رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ من بات فى طلب الحلال أصبح مغفورا له وعن الحسن رحمه الله كسب الدرهم الحلال أشد من لقاء الزحف وقيل لمحمد بن مهران إن ههنا أقواما يقولون نجلس فى بيوتنا وتأتينا أرزاقنا فقال هؤلاء قوم حمقى ان كان لهم مثل يقين ابراهيم خليل الرحمن فليفعلوا وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول اللهم ارزقنى فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وقال أيضا انى لأرى الرجل فيعجبنى فأقول أله حرفة فان قالوا لا سقط من عينى واشترى سلمان وسقا من طعام وهو ستون صاعا فقيل له فى ذلك فقال ان النفس اذا أحرزت رزقها اطمأنت قال بعضهم فى السعى

خاطر بنفسك كى تصيب غنيمة * ان الجلوس مع العيال قبيح

وقيل ان أول من صنع لسان الميزان عبد الله بن عامر وكان الناس يتمايزون بالشاهينى وعن أنس رضى الله عنه قال غلا السعر على عهد رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله سعر لنا فقال ان الله الخالق القابض المسعر الرازق وانى لأرجو أن ألقى الله تعالى وليس أحد يطلبنى بمظلمة ظلمته بها فى أهل ولا مال ﴿ وأما ما جاء فى العجز والتوانى ﴾ فقد روى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال من أطاع التوانى ضيع الحقوق ومن عجز طلب ما فات مما لا يمكن استدراكه وترك ما أمكن مما تحمد عواقبه (قال الشاعر)

على المرء أن يسعى ويبذل جهده * ويقضى إله الخلق ما كان قاضيا

ومثله قوله على المرء أن يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه أن يساعده الدهر

وقيل احذر مجالسة العاجز فانه من سكن الى عاجز أعداه من عجزه وأمده من جزعه وعوده قلة الصبر ونساه ما فى العواقب وليس للعجز ضد الا الحزم وقال بعض العلماء من الخذلان مسامرة الامانى ومن التوفيق بغض التوانى وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال باكروا فى طلب الرزق والحوائج فان الغدو بركة ونجاح وقال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه احرص على ما ينفعك ودع كلام الناس فانه لا سبيل الى السلامة من ألسنة الناس وقال على رضى الله تعالى عنه التوانى مفتاح البؤس وبالعجز والكسل تولدت الفاقة ونتجت الهلكة ومن لم يطلب لم يجد وأفضى الى

وكان له عبد اسمه يمن وكان يهواه وله فيه المعانى البديعة فمن ذلك قوله فيه

قد قال يمن وهو أسود للذى ببياضه استعلى علو الخائن

ماغر وجهك بالبياض وهل ترى ان قد أفدت به مزيد محاسن

ولو ان منى فيه خالا زانه ولو ان منه فى خلا شانني

(الصاحب بن عباد) من بلاغاته المخترعة انه قيل له ماهو أحسن السجع قال ما خف على السمع قيل مثل ماذا قال مثل هذا * وسئل ابن العميد عن بغداد فقال بغداد فى بلاد كالاستاذ فى العباد (وله جواب كتاب) وصل كتاب مولاى فكانت فاتحته أحسن من كتاب الفتح وواسطته أنفس من واسطة العقد وخاتمته أشرف من خاتم الملك (ومن شعره) يرثى كثير بن أحمد الوزير

يقولون قد أودى كثير ابن أحمد وذلك رزء فى الانام جليل

فقلت دعونى والعلا نبكه معا فمثل كثير فى الرجال قليل

(القاضى الفاضل أبو على عبد الرحيم) علم المتقدمين والمتأخرين وزير السلطان صلاح الدين بن أيوب

الفساد

الفساد * وقال حكيم من دلائل العجز كثرة الاحالة على المقادير * وقال بعض الحكماء الحركة بركة والتوانى هلكة والكسل شؤم وكلب طائف خير من أسد رابض ولم يحترف لم يعتلف * وقيل من العجز والتوانى تنتج الفاقة قال هلال بن العلاء الرقاء هذين البيتين من جملة أبيات

كأن التوانى أنكح العجز بنته * وساق اليها حين زوجها مهرا
فراشا وطيئا ثم قال لها اتكى * فانكما لابد أن تلدا الفقرا

(وقال آخر)

توكل على الرحمن فى الأمر كله * ولا ترغبن فى العجز يوما عن الطلب
ألم تر أن الله قال لمريم * وهزى اليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أن تجنيه من غير هزه * جنته ولكن كل رزق له سبب

وسأل معاوية رضى الله تعالى عنه سعيد بن العاصى عن المروءة فقال العفة والحرفة * وكان أيوب السختيانى يقول يافتيان احترفوا فانى لا آمن عليكم أن تحتاجوا إلى القوم يعنى الأمراء * وقال رجل للحسن انى أنشر مصحفى فاقرؤه بالنهار كله فقال اقرأه بالغداة والعشى ويكون يومك فى صنعتك ومالابد منه ومر رحمه الله تعالى باسكاف فقال ياهذا اعمل وكل فان الله يحب من يعمل ويأكل ولايحب من يأكل ولا يعمل وقال أبو تمام

أعاذلتى ماأحسن الليل مركبا * وأحسن منه فى الملمات راكبه * ذرينى وأهوال الزمان أقاسها فأهواله العظمى تليها رغائبه * أرى عاجزا يدعى جليد القسمه * ولو كلف التقوى لكلت مضاربه

وعفا يسمى عاجزا بعفافه * ولولا التقى ما أعجزته مذاهبه
وليس بعجز المرء أخطاه الغنى * ولاباحتيال أدرك المال كاسبه

(وقال آخر) فلا تركن إلى كسل وعجز * يحيل على المقادر والقضاء

وقال اعرابى العاجز هو الشاب القليل الحيلة الملازم للأمانى المستحيلة ويقال فلان يخدعه الشيطان عن الحزم فيمثل له التوانى فى صورة التوكل ويريه الهوينا باحالته على القدر * وقال لقمان لابنه يابنى إياك والكسل والضجر فانك اذا كسلت لم تؤد حقا واذا ضجرت لم تصبر على حق (قال أبو العتاهية)

اذا وضع الراعى على الأرض صدره * فحق على المعزى بأن تتبددا

فالتوانى هو الكسل وتضييع الحزم وعدم القيام على مصالح النفس وترك التسبب والاحتراف والاحالة على المقادير وهذا من أقبح الأفعال (وأما التأنى) فانه خلاف التوانى وهو الرفق ورفض العجلة والنظر فى العواقب وقد قيل من نظر فى عواقب الأمور سلم من آفات الدهور * ومما جاء فى ذلك قوله تعالى ولاتعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعطى حظه من الرفق أعطى حظه من الدنيا والآخرة وقال عليه الصلاة والسلام لعائشة عليك بالرفق فان الرفق لايخالط شيئا الا زانه ولايفارق شيئا الا شانه * وفى التوراة الرفق رأس الحكمة * وقالوا العقل أصله التثبت وثمرته السلامة * ووجد على سيف مكتوبا التأنى فيما لا يخاف فيه الفوت أفضل من العجلة فى ادراك الأمل * وقال بعض الحكماء اذا شككت فاجزم واذا استوضحت فاعزم * وقالوا يد الرفق تجنى ثمرة السلامة ويد العجلة تغرس شجرة الندامة وأنشدوا فى ذلك

قد يدرك المتأنى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

تاريخه أخبرنى أحد الفضلاء الثقات المطلعين على حقيقة أمره أن مسودات رسائله إذا جمعت ماتقصر عن مائة مجلد وهو مجيد فى أكثرها (وذكر) ابن خلكان فى تاريخه أيضا أن العماد الكاتب قال فى الخريدة هو كالشريعة المحمدية التى نسخت الشرائع وكانت ولادته خامس عشر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة بمدينة عسقلان وولى أبوه القضاء ببيسان فلهذا نسبوه اليها (وقال) الفقيه عمارة اليمنى فى كتاب النكت العصرية فى أخبار الوزراء المصرية فى ترجمة العادل بن الصالح بن رزيك ومن أيامه الحسنة التى لاتوازى بل هى اليد البيضاء التى لاتجازى خروج أمره إلى والى الاسكندرية باحضار القاضى الفاضل إلى الباب واستخدامه بحضرته فى الديوان فانه عروس الدولة بل الملة شجرة مباركة متزايدة النماء أصلها ثابت وفرعها فى السماء (وتوفى الفاضل) فى ليلة الأربعاء سابع ربيع الأول سنة ست وتسعين وخمسمائة ودفن فى تربة بسفح المقطم فى القرافة الصغرى (قال) ابن خلكان كان

 القاضى الفاضل من محاسن الدنيا وهيهات أن يخلف الزمان مثله (فمن انشائه المرقص المطرب قوله)

وقالوا التأني حصن السلامة والعجلة مفتاح الندامة وقالوا إذا لم يدرك الظفر بالرفق والتأني فما ذا يدرك وقال المهلب أناة في عواقبها درك خير من عجلة في عواقبها فوت وقالوا من تأنى نال ما تمنى والرفق مفتاح النجاح * وقال بعض الحكماء إياك والعجلة فإنها تكنى أم الندامة لأن صاحبها يقول قبل أن يعلم ويجيب قبل أن يفهم ويعزم قبل أن يفكر ويحمد قبل أن يجرب وان تصحب هذه الصفة أحد إلا صحب الندامة وجانب السلامة

﴿ وأما الصناعات والحرف وما يتعلق بها ﴾ فقد روي عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ عمل الابرار من الرجال الخياطة وعمل الأبرار من النساء الغزل * وكان ﷺ يخيط ثوبه ويخصف نعله ويحلب شاته ويعلف ناضحه * وقال سعيد بن المسيب كان لقمان الحكيم خياطا وقيل كان إدريس عليه السلام خياطا * ووقف علي بن أبي طالب كرم الله وجهه على خياط فقال له يا خياط ثكلتك الثواكل صلب الخيط ودقق الدروز وقارب الغروز فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول يحشر الله الخياط الخائن وعليه قميص ورداء مما خاط وخان فيه واحذر السقاطات فان صاحب الثوب أحق بها ولا تتخذ بها الأيادي وتطلب المكافأة * وقال فيلسوف ان من القبيح أن يتولى امتحان الصناع من ليس بصانع * وفي الحديث أكذب أمتي الصواغون والصباغون وكذب الدلال مثل وقالوا لكل أحد رأس مال ورأس مال الدلال الكذب وقال عبد الرحمن ابن شبل سمعت رسول الله ﷺ يقول التجار هم الفجار فقيل أليس الله تعالى قد أحل البيع قال نعم ولكن يحدثون فيكذبون ويحلفون فيحنثون وقال الفضيل بخس الموازين سواد في الوجه يوم القيامة وانما أهلكت القرون الأولى لأنهم أكلوا الربا وعطلوا الحدود ونقصوا الكيل والميزان وقال مجاهد في قوله تعالى واتبعك الأرذلون قيل هم الحاكة والاساكفة وقيل ان حائكا سأل ابراهيم الحربي ما تقول فيمن صلى العيد ولم يشتر ناطفا ما الذي يجب عليه فتبسم ابراهيم ثم قال يتصدق بدرهمين فلما مضى قال ما علينا أن نفرح المساكين من مال هذا الأحمق وقيل لرجل هل فيكم حائك قال لا قيل فمن ينسج لكم ثيابكم قال كل منا ينسج لنفسه في بيته وكان أردشير ابن بابك لا يرتضي لمنادمته ذا صناعة رديئة كحائك وحجام ولو كان يعلم الغيب مثلا وقال كعب لا تستشيروا الحاكة فان الله تعالى سلب عقولهم ونزع البركة من كسبهم لأن مريم عليها السلام مرت بجماعة من الحياكين فسألتهم عن الطريق فدلوها على غير الطريق فقالت نزع الله البركة من كسبكم (قال أبو العتاهية)

ألا انما التقوى هي العز والكرم * وحبك للدنيا هو الذل والسقم

وليس على عبد تقي نقيصة * إذا صحح التقوى وان حاك أو حجم

وهذا ما أردنا سياقه في هذا الباب والله الموفق للصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب السادس والخمسون في شكوى الزمان وانقلابه بأهله والصبر على المكاره والتسلي عن نوائب الدهر وفيه ثلاثة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول في شكوى الزمان وانقلابه بأهله ﴾ روي عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أنه قال ما من يوم ولا ليلة ولا شهر ولا سنة الا والذي قبله خير منه سمعت ذلك من نبيكم ﷺ وكان معاوية رضي الله تعالى عنه يقول معروف زماننا منكر زمان قد مضى ومنكره معروف زمان لم يأت وكانت ناقة رسول الله ﷺ العضباء لا تسبق فجاء أعرابي فسبقها فشق ذلك على الصحابة رضي الله تعالى عنهم فقال ﷺ ان حقا على الله أن لا يرفع شيئا من هذه الدنيا الا وضعه (وحكي) عن شيخ من همدان قال بعثني أهلي في الجاهلية الى ذي الكلاع الحميري بهدايا فمكثت شهرا لا أصل إليه

وقد كان يقال ان الذهب الأبريز لا تدخل عليه آفة وان يد الدهر البخيلة به كافة وأنتم يا بني أيوب أيديكم آفة نفائس الأموال كما أن سيوفكم آفة نفوس الأبطال فلو ملكتم الدهر لامتطيتم لياليه أداهم وقلدتم أيامه صوارم ووهبتم شموسه وأقماره دنانير ودراهم وأيام دولتكم أعراس ومأتم فيها لا على الاموال مأتم والجود في أيديكم خاتم ونقش حاتم في نقش ذلك الخاتم (ومن انشائه في كاحل) كأنه غاسل يدخل الى انسان العين بحنوط من كحله الملعون لعلة المنون ويدرجه في كفن من الخرقة السوداء التي يلبسها سواد العيون ينقل العين الى بياض الثغور ويسلبها سواد اللما وما برحت عصيه مردودة ولديها عصا العمى قد انتهى الى فوق ما يضرب به المثل إذ قيل يسرق الكحل من العين فهذا يسرق العين من الكحل وهو لص من أكابر اللصوص وسموا كحالين وهم صاغة لما يركبون فوق العين من الفصوص قد أودع كحله حزن يعقوب فمن كحل منه ابيضت عيناه وجحد معجز القميص اليوسفي فلو مروا به على ناظر انقرحت جفناه وهو من الذين اذا رفعوا أميالهم فانما هي لشمس العيون مزولة واذا أولج أحدهم الميل في المكحلة فهو أولى بالرجم ممن أولج الميل في المكحلة (ومن انشائه سقى الله

ثم بعد ذلك أشرف الشرافة من كوة له فخر له من حول القصر سجدا ثم رأيته من بعد ذلك وقد هاجر
الى حمص واشترى بدرهم لحما وسمطه خلف دابته وهو القائل هذه الأبيات

أف للدنيا اذا كانت كذا * أنا منها فى بلاء وأذى * ان صفا عيش امرىء فى صبحها
جرعته ممسيا كأس الردى * ولقد كنت اذا ماقيل من * أنعم العالم عيشا قيل ذا

وقال يونس بن ميسرة لا يأتى علينا زمان الا بكينا منه ولا يتولى عنا زمان الا بكينا عليه (ومن ذلك قوله)

رب يوم بكيت منه فلما * صرت فى غيره بكيت عليه

(ومثله) وما مر يوم أرتجى فيه راحة * فاخبره الا بكيت على أمسى

﴿ ومن كلام ابن الأعرابى ﴾

عن الايام عد فعن قليل * ترى الايام فى صور الليالى

وقال على رضى الله عنه ماقال الناس لشىء طوبى الا وقد خبأ له الدهر يوم سوء قال الشاعر

فما الناس بالناس الذين عهدتهم * ولا الدار بالدار التى كنت أعهد

ودخل داود عليه الصلاة والسلام غارا فوجد فيه رجلا ميتا وعند رأسه لوح مكتوب فيه أنا فلان
ابن فلان الملك عشت ألف عام وبنيت ألف مدينة وافتضضت ألف بكر وهزمت ألف جيش ثم
صار أمرى الى أن بعثت زنبيلا من الدراهم فى رغيف فلم يوجد ثم بعثت زنبيلا من الجوهر فلم يوجد
فدققت الجواهر واستفيتها فمت مكانى فمن أصبح وله رغيف وهو يحسب أن على وجه الارض
أغنى منه أماته الله كما أماتنى * وذكر ان عبد الرحمن بن زياد لما ولى خراسان حاز من الاموال
ما قدر لنفسه أنه ان عاش مائة سنة ينفق فى كل يوم ألف درهم على نفسه انه يكفيه فرؤى
بعد مدة وقد احتاج الى أن باع حلية مصحفه وأنفقها * وقال هيثم بن خالد الطويل دخلت
على صالح مولى منارة فى يوم شات وهو جالس فى قبة مغشاة بالسمور وجميع فروشها سمور وبين يديه
كانون فضة يبخر فيه بالعود ثم رأيته بعد ذلك فى رأس الجسر وهو يسأل الناس (ولما
قتل عامر بن اسمعيل مروان بن محمد ونزل فى داره وقعد على فرشه دخلت عليه عبدة بنت
مروان فقالت ياعامر إن دهراً أنزل مروان عن فرشه وأقعدك عليه لقد أبلغ فى عظتك وقال
مالك بن دينار مررت بقصر تضرب فيه الجوارى بالدفوف ويقلن

ألا يادار لايدخلك حزن * ولا يغدر بصاحبك الزمان
فنعم الدار تأوى كل ضيف * اذا ماضاق بالضيف المكان

ثم مررت عليه بعد حين وهو خراب وبه عجوز فسألتها عما كنت رأيت وسمعت فقالت ياعبدالله
ان الله يغير ولا يتغير والموت غالب كل مخلوق قد والله دخل بها الحزن وذهب بأهلها الزمان
(وقال أبو العتاهية)

لئن كنت فى الدنيا بصيرا فانما * بلاغك منها مثل زاد المسافر
اذا أبقت الدنيا على المرء دينه * فما فاته منها فليس بضائر

وقال عبد الملك بن عمير رأيت رأس الحسين رضى الله تعالى عنه بين يدى بن زياد فى قصر الكوفة
ثم رأيت رأس ابن زياد بين يدى المختار ثم رأيت رأس المختار بين يدى مصعب ثم رأيت رأس مصعب
بين يدى عبد الملك قال سفيان فقلت له كم كان بين أول الرؤس وآخرها قال اثنتا عشرة سنة وقال الشاعر

ان للدهر صرعة فاحذرنها * لاتبيتن قد أمنت الشرورا
قد يبيت الفتى معافى فيردى * ولقد كان آمنا مسرورا

ثراه) والجو يتنفس عن صدر مسجور كصدر المهجور والحروصاليه فى هذا النحو جار ومجرور والمهامه
قد نشرت فيها ملأ السراب
وزخر فيها بحر ماء ولد
لغير رشدة على غير فراش
السحاب وحر الرمل قد
منع حث الرمل ونحن
فى أكثر من جموع صفين
الا أننا نخاف وقعة الجمل
ووردنا ماء هذه العيون
وهو كالمحابر يغترف منه
المجرم مثل عمله ويرسله
سهما فلا يخطىء ثغرة
مقتله وهو مع هذا قليل
كأنه مما جادت به الآماق
فى ساحات النفاق لا فى
ساعات الفراق فيالك من
ماء لا تتميز أوصافه من
التراب ولا يرتفع به فرض
التيمم كالا يرتفع بالسراب
ولا بعد وما وصف به
أهل الجحيم فى قوله
تعالى وان يستغيثوا يغاثوا
بماء كالمهل يشوى الوجوه
بئس الشراب فنحن حوله
كالعوائد حول المريض
يسألون عليلا لا يرد
الجواب بل يندبون ميتا
قد حال بينه وبينهم التراب
يجهز للدفن ونعشه المراد
ويحفر عليه ليقوم من قبره
وذلك خلاف المعتاد * وفى
غير من قد وارت الارض
فاطمع * على أنه لو كان دمعا
لما بل الأجفان ولو كان مالا
لما رفع كفة الميزان (من
انشائه) الى أن يرد كتب
العسكر وأعلامها من
مدات الفاته ورؤس العدا قطعات همزاته (ومنه) فبنت سنابك الخيل سماه من العجاج نجومها الأسنة وطارت اليهم

وكان محمد بن عبد الله بن طاهر فى قصره على الدجلة ينظر فاذا هو بحشيش فى وسط الماء وفى وسطه قصبة على رأسها رقعة فدعا بها فاذا فيها مكتوب شعرا وهو للشافعى رضى الله تعالى عنه

تاه الاعيرج واستعلى به البطر * فقل له خير ما استعملته الحذر * أحسنت ظنك بالايام اذ حسنت

ولم تخف سوء ما يأتى به القدر * وسالمتك الليالى فاغتررت بها * وعند صفو الليالى يحدث الكدر

قال فما انتفع بنفسه مدة وأعجب ماوجد فى السير خبر القاهر أحد الخلفاء وقلعه من الملك وخروجه الى الجامع فى بطانة جبة بغير ظهارة ومد يده يسأل الناس بعد أن كان ملكه لأقطار الارض فتبارك الله يعز من يشاء ويذل من يشاء * وقيل كان لمحمد المهلبى قبل اتصاله بالسلطان حال ضعيف فبينما هو فى بعض أسفاره مع رفيق له من أصحاب الحرث والحراث إلا أنه من أهل الأدب اذ أنشده يقول

ألا موت يباع فأشتريه * فهذا العيش مالا خير فيه

ألا رحم المهيمن نفس حر * تصدق بالوفاة على أخيه

قال فرثى له رفيقه وأحضر له بدرهم ماسد به رمقه وحفظ الابيات وتفرقا ثم ترقى المهلبى الى الوزارة وأخنى الدهر على ذلك الرجل الذى كان رفيقه فتوصل الى ايصال رقعة اليه مكتوب فيها

ألا قل للوزير فدته نفسى * مقالا مذكرا ما قد نسيه

أتذكر إذ تقول لضنك عيش * ألا موت يباع فاشتريه

فلما قرأها تذكر فأمر له بسبعمائة درهم ووقع تحت رقعته مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ثم قلده عملا يرتزق منه (ودخل) مسلمة بن زيد بن وهب على عبد الملك بن مروان فقال له أى الزمان أدركته أفضل وأى الملوك أكمل فقال أما الملوك فلم أر إلا حامدا وذاما وأما الزمان فيرفع أقواما ويضع آخرين وكلهم يذكر أنه يبلى جديدهم ويفرق عديدهم ويهرم صغيرهم ويهلك كبيرهم وقال حبيب ابن أوس

لم أبك من زمن لم أرض خلته * الا بكيت عليه حين ينصرم

(وقال آخر) يامعرضا عنى بوجه مدبر * ووجوه دنياه عليه مقبله

هل بعد حالك هذه من حالة * أو غاية الا انحطاط المنزله

وقال عبد الله بن عروة بن الزبير

ذهب الذين اذا رأونى مقبلا * بشوا الى ورحبوا بالمقبل

وبقيت فى خلف كأن حديثهم * ولغ الكلاب تهارشت فى المنزل

(وقال آخر فى معناه) يامنزلا عبث الزمان بأهله * فأبادهم بتفرق لايجمع

أين الذين عهدتهم بك مرة * كان الزمان بهم يضر وينفع * أيام لايغشى لذكرك مربع

الا وفيه للمكارم مرتع * ذهب الذين يعاش فى أكنافهم * وبقى الذين حياتهم لاتنفع

(وقال اسحق بن ابراهيم الموصلى)

وانى رأيت الدهر منذ صحبته * محاسنه مقرونة ومعايبه

اذا سرنى فى أول الأمر لم أزل * على حذر من أن تذم عواقبه

(وقال بعضهم) ذهب الرجال المقتدى بفعالهم * والمنكرون لكل أمر منكر

وبقيت فى خلف يزين بعضه * بعضا ليدفع معور عن معور

حلف الزمان ليأتين بمثلهم * حنثت يمينك يازمان فكفر

وكان يقال اذا أدبر الأمر أتى الشر من حيث يأتى الخير وكان يقال بتقلب الدهر تعرف جواهر

أنهار السيوف صدورهم لتروى أكبادها (ومنه) وما أحسب الاقلام جعلت ساجدة الا لان طرسه محراب ولا أنها سميت خرسا الا قبل أن ينفث سيد نافى روعها رائع هذا الصواب ولا أنها اضطجعت الا ليبعثها ماينفخ فيها من روحه من مرقدها ولا سودت رؤسها الا لأنها أعلام عباسية وتناولتها الحضرة بيدها لاجرم أنها تحامى الحمى وتسفك دما وتحقن دما وتشيح بها يدعنا نا وترسلها فتعلم الفرسان ان فى الكتاب لفرسانا وتقوم الخطباء بما كتبت تعلم الالسنة ان فى الايدى كما فى الافواه لسانا (قلت ومن) مخترعاته قوله وان ادعى سحر البيان أنه يقضى أيسر حقوقه ويثمر مايجب من شكر فروعه وعروقه كنت أفضح باطل سحره وأذيقه وبال أمره وأصب الخواطر السحارة على جذوع الاقلام وأعقد ألسنتها كما تعقد السحرة الألسنة عن الكلام (ومن انشائه فى وفاء النيل المبارك عن الملك الناصر صلاح الدين نور الله ضريحه) نعم الله سبحانه وتعالى من أضوئها بزوغا وأضفاها سبوغا وأصفاها ينبوعا وأسناها منفوعا

الرجال و يقال زمام العافية بيد البلاء ورأس السلامة تحت جناح العطب وقال بعضهم نحن فى زمن لا يزداد الخير فيه الا إدباراً والشر الا اقبالا والشيطان فى هلاك الناس إلا طمعا اضرب بطرفك حيث شئت هل تنظر الا فقيراً يكابد فقراً أو غنيا بدل نعمة الله كفراً أو بخيلا اتخذ بحق الله وفراً أو متمرداً كأن بسمعه عن سماع المواعظ وقراً * وقال آخر نحن فى زمان إذا ذكرنا الموتى حييت القلوب واذا ذكرنا الأحياء ماتت القلوب و يؤيد ذلك قوله ﷺ لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر أخيه فيقول ياليتنى مكانه (و يقال) لا يتدوم عز الولاية بذل العزل

(بيت)

مامن مسىء وان طالت إساءته * والا و يكفيك يوم من مساعيه

(وقال الأمين) يانفس قد حق الحذر * أين المفر من القدر * كل امرىء مما يخا

ف و يرتجيه على خطر * من يرتشف صفو الزما * ن يغص يوما بالكدر

(وقال بعضهم) وقائلة ما بال وجهك قد نضت * محاسنه والجسم بان شحوبه

فقلت لها هاتى من الناس واحداً * صفا وقته والنائبات تنوبه

(وللأمير أبى على بن منقذ)

أما والذى لا يملك الأمر غيره * ومن هو بالسر المكتم أعلم * لئن كان كتمان المصائب مؤلما لاعلانها عندى أشد وأعظم * و بى كل ما يبكى العيون أقله * وان كنت منه دائما أتبسم

وقال على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه وايم الله ما كان قوم قط فى خفض عيش فزال عنهم الا بذنوب اقترفوها لان الله تعالى ليس بظلام للعبيد ولو أن الناس حين ينزل بهم الفقر و يزول عنهم الغنى فزعوا الى ربهم بصدق نياتهم لرد عليهم كل شارد وأصلح لهم كل فاسد قال الشاعر

يقولون الزمان به فساد * وهم فسدوا وما فسد الزمان

وكفى بالقرآن واعظا قال الله تعالى إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿الفصل الثانى فى الصبر على المكاره ومدح التثبت وذم الجزع﴾ قد مدح الله تعالى الصبر فى كتابه العزيز فى مواضع كثيرة وأمر به وجعل أكثر الخيرات مضافا الى الصبر وأثنى على فاعله وأخبر أنه سبحانه وتعالى معه وحث على التثبت فى الاشياء ومجانبة الاستعجال فيها فمن ذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين فبدأ بالصبر قبل الصلاة ثم جعل نفسه مع الصابرين دون المصلين وقوله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وقوله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وقوله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا و بالجملة فقد ذكر الله سبحانه وتعالى الصبر فى كتابه العزيز فى نيف وسبعين موضعا وأمر نبيه ﷺ به فقال تعالى فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم وقد روى عن النبى ﷺ فى ذلك أخبار كثيرة فمن ذلك قوله ﷺ النصر فى الصبر وقوله عليه الصلاة والسلام بالصبر يتوقع الفرج وقوله الاناة من الله تعالى والعجلة من الشيطان فمن هداه الله تعالى بنور توفيقه ألهمه الصبر فى مواطن طلباته والتثبت فى حركاته وسكناته وكثيراً ما أدرك الصابر مرامه أوكاد وفات المستعجل غرضه أوكاد * وقال الاشعث بن قيس دخلت على أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فوجدته قد أثر فيه صبره على العبادة الشديدة ليلا ونهاراً فقلت يا أمير المؤمنين الى كم تصبر على مكابدة هذه الشدة فما زادنى الا أن قال

اصبر على مضض الادلاج فى السحر * وفى الرواح الى الطاعات فى البكر * انى رأيت وفى الأيام تجربة للصبر عاقبة محمودة الأثر * وقل من جد فى أمر يؤمله * واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

وجزره و يربى النبات حجره و يحيي مطالقه الحيوان و يجنى ثمرات الأرض صنوان وغير صنوان و ينشر مطوى حريرها و ينشر مواتها و يوضح معنى قوله عز وجل وبارك فيها وقدر فيها أقواتها وكان وفاء النيل المبارك تاريخ كذا فاسفر وجه الأرض وان كانت تنقب وأمن يوم بشراه من كان خائفا يترقب ورأينا الابانة عن لطائف الله التى حققت الظنون ووفت بالرزق المضمون ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون وقد أعلمناك لتوفى حقه من الاذاعة وتبعده من الاضاعة وتتعرف على ما يصرفك فى الطاعة وتشهر ما أورده البشير من البشرى بأبانته وتمده بإيصال رسمه مهنأ على عادته (ورسم لى فى الايام المؤيدية وأنا منشىء الديوان الشريف المؤيدى سنة تسع عشرة وثمانمائة) أن أنشىء رسالة بوفاء النيل المبارك لم أسبق اليها ممن تقدمنى من المنشئين بالديار المصرية حتى أن المقر الأشرف الرحومى القاضوى الناصرى محمد بن البارزى الجهنى الشافعى سقى الله ثراه قرأ على المسامع الشريفة هذه الرسالة المسطرة ورسالة من انشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة وكان

ظهور آية النيل الذى عاملنا فيه بالحسنى وزيادة وأجراه لنا فى طرق الوفاء على أجمل عادة وخلق أصابعه لبزول الابهام فاعلن المسلمون بالشهادة بكسر جسره فأمسى كل قلب بهذا الكسر مجبوراً وأتبعناه بنوروز ومابرح هذا الاسم بالسعد المؤيدى مكسوراً دق قفا السودان فالراية البيضاء من كل قلع عليه وقبل ثغور الاسلام وأرشفها ريقها الحلو فمالت أعطاف غصونها اليه وشبب خريره فى الصعيد بالقصب ومد سبائكه الذهبية الى جزيرة الذهب فضرب الناصرية واتصل بأم دينار وقلنا انه صبيغ بقوة الماء وعليه ذلك الاحمرار وأطال الله عمر زيادته فتردد فى الآثار وعمته البركة فأجرى سواقى مكة الى أن غدت جنة تجرى من تحتها الانهار وحضن مشتهى الروضة فى صدره وحنا عليها حنو المرضعات على الفطيم وارشفنا على ظمأ زلالا ألذ من المدامة للنديم وراق مديد بحره لما انتظمت عليه تلك الأبيات وسقى الأرض سلافته الخمرية لخدمته بحلو النبات وأدخله الى جنات النخيل

فحفظتها منه وألزمت نفسى الصبر فى الامور فوجدت بركة ذلك وعن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله تعالى عنهما عن النبى ﷺ انه قال ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الاحط الله بها من خطاياه وعن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ اذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة فى الدنيا واذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة وقال ﷺ إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله تعالى اذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط رواه الترمذى وقال حديث حسن وعن اسحق بن عبد الله بن أبى فروة عن أنس بن مالك قال قال النبى ﷺ الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبط الاجر والصبر عند الصدمة الأولى وعظم الاجر على قدر المصيبة ومن استرجع بعد مصيبته جدد الله له أجرها كيوم أصيب بها * وروى عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أنه قال احفظوا عنى خمسا ثنتين وثنتين وواحدة لايخافن أحدكم الاذنبه ولا يرجو إلا ربه ولا يستحى أحدكم اذا سئل عن شىء وهو لا يعلم أن يقول لا أعلم واعلموا أن الصبر من الأمور بمنزلة الرأس من الجسد اذا فارق الرأس الجسد فسد الجسد واذا فارق الصبر الأمور فسدت الامور وأيما رجل حبسه السلطان ظلما فمات فى حبسه مات شهيدا فان ضربه فمات فهو شهيد وروى فى الخبر لما نزل قوله تعالى من يعمل سوأ يجز به قال أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه يارسول الله كيف الفرح بعد هذه الآية فقال رسول الله ﷺ غفر الله لك يا أبا بكر أليس تمرض أليس يصيبك الاذى أليس تحزن قال بلى يارسول الله قال فهذا ما تجزون به يعنى جميع ما يصيبك من سوء يكون كفارة لك وبهذا اتضح لك أن العبد لايدرك منزلة الاخيار الا بالصبر على الشدة والبلاء * وروى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال بينما رسول الله ﷺ يصلى عند الكعبة وأبو جهل وأصحابه جلوس وقد نحرت جزور بالامس فقال أبو جهل لعنه الله أيكم يقوم الى سلا الجزور فيلقيه على كتفى محمد اذا سجد فانبعث أشقى القوم فأخذه وأتى به فلما سجد ﷺ وضع بين كتفيه السلا والفرث والدم فضحكوا ساعة وأنا قائم أنظر فقلت لو كان لى منعة لطرحته عن ظهر رسول الله ﷺ والنبى ﷺ ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق انسان فاخبر فاطمة رضى الله تعالى عنها فجاءت فطرحته عن ظهره ثم أقبلت عليهم فسبتهم فلما قضى ﷺ الصلاة رفع يديه فدعا عليهم فقال اللهم عليك بقريش ثلاث مرات فلما سمع القوم صوته ودعاءه ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته فقال اللهم عليك بابى جهل وعتبة وشيبة وربيعة والوليد وأمية بن خلف فقال على رضى الله تعالى عنه والذى بعث محمدا بالحق رأيت الذين سماهم صرعى يوم بدر وكان الصالحون يفرحون بالشدة لأجل غفران الذنوب لان فيها كفارة السيآت ورفع الدرجات وروى عن رسول الله ﷺ انه قال ثلاث من رزقهن فقد رزق خيرى الدنيا والآخرة الرضا بالقضاء والصبر على البلاء والدعاء فى الرخاء (وحكى) ان امرأة من بنى اسرائيل لم يكن لها الادجاجة فسرقها سارق فصبرت وردت أمرها الى الله تعالى ولم تدع عليه فلما ذبحها السارق ونتف ريشها نبت جميعه فى وجهه فسعى فى ازالته فلم يقدر على ذلك الى أن أتى حبرا من أحبار بنى اسرائيل فشكا له فقال لا أجد لك دواء الا أن تدعو عليك هذه المرأة فارسل اليها من قال لها أين دجاجتك فقالت سرقت فقال لقد آذاك من سرقها قالت قد فعل ولم تدع عليه قال وقد فجعك فى بيضها قالت هو كذلك فما زال بها حتى أثار الغضب منها فدعت عليه فتساقط الريش من وجهه فقيل لذلك الحبر من أين علمت ذلك قال لانها لما صبرت ولم تدع عليه انتصر الله لها فلما انتصرت لنفسها ودعت عليه سقط الريش من وجهه فالواجب على العبد أن يصبر على ما يصيبه من الشدة ويحمد الله تعالى ويعلم أن النصر مع الصبر وأن مع العسر يسرا وان المصائب والرزايا اذا توالت أعقبها الفرج والفرح عاجلا * ومن

والاعناق فالق النوى والحب فأرضع جنين النبت وأحياله أمهات العصف والاب وصافحته كفوف أحسن

أحسن ما قيل فى ذلك من المنظوم

واذا مسك الزمان بضر * عظمت دونه الخطوب وجلت * وأتت بعده نوائب أخرى
سئمت نفسك الحياة وملت * فاصطبر وانتظر بلوغ الأماني * فالرزايا إذا توالت تولت
واذا أوهنت قواك وجلت * كشفت عنك جملة وتخلت

(ولمحمد بن بشر الخارجي) ان الامور إذا استدت مسالكها * فالصبر يفتح منها كل مارتجا
لا تيأسن وان طالت مطالبه * إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

﴿ ولزهير بن أبي سلمى ﴾

ثلاث يعز الصبر عند حلولها * ويذهل عنها عقل كل لبيب
خروج اضطرار من بلاد يحبها * وفرقة اخوان وفقد حبيب

(وقال بعضهم) عليك باظهار التجلد للعدا * ولا تظهرن منك الذبول فتحقرا
أما تنظر الريحان يشمم ناضرا * ويطرح فى البيدا إذا ما تغيرا

(ولابن نباتة) صبرا على نوب الزما * ن وان أبى القلب الجزيع
فلكل شيء آخر * إما جميل أو قبيح

﴿وقال أبو الاسود وأجاد﴾ وان امرأ قد جرب الدهر لم يخف * تقلب عصريه لغير لبيب
وما الدهر والايام الا كما ترى * رزية مال أو فراق حبيب

ومن كلام الحكماء ما جوهد الهوى بمثل الرأي ولا استنبط الرأي بمثل المشورة ولا حفظت النعم بمثل المواساة ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر وما استنجحت الامور بمثل الصبر (وقال نهشل)

ويوم كأن المصطلين بحره * وان لم يكن نار قيام على الجمر
صبرنا له صبرا جميلا وانما * تفرج أبواب الكريهة بالصبر

﴿ وقال ابن طاهر ﴾

حذرتني وذا الحذر * ليس يغني من القدر ليس من يكتم الهوى * مثل من باح واشتهر
انما يعرف الهوى * من على مره صبر نفس يانفس فاصبري * فاز بالصبر من صبر

وكان يقال من تبصر تصبر وكان يقال ان نوائب الدهر لا تدفع الا بعزائم الصبر وكان يقال لا دواء لداء الدهر الا بالصبر ولله در القائل الدهر أدبني والصبر رباني * والقوت أقنعني واليأس أغناني
وحنكتني من الايام تجربة * حتى نهيت الذي قد كان ينهاني

﴿ وما أحسن ما قال محمود الوراق ﴾

انى رأيت الصبر خير معول * فى النائبات لمن أراد معولا * ورأيت أسباب القناعة أكدت
بعرى الغنى فجعلتها لى معقلا * فاذا نبا بى منزل جاوزته * وجعلت منه غيره لى منزلا
واذا غلا شيء على تركته * فيكون أرخص ما يكون إذا غلا

(وقال بعضهم) إذا ما أتاك الدهر يوما بنكبة * فافرغ لها صبرا ووسع لها صدرا
فان تصاريف الزمان عجيبة * فيوما ترى يسرا ويوما ترى عسرا

(وقال بعضهم) وما مسنى عسر ففوضت أمره * الى الملك الجبار الا تيسرا

(وما أحسن ما قيل) الدهر لا يبقى على حالة * لا بد أن يقبل أو يدبر
فان تلقاك بمكروهه * فاصبر فان الدهر لا يصبر

ونقل عن محمد بن الحسن رحمه الله تعالى قال كنت معتقلا بالكوفة فخرجت يوما من السجن مع بعض

الموز لختمها بخواتمه الحقيقية ولبس الورد تشريفه وقال أرجو أن تكون شوكتي فى أيامه قويه وسى الزهر بحلاوة لقائه مرارة النوى وهامت به مخدرات الاشجار فارخت ضفائر فروعها عليه من شدة الهوى واستوفى النبات ما كان له فى ذمة الرى من الديون ومازج الحوامض بحلاوته فهام الناس بالسكر والليمون وانجذب اليه الكباد وامتد ولكن قوى قوسه لما حظي منه بسهم لا يرد ولبس شربوش الاترج وترفع الى أن لبس بعده التاج وفتح منشور الارض لعلامته بسعة الرزق وقد نفذ أمره وراج فتناول مقالم الشنبر وعلم باقلامها ورسم لمحبوس كل سد بالافراج وسرح بطائق السفن فخفقت أجنحتها بخلق بشائره وأشار بأصابعه الى قتل المحل فبادر الخصب الى امتثال أوامره وحظي بالمعشوق وبلغ من كل منية مناه فلا سكن على البحر الا تحركسا كنه بعد ما تفقه واتقن باب المياه ومد شفاه أمواجه الى تقبيل فم الجسر وزاد بسرعته فاستحلى المصريون زائده على الفور ونزل فى بركة الحبش فدخل التكرور فى طاعته وحمل على الجهات البحرية فكسر المنصورة وعلا على الطويلة بشهامته وأظهر فى مسجد الخضر عين الحياة فاقر الله عينه وصار

الرجال وقد زادت همي وكادت نفسي أن تزهق وضاقت على الأرض بما رحبت واذا برجل عليه آثار العبادة قد أقبل على ورأى ما أنا فيه من الكآبة فقال ما حالك فاخبرته القصة فقال الصبر الصبر فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال الصبر ستر للكروب وعون على الخطوب وروى عن ابن عمه على رضي الله تعالى عنه أنه قال الصبر مطية لا تدبر وسيف لا يكل وأنا أقول

ما أحسن الصبر فى الدنيا وأجمله * عند الاله وأنجاه من الجزع

من شد بالصبر كفا عند مؤلمة * ألوت يداه بحبل غير منقطع

فقلت له بالله عليك زدني فقد وجدت بك راحة فقال ما يحضرني شيء عن النبي ﷺ ولكني أقول

أما والذى لا يعلم الغيب غيره * ومن ليس فى كل الامور له كفو

لئن كان بدء الصبر مراً مذاقه * لقد يجتنى من بعده الثمر الحلو

ثم ذهب فسألت عنه فما وجدت أحداً يعرفه ولا رآه أحد قبل ذلك فى الكوفة ثم أخرجت فى ذلك اليوم من السجن وقد حصل لى سرور عظيم بما سمعت منه وانتفعت به ووقع فى نفسي أنه من الابدال الصالحين قيضه الله تعالى لى يوقظني ويؤدبني ويسليني * وقيل ان رجلا كان يضرب بالسياط ويجلد جلدا بليغا ولم يتكلم ويصبر ولم يتأوه فوقف عليه بعض مشايخ الطريقة فقال له أما يؤلمك هذا الضرب الشديد فقال بلى قال لم لا تصيح فقال ان فى هذا القوم الذين وقفوا على صديقا لى يعتقد فى الشجاعة والجلادة وهو يرقبني بعينه فاخشى ان ضججت يذهب ماء وجهي عنده ويسوء ظنه بى فانا أصبر على شدة الضرب وأحتمله لأجل ذلك قال الشاعر

على قدر فضل المرء تأتى خطوبه * ويحمد منه الصبر مما يصيبه

فمن قل فيما يلتقيه اصطباره * لقد قل فيما يرتجيه نصيبه

وقال رسول الله ﷺ لعائشة رضى الله تعالى عنها يا عائشة ان الله تعالى لم يرض من أولى العزم من الرسل الا بالصبر ولم يكلفني الا ما كلفوا به فقال عز وجل فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل وانى والله لأصبرن كما صبروا فان النبي ﷺ لما صبر كما أمر أسفر وجه صبره عن ظفره ونصره وكذلك الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الذين هم أولو العزم لما صبروا ظفروا وانتصروا وقد اختلف أهل العلم فيهم على أقوال كثيرة فقال مقاتل رضى الله تعالى عنه هم نوح وابراهيم واسحق ويعقوب ويونس وأيوب صلوات الله عليهم وقال قتادة هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام ويقال ما الذى صبروا عليه حتى سماهم الله تعالى أولى العزم فأقول ذكر ما صبروا عليه (أما نوح عليه الصلاة والسلام) فقد قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان نوح عليه الصلاة والسلام يضرب ثم يلف فى لبد ويلقى فى بيته يرون أنه قد مات ثم يعود ويخرج الى قومه ويدعوهم الى الله تعالى ولما أيس منهم ومن ايمانهم جاءه رجل كبير يتوكأ على عصاه ومعه ابنه فقال لابنه يابني انظر الى هذا الشيخ واعرفه ولا يغرك فقال له ابنه يا أبت مكني من العصا فأخذها من أبيه وضرب بها نوحا عليه الصلاة والسلام شج بها رأسه وسال الدم على وجهه فقال رب قد ترى ما يفعل بى عبادك فان يكن لك فيهم حاجة فاهدهم والا فصبرني الى أن تحكم فأوحى الله تعالى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك قال يارب وما الفلك قال بيت من خشب يجرى على وجه الماء أنجى فيه أهل طاعتى وأغرق أهل معصيتى قال يارب وأين الماء قال أنا على كل شيء قدير قال يارب وأين الخشب قال اغرس الخشب فغرس الساج عشرين سنة وكف عن دعائهم وكفوا عن ضربه الا أنهم كانوا يستهزئون به فلما أدرك الشجر أمره ربه فقطعها

ركب عليه ونزل فى ساحله وأمست واوات دوائره على وجنات الدهر عاطفة وثقلت أرداف أمواجه على خصور الجوارى فاضطربت كالخائفة ومال شبق التخيل اليه فلثم ثغر طلعه وقبل سالفه وأمست سود الجوارى كالحسنات فى حمرة وجناته وكلما زاد زاده الله فى حسناته فلا فقير سد الا حصل له من فيض نعماه فتوح ولاميت خليج الاعاش به ودبت فيه الروح ولكنه احمرت عينه على الناس بزيادة وترفع فقال له المقياس عندى قبالة كل عين أصبع فنشر أعلام قلوعه وحمل وله على ذلك الخرير زمجره ورام أن يهجم على غير بلاده فبادر اليه عزم المؤيدى وكسره وقد أثر ذا المقر بهذه البشرى التى عم فضلها برا وبحرا وحدثناه عن البحر ولا حرج وشرحناه حالا وصدرا ليأخذ حظه من هذه البشارة البحرية بالزيادة الوافرة وينشق من طيبها نشرا فقد حملت له من طيبات ذلك النسيم أنفاسا عاطره والله تعالى يوصل بشائرنا الشريفة بسمعه الكريم ليصير بها فى كل وقت مشنفا ولا برح من نيلها المبارك وانعامنا الشريف على كلا الحالين فى وفا (قلت)

وجففها وقال يارب كيف أتخذ هذا البيت قال اجعله على ثلاث صور و بعث الله له جبريل فعلمه وأوحى الله تعالى اليه أن عجل بعمل السفينة فقد اشتد غضبي على من عصاني فلما فرغت السفينة جاء امر الله سبحانه وتعالى بانتصار نوح ونجاته واهلاك قومه وعذابهم الامن آمن معه وفار التنور وظهر الماء على وجه الأرض وقذفت السماء بأمطار كأفواه القرب حتى عظم الماء وصارت أمواجه كالجبال وعلا فوق أعلا جبل فى الأرض أربعين ذراعا وانتقم الله سبحانه وتعالى من الكافرين ونصر نبيه نوحا عليه الصلاة والسلام وفى تمام قصته وحديث السفينة كلام مبسوط لاهل التفسير ليس هذا موضع شرحه و بسطه فهذا زبدة صبر نوح عليه الصلاة والسلام وانتصاره على قومه (وأما ابراهيم) عليه الصلاة والسلام فانه لما كسر أصنام قومه التى كانوا يعبدونها لم يروا فى قتله ونصرة آلهتهم أبلغ من احراقه فأخذوه وحبسوه ببيت ثم بنوا حائزا كالحوش طول جداره ستون ذراعا إلى سفح جبل عال ونادى منادى ملكهم أن احتطبوا لاحراق ابراهيم ومن تخلف عن الاحتطاب أحرقه فلم يتخلف منهم أحد وفعلوا ذلك أربعين يوما ليلا ونهارا حتى كاد الحطب يساوى رؤس الجبال وسدوا أبواب ذلك الحائز وقذفوا فيه النار فارتفع لهبها حتى كان الطائر يمر بها فيحترق من شدة لهبها ثم بنوا بنيانا شامخا و بنوا فوقه منجنيقا ثم رفعوا ابراهيم على رأس البنيان فرفع ابراهيم عليه الصلاة والسلام طرفه إلى السماء ودعا الله تعالى وقال حسبي الله ونعم الوكيل وقيل كان عمره يومئذ ستة وعشرين سنة فنزل اليه جبريل عليه الصلاة والسلام وقال ابراهيم ألك حاجة قال أما اليك فلا فقال جبريل سل ربك فقال حسبي من سؤالى علمه بحالى فقال الله تعالى يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم فلما قذفوه فيها نزل معه جبريل عليه الصلاة والسلام فجلس به على الأرض وأخرج الله له ماء عذبا قال كعب ما أحرقت النار غير كتافه وأقام فى ذلك الموضع سبعة أيام وقيل أكثر من ذلك ونجاه الله تعالى ثم أهلك نمرود وقومه بأخس الأشياء وانتقم منهم وظفر ابراهيم عليه الصلاة والسلام بهم فهذه ثمرة صبره على مثل هذه الحالة العظمى ولم يجزع منها وصبر وفوض أمره إلى الله تعالى فى ذلك وتوكل عليه و وثق به ثم جاءته قصة ذبح ولده وأمره الله تعالى بذلك فقابل أمره بالتسليم والامتثال وسارع إلى ذبحه من غير اهمال ولا امهال وقصته مشهورة وتفاصيل القصة فى كتب التفسير مسطورة فلما ظهر صدقه ورضاه ومبادرته الى طاعة مولاه وصبره على ماقدره وقضاه عوضه الله تعالى عن ذبح ولده أن فداه واتخذه خليلا من بين خلقه واجتباه وأما الذبيح صلوات الله وسلامه عليه فانه صبر على بلية الذبح * وتلخيصها أن الله تعالى لما ابتلى ابراهيم عليه الصلاة والسلام بذبح ولده قال انى أريد أن أقرب قربانا فأخذ ولده والسكين والحبل وانطلق فلما دخل بين الجبال قال ابنه أين قربانك يا أبت قال ان الله تعالى قد أمرنى بذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين يا أبت اشدد وثاقى كى لا أضطرب واجمع ثيابك حتى لا يصل اليها رشاش الدم فتراه أمى فيشتد حزنها وأسرع امرار السكين على حلقى ليكون أهون للموت على واذا لقيت أمى فاقرأ السلام عليها فأقبل ابراهيم عليه الصلاة والسلام على ولده يقبله و يبكى و يقول نعم العون أنت يا بنى على ما أمر الله تعالى قال مجاهد لما أمر السكين على حلقه انقلبت السكين فقال يا أبت اطعن بها طعنا وقال السدى جعل الله حلقه كصفيحة من نحاس لا تعمل فيها السكين شيئا فلما ظهر فيهما صدق التسليم نودى أن يا ابراهيم هذا فداء ابنك فأتاه جبريل عليه السلام بكبش أملح فأخذه وأطلق ولده وذبح الكبش فلا جرم ان جعل الذبيح نبيا بصبره وامتثاله لامره (وأما يعقوب عليه الصلاة والسلام) فانه لما ابتلى بفراق ولده وذهاب

تقدم قولي ان الشيء بالشيء يذكر وقد ذكرت بوصف النيل المبارك هنا رسالتى البحرية التى كتبت بها إلى علامة عصرنا الشيخ بدر الدين الدمامينى فسح الله فى أجله من القاهرة المحروسة الى ثغر الاسكندرية المحروسة عند دخولى اليها من ثغر طرابلس الشام وقد عضت على أنياب الحرب بثغرها شائبا من أهوال برها و بحرها وذلك فى منتصف ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانمائة (وهى) يقبل الأرض التى سقى دوحها بنزول الغيث فأثمر الفواكه البدرية وطلع بدر كمالها من المغرب فسلمنا لمعجزاتها المحمدية وجرى لسان البلاغة فى ثغرها فيما على العقد بنظمه المستجاد وأنشد وقد ابتسم عن محاسنه التى لم يخلق مثلها فى البلاد

لقد حسنت بك الأيام حتى
كأنك فى فم الدهر ابتسام

فأكرم به مورد فضل مابرح منهله العذب كثير الزحام ومدينة علم تشرفت بالجناب المحمدى فعلى ساكنها السلام ومجلس حكم ماثبت للباطل به حجة وعرفات أدب ان وقفت بها وقفة كنت على الحقيقة ابن حجة وأفق معال بالغ فى سمو بدره فلم يقنع بدون النجوم ووعيدان عرشه تجول به فرسان الفصاحة من بنى مخزوم وتالله ما الفرسان الشعراء

وإلا بقي في هـذا الميدان مجال وإذا اعترفوا بما حصل للفارس المخزومي عنـدهم من الفتح كفى الله المؤمنين

القتال ونهى بعد أدعية ما برح المملوك منتصبا لرفعها وثغر ثلاثية ما لسجع المطوق في الأوراق النباتية حلاوة سجعها وأشواق برحت بالمملوك ولكن تمسك في مصر بالآثار

وأبرح ما يكون الدهر يوما إذا دنت الديار من الديار

وصول المملوك إلى مصر محتميا بكنانتها وهو بسهام البين مصاب مذعور لما شاهده من المصارع عند مقابلة الفرسان في منازل الأحباب مكاما من ثغر طرابلس الشام بأسنة الرماح محمولا على جناح غراب وقد حكم عليه البين أن لا يبرح من سفره على جناح

وكان في البين ما كفاني فكيف بالبين والغراب

(يامولانا) لقد قرعت من هـذا الثغر بأصابع السهام وقلع منه ضرس الامن ولم يبق له بعـد ما شعر به البين نظام وكشرت الحرب في ثناياه عن أنياب واقتلعنا منه مع أنهم لم يتركوا لنا فيه ثنية ولا ناب وأمست شهب الرماح قافية على آثارنا والسابق السابق منا الجواد ولزمت الروى من دمائنا لئلا يظهر لقافيتها عند نظم الحرب سناد وفسد انسجام تلك الابيات

بصره واشتداد حزنه قال فصبر جميل وكذلك يوسف صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لما ابتلاه الله تعالى بالقائه في ظلمة الجب وبيعه كأتباع العبيد وفراقه لأبيه وإدخاله السجن وحبسه فيه بضع سنين وأنه تلقى ذلك كله بصبره وقبوله فلاجرم أورثهما صبرهما جمع شملهما واتساع القدرة بالملك في الدنيا مع ملك النبوة في الآخرة (وأما أيوب عليه الصلاة والسلام) فإنه ابتلاه الله تعالى بهلاك أهله وماله وتتابع المرض الزمن والسقم المهلك حتى أفضى أمره إلى ما تضعف القوى البشرية عن حمله * ولنذكر شيئا مختصرا من ذلك وهو أن ملكا من ملوك بني اسرائيل كان يظلم الناس فنهاه جماعة من الأنبياء عن الظلم وسكت عنه أيوب عليه الصلاة والسلام فلم يكلمه ولم ينهه لأجل خيل كانت له في مملكته فأوحى الله تعالى إلى أيوب عليه الصلاة والسلام تركت نهيه عن الظلم لأجل خيلك لأطيلن بلاءك فقال ابليس لعنه الله يارب سلطني على أولاده وماله فسلطه فبثا بليس مردته من الشياطين فبعث بعضهم إلى دوابه ورعاتها فاحتملوها جميعا وقذفوها في البحر وبعث بعضهم إلى زرعه وجناته فأحرقوها وبعث بعضهم إلى منازله وفيها أولاده وكانوا ثلاثة عشر ولدا وخدمه وأهله فزلزلوها فهلكوا ثم جاء ابليس إلى أيوب عليه الصلاة والسلام وهو يصلي فتمثل له في صورة رجل من غلمانه فقال يا أيوب أنت تصلي ودوابك ورعاتك قد ذهبت عليها ريح عظيمة وقذفت الجميع في البحر وأحرقت زرعك وهدمت منازلك على أولادك وأهلك فهلك الجميع ما هذه الصلاة فالتفت اليه وقال الحمد لله الذي أعطاني ذلك كله ثم قبله مني ثم قام إلى صلاته فرجع ابليس ثانيا فقال يارب سلطني على جسده فسلطه فنفخ في ابهام رجله فانتفخ ولازال يسقط لحمه من شدة البلاء إلى أن بقي أمعاؤه تبين وهو مع ذلك كله صابر محتسب مفوض أمره إلى الله تعالى وكان الناس قد هجروه واستقذروه وألقوه خارجا عن البيوت من نتن ريحه وكانت زوجته رحمة بنت يوسف الصديق قد سلمت فترددت اليه متفقدة فجاءها ابليس يوما في صورة شيخ ومعه سخلة وقال لها يذبح أيوب هذه السخلة على اسمي فيبرأ فجاءته فأخبرته فقال لها ان شفاني الله تعالى لأجلدنك مائة جلدة تأمريني أن أذبح لغير الله تعالى فطردها عنه فذهبت وبقي ليس له من يقوم به فلما رأى أنه لا طعام له ولا شراب ولا أحد من الناس يتفقده خر ساجدا لله تعالى وقال رب اني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فلما علم الله تعالى منه ثباته على هذه البلوى طول هذه المدة وهي على ما قيل ثمان عشرة سنة وقيل غير ذلك وانه تلقى جميع ذلك بالقبول وما شكا إلى مخلوق ما نزل به عاد الله تعالى بألطافه عليه فقال تعالى فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وأفاض عليه من نعمه ما أنساه بلوى نقمه ومنحه من أقسام كرمه أن أفتاه في يمينه تحلة قسمه ومدحه في نص الكتاب فقال تعالى وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب فلو لم يكن الصبر من أعلى المراتب وأسنى المواهب لما أمر الله تعالى به رسله ذوي الحزم وسماهم بسبب صبرهم أولي العزم وفتح لهم بصبرهم أبواب مرادهم وسؤالهم ومنحهم من لدنه غاية أمرهم ومأمولهم ومرامهم فما أسعد من اهتدى بهداهم واقتدى بهم وإن قصر عن مداهم * وقيل العسر يعقبه اليسر والشدة يعقبها الرخاء والتعب يعقبه الراحة والضيق يعقبه السعة والصبر يعقبه الفرج وعند تناهي الشدة تنزل الرحمة والموفق من رزقه صبرا وأجرا والشقي من ساق القدر إليه جزعا ووزرا (ومما) شنف السمع من نجح هذه الاشارة وأتحف النفع في نهج هـذه العبارة ما روي عن الحسن البصري رضي الله تعالى عنه قال كنت بواسط فرأيت رجلا كأنه قد نبش من قبر فقلت ما دهاك ياهذا فقال أكتم على أمري حبسني الحجاج منـذ ثلاث سنين فكنت في أضيق حال وأسوأ عيش وأقبح مكان وأنا مع ذلك كله صابر لا أتكلم فلما كان بالأمس أخرجت جماعة كانوا

معى فضربت رقابهم وتحدث بعض أعوان السجن أن غدا تضرب عنقى فأخذنى حزن شديد و بكاء مفرط وأجرى الله تعالى على لسانى فقلت إلهى اشتد الضر وفقد الصبر وأنت المستعان ثم ذهب من الليل أكثره فأخذتنى غشية وأنا بين اليقظان والنائم اذ أتانى آت فقال لى قم فصل ركعتين وقل يامن لا يشغله شئ عن شئ يامن أحاط علمه بما ذرأ و برأ وأنت عالم بخفيات الأمور ومحصى وساوس الصدور وأنت بالمنزل الاعلى وعلمك محيط بالمنزل الادنى تعاليت علوا كبيرا يامغيث أغثنى وفك أسرى واكشف ضرى فقد نفد صبرى فقمت وتوضأت فى الحال وصليت ركعتين وتلوت ماسمعته منه ولم تختلف على منه كلمة واحدة فما تم القول حتى سقط القيد من رجلى و نظرت الى أبواب السجن فرأيتها قد فتحت فقمت فخرجت ولم يعارضنى أحد فأنا والله طليق الرحمن وأعقبنى الله بصبرى فرجا وجعل لى من ذلك الضيق مخرجا ثم ودعنى وانصرف يقصد الحجاز * وفيما يروى عن الله تعالى أنه أوحى الى داود عليه الصلاة والسلام يا داود من صبر علينا وصل الينا وقال بعض الرواة دخلت مدينة يقال لها دقار فبينما أنا أطوف فى خرابها اذ رأيت مكتوبا بباب قصر خرب بماء الذهب واللازورد هذه الابيات

يامن ألح عليه الهم والفكر * وغيرت حاله الايام والغير
أما سمعت لما قد قيل فى مثل * عندالاياس فاين الله والقدر
ثم الخطوب اذا أحداثها طرقت * فاصبر فقد فاز أقوام بما صبروا
وكل ضيق سيأتى بعده سعة * وكل فوت وشيك بعده الظفر

(ولما) حبس أبو أيوب فى السجن خمس عشرة سنة ضاقت حيلته وقل صبره فكتب الى بعض اخوانه يشكو اليه طول حبسه وقلة صبره فرد عليه جواب رقعته يقول

صبراً أبا أيوب صبر مبرح * واذا عجزت عن الخطوب فمن لها * ان الذى عقد الذى انعقدت به عقد المكاره فيك يملك حلها * صبرا فان الصبر يعقب راحة * ولعلها أن تنجلى ولعلها

فأجابه أبو أيوب يقول

صبرتنى و وعظتنى وأنا لهـا * وستنجلى بل لا أقول لعلها
و يحلها من كان صاحب عقدها * كرما به اذ كان يملك حلها

فما لبث بعد ذلك أياما حتى أطلق مكرما (وأنشدوا)

اذا بليت فثق بالله وارض به * ان الذى يكشف البلوى هو الله * اليأس يقطع أحيانا بصاحبه لا تيأسن فان الصانع الله * اذا قضى الله فاستسلم لقدرته * فما ترى حيلة فيما قضى الله

﴿ الفصل الثالث من هذا الباب فى التأسى فى الشدة والتسلى عن نوائب الدهر ﴾ قال الثورى رحمه الله تعالى لم يفقه عندنا من لم يعد البلاء نعمة والرخاء مصيبة وقيل الهموم التى تعرض للقلوب كفارات للذنوب * وسمع حكيم رجلا يقول لآخر لا أراك الله مكروها فقال كأنك دعوت عليه بالموت فان صاحب الدنيا لا بدله أن يرى مكروها وتقول العرب ويل أهون من ويلين وقال ابن عيينة الدنيا كلها غموم فما كان فيها من سرور فهو ربح وقال العتبى اذا تناهى الغم انقطع الدمع بدليل أنك لا ترى مضروبا بالسياط ولا مقدما لضرب العنق يبكى (وقيل) تزوج مغن بنائحة فسمعها تقول اللهم أوسع لنا فى الرزق فقال لها ياهذه انما الدنيا فرح وحزن وقد أخذنا بطرفى ذلك فان كان فرح دعونى وان كان حزن دعوك * وقال وهب بن منبه اذا سلك بك طريق البلاء سلك بك طريق الانبياء وقال مطرف ما نزل بى مكروه قط فاستعظمته الا ذكرت ذنوبى فاستصغرته * وعن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه يرفعه يود أهل العافية يوم القيامة أن لحومهم كانت تقرض بالمقاريض لما يرون من ثواب

ونفذ حكم القضاء وكم جرح خصم السيف فى ذلك اليوم شهودا واتصل الحكم بقضاء القضاة فلم يسلم منهم الا من كان مسعودا ووقع غالبنا فى القبض من عروض حربهم الطويل وتبدلت محاسن طرابلس الشام بالوحشة فلم نفارقها على وجه جميل وتالله لم يدخلها المملوك فى هذه الواقعة الا مكرها لا بطل وكم قلت لسارية العزم لما كشف لى عن مضيق سهلها ياسارية الجبل ولم يطلق المملوك عروس حماته الاجبرا أظهر وابه كسره والعلوم الكريمة محيطة كيف يكون طلاق المكره (يامولانا)

بوادى حماة الشام من أيمن الشط
وحقك تطوى شقة الهم بالبسط
بلاد إذا ماذقت كوثر مائها
أهيم كأنى قد ثملت باسفنط
ومن يجتهد فى أن بالارض بقعة
تشاكلها قل أنت مجتهد مخطى
وصوب حديثى ماؤها وهواؤها
فان أحاديث الصحيحين ماتخطى
بمعصمها ان دار ملوى سوارها فما الشام بالخلخال أو مصر بالقرط
تنظم بالشطين در ثمارها عقودا لها العاصى رأيناه كالسمط

الله تعالى لأهل البلاء وروى أبو عتبة عن النبي ﷺ قال اذا أحب الله عبدا ابتلاه فاذا أحبه الحب البالغ اقتناه قالوا وما اقتناؤه قال لا يترك له مالا ولا ولدا * ومر موسى عليه الصلاة والسلام برجل كان يعرفه مطيعا لله عز وجل قد مزقت السباع لحمه وأضلاعه وكبده ملقاة على الأرض فوقف متعجبا فقال أي رب عبدك ابتليته بما أرى فأوحى الله تعالى اليه انه سألني درجة لم يبلغها بعمله فأحببت أن أبتليه لأبلغه تلك الدرجة * وكان عروة بن الزبير صبورا حين ابتلى حكي أنه خرج إلى الوليد ابن يزيد فوطىء عظما فما بلغ إلى دمشق حتى بلغ به كل مذهب فجمع له الوليد الأطباء فأجمع رأيهم على قطع رجله فقالوا له اشرب مرقدا فقال ما أحب أن أغفل عن ذكر الله تعالى فأحمى له المنشار وقطعت رجله فقال ضعوها بين يدي ولم يتوجع ثم قال لئن كنت ابتليت في عضو فقد عوفيت في أعضاء فبينما هو كذلك اذ أتاه خبر ولده أنه اطلع من سطح على دواب الوليد فسقط بينها فمات فقال الحمد لله على كل حال لئن أخذت واحدا لقد أبقيت جماعة * وقدم على الوليد وفد من عبس فيهم شيخ ضرير فسأله عن حاله وسبب ذهاب بصره فقال خرجت مع رفقة مسافرين ومعي مالي وعيالي ولا أعلم عبسيا يزيد ماله على مالي فعرسنا في بطن واد فطرقنا سيل فذهب ما كان لي من أهل ومال وولد غير صبي صغير وبعير فشرد البعير فوضعت الصغير على الأرض ومضيت لآخذ البعير فسمعت صيحة الصغير فرجعت اليه فاذا رأس الذئب في بطنه وهو يأكل فيه فرجعت إلى البعير فحطم وجهي برجليه فذهبت عيناي فأصبحت بلا عينين ولا ولد ولا مال ولا أهل فقال الوليد اذهبوا به الى عروة ليعلم أن في الدنيا من هو أعظم مصيبة منه * وقيل الحوادث الممضة مكسبة لحظوظ جليلة إما ثواب مدخر أو تطهير من ذنب أو تنبيه من غفلة أو تعريف لقدر النعمة قال البحتري يسلي محمد بن يوسف على حبسه

وما هذه الأيام الا منازل * فمن منزل رحب الى منزل ضنك * وقد دهمتك الحادثات وانما صفا الذهب الابريز قبلك بالسبك * أما في نبي الله يوسف أسوة * لمثلك محبوس عن الظلم والافك

أقام جميل الصبر في السجن برهة * فآل به الصبر الجميل إلى الملك

﴿ وقال علي بن الجهم لما حبسه المتوكل ﴾

قالوا حبست فقلت ليس بضائري * حبسي وأي مهند لا يغمد * والشمس لولا أنها محجوبة عن ناظريك لما أضاء الفرقد * والنار في أحجارها مخبوءة * لا تصطلى ان لم تثرها الازند والحبس مالم تغشه لدنيـة * شنعاء نعم المنزل المتودد * بيت يجدد للكريم كرامة ويزار فيـه ولا يزور ويحمد * لو لم يكن في الحبس إلا أنه * لا تستذلك بالحجاب الاعبد غر الليـالي باديات عود * والمال عارية يعار وينفد * ولـكل حي معقب ولربما أجلى لك المكروه عما يحمد * لا يؤيسنك من تفرج نكبة * خطب رماك به الزمان الأنكد

كم من عليل قد تخطاه الردى * فنجا ومات طبيبه أو العود

صبرا فان اليوم يعقبه غد * ويد الخلافة لا تطاولها يد

قال وأنشد اسحق الموصلي وابراهيم بن المهدي حين حبس

هي المقادير تجري في أعنتها * فاصبر فليس لها صبر على حال

يوما تريك خسيس الأصل ترفعه * الى العلاء ويوما تخفض العالي

فما أمسى حتى وردت عليه الخلع السنية من المأمون ورضي عنه وقال ابراهيم بن عيسى الكاتب في ابراهيم بن المدني حين عزل

وراح ينقش النبت يمشي على بسط * لو يننا خلاخيل النواعير فالتوت * وأبدت لنا دوراعلى ساقط السبط سقى سفحها ان قل دمعي سحابة مطنبة بالدمع منهلة النقط

ويا أسطر النبت التي قد تسلسلت * بصفحتها الازلت واضحة الخط * ولازال ذاك الخط بالطل معجما ومن شكل أنواع الأزاهر في ضبط

لو بت عناني في حماها عن اللوى وهمت بها لا بالمحصب والسقط ولذعناق الفقر لي بفنائها وفي غيرها لم أرض بالملك والرهط

منازل أحبابي ومنبت شعبتي وأوطان أوطاري بها ورضا سخطي نعمت بها دهرا ولكن سلبته برغمي وهـذا الدهر يسلب ما يعطي وقد جاء شرط البين اني أغيب عن حماها لقد أوفى فؤادي بالشرط وحط على الدهر عمدا وشالني إلى غيرها صبرا على الشيل والحط

وسبحة جمع الشمل كانت لنا بها منظمة لكن قضى الدهر بالفرط أمثل شوقا شكلها في ضمائري

ليهن أبا أسحق أسباب نعمة * مجددة بالعزل والعزل أنبل
شهدت لقد منوا عليك وأحسنوا * لانك يوم العزل أعلى وأفضل

(وقال آخر) قدزاد ملك سلمان فعاوده * والشمس تنحط في المجرى وترتفع

وقال أبو بكر الخوارزمي لمعزول الحمد لله الذي ابتلى في الصغير وهو المال وعافى في الكبير وهو الحال

ولاعار إن زالت عن الحر نعمة * ولكن عاراً أن يزول التجمل

وقيل المال حظ ينقص ثم يزيد وظل ينحسر ثم يعود * وسئل بزرجمهر عن حاله في نكبته فقال عولت على أربعة أشياء أولها أني قلت القضاء والقدر لابد من جريانهما الثاني أني قلت ان لم أصبر فما أصنع الثالث أني قلت قد كان يجوز أن يكون أعظم من هذا الرابع أني قلت لعل الفرج قريب والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب السابع والخمسون ماجاء في اليسر بعد العسر والفرج بعد الشدة والفرح والسرور ونحو ذلك مما يتعلق بهذا الباب﴾

(فمما) يليق بهذا الباب من كتاب الله عز وجل قوله تعالى سيجعل الله بعد عسر يسراً وقوله تعالى وهو الذي ينزل الغيث من بعد ماقنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد وقوله تعالى حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ويروى عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال لوكان العسر في جحر لدخل عليه اليسر حتى يخرجه وقال عليه الصلاة والسلام عند تناهي الشدة يكون الفرج وعند تضايق البلاء يكون الرخاء وقال علي رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أفضل عبادة أمتي انتظارها فرج الله تعالى وقال الحسن لما نزل قوله تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا قال النبي ﷺ أبشروا فلن يغلب عسر يسرين ومن كلام الحكماء ان تيقنت لم يبق هم وقال أبو حاتم

إذا اشتملت على البؤس القلوب * وضاقت بما به الصدر الرحيب * وأوطنت المكاره واطمأنت وأرست في مكامنها الخطوب * ولم ترلانكشاف الضر وجها * ولا أغنى بحيلته الأريب

أتاك على قنوط منك غوث * يمن به اللطيف المستجيب

(وقال آخر) عسى الهم الذي أمسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب
فيأمن خائف ويغاث عان * ويأتي أهله النائي الغريب

(وقال آخر) تصبر أيها العبد اللبيب * لعلك بعد صبرك ماتخيب
وكل الحادثات إذا تناهت * يكون وراءها فرج قريب

(وقال ابراهيم بن العباس)

ولرب نازلة يضيق بها الفتى * ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها * فرجت وكان يظنها لا تفرج

(وقال آخر) لئن صدع البين المشتت شملنا * فللبين حكم في الجموع صدوع
وللنجم من بعد الرجوع استقامة * وللشمس من بعد الغروب طلوع
وان نعمة زالت عن الحر وانقضت * فان لها بعد الزوال رجوع
فكن واثقا بالله واصبر لحكمه * فان زوال الشر عنك سريع

﴿ولنذكر نبذة ممن حصل له الفرج بعد الشدة﴾

روى أن الوليد بن عبد الملك كتب إلى صالح بن عبد الله عامله على المدينة المنورة أن أخرج

فتتبع عيني ذلك الشكل بالنقط وقد سار يمشي الهم نحوى بسرعة فياليته لوكان في مشيه يبطي واصبح نظمي راجعا بي الى ورا كأني في الديوان أكتب بالقبطي (ياهولانا) وأبثك مالقيت من أهوال هذا البحر وأحدث عنه ولا حرج فكم وقع المملوك من أعار يضه في زحاف تقطع منه القلب لما دخل الى دوائر اللج وشاهدت منه سلطانا جائرا يأخذ كل سفينة غصبا ونظرت الى الجواري الحسان وقد رمت أزرقلوعها وهي بين يديه لقلة رجالها تسبي فتحققت أن رأى من جاء يسعى في الفلك جا ساغير صائب واستصوبت هنا رأى من جاء يمشي وهو راكب وزاد الظمأ بالمملوك وقد اتخذ بالبحر سبيلا وكم قلت من شدة الظمأ ياترى قبل الحفرة هل أطوى من البحر هذه الشقة الطويلة

وهل أباكر بحر النيل منشرحا
وأشرب الحلو من أكواب ملاح

بحر تلاطمت علينا أمواجه حين متنا من الخوف وحملنا على نعش الغراب وقامت واوات دوائره مقامع فنصبتنا للغرق لما استوت المياه والاخشاب وقارن العبد فيه سوداء استرقت موالينا وهي جارية وغشيهم منها ماغشيهم فهل أتاك حديث الغاشية واقمها الحرب فحملت بنا ودخلها الماء فجاءها المخاض وانشق قلبها نفقد رجالها

الحسن بن الحسن بن على من السجن وكان محبوسا وأضربه فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس مائة صوت فأخرجه الى المسجد واجتمع الناس وصعد صالح يقرأ عليهم الكتاب ثم نزل يأمر بضربه فبينما هو يقرأ الكتاب إذ جاء على بن الحسين عليه السلام فافرج له الناس حتى أتى الى جنب الحسن فقال يا ابن العم مالك ادع الله تعالى بدعاء الكرب يفرج الله عنك قال ماهو يا ابن العم فقال لا اله الا الله الحليم الكريم لا اله الا الله العلى العظيم سبحان رب السموات السبع ورب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين ثم انصرف عنه وأقبل الحسن يكررها فلما فرغ صالح من قراءة الكتاب ونزل قال أراه فى سجنه مظلوما أخروه وأنا أراجع أمير المؤمنين فى أمره فاطلق بعد أيام وأتاه الفرج من عند الله * وقال الربيع لما حبس المهدى موسى بن جعفر رأى فى المنام عليا رضى الله تعالى عنه وهو يقول يا محمد فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم قال الربيع فأرسل المهدى الى ليلا فراعنى ذلك فجئته فاذا هو يقرأ هذه الآية وكان حسن الصوت فقص على الرؤيا ثم قال ائتنى بموسى بن جعفر فجئته به فعانقه وأجلسه الى جانبه وقال يا أبا الحسن رأيت أمير المؤمنين يقرأ على كذا فعاهدنى أن لا تخرج على ولا على أحد من ولدى فقال والله ماذاك من شأنى فقال صدقت ثم قال يا ربيع اعطه ثلاثة آلاف دينار ورده الى أهله بالمدينة قال الربيع فاحكمت أمره ليلا فما أصبح الا على الطريق وقال اسمعيل بن بشار

وكل حر وان طالت بليته * يوما تفرج غمّاه وتنكشف

(وقال) مسلم بن الوليد كنت يوما جالسا عند خياط بازاء منزلى فمر بى انسان أعرفه فقمت اليه وسلمت عليه وجئت به الى منزلى لاضيفه وليس معى درهم بل كان عندى زوج أخفاف فارسلتهما مع جاريتى لبعض معارفه فباعهما بتسعة دراهم واشترى بها ماقلته لها من الخبز واللحم فجلسنا نأكل واذا بالباب يطرق فنظرت من شق الباب واذا بانسان يسأل هذا منزل فلان ففتحت الباب وخرجت فقال أنت مسلم بن الوليد قلت نعم واستشهدت له بالخياط على ذلك فاخرج لى كتابا وقال هذا من الامير يزيد بن مزيد فاذا فيه قد بعثنا لك بعشرة آلاف درهم لتكون فى منزلك وثلاثة آلاف درهم تتجمل بها لقدومك علينا فادخلته الى دارى وزدت فى الطعام واشتريت فاكهة وجلسنا فاكلنا ثم وهبت لضيفى شيئا يشترى به هدية لاهله وتوجهنا الى باب يزيد بالرقة فوجدناه فى الحمام فلما خرج استؤذن لى عليه فدخلت فاذا هو جالس على كرسى وبيده مشط يسرح به لحيته فسلمت عليه فرد أحسن رد وقال ما الذى أقعدك عنا قلت قلة ذات اليد فأنشدته قصيدة مدحته بها قال أتدرى لم أحضرتك قلت لا أدرى قال كنت عند الرشيد منذ ليال أحادثه فقال لى يا يزيد من القائل فيك هذه الابيات

سل الخليفة سيفا من بنى مضر * يمضى فيخترق الاجسام والهاما

كالدهر لا ينثنى عما يهم به * قد أوسع الناس انعاما وارغاما

فقلت والله لا أدرى يا أمير المؤمنين فقال سبحان الله أيقال فيك مثل هذا ولا تدرى من قاله فسألت فقيل لى هو مسلم بن الوليد فأرسلت اليك فانهض بنا الى الرشيد فسرنا اليه واستؤذن لنا فدخلنا عليه فقبلت الارض وسلمت فرد على السلام فأنشدته مالى فيه من شعر فأمر لى بمائتى ألف درهم وأمر لى يزيد بمائة وتسعين ألف درهم وقال ما ينبغى لى أن أساوى أمير المؤمنين فى العطاء فانظر الى هذا التيسير الجسيم بعد العسر العظيم وما احسن ما قيل

الأمن والخوف أياما مداولة * بين الانام وبعد الضيق تتسع

وجرى ماجرى على ذلك القلب وفاض وتوشحت بالسواد فى هذا الماء ثم سارت على البحر وهى مثل وكم سمع المغاربة على ذلك التوشيح زجل بحر ما بى ولكن تعرب فى رفعها وخفضها عن النمر والحوت وتتشامخ كالجبال وهى خشب مسندة من تبطنها عد من المتصبرين فى تابوت تأتى بالطباق ولكن بالقلوب لأن صغيرها كبير وبياضها سواد وتمشى على الماء وتطير مع الهواء وصلاحها عين الفساد ان نقر الموج على دفوفها لعبت أنامل قلوعها بالعود ورقص على آلتها الحدباء فنقوم قيامتنا من هذا الرقص الخارج ونحن قعود نتشاءم وهى كما قيل أنف فى السماء واست فى الماء وكم نطيل الشكوى الى قامة صار بها عند الميل وهى الصعدة الصماء فيها الهدى وليس لها عقل ولا دين وتتصابى إذا هبت الصبا وهى بنت أربعمائة وثمانين وتوقف أحوال القوم وهى تجرى بهم فى موج كالجبال وتدعى براءة الذمة وكم استغرقت لهم من أموال هذا وكم ضعف نحيل خصرها عن تثاقل أرداف الامواج وكم وجلت القلوب لما صار لاهداب مجاديفها فى مقلة البحر اختلاج وكم أسبلت على وجنته طرة قلعها فبالغ الريح فى تشويشها وكم مر على قريتها العامرة فتركها وهى خاوية على عروشها تتعاظم فتهزل

الى أن ترى ضلوعها من السقم تعد ولقد رأيناها بعد ذلك قد تبت وهي حمالة الحطب في جيدها حبل من

(ولما) وجه سليمان بن عبد الملك محمد بن يزيد الى العراق ليطلق أهل السجون ويقسم الأموال ضيق على يزيد بن أبي مسلم فلما ولي يزيد بن عبد الملك الخلافة ولى يزيد بن أبي مسلم أفريقية وكان محمد بن يزيد واليا عليها فاستخفى محمد بن يزيد فطلبه يزيد بن أبي مسلم وشدد في طلبه فأتى به إليه في شهر رمضان عند المغرب وكان في يد يزيد بن أبي مسلم عنقود عنب فقال لمحمد بن يزيد حين رآه يا محمد بن يزيد قال نعم قال طالما سألت الله أن يمكنني منك فقال وأنا والله طالما سألت الله أن يجيرني منك فقال والله ما أجارك ولا أعاذك وان سبقني ملك الموت الى قبض روحك سبقته والله لا آكل هذه الحبة العنب حتى أقتلك ثم أمر به فكتف ووضع في النطع وقام السياف فأقيمت الصلاة فوضع العنقود من يده وتقدم ليصلي وكان أهل أفريقية قد أجمعوا على قتله فلما رفع رأسه ضربه رجل بعمود على رأسه فقتله وقيل لمحمد بن يزيد اذهب حيث شئت فسبحان من قتل الامير وفك الأسير (قال) اسحق بن ابراهيم الموصلي رأيت رسول الله ﷺ في النوم وهو يقول اطلق القاتل فارتعت لذلك ودعوت بالشموع ونظرت في أوراق السجن واذا ورقة انسان ادعى عليه بالقتل وأقر به فأمرت باحضاره فلما رأيته وقد ارتاع فقلت له إن صدقتني أطلقتك فحدثني أنه كان هو وجماعة من أصحابه يرتكبون كل عظيمة وان عجوزاً جاءت لهم بامرأة فلما صارت عندهم صاحت الله الله وغشي عليها فلما أفاقت قالت أنشدك الله في أمري فان هذه العجوز غرتني وقالت ان في هذه الدار نساء صالحات وأنا شريفة جدي رسول الله ﷺ وأمي فاطمة وأبي الحسين بن علي فاحفظوهم في فقمت دونها وناضلت عنها فاشتد علي واحد من الجماعة وقال لا بد منها وقاتلني فقتلته وخلصت الجارية من يده فقالت سترك الله كما سترتني وسمع الجيران الصيحة فدخلوا علينا فوجدوا الرجل مقتولا والسكين بيدي فأمسكوني وأتوا بي إليك وهذا أمري فقال اسحق قد وهبتك لله ولرسوله فقال وحق الذين وهبتني لهما لا أعود إلى معصية أبداً وأمر الحجاج باحضار رجل من السجن فلما حضر أمر بضرب عنقه فقال أيها الأمير أخرني الى غد قال وأي فرج لك في تأخير يوم واحد ثم أمر برده الى السجن فسمعه الحجاج وهو راجع الى السجن يقول

عسى فرج يأتي به الله انه * له كل يوم في خليقته أمر

فقال الحجاج والله ما أخذه الا من كتاب الله وهو قوله تعالى كل يوم هو في شأن وأمر باطلاقه (وقال) بعض جلساء المعتمد كنا بين يديه ليلة فخفق رأسه بالنعاس فقال لا تبرحوا حتى أغفي سويعة فغفا ساعة ثم أفاق جزعا مرعوبا وقال امضوا الى السجن وائتوني بمنصور الجمال فجاؤا به فقال له كم لك في السجن قال سنة ونصف قال على ماذا قال أنا جمال من أهل الموصل وضاق علي الكسب ببلدي فأخذت جملي وتوجهت الى بلد غير بلدي لأعمل عليه فوجدت جماعة من الجند قد ظفروا بقوم غير مستقيمي الحال وهم مقدار عشرة أنفس وجدوهم يقطعون الطريق فدفع واحد منهم شيئا للاعوان فأطلقوه وأمسكوني عوضه وأخذوا جملي فناشدتهم الله فأبوا وسجنت أنا والقوم فأطلق بعضهم ومات بعضهم وبقيت أنا فدفع له المعتمد خمسمائة دينار وأجرى له ثلاثين ديناراً في كل شهر وقال اجعلوه على جمالنا ثم قال أتدرون ما سبب فعلي هذا قلنا لا قال رأيت رسول الله ﷺ وهو يقول اطلق منصورا الجمال من السجن وأحسن إليه * وأخذ الطاعون أهل بيت فسد بابه ففضل فيه طفل يرضع لم يشعر به أحد ففتح الباب بعد شهر فوجدوا الطفل قد عطف الله عليه كلبة ترضعه مع جرو لها فسبحان

مسد وخلص المملوك من كدر المالح الى النيل المبارك فوجده من أهل الصفا واخوان الوفا وتنصل من ذلك العدو الازرق ذي الباطن الكدر وجمع من عذوبة النيل ونضارة شطوطه بين عين الحياة والخضر وتلا لسان الحال على المملوك وأصحابه ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين وقضي الأمر وقيل بعداً للقوم الظالمين (وبعد) فان المملوك يسأل الاقالة من عثرات هذه الرسالة فقد علم الله أنها صدرت من فكر تركه البين مشتتا وأعضاء مع كثرة بردها قد خرجت من البحر عارية في فصل الشتا وليستر عوراتها بستائر الحلم وينظر اليها من الرحمة بعين وليكن ضربها بسيف النقد صفحا فقد كفى ما جرحت بسيوف البين وتالله لم يسلك المملوك هذه الجادة الا ليجد له سبيلا الى نهلة من عذب تلك الموارد ويعود على الضعيف الذي قطعت صلاته من صفاء هذا المشرب عائد ويصير العبد مسعوداً اذا عد للأبواب العالية من جملة الخدام ويحصل لكبده الحراء من ذلك النسيم الغربي برد وسلام والله تعالى يمن بقرب المثول بين يديه ليحصل للملوك بعد التخلص

القادر على كل شيء لا إله غيره ولا معبود سواه قال الشاعر

إذا تضايق أمر فانتظر فرجا * فأضيق الأمر أدناه إلى الفرج

(وقال آخر) فلا تجزعن ان أظلم الدهر مرة * فان اعتكار الليل يؤذن بالفجر

(وقال آخر) لعمرك ما كل التعاطيل ضائر * ولا كل شغل فيه للمرء منفعه

إذا كانت الأرزاق في القرب والنوى * عليك سواء فاغتنم لذة الدعه

فان ضقت فاصبر يفرج الله ما ترى * ألا رب ضيق في عواقبه سعه

وقال الرياشي ما اعتراني هم فأنشدت قول أبي العتاهية حيث قال

هي الأيام والغير * وأمر الله ينتظر

أتيأس أن ترى فرجا * فأين الله والقدر

الاسرى عنى وهبت ريح الفرج ويروى أن سلطان صقلية أرق ذات ليلة ومنع النوم فأرسل إلى قاعد البحر وقال له انفذ الآن مركبا إلى أفريقية يأتوني بأخبارها فعمد القائد إلى مقدم مركب وأرسله فلما أصبحوا إذا بالمركب في موضعه كأنه لم يبرح فقال الملك لقائد البحر أليس قد فعلت ما أمرتك به قال نعم قد امتثلت أمرك وأنفذت مركبا فرجع بعد ساعة وسيحدثك مقدم المركب فأمر باحضاره فجاء ومعه رجل فقال له الملك ما منعك أن تذهب حيث أمرت قال ذهبت بالمركب فبينما أنا في جوف الليل والرجال يجدفون إذا بصوت يقول يا ألله يا ألله يا غياث المستغيثين يكررها مراراً فلما استقر صوته في أسماعنا ناديناه مراراً لبيك لبيك وهو ينادي يا ألله يا ألله يا غياث المستغيثين فجدفنا بالمركب نحو الصوت فلقينا هذا الرجل غريقا في آخر رمق من الحياة فطلعنا به المركب وسألناه عن حاله فقال كنا مقلعين من افريقية فغرقت سفينتنا منذ أيام وأشرفت على الموت ومارلت أصيح حتى أتاني الغوث من ناحيتكم فسبحان من أسهر سلطانا وأرقه في قصره لغريق في البحر حتى استخرجه من تلك الظلمات الثلاث ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الوحدة فسبحانه لا إله غيره ولا معبود سواه (وحكى) سيدي أبو بكر الطرطوشي في كتابه سراج الملوك قال أخبرني أبو الوليد الباجي عن أبي ذر قال كنت أقرأ على الشيخ أبي حفص عمر بن أحمد بن شاهين ببغداد جزءا من الحديث في حانوت رجل عطار فبينا أنا جالس معه في الحانوت إذ جاءه رجل من الطوافين ممن يبيع العطر في طبق يحمله على يده فدفع اليه عشرة دراهم وقال له اعطني بها أشياء سماها له من العطر فأعطاه إياها فأخذها في طبقه وأراد أن يمضي فسقط الطبق من يده فانكب جميع مافيه فبكى الطواف وجزع حتى رحمناه فقال أبو حفص لصاحب الحانوت لعلك تعينه على بعض هذه الاشياء فقال سمعا وطاعة فنزل وجمع له ماقدر على جمعه منها ودفع له ماعدم منها وأقبل الشيخ على الطواف يصبره ويقول له لا تجزع فأمر الدنيا أيسر من ذلك فقال الطواف أيها الشيخ ليس جزعي اضياع ما ضاع لقد علم الله تعالى أني كنت في القافلة الفلانية فضاع لي هميان فيه أربعة آلاف دينار ومعها فصوص قيمتها كذلك فما جزعت لضياعها حيث كان لي غيرها من المال ولكن ولد لي ولد في هذه الليلة فاحتجنا لامه ما تحتاج النفساء ولم يكن عندي غير هذه العشرة دراهم فخشيت أن أشتري بها حاجة النفساء فأبقى بلا رأس مال وأنا قد صرت شيخا كبيرا لا أقدر على التكسب فقلت في نفسي أشتري بها شيئا من العطر فأطوف به صدر النهار فعسى أستفضل شيئا أسد به رمق أهلي ويبقى رأس المال أتكسب به واشتريت هذا العطر فحين انكب الطبق علمت أنه لم يبق لي إلا الفرار منهم فهذا الذي أوجب جزعي قال أبو حفص وكان رجل من الجند جالسا إلى جانبي يستوعب الحديث فقال للشيخ أبي حفص ياسيدي أريد أن تأتي

من البين حسن الختام (القاضي السعيد هبة الله بن سناء الملك) وأن الشوق بحر وقلبه والله الغريق بأمواجه وجرصدره المظلم بسراجه (ومن انشائه) فالاسلام من طاقاته والكفر مجاهد ولكن باتقائه وسيوفه تحسن في الاجسام البسط وفي الارواح القبض ورماحه تكاد لطولها تمسك السماء ان تقع على الارض (ومن انشائه) وكيف لا يحمد المملوك تلك الاشواق وهي تقربه من المولى بالتخيل إذا أبعدته الايام وتمثل المقام الكريم فيقابله كل ساعة بالسجود ويشافهه بالسلام ويرفع ناظره فلولا نظره اليه لكانت عينه مطرقة وستور أهدابه مسبلة وأبواب جفونه مغلقة ولولا اشتغالها بمطالعة طلعته لالتهب من دموعها بمياه محرقة فهو منها في نار وجنه مغلول بغله مطوق بمنه (ومن انشائه) ولقد أنساه فراق مولاه حروف المعجم فما يعرف منها حرفا وعاقب خاطره الذي كفر بالبلاد فأسقط عليه من سمائها كسفا شوق ما خطر مثله على قلب بشر ودمع ما مر على بصر الا ومر كلمح بالبصر ولسان لا ينفك عن الدعاء على يوم الفراق ومن دعا على ظالمه فقد انتصر (القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر) خليفة القاضي الفاضل (ومن انشائه قوله)

بهذا الرجل الى منزلى فظننا أنه يريد أن يعطيه شيئا قال فدخلنا الى منزله فاقبل على الطواف وقال له عجبت من جزعك فاعاد عليه القصة فقال له الجندى وكنت فى تلك القافلة قال نعم وكان فيها فلان وفلان فعلم الجندى صحة قوله فقال وماعلامة الهميان وفى أى موضع سقط منك فوصف له المكان والعلامة قال الجندى إذا رأيته تعرفه قال نعم فاخرج الجندى له هميانا ووضعه بين يديه فحين رآه صاح وقال هذا هميانى والله وعلامة صحة قولى ان فيه من الفصوص ماهو كيت وكيت ففتح الهميان فوجده كما ذكر فقال الجندى خذ مالك بارك الله لك فيه فقال الطواف ان هذه الفصوص قيمتها مثل الدنانير وأكثر فخذها وأنت فى حل منها ونفسى طيبة بذلك فقال الجندى ما كنت لآخذ على أمانتى مالا وأبى أن يأخذ شيئا ثم دفعها للطواف جميعها فأخذها ومضى ودخل الطواف وهو من الفقراء وخرج وهو من الأغنياء اللهم أغن فقرنا ويسر أمرنا برحمتك يا أرحم الراحمين (وحكى) ان الملك ناصر الدولة من آل حمدان كان يشكو وجع القولنج حتى أعيا الأطباء دواؤه ولم يجدوا له شفاء فدسوا على قتله وارصدوا له رجلا ومعه خنجر فلما كان فى بعض دهاليز القصر وثب عليه ذلك الرجل وضربه بالخنجر فجاءت الضربة أسفل خاصرته فلم تخط المعى الذى فيه القولنج فخرج مافيه من الخلط فعافاه الله تعالى وبرىء أحسن ما كان * وبضد هذا ماحكاه أبو بكر الطرطوشى قال حدثنا القاضى أبو مروان الدارانى بطرطوشة قال نزلت قافلة بقرية خربة من أعمال دانية فأولوا الى دار خربة هناك فاستكنوا فيها من الرياح والأمطار واستوقدوا نارهم وسووا معيشتهم وكان فى تلك الخربة حائط مائل قد أشرف على الوقوع فقال رجل منهم ياهؤلاء لا تقعدوا تحت هذا الحائط ولا يدخلن أحد فى هذه البقعة فأبوا الا دخولها فاعتزلهم ذلك الرجل وبات خارجا عنهم ولم يقرب ذلك المكان فأصبحوا فى عافية وحملوا على دوابهم فبينما هم كذلك إذ دخل ذلك الرجل الى الدار ليقضى حاجته فخر عليه الحائط فمات لوقته * قال وأخبرنى أبو القاسم بن حبيش بالموصل قال لقد جرت فى هذه الدار وأشار إلى دار هناك قضية عجيبة قلت وماهى قال كان يسكن هذه الدار رجل من التجار ممن يسافر إلى الكوفة فى تجارة الخز فاتفق أنه جعل جميع مامعه من الخز فى خرج وحمله على حماره وسار مع القافلة فلما نزلت القافلة أراد انزال الخرج عن الحمار فثقل عليه فأمر انسانا هناك فأعانه على انزاله ثم جلس يأكل فاستدعى ذلك الرجل ليأكل معه فسأله عن أمره فأخبره أنه من أهل الكوفة وأنه خرج لحاجة عرضت له بغير نفقة ولا زاد فقال له الرجل كن رفيقى آنس بك وتعيننى على سفرى ونفقتك ومؤنتك على فقال له الرجل وأنا أيضا أختار صحبتك وأرغب فى مرافقتك فسار معه فى سفره وخدمه أحسن خدمة الى أن وصلا الى تكريت فنزل الرفقة خارج المدينة ودخل الناس إلى قضاء حوائجهم فقال التاجر لذلك الرجل احفظ حوائجنا حتى أدخل المدينة وأشترى مانحتاج اليه ثم دخل المدينة وقضى جميع حوائجه ورجع فلم يجد القافلة ولا صاحبه ورحلت الرفقة ولم ير أحدا فظن أنه لما رحلت الرفقة رحل ذلك الخادم معهم فلم يزل يسير ويجد السير فى المشى الى أن أدرك القافلة بعد جهد عظيم وتعب شديد فسألهم عن صاحبه فقالوا ما رأيناه ولا جاء معنا ولكنه ارتحل على أثرك فظننا انك أمرته فكر الرجل راجعا الى تكريت وسأل عن الرجل فلم يجد له أثرا ولا سمع له خبرا فيئس منه ورجع إلى الموصل مسلوب المال فوصلها نهارا فقيرا جائعا عريانا مجهودا فاستحى أن يدخلها نهارا فتشمت به الاعداء نعوذ بالله من شماتتهم وخشى أن يحزن الصديق إذا رآه على تلك الحالة فاستخفى الى الليل ثم عاد إلى داره فطرق الباب فقيل له من هذا قال فلان يعنى نفسه فاظهروا السرور عظيما وحاجة اليه

نعلمه بفتوحات استطعم الايمان حلاوتها من أطراف المران واستنطق الاسلام عبارتها من ألسنة الخرسان وذلك بفتح حصن الاكراد الذى كان فى حلق البلاد الشامية غصة لم تسغ بمياه السيوف المجردة وشجى فى صدرها لم تقومه أدوية العزائم المفردة (ومن انشائه بابطال الحشيش بعد الخمر) نعلمه أن المنكرات أمرنا أن تملأ الصحائف باجرها وتفرغ الصحاف وأن لا يخلو بيت من بيوتها من كسر أو زحاف وقد بلغنا الآن أنها اختصرت وان كلمة الشيطان بالتعريض عنها ماقصرت وان أم الخبائث ما عقمت وان الجماعة التى كانت ترضع ثدى الكاس عن ثديها مافطمت وأنها فى النشوة ماخيب ابليس مسقاها وأنها لما أخرج المنع عنها ماء الخمر أخرج لها من الحشيش مرعاها وأنها استراحت من الخمار واستغنت بما تشتريه بدرهم عما كانت تبتاعه من الخمر بدينار وان ذلك فشا فى كثير من الناس وعرف فى عيونهم مايعرف من الاحرار فى الكاس وصاروا كأنهم خشب مسندة سكرى وإذا مشوا يقدمون لفساد عقولهم رجلا ويؤخرون أخرى ونحن نأمر بأن تجتث أصولها وتقتلع ويؤدب غارسها حتى يحصد الندامة ممازرع وتطهر منها المساجد

وقالوا الحمد لله الذي جاء بك في هذا الوقت على مانحن فيه من الضرورة والحاجة فانك أخذت مالك معك وما تركت لنا نفقة كافية وأطلت سفرك واحتجنا وقد وضعت زوجتك اليوم والله ماوجدنا ما نشتري به شيئا للنفساء فأتنا بدقيق ودهن نسرج به علينا فلا سراج عندنا فلما سمع ذلك ازداد غما على غمه وكره أن يخبرهم بحاله فيحزنهم بذلك فأخذ وعاء للدهن ووعاء للدقيق وخرج الى حانوت أمام داره وكان فيه رجل يبيع الدقيق والزيت والعسل ونحو ذلك وكان البياع أطفأ سراجه وأغلق حانوته ونام فناداه فعرفه فأجابه وشكر الله على سلامته فقال له افتح حانوتك وأعطنا مانحتاج اليه من دقيق وعسل ودهن فنزل البياع الى حانوته وأوقد المصباح ووقف يزن له ماطلب فبينما هو كذلك اذ حانت من التاجر التفاتة الى قعر الحانوت فرأى خرجه الذي هرب به صاحبه فلم يملك نفسه أن وثب إليه والتزمه وقال ياعدو الله ائتني بمالي فقال له البياع ماهذا يافلان والله ماعلمتك متعديا وأنا أبدا ماجنيت عليك ولا على غيرك فما هذا الكلام قال هذا خرجي هرب به خادم كان يخدمني وأخذ حماري وجميع مالي فقال البياع والله مالي علم غير أن رجلا ورد على بعد العشاء واشترى مني عشاءه وأعطاني هذا الخرج فجعلته في حانوتي وديعة الى حين يصبح والحمار في دار جارنا والرجل في المسجد نائم قال له احمل معي الخرج وامض بنا الى الرجل فرفع الخرج على عاتقه ومضى معه الى المسجد فاذا الرجل نائم في المسجد فوكزه برجله فقام الرجل مرعوبا فقال مالك قال أين مالي ياخائن قال هاهو في خرجك فوالله ما أخذت منه ذرة قال فأين الحمار وآلته قال هو عند هذا الرجل الذي معك فعفا عنه وخلى سبيله ومضى بخرجه الى داره فوجد متاعه سالما فوسع على أهله وأخبرهم بقصته فازداد سرورهم وفرحهم وتبركوا بذلك المولود فسبحان من لايخيب من قصده ولا ينسى من ذكره

(ولنلحق بهذا الباب ذكر شيء مما جاء في التهنئة والبشائر) كتب بعضهم الى أخيه وقد أتاه خبر استبشر به سمعت عنك خبرا سارا كتب في الالواح وامتزج بالارواح وعد في جملة البشائر العظام وجرى في العروق وتمشى في العظام وكان خالد بن عبد الله القسري أخا هشام بن عبد الملك من الرضاع وكان يقول له اني لأرى فيك آثار الخلافة ولا تموت حتى تليها فقال له ان نا وليتها فلك العراق فلما ولي أتاه فقام بين الصفين وقال ياأمير المؤمنين أعزك الله بعزته وأيدك بملائكته وبارك لك فيما ولاك ورعاك فيما استرعاك وجعل ولايتك على أهل الاسلام نعمة وعلى أهل الشرك نقمة لقد كانت الولاية اليك أشوق منك اليها وأنت لها أزين منها لك وما مثلها ومثلك الا كما قال الاحوص هذه الابيات

وان الدر زاد حسن وجوه * كان للدر حسن وجهك زينا

وتزيدين أطيب الطيب طيبا * ان تمسسه أين مثلك أينا

(ودخل) على المهدي اعرابي فقال له فيم جئت قال أتيتك برسالة قال هاتها قال أتاني آت في منامي فقال ائت أمير المؤمنين فأبلغه هذه الأبيات

الم ارث الخلافة من قريش * تزف اليكو أبدا عروسا

الى هرون تهدى بعد موسى * تميس وما لها أن لا تميسا

فقال المهدي ياغلام على بالجواهر فحشا فاه حتى كاد ينشق ثم قال اكتبوا هذه الأبيات واجعلوها في مخانق صبياننا (وقال) ابراهيم الموصلي في تهنئة الرشيد بالخلافة

ألم تر أن الشمس كانت مريضة * فلما أتى هرون أشرق نورها

تلبست الدنيا جمالا بملكه * فهرون واليها ويحيى وزيرها

وغناه بهما من وراء الحجاب فوصله بمائة ألف دينار ويحيى بخمسين ألفا * ودخل عطاء بن أبي

صيفي

والجوامع ويشهر مستعملها في المحافل والمجامع حتى تنتبه العيون من هذا الوسن وحتى لا تشتهي بعدها خضراء ولا خضراء الدمن (ومن انشائه عن لسان الشريف الى الفرنج وقد أخذت شواني السلطان) وفرق بين من يتصيد بالصقور من الخيل العراب وبين من اذا افتخر قال تصيدت بغراب فلئن أخذتم لنا قرية مكسورة فكم أخذنا لكم قرية معمورة وقد قال الملك فقلنا وعلم الله أن قولنا من الصحيح واتكل واتكلنا وأين من اتكل على الله ممن اتكل على الريح (ومن انشاء الصدر عز الدين بن سينا) في بشارة بكسر عساكر الفرنج عن الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة اثنتين وأربعين وستمائة فلا روضة الا درع ولا جدول الا حسام ولا غمامة الا نقع ولا وبل الا سهام ولا مدامة الا دم ولا نغم الا صليل ولا معربد الا قاتل ولا سكران الا قتيل حتى أنبت كافور الرمال شقيقا واستحال بلور الحصباء عقيقا وازدحمت الجنائب في الفضاء فجعلته مضيقا وضرب النقع في السماء طريقا

وضاقت الارض حتى كاد هاربهم

اذا رأى غير شيء ظنه رجلا

﴿ قلت ﴾ ذكرت بهذا التلاعب المطرب من انشاء الصدر عز الدين

صيفى على يزيد بن معاوية وهو أول من جمع بين التهنئة والتعزية فقال رزئت خليفة الله وأعطيت خلافة الله قضى معاوية نحبه فغفر الله ذنبه ووليت الرئاسة وكنت أحق بالسياسة فاحتسب عند الله أعظم الرزية وأشكر الله على أعظم العطية ❊ومر عمر بن هبيرة بعد اطلاقه من السجن بالرقة فاذا امرأة من بنى سليم على سطح لها تحادث جارة لها ليلا وهى تقول لا والذى أسأله أن يخلص عمر ابن هبيرة مما هو فيه ما كان كذا فرمى اليها بصرة فيها مائة دينار وقال قد خلص الله عمر بن هبيرة فطيبي نفسا وقرى عينا والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب الثامن والخمسون فى ذكر العبيد والاماء والخدم وفيه فصلان ﴾

﴿ الفصل الاول فى مدح العبيد والاماء والاستيصاء بهم خيرا ﴾ عن على رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ أول من يدخل الجنة شهيد وعبد أحسن عبادة ربه ونصح لسيده وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما رفعه ان العبد اذا نصح لسيده وأحسن عبادة ربه فله أجره مرتين وكان زيد بن حارثة خادما لخديجة رضى الله تعالى عنها اشترى لها بسوق عكاظ فوهبته لرسول الله ﷺ فجاء أبوه يريد شراءه منه فقال رسول الله ﷺ ان رضى بذلك فعلت فسئل زيد فقال ذل الرق مع صحابة رسول الله ﷺ أحب الى من عز الحرية مع مفارقته فقال رسول الله ﷺ اذا اختارنا اخترناه فاعتقه وزوجه أم أيمن وبعدها زينب بنت جحش وعن على رضى الله تعالى عنه قال كان آخر كلام رسول الله ﷺ أوصيكم بالصلاة واتقوا الله فيما ملكت أيمانكم ❊وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه لا يقولن أحدكم عبدى وأمتى كلكم عبيد الله وكل نسائكم إماء الله ولكن ليقل غلامى وجاريتى وفتاى وفتاتى وعن ابن مسعود الانصارى قال ضربت غلاما لى فسمعت من خلفى صوتا اعلم أبامسعود ان الله أقدر عليك منك عليه فالتفت فاذا هو النبى ﷺ فقلت يارسول الله هو حر لوجه الله تعالى فقال أما انك لو لم تفعل للفحتك النار ❊وروى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال جاء رجل الى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله كم تعفو عن الخادم ثم أعاد عليه فصمت فلما كانت الثالثة قال له أعفو عنه كل يوم سبعين مرة وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال حدثنى أبو القاسم نبى التوبة ﷺ من قذف مملوكه وهو برىء مما قال جلده يوم القيامة حدا وقيل أراد رجل بيع جاريته فبكت فقال لها مالك فقالت لو ملكت منك ما ملكت منى ما أخرجتك من يدى فأعتقها وتزوجها وقال أبو اليقظان إن قريشا لم تكن ترغب فى أمهات الاولاد حتى ولدن ثلاثة هم خير أهل زمانهم على بن الحسين والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله وذلك أن عمر رضي الله تعالى عنه أتى ببنات يزجرد ابن شهريار بن كسرى مسبيات فأراد بيعهن فأعطاهن للدلال ينادى عليهن بالسوق فكشف عن وجه إحداهن فلطمته لطمة شديدة على وجهه فصاح واعمراه وشكا اليه فدعاهن عمر وأراد أن يضربهن بالدرة فقال على رضى الله تعالى عنه يا أمير المؤمنين ان رسول الله ﷺ قال اكرموا عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر إن بنات الملوك لا يبعن ولكن قوموهن فقومهن وأعطاه أثمانهن وقسمهن بين الحسن بن على ومحمد بن أبى بكر وعبد الله بن عمر فولدن هؤلاء الثلاثة وقيل استبق بنو عبد الملك فسبقوا مسلمة وكان ابن أمة فتمثل عبد الملك بقول عمرو العبدى

نهيتكو أن تحملوا فوق خيلكم ❊ هجينا لكم يوم الرهان فيدرك

فتعثر كفاه ويسقط سوطه ❊ ويخدر ساقاه فما يتحرك

وهل يستوى المرآن هذا ابن حرة ❊ وهذا ابن أخرى ظهرها متشرك

فقال له مسلمة يغفر الله لك يا أمير المؤمنين ليس هذا مثلى ولكن كما قال ابن المعمر هذه الابيات

علمه مرفوعا أبدا وبناء مجده منصوبا بخفض العدا ولا برحت أقلامه لافعال الشك جازمه ولاعدائه متعديه ولآرائه لازمه (أما بعد) فان فلانا حضر وادعى أنه رخم فى غير النداء وجزم والجزم لا يدخل فى الاسماء واستثنى من غير موجب نخفض والخفض من أدوات الاستثناء وذكر أن العامل الذى دخل عليه منعه من الصرف ولزمه لزوم البناء واجتمع معه فى الشرط وأفرده بالجزاء والمأثور من مكارم مولانا نصب محله على المدح لا على الاغراء ورفع اسمه المعرى من العوامل على الابتداء ففيه من التميز والظرف ما يوجب العطف ومن المعرفة والعدل ما يمنعه من الصرف لازال مولانا بابا للعطف والصلة ومآثر مكارمه متصلة لا منفصلة (قلت) قد انتهت الغاية هنا الى التحلى بالقطر النباتى وقد عن لى أن أورد هنا حظيرة الانس الى حضرة القدس فانها من بديع انشائه وهى فى رحلته الى القدس الشريف مع الصاحب أمين الدين (وهى) الحمد لله حافظ سر الملك بأمينه وحامى حماه بمن قسم الشكر والأجر بين دنياه ودينه ومن إذا رفعت راية مجد تلقاها عرابة براعته بيمينه واذا امتدت إليه أجياد الممالك حلاها

فما أنكحونا طائعين بناتهم * ولكن خطبناهم بأرماحنا قسرا

فما زادنا فيها السباء مذلة * ولا كلفت خبزا ولا طبخت قدرا

وكم قد ترى فينا من ابن سبية * اذا لقى الابطال يطعنهم شزرا

ويأخذ ريان الطعان بكفه * فيوردها بيضا ويصدرها حمرا

فقبل رأسه وعينيه وقال أحسنت يابنى ذاك والله أنت وأمر له بمائة ألف درهم مثل ما أخذ السابق والله أعلم

﴿ الفصل الثانى فى ذم العبيد والخدم ﴾ روى عن رسول الله ﷺ أنه قال بئس المال فى آخر الزمان المماليك وقال مجاهد اذا كثرت الخدم كثرت الشياطين وقال لقمان لابنه لا تأمنن امرأة على سر ولا تطأ خادما تريدها للخدمة * ووصف بعضهم عبدا فقال يأكل فارها ويعمل كارها ويبغض قوما ويحب نوما وقيل لبعضهم ألك غلام فقال

ومالى غلام فادعوا به * سوى من أبوه أخو عمتى

وقال أكثم الحر حر وان مسه الضر والعبد عبد وان ألبسته الدر * ودعا بعض أهل الكوفة اخوانه وله جارية فقصرت فيما ينبغى لهم من الخدمة فقال

اذا لم يكن فى منزل المرء حرة * رأى خللا فيما تولى الولائد

فلا يتخذ منهن حر قعيدة * فهن لعمر الله بئس القعائد

وكان لرجل غلام من أكسل الناس فأرسله يوما يشترى له عنبا وتينا فأبطأ عليه حتى عيل صبره ثم جاء بأحدهما فضربه وقال ينبغى لك اذا استقضيتك حاجة أن تقضى حاجتين فمرض الرجل فأمر الغلام أن يأتيه بطبيب فغاب ثم جاء بالطبيب ومعه رجل آخر فسأله عنه فقال أما ضربتنى وأمرتنى أن أقضى حاجتين فى حاجة فجئتك بالطبيب فان شفاك الله تعالى والا احفر لك هذا قبرك فهذا طبيب وهذا حفار

وقيل كان عمر والأعجمى يلى حكم السند فكتب الى موسى الهادى ان رجلا من أشراف أهل الهند من آل المهلب بن أبى صفرة اشترى غلاما أسود فرباه وتبناه فلما كبر وشب اشتد به هوى مولاته فراودها عن نفسها فاجابته فدخل مولاه يوما على غفلة منه من حيث لا يعلم فاذا هو على صدر مولاته فعمد اليه فجب ذكره وتركه يتشحط فى دمه ثم أدركته عليه رقة وندم على ذلك فعالجه الى أن برىء من علته فأقام الغلام بعدها مدة يطلب أن يأخذ ثأره من مولاه ويدبر عليه أمرا يكون فيه شفاء غليله وكان لمولاه ابنان أحدهما طفل والآخر يافع كأنهما الشمس والقمر فغاب الرجل يوما عن منزله لبعض الأمور فأخذ الأسود الصبيين فصعد بهما على ذروة سطح عال فنصبهما هناك وجعل يعللهما بالمطعم مرة وباللعب أخرى الى أن دخل مولاه فرفع رأسه فرأى ابنيه فى شاهق مع الغلام فقال ويلك عرضت ابنى للموت قال أجل والله الذى لا يحلف العبد بأعظم منه لئن لم تجب ذكرك مثل ما جببتنى لأرمين بهما فقال الله الله ياولدى فى تربيتى لك قال دع هذا عنك فوالله ماهى الا نفسى وانى لأسمح بها فى شربة ماء فجعل يكرر عليه ويتضرع له وهو لا يقبل ذلك ويذهب الوالد يريد الصعود اليه فيدليهما من ذلك الشاهق فقال أبوهما ويلك فاصبر حتى أخرج مدية وأفعل ما أردت ثم أسرع وأخذ مدية فجب نفسه وهو يراه فلما رأى الأسود ذلك رمى الصبيين من ذلك الشاهق فتقطعا وقال ان جبك لنفسك ثأرى وقتل أولادك زيادة فيه فأخذ الأسود وكتب بخبره لموسى الهادى فكتب موسى لصاحب السند عمر والأعجمى بقتل الغلام وقال ماسمعت بمثل هذا قط وأمر أن يخرج من مملكته كل أسود فما ترى أردأ من العبيد ولا أقل خيرا منهم وأكثرهم رداءة المولدون لو أحسنت الى أحدهم

من عقد التدبير بثمينه واذا نوى فى السيادة فعلا أمضى العزم السنى قبل دخول سينه واذا حمل بنانه القلم روينا عن ابن بحر كتاب بيانه فى الفضل وتبيينه وصلى الله على سيدنا محمد الذى أيد بالروح الأمين وعضد بوزراء آله وصحبه الغر الميامين وسلم عليه وعليهم سلاما باقيا الى يوم الدين (أما بعد) فان الله سبحانه وتعالى لما يريد من صلاح عباده وانتظام هذا العالم الارضى فى سلك سداده وتمام أمر هذا السواد الاعظم بمدبرة تماما يخط الطرس بسواده جعل لكل دولة قائمة وزيرا قائما بتدبيرها مفرغا غص القلم بتشميرها منفذا أمر سلطانها ومبلغا أحكام عدلها واحسانها يبنى ممالكها على الاسل من أقلامه ويحيط أطرافها احاطة الزهر بكمامه ويتحفها بأوصاف وزيرية يعقد عليها العدل خنصره ويتضح بها وجه الاستحقاق من ابهامه (وكان) صاحب هذه الدولة التى خضعت لها الدول وفاضل أمرها الجليل وراسخ دوحها الذى مامال مع الهوى وقديم صحائفها الذى تلا تسديده ماضل صاحبكم وما غوى وضابط امورها الذى طال مااستشرفت اليه أسماع وأبصار وانتصرت به تقديم هجرته فلا غرو أن صار من المهاجرين بها والانصار المقر الاشرف الصاحبي الوزيري الاميني

الدهر

الدهر كله بكل ما تصل يدك اليه أنكره كأن لم يرمنك شيئا وكلما أحسنت اليه تمرد وان أسأت اليه خضع وذل وقد جربت أنا ذلك كثيرا وما أحسن ماقيل

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته * وان أنت أكرمت اللئيم تمردا

وقيل ان العبد إذا شبع فسق وان جاع سرق وكان جدى لامى يقول شر المال تربية العبيد والمولدون منهم الام من الزنوج وأردأ لأن المولد لا يعرف له أبا وربما يعرف الزنجى أبويه ويقال فى المولد بغل لانه مجنس والبغل تكون أمه فرسا وأبوه حمارا وبالعكس فلا تثق بمولد لانه قل أن يكون فيه خير وان كان فذاك نادر والنادر لا حكم له وأنا أستغفر الله العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب التاسع والخمسون فى أخبار العرب الجاهلية وأوابدهم وذكر غرائب من عوائدهم وعجائب من أكاذيبهم ﴾

للعرب أوابد وعوائد كانوا يرونها فضلا وقد دل على بعضها القرآن العظيم وأكذب الله دعاويهم فيها فمن ذلك قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون * قال أهل اللغة البحيرة ناقة كانت اذا نتجت خمسة أبطن وكان الاخير ذكرا بحروا أذنها أى شقوا أذنها وامتنعوا من ذكاتها ولا تمنع من ماء ولا مرعى * وكان الرجل إذا أعتق عبدا وقال هو سائبة فلا عقد بينهما ولا ميراث * وأما الوصيلة ففى الغنم كانت الشاة إذا ولدت أنثى فهى لهم وان ولدت ذكرا جعلوه لآلهتهم فان ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فلا يذبح الذكر لآلهتهم * وأما الحام فالذكر من الابل كانت العرب إذا نتج من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا حمى ظهره فلا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى * وقال تعالى إنما الخمر والميسر والأنصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون فالخمر ما خامر العقل ومنه سميت الخمر خمرا والميسر القمار والأنصاب حجارة كانت لهم يعبدونها وهى الأوثان واحدها نصب والازلام سهام كانت لهم مكتوب على بعضها أمرنى ربى وعلى بعضها نهانى ربى فاذا أراد الرجل سفرا أو أمرا يهتم به ضرب بتلك القداح فاذا خرج الأمر مضى لحاجته واذا خرج النهى لم يمض * ومن أوابدهم وأد البنات أى دفنهن أحياء كانوا فى الجاهلية إذا رزق أحدهم أنثى وأدها واذا بشر بها ضاق صدره وكظم وجهه وهو قوله تعالى واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم وقال تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم وقد قيل إنهم كانوا يقتلونهن خوف العار وبمكة جبل يقال له أبو دلامة كانت قريش تئد فيه البنات * وقيل إن صعصعة جد الفرزدق كان يشترى البنات ويفديهن من القتل كل بنت بناقتين عشراوين وجمل * وفاخر الفرزدق رجلا عند بعض خلفاء بنى أمية فقال أنا ابن محيى الموتى فأنكر الرجل ذلك فقال ان الله تعالى يقول ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا (وأما الرفادة فى الحج) فكانت خرجا تخرجه قريش فى كل موسم من أموالهم الى قصى فيصنع به طعاما للحاج فيأكله من لم يكن له سعة ولا زاد وذلك أن قصيا فرضه على قريش فقال لهم حين أمرهم به يا معشر قريش انكم جيران الله وأهل بيته وأهل الحرم وأهل الحجاج ضيوف الله وزوار بيته وهم أحق الضيف بالكرامة فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحاج حتى يصدروا عنكم ففعلوا وكانوا يخرجون ذلك كل عام من أموالهم فيدفعونه اليهم * وقيل أول من أقام الرفادة عبد المطلب وهو الذى حفر بئر زمزم وكانت مطمومة واستخرج منها الغزالين الذهب اللذين عليهما الدر والجوهر وغير ذلك من الحلى وسبعة أسياف وخمسة دروع سوابغ فضرب من الاسياف باب الكعبة وجعل أحد الغزالين الذهب صفائح الذهب وجعل الآخر

أعلى الله تعالى أبدا شأنه ورفع على فرق الفرقدين مكانه وزان بأقلامه أقاليم مصر فهذه سهام وهذه كنانه ممن استدعته رواة المحافل وتردد فى المناصب العلية تردد الأقمار فى المنازل وجمع الأوصاف الوزيرية جمع أبى جاد للحروف وتنبه قلبه ونامت ملء أجفانها السيوف وعرف بالسيادة والزهد فعلى كلا الحالين هو السرى وقدره معروف وكنت أود لو نقلت الشهادة بصفاته عن الخبر الى المعاينة وجمعت بملازمة مقره الشريف الظاهر الوصف باطنه ورويت الاخبار عن لسنه وجنيت الورد من غصنه بل التبر من معدنه هذا وأشغاله بتدبير الدول شاغله وأيام البعد عند فراغه بينى وبين القصد حائله (فلما) عزم بدمشق المحروسة سنة خمس وثلاثين على زيارة القدس الشريف اطلع رأيه الشريف على مافى خاطرى وأمرنى بالسير فى ظل ركابه فسر على الحقيقة سائرى وكاشف ولا ينكر التكشف لمن كثرت زراياه فى البلاد ونظر لحالى ولا ينكر النظر فى الاحوال لسيد الوزراء والزهاد وكان له فى استصحابى مقصد تقبل الله عمله الصالح ومتجره الرابح وذلك أنى كنت لابسا ثياب الحزن على ولدى مقيما بين المقابر اقامة تفتت حبة قلبي على قطعة كبدى ساقيا روض الحزن بغمائم الجفون باكيا على دينار

في الكعبة ﴿ واعلم ﴾ وفقني الله وإياك انه لم يسمع بعجب أعظم من عجب سعيد بن زرارة وعبد الله بن زياد التميمي وابن سماك الأسدي الذين ضرب بهم المثل * فأما سعيد بن زرارة فقيل انه مرت به امرأة فقالت له يا عبد الله كيف الطريق الى مكان كذا فقال لها يا هنتاه مثلي يكون من عبيد الله * وأما عبد الله بن زياد التميمي فقيل انه خطب الناس بالبصرة فأحسن وأوجز فنودي من نواحي المسجد كثر الله فينا مثلك فقال لقد كلفتم الله شططا وأما ابن سماك فانه أضل راحلته فالتمسها فلم توجد فقال والله لئن لم يرد راحلتي على لا صليت له أبدا فوجدت وقد تعلق زمامها ببعض أغصان الشجر فقيل له قد رد الله عليك راحلتك فصل فقال انما كانت يميني يمينا قصدا فانظر رحمك الله الى هذا العجب كيف ذهب بهم حتى أفضى بهم إلى الكفر وصاروا حديثا مستبشعا ومثلا بين العالمين مستشنعا نعوذ بالله من الخذلان المؤدي الى النيران ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ﴿ حكي ﴾ عن الحجاج بن يوسف الثقفي انه قيل له كيف وجدت منزلك بالعراق قال خير منزل ان الله أظفرني بأناس بلغني الأمل فيهم وأعانني على الانتقام منهم فكنت أتقرب اليه بدمائهم فقيل له من هم فذكر هؤلاء الثلاثة وذكر حديثهم ولا محالة أنها من محاسن الحجاج وان قلت في جنب سيآته والله تعالى أعلم

﴿ ذكر أديان العرب في الجاهلية ﴾ كانت النصرانيه في ربيعة وغسان وبعض قضاعة وكانت اليهودية في نمير وبني كنانة وبني الحرث بن كعب وكندة وكانت المجوسية في بني تميم منهم زرارة ابن عدي وابنه علي وكان تزوج ابنته ثم ندم ومنهم الأقرع بن حابس كان مجوسيا وكانت الزندقة في قريش أخذوها من الحيرة وكانت بنو حنيفة اتخذوا في الجاهلية صنما من حيس فعبدوه دهرا طويلا ثم أدركتهم مجاعة فأكلوه * وقد قيل ان أول من غير الحنيفية عمرو بن لحي أبو خزاعة وهو انه رحل إلى الشام فرأى العماليق يعبدون الأصنام فأعجبه ذلك فقال ماهذه الأصنام التي أراكم تعبدونها قالوا هذه أصنام نستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا فقال اعطوني منها صنما أسير به الى أرض العرب فيعبدونه فأعطوه صنما يقال له هبل فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه * وقيل ان أول ما كانت عبادة الاحجار في بني اسمعيل وسبب ذلك انه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم حتى ضاقت عليهم وتفرقوا في البلاد وما من أحد الا حمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم فحيثما نزلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة وأفضى ذلك بهم إلى أن عبدوا ما استحسنوه من الحجارة ثم خلفت الخلوف ونسوا ما كانوا عليه من دين اسمعيل فعبدوا الأوثان وصاروا الى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلال وكانت قريش قد اتخذت صنما على بئر في جوف الكعبة يقال له هبل وأيضا اتخذوا اسافا ونائلة على موضع زمزم فينحرون عندها ويطعمون وكان اساف ونائلة رجلا وامرأة فوقع اساف على نائلة في الكعبة فمسخهما الله حجرين واتخذ أهل كل دار في دارهم صنما يعبدونه فاذا أراد الرجل سفرا تمسح به حين يركب وكان ذلك آخر ما يصنع اذا توجه الى سفره واذا قدم من سفره بدأ به قبل أن يدخل الى أهله واتخذت العرب الاصنام وانهمكوا على عبادتها وكانت لقريش وبني كنانة العزى وكان حجابها بني شيبة وكانت اللات لثقيف بالطائف وكان حجابها بني مغيث من ثقيف وكانت مناة للاوس والخزرج ومن دان بدينهم * وأما يغوث ويعوق ونسر فقيل انهم كانوا أسماء أولاد آدم عليه الصلاة والسلام وكانوا أتقياء عبادا فمات أحدهم فحزنوا عليه حزنا شديدا فجاءهم الشيطان وحسن لهم أن يصوروا صورته في قبلة مسجدهم ليذكروه اذا نظروه فكرهوا ذلك فقال اجعلوه في مؤخر المسجد ففعلوا وصوروه من صفر ورصاص ثم مات

آخر

وجه عاجلته الأيام بصرف المنون أطاب قلبي في التراب وأنشده وأطارح صوت الصدا فينشدني وأنشده

يالهف قلبي على عبد الرحيم ويا
شوقي اليه ويا شجوي ويادائي
في شهر كانون وافاه الحمام لقد
أحرقت بالنار يا كانون احشائي

(وقال أيضا)

آها لعقد قد وهي سلكه
وكان ذا در بعبد الرحيم
فليتني لاقيت عنه الردى
وعاد ذاك الدر درا يتيم

فاقتضى تدقيق النظر الصاحبي في اسداء العوارف وابداء عواطف الفضل وفضل العواطف ان ينزع عني بصحبة ركابه الكريم لباس الباس ويشغلني بمشافهة الانس القابل ألا هكذا فليصنع الناس وينهضني بالانعام من حوادث الزمن ويقرب مثلي قربانا لا يفطن لمثله الا من ومن فيالها سفرة قابلها وجه الاقبال بالسفور و[illegible] فضلها الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور ومد فيها الانعام على ظلا ظليلا وملأ بيتي وعيني دقيقا وجليلا وأمرني أن أصف له المنازل والطرق وصفا كقصده الجميل جميلا فسرنا وأيدي السعد قد ذللت الطرق بل طوتها وقدمت وعود الآمال بل أنجزتها والأرض قد شرعت في لباس

آخر ففعلوا ذلك إلى أن ماتوا كلهم فصوروهم هناك وأقام من بعدهم على ذلك الى أن تركوا الدين وحسن لهم الشيطان عبادة شيء غير الله فقالوا له من نعبد قال آلهتكم المصورة فى مصلاكم فعبدوها الى أن بعث الله نوحا عليه الصلاة والسلام فنهاهم عن عبادتها فقالوا كما أخبر الله عنهم لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا الآية ولما عم الطوفان الأرض طمها وعلا عليها التراب زمانا طويلا فاخرجها الشيطان لمشركى العرب فعبدوها وذكر الواحدى فى الوسيط أن هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح عليهما الصلاة والسلام فسول الشيطان لقومهم بعد موتهم أن يصوروا صورهم ليكون أنشط لهم وأشوق للعبادة كما رأوهم ففعلوا ثم نشأ بعدهم قوم جهال بالاحوال فحسن لهم عبادتها وأن من سبقهم من قومهم عبدوها على فسموها باسمائهم وقال الواقدى كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر والله تعالى أعلم أى ذلك كان

﴿ ذكر أوابدهم ﴾ الرتم شجر معروف كانت العرب اذا خرج أحدهم الى سفر عمد الى شجرة منه فيعقد غصنا منها فاذا عاد من سفره ووجده قد انحل قال خانتنى امرأتى وان وجده على حالته قال لم تخن * الرتيمة ناقة كانت العرب اذا مات واحد منهم عقلوا ناقته عند قبره وسدوا عينيها حتى تموت يزعمون أنه اذا بعث من قبره ركبها * التعمية والتفقئة كان الرجل اذا بلغت ابله ألفا قلع عين الفحل يقولون ان ذلك يدفع عنها العين فاذا زادت على الألف فقأ عينه الاخرى * العرداء يصيب الابل شبه الجرب كانوا يكوون السليمة ويزعمون أن ذلك يبرىء داء العر * ضرب الثور عن البقر كانت البقر اذا امتنعت عن الشرب ضربوا الثور يزعمون أن الجن يركبون الثيران فيصدون البقر عن الشرب * الهامة كانوا يزعمون أن الانسان اذا قتل ولم يؤخذ بثاره يخرج من رأسه طائر يسمى الهامة وهو كالبومة فلا يزال يصيح على قبره اسقونى الى أن يؤخذ بثاره * وكان للعرب مذاهب فى الجاهلية فى النفس وتنازع فى كيفياتها فمنهم من زعم أن النفس هى الدم وأن الروح الهواء الذى فى باطن جسم الانسان الذى منه نفسه وقالوا إن الميت لا يوجد فيه الدم وانما يوجد فى الحياة مع الحرارة والرطوبة لأن كل حى فيه حرارة ورطوبة فاذا مات ذهبت حرارته وحل به اليبس والبرودة وطائفة منهم يزعمون أن النفس طائر ينشط من جسم الانسان اذا مات أو قتل ولا يزال متصورا فى صورة الطائر يصرخ على قبره مستوحشا له وفى ذلك يقول بعضهم

سلط الموت والمنون عليهم * فلهم فى صدى المقابر هام

ثم جاء الاسلام والعرب ترى صحة أمر الهام حتى قال النبى صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا طيرة ولا صفر ولا هام وزعموا أن هذا الطائر يكون صغيرا ويكبر حتى يصير كضرب من البوم ويتوحش ويصرخ ويوجد فى الديار المعطلة والنواويس ومصارع القتلى ويزعمون أن الهامة لا تزال عند ولد الميت لتعلم ما يكون من خبره فتخبر الميت * الصفر زعموا أن الانسان اذا جاع عض على شرسوفه الصفر وهى حية تكون فى البطن * تثنية الضربة زعموا أن الحية تموت فى أول ضربة فاذا ثنيت عاشت (الغيلان والتغول) للعرب فى الغيلان والتغول أخبار وأقاويل يزعمون أن الغول يتغول لهم فى الخلوات فى أنواع الصور فيخاطبونها وتخاطبهم وزعمت طائفة من الناس أن الغول حيوان مشئوم وانه خرج منفردا لم يستأنس وتوحش وطلب القفار وهو يشبه الانسان والبهيمة ويتراءى لبعض السفار فى أوقات الخلوات وفى الليل (وحكي) أن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه رآه فى سفره الى الشام فضربه بالسيف * وقال الجاحظ الغول كل شيء يتعرض للسيارة ويتلون فى ضروب من الصور والثياب وفيه خلاف وقالوا انه ذكر وأنثى الا أن أكثر كلامهم انه أنثى * وأما القطرب فى

حليها وحللها ومراعى الربيع قد وعدت حتى الشمس لتسمين حملها والشتاء قد آن أن يقوض الخيام والأفق قد شمر للانصراف ذيل الغمام ومبدأ الروض أحق بقول أبى الطيب المتنبى

لقد حسنت بك الايام حتى * كأنك فى فم الدهر ابتسام

فاتينا الكسوة فلبسنا منها للمسرة ثيابا سابغة الذيول وطفنا منها بكعبة الفضل طوافا واضح الاقبال والقبول وقلنا للمقاصد تباشرى بالحظوة ولعيون الاقبال تأملى فما أحسن الكعبة فى الكسوة ومررنا والخيل تجمز جمزا وجزنا بالصنمين فهمت أن تفخر بمواطىء خيلنا على اللات والعزى وصعدنا منزلة رأس الماء فكاد الطرب يهزه هزا ورأينا بينها وبين منزلة المغير رضا قد اخضر جنابها وطرزت بآثار طرف ثيابها فامرت بالقول فقلت سقى الله أرضا طرقها مثل طرزها وسائرها برد من الوشى أخضر تذكرت أحبابى بمثوى بريدها فعينى رأس الماء وجسمى المغير ووافينا الحصين وقد راغت الخيل روغان أبيه وتلقتنا بالبشر والبشرى وجوه أهليه وسألونا أن نريح عندهم الركاب من الاين وعجلوا بالضيافة على الفتوح ولا ينكر تعجيل الفتوح للحصين ووجدنا هناك فقيرا مغربيا حسن التلاوة وقد عجز عن المسير

قولهم فهو نوع من الأشخاص المتشيطنة يعرف بهذا الاسم فيظهر في أكناف اليمن وصعيد مصر في أعاليه وربما أنه يلحق الانسان فينكحه فيدود دبره فيموت وربما نزا على الانسان وأمسكه فيقول أهل تلك النواحي التي ذكرناها أمنكوح هو أو مذعور فان كان قد نكحه أيسوا منه وان كان قد ذعر سكن روعه وشجع قلبه واذا رآه الانسان وقع مغشيا عليه ومنهم من يظهر له فلا يكترث به لشهامته وثبات قلبه

﴿ ذكر الهواتف ﴾ أما الهواتف فقد كانت كثرت في العرب وكان أكثرها أيام ولد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وان من حكم الهواتف أن تهتف بصوت مسموع وجسم غير مرئي ﴿ ومن عجيب ما حكي من أمر الهواتف ﴾ ما حكاه أبو عمرو بن العلاء قال خرجنا حجاجا فصاحبنا رجل وجعل يقول في طريقه

* ليت شعري هل بغت على * فلما انصرفنا من مكة قالها في بعض الطريق فأجابه صوت في الظلام * نعم نعم ونا كها حجيه * وهو رجل أحمر ضخم في قفاه كيه * فسكت الرجل فلما سرنا الى البصرة أخبرنا ذلك الرجل قال دخل جيراني يسلمون علي فاذا فيهم رجل أحمر ضخم في قفاه كية فقلت لأهلي من هذا قالت رجل كان ألطف جيراننا بنا فجزاه الله خيرا فسألتها عن اسمه فقالت حجية فقلت الحقي بأهلك (وأما) بكاء المقتول فكانت النساء لا يبكين المقتول حتى يؤخذ بثأره فاذا أخذ بثأره بكينه (وأما) رمي السن فكانوا يزعمون أن الغلام اذا ثغر فرمى سنه في عين الشمس بسبابته وابهامه وقال أبدليني بأحسن منها فانه يأمن على أسنانه العوج والفلج (وأما) خضاب النحر فكانوا إذا أرسلوا الخيل على الصيد فسبق واحد منها خضبوا صدره بدم الصيد علامة (وأما) نصب الراية فكانت العرب تنصب الرايات على أبواب بيوتها لتعرف بها (وأما) جز النواصي فكانوا إذا أسروا رجلا ومنوا عليه وأطلقوه جزوا ناصيته (وأما) الالتفات فكانوا يزعمون أن من خرج في سفر والتفت وراءه لم يتم سفره فان التفت تطير واله * وكانوا يقولون من علق عليه كعب الأرنب لم تصبه عين ولا سحر وذلك أن الجن تهرب من الأرنب لأنها تحيض وليست من مطايا الجن ويزعمون أن المرأة إذا أحبت رجلا وأحبها ثم لم يشق عليها رداءه وتشق عليه برقعها فسد حبهما ويزعمون ان الرجل إذا قدم قرية فخاف وباءها فوقف على بابها قبل أن يدخلها ونهق كما تنهق الحمير لم يصبه وباؤها ويزعمون أن الحر قوص وهو دويبة أكبر من البرغوث تدخل في فروج الأبكار فتفتضهن ويزعمون أن الرجل إذا ضل فقلب ثيابه اهتدى وكانوا يزعمون أن الناقة إذا نفرت وذكر اسم أمها فانها تسكن وكانت لهم خرزة يزعمون أن العاشق إذا حكها وشرب ما يخرج منها صبر وتسمى السلوان * ونكاح المقت من سنتهم وهو أن الرجل اذا مات قام ولده الأكبر فألقى ثوبه على امرأة أبيه فورث نكاحها فان لم يكن له بها حاجة زوجها لبعض اخوته بمهر جديد فكانوا يرثون النكاح كما يرثون المال ولهم حكايات عجيبة وأحوال غريبة والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب الستون في الكهانة والقيافة والزجر والعرافة والفأل والطيرة والفراسة والنوم والرؤية وما أشبه ذلك ﴾

(أما الكهانة) فكانت فاشية في الجاهلية حتى جاء الاسلام فلم يسمع فيه بكاهن وكان ذلك من معجزات النبوة وآياتها وللكهنة أخبار (فمنهم) سطيح وردعليه عبد المسيح وهو يعالج الموت وأخبره على ما يزعمون بما جاء لأجله وذلك أن الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها فلما أصبح أعلم كسرى بذلك فتصبر كسرى تشجعا ثم رأى أن لا يكتم ذلك

السفر والاقامة ولحقه في ذلك فقير عجمي ينشد لسان حاله * لي مثل ما بك يا حمامة * فلم أر مثلها صدقات تجود من الزاد والراحلة بالغيث والبرق ولا مثله متصدقا بمجلس لحظة واحدة فيركض نداه في الغرب والشرق وعجنا يعجلون لحشر الناس لدينا ضحى وجاء أهل المدينة يستبشرون فرحا وارتفعت الاصوات بالادعية الوافية وأردنا أن نكتم دخولنا البلد وكيف تكتمنا وهي ذات عين صافية ثم نزلنا بالخيام في مرجتها الخضراء تحت قلعتها الغراء وهي في معارج السحب صاعدة شائدة في الجو كأنها في السحر على عمود الصبح قاعدة مضيئة بين عقود الانجم كأنها درتها اليتيمة جالسة على سرير الخيل تنادم الفرقدين كأنها جذيمة فنظر في المصالح وميز بالعدل بين الصالح والطالح وعجل من عجلون المسير فلم ينظر الغادي الذي هو رائح وأشرفنا على بركات القصد المنجية واقتحمنا الى الفور عقبة سهلها السعد فلا تقل ما أدراك ما العقبة واستفتحنا المزارات التي نوينا قصدها وطوينا غورها ونجدها بمشهد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أبو عبيدة بن الجراح

عن وزرائه ورؤساء مملكته فلبث تاجه وقعد على سريره وجمع وزراءه ورؤساء
مملكته فاخبرهم بالخبر فبينما هم كذلك إذ ورد عليهم كتاب بخمود النيران وارتجاس
الايوان فازدادوا غما على غمهم فكتب كسرى كتابا الى النعمان بن المنذر أما بعد فوجه
الى رجلا عالما بما أريد أن أسأله عنه فوجه اليه عبد المسيح الغساني فقال له كسرى أعندك علم بما
أريد أن أسألك عنه قال ليخبرني الملك فان كان عندي علم منه والا أخبرته بمن يعلمه به فاخبره بما رآه
الموبذان فقال علم ذلك عند كاهن يسكن مشارف الشام يقال له سطيح قال فاته فاسأله عما سألتك
وائتني بالجواب فركب عبد المسيح وتوجه الى سطيح فوجده قد أشرف على الضريح فسلم عليه وحياه
ولم يخبره عبد المسيح بما جاء بسببه غير أنه أنشده شعرا يذكر فيه أنه جاء برسالة من قبل ملك العجم ولم
يذكر له السبب فرفع رأسه وقال عبد المسيح على جمل يسيح الى سطيح بعثك ملك بني ساسان
لارتجاس الايوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت الدجلة
وانتشرت في بلادها ياعبد المسيح اذا كثرت التلاوة وفاض وادي سماوة وغاضت بحيرة ساوة وخمدت
نار فارس فليس الشام لسطيح شاما ولا العجم لعبد المسيح مقاما يرتفع أمر العرب وأظن أن وقت ولادة محمد
قد اقترب يملك منهم ملوك وملكات بعدد الشرفات وكل ماهو آت آت ثم قضى سطيح مكانه فثار عبد
المسيح الى راحلته وعاد فاخبر كسرى بذلك (وحكى) أن ربيعة بن مضر اللخمي رأى مناما هاله
فاراد تفسيره فقال له أهل مملكته مايفسره لك الاشق وسطيح فاحضرهما وقال لسطيح انى رأيت
مناما هالني فان عرفته فقد أصبت تفسيره فقال رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بارض تهمة
فاكل منها كل ذات جمجمة فقال له الملك ما أخطأت شيئا فما تفسيره قال ليهبطن بأرضك الحبش
وتملك ما بين أبين الى جرش فقال الملك ان هذا لغائظ موجع فمتى هو كائن أفي زماني أم بعده قال بل
بعده بحين أكثر من ستين أو سبعين تمضي من السنين ثم يقتلون بها أجمعين ويخرجون منها هاربين قال
ومن ذا الذي يملك بعدهم قال أرام ذي يزن يخرج عليهم من عدن فلا يترك منهم أحدا باليمن قال الملك
فيدوم ذلك أم ينقطع قال بل ينقطع قال ومن يقطعه قال نبي زكي يأتيه الوحي من العلي قال وممن يكون
هذا النبي قال من ولد عدنان بن فهر بن مالك بن النضر يكون في قومه الملك إلى آخر الدهر قال وهل للدهر
من آخر قال نعم يوم يجمع فيه الاولون والآخرون ويسعد فيه المحسنون ويشقى المسيئون قال أوحق
ما تخبر قال والشفق والقمر اذا اتسق ان ما أنبأتك به لحق ثم دعا بشق فقال مثل ما قال سطيح * ومن
ذلك ما حكى ان أمية بن عبد شمس دعا هاشم بن عبد مناف الى المفاخرة فقال له هاشم أفاخرك على
خمسين ناقة سود الحدق تنحر بمكة فرضي أمية بذلك وجعل بينهما الخزاعي الكاهن حكما فخبأ اليه
شيئا وخرجا اليه ومعهما جماعة من قومهما فقالوا قد خبأنا لك خبيأ فان علمته تحاكمنا اليك وان لم تعلمه
تحاكمنا الى غيرك فقال لقد خبأتم لي كيت وكيت قالوا صدقت أحكم بين هاشم بن عبد مناف وبين
أمية بن عبد شمس أيهما أشرف بيتا ونسبا ونفسا فقال والقمر الباهر والكوكب الزاهر والغمام الماطر
وما بالجو طائر وما اهتدى بعلم مسافر لقد سبق هاشم أمية الى المآثر ولأمية أواخر فاخذ هاشم
الابل ونحرها وأطعمها من حضر وخرج أمية الى الشام وأقام بها عشر سنين ويقال انها أول عداوة وقعت
بين بني هاشم وبني أمية (وحكى) ان هند بنت عتبة بن ربيعة كانت تحت الفاكه بن المغيرة وكان
الفاكه من فتيان قريش وكان له بيت ضيافة خارجا عن البيوت تغشاه الناس من غير اذن فخلا البيت
ذات يوم واضطجع فيه هو وهند ثم نهض لحاجة فاقبل رجل ممن كان يغشى البيت فولجه فلما رأى
هندا رجع هاربا فلما نظره الفاكه دخل عليها فضربها برجله وقال لها من هذا الذي خرج من
عندك قالت ما رأيت أحدا قط وما انتبهت حتى انبهتني قال فارجعي الى بيت أبيك وتكلم الناس فيها

رضي الله تعالى عنه فترامينا اليه بالعزم الفاخر وزال أمين هذه الأمة الاول أمينها الآخر وأجرى أمر
مشده على سنن الصلاح
ونظر في مرتبه بعين
العدل وأعانه بيد السماح
وجعل والي الناحية
عبيدة وما جعل لشاهده
المعروف بالجراح وسلكنا
جانب الغور المطور
فاعجبنا ريا ورواء وكنا
نظن الماء فيه غورا فوجدنا
الغور ماء وخضنا في حديثه
وخاضت الخيل وتركنا
عقباته كالعلقة وملنا إلى
السهل كل الميل وتلقينا
كل ذي قصد ببشر
الصباح ولم نقل أهلك
والليل ومازلنا كذلك
لا نمر بواد إلا أتت مع
الابتهال بطول العمر ماله
وأراملها ولا بناد الاقامت
للدعاء رجاله وأطفاله
وحلائله ولا بولاية إلا
ارتج غدرها ولا ببلدة الازها
على التي بين السماكين بدرها
ولا ماش إلا حمله المعروف
ولا عابر سبيل إلا آنسه
من النعماء صنوف ولا
جائز الا شملته جائزة
ولا منقطع بمفازة إلا
وعقباه فائزة ولا ظبية
من ظبيات دمشق إلا
والمكارم تؤالبها وتواليها
وتوجدها في القفار كما
توجدها أولياء الله فيها
إلى أن قدمنا القدس
الشريف نحن والغمام
وسبقنا اليه طرة الصبح

 تحت أذيال الظلام وخف بنا جناح الشوق والسوق حين دنت الخيام من الخيام وألقينا بباب حرمه عصى

فقال أبوها يابنية ان الناس قد أكثروا فيك الكلام فان يكن الرجل صادقا دسيت عليه من يقتله لينقطع كلام الناس وان يك كاذبا حاكمته الى بعض كهان اليمن فقالت له لا والله ماهو على بصادق فقال له يا فاكه إنك قد رميت ابنتي بأمر عظيم فحاكمني الى بعض كهان اليمن فخرج الفاكه في جماعة من بني مخزوم وخرج أبوها في جماعة من بني عبد مناف ومعهم هند ونسوة فلما شارفوا البلاد قالوا غدا نرد على هذا الرجل فتغيرت حالة هند فقال لها أبوها انى أرى حالك قد تغير وماهذا الا لمكروه عندك فقالت لا والله ولكن أعرف أنكم تأتون بشرا يخطئ ويصيب ولا آمنه أن يسمني بسيما تكون على سبة فقال لها لا تخشي فسوف أختبره فصفر لفرسه حتى أدلى ثم دخل فى احليله حبة حنطة وربطه فلما أصبحوا قدموا على الرجل فأكرمهم ونحر لهم فلما تغدوا قال له عتبة قد جئناك فى أمر وقد خبأنا لك خبيئة نختبرك بها قال خبأتم لى ثمرة فى كمرة قال انى أريد أبين من هذا قال حبة بر فى احليل مهر قال فانظر فى أمر هؤلاء النسوة فجعل يأتى الى كل واحدة منهن ويضرب بيده على كتفها ويقول لها انهضى حتى بلغ هندا فقال انهضى غير رسحاء ولا زانية وستلدين ملكا اسمه معاوية فنهض اليها الفاكه فاخذ بيدها فجذبت يدها من يده وقالت اليك عنى فوالله انى لا حرص أن يكون ذلك من غيرك فتزوجها أبوسفيان فولدت منه أمير المؤمنين معاوية رضى الله تعالى عنه ﴿ وأما القيافة ﴾ فهى على ضربين قيافة البشر وقيافة الأثر * فاما قيافة البشر فالاستدلال بصفات أعضاء الانسان وتختص بقوم من العرب يقال لهم بنو مدلج يعرض على أحدهم مولود فى عشرين نفرا فيلحقه باحدهم ﴿ وحكى ﴾ عن بعض أبناء التجار أنه كان فى بعض أسفاره راكبا على بعيره يقوده غلام أسود فمر بهؤلاء القبيلة فنظر اليه واحد منهم وقال ما أشبه الراكب بالقائد قال ولد التاجر فوقع فى نفسى من ذلك شىء فلما رجعت الى أمى ذكرت لها القصة فقالت ياولدى ان أباك كان شيخا كبيرا ذا مال وليس له ولد فخشيت أن يفوتنا ماله فمكنت هذا الغلام من نفسى فحملت بك ولولا أن هذا شىء ستعلمه غدا فى الدار الآخرة لما أعلمتك به فى الدنيا * وأما قيافة الأثر فالاستدلال بالاقدام والحوافر والخفاف وقد اختص به قوم من العرب أرضهم ذات رمل اذا هرب منهم هارب أودخل عليهم سارق تتبعوا آثار قدمه يظفروا به ومن العجب أنهم يعرفون قدم الشاب من الشيخ والمرأة من الرجل والبكر من الثيب والغريب من المستوطن ويذكر أن فى قطية وثغر البرلس اقواما بهذه الصفة وقد وقعت من قريش حين خرج النبى ﷺ وأبو بكر الى الغار على صخر صلد وأحجار صم ولا طين ولا تراب تبين فيه الاقدام فحجبهم الله تعالى عن نبيه ﷺ بما كان من نسيج العنكبوت وما لحق القائف من الحيرة وقوله الى ههنا انتهت الاقدام هذا ومعهم الجماعة من قريش وأبصارهم سليمة ولولا أن هناك لطيفة لا يتساوى الانسان فيها يعنى فى علمها لما استأثر بعلم ذلك طائفة دون أخرى وقيل القيافة لبنى مدلج فى أحياء مضر واختلف رجلان من القافة فى أمر بعير وهما بين مكة ومنى فقال أحدهما هو جمل وقال الآخر هى ناقة وقصدا يتبعان الأثر حتى دخلا شعب بنى عامر فاذا بعير واقف فقال أحدهما لصاحبه أهو ذا قال نعم فوجداه خنثى فأصابا جميعا * ومنهم من كان يخط الرمل فى الارض ويقول فيوافق قوله ما يأتى بعد وقال رجل شردت لى ابل فجئت الى خراش فسألته عنها فامر بنته أن تخط لى فى الارض فخطت ثم قامت فضحك خراش ثم قال أتدرى قيامها لأى شىء قلت لا قال قد علمت انك تجد ابلك وتتزوجها فاستحيت ثم خرجت فوجدت ابلى ثم تزوجتها * وخرج عمرو بن عبد الله بن معمر ومعه مالك بن خراش الخزاعى غازيين فمرا بامرأة وهى تخط للناس فى الارض فضحك منها مالك هزوا وقال ما هذا فقالت أما والله لا

لا تخرجن

السفر وأقمت هناك رحالها ركائب المطر وزرنا (٨٢) باب الرحمة من الارض وزرنا باب الرحمة من السماء وصرنا من الصالحين عند زيارة الاقصى فمشينا على الماء وجدنا الاوطان والأقطار واستمرت السحب حتى عادت الصخرة كحجر موسى تتفجر منها الانهار وأقمنا فى بيوت أذن الله أن يرفع شأنها ويسبح فيها بالغدو والآصال سكانها وكان معنا شخص يلقب بالخلد سكن بيتا حسنا وغمض عينه على الرقاق تغميضا بينا (فقال) مولانا الصاحب ما تقول فى بيته فقلت ما أقول فى جنة الخلد وشكا قوم عشرة هذا الرجل فكتبت على ورقتهم اصبروا على ما يعملون وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون ثم دخل الناس على الأبواب الصاحبية أفواجا وما ترك أحد منهم منهاجا ذا ناحية الا منهاجا ومكثنا فى البيوت الى أن صحا الافق من مدامة غمامه وحسر عن وجهه للابصار فضل لثامه وقمنا لبقية المشاهد قاصدين ولتلك المبانى المعظمة شاهدين ومشاهدين فعاودنا الصخرة بقلوب قد لانت ونثرنا على مواطىء القدم دموعا عزت بلمسها ولا نقول هانت ونظرنا آثارا قديمة تذهل عيون النظارة وآثارا متجددة فى هذه الدولة القاهرة تقصر عنها العبارة ومحاسن يقف

لا تخرجن من سجستان حتى تموت ويتزوج عمرو هذا زوجتك فكان كما ذكرت (وأما الزجر والعرافة) فاحسنه ماروى أن كسرى أبرويز بعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم حين بعث زاجرا ومصورا فقال للزاجر انظر ماترى فى طريقك وعنده وقال للمصور ائتنى بصورته فلما عاد اليه أعطاه المصور صورته صلى الله عليه وسلم فوضعها كسرى على وسادته ثم قال للزاجر ماذا رأيت قال مارأيت ماأزجر به الا أنه سيعلو أمره عليك لأنك وضعت صورته على وسادتك * وبعث صاحب الروم إلى النبي صلى الله عليه وسلم رسولا وقال له انظر اليه ومل الى جانبه وانظر الى مابين كتفيه حتى ترى الخاتم والشامة فقدم الرسول فرأى النبي صلى الله عليه وسلم على نشز عال واضعا قدميه فى الماء وعن يمينه على رضى الله تعالى عنه فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له تحول فانظر ماأمرت به فنظر الرسول فلما رجع الى صاحبه أخبره الخبر فقال ليعلون أمره وليملكن ماتحت قدمى فتفاءل بالنشز العلو وبالماء الحياة * وقال المداينى وقع الطاعون بمصر فى ولاية عبد العزيز بن مروان حين أتاها فخرج هاربا ونزل بقرية من قرى الصعيد فقدم عليه حين نزلها رسول لعبد الملك بن مروان فقال الرسول مااسمك قال طالب بن مدرك فقال أواه ماأظن أنى أرجع الى الفسطاط فمات ولم يرجع وكانت نائلة بنت عمار الكلبى تحت معاوية فقال لفاختة بنت قرظة اذهبى فانظرى اليها فذهبت ونظرت فقالت مارأيت مثلها ولكنى رأيت تحت سرتها خالا ليوضعن معه رأس زوجها فى حجرها فطلقها معاوية وتزوجها بعده رجلان حبيب ابن مسلمة والنعمان بن بشير فقتل أحدهما ووضع رأسه فى حجرها وبينما مروان بن محمد جالس فى إيوانه ينفقد الأمور اذ تصدعت زجاجة من الايوان فوقعت منها الشمس على منكب مروان وكان هناك عراف وقيل قياف فقام فتبعه ثوبان مولى مروان فسأله فقال صدع الزجاج صدع السلطان ستذهب الشمس بملك مروان بقوم من الترك أو خراسان ذلك عندى واضح البرهان فما مضى غير شهرين حتى مضى ملك مروان (وروى) المداينى أن عليا رضى الله تعالى عنه بعث معقلا فى ثلاثة آلاف ليقيم بالرقة وذلك فى وقعة صفين فسار حتى نزل الحديبية فبينما هو ذات يوم جالس اذ نظر الى كبشين ينتطحان فجاء رجلان فأخذ كل واحد منهما كبشا فذهب به فقال شداد بن أبى ربيعة الخثعمى الزاجر انكم لتنصرفون من موجهكم هذا لاتغلبون ولا تغلبون أما ترى الكبشين كيف انتطحا حتى حجز بينهما فتفرقا ولا فضل لأحدهما على الآخر (وحكى) أن الاسكندر ملك بعض البلاد فدخل فيها فوجد امرأة تنسج ثوبا فلما رأته قالت له أيها الملك قد أعطيت ملكا ذا طول وعرض ثم دخل عليها بعد ذلك فقالت ستعزل من الملك قال فغضب عند ذلك فقالت له لا تغضب فانك فى المرة الأولى دخلت على والشقة بيدى أدير طولها وعرضها ودخلت على الآن والشقة فى يدى أريد قطعها لأنى قد فرغت من نسجها فلا تغضب فان النفوس تعلم أشياء بعلامات قال الراوى فكان كذلك (وحكى) أن سيف بن ذى يزن لما استنجد كسرى على قتال الحبشة بعث اليه بجيش عظيم فخرج اليهم ملك الحبشة وهو مسروق بن أبرهة فى مائة ألف من الحبشة وكان بين عينيه ياقوتة حمراء بعلاقة من الذهب على تاجه تضيء كالنور وهو على فيل عظيم قال وكان فى عسكر ذى يزن رجل يقال له زهير فتأمل ذلك منه ثم قال لاميره اصبر لننظر مايكون من أمره قال فتحول مسروق من الفيل الى جمل فقال اصبر فتحول بعد ذلك الى فرس ثم الى بغل ثم الى حمار وكأنه أنف من مقاتلهم على شيء من ذلك الاعلى حمار لأنه استصغرهم واستحقرهم وتفرس ذلك الرجل فيه من الانتقال من أعلى الى أدنى وقال احملوا عليهم فان ملكهم قد ذهب فانه انتقل من كبير الى صغير فحملوا عليهم فكسروهم وقتل الملك (وحكى) أنه كان عراف من الطرقيين ببغداد يخبر بما يسئل عنه فلم يخطىء

فى طريق الزيارة متأملها ووقفة فى الطريق نصف الزيارة فمنها ماهو مخصوص بالحرم الشريف نستلم كالحجاج أركانه ونقلب وجوهنا فى سماء سقف يكاد يمطر علينا لجينه وعقيانه ونشاهد رخاما بالغ فى الحسن والمحل الاقصى فى الاقصى وتمت به فى بهجة المكان زيادة تخالف قول النحاة أن فى الترخيم نقصا فاما المياه التى تجرى فى الحرم على رأسها وتطوف على مواضع المنافع بنفسها فتلك نعمة مقيمة يكافىء الله عنها فى دار المقامة وحسنة فى المعنى والصورة جارية إلى يوم القيامة ومن المبانى المذكورة ماهو خصيص بمولانا ملك الأمراء أعز الله أنصاره وأبقاه سيفا يقف كل ذى قدر عند حده فلا يجاوز مقداره من مدرسة علم يدرس ولا يدرس معهده ودار حديث يروى فيروى الاسماع الظامئة مورده وخانقاه تضيء عليها أنوار البركات الكوامل ورباط ومكتب هما كما قيل

ثمال اليتامى عصمة للارامل

﴿ وقلت فيها ﴾

بنيت رباطا للنساء ومكتبا
يدير على الأيتام سحب العواضل

فلله من هذا وذاك كما ترى

ثمال اليتامى عصمة للأرامل

فجنينا من تلك المحاسن بساتين دانية القطوف ولحظنا من الظلال السيفية جنة نشأت

فسأله رجل عن شخص محبوس هل ينطلق قال نعم و يخلع عليه قال فقلت له بأى شىء عرفت ذلك فقال انك لما سألتنى التفت يمينا وشمالا فوجدت رجلا على ظهره قربة ماء ففرغها ثم حملها على كتفه فأولت الماء بالمحبوس وتفريغه بالانطلاق ووضعها على كتفه بالخلعة قال وكان الأمر كذلك (وأما الفأل) فقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يحب الفأل الصالح والاسم الحسن وروى أنه صلى الله عليه وسلم لما نزل المدينة على كلثوم دعا غلامين له يابشار و ياسالم فقال صلى الله عليه وسلم لأبى بكر رضى الله تعالى عنه أبشر ياأبا بكر فقد سلمت لنا الدار وقال الأصمعى سألت ابن عون عن الفأل فقال هو أن يكون مريض فيسمع ياسالم أو طالب حاجة فيسمع ياواجد وما أشبه ذلك (وأما الطيرة) فقد كان صلى الله عليه وسلم يحب الفأل و يكره الطيرة وقيل ذكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من عرض له من هذه الطيرة شىء فليقل اللهم لاطير الا طيرك ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس منا من تطير أو تطيرله أو تكهن أو تكهن له وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما رفعه من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه من أتى كاهنا فصدقه فيما يقول أو أتى امرأته حائضا فى دبرها فقد برىء مما نزل على محمد وأنشد المبرد هذه الابيات يقول

لايعلم المرء ليلا مايصبحه * الا كواذب مايجرى به الفال
والفال والزجر والكهان كلهم * مضللون ودون الغيب اقفال

(وقال لبيد) لعمرى ماتدرى الطوارق بالحصى * ولا زاجرات الطير ماالله صانع

(وقال آخر) تعلم أنه لاطير الا * على متطير وهو الثبور
بلى شىء يوافق بعض شىء * أحايينا وباطله كثير

وكانت العرب تتطير بأشياء كثيرة منها العطاس وسبب تطيرهم منه أن دابة يقال لها العاطوس كانوا يكرهونها وكانوا إذا أرادوا سفرا خرجوا من الغلس والطير فى أوكارها على الشجر فيطيرونها فان أخذت يمينا أخذوا يمينا وان أخذت شمالا أخذوا شمالا ومنه قول امرىء القيس

وقد اغتدى والطير فى وكناتها * بمنجرد قيد الأوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل

والعرب أعظم مايتطيرون منه الغراب فالقول فيه أكثر من أن يطلب عليه شاهد و يسمونه حاتما لأنه يحتم عندهم بالفراق و يسمونه الأعور على جهة التطير اذ كان أصح الطير بصرا وفيه يقول بعضهم

اذا ماغراب البين صاح فقل له * ترفق رماك الله ياطير بالبعد
لأنت على العشاق أقبح منظر * وأبشع فى الأبصار من رؤية اللحد
تصيح ببين ثم تعثر ماشيا * وتبرز فى ثوب من الحزن مسود
متى صحت صح البين وانقطع الرجا * كأنك من يوم الفراق على وعد

وأعرض بعضهم عن الغراب وتطير بالابل وسبب ذلك لكونها تحمل أثقال من ارتحل وفى ذلك قال بعضهم مفردا وأجاد زعموا بأن مطيهم سبب النوى * والمؤذنات بفرقة الأحباب

وقالوا من تطير من شىء وقع فيه (وحكى) عن ابراهيم بن المهدى قال أرسل الى محمد بن زبيدة فى ليلة من ليالى الصيف مقمرة يقول ياعم انى مشتاق اليك فاحضر الآن عندنا فجئته وقد بسط له على سطح زبيدة وعنده سليمان بن أبى جعفر وجاريته نعيم فقال لها غنينا شيئا فقد سررت بعمومتى فغنت وهى تقول هذه الأبيات

وكذلك الجنة تحت ظلال السيوف وشرعت صدقات السر والجهر وقوبل السؤال ببحر لا يسمع عنده نهر وغص بفقرائهم المكان والطريق وجاؤا رجالا ونساء وعلى كل ضامر من العصى يأتين من كل فج عميق فوضع فى مواضع النوال وقدرت الكساوى حتى على المستورين والاطفال هذا وكم ثياب صوف أعرض أشراقها عن مقال اللاحين واتخذ الفقراء والأغنياء من أصوافها أثاثا ومتاعا الى حين وجاءت الدراهم بعد التفاصيل بالجمل وقال جودها لحاتم هذى التى لا ناقة فيها ولا جمل

﴿ ومما قلت فى ذلك ﴾

لله حال امرىء مقتر قضيت فى القدس بتقديسه
ودرهم ولى ولكنه قد أخذ الأجر على كيسه

ثم تليت الختمات التى شرف الله تعالى ذكرها ومواعيد التفاسير والرقائق التى أجرت الاوقات الصاحبية أجرها وشرع فى بناء الرواق على سطح الزاوية الصاحبية بباب الحرم الشريف وأخذ راقم الرخام فى التوشيع والتفويف فيالها الواحا كتب فيها من الحسن كل شىء واطرد ماء رونقها فكان العين منها فى ماء وفىء وياله رواقا شاق وصفه وراق ورفع محله فقال لسان المتصوف حبذا رفاعي الرواق

همو

هو قتلوه كى يكونوا مكانه * كما فعلت يوما بكسرى مرازبه

بنى هاشم كيف التواصل بيننا * وعند أخيه سيفه ونجائبه

قال فغضب وتطير وقال لها ماقصتك ويحك انتهى وغنى مايسرنى فغنت تقول

كليب لعمرى كان أكثر ناصرا * وأكثر جرما منك ضرج بالدم

فقال لها ويحك ماهذا الغناء فى هذه الليلة غنى غيرهذا فغنت تقول هذه الابيات

مازال يعدو عليهم ريب دهرهم * حتى تفانوا وريب الدهر عداء

تبكى فراقهم عينى فأرقها * ان التفرق للمشتاق بكاء

قال فانتهرها وقال لها قومى إلى لعنة الله فقالت والله يامولاى لم يجر على لسانى غير هذا وما ظننت الا أنك تحبه ثم انها قامت من بين يديه وكان بين يديه قدح بلور كان أبوه يحبه فأصابه طرف ردائها فانكسر قال ابراهيم بن المهدى فالتفت إلى وقال ياعمى أرى ان هذا آخر أمرنا فقلت كلا بل يبقيك الله ياأمير المؤمنين ويسرك فسمعت هاتفا يقول قضى الامر الذى فيه تستفتيان فقال لى أسمعت ماسمعت ياعم فقلت ماسمعت شيئا وما هذا الا توهم فاذا الصوت قد علا فقال ياعم اذهب إلى بيتك فحال أن يكون بعد هذا اجتماع قال فانصرفت من عنده وكان هذا آخر عهدى به * وخرج أبو الشمقمق مع خالد بن يزيد بن مزيد وقد تقلد الموصل فلما أراد الدخول اليها اندق لواؤه فى أول درب منها فتطير لذلك فأنشده أبو الشمقمق يقول

ماكان مندق اللواء لريبة * تخشى ولا أمر يكون مبذلا

لكن هذا الرمح ضعف متنه * صغر الولاية فاستقل الموصلا

فسر خالد وأمر لابى الشمقمق بعشرة آلاف درهم * ودخل الحجاج الكوفة متوجها الى عبدالملك فصعد المنبر فانكسر تحت قدمه لوح فعلم أنهم قد تطيروا له بذلك فالتفت الى الناس قبل أن يحمد الله تعالى فقال شاهت الوجوه وتبت الايدى وبؤتم بغضب من الله إذا انكسر عود جذع ضعيف تحت قدم أسد شديد تفاءلتم بالشؤم وانى على أعداء الله تعالى لأنكد من الغراب الابقع وأشأم من يوم نحس مستمر وانى لاعجب من لوط وقوله لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد فأى ركن أشد من الله تعالى أوما علمتم ما أنا عليه من التوجه الى أمير المؤمنين وقد وليت عليكم أخى محمد بن يوسف وأمرته بخلاف ما أمر به رسول الله ﷺ معاذا فى أهل اليمن فانه أمره أن يحسن الى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم وقد أمرته أن يسىء الى محسنكم وان لا يتجاوز عن مسيئكم وأنا أعلم أنكم تقولون بعدى لا أحسن الله له الصحابة وأنا معجل لكم الجواب لا أحسن الله عليكم الخلافة أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولكم * وخرج بعض ملوك الفرس الى الصيد فاول من استقبله أعور فضربه وأمر بحبسه ثم ذهب للصيد فاصطاد صيدا كثيرا فلما عاد استدعى بالاعور فأمر له بمال فقال لاحاجة لى به ولكن ائذن لى فى الكلام فقال تكلم فقال أيها الملك انك تلقيتنى فضربتنى وحبستنى وتلقيتك فصدت وسلمت فاينا أشأم صباحا على صاحبه فضحك منه وأمر له بصلة (وحكى) أيضا ان صاحب قرطبة أصابه وجع فأمر بعض جواريه أن تغنيه ليلهو عن وجعه فقالت

هذى الليالى علمنا أن ستطوينا * فشعشعينا بماء المزن واسقينا

قال فتطير من ذلك وأمرها بالانصراف ولم يقم بعد ذلك غير خمسة أيام ومات (وحكى) أن نور الدين

ثم رتب للشيخ والفقراء مايحتاجون اليه من كل نوع فريد واصبح كل احد وهو للنزول عند ذلك الشيخ مريد وبرزنا فى اليوم السابع من الاقامة وقد قدمنا نقصد الخليل صلوات الله عليه بالنية الجلية وطربنا لتلك المنازل وكيف لا نطرب لها وهى الخليلية وزرنا قبر يونس عليه السلام فى طريقنا ورفعنا لأنواره الجفون وتملى عند الزيارة وذى العين بذى النون ثم نزلنا من محل الخليل على محل القرى وحمدنا عند صباح ذلك الوجه السرى واستقبلنا بمقام ابراهيم أمانا واستلمنا من ضريح شائد الركن ومن ضرائح أهله أركانا وأكلنا من شهى عدسه لونا ووجدنا من الهناء ألوانا وقلنا لأنفاس الشوق كونى بردا وسلاما على ابراهيم ووردنا مورد اللقاء نشفى ظمأ ابراهيم وفرقت الهبات وتليت الختمات وجردت المواعيد على عوائدها المحكمات فقلت

قصدنا خليل الله فى ظل صاحب * جلى العلى والمكرمات جليل

فهذا لدنيانا وهذا لديننا * فياحبذا من صاحب وخليل

وسرنا فى ظل الصاحب من الخليل وكادت دمشق بمد أيدى أعطانها الجاذبة ركابه ومصر تتضرع بأصابع نيلها طمعا فى اقترابه وترضع ثدى هرمها داعية الى الله بعوده اليها وايابه وهم شبابك

محمود وهمام الدين ركبا في يوم عيد وخرجا للتفرج فتجا ولا في الكلام ثم قال محمود يا من درى هل نعيش الى مثل هذا اليوم فقال له همام الدين قل هل نعيش الى آخر هذا الشهر فان العام كثير قال فاجرى الله على منطقهما ما كان مقدرا في الأزل فمات أحدهما قبل تمام الشهر ومات الآخر قبل تمام العام ﴿وأما الفراسة﴾ فقد قال الله تعالى ان في ذلك لآيات للمتوسمين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وقال علي رضي الله تعالى عنه ما أضمر أحد شيئا الا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه وقيل أشار ابن عباس رضي الله تعالى عنهما على علي رضي الله تعالى عنه بشيء فلم يعمل به ثم ندم فقال يرحم الله ابن عباس كأنما ينظر الى الغيب من ستر رقيق ﴿وحكى﴾ أبو سعيد الخراز أنه كان في الحرم فقير ليس عليه الا ما يستر عورته فانفت نفسي منه فتفرس ذلك مني فقرأ واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه فندمت واستغفرت الله في قلبي فتفرس ذلك أيضا فقرأ وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ﴿وحكى﴾ عن الشافعي ومحمد بن الحسن انهما رأيا رجلا فقال أحدهما انه نجار وقال الآخر انه حداد فسألاه عن صنعته فقال كنت حدادا وأنا الآن نجار ﴿وحكى﴾ أن شخصا من أهل القرآن سأل بعض العلماء مسئلة فقال له اجلس فاني أشم من كلامك رائحة الكفر فاتفق بعد ذلك أنه سافر السائل فوصل الى القسطنطينية فدخل في دين النصرانية قال من رآه ولقد رأيته متكئا على دكة وبيده مروحة يروح بها عليه فقلت السلام عليك يا فلان فسلم علي وتعارفنا ثم قلت له بعد ذلك هل القرآن باق على حاله أم لا فقال له لا أذكر منه الا آية واحدة وهي قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال فبكيت عليه وتركته وانصرفت وكان الحسن ابن السقاء من موالي بني سليم ولم يكن في الارض أحزر منه كان ينظر الى السفينة فيحزر ما فيها فلا يخطىء وكان حزره المكيول والموزون والمعدود سواء كان يقول في هذه الرمانة كذا وكذا حبة وزنتها كذا وكذا ويأخذ العود الآس فيقول فيه كذا وكذا ورقة فلا يخطىء وقالوا اذا رأيت الرجل يخرج بالغداة ويقول لشيء ما عند الله خير وأبقى فاعلم ان في جواره وليمة ولم يدع اليها واذا رأيت قوما يخرجون من عند قاض وهم يقولون ما شهدنا الا بما علمنا فاعلم أن شهادتهم لم تقبل واذا قيل للمزوج صبيحة البناء على أهله كيف ما تقدمت عليه فقال الصلاح خير من كل شيء فاعلم أن امرأته قبيحة واذا رأيت انسانا يمشي ويلتفت فاعلم انه يريد أن يحدث واذا رأيت فقيرا يعدو ويهرول فاعلم انه في حاجة غني واذا رأيت رجلا خارجا من عند الوالي وهو يقول يد الله فوق أيديهم فاعلم انه صفع ويقال عين المرء عنوان قلبه وكانوا يقولون عظم الجبين يدل على البله وعرضه يدل على قلة العقل وصغره يدل على لطف الحركة واذا وقع الحاجب على العين دل على الحسد والعين المتوسطة في حجمها دليل الفطنة وحسن الخلق والمروءة والتي يطول تحديقها يدل على الحمق والتي يكسر طرفها تدل على خفة وطيش والشعر في الاذن يدل على جودة السمع والاذن الكبيرة المنتصبة تدل على حمق وهذيان وكانت الفرس تقول إذا فشا الموت في الوحوش دل على ضيقة واذا فشا في الفأر دل على الخصب واذا نعق غراب فجاوبته دجاجة عمر الخراب واذا قوقت دجاجة فجاوبها غراب خرب العمار والله أعلم بكل شيء عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴿وأما النوم والسهر وما جاء فيهما﴾ فقد روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أشرف أمتي حملة القرآن وأصحاب الليل وروى أن أم سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام قالت له يا بني لا تكثر النوم بالليل فان صاحب النوم يجيء يوم القيامة مفلسا وكان

الطامة الاميرية باجماع الآملين المتأملين والخزائن التي كم قال لها تدبيره اني حفيظ عليم فقال الملك انك لدينا مكين أمين ثم عطفتنا الاقدار الى جهة الرملة وجاءت الوفود كالرمل وخفت أكياس دراهم الصلات وثقلت أكياس دراهم الحمل وأقمنا ثلاثة أيام نكاد ننشد

خرجنا الى أن المقام ثلاثة
فطاب لنا حتى أقمنا بها عشرا

ورأينا مسجدا يعرف بالركني قد غير الزمان محاسنه الأنيقة وهدم الخراب والموت ركنيه على الحقيقة فأمر مولانا الصاحب بعمارة ما منه اندثر ولحظت لآراء حجارته المنقضة فتبين أن السعادة تلحظ الحجر ولقد صنع في هذه المنزلة من المعروف ما لا صنع ذو والدهر الطويل مثله وبني من المكرمات ما ثبت ولولا ابداع سعادته ما ثبت البناء فوق الرملة ورحلنا عن الرملة بنية الزيارة لمشهد زكريا ويحيى عليهما الصلاة والسلام فمررنا في طريقنا بجملة خير معترضة وبنية في وجهة القبول مبيضة تحتوي على قبر بنيامين أخي يوسف عليهما السلام

زمعة بن صالح يصلى ليلا طويلا فاذا أسحر نادى أهله

يا أيها الركب المعرسونا * أكل هذا الليل ترقدونا

فيتواثبون بين باك وداع ومتضرع فاذا أصبح نادى * عند الصباح يحمد القوم السرى * (وأنشدوا)

يا أيها الراقد كم ترقد * قم ياحبيبى قد دنا الموعد

وخذ من الليل وساعاته * حظا إذا ماهجع الرقد

من نام حتى ينقضى ليله * لم يبلغ المنزل أو يجهد

قل لذى الالباب أهل التقى * قنطرة الحشر لكم موعد

وقيل ان نومة الضحى تورث الغم والخوف ونومة العصر تورث الجنون وأنشد بعضهم

ألا إن نومات الضحى تورث الفتى * غموما ونومات العصير جنون

وعن العباس بن عبد المطلب أنه مر يوما بابنه وهو نائم نومة الضحى فوكزه برجله وقال له قم لا أنام الله عينك أتنام فى ساعة يقسم الله تعالى فيها الرزق بين العباد أو ماسمعت ماقالت العرب إنها مكسلة مهزلة منسية للحاجة * والنوم على ثلاثة أنواع نومة الخرق ونومة الخلق ونومة الحمق فنومة الخرق نومة الضحى ونومة الخلق هى التى أمر النبى ﷺ بها أمته فقال قيلوا فان الشياطين لا تقيل ونومة الحمق النومة بعد العصر لا ينامها إلا سكران أو مجنون وكان هشام بن عبد الملك يقول لولده لا تصطبح بالنوم فانه شؤم ونكد وقال الثورى لطبيب دلنى على شىء إذا أردت النوم جاءنى فقال ادهن رأسك وأكثر من ذلك واتق الله * وكان طاوس يقول لان تختلف السياط على ظهرى أحب إلى من أن أنام يوم الجمعة والامام يخطب وكان شداد بن أوس يتلوى على فراشه كالحية على المقلى ويقول اللهم ان النار منعتنى اليوم وأنشدوا فى المعنى

غيرت موضع مرقدى * يوما ففارقنى السكون قل لى فأول ليلتى * فى حفرتى أنى أكون

(وأنشد أبو دلف) أما الكرى ردى على رقاديا * ونومى فقد شردته عن وساديا

أما تتقين الله فى قتل عاشق * أمت الكرى عنه فأحيا اللياليا

(وأنشد أبو غانم الثقفى)

رقدت رقاد الهيم حتى لو انى * يكون رقادى مغنما لغنيت

فقيل لمن هذا فقال ارقاد من رقاد العرب وقيل ان نوم عبود يضرب به المثل وكان عبود هذا عبدا أسود قيل إنه نام أسبوعا وقيل إنه تماوت على أهله وقال اندبونى لأعلم كيف تندبونى إذا أنا مت فسجى ونام وندب فاذا هو قد مات ﴿وأما الرؤيا﴾ فقد قيل فيها أقاويل وهو أنهم قالوا إن النوم هو اجتماع الدم وانحداره الى الكبد ومنهم من رأى أن ذلك هو سكون النفس وهدو الروح ومنهم من زعم أن ما يجده الانسان فى نومه من الخواطر انما هو من الاطعمة والاغذية والطبائع وذهب جمهور الاطباء الى أن الاحلام من الاخلاط وان ذلك بقدر مزاج كل واحد منها وقوته فالذى يغلب عليه الصفراء يرى بحورا وعيونا ومياها كثيرة ويرى أنه يسبح ويصيد سمكا ومن غلبت على مزاجه السوداء رأى فى منامه أجداثا وأمواتا مكفنين بسواد وبكاء وأشياء مفزعة ومن غلب على مزاجه الدم رأى الخمر والرياحين وأنواع الملاهى والثياب المصبغة والذى يقع عليه التحقيق ان الرؤيا الصالحة كما قد جاء جزء من ستين جزأ من النبوة وكان النبى ﷺ أول ما بدىء به من الوحى الرؤيا الصالحة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح * والرؤيا على ضربين فمنهم من يرى رؤيا فتجىء على حالها لا تزيد ولا تنقص ومنهم من يرى الرؤيا فى صورة مثل ضرب له (فمن ذلك ما حكى) أن النبى ﷺ رأى فى الجنة غرفا فقال لمن هذه فقيل لأبى جهل بن هشام

فألحقناه بالزيارة بأخيه وتوكلنا على الله فى القبول توكل أبيه وتيممنا بنيامين وقرعنا ابواب السماء بأدعية فاتحة فقال النجيح عقيب الفاتحة آمين ومررنا والصدور منشرحة والطريق إلى خير الدارين متضحة وجئنا المشهد وقد ظهرت عليه بضريحين كريمين بهجة الدين والدنيا وتلا مزارها للقادم انا نبشرك بيحيى وبتنا ليلة طيبة نحييها ونميت النوم ونعصى بالسهر أمره فانه سلطان على أعين القوم وأصبحنا وقد امتلأت القلوب سرورا والأعين نورا وقوينا على قصد جنى الجنان واستقبلنا محاسن بيسان وختمنا الزيارة بمشهد معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه فأنقذت أنواره القلوب من الهم أى انقاذ وكدنا نفتن بالانس حتى نقول أفتان أنت يا معاذ وأمسكنا عنده من الدعاء بعروة لا تنفصم وأوينا من طوفان الذنوب إلى جبل ينجح من به يعتصم وأمر بما يحتاج اليه من تجديد عمارة وانشاء طهارة وألحق بكل مزار وردنا عليه فى هذه السيارة فانا لا نفارقه إلا عن إقامة صلاة وصلات وتجديد آثار يزين به وجه القبول كاتب الحسنات ثم نهضنا على الفور نهوض ليث الملبد وجزنا مبتسمين فما بكينا بكاء لبيد يوم فراقه أربد وانتشقنا من تلقاء طيبة الاسم أطيب العرف وسلكنا بحرف واديها مستبشرين فكانت طيبة

فقال مالأبي جهل والجنة والله لايدخلها أبدا قال فأتاه عكرمة وولده مسلما فتأولها به وكذلك تأول في قتل الحسين لما رأى ان كلبا أبقع يلغ في دمه وكان ذلك بعد رؤياه عليه الصلاة والسلام بخمسين عاما وكذلك حين قال لأبي بكر رضي الله تعالى عنه اني رأيت كأني رقيت أنا وأنت درجا في الجنة فسبقتك بدرجتين ونصف فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه يارسول الله اقبض بعدك بسنتين ونصف ورأت عائشة رضي الله تعالى عنها سقوط ثلاثة أقمار في حجرتها فأولها أبوها بموته وموت النبي ﷺ وموت عمر رضي الله تعالى عنهما ودفنهم في حجرتها فكان الامر كذلك (وحكي) أن أم الشافعي رضي الله تعالى عنه لما حملت به رأت كأن المشتري خرج من فرجها وانقض بمصر ثم تفرق في كل بلد قطعة فأول بعالم يكون بمصر وينتشر علمه بأكثر البلاد فكان كذلك (وحكي أيضا) أن عاملا أتى عمر رضي الله تعالى عنه فقال رأيت الشمس والقمر اقتتلا فقال له عمر مع من كنت قال مع القمر فقال مع الآية الممحوة والله لاوليت لي عملا فعزله ثم اتفق ان عليا رضي الله تعالى عنه وقع بينه وبين معاوية ماوقع فكان ذلك الرجل مع معاوية (وأما) من مهر في تعبير الرؤيا فهو ابن سيرين جاءه رجل فقال له رأيت كأني أسقي شجرة زيتون زيتا فاستوى جالسا فقال ما التي تحتك قال علجة اشتريتها وفي رواية جارية وأنا أطؤها فقال أخاف أن تكون أمك فكشف عنها فوجدها أمه * وجاءه رجل فقال رأيت كأن في يدي خاتما أختم به فروج النساء وأفواه الرجال فقلت له أنت مؤذن تؤذن بالليل فتمنع الرجال والنساء من الأكل والوطء وجاءه رجل فقال رأيت جارية لي قد ذبحت في بيت من دارها فقال هي امرأة نكحت في ذلك البيت وكانت امرأة لصديق ذلك الرجل فاغتم لذلك ثم بلغه ان الرجل قدم في تلك الليلة وجامع زوجته في ذلك البيت وجاء رجل ومعه جراب فقال له رأيت في النوم كأني أسد الزقاق سدا وثيقا شديدا فقال له أنت رأيت هذا قال نعم فقال لمن حضره ينبغي أن يكون هذا الرجل يخنق الصبيان وربما يكون في جرابه آلة الخنق فوثبوا عليه وفتشوا الجراب فوجدوا فيه أوتارا وحلقا فسلموه الى السلطان * وجاءته امرأة وهو يتغدى فقالت له رأيت في النوم كأن القمر دخل في الثريا ونادى مناد من خلفي ان ائتي ابن سيرين فقصي عليه فتقلصت يده وقال ويلك كيف رأيت هذا فأعادت عليه فقال لأخته هذه تزعم اني أموت لسبعة أيام وأمسك يده على فؤاده وقام يتوجع ومات بعد سبعة أيام * وجاءه رجل فقال رأيت كأني آخذ البيض وأقشره فآكل بياضه وألقي صفاره فقال ان صدق منامك فأنت نباش الموتى فكان كذلك (وحكي) ان ابن سيرين رأى الجوزاء قد تقدمت على الثريا فجعل يوصي وقال يموت الحسن وأموت بعده وهو أشرف مني فمات الحسن ومات بعده بمائة يوم (وحكي) أن رجلا رأى عيسى عليه السلام فقال له يا نبي الله صلبك حق قال نعم فعبره على بعضهم فقال تكذب رؤياك بقوله تعالى وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم ولكن هو عائد على الرائي فكان كذلك * وأتى ابنة مغيث آت في المنام فقال لها

لك البشرى بولدي * أشبه شيء بالأسد * اذا الرجال في كبد
تغالبوا على بلد * كان له حظ الاسد

فولدت المختار بن أبي عبيد وذلك في عام الهجرة * وقال رجل لسعيد بن المسيب رأيت كأني بلت خلف المقام أربع مرات قال كذبت لست صاحب هذه الرؤيا قال هو عبد الملك فقال يلي أربعة من صلبه الخلافة * وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه رأيت عليا رضي الله تعالى عنه في المنام فقال لي ناولني كتبك فناولته اياها فأخذها وبددها فأصبحت أخا كآبة فأتيت الجعد فأخبرته فقال سيرفع الله شأنك

الاسم والفعل والحرف ثم عاودنا المنازل (٨٨) التي قدمنا ذكرها ورجعنا كما تسترجع منازل الأفق زهرها وتنسمنا أرواح دمشق حتى كأنا نشتق من ذيل الكسوة عطرها واستقبلنا الدنيا على هذا السعي الجليل وواصلنا السفر على كل وجه للفضل جميل وقطعنا بالكسوة ليلا طائلا نداؤه كل ليل للعاشقين طويل وفي تلك الليلة كان دخولنا إلى دمشق المحروسة كدخولنا إلى القدس الشريف سائرين سرى النجوم في الليل سابقين لغرة الصباح بغرر الخيل موفرين لخواطر الملتقين وهيهات وقد سال منهم السيل نازلين من دمشق جنة قد تبسمت لقدومنا عن ثغور الأزهار وأجرت أمام ركابنا الانهار ولبست من وشي البديع حللا لها من أوائل ما انعقد من الثمار أزرار فائزين من الثناء والثواب بفوق الارادة داعين لمن فضله لنا جامع مترقبين لركبته باب الزيارة وتمت هذه السفرة على أحسن مايكون واشتملت من وجوه المحاسن على عيون قضيت المهمات بها بالنهار وقضيت في الليل المذاكرة والتقطت من الفوائد الوزيرية ما كنت أرتقب جواهره وأزاهره وأردت أن أذكرها في هذه الخطبة لانها جواهر وأضمنها بعض العلم في هذه الأوراق فانها أزاهر فكثرت على هذا اللفظ المسجوع واقتضى وينشر

و ينشر علمك وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال من رآنى فى منامه فقد رآنى حقا فان الشيطان لا يتمثل بى وجاء رجل الى النبى ﷺ فقال رأيت كأن رأسى قد قطع وأنا أنظر اليه فضحك رسول الله ﷺ وقال بأى عين كنت تنظر الى رأسك فلم يلبث رسول الله ﷺ أن توفى وأولوا رأسه به بنبيه ونظره اليه باتباع سنته وقال رجل لعلى بن الحسين رأيت كأنى أبول فى يدى فقال تحتك محرم فنظروا فاذا بينه وبين امرأته رضاع وقال أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه رأيت كأنى نبشت قبر رسول الله ﷺ فضممت عظامه الى صدرى فهالنى ذلك فسألت ابن سيرين فقال ما ينبغى لأحد من أهل هذا الزمان أن يرى هذه الرؤيا قلت أنا رأيتها قال ان صدقت رؤياك لتحيين سنة نبيك ﷺ وقال النبى ﷺ الرؤيا الصالحة بشارة للمؤمن بماله عند الله من الكرامة فى الدنيا والآخرة وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال تضرعت الى ربى سنة أن يرينى أبى فى النوم حتى رأيته وهو يمسح العرق عن جبينه فسألته فقال لولا رحمة الله لهلك أبوك انه سألنى عن عقال بعير للصدقة فسمع بذلك عمر بن عبد العزيز فصاح وضرب بيده على رأسه وقال فعل هذا بالتقى الطاهر فكيف بالمقترف عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنهم أجمعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب الحادى والستون فى الحيل والخدائع المتوصل بها الى بلوغ المقاصد والتيقظ والتبصر ﴾

الحيلة من فوائد الآراء المحكمة وهى حسنة مالم يستبح بها محظور وقد سئل بعض الفقهاء عن الحيل فى الفقه فقال علمكم الله ذلك فانه قال وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث وكان ﷺ اذا أراد غزوة ورى بغيرها وكان يقول الحرب خدعة ولما أراد عمر رضى الله تعالى عنه قتل الهرمزان استسقى ماء فأتوه بقدح فيه ماء فامسكه فى يده واضطرب فقال له عمر لا بأس عليك حتى تشربه فألقى القدح من يده فأمر عمر بقتله فقال أولم تؤمنى قال كيف أمنتك قال قلت لا بأس عليك حتى تشربه وقولك لا بأس عليك أمان ولم أشربه فقال عمر قاتلك الله أخذت منى أمانا ولم أشعر وقيل كان دهاة العرب أربعة كلهم ولدوا بالطائف معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة والسائب بن الأقرع * وكان يقال الحاجة تفتح أبواب الحيل * وكان يقال ليس العاقل الذى يحتال للأمور اذا وقع فيها بل العاقل الذى يحتال للأمور أن لا يقع فيها وقال الضحاك بن مزاحم لنصرانى لو أسلمت فقال مازلت محبا للاسلام الا أنه يمنعنى منه حبى للخمر فقال اسلم واشربها فلما أسلم قال له قد أسلمت فان شربتها حددناك وان ارتددت قتلناك فاختر لنفسك فاختار الاسلام وحسن اسلامه فأخذه بالحيلة (وقيل) دليت من السماء سلسلة فى أيام داود عليه الصلاة والسلام عند الصخرة التى فى وسط بيت المقدس وكان الناس يتحاكمون عندها فمن مد يده اليها وهو صادق نالها ومن كان كاذبا لم ينلها الى أن ظهرت فيهم الخديعة فارتفعت وذلك أن رجلا أودع رجلا جوهرة فخبأها فى مكانه فى عكازة ثم ان صاحبها طلبها من الذى أودعها عنده فأنكرها فتحاكما عند السلسلة فقال المدعى اللهم ان كنت صادقا فلتدن منى السلسلة فدنت منه فمسها فدفع المدعى عليه العكازة للمدعى وقال اللهم ان كنت تعلم أنى رددت الجوهرة اليه فلتدن منى السلسلة فدنت منه فمسها فقال الناس قد سوت السلسلة بين الظالم والمظلوم فارتفعت بشؤم الخديعة وأوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام أن احكم بين الناس بالبينة واليمين فبقى ذلك الى قيام الساعة وكان المختار بن أبى عبيد الثقفى من دهاة ثقيف وثقيف دهاة العرب قيل انه وجه ابراهيم بن الأشتر الى حرب عبيد الله بن زياد ثم دعا برجل من خواصه فدفع اليه حمامة بيضاء وقال له ان رأيت الأمر عليكم فارسلها ثم قال للناس انى لأجد فى محكم الكتاب وفى اليقين والصواب أن الله ممدكم بملائكة

الحال أن أجمعها فى سفر يقال فيه تلك رحلة وهذا تاريخ ومجموع وقد علم الله أن هذه النبذة من القول وردت من قريحة مسها فقد الولد بقرح وأى قرح وقال تفكرها الذى كان حائك الكلام لست اليوم من ذلك الطرح فليبسط الواقف على هذه الرحلة عذرى ويعلم السبب فى كونها ليست عادة نظمى ونثرى واذا كانت القريحة فى بقايا قروحها فليت شعرى أينهض سجعى وشعرى والله تعالى المسئول أن يجعل فى البقاء الصاحبى سلوة عن كل فقيد ويصل أسبابنا أبدا بتحريره الوافر وظله المديد ويرزقنا فى شكر نعمه لسانا لفظه ذهب وذهنا بصره حديد (قلت) ذكرت برحلة الشيخ جمال الدين رحمه الله تعالى الى القدس الشريف صحبة الركاب الصاحبى الأمينى رحلتى صحبة الركاب الشريف السلطانى المؤيدى سقى الله ثراه الى البلاد الرومية وبروز أمره الشريف بذكر الفتوحات بها وتسمية البلاد واستيعاب الرحلة الشريفة فى البشارة المجهزة الى الديار المصرية وأن لا يقرأها بالجوامع المطهرة غير مولانا شيخ الاسلام قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلانى الشافعى عظم الله شأنه فقرأها بالجامع المؤيدى والأزهر فى شهر رجب الفرد سنة ست عشرة وثمانمائة وقد عنى لى أن أقرنها

غضاب صعاب تأتي في صور الحمام تحت السحاب * فلما كادت الدائرة تكون على أصحابه عمد ذلك الرجل الى الحمامة فارسلها فتصايح الناس الملائكة الملائكة وحملوا فانتصروا وقتلوا ابن زياد * وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال خرجت امرأتان ومعهما صبيان فعدا الذئب على صبي إحداهما فاكله فاختصما في الصبي الباقي الى داود عليه الصلاة والسلام فقال كيف أمركما فقصتا عليه القصة فحكم به للكبرى منهما فاختصما الى سليمان عليه الصلاة والسلام فقال ائتوني بسكين أشق الغلام نصفين لكل منهما نصف فقالت الصغرى أتشقه يا نبي الله قال نعم قالت لا تفعل ونصيبي فيه للكبرى فقال خذيه فهو ابنك وقضى به لها وجاء رجل الى سليمان بن داود عليه الصلاة والسلام وقال يا نبي الله ان لي جيرانا يسرقون أوزي فلا أعرف السارق فنادى الصلاة جامعة ثم خطبهم وقال في خطبته وان أحدكم ليسرق أوز جاره ثم يدخل المسجد والريش على رأسه فمسح الرجل رأسه فقال سليمان خذوه فهو صاحبكم وخطب المغيرة بن شعبة وفتى من العرب امرأة وكان شابا جميلا فأرسلت اليهما أن يحضرا عندها فحضرا وجلست بحيث تراهما وتسمع كلامهما فلما رأى المغيرة ذلك الشاب وعاين جماله علم أنها تؤثره عليه فأقبل على الفتى وقال لقد أوتيت جمالا فهل عندك غير هذا قال نعم فعدد محاسنه ثم سكت فقال له المغيرة كيف حسابك مع أهلك قال ما يخفى علي منه شيء واني لاستدرك منه أدق من الخردل فقال المغيرة لكني أضع البدرة في بيتي فينفقها أهلي على ما يريدون فلا أعلم بنفادها حتى يسألوني غيرها فقالت المرأة والله لهذا الشيخ الذي لا يحاسبني أحب الي من هذا الذي يحصي على مثقال الذرة فتزوجت المغيرة * وبلغ عضد الدولة ان قوما من الاكراد يقطعون الطريق ويقيمون في جبال شامخة ولا يقدر عليهم فاستدعى بعض التجار ودفع اليه بغلا عليه صندوق فيه حلوى مسمومة كثيرة الطيب في ظروف فاخرة ودنانير وافرة وأمره أن يسير مع القافلة ويظهر ان هذه هدية لأحد نساء الأمراء ففعل التاجر ذلك وسار أمام القافلة فنزل القوم فأخذوا الامتعة والاموال وانفرد أحدهم بالبغل وصعد به الجبل فوجد به الحلوى فقبح على نفسه أن ينفرد بها دون أصحابه فاستدعاهم فأكلوا على مجاعة فماتوا عن آخرهم وأخذ أرباب الأموال أموالهم * وأتى لبعض الولاة برجلين قد اتهما بسرقة فأقامهما بين يديه ثم دعى بشربة ماء فجيء له بكوز فرماه بين يديه فارتاع أحدهما وثبت الآخر فقال للذي ارتاع اذهب الى حال سبيلك وقال للآخر أنت أخذت المال وتلذذت به وتهدده فاقر فسئل عن ذلك فقال ان اللص قوي القلب والبريء يجزع ولو تحرك عصفور لفزع منه * وقصد رجل الحج فاستودع انسانا مالا فلما عاد طلبه منه فجحده المستودع فأخبر بذلك القاضي اياسا فقال اعلم بأنك جئتني قال لا قال فعد الي بعد يومين ثم ان القاضي اياسا بعث الى ذلك الرجل فأحضره ثم قال له اعلم أنه قد تحصلت عندي أموال كثيرة لأيتام وغيرهم وودائع للناس واني مسافر سفرا بعيدا وأريد أن أودعها عندك لما بلغني من دينك وتحصين منزلك فقال حبا وكرامة قال فاذهب وهيء موضعا للمال وقوما يحملونه فذهب الرجل وجاء صاحب الوديعة فقال له القاضي اياس امض الى صاحبك وقل له ادفع الي مالي وإلا شكوتك للقاضي اياس فلما جاءه وقال له ذلك دفع اليه ماله واعتذر اليه فأخذه وأتى الى القاضي اياس وأخبره ثم بعد ذلك أتى الرجل ومعه الحمالون لطلب الاموال التي ذكرها له القاضي فقال له القاضي بعد أن أخذ الرجل ماله منه بدا لي ترك السفر امض لشأنك لا أكثر الله في الناس مثلك ولما أراد شيرويه قتل أبيه ابرويز قال ابرويز للداخل عليه ليقتله اني لأدلك على شيء فيه غناك لوجوب حقك علي قال وما هو قال الصندوق الفلاني فلما قتله وذهب الى شيرويه وأخبره الخبر فأخرج الصندوق فاذا فيه حق فيه حب ورقعة مكتوب فيها من تناول منه حبة واحدة افتض

بالرحلة النباتية فانهما رحلتان (وهي) ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالي ولازالت طرف أخبارها السارة تسر خاطره وتشنف سمعه وتحيه بنسمات قربنا وتجاور كريم شيمه ليأخذها بالشفعة وان حصل بينه وبين المسرة لبعدنا طلاق فانا الشريف يبشره بالرجعة (صدرت) هذه المكاتبة تهدي اليه من أوراقها ثمرات الفتح ليتفكه بالفواكه الفتحية وتعرب عما أبدته عربياتنا من شواهد التسهيل في فتح البلاد الرومية فانها رحلة مؤيدة تشد إليها الرحال وان كانت دول الاسلام حلة على أعطاف الدهر فهي لها من أطهر الاذيال ونبدي لكريم علمه تجلي مخدرات الحصون بكل وجه حسن تحت عصابتها المؤيدة واستقرار سيس في هذه الحلبة على قديم عادتها بين الجنائب الحلبية وفتح قلعتها وقد حرك بابها مصراعي شفتيه وأعلن بسورة الفتح جهرا وتلت اقفاله بعد ما عسرت على الغير فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا وصعدت أنفاس الأدعية من أفواه مرامها فرحا بنا وسرورا وبدلت صوامعها وتلك البيع بمساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا وأخلصت الطاعة لشيخ ملوك الارض طائفتها الارمينية وانقطعوا في زوايا الطاعة مريدين لهذه المشيخة

عشرة أبكاروكان لشيرويه غرام فى الباه فتناول منه حبة فهلك من ساعته فكان ابرويز أول مقتول أخذ بثأره من قاتله * ولما بايع الرشيد لأولاده الثلاثة بولاية العهد تخلف رجل مذكور من الفقهاء فقال له الرشيد لم تخلفت فقال عاقنى عائق فقال اقرؤا عليه كتاب البيعة فقال يا أمير المؤمنين هذه البيعة فى عنقى الى قيام الساعة فلم يفهم الرشيد ماأراد وظن أنه الى قيام الساعة يوم الحشر وماأراد الرجل الا قيامه من المجلس * وقال المغيرة بن شعبة لم يخدعنى غير غلام من بنى الحرث بن كعب فانى ذكرت امرأة منهم لأتزوجها فقال أيها الأمير لاخير لك فيها فقلت ولم قال رأيت رجلا يقبلها فاعرض عنها فتزوجها الفتى فلمته وقلت ألم تخبرنى أنك رأيت رجلا يقبلها قال نعم رأيت أباها يقبلها وأتى رجل الى الاحنف فلطمه فقال ماحملك على هذا فقال جعل لى جعل على أن الطم سيد بنى تميم فقال لست بسيدهم عليك بحارثة بن قدامة فانه سيدهم فمضى اليه فلطمه فقطعت يده (وقال) الشعبي وجهنى عبد الملك الى ملك الروم فقال لى من أهل بيت الخلافة أنت قلت لا ولكنى رجل من العرب فكتب إلى عبد الملك رقعة دفعها الى فلما قرأها عبد الملك قال لى أتدرى مافيها قلت لا قال فيها العجب لقوم فيهم مثل هذا كيف يولون أمرهم غيره قال أتدرى ماأراد بهذا قلت لا قال حسدنى عليك فأراد أن أقتلك فقلت انما كبرت عنده يا أمير المؤمنين لانه لم يرك شيئا الا سألنى عنه وأنا أجيبه فبلغ ملك الروم ماقاله عبد الملك للشعبي فقال لله أبوه ماعدا مافى نفسى * ولما ولى عبد الملك ابن مروان أخاه بشرا الكوفة وكان شابا ظريفا غزلا بعث معه روح بن زنباع وكان شيخا متورعا فثقل على بشر مرافقته فذكر ذلك لندمائه فتوصل بعض ندمائه إلى أن دخل بيت روح بن زنباع ليلا فى خفية فكتب على حائط قريب من مجلسه هذه الابيات

يا روح من لبنيات وأرملة * إذا نعاك لأهل المغرب الناعى

ان ابن مروان قد حانت منيته * فاحتل بنفسك يا روح ابن زنباع

فتخوف من ذلك وخرج من الكوفة فلما وصل الى عبد الملك أخبره بذلك فاستلقى على قفاه من شدة الضحك وقال ثقلت على بشر وأصحابه فاحتالوا لك (ومن الحيل الظريفة) ماحكى أن النبى صلى الله عليه وسلم لما فتح خيبر وأعرس بصفية وفرح المسلمون جاءه الحجاج بن علاط السلمى وكان أول من اسلم فى تلك الأيام وشهد خيبر فقال يارسول الله ان لى بمكة مالا عند صاحبتى أم شيبة ولى مال متفرق عند تجار مكة فأذن لى يارسول الله فى العود الى مكة عسى أسبق خبر اسلامى اليهم فانى أخاف ان علموا باسلامى أن يذهب جميع مالى بمكة فأذن لى لعلى أخلصه فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انى أحتاج الى أن أقول فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل وأنت فى حل قال الحجاج فخرجت فلما انتهيت الى الثنية ثنية البيضاء وجدت بها رجالا من قريش يتسمعون الاخبار وقد بلغهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سار الى خيبر فلما أبصرونى قالوا هذا لعمر الله عنده الخبر أخبرنا ياحجاج فقد بلغنا أن القاطع يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم قد سار الى خيبر قال قلت انه سار الى خيبر وعندى من الخبر مايسركم قال فاحدقوا حول ناقتى يقولون ايه ياحجاج قال فقلت هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط وأسر محمد وقالوا لا نقتله حتى نبعث به إلى مكة فيقتلونه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم قال فصاحوا بمكة قد جاءكم الخبر وهذا محمد انما تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم قال فقلت أعينونى على جميع مالى من غرمائى فانى أريد أن أقدم خيبر فاغنم من ثقل محمد وأصحابه قبل أن يسبقنى التجار إلى هناك فقاموا معى فجمعوا الى مالى كأحسن ماأحب فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر أقبل على حتى وقف الى جانبى وأنا فى خيمة من خيام التجار فقال ياحجاج ماهذا الخبر الذى جئت به قال فقلت وهل عندك حفظ لما أودعه عندك من السر فقال نعم والله

الشريعة الصوفية ورغب ابن رمضان فى طاعتنا الشريفة فعجلنا له فى ربيع حلاوة الرغائب ورفعنا قواعد بيته الابراهيمى وادنيناه من أرمنة فدنا منها الى أعلى المراتب وتلمظت سيوفنا بحلاوة الفتح ورشفت بألسنتها فى كل قطر قطرها فقتحت اياس من بعيد لهذه الحلاوة ثغرها وانسجمت أبياتها لما نظمت على بسيط الطاعة بحرها ومص حصن مصيصه من رحيق هذه الطاعة فأمسى ثغره بأفواه الشكر يقبل وبسط جبين جسره لمواطىء خيلنا فرحة وتهلل وجانس الفتح بين اياس وباياس ولم ينتظم لبنى كندة بيت بملطية يقام له وزن ويظهر منه اقتباس وانعكس هذا الاسم بعد الاستحالة وان كان مما لا يستحيل بالانعكاس وتسجر كافرهم وقد أضرم به النار فخاطبته بلسان جم لا يفحم وماهو الا كافر طال عمره فجاءته لما استبطأته جهنم وفر الى ملك عثمان فحكمنا بقتله فى تلك الارض علما ان الجهاد فى أعداء الدين عند العصابة المحمدية من الفرض وسمع العصاة بطرسوس زئير آسادنا من بعيد فأدبر مقبلهم وتخيل ان الموت أقرب اليه من حبل الوريد وأعربت أبوابها بعد كسرة عن الفتح وقال أهلها ادخلوها بسلام آمنين وأوى العصاة الى جبل القلعة لما رأوا بعد القتال هذا الفتح المبين وصفع مقبلهم وجهه

قال قلت استأخر عني حتى ألقاك على خلاء فاني في جمع مالي كما ترى فانصرف عني حتى إذا فرغت من جمع كل شيء كان لي بمكة وأجمعت على الخروج لقيت العباس فقلت له احفظ على حديثي يا أبا الفضل فاني أخشى أن يتبعوني فاكتم على ثلاثة أيام ثم قل ماشئت قال لك على ذلك قال قلت والله ماتركت ابن أخيك الا عروسا على ابنة ملكهم يعني صفية وقد افتتح خيبر وغنم مافيها وصارت له ولأصحابه قال أحق ماتقول يا حجاج قال قلت أي والله ولقد أسلمت وما جئت إلا مسلما لآخذ مالي خوفا من أن أغلب عليه فاذا مضت ثلاثة فاظهر أمرك فهو والله على ماتحب قال فلما كان في اليوم الرابع لبس العباس حلة له وتخلق بالطيب وأخذ عصاه ثم خرج حتى أتى الكعبة فطاف بها فلما رأوه قالوا يا أبا الفضل هذا والله هو التجلد لحر المصيبة قال كلا والذي حلفتم به لقد افتتح محمد خيبر وترك عروسا على ابنة ملكهم وأحرز أموالهم ومافيها فأصبحت له ولأصحابه قالوا من جاءك بهذا الخبر قال الذي جاءكم بما جاءكم به ولقد دخل عليكم مسلما وأخذ ماله وانطلق ليلحق محمداً وأصحابه ليكون معهم قالوا تفلت عدو الله أما والله لو علمنا به لكان لنا وله شأن قال ولم يلبثوا أن جاءهم الخبر بذلك فتوصل الحجاج بفطنته واحتياله الى تخليصه وتحصيل ماله * ولما اجتمعت الأحزاب على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الخندق وقصدوا المدينة وتظاهروا وهم في جمع كثير وجم غفير من قريش وغطفان وقبائل العرب وبني النضير وبني قريظة من اليهود ونازلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين واشتد الأمر واضطرب المسلمون وعظم الخوف على ماوصفه الله تعالى في قوله تعالى إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديداً فجاء نعيم بن مسعود بن عامر الغطفاني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إني قد أسلمت وان قومي لم يعلموا باسلامي فمرني بما شئت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة وكان نديما لهم في الجاهلية فقال يا بني قريظة قد علمتم ودي إياكم وخاصة مابيني وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم ان قريشا وغطفان ليسوا كأنتم فان البلد بلدكم وبه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على أن تتحولوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان قد جاؤا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم عليه وأموالهم وأولادهم ونساؤهم بغير بلدكم وليسوا امثالكم لانهم ان رأوا فرصة اغتنموها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولاطاقة لكم به إن خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمدا قالوا أشرت بالرأي ثم أتى قريشا فقال لأبي سفيان بن حرب وكان إذ ذاك قائد المشركين من قريش ومن معه من كبراء قريش قد علمتم ودي لكم وفراقي محمدا وأنه قد بلغني أمر وأحببت أن أبلغكموه نصحا لكم فاكتموه علي قالوا نعم قال اعلموا أن معشر يهود بني قريظة قد ندموا على مافعلوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا إليه يقولون إنا قد ندمنا على نقض العهد الذي بيننا وبينك فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنسلمهم اليك فتضرب رقابهم ثم نكون معك على من بقي منهم فنستأصلهم فأرسل يقول نعم فان بعث إليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى أتى غطفان فقال لهم مثل ماقال لقريش وحذرهم فلما كانت ليلة السبت أرسل أبو سفيان ورؤس بني غطفان إلى بني قريظة يقولون لهم إنا لسنا بدار مقام وقد هلك الخف والحافر فاعتدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ فيما بيننا وبينه فأرسلوا يقولون لهم ان اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئا ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا فانا نخشى إن دهمتكم الحرب

فبصقت فيه أفواه المدافع وحكم عليه القضاء بالاعتقال ولم يأت عندذلك الحكم بدافع وشاهد القرمانيون من سيوفنا شدة القرم تخشى كل منهم أن يصير لحما على وضم ورأوا ألسن السهام في أفواه تلك المرامي برأينا الصائب ناطقة وما أظهروا على سماء برج غيوم ستائر الا لمعت فيها من بوارق نفوطنا بارقة فمزقوا الاطواق من الحنق فطوقناهم بالحديد وأحيينا الفتح المأموني برأينا الرشيد وما خفي عن كريم علمه وقوع انتقامنا الشريف في الغادر ابن الغادر لما أدبر وقطع الله دابره وظهور السر الابراهيمي لما ادعى أنه نمروذ تلك الفئة الغادرة كلها بسيوفنا فأخرسه وتخبطه شيطان الرعب بمسه ورأى فيه تلك الهمة العالية فنجا من تلك الوقعة بفرسه ونفسه وأوى من قبل الى جبل ليعصمه فقال له لاعاصم اليوم من أمر الله ورماه من شاهقه في بحر عساكرنا بعدما عض عليه بثناياه وسمع الرعد من سيف ابراهيم ففر وقد شاهد من أصيب بصواعقه من عصاة التركمان وصدقت فيه عزائم أتراكنا وما رؤي أحد في ذلك اليوم من التركمان وسقوا أوعار تلك الجبال من دمائهم فكادت أحجارها أن تورق وتخصب بعد المحل وجنوا بالعسال على النصر وغنموا من الانعام واشتد

واشتد عليكم القتال أن تشمروا الى بلادكم وتتركونا والرجل فى بلدنا ولا طاقة لنا به فلما رجعت اليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان والله ان الذى حدثكم به نعيم بن مسعود لحق فأرسلوا الى بنى قريظة يقولون انا لا ندفع اليكم رجلا واحدا من رجالنا فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا وقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت اليهم الرسل ان الكلام الذى ذكره نعيم بن مسعود لحق وما يريدون القوم الا أن تقاتلوا فان رأوا فرصة انتهزوها وان كان غير ذلك شمروا الى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل فى بلدكم فارسلوا إلى قريش وغطفان انا لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فأبوا عليهم نخذل الله تعالى بينهم وأرسل عليهم الريح فتفرقوا وارتحلوا وكان هذا من لطف الله تعالى أن ألهم نعيم ابن مسعود هذه الفتنة وهداه الى اليقظة التى عم نفعها وحسن وقعها

* وأما ما جاء فى التيقظ والتبصر فى الأمور * فقد قالت الحكماء من أيقظ نفسه وألبسها لباس التحفظ أيس عدوه من كيده له وقطع عنه أطماع الماكرين به وقالوا اليقظة حارس لا ينام وحافظ لا ينسام وحاكم لا يرتشى فمن تدرع بها أمن من الاختلال والغدر والجور والكيد والمكر وقيل ان كسرى أنوشروان كان أشد الناس تطلعا فى خفايا الأمور وأعظم خلق الله تعالى فى زمانه تفحصا وبحثا عن أسرار الصدور وكان يبث العيون على الرعايا والجواسيس فى البلاد ليقف على حقائق الأحوال ويطلع على غوامض القضايا فيعلم المفسد فيقابله بالتأديب والمصلح فيجازيه بالاحسان ويقول متى غفل الملك عن تعرف ذلك فليس له من الملك الا اسمه وسقطت من القلوب هيبته (وروى) عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى ليلة من الليالى يطوف يتفقد أحوال المسلمين فرأى بيتا من الشعر مضروبا لم يكن قد رآه بالأمس فدنا منه فسمع فيه أنين امرأة ورأى رجلا قاعدا فدنا منه وقال له من الرجل فقال له رجل من البادية قدمت الى أمير المؤمنين لأصيب من فضله قال فما هذا الأنين قال امرأة تتمخض قد أخذها الطلق قال فهل عندها أحد قال لا فانطلق عمر لرجل لا يعرفه فجاء إلى منزله فقال لامرأته أم كلثوم بنت على بن أبى طالب بنت فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنهما هل لك فى أجر قد ساقه الله تعالى لك قالت وما هو قال امرأة تتمخض ليس عندها أحد قالت ان شئت قال نخذى معك ما يصلح المرأة من الخرق والدهن وائتنى بقدر وشحم وحبوب فجاءت به فحمل القدر ومشت خلفه حتى أتى البيت فقال ادخلى الى المرأة ثم قال للرجل أوقد لى نارا ففعل فجعل عمر ينفخ النار ويضرمها والدخان يخرج من خلال لحيته حتى أنضجها وولدت المرأة فقالت أم كلثوم رضى الله تعالى عنها بشر صاحبك يا أمير المؤمنين بغلام فلما سمعها الرجل تقول يا أمير المؤمنين ارتاع وخجل وقال واخجلتاه منك يا أمير المؤمنين أهكذا تفعل بنفسك قال يا أخا العرب من ولى شيئا من أمور المسلمين ينبغى له أن يتطلع على صغير أمورهم وكبيره فانه عنها مسئول ومتى غفل عنها خسر الدنيا والآخرة ثم قام عمر رضى الله تعالى عنه وأخذ القدر من على النار وحملها إلى باب البيت وأخذتها أم كلثوم وأطعمت المرأة فلما استقرت وسكنت طلعت أم كلثوم فقال عمر رضى الله تعالى عنه للرجل قم الى بيتك وكل ما بقى فى البرمة وفى غداة ائتنا فلما أصبح جاءه فجهزه بما أغناه به وانصرف وكان رضى الله تعالى عنه من شدة حرصه على تعرف الأحوال واقامة قسطاس العدل وازاحة أسباب الفساد واصلاح الأمة يعس بنفسه ويباشر أمور الرعية سرا فى كثير من الليالى حتى أنه فى ليلة مظلمة خرج بنفسه فرأى فى بعض البيوت ضوء سراج وسمع حديثا فوقف على الباب يتجسس فرأى عبدا أسود قدامه إناء فيه مزر وهو يشرب ومعه جماعة فهم بالدخول من الباب فلم يقدر من تحصين البيت فتسور على السطح ونزل اليهم من الدرجة ومعه الدرة فلما رأوه قاموا وفتحوا الباب وانهزموا

بازادفى عدد أجناسه على النحل ونفرت عنهم أوانس تلك الظباء والمتيم ينشد * لهفى فى الظبية أنس منكم نفرت * وانفطرت كبده لما رأى كواكب الحى من أفلاك تلك الصدور قد انتثرت وسن المقر الصارمى فيهم عزمه فقطع بهذا الصارم من عواتقهم أوصالا وحميت نار حربه فسبكت أوانيهم من الذهب والفضة تحت حوافر خيله نعالا ورخصت أنواع الديباج فكم من معدنى صارم دنى لأن قبورهم بعثرت وتلا لسان حال الكسب على السمور وغيره من أصناف الوبر واذا الوحوش حشرت وانقادت ركائبهم الينا وبدو رمواطئها فى بروج تلك الجبال قد أشرفت والمتناظر يتلو متعجبا أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت وكانت نار حرب القوم على المقر الابراهيمى بردا وسلاما فانه رفع قواعد بيته فى ذلك اليوم وعلمنا أن الله قد جعل لابراهيم فى هذا البيت الشريف مقاما ورقاه فى عمر الابدار الى بروج الكمال فابدر فيها وسرى وأنشد لسان الحال بهذا المقال

وقد ظهرت فلا تخفى على أحد
الا على أكمه لا يعرف القمرا

وان كان شبلا فهو فى الخبر كأسده ومصارع ليوث الحرب قد جعلها الله من صغره تحت يده ورفع له فى هذا المبتدأ وسيره فى الآفاق خبرا وعلم الاعداء ان دمهم يجرى عند لقائه

فسك الأسود فقال له يا أمير المؤمنين قد أخطأت وانى تائب فاقبل توبتى فقال أريد أن أضربك على خطيئتك فقال يا أمير المؤمنين ان كنت قد أخطأت فى واحدة فأنت قد أخطأت فى ثلاث فان الله تعالى قال ولا تجسسوا وأنت تجسست وقال تعالى وأتوا البيوت من أبوابها وأنت أتيت من السطح وقال تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها وأنت دخلت وما سلمت فهب هذه لهذه وأنا تائب إلى الله تعالى على يدك أن لا أعود فاستتوبه واستحسن كلامه وله رضى الله تعالى عنه وقائع كثيرة مثل هذه وكان معاوية بن أبى سفيان رضي الله تعالى عنه قد سلك طريق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى ذلك وكان زياد بن أبيه يسلك مسلك معاوية فى ذلك حتى نقل عنه أن رجلا كلمه فى حاجة له وجعل يتعرف اليه ويظن أن زياداً لا يعرفه فقال أنا فلان بن فلان فتبسم زياد وقال له أتتعرف إلى وأنا أعرف بك منك بنفسك والله إنى لأعرفك وأعرف أباك وأعرف أمك وأعرف جدك وجدتك وأعرف هذه البردة التي عليك وهى لفلان وقد أعارك إياها فبهت الرجل وارتعد حتى كاد يغشى عليه ثم جاء بعدهم من اقتدى بهم وهو عبد الملك بن مروان والحجاج ولم يسلك بعدهما ذلك الطريق واقتفى آثار ذلك الفريق الا المنصور ثانى خلفاء بنى العباس ولى الخلافة بعد أخيه السفاح وهى غاية الاضطراب فنصب العيون وأقام المتطلعين وبث فى البلاد والنواحى من يكشف له حقائق الأمور والرعايا فاستقامت له الأمور ودانت له الجهات ولقد ابتلى فى خلافته بأقوام نازعوه وأرادوا خلعه وتمردوا عليه وتكاثروا فلولا أن الله تعالى أعانه بتيقظه وتبصره ماثبت له فى الخلافة قدم ولا رفع له مع قصد أولئك القاصدين علم لكنه بث العيون فعرف من انطوى على خلافه فعالجه باتلافه واطلع على عزائم المعاندين فقط رءوس عنادهم بأسيافه وكان بكمال يقظته يتلقى المحذور بدفعه دون رفعه ويعاجل الخوف بتفريق شمله قبل جمعه فذلت له الرقاب ولانت لخلافته الصعاب وقرر قواعدها وأحكمها بأوثق الأسباب فمن آثار يقظته وفطنته ما نقله عنه عقبة الأزدى قال دخلت مع الجند على المنصور فارتاب بى فلما خرج الجند أدنانى وقال لى من أنت فقلت رجل من الازد وأنا من جند أمير المؤمنين قدمت الآن مع عمر بن حفص فقال انى لارى لك هيبة وفيك نجابة وانى أريدك لأمر وأنا به معنى فان كفيتنيه رفعتك فقلت انى لارجوا أن أصدق ظن أمير المؤمنين فى فقال أخف نفسك واحضر فى يوم كذا قال فغبت عنه الى ذلك اليوم وحضرت فلم يترك عنده أحدا ثم قال لى اعلم أن بنى عمنا هؤلاء قد أبوا الا كيدملكنا واغتياله ولهم شيعة بخراسان بقرية كذا يكاتبونهم ويرسلون اليهم بصدقات أموالهم وألطاف بلادهم فخذ معك عينا من عندى وألطافا وكتبا واذهب حتى تأتى عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب فاقدم عليه متخشعا والكتب على ألسنة أهل تلك القرية والألطاف من عندهم اليه فاذا رآك فانه سيردك ويقول لا أعرف هؤلاء القوم فاصبر عليه وعاوده وقل له قد سير ونى سراً وسيروا معى ألطافا وعينا وكلما جبهك وأنكر اصبر عليه وعاوده واكشف باطن أمره قال عقبة فأخذت كتبه والعين والالطاف وتوجهت الى جهة الحجاز حتى قدمت على عبد الله بن الحسن فلقيته بالكتب فأنكرها ونهرنى وقال ما أعرف هؤلاء القوم قال عقبة فلم أنصرف وعاودته القول وذكرت له اسم القرية وأسماء أولئك القوم وأن معى ألطافا وعينا فأنس بى وأخذ الكتب وما كان معى قال عقبة فتركته ذلك اليوم ثم سألته الجواب فقال أما كتاب فلا أكتب الى أحد ولكن أنت كتابى اليهم فاقرئهم السلام وأخبرهم أن ابنى محمدا وابراهيم خارجان لهذا الامر وقت كذا وكذا قال عقبة فخرجت من عنده وسرت حتى قدمت على المنصور فأخبرته بذلك فقال لى المنصور انى

دما وكذا جرى وهذه المقابلة تليق بابن الغادر على قبيح سريرته وغدره فانه أخرج أهل تلك البلاد من أرضهم بظلمه لا بسحره وسألنا قبل ذلك فى ولده وقد كره العود اليه وألف أبوتنا الشريفة وتوطن فرددناه الى أمه كى تقر عينها ولا تحزن عليه فخالف نص الكتاب ومشى فى ظلم الطغيان ولم يعمل بقوله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان فقابلته سطواتنا الشريفة على قوله وفعله وما حاق المكر السىء الا بأهله وحل ركابنا الشريف بالابلستين فى العشرين من ربيع الآخر فجمعنا بحصنها الزاهر بين ربيعين وتممناها بعشر الاقامة الاستيفاء مالنا فى ذمة جيرانها من الدين فرحبت بنا وبسطت بساطها الأخضر وقالت على الرأس والعين وألقتنا الى درندة وما العيان من صنع الله فى أخذها كالخبر وقررنا صدع صخورها باختلاف الآلات فجاء ماقررناه نقشا على حجر وادعت ان صخرها أصم فاسمعناه من آذان المرامى تنقير المدافع وتحريك الوتر وطلعت فى ظهر الجبل كدمل فطار كل جارح من سهامنا بريشة الى فتحها وظنت صون من بها العلو ذلك السفح فطالت سيوفنا الى دماء القوم وسفحها وقرعنا جبلها بسبابات المدافع وكسرنا

أريد

أريد الحج فاذا مرت بمكان كذا وكذا تلقانى بنو الحسن وفيهم عبدالله فانى أعظمه وأكرمه وأرفعه وأحضر الطعام فاذا فرغ من أكله ونظرت اليه فتمثل بين يدى وقف قدامه فانه سيصرف وجهه عنك فدرحتى تقف من ورائه واغمز ظهره بابهام رجلك حتى يملأ عينيه منك ثم انصرف عنه وإياك أن يراك وهو يأكل ثم خرج المنصور يريد الحج حتى إذا قارب البلاد تلقاه بنو الحسن فأجلس عبدالله الى جانبه فحادثه فطلب الطعام للغداء فأكلوا معه فلما فرغوا أمر برفعه فرفع ثم أقبل على عبدالله بن الحسن وقال يا أبا محمد قد علمت أن مما أعطيتنى من العهود والمواثيق أنك لا تريدنى بسوء ولا تكيد لى سلطانا قال فانا على ذلك يا أمير المؤمنين قال عقبة فلحظنى المنصور بعينه فقمت حتى وقفت بين يدى عبدالله بن الحسن فأعرض عنى فدرت من خلفه وغمزت ظهره بابهام رجلى فرفع رأسه وملأ عينيه منى ثم وثب حتى جثى بين يدى المنصور وقال أقلنى يا أمير المؤمنين أقالك الله فقال له المنصور لا أقالنى الله ان لم أقتلك وأمر بحبسه وجعل يتطلب ولديه محمدا وابراهيم ويستعلم أخبارهما * قال على الهاشمى صاحب غدائه دعانى المنصور يوما فاذا بين يديه جارية صفراء وقد دعا لها بأنواع العذاب وهو يقول لها ويلك اصدقينى فوالله ما أريد الا الالفة ولئن صدقتينى لأصلن رحمه ولأتابعن البر اليه واذا هو يسألها عن محمد بن عبدالله بن الحسن بن على بن أبى طالب وهى تقول لا أعرف له مكانا فأمر بتعذيبها فلما بلغ العذاب منها أغمى عليها فقال كفوا عنها فلما رأى أن نفسها كادت تتلف قال ما دواء مثلها قالوا اشمام الطيب وصب الماء البارد على وجهها وأن تسقى السويق ففعلوا بها ذلك وعالج المنصور بعضه بيده فلما أفاقت سألها عنه فقالت لا أعلم فلما رأى اصرارها على الجحود قال لها أتعرفين فلانة الحجامة فلما سمعت منه ذلك تغير وجهها وقالت نعم يا أمير المؤمنين تلك فى بنى سليم قال صدقت هى والله أمتى ابتعتها بمالى ورزقى يجرى عليها فى كل شهر وكسوة شتائها وصيفها من عندى سيرتها وأمرتها أن تدخل منازلكم وتحجمكم وتتعرف أحوالكم وأخباركم ثم قال لها أتعرفين فلانا البقال قالت نعم يا أمير المؤمنين هو فى بنى فلان قال صدقت هو والله غلامى دفعت اليه مالا وأمرته أن يبتاع به ما يحتاج اليه من الأمتعة وأخبرنى أن أمة لكم يوم كذا وكذا جاءت اليه بعد صلاة المغرب تسأله حناء وحوائج فقال لها ما تصنعين بهذا قالت كان محمد بن عبدالله بن الحسن فى بعض الضياع بناحية البقيع وهو يدخل الليلة وأردنا هذا ليتخذ النساء ما يحتجن اليه عند دخول أزواجهن من المغيب فلما سمعت الجارية هذا الكلام من المنصور ارتعدت من شدة الخوف وأذعنت له بالحديث وحدثته بكل ما أراد والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب الثانى والستون فى ذكر الدواب والوحوش والطير والهوام والحشرات وما أشبه ذلك مرتبا على حرف المعجم ﴾

﴿ حرف الهمزة ﴾

(الأسد) من السباع والانثى أسدة وله أسماء كثيرة فمن أشهرها أسامة والحرث وقسورة والغضنفر وحيدرة والليث والضرغام ومن كناه أبو الأبطال وأبو شبل وأبو العباس وهو أنواع * منها ما وجهه وجه انسان وشكل جسده كالبقر وله قرون سود نحو شبر ومنها ما هو أحمر كالعناب وغير ذلك وتلده أمه قطعة لحم وتستمر تحرسه ثلاثة أيام ثم يأتى أبوه فينفخ فيه فتنفرج أعضاؤه وتتشكل صورته ثم ترضعه وتستمر عيناه مغلوقة سبعة أيام ثم تفتح ويقيم على تلك الحالة بين أبيه وأمه إلى ستة أشهر ثم يتكلف الكسب بعد ذلك وله صبر على الجوع والعطش وعنده شرف نفس يقال انه

منه الثنيه وأمست حلق مرامها كالخواتم فى أصابع سهامنا المستويه وخر بحرها طائعا فركبنا عليه سفن جسور على الزخف جامرة وأقلعنا إلى خشب سفنها المسندة فزقنا قلوع سائرها وخربنا قريتها العامرة هذا مع أن الملك خطبها لنفسه وأراد أن يعرج اليها فترفعت عليه ولم ترضه لنقص العرج أن يعلو عليها فرحل عنها ولم يحظ منى دبوان وصلها بمسموح ولكن ساعة رؤيتها قالت بكارتها مرحبا بأبى النصر وأبى الفتوح وتعلق سكانها باذيال الأمان فأمناهم ولكن كانوا فى صدرها غلا فنزعناهم وجاءت مفاتيح جندروس قبل التخلص منها براعة فأحسنا الختام بدرندة وألقينا اكسير المدافع على حجرها الذى كان غير مكرم وأحسنا التدبير فى الصناعة وسمعت كرت برت بذلك فألقت من بها من بئر معطلة وزهت فرحة بقصرها المشيد ووصلت مفاتيحها يوم هذا الفتح مهنئة بلسانها الحديد وغارت عروس بهتنان من ذلك فخطبتنا لجمالها البارع وجهزت كتابها يشهد لها بالخلو من الموانع وهى أيضا ممن خطبها الملك لنفسه فتمنعت وأراد السمو إلى أفقها العالى فاستسفلته وترفعت وعوت كلابه فلقمتهم ما ثقل وزنه من أحجارها الثقال خلافا لمن أصبح الصخر عنده مثقالا بمثقال وعلم طغرق أن سهامنا فى كل

لا يعاود فريسته ولا يأكل من فريسة غيره ولا يشرب من ماء ولغ فيه كلب وفي ذلك يقول بعضهم

سأترك حبكم من غير بغض * وذاك لكثرة الشركاء فيه * اذا وقع الذباب على طعام
رفعت يدي ونفسي تشتهيه * وتجتنب الأسود ورود ماء * اذا كان الكلاب يلغن فيه

واذا أكل نهش نهشا وريقه قليل جدا ولذلك يوصف بالبحر وعنده شجاعة وجبن وكرم فمن شجاعته الاقدام على الامور وعدم الاكتراث بالغير ومن جبنه أنه يفر من صوت الديك والسنور والطست ويتحير عند رؤية النار ومن كرمه أنه لا يقرب المرأة خصوصا اذا كانت حائضا وقيل أربع عيون تضيء بالليل عين الأسد وعين النمر وعين السنور وعين الافعى * وروى أنه لما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم والنجم اذا هوى قال عتبة بن أبي لهب كفرت برب النجم يعني نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك ينهشه فخرج مع أصحابه في عير الى الشام حتى اذا كانوا بمكان يقال له الزرقاء زأر الأسد فجعلت فرائصه ترتعد فقالوا له من أي شيء ترتعد فرائصك فوالله ما نحن وأنت الاسواء فقال ان محمدا دعا علي ووالله ما أظلت السماء من ذي لهجة أصدق من محمد ثم وضعوا العشاء فلم يدخل يده فيه ثم جاء النوم فحاطوا أنفسهم بمتاعهم وجعلوه بينهم وناموا فجاء الأسد يتهمس وشمهم رجلا رجلا حتى انتهى اليه فضغطه ضغطة كانت اياها فسمع وهو بآخر رمق يقول ألم أقل لكم ان محمدا أصدق الناس ولبعضهم في الأسد

عبوس شموس مصلخد مكابد * جرى على الاقران للقرن قاهر * برثنة شثن وعيناه في الدجى
كجمر الغضى في وجهه الشر ظاهر * يدل بأنياب حداد كأنها * اذا قلس الاشداق عنها خناجر

﴿فائدة﴾ اذا أقبلت على واد مسبع فقل أعوذ بدنيال والجب من شر الاسد وسبب ذلك على ما قيل ان بختنصر رأى في نومه أن هلاكه يكون على يد مولود فجعل يأمر بقتل الاطفال فخافت أم دنيال عليه فجاءت الى بئر فالقته فيه فأرسل الله له أسدا يحرسه وقيل ان بختنصر توهم ذلك في دانيال فضرى له أسدين وجعلهما في الجب وألقاه عليهما فلم يؤذياه وصارا يبصبصان حوله ويلحسانه فاقام ماشاء الله تعالى أن يقيم ثم اشتهى الطعام والشراب فأوحى الله تعالى الى أرمياء بالشام أن اذهب إلى أخيك دنيال بجب كذا بمكان كذا قال أرمياء فسرت الى ذلك الموضع فلما وقفت على رأس ذلك الجب ناديته فعرفني فقال من أرسلك الى قلت أرسلني اليك ربك بطعام وشراب فقال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره والحمد لله الذي لا يخيب من قصده والحمد لله الذي من وثق به لا يكله الى غيره والحمد لله الذي يجزي بالاحسان احسانا وبالصبر نجاة وغفرانا والحمد لله الذي يكشف ضرنا بعد كربنا والحمد لله الذي هو ثقتنا حين تسوء ظنوننا بأعمالنا والحمد لله الذي هو رجاؤنا حين تنقطع الحيل عنا قال ثم صعد به أرمياء من الجب وأقام عنده مدة ثم فارقه ورجع (وحكى) أن يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام مر بقبر دنيال عليه الصلاة والسلام فسمع منه صوتا يقول سبحان من تعزز بالقدرة وقهر العباد بالموت قال بعض الصالحين من قال هذه الكلمات استغفر له كل شيء (وحكى) أن ابراهيم بن أدهم كان في سفره ومعه رفقة فخرج عليهم الاسد فقال لهم قولوا اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واحفظنا بركنك الذي لا يرام وارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت رجاؤنا يا ألله يا ألله يا ألله قال فولى الاسد هاربا * وقيل لما حمل نوح عليه الصلاة والسلام في سفينته من كل زوجين اثنين قال أصحابه كيف نطمئن ومعنا الأسد فسلط الله عليه الحمى وهي أول حمى نزلت في الأرض ثم شكوا اليه العذرة فأمر الله تعالى الخنزير فعطس فخرج منه الفأر فلما كثر ضرره شكوا ذلك لنوح عليه الصلاة والسلام فأمر الله سبحانه وتعالى الاسد فعطس فخرج منه الهر فحجب الفأر عنهم ويحرم أكل السبع لنهيه

عن المنع وجنح إلى الاخلاص فسابقه باب القلعة ورفع صوته في الفاتحة وضحك ناموس ملكنا الشريف على من ادعى بكيختا وكركر ولكن أبكتهم سهامنا دما جرى من محاجر القلعتين ولم يتعثر وقال حصن كختا ان كانت قلعة نجم عقابا في عقاب فالنسر الطائر يخفق تحت قادمتي باجنحته أو كان الهلال قلامة لأعلامها التي علاها من الأصيل خضاب فكف الخضيب يتيمم تربي ويمسح بياض جبهته فأنا الهيكل الذي ذاب قلب الأصيل على تذهيبه وود دينار الشمس أن يكون من تعاويذه والشجرة التي لولا سمو فرعها تفكهت به حبات الثريا وانتظمت في سلك عناقيده وتشامخ هذا الحصن ورفع أنف جبله وتشامم فارمدنا عيون مراميه بدم القوم وأميال سهامنا على تكحيلها تتزاحم ووصل النقب بتنقيبه عن مقاتلهم الى الصواب وأيقنوا أن بعدهم لم يضرب بيننا بسور له باب وكان منهل ماثهم عذبا فاكثرنا على منبعه الزحام وتطفلوا على رضاع ثدي دلو فلم ترض أم المنع بغير الفطام وأمسى دلوهم كدلو أبي زيد السروجي لا يرجع

عليه الصلاة والسلام عن أكل كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير (خواصه) فمن خواصه ان صوته يقتل التماسيح وشحمه من طلى به يده لم يقربه سبع ومرارة الذكر منه تحل المعقود ولحمه ينفع من الفالج واذا وضعت قطعة من جلده فى صندوق لم يقربه سوس ولا أرضة واذا وضع على جلد غيره من السباع تساقط شعره وهو من الحيوان الذى يعيش الف سنة على ماذكر وعلامة ذلك كثرة سقوط أسنانه (الابل) قيل ما خلق الله شيئا من الدواب خيرا من الابل ان حملت أثقلت وان سارت أبعدت وان حلبت أروت وان نحرت أشبعت وفى حديث الابل عز لأهلها والغنم بركة والخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة وهى من الحيوان العجيب وان كان عجيبه قد سقط لكثرة مخالطته الناس وقد أطاعها الله للآدمى وغيره حتى قيل ان قطارا كان ببعض حبله دهن فمرت فأرة فجذبته فسار معها القطار بواسطة جذبها له وهى مراكب البر ولذلك قرنها الله تعالى بالسفن فقال تعالى وعليها وعلى الفلك تحملون ولما كانت مراكب البر والبر فيه ما ماؤه قليل وماماؤه كثير جعل الله تعالى لها صبرا على العطش حتى قيل انه يرتفع ظمؤها الى عشر وفى الحديث لاتسبوا الابل فانها من نفس الله تعالى أى مما يوسع به على الناس حكاه ابن سيده والذى يعرف لاتسبوا الريح فانها من نفس الرحمن قال أصحاب الكلام فى طبائع الحيوان ليس لشىء من الفحول مثل ما للجمل عند هيجانه فانه يسوء خلقه فيظهر زبده ويقل رغاؤه فلو حمل عليه ثلاثة أضعاف عادته حمل ويقل أكله ويخرج له عند رغائه شقشقة لاتعرف من أى شىء هى من أجزائه وهو من الاحرار حتى قيل انه لاينزو على أمه ولا على أخته حتى قيل ان بعض العرب ستر ناقة بثوب ثم أرسل عليها ولدها فلما عرف ذلك عمد الى احليله فأكله ثم حقد على صاحبه حتى قتله وليس له مرارة ولذلك كثر صبره وقيل يوجد على كبده شىء رقيق يشبه المرارة ينفع الغشاوة فى العين كحلا وفى معدته قوة حتى انها تهضم الشوك وتستطيبه ويحل أكله بالنص والاجماع وأما تحريم يعقوب عليه الصلاة والسلام أكلها فباجتهاد منه وذلك انه كان يسكن البوادى فاشتكى عرق النسا فلم يجد ما يلائمه الا ترك أكل لحومها فلذلك حرمها * وأما انتقاض الوضوء بأكل لحمها فاختلف العلماء فى ذلك فذهب الاكثرون إلى انه لاينقض وعليه الخلفاء الأربعة وابن مسعود وأبى وابن عباس وأبو الدرداء وأبو طلحة وعامر بن ربيعة وأبو أمامة وجماهير التابعين وبه أخذ مالك والشافعى وأبو حنيفة وأصحابهم وخالف فى ذلك أحمد واسحاق ويحيى بن يحيى وابن المنذر وابن خزيمة واختاره البيهقى وهو مذهب الشافعى القديم (خواصه) قال ابن زهير وغيره أكل لحمه يزيد فى الباه وفى الانعاظ بعد الجماع وبوله يفيق السكران ووبره اذا أحرق وذر على دم سائل قطعه وقراده اذا ربط على كم عاشق يزول عشقه (الأرضة) بفتح الهمزة والراء دويبة صغيرة كنصف العدسة تأكل الخشب والورق ولما كان فعلها فى الارض أضيف اسمها اليها قال القزوينى اذا أتى على الارضة سنة نبت لها جناحان طويلان تطير بهما ويقال انها الدابة التى دلت الجن على موت سليمان عليه الصلاة والسلام ومن شأنها انها تبنى لنفسها بيتا من عيدان تجمعها مثل بيت العنكبوت منخرطا من أسفله الى أعلاه وله فى احدى جهاته باب مربع ومنه تعلم الاوائل وضع النواويس لموتاهم والنمل عدوها وهو أصغر منها فيأتى من خلفها ويحتملها ويمشى بها الى جحره لانه اذا أتاها مستقبلا لايغلبها (الارنب) حيوان شبه العناق قصير اليدين طويل الرجلين يطأ الارض على مؤخر قدميه وهو اسم يطلق على الذكر والأنثى وله شدة شبق وربما تسفد وهى حبلى ويكون عاما ذكرا وعاما أنثى * ومن عجائبها أنها تنام وعيناها مفتوحتان فيأتى الصياد فيظنها مستيقظة قيل من رأى أرنبا عند خروجه من بيته أول ما يخرج أو رآه

بله ولا يجلب نفع غله وحكم المدفع الكبير على سور القلعة فقال له السور دائم النفوذ والأحكام وانقلبوا صاغرين الى الطاعة وقد قابلنا أنف جبلهم بالارغام ورجعوا عن خليلهم الكردى لما قام لهم على جهله الدليل وقالوا طاعة السلطنة الشريفة مايراعى فيها من العصاة خليل وسألونا الصفح عن حديث جهلهم القديم وسلموا القلعة لرضا خواطرنا الشريفة فجمعوا بذلك بين الرضا والتسليم وتنكرت أكراد كركر بسور القلعة فعرفناهم بلامات القسى وألفات السهام وعطست أنوف مراميهم بأصوات مدافعنا كان بها زكام وتبرموا من خليلهم الكردى لما شاهد الخطب جليلا وقال كل منهم ياليتنى لم أتخذ فلانا خليلا وأورت عاديات المدافع بالقلعة قدحا فأمست بالزلزلة مهددة وفروا من سطواتنا الشريفة الى البروج فأدركهم الموت فى بروجهم المشيدة وسألنا كرديهم فى جزيل ماله ليغدو بنفسه الخبيثة ويروح فلم نرض منه على كفره الا بالمال والروح وسجناه فى قلعته وقد أيقن بالموت وارتفع النزاع وجهز المفتاح لتخليص دينه فحصل على سجنه الاجماع وأمسى بها * كريشة فى ممر الريح

ساقطة * وتمام البيت معروف عند من له عليه اطلاع وجاءت مفاتيح كل من ديار بكر وقد أزهرت باسمنا

عند قيامه من نومه واصطبح به لم تقض له حاجة في ذلك اليوم ومن عجيب أمره أن تحمل الأنثى منه باثنين وثلاثة وأربعة ولا تلد الا تحت الأرض خوفا على أولادها من الانسان وتحفر تحت الأرض الحفائر القوية حتى أنها تخرب الجدران وعند ولادتها ينتحل شعرها وهي تحضن الأولاد الى عشرين يوما ومن طبعه انه أبله وفيه قوة وشدة وفي سفاده حالة نزوه يصرخ الذكر والأنثى كالسنانير فاذا وقع منه الانزال وقع على الأرض قليل الحركة وعند سفاده تدير لها وجهها فاذا ملكها بعد ذلك فانها تجرى به وهو راكب عليها ويجرى معها ﴿فائدة﴾ ذكر ابن الاثير في الكامل أن صيدا يقال له اصطاد أرنبا وله أشيان وذكر وفرج * وقيل التقطت الأرنب تمرة فاختلسها الثعلب فأكلها فانطلقا يتخاصمان الى الضب فقالت الارنب يا أبا حسل فقال سميعا دعوت قالت أتيناك لنختصم قال عادلا حكيما قالت فاخرج الينا قال في بيته يؤتى الحكم قالت اني وجدت تمرة حلوة قال فكليها قالت قد اختلسها الثعلب قال لنفسه بغى الخير قالت فلطمته قال بحقك أخذت قالت فلطمني قال اقتص قالت فاقض بيننا قال قد قضيت فذهبت أقواله أمثالا (ومن ذلك) ما حكى ان عدى بن أرطاة أتى شريحا القاضي في مجلس حكمه فقال له أين أنت قال بينك وبين الحائط قال فاسمع مني قال للاستماع جلست قال اني تزوجت امرأة قال بالرفاء والبنين قال فشرط أهلها أن لا أخرجها من بينهم قال أوف لهم بالشرط قال فأنا أريد الخروج قال الشرط أملك قال أريد أن أذهب قال في حفظ الله قال فاقض بيننا قال قد فعلت قال فعلى من قضيت قال على ابن أمك قال بشهادة من قال بشهادة ابن أخت خالك (الخواص) قال الجاحظ من علق عليه كعب أرنب لم تضره عين ولا سحر وأكل دماغه يبرئ من الارتعاش العارض من البرد وان شربت المرأة الحامل أنفحة الذكر ولدت ذكرا وان شربت أنفحة الأنثى ولدت أنثى وان علقت عليها زبلها لم تحمل والارنب البحرى من السموم فلا يحل أكله (سقنقور) دابة شكلها كالوزغة اذا أخذت وسلخت وملحت وشرب منها مثقال زاد في الباه وهو من الاشياء النفيسة عند أهل الهند يقال انه يهدى اليهم فيذبحونه بسكين من الذهب ويحشونه من ملح مصر فاذا وضعوا منه مثقالا على لحم أو بيض نفع نفعا عظيما (الافعى) الانثى من الحيات والذكر أفعوان وهو يعيش ألف سنة على ما يقال ويعرف بالشجاع والأسود وهو أشر الحيات وأشرها حيات وأفاعى سجستان ومن عجيب ما يحكى عنها أنها لدغت انسانا في رجله فانصدعت جبهته ﴿وحكى﴾ انها نهشت ناقة وفصيلها يرضع فمات قبل أمه وقيل لما دخل شبيب بن شبة على المنصور قال له يا شبيب أدخلت سجستان فقال له نعم قال صف لي أفاعيها قال يا أمير المؤمنين هي دقاق الأعناق صغار الاذناب مفلطحة الرؤس رقش برش كأنما كسين أعلام الحبرات كبارهن حتوف وصغارهن سيوف وقيل انها تندفن في التراب أربعة أشهر في البرد ثم تخرج وقد أظلمت عيناها فتمر بشجر الرازيانج وهو الشمر الاخضر فتحك عينيها به فيرجع اليها بصرها فسبحان من ألهمها ذلك وقال الزمخشري اذا عميت الافعى بعد ألف سنة ألهمها الله تعالى أن تأتي البساتين وتلقي نفسها على هذه الشجرة وتحك عينيها بها فتبصر وقيل اذا قطع ذنبها عاد كما كان واذا قلع نابها عاد بعد ثلاثة أيام وهي أعدى عدو للانسان وقال بعضهم رأيت حية قد ابتلعت كبشا عظيم القرنين فجعلت تضرب به الحجارة يمينا ويسارا حتى كسرت القرنين وابتلعته وقرنيه والله تعالى أعلم وقيل اذا قطع ذنب الحية تعيش ان سلمت من الذر وقيل ان بالحبشة حيات لها أجنحة تطير بها وقيل ان جلدها ينسلخ عنها في كل سنة مرة وقيل ان الجلد لا ينسلخ وانما الذي ينسلخ قشر فوق الجلد وغلاف يخلق لها كل عام وهي تبيض على عدد أضلاعها أي ثلاثين بيضة فيجتمع عليها النمل فيفسدها بقدرة الله تعالى الا نادرا * ومن عجيب أمرها أنها لا ترد الماء ولا تريده

معرفه وصارت أبراجها بالنسبة الى يدية مشرفه وجهز قرا عثمان مفاتيح الرها وآمد وسأل تشريفه بتشريفها بتقليدين يرفعان لهما في الشرف محلا خلناه بذلك وكان من العواطل فحلت المطابقة بالعاطل المحلي والنهب ابن الغادر بحرارة المعصية ففر الى برد الطاعة من غير فترة وهز جذع مراحمنا الشريفة واعترف أنه جهل الفرق بين التمرة والجمرة وأقر بذنوبه وقال التوبة تجب ما قبلها ودوحة المراحم الشريفة قد مد الله على الخافقين ظلها وعلم انه ما أحسن البيان عن درندة في تخليص ذلك المفتاح وسأل أن يحظي من بيان عفونا الشريف باستجلاء عروس الافراح فاذقناه حلاوة قربنا بعد ماذاق مرارة بينه وأسنا تشريفه بنيابة الابلستين فباس الارض وهو لا يصدق أنه يرى محاجر تلك العين بعينه وجهزنا ولده داود بدروع من الامن ليأمن بها من يد داود ويتفيأ بظلال جبرنا ويصير بعد حر المعصية في ظل ممدود وقد تقدم سؤال قيسارية أن يقام بها سوق الامان فاجبناها وسعرت بها نار الخوف بعد ما غلت فجهزنا اليها بضائع الامن وأرخصناها ولكنها

والكنها اذا شمت رائحة الخمر فلا تكاد تصبر عنه مع أنه سبب هلاكها لأنها اذا شربت سكرت فتعرضت للقتل والذكر لا يقيم فى الموضع وانما تقيم الانثى لاجل فراخها حتى تكتسب قوة فاذا قويت أخذتهم وانسابت فأى جحر وجدته دخلت فيه وأخرجت صاحبه منه وعينها لا تدور واذا قلعت عادت * ومن عجيب أمرها أنها تهرب من الرجل العريان وتفرح بالنار وتقرب منها وتحب اللبن حبا شديدا واذا دخلت بصدرها فى جحر لا يستطيع أقوى الناس اخراجها منه ولو قطعت قطعا وليس لها قوائم ولا أظفار وانما تقوى بظهرها لكثرة أضلاعها (وحكى) عمر بن يحيي العلوى قال كنا فى طريق مكة فأصاب رجلا منا استسقاء فاتفق أن العرب سرقوا منا قطار جمال على أحدها ذلك الرجل قال ثم بعد أيام جمعتنا المقادير فوجدته قد برىء فسألناه عن حاله فقال ان العرب لما أخذونى جعلونى فى أواخر بيوتهم فكنت فى حالة أتمنى فيها الموت وبينما أنا كذلك اذ أتونى يوما بأفاعى اصطادوها وقطعوا رؤسها وأذنابها وشووها بعد ذلك فقلت فى نفسى هؤلاء اعتادوها فلا تضرهم فلعلى ان أكلت منها مت فاسترحت فاستطعمتهم فأطعمونى واحدة فلما استقرت فى بطنى أخذنى النوم فنمت نوما ثقيلا ثم استيقظت وقد عرقت عرقا شديدا واندفعت طبيعتى نحو مائة مرة فلما أصبحت وجدت بطنى قد ضمر وقد انقطع الألم فطلبت منهم مأكولا فأكلت وأقمت عندهم أياما فلما نشطت ووثقت من نفسى بالحركة أخذت فى الطريق مع بعضهم وأتيت الكوفة ﴿فائدة﴾ قيل إن الريحان الفارسى لم يكن قبل كسرى وانما وجد فى زمانه وسببه ان كسرى كان ذات يوم جالسا فى بعض متفرجاته اذ جاءته حية فانسابت بين يديه وتمرغت وصارت تتقلق مثل الذى يشتكى فأراد بعض الجند قتلها فمنعهم الملك ثم قال لهم انظروا أمرها فلما سمعت ذلك انسابت بين يديه فأمرهم أن يتبعوها الى المكان الذى تريده قال فجاءت الى بئر وصارت تنظر فيه قال فنظروا فاذا فيه حية عظيمة وعلى ظهرها عقرب أسود فنخسها بعضهم برمح فقتلها وتركوها ورجعوا فاخبروا الملك بذلك فلما كان الغد جاءت الحية للملك وفى فمها بزر فنثرته بين يدى الملك وذهبت فقال الملك انها أرادت مكافأتنا اجعلوه فى الأرض لننظر مايكون من أمره قال ففعلوا ذلك فطلع منه الريحان قال فلما انتهى أمره أتوا به الى الملك قال وكان به زكام فشمه فبرىء ﴿لطيفة﴾ من غريب ما اتفق لعماد الدولة انه لما ملك شيراز اجتمع عليه أصحابه وطلبوا منه مالا ولم يكن عندهم ما يرضيهم به فاغتم لذلك ونام مستلقيا على قفاه مفكرا فى ذلك واذا بحية عظيمة خرجت من سقف ذلك المجلس ودخلت فى سقف آخر قال فطلب سلما وصعد لينظر المكان الذى خرجت منه فلما رآه وجد كوة فنظر فى داخلها فاذا هى مطمورة فدخلها فوجد فيها صندوقا فيه خمسمائة ألف دينار فامر باخراجه وانفاقه على عسكره (ومن ألطف ما اتفق له أيضا) أنه كان بتلك البلد خياط أطروش وكان الملك الذى قبله قد أودع عنده وديعة مال قال فطلبه عماد الدولة ليخيط له على عادته لانه هو الذى يخيط للملوك قال فتوهم الاطروش أنه غمز عليه بسبب الوديعة فلما حضر بين يدى عماد الدولة قال له ان فلانا الملك لم يدع عندى سوى اثنى عشر صندوقا ولم أدر ما فيها فأمر باحضارها فأحضرها فأخذها عماد الدولة ووسع بها على جنده وتعجب من هاتين القضيتين فكانت هذه الاسباب من دلائل السعادة له * وأمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتل الحيات بعد أن تنذر ثلاث مرات وقيل ثلاثة أيام وأما سكان البيوت فالانذار لها متعين وفى الحديث من قتل حية فكأنما قتل مشركا ومن لبس خفا فلينفضه ومن آوى الى فراشه فلينظفه (الخواص) يقال ان دمها يجلو البصر وقلبها اذا علق على انسان لا يؤثر فيه السحر وضرسها اذا علق على من به وجع الضرس سكن الألم

وأيقن أهلها انهم ان مشوا فى حدائق عدلنا على غير هذه الطريقة صار على سوسنة كل سنان من دمائهم شقيقة فاز لنا عنهم بايناس عدلنا الوحشة وأمست قيسار يتهم فى أيامنا الزاهرة هشة وسجعت خطباء منابرها باسمنا الشريف والدهر يهتز فرحة ويترنم

ولم يخل من أسمائنا عود منبر
ولم يخل دينار ولم يخل درهم

وتقارب الاشتقاق بين سيواس وسيس فتجانسا للطاعة ومات العصيان بتلك البلاد فقالت ارزيكاز الصلاة جامعة وصلت طائعة مع الجماعة فلا قلعة الا افتضضنا بكارتها بالفتح وابتذلنا من ستائرها الحجاب ولا كأس برج أترعوه بالتحصين الا توجنا رأسه من مدافعنا بالحباب حتى فصلت فى الروم لعساكرنا التى هى عدد النمل قصص وعدنا فكان العود احمد اذا لم يبق بتلك البلاد ما تعده القدرة على الفتح من الفرص وجاءت رسل ملوك الشرق بالاذعان لطاعتنا التى اتخذوها لشرفها قبلة وود كل منهم أن يحظى من جبهات أعتابنا بقبلة وتنوعوا من الهدايا بأجناس صدقت من كل نوع مقبول وبالغوا فى الرقة وأهدوا من الرقيق ماقام له عندنا سوق القبول وأسفر قرا يوسف من الجمال اليوسفى ونور الطاعة عن بهجتين وأظهر كتاب

للايمن والأيسر للأيسر ولحمها قال بقراط الحكيم من أكله أمن من الامراض الصعبة (الانيس) وتسميه الرماة الانيسة لأنه من طيور الواجب عندهم وهو طير له لون حسن غذاؤه الفاكهة ومأواه الانهار والبساتين والغياض وله صوت حسن كالقمرى (الاوز) طير يحب السباحة وفراخه تخرج من البيضة تسبح (الخواص) فى جوفه حصاة تنفع المبطون ودهنه ينفع من ذات الجنب وداء الثعلب اذا طلى به ولسانه ينفع لقطار البول وغذاؤه جيد الا أنه بطىء الهضم (الايل) بتشديد الياء المكسورة ذكر الوعل وله أسماء باختلاف اللغات وهو يشبه بقر الوحش وإذا خاف من الصياد رمى بنفسه من رأس الجبل ولا يتضرر بذلك واذا لسعته حية ذهب الى البحر فأكل السرطان فيشفى (خواصه) ان السمك يحب رؤيته وهو يحب ذلك ولذلك أكثر مايكون بقرب البحر والصيادون يعرفون ذلك فيلبسون جلده ايراهم السمك فيأتى لهم وهو مولع بأكل الحيات وربما لسعته فتسيل دموعه تحت محاجر عينيه حتى تصير نقرتين من كثرة ذلك ثم تجمد تلك الدموع فتصير كالشمع فتؤخذ وتجعل دواء للسم وهو الذى يسمى بالبزهير الحيوانى وأجوده الاصفر وأكثر مايكون ببلاد الهند والسند وفارس واذا وضع على لسعة الحيات أبرأها وان وضعه الملسوع فى فيه نفعه وهذا الحيوان لاتنبت قرناه الابعد سنتين وينبتان فى أول الامر مستقيمين ثم بعد ذلك يحصل فيهما التشعب ولايزال يزيد الى ست سنين فحينئذ يصيران كنخلتين ثم بعد ذلك يلقيهما فى كل سنة مرة ثم ينبتان قال ارسطو وهذا النوع يصاد بالصفير والاصوات المطربة فانه يحب الطرب والصيادون يشغلونه بذلك ويأتونه من ورائه فاذا رأوه قد استرخت أذناه وثبوا عليه وقرنه مصمت واحليله من عصب لاعظم فيه ولالحم وهو من الحيوان الذى يزيد فى السمن فاذا حصل له ذلك فر من مكانه خوفا من الصيادين وحكمه حل أكله (الخواص) اذا بخر بقرنه البيت طرد الهوام التى فيه واذا أحرق واستاك به الذى به صفرة الاسنان زال ذلك عنه ومن عاق عليه شىء منه ذهب نومه ومن خواصه ان دمه يفتت الحصاة التى بالمثانة شربا والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ حرف الباء الموحدة ﴾

(باز) كنيته أبو الأشعث وهو من أشد الحيوان تكبرا وأضيقها خلقا قال القزوينى انها لاتكون الا أنثى وذكرها من غيرها امامن جنس الحدأة أوالشواهين ولاجل ذلك تختلف ألوانها وهو أصناف منها البازى والباشق والشاهين والبيدق والصقر والبازى أحرها مزاجا لأنه لايصبر على العطش فلذلك لايفارق الماء والاشجار المتسعة والظل الظليل وهو خفيف الجناح سريع الطيران تكثر أمراضه من كثرة طيرانه لانه كلما طار انحط لحمه وهزل وأحسن أنواعه ماقل ريشه واحمرت عيناه مع حدة فيهما قال الشاعر

لو استضاء المرء فى ادلاجه * بعينه كفته عن سراجه

ودونه الأزرق الاحمر العينين والاصفر دونهما * ومن صفاته المحمودة أن يكون طويل العنق عريض الصدر بعيدما بين المنكبين شديد الانحطاط من الجو غليظ الذراعين مع قصر فيهما ﴿ لطيفة ﴾ من عجيب أمره أن الرشيد خرج ذات يوم للصيد فارسل بازافغاب قليلا ثم أتى وفى فمه سمكة فاحضر الرشيد العلماء وسألهم عن ذلك فقال مقاتل ياأمير المؤمنين روينا عن جدك ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال ان الجو معمور بامم مختلفة الخلق وفيه دواب تبيض وتفرخ على هيئة السمك لها أجنحة ليست بذوات ريش فأجاز مقاتلا على ذلك وأكرمه

له حصنا وملاذا ولم يباشر فى اخلاص الطاعة مما يقال له بسببه يوسف أعرض عن هذا وجاءت هداياه التى هبت نسمات القبول على اقبالها وجنينا منها ثمار المحبة وجمل التفاصيل التى وسعها سناء الملك ببهجة ولم يترك لابنه فى دار الطراز رتبه والتمورة التى يحجم ابن فهد عن وصفها اذا قابل منها السواد والبياض بالمقلتين فانها جمعت لنا من ليلها الحالك ونهارها الساطع بين الآيتين والجواد الذى تميز بأوصاف ماصاحب مجرى السوابق من الفحول التى تجاريها فانه غرة فى جباه الخيل التى قال قائد الغر المحجلين ان الخير معقود بنواصيها والسروج التى سمت عندنا على السروجى بمقاماتها العالية ورأينا أهلة تغنى عن الفجر فخضبنا كل سرج منها بالغاشية والجوارح التى خشى النسر الطائر ان يصير منها واقعا وصدق فيما تفرس وخافت الشمس لما تسمت بالغزالة وأف سرحان الأفق ذنبه على خيشومه ولم يتنفس والقوس الذى أصاب به اغراض المحبة ونال منها أوفر سهم ونصيب

وجاء عبارة عن رأى مهديه وكل عندنا بحمد الله مصيب وهو من الأشياء التى وقعت فى محلها

(بالة) سمكة عظيمة قال القزويني يقال ان طولها يبلغ خمسمائة ذراع وقال غيره خمسون و يقال لها العنبر وهي تظهر في بعض الأحايين لأصحاب المراكب فاذا رأوها طبلوا بالطبول حتى انها تنفر لان لها جناحين كالقناطر اذا نشرتها أغرقتهم فاذا بغت على حيوان البحر وزاد شرها أرسل الله عليها سمكة نحو الذراع تلتصق بأذنها ولا خلاص لها منها فتنزل الى قعر البحر وتضرب رأسها به حتى تموت ثم تطفو بعد ذلك فيقذفها الريح الى الساحل فيأخذها أهله و يشقون جوفها و يستخرجون منها العنبر (ببغاء) هي أصناف كثيرة منها الأخضر والرمادي والأصفر والابيض يتخذها الملوك والرؤساء لحسن لونها وصوتها وفصاحتها ﴿حكي﴾ أنه أهدي لمعز الدولة درة بيضاء سوداء الرجلين والمنقار ويقال ان نوعا منها يقرأ القرآن (الخواص) من أكل لسانها تفصح واذا جفف دمها وجعل بين الصديقين حصلت بينهما الخصومة وزبلها يخلط بماء الحصرم ويكتحل به ينفع من الرمد وظلمة البصر (بجع) طائر أبيض اللون يميل الى صفرة طويل المنقار كبير البطن أكثر أكله السمك (بح) طائر لطيف يأوي أطراف الماء وهو خلقة شريفة لم يوجد غالبا إلا اثنين فقط (براق) هو الدابة التي ركبها النبي ﷺ وهو دون البغل وفوق الحمار أبيض اللون (برذون) نوع من الخيل دون الفرس العربي وفي الحديث أن النبي ﷺ ركبه وكذا عمر رضي الله تعالى عنه فلما ركبه عمر جعل يتخلخل به فنزل عنه وضرب وجهه وقال لا علم الله علمك هذه الخيلاء ولم يركب برذونا قبله ولا بعده وكنيته أبو الاخطل لطول ذنبه وأنشد السراج الوراق في ذم البراذين يقول

لصاحب الاحباس برذونة * بعيدة العهد عن القرط * إذا رأت خيلا على مربط
تقول سبحانك يا معطي * تمشي الى خلف إذا ما مشت * كأنما تكتب بالقبطي

(الخواص) إذا شربت امرأة دمه لم تحبل أبدا وزبله يخرج المشيمة والجنين الميت واذا جفف وذر منه على من به الرعاف انقطع رعافه وكذا الجرح (برغوث) تفتح منه الباء وتضم وكنيته أبو طامر وأبو عدي وأبو وثاب وهو يثب الى ورائه ﴿وحكي﴾ أنه يعرض له الطيران كالنمل وهو يطيل السفاد و يبيض و يفرخ وأصله أولا من التراب لاسيما في الاماكن المظلمة وسلطانه في أواخر الشتاء وأول فصل الربيع و يقال انه على صورة الفيل وله أنياب وخرطوم وقال بعضهم دبيبها من تحتي أشد من عضها وليس ذلك بدبيب ولكن البرغوث خبيث يستلقي على ظهره و يرفع قوائمه فيزغزغها فيظن من لا علم له انه يمشي تحت جنبيه وكان أبو هريرة رضي الله تعالى عنه يفلي ثوبه فيلتقط البراغيث و يدع القمل فقال له أنس في ذلك فقال أبدأ بالفرسان وأكر على الرجالة وأنشد أعرابي

ليل البراغيث أعياني وأنصبني * لا بارك الله في ليل البراغيث
كأنهن وجلدي اذ خلون به * أيتام سوء أغاروا في المواريث

﴿وقال أبو الرماح الازدي﴾

تطاول بالفسطاط ليلي ولم يكن * بوادي الغضى ليلي علي بطول * تؤرقني حدب قصار أذلة
وان الذي يؤذينه لذليل * اذا جلت بعض الليالي منهن جولة * تعلقن في رجلي حيث أجول
اذا ما قتلناهن أضعفن كثرة * علينا ولا ينعى لهن قتيل
ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة * وليس لبرغوث علي سبيل

﴿وقال ابن أيبك الصفدي﴾

ونحن نقيم دلائل ذلك و برهانه فان القوس إذا عانق سهامه بنصر علم أنه وصل الى الكنانة وبالغ المقر الجمالي في نظم بديع الهدايا ونسخ الجفاء بكثرة رقيقه وأدار من أواني الصيني كؤسا اترعها الود بسلاف رحيقه ودخلنا حلب المحروسة وأوصلناها ما استحق لها من ديون الفتح علينا ورددنا ما اغتصب منها فقالت هذه بضاعتنا ردت الينا وقد آثرنا الجناب بكرامة هذه البشارة التي استبشر بها وجه الزمان بعد قطوبه وتبسم فان ركن هذا البيت الشريف ونسيب مدحه المقدم فيأخذ منها حظه ويثلج صدر البرايا ففيها لهم برد وسلام وبرعاهم بعين الرعاية ليضوع فيهم عرف العدل ويصير مسكا لهذا الختام والله تعالى يمتعه في ليله ونهاره من أخبارنا السارة بالاعياد والمواسم ويجعل له من صياغة أعماله ان شاء الله حسن الخواتم (قلت) وذكرت بهذه الرحلة أيضا رحلتي من الديار المصرية الى دمشق المحروسة المحمية سنة احدى وتسعين وسبعمائة والملك الناصر قد خرج من الكرك ونزل عليها وتصدى لحصارها وقد اجتمعت عليه العساكر المصرية والشامية وحدث بدمشق المحروسة ما حدث من القتال والحصار والحريق فكتبت الى المقر المرحومي الفخر القاضي ابن مكانس في شرح ذلك رسالة لم ينسج على

أشكو الى الرحمن ما نالني * من البراغيث الخفاف الثقال
تعصبوا بالليل لما دروا * أني تقنعت بطيف الخيال

ولا يسب البرغوث لما ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يسب برغوثا فقال لا تسبه فانه أيقظ نبيا إلى صلاة الفجر (فائدة) سئل مالك عن البرغوث من يقبض روحه فقال أله نفس قيل نعم قال الله يتوفى الانفس حين موتها * ولقد شكا عامل افريقية إلى عمر بن عبد العزيز شر الهوام فكتب اليه اذا أوى أحدكم الى فراشه فليقرأ وما لنا أن لا نتوكل على الله الآية وقال حنين بن اسحق الحيلة في دفع البرغوث أن تأخذ شيئا من الكبريت فتدخن به في البيت فانها تفر من ذلك وقيل يرش البيت بماء السذاب وقيل مشاق المراكب يحرق في البيت مع قشور النارنج (بعوض) قيل إنه على خلقة الفيل الا أنه أكثر أعضاء منه فان للفيل أربعة أرجل وللبعوض ستة ويزيد عليه بأربعة أجنحة وله خرطوم مجوف نافذ فاذا طعن به جسد انسان استقى الدم وقذف به الى جوفه فهو له كالبلعوم والحلقوم ومما ألهمه الله تعالى أنه اذا جلس على عضو انسان يتتبع مسام العروق فانها أرق وأسرع له في اخراج الدم وعنده شره في مصه حتى قيل إنه لا يمص شيئا فيتركه باختياره الى أن ينشق أو يطار * ومن عجيب أمره أنه ربما قتل البعير وغيره من ذوات الأربع فيتركه طريحا وقال الجاحظ من علم البعوض أن وراء جلد الجاموس دما وأن ذلك الدم غذاء لها وأنها اذا طعنت في ذلك الجلد الغليظ نفذ فيه خرطومها مع ضعفه ولو أنك طعنت فيه بمسلات شديدة المتن رهيفة الحد لانكسرت فسبحان من رزقها على ضعفها بقوته وقدرته قال بعضهم

أقول لنازل البستان طوبى * لعيشك لم تشك فيه البعوض * يملله فليس له قرار
ويثخنه فليس له نهوض * حماه قرصه وطنينه أن * يبيت وعينه فيها غموض
كأنك حين تهدى بالأغاني * تكرر في مسامعك العروض

ومن الحكم التي أودعها الله تعالى اياها أن جعل الله فيها قوة الحافظة والفكر وحاسة اللمس والبصر والشم ومنفذ الغذاء وجوفا ومخا وعروقا وعظاما فسبحان من قدر فهدى ولم يترك شيئا سدى وقال الزمخشري في تفسير سورة البقرة في ذلك

يامن يرى مد البعوض جناحها * في ظلمة الليل البهيم الأليل * ويرى مناط عروقها في نحرها
والمخ من تلك العظام النحل * ويرى خرير الدم في أوداجها * متنقلا من مفصل في مفصل
ويرى وصول غذا الجنين ببطنها * في ظلمة الاحشا بغير تمقل * ويرى مكان الوطء من أقدامها
في سيرها وحثيثها المستعجل * ويرى ويسمع حس ماهو دونها * في قاع بحر مظلم متهول
امنن على بتوبة تمحو بها * ما كان مني في الزمان الأول

(بغل) معروف وكنيته أبو قموص وأبو حرون وله كنى غير ذلك كثيرة وهو مركب من الفرس والحمار ولذلك صار له صلابة الحمار وعظم الخيل وهو عقيم لا نسل له روى ابن عساكر في تاريخ دمشق عن علي كرم الله وجهه أنها كانت تتناسل فدعا عليها ابراهيم الخليل لأنها كانت تسرع في نقل الحطب لنار المنجنيق فقطع الله نسلها وهو أشر الطباع لانه تجاذبه الاعراق المتضادة والأخلاق المتباينة والعناصر المتباعدة ومن العجيب أن كل عضو فرضته منه كان بين الفرس والحمار (الخواص) يقال ان حافر البغلة السوداء ينفع لطرد الفار اذا بخر به البيت واذا سحق حافره بعد حرقه وخلط بدهن الآس وجعل على رأس الاقرع نبت شعره وزبله اذا شمه المزكوم زال زكامه على ما ذكره (بقر) هو حيوان شديد القوة خلقه الله تعالى لمنفعة الانسان وهو أنواع منها الجواميس وهي أكثر ألبانا وكل حيوان اناثه أرق أصواتا من ذكوره الا البقر وأنثاه يضربها الفحل في السنة مرة واذا اشتد شبقها تركت المرعى وذهبت

الفخر والمجد فلا برح هيام الوفود الى أبوابها أكثر من هيام العرب الى ربا نجد ولا زالت فحول الشعراء تطلق أعنة لفظها فتركض في ذلك المضمار وتهيم بواديها الذي يجب أن ترفع فيه على أعمدة المدائح بيوت الاشعار وينهي بعد أشواق أمست الدموع بها في محاجر العين معثرة ولو لم يقرا انسانها بمراسلات الدمع لقلت قتل الانسان ما أكفره وصول المملوك الى دمشق المحروسة فياليته قبض قبل ما كنت عليه ذلك الوصول ودخوله اليها ولقد والله تمنى خروج الروح عند ذلك الدخول فنظر المملوك الى قبة يلبغا وقد طار بها طير الحمام وجثت حولها تلك الاسود الضارية فتطيرت في ذلك الوقت من القبة والطير وتعوذت بالغاشية ودخلت بعد ذلك الى القبيبات التي صغر اسمها لاجل التحبب فوجدتها وقد خلا منها كل منزل كان آنسا بحبيبه فأنشد به لسان الحال قفا نبك من ذكرى حبيب ونظرت بعد القباب الى المصلى وما فعلت به سكان تلك الخيام والتفت الى بديع بيوته التي حسن بناء تأسيسها وقد فسد منها النظام فسال وقد وقعت عقيق دمعي على أرض المصلى والقباب

واذا طلع عليها الفحل النوت تحته إذا أخطأ المجرى لشدة صلابة ذكر دقال المسعودي رأيت بالري البقر تحمل كالبعير فتبرك على ركبتيها ثم تثور بالحمل (عجيبة) حكى في الاحياء أن شخصا كان له بقرة وكان يشوب لبنها بالماء ويبيعه فجاء السيل في بعض الأودية وهي واقفة ترعى فرعليها فغرقها فجلس صاحبها يندبها فقال له بعض بنيه يا أبت لا تندبها فان المياه التي كنا نخلطها بلبنها اجتمعت فغرقتها ﴿فائدة﴾ ذكر ابن الفضل في كتابه عن وهب ابن منبه أنه قال لما خلق الله تعالى الارض ماجت واضطربت كالسفينة فخلق الله تعالى ملكا في نهاية العظم والقوة وأمره أن يدخل تحتها ويجعلها على منكبيه فدخل وأخرج يدا من المشرق ويدا من المغرب وقبض على أطراف الأرض وأمسكها ثم لم يكن لقدميه قرار فخلق الله تعالى صخرة من ياقوتة حمراء في وسطها سبعة آلاف ثقب يخرج من كل ثقب بحر لا يعلم عظمه إلا الله تعالى ثم أمر الصخرة أن تدخل تحت قدمي الملك ثم لم يكن للصخرة قرار فخلق الله تعالى ثورا عظيما يقال له كيوثاء(١) له أربعة آلاف عين ومثلها أنوف وآذان وأفواه وألسنة وقوائم ما بين كل قائمتين منها مسيرة خمسمائة عام وأمر الله تعالى هذا الثور فدخل تحت الصخرة وحملها على ظهره وقرونه ثم لم يكن للثور قرار فخلق الله تعالى حوتا يقال له يهموت ثم أمره الله تعالى أن يدخل تحته ثم جعل الحوت على ماء ثم جعل الماء على الهواء ثم جعل الهواء على ماء أيضا ثم جعل الماء على الثرى ثم الثرى على الظلمة ثم انقطع علم الخلائق (الخواص) شحم البقر إذا خلط بزرنيخ أحمر طرد العقارب واذا طلي به إناء اجتمعت البراغيث إليه واذا شرب لبنها زاد في الانعاظ وقرنها اذا سحق وجعل في طعام صاحب الحمى فأكله زالت الحمى ومرارتها إذا خلطت بماء الكراث نفعت من البواسير طلاء واذا طلي به على الاثر الاسود في البدن أزاله وخصية الفحل إذا جففت وسحقت وجعلت في عسل وأكلت فانها تزيد في الباه وشعرها إذا أحرق واستيك به نفع من وجع الاسنان واذا خلط مع السكنجبين وشرب نفع من الطحال على ما ذكر

(بومة) وكنيتها أم الخراب وأم الصبيان ومن طبعها أن تدخل على كل طير في وكره وتأكل أفراخه ولمعاداة الطيور لها يجعلها الصيادون في أشراكهم حتى يقع عليها الطير ونقل المسعودي عن الجاحظ أن البومة لا تخرج بالنهار خوفا من العين لأنها تظن أنها حسناء وهي أصناف وكلها تحب الخلوة بنفسها (الخواص) من خواصها أنها تنام باحدى عينيها والاخرى مفتوحة فاذا أخذت المفتوحة وجعلت تحت فص خاتم فمن لبسه لم ينم ما دام في يده وعكسها المغموضة واذا أردت معرفة ذلك فالقهما في الماء فالراسبة للنوم والطافية لليقظة واذا أخذ قلب البومة وجعل على اليد اليسرى من المرأة وهي نائمة تحدثت بجميع ما فعلته في نومها ﴿بوقير﴾ طير أبيض يأتي منه في كل سنة طائفة الى جبل بالصعيد يقال له جبل الطير فيه كوة فتدخل من تلك الكوة فيمسك منها شيء فان أمسكت واحدة كان ذلك العام متوسط الخصب وان أمسكت ثنتين كان كثير الخصب وان لم تمسك شيئا كانت السنة مجدبة وأهل تلك الناحية تعرف ذلك وهذا الجبل بالقرب من بلدة مارية أم ابراهيم ولد النبي صلى الله عليه وسلم

﴿حرف التاء﴾

(تمساح) حيوان عجيب على صورة الضب له فم واسع وفيه ستون نابا وقيل ثمانون وبين كل نابين سن صغيرة وهي أنثى في ذكر إذا أطبق فمه على شيء لا يفلته حتى يخلعه من موضعه وله لسان طويل وظهر كالسلحفاة ولا يعمل الحديد فيه وله أربعة أرجل وذنب طويل وهو لا يوجد الا بنيل مصر وقال المسافرون انه يوجد ببحر الهند وطوله في الغالب ستة أذرع الى عشرة في عرض ذراعين أو ذراع ويقيم في البحر تحت الماء أربعة أشهر لا يظهر وذلك في زمن الشتاء ويتغوط من فيه في الغالب ويحصل في فيه الدود فيؤذيه فيلهمه الله تعالى فيخرج الى بعض الجزائر ويفتح فاه فيرسل الله تعالى له طيرا يقال له

(١) قوله كيوثاء بهامش ابن خلدون لوتياء كما في المزهر وروح البيان واللهجة انتهى وليحرر

ونظرت إلى ذلك الوادي الفسيح وقد ضاق من الحريق بسكانه الفضا فتوهمت أن وادي المصلى قد تبدل بوادي الغضا فسقى الغضا والساكنيه وان همو شبوه بين جوانح وقلوب واصطليت النار وقد أرادت سي ذلك النادي فشبت عليه من فوارس لهيبها الغارة وركضت في ميدان الحصى فوجدت أركانه كما قال تعالى وقودها الناس والحجارة ودخلت قصر الحجاج وقد مدت النار به من غير ضرورة في موضع القصر وأصبح أهله في خسر وكيف لا وقد صاروا عبرة لأهل العصر وتأملت تلك الألسن الجمرية وقد انطلقت في ثغور تلك الربوع تكلم السكان وتطاولت بألسنة الاسنة الاتراك فانذهل أهل دمشق وقد كانوا بكل لسان ووصل المملوك بعد الفجر الى البلد وقد تلا بعد زخرفه في سورة الدخان فوجب أن أجري الدموع على وجيب كل ربع وأنشد وقد دخل صبري بعد أن كان في خبر كان

* دمع جرى فقضى في الربع ما وجبا *

ووقفت أندب عرصاتها التي قمحت بالبين فخابت من أهلها الظنون وكم داروا بقمحها خيفة من طاحون النار فسلم يسلم فصدقت المثل بأن القمح يدور ويجيء إلى الطاحون وتطرقت بعد ذلك الى الحدادين وقد نادتهم النار بلسانها من مكان بعيد

القطقاط فيدخل فى فيه فيأكل مافيه من الدود فيحصل له راحة فعند ذلك يطبق فمه على الطير ليأكله فيضربه بريشتين خلقهما الله تعالى فى جناحيه كريشة الفصاد فيؤلمه فيفتح فاه فيخرج ولذلك يضرب به المثل فيقال جازاه مجازاة التمساح وزعم بعض الباحثين عن أحوال التمساح أن له ستين نابا وستين عرقا ويسفد ستين مرة ويبيض ستين بيضة ويحضن ذلك ستين يوما ويعيش ستين سنة فاذا أفرخ فما صعد الجبل صار ورلا وما نزل البحر صار تمساحا وفكه الأسفل لا يستطيع تحريكه لأن فيه عظما متصلا بصدره واذا أراد السفاد أخذ أنثاه وطلع بها الى البر وقلبها وجامعها فاذا اقضى حاجته قلبها ثانيا لأنه لو تركها على تلك الحالة بقيت حتى تموت وما ذلك الا أنها لا تستطيع الانقلاب ليبوسة ظهرها وصلابته وقد سلط الله تعالى عليه أضعف الحيوان وهو كلب الماء يقال انه يتلبط بالطين ويغافل التمساح ويقذف بنفسه فى فيه فيبتلعه لنعومته فاذا حصل فى جوفه ذاب ما عليه من سخونة بطنه فيعمد الى أمعائه فيقطعها ويقطع مراق بطنه فيقتله ﴿الخواص﴾ عينه تشد على من به رمد اليمنى لليمنى واليسرى لليسرى وشحمه اذا قطر فى أذن من به صمم نفعه (تنين) ضرب من الحيات وهو طويل كالنخلة السحوق وجسده كالليل أحمر العينين لهما بريق واسع الفم والجوف يبتلع الحيوان وأول أمره يكون حية متمردة ثم تطغى وتتسلط على حيوان البر فيستغيث منها فيأمر الله تعالى ملكا فيحملها ويلقيها فى البحر فتقيم فيه مدة ثم تتسلط على حيوانه أيضا فيستغيث منها الى ربه فيأمر الله تعالى بالقائها فى النار فيعذب بها الكافرين وقيل يأمر الله تعالى بالقائها على يأجوج ومأجوج * وروى ابن أبى شيبة عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يسلط الله على الكافر فى قبره تسعة وتسعين تنينا تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة ولو أن تنينا منها نفخ على الأرض ما انبتت فيها خضراء

﴿حرف الثاء﴾

(ثعلب) وهو معروف ذو مكر وخديعة وله حيل فى طلب الرزق * فمن ذلك أنه يتماوت وينفخ بطنه ويرفع قوائمه حتى يظن انه مات فاذا قرب منه حيوان وثب عليه وصاده وحيلته هذه لا تتم على كلاب الصيد * ومن حيلته انه إذا تعرض للقنفذ نفش القنفذ شوكه فيسلح هو عليه فيلم شوكه فيقبض على مراق بطنه ويأكله وسلحه أمتن من سلح الحبارى (ومن) لطيف أمره أنه إذا تسلطت عليه البراغيث حملها وجاء الى الماء وقطع قطعة من صوفه وجعلها فى فيه ونزل فى الماء والبراغيث تطير قليلا حتى تجتمع فى تلك الصوفة فيلقيها فى الماء ويخرج وفروه أدفى الفراء وفيه الأبيض والرمادى وغير ذلك * وذكر فى عجائب المخلوقات أنه أهدى الى أبى منصور السلمانى ثعلب له جناحان من ريش إذا قرب الانسان منه نشرهما واذا بعد لصقهما ﴿لطيفة﴾ ذكر ابن الجوزى فى آخر كتاب الأذكياء والحافظ أبو نعيم فى حلية الأولياء عن الشعبى أنه قال مرض الأسد فعادته السباع والوحوش ما خلا الثعلب فنم عليه الذئب فقال الأسد إذا حضر فاعلمنى فلما حضر الثعلب أعلمه الذئب بذلك وكان قد أخبره بما قاله الذئب فقال الأسد أين كنت يا أبا الفوارس قال كنت أتطلب لك الدواء قال وأى شىء أصبته قال قيل لى خرزة فى عرقوب أبى جعدة قال فضرب الاسد بيده فى ساق الذئب فأدماه ولم يجد شيئا فخرج ودمه يسيل على رجله وانسل الثعلب فمر به الذئب فناداه ياصاحب الخف الاحمر اذا قعدت عند الملوك فانظر ما يخرج منك فان المجالس بالامانات * وقيل خرج الاسد والثعلب والذئب يتصيدون فاصطادوا حمار وحش وضبا وغزالا ثم جلسوا يقتسمون فقال الاسد للذئب اقسم علينا فقال حمار الوحش لى والغزال لابى الحرث والضب للثعلب فضربه الاسد فى رأسه فرضخها فقال الثعلب أنا أقسم حمار الوحش لابى الحرث يتغذى به والغزال لابى الحرث يتعشى به والضب لابى الحرث

آتونى زبر الحديد ولقد كان يوم حريقها يوما عبوسا قمطريرا أصبح المسلمون فيه من الخيفة وقد رأوا سلاسل وأغلالا وسعيرا هذا وكلما أصليت نار الحريق وشبت نار الحرب ذكرت ما أشار به مولانا على المملوك من الاقامة بمصر فأنشدت من شدة الكرب

آها لمصر وأين مصر وكيف لى
بديار مصر مراتعا وملاعبا
والدهر سلم كيفما حاولته
لامثل دهرى فى دمشق محاربا

يامولانا لقد لبست دمشق فى هذا المأتم السواد وطبخت قلوب أهلها كما تقدم على نارين وسلقوا من الاسنة بالسنة حداد ولقد نشفت عيونهم من الحريق واستسقوا فلم ينشقوا رائحة الغادية وكم رؤى فى ذلك اليوم وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية وكم رجل تلا عند لهيب بيته تبت يدا أبى لهب وخرج هاربا وامرأته حمالة الحطب وشك الناس من شدة الوهج وهم فى الشتاء وصاروا من هذا الأمر يتعجبون فقال لهم لسان النار أتعجبون من الوهج والحريق وأنتم فى كانون ولعمرى لو عاش ابن نباتة ورأى هذه الحال وماتم على أهل دمشق فى كانوا لترك رثاء ولده عبد الرحيم وقال يالهف قلبى على وادى دمشق ويا حزنى عليه وياشجوى ويادأبى فى شهر كانون وافاه الحريق لقد يتنقل

يتنفل به فيما بين ذلك فقال له الاسد لله درك من فرضي ما أعلمك بالفرائض من علمك هذا قال علمني التاج الأحمر الذي ألبسته هذا وأشار الى الذئب ﴿وحكي﴾ أن الثعلب مر في السحر بشجرة فرأى فوقها ديكا فقال له أما تنزل نصلي جماعة فقال ان الامام نائم خلف الشجرة فأيقظه فنظر الثعلب فرأى الكلب فضرط وولى هاربا فناداه أما تأتي لنصلي فقال قد انتقض وضوئي فاصبر حتى أجدد لي وضوأ وأرجع * ومن العجيب في قسمة الارزاق أن الذئب يصيد الثعلب فيأكله والثعلب يصيد القنفذ فيأكله والقنفذ يصيد الأفعى فيأكلها والأفعى تصيد العصفور والعصفور يصيد الجراد والجراد يصيد الزنابير والزنابير تصيد النحل والنحل تصيد الذباب والذباب يصيد البعوض والبعوض يصيد النمل والنمل يأكل كل ماتيسر من صغير وكبير فتبارك الله الذي أتقن ماصنع (الخواص) رأسه اذا ترك في برج حمام هرب الحمام منه ونابه يشد على الصبي يحسن خلقه ومرارته يجعل منها في أنف المصروع يبرأ ولحمه ينفع من اللقوة والجذام وخصيته تشد على الصبي تنبت أسنانه وفروه أنفع شيء للمربوط ودمه إذا جعل على رأس أقرع نبت شعره إذا كان دون بلوغ وطحاله يشد على من به وجع الطحال يبرأ ﴿ثعبان﴾ هو الكبير من الحيات ذكرا كان أو أنثى وهو عجيب الشأن في هلاك بني آدم يلتوي على ساق الانسان فيكسرها وليس له عدو الا النمس ولولا النموس لأكلت الثعابين أهل مصر ﴿لطيفة﴾ قيل ان عبدالله بن جدعان كان في ابتداء أمره صعلوكا وكان شريرا يفتك و يقتل وكان أبوه يعقل عنه فضجر من ذلك وأراد قتله فخرج هاربا على وجهه فتوصل لجبل فوجد فيه شقا فدخل فيه فوجد في صدره شيئا كهيئة الثعبان فدنا منه وقال لعله يثب علي فيقتلني وأستريح قال فدنا منه فوجده مصنوعا من ذهب وعيناه ياقوتتان ثم وجد من داخله بيتا فيه جثث طوال بالية على أسرة الذهب والفضة وعند رؤسهم لوح مكتوب فيه تاريخهم واذا بهم رجال من جرهم وفي وسط البيت كوم من الياقوت الأحمر والزمرد والذهب والفضة واللؤلؤ فأخذ منه قدر مايحمل وعلم الشق وذهب الى قومه فأغناهم ورجع فلم يدر مكان الشق قال رسول الله ﷺ لقد كنت أستظل بجفنة عبدالله بن جدعان من الهجير قالت عائشة يارسول الله هل ينفعه ذلك شيئا قال لا لأنه لم يقل رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين

﴿ حرف الجيم ﴾

﴿جراد﴾ حيوان معروف وليس له جهة مخصوصة وانما يكون هاربا واذا أراد أن يبيض ذهب الى بعض الصخور فضربها بذنبه فتفرج له فيلقي بيضه فيها وله ستة أرجل وطرفا أرجله كالمنشار وهو ألوان عديدة وفيه خلقة عشرة من الجبابرة وجه فرس وعينا فيل وعنق ثور وقرنا ايل وصدر أسد و بطن عقرب وجناحا نسر وفخذ جمل ورجلا نعامة وذنب حية وهو من الحيوان الذي ينقاد الى رئيسه كالعسكر إذا ظعن أميره تتابع خلفه وفي الحديث ان جرادة وقعت بين يدي رسول الله ﷺ فاذا مكتوب على جناحها بالعبرانية نحن جند الله الأكبر ولنا تسعة وتسعون بيضة ولو تمت لنا المائة لأكلنا الدنيا بما فيها فقال عليه الصلاة والسلام اللهم اهلك الجراد اللهم اقتل كبارها وأمت صغارها وأفسد بيضها وسد أفواهها عن مزارع المسلمين وعن معايشهم إنك سميع الدعاء قال فجاء جبريل فقال انه قد استجيب لك في بعضها وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال ان الله تعالى خلق ألف أمة ستمائة منها في البحر وأربعمائة في البر وأن أول هلاك هذه الأمة الجراد فاذا هلك الجراد تتابعت الامم مثل الدر إذا قطع سلكه قيل كان طعام يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام الجراد وقلوب الشجر وكان يقول من أنعم منك يا يحيى وقد أجمع المسلمون على أكل لحمه ومن خواصه

أحرقت بالنار يا كانون احشائي ونظرت بعد ذلك الى القلعة المحروسة

وقد قامت قيامة حربها حتى فلما أزفت الآزفة وستروا بروجها من الطارق بتلك الستائر وهم يتلون ليس لها من دون الله كاشفة واستجليت عروس الطارقة عند زفها وقد تجهزت للحرب ومالها غير الارواح مهر وعقدت على رأسها تلك العصائب وتوشحت بتلك الطوارق وأدارت على معصمها الابيض سوار النهر وغازلت بحواجب قسيها فرمت القلوب من عيون مراميها بالنبال وأهدت الى العيون من مكاحل نارها أكحالا كانت السهام لها أميال وطلبها كل من الحاضرين وقد غلا دست الحرب وسمح وهو على فرسه بنفسه الغالية وراموا كشفها وهم في رقعة الارض كأنهم لم يعلموا بأن الطارقة عالية وتالله لقد حرست بقوم لم يتدرعوا بغير آية الحرس في الاسحار وقد استيقظوا الحمل قسيهم ولم تنم أعينهم عن الاوتار فأعيدوا رواسيها التي هي كالجبال الشامخة من أسس رواسي المحجوج وأحصنها قلعة بالسماء ذات البروج وتطاولت الى السور المشرف وقد فضل في علم الحرب وحفظ أبوابه المقفلات فما وقفنا على باب الاوجدناه لم يترك خلفه لصاحب المفتاح تلخيصا لما أبداه من المشكلات وما أحقه بقول القائل

أن الانسان اذا تبخر به نفعه من عسر البول (جرو) بكسر الجيم وفتحها وضمها وهو الصغير من أولاد الكلاب والسباع وقد كان ﷺ أمر بقتل الكلاب وسببه أن جبريل عليه السلام وعده ليأتيه فتأخر قال فلقيه النبي ﷺ بعد ذلك فقال ما أخرك عن وعدك فقال ما أخرت ولكن لا ندخل بيتا فيه صورة ولا كلب فأمر بقتلها وروى مسلم والطبراني عن خولة بزيادة ولفظها أن جروا أدخل تحت سرير في بيته ﷺ فمات فمكث النبي ﷺ أياما لا يأتيه الوحي قال لعله حدث في البيت شيء فخرج للمسجد فنزل عليه الوحي قالت خولة فقممت البيت فوجدت الكلب تحت السرير (عجيبة) حكي أن رجلا لم يولد له ولد فكان يأخذ أولاد الناس فيقتلهم فنهته زوجته عن ذلك وقالت يؤاخذك الله بذلك فقال لو آخذ لفعل في يوم كذا وصار يعدد أفعاله لها فقالت له ان صاعك لم يمتلىء ولو امتلأ آخذك قال فخرج ذات يوم واذا بغلامين يلعبان ومعهما جرو فأخذهما الرجل ودخل البيت فقتلهما وطرد الجرو قال فطلبهما أبوهما فلم يجدهما فانطلق الى نبي لهم فأخبره بذلك فقال ألهما لعبة كانا يلعبان بها قال جرو كلب قال ائتني به فأتاه به فجعل خاتمه بين عينيه ثم قال له اذهب خاتمه فأي بيت دخله ادخل معه فان أولادك فيه قال فجعل الجرو يجوز الدروب والحارات حتى دخل بيت القاتل فدخل الناس خلفه واذا بالغلامين متعفران بدمهما وهو قائم يحفر لهما مكانا يدفنهما فيه فأمسكوه وأتوا به لنبيهم فأمر بصلبه فلما رأته زوجته على الخشبة قالت ألم أحذرك هذا اليوم وتقول ما تقول الآن امتلأ صاعك وسيأتي الكلام على الكلب في حرف الكاف ان شاء الله تعالى ﴿جعل﴾ دويبة معروفة تسمى أبا جعران والزعقوق يعض البهائم في وجهها فتهرب منه وهو أكبر من الخنفساء شديد السواد في بطنه لون حمرة للذكر قرنان يوجد كثيرا في مراح البقر والجاموس قيل انه يتولد من أخثائهما ومن شأنه جمع الروث وادخاره ومن عجيب أمره أنه اذا شم الورد مات ويعيش بعوده للروث وله جناحان لا يكادان يريان الا اذا طار وله ستة أرجل وسنام مرتفع جدا وهو يمشي القهقرى ومن طبعه أنه يحرس النيام فاذا أقام أحدهم يتغوط تبعه ليأكل من رجيعه وذلك من شدة شهوته للغائط

﴿حرف الحاء﴾

(حجل) طير فوق الحمامة أغبر اللون أحمر المنقار والرجلين يسمى دجاج البر وهو صنفان نجدي وتهامي النجدي أغبر والتهامي أبيض وله شدة الطيران واذا تقاتل ذكران تبعت الانثى الغالب وله شدة شبق وأفراخه تخرج من البيض كاسية ويعمر في الغالب عشرين سنة واذا قوي على غيره أخذ بيضه فحضنه ومن سر الله تعالى انه اذا أفرخ ذلك البيض تبع الفرخ أمه التي باضته ومن طبعه أنه يخدع غيره في قرقرته ولذلك يتخذه الصيادون في اشراكهم ﴿غريبة﴾ قيل ان أبا نصر بن مروان أكل مع بعض مقدمي الأكراد فأتي على سماطه بحجلتين مشويتين فلما رآهما ضحك فقال لم تضحك قال كنت أقطع الطريق في عنفوان شبابي فمر بي تاجر فأخذته فلما أردت قتله تضرع الي فلم أقتله فلما علم أنه لا بد لي من قتله التفت يمينا وشمالا فرأى حجلتين كانتا بقربنا فقال اشهدا الي أنه قاتلي ظلما فقتلته فلما رأيت هاتين الحجلتين تذكرت حمقه في استشهاده بهما فقال أبو نصر والله لقد شهدا عليك عند من أقادك بالرجل ثم أمر به فضربت عنقه (الخواص) لحمها جيد معتدل الهضم ومرارتها تنفع الغشاوة في العين واذا اسعط بها انسان في كل شهر مرة جاد ذهنه وقل نسيانه وقوي بصره (حدأة) بكسر الحاء وفتح الدال مع همزة أخس الطير وتبيض بيضتين وربما باضت ثلاثا وتحضن عشرين يوما ومن ألوانها الاسود والرمادي وهي لا تصيد الا خطفا وفي طبعها أنها تقف في الطيران

وضاله سور على المجد حائط * وبالعلم هذا السور أضحى مشرفا ثم حملوا عليه وظنوا في طريق حملتهم نصرا ونصبوا دست الحرب ولم يعلموا بانه قد طبخ لهم على كل باب قدرا فلا وأبيك لو نظرته يوم الحرب قد تصاعدت فيه أنفاس الرجال لقلت ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد والى المحاصرين وقد جاؤا راجلا وفارسا ليشهدوا القتال لقلت وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد والى كواكب الاسنة وقد انتثرت والى قبور الشهداء وهي من تحت أرجل الخيل قد بعثرت والى كر الفوارس وفرها لقلت علمت نفس ماقدمت وأخرت والى نار النفط وقد نفطت من غيظها والى ذكور السيوف وقد وضعت لمنايا السعود وتعذرت من شدة الدماء لكثرة حيضها ومن العجائب أن يبيض سيوفهم تلك المنايا السود وهي ذكور والى فارس الغبار وقد ركب صهوات الجو ولحق بعنان السماء والى أهداب السهام وقد بكت لما تخضبت بالدماء والى كل هارب سلب عقله وكيف لا وخصمه له والى كل مدفع وماله عند حكم القضاء دافع والى قامات أقلام الخط وقد صار لها في طروس الاجسام مشق فاستصوبت عند ذلك رأي من قال عرج ركابك عن دمشق ونظرت بعد

وهي

وهى أحسن الطير مجاورة لانها إذا جاعت لا تأ كل أفراخ جارها ويقال انها طرشاء وفى طبعها أنها لاتخطف من الجهة اليمنى لانها عسراء وهى سنة ذكر وسنة أنثى كالأرنب (عجيبة) روى الحافظ النسفى فى فضائل الأعمال أن عاصم بن أبى النجود شيخ القراء فى زمانه قال اصابتنى خصاصة فجئت الى بعض اخوانى فاخبرته بأمرى فرأيت فى وجهه الكراهة فخرجت من منزله إلى الجبانة فصليت ماشاء الله ثم وضعت رأسى على الأرض وقلت يامسبب الأسباب يافاتح الأبواب ياسامع الاصوات يامجيب الدعوات ياقاضى الحاجات اكفنى بحلالك عن حرامك واغننى بفضلك عمن سواك قال فوالله مارفعت رأسى حتى سمعت وقعة بقربى فاذا بحدأة قد طرحت كيسا أحمر فقمت فاخذته فاذا فيه ثمانون دينارا وجوهرة ملفوفة فى قطن قال فاتجرت بذلك واشتريت لى عقارا وتزوجت (الخواص) مرارتها تجفف فى الظل وتنقع فى اناء زجاج فمن اسعط منها فى ذلك الموضع واكتحل مخالفا الجهة اللسع ثلاثة أميال أبرأته ودمها إذا خلط بقليل من المسك وماء الورد وشرب على الريق نفع من ضيق النفس واذا وضع فى بيت لم تدخله حية ولا عقرب (حرباء) دويبة صغيرة على هيئة السمك ورأسها تشبه رأس العجل اذا رأت الانسان انتفشت وكبرت ولها أربعة أرجل وسنام كهيئة الجمل ولها كنى كثيرة منها أم قرة ويقال لها جمل اليهود وهى أبدا تطلب الشمس فمن أجل ذلك يقال انها مجوسية وتستقبلها بوجهها وتدور معها كيفما دارت فاذا غابت الشمس أخذت فى كسبها ومعاشها ويقال ان لسانها طويل نحو ذراع وهو مطوى فى حلقها فلذلك تخطف به ما بعد عنها من الذباب وتبتلعه والانثى من هذا النوع تسمى أم حبين ويقال ان الصبيان ينادونها أم حبين انشرى برديك ان الامير ناظر اليك وضارب بسوطه جنبيك فاذا زادوا عليها نشرت جناحيها وانتصبت على رجليها فاذا زادوا عليها أيضا نشرت أجنحة أحسن من تلك ملونة واذا مشت تطأطئ برأسها وتتلون ألوانا ولذا يقال يتلون كالحرباء ﴿حمار أهلى﴾ معروف ليس فى الحيوان من ينزو على غير جنسه الا هو والفرس وينزوه بعد تمام ثلاثين شهرا وكنيته أبو محمود وأبو جحش وغير ذلك وهو أنواع فمنه ماهو لين الاعطاف سريع الحركة ومنه ماهو بضد ذلك ويوصف بالهداية إلى سلوك الطريق (لطيفة) فى الحديث عن النبي ﷺ أنه لما فتح خيبر أصاب حمارا أسود فكلمه فقال ما اسمك فقال يزيد بن شهاب أخرج الله تعالى من نسل جدى ستين حمارا كلها لا يركبها الا نبى ولم يبق من الانبياء غيرك وكنت أتوقعك لتركبنى وأنا عند يهودى يجيع بطنى ويضرب ظهرى وكنت أعثر به عمدا فسماه النبي ﷺ يعفورا وقال له أتشتهى الاناث قال لا وكان ﷺ يركبه فى حوايجه واذا أراد حاجة عند انسان أرسله اليه فيدفع الباب برأسه فيخرج صاحب البيت فيعرفه ويقضى حاجته فلما مات النبي ﷺ ذهب إلى بئر كانت لابى الهيثم فتردى فيها جزعا على النبي ﷺ فكانت قبره وقيل هذا الحديث منكر وقد ذكره السهيلى فى التعريف والاعلام وللناس فى ذمه ومدحه أقوال متباينة بحسب الاغراض * فمن مدحه أن أبا صفوان وجد راكبا على حمار فقيل له فى ذلك فقال عير هنى من نسل الاكراد يحمل الرحل ويبلغ العقبة ويمنعنى أن أكون جبارا فى الارض وقال آخر هو أقل الدواب مؤنة وأكثرها معونة وأخفضها مهوى وأقربها مرتعا وكان حمار أبى سيارة مثلا فى الصحة والقوة وهو حمار أسود حمل الناس عليه من منى إلى المزدلفة أربعين سنة وكان خالد بن صفوان والفضل بن عيسى الرقاشى يختاران ركوب الحمار ويجعلان أبا سيارة قدوة لهما وحجة * ومن ذمه مانقل عن عبد الحميد الكاتب انه قال لا تركب الحمار فانه ان كان فارها أتعب يدك وان كان بليدا أتعب رجلك وقيل ماينبغى لمركب الدجال أن يكون مركبا للرجال وقال أعرابى الحمار بئس المطية ان أوقفته أدلى وان

ذلك إلى العشير وقد استحل فى ذى الحجة المحرم وحمل كل قيسى يمانيا وتقدم نحر النساء وقد أنكرن منهم هذا الأمر العسير فقلت

وغير بدع للنساء اذا تنكرن العشير

وتصفحت بعد ذلك فاتحة باب النصر فعوذته بالاخلاص وزدت لله شكراً وحمداً وتأملت أهل الباب وهم يتلون لأهل البلد فى سورة الفتح وللحاصرين وجعلنا من بين أيديهم سداً ثم طلبوا فتحه فلم يجدوا لهم طاقة وضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ونظرت إلى ما تحت القلعة من أسواق التجار فوجدت كلا قد محت النار آثاره وأهله يتلون قل ماعند الله خير من اللهو ومن التجاره فمنهم من هم شأنه على صاحبته وبنيه وآخر قد استغنى بشأن نفسه فهم كما قال الله لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه فوقفت أنشد فى تلك الأسواق وقد سعرت

* ألا موت يباع فاشتريه *

ونظرت الى المؤمنين الركع السجود وهم يتلون على من ترك فى بيوتهم أخدودا من وقود النار وقعد لحربهم فى ذلك اليوم المشهود قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود إذ هم عليها قعود وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود هذا وكم مؤمن قد خرج من دياره حذر الموت

وهو يقول النجاة وطلب الفرار وكلما دعا قومه لمساعدتهم على الحريق ناداهم وقد عدم الاصطبار وياقوم

تركته ولي كثير الروث قليل الغوث سريع إلى الفرارة بطيء في الغارة لا توقى به الدماء ولا تمهر به النساء ولا يحلب في الاناء قال الزمخشري

ان الحمار ومن فوقه * حماران شرهما الراكب

ومن العرب من لا يركبه أبدا ولو بلغت به الحاجة والجهد (قيل) كان لرجل بالبادية حمار وكلب وديك فالديك يوقظه للصلاة والكلب يحرسه اذا نام والحمار يحمل أثاثه اذا رحل قال فجاء الثعلب فأكل الديك فقال عسى أن يكون خيرا ثم أصيب الكلب بعد ذلك فقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم عسى أن يكون خيرا ثم جاء الذئب فبقر بطن الحمار فقال عسى أن يكون خيرا قال ثم ان جيرانه من الحي أغير عليهم فأخذوا فأصبح ينظر إلى منازلهم وقد خلت فقيل لهم انما أخذوا بأصوات دوابهم فقال انما كانت الخيرة في هلاك ما عندي فمن عرف لطف الله رضي بفعله ﴿حمام﴾ هو أنواع كثيرة والكلام في الذي ألف البيوت وهو قسمان أحدهما بري وهو الذي يوجد في القرى والآخر أهلي وهو أنواع وأشكال فمنه الرواعب والمراعيش والشداد والغلاب والمنسوب ومن طبعه أنه يطلب وكره ولو كان في مسافة بعيدة ولاجل ذلك يحمل الأخبار ومنه من يقطع عشرة فراسخ في يوم واحد وربما صيد وغاب عن وطنه عشر سنين وهو على ثبات عقله وقوة حفظه حتى يجد فرصة فيطير و يعود إلى وطنه وسباع الطير تطلبه أشد الطلب وخوفه من الشاهين أشد من غيره وهو أطير منه لكن اذا أبصره يعتريه ما يعتري الحمار اذا رأى الأسد والشاة إذا رأت الذئب والفأر اذا رأى الهر ومن طبعه أنه لا يريد الا ذكره الى أن يهلك أو يفقد أحدهما و يحب الملاعبة والتقبيل و يسفد لتمام أربعة أشهر و يحمل أربعة عشر يوما و يبيض بيضتين و يحضن عشرين يوما و يخرج من احدى البيضتين ذكر والاخرى أنثى واتخاذها في البيوت لا بأس به غير أنه لا يجوز تطييرها والاشتغال بها والارتقاء بها على الاسطحة وعليه حمل أهل العلم قوله عليه الصلاة والسلام شيطان يتبع شيطانة حين رأى شخصا يتبع حمامة فان لم يحصل شيء مما ذكر جاز اتخاذها قال رسول الله ﷺ اتخذوا الحمام في بيوتكم فانها تلهي الجن عن صبيانكم واللعب بها من عمل قوم لوط وقال النخعي من لعب بالحمام لم يمت حتى يذوق ألم الفقر ولم يوجد شيء أبله من الحمام فانه تؤخذ أفراخه فتذبح في مكان ثم يعود في ذلك المكان و يبيض فيه و يفرخ * وقال الجاحظ وللحمام من الفضيلة والفخر ان الحمامة قد تباع بخمسمائة دينار ولم يبلغ ذلك القدر شيء من الطير غيره وهو الهادر الذي جاوز الغاية قالوا ولو دخلت بغداد والبصرة وجدت ذلك بلا ممانعة ولو حدث أن برذونا أو فرسا بيع بخمسمائة دينار لكان ذلك منكرا وقد تباع البيضة الواحدة من بيض ذلك الحمام بخمسة دنانير والفرخ بعشرين فمن كان له زوج منه قام في الغلة مقام ضيعة وأصحابه يبنون من أثمانه الدور والحوانيت وهو مع ذلك ملهى عجيب ومنظر أنيق ﴿الخواص﴾ دمه ينفع الجراحات العارضة للعين والغشاوة و يقطع الرعاف و يبرئ حرق النار اذا خلط بالزيت منه و زبل الاحمر ينفع للسع العقرب اذا وضع عليه واذا شرب منه مقدار درهمين مع ثلاثة دراهم دارصيني نفع من الحصاة

﴿حرف الخاء﴾

(الخطاف) أنواع كثيرة فمنه نوع دون العصفور رمادي اللون يسكن ساحل البحر ومنه ما لونه أخضر وتسميه أهل مصر الخطاف ونوع طويل الأجنحة رقيق يألف الجبال ونوع أصفر يألف المساجد يسميه الناس السنونو وزعم بعضهم أنه الطير الابابيل ويقال ان آدم عليه الصلاة والسلام لما أهبط الى الارض حصل له وحشة فخلق الله هذا الطير يؤنسه فلا جل ذلك

مالي أدعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار ونظرت ضواحي البلد وقد اسندت في وجوههم المذاهب وما لهم من الضيق مخرج وضاقت عليهم الارض بما رحبت لما غلق في وجوههم باب الفرج فقلت اللهم اجعل لهم من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ولعدم أموالهم من كل عسر يسرا ولا تهتك مخدراتهم من كل فاحشة سترا واقطع الماء عنهم إلى كل خير سبيل فانك حسبنا ونعم الوكيل هذا وكم نظرت إلى سماء ربع غربت شمسه بعد الاشراق فانشدت وقد ازددت كربا من شدة الاحتراق

فديناك من ربع وان زدتنا كربا
فانك كنت الشرق للشمس والغربا

وانتهيت الى الطواقيين وقد أسبل عليهم الحريق شدته فكشفوا الرءوس لعالم السرائر وكم ذات ستر خرجت بفرق مكشوف ورمت العصائب و بعلها بعينه دائر هذا وكم ناهدات أسبلن من فوق النهود ذوائبا فتركن حبات القلوب ذوائبا ووصلت الى ظاهر الفراديس وقد قام كل الى فردوس بيته

فاطلع فرآه في سواء الجحيم واندهشت لتلك الانفس التي ماتت من شدة الخوف وهي تستغيث للذي أنشأها أول لا تجدها

لا تجدها تفارق البيوت وهي تبني بيتها في أعلى مكان بالبيت وتحكم بنيانه وتطينه فان لم تجد الطين ذهبت الى البحر فتمرغت في التراب والماء وأتت فطينته وهي لا تزبل داخله بل على حافته أو خارجا عنه وعنده ورع كثير لانه وان ألف البيوت لا يشارك أهلها في أقواتهم ولا يلتمس منهم شيئا ولقد أحسن واصفه حيث يقول

كن زاهدا فيما حوته يد الورى * تبقى الى كل الانام حبيبا
وانظر الى الخطاف حرم زادهم * أضحى مقيما في البيوت ربيبا

ومن شأنه أنه لا يفرخ في عش عتيق بل يجدد له عشا وأصحاب اليرقان يلطخون أفراخه بالزعفران فيذهب فيأتي بحجر اليرقان ويلقيه في عشه لتوهمه أن اليرقان حصل لأولاده وهو حجر صغير فيه خطوط يعرفه غالب الناس فعند ذلك يأخذه من به اليرقان ويحكه ويستعمله ومن عجيب أمره انه يكاد يموت من صوت الرعد واذا عمي ذهب الى شجرة يقال لها عين شمس فيتمرغ فيها فيفيق من غشوته ويفتح عينيه ﴿ لطيفة ﴾ قيل إن خطافا وقف على قبة سليمان وتكلم مع خطافة وراودها عن نفسها فامتنعت فقال لها تتمنعين مني ولو شئت قلبت هذه القبة قال فسمع سليمان فدعاه وقال ما حملك على ما قلت فقال يا نبي الله إن العشاق لا يؤاخذون بأقوالهم ﴿ الخواص ﴾ مرارته تسود الشعر ولحمه يورث السهر وقلبه يهيج الباه اذا أكل جافا ودمه يسكن الصداع (خفاش) طير يوجد في الأماكن الظلمة وذلك بعد الغروب وقبل العشاء لانه لا يبصر نهارا ولا في ضوء القمر وقوته البعوض وهذا الوقت الذي يخرج فيه البعوض أيضا لطلب رزقه فيأكله الخفاش فيتسلط طالب رزق على طالب رزق وهو من الحيوان الشديد الطيران قيل إنه يطير الفرسخين في ساعة وهو يعمر مثل النسر وتعاديه الطيور فتقتله لأنه قيل ان عيسى عليه الصلاة والسلام لما سأله النصارى في طير لأعظم فيه صنع لهم ذلك باذن الله تعالى فهي تكرهه لانه مباين لخلقتها ومن طبعه الحنو على ولده حتى قيل انه يرضعه وهو طائر (خنزير) حيوان معروف وله كنى كثيرة منها أبو جهم وأبو زرعة وأبو دلف وهو مشترك بين البهيمة والسبع لانه ذو ناب ويأكل العشب والعلف وهو كثير الشبق حتى قيل انه يجامع الانثى وهي سائرة فيرى في مشيها ستة أرجل فيتوهم الرائي أنه حيوان بستة أرجل وليس كذلك والذكر منها يطرد الذكر مثله فمن غلب استقل بالنزو على الانثى وتحرك أذنابها في زمن هيجانها وتطأطئ رؤسها وتغير أصواتها وتحمل من نزوة واحدة وتحمل ستة أشهر وتضع عشرين ولدا وينزو الذكر اذا بلغ ستة أشهر وقيل اربعة باختلاف البلاد وقيل ثمانية واذا بلغت الانثى خمس عشرة سنة لا تحمل وهذا الجنس أفسد الحيوان والذكر أقوى الفحول وليس لذوات الاربع ما للخنزير في نابه من القوة حتى قيل انه يضرب به السيف والرمح فينقطع ما لاقاه واذا التقى نابه من الطول مات لأنهما حينئذ يمنعانه من الاكل ومن عجيب امره أنه يأكل الحيات ولا يؤثر فيه سمها واذا عض كلبا سقط شعره واذا مرض وأطعم السرطان يفيق ومن عجيب امره أنه اذا ربط على ظهره حمار وبال الحمار وهو على ظهره مات ولا يسلخ جلده الا بالقلع مع شيء من لحمه على ما ذكروا ﴿ خنفساء ﴾ دويبة تتولد من عفونات الارض وبينها وبين العقرب مودة وكنيتها أم فسولان كل من وضع يده عليها يشم رائحة كريهة ﴿ فائدة ﴾ قيل إن رجلا رأى خنفساء فقال ما يصنع الله بهذه فابتلاه الله تعالى بقرحة عجز الاطباء فيها فبينما هو ذات يوم واذا بطارق يقول من به وجع كذا الى أن قال من به قرحة فخرج اليه ذلك الرجل فلما رأى ما به قال ائتوني بخنفساء فضحك منه الحاضرون فقال ائتوه بالذي يطلب فأتوه بها فأخذها فأحرقها وأخذ رمادها وجعل منه على تلك القرحة فبرئت فعلم ذلك المقروح ان الله تعالى ما خلق

مرة وهو بكل خلق عليم و نظرت إلى ظاهر باب السلامة وقد أخفت النار أعلامه ولقد كان أهله من صحة أجسامهم ومن اسمه كما يقال بالصحة والسلامة والى الشلاحة وقد لبست ثياب الحزن وذابت من أهلها الكبود وقعدوا بعد تلك الربوع على أديم الأرض ونضجت منهم الجلود ولقد والله عدمت لذات الحواس الخمس وضاقت على الجهات الست فلم ترقأ لي دمعة وأكلت الانامل من الاسف لما سمعت بحريق أطراف لسبعة فأعيذ ما بقي من السبعة بالسبع المثاني والقرآن العظيم فكم رأينا بها يعقوب حزن رأى سواد بيته فاصفر لونه وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم وتغربت الى ظاهر الباب الشرقي فتشرقت بالدمع من شدة الالتهاب فلقد كان أهله من دار عينه وكرومه الكريمة في جنتين من نخيل وأعناب وتوسلت إلى ظاهر باب كيسان فانفقت كيس الصبر لما افتقرت من دنانير تلك الأزهار والدراهم رباها وسمحت بعد ذلك بالعين واستخدمت فقلت بسم الله مجراها وكابرت الى أطراف الباب الصغير فوجدت فاضل النار لم يغادر منها صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها فيا لهفي على عروس دمشق التي لم تذكر محاسنها أسماء ولا الجيداء لقد كانت ست الشام فاستعبدها

شيئا سدى وأن فى أخس المخلوقات أهم الادوية فسبحان القادر على كل شىء ﴿الخواص﴾ إذا قطعت رءوس الخنافس وجعلت فى برج الحمام كثر الحمام فى ذلك البرج والاكتحال بما فى جوفها من الرطوبة يحد البصر ويجلو الغشاوة والبياض واذا بخر المكان بورق الدلب هربت منه الخنافس على ما ذكر ﴿خيل﴾ جماعة الافراس وسميت بذلك لانها تختال فى مشيتها وهى من الحيوان المشرف ولقد مدحها الله تعالى ووصى بها النبى عليه الصلاة والسلام فقال الخير معقود بنواصى الخيل الى يوم القيامة وقال عليكم باناث الخيل فان ظهورها عز وبطونها كنز وروى عن ابن عباس أو على رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال لما أراد الله تعالى خلق الخيل أوحى الى الريح الجنوب وقال انى خالق منك خلقا فاجتمعى فاجتمعت فأتى جبريل فأخذ منها قبضة فخلق الله منها فرسا كميتا وقال خلقتك عربيا وفضلتك على سائر البهائم فالرزق بناصيتك والغنائم تقاد على ظهرك وبصهيلك ارهب المشركين وأعز المؤمنين ثم وسمه بغرة وتحجيل فلما خلق الله تعالى آدم قال له يا آدم اختر أى الدابتين الفرس أو البراق فقال الفرس يارب فقال الله تعالى اخترت عزك وعز أولادك وفى الحديث مامن فرس الا يقول فى كل يوم اللهم من جعلتنى له فاجعلنى أحب أهله اليه وقيل الخيل ثلاثة فرس للرحمن وهى المغزو عليها وفرس لك وهى التى تسابق عليها وفرس للشيطان وهى التى جعلت للخيلاء وفى الحديث ان الملائكة لاتحضر شيئا من اللهو الا فى مسابقة الخيل وملاعبة الرجل أهله ولقد سابق النبى ﷺ على الخيل وقيل ان الذكر من الخيل أقوى من الأنثى ولا يرد علينا ركوب جبريل فى قصة موسى وفرعون الانثى لان ذلك من حكمة الله تعالى حتى تبعتها أحصنتهم فأغرقوا لان الحصان اذا رأى الحجرة تبعها وقيل ان الله تعالى أمر نبيه موسى عليه الصلاة والسلام أن يعبر البحر فعبره وهم خلفه فأعمى أعينهم عن الماء فكانوا يرون بلقعا والخيل تراه ماء فلولا دخول جبريل البحر بفرسه لما دخلت خيلهم وهى أصناف منها الصافنات وهى التى اذا ربطت فى مكان وقفت على إحدى رجليها وقلبت بعض الأخرى فى الوقوف وقيل غير ذلك وكانت الصافنات ألف فرس لسليمان عليه الصلاة والسلام فعرضها يوما ففاتته الصلاة قيل صلاة العصر فأمر بعقرها فعوضه الله عنها الريح فكانت فرسه وقيل انما عقرها على وجه القربى كالهدى وقيل ان الفرس لايحب الماء الصافى ولا يضرب فيه بيده كما يضرب بها فى الماء الكدر فرحا به فانه يرى شخصه فى الماء الصافى فيفزعه ولا يراه فى الماء الكدر وقد قيل فى الحث على حب الخيل

أحبوا الخيل واصطبروا عليها * فان العز فيها والجمالا
إذا ما الخيل ضيعها أناس * ربطناها فأشركت العيالا
نقاسمها المعيشة كل يوم * وتكسبنا الأباعر والجمالا

﴿حرف الدال﴾

﴿دابة﴾ اسم لكل مادب على الأرض وأما التى ذكرها الله تعالى فى سورة سبأ فقيل الارضة وقيل السوسة وسبب ذلك أن سليمان عليه الصلاة والسلام كان قد أمر الجن ببناء صرح فبنوه ودخل فيه وأراد أن يصفو له يوم واحد من دهره فدخل عليه شاب فقال له كيف دخلت من غير استئذان فقال أذن لى رب البيت فعلم سليمان أن رب البيت هو الله تعالى وأن الشاب ملك الموت أرسل ليقبض روحه فقال سبحان الله هذا اليوم طلبت فيه الصفاء فقال طلبت مالم يخلق قال وكان قد بقى من بناء المسجد الاقصى بقية فقال له ياأخى ياعزرائيل أمهلنى حتى يفرغ قال ليس فى أمر ربى مهلة قال فقبض روحه وكان من عادته الانقطاع فى التعبد شهرين وثلاثة ثم يأتى فينظر ماصنعت الجن فلما قبض كان متوكئا على عصاه واستمر ذلك مدة والجن تتوهم أنه مشرف عليها فتعمل كل يوم بقدر عشرة أيام حتى أراد الله ما أراد فسلط على العصا الارضة

فأكلتها

ملك النار حتى صارت جارية سوداء ولقد وقفت بين ربوعها وقد التهبت أحشاؤها بالاضطرار وقطم جنين نبتها عن رضاع ثدى الغمام فاستسقيت لها بقول ابن أسعد حيث قال

سقى دمشق وأياما مضت فيها * مواطر السحب ساريها وغاديها
ولا يزال جنين النبت ترضعه * حوامل المزن فى أحشا أراضيها
فما نضا حبها قلبى لنيريها * ولا قضى نحبه ودى لواديها
ولا تسليت عن سلسال ربوتها * ولا نسيت مبيت جار جاريها

هذا وكم خائف قبل اليوم آوينا بها الى ربوة ذات قرار وكم كان بها مطرب طير خرج بعد ما كان يطرب على عود وطار وبطل الجنك لما انقطعت أوتار أنهاره فلم يبق له مغنى وكسر الدف لما خرج نهر المغنية عن المغنى واستسمج الناس من قال

انهض الى الربوة مستمتعا * تجد من اللذات ما يكفى
فالطير قد غنى على عوده * فى الروض بين الجنك والدف

وأصبحت أوقات الربوة بعد ذلك العيش الخضل واليسر عسيره

فأ كلتها فخر ميتا فتفرقت الجن عنه وقيل ان واحدا منهم مر عليه فسلم فلم يجبه فدنا منه فلم يجد له نفسا فحركه فسقطت العصا فاذا هو ميت قال وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة والعصا التى اتكأ عليها من خرنوب قال الله تعالى فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين قال فشكرت الجن الارضة حتى قيل انهم كانوا يأتونها بالماء حيث كانت ⁂ وأما الدابة التى من أشراط الساعة فاختلف فى أمرها فقيل تخرج من الصفا وهو الصحيح وقيل من الطائف وقيل من الحجر وطولها ستون ذراعا ذات قوائم وهى مختلفة الألوان وذلك فى ليلة يكون الناس مجتمعين بمنى أو سائرين الى منى ومعها عصا موسى وخاتم سليمان لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب تلحق المؤمن فتضربه بالعصا فتكتب فى وجهه مؤمن وتدرك الكافر فتسمه بالخاتم وتكتب فى وجهه كافر وروى أنها تخرج اذا انقطع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وقل الخير ﴿داجن﴾ هو ما يربيه الناس فى البيوت من صغار الغنم والحمام والدجاج وغير ذلك وفى حديث الأفك ما نعلم لها قضية غير انها جارية حديثة السن تعجن وتنام فتأتى الداجن فتأكل العجين ﴿دب﴾ من السباع وكنيته أبو جهينة وأبو جهل وغير ذلك ولا يخرج زمن الشتاء حتى يطيب الهواء واذا جاع يمص يديه ورجليه فيندفع جوعه وهو كثير الشبق وينعزل بانثاه وتضع جروا واحدا وتصعد به الى أعلى شجرة خوفا عليه من النمل لانها تضعه قطعة لحم ثم لا تزال تلحسه وترفعه فى الهواء أياما حتى تنفرج أعضاؤه وتخشن ويصير له جلد وفى ولادتها صعوبة وربما ماتت منها وقد تلده ناقص الخلق شوقا منها للسفاد وهى من الحيوان الذى يدعو الانسان للفعل به وقيل ان الدب يقيم أولاده تحت شجرة الجوز ثم يصعد فيرمى بالجوز اليها الى ان تشبع وربما قطع من الشجرة الغصن العتل الضخم الذى لا يقطع الا بالفأس والجهد ثم يشد به على الفارس فلا يضرب أحدا الا قتله ﴿دجاجة﴾ وكنيتها أم ناصر الدين وأم الوليد وغير ذلك واذا هرمت لم يبق لبيضها مح وتوصف بقلة النوم قيل ان نومها بقدر ما تتنفس وعندها خوف فى الليل ولاجل ذلك تطلب وقت الغروب مكانا عاليا وتخشى الثعلب قيل انها اذا رأته ألقت نفسها اليه من شدة الخوف ولا تخشى من بقية السباع وقيل يعرف الذكر من الأنثى بامساك منقاره فان تحرك فذكر والافأنثى ومن الدجاج ما يبيض فى اليوم مرتين وهو من أسباب موتها ويستكمل خلق البيضة فى بطن الدجاجة فى عشرة أيام وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم أمر باتخاذ الغنم للاغنياء وباتخاذ الدجاج للفقراء ومن العجيب فى صنعة الله تعالى أن خلق الفروج من البياض وجعل الصفار غذاء له كما خلق الطفل من المنى وجعل دم الحيض غذاء له فتبارك الله أحسن الخالقين ﴿الخواص﴾ لحم الدجاج الفتى يزيد فى العقل ويصفى اللون ويزيد فى المنى ويقيم الباه والمداومة عليه تورث النقرس والبواسير على ما ذكر (دج) طير كبير أغبر يكون بساحل البحر كثيرا وبالقرب من الاسكندرية والناس يصطادونه ويأكلونه (دود) اسم جنس ومنه دود القز ويقال لها الهندية ومن عجيب أمرها أنها تكون أولا مثل بزر التين ثم تصير دودا وذلك فى أوائل فصل الربيع ويكون عند خروجه مثل الذر فى قدره لونه ويخرج فى الاماكن الدافئة اذا كان مصرورا فى حق وربما تأخر خروجه فتجعله النساء تحت ثديهن بصرته فيخرج وغذاؤه ورق التوت الأبيض قال ولا يزال يكبر حتى يصير بقدر أصبع وينتقل من السواد الى البياض وكل ذلك فى مدة ستين يوما قال ثم يأخذ فى النسج بما يخرجه من فيه الى أن ينفد ما فى جوفه ثم يخرج شيئا كهيئة الفراش له جناحان لا يسكنان من الاضطراب وعند خروجه يهيج الى السفاد ويلصق الذكر مؤخره الى مؤخر الأنثى ويلتحمان مدة ثم يفترقان قال ويكون قد فرش لهما خرقة بيضاء فينثران البزر عليها ثم يموتان هذا اذا أريد منهما البزر وان أريد الحرير تركا فى الشمس بعد فراغهما من

ولقد كان أهلها فى ظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة فعبس بعد ذلك ثغر روضها الباسم وضاع من غير تورية عطره الباسم ولم ينتظر لزهره المنثور على ذلك الوشى المرقوم رسالة من النسيم سحر به وكيف لا وقد محى سجع المطوق من طروس تلك الأوراق النباتية هذا وكم عروس روض سور معصمها النقش فلما انقطع نهرها صح أنها كسرت السوار وكم دولاب نهر بطل غناؤه على تشبيب النسيم بالقصب وعطلت نوبته من تلك الأدوار فوقفت أدب ذلك العيش الذى كان بذلك التشبيب موصولا وأنشد ولم أجد بعد تلك النوبة المطربة الى مغنى الربوة دخولا

لم لا أشبب بالعيش الذى انقرضت
أوقاته وهو باللذات موصول

ونقص يزيد فاحترق ولا ينكر ليزيد الحريق على صنعه وانقطع ظهر نور فأهلك الحرث والنسل بقطعه وذاب بردى وحمى مزاجه لما شعر بالحريق ولم يبق فى ثغره الاشنب برد حصبائه ما يبل الريق وانقطع وقد اعتل من غيضه باناياس ولم يظهر عند قطعه خلاف ولا بان آس وجرى الدم من شدة الطعن بالقنوات وكسرت قناة المرجة فذاقت مر العيش بعد حلاوة تلك القطوف الدانيات وكسر الخلخال لما قام الحرب على

النسج فيموت وهو سريع العطب حتى انه ليخشى عليه من صوت الرعد والعطاس ومس المرأة الحائض والرجل الجنب ورائحة الدخان والحر الشديد والبرد الشديد ونحو ذلك قال أبو الفتح البستي

ألم تر أن المرء طول حياته * معنى بأمر لا يزال يعالجه
كذلك دود القز ينسج دائما * ويهلك غما وسط ماهو ناسجه

(وقال آخر) يفنى الحريص بجمع المال مدته * وللحوادث ما يبقى وما يدع
كدودة القز ماتبنيه يهلكها * وغيرها بالذى تبنيه ينتفع

﴿ديك﴾ وكنيته أبو حسان وأبو حماد وغير ذلك ويسمى الأنيس والمؤانس ومن طبعه لا يألف زوجة واحدة وهو أبله الطبيعة لأنه اذا سقط من بيت أصحابه لا يهتدى الى الرجوع اليه وفيه من الخصال الحميدة مالا يحصر منها أنه يساوى بين أزواجه فى الطعمة ويذكر الله تعالى فى الليل حتى قيل إنه ليوقته ويقسمه وربما لا يخرم فى توقيته وفى الصحيح اذا سمعتم صياح الديك فاذكروا الله تعالى فانه يصيح بصياح ديك العرش * وروى الغزالى عن ميمون بن مهران أن لله ملكا تحت العرش على صورة الديك فاذا مضى ثلث الليل الاول ضرب بجناحه وقال ليقم المسلمون فاذا مضى الثلث الثانى ضرب بجناحيه وقال ليقم الذاكرون فاذا كان السحر وطلع الفجر ضرب بجناحيه وقال ليقم الغافلون وعليهم أوزارهم وفى الحديث ان النبى ﷺ قال ان لله ديكا أبيض له جناحان موشحان بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ جناح بالمشرق وجناح بالمغرب ورأسه تحت العرش وقوائمه فى الهواء فاذا كان ثلث الليل الاول خفق بجناحيه وقال سبحان الملك القدوس فاذا كان الثلث الثانى خفق بجناحيه وقال قدوس قدوس فاذا كان الثلث الثالث خفق بجناحيه وقال ربنا الرحمن الرحيم لا إله إلا هو وروى الثعلبى باسناده عن النبى ﷺ أنه قال ثلاثة أصوات يحبها الله تعالى صوت الديك وصوت قارىء القرآن وصوت المستغفر بالاسحار وفى الحديث لا تسبوا الديك فانه يوقت للصلاة وزعم أهل التجربة أن الرجل اذا ذبح الديك الابيض الافرق لم يزل ينكب فى أهله وماله ﴿نادرة﴾ قيل كان لابراهيم بن مزيد ديك وكان كريما عليه فجاء العيد وليس عنده شىء يضحى عليه فأمر امرأته بذبحه واتخاذ طعام منه وخرج الى المصلى فأرادت المرأة تمسكه ففر فتبعته فصار يخترق من سطح الى سطح وهى تتبعه فسألها جيرانها وهم قوم هاشميون عن موجب ذبحه فذكرت لهم حال زوجها فقالوا امانرضى أن يبلغ الاضطرار بأبى اسحق الى هذا القدر فأرسل اليه هذا شاة وهذا شاتين وهذا بقرة وهذا كبشا حتى امتلأت الدار فلما جاء ورأى ذلك قال ماهذا فقصت عليه زوجته القصة فقال ان هذا الديك لكريم على الله فان اسمعيل نبى الله فدى بكبش واحد وهذا فدى بما أرى

﴿حرف الذال﴾

﴿ذباب﴾ وكنيته أبو جعفر وهو أصناف كثيرة يتولد من العفونة ومن عجيب أمره أنه يلقى رجيعه على الابيض يسود وعلى الاسود يبيض ولا يقعد على شجرة الدباء وفى الحديث اذا وقع الذباب فى أناء احدكم فليغمسه فان فى احدى جناحيه دواء وفى الاخرى داء وان من طبعه أن يلقى نفسه بالجناح الذى فيه الداء ﴿وحكى﴾ أن المنصور كان جالسا فألح عليه الذباب حتى أضجره فقال انظروا من بالباب من العلماء فقالوا مقاتل بن سليمان فدعا به ثم قال له هل تعلم لاى حكمة خلق الله الذباب قال ليذل به الجبابرة قال صدقت ثم أجازه ومن خصائص النبى ﷺ انه كان لا يقع عليه ذباب قط وقال المأمون قالوا ان الذباب اذا دلك به موضع لسعة الزنبور سكن ألمه فلسعنى

بعد ما كان يصفو لنا قلبه وافتقر أغنياء غصونه من حبات تلك الثمار فصاروا لا يملكون حبة طالما كان أهله فاكهين ولكنهم اعترفوا بذنوبهم فقالوا وكنا نخوض مع الخائضين وذبلت عوارض تلك الجزيرة التى كانت على وجنات شطوطه مستديرة فقلنا بعد عروس دمشق وحماتها لا حاجة لنا بحمص والجزيرة فيالهفى على منازل الشرف وذلك الوادى الذى نعق به غراب البين وياشوقى الى رأس تلك المرحلة التى كانت تجلسنا قبل اليوم على الرأس والعين هذا وقد اسودت الشقراء فامست كابية لما حصل على ظهرها من الجولان وجانسها العكس فأضحت باكية على فراق الابلق واخضر ذلك الميدان (يامولانا) لقد بكى المملوك من الاسف بدمعة حمراء على ماجرى من أهل الشهباء هل فى الميدان على الشقراء حتى كذب الناس من قال

قل للذى قايس بين حلب وجلق بمقتضى عيانها ماتلحق الشهباء فى حلبتها تعثر الشقراء فى ميدانها

فقال لسان الحال والله ما كذب ولكنه قد يخبو الزناد وقد يكبوا الجواد وقد يصاب الفارس بالعين التى

زنبورفحككت على موضعه أكثرمن عشرين ذبابة فاسكن له ألم فقالواهذا كان حتفا قاضيا ولولا هذا العلاج لقتلك وقال الجاحظ من منافع الذباب أنها تحرق وتخلط بالكحل فاذا اكتحلت به المرأة كانت عينها أحسن ما يكون وقيل إن المواشط تستعمله و يأمرن به العرائس وقيل ان الذباب اذا مات وألقى عليه برادة الحديد عاش واذا بخر البيت بورق القرع هرب منه الذباب (ذئب) حيوان معروف وكنيته أبوجعدة وأبوجاعد وأبو ثمامة لونه رمادى وهومن الحيوان الذى ينام باحدى عينيه و يحرس بالأخرى حتى تمل فيغمضها و يفتح الاخرى كما قال بعض واصفيه

ينام باحدى مقلتيه و يتقى * بأخرى المنايافهو يقظان هاجع

واذا أراد السفاد اختفى و يطول فى سفاده كالكلب واذاجاع عوى فتجمع الذئاب حوله فمن هرب منها أكلوه واذاخاف منه الانسان طمع فيه وليس فى الأرض أسد يعض على عظم الا و يسمع لتكسيره صوت بين لحييه الا الذئب فان لسانه يبرى العظم برى السيف ولا يسمع له صوت وقيل اذا أدماه الانسان فشم الذئب رائحة الدم لا يكاد ينجو منه وان كان أشد الناس قلبا وأتمهم سلاحا كما ان الحية اذاخدشت طلبها الذرفلا تكاد تنجو منه وكالكلب اذاعض الانسان يطلبه الفارفيبول عليه فيكون فى ذلك هلاكه فيحتال له بكل حيلة قيل ولا يعرف الالتحام عند السفاد الا فى الكلب والذئب واذا هجم الصياد على الذئب والذئبة وهما يتسافدان قتلهما كيف شاء والله أعلم

﴿ حرف الراء ﴾

﴿ رخ ﴾ طير عظيم الخلقة يوجد بجزائر الصين قال أبو حامد الاندلسى ذكر لى بعض المسافرين فى البحر أنهم أرسوا بجزيرة فلما أصبحوا وجدوا فى طرفها لمعانا و بريقا فتقدموا اليه واذاهم بشيء مثل القبة قال فجعلوا يضربون فيه بالفئوس الى أن كسروه فوجدوه كهيئة البيضة وفيه فرخ عظيم قال فتعلقوا بريشه وجروه ونصبوا القدور وخرجوا يحتطبون من تلك الجزيرة حطبا يقال له حطب الشباب فلما أكلوا ذلك الطعام اسودت لحية ولمة كل ذى شيب قال فلما أصبحوا جاءهم الرخ فوجدهم قد صنعوا بفرخه ما صنعوا فذهب وأتى فى رجليه بحجر عظيم وتبعهم بعد ماساروا فى البحر وألقاه على سفينتهم فسبقت السفينة وكانت مشرعة بتسع قلوع ووقع الحجر فى البحر فنجاهم الله تعالى منه وكان ذلك من لطف الله تعالى بهم قال وقد كان بقى معهم أصل ريشة قيل انهم كانوا يجعلون فيها الماء فتسع مقدار قربة فسبحان الخالق الأكبر ﴿ رخم ﴾ طير أغبر أصفر المنقار معروف وهو من أشر الطيور و يقال إنها صماء وسبب ذلك ما قيل فى بعض الحكايات أن موسى عليه الصلاة والسلام لما مات تكلمت بموته وكانت تعرف مكانه فأصمها الله تعالى حتى لا ترشد أحد الى موضعه

﴿ حرف الزاى ﴾

﴿زرافة﴾ حيوان غريب الخلقة ولما كان ما كولها ورق الشجر خلق الله تعالى يديها أطول من رجليها وهى ألوان عجيبة يقال انها متولدة من ثلاث حيوانات الناقة الوحشية والبقرة الوحشية والضبع فينزو الضبع على الناقة فتأتى بذكر فينزو ذلك الذكر على البقرة فتتولد منه الزرافة والصحيح أنها خلقة بذاتها ذكر وأنثى كبقية الحيوانات لأن الله تعالى لم يخلق شيئا الا بحكمة ﴿ زنبور ﴾ حيوان فوق النحل له ألوان وقد أودعه الله حكمة فى بنيانه بيته وذلك أنه يبنيه مربعا له أربعة أبواب كل باب مستقبل جهة من الرياح الاربع فاذا جاء الشتاء دخل تحت الأرض و يبقى الى أيام الربيع

ودخلت بعد ذلك إلى البلد فوجدت على أهله من دروع الصبر سكينة فقلت يارب مكة والحرم انظر إلى أحوال أهل المدينة ولكن ما دخلت بها إلى حمام الا وجدته قد ذاق لقطع الماء عنه حماما واعلم القوام والقاعدون بأرضه انها ساءت مستقرا ومقاما وتلا على بيت ناره قلنا يانار كونى برداوسلاما فحسن ان أنشد قول ابن الجوزى (من كان وكان)

الحار عندك بارد
والنهر أمسى منقطع
والعين لا ماء فيها
ما حيلة القوام

وأتيت بعد ذلك الى الجامع الأموى فاذا هو لاشتات المحاسن جامع وأتيته طالبا لبديع حسنه فظفرت بالاستضاءة والاقتباس من ذلك النور الساطع وتمسكت باذيال حسنه لما نشقت تلك النفحات السحرية وتشوقت الى النظم والنثر لما نظرت الى تلك الشذور الذهبية وآنست من جانب طوره نارا فرجع إلى ضياء حسى واندهشت لذلك الملك السليمانى وقد زها بالبساط والكرسى وقلت هذا ملك سعد من وقف فى خدمته خاشعا

 وشقى من لم يدس بساطه و يأته طائعا ولقد صدق من قال   أرى الحسن مجموعا بجامع جلق

فينفخ الله تعالى فيه الروح فيخرج و يطير وفى طبعه التهافت على الدم واللحم ومن خاصيته أنه اذا وضع فى الزيت مات وفى الخل عاش ولسعته تزال بعصارة الملوخية

﴿ حرف السين ﴾

﴿سعلاة﴾ نوع من المتشيطنة قال السهيلى هو حيوان يتراءى للناس بالنهار ويغول بالليل وأكثر ما يوجد بالغياض واذا انفردت السعلاة بانسان وأمسكته صارت ترقصه وتلعب به كما يلعب القط بالفأر قال وربما صادها الذئب وأكلها وهى حينئذ ترفع صوتها وتقول أدركونى فقد أخذنى الذئب وربما قالت من ينقذنى منه وله ألف دينار وأهل تلك الناحية يعرفون ذلك فلا يلتفتون الى كلامها ﴿سمندل﴾ حيوان يوجد بأرض الصين ومن عجيب أمره أنه يبيض فى النار ويفرخ فيها ويؤخذ وبره فينسج ويجعل منه المناشف وهذه المناشف اذا اتسخت جعلت فى النار فتأكل النار وسخها ولا تحرقها (حكى) أن شخصا بل واحدة من هذه المناشف بالزيت وجعلت فى النار وأوقدت ساعة ولم تحترق ﴿سنجاب﴾ حيوان كهيئة الفأر يوجد فى بلاد الترك على قدر اليربوع إذا أبصر الانسان هرب منه وشعره كشعر الفأر وهو ناعم فيؤخذ ويسلخ جلده ويجعل فروا يلبس وطبعه موافق لكل طبع وأحسنه الأزرق ﴿سنور﴾ حيوان متواضع ألوف خلقه الله تعالى لدفع الفأر والحشرات كناه وأسماؤه كثيرة ﴿حكى﴾ أن أعرابيا صاد سنورا فرآه شخص فقال ما تصنع بهذا القط ولقيه آخر فقال ما تصنع بهذا الخيدع ولقيه آخر فقال ما تصنع بهذا الخيطل ولقيه آخر فقال ما تصنع بهذا الهر قال أبيعه قال له بكم قال بمائة درهم فقال انه يساوى نصف درهم قال فرمى به وقال لعنه الله ما أكثر أسماءه وأقل قيمته وهذا الحيوان يهيج فى زمان الشتاء فى شهرين منه وتراهن يترددن صارخات فى طلب السفاد فكم من حرة خجلت وذى غيرة هاجت حميته وعزب تحركت شهوته وطيب فم السنور كطيب فم الكلب فى النكهة وقيل ان الهرة تحمل خمسين يوما وهو يجمع بين العض بالناب والخمش بالمخلاب وليس كل سبع كذلك وهو يناسب الانسان فى بعض الأحوال فيعطس ويتمطى ويغسل وجهه بلعابه ويلطخ وبر ولده بلعابه حتى يصير كأن الدهن يسرى فى جلده وقيل اذا بال الهر شم بوله ودفنه قيل لأجل الفأر فاذا شمه علم أن هناك هرا فلم يخرج وأما سنور الزباد فهو بأرض الهند ويوجد الزباد تحت ابطيه وفخذيه ﴿سوس﴾ هو دود الحبوب والفاكهة * ومن الفوائد التى تكتب فى الحبوب فلا تسوس أسماء الفقهاء السبعة الذين كانوا بالمدينة وقد نظمها بعضهم فقال

ألا كل من لايقتدى بأئمة * فقسمته ضيزى عن الحق خارجه

فخذهم عبيد الله عروة قاسم * سعيد أبو بكر سليمان خارجه

﴿ حرف الشين ﴾

﴿شاد هوار﴾ حيوان يوجد بأرض الترك يقال ان له قرنا عليه اثنتان وسبعون شعبة مجوفة فاذا هبت الريح سمع لها تصويت عجيب يكاد يدهش وربما قيل ان فيه شعبة يورث سماعها البكاء والحزن وأخرى تورث الفرح والضحك وأنه أهدى الى بعض الملوك شىء من شعبها فرأى فيه ذلك ويقال ان من الحيوان شيئا يوجد بالغياض فى قصبة أنفه اثنا عشر ثقبا اذا تنفس يسمع له صوت كصوت المزمار فتأتيه الحيوانات لتسمعه فتدهش فيغفل بعضها من الطرب فيثب عليه فيأخذه ويأكله وهى تعلم ذلك منه وتحترز فاذا لم يمسك منها شيئا ضاق خلقه وصاح بها صيحة فتهرب وتتركه ﴿شاهين﴾ طير يكون كهيئة الصقر الا أنه عظيم الهامة واسع العينين ومزاجه أيبس من مزاج

معبد له قصبات السبق وأسكن كسرت عند قطع الماء قناته ورأيته فى القبلة من شدة الظمأ وقد قويت من ضجيج المسلمين أناته وخفض النسر جناح الذل وود بأن يكون النسر الطائر وطمست مقل تلك المصا بيح فاندهش لذلك الناظر هذا وكم نظرت الى حجر مكرم ليس له بعد الكسير الماء جابر واحتفت نجوم تلك الاطباق التى كانت كالقلائد فى جيد الغسق ومرت حلاوة نارها بعد ماركبت طبقا عن طبق وأصبح دوحه وهو بعد تلك النضارة والنعيم ذابل وكادت قناديله وقد سلبت لفقد الماء أن تقطع السلاسل ولم تشر الناس بأصابعها الى فصوص تلك الخواتم المذهبة ولم يبق على ذلك الصحن طلاوة بعد الماء وحلاوة سكبه الطيبة وتذكر المنبر عند قطع الماء أوقاته بالروضة وتكدرت أفراحه لما ذكر أيامه بتلك الغيضة وأنشد لسان حاله

لو أن مشتاقا تكلف فوق ما

الصقر وحركته من العلو الى أسفل أقوى ولذلك ينقض على الطير بشدة فربما يخطئه فيضرب نفسه بالأرض بشدة فيموت وقيل أول من صاد به قسطنطين وذلك أنه قد جعل له الحكماء الشواهين تظله من الشمس اذا سار فاتفق فى بعض الايام أنه ركب فدارت الشواهين عليه وسار فقال فطار واحد منها وانقض على صيد فأخذه فأعجب الملك ذلك وصار يتصيد به ﴿شحرور﴾ طير أسود فوق العصفور يصوت بأصوات عجيبة مطربة

﴿ حرف الصاد ﴾

﴿ صرد ﴾ حيوان يسمى الصرصار على قدر الخنفساء له جناحان ويقال له الصوام لانه أول طير صام يوم عاشوراء ﴿ صعو ﴾ طير من صغار العصافير أحمر الرأس

﴿ حرف الضاد ﴾

﴿ ضأن ﴾ نوع من الحيوانات ذوات الاربع وهو من الحيوانات المباركة تحمل الأنثى منه بواحد واثنين وفيها البركة وغيرها تحمل بالسبعة والتسعة وليس فيها بركة واذا رعت زرعا نبت عوضه وذلك لبركتها بخلاف ذوات الاربع ومن عجيب أمرها أنها اذا رأت الذئب تخور وتخاف منه ولا تخاف من سائر السباع قال بعض القصاص مما أكرم الله تعالى به الكبش أن خلقه مستور العورة من قبل ومن دبر ومما أهان به التيس أن خلقه مهتوك الستر مكشوف العورة من قبل ومن دبر ويقال الضأن من دواب الجنة وهى صفوة الله من البهائم ويقال فى المدح هو كبش من الكباش وفى الذم هو تيس من التيوس وأهدى بعضهم الى صديقه شاة هزيلة فقال

تقول لى الاخوان حين طبختها * أتطبخ شطرنجا عظاما بلا لحم

ومن العجب أنه يأتى غنم من الهند للكبش منها ألية فى صدره واليات فى كتفيه وألية على ذنبه وربما تكبر ألية الضأن حتى تمنعه من المشى ومن عجيب أمرها أنها اذا تسافدت وقت المطر لا تحمل وعند هبوب الريح ان كانت شمالية حملت ذكرا وجنوبية حملت أنثى والله أعلم ﴿ ومن خواصها ﴾ أن لحمها ينفع للسوداء ويزيد فى المنى والباه واذا تحملت المرأة بصوفها قطع حبلها واذا غطى اناء العسل بصوف الضأن الابيض منع وصول النمل اليه واذا دفن قرن كبش تحت شجرة كثر حملها على ما ذكروا الله أعلم ﴿ضب﴾ حيوان يجعل جحره فى الارض الصلدة وعنده بلم فربما لا يهتدى لجحره اذا خرج منه فلذلك لا يحفره الا بقرب كودية أو اشارة وهو من الحيوان الذى يعمر قيل انه يعيش سبعمائة سنة ومن طبعه أنه يصبر على الماء يقال انه لا يشرب فانه يبول فى كل أربعين يوما قطرة والأنثى تبيض سبعين بيضة وأكثر وتجعلها فى الارض وتتعاهدها فى كل يوم الى أربعين يوما فيخرج وبيضها قدر بيض الحمام وهذا الحيوان شديد الخوف من الآدمى ولذلك يجعل العقارب فى جحره حتى يمتنع بها ويخرج من جحره كليل البصر فيستقبل فيحصل الشمس له بذلك حدة فى بصره واذا عطش تنشق النسيم فيروى وبينه وبين الافعى مناسبة وذلك أنه لا يخرج زمن الشتاء ﴿فائدة﴾ قيل ان اعرابيا أتى النبى صلى الله عليه وسلم وفى كمه ضب قد صاده وقال لولا أن تسمينى العرب عجولا لقتلتك وسررت الناس بقتلك فقال عمر دعنى يارسول الله أقتله فقال عليه الصلاة والسلام مهلا ياعمر أما علمت أن الحليم كاد أن يكون نبيا قال ثم أقبل الاعرابى على النبى صلى الله عليه وسلم وقال والله لا آمنت بك الا أن يؤمن بك هذا الضب وأخرجه من كمه قال فعند ذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم ياضب فأجابه بلسان فصيح لبيك وسعديك يارسول رب العالمين فقال من تعبد قال الذى فى السماء عرشه وفى الارض سلطانه وفى البحر سبيله وفى الجنة رحمته وفى النار عذابه فقال من أنا ياضب قال رسول رب العالمين قد أفلح من صدقك وقد

مجاورة لحماتها لتبل ريقها برحيق الامن اذا نظرت إلى عاصى المحمدية وقد دخل جناتها ونظرت الى فوار أبى نواس وقد انقطع قلبه بعد ما كان يثب ويتجرأ وكاد أن ينشد من شعره لعدم الماء ألا فاسقنى خمرا ودخلت إلى الكناسة وقد علا بها غبارا لحزن فتنهدت من الأسف على كل ناهدة ورثيت للنساء وقد فقدن بعد تلك الانعام المائدة واستطردت إلى باب البريد فوجدت خيول الماء الجارية قد انقطعت عن تلك المراكز ونظرت الى السراج الأكبر وقد انعقد لسانه لما شعر من ممدوح الماء بعدم تلك الجوائز ونظرت الى أهل الصلاة وعليهم فى هذه الواقعة من الصبر دروع وقد استعدوا بسهام من الادعية أطلقوها عن قسى الركوع مريشة بالهدب من جفن ساهر متصلة أطرافها بدموع ونظرت إلى الريان من العلم وقد اشتد لفقد الماء ظماه وتبلد ذهنه حتى صار ما يعرف من أين الطريق الى باب المياه ومشيت بحكم القضاء الى الشهود فوجدت كلا منهم قد راجع سهاده وطلق وسنه وتأملت أهل الساعات وقد صار عليهم كل يوم بسنة ونزلت فى ذلك الوقت من الساعات الى الدرج فى دقيقة فانتهيت الى مجاز طريق الفوار فوجدته كأن لم يكن له حقيقة كم

خاب من كذبك قال فقال الاعرابى عندذلك ياو يلاه ضب اصطدته بيدى من البرية يشهد لك بالرسالة أناأولى منه بذلك هات يدك أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله حقا ولقد أتيتك وما على وجه الأرض أحد أكثر بغضا منى اليك ولقد صرت الآن أذهب من عندك وما على وجه الأرض أحد أكثر محبة منى اليك ولانت الساعة أحب الى من أهلى وولدى وما تملك يدى فقد آمن بك شعرى و بشرى وداخلى وخارجى وسرى وعلانيتى فقال النبى ﷺ الحمد لله الذى هداك لهذا الدين الذى يعلو ولا يعلى عليه ولكن لا يقبله الله الا بصلاة ولا يقبل الصلاة إلا بقراءة قال فعلمنى ياحبيبى قال فعلمه سورة الفاتحة وسورة الاخلاص وقال من قرأها ثلاث مرات فكأنما قرأ القرآن قال الهنا يقبل اليسير و يعفو عن الكثير ثم سأله ألك مال فقال ياحبيبى ليس فى بنى سليم أفقر منى فقال لاصحابه اعطوه فأعطوه حتى أثقلوه فقال عبد الرحمن بن عوف يارسول الله عندى ناقة عشارية أعطيها له فقال ان الله يعطيك ناقة فى الجنة من درة قوائمها من الزبرجد الأخضر وعيناها من الياقوت الاحمر وعليها هودج من السندس تخطفك من الصراط كالبرق قال فخرج الاعرابى من عنده فتلقاه ألف فارس من المشركين كلهم يريدون قتل النبى ﷺ فأخبرهم بقصته فأسلموا عن آخرهم وأمر النبى ﷺ خالد بن الوليد عليهم وهذه القصة ذكرها الدارقطنى بتمامها والبيهقى والحاكم وابن عدى ﴿الخواص﴾ قلبه يذهب الحزن والخفقان وشحمه يطلى به الذكر يزيد فى الباه وكعبه يشد على وجع الضرس يبرأ واذا جعل على وجه فرس لا يسبقه شىء و بعره يذهب البرص والكلف طلاء ومن أكل لحمه لا يعطش زمانا طويلا ﴿ضبع﴾ حيوان معروف ومن كناه أم عامر ومن طبعه حب لحم الآدمى حتى قيل انه ينبش القبور واذا مر بانسان نائم حفر تحت رأسه ووثب عليه و بقر بطنه وشرب دمه (الخواص) من شرب دمه ذهب وسواسه ومن علق عليه عينه أحبه الناس واذا جعلها فى خل سبعة أيام ثم جعلها تحت فص خاتم فكل من كان به سحر وجعل الخاتم فى قليل ماء وشربه زال سحره ﴿ضفدع﴾ حيوان يتولد من المياه الضعيفة الجرى ومن العفونات وعقيب الامطار وأول ما يظهر مثل الحب الاسود ثم ينمو ثم تتشكل له الاعضاء واذا نق جعل فكه الاسفل فى الماء والاعلى من خارج وفى صوته حدة قال سفيان ليس من الحيوان أكثر ذكراً لله تعالى من الضفدع وفى الآثار أن داود عليه الصلاة والسلام قال لاسبحن الله تعالى بتسبيح ما سبحه أحد قبلى فنادته ضفدعة ياداود تمن على الله تعالى بتسبيحك وأنا لى تسعون سنة ماجف لسانى عن ذكر الله تعالى قال فما تقولين فى تسبيحك قالت أقول سبحان من هو مسبح بكل لسان سبحان من هو مذكور بكل مكان فقال داود وما عسى أن أقول وقال بعضهم انها كانت تأخذ الماء بفيها وتجعله على نار ابراهيم الخليل والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ حرف الطاء ﴾

(طاوس) طير مليح ذو ألوان عجيبة وعنده الزهو فى نفسه والعجب ومن طبعه العفة وهو من الطير كالفرس من الحيوان والانثى تبيض حين يمضى لها من العمر ثلاث سنين وفى ذلك الاوان يكمل ريش الذكر ويتم لونه وتبيض الانثى مرة واحدة فى كل شهر ففى السنة اثنتا عشرة بيضة أو أقل أو أكثر و يسفد الذكر فى أيام الربيع و يرمى ريشه فى أيام الخريف كالشجر فاذا بدا طلوع الورق طلع ريشه ومدة حضنه ثلاثون يوما ﴿فائدة﴾ قيل أن آدم لما غرس الكرمة جاء ابليس لعنه الله فذبح عليها طاوسا فشربت دمه فلما طلعت أوراقها ذبح عليها قردا فشربت دمه فلما طلعت ثمرتها ذبح عليها أسدا فشربت دمه فلما انتهت ثمرتها ذبح عليها خنزيرا فشربت دمه فمن أجل ذلك تجد شارب الخمر أول ما يشربها وتدب فيه يزهو بنفسه و يميس عجبا كالطاوس فاذا جاء مبادى السكر لعب وصفق بيديه كالقرد

وردته وهو كأنه سنان يطعن فى صدر الظلماء أو شجرة كدناء تقول انها طوبى لما ظهرت وأصلها ثابت وفرعها فى السماء أو مغترف بيده الماء وقد أفاض عليه عطايا وفيضا فرفع له لاجل ذلك فوق قناته راية بيضاء أو عمود وفاء أشارت الناس اليه بالاصابع أو ملك طالب السماء بودائع حتى كأن إكليل الجوزاء له من جملة البضائع أو أبيض طائر علا حتى قلنا انه يلتقط حبات النجوم الثواقب أو شجاع ذو همة عالية يحاول ثأرا عند بعض الكواكب نخفض لفقد الماء مناره وخفى بعد ما كان به أشهر من علم وجدع أنفه وطالما ظهر وفى عرنينه شمم فقلت لست أنسى الفوار وهو ينادى

غيض مائى وعطل الدهر حالى

فتمنيت من لهيبى بأنى

أشترى غيضه بروحى ومالى

فلا والله ما كانت الا أيسر مدة حتى رجع الماء إلى مجاريه وابتسم ثغر دمشق عن شنب الرى بعد ما نشف ريقه فى فيه هذا وقد خمدت نار الحرب وقعدت بعد ما قامت على ساق وقدم و بطلت آلاتها التى كانت لها على تحريك الاوتار وجس العيدان نعم واعتقل الرمح بسجن السلم وعلى رأسه لواء الحرب معقود وهجعت مقل السيوف فى أجفانها لما علمت أن الزيادة فى الحد نقص فى المحدود وفاضت غدران

كالقرد فاذا قوى سكره قام وعربد كهيئة الاسد فاذا انتهى سكره انقبض كما ينقبض الخنزير ثم يطلب النوم والناس تتشاءم باقامته بالدور وقيل لأنه كان سببا لدخول ابليس الجنة وخروج آدم منها والله على كل شيء قدير

﴿حرف الظاء﴾

﴿ظبي﴾ واحد الغزلان وهو ثلاثة أصناف الأول الآرام وهو ظباء الرمل ولونها رمادى وهى سمينة العنق والثانى العفر ولونها أحمر وهى قصيرة العنق والثالث الادم وهى طويلة العنق وتوصف بحدة البصر وقيل ان الظبي يقضم الحنظل قضما ويمضغه مضغا وماؤه يسيل من شدقيه ويرد الماء الملح فيشرب الماء الاجاج ويغمس خرطومه فيه كما تغمس الشاة لحييها فى الماء العذب فاى شيء أعجب من حيوان يستعذب ملوحة البحر ويستحلى مرارة الحنظل (الخواص) لسانه يجفف ويطعم للمرأة السليطة تزول سلاطتها وبعره وجلده يحرقان ويسحقان ويجعلان فى طعام الصبى يزيد ذكاؤه ويصير فصيحا ذلقا حافظا (ظربان) دويبة فوق جرو الكلب منتنة الريح تزعم العرب ان من صادها وفست فى ثوبه لا تزول الرائحة منه حتى يبلى الثوب ويحكى من شؤمها أنها تأتى بيت الظبي فتفسو فيه ثلاث مرات فتقتل مافيه وتأكله بعد ذلك

﴿حرف العين﴾

(عجل) حيوان معروف وهو ذكر البقر وسمى بذلك لاستعجال بنى اسرائيل بعبادته والسبب فى ذلك أن موسى عليه الصلاة والسلام وقت الله له ثلاثين ليلة ثم أتمها بعشر وكان فيهم شخص يسمى موسى بن ظفر السامرى فى قلبه من حب عبادة البقر شيء فابتلى الله به بنى اسرائيل فقال ائتونى بحلى قال فأتوه بجميع حليهم فصنع منه عجلا جسدا وألقى عليه قبضة من التراب الذى كان أخذه من أثر فرس جبريل عليه السلام فصار له خوار كما أخبر الله تعالى فعكفوا على عبادته من دون الله تعالى وكانوا يأتون اليه ويرقصون حوله ويتواجدون فيخرج منه تصويت كهيئة الكلام فيتعجبون من ذلك ويظنون أنه تكلم وانما فعل ذلك باغواء ابليس لعنه الله حتى يطغيهم ﴿فائدة﴾ نقل القرطبي عن سيدى أبى بكر الطرطوشى رحمهما الله أنه سئل عن قوم يجتمعون فى مكان فيقرؤن من القرآن ثم ينشد لهم الشعر فيرقصون ويطربون ثم يضرب لهم بعد ذلك بالدف والشبابة هل الحضور معهم حلال أم حرام فقال مذهب الصوفية ان هذه بطالة وجهالة وضلالة وما الاسلام الا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامرى لما اتخذوا العجل فهذه الحالة هى حالة عباد العجل وانما كان النبى ﷺ مع أصحابه فى جلوسهم كأنما على رؤسهم الطير مع الوقار والسكينة فينبغى لولاة الأمر وفقهاء الاسلام أن يمنعوهم من الحضور فى المساجد وغيرها ولا يحل لاحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم هذا مذهب الشافعى وابى حنيفة ومالك وأحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى ﴿عقرب﴾ هو من الحشرات قال الجاحظ انها تلد من فيها مرتين وتحمل أولادها على ظهرها وهم كهيئة القمل كثير والعدد وقال غيره إذا حملت تسلط عليها أولادها فأكلوا بطنها وخرجوا كهيئة الذر ثم يكبرون ويطوفون بالأرض ولها ثمانية أرجل ومن عجيب أمرها أنها لا تضرب النائم إلا إذا تحرك شيء منه والخنافس تأوى اليها وربما لسعت التنين العظيم فقتلته (غريبة) قال ذو النون المصرى بينما أنا فى بعض سياحتى إذ مررت بشاطىء البحر فرأيت عقربا أسود قد أقبل الى أن جاء الى شاطىء البحر فظننت أنه يشرب فقمت لأنظر فاذا بضفدع قد خرج من الماء وأتاه فحمله على ظهره وذهب به الى ذلك الجانب قال ذو النون فائتزرت بمئزرى وعمت خلفه حتى إذا صعد من ذلك الجانب صعدت وسرت وراءه فما زال حتى جاء الى شجرة فوجدت تحتها

فالمعذرة من فهاهة هذه الرسالة التى هى فى رياض الادب بأقليه والصفح عن طولها وقصر بلاغتها بين يدى تلك المواقف السحبانية وليكون خمولا على متن الحلم كلامها الموضوع فقد علم الله أنها صدرت من قلب مكسور وفؤاد مصدوع وذهن ضعيف وليس لكسير ضعفه عاصم ولا نافع وراحلة فكر أمست وهى عند سيرها الى غايات المعانى ضالع

فسيروا على سيرى فانى ضعيفكم
وراحلتى بين الرواحل ضالع

(هذا) وكم تولد للمملوك فى طريق الرمل من عقله وكم ذاق من قطاع الطريق أنكادا حتى ظن أنه لعدم النصرة ليس له الى الاجتماع وصله وكلما زعق عليه غراب تألم لسهام البين وفقد مصر التى هى نعم الكنانة وأنشد وقد تحير فى الرمل لفراق ذلك التخت الذى أعز الله سلطانه من زعقة الغراب بعد الملتقى

فارقت مصرا وبها أحبابى
وفى طريق الرمل صرت حائرا
مروعا من زعقة الغراب

واستقبل المملوك بعد ذلك بلاد الشام فبئس الحال وبئس الاستقبال فوالرحمن ماوصل بها الى مكان الا وجده قد وقعت فيه

غلاما نائما من شدة السكر قد أقبل عليه تنين عظيم قال فلصقت العقرب برأس التنين ولسعته فقتلته ثم رجعت الى ظهر الضفدع فعبر بها الى الماء وسار بها الى المكان الذى جاءت منه قال ذوالنون فتعجبت من ذلك وأنشدت

يا راقـدا والجليل يحفظه * من كل سوء يكون فى الظلم

كيف تنام العيون عن ملك * يأتيك منـه فوائد النعم

ثم أيقظت الغلام وأخبرته بذلك قال فلما سمع ذلك قال اشهدك على أنى قد تبت عن هذه الخصلة ثم جررنا ذلك التنين ورميناه فى البحر ولبس ذلك الغلام مسحا وساح الى ان مات رحمة الله تعالى عليه وما أحسن ما قال بعضهم

اذا لم يسالمك الزمان فحارب * وباعـد اذا لم تنتفع بالأقارب

ولا تحتقر كيد الضعيف فربمـا * تموت الافاعى من سموم العقارب

فقد هد قدما عرش بلقيس هدهد * وخرب فأر قبل ذا سد مأرب

إذا كان رأس المال عمرك فاحترز * عليه من التضييع فى غير واجب

فبين اختلاف الليل والصبح معرك * يكر علينا جيشه بالعجائب

﴿ فائدة ﴾ إذا لدغ أحد فاقرأ عليه هـذه الكلمات وهى سلام على نوح فى العالمين وصلى الله على سيدنا محمد فى المرسلين من حاملات السم أجمعين لادابة بين السماء والارض إلا ربى آخذ بناصيتها كذلك يجزى عباده المحسنين ان ربى على صراط مستقيم نوح قال لكم من ذكرنى لاتلدغوه ان ربى بكل شىء عليم وصلى الله على سيدنا محمد الـكريم * وقال بعض العلماء من قال عقدت زبان العقرب ولسان الحية ويد السارق بقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله أمن من العقرب والحية والسارق وفى البخارى أن رجلا جاء الى النبى ﷺ وقال يارسول الله ماذا لقيت من عقرب لدغتنى البارحة فقال له النبى ﷺ أما انك لو قلت إذا أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات مـن شر ماخلق لم تضرك وروى الترمذى أن من قال حين يمسى أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق ثلاث مرات ثم قال سلام على نوح فى العالمين لم تضره الحية والعقرب والسر فى ذكر نوح دون غيره هو أنه لما ركب فى السفينة سألته الحية والعقرب أن يحملهما معه فشرط عليهما أنهما لا يضران من ذكر اسمه بعد ذلك فشرطاه ذلك ﴿ الخواص ﴾ من بخر البيت بزرنيخ أحمر وشحم بقر هربت منه العقارب ومن شرب مثقالين من حب الاترج أبرأه من سمها ومن علق عليه شىء من ورق الزيتون برىء أيضا لوقته ﴿ عقعق ﴾ طير ذو لونين طويل الذنب قدر الحمامة على شكل الغراب وجناحاه أكبر من جناحى الحمامة وهو لا يأوى الا الاماكن العالية واذا باض جعل حول بيضه ورق الدلب خوفا عليه من الخفاش لا يفسده ﴿ الخواص ﴾ دمه إذا جعل على قطن وألصق على موضع النصل والشوكة الغائبة فى البدن أخرجه ﴿ علق ﴾ دود أحمر وأسود يكون بالماء يعلق بالخيل والآدمى فاذا علقت بك فرش عليها ماء وملحا واذا علقت بفرس فبخره بوبر الثعلب فانها تنفصل من رائحة دخانه * ومن خواصه ان البيت إذا بخر به هرب مافيه من البق والبعوض واذا جفف وسحق وقلع الشعر وطلى به مكانه منع نباته ﴿ عنقاء ﴾ اختلف فيها فقال بعضهم هو طائر عظيم الخلقة له وجه انسان وفيه من كل حيوان لون وقال بعضهم هو طير غريب الشكل يبيض بيضا كالجبال ويبعد فى طيرانه وسميت بذلك لانه كان فى عنقها طوق أبيض قال القزوينى انها تخطف الفيلة لعظمها وكبر جثتها كما تخطف الحدأة الفأر وقال وكانت فى قديم الزمان بين الناس الى أن خطفت

الحرب بقلوب كالاحجار فطحنت عند ذلك الرؤس وأنشد لسان الحال

من كل عاد كعاد فى تجبره من فوق ذات عماد شادها إرم

لايجمعون على غير الحرام إذا تجمعوا كحباب الراح وانتظموا

وانتهت الغاية بالمملوك الى أنه شـلح بقرب الكسوة فى الشتاء وانتظرت ملك الموت وقد أمسيت لى مهجة فى النازعات وعبرة فى المرسلات وفكرة فى هل أتى

(هذا) والليل قد انطفأت مصابيح أنواره وعسعس حتى أيقنت بموت الصبح وقلت لو كان فى قيد الحياة تنفس فذهب المملوك وقد تزود عند قسم الغنيمة بسهم فخرج ولم يجدله تعديلا ولكنه صبر على الالم بعدما كاد يدمى من الوهم ولم يلق له مجيرا الا قوى أمله وضعف منـه الحيل إلا أنه دخل تحت ذيل الليل فوصل إلى البلد وقدود يومه لو تبدل بالامس ولم يسلم له فى وقعة الحرب غير الفرس والنفس ولـكنه أنشد

عروسا بحليها فذهب أهلها الى نبى ذلك الزمان فشكوها اليه فدعا عليها فذهب بها الى بعض الجزائر التى خلف خط الاستواء وهى جزيرة لا يصل اليها أحد وجعل لها فيها ما تقتات به من السباع كالفيل والكركند وغير ذلك وقال أصحاب التواريخ ان هذا الطير يعمر حتى قيل انه يعيش ألفى سنة و يتزوج اذا مضى عليه خمسمائة ﴿وحكى﴾ الزمخشرى فى ربيع الابرار ان الله تعالى خلق فى زمن موسى عليه الصلاة والسلام طيرا يقال له العنقاء له وجه كوجه الانسان وأربعة أجنحة من كل جانب وخلق له أنثى مثله ثم أوحى الله تعالى الى موسى انى خلقت خلقا كهيئة الطير وجعلت رزقه الوحوش والطير التى حول بيت المقدس قال فتناسلا وكثر نسلهما فلما توفى موسى عليه الصلاة والسلام انتقلت الى نجد والعراق فلم تزل تأكل الوحوش وتخطف الصبيان الى أن تنبأ خالد بن سنان العبسى فشكوها اله فدعا عليها فانقطعت وانقطع نسلها وانقرضت ﴿عنكبوت﴾ دويبة لها ثمانية أرجل وستة عيون وهى من الحيوان الذى صيده الذباب وولده يخرج قويا على النسج من غير تعليم ولا تلقين ويخرج أولاده دردا صغيرا ثم يتغير ويصير عنكبوتا وتكمل صورته ﴿فائدة﴾ قيل ان امرأة ولدت جارية ثم قالت لخادم لها اقتبس لنا نارا فخرج فوجد بالباب سائلا فقال له ما ولدت سيدتك فقال بنتا فقال لا تموت حتى تبغى بألف رجل ويتزوجها خادمها ويكون موتها بالعنكبوت فقال الخادم وأنا أصبر لهذه حتى يحصل منها ما يحصل فصبر حتى قامت أمها لتقضى بعض شؤنها وعمد الى البنت فشق بطنها بسكين وهرب قال فجاءت أمها فوجدتها على تلك الحالة فدعت بمن يعالجها حتى شفيت فلما كبرت بغت قل ثم انها سافرت وأتت مدينة على ساحل من سواحل البحر فأقامت هناك تبغى قال وأما الرجل فانه صار من التجار وقدم بتلك المدينة ومعه مال كثير فقال لامرأة عجوز هناك أخطبى لى امرأة حسنة أتزوج بها قال فوصفتها له وقالت ليس هنا أحسن منها ولكنها تبغى فقال للعجوز ائتنى بها قال فذهبت وأخبرتها بالقصة فقالت لها حبا وكرامة فانى قد تبت عن البغى فتزوج الرجل بها وأحبها حبا شديداً وأقام معها أياما وكان يود أن يراها متجردة فلم يمكنه ذلك حتى اذا كان فى بعض الايام خرج على عادته لقضاء أشغاله ودخلت هى الحمام وعرضت له حاجة فرجع الى الدار وصعد الى قصرها فلم يرها فسأل عنها فقيل له هى فى الحمام فدخل عليها فرآها متجردة ورأى فى بطنها أثراً كالخياطة فقال ماهذا قالت له لا أعلم الا أن أمى أخبرتنى أنه كان لنا خادم وأنه يوم ولادتى غافل أمى وشق بطنى بسكين وهرب وأنها حين رأتنى كذلك دعت بعض الاطباء فخاط بطنى وعالجنى حتى اندمل جرحى وشفيت وبقى هذا الاثر فقال لها أنا ذلك الخادم وحكى لها السبب وأن ذلك السائل أخبره أنها تموت بالعنكبوت ثم انه اهتم بأمرها وجمع مهندسى البلدة التى هم فيها وسألهم أن يبنوا له بناء لا ينسج عليه العنكبوت فقالوا كل بناء ينسج عليه إلا ان يكون البلور لنعومته لا ينسج عليه فأمرهم أن يصنعوا لها قصرا من البلور وبذل لهم ما أرادوا فعملوه وفرشه وأمرها أن تقيم فيه ولا تخرج منه خوفا عليها من العنكبوت قال فبينما هو ذات يوم اذ رأى عنكبوتا قد نسج فى ذلك القصر فقام اليه فرماه وقال لها هذا الذى يكون موتك منه قال فداسته بابهامها وقالت كالمستهزئة أهذا الذى يقتلنى فشدخته فتعلق بطرف ابهامها من مائه شىء فعمل بها حتى ورمت ساقها ثم وصل الورم الى قلبها فقتلها فما أفاده قصره ولا صرحه شيئا قال الله تعالى أينما تكونوا يدركم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة ﴿فائدة﴾ نسج العنكبوت على ثلاثة مواضع على غار النبى صلى الله عليه وسلم وعلى غار عبد الله بن أنيس لما بعثه النبى صلى الله عليه وسلم لخالد الهذلى فقتله وحمل رأسه ودخل به فى غار خوفا من أهله ونسج على عورة زيد بن على بن الحسين ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهم لما صلب عريانا وقيل انها نسجت مرتين على داود حين كان

فأعاذ الله مولانا و بلاده من هذه القيامة القائمة وبدأ به فى الدنيا براعة الأمن وفى الآخرة بحسن الخاتمة (قلت) قد استوعبت هنا تراجم كتاب الانشاء ونبذة من فوائدهم ونبذة مما تخيرته من انشائهم وقد تعين أن أذكر بعد ذلك ما يحتاج اليه المنشىء الكامل الادوات من المحاسن اللائقة به وبالله المستعان ﴿قال أبو حيان التوحيدى﴾ يجب على المنشىء أن يكون حافظا لكتاب الله لينتزع من آياته الشريفة وأن يعرف كثيرا من السنة والاخبار والتواريخ والسير ويحفظ كثيرا من الرسائل والكتب ويكون متناسب الالفاظ متشاكل المعانى عارفا بما يحتاج اليه ماهرا فى نظم الشعر نظيف الثوب لطيف المركب ظريف الغلام ليق الدواة حاد السكين متوددا الى الناس مخالطهم غير متكبر عليهم دمث الاخلاق رقيق الحواشى ترف الاطراف عذب السجايا حسن المحاضرة مليح النادرة غير قنف ولا متعجرف ولا متكلف الألفاظ الغريبة ولا متعسف اللغة العويصة ﴿آداب الكتابة﴾ روى الشعبى أنه قال كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة كتب أولها باسمك اللهم فنزلت سورة هود وفيها بسم الله مجراها ومرساها فكتب بسم الله ثم نزلت سورة بنى اسرائيل وفيها قل ادعو

جالوت يطلبه ﴿الخواص﴾ نسجها ان وضع على الجراح الطرية يقطع دمها و يجلو الفضة إذا دلكت به والذى يوجد من نسجها فى بيت الخلاء ينفع المحموم اذا تبخر به ﴿ابن عرس﴾ حيوان معروف وهو بأرض مصر كثير و يسمى العرسة وهو عدو للفار وعنده الحيل قيل انه عدا خلف فأر فصعد منه على شجرة فصعد خلفه وأمر أنثاه أن تقف تحت الشجرة ثم قطع الغصن الذى كان عليه الفار فسقط فأخذته أنثاه * ومما يحكي عنه أنه يحب الذهب فيسرقه و يلد عليه ﴿عجيبة﴾ قيل ان رجلا صاد فرخا من أولاده وحبسه تحت طاسة فجاء أبوه فوجده فذهب وأتى بدينار فوضعه فلم يفلته ثم ذهب وأتى بآخر ومازال كذلك حتى أتى بخمسة دنانير فلم يفلته ثم أتى بخرقة فلم يفلته فأراد ابن عرس أن يأخذ ما برطله به فلما علم الرجل ذلك فهم أنه لم يبق عنده شيء فأفلته له

﴿حرف الغين﴾

﴿غراب﴾ وكنيته أبو حاتم وله كنى غير ذلك وهو أنواع كثيرة منها الأكحل وغراب الزرع والأزرق وهذا النوع يحكي جميع ما سمعه والعرب تتفاءل بصياح الغراب فتقول اذا صاح مرتين فشر واذا صاح ثلاثة فخير وهو كالانسان عند الجماع وفى طبعه الاستتار عن الناس عند مجامعته والانثى تبيض ثلاثا أو أربعا أو خمسا وتحضن ذلك والأب يسعى فى طعمها الى أن تفرخ فاذا فرخت خرجت أفراخها قبيحة المنظر فتتفرق منها وتتركها وتغيب فيرسل الله لها البعوض فتتغذى به ثم لا تزال تتعاهدها حتى ينبت لها الريش فتأتيها ومنه قول الحريرى

يارازق النعاب فى عشه * وجابر العظم الكسير المهيض

ومن طبعه أنه لا يتعاطى الصيد بل ان وجد رمة أكل منها و يقم من الأرض ما وجد و يسمى بالفاسق لأنه لما أرسله نوح عليه السلام ليكشف عن الماء فوجد فى طريقه رمة فسقط عليها و ترك ما أرسل اليه و يسمى بالبين لأنه اذا رحل العرب من مكان نزل فيه و زعق فى أثرهم * ومن الغرائب ان بين الغراب و بين الذئب ألفة وذلك انه اذا رأى الذئب بقر بطن شاة سقط وأكل منها معه والذئب لا يضره ﴿الخواص﴾ اذا غمس الغراب فى الخل ثم جفف وسحق ريشه وطلى به الشعر سوده واذا علق منقاره على انسان زالت عنه العين وزبل الغراب الابقع ينفع الخوانيق والخنازير طلاء وان صر فى خرقة على من به السعال زال ﴿غرغر﴾ دجاج بنى اسرائيل يقال ان فرقة من بنى اسرائيل كانت بتهامة فطغت وبغت وتجبرت وكفرت فعاقبهم الله تعالى بأن جعل رجالهم القردة وكلابهم الأسود وعنبهم الأراك وجوزهم المقل ودجاجهم الغرغر وهو دجاج الحبشة فلا ينفع لحمه لرائحته الكريهة وهذا مشاهد فى زماننا هذا الآن على ما نقل والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿حرف الفاء﴾

﴿فاختة﴾ طير أغبر من ذوات الاطواق بقدر الحمام لها حسن الصوت يحكي أن الحيات تهرب من صوتها وفى طبعها الانس فمن أجل ذلك تتخذ بيتها فى البيوت وهى من الحيوان الذى يعمر وقد ظهر منها ما عاش خمسا وعشرين سنة ﴿الخواص﴾ دمها ينفع من الآثار فى العين من ضربة أو قرحة اذا قطر فيها ﴿فأرة﴾ وكنيتها أم خراب وغير ذلك وتسمى بالفويسقة وذلك أن النبى ﷺ انتبه ليلة فوجدها قد جذبت الفتيلة وأحرقت طرف سجادته فقتلها وأمر بقتلها وهى التى قطعت حبل سفينة نوح وأذاها لا يكاد ينحصر ومنه أنها تأتى الى اناء الزيت فتشرب منه فاذا نقص صارت تشرب بذنبها فاذا لم تصل اليه ذهبت وأتت فى فيها بماء وأفرغته فيه حتى يعلو لها الزيت فتشربه وربما وضعت فيه حجرا فكسرته و يقال إنها من بقايا الممسوخين الذين كانوا يهودا ومن

الرحيم فكتبها (وروى) ان فصل الخطاب الذى أعطيه داود عليه السلام أما بعد (وروى) أن أول من قالها كعب بن لؤى وهو أول من سمى يوم الجمعة (وعن) جابر ابن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كتب أحدكم كتابا فليتربه فان التراب مبارك وهو أنجح (وروى) عنه عليه الصلاة والسلام انه كتب كتابين الى قريتين فاترب أحدهما ولم يترب الآخر فاسلمت القرية التى أترب كتابها (وقال الحسن بن وهب) كاتب رئيسك بما يستحق ومن دونك بما يستوجب وكاتب صديقك بما تكاتب به حبيبك فان غزل المودة أرق من غزل الصبابة (ورأيت) فى تذكرة الوداعى ان القاضى تاج الدين بن بنت الاعز كان اذا كتب كتابا بدأ فى ترسله بالبسملة لتعم بركتها سائر الكتاب ورمله ويخزن ذلك الرمل ويجتز عليه (وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما) فى قوله تعالى انى ألقى الى كتاب كريم قال مختوم وفض الكتاب اذا كسر ختمه (والعنوان) فيه خمس لغات أفصحها عنوان وجمعه عناوين وعلوان وعلاوين والعنوان الاثر

أراد أن يعلم ذلك فليضع لها لبن ناقة فى إناء فان لم تشرب به فهى منهم ﴿ الخواص ﴾ عينه تشد على الماشى يسهل تعبه واذا بخر البيت بزبل الذئب أو الكلب ذهب منه الفار ﴿ فرس البحر ﴾ حيوان غليظ ووجأ فطس الوجه ناصيته كالفرس ورجلاه كالبقر وذنبه قصير يشبه ذنب الخنزير وجلده يوجد بالنيل وجهه أوسع من وجه الفرس يصعد البر ويرعى الزرع وربما قتل الانسان وغيره ﴿ فهد ﴾ حيوان شرس الأخلاق قال أرسطو هو متولد من الأسد والنمر وفى طبعه مشابهة بطبع الكلب ونومه ثقيل وفى طبعه الحنو على أنثاه وقيل أول من صاد به كليب بن وائل وأول من حمله على الخيل يزيد بن معاوية وأكثر من اشتهر باللعب به أبو مسلم الخراسانى ﴿ فيل ﴾ حيوان يوجد بأرض الهند وكنيته أبو الحجاج والأنثى أم سبل وهو ينزو على أنثاه اذا بلغ من العمر خمس سنين وتحمل أنثاه سنتين ثم تضع ولا يقربها الذكر فى مدة حملها ولا بعده بثلاث سنين ولا يلقح الا ببلاده واذا أرادت الوضع دخلت النهر لأن رجليها لا ينثنيان فتخاف عليه والذكر يحرسها خوفا على ولده من الحيات فانها تأكله وهو عند شدة غلمته كالجمل ويهيج فى زمن الربيع وزعم أهل الهند أن لسانه مقلوب ولولا ذلك لكان يتكلم لشدة ذكائه وقيل ان ثدييه فى صدره كالانسان وهو أضخم الحيوان وأعظمه جرما وما ظنك بخلق ربما كان نابه أكثر من ثلثمائة من وهو مع ذلك أملح وأظرف من كل نحيف الجسم رشيق وربما مر الفيل مع عظم بدنه خلف القاعدة فلا يشعر برجله ولا يحس بمروره لخفة همسه واحتمال بعض جسده لبعض وأهل الهند يزعمون أن أنياب الفيل قرناه يخرجان مستبطنين حتى يخرقان وخرطوم الفيل أنفه ويده وبه يتناول الطعام الى جوفه وبه يقاتل وبه يصيح وصياحه ليس فى مقدار جرمه وقيل ان الفيل جيد السباحة واذا سبح رفع خرطومه كما يغيب الجاموس جميع بدنه إلا منخريه ويقوم خرطومه مقام عنقه والخرق الذى فى خرطومه لا ينفذ وانما هو وعاء إذا ملأه من طعام او ماء أولجه فى فيه لانه قصير العنق لا ينال ماء ولا مرعى وأهل الهند تجعله فى القتال وهو أيضا يقاتل مع جنسه فمن غلب دخلوا تحت أمره وقيل جعل الله فى طبع الفيل الهرب من السنور ﴿ حكى ﴾ عن هرون مولى الأزد أنه خبأ معه هرا ومضى بسيف الى الفيل فلما دنا منه رمى بالهر فى وجهه فأدبر هاربا وكبر المسلمون وظنوا أنه هرب منه قال أبو الشمقمق

ياقوم إنى رأيت الفيل بعدكم * تبارك الله لى فى رؤية الفيل
رأيت بيتاً له شىء يحركه * فكدت أفعل شيئا فى السراويل

وقيل اذا اغتم الفيل لم يكن لسواسه هم إلا الهرب بأنفسهم ويتركونه * ومن عجيب أمره أن سوطه الذى به يحث ويضرب محجن حديد أحد طرفيه فى جبهته والآخر فى يد راكبه فاذا أراد شيئا غمزه به فى لحمه وأول شىء يؤدبون به الفيل يعلمونه السجود للملك ﴿ قيل ﴾ خرج كسرى أبرويز لبعض الاعياد وقد صفوا له ألف فيل وأحدق به ثلاثون ألف فارس فلما رأته الفيلة سجدت له فما رفعت رءوسها حتى جذبت بالمحاجن وراضتها الفيالون وتزعم أهل الهند أن جبهة الفيل تعرق كل عام عرقا غليظا سائلا أطيب من رائحة المسك ولا يعرض ذلك العرق الا فى بلادها خاصة وان عظام الفيل كلها عاج الا أن جوهر نابه أكرم وأثمن ولولا شرف العاج وقدره لما فخر الأحنف بن قيس على أهل الكوفة فى قوله نحن أكثر منكم عاجوسا جاوديا جاوخراجا وقيل ان الفيلة لا تتسافد فى غير بلادها ﴿ فائدة ﴾ من قرأ سورة الفيل ألف مرة فى كل يوم عشرة أيام متوالية ثم جلس على ماء جار وقال اللهم أنت الحاضر المحيط بمكنونات الضمائر اللهم عز الظالم

وهو أثر الكتاب ممن والى من هو كما قيل * ضحوا باشمط عنوان السجود به * (والقلم) لا يقال له قلم إلا إذا برى والا فهو أنبوبة (ومن بديع ما سمعته فى وصف القلم من النظم) قول الفاضل شمس الدين بن الصاحب موفق الدين على بن الآمدى منقول من خط الوداعى

تمشى اليراعة والمداد وراءها * ظل على شمس الطروس ينوع
عوض الغوانى لو تلوح لمسلم * هذى المعانى راح وهو صريع
لو لم تكن ألفاظه خطية * ما راح سرب اللفظ وهو منيع
ألفاظه رقت بوجنة طرسه * فكأنهن وقد جرين دموع
قلم مسيحى الخطاب لنطقه * فى المهد من يمناه وهو رضيع
وغدا كليميا وقد ضاهى العصا * فغدا يروق بفعله ويروع
بالنقط حاكته الشموع وبالضيا * حاكته فى حلك المداد شموع
قد لازم القرطاس وهو منور * والطل يهوى الروض وهو مريع
نور ونور خطه وكلامه * هذا يضىء به وذاك يضوع

وقل الناصر وأنت المطلع العالم اللهم ان فلانا ظلمني وأساءني ولا يشهد بذلك غيرك أنت مالكه فأهلكه اللهم سربله سربال الهوان وقمصه قميص الردى اللهم اقصفه ست مرات اللهم اخفضه مرتين فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق فان الله يستجيب له مالم يكن ظالما ﴿الخواص﴾ جلده اذا بخر به بيت هرب بقه واذا سقى انسان من وسخ أذنه نام نومة طويلة واذا علق من نابه شيء على شجرة لم تثمر واذا عمل من جلده ترس يكون أصلب من كل ترس

﴿ حرف القاف ﴾

﴿قاقم﴾ دويبة تشبه السنجاب الا أنه أبرد منه مزاجا وهو أبيض يقق وجلده أعز قيمة من السنجاب ﴿قاوند﴾ طير يكون بساحل البحر يبيض في الرمل ويحضن بيضه سبعة أيام ثم تخرج أفراخه بعد ذلك ثم يزقها بعد سبعة أيام ويقال ما يمسك الله البحر في هيجانه عن أن يفيض على الساحل الا اكراما لأنه يقال إنه يبر والديه ﴿ خواصه ﴾ انه يقيم المقعد ويحلل البلاغم المزمنة وينفع الامراض الباردة وأوجاع الاعصاب ﴿ قرد ﴾ حيوان معروف وكنيته أبو خالد وغير ذلك وهو قبيح المنظر مليح الذكاء سريع الفهم يتعلم الصنائع قيل انه أهدى للمتوكل قرد خياط وآخر صائغ وأهل اليمن يعلمون القردة البيع والجلوس في الدكاكين حتى قيل انه يخرز النعل ويصر القرطاس وهو ذو غيرة وعنده لواط حتى قيل انه يعدو خلف المليح من شدة المحبة والتفت ابن الرومى يوما الى أبى الحسن الاخفش وهو يحاكى مشية القرد فقال

هنيئا يا أبا الحسن المفدى * بلغت من الفضائل كل غايه
شركت القرد فى قبح وسخف * وماقصرت عنه فى الحكايه

﴿قنفذ﴾ بالذال المعجمة وكنيته أبو سفيان ومن عجيب أمره أنه يصعد الكرم فيرمى العنقود ثم ينزل فيأكل منه ما أطاق فان كان له أفراخ تمرغ فى الباقى فيتعلق بشوكه فيذهب به الى أولاده وهو مولع بأكل الافاعى فاذا لدغته لا يؤثر فيه سمها لدفع ذلك بشوكه واذا تأذى منها ذهب فأكل السعتر البرى فيزول أذاها وهو من الحيوان الذى يسفد مباطنة كالرجل وله خمسة أرجل

﴿ حرف الكاف ﴾

﴿ كركند ﴾ حيوان يوجد ببلاد الهند والنوبة وهو دون الجاموس وله قرن واحد عظيم لا يستطيع رفع رأسه منه لثقله وهو مصمت قوى يقاتل به الفيل فيغلبه ولا تعمل ناباه شيئا معه وعرض قرنه شبران وليس بطويل جداً وهو محدد الرأس شديد الملاسة واذا نشر قرنه ظهرت فى معاطفه صور عجيبة كالطواويس والغزلان وأنواع الطير والشجر وبنى آدم ولذلك يتخذ منه صفائح الاسرة والمناطق للملوك ويتغالون فى ثمنها بحيث تبلغ المنطقة أربعة آلاف أو أكثر والأنثى تحمل ثلاث سنين ويخرج ولدها نابت الانسان والقرون قوى الحافر ويقال انها اذا قاربت الوضع أخرج الولد رأسه من بطنها وصار يرعى أطراف الشجر فاذا شبع أدخل رأسه فى بطن أمه ويزعم أهل الهند انه اذا كان ببلاد لم يدع فيها من الحيوان شيئا حتى يكون بينها وبينه مائة فرسخ من جميع الجهات هيبة له وهربا منه ويسمى الحمار الهندى وهو شديد العداوة للانسان يتبعه اذا سمع صوته فيقتله ولا يأكل منه شيئا ﴿ كروان ﴾ طير معروف لا ينام غالب الليل خصوصا فى القمر وعنده ذكاء قيل انه يتكلم بجميع ما يبصره ولا يحتمل المغابنة ﴿ كركى ﴾ طير محبوب للملوك وله مشتى ومصيف فمشتاه بأرض مصر ومصيفه بأرض العراق وهو من الحيوان الرئيس قيل انه اذا نزل بمكان اجتمع حلقة وناموقام عليه واحد يحرسه وهو يصوت تصويتا لطيفا حتى

يفهم

اللسان متى جرى
بثغر الدوى المعسول
أبدى المنى العذبا
(وقلت من قصيدة رائية)
له يراع سعيد فى تقلبه
ان خط خطا أطاعته
المقادير
محبرو بتحرير العلوم اذا
جرى يرى منه تحرير
وتحبير
غصن عليه طيور العلم
عاكفة
وجانس النور من أوراقه
النور
وأشقر يده البيضاء غرته
له الى الرزق فوق الطرس
تيسير
بل أسمر عينه السوداء
تلحظنا
وهدب أجفانها تلك
الشاعير
أوسهم علم باطراف
السطور غداً
مريشا وله فى الضد
تأثير
كذا محابره سود العيون
فان
دانت أياديه فهى الأعين
الحور
(ويعجبنى قول الشيخ
شمس الدين بن المزنى فى
الدواة)
أنادواة يضحك الجود
من
بكاى راعى جل من قد براه
دلوا على مثلى من شفه
داه من الفقر فانى دواه

(وقلت فيما يكتب على دواة فولاذ) كنانة الفضل دواتى ولها

يفهم أنه يقظان فاذا تمت نوبته أيقظ غيره لنوبته قال القزويني واذا مشى وطىء الأرض باحدى رجليه وبالاخرى قليلا خوفا من أن يحس به واذا طار سار سطرا يقدمه واحد كهيئة الدليل ثم تتبعه البقية ﴿ كلب ﴾ معروف وهو نوعان أهلي وسلوقي وهذان النوعان سواء الا ان أنثى السلوقي أسرع في التعلم من ذكره وهذا الحيوان حليم وعنده رياضة وفي طبعه اكرام الاجلاء من الناس ﴿ حكي ﴾ أن رجلا عزم جماعة فتخلف شخص منهم في منزله ودخل على زوجة صاحب المنزل فضاجعها فوثب الكلب عليهما فقتلهما فرجع صاحب المنزل فوجدهما قتيلين فأنشد يقول

ومازال يرعى ذمتي ويحوطني * ويحفظ عهدي والخليل يخون
فواعجبا للخل يهتك حرمتي * وواعجبا للكلب كيف يصون

﴿ وحكي ﴾ أبو عبيدة قال خرج رجل الى الجبانة ومعه أخوه وجاره لينظروا الى الناس فتبعه كلب له فضربه ورماه بحجر فلم ينته ولم يرجع فلما قعد ربض الكلب بين يديه فجاء عدو له في طلبه فلما رآه خاف على نفسه فاذا بئر هناك قريبة القعر فنزل فيها وأمر أخاه وجاره أن يهيلا عليه التراب ثم ذهب أخوه وجاره الى سبيلهما وصار الكلب ينبح حوله فلما انصرف العدو أتاه الكلب فمازال يبحث في التراب الى أن كشفه عن رأسه فتنفس الرجل ومر بها ناس فتناولوه وردوه الى أهله فلما مات ذلك الكلب عمل له قبرا ودفنه فيه وجعل عليه قبة وسمى ذلك قبر الكلب وفي ذلك قيل

تفرق عنه جاره وشقيقه * وما حاد عنه كلبه وهو ضاربه

﴿ ومن ذلك ﴾ ماحكي أن رجلا قتل ودفن وكان معه كلب فصار يأتي كل يوم الى الموضع الذي دفن فيه وينبح وينبش ويتعلق برجل هناك فقال الناس ان لهذا الكلب شأنا فكشفوا عن ذلك وحفروا ذلك الموضع فوجدوا قتيلا فقبضوا على ذلك الرجل الذي ينبح عليه الكلب وضربوه فأقر بقتله فقتل وهو من الحيوان الذي يعرف الحسنة وقيل ان الانثى تحيض في كل شهر سبعة أيام وأكثر ماتضع اثنا عشر جروا وذلك في النادر والغالب خمسة أوستة وربما ولدت واحدا ويعيش الكلب في الغالب عشر سنين وربما بلغ عشرين سنة ووصف المتوكل كلب بارمينية يفترس الأسد فارسل من جاء به اليه فجوع أسدا وأطلقه عليه فتهارشا وتواثبا حتى وقعا ميتين وقيل كلب الصياد يشبه به الفقير المجاور للغني لانه يرى من نعمته وبؤس نفسه مايفتت كبده وقيل لرجل مابال الكلب يرفع رجله اذا بال قال يخاف أن يلوث ذراعيه قيل أوللكلب ذراعان قال هو يتوهم ذلك ﴿ فائدة ﴾ حكي ان الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه سمع شخصا من وراء النهر يروي أحاديث مثلثة فسار اليه ودخل عليه فوجده يطعم كلبا وهو مشتغل به قال الامام أحمد فأخذت في نفسي وأضمرت أن أرجع اذا لم يلتفت الرجل الي ثم قال حدثني أبو الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قطع رجاء من ارتجاه قطع الله رجاءه يوم القيامة فلم يلج الجنة وان أرضنا هذه ليست بأرض كلاب وقد قصدني هذا الكلب فخشيت ان أقطع رجاءه قال فقال الامام أحمد رحمه الله هذا الحديث يكفيني ثم رجع قافلا الى أهله ﴿ فائدة أخرى ﴾ قال الترمذي لما أهبط الله تعالى آدم الى الارض سلط عليه ابليس السباع وكان أشدها الكلب قال فنزل عليه جبريل عليه السلام وأمره أن يضع يده عليه ففعل واطمأن اليه وألفه وصار يحرسه وبقيت الالفة فيه لاولاده الى يوم القيامة وقيل إن أول من اتخذ الكلب بعد آدم نوح عليهما الصلاة والسلام

﴿ قلت ﴾ ويتعين بعد وصف أقلام المنشئين والدواة وصف السكين فانهم أنشأوا في وصف السيف والقلم وما أناوا بها وهي أحق بذلك من غيرها لقربها من القلم وقد تقدم أن أبا طاهر كمال الدين اسمعيل بن عبد الرزاق الاصفهاني انفرد برسالة القوس والشيخ جمال الدين ابن نباتة انفرد برسالة السيف والقلم وقد انفردت برسالة السكين (وهي) يقبل الارض التي قامت حدود مكارمها وقطعت عنا مكروه الفقر بسنون عزائمها وينهي وصول السكين التي قطع بها أوصال الجفا وأضافها الى الادوية فحصل بها البرء والشفا وتالله ماغابت الا بلغت الاقلام من تمثرها الى الحناز رقاء وكم شاهدت منها البيض ألوان خرساء ومن العجائب أن لها لسانا لكل عنوان ماشاهدها موسى الاسجد في محراب النصاب وذل بعد ماخضعت له الرؤس والرقاب كم أيقظت طرف القلم بعد ماخط وعلى الحقيقة مارؤي مثلها قط وكم وجد بها الصاحب في المضايق نفعا وحكم بصدق محبتها قطعا ماضية العزم قاطعة السن فيها حدة الشباب من وجهين لانها بالناب والنصاب معلمة من الطرفين أنملة صبح تقمصت بسواد الدجى ولسان برق امتد في لهوات الليل فتنكرت

وذلك لأن قومه كانوا يعمدون بالليل فيفسدون ماصنعه في السفينة بالنهار فأمره الله أن يتخذ كلبا حارسا ففعل قال فكان الكلب إذا أتاه مفسد قام عليه فيتيقظ نوح عليه الصلاة والسلام فيدفعه ﴿ فائدة أخرى ﴾ قيل كان كلب أهل الكهف أسمر واسمه قطمير وقيل أصفر وقيل خلنجي اللون وليس في الحيوان مايدخل الجنة الا هو وكبش اسمعيل وناقة صالح وحمار العزير وبراق النبي ﷺ ﴿ فائدة أخرى ﴾ إذا نبح عليك كلب وخفت منه فاقرأ يامعشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لاتنفذون الا بسلطان وقل بعد ذلك لا إله إلا الله فانك تكفاه

﴿ حرف اللام ﴾

﴿ لغلغ ﴾ طير معروف قيل انه من طيور الفواخت ويأتي الى أرض مصر في أيام الشتاء فيأكل ماقسم الله له من الرزق ويأكل منه من له فيه رزق ثم يرحل الى بلاده

﴿ حرف الميم ﴾

﴿ مالك الحزين ﴾ طير يوجد بالضحضاح غذاؤه السمك وسمي بذلك لأنه قيل انه لايشرب حتى يروى خوفا من أن ينقص الماء واذا نشف الضحضاح حزن لانه لايستطيع العوم ونظيره دويبة بأرض فارس معروفة عندهم يقال ان غذاءها التراب فاذا أكلت لاتشبع خوفا من أن يفرغ

﴿ حرف النون ﴾

﴿ نمل ﴾ قال عليه الصلاة والسلام ألا تنظرون الى صغير من خلق الله كيف أحكم خلقه وأتقن تركيبه وفلق له السمع والبصر وسوى له العظم والبشر انظروا إلى النملة في صغر جثتها ولطافة هيئتها لاتكاد تنال بلحظ البصر ولا بمستدرك الفكر كيف دبت على الارض وسعت في مناكبها وطلبت رزقها تنقل الحبة الى جحرها تجمع في حرها لبردها وفي وردها لصدرها لايغفل عنها المنان ولا يحرمها الديان ولو فكرت في مجاري أكلها في علوها وسفلها ومافي الجوف من شراسيف بطنها ومافي الرأس من عينها وأذنها لقضيت من خلقها عجبا وللقيت من وصفها تعبا فتعالى الله أقامها على قوائمها وبناها على دعائمها لم يشركه في فطرتها فاطر ولم يعنه على خلقها قادر لا اله إلا هو ولا معبود سواه وقيل اذا خافت على حبها أن يعفن أخرجته الى ظهر الارض ليجف وقيل انها تفلق الحبة نصفين خوفا من أن تنبت فتفسد الا الكزبرة فانها تفلقها أرباعا لأنها من دون الحب ينبت نصفها وليس كل أرباب الفلاحة يعرف هذا فسبحان من ألهمها ذلك وقيل انها تشم رائحة الشيء من بعيد ولو وضعته على أنفك لم تجد له رائحة واذا عجزت عن حمل الشيء استعانت برفقتها فيحملونه جميعا الى باب جحرها وقيل اذا انفتح باب قرية النمل فجعلت فيه زرنيخا أو كبريتا هجرتها والله أعلم ﴿ نحل ﴾ حيوان ليس له نظر في العواقب وله معرفة بفصول السنة وأوقاتها وأوقات المطر وفي طبعه الطاعة لأميره والانقياد له ومن شأنه في تدبير معاشه أنه يبني له بيتا من الشمع شكلا مسدسا لايوجد فيه اختلاف كالقطعة الواحدة واذا طار ارتفع في الهواء وحط على الاماكن النظيفة وأكل نوار الزهر والاشياء الحلوة وشرب من الماء الصافي وأتى فأخرج ذلك فأول مايخرج الشمع ليكون كالوعاء ثم العسل وقيل انه يقسم الأعمال فبعضه يعمل البيوت وبعضه يعمل الشمع وبعضه يعمل العسل وفي طبعه النظافة فيجعل رجيعه خارج الخلية وما مات منه أخرجه ورماه وعنده الطرب فيحب الاصوات اللذيذة وله آفات تقطعه كالظلمة والغيم والريح والمطر والدخان والنار وكذلك المؤمن له آفات تقطعه منها ظلمة الغفلة وغيم الشك وريح الفتنة ودخان الحرام ونار الهوى ﴿ فائدة ﴾ قيل مرض شخص فقال ائتوني بماء وعسل فأتوه بذلك فخلط الجميع وشربه فشفي * وروى أن شخصا شكا للنبي ﷺ بطن

أشمة الأنجم حتى ماعرف منها سهيل هذا وتقطيعها موزون إذلم يتجاوز في عروض ضربها الحد ومعلوم أن السيف والرمح لم يعرفا غير الجذ والمدمن أجلنا تدخل في مضايق ليس لسيف قط فيها مدخل وكلما تنعله توجزه والرمح في تعقيده يطول ان هجعت بجفنها كانت أمضى من الطيف وكم لها من خاصة جازت بها الحد على السيف تنسي حلاوة العسال فلا يظهر لطوله طائل وتغني عن آلة الحرب بإيقاع ضربها الداخل ان مرت بشكلها المحلى تركت المعادن عاطله ولم يسمع للحديد في هذه الواقعة مجادله شهد الرمح بعدالته أنها أقرب للصواب وحكم بصحة ذلك قبل أن يتكامل لها النصاب ماطال في رأس القلم شعرة الاسرحتها باحسان ولا طالعت كتابا الا أزالت غلطه بالكشط من رأس اللسان تعقد عليها الخناصر لانها عدة وعده وتالله ماوقعت في قبضة الا أطالت لسانها وكانت بحده ان أدخلت الى القراب كانت قد سبقت على الدخول أو أبرزت من غيمه كان على طلعتها الهلالية قبول تطرف بأشعتها الباهرة عين الشمس وباقامتها الحد حافظت الاقلام على مواظبة الخمس وكم لها من عجائب تركت جدول السيف وهو في بحر غمده غريق ولو سمع بها من قبل

أخيه

أخيه فأمره بشرب العسل فشربه ثم جاء ثانيا فأمره بشربه ثم جاء في الثالثة فقال يارسول الله إن بطنه لم يزل فقال رسول الله ﷺ صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلا فسقاه الثالثة فشفي ﴿نادرة﴾ قيل إن بعضهم حضر مجلس المنصور فقال بعض الحاضرين المراد من قوله تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس أهل البيت فانهم النحل والشراب القرآن فقال له بعض من حضره من اللطفاء جعل الله طعامك وشرابك ما يخرج من بطون بني هاشم فضحك الحاضرون عليه وأبهته ﴿الخواص﴾ إذا خلط العسل الخالص بمسك خالص واكتحل به نفع من نزول الماء في العين والتلطخ به يقتل القمل ولعقه علاج لعضة الكلب والمطبوخ منه نافع للسموم ﴿نسر﴾ هو سيد الطيور ويعمر طويلا قيل انه يعيش ألف سنة وله قوة على الطيران حتى قيل إنه يقطع من المشرق إلى المغرب في يوم وجثته عظيمة حتى قيل إنه يحمل أولاد الفيلة وله قوة حاسة الشم حتى قيل انه يشم رائحة الجيفة من مسيرة أربعمائة فرسخ وإذا سقط على جيفة تباعدت عنها الطيور هيبة له حتى يفرغ من الأكل وعنده شره قيل انه يأكل حتى يضعف عن الحركة بحيث ان أضعف الناس لو أراد إمساكه في تلك الحالة أمسكه وإذا باض ذهب وأتى بورق الدلب فجعله في عشه خوفا من الخفاش أن يفسد بيضه وهو لا يحضن البيض وإنما يبيض في الأماكن العالية ويبقيه في الشمس فتكون حرارتها له بمنزلة الحضن ومن طبعه أنه لو شم الطيب مات وعنده الحزن على فراق إلفه حتى قيل انه يموت كمدا ويقال للأنثى منه أم قشعم وفي الحديث أتاني جبريل عليه الصلاة والسلام فقال يامحمد لكل شيء سيد فسيد البشر آدم وسيد ولد آدم أنت وسيد الروم صهيب وسيد فارس سلمان وسيد الحبش بلال وسيد الطيور النسر وسيد الشهور رمضان وسيد الأيام الجمعة وسيد الكلام العربي وسيد العربي القرآن وسيد القرآن سورة البقرة ﴿الخواص﴾ إذا أخذ قلب النسر وجعل في جلد ذئب وعلق على شخص كان مهابا عند الناس مقضي الحاجة وإذا عسر على المرأة الوضع جعل تحتها من ريشه يسهل وضعها ﴿نعام﴾ يذكر ويؤنث وتسمى الأنثى بأم البيض والذكر بالظليم ومن عجيب أمرها انها تبيض بيضا طوالا متساوية القدر وتجعلها أثلاثا ثلثا للحضن وثلثا تأكله في حضنها وثلثا تكسره وتفتحه فيتعفن ويدود فيكون منه غذاء أولادها وعندها الحمق يقال انها تخرج من حضنها فتجد بيض غيرها فتحضنه وتترك بيض نفسها ﴿فائدة﴾ روى كعب الأحبار رضي الله تعالى عنه أن الله تعالى لما خلق القمح وأنزله على آدم كان على قدر بيض النعام وقال له هذا رزقك ورزق أولادك قم فاحرث وازرع قال ولم يزل الحب على ذلك مدة ثم نزل إلى بيض الدجاجة ثم الحمامة ثم النبق وكان في زمن العزير على قدر الحمص وقيل كل حيوان إذا كسرت رجله مشي بالأخرى إلا النعام فانه يبرك إلى أن يموت وخلق الله تعالى له قوة الشم البليغ حتى قيل انه يشم رائحة القناص من مسيرة نصف ميل وهي لا تشرب الماء كالضب ويقال إن القناص إذا أدركها أدخلت رأسها في شيء إما شعب أو حجر تظن أنها قد استترت منه ولها معدة قوية تقطع الحديد والصوان والجمر وفي طبعها الاذى يقال إنها تخطف الحلق من أذن الصغير وقيل إن الذئب لا يتعرض لبيض النعام وأفراخه مادام الابوان حاضرين لأنهما إذا رأياه ركضه الذكر إلى أن يسلمه إلى الانثى فتركضه الى أن تسلمه الى الذكر ولا يزالان به حتى يقتلاه أو يعجزهما هربا وقيل أشد ما يكون عدوها اذا استقبلت الريح وتقول العرب صنفان من الحيوان أصمان لا يسمعان النعام والافاعي وسأل أبو عمرو الشيباني بعض العرب عن الظليم هل يسمع فقال يعرف بعينيه وأنفه ولا يحتاج معهما الى سمع ﴿نمر﴾ حيوان أغبر وكنيته أبو الصعب وهو صنفان صنف عظيم الجثة صغير

ثم به ماحل الطريق فلوعاصرها الكمال لعرك من قوسه اذلأنين وقال له جحدت رسالتك ياذا القرنين فان جذبت إلى مقاومتها كانت لك يد تمتد وصلت السكين منك العظم وصار عليك قطع وانتهى أمرك إلى ذا الحد وهل تعاند السكين صورة ليس لها من تركيب النظم إلا ماجمات ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ولو لحمها الفاضل تحقق قوله ان خاطر سكينه كل أو أدركها ابن نباتة ما أقر برسالة السيف وفل وقال لقلم رسالاته أطلق لسانك بشكر مواليك وأخلص الطاعة لباريك ولم يقصد الملوك الايجاز في رسالة السكين ونظمها إلا لتكون مختصرة لحجمها لا زالت صدقات مهديها تتحف بما يذبح نحر فقري وتأتي في كل وقت بما يبرىء من داء الاحتياج ويبري (قلت وعلى ما وقع من الغريب في رسالة السكين) يتعين أن نورد ماوقع من غريب النظم في السيف فان الشيخ جمال الدين ابن نباتة ذكر من نثره في رسالة السيف بدائع ولكنها مشهورة لتنقيب الناس عنها والاقتباس منها ﴿قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه﴾ لعمرو بن معديكرب كيف تقول في الرمح قال أخوك وربما خانك فانقصف قال فالترس قال هو المجن وعليه تدور الدوائر قال فالنبل قال منه ما يخطيء وما يصيب قال فما تقول

الذئب والآخر بالعكس قال الجاحظ وهو يحب الشراب وعنده شراسة فى خلقه و يقال ان أنثاه لا تدع ولدها إلا مطوقا بحية ولا يضره نهشها وذلك لأجل الصياد حتى لا يظفر به واذا مرض أكل الفار فيبرأ وفى طبعه عداوة الاسد وعنده شرف فى نفسه يقال انه لا يأكل جيفة ولا يأكل من صيد غيره ولا يملك نفسه عند الغضب وأدنى وثبته عشرون ذراعا وأكثرها أربعون (الخواص) من حمل من جلده شيئا صار مهابا عند الناس ومن كان به بواسير فجلس على جلده زالت بواسيره

﴿ حرف الهاء ﴾

﴿ هدهد ﴾ طير معروف وهو من رسل سليمان عليه الصلاة والسلام وعنده حدة البصر حتى قيل انه يرى الماء تحت الأرض وسبب غيابه عن خدمة سليمان عليه الصلاة والسلام حين سأل عنه ولم يجده هو أن هدهدا من سبأ أخبره أن عرش بلقيس صفته كذا وكذا فذهب لينظره فدخلت الشمس من مكانه فرآها سليمان عليه الصلاة والسلام فتفقده وطلبه فلما حضر قال يا نبى الله انى رأيت كيت وكيت وقص عليه القصة و يقال انه قال لسليمان عليه الصلاة والسلام لما أراد تعذيبه يا نبى الله اذكر وقوفك بين يدى الله تعالى فارتعد سليمان من هذا الكلام وأطلقه ﴿الخواص﴾ اذا بخر البيت بريشه طرد الهوام عنه وعينه اذا علقت على صاحب النسيان ذكر ما نسيه وريشه اذا حمله انسان وخاصم غلب خصمه وقضيت حاجته وظفر بما يريد ولحمه اذا أكل مطبوخا نفع من القولنج وان بخر بمخه برج حمام لم يقربه شىء يؤذيه ومن علق عليه لحيه الأسفل أحبه الناس والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ حرف الواو ﴾

﴿ورشان﴾ طير يتولد بين الحمام والفاختة وهو حسن شديد الحنو يقال انه يكاد يقتل نفسه اذا أمسك القناص أولاده من شدة حنوه وقال بعضهم انه يقول فى صياحه لدوا للموت وابنوا للخراب والهدهد اذا نزل القضاء عمى البصر والفاختة تقول ليت هذا الخلق ما خلقوا وليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا وليتهم عملوا لما علموا والخطاف يقول قدموا خيرا تجدوه عند ربكم والحمامة تقول سبحان ربى الأعلى والبازى يقول سبحان ربى وبحمده والسرطان يقول سبحان المذكور بكل لسان والدراج يقول الرحمن على العرش استوى والعقاب يقول البعد عن الناس رحمة ومن الطيور من يقرأ الفاتحة كالدرة ويمد صوته فى الضالين كالقارىء

﴿ حرف الياء ﴾

﴿يأجوج ومأجوج﴾ سموا بذلك لكثرتهم وقيل بل هو اسم أعجمى غير مشتق قال مقاتل هم ولد يافث بن نوح عليه الصلاة والسلام وقول من قال ان آدم نام فاحتلم فالتصق منيه بالتراب فتولد منه هذا الحيوان مردود بعدم احتلام الانبياء عليهم الصلاة والسلام وفى الحديث يأجوج ومأجوج أمة عظيمة لا يموت أحدهم حتى يرى من صلبه ألف نسمة انتهى وهم أصناف منهم ما طوله عشرون ذراعا وما طوله ذراع واقل وأكثر وعن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أن لهم مخالب الطير وأنياب السباع وتداعى الحمام وتسافد البهائم ولهم شعور تقيهم الحر والبرد واذا مشوا فى الارض كان أولهم بالشام وآخرهم بخراسان يشربون مياه المشرق الى بحيرة طبرية و يمنعهم الله تعالى من دخول مكة والمدينة و بيت المقدس و يأكلون كل شىء يمرون به ومن مات منهم أكلوه و يقال ان صنفا منهم له أذنان إحداهما صلدة والاخرى وبرة فهو يلتحف باحداهما و يفترش الاخرى وفى الحديث انه عليه الصلاة والسلام سئل هل بلغتهم الدعوة فقال عليه الصلاة والسلام دعوتهم ليلة أسرى بى فلم يجيبوا فهم خلق النار وفى الحديث أيضا ان الله عز وجل اذا كان

فى الدرع قال مثقلة للراجل مشغلة للفارس وانها حصن حصين قال فما تقول فى السيف قال هنالك لا أم لك يا أمير المؤمنين فعلاه عمر بالدرة وقال لم تقول لا أم لك قال الحمى أصرعتنى يا أمير المؤمنين ﴿الشريف البياضى﴾

وانا اذا الارواح ذابت مخافة
فتحنا باشطان الرماح ركابها
متى ما أردنا أن يذاق حديدنا
خلقنا بحد المشرفية أفواها

﴿وقال أبو العلاء المعرى﴾

غراراه لسانا مشرفى
يقول غراب الموت ارتجالا
وديت فوقه حمر المنايا
ولكن بعد ما مسخت نمالا
يذيب الرعب منه كل عضب
فلولا الغمد يمسكه لسالا

﴿ وقال الناشى ﴾

ذو مدمع من غير ما مستعبر
وتبسم من ثغره متوالى
يريك من لألائه متوقدا
حنق المنون به على الآجال

﴿ وقال الغنوى ﴾

كأن على افرنده موج لجة
تقاطر فى حافاته وتجول
حسام غداه الروح حتى كأنه
من الله فى قبض النفوس رسول

﴿ وقال وحيد الدين بن الذروى ﴾

فتقت بأجساد الاسود لواحظا
رنت للمنايا عن عيون الثعالب
وأنطقت أفواها الى قمم العدا

يوم القيامة قال يا آدم أرسل بعث النار فيقول يارب وما بعث النار فيقول الله تعالى من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون للنار وواحد للجنة قال فاشتد الأمر على المسلمين فقال رسول الله ﷺ ابشروا فان من يأجوج ومأجوج ألفا ومنكم واحدا وفى الحديث ان رجلا جاء الى النبى ﷺ فأخبره بالردم فقال صفه فقال يارسول الله انطلقت الى أرض ليس لأهلها الا الحديد يعملونه فدخلت فى بيت فلما كان وقت الغروب سمعت ضجة عظيمة أفزعتنى فارتعدت منها قال فقال صاحب البيت لا بأس عليك ان هذه الضجة أصوات قوم يذهبون هذه الساعة من خلف هذا الردم أتريد أن تنظر اليه فاذا لبنه مثل الصخرة ومساميره مثل جذوع النخل كله من حديد كأنه البرد المحبر فقال رسول الله ﷺ من سره أن ينظر الى من رأى الردم فلينظر هذا الرجل قال المفسرون وهذا هو السد الذى بناه ذو القرنين وهذه الامة خلفه تطلب المجىء إلى هذه الجهة تنقبه كل يوم فيعيده الله كما كان الى أن يقضى الله أمره ثم يسلط الله عليهم بعد ذلك دودا يطلع فى حلاقيمهم فيهلكهم الله به والاخبار فى ذلك كثيرة ﴿ يحمور ﴾ دابة وحشية لها قرنان طويلان كأنهما منشاران تنشر بهما الشجر وقيل هو كالايل يلقى قرنيه فى كل سنة وهما صامتان وقال الجوهرى هو الحمار الوحشى ﴿ نادرة ﴾ قيل ترافق رجلان فى طريق فلما قربا من مدينة من المدن قال أحدهما للآخر قد صار لى عليك حق وانى رجل من الجان ولى اليك حاجة قال وماهى قال اذا وصلت الى المكان الفلانى من هذه المدينة فهناك عجوز عندها ديك فاشتره منها واذبحه فقال له الآخر وأنا أيضا لى اليك حاجة قال وماهى قال اذا ركب الجنى انسانا مايعمل له قال تشد ابهاميه بسير من جلد اليحمور وتقطر فى أذنيه من ماء السذاب فى اليمنى أربعا وفى اليسرى ثلاثا فان الراكب له يموت ثم تفرقا ودخل الانسى ففعل ما أمره به الجنى من شراء الديك وذبحه فلم يشعر بعد أيام الا وقد أحاط به أهل صبية من تلك البلدة وقالوا والله أنت ساحر ومن حين ذبحت الديك سلبت من صبية عندنا عقلها فلا نفلتك الا الى صاحب المدينة قال فقلت لهم ائتونى بسير من جلد اليحمور وقليل من ماء السذاب ودخلت على الصبية فربطت ابهاميها وقطرت ماء السذاب فى أذنيها فسمعت صوتا يقول آه علمتك على نفسى ثم مات من ساعته وشفى الله تلك الشابة

﴿ فصل فى خواص الطير والحيوان على الاجمال ﴾

الضب والخنزير لا يلقيان شيئا من أسنانهما أبدا وكل حيوان يعوم بالطبع الا الانسان والقرد وكل ذى عين فان أهداب عينه فى الجهة العليا فقط الا الانسان فانه من الجهتين والفرس لا طحال له والبعير لا مرارة له والظليم لا مخ لعظمه والحيات لا ألسنة لها والسمكة لا رئة لها لأنها تتنفس من كبدها وكل حيوان لا حافر له فله قرن ومالا قرن له فله حافر والحيوان المتهم باللواط القرد والخنزير والحمار والسنور والعيون التى تضىء بالليل عين الأسد والنمر والافعى والسنور والذى يدخر القوت من الحيوان الانسان والفأر والغراب والنحل والنمل والذى يحيض من الحيوان الانسان والفرس والكلب والأرنب والضبع والخفاش ويقال أيضا الرعاد من السمك فتبارك الله أحسن الخالقين وهذا آخر ماقصدت ايراده فى هذا الباب والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

﴿ الباب الثالث والستون فى ذكر نبذة من عجائب المخلوقات وصفاتهم ﴾

ذكر المسعودى فى كتابه عن بعض العلماء أن الله سبحانه وتعالى خلق فى الارض قبل آدم ثمانيا وعشرين أمة على خلق مختلفة وهى أنواع منها ذوات أجنحة وكلامهم قرقعة ومنها ماله أبدان كالاسود ورؤس كالطير ولهم شعور وأذناب وكلامهم دوى ومنها ماله وجهان واحد من قبله والآخر

وقد رشفت ورد الكلوم صغاره
وما شربت الادماء الترائب

﴿ وله ﴾

سكران من شربه خمر الدماء فان
حياه نور الطلا غنى لها هزجا

(لسان الدين بن الخطيب)

وخليج هند راق حسن صفائه
حتى يكاد يعوم فيه الصيقل
غرقت بصفحته النمال فأوشكت
تبغى النجاة فأوثقتها الأرجل
فالصرح منه ممرد والصفح منـ
ـه موردو الشط منه مهدل

﴿ القاضى الفاضل ﴾

نمـ الى الاعـداء منها معاصما
فترجع من ماء الكلى بأساور

(وله من أخرى)

ولرب هاتفة دعتهم للوغى
جعلوا صليل المرهفات صداها
هى فى بحار يديه أمواج ترى
ونفوس من قتلته من غرقاها

من خلفه وأرجل كثيرة ومنها ما يشبه نصف الانسان بيد ورجل وكلامهم مثل صياح الغرانيق ومنها ما وجهه كالآدمي وظهره كالسلحفاة وفي رأسه قرن وكلامهم مثل عي الكلاب ومنها ماله شعر أبيض وذنب كالبقر ومنها ماله أنياب بارزة كالخناجر وآذان طوال ويقال إن هذه الامم تناكحت وتناسلت حتى صارت مائة وعشرين أمة ولم يخلق الله تعالى أفضل ولا أحسن ولا أجمل من الانسان وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه خلق الله تعالى ألف أمة وعشرين أمة منها ستمائة في البحر وأربعمائة وعشرون في البر وفي الانسان من كل خلق فلذلك سخر الله له جميع الخلق واستجمعت له جميع اللذات وعمل بيده جميع الآلات وله النطق والضحك والبكاء والفكرة والفطنة واختراعات الأشياء واستنباط جميع العلوم واستخراج المعادن وعليه وقع الأمر والنهي والوعد والوعيد والنعيم والعذاب واياه خاطب وله قرب وخلق الله تعالى اسرافيل عليه السلام على صورة الانسان وهو أقرب الملائكة اليه وفي الحديث لاتضربوا الوجوه فانها على صورة اسرافيل وآيات الله تعالى في البشر أكثر من أن تحصر فتبارك الله أحسن الخالقين وقال الشيخ عبد الله صاحب كتاب تحفة الألباب دخلت الى باشقرد فرأيت قبور عاد فوجدت سن أحدهم طوله أربعة أشبار وعرضه شبران وكان عندي في باشقرد نصف ثنية أخرجت لي من فك أحدهم الأسفل فكان نصف الثنية شبرين ووزنها ألف ومائتا مثقال وكان دور فك ذلك العادي سبعة عشر ذراعا وطول عظم عضد أحدهم ثمانية أذرع وعرض كل ضلع من أضلاعهم ثلاثة أشبار كلوح الرخام قال ولقد رأيت في بلغار سنة ثلاثين وخمسمائة من نسل عاد رجلا طويلا طوله أكثر من سبعة وعشرين ذراعا كان يسمى دنقي أو دبقي كان يأخذ الفرس تحت إبطه كما يأخذ الانسان الولد الصغير وكان من قوته يكسر بيده ساق الفرس ويقطع جلده وأعضاءه كما يقطع باقة البقل وكان صاحب بلغار قد اتخذ له درعا تحمل على عجلة وبيضة عادية لرأسه كأنها قطعة من جبل وكان يأخذ في يده شجرة من البلوط كالعصا لو ضرب بها الفيل لقتله وكان خيرا متواضعا كان اذا لقيني يسلم علي ويرحب بي ويكرمني وكان رأسي لا يصل الى ركبته رحمة الله تعالى عليه ولم يكن في بلغار حمام يمكنه دخولها الا حمام واحدة وكانت له أخت على طوله ورأيتها مرات في بلغار وقال لي قاضي بلغار يعقوب بن النعمان إن هذه المرأة العادية قتلت زوجها وكان اسمه آدم وكان أقوى أهل بلغار قيل انها ضمته اليها فكسرت أضلاعه فمات من ساعته (وروى) عن وهب بن منبه في عوج ابن عنق أنه كان من أحسن الناس وأجملهم الا انه كان لا يوصف طوله قيل انه كان يخوض في الطوفان فلم يبلغ ركبتيه ويقال ان الطوفان علا على رؤس الجبال أربعين ذراعا وكان يجتاز بالمدينة فيتخطاها كما يتخطى أحدكم الجدول الصغير وعمره الله دهرا طويلا حتى أدرك موسى عليه السلام وكان جبارا في أفعاله يسير في الارض برا وبحرا ويفسد ماشاء ويقال انه لما حصر بنو اسرائيل في التيه ذهب فأتى بقطعة من جبل على قدرهم واحتملها على رأسه ليلقيها عليهم فبعث الله طيرا في منقاره حجر مدور فوضعه على الحجر الذي على رأسه فانثقب من وسطه وانخرق في عنقه وأخبر الله عز وجل نبيه موسى عليه الصلاة والسلام بذلك فخرج اليه وضربه بعصاه فقتله ويقال ان موسى عليه الصلاة والسلام كان طوله عشرة أذرع وعصاه عشرة أذرع وقفز في الهواء عشرة أذرع وضربه فلم يصل الى عرقوبه فتبارك الله أحسن الخالقين ومن ذلك ما قيل عن أمه عنق بنت آدم عليه الصلاة والسلام وكانت مفردة بغير أخ وكانت مشوهة الخلقة لها رأسان وفي كل يد عشرة أصابع ولكل أصبع ظفران كالمنجلين وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

حجه
فبالضرب لي حين
بالنسك أحرما
تنسك بالاسلام لكن
رأيته
يحل له في الشرع أن
يشرب الدما
فكم سل لما سل من بطن
غمده
لسان دم من ضربة
خلقت فما

﴿مجير الدين بن تميم﴾

لما فنيت من الصوارم
أعوجا
يجري القضاء بنهره
المتموج
جبت القفار وماحملت أوانيا
للماء من ثقتي بنهر
الاعوج

﴿وقال الغزي﴾

وقد سلب الطعن الأسنة
لونها
فمصفر في اللبات ما كان
أزرقا
وأسيافنا في السابغات
كأنها
جداول تجري بين زهر
تفتقا

﴿ابن خفاجة﴾

موسد تحت ظل السيف
تحسبه
مستلقيا فوق شاطىء
جدول ثملا

(جمال الدين بن نباتة)

وصارم كعباب الموج ملتطم
يكاد يغرق رائيه ويحترق
لما غدا جدولا يسقى المنون به أضحى يشف على حافاته العلق

هي أول من بغى في الأرض وعمل الفجور وجاهر بالمعاصي واستخدم الشياطين وصرفهم في وجوه السحر وكان قد أنزل الله على آدم عليه الصلاة والسلام أسماء عظيمة تطيعه الشياطين بها وأمره أن يدفعها الى حواء لتحترز بها فغافلتها عنق وسرقتها واستخدمت بها الشياطين وتكلمت بشيء من الكهانة فدعا عليها آدم وأمنت على ذلك حواء فأرسل الله عليها أسداً أعظم من الفيل فهجم عليها وقتلها وذلك بعد ولادتها عوجا بسنتين (ومن ذلك) ما حكي عن بعض فقهاء الموصل أنه شاهد ببلاد الاكراد الحمدية في جبل من جبال الموصل انسانا طوله تسعة أذرع وهو صبي لم يبلغ الحلم وكان يأخذ بيده الرجل القوي ويرميه خلف ظهره فأراد صاحب الموصل استخدامه فقيل له في عقله خبل فتركه (وروى) عن الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه أنه قال دخلت بلدة من بلاد اليمن فرأيت بها انسانا من وسطه الى أسفله بدن واحد ومن وسطه الى أعلاه بدنان مفترقان برأسين ووجهين وأربع أيد وهما يأكلان ويشربان ويتقاتلان ويتلاطمان ويصطلحان قال ثم غبت عنهما قليلا ورجعت فقيل لي أحسن الله عزاءك في أحد الشقين فقلت وكيف صنع به فقيل ربط في أسفله حبل وثيق وترك حتى ذبل ثم قطع ورأيت الجسد الآخر بالسوق ذاهبا وراجعا (ومنه) ما أرسله بطارقة الارمن الى ناصر الدولة وهو رجلان في جسد واحد فأحضر الأطباء وسألهم عن انفصال أحدهما عن الآخر فسألوهما هل تجوعان معا وتعطشان معا قالا نعم فقالوا انه لا يمكن فصلهما ويقال إنه أحضر أباهما فسأله عن حالهما فأخبر أنهما يختصمان في بعض الأحيان وأنه يصلح بينهما (ومن ذلك) ما ذكر أنه أهدي الى أبي منصور الساماني فرس له قرنان وثعلب له جناحان اذا قرب منه انسان نشرهما واذا بعد ألصقهما وذكر القاضي عياض رحمة الله تعالى عليه أنه ولد له مولود على أحد جنبيه مكتوب لا إله الا الله محمد رسول الله وهذا لا يبعد فانه يوجد كثيرا في السنور الدبركي وذكر أنه ولد بالقاهرة غلام له أربعة أرجل ومثلها أيد وذكر أنه كان لبعض ولاة مصر مملوك يدعى طقطو فولاه قوص من أعمال الصعيد فتزوج بها وولد له ولد ثم انقلب امرأة فتزوج بها وولدت ولدين وأما كبش بأربعة قرون ودجاجة بأربعة أرجل وحيوان برأسين والمخرج واحد فكثير وعجائب الله تعالى في مصنوعاته غير متناهية فلله الحمد على ما أنعم به علينا لا نحصي ثناء عليه (ومن ذلك) انسان الماء وهو حيوان يشبه الآدمي وفي بعض الأوقات يطلع ببحر الشام شيخ بلحية بيضاء ويستبشر الناس برؤيته في تلك السنة بالخصب (ومن ذلك) بنات الماء وهم أمة ببحر الروم يشبهن النساء ذوات شعور وثدي وفروج وهن حسان ولهن كلام لا يفهم وضحك ولعب ولهن رجال من جنسهن ويقال إن الصيادين يصطادونهن ويجامعونهن فيجدون لذة عظيمة لا توجد في غيرهن من النساء ثم يعيدونهن في البحر ثانيا ويقال إن هذا الصنف يوجد بالبرلس ورشيد على ما ذكر (وحكى) عن الشيخ أبي العباس الحجازي قال حدثني بعض التجار أنه في سنة من السنين خرجت اليه سمكة عظيمة فنقبوا أذنها وجعلوا فيها الحبال وأخرجوها فانفتحت أذنها فخرجت جارية حسناء جميلة بيضاء سوداء الشعر حمراء الخدين كحلاء العينين من أحسن ما يكون من النساء ومن صرتها الى نصف ساقيها شيء كالثوب يستر قبلها ودبرها ودائر عليها كالازار فأخذها الرجال الى البر فصارت تلطم وجهها وتنتف شعرها وتعض يدها وتصيح كما تصيح النساء حتى ماتت في أيديهم فألقوها في البحر فتبارك الله أحسن الخالقين (وحكى) القزويني عن بعض البحريين أن الريح ألقتهم على جزيرة ذات أشجار وأنهار فأقاموا بها مدة وكانوا إذا جاء الليل يسمعون بها همهمة وأصواتا وضحكا ولعبا فخرج من المركب جماعة وكمنوا في جانب البحر فلما جاء الليل خرج بنات الماء على عادتهن فوثبوا عليهن فأخذوا منهن ثنتين فتزوج بهما شخصان فأما أحدهما فوثق بصاحبته فأطلقها فوثبت في البحر وأما الآخر فبقي مع صاحبته زمانا وهو يحرسها حتى ولدت له ولدا كأنه القمر فلما طاب

(وقلت)

وسيف له في الحرب حسن تغزل
إذا ما رآني قد علوت على نهد
فكم خد خدا فوق صدر مدرع
فبان احمرار الورد في ذلك الخد
وكم مال قد في الوغى ميل معجب
فتبا له ذاك المهند بالقد
وكم عجموا ألفاظهم ساعة اللقا
فكلمهم ذاك المهند بالهندي

(قلت)

وقد وجب أن نذكر هنا ما وقع بعد السيف من غريب النظم في الرمح

﴿ذكر القاضي الرشيدي ابن الزبير﴾

في كتابه العجائب والطرف انه كان في خزانة السلاح ايام السفاح خمسون ألف درع وخمسون ألف سيف وثلاثون ألف جوشن ومائتا ألف رمح

﴿وقال الفضل بن الربيع﴾

لما ولي الأمين الخلافة سنة ثلاث وتسعين ومائة أمرني أن أحضر ما في خزانة السلاح فكان فيها من السيوف المحلاة بالذهب عشرة آلاف وخمسون ألف سيف للشاكرية والغلمان ومائة وخمسون ألف رمح ومائة ألف قوس وألف درع محلاة وألف

الهواء وركبوا البحر ووثق بها فالقها فاغتنمته وألقت نفسها فى البحر فتأسف عليها تأسفا عظيما فلما كان بعد أيام ظهرت من البحر ودنت من المركب وألقت لصاحبها صدفا فيه در وجوهر فباعه وصار من التجار (ونظير هذه الحكاية) ماذكره ابن زولاق فى تاريخه أن رجلا من الاندلس من الجزيرة الخضراء صاد جارية منهن حسناء الوجه سوداء الشعر حمراء الخدين نجلاء العينين كأنها البدر ليلة التمام كاملة الأوصاف فأقامت عنده سنين وأحبها حبا شديدا وأولدها ولدا ذكرا وبلغ من العمر أربع سنين ثم انه أراد السفر فاستصحبها معه ووثق بها فلما توسطت البحر أخذت ولدها وألقت نفسها فى البحر فكاد أن يلقى نفسه خلفها حسرة عليها فلم يمكنه أهل المركب من ذلك فلما كان بعد ثلاثة أيام ظهرت له وألقت له صدفا كثيرا فيه در ثم سلمت عليه وتركته فكان ذلك آخر العهد بها فتبارك الله ما أكثر عجائب خلقه ومالم نشاهده ونسمع به أكثر فسبحان القادر على كل شىء لااله الاهو ولا معبود سواه فالعاقل يعرف الجائز والمستحيل ويعلم أن كل مقدور بالاضافة الى قدرة الله تعالى قليل واذا سمع عجبا جائزا استحسنه ولم يكذب قائله والجاهل اذا سمع مالم يشاهده قطع بتكذيب قائله وتزييف ناقله وذلك لقلة عقله وقد وصف الله تعالى الجاهل بعدم العقل بقوله تعالى أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون وقد أودع الله تعالى من عجائب المصنوعات فى الآفاق والسموات مايدل عليه قوله تعالى وكأين من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فلاتكن منكر العجائب فكل الأشياء من آياته

فياعجبا كيف يعصى الا لـه * أم كيف يجحده الجاحد

وفى كل شىء له آية * تدل على أنه الواحد

ومن شاهد حجر المغناطيس وجذبه للحديد وكذلك حجر الماس الذى يعجز عن كسره الحديد ويكسره الرصاص ويثقب الياقوت والفولاذ ولا يقدر على ثقب الرصاص يعلم أن الذى أودعه هذا السر قادر على كل شىء فلا تكن مكذبا بما لا تعلم وجه حكمته فان الله تعالى قال بل كذبوا بمالم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله قال صاحب تحفة الألباب ان فى بلاد السودان أمة لارؤس لهم وقد ذكرهم الشعبى فى كتاب سير الملوك وذكر أن فى بلاد المغرب أمة من ولد آدم كلهم نساء ولا يعيش فى أرضهم ذكر وأن هؤلاء النساء يدخلن فى ماء عندهن فيحبلن من ذلك الماء وتلد كل امرأة منهن بنتا ولايلدن ذكرا أبدا وقيل ان ولد تبع اليمانى وصل اليهم لما أراد أن يصل الى الظلمات التى دخلها ذو القرنين وان ولد تبع هذا كان اسمه افريقش وهو الذى بنى افريقية وسماها باسمه وأنه وصل الى وادالسبت وهو واد يجرى فيه الرمل كما يجرى السيل لايمكن أن يدخل فيه حيوان الاهلك فلما رآه استعجل الرجوع وذو القرنين لما وصل اليه أقام الى يوم السبت فسكن جريانه فعبره إلى أن وصل الى الظلمات فيما يقال والله سبحانه وتعالى أعلم وتلك الأمة التى لارؤس لهم أعينهم فى مناكبهم وأفواههم فى صدورهم وهم كثيرون كالبهائم يتناسلون ولا مضرة على أحد منهم * وأما الملك العظيم والعدل الكثير والنعم الجزيلة والسياسة الحسنة والرخاء والامن الذى لاخوف معه ففى بلاد الهند وبلاد الصين وأهل الهند أعلم الناس بعلم الطب وعلم النجوم والهندسة والصناعات العجيبة التى لايقدر أحد سواهم على أمثالها وفى بلادهم وجزائرهم ينبت العود وشجر الكافور وجميع أنواع الطب كالقرنفل والسنبل والدارصينى والكبابة والبسباسة وأنواع العقاقير والأدوية وعندهم حيوان المسك وهو حيوان كالغزال يجتمع المسك فى سرته وعندهم حيوان الزباد وهو حيوان كالسنور يخرج منه عرق كالقطران أسود ثخين يسيل من جسده وتزيد أنحته

درع عامة وعشرون ألف بيضة وعشرون ألف جوشن ومائة ألف وخمسون ألف ترس واربعة آلاف سرج محلاة بالذهب وثلاثون ألف سرج عامة انتهى

﴿ قلت ويعجبنى قول القاضى الفاضل فى بيت من قصيدة ﴾

أمتصل الرمح الطويل بكوكب * من ذا يطاعن والسماك سنان

﴿ ومثله فى الحسن قول ابن سناء الملك ﴾

ملوك يحوزون الغنائم عنوة * بسمر العوالى أو ببيض القواضب

رماح بأيديهم طوال كأنما * أرادوا بها تثقيب در الكواكب

﴿ ابن قلاقس وأجاد ﴾

وقد كحلت بأميال العوالى * أساة الحرب أحداق الدروع

وشب البأس نيران المواضى * وأسبل غيث أمواه النجيع

فالفرسان من محل وحل * حديث عن مصيف أو ربيع

(ويعجبنى أيضا قول القاضى الفاضل من قصيدة)

فياعجبا للملك قر قراره * بمختلفات من قتال السواحر

طواعن أسرار القلوب نواظر * كأنك قد نصلتها بنواظر

﴿ ذو الوزارتين لسان الدين بن الخطيب وأجاد ﴾

بالتغرب بحيث يكون أذكى من المسك الأذفر ويخرج من بلادهم أنواع اليواقيت وأكثرها في جزيرة سرنديب وعلى جبلها نزل آدم عليه الصلاة والسلام من الجنة فيما يقال (وحكى) أنه كان ببابل سبع مدائن كل مدينة فيها أعجوبة كان في إحداها تمثال الأرض فإذا التوى على الملك بعض أهل مملكته وامتنعوا عن القيام بالخراج خرق أنهارها عليهم في التمثال فلا يطيق أهل تلك الناحية سد الماء حتى يعتدلوا وما لم يسد في التمثال لا يسد في ذلك البلد وفي الثانية حوض إذا أراد الملك أن يجمعهم لطعامه أتى كل واحد بما أحب من الشراب فصبه في ذلك الحوض فاختلطت الأشربة فكل من سقي من ذلك الحوض كان شرابه الذي جاء به وفي الثالثة طبل إذا أرادوا أن يعلموا حال الغائب عن أهله قرعوه فإن كان حيا سمع له صوت وإن كان ميتا لم يسمع له صوت وفي الرابعة مرآة إذا أرادوا أن يعلموا حال الغائب نظروا فيها فأبصروه على أي حالة هو عليها كأنهم يشاهدونه وفي الخامسة أوزة من نحاس فإذا دخل الغريب صوتت الأوزة صوتا يسمعه أهل المدينة وفي السادسة قاضيان جالسان على الماء فيأتي الخصمان فيمشي المحق على الماء حتى يجلس مع القاضيين ويقع المبطل في الماء وفي السابعة شجرة ضخمة لا تظل إلا ساقها فإن جلس تحتها أحد أظلته إلى ألف شخص فإذا زادوا على الألف واحدا جلسوا في الشمس كلهم ولو بسطت المقال في ذلك لاتسع المجال * وقد اقتصرت في ذلك على ما ذكرت والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب الرابع والستون في خلق الجان وصفاتهم ﴾

روي عن الشيخ عبد الله صاحب تحفة الألباب أنه قال قرأت في بعض الكتب المتقدمة المأثورة عن العلماء رحمهم الله تعالى أن الله تعالى لما أراد أن يخلق الجان خلق نار السموم وخلق من مارجها خلقا سماه جانا كما قال الله تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم وقال الله تعالى في موضع آخر وخلق الجان من مارج من نار وقيل إن الله تعالى خلق الملائكة من نور النار والجان من لهبها والشياطين من دخانها وقد جاء في بعض الأخبار أن نوعا من الجن في قديم الزمان قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام كانوا سكانا في الأرض قد طبقوها برا وبحرا سهلا وجبلا وكان فيهم الملك والنبوة والدين والشريعة وكانوا يطيرون إلى السماء ويسلمون على الملائكة ويستعلمون منهم خبر ما في السماء وكثرت نعم الله عليهم إلى أن بغوا وطغوا وتركوا وصايا أنبيائهم فأرسل الله تعالى عليهم جندا من الملائكة فحصل بينهم مقتلة عظيمة وغلبوا الجن وطردوهم إلى أطراف البحار وأسروا منهم أمما كثيرة وذكر المسعودي أن الفرس واليونان قالوا كان الجن بالأرض قبائل منهم من يسترق السمع ومنهم من ينط مع لهب النار ومنهم من يطير ولكل قبيلة ملك وكان من جملتهم إبليس لعنه الله ثم بعد خمسة آلاف سنة افترقوا وملكوا عليهم ملوكا وأقاموا على ذلك مدة طويلة ثم تحاسدوا على الملك وأغار بعضهم على بعض وجرت بينهم وقائع وحروب وكان إبليس لعنه الله يصعد إلى السماء ويختلط بالملائكة فبعثه الله تعالى بجيوش من الملائكة فهزم الجن وقتلهم وتملك الأرض مدة طويلة إلى أن خلق م عليه الصلاة والسلام واتفق له معه ما اتفق وأهبط آدم إلى الأرض وعظم شأنه فعند ذلك انتقل إبليس إلى البحر المحيط وسكن هناك ثم ألقى عليه قوة شهوة السفاد فهو لا يلد لكنه يلقح كالطير ويبيض ويفرخ قيل إنه يخرج من كل بيضة ستون ألف شيطان فيسلطهم على الخلق وأقربهم إليه وأدناهم منه ومن مجالسه أكثرهم إيذاء للخلق وفي الحديث إن إبليس لعنه الله قال يارب أنزلتني إلى الأرض وطردتني وجعلتني رجيما فاجعل لي مسكنا قال مسكنك الأسواق قال فاجعل لي

و بكل أزرق إن شكت ألحاظه * مرة العيون فبالعجاجة تكحل
متاود أعطافه في نشوة * مما يعل من الدماء وينهل
عجبا له أن النجيع بطرفه * رمد ولا يخفى عليه مقتل

(السيد الفاضل شمس الدين بن الصاحب موفق الدين بن الآمدي) *

غصون بها طير النفوس تنافرت * وعهدي أن الطير للغصن يألف
فلا ورق إلا من التبر حولها * ولا زهر إلا من النصر يقطف

﴿ ابن نباتة السعدي ﴾

وولوا عليها يقدمون رماحنا * وتقدمها أعناقهم والمناكب
خلقنا بأطراف القنا لظهورهم * عيونا لها وقع السيوف حواجب

﴿ قلت ﴾ رسم كافل المملكة الشريفة الشامية وهو المقر المرحومي العلائي تغمده الله برحمته ورضوانه للفضلاء بدمشق المحروسة وغيرهم من الفضلاء بالبلاد الشامية أن ينظموا أبياتا تكتب على أسنة الرماح وتكون عدة الأبيات أربعة *(فنظم المقر المرحومي الفتحي بن الشهيد قوله)*

إذا الغبار علا في الجو عثيره * فأظلم الجو ما للشمس أنوار
هذا سناني نجم يستضاء به * كأنه علم في رأسه نار
والسيف إن نام ملء الجفن في غلق

طعاما قال مالم يذكر اسمى عليه قال فاجعل لى شرابا قال كل مسكر قال فاجعل لى مؤذنا قال المزامير قال فاجعل لى صيداً أو قال مصايد قال النساء

﴿فصل فى مكايده لعنه الله﴾ (منها) أنه كان فى بنى اسرائيل عابد يدعى برصيصا وله جار له بنت فحصل لها مرض فقال له جيرانه لو حملتها إلى جارك برصيصا ليدعو لها قال فجاء إبليس إلى العابد وقال ان لجارك عليك حق الجوار وان له بنتا مريضة فما ضرك لو جعلتها عندك فى جانب البيت ودعوت الله لها عقب عبادتك فعسى أن تشفى من مرضها قال فلما أتاه جاره بالبنت قال له العابد دعها وانصرف قال فتركها عنده مدة حتى شفيت فجاءه ابليس ووسوس له حتى وطئها فحملت منه فلما حملت جاءه ابليس لعنه الله فقال له اقتلها لئلا تفتضح قال فقتلها ودفنها قال فعند ذلك ذهب الشيطان إلى أهلها وأعلمهم بذلك فجاؤا إلى العابد وكشفوا عن قضيته ثم أخذوه ومضوا ليقتلوه فعارضه إبليس اللعين فى الطريق فقال له ان سجدت لى خلصتك منهم فسجد له فعند ذلك تبرأ منه ومات الرجل كافرا اللهم اعصمنا من مكايد الشيطان برحمتك يا أرحم الراحمين (ومن ذلك) ما اتفق أن بنى اسرائيل اتخذوا شجرة وصاروا يعبدونها فجاء بعض عبادهم بفاس ليقطعها فعارضه إبليس لعنه الله وقال له تركت عبادتك وجئت لشىء لا يعود عليك نفعه ولم يزل به حتى تقاتل معه فصرعه العابد وجلس على صدره ثم رجع ولم يزل يعمل معه ذلك فى كل يوم إلى ثلاثة أيام فلما رآه لا يرجع قال له اترك قطعها وأنا أجعل لك فى كل يوم دينارين تستعين بهما على نفقتك وعبادتك وعاهده على ذلك فرجع قال فجعل له تحت وسادته دينارين ثم دينارين ثم دينارين ثم قطع ذلك عنه فاخذ العابد الفاس وذهب إلى قطع الشجرة فعارضه إبليس فى الطريق وتحاور معه وتجاذبا فصرعه ابليس وجلس على صدره وقال له ان لم ترجع عن قطعها والا ذبحتك فقال له العابد خل عنى وأخبرنى كيف غلبتنى فقال له لما غضبت لله غلبتنى ولما غضبت لنفسك غلبتك * ومنها أشياء كثيرة ليس هذا محل استيفائها قال الله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا

﴿فصل فى المتشيطنة وهم أنواع كثيرة﴾

* منها الولهان يوجد فى جزائر البحار على صورة الانسان (حكى) بعض المسافرين أنه عرض لراكب وهو راكب على نعامة يريد أخذ المركب وصاح بهم صيحة عظيمة خروا منها على وجوههم وأخذ بعض من فى المركب ومنها السعلاة يحكى أن صنفا منها يتزيا بزى النساء ويتراءى للرجال (وحكى) أن بعضهم تزوج امرأة منهن وهو لا يعلم فاقامت معه مدة وولدت منه أولادا ذكورا وأناثا فلما كانت ذات ليلة صعدت معه السطح فنظرت فرأت نارا من بعد عند الجبانة فاضطربت وقالت ألم تر نيران السعالى وتغير لونها وقالت بنوك وبناتك أوصيك بهم خيرا ثم طارت ولم تعد اليه * ومنها نوع يقال له المذهب يخدم العباد ومقصوده بذلك أن يعجبوا بانفسهم (حكى) أن بعض العباد نزل صومعة يتعبد فيها فأتاه شخص بسراج وطعام فتعجب العابد من ذلك فقال له شخص بالصومعة انه المذهب يريد أن يخيل لك أن ذلك من كرامتى والله انى لأعلم أنه شيطان وقال بعض الصوفية المذهب أصناف منهم من يحمل الفانوس بين يدى الشيخ ومنهم من يأتيه بالطعام والشراب وغير ذلك ومنهم من ينشد الشعر * وقال بعض المسافرين ابق لى غلام فخرجت فى أثره فاذا أنا بأربعة يتناشدون شعر الفرزدق وجرير قال فدنوت منهم وسلمت عليهم فقالوا ألك حاجة قلت لا فقال بعضهم تريد غلامك قلت وما أعلمك بغلامى قال كعلمى بجهلك قلت أوجاهل أنا قال نعم وأحمق قال ثم غاب وأتانى بالغلام

(ونظم الرئيس شمس الدين بن المزين)

أنا أسمر والراية البيضاء لى لا السيوف وسل من الشجعان

لم يحل بى عيش العداة لاننى نوديت يوم الجمع بالمران

واذا تفاهت الكماة بجحفل كلمتهم فيه بكل لسان

فتخالهم غنما تساق الى الردى قهر المعظم سطوة الجوبات

﴿ونظم المقر المرحومى وهو اذ ذاك كاتب السر بحمص المحروسة﴾

عروس سنانى حين تجلى على العدا وتظهر تبدى مالهم من بواطن

وقد صيغ من هم فبين صدورهم مجال له رحب فسيح المواطن

سيلقون يوم الجمع غبنا لموتهم بطعنى ويوم الجمع يوم التغابن

وان شهدوا بالجور فى وعدلوا فانى قد بينت فيهم مطاعنى

(ونظم قاضى القضاة صدر الدين بن الآمدى سامحه الله)

النصر مقرون بضرب أسنة لمعانها كوميض برق يشرق سبكت لتسبك كل خصم مارد مقيداً

مقيداً فلما رأيته غشى على فلما أفقت قال انفخ فى يده ففعلت فانفرج القيد عنه وصرت لا أنفخ فى شيء من ذلك ولا فى وجع من الأوجاع الابرىء وخلص صاحبه * ومنها نوع يقال له العفريت يختطف النساء يقال إن رجلا اختطفت ابنته فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه (وقال) بعض المسافرين بينما نحن سائرون ذات ليلة إذ عرض لى قضاء الحاجة فانفردت عن رفقتى وضللت عنهم فبينما أنا سائر فى أثرهم اذ رأيت نارا عظيمة وخيمة فجئت الى جانبها واذا أنا بجارية جميلة جالسة فيها فسألتها عن حالها فقالت أنا من فزارة اختطفنى عفريت يقال له ظليم وجعلنى ههنا فهو يغيب عنى بالليل و يأتينى بالنهار فقلت لها امضى معى فقالت أهلا أناوأنت فانه يتبعنا و يأتينا فيأخذنى و يقتلك فقلت لا يستطيع أخذك ولا قتلى وما زلت أرددها الحديث حتى رضيت فأنخت لها ناقتى فركبتها وسرت بها حتى طلع الفجر فالتفت فاذا أنا بشخص عظيم مهول قد أقبل و رجلاه تخطان فى الأرض فقالت ها هو قد أتانا فأنخت ناقتى وخططت حولها خطا وقرأت آيات من القرآن وتعوذت بالله العظيم فتقدم وأنشأ يقول

يا ذا الذى للحين يدعوه القدر * خل عن الحسناء رسلا ثم سر * وان تكن ذا خبرة فينا اصطبر

قال فأجبته

يا ذا الذى للحين يدعوه الحمق * خل عن الحسناء رسلا وانطلق * ما أنت فى الجن بأول من عشق

قال فتبدى لى فى صورة أسد وجاذبنى وجاذبته ساعة فلم يظفر أحدنا بصاحبه فلما أيس منى قال هل لك فى جزنا صيتى أو احدى ثلاث خصال قلت وماهن قال مائتان من الابل أو أخدمك أيام حياتى أو ألف دينار الساعة وخل بينى و بين الجارية فقلت لا أبيع دينى بدنياى ولا حاجة لى بخدمتك فاذهب من حيث أتيت قال فانطلق وهو يتكلم بكلام لا أفهمه وسرت بالجارية الى أهلها وتزوجت بها وجاءنى منها أولاد * وقيل لما سخر الله تعالى الجن لسليمان عليه الصلاة والسلام نادى جبريل عليه السلام أيها الجن والشياطين أجيبوا نبى الله سليمان بن داود باذن الله تعالى قال فخرجت الجن والشياطين من الجبال والكهوف والغيران والأودية والفلوات والآجام وهم يقولون لبيك لبيك والملائكة تسوقهم سوق الراعى للغنم حتى حشرت بين يدى سليمان عليه الصلاة والسلام طائعة ذليلة وكانوا إذ ذاك أربعا وعشرين فرقة فنظر الى ألوانها فاذا هى سود وشقر ورقط و بيض وصفر وخضر وعلى صور جميع الحيوانات ومنهم من رأسه رأس الأسد و بدنه بدن الفيل ومنهم من له خرطوم وذنب ومنهم من له قرون وحوافر وغير ذلك من الأنواع قال فعند ذلك تعجب نبى الله سليمان عليه الصلاة والسلام من هذه الأشكال وسجد شكراً لله تعالى وقال إلهى ألبسنى هيبة من عندك وجعل يسألهم عن طباعهم وعن طعامهم وشرابهم وهم يجيبونه ثم فرقهم فى الصنائع من قطع الصخور والأحجار والأشجار والغوص فى البحار وأبنية الحصون وفى استخراج المعادن والجواهر قال الله تعالى « هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب » ونكتفى من ذلك بهذا القدر اليسير ولله المسؤل فى تيسير كل عسير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب الخامس والستون فى ذكر البحار ومافيها من العجائب وذكر الأنهار والآبار وفيه فصول ﴾

﴿ الفصل الأول فى ذكر البحار ﴾ روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال لما أراد الله تعالى أن يخلق الماء خلق ياقوتة خضراء لا يعلم طولها وعرضها الا الله سبحانه وتعالى ثم نظر اليها بعين الهيبة فذابت وصارت ماء فاضطرب الماء فخلق الريح ووضع عليها الماء ثم خلق العرش ووضعه على متن الماء وعليه قوله تعالى وكان عرشه على الماء ﴿ واعلم ﴾ أن بحر الظلمات لا يدخله شمس ولا قمر وان بحر الهند

وتطرقت لمعاند يتطرق　　زرق تفوق البيض فى الهيجاء اذ　　يحمر من دمه العدو الازرق

يتسخن يوم الحرب كل كتيبة
تحت الغبار فتسخن محقق

﴿وقلت﴾

أنا رمح وراح الأفق يخشى
من سموى اليه يوم الطعان
واذا أنكروا عدالة قدى
يوم حكم جرحتهم بلسانى
وسنانى كالبرق يلصار منه
قلب سيف البروق فى خفقان
رمحه للردين ينسب لكن
صاح لما علاه بالسنان

(مجير الدين بن تميم)

لو كنت تشهدنى وقد حمى الوغا
فى موقف ما الموت فيه بمعزل
لترى أنابيب القناة على يدى
تجرى دما من تحت ظل القسطل

(ابن شرف القيروانى)

وقد وخطت أرماحهم مفرق الدجى
فبان بأطراف الأسنة شائبا

(ذكر) الثعالبى فى لطائف المعارف أن أول من عمل السنان من حديد ديرون الحميرى واليه تنسيب الرماح اليزنية وانما كانت أسنة العرب من صياصى البقر (قلت) لم يبق بعد السيف والرمح غير القوس

خليج منه وبحر اللاذقية خليج منه وبحر الصين خليج منه وبحر الروم خليج منه وبحر فارس خليج منه وكل هذه البحار التي ذكرتها أصلها من البحر الاسود الذي يقال له البحر المحيط وأما بحر الخزر وبحر خوارزم وبحر أرمينية والبحر الذي عند مدينة النحاس وغير ذلك من البحار الصغار فهي منقطعة عن البحر الاسود ولذلك ليس فيها جزر ولا مد وقيل سئل النبي ﷺ عن الجزر والمد فقال هو ملك عال قائم بين البحرين ان وضع رجله في البحر حصل له المد واذا رفعها حصل له الجزر وقيل انما سمي البحر الاسود لان ماءه في رأي العين كالحبر الاسود فان أخذ منه الانسان في يده شيئا رآه أبيض صافيا الا أنه أمر من الصبر مالح شديد الملوحة فاذا صار ذلك الماء في بحر الروم تراه أخضر كالزنجار والله تعالى يعلم لأي شيء ذلك وكذلك يرى في بحر الهند خليج أحمر كالدم وبحر أصفر كالذهب وخليج أبيض كاللبن تتغير هذه الالوان في هذه المواضع والماء في نفسه أبيض صاف وقيل ان تغير الماء بلون الارض (وأما) مايخرج من البحر من السمك وغيره فقد روي عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال بعثنا رسول الله ﷺ الى ساحل البحر وأمر علينا أبا عبيدة رضي الله تعالى عنه نتلقى عير قريش وزودنا جرابا من تمر لم يجد لنا غيره فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة نمصها ثم نشرب عليها الماء فتكفينا يومنا الى الليل فاشرفنا على ساحل البحر فرأينا شيئا كهيئة الكثيب الضخم فأتيناه فاذا هو دابة من دواب البحر تدعى العنبر فأقمنا شهرا نأكل منها ونحن ثلثمائة حتى سمنا ولقد رأيتنا نغترف من الدهن الذي في وقب عينيها بالقلال ونقطع منه القطعة كالثور ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فاقعدهم في وقب عينها وأخذ ضلعا من أضلاعها فاقامها ثم رحل أعظم بعير معنا فمر من تحتها وتزودنا من لحمها فلما قدمنا المدينة ذكرنا لرسول الله ﷺ ذلك فقال هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم شيء من لحمها فتطعمونا فارسلنا له منه فاكله وقيل يخرج من البحر سمكة عظيمة فتتبعها سمكة أخرى أعظم منها لتأكلها فتهرب منها الى مجمع البحرين فتتبعها فيضيق عليها مجمع البحرين لعظمها وكبرها فترجع الى البحر الاسود وعرض مجمع البحرين مائة فرسخ فتبارك الله رب العالمين (وقال) صاحب تحفة الالباب ركبت في سفينة مع جماعة فدخلنا الى مجمع البحرين فخرجت سمكة عظيمة مثل الجبل العظيم فصاحت صيحة عظيمة لم أسمع قط أهول منها ولا أقوى فكاد قلبي ينخلع وسقطت على وجهي أنا وغيري ثم ألقت السمكة نفسها في البحر فاضطرب البحر اضطرابا شديدا وعظمت أمواجه وخفنا الغرق فنجانا الله تعالى بفضله وسمعت الملاحين يقولون هذه سمكة تعرف بالبغل قال ورأيت في البحر سمكة كالجبل العظيم ومن رأسها الى ذنبها عظام سود كأسنان المنشار كل عظم أطول من ذراعين وكان بيننا وبينها في البحر أكثر من فرسخ فسمعت الملاحين يقولون هذه السمكة تعرف بالمنشار اذا صادفت أسفل السفينة قصمتها نصفين ولقد سمعت أنا من يقول ان جماعة ركبوا سفينة في البحر فأرسوا على جزيرة فخرجوا الى تلك الجزيرة فغسلوا ثيابهم واستراحوا ثم أوقدوا نارا ليطبخوا فتحركت الجزيرة وطلبت البحر واذا بها سمكة فسبحان القادر على كل شيء لا إله إلا هو ولا معبود سواه وقيل إن في البحر سمكة تعرف بالمنارة لطولها يقال إنها تخرج من البحر إلى جانب السفينة فتلقي نفسها عليها فتحطمها وتهلك من فيها فاذا أحس بها أهل السفينة صاحوا وكبروا وضجوا وضربوا الطبول ونقروا الطسوت والسطول والاخشاب لانها اذا سمعت تلك الاصوات ربما صرفها الله تعالى عنهم بفضله ورحمته (وقال) الشيخ عبد الله صاحب تحفة الالباب كنت يوما في البحر على صخرة فاذا أنا بذنب حية صفراء منقطعة بسواد طولها مقدار باع فطلبت أن تقبض على رجلي فتباعدت عنها فاخرجت رأسها كأنه رأس أرنب من تحت تلك الصخرة فسللت خنجرا

ولو أن رسالة القوس مشتملة بكمالها على إصابة الغرض لأثبتها هنا ولكن جمع في نظم عقدها بين الجوهر والعرض وبراعة استهلالها غاية لاتدرك (وهي) ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببا فأتبع سببا (ومن غاياتها بعد ذلك قوله منها صورة مركبة ليس لها من تركيب النظم) إلا ما حملت ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم (وممن أصاب الغرض بألغازه في القوس) الشهاب الاعزازي بقوله

ما عجوز كبيرة بلغت عمـ ـراً طويلا وتتقيها الرجال

قد أعلا جسمها صفار ولم تشـ ـك سقاما ولا عراها هزال

ولها في البنين سهم وقسم وبنوها كبار قدر نبال

(صفي الدين الحلي ملغزا فيه

وما اسم سراه في البروج وانما يحل به المريخ دون الكواكب

اذا قدر الباري عليه مصيبة عدته وحلت في صدور الكتائب

(الشيخ بدر الدين بن الصاحب) لله مملوك اذا ماقام في الشغل اعترض كبيرا

كبيراً كان معي فطعنت به رأسها فغار فيه فلم أقدر على خلاصه منها فامسكت نصابه بيدي جميعا وجعلت اجره حتى أصقتها بباب الجحر فتركت الجحر وخرجت من تحت الصخرة فاذا هي خمس حيات في رأس واحد فتعجبت من ذلك وسألت من كان هناك عن اسم هذه الحية فقال هذه تعرف بأم الحيات وذكروا أنها تقبض على الآدمي في الماء فتمسكه حتى يموت وتأكله وأنها تعظم حتي تكون كل حية أكثر من عشرين ذراعا وانها تقلب الزوارق وتأكل من قدرت عليه من أصحابها وأن جلدها أرق من جلد البصل ولا يؤثر فيها الحديد شيئا قال ورأيت مرة في البحر صخرة عليها شيء كثير من النارنج الأحمر الطري الذي كأنه قطع من شجره فقلت في نفسي هذا قد وقع من بعض السفن فذهبت اليه فقبضت منه نارنجة فاذا هي ملتصقة بالحجر فجذبتها فاذا هي حيوان يتحرك ويضرب في يدي فلففت يدي بكم ثوبي وقبضت عليه وعصرته فخرج من فيه مياه كثيرة وضمر فلم أقدر أن أقلعه من مكانه فتركته عجزا عنه وهو من عجائب خلق الله تعالى وليس له عين ولا جارحة الا الفم والله سبحانه وتعالى أعلم لأي شيء يصلح ذلك * قال ولقد رأيت يوما على جانب البحر عنقود عنب أسود كبير الحب أخضر العرجون كأنما قطف من كرمه فاخذته وكان ذلك في أيام الشتاء وليس في تلك الأرض التي كنت فيها عنب فرمت أن آكل منه فقبضت على حبة منه وجذبتها فلم أقدر أن أقلعها من العنقود حتى كأنها من الحديد قوة وصلابة فجذبتها جذبة أقوى من الأولى فانقشرت قشرة من تلك الحبة كقشر العنب وفي داخلها عجم كعجم العنب فسألت عن ذلك فقيل لي هذا من عنب البحر ورائحته كرائحة السمك وفي البحر أيضا حيوان رأسه يشبه رأس العجل وله أنياب كأنياب السباع وجلده له شعر كشعر العجل وله عنق وصدر وبطن وله رجلان كرجل الضفدع وليس له يدان يعرف بالسمك اليهودي وذلك أنه إذا غابت الشمس ليلة السبت يخرج من البحر ويلقي نفسه في البر ولا يتحرك ولا يأكل ولو قتل ولا يدخل البحر حتى تغيب الشمس ليلة الاحد فحينئذ يدخل البحر ولا تلحقه السفن لخفته وقوته وجلده يتخذ منه نعل لصاحب النقرس فلا يجد له ألما مادام ذلك الجلد عليه وهو من العجائب وقيل ان في بحر الروم سمكا طويلا طول السمكة مائة ذراع وأكثر ولها أنياب كانياب الفيل تؤخذ وتباع في بلاد الروم وتحمل الى سائر البلاد وهي أحسن وأقوى من أنياب الفيل واذا شق الناب منها يظهر فيه نقوش عجيبة ويسمونه الجوهر ويتخذون منه نصبا للسكاكين وهو مع قوته وحسن لونه ثقيل الوزن كالرصاص وفي البحر أيضا سمك يسمى الرعاد إذا دخل في شبكة فكل من جر تلك الشبكة أو وضع يده عليها أو على حبل من حبالها تأخذه الرعدة حتى لا يملك من نفسه شيئا كما يرعد صاحب الحمى فاذا رفع يده زالت عنه الرعدة فان أعادها عادت اليه الرعدة وهذا أيضا من العجائب فسبحان الله جلت قدرته وقال صاحب تحفة الالباب حدثني الشيخ أبو العباس الحجازي قال حدثني رجل يعرف بالهاروني من ولد هرون الرشيد أنه ركب سفينة في بحر الهند فرأى طاوسا قد خرج من البحر أحسن من طاوس البر وأجمل ألوانا قال فكبرنا لحسنه فجعل يسبح وينظر لنفسه وينشر أجنحته وينظر الى ذنبه ثم غاص في البحر وفي البحر دابة يقال لها الدرفين تنجي الغريق لانها تدنو منه حتى يضع يده على ظهرها فيستعين بالاتكاء عليها ويتعلق بها فتسبح به حتى ينجيه الله بقدرته فسبحان من دبر هذا التدبير اللطيف وأحكم هذه الحكمة البالغة وزعموا أن السمك يتجه نحو الغناء والصوت الحسن ويصبو لسماعه وربما قيل ان بعض الصيادين يحفرون في البحر حفائر ثم يجلسون فيضربون بالمعازف وآلات الطرب فيجتمع السمك ويقع في تلك الحفائر وقيل ان الدرفين وأنواع السمك إذا

لكنه في ساعة محصل تلك الغرض (ومن الغايات التي لاتدرك)

لغز قاضي القضاة صدر الدين ابن الآدمي رحمه الله تعالى في الكستوان

ما رفيق وصاحب لك تلقا
ه معينا على بلوغ المرام
هو للعين واضح وجلي
وتراه في غاية الابهام

(قلت ومن نظمي في القوس)

قوسي إذا جذبته يطربني
بحس عوده وتحريك الوتر
ونجم ذاك السهم ان فوقته
يرى له في طارة البدر أثر

(الشيخ جمال الدين ابن نباتة)

فديتك أيها الرامي بقوس
ولحظ يا ضنى قلبي عليه
لقوسك نحو حاجبك انجذاب
وشبه الشيء منجذب اليه

(قلت) لم يبق بعد وصف آلة الحرب وصف غير الخيول المسومة التي لابد لفحول كتاب الانشاء من الجولان في ميدان وصفها ومجرى السوابق الذي جمعته في هذا الباب قد تقدم في الجزء الاول من بلوغ المراد ولكن إذا كنت منشيء دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية

سمعت صوت الرعد هربت الى قعر البحر وقيل ان خيل البحر توجد بنيل مصر وهى صفة خيل البر وقيل إنها تأكل التماسيح وربما خرجت فرعت الزرع واذا رأى أهل مصر أثر حوافرها حكموا أن ماء النيل ينتهى فى طلوعه الى ذلك المكان وقيل إن فى البحر المحيط شيئا يتراءى كالحصون فيرتفع على وجه الماء ويظهر منه صور كثيرة ويغيب ومن عجيب ما حكى أن فيه جزيرة فيها ثلاث مدن عامرة وهى كثيرة الأمطار وأهلها يحصدون زرعها قبل جفافه لقلة طلوع الشمس عندهم ويجعلونه فى بيت ويوقدون حوله النيران حتى يجف وعجائبه لا تحصى ولا يمكن حصرها ويقال إن الاسكندر لما سار الى بحر الظلمات مر بجزيرة بها أمة رؤسهم مثل رؤس الكلاب يخرج من أفواههم مثل لهب النار وخرجوا الى مراكبه وحاربوه ثم تخلص منهم وسار فرأى صورا متلونة بألوان شتى وسمكا طوله مائة ذراع وأكثر وأقل فسبحان الله تعالى ما أكثر عجائب خلقه ويقال أنه مر فى بعض الجزائر على قصر مصنوع من البلور على قلعة محكمة البناء وحولها قناديل لا تطفأ ومن جزائر البحر جزيرة القمر يقال إن بها شجرا طول الشجرة مائتا ذراع ودور ساقها مائة وعشرون ذراعا وبها طوائف من السودان عرايا الابدان يلتحفون بورق الشجر وهو ورق يشبه ورق الموز لكنه أسمك وأعرض وأتم ويقال ان هذه الجزيرة بالقرب من نيل مصر وأن هذه الأمة التى بها يتمذهبون بمذهب الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه وهم فى غاية اللطافة من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وبالقرب منهم معدن الذهب والياقوت وبها الفيلة البيض وحيوانات مختلفة الاشكال من الوحوش وغيرها وبها العود القمارى والآبنوس والطواويس وبها مدن كثيرة ومنها جزيره الواق خلف جبل يقال له اصطفيون داخل البحر الجنوبى ويقال إن هذه الجزيرة كانت ملكتها امرأة وان بعض المسافرين وصل اليها ودخلها ورأى هذه الملكة وهى جالسة على سرير وعلى رأسها تاج من ذهب وحولها أربعمائة وصيفة كلهن أبكار وفى هذه الجزيرة من العجائب شجر يشبه شجر الجوز وخيار الشنبر ويحمل حملا كهيئة الانسان فاذا انتهى سمع له تصويت يفهم منه واق واق ثم يسقط وهذه الجزيرة كثيرة الذهب حتى قيل ان سلاسل خيلهم ومقاود كلابهم وأطواقها من الذهب ومنها جزيرة الصين يقال إن بها ثلثمائة مدينة ونيفا سوى القرى والاطراف وأبوابها اثنا عشر بابا وهى جبال فى البحر بين كل جبلين فرجة وهذه الجبال تمر بها المراكب مسيرة سبعة أيام واذا جاوزت السفينة الابواب سارت فى ماء عذب حتى تصل الى الموضع الذى تريده وفيها من الاودية والاشجار والانهار ما لا يمكن وصفه فتبارك الله رب العالمين وقيل ان الاسكندر لما فرغ من بناء سده حمد الله تعالى وأثنى عليه ثم نام واذا بحيوان عظيم صعد من البحر الى أن علا وسد الافق فظن من حول الملك أنه يريد ابتلاعهم ففزعوا فانتبه فقال ما لكم فقالوا الله أنظر ما حل بنا فقال ما كان الله ليأخذ نفسا قبل انقضاء أجلها وقد منعنى من العدو فلا يسلط على حيوانا من البحر قال فاذا بالحيوان قد دنا من الملك وقال أيها الملك أنا حيوان من هذا البحر وقد رأيت هذا السد بنى وخرب سبع مرات ولم يزد على ذلك ثم غاب فى البحر فتبارك من له هذا الملك العظيم لا اله الا هو العزيز الحكيم وقيل ان بجزيرة النسناس باليمن مدينة بين جبلين وليس لها ماء يدخل فيها الا من المطر وطولها نحو ستة فراسخ وهى حصينة ذات كروم ونخيل وأشجار وغير ذلك واذا أراد انسان الدخول فيها حثى فى وجهه التراب فان أبى الا الدخول خنق أو صرع وقيل انها معمورة بالجان وقيل بخلق من النسناس ويقال انهم من بقايا عاد الذين أهلكهم الله بالريح العقيم وكل واحد منهم شق انسان ونقل عن بعض المسافرين أنه قال بينما نحن سائرون اذ أقبل علينا الليل فبتنا بواد فلما أصبح الصباح سمعنا قائلا

المحروسة يتعين على أن اوردهنا لكتاب الانشاء من فقه هذا الفن مايحتاجون الى معرفته (قلت) السجع مأخوذ من سجع الحمام واختلف فيه هل يقال فى فواصل القرآن أسجاع أم لا فمنهم من منعه ومنهم من أجازه والذى منع تمسك بقوله تعالى كتاب فصلت آياته فقال قد سماه فواصل فليس لنا أن نتجاوز ذلك والسجع ينقسم الى أربعة أقسام المرصع والمطرف والمتوازى والمشطر (فالمرصع) عبارة عن مقابلة كل لفظة من صدر البيت أو فقرة النثر بلفظة على وزنها ورويها وهو مأخوذ من مقابلة العقد فى ترصيعه * ومن أمثلته الشريفة فى الكتاب العزيز ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم ومثله قوله تعالى ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم ومنه قول الحريرى فى المقامات يطبع الاسجاع بجواهر لفظه ويقرع الاسماع بزواجر وعظه (والمطرف) هو أن يأتى المتكلم فى آخر كلامه أو فى بعضه باسجاع غير متزنة بزنة عروضية ولا محصورة فى عدد معين بشرط أن يكون روى الاسجاع روى القافية كقوله تعالى مالكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا (وكقولهم) جنابه محط الرحال ومخيم الآمال

يقول

يقول من الشجرة ياأبا بجير الصبح قد أسفر والليل قد أدبر والقناص قد حضر فالحذر الحذر قال فلما ارتفع النهار أرسلنا كلبين كانا معنا نحو الشجرة فسمعت صوتا يقول ناشدتك قال فقلت لرفيقي دعهما قال ولما وتقامنا نزلا هار بين فتبعها الكلبان وجدا في الجرى فامسكا شخصا منهما قال فادركناه وهو يقول

الويل لى مما به دهاني * دهرى من الهموم والاحزان

قفا قليلا أيها الكلبان * إلى متى إلى تجريان

قال فأخذناه ورجعنا فذبحه رفيقي وسواه فعفته ولم آكل منه شيئا فتبارك الله ما أكثر عجائب خلقه لا إله إلا هو ولا معبود سواه

﴿الفصل الثانى فى ذكر الانهار والآبار والعيون﴾ قال الله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الأرض قال المفسرون هو المطر ومعنى سلكه أدخله فى الارض وجعله عيونا ومسايل ومجارى كالعروق فى الجسد فمن الانهار ما هو من الامطار المجتمعة ولهذا ينقطع عند فراغ مادته ومنها ما ينبع من الارض وأطول ما يكون من الانهار ألف فرسخ وأقصره عشرة فراسخ الى اثنين وثلاثة و بين ذلك وكلها تبتدىء من الجبال و تنتهى الى البحار والبطائح وفى ممرها تسقى المدن والقرى وما فضل منها ينصب فى البحر الملح و يختلط به ولا يمكن استيفاء عددها لكننا نشير الى بعضها فنقول ﴿النيل المبارك﴾ ليس فى الأنهار أطول منه لانه مسيرة شهرين فى بلاد الاسلام وشهرين فى بلاد النوبة وأربعة فى الخراب وقيل ان مسافته من منبعه الى أن ينصب فى البحر الرومى ألف وسبعمائة فرسخ وثمانية وأربعون فرسخا قال ذلك صاحب مباهج الفكر ومناهج العبر * واختلف فى زيادته فقيل ان الأنهار والعيون تمده فى الوقت الذى يريده الله تعالى وفى الحديث أنه من أنهار الجنة وقال أهل الأثر إن الانهار التى من الجنة تخرج من أصل واحد من قبة فى أرض الذهب ثم تمر بالبحر المحيط وتشق فيه قالوا ولولا ذلك لكانت أحلى من العسل وأطيب رائحة من الكافور ﴿نهر الفرات﴾ يوجد بأرض ارمينية فضائله كثيرة والنيل أصدق حلاوة منه و به من السمك الأبيض ما تكون الواحدة قنطاراً بالدمشقى وطول هذا النهر من حين يخرج من عند ملطية إلى أن يأتى الى بغداد ستمائة وثلاثون فرسخا وفى وسطه مدن وجزائر تعد من أعمال الفرات ﴿جيحون﴾ نهر عظيم تتصل به انهار كثيرة و يمر على مدن كثيرة حتى يصل الى خوارزم ولا ينتفع به شىء من البلاد سوى خوارزم لانها متسفلة عنه ثم ينصب فى بحيرة بينها و بين خوارزم ستة أيام وهو يجمد فى الشتاء خمسة أشهر والماء يجرى من تحت الجمد فيحفر أهل خوارزم منه لهم أماكن ليستقوا منها واذا اشتد جموده مروا عليه بالقوافل والعجل المحملة ولا يبقى بينه و بين الارض فرق و يعلوه التراب و يبقى على ذلك شهرين ﴿سيحون﴾ نهر عظيم قيل ان مبدأه من حدود الترك و يجرى حتى يتصل ببلاد الفرغانة وربما يجتمع مع جيحون فى بعض الاماكن ﴿الدجلة﴾ نهر بغداد وله أسماء غير ذلك وماؤه أعذب المياه بعد النيل وأكثرها نفعا قيل مقداره ثلثمائة فرسخ ... بعض الأوقات يفيض حتى قيل انه يخشى على بغداد الغرق منه وهو نهر مبارك كثيرا ما ينجو غريقه ﴿حكى﴾ انه وجد به غريق فيه الروح فلما أفاق سألوه عن حاله فاخبرهم أنه لما غلب على نفسه رأى كأن احداً يحمله و يصعد به وروى فى الأثر أن الله تعالى أمر دانيال عليه الصلاة والسلام أن يحفر لعباده ما يستقون منه و ينتفعون به فكان كلما مر بأرض ناشده أهلها أن يحفر ذلك عندهم الى أن حفر دجلة والفرات * وأما الانهار الصغار فكثيرة ولكننا

(ومن أمثلته الشعرية قول ابى تمام) تحلى به رشدى وأثرت به يدى وفاض به ثمدى وأورى به زندى (الثالث المتوازى) وهو ان تتفق اللفظة الاخيرة من القرينة مع نظيرتها فى الوزن والروى كقوله تعالى فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة (ومنه) قول النبى صلى الله عليه وسلم اللهم أعط منفقا خلفا وأعط ممسكا تلفا (ومنه) قول الحريرى فى المقامات وأودى بى الناطق والصامت ورثى لى الحاسد والشامت انتهى (القسم الرابع) السجع المشطر وهو أن يكون لكل نصف من البيت قافيتان مغايرتان لقافيتى النصف الآخر ولكن هذا القسم مختص بالنظم كقول أبى تمام يمدح أمير المؤمنين المعتصم رحمهما الله تعالى

تدبير معتصم بالله منتقم * لله مرتقب فى الله مرتغب

انتهى باب السجع قلت وقالت علماء هذا الفن ان قصر الفقرات فى الانشاء يدل على قوة المنشى وأقل ما تكون من كلمتين كقوله تعالى ياأيها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر وأمثال ذلك كثيرة فى الكتاب العزيز لكن الزائد على ذلك هو الاكثر (وكان) بديع الزمان يكثر من ذلك كقوله كميت نهد كان راكبه فى مهد يلطم الارض بزبر وينزل من السماء بخبر لكن قالوا التذاذ السامع بما زاد على ذلك أكثر

تذكر منها طرفا فنقول ﴿ نهر حصن المهدى ﴾ قال صاحب تحفة الالباب انه بين البصرة والاهواز وأنه يرتفع منه فى بعض الاوقات شىء يشبه صورة الفيل ولا يعرف أحد شأنه ﴿ نهر أذربيجان ﴾ قيل ان بالقرب منه نهرا يجرى فيه الماء سنة ثم ينقطع ثمان سنين ثم يعود فى التاسعة وقيل انه ينعقد حجرا و يستعمل منه اللبن و يبنى به وقيل ان فى تلك الارض بحيرة تجف فلا يوجد فيها ماء ولا سمك ولا طين سبع سنين ثم يعود الماء والسمك والطين فتبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير * (نهر صقلاب) * يجرى فيه الماء يوما واحدا فى كل أسبوع ثم ينقطع ستة أيام * (نهر العاصى) * بأرض حماة وقيل بحمص وهو نهر معروف وفيه يقول بعضهم

مدينة حمص كعبة القصف أصبحت * يطوف بها الدانى و يسعى لها القاصى
بها روضة من حسنها سندسية * تعلق فى أكناف أذيالها العاصى

﴿ نهر العمود ﴾ بأرض الهند عليه شجرة نابتة من حديد وقيل من نحاس وتحتها عمود من نحاس وقيل من حديد طوله من فوق الماء نحو عشرة أذرع وعرضه ذراع وعلى رأسه ثلاث شعب مسنونة محدودة وعنده رجل يقرأ كتاب الله تعالى و يقول ياعظيم البركة طوبى لمن صعد هذه الشجرة وألقى بنفسه على هذا العمود فيدخل الجنة وقال أهل تلك الناحية من يريد ذلك فيصعد على تلك الشجرة و يلقى نفسه فيتقطع (نهر باليمن) قال صاحب تحفة الالباب انه عند طلوع الشمس يجرى من المشرق الى المغرب وعند غروبها يجرى من المغرب الى المشرق (نهر ببلاد الحبشة والسودان) يجرى إلى المشرق يشبه النيل فى زيادته ونقصانه وأرضه بها الخصب والبركة و بها شجر كالاراك يحمل ثمرا كالبطيخ داخله شىء يشبه القند فى الحلاوة ولكن فيه بعض حموضة وهذا النهر يجرى فى بلادهم ثمانية أشهر ثم ينصب فى البحر المحيط فسبحان من دبر هذا التدبير وأحكم هذه الصنعة لا إله إلا هو الحكيم الخبير

الفصل الثالث فى ذكر الآبار قال مجاهد كنت أحب أن أرى كل شىء غريب فسمعت أن ببابل بئر هاروت وماروت فسرت اليها فلما وصلت الى ذلك المكان وجدت عنده بيوتا فدخلت فى بعضها فوجدت شخصا فسلمت عليه فرحب بى وسألنى عن حاجتى فذكرت له غرضى فأمر يهوديا يذهب معى فيوقفنى على البئر و يطلعنى على الملكين قال فسرنا الى البئر ففتح سردابا ونزلنا فأمرنى أن لا أذكر اسم الله تعالى قال فلما رأيت الملكين رأيت شيئا كالجبلين العظيمين منكسين على رؤسهما وعليهما الحديد من أعناقهما الى ركبهما قال مجاهد فلما رأيت ذلك ذكرت الله تعالى قال فاضطرب اضطرابا شديدا حتى كادا يقطعان السلاسل قال ففر اليهودى فتعلقت به فقال أما أمرتك أن لا تذكر اسم الله تعالى كدنا والله نهلك ﴿ بئر برهوت ﴾ بقرب حضرموت وهى التى قال النبى ﷺ انها مجمع أرواح الكفار قال على كرم الله وجهه أبغض البقاع الى الله تعالى بئر برهوت ماؤها أسود منتن تأوى اليها أرواح الكفار والموكل بها ملك يسمى دومة ﴿ بئر عسفان ﴾ ماؤها يستشفى به قيل ان النبى ﷺ تفل فيها قالت أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما كنا نغسل المريض منها فيعافى وقيل ان النبى ﷺ توضأ منها ﴿ بئر معروفة بأرض حلب ﴾ خاصيتها أنها اذا شرب منها المكلوب زال كلبه مالم يجاوز الأربعين و بنيسابور آبار كثيرة وهى معادن الفيروزج وانما يمنع الناس عنها كثرة عقاربها * و بأرض فارس بئر ينبع منها ماء فى وقت من السنة فيرتفع على وجه الأرض لحظة واحدة ويجرى فينتفع به فى سقى الزرع ثم يعود الى ماكان وعجائب الله كثيرة لا تكاد تنحصر لا إله إلا هو ولا معبود سواه

لشوقه الى مايرد منه متزايدا على سمعه انتهى (وأما الفقر المختلفة) فالاحسن أن تكون الثانية أزيد من الاولى بقدر غير كثير لئلا يبعد على السامع وجود القافية فتذهب اللذة فان زادت القرائن على اثنتين فلا يضر تساوى القرينتين الاوليين وزيادة الثالثة عليهما وان زادت الثانية على الاولى يسيرا والثالثة على الثانية فلا بأس ولكن لايكون أكثر من المثل مثاله فى القرينتين قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا فالثانية أطول من الاولى (ومثاله) فى الثالثة قوله تعالى وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا (ومن فوائد الانشاء) أن تكون كل فاصلة مخالفة لنظيرتها فى المعنى لان اللفظ اذا كان من القرينة بمعنى نظيره من الاخرى لم يحسن كقول الصاحب بن عباد فى وصف منهزمين طاروا واقين بظهورهم صدورهم و بأصلابهم نحورهم فالظهور بمعنى الاصلاب والصدور بمعنى النحور (ومنه) وقول الصابىء يسافر رأيه وهو دان لايبرح و يسير وهو باق لاينزح فلايبرح ولاينزح

﴿الباب السادس والستون فى ذكر عجائب الأرض وما فيها من الجبال والبلدان وغرائب البنيان وفيه فصول﴾

﴿الفصل الأول فى ذكر الأرض ومافيها من العمران والخراب﴾ روى وهب بن منبه رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان لله تعالى ثمانية عشر ألف عالم الدنيا منها عالم واحد وما العمران فى الخراب إلا كخردلة فى كف أحدكم وقال رواة الأثر ان لله عزوجل دابة فى مرج من مروجه فى غامض علمه رزقها فى كل يوم بقدر رزق العالم بأسره وجميع مدائن الدنيا أربعة آلاف مدينة وخمسمائة وست وخمسون مدينة وقيل غير ذلك * وأقاليم الأرض سبعة الاقليم الاول الهند الثانى الحجاز الثالث اقليم مصر الرابع اقليم بابل الخامس اقليم الروم والشام السادس اقليم الترك السابع اقليم الصين وأوسط الاقاليم اقليم بابل وهو أعمرها وفيه جزيرة العرب وفيه العراق الذى هو سرة الدنيا وبغداد فى وسط هذا الاقليم فلاعتداله اعتدلت ألوان أهله فسلموا من شقرة الروم وسواد الحبشة وغلظ الترك وجفاء أهل الجبال ودمامة أهل الصين * والممالك المشهورة التى ضبطت عدتها فى زمن المأمون ثلثمائة وثلاث وأربعون مملكة أوسعها ثلاثة أشهر وأضيقها ثلاثة أيام وقال أهل الهيئة انه يكون عند خط الاستواء ربيعان وصيفان وخريفان وشتاآن فى سنة واحدة وأنه يكون فى بعض البلاد ستة أشهر ليل وستة أشهر نهار وبعضها حر وبعضها برد فسبحان من خلق كل شىء فأتقنه لا اله إلا هو ولا معبود سواه

﴿الفصل الثانى فى ذكر الجبال﴾ قيل إن الله تعالى لما خلق الارض ماجت واضطربت فخلق الجبال وأرساها بها فاستقرت ومجموع ماعرف بالاقاليم السبعة من الجبال مائة وثمانية وتسعون جبلا فمنها ماطوله عشرون فرسخا ومنها ماطوله مائة فرسخ الى ألف فرسخ * ولنذكر منها ماهو مشهور معروف بين الناس (فمن أعجبها جبل سرنديب) وطوله مائتان ونيف وستون ميلا وفيه أثر قدم آدم عليه الصلاة والسلام حين أهبط وحوله الياقوت وفى أوديته الماس الذى يقطع به الصخور ويثقب به اللؤلؤ وفيه العود والفلفل ودابة المسك ودابة الزباد (جبل الروم) الذى فيه السد طوله سبعمائة فرسخ وينتهى الى بحر الظلمات (جبل أبى قبيس) سمى بذلك لان آدم عليه الصلاة والسلام كناه بذلك حين اقتبس منه النار التى بين أيدى الناس وقيل غير ذلك (جبل القدس) جبل شريف مبارك فيه غار يضىء بالليل من غير سراج ويزوره الناس (جبل أروند بهمذان) برأسه عين تخرج من صخرة أياما معدودة فى السنة تقصد من كل وجه يستشفى بها (جبل بالشام) لونه أسود كالفحم وترابه أبيض تبيض به الثياب (جبل الاندلس) فيه غار إذا دهنت فتيلة وأدخلتها فيه أوقدت وبها جبل به عينان احداها باردة والاخرى حارة والمسافة التى بينهما مقدار شبر وجبل به معدن الكبريت والزئبق والزنجفر (جبل سمرقند) يقطر منه ماء فى الصيف يصير جلمداً وفى الشتاء يحرق من حرارته (جبل الصور) بكرمان يكسر حجره فيخرج منه كصور الآدميين قائمين وقاعدين ومضطجعين واذا سحق وطرح فى الماء يرى كذلك (جبل الارجان) بطبرستان يقطر منه ماء كل قطرة تصير حجرا مسدسا أو مثمنا (جبل هرمز) ينزل منه ماء الى وهدة فان صاح انسان صيحة وقف فان سكت جرى (جبل الطير) باقليم الصعيد يجتمع عنده الطير فى كل سنة مرة ويدخل فى كوة هناك فتمسك الكوة على واحدة وتطير البقية ويكون ذلك علامة الخصب فى تلك السنة ولنقتصر على ذلك ومن أراد الوقوف على جميعها فعليه بتاريخ مرآة الزمان

﴿الفصل الثالث فى ذكر المبانى العظيمه وغرائبها وعجائبها﴾ قال أهل التواريخ ونقلة الاخبار ان أول بناء بنى على وجه الارض الصرح الذى بناه نمروذ الاكبر بن كوش بن حام بن نوح عليه الصلاة

بمعنى واحد ويسافر ويسير كذلك (ومن فوائد الانشاء) التى يتسع فيها المجال على المنشىء أن السجع مبنى على الوقف وكلمات الاسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الاعجاز موقوفا عليها لأن الغرض أن يجانس المنشىء بين القرائن ويزاوج ولا يتم له ذلك إلا بالوقف إذ لو ظهر الاعراب لفات ذلك الغرض وضاق المجال على قاصده فان قافية السجعة اذا كانت فى محل نصب وأختها فى محل رفع ساوى بينهما السكون وصار الاعراب مستترا فلو أثبتوا الاعراب فى قول من قال ما أبعد مافات وما أقرب ماهو آت للزم أن تكون التاء الأولى مفتوحة والثانية مكسورة منونة فيفوت غرض المنشىء (ومن ذلك) أن السجع مبنى على التغيير فيجوز أن يغير لفظ القافية الفاصلة لتوافق اختها فيجوز فيها حالة الازدواج مالا يجوز فيها حالة الانفراد (فمن ذلك) الامالة فقد يكون فى الفواصل ماهو من ذوات الياء وما هو من ذوات الواو فتمال التى هى من ذوات الواو وتكتب بالياء حملا على ماهو من ذوات الياء لأجل الموافقة كقوله تعالى والضحى فالضحى أميلت وكتبت بالياء حملا على مافى السورة الشريفة من ذوات الياء لاجل الموافقة (وكذلك) سورة والشمس وضحاها

والسلام وبقعته بكوثى من أرض بابل وبه الى عصرنا أثر ذلك البناء كأنه جبال شاهقات قالوا وكان
طوله خمسة آلاف ذراع بناه بالحجارة والرصاص والشمع واللبان ليمتنع هو وقومه من طوفان ثان
فأخرب الله تعالى ذلك الصرح فى ليلة واحدة بصيحة فتبلبلت بها ألسنة الناس فسميت أرض بابل
(إرم ذات العماد) التى لم يخلق مثلها فى البلاد (حكى) الشعبى فى كتاب سير الملوك أن شداد بن عاد
ملك جميع الدنيا وكان قومه قوم عاد الاولى زادهم الله بسطة فى الأجسام وقوة حتى قالوا من أشد
مناقوة قال الله تعالى أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وأن الله تعالى بعث إليهم هوداً
نبيا عليه الصلاة والسلام فدعاهم الى الله تعالى فقال له شداد ان آمنت إلهك فماذا لى عنده قال يعطيك
فى الآخرة جنة مبنية من ذهب ويواقيت ولؤلؤ وجميع أنواع الجواهر قال شداد أنا ابنى مثل هذه
الجنة ولا أحتاج الى ماتعدنى به فقال فأمر شداد ألف أمير من جبابرة قوم عاد أن يخرجوا ويطلبوا
أرضا واسعة كثيرة الماء طيبة الهواء بعيدة من الجبال ليبنى فيها مدينة من ذهب قال فخرج أولئك
الامراء ومع كل أمير ألف رجل من خدمه وحشمه فساروا فى الارض حتى وصلوا إلى جبل عدن
فرأوا هناك أرضا واسعة طيبة الهواء فأعجبتهم تلك الأرض فأمروا المهندسين والبنائين فخطوا مدينة
مربعة الجوانب دورها أربعون فرسخا من كل جهة عشرة فراسخ فحفروا الأساس الى الماء وبنوا الجدران
بحجارة الجزع اليمانى حتى ظهر على وجه الارض ثم أحاطوا به سوارا ارتفاعه خمسمائة ذراع وغشوه
بصفائح الفضة المموهة بالذهب فلا يكاد يدركه البصر اذا أشرقت الشمس وكان شداد قد بعث إلى
جميع معادن الدنيا فاستخرج منها الذهب واتخذه لبنا ولم يترك فى يد أحد من الناس فى جميع الدنيا
شيئا من الذهب الا غصبه واستخرج الكنوز المدفونة ثم بنى داخل المدينة مائة ألف قصر بعدد
رؤساء مملكته كل قصر على عمد من أنواع الزبرجد واليواقيت معقودة بالذهب طول كل عمود مائة
ذراع وأجرى فى وسطها أنهارا وعمل منها جداول لتلك القصور والمنازل وجعل حصاها من الذهب
والجواهر واليواقيت وحلى قصورها بصفائح الذهب والفضة وجعل على حافات الانهار أنواع
الاشجار جذوعها من الذهب وأوراقها وثمرها من أنواع الزبرجد واليواقيت واللآلىء وطلى حيطانها
بالمسك والعنبر وجعل فيها جنة مزخرفة له وجعل أشجارها الزمرذ واليواقيت وسائر أنواع المعادن
ونصب عليها أنواع الطيور المسموعة الصادح والمغرد وغير ذلك ثم بنى حول المدينة مائة ألف منارة
برسم الحراس الذين يحرسون المدينة فلما كمل بناؤها أمر فى مشارق الارض ومغاربها أن يتخذوا فى
البلاد بسطا وستورا وفرشا من أنواع الحرير لتلك القصور والغرف وأمر باتخاذ أوانى الذهب
والفضة فاتخذوا جميع ما أمر به فلما فرغوا من ذلك جميعه خرج شداد من حضرموت فى أهل مملكته
وقصد مدينة إرم ذات العماد فلما أشرف عليها ورآها قال قد وصلت الى ما كان هود يعدنى به
بعد الموت وقد حصلت عليه فى الدنيا فلما أراد دخولها أمر الله تعالى ملكا فصاح بهم صيحة
الغضب وقبض ملك الموت أرواحهم فى طرفة عين فخروا على وجوههم صرعى قال الله تعالى وأنه
أهلك عاداً الاولى وذلك قبل هلاك عاد بالريح العقيم وأخفى الله تعالى تلك المدينة عن أعين
الناس فكانوا يرون بالليل فى تلك البرية التى بنيت فيها معادن الذهب والفضة واليواقيت تضىء
كالمصابيح فاذا وصلوا إليها لم يجدوا هناك شيئا * وقد نقل أن رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ
يقال له عبد الله بن قلابة الانصارى دخل اليها وذلك أنه ضلت له ابل فخرج فى طلبها فوصل إليها فلما
رآها دهش وبهت ورأى ماأذهله وحيره وقال فى نفسه هذه تشبه الجنة التى وعد الله بها عباده
المتقين فى الآخرة فقصد بابا من أبوابها فلما وصل إليه أناخ راحلته ودخل المدينة فرأى تلك

القصور

اميلت فيها ذوات الواو وكتبت بالياء حملا على مافيها من ذوات الياء (ومن) ذلك حذف المفعول نحو قوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى الاصل وماقلاك ولكن حذفت الكاف لتوافق الفواصل (ومن ذلك) صرف مالا ينصرف كقوله تعالى قواريراً صرفه بعض القراء السبعة ليوافق فواصل السورة الشريفة ولو تتبع المتأمل ذلك فى الكتاب العزيز لوجده كثيرا (ومما) جاء من ذلك فى الحديث قوله صلى الله عليه وسلم أعيذه من الهامة والسامة ومن كل عين لامة الأصل عين ملمة (ومنه) قوله صلى الله عليه وسلم مأزورات غير مأجورات الاصل موزورات بالواو لانه من الوزر ولكن همز ليوافق مأجورات (ومنه) قوله صلى الله عليه وسلم دعوا الحبشة ماودعوكم واتركوا الترك ماتركوكم الاصل ماوادعوكم ولكن حذفت الالف لتحصل الموافقة (قلت) وهذا نوع من المشاكلة لان المشاكلة فى اللغة هى المماثلة وهى فى المصطلح ذكر الشىء بغير لفظه لموافقة القرائن ومشاكلتها كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فالجزاء عن السيئة فى الحقيقة غير سيئة والاصل وجزاء سيئة عقوبة (ومنه قوله تعالى) تعلم مافى نفسى ولا أعلم

القصور والأنهار والاشجار ولم ير فى المدينة أحدا فقال ارجع الى معاوية وأخبره بهذه المدينة وما فيها ثم حمل معه شيئا من تلك الجواهر واليواقيت فى وعاء وجعله على راحلته وعلم على المدينة علامة وقال قربها من جبل عدن كذا ومن الجهة الفلانية كذا ثم انصرف عنها بعدما ظفر بابله ثم دخل على معاوية رضى الله تعالى عنه بدمشق وأخبره بجميع مارآه فقال له معاوية فى اليقظة رأيتها أم فى المنام قال بل فى اليقظة وقد حملت معى من حصبائها وأخرج له شيئا مما حمله من الجواهر واليواقيت فتعجب معاوية من ذلك ثم أرسل إلى كعب الأحبار رضى الله تعالى عنه فلما دخل عليه قال له معاوية ياأبا اسحق هل بلغك أن الدنيا مدينة من ذهب قال نعم ياأمير المؤمنين وقد ذكرها الله عز وجل فى القرآن لنبيه ﷺ بقوله عز من قائل ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد وقد أخفاها الله تعالى عن أعين الناس وسيدخلها رجل من هذه الأمة يقال له عبدالله بن قلابة الأنصارى ثم التفت فرأى عبدالله بن قلابة فقال هاهو ياأمير المؤمنين وصفته واسمه فى التوراة ولايدخلها أحد بعده إلى يوم القيامة وقيل اذ ذلك كان فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وأن الرجل الذى دخلها حكى ذلك لعمر بن الخطاب فلم ينكره ولا من كان حاضرا بل قال إن النبى ﷺ قال يدخلها بعض أمتى والله سبحانه وتعالى أعلم ﴿ ومن المبانى العجيبة الخورنق ﴾ الذى بناه النعمان بن امرىء القيس وهو النعمان الأكبر بناه فى عشرين سنة فلما انتهى أعجبه فخشى أن يبنى لغيره مثله فأمر أن يلقى بانيه من أعلاه فألقوه فتقطع واسم بانيه سنمار فصارت العرب تضرب به المثل جزاه جزاء سنمار قال الشاعر

جازى بنوه أبا الغيلان عن كبر * وحسن فعل كما يجزى سنمار

﴿ ومن المبانى العجيبة حائط العجوز ﴾ واسمها دلوك القبطية وسبب بنائها لذلك أنها ولدت ولدا فأخذت له الرصد فقيل لها يخشى عليه من التمساح فلما شب الغلام خافت عليه فبنت الحائط وجعلته من العريش إلى أسوان شاملا لكورة مصر من الجانب الشرقى وقيل بنته خوفا على مصر وأهلها بعد غرق فرعون أن يطمع الملوك فيها وقد قيل إنها أرادت أن تخوف ولدها من التمساح حتى لا ينزل البحر فصورت له صورة التمساح فرآه شكلا مهولا فأذهله وأخذه الفزع والهم فضعف واسترسل الى أن مات لامفر من قضاء الله تعالى ﴿ ومن المبانى العجيبة الأهرام ﴾ وهى بالجانب الغربى من مصر مشاهدة فى زماننا هذا قيل ان دور الهرم الاكبر من الثلاثة ألفا ذراع من كل جهة خمسمائة ذراع وعلوه خمسمائة ذراع وقد ذهب المأمون الى مصر حتى شاهدها على ماذكر وفتح منها هرما وتعجب من بنيانها وصفتها قيل ان كل حجر من حجارتها ثلاثون ذراعا فى عرض عشرة أذرع وقد أحكم إلصاقه ونحته وتسويته ولا يقدر النجار الصانع أن يتخذ من خشب صندوقا صغيرا على إحكامه وهى من عجائب الدنيا قال بعضهم

أين الذى الهرمان من بنيانه * ما قومه ما يومه ما المصرع
تتخلف الآثار عن سكانها * حينا ويدركها الفناء فتصرع

وزعم قوم أن الا[illegible]م الموجودة بمصر قبور لملوك عظام أرادوا أن يتميزوا بها عن الناس بعد مماتهم كما تميزوا عنهم فى حياتهم ورجوا أن يبقى ذكرهم بسببها على تطاول الدهور وتراخى العصور * ولما وصل المأمون إلى مصر أمر بنقبها فنقب أحدها بعد جهد شديد وعناء طويل فوجد داخله مزاليق ومهاوى يهول أمرها ويعسر السلوك فيها ووجد فى أعلاه بيت وفى وسطه حوض من رخام مطبق فلما كشف غطاؤه لم يوجد فيه إلا رمة بالية فعند ذلك أمر المأمون

مافى نفسك والأصل تعلم مافى نفسى ولا أعلم ماعندك لان الحق تعالى وتقدس لا تستعمل لفظة النفس فى حقه إلا أنها استعملت هنا للآلة والمشاكلة كما تقدم (ومنه قوله تعالى) ومكروا ومكر الله والأصل وأخذهم الله (وفى الحديث) قوله صلى الله عليه وسلم فان الله لا يمل حتى تملوا الأصل فان الله لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا من مسئلته فوضع لا يمل موضع لا يقطع لأجل المشاكلة وهو مما وقع فيه لفظ المشاكلة أولا (ومنه قول الشاعر) قالوا اقترح شيئا نجدلك طبخه

قلت اطبخوا لى جبة وقميصا

أراد خيطوا لى جبة وقميصا وذكره بلفظ اطبخوا لوقوعه فى صحبة طبخه انتهى (قلت) ومن غايات الانشاء البلاغة فى المقاصد والبلاغة هى أن يبلغ المتكلم بعبارته كنه مراده مع ايجاز بلا إخلال واطالة من غير إملال (والفصاحه) خلوص الكلام من التعقيد وقيل البلاغة فى المعانى والفصاحة فى الألفاظ يقال معنى بليغ ولفظ فصيح والفصاحة خاصة تقع فى المفرد يقال كلمة فصيحة ولا يقال كلمة بليغة ففصاحة المفرد خلوصه من التعقيد وتنافر الحروف والفصاحة أعم من البلاغة لان الفصاحة تكون صفة الكلمة والكلام يقال كلمة فصيحة وكلام فصيح والبلاغة لا يوصف بها إلا الكلام فيقال كلام بليغ ولا يقال

بالكف عما سواه ويقال ان الذى بناها اسمه سوريد بن سهراق بن سرياق لرؤيا رآها وهى
آفة تنزل من السماء وهى الطوفان فقالوا انه بناها فى ستة أشهر وقال قل لمن يأتى بعدنا
يهدمها فى ستمائة سنة والهدم أيسر من البنيان وكسوناها الديباج الملون فليكسها حصرا والحصر
أهون من الديباج والامر فيها عجيب جدا والله سبحانه وتعالى أعلم (ومن المبانى العجيبة منارة
الاسكندرية) التى بناها ذو القرنين قيل انها كانت مبنية بحجارة مهندمة مغموسة فى الرصاص فيها نحو
من ثلثمائة بيت تصعد الدابة بحملها الى كل بيت وللبيوت طاقات تطل على البحر ويقال ان طولها كان
ألف ذراع وفى أعلاها تماثيل من نحاس منها تمثال رجل قد أشار بيده الى البحر فاذا صار العدو على
نحو ليلة منه سمع له تصويت يعلم به أهل المدينة مجىء العدو فيستعدون له ومنها تمثال كلما مضى من
الليل ساعة صوت صوتا مطربا ويقال انه كان بأعلاها مرآة من الحديد الصينى عرضها سبعة أذرع كانوا
يرون فيها المراكب بجزيرة قبرس وقيل كانوا يرون فيها من يخرج من البحر من جميع بلاد الروم فان
كانوا أعداء تركوهم حتى يقربوا من المدينة فاذا مالت الشمس للغروب أداروا المرآة مقابلة الشمس
واستقبلوا بها السفن فيقع شعاعها بضوء الشمس على السفن فتحترق فى البحر ويهلك كل من فيها
وكانت الروم تؤدى الخراج ليأمنوا بذلك من احراق السفن ولم تزل كذلك الى زمن الوليد بن عبد
الملك * قال المسعودى قيل ان ملكا من الروم تحيل على الوليد وأظهر أنه يريد الاسلام وأرسل
اليه تحفا وهدايا وأظهر له بواسطة حكماء كانوا عنده أن ببلاده دفائن وأرسل له بذلك قسيسين من
خواصه وأرسل معهم أموالا قيل انهم حفروا بقرب المنارة ودفنوا تلك الاموال وقالوا للوليد ان
تحت المنارة كنوزا لا تنفد وبازائها خبيئة بها كذا وكذا ألف دينار فأمرهم باستخراج ما بالقرب من
المنارة فان كان ذلك حقا استخرجوا ما تحت المنارة بعد هدمها فحفروا واستخرجوا ما دفنوه بأيديهم
فعند ذلك أمر الوليد بهدم المنارة واستخراج ما تحتها فهدموها فلم يجدوا تحتها شيئا وهرب أولئك
القسيسون فعلم الوليد أنها مكيدة عليه فندم على ذلك غاية الندم ثم أمر ببنائها بالآجر ولم يقدروا أن
يرفعوا اليها تلك الحجارة فلما أتموها نصبوا عليها المرآة كما كانت فصدئت ولم يروا فيها شيئا مثل
ما كانوا يرون أولا وبطل احراقها فندموا على ما فعلوا وفاتهم من جهلهم وطمعهم نفع عظيم ولا حول
ولا قوة الا بالله العلى العظيم * وقد عملت الجن لسليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فى
الاسكندرية مجلسا على أعمدة من الجزع اليمانى المصقول كالمرآة اذا نظر الانسان اليها يرى من يمشى
خلفه لصفائها وفى وسط ذلك المجلس عمود من الرخام طوله مائة وأحد عشر ذراعا وفى تلك الاعمدة
عمود واحد يتحرك شرقا وغربا بطلوع الشمس وغروبها يشاهد الناس ذلك ولا يعلمون ما سببه *
وفى مدينة حمص مدينة أخرى تحت المدينة المسكونة العليا فيها من عجائب البنيان والبيوت والغرف
والماء الجارى فى كل طريق من طرقها ما لا يعلمه الا الله تعالى * وعند حوران مدينة عظيمة يقال لها
اللجأة فيها من البنيان ما يعجز عن وصفه ألسنة العقلاء كل دار منها مبنية من الصخر المنحوت ليس
فى الدار خشبة واحدة بل أبوابها وغرفها وسقوفها وبيوتها من الصخر المنحوت الذى لا يستطيع
أحد أن يعمله من الخشب وفى كل دار بئر وطاحون وكل دار مفردة لا يلاصقها دار أخرى وكل
دار كالقلعة الحصينة اذا خاف أهل تلك النواحى من العدو دخلوا الى تلك المدينة فينزل كل انسان
فى دار بجميع عياله وخيله وغنمه وبقره ويغلق بابه ويجعل خلف الباب حصاة فلا يقدر أحد على
فتح ذلك الباب لاحكامه وفى هذه المدينة أكثر من مائتى ألف دار فيما يقال ولا يعلم أحد من بناها
وسمتها العرب اللجأة لانهم يلجئون اليها عند الخوف (ومن المبانى العجيبة ايوان كسرى أنوشروان)

بناه

كتبة بليغة واشتركا فى وصف المتكلم بهما فيقال متكلم فصيح بليغ (فن الانشاء البليغ الفصيح) قول عبد الحميد
عند ظهور الخراسانية
بشعار السواد فأثبتوا ريثما
تنجلى هذه الغمره وتصحو
من هذه السكره فسينضب
السيل وتمحى آية الليل
(ومثله) قول أبى نصر العتبى
دب الفشل فى تضاعيف
أحشائهم وسرى الوهن فى
تعاريق أعضائهم فجيوب
الافطار عنهم مزروره
وذيول الخذلان عليهم
مجروره (ومثله) قول
الصابىء نزغ به شيطانه
وامتدت فى الغى أشطانه
(ومثله) قول بديع
الزمان كتابى الى البحر
وان لم أره فقد سمعت
خبره والليث وان لم ألقه
فقد تصورت خلقه ومن
رأى من السيف أثره
فقد رأى أكثره (ومثله)
قول القاضى الفاضل
ووافينا قلعة نجم وهى
نجم فى سحاب وعقاب
فى عقاب وهامة لها
الغمام عمامه وأنملة اذا
خضبها الأصيل كان
الهلال لها قلامه (قلت)
ويعجبنى فى هذا الباب من
انشاء الشهاب محمود قوله
فى وصف مقدم سرية
كشف الازرار فى مقاصده
أخف من وطأة ضيف
وفى مطالبه أخفى من زورة
طيف وفى تنقله أسرع من
سحابة صيف وأروع للعدا
من سلة سيف (ومثله فى
الحسن قوله) فى صدر مثال شريف سلطانى أصدرناها والسيوف قد أنفت من الغمود ونفرت من قربها

بناه سابور ذو الأكتاف فى نيف وعشرين سنة وطوله مائة ذراع فى عرض خمسين بناه بالآجر والجص وجعل طول كل شرافة من شرافاته خمسة عشر ذراعا ولما ملك المسلمون المدائن أحرقوا هذا الايوان فاخرجوا منه ألف ألف دينار ذهبا (وحكى) أن المنصور لما أراد بناء بغداد عزم على هدمه وأن يجعل آلته فى بنائه فقيل له ان نقضه يتكلف بقدر العمارة فلم يسمع وهدم شرافة وحسب ما أنفق عليها فوجد الأمر كذلك وقيل ان بعض رؤساء مملكته قال له لما أراد هدمه هو آية الاسلام فلا تهدمه (وحكى) أنه كان بمدينة قيسارية كنيسة بها مرآة اذا اتهم الرجل امرأته بزنا نظر فى تلك المرآة فيرى صورة الزانى فاتفق أن بعض الناس قتل غريمه فعمد أهلها اليها فكسروها والله سبحانه وتعالى أعلم وقد اقتصرت من ذلك على هذا القدر اليسير وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب السابع والستون فى ذكر المعادن والاحجار وخواصها﴾

المعادن لا تكاد تحصى لكن منها ما يعرفه الناس ومنها ما لا يعرفونه وهى مقسومة الى ما يذوب والى ما لا يذوب والذى اشتهر بين الناس من المعادن سبعة وهى الذهب والفضة والنحاس والحديد والقصدير والاسرب والخارصينى ولنبدأ أولا بذكر الذهب فقيل طبعه حار لطيف ولشدة اختلاط أجزائه المائية بالترابية قيل ان النار لا تقدر على تفريق أجزائه فلا يحترق ولا يبلى ولا يصدأ وهو لين براق حلو الطعم أصفر اللون فالصفرة من ناريته واللينونة من دهنيته والبراقة من صفاء مائه * خواصه يقوى القلب ويدفع الصرع تعليقا ويمنع الفزع والخفقان ويقوى العين كحلا ويجلوها اذا كان ميلا ويحسن نظرها واذا ثقبت به الاذن لم تلتحم واذا كوى به لم ينفط ويبرأ سريعا وامساكه فى الفم يزيل البخر ﴿الفضة﴾ قريبة منه وتصدأ وتحترق وتبلى بالتراب واذا أصابتها رائحة الرصاص والزئبق تكسرت أو رائحة الكبريت اسودت ومن خواصها أنها تزيل البخر من الفم اذا وضعت فيه واذا أذيبت مع الزئبق وطلى بها البدن نفع ذلك من الحكة والجرب وعسر البول * (النحاس) * قريب منها لكنه أيبس وأغلظ فى الطبع ومن خواصه اذا صدىء وطلى بالحامض زال صدؤه والاكل فى آنيته يولد أمراضا لا دواء لها * (الحديد) * كثير الفائدة اذ ما من صنعة الا وله فيها مدخل (ومن خواصه) أنه يمنع غطيط النائم اذا علق عليه وحمله يقوى القلب ويزيل الخوف والافكار والاحلام الرديئة ويسر النفس وصدؤه ينفع أمراض العين كحلا والبواسير تحملا (القصدير) صنف من الفضة دخل عليه آفات من الارض (ومن خواصه) أنه اذا ألقى فى قدر لم ينضج ما فيها (الاسرب) هو الرصاص (ومن خواصه) أنه يكسر الماس ومن خواص الماس الدخول فى كل شىء واذا شد من الرصاص قطعة على الخنازير والغدد أبرأتها * (الخارصينى) * حجر لونه أسود يعطى حمرة ومن خواصه اذا عمل منه مرآة ونظر فيها فى الظلمة نفعت للقوة واذا نتف الشعر بملقاط منه لم ينبت

﴿الاحجار الجوهرية﴾ أصل الجوهر وهو الدر على ما قيل ان حيوانا يصعد من البحر على ساحله وقت المطر ويفتح أذنه يلتقط بها المطر ويضمها ويرجع الى البحر فينزل الى قراره ولا يزال طابقا أذنه على ما فيها خوفا أن يختلط بأجزاء البحر حتى ينضج ما فيها ويصير درا فان كانت القطرة صغيرة كانت الدرة صغيرة وان كانت كبيرة فكبيرة فان كان فى بطن هذا الحيوان شىء من الماء المر كانت الدرة كدرة وان لم يكن كانت صافية وقيل غير ذلك والدر نوعان كبير وصغير قيل انه تصل الواحدة الى مثقال (خواصه) أنه يفرح القلب ويبسط النفس ويحسن الوجه ويصفى دم القلب واذا خلط مع الكحل شد عصب العين ﴿الياقوت﴾ سيد الاحجار وأصول ألوانه أربعة الاحمر والاصفر والازرق والاسمانجونى

والاسنة قد ظمئت الى موارد القلوب وتشوقت الى الارتواء من قلبها والحماة ما منهم الا من استظهر بامكان قوته وقوة امكانه والابطال ليس فيهم من يسأل عن عدد عدوه بل عن مكانه (ومثله فى الحسن) ما كتب به جوابا عن مولانا السلطان الملك المؤيد سقى الله ثراه الى قرا يوسف ملك العراق يتضمن خطاب الايناس نظير ما خاطب فى مكاتبته (فمن) الجواب قولى وهذه ألفة خولتنا فى نعم الله وزمام الاخوة منقاد الينا وقد تعين على القران يقول أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا وقد سرتنا الاشارة الكريمة بالتمكن من أرض العدا ومطابقة الطول بالعرض وهذا الاسم قد شملته العناية قديما بقوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف فى الارض وأما قرا عثمان فقتل سيوفنا ما غمضت عنه فى أجفانها وأنامل أسنتنا ما ذكرت توبته الا شرعت فى جس عيدانها وجوارح سهامنا ما برحت تنفض ريش أجنحتها للطيران اليه وان كان معنى سافلا فلا بد لأجل القران نخيم عليه وينزل سلطان قهرنا بارضه ويغرس فيها عيدان المران وان كانت من الاسماء التى ما أنزل الله بها من سلطان ولم يهمل الا لاشتغال الدولتين بالدخول فى تطهير الأرض من الخوارج وايقاع

ويتولد منها ألوان كثيرة وأعدلها الأحمر الخالص الرماني الشبيه بحب الرمان الأحمر ودونه الأحمر المشرب ببياض ثم الوردي ثم الخمري ثم العصفري وأردؤه الأزرق الذي لونه يشبه زهر السوسن وأقله قيمة الابيض * خواصه أنه لا يعمل فيه الفولاذ ولا حجر الماس ولا تدنسه النار ويورث لابسه مهابة ووقارا ويسهل قضاء الحوائج ويدر الريق في الفم ويقطع العطش ويدفع السم ويقوي القلب وجميعه ينفع للمصروع تعليقا والابيض منه يبسط النفس ويوجد من الاصفر ما وزنه ثلاثون مثقالا على ماقيل (البلخش) هو مقارب للياقوت في القيمة ودونه في الشرف (ومن خواصه) أنه يورث قبض النفس وسوء الخلق والحزن وهو ألوان أحمر وأخضر وأصفر (البنقش) أصناف أحمر مفتوح اللون صاف وأحمر قوي الحمرة وأسود يعلوه حمرة مطوسة بزرقة خفيفة ثم أصفر مفتوح اللون (عين الهر) حجر يتكون من معدن الياقوت والغالب عليه البياض الناصع باشراق مفرط ومائيته رقيقة شفافة وفي مائيته سر اذا حرك يمينا تحركت يسارا وبالعكس (ومن خواصه) اذا علق على العين أمن عليها من الجدري على ماقيل (الماس) يوجد بواد الهند يقال انه مشحون بالحيات فيأتي من يريد استخراجه من ذلك الوادي فيضع في الوادي مرآة كبيرة فتأتي الحيات فتنظر الى خيالها في المرآة فتفر من ذلك الجانب فينزل فيأخذ ماله فيه رزق وقيل انهم ينحرون الجزر ويلقون لحمها في ذلك الوادي فيلتصق الماس وغيره باللحم فتأتي الطير فتختطف اللحم وتصعد به إلى الجبال فتأكل اللحم وتترك الحجر فيأخذه صاحب اللحم وقيل إن الحيات لها مشتى ستة أشهر في مكان ومصيف ستة أشهر في مكان آخر فاذا ذهبت الى مشتاها ومصيفها أخذ الحجر في غيبتها والله أعلم بصحة ذلك * ومن عجيب أمره أنه إذا أريد كسره جعل في أنبوبة قصب وضرب فانه يتفتت وكذا اذا جعل في شمع أو قار واذا جعل عليه دم تيس وقرب من النار ذاب (ومن خواصه) أن الملوك يتخذونه عندهم لشرفه وهو من السموم القاتلة القطعة الصغيرة منه إذا حصلت في الجوف ولو بقدر السمسمة خرقت الامعاء (ومن خواصه الجليلة) أنه يعرق عند وجود السم أو الطعام المسموم (الزمرذ) ويسمى الزبرجد وهو ألوان أخضر وزنجاري وصابوني ويكون الحجر منه خمسة مثاقيل وأقل (ومن خواصه) أنه يدفع العين ويفرح القلب ويقوي البصر ويصفي الذهن وينشط النفس (الفيروزج) نوعان اسحاقي وخلنجي وأجوده الاسحاقي الأزرق الصافي (خواصه) النظر فيه يجلو البصر ويقويه وينشط النفس ولا يصيب المتختم به آفة من قتل أو غرق وقال جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه ماافتقرت يد تختمت بفيروزج واذا مضى له بعد خروجه من معدنه عشرون سنة نقص لونه ولا يزال كذلك حتى ينطفىء (العقيق) معدن بأرض صنعاء اليمن وهو ألوان ويوجد عليه غشاوة ويحمى عليه ببعر الابل ثم يبرد ويكسر وقيل يوجد بالهند ولكن اليمن أجود (خواصه) التختم به وحمله يورث الحلم والاناة وتصويب الرأي ويسر النفس ويكسب حامله وقارا وحسن خلق ويسكن الحدة عند الخصومة قال رسول الله ﷺ من تختم بالعقيق لم يزل في بركة (الجزع) هو حجر أيضا يؤتى به من اليمن والصين وألوانه كثيرة والناس يكرهونه لأنه يورث الهم والاحلام الرديئة وسوء الخلق وتعسر قضاء الحوائج ويكثر بكاء الصبي وسيلان لعابه ويثقل اللسان إذا سحق وشرب ماؤه واذا وضع بين قوم لاعلم لهم به حصلت بينهم العداوة لكنه يسهل الولادة تعليقا (البلور) هو صنف من الزجاج يحكي أن ببلاد كيسان جبلين أحدهما بلور واذا أريد قطع البلور في ذلك الموضع قطع في الليل لانه في النهار يكون له شعاع عظيم (خواصه) النظر فيه يشرح القلب ويبسط النفس ويسكن وجع الضرس (المرجان) هو واسطة بين النبات

والمعدن

الضرب الداخل من جس العيدان في كل خارج ويدهمه من ابن أبي النصر أبناء حرب شرف في انساب الوقائع جدهم ورد الجموع الصحيحة الى التكسير فردهم واذا كثرت الخدود وتوردت بالدماء عذرت بورق الحديد الاخضر مردهم واذا امتدوا الى آمد تلالهم حصنها في سورة الفتح قبل القتال فانهم مريدون ولهم شيخ منحه الله بكثرة الفتوح والاقبال واذا صرفوا الهمم المؤيدية لم تكن حصونهم عند ذلك الصرف مانعة ولم يسمع لسكانها مجادلة إذا صدموا بالحديد وتلت حصونهم في الواقعة وما خفي عن كريم علمه ماجمعه الناصر من الجموع التي فرقها الله أيدي سبأ وكم سئل سائل وقد رآهم في النازعات عن ذلك العصر بالنبأ وقد أشار منشىء دولتنا الشريفة إلى ذلك في قصيد كامل بحره مديد والقصد هنا من أبيات ذلك القصيد قوله

ياحامي الحرمين والأقصى ومن
لولاه لم يسمر بمكة سامر
والله ان الله نحوك ناظر
هذا وماقي العالمين مناظر
زحف على المخبون نظم عسكرا
وأطاعه في النظم بحر وافر
فأنبت منه زحافه في وقعة
يامن بأحوال الوقائع شاعر
وجميع هاتيك البغاة بأسرهم

والمعدن لأنه بتشجره يشبه النبات و بتحجره يشبه المعدن ولا يزال لينا فى معدنه فاذا فارقه تحجر و يبس (خواصه) النظر فيه يشرح الصدر و يبسط النفس و يفرح القلب و يذهب بالداء المحتبس فى العين و يسكن الرمد وسحاقته المخلوطة بالخل تجلو قلح الأسنان واذا وضع على الجرح منعه من الانتفاخ وأنواعه كثيرة أحمر وأزرق وأبيض وأصله من البحر وقيل انه شجر ينبت وقيل انه من حيوانه (حجر الماطليس) هو حجر هندى لا يعمل فيه الحديد والبيت الذى يكون فيه لا يدخله السحر ولا الجن ولأجل ذلك كان الاسكندر يجعله فى عسكره (الحجر الماهانى) من تختم به أمن من الروع والهم والحزن والغم ولونه أبيض وأصفر و يوجد بأرض خراسان (حجر مراد) يوجد بناحية الجنوب (وخاصيته) أن الجن تتبع حامله وتعمل له ما أراد (الدهنج) خاصيته أنه اذا سقى انسان من محكه يفعل فعل السم واذا سقى شارب السم منه نفعه واذا مسح به موضع اللدغ سكن و ينفع من خفقان القلب واذا طلى بحكاكته بياض البرص أزاله وان علق على انسان غلب عليه الباه (السبج) خواصه أنه يقوى النظر الضعيف من الكبر أونزول الماء ولبسه ينفع عسر البول وادمان النظر فيه يحد البصر وسحاقته تجلو البصر واذا علق على من به صداع زال عنه (المغناطيس) يوجد فى بحر الهند وهناك لا يتخذ فى السفن حديد و يوجد ببلاد الأندلس أيضا وأجود أنواعه ما كان أسود يضرب الى حمرة (خواصه) الاكتحال بسحاقته يورث ألفة بين المكتحل و بين من يحبه و يسهل الولادة تعليقا ومن تختم به كانت حاجته مقضية وتعليقه فى العنق يزيد فى الذهن واذا سحق وشرب من سحاقته من به سم بطل سمه واذا أصابته رائحة الثوم بطلت خاصيته واذا غسل بالخل عاد الى حالته وأجوده ما جذب نصف مثقال من الحديد (حجر الخطاف) الخطاف يوجد فى عشه حجران أحدهما أحمر والآخر أبيض فالاحمر اذا علق على من يفزع فى نومه زال فزعه والابيض اذا علق على من به صرع زال عنه (حجر الزاج) اذا دخن البيت بسحاقته هرب منه الفأر والذباب (حجر الزنجفر) أصله من الزئبق واستحال (وخاصيته) أنه يدمل الجراحات و ينبت اللحم (حجر الملح) هو أنواع وأجوده ما يوجد بأرض سدوم بالقرب من بحر لوط وقد جعله الله قواما للدنيا (ومن خاصيته) أنه يحسن الذهب و يزيد فى صفرته وعن النبى ﷺ أنه قال يا على ابدأ بالملح واختم به فان فيه شفاء من سبعين داء (حجر النطرون) قال ارسطو ينفع الارحام التى غلبت عليها الرطوبة ينشفها و يقويها واذا ألقى فى العجين طيبه و بيضه و نشفه وهو نوعان أبيض وأحمر (حجر اللازورد) مشهور قال ارسطو من تختم به عظم فى أعين الناس و ينفع من السهر والله أعلم * ومن أراد التعمق فى ذلك فعليه بالكتب الموضوعة له ولكن قد ذكرنا ماهو معروف والحمد لله على كل حال وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب الثامن والستون فى الاصوات والالحان وذكر الغناء واختلاف الناس فيه ومن كرهه ومن استحسنه ﴾

وما ذكرت ذلك إلا لانى كرهت أن يكون كتابى هذا بعد اشتماله على فنون الادب والتحف والنوادر والامثال عاطلا من هذه الصناعة التى هى مراد السمع ومرتع النفس وربيع القلب ومجال الهوى ومسلاة الكئيب وأنس الوحيد وزاد الراكب لعظم موقع الصوت الحسن من القلب وأخذه بمجامع النفس

﴿فصل فى الصوت الحسن﴾ قال بعض أهل التفسير فى قوله تعالى يزيد فى الخلق ما يشاء هو الصوت

(وما) خفى عن علمه الكريم أمر الذين قضوا بيعتنا واشتروا الضلالة بالهدى ودعوا سيوفهم الصقيلة لما حاق بهم المكر السيء فأجابهم الصدى ولم يكن فى حرارة عزمنا الشريف عند عصيانهم البارد فترة حتى اظهرنا بألوان الشام من دمائهم على تدبيج الدروع ألوان البصرة وأخذوا سريعا بشبان حرب ماشابت عوارضهم الابغبار الوقائع وحكم برشدهم ولم يخرجوا من تحت حجر المعامع وقد أسبغ الله ظلال الملك وختم به على الدولتين ولم يظهر لمحراب بهجة الابها تين القبلتين ولو صلت السيوف لغيرهما ماقبلت أو صرفت العوامل الى غير نحوها ماعملت فقد فهمنا كريم الالتفات الى أن تدار كؤس الانشاء بيننا ممزوجة بصافى المودة وعلمنا أنها أحكام صحيحة فى شرع الأخوة ولهذه الأحكام عندنا عمدة وقد سابق القصد اليوسفى بسهام مراده الى الغرض وقضى حاجة فى نفس يعقوب المحبة ليس عنها عوض ولم يبق إلا اتصال شمل الأوصال بكل رسالة سطورها فى رقاع الاخوة محققة وتصديق مايقصه فى كريم جوابه فان القصة اليوسفية مابرحت مصدقة

الحسن وعن النبي ﷺ أنه قال أتدرون متى كان الحداء قالوا لا بأبينا أنت وأمنا يارسول الله قال ان أباكم مضر خرج فى طلب مال له فوجد غلاماله قد تفرقت ابله فضر به على يده بالعصا فعدا الغلام فى الوادى وهو يصيح وايداه فسمعت الابل صوته فعطفت عليه فقال مضر لو اشتق من الكلام مثل هذا لكان كلاما تجتمع عليه الابل فاشتق الحداء وقال النبي ﷺ لأبى موسى الأشعرى رضى الله تعالى عنه لما أعجبه حسن صوته لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود وقيل ان داود عليه الصلاة والسلام كان يخرج الى صحراء بيت المقدس يوما فى الاسبوع وتجتمع عليه الخلق فيقرأ الزبور بتلك القراءة الرخيمة وكان له جاريتان موصوفتان بالقوة والشدة فكانتا يضبطان جسده ضبطاً شديدا خيفة أن تنخلع أوصاله مما كان ينتحب وكانت الوحوش والطير تجتمع لاستماع قراءته قال مالك بن دينار رحمه الله تعالى بلغنا ان الله تعالى يقيم داود عليه الصلاة والسلام يوم القيامة عند ساق العرش فيقول ياداود مجدنى اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم وقال سلام الحادى للمنصور وكان يضرب المثل بحدائه مر يا أمير المؤمنين بان يظمؤا الابل ثم يوردوها الماء فانى آخذ فى الحداء فترفع رءوسها وتترك الشرب وزعم أهل الطب أن الصوت الحسن يجرى فى الجسم مجرى الدم فى العروق فيصفوله الدم وتنموله النفس ويرتاح له القلب وتهتزله الجوارح وتخف له الحركات ولهذا كرهوا للطفل أن ينام على أثر البكاء حتى يرقص ويطرب وزعمت الفلاسفة ان النغم فضل بقى من النطق لم يقدر اللسان على استخراجه فاستخرجته الطبيعة بالألحان على الترجيع لا على التقطيع فلما ظهر عشقته النفس وحنت اليه الروح ألا ترى الى أهل الصناعات كلها اذا خافوا الملالة والفتور على أبدانهم ترنموا بالألحان واستراحت اليها أنفسهم وليس من أحد كائنا من كان الا وهو يطرب من صوت نفسه ويعجبه طنين رأسه ولو لم يكن من فضل الصوت الحسن الا أنه ليس فى الأرض لذة تكتسب من مأكل ولا مشرب ولا ملبس ولا نكاح ولا صيد الا وفيها معاناة على البدن وتعب على الجوارح ماخلا السماع فانه لا معاناة فيه على البدن ولا تعب على الجوارح وقد يتوصل بالألحان الحسان الى خيرى الدنيا والآخرة فمن ذلك أنها تبعث على مكارم الاخلاق من اصطناع المعروف وصلة الأرحام والذب عن الاعراض والتجاوز عن الذنوب وقد يبكى الرجل بها على خطيئته ويتذكر نعيم الملكوت ويمثله فى ضميره ولأهل الرهبانية نغمات وألحان شجية يمجدون الله تعالى بها ويبكون على خطاياهم ويتذكرون نعيم الآخرة وكان أبو يوسف القاضى يحضر مجلس الرشيد وفيه الغناء فيجعل مكان السرور به بكاء كأنه يتذكر نعيم الآخرة وقد تحن القلوب الى حسن الصوت حتى الطير والبهائم وكان صاحب الفلاحات يقول ان النحل أطرب الحيوان كله على الغناء قال الشاعر

والطير قد يسوقه للموت * اصغاؤه الى حنين الصوت

وزعموا ان فى البحر دواب ربما زمرت أصواتا مطربة ولحونا مستلذة يأخذ السامعين الغشى من حلاوتها فاعتنى بها وضعة الالحان بأن شبهوا بها أغانيهم فلم يبلغوا وربما يغشى على سامع الصوت الحسن للطافة وصوله الى الدماغ وممازجته للقلب ألا ترى الى الأم كيف تناغى ولدها فيقبل بسمعه على مناغاتها ويتلهى عن البكاء والابل تزداد فى نشاطها وقوتها بالحداء فترفع آذانها وتلتفت يمنة ويسرة وتتبختر فى مشيتها وزعموا أن السماكين بنواحى العراق يبنون فى جوف الماء حفائر ثم يضربون عندها بأصوات شجية فيجتمع السمك فى الحفائر فيصيدونه وقد نبهت على ذلك فى باب ذكر البحار ومافيها من العجائب والراعى اذا رفع صوته ونفخ فى يراعته تلقته الغنم بآذانها وجدت فى رعيها والدابة تعاف الماء فاذا سمعت الصفير بالغت فى الشرب وليس شىء مما يستلذ به أخف مؤنة

تم بل انتهى ما دانت قطوفه من ثمرات الاوراق وحلا فى الأذواق السليمة وراق

﴿ وهذا ذيل ثمرات الاوراق ﴾

للامام تقى الدين بن حجة رحمه الله تعالى وهى محاضرات لا يستغنى عنها وعليها يعول فلذلك ألحقت بالاصل فى الطبع وجعلت تتمة للاول

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(يحكى) ان هرون الرشيد حج ماشيا وان سبب ذلك ان أخاه موسى الهادى كانت له جارية تسمى غادر وكانت أحظى الناس عنده وكانت من أحسن النساء وجها وغناء فغنت يوما وهو مع جلسائه على الشراب اذ عرض له سهو وفكر وتغير لونه وقطع الشراب فقال الجلساء ما شأنك يا أمير المؤمنين قال قد وقع فى قلبى ان جاريتى غادر يتزوجها أخى هرون بعدى فقالوا يطيل الله بقاء أمير المؤمنين وكلنا فداؤه فقال ما يزيل هذا ما فى نفسى وأمر باحضار هرون وعرفه بالخطر بباله فاستعطفه وتكلم بما ينبغى أن يتكلم به فى تطييب نفسه فلم يقنع بذلك وقال لابد أن تحلف لى قال أفعل وحلف له بكل يمين يحلف بها الناس من طلاق وعتاق وحج وصدقة وأشياء مؤكدة فسكن ثم قام فدخل على الجارية فأحلفها بمثل ذلك ولم يلبث الاشهرا ثم مات فلما أفضت الخلافة الى هرون أرسل الى

من السماع قال افلاطون من حزن فليسمع الاصوات الحسنة فان النفس اذا حزنت خمدت نارها فاذا سمعت مايطربها و يسرها اشتعل منها ماخمدت ومازالت ملوك فارس تلهى المحزون بالسماع وتعلل به المريض وتشغله عن التفكر ومنهم أخذت العرب حتى قال ابن غيلة الشيبانى

وسماع مسمعة يعللنا * حتى نتام تناوم العجم

(وحكى) أن البعلبكى مؤذن المنصور رجع فى أذانه ليلة وجارية تصب الماء على يد المنصور فارتعدت حتى وقع الابريق من يدها فقال له المنصور خذ هذه الجارية فهى لك ولا تعد ترجع هذا الترجيع وقال عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى عمارة فى قينة

ألم ترها لا أبعد الله دارها * اذا رجعت فى صوتها كيف تصنع
تدير نظام القول ثم ترده * الى صلصل من صوتها يترجع

(وبعد) فهل خلق الله شيئاً أوقع بالقلوب وأشد اختلاسا للعقول من الصوت الحسن لاسيما اذا كان من وجه حسن كما قال الشاعر

رب سماع حسن * سمعته من حسن * مقرب من فرح
مبعد من حزن * لافارقانى أبدا * فى صحة من بدن

وهل على الأرض من جبان مستطار الفؤاد يغنى بقول جرير

قل للجبان اذا تأخر سرجه * هل أنت من شرك المنية ناجى

الاشاجن شجعت نفسه وقوى قلبه أم هل على الأرض من بخيل قد انقبضت أطرافه يوما يغنى بقول حاتم الطائى

يرى البخيل سبيل المال واحدة * ان الجواد يرى فى ماله سبلا

الا انبسطت أنامله ورشحت أطرافه * واختلف الناس فى الغناء فاجازه عامة أهل الحجاز وكرهه عامة أهل العراق فمن حجة من أجازه ماروى أن النبي ﷺ قال لحسان شن الغطاريف على بنى عبد مناف فوالله لشعرك عليهم أشد من وقع السهام فى غلس الظلام واحتجوا فى اباحة الغناء واستحسانه بقول النبي ﷺ لعائشة رضى الله تعالى عنها أهديتم الفتاة الى بعلها قالت نعم قال فبعثتم معها من يغنى قالت لم نفعل قال أوماعلمت أن الانصار قوم يعجبهم القول ألا بعثتم معها من يقول

أتيناكم أتيناكم * فحيونا نحييكم * ولولا الحبة السمرا * ء لم نحلل بواديكم

ولا بأس بالغناء اذا لم يكن فيه أمر محرم ولا يكره السماع عند العرس والوليمة والعقيقة وغيرها فان فيه تحريكا لزيادة سرور مباح أو مندوب ويدل عليه ماروى من انشاد النساء بالدف والالحان عند قدوم النبي ﷺ حيث قلن

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع * وجب الشكر علينا
مادعا لله داع * أيها المبعوث فينا * جئت بالأمر المطاع

ويدل عليه ماروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت رأيت النبي ﷺ يسترنى بردائه وأنا أنظر الى الحبشة يلعبون فى المسجد الحرام حتى أكون أنا التى أسأمه ويدل عليه أيضاً ماروى فى الصحيحين من حديث عقيل عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان فى أيام منى يدففان ويضربان والنبي ﷺ متغش بثوبه فانتهرهما أبو بكر فكشف النبي ﷺ عن وجهه وقال دعهما ياأبا بكر فانها أيام عيد وعن قرة بن خالد بن

وغيرهما الا تزوجتك فتزوجها وحج ماشيا بيمينه وشغف بها أكثر من أخيه حتى كانت تنام فيضجع رأسها فى حجره ولا يتحرك حتى تنتبه فبينما هى ذات ليلة نائمة اذ انتبهت فزعة فقال لها مالك قالت رأيت أخاك فى المنام الساعة وهو يقول

أخلفت وعدك بعدما * جاورت سكان المقابر
ونسيتنى وحنثت فى * أيمانك الكذب الفواجر
فظللت فى أهل البلا * د وغدوت فى الحور الغرائر
ونكحت [illegible] غادرة أخى * صدق الذى سماك غادر
لايهنك الالف الجديـ * ـد ولا تدر عنك الدوائر
ولحقت بى قبل الصبا * ح وصرت حيث غدوت صائر

والله ياأمير المؤمنين فكأنها مكتوبة فى قلبى مانسيت منها كلمة فقال الرشيد هذه أضغاث أحلام فقالت كلا والله ماأملك نفسى وما زالت ترتعد حتى ماتت بعد ساعة

(وحكى) ابن أبى حجلة فى كتابه سلوك السنن الى وصف السكن أخبرنى شمس الدين محمد بن فراج

الحسينى اخبرنا شيخنا أثير الدين أبو حيان أنبأنا فتح الدين بن الدمياطية قال رأيت فى المنام شيخا حسن

عبدالله بن يحيى قال قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه للنابغة الجعدى أسمعنى بعض ماعفا الله لك عنه من هناتك فأسمعه كلمة فقال له وإنك لقائلها قال نعم قال طالما غنيت بها خلف جمال الخطاب وعن عبدالله بن عوف قال أتيت باب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فسمعته يغنى بالركابية يقول

فكيف ثوائى بالمدينة بعدما * قضى وطرا منها جميل بن معمر

وكان جميل بن معمر من أخصاء عمر قال فلما أستأذنت عليه قال لى أسمعت ماقلت قلت نعم قال إنا إذا خلونا قلنا مايقول الناس فى بيوتهم وقد أجازوا تحسين الصوت فى القراءة والأذان فان كانت الألحان مكروهة فالقراءة والأذان أحق بالتنزيه عنها وان كانت غير مكروهة فالشعر أحوج اليها لاقامة الوزن وماجعلت العرب الشعر موزونا الا لمد الصوت والدندنة ولولا ذلك لكان الشعر المنظوم كالخبر المنثور ومن حجة من كره الغناء أنه قال انه ينفر القلوب ويستفز العقول ويبعث على اللهو ويحض على الطرب وهذا باطل فى أصله وتأولوا فى ذلك قوله تعالى ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا وأخطأ من أول هـذا التأويل انما نزلت هذه الآية فى قوم كانوا يشترون الكتب من أخبار السير والاحاديث القديمة ويضاهون بها القرآن ويقولون إنها أفضل منه وليس من سمع الغناء يتخذ آيات الله هزؤا وقال رجل للحسن البصرى ماتقول فى الغناء ياأباسعيد فقال نعم العون على طاعة الله تعالى يصل الرجل به رحمه ويواسى به صديقه قال ليس عن هذا أسألك قال وعم سألتنى قال أن يغنى الرجل قال وكيف يغنى فجعل الرجل يلوى شدقيه ويفتح منخريه فقال الحسن والله ياابن أخى ماظننت أن عاقلا يفعل بنفسه هذا أبدا فلم ينكر الحسن عليه الا تشويه وجهه وتعويج فمه وسمع ابن المبارك سكران يغنى هذا البيت

أذلنى الهوى فانا الذليل * وليس الى الذى أهوى سبيل

قال فأخرج دواة وقرطاسا وكتب البيت فقيل له أتكتب بيت شعر سمعته من رجل سكران فقال أما سمعتم المثل رب جوهرة فى مزبلة * وكان لأبى حنيفة جار من الكيالين مغرم بالشراب وكان يغنى على شرابه بقول العرجى

أضاعونى وأى فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

قالوا فأخذه العسس ليلة وحبسه ففقد أبو حنيفة صوته واستوحش له فقال لاهله مافعل جارنا الكيال قال أخذه العسس وهو فى الحبس فلما أصبح أبو حنيفة توجه الى عيسى بن موسى فاستأذن عليه فاسرع اذنه وكان أبو حنيفة قليلا مايأتى أبواب الملوك فاقبل عليه عيسى بن موسى وسأله عما جاء بسببه فقال أصلح الله الامير ان لى جارا من الكيالين أخذه عسس الامير ليلة كذا فوقع فى حبسه فامر عيسى بن موسى باطلاق كل من فى الحبس اكراما لأبى حنيفة فاقبل الكيال على أبى حنيفة يتشكر له فلما رآه أبو حنيفة قال له هل أضعناك يافتى يعرض له بشعره الذى ينشده قال لا والله ولكنك بررت وحفظت * وكان عروة بن أذينة ثقة فى الحديث روى عنه مالك بن أنس وكان شاعرا مجيدا لبقا غزلا وكان يصوغ ألحان الغناء على شعره وينحلها للمغنين قيل إنه وقفت عليه امرأة يوما وحوله التلامذة فقالت له أنت الذى يقال فيك الرجل الصالح وأنت تقول

إذا وجدت أوار الحب فى كبدى * عمدت نحو سقاء القوم أبترد

هبنى بردت ببرد الماء ظاهره * فمن لنار على الاحشاء تتقد

الصورة والمشية وعليه مزدوجة كأنما تمشى فى طريق وأنا راكب دابة فقلت له رافقنى فقال ليس الماشى برفيق الراكب فقلت اركب أنت وأمشى أنا فقال المسئلة بحالها ثم أفضنا فى الحديث فسألنى ماصنعتك فقلت كاتب فقال كاتب احسان أو كاتب انشاء فقلت شىء من هذا وشىء من هذا فقال مايدعى دعواك عبد الرحيم ولا عبد الحميد ثم قال هل تنظم الشعر قلت نعم قال أنشدنى وكنت قد عملت قصيدا حجازيا وكنت أستجيده فأنشدته الى أن بلغت قولى تركوا بماء النيل ماءسلسلا وترشفوا ماء الثماد مكدرا فقال لى لاشىء فقلت لم قلت ذلك وماعيب هذا البيت فقال لو قلت صافيا لكان حسنا وكان طباقا لان الكدر يقابله الصافى قلت له هذا حسن فمن أنت يرحمك الله قال أبو مرة قلت لاخير ولامير قال بك ثم بعد ذلك بشهر رأيته فى المنام على الهيئة المتقدمة فسلم على سلام من يعرفنى ثم قال هل تعرف من الشعر المبشوم شيئا قلت نعم قال فانشدنى وكنت قد عملت قطعة شعر حال ضعفى بالنزلة فأنشدته اياها

لله ما أشكوه من نزلة   قد ضر منها ضيق أنفاسى   ومن صداع ضقت ذرعا به

وكان

وكان عبد الملك الملقب بالقس عند أهل مكة بمنزلة عطاء بن أبى رباح فى العبادة قيل إنه مر يوما بسلامة وهى تغنى فقام يسمع غناءها فرآه مولاها فقال له هل لك أن تدخل وتسمع فأبى فلم يزل به حتى دخل فغنته فأعجبته ولم يزل يسمعها ويلاحظها النظر حتى شغف بها فلما شعرت بلحظه اياها غنته

رب رسولين لنا بلغا * رسالة من قبل ان نبرحا
الطرف للطرف بعثناهما * فقضيا حاجا وما صرحا

قال فاغمى عليه وكاد يهلك فقالت له انى والله أحبك قال وأنا والله أحبك قالت وأحب أن أضع فى على فمك قال وأنا والله كذلك قالت فما يمنعك من ذلك قال أخشى أن تكون صداقة ما بينى وبينك عداوة يوم القيامة أما سمعت قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ثم نهض وعاد الى طريقته التى كان عليها وأنشأ يقول

قد كنت أعذل فى السفاهة أهلها * فاعجب لما تأتى به الايام
فاليوم أعذرهم وأعلم أنما * سبل الضلالة والهدى أقسام

(وقدم) عبد الله بن جعفر على معاوية بالشام فأنزله فى دار عياله وأظهر من اكرامه ما يستحقه فغاظ ذلك فاختة بنت قرظة زوج معاوية فسمعت ذات ليلة غناء عند عبد الله بن جعفر فجاءت الى معاوية فقالت هلم فاسمع ما فى منزل الذى جعلته من لحمك ودمك وأنزلته بين حرمك فجاء معاوية فسمع شيئا حركه وأطربه فقال والله انى لأسمع شيئا تكاد الجبال أن تخر له ثم انصرف فلما كان فى آخر الليل سمع معاوية قراءة عبد الله بن جعفر وهو قائم يصلى فنبه فاختة وقال لها اسمعى مكان ما أسمعتنى هؤلاء قومى ملوك بالنهار ورهبان بالليل ثم ان معاوية أرق ذات ليلة فقال لخادمه اذهب فانظر من عند عبد الله ابن جعفر وأخبره أنى قادم عليه فذهب وأخبره فأقام عبد الله كل من كان عنده فلما جاء معاوية لم ير فى المجلس غير عبد الله فقال مجلس من هذا قال عبد الله هذا مجلس فلان يا أمير المؤمنين فقال معاوية مره فليرجع الى مجلسه حتى لم يبق الا مجلس رجل واحد قال مجلس من هذا قال مجلس رجل يداوى الآذان يا أمير المؤمنين قال ان أذنى عليلة فمره أن يرجع الى مجلسه وكان مجلس بديح المغنى فأمره عبد الله بن جعفر فرجع الى موضعه فقال له معاوية داو أذنى من علتها فتناول العود وغنى وقال

ودع سعاد فان الركب مرتحل * وهل تطيق وداعا أيها الرجل

قال فحرك عبد الله بن جعفر رأسه فقال له معاوية لم حركت رأسك يا ابن جعفر قال أريحية أجدها يا أمير المؤمنين لو لقيت لأبليت ولو سئلت لأعطيت وكان معاوية قد خضب قال فقال ابن جعفر لبديح هات غير هذا وكان عند معاوية جارية أعز جواريه عليه وكانت تتولى خضابه فغنى بديح وقال

أليس عندك شكر للتى جعلت * ما ابيض من قادمات الرأس كالحمم
وجددت منك ما قد كان أخلقه * صرف الزمان وطول الدهر والقدم

فطرب معاوية طربا شديدا وجعل يحرك رجله فقال له ابن جعفر يا أمير المؤمنين انك سألتنى عن تحريك رأسى فأجبتك وأخبرتك وأنا أسألك عن تحريك رجلك فقال كل كريم طروب ثم قام وقال لا يبرح أحد منكم حتى يأتى له اذنى ثم ذهب فبعث الى ابن جعفر بعشرة آلاف دينار ومائة ثوب من خاصة كسوته والى كل رجل منهم بألف دينار وعشرة أثواب * وحدث ابن الكلبى والهيثم بن عدى قالا بينما عبد الله بن جعفر فى بعض أزقة المدينة اذ سمع غناء فاصغى اليه فاذا صوت رقيق لقينة تغنى وتقول

قل للكرام ببابنا يلجوا * ما فى التصابى على الفتى حرج

فنزل عبد الله عن دابته ودخل على القوم بلا اذن فلما رأوه قاموا اجلالا له ورفعوا مجلسه فأقبل عليه

بأن يدى منه على رأسى فقال هذا والله الشعر ثم قال أضف اليهما

فأعجب الى داء من قد عزروا * بثالث من داء افلاس

(وحكى) فى مرآة الزمان وغيرها فى ترجمة شمس الدين توران شاه بن أيوب أخى السلطان صلاح الدين قال محمد بن على الحكيم الاديب رأيت شمس الدولة بعد موته فمدحته بأبيات فلف كفنه ورمى به الى وقال

لا تستقلن معروفا سمحت به * ميتا فأمسيت منه عارى البدن
ولا تظنن جودا شانه بخل * من بعد بذلى ملك الشام واليمن
انى خرجت من الدنيا وليس معى * من كل ما ملكت كفى سوى الكفن

(حكى) انه كان ببغداد شخص يعرف بأبى القاسم الطنبورى صاحب نوادر وحكايات وله مداس له مدة سنين كلما انقطع منه موضع جعل عليه رقعة الى أن صار فى غاية الثقل وصار يضرب به المثل فيقال أثقل من مداس أبى القاسم الطنبورى فاتفق أنه دخل سوق الزجاج فقال له سمسار يا أبا القاسم قد وصل تاجر من حلب ومعه حمل زجاج مذهب قد كسد فابتعه منه وأنا أبيعه لك بعد مدة بمكسب المثل مثلين فابتاعه بستين دينارا ثم دخل سوق العطارين فقال سمسار آخر قد

صاحب المجلس وقال يا ابن عم رسول الله ﷺ أتدخل مجالسنا بلا اذن وليس هذا من شأنك فقال عبد الله لم أدخل الا باذن وقال ومن أذن لك قال قينتك هذه سمعتها تقول * قل للكرام ببابنا يلجوا * فولجنا فان كنا كراما فقد أذن لنا وان كنا لئاما خرجنا مذمومين فقبل صاحب المنزل يده وقال جعلت فداك والله ما أنت إلا من أكرم الناس فبعث عبد الله الى جارية من جوار به فحضرت ودعا بثياب وطيب فكسا القوم وطيبهم ووهب الجارية لصاحب المنزل وقال هذه أحذق بالغناء من جاريتك * وسمع سليمان بن عبد الملك مغنيا فى عسكره فقال اطلبوه فجاؤا به فقال أعد على ماغنيت به فغنى واحتفل وكان سليمان أغير الناس فقال لأصحابه كأنها والله جرجرة الفحل فى الشوك وما أظن أنثى تسمع هذا الا صبت اليه ثم أمر به فخصى ﴿أصل الغناء ومعدنه﴾ قال أبو المنذر هشام الغناء على ثلاثة أوجه النصب والسناد والهزج فأما النصب فغناء الفتيان والركبان وأما السناد فالثقيل الترجيع الكثير النغمات وأما الهزج فالخفيف كله وهو الذى يستفز القلوب ويهيج الحليم وقيل كان أصل الغناء ومعدنه فى أمهات القرى فاشيا ظاهرا وهى المدينة والطائف وخيبر وفدك ووادى القرى ودومة الجندل واليمامة وهذه القرى مجامع أسواق العرب ويقال ان أول من صنع العود لامك ابن قاين بن آدم وبكى به على ولده ويقال ان صانعه بطليموس صاحب الموسيقى وهو كتاب اللحون الثمانية والله سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة ذلك وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب التاسع والستون فى ذكر المغنين والمطربين وأخبارهم ونوادر الجلساء فى مجالس الرؤساء﴾

(قيل) ان أول من غنى فى العرب قينتان للنعمان يقال لهما الجرادتان ومن غنائهما

ألا ياقين ويحك قم فهينم * لعل الله يسقينا غماما

وانما غنتا هذا حين حبس الله عنهم المطر وقيل أول من غنى فى الاسلام الغناء الرقيق طويس وهو الذى علم ابن سريج والدلال نوبة الضحى وكان يكنى أبا عبد النعيم ومن غنائه وهو أول صوت غنى به فى الاسلام هذا البيت

قد برانى الشوق حتى * كدت من وجدى أذوب

ثم نجم بعد طويس ابن طنبور وأصله من اليمن وكان أهزج الناس وأخفهم غناء ومن غنائه

وفتيان على شرب جميعا * دلفت لهم بباطية هدور

فلا تشرب بلا طرب فانى * رأيت الخيل تشرب بالصفير

ومنهم حكم الوادى ومن غنائه

أمدح الكاس ومن أعملها * واهج قوما قتلونا بالعطش

انما الراح ربيع باكر * فاذا ما وافت المرء انتعش

وكان لهرون الرشيد جماعة من المغنين منهم ابراهيم الموصلى وابن جامع السهمى وغيرهما وكان له زامر يقال له برصوما وكان ابراهيم أشدهم تصرفا فى الغناء وابن جامع أحلاهم نغمة فقال الرشيد يوما لبرصوما ماتقول فى ابن جامع قال يا أمير المؤمنين وما أقول فى العسل الذى من حيثما ذقته فهو طيب قال فابراهيم الموصلى قال بستان فيه جميع الأزهار والرياحين وكان ابن محرز يغنى كل انسان بما يشتهيه كأنه خلق من قلب كل انسان * وغنى رجل بحضرة الرشيد بهذه الابيات

واذكر أيام الحمى ثم انثنى * على كبدى من خشية أن تصدعا * فليست عشيات الحمى برواجع عليك ولكن خل عينيك تدمعا * بكت عينى اليسرى فلما نهيتها * عن الجهل بعد الحلم اسبلتا معا

بخمسين دينارا أخرى ثم جعله فى الزجاج المذهب ووضعه على رف فى صدر البيت ثم دخل الحمام بغلس فقال له بعض أصدقائه يا أبا القاسم أشتهى أن تغير مداسك فانه فى غاية الوحاشة وأنت ذو مال فقال السمع والطاعة ولما خرج من الحمام ولبس ثيابه وجد الى جانب مداسه مداسا جديدا فلبسه ومضى الى بيته وكان القاضى دخل الحمام يغتسل ففقد مداسه فقال الذى لبس مداسى ماترك عوضه شيئا فوجدوا مداس أبى القاسم فانه معروف فكبسوا بيته فوجدوا مداس القاضى عنده فأخذ منه وضرب أبو القاسم وحبس وغرم جملة مال حتى خرج من الحبس فأخذ المداس وألقاه فى الدجلة فغاص فى الماء فرمى بعض الصيادين شبكته فطلع فيها المداس فقال هذا مداس أبى القاسم والظاهر أنه سقط منه فحمله الى بيت أبى القاسم فلم يجده فرماه من الطاق الى بيته فسقط على الرف الذى عليه الزجاج فتبدد ماء الورد وانكسر الزجاج فلما رأى أبو القاسم ذلك لطم على وجهه وصاح وافقراه وأفقرنى هذا المداس ثم قام يحفر له فى الليل حفرة فسمع الجيران حس الحفرة فظنوا انه نقب فشكوه

قال فاستخف الرشيد الطرب فأمر له بمائة ألف درهم * وحدث ابن الكلبي عن أبيه قال كان ابن عائشة من أحسن الناس غناء وأنبههم فيه وكان من أضيق الناس خلقا اذا قيل له غن قال ألمثلي يقال غن على عتق رقبة ان غنيت يومى هذا فلما كان فى بعض الايام سال وادى العقيق فلم يبق فى المدينة مخباة ولا مخدرة ولا شاب ولا كهل الا خرج ببصره وكان فيمن خرج ابن عائشة المغنى وهو متعجر بفضل ردائه فنظر اليه الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم وكان الحسن فيمن خرج الى العقيق و بين يديه عبدان أسودان كانهما ساريتان يمشيان أمام دابته فقال لهما أقسم بالله ان لم تفعلا ما آمركما به لانكلن بكما فقالا يا مولانا قل ما تأمرنا به فلو أمرتنا أن نقتحم النار فعلنا قال اذهبا الى ذلك الرجل المعتجر بفضل ردائه فامسكاه فان لم يفعل ما آمره به والا فاقذفا به فى العقيق قال فمضيا والحسن يقفوهما فلم يشعر ابن عائشة الا وهما آخذان بمنكبيه فقال من هذا فقال له الحسن أنا هذا يا ابن عائشة فقال لبيك وسعديك بأبي أنت وأمى قال اسمع منى ما أقول لك واعلم انك مأسور فى أيديهما وقد أقسمت ان لم تغن مائة صوت ليطرحانك فى العقيق قال فصاح ابن عائشة واويلاه واعظم مصيبتاه فقال له الحسن دعنا من صياحك وخذ فيما ينفعنا قال اقترح وأقم من يحصى ثم أقبل يغنى فترك الناس العقيق وأقبلوا عليه فلما تمت أصواته مائة كبر الناس بلسان واحد تكبيرة ارتجت لها أقطار الأرض وقالوا للحسن صلى الله على جدك حيا وميتا فما اجتمع لاحد من أهل المدينة سرور قط الا بكم أهل البيت فقال له الحسن ما فعلت هذا بك يا ابن عائشة الا لاخلاقك الشرسة فقال ابن عائشة والله ما مرت بى شدة أعظم من هذه لقد بلغت أطراف أعضائى فكان ابن عائشة بعد ذلك اذا قيل له ما أشد يوم مر عليك يقول يوم العقيق * وحدث أبو جعفر البغدادى قال حدثنى عبدالله بن محمد كاتب بغداد عن أبى عكرمة قال خرجت يوما الى المسجد الجامع فمررت بباب أبى عيسى بن المتوكل فاذا على بابه المشدود وهو أحذق خلق الله تعالى بالغناء فقال أين تريد يا أبا عكرمة قلت المسجد الجامع لعلى أستفيد حكمة أكتبها فقال أدخل بنا الى أبى عيسى قلت أمثل أبى عيسى فى قدره وجلالته يدخل عليه بلا اذن فقال للحاجب أعلم أمير المؤمنين بمكان أبى عكرمة فما لبث الا ساعة حتى خرج الغلمان الى فحملونى حملا فدخلت الى دار ما رأيت أحسن منها بناء ولا أظرف منها هيئة فلما نظرت الى أبى عيسى قال لى ما يعيش من يحتشم اجلس فجلست فاتينا بطعام كثير فلما انقضى أتينا بشراب وقامت جارية تسقينا شرابا كالشعاع فى زجاجة كانها كوكب درى فقلت أصلح الله الامير وأتم عليه نعمه ولا سلبه ما وهبه قال فدعا أبو عيسى بالمغنين وهم المشدود ودبيس ورقيق ولم يكن فى ذلك الزمان أحذق من هؤلاء الثلاثة بالغناء فابتدأ المشدود وغنى يقول

لما استقل بارداف تجاذبه * واخضر فوق بياض الدر شاربه * وأشرق الورد من نسرين وجنته
واهتز أعلاه وارتجت حقائبه * كلمته بجفون غير ناطقة * فكان من رده ما قال حاجبه

ثم سكت وغنى دبيس

الحب حلو أمرته عواقبه * وصاحب الحب صب القلب دائبه * أستودع الله من بالطرف ودعنى
يوم الفراق ودمع العين ساكبه * ثم انصرفت وداعى الشوق يهتف بى * ارفق بقلبك قد عزت مطالبه

ثم سكت وغنى رقيق

بدر من الانس حفته كواكبه * قد لاح عارضه واخضر شاربه * ان يوعد الوعد يوما فهو مخلفه
أو ينطق القول يوما فهو كاذبه * عاطيته كدم الاوداج صافية * فقام يشدو وقد مالت جوانبه

ثم سكت وابتدأ المشدود يقول

الى الوالى فأرسل اليه من اعتقله وقال له تنقب على الناس حائطهم اسجنوه ففعلوا فلم يخرج من السجن الى أن غرم جملة مال فأخذ المداس ورماه فى مستراح الخان فسد قصبة المستراح وفاض فكشف الصناع ذلك حتى وقفوا على موضع السد فوجدوا مداس أبى القاسم فحملوه الى الوالى وحكوا له ما وقع فقال غرموه المصروف جملة فقال ما بقيت أفارق هذا المداس وغسله وجعله على السطح حتى يجف فرآه كلب ظنه رمة فحمله وعبر به الى سطح آخر فسقط على امرأة حامل فارتجفت وأسقطت ولدا ذكرا فنظروا ما السبب فاذا مداس أبى القاسم فرفع الى الحاكم فقال يجب عليه غرة فابتاع لهم غلاما وخرج وقد افتقر ولم يبق معه شيء فأخذ المداس وجاء به الى القاضى وحكى له جميع ما اتفق له فيه وقال أشتهى أن يكتب مولانا القاضى بينى و بين هذا المداس مبارأة بأنه ليس منى ولست منه وانى برىء منه ومهما فعله يؤاخذ به ويلزمه فقد أفقرنى فضحك القاضى ووصله بشيء ومضى انتهى

﴿ هذه قصيدة ليزيد بن معاوية وهى عزيزة الوجود ﴾

وسرب كعين الديك ميل الى الصبا روائع بالحادى سود المدامع
سمعن غناء بعدما عن نومة من الليل يملهن فوق المضاجع
أيا دهر هل شرخ الشبيبة راجع

يادير حنة من ذات الاكيراح * من يصح عنك فانى لست بالصاحى

ثم سكت وغنى دبيس

دع البساتين من آس وتفاح * واعدل هديت الى شيح الاكيراح
واعدل الى فتية ذابت لحومهم * من العبادة الا نضو أشباح
وخمرة عتقت فى دنها حقبا * كأنها دمعة فى جفن سياح

ثم سكت وغنى رقيق

لا تحفلن بقول الدائم اللاحى * واشرب على الورد من مشمولة الراح
كاسا اذا انحدرت فى حلق شاربها * أغناه لألاؤها عن كل مصباح
ما زلت أسقى نديمى ثم ألثمه * والليل ملتحف فى ثوب أمساح
فقام يشدو وقد مالت سوالفه * يا دير حنة من ذات الاكيراح

ثم أقبل أبو عيسى على المشدود وقال له غن لى شعرى فغناه

يالجة الدمع هل للغمض مرجوع * أم الكرى من جفون العين ممنوع
ما حيلتى وفؤادى هائم دنف * بعقرب الصدغ من مولاى ملسوع
لا والذى تلفت نفسى بفرقته * فالقلب من فرق الأحزان مصدوع
ما أرق العين الاحب مبتدع * ثوب الجمال على خديه مخلوع

قال أبو عكرمة فوالله لقد حضرت من المجالس ما لا يحصى عدده إلا الله تعالى فما حضرت مثل ذلك المجلس ولولا أن أباعيسى قطعهم ما انقطعوا (وحكى) عن الرشيد أنه قال يوما للفضل ابن الربيع من بالباب من الندماء قال جماعة فيهم هاشم بن سليمان مولى بنى أمية وأمير المؤمنين يشتهى سماعه قال فأذن له وحده فدخل فقال هات ياهاشم فغناه من شعر جميل حيث يقول

اذا ما تراجعنا الذى كان بيننا * جرى الدمع من عينى بثينة بالكحل
فياويح نفسى حسب نفسى الذى بها * وياويح عقلى ما أصبت به أهلى
خليلى فيما عشتما هل رأيتما * قتيلا بكى من حب قاتله قبلى

قال فطرب الرشيد طربا شديدا وقال أحسنت لله أبوك ثم قلده عقدا نفيسا ولما رآه هاشم ترقرقت عيناه بالدموع فقال له الرشيد مايبكيك ياهاشم فقال ياأمير المؤمنين إن لهذا العقد حديثا عجيبا إن أذن لى أمير المؤمنين حدثته به قال قد أذنت لك قال ياأمير المؤمنين قدمت يوما على الوليد وهو على بحيرة طبرية ومعه قينتان لم ير مثلهما جمالا وحسنا فلما وقعت عينه على قال هذا اعرابى قد ظهر من البوادى ادعو به لنسخر به فدعانى فسرت اليه ولم يعرفنى فغنت إحدى الجاريتين بصوت هو لى فأخطأته الجارية فقلت لها أخطأت ياجارية فضحكت ثم قالت ياأمير المؤمنين ألم تسمع مايقول هذا الاعرابى يعيب علينا غناءنا فنظر الى كالمنكر فقلت ياأمير المؤمنين أنا أبين لك الخطأ فاتصلح وتركذا وتركذا ففعلت وغنت شيئا ماسمع منها الا فى هذا اليوم فقامت الجارية مكبة على وقالت أستاذى هاشم ورب الكعبة فقال الوليد أهاشم بن سليمان أنت قلت نعم ياأمير المؤمنين وكشفت عن وجهى وأقمت معه بقية يومنا فأمر لى بثلاثين ألف درهم فقالت الجارية ياأمير المؤمنين أتأذن لى فى بر أستاذى فقال الوليد ذلك اليك فحلت ياأمير المؤمنين هذا العقد من عنقها ووضعته فى عنقى وقالت هو لك ثم قربوا اليه السفينة ليرجع الى موضعه فركب فى السفينة وطلعت معه إحدى الجاريتين واتبعتها صاحبتى فارادت أن ترفع رجلها وتطلع السفينة فسقطت فى الماء فغرقت لوقتها وطلبت فلم يقدر عليها فاشتد جزع الوليد عليها وبكى بكاء شديدا وبكيت أنا عليها أيضا بكاء شديدا فقال لى ياهاشم مانرجع عليك بما وهبناه لك ولكن نحب أن يكون هذا العقد عندنا نذكرها

مع الخفرات البيض أوغير راجع * قنعت بزور من خيال بعثته وكنت بوصل منهم غير قانع
اذا رمت من ليلى على البعد نظرة * لتطفى جوى بين الحشا والأضالع
تقول رجال الحى تطمع أن ترى * لليلى وصالا من بدء المطامع
وكيف ترى ليلى بعين ترى بها * سواها وما طهرتها بالمدامع
أجلك ياليلى عن العين إنما * أراك بقلب خاضع لك خاشع
وماسر ليلى ماحييت بذائع * وما عهد ليلى إن تناءت بضائع

﴿ومن غريب ما يحكى﴾ أن عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبى سفيان والدة يزيد بن عبدالملك ابن مروان حرمت على اثنى عشر من الخلفاء من بنى أمية معاوية جدها ويزيد أبوها ومروان أبو زوجها والوليد وسليمان وهشام بنو عبدالملك أولاد زوجها والوليد بن يزيد ابن ابنها ويزيد بن الوليد ابن زوجها وابراهيم بن مروان بن الوليد بن زوجها أيضا ويزيد ابن عبدالملك ابنها ومعاوية ابن يزيد بن معاوية أخوها وزوجها عبد الملك بن مروان ولم يتفق ذلك لامرأة غيرها انتهى

وجد بخط قاضى القضاة ﴿شهاب الدين أحمد بن حجر حافظ العصر﴾ قال وجد بخط

نذكرها به فبعني اياه فعوضني عنه ثلاثين ألف درهم فلما وهبتني العقد ياأمير المؤمنين تذكرت قضيته وهذا سبب بكائي فقال الرشيد لاتعجب فان الله كما ورثنا مكانهم ورثنا أموالهم * وقال علي بن سليمان النوفلي غنى دحمان الاشقر عند الرشيد يوما فأنشده

إذا نحن أدلجنا وأنت أمامنا * كفى لمطايانا برؤياك هاديا
ذكرتك بالديرين يوما فأشرفت * بنات الهوى حتى بلغنا التراقيا
إذا ماطواك الدهر ياأم مالك * فشأن المنايا القاضيات وشانيا

قال فطرب الرشيد طربا شديدا واستعاده منه مرات ثم قال له تمن علي قال أتمنى الهنيء والمريء وهما ضيعتان غلتهما أربعون ألف دينار في كل سنة فأمر له بهما فقيل له ياأمير المؤمنين ان هاتين الضيعتين من جلالتهما يجب أن لا يسمح بمثلهما فقال الرشيد لاسبيل الى استرداد ماأعطيت ولكن احتالوا في شرائهما منه فساوموه فيهما حتى وقفوا معه على مائة ألف دينار فرضي بذلك فقال الرشيد ادفعوها له فقالوا ياأمير المؤمنين في اخراج مائة ألف دينار من بيت المال طعن ولكن نقطعها له فكان يوصل بخمسة آلاف وثلاثة آلاف حتى استوفاها (ومن ذلك) ماحكى اسحق الموصلي قال كان الواثق بن المعتصم أعلم الناس بالغناء وكان يضع الالحان العجيبة ويغني بها شعره وشعر غيره فقال له يوما ياأبا محمد لقد فقت أهل العصر في كل شيء فغنني شعرا أرتاح اليه وأطرب عليه يومي هذا قال اسحق فغنيته هذه الأبيات

ماكنت أعلم مافي البين من حرق * حتى تنادوا بأن قد جيء بالسفن
قامت تودعني والدمع يغلبها * فهمهمت بعض ماقالت ولم تبن
مالت الى وضمتني لترشفني * كما يميل نسيم الريح بالغصن
وأعرضت ثم قالت وهي باكية * ياليت معرفتي اياك لم تكن

قال فخلع علي خلعة كانت عليه وأمر لي بمائة ألف درهم قال وغنيته يوما

قفي ودعينا يا سعاد بنظرة * فقد حان منا ياسعاد رحيل * فياجنة الدنيا ويا غاية المنى
ويا سؤل نفسي هل اليك سبيل * وكنت إذا ماجئت جئت لعلة * فأفنيت علاتي فكيف أقول
فما كل يوم لي بأرضك حاجة * ولا كل يوم لي اليك وصول

فقال والله لاسمعت يومي غيره وألقى علي خلعة من ثيابه وأمر لي بصلة ماأمر لي قبلها بمثلها (ومن حكايات الخلفاء ومكارم أخلاقهم) ماحكى عن ابراهيم بن المهدي قال قال جعفر بن يحيي يوما لبعض ندمائه اني قد استأذنت أمير المؤمنين في الخلوة غدا فهل من مساعد فقلت جعلت فداءك أنا أسعد بمساعدتك وأسر بمشاهدتك فقال بكر بكور الغراب قال فأتيته عند الفجر فوجدت الشموع قد أوقدت بين يديه وهو ينتظرني في الميعاد فما زلنا في أطيب عيش الى وقت الضحى فقدمت الينا موائد الأطعمة عليها من أفخر الطعام وأطيبه فأكلنا وغسلنا أيدينا ثم خلعت علينا ثياب المنادمة وضمخنا بالخلوق وانتقلنا الى مجلس الطرب ومدت الستائر وغنت القينات فظللنا بأنعم يوم ثم انه داخله الطرب فدعا بالحاجب وقال له إذا أتى أحد يطلبنا فأذن له ولو كان عبد الملك ابن صالح بنفسه فاتفق بالأمر المقدر أن عم الرشيد عبد الملك بن صالح قدم علينا في ذلك الوقت وكان صاحب جلالة وهيبة ورفعة وعنده من الورع والزهد والعبادة مالا مزيد عليه وكان الرشيد إذا جلس مجلس لهو لايطلعه على ذلك لشدة ورعه فلما قدم دخل به الحاجب علينا فلما رأيناه رمينا مافي أيدينا وقمنا اجلالا له فقبل يده وقد ارتعنا لذلك وخجلنا وزاد بنا الحياء فقال لا بأس

القاضي فخر الدين عبد الوهاب المصري لنفسه في الاهرام سنة خمس وخمسين وسبعمائة وأجاد *

أمباني الاهرام كم من واعظ صدع القلوب ولم يفه بلسانه
أذكرني قولا تقادم عهده أين الذي الهرمان من بنيانه
هن الجبال الشامخات تكاد أن تمتد فوق الافق عن كيوانه
لو أن كسرى جالس في سفحها لاجل مجلسه على ايوانه
بقيت على حر الزما ن وبرده مددا ولم تأسف على حدثانه
والشمس في احراقها والريح عند هبوبها والسيل في جريانه
هل عابد قد خصها بعبادة فبانى الاهرام من أوثانه
أو قائل يقضي برجعة نفسه من بعد فرقته الى جثمانه
فاختارها لكنوزه ولجسمه قبرا أليما من أذى طوفانه
أو أنها للسائرات مراصد يختار راصدها أعز مكانه
أو أنها وضعت بيوت كواكب أحكام فرس الدهر أو يونانه
أوانهم نقشوا على حيطانها

عليكم كونوا على ما أنتم عليه ثم صاح بغلام فدفع له ثيابه ثم أقبل علينا وقال اصنعوا بنا ماصنعتم بأنفسكم قال فما كان بأسرع من أن طرحت عليه ثياب خز معلم وقدمت له موائد الطعام والشراب فطعم وشرب الشراب لساعته ثم قال خففوا عني فانه شيء والله مافعلته قط قال فتهلل وجه جعفر ثم التفت الى عبد الملك فقال له جعلت فداك قد علوت علينا وتفضلت فهل من حاجة تبلغها مقدرتي وتحيط بها نعمتي فاقضيها لك مكافأة لك على ماصنعت قال بلى ان في قلب أمير المؤمنين بعض تغير علي فتسأله الرضا عني فقال جعفر قد رضي عنك أمير المؤمنين قال وعلي عشرة آلاف دينار فقال جعفر هي حاضرة لك من مالي ولك من مال أمير المؤمنين مثلها قال وأريد أن أشد ظهر ابني ابراهيم بمصاهرة من أمير المؤمنين قال قد زوجه أمير المؤمنين بابنته الغالية قال وأحب أن تخفق الالوية على رأسه قال وقد ولاه أمير المؤمنين مصر فانصرف عبد الملك بن صالح وبقيت متعجبا من إقدام جعفر على ذلك من غير استئذان وقلت عسى أن يجيبه أمير المؤمنين الى ماسأله من الولاية والمال والرضا عنه الا المصاهرة قال فلما كان من الغد بكرت الى باب الرشيد لأنظر مايكون من أمرهم فدخل جعفر فلم يلبث أن دعي بأبي يوسف القاضي ثم بابراهيم بن عبد الملك بن صالح فخرج ابراهيم وقد عقد نكاحه بالغالية بنت الرشيد وعقد له على مصر والرايات والالوية تخفق على رأسه وخرج كل من في القصر معه الى بيت عبد الملك بن صالح قال ثم بعد ذلك خرج الينا جعفر وقال أظن أن قلوبكم تعلقت بحديث عبد الملك بن صالح وأحببتم سماع ذلك قلنا هو كما ظننت قال لما دخلت على أمير المؤمنين ومثلت بين يديه قال كيف كان يومك ياجعفر بالأمس فقصصت عليه القصة حتى بلغت الى دخول عبد الملك بن صالح فكان متكئا فاستوى جالسا وقال لله أبوك ماسألك قلت سألني رضاك عنه ياأمير المؤمنين قال بم أجبته قلت قد رضي عنك أمير المؤمنين قال قد رضيت عنه ثم ماذا قلت وذكر أن عليه عشرة آلاف دينار قال فبم أجبته قلت قد قضاها عنك أمير المؤمنين قال وقد قضيتها عنه ثم ماذا قلت ورغب أن يشد أمير المؤمنين ظهر ولده ابراهيم بمصاهرة منه قال فبم أجبته قلت قد زوجه أمير المؤمنين ابنته الغالية قال قد أجبته الى ذلك ثم ماذا قلت قال وأحب أن تخفق الألوية على رأسه قال فبم أجبته قلت قد ولاه أمير المؤمنين مصر قال قد وليته اياها ثم نجز له جميع ذلك من ساعته قال ابراهيم ابن المهدي فوالله ماأدري أي الثلاثة أكرم وأعجب فعلا ماابتدأه عبد الملك بن صالح من المنادمة ولم يكن فعل ذلك قط أم اقدام جعفر على الرشيد أم امضاء الرشيد جميع ماحكم به جعفر فهكذا تكون مكارم الاخلاق وحكى أبو العباس عن عمر الرازي قال أقبلت من مكة أريد المدينة فجعلت أسير في جمد من الارض فسمعت غناء لم أسمع مثله فقلت والله لأتوصلن اليه فاذا هو عبد أسود فقلت له أعد علي ماسمعت فقال والله لو كان عندي قرى أقريكه لفعلت ولكني أجعله قراك فاني والله ربما غنيت بهذا الصوت وأنا جائع فأشبع وربما غنيته وأنا كسلان فأنشط أو عطشان فأروى ثم اندفع يغني ويقول

وكنت اذا جئت سعدى أزورها * أرى الأرض تطوى لي ويدنو بعيدها

من الخفرات البيض ود جليسها * اذا ماانقضت أحدوثة لو تعيدها

قال عمر فحفظته منه ثم تغنيت به على الحالات التي وصفها الي فاذا هي كما ذكر والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب السبعون في ذكر القينات والاغاني

(حكي) علي بن الجهم قال لما أفضت الخلافة الى أمير المؤمنين المتوكل أهدى اليه عبد الله بن طاهر من خراسان جارية يقال لها محبوبة كانت قد نشأت بالطائف فبرعت في الجمال والأدب وأجادت

أن القاضي أبا الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني كان يمر على الناس ولا يسلم عليهم فلامه بعض أصحابه في ذلك فقال

يقولون لي فيك انقباض وانما ... رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما

أرى الناس من داناهم هان عندهم ... ومن أكرمته عزة النفس أكرما

واني اذا مافاتني الأمر لم أكن ... أقلب كفي اثره متندما

ولم أقض حق العلم ان كان كلما ... بدا مطمع صيرته لي سلما

وما كل برق لاح لي يستفزني ... ولا كل من في الارض أرضاه منعما

اذا قيل هذا منهل قلت قد أرى ... ولكن نفس الحر تحتمل الظما

انهنها عن بعض مالا يشينها ... مخافة أقوال العدا فيم أو لما

ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي ... لاخدم من لاقيت لكن لاخدما

أأشقى به غرسا وأجنيه ذلة ... اذا فاتباع الجهل قد كان أحزما

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم

قول الشعر وحذاقة الغناء فشغف بها أمير المؤمنين المتوكل حتى كانت لا تفارق مجلسه ساعة واحدة ثم انه حصل منه عليها بعد ذلك جفاء فهجرها قال على بن الجهم فبينما أنا نائم عنده ذات ليلة اذ أيقظنى فقال يا على قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال قد رأيت الليلة فى منامى كأنى رضيت على محبوبة وصالحتها فقلت خير أرأيت يا أمير المؤمنين أقر الله عينك انما هى جاريتك والرضا والجفاء بيدك فوالله أنا فى حديثها إذ جاءت وصيفة فقالت يا أمير المؤمنين سمعت صوت عود من حجرة محبوبة فقال قم بنا يا على ننظر ما تصنع فنهضنا حتى أتينا حجرتها فاذا هى تضرب بالعود وتقول

أدور فى القصر لا أرى أحدا * أشكو اليه ولا يكلمنى * كأننى قد أتيت معصية
ليس لها توبة تخلصنى * فهل شفيع لنا الى ملك * قد زارنى فى الكرى وصالحنى
حتى اذا ما الصباح لاح لنا * عاد الى هجره وصارمنى

قال فصاح أمير المؤمنين فلما سمعته تلقته وأكبت على رجليه تقبلهما فقال ماهذا قالت يا مولاى رأيت فى منامى هذه الليلة كأنك قد رضيت عنى فانشدت ما سمعت قال وأنا والله رأيت مثل ذلك ثم قال يا على هل رأيت أعجب من هذا الاتفاق ثم أخذ بيدها ومضى الى حجرتها وكان من أمرها ما كان * قيل وكان أمير المؤمنين الواثق إذا شرب رقد فى موضعه الذى شرب فيه ومن كان معه من ندمائه وشرب رقد ولم يخرج فشرب يوما وخرج من كان عنده الا مغنيا واحدا أظهر التراقد فتركوه وكانت مغنية من حظايا الخليفة نائمة فلما خلا المجلس كتب المغنى رقعة ورمى بها اليها فاذا فيها

انى رأيتك فى المنام ضجيعتى * مسترشفا من ريق فيك البارد * وكأن كفك فى يدى وكأننا
بتنا جميعا فى لحاف واحد * ثم انتبهت ومنكباك كلاهما * فى راحتى وتحت خدك ساعدى
فقطعت يومى كله متراقدا * لأراك فى نومى ولست براقد

فكتبت اليه على ظهرها تقول

خيرا رأيت وكل ما أملته * ستناله منى برغم الحاسد * وتبيت بين خلاخلى ودمالجى
وتحل بين مراشفى ونواهدى * ونكون أنعم عاشقين تعاطيا * ملح الحديث بلا مخافة راصد

فلما مدت يدها لترمى اليه بالرقعة رفع الواثق رأسه فأخذها من يدها وقال ماهذا فحلفا له أنه لم يجر بينهما قبل ذلك كلام ولا كتاب ولا رسول إلا أن العشق قد خامرها قال فاعتقها من وقتها وزوجها به وقلت خذها ولا تقر بنا بعد اليوم * وكان لأسماء بنت المهدى جارية يقال لها كاعب وكانت بكرا ناهدا بنت ثلاث عشرة سنة قال فتلاعب عليها أبو نواس فتمنعت فوقع فى قلبه منها ما وقع وأحبته هى أيضا فجعل أبو نواس كلما أمسكها تمنعت فظفر بها ليلة من الليالى فى ناحية من القصر فأمسكها فبكت * وقالت له ياسيدى الموت دون ذلك فقال أبو نواس هذا جزع الابكار فاتفق انه خرج يوما من القصر وقد ترقرق الدجا فوجدها نائمة فى سدلة وهى سكرى لا تفيق فتقرب منها وحل سراويلها ووقع عليها فاذا هى خالية من البكارة فارتاع وظن أن يكون أتاها دم فلم يجد فقام عنها وندم على ما كان منه وأنشد يقول

وناهدة الثديين من خدم القصر * مرققة الخدين ليلية الشعر
كلفت بها دهرا على حسن وجهها * طويلا وما حب الكواعب من أمرى
فما زلت بالأشعار حتى خدعتها * وروضتها والشعر من خدع السحر
أطالبها شيئا فقالت بعبرة * أموت ولا هذا ودمعتها تجرى
فلما تعارضنا توسطت لجة * غرقت بها ياقوم فى لجج البحر
فصحت أغثنى يا غلام فجاءنى * وقد زلقت رجلى وصرت الى الصدر
ولولا صياحى بالغلام وانه * تداركنى بالحبل صرت الى القعر

ولو عظموه فى النفوس لعظما ولكن أهانوه فهان ودنسوا محياه بالاطماع حتى تجهما

قال شيخ الاسلام تاج الدين عبد الوهاب بن شيخ الاسلام تقى الدين السبكى الشافعى سقى الله عهده لقد صدق هذا القائل لو عظموا العلم عظمهم قال وأنا أقرأ قوله لعظم بفتح العين فان العلم اذا عظم تعظم وهو فى نفسه عظيم ولكن أهانوه فهانوا ولكن الرواية فهان وعظم بضم العين والأحسن ما أشرف اليه انتهى (قال) الشيخ الامام العالم العلامة تاج الدين عبد الوهاب بن السبكى فى أجوبته عن الاعتراضات التى على جمع الجوامع ومن ظريف ما يستفاد قول أبى نواس

أباح العراقى النبيذ وشربه * وقال حرامان المدامة والسكر
وقال الحجازى الشرابان واحد * فحلت لنا من بين قوليهما الخمر
سآخذ من قوليهما طرفيهما * وأشربها لا فارق الوازر الوزر

وقد سألنى الأديب صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى رحمه الله عن معنى هذه الأبيات ومعناها أن العراقى وهو أبو حنيفة رحمه الله أباح النبيذ وحرم المدامة وهى الخمر أسكرت أم لم تسكر وحرم أيضا المسكر من كل شىء وأن الحجازى وهو الشافعى رحمه الله قال

فاقسمت عمرى لا ركبت سفينة * ولاسرت طول الدهر الا على ظهر

﴿ومن ذلك﴾ ماحدث الشيبانى قال كان عندرجل بالعراق قينة وكان أبو نواس يختلف اليها وكانت تظهرله أنهالاتحب غيره وكان كلمادخل اليها وجدعندها شاباجالسها ويحادثها فقال فيها هذه الابيات

ومظهرة لخلق الله ودا * وتلقى بالتحية والسلام
أتيت لبابها أشكو اليها * فلم أخلص اليه من الزحام
فيامن ليس يكفيها خليل * ولا ألفا خليل كل عام
أراك بقية من قوم موسى * فهم لايصبرون على طعام

(وقال) أبو سويد حدثنى أبو زيد الأسدى قال دخلت على سليمان بن عبدالملك وهوجالس فى إيوان مبلط بالرخام الاحمر مفروش بالديباج الاخضر فى وسط بستان ملتف قدأثمر وأينع وعلى رأسه وصائف كل واحدة منهن أحسن من صاحبتها وقدغابت الشمس وغنت الاطيار فتجاوبت وصفقت الرياح على الاشجار فتمايلت فقلت السلام عليك أيها الامير ورحمة الله وبركاته وكان مطرقا فرفع رأسه وقال أبازيد فى مثل هذا الحين تصاحبنا فقلت أصلح الله الامير أوقامت القيامة قال نعم على أهل المحبة ثم أطرق مليا ورفع رأسه وقال أبازيد مايطيب فى يومنا هذا قلت أصلح الله الامير قهوة حمراء فى زجاجة بيضاء تناولها غادة هيفاء مضمومة لفاء أشربها من كفها وأمسح فمى بخدها فاطرق سليمان مليا لايرد جوابا تنحدر من عينيه عبرات بلاشهيق فلما رأت الوصائف ذلك تنحين عنه ثم رفع رأسه فقال أبازيد حضرت فى يوم فيه انقضاء أجلك ومنتهى مدتك وتصرم عمرك والله لأضربن عنقك أو لتخبرنى ماأثار هذه الصفة من قلبك قلت نعم أصلح الله الامير كنت جالسا عند دار أخيك سعيد بن عبدالملك فاذا أنا بجارية قدخرجت من باب القصر كأنها غزال انفلت من شبكة صياد عليها قميص سكب اسكندرانى يبين منه بياض بدنها وتدوير سرتها ونقش تكتها وفى رجليها نعلان صراران قد أشرق بياض قدميها على حمرة نعليها بذؤابتين تضربان إلى حقويها لها صدغان كانهما نونان وحاجبان قدقوسا على محاجر عينيها وعينان مملوءتان سحرا وأنف كأنه قصبة بلور وفم كأنه جرح يقطر دما وهى تقول عباد الله من لى بدواء مالا يشتكى وعلاج مالا يسمى طال الحجاب وأبطأ الجواب والقلب طائر والعقل عازب والنفس والهة والفؤاد مختلس والنوم محتبس رحمة الله على قوم عاشوا تجلدا وماتوا كمدا ولو كان إلى الصبر حيلة أو الى ترك الغرام سبيل لكان أمرا جميلا ثم أطرقت طويلا ورفعت رأسها فقلت لها أيتها الجارية انسية أنت أم جنية سماوية أنت أم أرضية فقد أعجبنى ذكاء عقلك واذهلنى حسن منطقك فسترت وجهها بكمها كأنها لم ترنى ثم قالت أعذر أيها المتكلم فما أوحش الساعد بلامساعد والمقاساة لصب معاند ثم انصرفت فوالله ما أكلت طعاما طيبا الا غصصت به لذكرها ولارأيت حسنا الا سمج فى عينى لحسنها فقال سليمان أبازيد كاد الجهل يستفزنى والصبا يعاودنى والحلم يعزب عنى لشجوما سمعت إعلم ياأبازيد أن تلك التى رأيتها هى الذلفاء التى قيل فيها

انما الذلفاء ياقوتة * أخرجت من كيس دهقان

شراؤها على أخى ألف ألف درهم وهى عاشقة لمن باعها والله ان مات ما يموت الا بحبها ولايدخل القبر الا بغصتها وفى الصبر سلوة وفى توقيع الموت نهية قم أبازيد فى دعة الله تعالى ثم قال ياغلام نفله ببدرة فأخذتها وانصرفت قال فلما أفضت الخلافة اليه صارت الذلفاء اليه فأمر بفسطاط فأخرج على دهناء الغوطة وضرب فى روضة خضراء مونقة زهراء ذات حدائق بهجة تحتها أنواع الزهر ما بين أصفر فاقع وأحمر ساطع وأبيض ناصع وكان لسليمان مغن يقال له سنان به يأنس واليه يسكن

الشرابان واحد فأخذ أبو نواس بالموجب فكأنه قال انهما واحد ولكن فى الحل لافى الحرمة واليه الاشارة بقوله فخل لنا من بين قوليهما الخمر ثم هذا انما ذكره أبو نواس على عادة الشعراء فى الكيس والظرافة ولا يقصد حقيقته فانه لايقول به أحد ولعله أشار بقوله سآخذ من قوليهما طرفيهما الى آخره انه لا يعتقده بل هو شاعر كما يقول ولا يفعل كذلك لايعتقد فهو على مازعم يشربها وان لم يعتقد الحل اذ كيف يعتقد مالم يقله مسلم وكيف يمكن أن يقال انه يعتقد الحل وقد قال لا فارق الوازر الوزر فهذا انشاء معنى هذه الابيات وهى على كل حال من كلمات الشعراء التى لايحتج بها فى دين الله تعالى (اعتل) ذو الرياستين الفضل بن سهل بخراسان مدة طويلة ثم أبل واستقبل وجلس للناس فدخلوا اليه وهنؤه بالعافية فانصت لهم حتى انقضى كلامهم ثم اندفع فقال ان فى العلل لنعما لاينبغى للعقلاء أن يجهلوها منها تمحيص الذنوب وثواب الصبر وإيقاظ من الغفلة واذكار بالنعمة فى حال الصحة واستدعاء للتوبة وحض على الصدقة ورضاء بقضاء الله وقدره فانصرف الناس بكلامه ونسوا ماقاله غيره اه (حكى) عن ابن المبارك أنه قال حججت الى بيت الله

فأمره

فأمره أن يضرب فسطاطه بالقرب منه وكانت الذلفاء قد خرجت مع سليمان إلى ذلك المنتزه فلم
يزل سنان يومه ذلك عند سليمان في أكمل سرور وأتم حبور الى أن انصرف من الليل الى فسطاطه
فنزل به جماعة من اخوانه فقالوا له نريد قرا أصلحك الله قال وما قراكم قالوا أكل وشرب وسماع
قال أما الأكل والشرب فمباحان لكم وأما السماع فقد عرفتم شدة غيرة أمير المؤمنين ونهيه عنه
الا ما كان في مجلسه قالوا لا حاجة لنا بطعامك وشرابك ان لم تسمعنا قال فاختاروا صوتا واحداً
أغنيكموه قالوا غننا صوت كذا فرفع صوته يغني بهذه الأبيات

محجوبة سمعت صوتي فأرقها * من آخر الليل لما نبه السحر
في ليلة البدر مايدري مضاجعها * أوجهها عنده أبهى أم القمر
لم يحجب الصوت احراس ولا غلق * فدمعها لطروق الصوت منحدر
لو مكنت لمشت نحوي على قدم * تكاد من لينها في المشي تنفطر

قال فسمعت الذلفاء صوت سنان فخرجت الى صحن الفسطاط تسمع فجعلت لا تسمع شيئاً من
حسن خلق ولطافة قد إلا رأت ذلك كله في نفسها وهيئتها فحرك ذلك ساكنا من قلبها فهملت
عيناها وعلا نحيبها فانتبه سليمان فلم يجدها معه فخرج إلى صحن الفسطاط فرآها على تلك الحالة فقال
ماهذا ياذلفاء فقالت

ألا رب صوت رائع من مشوه * قبيح المحيا واضع الأب والجد
يروعك منه صوته ولعله * إلى أمة يعزى معا والى عبد

فقال سليمان دعيني من هذا فوالله لقد خامر قلبك منه ما خامر ثم قال يا غلام علي بسنان فدعت الذلفاء
خادما لها فقالت له ان سبقت رسول أمير المؤمنين الى سنان فحذرته فلك عشرة آلاف درهم وأنت
حر لوجه الله تعالى فخرج الرسولان فسبق رسول أمير المؤمنين سليمان فلما أتى به قال ياسنان ألم
أنهك عن مثل هذا قال يا أمير المؤمنين حملني على ذلك حلمك وأنا عبد أمير المؤمنين وغرس نعمته فان
رأى أمير المؤمنين أن يعفو عن عبده فليفعل قال قد عفوت عنك ولكن أما علمت ان الفرس اذا صهل
ودقت له الحجرة وأن الفحل إذا هدر ضبعت له الناقة وان الرجل إذا تغنى أصغت له المرأة اياك
اياك والعود إلى ما كان منك فيطول غمك (وحكي) أن الرشيد قصد يوما فأرسلت اليه بعض حظاياه
قدحا فيه شراب مع وصيفة لها حسنة الوجه جميلة الطلعة بديعة الحيا وغطته بمنديل مكتوب عليه
هذه الأبيات

فصدت عرقا تبتغي صحة * ألبسك الله به العافيه * فاشرب بهذا الكاس ياسيدي
واهنأ به من كف ذي الجاريه * واجعل لمن أنفذه خلوة * تحظى بها في الليلة الآتيه

قال فنظر الرشيد الى الوصيفة التي جاءت بالقدح فاستحسنها فافتضها ثم أرسلها فعلمت مولاتها
بذلك فكتبت اليه رقعة تقول فيها هذه الأبيات

بعثت الرسول فابطا قليلا * على الرغم مني فصبرا جميلا * وكنت الخليل وكان الرسولا
فصرت الرسول وصار الخليلا * كذا من يوجه في حاجة * الى من يحب رسولا جميلا

قال فاستحسن الرشيد ذلك منها وأرسل اليها أنا عندك الليلة * وأهدى داود بن روح المهلبي
إلى المهدي جاريه فحظيت عنده فواعدته المبيت عنده ليلة فمنعها الحيض فكتب اليها يقول

لأهجرن حبيبا خان موعده * وكان منه لصفو العيش تكدير
فارسلت اليه تجيبه لاتهجرن حبيبا خان موعده * ولا تذمن وعدا فيه تأخير

الحرام فبينما أنا في الطواف اذ عييت فجلست أستريح ووضعت رأسي على ركبتي فغلبني النوم فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول يا ابن المبارك اذا أنت قضيت حجك وحللت عقدك ورجعت الى أرض العراق ودخلت دار السلام فاقصد الحلة التي بها بهرام المجوسي فاذا لقيته فأخبره أن النبي العربي محمدا صلى الله عليه وسلم يسلم عليك وهو يقول لك أبشر فان قصرك في الجنة غداً من أقرب القصور الى قصري قال عبد الله فانتبهت لذلك فزعا مرعوبا وتفكرت ساعة فغلبني النوم ثانيا فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم أيضا يقول يا ابن المبارك لا تشك في منامك فهو حق والشيطان لا يتمثل بصورتي قط فاذا قضيت حجك وحللت عقدك وانصرفت الى العراق فاطلب هذا المجوسي بهرام وبشره بما قلت لك فانتبهت أيضا فزعا مرعوبا واستعذت بالله واستغفرته وتفكرت ساعة فغلبني النوم فنمت فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم ثالث مرة وهو يقول يا ابن المبارك أنا محمد رسول الله فلا ترتبك في ذلك وامتثل أمري فهو حق فقلت يارسول الله أريد بذلك علامة ألقاه بها فأخذ رسول الله كفي بيمينه ثم قال يا ابن المبارك هذا المجوسي شيخ زمن قد أتى عليه مائة وأربعون سنة وقد ضعف بصره وثقل سمعه وابيض شعره ودق عظمه

ما كان حسبي الا من حدوث أذى * لا يستطاع له بالقول تفسير

وقال محمد بن مروان يصف جارية له

أمست تباع ولو تباع بوزنها * دراً بكى أسفا عليها البائع

وكان للمأمون جويرية من أحسن الناس وأسبقهم الى كل نادرة فحظيت عنده فحسدها الجواري وقلن لا حسب لها فنقشت على خاتمها حسبي حسبي فازداد بها المأمون عجبا فسمتها الجواري فماتت فجزع عليها المأمون جزعا شديدا وقال

اختلست ريحانتي من يدي * أبكي عليها آخر الأبد
كانت هي الانس اذا استوحشت * نفسي من الأقرب والأبعد
وروضة كان بها مرتعي * ومنهلا كان بها موردي
كانت يدي كان بها قوتي * فاختلس الدهر يدي من يدي

(وللمتوكل في قينة)

أمازحها فتغضب ثم ترضى * فكل فعالها حسن جميل
فان غضبت فأحسن ذي دلال * وان رضيت فليس لها عديل

وحدث أبو عبد الله بن عبد البر قال حدثني اسحق بن ابراهيم عن الهيثم بن عدي قال كان في المدينة رجل من بني هاشم وكان له قينتان يقال لاحداهما رشا وللأخرى جؤذر وكان بالمدينة رجل مضحك لا يكاد يغيب عن مجلس المستظرفين فأرسل الهاشمي اليه ذات يوم ليسخر به فلما أتاه قال له أصلحك الله انك أبي لذتك ولا لذة لي قال وما لذتك قال تحضر لي نبيذا فانه لا يطيب لي عيش الا به فأمر الهاشمي باحضار نبيذ وأمر أن يطرح فيه سكر العشر فلما شرب به المضحك تحرك عليه بطنه فتناوم الهاشمي وغمز جاريتيه عليه فلما ضاق عليه الأمر واضطر الى التبرز قال في نفسه ما أظن هاتين المغنيتين الا يمانيتين وأهل اليمن يسمون الكنف بالمراحيض فقال لهما يا حبيبتي أين المرحاض فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنيا لي

رحضت فؤادي فخليتني * أهيم من الحب في كل وادي

فاندفعتا تغنيانه فقال في نفسه والله ما أظنهما فهمتا عني وما أظنهما الا مكيتين وأهل مكة يسمونها المخرج فقال يا حبيبتي أين المخرج فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنيا لي

خرجت لها من بطن مكة بعدما * أقام المنادي بالعشي فأعتما

فاندفعتا يغنيانه فقال في نفسه لم يفهما عني وما أظنهما الا شاميتين وأهل الشام يسمونها المذاهب فقال يا حبيبتي أين المذهب فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول حبيبنا قالت يقول غنيا لي

ذهبت من الهجران في كل مذهب * ولم يك حقا كل هذا التجنب

فغنتاه الصوت فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم لم يفهما عني وما أظن القحبتين الا مدنيتين وأهل المدينة يسمونها بيت الخلاء فقال يا حبيبتي أين بيت الخلاء فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنيا لي

خلا على بقاع الأرض اذ ظعنوا * من بطن مكة واسترعاني الحزن

قال فغنتاه فقال انا لله وانا اليه راجعون ما أظن الفاسقتين الا بصريتين وأهل البصرة يسمونها الحشوش فقال يا حبيبتي أين الحشوش فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنيا لي

أوحشوني وعز صبري فيهم * ما احتيالي وما يكون فعالي

قال فاندفعتا تغنيانه فقال ما أراهما الا كوفيتين وأهل الكوفة يسمونها الكنف فقال لهما يا حبيبتي أين الكنيف فقالت احداهما لصاحبتها بعيش سيدنا ما رأيت أكثر اقتراحا من هذا الرجل قالت ما يقول يسأل أن تغني له

تكنفني الهوى طفلا * فشيبني وما اكتهلا

فقال واو يلاه وأعظم مصيبتاه هذا والهاشمي يتقطع ضحكا فقال لهما ازانيتان ان لم تعلماني به أنا أعلمكما

و يبس عصبه وجلده فإذا أتيته وسلمت عليه و بشرته بما قلت لك وطلب منك علامة فامسح بيدك هذه التي أخذتها بيميني على رأسه ومر بها على وجهه وسائر جسده و بدنه فانه يعود شابا و يرجع اليه بصره وسمعه و يسود شعره و يطري جسده و يقوى عصبه وتعود اليه قوته فانتبهت وأنا كالولهان فلما أن قضيت حجي وحللت عقدي وانصرفت الى العراق ودخلت بغداد سألت عن دار المجوسي فقلت يا غلام استأذن لي على مولاك فقال الغلام أغريب أنت قلت أجل قال ادخل ليس هنا من يحجبك قال فدخلت الى دار لم أر مثلها واذا بكتبة ومجوس وصيارف قعود وهم يقتضون الرهون و يعطون الدنانير والدراهم فقلت يا قوم أفيكم بهرام فقيل ادخل الدار الثانية فدخلتها فاذا ليس بينها و بين الدار الأولى نسبة بل تفاوت واذا بشيخ قاعد على دست ومرتبة على الصفة التي وصفها رسول الله صلى الله عليه وسلم وحوله جماعة من الكتاب والحساب و بين أيديهم الدنانير والدراهم كالبيادر الصغار وهم في الحساب فسلمت كما أمرني النبي صلى الله عليه وسلم فرد علي السلام

ثم رفع ثيابه وسلح عليهما وعلى الفراش فانتبه الهاشمي وقد غشي عليه من شدة الضحك وقال ويلك ماهذا تسلح على وطائي فقال الرجل حياة نفسي أعز علي من وطائك وقيل انه لما قيل له ويلك ماهذا قال المضحك هذه الأبيات

تكنفني الملاح واضجروني * على ما بي بنيات الزواني

فلما قل عن ذاك اصطباري * فذقت به على وجه الغواني

قال فانبسط الهاشمي ودفع اليه مالا ومضى الى سبيله (وقال) علي بن الجهم قلت لقينة

هل تعلمين وراء الحب منزلة * تدني اليك فان الحب أقصاني

﴿ قالت تأتي من باب الذهب وأنشدت ﴾

اجعل شفيعك منقوشا تقدمه * فلم يزل مدنيا من ليس بالداني

وكان أشعث يختلف الى قينة بالمدينة فجلس عندها يوما يطارحها الغناء فلما أراد الخروج قال لها ناوليني خاتمك أذكرك به قالت انه ذهب وأخاف أن تذهب ولكن خذ هذا العود فلعلك أن تعود وناولته عودا من الارض وكان بعض القينات من الجمال والحسن بجانب ثم أصابتها علة فتغير حالها فكانت تنشد

ولي كبد مقروحة من يبيعني * بها كبدا ليست بذات قروح

أباها على الناس لا يشترونها * ومن يشتري ذا علة بصحيح

وكان المعتصم يحب قينة من حظاياه فاتفق انه خرج الى مصر وتركها فذكرها في بعض الطريق فاشتاق اليها فغلبه الوجد فدعا مغنيا وقال ويحك قد ذكرت جاريتي فلانة فلقني الشوق اليها فعسى ان تغنيني شيئا في معنى ما ذكرته لك فأطرق مليا ثم غناه

وددت من الشوق المبرح انني * أعار جناحي طائر فأطير * فما لنعيم ليس فيه بشاشة وما لسرور ليس فيه سرور * وان امرأ في بلدة نصف قلبه * ونصف بأخرى غيرها لصبور

والحكايات في معنى ذلك كثيرة ولو أردت بسطها لاحتجت الى مجلدات ولكن ما قل وجل خير من كثير يمل وفيما ذكرته كفاية والله المسؤل أن يمدني منه باللطف والعناية ونسأله التوفيق والهداية وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب الحادي والسبعون في ذكر العشق ومن بلي به والافتخار بالعفاف وأخبار من مات بالعشق وما في معنى ذلك وفيه فصول ﴾

﴿ الفصل الاول في وصف العشق ﴾ قال الجاحظ العشق اسم لما فضل عن المحبة كما أن السرف اسم لما جاوز الجود وقال اعرابي العشق خفي أن يرى وجلي أن يخفى فهو كامن ككمون النار في الحجر إن قدحته أورى وان تركته توارى وقيل أول العشق النظر وأول الحريق الشرر وكان العشاق فيما مضى يشق الرجل برقع حبيبته والمرأة تشق رداء حبيبها ويقولون انهما إذا لم يفعلا ذلك عرض البغض بينهما وقال عبد بني الحسحاس

وكم قد شققنا من رداء محبر * ومن برقع عن طفلة غير عانس

إذا شق برد شق بالبرد برقع * من الحب حتى كلنا غير لابس

وقيل لاعرابي ما بلغ من حبك لفلانة قال اني لاذكرها وبيني وبينها عقبة الطائف فأجد من ذكرها رائحة المسك وقيل رأى شبيب أخو بثينة جميلا عندها فوثب عليه وآذاه ثم ان شبيبا أتى مكة وجميل فيها فقيل لجميل دونك شبيبا فخذ بثارك منه فقال

وكان قد شد حاجبه بعصابة فرفعها عن عينيه ثم قال من الرجل قلت عبد الله بن المبارك فقال مرحبا بك لقد شممت بك رائحة زال بها الهم عن قلبي ادن مني فجلست الى جانبه فقال هل لك من حاجة قلت نعم قال وما هي قلت أرى أن أخلو بك ساعة فقال نعم وأمر من هنالك بالخروج فتهيؤا ثم خرجوا فبقيت أنا وهو وثلاثة شبان قلت هؤلاء اصرفهم يا بهرام كم تعد من السنين قال أعد مائة وأربعين سنة قلت فهل تعرف أنك عملت شيئا استوجبت به من الله الجنة قال لا أدري الا أني رزقت ثلاثة بنين وثلاث بنات فزوجت بعضهم من بعض وأعطيت مهورهن من عندي وأفردت لكل واحد منهم مالا ودارا وعقارا قلت لا تستوجب الجنة بل تستوجب النار فهل عملت شيئا صالحا لآخرتك قال قسمت ليلي ثلاثة أجزاء أما الجزء الأول فاني أقعد للسامرة وتقرأ على سير الأول فانفرج بذلك والجزء الثاني أعبد فيه النار وأسجد لها من دون الله الواحد القهار والجزء الثالث أتفكر فيه في أمر معاشي ومعادي وأمنع نفسي عن النوم في ذلك الجزء فان النوم فيه جهل وخمول ودماء الا لضرورة فقلت هل لك فعل غير هذا قال لا قلت يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فبم استحققت

وقالوا ياجميل أتى أخوها * فقلت أتى الحبيب أخو الحبيب

﴿ وأنشد الاخفش الحداد يقول ﴾

مطارق الشوق منها فى الحشى أثر * يطرقن سندان قلب حشوه الفكر

ونار كور الهوى فى الجسم موقدة * ومبرد الحب لايبقى ولا يذر

وفى الجليس الانيس لابى العالية الشامى قال سأل أمير المؤمنين المأمون يحيى بن أكثم عن العشق ماهو فقال هو سوانح تسنح للمرء فيهيم بها قلبه وتؤثرها نفسه وقال ثمامة العشق جليس ممتع وأليف مؤنس وصاحب ملك مسالكه ضيقة ومذاهبه غامضة وأحكامه جائرة ملك الابدان وأرواحها والقلوب وخواطرها والعيون ونواظرها والعقول وآراءها وأعطى عنان طاعتها وقوة تصريفها توارى عن الابصار مدخله وخفى فى القلوب مسلكه وكان شيخ بخراسان له أدب وحسن معرفة بالأمور قال سليمان بن عمرو ومن معه أنتم أدباء وقد سمعتم الحكمة ولكم حداء ونغم فهل فيكم عاشق قالوا لا قال اعشقوا فان العشق يطلق اللسان و يفتح جبلة البليد والبخيل و يبعث على التلطف وتحسين اللباس وتطييب المطعم ويدعو إلى الحركة والذكاء وتشريف الهمة وقال المجنون

قالت جننت على ذكرى فقلت لها * الحب أعظم مما بالمجانين

الحب ليس يفيق الدهر صاحبه * وانما يصرع المجنون فى الحين

قال ذو الرياستين إن بهرام جور كان له ابن وكان قد رشحه للأمر من بعده فنشأ الفتى ناقص الهمة ساقط المروءة خامل النفس سيء الأدب فغمه ذلك فوكل به من المؤدبين والمنجمين والحكماء من يلازمه و يعلمه وكان يسألهم عنه فيحكون له ما يغمه من سوء فهمه وقلة أدبه الى أن سأل بعض مؤدبيه يوما فقال له المؤدب قد كنا نخاف سوء أدبه فحدث من أمره ماصير نا الى الرجاء فى فلاحه وقال وماذاك الذى حدث قال رأى ابنة فلان المرزبان فعشقها فغلبت عليه فهو لا يهدأ إلابها ولا يتشاغل الابها فقال بهرام الآن رجوت فلاحه ثم دعا بأبى الجارية فقال له انى مسر اليك سرا فلا يعدوك فضمن له ستره فاعلمه ان ابنه قد عشق ابنته وأنه يريد أن ينكحها اياه وأمره أن يأمرها باطماعه فى نفسها ومراسلته من غير أن يراها وتقع عينه عليها فاذا استحكم طمعه فيها تجتنبه وتهجره فان استعلمها أعلمته أنها لا تصلح إلا لملك ثم لتعلمنى خبرها وخبره ولا تطلعهما على ما أسره اليك فقبل أبوها ذلك منه ثم قال للمؤدب الموكل بأدبه حضه وشجعه على مراسلة المرأة ففعل ذلك وفعلت المرأة كما أمرها أبوها فلما انتهت الى التجنى عليه وعلم الفتى السبب الذى كرهته لأجله أخذ فى الأدب وطلب الحكمة والعلم والفروسية والرماية وضرب الصولجان حتى مهر فى ذلك ثم رفع الى أبيه انه محتاج الى الدواب والآلات والمطاعم والملابس والندماء وما أشبه ذلك فسر الملك بذلك وأمر له بما طلب ثم دعا مؤدبه فقال له ان الموضع الذى وضع به ابنى نفسه من خبر هذه المرأة لايدرى به فتقدم اليه ومره ان يرفع أمرها الى و يسألنى أن أزوجه اياها ففعل المؤدب ذلك فرفع الفتى ذلك لأبيه فدعا بأبيها وزوجه اياها وأمر بتعجيلها اليه وقال له اذا اجتمعت أنت وهى فلا تحدث شيئا حتى أصير اليك فلما اجتمعا صار اليه فقال يابنى لا يضعن قدرها عندك مراسلتها إياك وليست فى خبائك فانى أمرتها بذلك وهى أعظم الناس منة عليك بما دعتك اليه من طلب الحكمة والتخلق بأخلاق الملوك حتى بلغت الحد الذى تصلح معه للملك من بعدى فزدها من التشريف والاكرام بقدر ما تستحق منك ففعل الفتى وعاش مسرورا بالجارية وعاش أبوه مسرورا به وأحسن ثواب أبيها ورفع منزلته لصيانته سره وأحسن جائزة المؤدب لامتثال ماأمره به ﴿وكان﴾ عبد الله بن عبيدة الريحانى يهوى جارية فزارته يوما فأقام يحدثها و يشكو اليها

الصادق الأمين الذى لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم قال فما القصة فحدثته بالمنام الذى رأيته و بما قاله النبى صلى الله عليه وسلم مرارا فقال يا ابن المبارك وهل لذلك علامة ظاهرة قلت نعم ادن منى فدنا فمسحت بيدى رأسه ووجهه وصدره و بدنه وأولاده ينظرون فصار شابا حسنا طريا سميعاً بصيرا واسود شعره وابيضت بشرته فلما عاين ذلك قال امدد يدك ياشيخ أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ثم قال ياشيخ أخبرك السبب الذى أوجب الله لى به هذه المنزلة قلت نعم قال كنت من مدة قد أولمت وليمة عامة للمسلمين والنصارى واليهود والمجوس على خاصة فأكلوا وانصرفوا وانقضت الوليمة فلما كان فى بعض الليل طرق طارق الباب وقد هدأ الناس ونام الخدام لما أصابهم من التعب بسبب الوليمة وأنا جالس منتبه فقلت من بالباب فقالت يابهرام أنا امرأة من جيرانك فاوقد لى هذا السراج قال بهرام والمجوس لاترى اخراج النار من بيوتهم ليلا فتحيرت فى أمرى وقمت ولم أنبه أحداً فاسرجت لها السراج فانصرفت

ألم الفراق فحان وقت الظهر فناداه إنسان الصلاة يا أبا الحسن فقال له رويدك حتى تزول الشمس أى حتى تقوم الجارية * وقالت ليلى العامرية فى قيسها

لم يكن المجنون فى حالة * إلا وقد كنت كما كانا
لكنه باح بسر الهوى * وانى قد ذبت كتمانا

وقال احمد بن عثمان الكاتب

وانى ليرضينى الممر ببابها * وأقنع منها بالشتيمة والزجر

وقال الفتح بن خاقان صاحب المتوكل

أيها العاشق المعذب صبرا * فخطايا أخى الهوى مغفوره
زفرة فى الهوى أحط لذنب * من غزاة وحجة مبروره

وقال عمر بن أبى ربيعة كنت بين امرأتين هذه تساررنى وهذه تعضنى فما شعرت بعضة هذه من لذة هذه وأنشد شيبان العذرى يقول لو حز بالسيف رأسى فى محبتها * لطار يهوى سريعا نحوها راسى

وقال يحى بن معاذ الرازى لو أمرنى الله أن أقسم العذاب بين الخلق ماقسمت للعاشقين عذابا

﴿ الفصل الثانى من هذا الباب فيمن عشق وعف والافتخار بالعفاف ﴾ روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله ﷺ من عشق فعف فمات فهو شهيد وقال ﷺ عفوا تعف نساؤكم وقال بعضهم رأيت امرأة مستقبلة فى غاية الضعف والنحافة رافعة يديها تدعو فقلت لها هل من حاجة فقالت حاجتى أن تنادى فى الموقف بقولى

تزود كل الناس زادا يقيهم * ومالى زاد والسلام على نفسى

فناديت كما أمرتنى واذا بفتى نحيل الجسم قد أقبل الى فقال أنا الزاد فمضيت به اليها فما زاد على النظر والبكاء ثم قالت له انصرف بسلام فقلت ماعلمت أن لقاءكما يقتصر على هذا فقالت أمسك ياهذا أماعلمت أن ركوب العار ودخول النار شديد قال ابراهيم بن محمد المهلبى

كم قد ظفرت بمن أهوى فيمنعنى * منه الحياء وخوف الله والحذر
وكم خلوت بمن أهوى فيقنعنى * منه الفكاهة والتأنيس والنظر
أهوى الملاح وأهوى أن أجالسهم * وليس لى فى حرام منهم وطر
كذلك الحب لا إتيان معصية * لا خير فى لذة من بعدها سقر

وقال بعض بنى كلب ان أكن طامح اللحاظ فانى * والذى يملك الفؤاد عفيف

ونحو ذلك قول القائل فقالت بحق الله إلا أتيتنا * اذا كان لون الليل شبه الطيالس

فجئت وما فى القوم يقظان غيرها * وقد نام عنها كل واش وحارس
فبتنا بليل طيب نستلذه * جميعا ولم أقلب لها كف لامس

ونزل رجل على صديق له مستترا خائفا من عدو له فانزله فى منزله وتركه فيه وسافر لبعض حوائجه وقال لامرأته أوصيك بضيفى هذا خيرا فلما عاد بعد شهر قال لها كيف ضيفنا قالت ما أشغله بالعمى عن كل شىء وكان الضيف قد أطبق عينيه فلم ينظر الى امرأة صاحبه ولا الى منزله الى أن عاد من سفره وكان عمر بن أبى ربيعة عفيفا يصف ويعف ويحوم ولا يرد * ودخلت بثينة على عبد الملك بن مروان فقال لها يابثينة ما أرى فيك شيئا مما كان يقوله جميل فقالت ياأمير المؤمنين انه كان يرنو إلى بعينين ليستا فى رأسك قال فكيف رأيتيه فى عشقه قالت كان كما قال الشاعر

لا والذى تسجد الجباه له * مالى بما تحت ذيلها خبر
ولا بفيها ولا هممت بها * ما كان إلا الحديث والنظر

وأطفأت السراج وعادت وقالت يابهرام قد انطفأ فاسرجه لى فلما أسرجته قالت يابهرام والله ماجئتك لأجل سراج ولكن جئتك من أجل ثلاث بنات شممن روائح طعامك فهن ملقيات على وجوههن يتضاوون كالمرأة الثكلى أو كالحية فى المقلى فان كان قد بقى فى دارك فضل طعام فأعطنى فانك ان شاء الله تملك بذلك الجنة فقلت حبا وكرامة فاخذت منديلا كبيرا فجعلت فيه من كل شىء كان فى البيت من الحلو والحامض وأخرجت كيسا فيه ألف دينار وكيسا فيه ستة آلاف درهم وستة أثواب من ديباج وستة أثواب مروزية وشددت الجميع وقلت احملى هذا الى عيالك واقسمي عليهم فمدت يدها فلم تطق حمله لضعفها فقالت يابهرام أعنى أعانك الله على الوقوف بين يديه وخفف عليك الحساب فى ذلك اليوم الشديد فقلت ياهذه كيف أفعل وأنا شيخ كبير وقد مضى على مائة ونيف وثلاثين سنة ثم تفكرت لحظة وطاب لذلك قلبى فقلت لها شيلى على رأسى فشالته واستقل على رأسى فسال لذلك عرقى حتى صرت فى منزلها فحططت الطعام ووضعت الرزمة وجعلت ألقم البنات الى أن شبعن ونشطن ثم قسمت عليهن الثياب والدراهم والدنانير ففرحن وتبسمن فلما أردت القيام قلن بأجمعهن يابهرام

وقد قدمت هذين البيتين في الجزء الأول فيما جاء في الكتابة على سبيل الرمز * وعن أبي سهل الساعدي قال دخلت على جميل وبوجهه آثار الموت فقال لي يا أبا سهل ان رجلا يلقى الله ولم يسفك دما ولم يشرب خمرا ولم يأت فاحشة أفترجو له الجنة قلت أي والله فمن هو قال إني لأرجو أن أكون ذلك فذكرت له بثينة فقال اني لفي آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة لا نالتني شفاعة محمد ﷺ ان كنت حدثت نفسي بريبة قط * وعن عبد الله بن عبد المطلب أبي النبي ﷺ أنه دعته بغي إلى نفسها وبذلت له مالا وكانت تتكهن وتسمع باتيان رسول الله ﷺ وكانت جميلة فأرادت أن تخدع عبد الله رجاء أن يكون النبي ﷺ منها للنور الذي رأته بين عينيه فأبى وقال

أما الحرام فالحمام دونه * والحل لا نأبى ونستدينه
فكيف بالأمر الذي تبغينه * يحمي الكريم عرضه ودينه

(وقال آخر) وأحور مخضوب البنان محجب * دعاني فلم أعرف الى ما دعا وجها
بخلت بنفسي عن مقام يشينها * ولست مريدا ذاك طوعا ولا كرها

وراود شاب ليلى الأخيلية عن نفسها فاشمأزت وقالت

وذي حاجة قلنا له لا تبح بها * فليس اليها ما حييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه * وأنت لأخرى صاحب وخليل

وقال ابن ميادة

موانع لا يعطين حبة خردل * وهن دوان في الحديث أوانس
ويكرهن أن يسمعن في اللهو ريبة * كما كرهت صوت اللجام الشوامس

(وقال آخر) حور حرائر ما هممن بريبة * كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الكلام فواسقا * ويصدهن عن الخنى الاسلام

وكان الأصمعي يستحسن بيتي العباس بن الأحنف

أتأذنون لصب في زيارتكم * فعندكم شهوات السمع والبصر
لا يظهر الشوق ان طال الجلوس به * عف الضمير ولكن فاسق النظر

واختفى ابراهيم بن المهدي في هربه من المأمون عند عمته زينب بنت أبي جعفر فوكلت بخدمته جارية لها اسمها ملك وكانت واحدة زمانها في الحسن والأدب طلبت منها بخمسمائة ألف درهم فهويها ابراهيم وكره أن يراودها عن نفسها فغنى يوما وهي قائمة على رأسه

يا غزالا لي اليه * شافع من مقلتيه * أنا ضيف وجزاء الضيف احسان اليه

ففهمت الجارية ما أراد فحكت ذلك لمولاتها فقالت اذهبي اليه فاعلميه أني قد وهبتك له فعادت اليه فلما رآها أعاد البيتين فأكبت عليه فقال لها كفي فلست بخائن فقالت قد وهبتني لك مولاتي وأنا الرسول فقال أما الآن فنعم وأنشد المبرد

ما ان دعاني الهوى لفاحشة * الا نهاني الحياء والكرم
فلا الى فاحش مددت يدي * ولا مشت بي لزلة قدم

(وقال آخر) يقولون لا تنظر فذاك بلية * بلى كل ذي عينين لابد ناظر
وهل باكتحال العين بالعين ريبة * اذا عف فيما بينهن السرائر

وكان بعض الخلفاء قد نذر على نفسه أن لا ينشد شعرا ومتى أنشد بيت شعر فعليه عتق رقبة قال فبينما هو في الطواف يوما اذ نظر الى شاب يتحدث مع شابة جميلة الوجه فقال له يا هذا اتق الله أفي مثل

أصلح الله لك أمورك وأدام سرورك كما أصلحت أمورنا وأدمت سرورنا وفرحك يوم القيامة كما فرحتنا وختم لك بخير وأنزلك أقرب قصر من قصر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في دار الجنان وأنا أقول آمين وما زلت أرجو استجابة دعائهن قلت يا بهرام أبشر فان الله حقق لك ذلك ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أنك تفرغ من دلوك في اناء أخيك ماء قال عبد الله بن المبارك فتصدق بهرام في ذلك اليوم بمائة ألف درهم وبمائة ألف دينار وبمائة ألف ثوب مروزيات وبألفي ثوب ديباج وفرق سائر أمواله على أولاده وبناته وأسلموا جميعا وتفرق الاخوة عن الاخوات وزوج أولاده بالمسلمات وبناته بالمسلمين وأسلم في ذلك اليوم خلق كثير من المجوس ثم انفرد عن أهله ولزم المحراب يعبد الله فلم يلبث الا قليلا حتى توفي رحمة الله عليه ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (روى عن سعد بن سعيد) أنه قال كان في جوار معروف الكرخي رجل مجوسي من أبناء الأغنياء وجد الخليفة عليه فصادره وأخذ منه ألف ألف دينار فافتقر بعد الغنى وذل بعد العز وكان له أعداء وحساد فقالوا للخليفة انه قد بقي له مال جسيم فلا تظن أنه عديم فأمر بمصادرته ثانيا فلما علم

هذا المكان فقال يا أمير المؤمنين والله ماذاك لخني ولكنها ابنة عمي وأعز الناس علي وان أباها
منعني من تزوجها لفقري وفاقتي وطلب مني مائة ناقة ومائة أوقية من الذهب ولم أقدر على ذلك قال
فطلب الخليفة أباها ودفع اليه ما اشترطه على ابن أخيه ولم يقم من مقامه حتى عقد له عليها ثم دخل
الخليفة الى بيته وهو يترنم ببيت من الشعر فقالت له جارية من حظاياه أراك اليوم يا مولاي تنشد
الشعر أفنسيت ما نذرت أم تراك قد هويت فانشد هذه الابيات يقول

تقول وليدتي لما رأتني * طربت وكنت قد أسليت حينا
أراك اليوم قد أحدثت عهدا * وأورثك الهوى داء دفينا
بحقك هل سمعت لها حديثا * فشاقك أو رأيت لها جبينا
فقلت شكا الى أخ محب * كمثل زماننا اذ تعلمينا
وذو الشجو القديم وان تعزى * محب حين يلقى العاشقينا

ثم عد الابيات فاذا هي خمسة أبيات فأعتق خمس رقاب ثم قال لله درك من خمسة أعتقت خمسة وجمعت
بين رأسين في الحلال * وروى عن عثمان الضحاك قال خرجت أريد الحج فنزلت بخيمة بالابواء
فاذا بجارية جالسة على باب الخيمة فأعجبني حسنها فتمثلت بقول نصيب

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب * وقل لا تملينا فما ملك القلب

فقالت يا هذا أتعرف قائل هذا البيت قلت بلى هو نصيب فقالت أتعرف زينبه قلت لا قالت أنا
زينبه قلت حياك الله وحياك قالت أما والله ان اليوم موعده وعدني العام الاول بالاجتماع في هذا
اليوم فلعلك أن لا تبرح حتى تراه قال فبينما هي تكلمني اذا أنا براكب قالت ترى ذلك الراكب قلت نعم قالت
اني لاحسبه اياه فأقبل فاذا هو نصيب فنزل قريبا من الخيمة ثم أقبل فسلم ثم جلس قريبا منها فسألته
أن ينشدها فأنشدها وتأملت في نفسي محبان قد طال التنائي بينهما فلا بد أن يكون لاحدهما الى صاحبه
حاجة فقمت الى بعيري لاشد عليه فقال على رسلك اني معك فجلست حتى نهض معي فسرنا وتسامرنا
فقال لي أقلت في نفسك محبان التقيا بعد طول تناء فلا بد أن يكون لاحدهما الى صاحبه حاجة قلت
نعم قد كان ذلك قال ورب هذا البيت منذ أحببتها ما جلست منها مجلسا هو أقرب من مجلسي هذا
فتعجبت لذلك وقلت والله هذه هي العفة في المحبة * وعن محمد بن يحيى المدني قال سمعت بعض المدنيين
يقول كان الرجل إذا أحب الفتاة يطوف حول دارها حولا يفرح أن يرى من يراها فان ظفر
منها بمجلس تشاكيا وتناشدا الاشعار واليوم هو يشير اليها وتشير اليه ويعدها وتعده فان التقيا
لم يتشاكيا حبا ولم يتناشدا شعرا بل يقوم اليها ويجلس بين شعبتيها كأنه أشهد على نكاحها أبا هريرة
وقال الاصمعي قلت لاعرابية ما تعدون العشق فيكم قالت الضمة والغمزة والقبلة ثم أنشأت تقول

ما الحب الا قبلة * وغمز كف وعضد ما الحب الا هكذا * ان نكح الحب فسد

ثم قالت كيف تعدون أنتم العشق قلت نمسك بقرنيها ونفرق بين رجليها قالت لست بعاشق أنت
طالب ولد ثم أنشأت تقول

قد فسد العشق وهان الهوى * وصار من يعشق مستعجلا
يريد أن ينكح أحبابه * من قبل أن يشهد أو ينحلا

وقيل لرجل وقد زفت عشيقته على ابن عم لها أيسرك أن تظفر بها الليلة قال نعم والذي أمتعني بحبها
وأشقاني بطلبها قيل فما كنت صانعا بها قال كنت أطيع الحب في لثمها وأعصي الشيطان في اثمها
ولا أفسد عشق عشرين سنة بما يبقى ذميم عاره وينشر قبيح أخباره اني اذن للئيم لم يلدني كريم *
ومر سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه ليلة في بعض سكك المدينة فسمع امرأة تقول

المجوسي ذلك دخل بيت النار وقصد ماكان يعبد من دون الجبار وقال ان لم تخلصيني آمنت برب معروف
فلم يجبه أحد ولم ينتفع
بسجوده للنار ولا للنور
فلما جن عليه الليل اغتسل
وأتى مسجد معروف
الكرخي فلم يجده في
المسجد فرفع رأسه وقال
يا إله ابراهيم وعيسى ومحمد
وإله معروف ويا من لا إله
إلا هو تحققت أن ما عبدته
من دونك باطل لا يضر
ولا ينفع واني جئتك تائبا
مما فعلت متبرئا مما عبدت
منفصلا عما اعتقدت موقنا
بك شاهدا بان لا إله إلا
أنت إله الأولين والآخرين
وأنت المعبود الحق تفعل
ما تشاء ولا يكون الا
ما تريد انك على كل شيء
قدير فاغفر لي ما تقدم من
ذنبي وجهلي واسرافي ولا
تنظر الى سوء عملي ومعصيتي
واصرف شر الخليفة
وأعوانه عني فقد وجهت
وجهي اليك ثم قال أشهد
أن لا إله إلا الله وأشهد أن
محمدا رسول الله يا محمد تشفعت
بك الى الله فاقبلني ثم
سجد وأطال سجوده
وهو يناجي ربه ويبكي
فأتى معروف المحراب
فرآه كذلك فبقي متفكرا
في أمره لا يتحقق من
هو واذا هو بغلام من
خواص الخليفة قد دخل
المسجد يسأل عن المجوسي
باسمه ونسبه فقال معروف بيته في موضع كذا وكذا فقال من هناك جئت وقيل لي انه في مسجد معروف فوالله

منه وكفى بالله شهيدا فقال معروف لست أرى في المسجد أحدا يشبه من تذكره الا هذا الساجد لله المناجي لربه فاصبر له حتى يرفع رأسه فوقف صاحب الخليفة على رأسه ساعة ثم قال يا هذا ارفع رأسك ولا تبك أمير المؤمنين قد قضى حاجتك وبعثني برسالة لطيفة لتصير اليه حتى يرد عليك ما أخذه منك فرفع رأسه واذا معروف واقف فقال يا معروف ما أكرم هذا الباب وما أحلم صاحبه وما أقربه الى من دعاه ثم قال يا معروف أمدد يدك انى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وانى رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا وان القرآن كلام الله جاء به محمد بن عبد الله وأنا مؤمن بذلك كله ثم تبع الرسول وذهب معروف الكرخي معه فلما وصلوا الى دار الخليفة واذا به واقف على الباب فاستقبلهما وسلم عليهما وصافح كلا منهما ومشى معهما الى مجلسه وأقعدهما الى جنبه وأقبل يعتذر اليهما مما وقع منه وأمر بالاموال التي أخذت من المجوسي فأحضرت بين يديه عن آخرها ثم قال له تأمل هذه الأموال أليست هي التي

ألا طال هذا الليل وازور جانبه * وليس الى جنبي خليل ألاعبه * فوالله لولا الله تخشى عواقبه لحرك من هذا السرير جوانبه * مخافة ربي والحياء يعفني * وأكرام بعلي ان تنال مراتبه

قال فسأل عمر رضي الله تعالى عنه عنها فقيل له انها امرأة فلان وله في الغزاة ثمانية أشهر فأمر عمر رضي الله تعالى عنه أن لا يغيب الرجل عن امرأته أكثر من أربعة أشهر (ومن ذلك) ما ذكره ابن الجوزي في كتاب تلقيح فهوم الأثر عن محمد بن عثمان بن أبي خيثمة السلمي عن أبيه عن جده قال بينما عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يطوف ذات ليلة في سكك المدينة اذ سمع امرأة تقول

هل من سبيل الى خمر فأشربها * أم من سبيل الى نصر بن حجاج
الى فتى ماجد الاعراق مقتبل * سهل المحيا كريم غير ملجاج
تنميه اعراق صدق حين تنسبه * أخي وفاء عن المكروب فراج

فقال عمر رضي الله تعالى عنه لا أرى معي المدينة رجلا تهتف به العواتق في خدورهن علي بنصر ابن حجاج فلما أصبح أتي بنصر بن حجاج فاذا هو من أحسن الناس وجها وأحسنهم شعرا فقال عمر عزيمة من أمير المؤمنين لتأخذن من شعرك فأخذ من شعره فخرج من عنده وله وجنتان كأنهما شقتا قمر فقال له اعتم فاعتم فافتتن الناس بعينيه فقال له عمر والله لا تساكنني في بلدة أنا فيها فقال يا أمير المؤمنين ماذنبي قال هو ما أقول لك ثم سيره الى البصرة وخشيت المرأة التي سمع منها عمر ما سمع أن يبدر من عمر اليها شيء فدست اليه المرأة أبياتا وهي

قل للامام الذي تخشى بوادره * مالي وللخمر أو نصر بن حجاج
لا تجعل الظن حقا أن تبينه * ان السبيل سبيل الخائف الراجي
ان الهوى زم بالتقوى فتحبسه * حتى يقر بالجام واسراج

قال فبكى عمر رضي الله تعالى عنه وقال الحمد لله الذي زم الهوى بالتقوى قال وطال مكث نصر بن حجاج بالبصرة فخرجت أمه يوما بين الاذان والاقامة متعرضة لعمر فاذا هو قد خرج في ازار ورداء وبيده الدرة فقالت له يا أمير المؤمنين والله لاقفن أنا وأنت بين يدي الله تعالى وليحاسبنك الله أيبيتن عبد الله وعاصم الى جنبيك وبيني وبين ابني الفيافي والأودية فقال لها ان ابني لم تهتف بهما العواتق في خدورهن ثم أرسل عمر الى البصرة بريداً الى عتبة بن غزوان فاقام أياما ثم نادى عتبة من أراد أن يكتب الى أمير المؤمنين فليكتب فان البريد خارج فكتب نصر بن حجاج بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليك يا أمير المؤمنين أما بعد فاسمع مني هذه الابيات

لعمري لئن سيرتني أوحرمتني * وما نلت من عرضي عليك حرام * فأصبحت منفيا على غير ريبة وقد كان لي بالمكتين مقام * لئن غنت الذلفاء يوما بمنية * وبعض أماني النساء غرام ظننت بي الظن الذي ليس بعده * بقاء ومالي جرمة فألام * فيمنعني مما تقول تكرمي وآباء صدق سالفون كرام * ويمنعها مما تقول صلاتها * وحال لها في قومها وصيام

فهاتان حالان فهل أنت راجعي * فقد جب مني كاهل وسنام

قال فلما قرأ عمر رضي الله تعالى عنه هذه الابيات قال أما ولي السلطان فلا وأقطعه دارا بالبصرة في سوقها فلما مات عمر ركب راحلته وتوجه نحو المدينة والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ الفصل الثالث من هذا الباب في ذكر من مات بالحب والعشق ﴾ حدث أبو القاسم بن اسمعيل بن عبد الله المأمون قال حدثني أبي قال كانت بالمدينة قينة من أحسن الناس وجها وأكملهم عقلا وأكثرهم أدبا قد قرأت القرآن وروت الأشعار وتعلمت العربية فوقعت عند يزيد بن عبد الملك فأخذت

أخذت منك قال نعم قال نخذها بارك الله لك فيها واجعلني في حل مما وقع مني واستغفر الله لي فقال
يغفر الله لك ثم قال يا أمير
المؤمنين أما الأموال فهي
لك حلال بعد أن هداني
الله إلى دين الاسلام
ولكن أعلمني ما الذي
دعاك الى طلبي في هذا
الوقت ورد هذا المال
علي قال نعم كنت نائما
واذا أنا برسول الله صلى
الله عليه وسلم قد دخل
علي ومعه صف من
الملائكة وصف من
الصحابة فسلم علي وقال
ان الله تبارك وتعالى
يقرئك السلام ويقول
لك ان عبدنا فلانا المجوسي
كنا قد دعوناه في الذر
فأجابنا وكان في المجوسية
مستترا ولنا معه عناية
وقد جاء الآن الى تائبا
وعما كان منه تائبا وهو
في مسجد معروف
الكرخي مستجيرا بجنابنا
منك فابعث في طلبه ورد
عليه ما أخذ منه ولا
تقطع المعاملة بيننا فانتبهت
مرعوبا فأرسلت في طلبك
وها هو مالك قد رددناه
عليك ودفعناه اليك فخر
الرجل ساجدا لله تعالى
ثم رفع رأسه وبكى وقال
واندماه وا أسفاه والهفاه
كيف تركت عبادة الرحمن
الرحيم واشتغلت بعبادة
النيران وضيعت العمر
والزمان ثم قال يا أمير المؤمنين
لا حاجة لي في هذا المال خذه فهو حلال لك فقال أمير المؤمنين لا أرجع بشيء أمرني ربي باخراجه فقال يا أمير المؤمنين

بمجامع قلبه فقال لها ذات يوم ويحك أمالك قرابة أو أحد تحبين أن أضيفه وأسدي اليه معروفا قالت يا أمير المؤمنين أما قرابة فلا ولكن بالمدينة ثلاثة نفر كانوا أصدقاء لمولاي وأحب أن ينالهم خير مما صرت اليه فكتب إلى عامله بالمدينة في احضارهم اليه وأن يدفع إلى كل واحد منهم عشرة آلاف درهم فلما وصلوا الى باب يزيد استؤذن لهم في الدخول عليه فاذن لهم وأكرمهم غاية الاكرام وسألهم عن حوائجهم فأما اثنان منهم فذكروا حوائجهما فقضاها وأما الثالث فسأله عن حاجته فقال يا أمير المؤمنين مالي حاجة قال ويحك أولست أقدر على حوائجك قال بلى يا أمير المؤمنين ولكن حاجتي ما أظنك تقضيها فقال ويحك فاسألني فانك لا تسأل لي حاجة أقدر عليها الا قضيتها قال فلي الأمان يا أمير المؤمنين قال نعم قال ان رأيت يا أمير المؤمنين أن تأمر جاريتك فلانة التي أكرمتنا بسببها أن تغني ثلاثة أصوات اشرب عليها ثلاثة أرطال فافعل قال فتغير وجه يزيد ثم قام من مجلسه فدخل على الجارية فأعلمها فقالت وما عليك يا أمير المؤمنين فأمر بالفتى فاحضر وأمر بثلاثة كراسي من ذهب فنصبت فقعد يزيد على أحدها والجارية على الآخر والفتى على الثالث ثم دعا بصنوف الرياحين والطيب فوضعت ثم أمر بثلاثة أرطال فملئت ثم قال للفتى سل حاجتك فقال تأمرها يا أمير المؤمنين أن تغني بهذا الشعر

لا أستطيع سلوا عن مودتها * أو يصنع الحب بي فوق الذي صنعا
ادعو الى هجرها قلبي فيسعدني * حتى اذا قلت هذا صادق نزعا

فأمرها فغنت وشرب يزيد وشرب الفتى وشربت الجارية ثم أمر بالارطال فملئت وقال للفتى سل حاجتك فقال مرها يا أمير المؤمنين أن تغني بهذا الشعر

تخيرت من نعمان عود أراكة * لهند ولكن من يبلغه هندا
ألا عرجا بي بارك الله فيكما * وان لم تكن هند لارضكما قصدا

فأمرها فغنت وشرب يزيد وشرب الفتى وشربت الجارية ثم أمر بالأرطال فملئت ثم قال للفتى سل حاجتك قال تأمرها يا أمير المؤمنين أن تغني بهذا الشعر

مني الوصال ومنكم الهجر * حتى يفرق بيننا الدهر والله لا أسلوكم أبدا * مالاح بدر أو بدا فجر

فأمرها فغنت قال فلم تتم الأبيات حتى خر الفتى مغشيا عليه فقال يزيد للجارية قومي انظري ما حاله فقامت اليه فحركته فاذا هو ميت فقال لها يزيد ابكي فقالت لا أبكيه يا أمير المؤمنين وأنت حي فقال لها ابكيه فوالله لو عاش ما انصرف الا بك فبكت الجارية وبكى أمير المؤمنين وأمر بالفتى فجهز ودفن وأما الجارية فلم تمكث بعده الا أياما قلائل وماتت ﴿ وحكي ﴾ عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه قدم على عبد الملك بن مروان فجلس ذات ليلة يسامره فتذاكر الغناء والجواري المغنيات والعشق فقال عبد الملك لعبد الله حدثني بأمر مامر لك في هذه الأغاني وما رأيت من الجواري قال نعم يا أمير المؤمنين اشتريت جارية مولدة بعشرة آلاف درهم وكانت حاذقة مطبوعة فوصفت ليزيد بن معاوية فكتب الي في شأنها فكتبت اليه والله لا تخرج مني ببيع ولا هبة فأمسك عني فكانت عندي على تلك الحالة لا أزداد فيها الا حبا فبينما أنا ذات ليلة اذ أتتني عجوز من عجائزنا فذكرت لي ان بعض أعراب المدينة يحبها وتحبه ويراها وتراه وانه يجيء كل ليلة متنكرا فيقف بالباب فيسمع غناءها ويبكي شغفا وحبا فراعيت ذلك الوقت الذي قالت عليه العجوز فاذا به قد أقبل مقنعا رأسه وقعد مستخفيا فلم أدعها في تلك الليلة وجعلت أتأمل موضعها وموضعه فاذا بها تكلمه ويكلمها ولم أر بينهما الا عتبا ولم يزالا كذلك حتى ابيض الصبح فدعوت بها وقالت

لقيمة الجوارى أصلحى فلانة بما يمكنك فأصلحتها وزينتها فلما جاءت بها قبضت على يديها وفتحت الباب وخرجت فجئت الى الفتى فحركته فانتبه مذعورا فقلت لا بأس عليك ولا خوف هى هبة منى اليك فدهش الفتى ولم يجبنى فدنوت الى أذنه وقلت قد أظفرك الله تعالى ببغيتك فقم وانصرف بها الى منزلك فلم يرد جوابا فحركته فاذا هو ميت فلم أر شيئا قط كان أعجب من أمره قال عبد الملك لقد حدثتنى بعجب فما صنعت الجارية قلت ماتت والله بعده بأيام بعد نحول عظيم وتعليل وماتت كمدا ووجدا على الغلام * وقيل ان عبد الله بن عجلان الهندى رأى أثر كف عشيقته فى ثوب زوجها فمات (وذكر) محمد بن واسع الهيثى أن عبد الملك بن مروان بعث كتابا الى الحجاج بن يوسف الثقفى يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عند عبد الملك بن مروان الى الحجاج بن يوسف أما بعد فاذا ورد عليك كتابى هذا وقرأته فسير لى ثلاث جوار مولدات أبكارا يكون لهن المنتهى فى الجمال واكتب لى بصفة كل جارية منهن ومبلغ ثمنها من المال فلما ورد الكتاب على الحجاج دعا بالنخاسين وأمرهم بما أمره به أمير المؤمنين وأمرهم أن يسيروا الى أقصى البلاد حتى يقعوا بالغرض وأعطاهم المال وكتب لهم كتبا الى كل الجهات فساروا يطلبون ما أراد أمير المؤمنين فلم يزالوا من بلد الى بلد ومن إقليم الى إقليم حتى وقعوا بالغرض ورجعوا الى الحجاج بثلاث جوار مولدات ليس لهن مثيل قال وكان الحجاج فصيحا فجعل ينظر الى كل واحدة منهن ومبلغ ثمنها فوجدهن لا يقام لهن بقيمة وأن ثمنهن ثمن واحدة منهن ثم كتب كتابا الى عبد الملك بن مروان يقول فيه بعد الثناء الجميل وصلنى كتاب أمير المؤمنين أمتعنى الله تعالى ببقائه يذكر فيه أنى أشترى له ثلاث جوار مولدات أبكارا وأن أكتب له صفة كل واحدة منهن وثمنها فأما الجارية الأولى أطال الله تعالى بقاء أمير المؤمنين فانها جارية عيطاء السوالف عظيمة الروادف كحلاء العينين حمراء الوجنتين قد أنهدت نهداها والتفت فخذاها كأنها ذهب شيب بفضة وهى كما قيل

بيضاء فيها اذا استقبلتها دعج * كأنها فضة قد شابها ذهب

وثمنها يا أمير المؤمنين ثلاثون ألف درهم وأما الثانية فانها جارية فائقة فى الجمال معتدلة القد والكمال تشفى السقيم بكلامها الرخيم وثمنها يا أمير المؤمنين ستون ألف درهم وأما الثالثة فانها جارية فاترة الطرف لطيفة الكف عميمة الردف شاكرة للقليل مساعدة للخليل بديعة الجمال كأنها خشف الغزال وثمنها يا أمير المؤمنين ثمانون ألف درهم ثم أطنب فى الشكر والثناء على أمير المؤمنين وطوى الكتاب وختمه ودعا النخاسين فقال لهم تجهزوا للسفر بهؤلاء الجوارى الى أمير المؤمنين فقال أحد النخاسين أيد الله الأمير انى رجل كبير ضعيف عن السفر ولى ولد ينوب عنى أفتأذن لى فى ذلك قال نعم فتجهزوا وخرجوا ففى بعض مسيرهم نزلوا يوما ليستريحوا فى بعض الاماكن فنامت الجوارى فهبت الريح فانكشف بطن احداهن وهى الكوفية فبان نور ساطع وكان اسمها مكتوم فنظر اليها ابن النخاس وكان شابا جميلا ففتن بها لساعته فأتاها على غفلة من أصحابه وجعل يقول

أمكتوم عينى لا تمل من البكا * وقلبى بأسهام الأسى يترشق

أمكتوم كم من عاشق قتل فى الهوى * وقلبى رهين كيف لا أتعشق

(فأجابته تقول) لو كان حقا ما تقول لزرتنا * ليلا اذا هجعت عيون الحسد

قال فلما جن الليل انتضى الفتى ابن النخاس سيفه وأتى نحو الجارية فوجدها قائمة تنتظر قدومه فأخذها وأراد أن يهرب فتفطن به أصحابه فأخذوه وكتفوه وأوثقوه بالحديد ولم يزل مأسورا معهم الى أن قدموا على عبد الملك بن مروان فلما مثلوا بالجوارى بين يديه أخذ الكتاب ففتحه وقرأه فوجد الصفة وافقت اثنتين من الجوارى ولم توافق الثالثة ورأى فى وجهها صفرة وهى الجارية الكوفية فقال للنخاسين

لا حاجة لى فى المال أشهدك أنى قد جعلته صدقة فى فقراء المسلمين لاحظ لى فيه ولا لأحد من أهلى فقال الخليفة يامعروف بقى الامر اليك فاحمل المال وتصدق به على الفقراء والمساكين وأبناء السبيل والأيتام والارامل فدعا له معروف وأخذ بيد الرجل وحمل المال على البغال وصافحهما أمير المؤمنين وسأل الرجل أن يحالله عما وقع منه ولازم الرجل معروفا الكرخى الى أن مات تغمده الله برحمته * وحكى عن معن ابن زائدة الشيبانى * ان شاعرا قصده فأقام مدة يريد الدخول اليه فلم يتهيأ له ذلك فلما أعياه ذلك قال لبعض خدمه اذا دخل الامير البستان فعرفنى فلما دخل معن البستان عرفه الخادم عنه فكتب الشاعر بيتا من الشعر على خشبة وألقاها فى الماء الداخل الى البستان فأتفق ان معنا كان جالسا فى ذلك الوقت على رأس الماء فمرت به فأخذها فاذا فيها كتابة فقرأها وهى

أياجود معن ناج معنا بحاجتى * فما لى الى معن سواك شفيع

فقال من صاحب هذه فدعى الرجل فقال له كيف قلت فأنشد البيت فأمر له بمائة ألف درهم فأخذها وأخذ الأمير الخشبة فوضعها تحت بساطه فلما كان اليوم الثانى قرأها ودعا بالرجل فدفع له مائة ألف درهم على العادة ثم دعاه ثالث مرة فقرأ البيت ودفع له مائة الف مابال

مابال هذه الجارية لم توافق حليتها التي ذكرها الحجاج في كتابه وما هذا الاصفرار الذي بها والانتحال فقالوا ياأمير المؤمنين نقول ولنا الامان قال ان صدقتم أمنتم وان كذبتم هلكتم فخرج أحد النخاسين وأتى بالفتى وهو مصفد بالحديد فلما قدموه بين يدي أمير المؤمنين بكى بكاء شديدا وأيقن بالعذاب ثم أنشأ يقول

أمير المؤمنين أتيت رغما * وقد شدت الى عنقي يديا * مقرا بالقبيح سوء فعلي
ولست بما رميت به بريا * فان تقتل ففوق القتل ذنبي * وان تعفو فمن جود عليا

فقال عبد الملك يافتى ماحملك على ماصنعت من استخفاف بنا أم هوى الجارية قال وحق رأسك ياأمير المؤمنين وعظم قدرك ماهو الا هوى الجارية فقال هي لك بما أعددته لها فأخذها الغلام بكل ماأعده لها أمير المؤمنين من الحلي والحلل وسار بها فرحا مسرورا الى نحو أهله حتى اذا كانا ببعض الطريق نزلا بمرحلة ليلا فتعانقا وناما فلما أصبح الصباح وأراد الناس السير نبهوهما فوجدوهما ميتين فبكوا عليهما ودفنوهما بالطريق ووصل خبرهما الى عبد الملك فبكى عليهما وتعجب من ذلك (ومن ذلك) ماروى عن النبي ﷺ أنه أخرج خالد بن الوليد المخزومي رضي الله تعالى عنه الى مشركي خزاعة قال خالد فاخرجني اليهم رسول الله ﷺ في عشرة آلاف فارس من أهل النجدة والبأس قال فجد بنا المسير اليهم فسبق اليهم الخبر فخرجوا الينا فقاتلناهم قتالا شديدا حتى تعالى النهار وطار الشرار وهاجت الفرسان وتلاحمت الاقران فلولا أن الله تعالى أيدنا بنصره لكادت الدائرة أن تكون علينا ولكن تداركنا الله برحمته منه فهزمناهم وقتلناهم قتلا ذريعا ولم ندع لهم فارسا إلا قتلناه ثم طلبنا البيوت فنهبنا وسبينا فلما هدأ القتال والنهب أمرت أصحابي بجمع السبايا لنقدم بهن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما خرجنا وأحصيناهم خرج منهم غلام لم يراهق الحلم ولم يجر عليه القلم وهو ماسك بشابة جميلة فقلنا له ياغلام انعزل عن النساء فصاح صيحة مزعجة وهجم علينا فوالله لقد قتل منا في بقية نهارنا مائة رجل قال خالد فرأيت أصحابي قد كرهوا قتاله وتأخروا عنه فهلك منهم جواد وعلا على ظهره ونادى البراز ياخالد قال فبرزت اليه بنفسي بعد أن أنشدت شعرا فوالله لم يمهلني حتى أتم شعري بل حمل علي فتطاعنا حتى تكسرت القنا وتضاربنا بالسيوف حتى تفللت فوالله لقد اقتحمت الاهوال ومارست الابطال فما رأيت أشد من حملاته ولا أسرع من هجماته فبينما نحن نعترك اذ كبا به فرسه فصار بين قوائمه فوثبت عليه وعلوت على صدره وقلت له افد نفسك بقول أشهد أن لا إله الا الله وأن محمدا رسول الله وأنا أردك من حيث جئت قال ياخالد ماأنصفتني اتركني حتى أجد من نفسي القوة قال خالد فتركته وقلت لعله أن يسلم ثم شددته وثاقا وصفدته بالحديد وأنا أبكي اشفاقا على حسن شبابه ثم أوثقته على بعير لي فلما علم أن لاخلاص له قال ياخالد سألتك بحق إلهك الا ماشددت ابنة عمي على ناقة أخرى الى جانبي قال خالد فأخذتها وشددتها على ناقة أخرى الى جانبه ووكلت بهما جماعة من أشد القوم بالقواضب والرماح وسرنا فلما استقامت مطاياهما جعل الغلام والجارية يتناشدان الاشعار ويبكيان الى آخر الليل فسمعته يذكر قصيدة يسب فيها الاسلام ويذكر أن لايسلم أبدا فأخذت السيف وضربته فرميت رأسه فصاحت الجارية وأكبت صارخة فحركتها فوجدتها ميتة فأبركنا الاباعر وحفرنا ودفناهما فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبلنا نحدثه بعجيب مارأينا مع الغلام فقال لاتحدثوني شيئا أنا أحدثكم به فقلنا من أعلمك به يارسول الله قال اخبرني جبريل عليه السلام وتعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم

درهم فلما أخذ الجائزة الثالثة خشي الشاعر أن يندم فيأخذ منه مادفع اليه فسافر فلما كان في اليوم الرابع طلبه معن فلم يجده فقال معن حق علي لو مكث لأعطينه حتى لايبقى في بيتي درهم ولا دينار (وحكي عنه أيضا) أنه أتى بجملة من الاسرى فعرضهم على السيف فقال له بعضهم أصلح الله الامير نحن أسراك وبنا جوع وعطش فلا تجمع علينا الجوع والعطش والقتل فأمر لهم بطعام وشراب فأكلوا وشربوا ومعن ينظر اليهم فلما فرغوا قال الرجل أصلح الله الامير كنا أسراك ونحن الآن أضيافك فانظر ماتصنع بأضيافك قال قد عفوت عنكم فقال الرجل أيها الامير ماندري أي يوم أشرف يوم ظفرك بنا أو يوم عفوك عنا فأمر لهم بمال وكسوة (وحكي) أن المنصور أهدر دم رجل كان يسعى في فساد دولته من الخوارج من أهل الكوفة وجعل لمن دل عليه وجاء به مائة ألف درهم ثم انه ظهر في بغداد فبينما هو يمشي مختفيا في بعض نواحيها اذ بصر به رجل من أهل الكوفة فعرفه فأخذ بمجامع ثيابه وقال هذا بغية أمير المؤمنين فبينما الرجل على تلك الحالة اذ سمع وقع حوافر الخيل فالتفت فاذا معن بن زائدة فقال يا أبا الوليد أجرني أجارك الله فوقف وقال للرجل المتعلق به ماشأنك

من موافقتهما وموافقة أجلهما (ومن ذلك) ماحكاه الثوري قال حدثني جبلة بن الأسود وما رأيت شيخا أصبح ولا أوضح منه قال خرجت في طلب ابل لي ضلت فما زلت في طلبها الى أن أظلم الظلام وخفيت الطريق فسرت أطوف وأطلب الجادة فلا أجدها فبينما أنا كذلك اذ سمعت صوتا حسنا بعيدا وبكاء شديدا فشجاني حتى كدت أن أسقط عن فرسي فقلت لأطلبن الصوت ولو تلفت نفسي فمازلت أقرب اليه إلى أن هبطت واديا فاذا راع قد ضم غنما له الى شجرة وهو ينشد ويترنم

وكنت اذا ماجئت سعدى أزورها * أرى الأرض تطوى لي ويدنو بعيدها

من الخفرات البيض ود جليسها * اذا ماانقضت أحدوثة لو تعيدها

قال فدنوت منه وسلمت عليه فرد علي السلام وقال من الرجل فقلت منقطع به المسالك أتاك يستجير بك ويستعينك قال مرحبا وأهلا انزل على الرحب والسعة فعندي وطاء وطيء وطعام غير بطيء فنزلت فنزع شملته وبسطها تحتي ثم أتاني بتمر وزبد ولبن وخبز ثم قال اعذرني في هذا الوقت فقلت والله ان هذا لخير كثير فقال الى فرسي فربطه وسقاه وعلفه فلما أكلت توضأت وصليت واتكأت فاني لبين النائم واليقظان اذ سمعت حس شيء واذا بجارية قد أقبلت من كبد الوادي فضحت الشمس حسنا فوثب قائما اليها وما زال يقبل الأرض حتى وصل اليها وجعل يتحادثان فقلت هذا رجل عربي ولعلها حرمة له فتناومت وما بي نوم فما زالا في أحسن حديث ولذة مع شكوى وزفرات الا أنهما لايهم أحدهما لصاحبه بقبيح فلما طلع الفجر عانقها وتنفسا الصعداء وبكى وبكت ثم قال لها يا ابنة العم سألتك بالله لاتبطئي عني كما أبطأت الليلة قالت يا ابن العم أما علمت أني أنتظر الواشين والرقباء حتى يناموا ثم ودعته وسارت وكل واحد منهما يلتفت نحو الآخر ويبكي فبكيت رحمة لهما وقلت في نفسي والله لا أنصرف حتى أستضيفه الليلة وأنظر ما يكون من أمرهما فلما أصبحنا قلت له جعلني الله فداءك الاعمال بخواتيمها وقد نالني أمس تعب شديد فأحب الراحة عندك اليوم فقال على الرحب والسعة لو أقمت عندي بقية عمرك ماوجدتني الا كما تحب ثم عمد الى شاة فذبحها وقام إلى نار فأججها وشواها وقدمها الى فأكلت وأكل معي الا أنه أكل أكل من لايريد الا كل فلم أزل معه نهاري ذلك ولم أر أشفق منه على غنمه ولا ألين جانبا ولا أحلى كلاما الا أنه كالوله ولم أعلمه بشيء مما رأيت فلما أقبل الليل وطأت وطائي فصليت وأعلمته أني أريد الهجوع لما مر بي من التعب بالامس فقال لي نم هنيئا فأظهرت النوم ولم أنم فأقام ينتظرها الى هنيهة من الليل فأبطأت عليه فلما حان وقت مجيئها قلق قلقا شديدا وزاد عليه الامر فبكى ثم جاء نحوي فحركني فأوهمته اني كنت نائما فقال يا أخي هل رأيت الجارية التي كانت تتعهدني وجاءتني البارحة قلت قد رأيتها قال فتلك ابنة عمي وأعز الناس علي وانى لها محب ولها عاشق وهي أيضا محبة لي أكثر من محبتي لها وقد منعني أبوها من تزويجها الى لفقري وفاقتي وتكبر علي فصرت راعيا بسببها فكانت تزورني في كل ليلة وقد حان وقتها الذي تأتي فيه واشتغل قلبي عليها وتحدثني نفسي أن الاسد قد افترسها ثم أنشأ يقول

مابال مية لاتأتي كعادتها * أعاقها طرب أم صدها شغل

نفسي فداؤك قد أحللت بي سقما * تكاد من حره الاعضاء تنفصل

قال ثم انطلق فغاب عني ساعة وأتى بشيء فطرحه بين يدي فاذا هي الجارية قد قتلها الاسد وأكل أعضاءها

انزل عن دابتك واحمل الرجل عليها فصاح الرجل بالناس وقال أيحال بيني وبين من طلبه أمير المؤمنين فقال له معن اذهب اليه وأخبره انه عندي فانطلق الى باب المنصور فأخبره فأمر المنصور باحضار معن فلما أتى الرسول الى معن دعا أهل بيته ومواليه وقال أعزم عليكم لايصل الى هذا الرجل مكروه وفيكم عين تطرف ثم سار الى المنصور فدخل عليه وسلم عليه فلم يرد عليه السلام وقال يامعن أتتجرأ علي قال نعم ياأمير المؤمنين قال ونعم أيضا واشتد غضبه فقال ياأمير المؤمنين مضت أيام كثيرة قد عرفتم فيها حسن بلائي في خدمتكم فما رأيتموني أهلا ان يوهب الى رجل واحد استجار بي بين الناس وتوسم أني عند أمير المؤمنين من بعض عبيده وكذلك أنا فمر بما شئت ها أنا بين يديك فأطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه وقد سكن مابه من الغضب وقال قد أجرنا من أجرت يامعن قال فان رأى أمير المؤمنين ان يجمع بين الاجرين فيأمر له بصدقة فيكون قد أحياه وأغناه قال قد أمرنا له بخمسين ألف درهم قال ياأمير المؤمنين ان صلات الخلفاء

اعضاءها وشوه خلقتها ثم أخذ السيف وانطلق فابطأ هنيهة وأتى ومعه رأس الاسد فطرحه ثم انشأ يقول

ألا أيها الليث المدل بنفسه * هلكت لقد جرت حقاك الشرا
وخلفتني فردا وقد كنت آنسا * وقد عادت الايام من بعدها غبرا

ثم قال بالله يا أخي الا ما قبلت ما أقول لك فانى أعلم أن المنية قد حضرت لا محالة فاذا أنا مت فخذ عباءتى هذه فكفنى فيها وضم هذا الجسد الذى بقى منها معى وادفنا فى قبر واحد وخذ شويهاتى هذه وجعل يشير اليها فسوف تأتيك امرأة عجوز هى والدتى فاعطها عصاى هذه وثيابى وشويهاتى وقل لها مات ولدك كمدا بالحب فانها تموت عند ذلك فادفنها الى جانب قبرنا وعلى الدنيا منى السلام قال فوالله ما كان الا قليل حتى صاح صيحة ووضع يده على صدره ومات لساعته فقلت والله لأصنعن له ما أوصانى به فغسلته وكفنته فى عباءته وصليت عليه ودفنته ودفنت باقى جسدها الى جانبه وبت تلك الليلة باكيا حزينا فلما كان الصباح أقبلت امرأة عجوز وهى كالوالهة فقالت لى هل رأيت شابا يرعى غنما فقلت لها نعم وجعلت أتلطف بها ثم حدثتها بحديثه وما كان من خبره فاخذت تصيح وتبكي وأنا ألاطفها الى أن أقبل الليل ومازالت تبكى بحرقة الى أن مضى من الليل برهة فقصدت نحوها فاذا هى مكبة على وجهها وليس لها نفس يصعد ولا جارحة تتحرك فحركتها فاذا هى ميتة فغسلتها وصليت عليها ودفنتها الى جانب قبر ولدها وبت الليلة الرابعة فلما كان الفجر قمت فشددت فرسي وجمعت الغنم وسقتها فاذا أنا بصوت هاتف يقول

كنا على ظهرها والدهر يجمعنا * والشمل مجتمع والدار والوطن
ففرق الدهر بالتفريق ألفتنا * وصار يجمعنا فى بطنها الكفن

قال فأخذت الغنم ومضيت الى الحى لبنى عمهم فاعطيتهم الغنم وذكرت لهم القصة فبكى عليهم أهل الحى بكاء شديدا ثم مضيت الى أهلى وأنا متعجب مما رأيت فى طريقى (ومن ذلك) ما حكى أن زوج عزة أراد أن يحج بها فسمع كثير الخبر فقال والله لاحجن لعلى أفوز من عزة بنظرة قال فبينما الناس فى الطواف اذ نظر كثير لعزة وقد مضت الى جمله فحيته ومسحت بين عينيه وقالت حييت يا جمل فبادر ليلحقها ففاتته فوقف على الجمل وقال

حيتك عزة بعد الحج وانصرفت * فحى ويحك من حياك يا جمل
لو كنت حييتها ما كنت ذا سرف * عندى ولا مسك الادلاج والعمل

قال فسمعه الفرزدق فتبسم وقال له من تكون يرحمك الله قال أنا كثير عزة فمن أنت يرحمك الله قال أنا الفرزدق بن غالب التميمى قال أنت القائل

رحلت جمالهم بكل اسيلة * تركت فؤادى هائما مخبولا * لو كنت أملكهم اذا لم يرحلوا
حتى اودع قلبى المتبولا * ساروا بقلبى فى الحدوج وغادروا * جسمى يعالج زفرة وعويلا

فقال الفرزدق نعم فقال كثير والله لولا انى بالبيت الحرام لاصيحن صيحة أفزع هشام بن عبد الملك وهو على سرير ملكه فقال الفرزدق والله لاعرفن بذلك هشاما ثم توادعا وافترقا فلما وصل الفرزدق الى دمشق دخل الى هشام بن عبد الملك فعرفه بما اتفق له مع كثير فقال له اكتب اليه بالحضور عندنا لنطلق عزة من زوجها ونزوجه اياها فكتب اليه بذلك فخرج كثير يريد دمشق فلما خرج من حيه وسار قليلا رأى غرابا على بانة وهو يفلى نفسه وريشه يتساقط فاصفر لونه وارتاع من ذلك وجد فى السير ثم إنه مال ليستقى راحلته من حى بنى فهد وهم زجرة الطير فبصر به شيخ من الحى فقال يا ابن أخى أرأيت فى طريقك شيئا فراعك قال نعم يا عم رأيت غرابا على بانة يتفلى وينتف ريشه فقال له الشيخ أما الغراب فانه اغتراب والبانة بين والتفلى فرقة فازداد كثير حزنا على حزنه لما سمع من الشيخ هذا الكلام وجد فى السير الى أن وصل الى دمشق

على قدر جنايات الرعية وان ذنب الرجل عظيم فاجزل له الصلة قال قد أمرنا له بمائة ألف درهم قال فعجلها يا أمير المؤمنين فان خير البر تعجيله فانصرف معن بالمال للرجل وقال له خذ صلتك والحق باهلك واياك ومخالفة خلفاء الله فى أمورهم (حكى الجاحظ) قال أخبرنى فتى من أصحاب الحديث قال دخلت ديرا فى بعض المنازل لما ذكر لى ان به راهبا حسن المعرفة باخبار الناس وأيامهم فسرت له لاسمع كلامه فوجدته فى حجرة معتزلة بالدير وهو على أحسن هيئة فى زى المسلمين فكلمته فوجدت عنده من المعرفة أكثر مما وصفوا فسألت عن سبب اسلامه فحدثنى أن جارية من بنات الروم كانت فى هذا الدير نصرانية كثيرة المال بارعة الجمال عديمة الشكل والمثال فاحبت غلاما مسلما خياطا وكانت تبذل له مالها ونفسها والغلام يعرض عن ذلك ولا يلتفت اليها وامتنع عن المرور بالدير فلما أعيتها الحيلة فيه طلبت رجلا ماهرا فى التصوير وأعطته مائة دينار على أن يصور لها صورة الغلام فى دائرة على شكله وهيئته ففعل المصور فلم تخطىء الصورة شيئا منه غير النطق وأتى بها الى الجارية فلما أبصرتها أغمى عليها فلما افاقت أعطت المصور مائة دينار أخرى وأخرج الراهب لى الصورة فرأيتها فكادان يزل عقلى فلما خلت

ودخل من أحد أبوابها فرأى الناس يصلون على جنازة فنزل وصلى معهم فلما قضيت الصلاة صاح صائح لا إله الا الله ما أغفلك يا كثير عن هذا اليوم فقال ماهذا اليوم ياسيدى فقال ان هذه عزة قد ماتت وهذه جنازتها فخر مغشيا عليه فلما أفاق أنشأ يقول

فما أعرف الفهدى لادر دره * وأزجره للطير لا عز ناصره * رأيت غرابا قدعلا فوق بانة
ينتف أعلى ريشه ويطايره * فقال غراب اغتراب من النوى * وبانة بين من حبيب تعاشره

ثم شهق شهقة فارقت روحه الدنيا ومات من ساعته ودفن مع عزة فى يوم واحد ﴿ وحكى الأصمعى ﴾ قال بينما أنا أسير فى البادية اذ مررت بحجر مكتوب عليه هذا البيت

أيا معشر العشاق بالله خبروا * اذا حل عشق بالفتى كيف يصنع

فكتبت تحته يدارى هواه ثم يكتم سره * ويخشع فى كل الأمور ويخضع

ثم عدت فى اليوم الثانى فوجدت مكتوبا تحته

فكيف يدارى والهوى قاتل الفتى * وفى كل يوم قلبه يتقطع

فكتبت تحته اذا لم يجد صبرا لكتمان سره * فليس له شىء سوى الموت أنفع

ثم عدت فى اليوم الثالث فوجدت شابا ملقى تحت ذلك الحجر ميتا فقلت لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم وقد كتب قبل موته

سمعنا أطعنا ثم متنا فبلغوا * سلامى على من كان للوصل يمنع

(وحكى) أيضا عن الأصمعى رحمه الله تعالى أنه قال بينما أنا نائم فى بعض مقابر البصرة اذ رأيت جارية على قبر تندب وتقول

بروحى فتى أوفى البرية كلها * وأقواهم فى الحب صبرا على الحب

قال فقلت لها ياجارية بم كان أوفى البرية وبم كان أقواها فقالت ياهذا انه ابن عمى هوينى فهويته فكان ان أباح عنفوه وان كتم لاموه فأنشد بيتى شعر ومازال يكررهما الى أن مات والله لأندبنه حتى أصير مثله فى قبر الى جانبه فقلت لها ياجارية فما البيتان قالت

يقولون لى ان بحت قد غرك الهوى * وان لم أبح بالحب قالوا تصبرا
فما لامرىء يهوى ويكتم أمره * من الحب الا أن يموت فيعذرا

ثم انها شهقت شهقة فارقت روحها الدنيا رحمة الله تعالى عليها والحكايات فى ذلك كثيرة وفى الكتب مشهورة ولولا الاطالة والخوف من الملالة لجمعنا فى هذا المعنى أشياء كثيرة ولكن اقتصرنا على هذه النبذة اليسيرة والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب الثانى والسبعون فى ذكر رقائق الشعر والمواليا والدوبيت وكان وكان والموشحات والزجل والحماق والقومة والالغاز ومدح الأسماء والصفات وما أشبه ذلك وفيه فصول ﴾

﴿ الفصل الأول فى الشعر ﴾ قد قسم الناس الشعر خمسة أقسام مرقص كقول أبى جعفر طلحة وزير سلطان الأندلسى

والشمس لا تشرب خمر الندى * فى الروض الا من كؤوس الشقيق

ومطرب كقول زهير

تراه اذا ماجئته متهللا * كأنك تعطيه الذى أنت سائله

ومقبول كقول طرفة بن العبد

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالأخبار من لم تزود

الجارية بالصورة رفعتها الى حائط حجرتها ومازالت كل يوم تأتى الصورة وتقبلها وتلثم ماتحب منها ثم تجلس بين يديها وتبكى فاذا أمست قبلتها وانصرفت فما زالت على تلك الحال شهرا فمرض الغلام ومات فعملت الجارية مأتما وعزاء سار ذكره فى الآفاق وصارت مثلا بين الناس ثم رجعت الى الصورة وصارت تلثمها وتقبلها الى أن أمست فباتت الى جانبها فلما أصبحنا دخلنا عليها لنأخذ من خاطرها فوجدناها ميتة ويدها ممدودة الى الحائط نحو الصورة وقد كتب عليه هذه الأبيات

ياموت حسبك نفسى بعد سيدها * خذها اليك فقد أودت بما فيها
أسلمت وجهى الى الرحمن مسلمة * ومت موت حبيب كان يعصيها
لعلها فى جنان الخلد يجمعها * بمن تحب غدا فى البعث باريها
مات الحبيب وماتت بعده كمدا * محبة لم تزل تشقى محبيها

قال الراهب فشاع الخبر وحملها المسلمون ودفنت الى جانب قبر الغلام فلما أصبحنا دخلنا حجرتها

ومسموع مما يقام به الوزن دون أن يمجه الطبع كقول ابن المعتز

سقى المطيرة ذات الظل والشجر * ودير عبدون هطال من المطر

ومتروك وهو ما كان كلا على السمع والطبع كقول الشاعر

تقلقلت بالهم الذي قلقل الحشى * قلاقل هم كلهن قلاقل

وقد قسم الناس فنون الشعر الى عشرة أبواب حسبما بوب أبو تمام في الحماسة وقال عبد العزيز بن أبي الأصبع الذي وقع لي أن فنون الشعر ثمانية عشر فنا وهي غزل ووصف وفخر ومدح وهجاء وعتاب واعتذار وأدب وزهد وخمريات ومراث وبشارة وتهاني ووعيد وتحذير وتحريض وملح وباب مفرد للسؤال والجواب * ولنذكر ان شاء الله تعالى من ذلك ما تيسر على سبيل الاختصار ولنبدأ من ذلك بذكر (الغزل المذكر) ﴿ابن نباتة﴾

أأغصان بان ما أرى أم شمائل * وأقمار تم ما تضم الغلائل * وبيض رقاق أم جفون فواتر وسمر دقاق أم قدود قواتل * وتلك نبال أم لحاظ رواشق * لها هدف مني الحشى والمقاتل بروحي أفدي شادنا قد ألفته * غدوت وبي شغل من الوجد شاغل * أمير جمال والملاح جنوده يجور علينا قده وهو عادل * له حاجب عن مقلتي حجب الكرى * وناظره الفتان في القلب عامل رفعت اليه قصة الدمع شاكيا * فوقع يجري فهو في الخد سائل * شكوت فما ألوى وقلت فما صغى وجد بقلبي حبه وهو هازل * طويل التواني دله متواتر * مديد التجني وافر الحسن كامل أطارحه بالنحو يوما تعللا * فيبدو وللاعراب فيه دلائل * ويرفع وصلي وهو منفعول في الهوى وينصب هجري عامدا وهو فاعل * تفقهت في عشق له مثل ما غدا * خبيرا بأحكام الخلاف يجادل

فيا مالكي ماضر لو كنت شافعي * بوصلك فافعل بي كما أنت فاعل

فاني حنيفي الهوى متحنبل * بعشقك لا أصغي وان قال قائل

﴿كمال الدين بن النبيه﴾

الله أكبر كل الحسن في العرب * كم تحت لمة ذا التركي من عجب * صبح الجبين بليل الشعر منعقد والخد يجمع بين الماء واللهب * تنفست عن عبير الراح ريقته * وافتر مبسمه الشهدي عن حبب لا في العذيب ولا في بارق غزلي * بل في جنى فمه أو ريقه الشنب * كأنه حين يرمي عن حنيته بدر رمى عن هلال الافق بالشهب * ياجاذب القوس تقريبا لوجنته * والهاتم الصب منها غير مقترب أليس من نكد الايام يحرمها * فمي ويلثمها سهم من الخشب * من لي بأغيد قاسي القلب مبتسم لا عن رضا معرض عني بلا غضب * فكم له في وجود الذنب من سبب * وليس لي في قيام العذر من سبب تميل أعطافه تيها بطرته * كما تميل رماح الخط بالعذب * أشار نحوي وجنح الليل معتكر بمعصم بشعاع الكأس مختضب * بكر جلاها أبوها قبل ما جليت * في حجرة الدن أو في قشرة العنب

﴿البهازهير﴾ يعاهدني لا خانني ثم ينكث * وأحلف لا كاتبته ثم أحنث

وذلك دأبي لا يزال ودأبه * فيا معشر العشاق عنا تحدثوا * أقول له صلني يقول نعم غدا ويكسر جفنا هازئا بي ويعبث * وماضر بعض الناس لو كان زارني * وكنا خلونا ساعة نتحدث أمولاي اني في هواك معذب * وحتام أبقى في الغرام وأمكث * فخذ مرة روحي ترحني ولا أرى أموت مرارا في النهار وأبعث * فاني لهذا الضيم منك لحامل * ومنتظر لطفا من الله يحدث أعيذك من هذا الجفاء الذي بدا * خلائقك الحسنى أرق وأدمث * تردد ظن الناس فينا فأكثروا أحاديث فيها ما يطيب ويخبث * وقد كرمت في الحب مني شمائل * ويسأل عني من أرادو يبحث

فرأينا تحت شعرها مكتوبا

أصبحت في راحة مما جنته يدي * وصرت جارة رب واحد صمد

محا الاله ذنوبي كلها وغدا * قلبي خليا من الأحزان والكمد

لما قدمت الى الرحمن مسلمة * وقلت انك لم تولد ولم تلد

أثابني رحمة منه ومغفرة * وأنعما باقيات آخر الأبد

(قيل) اجتمع الصوفية الى أبي القاسم الجنيد وقالوا ياأستاذ أنخرج ونسعى في طلب الرزق قال لهم ان علمتم أين هو فاطلبوه قالوا فنسأل الله أن يرزقنا قال ان علمتم انه ينساكم فذكروه قالوا فنجلس اذا ونتوكل قال التجربة شك قالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة (قيل) اجتمع أربعة من الأئمة الشافعي وأحمد بن حنبل وأبو ثور ومحمد بن الحكم رضي الله تعالى عنهم عند أحمد ابن حنبل يتذاكرون فصلوا صلاة المغرب وقدموا الشافعي ثم مازالوا يصلون في المسجد الى أن صلوا العتمة ثم دخلوا بيت أحمد بن حنبل ودخل أحمد على امرأته ثم خرج على أصحابه وهو يضحك فقال الشافعي مم تضحك ياأباعبد الله قال خرجت الى الصلاة ولم يكن في البيت لقمة من طعام والآن فقد

عليه ثياب بيض حسن الوجه عظيم الهيئة ذكى الرائحة فقال يا أحمد بن حنبل فقلنا لبيك فقال هاكم خذوا هذا فسلم اليناز نبيلا أبيض وعليه منديل طيب الرائحة وطبق مغطى بمنديل آخر وقال كلوا من رزق ربكم واشكروا له فقال الشافعى يا أبا عبد الله فما فى الزنبيل والطبق فقال عشرون رغيفا قد عجنت باللبن واللوز المقشور ابيض من الثلج وأذكى من المسك ما رأى الراؤن مثله وخروف مشوى مزعفر حار وملح فى سكرجة وخل فى قارورة على الطبق و بقل وحلواء متخذة من سكر طبرزد ثم أخرج الكل ووضعه بين أيديهم فتعجبوا من شأنه وأكلوا ماشاء الله قال فلم تذهب حلاوة ذلك الطعام والحلواء مدة طويلة وكل من أكل من ذلك الطعام ما احتاج الى طعام غيره مدة شهر فلما أن فرغوا من الاكل حمل أحمد ما بقى منه وأدخله الى أهله فأكلوا وشبعوا و بقى منه شيء فاجمع رأيهم على أن الطعام كان من غيب الله وأن الرسول كان ملكا من الملائكة

(النابلسى) ما كنت أعلم والضمائر تصدق * ان المسامع كالنواظر تعشق
حتى سمعت بذكركم فهو يتكم * وكذاك أسباب المحبة تعلق * ولقد قنعت من اللقاء بساعة
ان لم يكن لى للدوام تطرق * قد ينعش العطشان بلة ريقه * و يغص بالماء الكثير و يشرق
فعسى عيونى أن ترى لك سيدى * وجها يكاد الحسن فيه ينطق

﴿أبو الحسن الجزار﴾

فى خده من بقايا اللثم تخميش * و بى التشويش ذاك الصدغ تشويش * ظبى من الترك أغنته لواحظه
عما حوته من النبل التراكيش * اذا انثنى فقلب الغصن منكسر * وان تبدى فطرف البدر مدهوش
ياعاذلى ان تكن عن حسن صورته * أعمى فانى عما قلت أطروش * كم ليلة بات يسقينى المدام على
روض له بثياب الغيم ترقيش * والغيث كالجيش برتج الوجود له * والبرق رايته والرعد جاو يش
فى مجلس ضحكت ارجاؤه طربا * لانه ببديع الزهد مفروش

﴿سيدى أبو الفضل بن أبى الوفاء﴾

ترى متى من فتور اللحظ ينتشط * من قلبه بحبال الشعر مرتبط * قد رق لى خصره المضنى فناسبنى
فقلت خير الامور الأنسب الوسط * وقد خفى الردف عنى من تثاقله * فقلت هذا على ضعفى هو الشطط
وصدره الرحب قد عانقته سحرا * والقلب منبعث الآمال منبسط * وفيه تلك النهود المشتهاة ترى
رمانها فيه قلبى أمرد فرط * ان الصواب لتعجيل السرور فقم * قبل الفوات فاوقات الهنا غلط

﴿القاضى مجد الدين بن مكانس﴾

أهدى تحيته وجاد بوعده * أفديه من قمر بدا فى سعده * بدر جرى ماء الحياة بثغرة
وترددت فضلاته فى خده * أسكنته قلبى فأوقد خده * نيران أحشائى عليه ووجده
من لى به حلو الشمائل أهيف * روت العوالى عن مثقف قده * ياعاذلى فى حبه لو أبصرت
عيناك فوق الردف مسبل جعده * لعذرت كل متيم فى حبه * وعلمت أن ضلاله فى رشده
فوحق موتى فى هواه صبابة * وحياة مبسمه الشهى وبرده * ماجاد غيث الدمع الا عن هوى
خلع القلوب ببرقه و برعده * قم يارسول وابلغ العشاق ما * ألقاه من جور الحبيب وبعده
واذا سألتك ان تؤدى فى الهوى * خبرى فصف فعل الغرام وأبده

﴿عز الدين الموصلى﴾ (والصحيح أن هذه الابيات لابن نباتة لانها فى ديوانه)

نفس عن الحب ما أغفت وماغفلت * باى ذنب وقاك الله قد قتلت * دعها ومدمعها الجارى لقد لقيت
ماقدمت من أسى قلبى وماعملت * أفديك من ناشط الاجفان فى تلفى * والسحر يوهم طرفى أنها كسلت
وأوضح الحسن لو شاءت ذوائبه * فى الافق وصل دجا الظلماء لاتصلت * معسل بنعاس فى لواحظه
أما تراها الى كل القلوب حلت * من لى بالحاظ ظبى يدعى كسلا * وكم ثياب ضنى حاكت وكم غزلت
وحمرة فوق خديه ومرشفه * هذى محاسنها تزهو وذى ذبلت * أما كفانى تكحيل الجفون أسى
حتى المراشف منه باللمى كحلت * أستودع الله أعطافا شوت كبدى * وكلما رمت تجديد الوصال قلت
ومهجة لى كم ألقت بمسمعها * الى الملام ولا والله ماقبلت

﴿غيره للفاضل﴾ شرخ الشباب بحبكم أفنيته * والعمر فى كلف بكم قضيته
وأنا الذى لوسر بى من نحوكم * داع وكنت بحفرتى لبيته * كيف التعرض للسلو وحبكم
حب بأيام الشباب شربته * لله داء فى الفؤاد أجنه * يزداد نكسا كلما داويته
قالوا حبيبك فى التجنى مسرف * قاس على العشاق قلت فديته * أأروم من كلفى عليه تخلصا

قال صالح بن أحمد بن حنبل ما أصابتنا مجاعة قط مادام ذلك الزنبيل فى بيتنا وكان يأتينا الرزق

لا والذى بطحاء مكة بيته * ولو استطعت بكل اسم فى الورى * من لذة الذكرى به سميته

(وللشيخ بدر الدين الدمامينى)

سل سيفا من الجفون صقيلا * مذ تصدى جلاه رحت قتيلا * صح عن جفنه حديث فتور
وهو ما زال من قديم عليلا * مرأبدى لنا من الخصر ردفا * فأرانا مع الخفيف ثقيلا
ذو قوام كأنه الغصن لكن * بالهوى نحو وصلنا لن يميلا * كامل الحسن وافر ظل وجدى
فيه يا عاذلى مديدا طويلا * فاتك الجفن ذو جمال كثير * أتلف العاشقين الا قليلا
قلت إذ لاح طرفه ولماه * فاتر اللحظ بكرة وأصيلا
كيف حالى وهل لصب اليه * من سبيل فقال لى سل سبيلا

(وقال آخر) لو أن قلبك لى يرق ويرحم * ما بت من ألم الجوى أتألم
ومن العجائب أننى لاسهم لى * من ناظريك وفى فؤادى أسهم
ياجامع الضدين فى وجناته * ماء يرق عليه نار تضرم
عجبى لطرفك وهو ماض لم يزل * فعلام يكسر عندما تتكلم
ومن المروءة أن تواصل مدنفا * والدهر سمح والحوادث نوم

(وقال آخر) تصدق بوعدان دمعى سائل * وزود فؤادى نظرة فهو راحل
نخدك موجود به التبر دائما * وحسنك معدوم لديه المماثل * أياقمرا من شمس طلعة وجهه
وظل عذاريه الدجا والأصائل * تنقلت من طرف لقلب مع الهوى * وهاتيك للبدر المنير منازل
جعلتك للتمييز نصبا لخاطرى * فهلا رفعت الهجر والهجر فاعل

(وقال ابن صابر) قبلت وجنته فألفت جيده * خجلا ومال بعطفه المياس
فانهل من خديه فوق عذاره * عرق يحاكى الطل فوق الآس
فكأننى استقطرت وردخدوده * بتصاعد الزفرات من أنفاسى

(وقال آخر) وغزال كل من شبهه * بهلال أو ببدر ظلمه
قال إذ قبلت وهما فمه * قد تعديت وأسرفت فمه

(وقال آخر) بأبى غلام لست غير غلامه * مذ جادلى بسلامه وكلامه
ذو حاجب ما ان رأيت كنونه * أبدا وصدغ ما رأيت كلامه

(وقال جمال الدين بن مطروح)

ذكر الحمى فصبا وكان قد ارعوى * صب على عرش الغرام قد استوى * تجرى مدامعه ويخفق قلبه
مهما جرى ذكر العقيق مع اللوى * واذا تألق بارق من بارق * فهناك ينشر من هواه ما انطوى
نخذوا أحاديث الهوى عن صادق * ماضل فى شرع الغرام وماغوى * وبمهجتى رشأ أطالت عزلى
فيه الملام وقد حوى ماقد حوى * قالوا أفيه سوى رشاقة قده * وفتور عينيه وهل موتى سوى
ماأبصرته الشمس إلا واكتست * خجلا ولاغصن النقا إلا التوى
يروى الاراك محاسنا عن ثغره * ياطيب ما نقل الاراك وماروى

(وقال آخر) عبث النسيم بقده فتأودا * وسرى الحياء بخده فتوردا
رشأ تفرد فيه قلبى بالهوى * لما غدا بجماله متفردا
قاسوه بالغصن الرطيب جهالة * تالله قد ظلم المشبه واعتدى
حسن الغصون اذا اكتست أوراقها * وتراه أحسن ما يكون مجردا

أميرا من أمراء العرب وكان بطلا شجاعا جوادا ذا مروءة وافرة قال حججت سنة من السنين الى بيت الله الحرام وصحبت مالا كثيرا ومتجرا عزيزا فلما قضيت حجى عدت لزيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم فبينما أنا ذات ليلة بين القبر والمنبر فى الروضة اذ سمعت أنينا عاليا وحسا باديا فأنصت اليه فاذا هو يقول

أشجاك نوح حمائم الدر * فأهجن منك بلابل الصدر
أم زاد نومك ذكر غانية * أهدت اليك وساوس الفكر
فى ليلة نام الخلى بها * وخلفت بالاحزان والذكر
ياليلة طالت على دنف * يشكو الغرام وقلة الصبر
أسلمت من يهوى لحر جوى * متوقد كتوقد الجمر
فالبدر يشهد أننى كلف * بجمال حب مشبه البدر

قال ثم انقطع الصوت ولم أر من أين جاء فبهت حائرا واذا به قد أعاد البكاء والنحيب وهو يقول

أشجاك من رياخيال زائر * والليل مسود الذوائب عاكر
واعتاد مهجتك الهوى فأبادها * واهتاج مقلتك المنام البائر
ناديت ليلى والظلام كأنه * يم تلاطم فيه موج زاخر
والبدر يسرى فى السماء كأنه * ملك تبدى والنجوم عساكر

﴿وقال غيره﴾

ياحسنا مالك لم تحسن * إلى قلوب في الهوى متعبه * رقمت بالورد وبالسوسن
صفحة خدبالسنا مذهبه * وقد أبى خدك أن أجتني * منه وقد السعي عقربه
ياحسنه اذ قال ما أحسني * ويالذاك اللفظ ما أعذبه * قلت له كلك عندي سنـا
وكل ألفاظك مستعذ به * ففوق السهـم ولم يخطني * ومـذ رآني ميتا أعجبه
وقال كم من عاشق حبني * وحبه اياي قدا تعبه يرحمه الله على انني * قتلى له لم أدر ما أوجبه
وقال آخر) مليح يغار الغصن عند اهتزازه * ويخجل بدر التم عند شروقه
فمافيه معنى ناقص غير خصره * وما فيه شيء بارد غير ريقه

﴿وقال يحيى بن أكثم﴾

دناهاجري يحوي بمقلته الكحلا * فلما رأى ذلي ثني عطفه دلا * فتيمني شوقا وأنحلني أسى
وأفقدني صبرا وأعدمني عقلا * شكوت فما ألوى وولى ومالوى * وأعرض مزورا فسل الحشى سلا
اذا ما دعاه فرط سقمي لزورة * يناديه فرط العجب من عطفه كلا
(وقال أيضا) بأبي غزالا غازلته مقلتي * بين العذيب وبين شطي بارق
وسألت منه زورة تشفي الجوى * فأجابني عنها بوعد صادق * بتنا ونحن من الدجا في خيمة
ومن النجوم الزهر تحت سرادق * عاطيته والليل يسحب ذيله * صهباء كالمسك الذكي لناشق
وضممته ضم الكمي لسيفـه * وذؤابتاه حمائل في عاتقي * حتى اذا مالت به سنة الكرى
زحزحته عني وكان معانقي * أبعدته عن أضلع تشتاقه * كي لا ينام على فراش خافق
لما رأيت الليل آخر عمره * قدشاب في لم له ومفارق
ودعت من أهوى وقلت تأسفا * صعب علي بأن أراك مفارقي
(وقال ابن نباتة) بداورنت لواحظه دلالا * فما أبهى الغزالة والغزالا
وأسفر عن سنا قمر منير * ولكن قدوجدت به الضلالا * صقيل الخد أبصر من رآه
سواد العين فيـه فخال خالا * وممنوع الوصال اذا تبدى * وجدت له من الألفاظ لالا
عجبت لثغره البسام أبدى * لنادرا وقد سكن الزلالا * شهدت بشهد ريقته لأني
رأيت على سوالفه نمـالا * فياعجبا لحسن قـد حواه * وقد أهدى الى قلبي الوبالا
سأشكو الحسن مابقيت حياتي * وأشكر من صنائعه الجمالا

(القاضي فخر الدين بن مكانس)

ياغصنا في الرياض مالا * حملني في هواك مالا
ياراتحا بعـد ان سباني * حسبك رب السما تعالى
(وله أيضا) أجارك الله قـد رثت لي * مما ألاقي عـدا وحسد
وعاذلي مذ رأى ضلوعي * تعـد سقما بكي وعـدد
﴿ابن رفاعة﴾ يقولون هل من الحبيب بزورة * ومنا كم المطلوب قلنا لهم منا
فقالوا لنا غوصوا على قده وما * يحاكي اذا ما اهتز قلنا لهم غصنا

(الشيخ برهان الدين القيراطي)

ووردي خد نرجسي لواحظ * مشايخ علم السحر عن لحظه رووا
وواوات صدغيه حكين عقاربا * من المسك فوق الجلنار قد التووا

وإذا تعرضت الثريا خلتها كاسا بهاحث السلافة دائر وترى يد الجوزاء ترقص في الدجا رقص الحبيب علاه سكر ظاهر
ياليل طلت على حبيب ماله الا الصباح موازر ومسامر فأجابني مت حتف أنفك واعلمن أن الهوى لهو الهوان الحاضر
قال عبدالله فنهضت عند ابتدائه بالأبيات أؤم الصوت فما انتهى الى آخرها الاوأنا عنده فرأيت غلاما جميلا قدنزل عذاره لكن قدعلا محاسنه الاصفرار والدموع تجري على خده كالامطار فقال نعمت ظلاما من الرجل قلت عبدالله ابن معمر القيسي فقال ألك حاجة يافتى قلت اني كنت جالسا في الروضة فما راعني في هذه الليلة الا صوتك فبنفسي أقيك وبروحي أفديك وبمالي أواسيك ما الذي تجـد قال ان كان ولابد فاجلس فجلست فقال أنا عتبة ابن الحباب بن المنذر ابن الجموح الانصاري غدوت إلى مسـجد الاحزاب ولم أزل فيه راكعا ساجدا ثم اعتزلت غير بعيد فاذا نسوة يتهادين كأنهن القطا وفي وسطهن جارية بديعة الجمال في نشرها بارعة الكمال في عصرها نورها ساطع يتشعشع وطيبها عاطر يتضوع فوقفت علي وقالت ياعتبة ماتقول في وصل من طلب وصلك

ووجنته الحمرا تلوح كجمرة * عليها قلوب العاشقين قد اكتووا
وودي له باق ولست بسامع * لقول حسود والعواذل اذ عووا
ووالله ما أسلو ولو صرت رمة * فكيف وأحشائي على حبه انطووا

(وللشيخ برهان الدين القيراطي أيضا)

شبه السيف والسنان بعيني * من لقتلي بين الانام استحلا
فأبى السيف والسنان وقالا * حدنا دون ذاك حاشى وكلا

(وله أيضا) بأبي أهيف المعاطف لدن * حسد الاسمر المثقف قده
ذو جفون مذ رمت منها كلاما * كلمتني سيوفهن بحده

(وقال آخر) تملك رقي شادن قد هويته * من الهند معسول اللمى أهيف القد
أقول لصحبي حين يرنو بطرفه * خذوا حذركم قد سل صارمه الهندي

(ومما قيل في الغزل المؤنث للشيخ شمس الدين بن البديوي)

خيال سلمى عن الأجفان لم يغب * وطيفها عن عياني غير محتجب
وذكرها أنس روحي وهي نائية * والقلب ما زال عنها غير منقلب
لم أصغ فيها للاح راح يعذلني * ولا لواش خلي بات يلعب بي
عذابها في الهوى عذب ألذ به * ومر هجرانها أحلى من الضرب
فان نأت أودنت وجدي كما علمت * تشيب فيه الليالي وهو لم يشب
دعها فأمر هوى المحبوب متبع * وغير طاعته في الحب لم يجب

(وقال عفا الله عنه)

سقى طللا حلته سلمى معاهد * وحياه من دمعي مذاب وجامد
فربع به سلمى مصيف ومربع * وأرض نأت عنها قفار جلامد
وحيث ثوت أرضا فأعذب مورد * ولو كدرت منها على الموارد
رعى الله دهرا سالمتني صروفه * وظلت لياليه بسلمى تساعد
وقد غفل الواشون عني ولم أزل * ويقظان طرف البين عني راقد
وأيامنا بالقرب بيض أزاهر * وأوقاتنا بالوصل خضر أمالد
وأرواحنا ممزوجة وقلوبنا * ونحن كأنا في الحقيقة واحد * وكم قد مرجنا في مروج صبابة
ولم يطرد فينا من البين طارد * نجر ذيول اللهو في قمص الهوى * تلوح علينا للغرام شواهد
ولم يخطر التفريق منا بخاطر * ولم نحسب الايام فينا تعاند * فهل أنت يا سلمى وقد حكم الهوى
كما كنت لي أم حاد بالقلب حائد * وهل ودنا باق والا تغيرت * على عادة الأيام منك العوائد
وهل محيت آثار رسم حديثنا * وأنساك حفظ الود هذا التباعد * وهل تذكرين العهد إذ نحن باللوى
وقولك لا عاش الخؤن المعاهد * وهل أنت غيرت الذي أنا حافظ * وهل أنت أحللت الذي أنا عاقد
وهل بدلت منك المودة بالجفا * وفيك يقيني بالوفا منك شاهد * واني ما بدلت عهدك في الهوى
ولا اختلفت فيما علمت العوائد * ولا بت مسرورا وعيشك ليلة * وكيف سلوي والحبيب مباعد
فان كنت حبل الود صرمت طرفه * فودي طريف في هواك وتالد * وان قلت إنا الحب غيره النوى
لعمري وجدي بالحشاشة واقد * وان أوردوا يوما صبابة عاشق * ففي يضرب الامثال من هو وارد
فما شئت كوني انني بك مدنف * صبور على البلوى شكور وحامد * ومنك تساوى عندي الوصل والجفا

ثم تركتني وذهبت فلم أسمع لها خبرا ولا اقفوت لها أثرا فأنا حيران أن أنتقل من مكان الى مكان ثم صرخ صرخة خمية عظ وأكب على الأرض مغشيا عليه ثم أفاق بعد ساعة وكأنما صبغت ديباجة خده بورس وأنشد يقول

أراك بقلبي من بلاد بعيدة * تراكم تروني بالقلوب على بعد
فؤادي وطرفي يأسفان عليكم * وعندكم روحي وذكركم عندي
ولست ألذ العيش حتى أراكم * ولو كنت في الفردوس أو جنة الخلد

قال فقلت يا أخي تب الى ربك واستقل من ذنبك واتق هول المطلع وسوء المضجع فقال هيهات هيهات ما أنا مبال حتى يكون ما يكون ولم أزل به الى طلوع الصباح فقلت له قم بنا الى مسجد الاحزاب فلعل الله أن يكشف عنك ما بك قال أرجو ذلك ببركة طاعتك ان شاء الله فنزلنا الى أن وردنا مسجد الاحزاب فسمعته يقول

يا للرجال ليوم الأربعاء أما * ينفك يحدث لي بعد النهى طربا
ما ان يزال غزال فيه يظلمني * يهوى الى مسجد الاحزاب منتقبا
يخمن الناس أن الاجر همته * وما أنا طالبا للاجر مكتسبا
لو كان يبغي ثوابا ما أتى ظهرا

وفيك لقدهانت على الشدائد * ولو رمت ألوى عن هواك أعنتى * لقادزمامى نحوحبك قائد
نصبت شراك الحب صدت حشاشتى * فكيف خلاصى والهوى منك صائد
بعدت وقالت البين يسلى أخا الهوى * وهل يسلى ذا الاشجان هذا التباعد
وما غير التفريق ماتعهدينه * وسوق سلوى فى المحبين كاسد
وجل منای القرب منك وانما * اذا عظم المطلوب قل المساعد

(وقال عفا الله عنه)

تهددنى بتبريح وبين * وتوعدنى بتفريق وصد * وتحلف لى لتلبسنى سقاما
تهى جلدى به وتذيب جلدى * وترمينى بنبل من جفون * فتضنينى وتصمينى وتردى
وتحرقنى بنار الصد حتى * تذيب حشاشتى كمدا وكبدى * فقلت لها ودمعى فى انسكاب
يفيض دما على صفحات خدى * ومن لى أن يقال قتيل وجد * واذكر فى هواك ولو بصدى

(وقال عفا الله عنه)

سلوى عنك شيء ليس يروى * وحبى فيك سار مع الركاب
ولم يمرر سواك على ضميرى * ووجدى فيك أيسره عذابى * ومالك عن سواد العين يوما
ومالسواد قلبى من حجاب * ومااخضرت دواعى الشوق الا * هززت اليك أجنحة التصابى

(وقال عفا الله عنه)

قفا نبك دارا شط عنا مزارها * وانحلنا بعد البعاد ادكارها * وعوجا باطلال محتها يد النوى
فاظلم بالناى المشت نهارها * فقد نابهار بما من الانس ان رنت * بمقلتها يصمى القلوب احورارها
تصيد قلوب العاشقين أنيسة * ويحسن منها صدها ونفارها * ويهزأ بالأغصان لين قوامها
اذا مال فوق الغصن منها خمارها * وليس لبدر التم قامة قدها * وما هو الا حجلها وسوارها
منازلها منى الفؤاد وان نأى * عن العين مثواها ففى القلب دارها * يمثلها بالوهم فكرى لناظرى
واكثر ما يضنى النفوس افتكارها * وهيج دمعى حر نار صبابتى * وما خمدت بالدمع منى نارها
وساعدنى بالايك ليلا حمائم * تهاتف شجوا لا يقر قرارها
بكين ولم تسفح لهن مدامع * وعينى فاضت بالدموع بحارها

(ولمؤلفه رحمه الله تعالى) وهو قول ضعيف على قدر حاله لكنه يسأل الواقف عليه من افضاله ستر مايراه من عيوبه وان يدعوله بمغفرة ذنوبه

نسيم الصبا بلغ سليمى رسائلى * بلطف وقل عن حال صبك سائلى * فقد صار بالاسقام صبا معذبا
قريح جفون من دموع هوامل * صبورا على حر الغرام وبرده * حليف الضنى لم يصغ يوما العاذل
يبيت على جمر الغضى متقلبا * يئن غراما فارحميه وواصلى * الا ياسليمى قد أضر بى الهوى
وهاجت بتبريح الغرام بلابلى * رميت بسهم من لحاظك قاتل * فلم يخط قلبى والحشى ومقاتلى
كتمت غرامى فى هواك ولم أبح * بسر فباحت أدمعى برسائلى * سليمى سلى ماقد جرى لى من النوى
فقد عادلى حال له رق عاذلى * لعل تجودى للكئيب وتسمحى * بوعد وبعد الوعد ان شئت ماطلى
عسى تنطفى بالوعد نارى وأشتفى * فبالسقم أعضائى وهت ومفاصلى * خفيت عن العواد لولا تأوهى
وعظم أنينى لايرانى مسائلى * فرقى فقد رقت عداى لذلتى * وفاضت على حالى عيون عواذلى
قطعت زمانى فى عسى ولعلها * ومافزت فى الايام منك بطائل * فما آن أن ترضى على وترحمى
ضنى جسدى فالوجد لاشك قاتلى * توسلت بالمختار فى جمع شملنا * نبى له فضل على كل فاضل

مضمخا بفتيت المسك مختضبا فجلسنا ثم صلينا به الظهر فاذا النسوة أقبلن وما الجارية بينهن فلما بصرن به قلن ياعتبة وماظنك بطالبة وصالك وكاسفة بالك قال ومالها قلن قد أخذها أبوها وارتحل بها الى السماوة فسألتهن عن الجارية فقلن هى ريا ابنة الغطريف السلمى فرفع الشاب رأسه اليهن وأنشد يقول

خليلى ريا قد أجد بكورها
وسار الى أرض السماوة عيرها
خليلى ما تقضى به أم مالك
على فما يعدو على أميرها
خليلى انى قد خشيت من البكا
فهل عند غيرى مقلة أستعيرها

فقلت ياعتبة طب قلبا وقر عينا فقد وردت الحجاز بمال جزيل وطرف وتحف وقماش ومتاع أريد به أهل السفر والله لأبذلنه أمامك وبين يديك وفيك وعليك حتى أوصلك الى المنى وأعطيك الرضا وفوق الرضا فقم بنا الى مجالس الانصار فقمنا حتى أشرفنا على ناديهم فسلمت فاحسنوا الرد ثم قلت أيها الملأ الكرام ما تقولون فى عتبة وأبيه قالوا خيرا ان من سادات العرب قلت فانه قد رمى بفؤاده الجوى وما أريد منكم الا المعونة فركبنا وركب القوم حتى أشرفنا على منازل بنى سليم من السماوة فقلنا أين منزل الغطريف فخرج بنفسه

ولـه

﴿ وله رحمه الله تعالى ﴾

يا ربة الحسن من بالصد أوصاك * حتى قتلت بفرط الهجر مضناك
ويافتاة بفتان القوام سبت * من فى الورى يا ترى بالقتل أفتاك
لقد جننت غراما مذ رأى نظرى * فى النوم طيف خيال من محياك
ومذ رآه جفا طيب المنام وقد * أضحى عليلا حزينا لم يزل باكى
عذبتنى بالتجنى وهو يعذب لى * فهل ترى تسمحى يوما برؤياك
ان كنت لم تذكرينا بعد فرقتنا * فالله يعلم أنا ما نسيناكى
ما آن أن تعطفى جودا على فقد * أضحى فؤادى أسير الحظ عيناك
ما كنت أحسب أن العشق فيه ضنى * ولا عذاب نفوس قبل أهواكى
حتى تولع قلبى بالغرام فما * أمسى أسيرا سوى فى حسن معناكى
رقى لعبدك جودا واعطفى وذرى * ولا تطيلى بحق الله جفواكى
ياهند رفقا بقلب ذاب فيك أسى * ومهجة تلفت ياهند ما اقساكى
رق العذول لحالى فى الهوى ورثى * وأنت ياهند لا ترثى لمضناكى
والله لومت ما أسلاك يا أملى * ولو فنيت غراما لست أنساكى

(وقال آخر) كأن فؤادى يوم سرت دليل * يسير أمام العيس وهو ذليل
فصرت عقيب الظاعنين لكى أرى * فؤادى سرى فى الركب وهو عجول * وقائلة لى كيف حالك بعدنا
لتعلم ما هذا اليه يؤل * فقلت لها قدمت قبل ترحلى * فمن باب أولى أن يجد رحيل
وقالت فليلى طال هما فأنشدت * ومازال ليل العاشقين طويل * فقلت وجسمى لم يزل متوجدا
فقالت وجسم العاشقين نحيل * فقلت لها لو كنت أدرى فراقنا * بيوم وداع ماله سبيل
قلعت لعينى فى هواك بأصبعى * لكيلا أرى يوما على ثقيل

﴿ وقال الوأواء الدمشقى عفا الله عنه ﴾

يامن نفت عنى لذيذ رقادى * مالى ومالك قد أطلت سهادى * فبأى ذنب أم بأية حالة
أبعدتنى ولقد سكنت فؤادى * وصددت عنى حين قد ملك الهوى * روحى وقلبى والحشا وقيادى
ملكت لحاظك مهجتى حتى غدا * قلبى أسيرا ماله من فادى * لا غرو أن قتلت عيونك مغرما
فلكم صرعت بها من الآسادى * يامن حوت كل المحاسن فى الورى * والحسن منها عاكف فى بادى
رفقا بمن أسرت عيونك قلبه * ودعى السيوف تقر فى الاغمادى * وتعطفى جودا على بقبلة
فبمبسمك شفاء الصادى * ماتت أطال الله عمرك سلوتى * ولقد فنى صبرى وعاش سهادى
ومن المنى لودام لى فيك الضنى * ياحبذا لأراك من عوادى * وأجيل منك نواظرى فى ناضر
من خدك المترقرق الوقاد * وأقول ماشئت اصنعى يامنيتى * مالى سواك ولو حرمت مرادى
الامدح المصطفى هو عمدتى * وبه سألقى الله يوم معادى

﴿ وقال البهازهير ﴾

اذا جن ليلى هام قلبى بذكركم * أنوح كما ناح الحمام المطوق * وفوقى سحاب يمطر الهم والأسى
وتحتى بحار بالجوى تتدفق * سلوا أم عمرو كيف بات أسيرها * تفك الأسارى دونه وهو موثق
فلا أنا مقتول ففى القتل راحة * ولا أنا ممنون عليه فيعتق

قلنا وأنت حييت ثم حييت أتيناك أضيافا قال نزلتم أفضل معقل ثم نادى يامعشر العبيد أنزلوا القوم وسارعوا الى الاكرام ففرشت فى الحال الانطاع والنمارق والزرابى فنزلنا وأرحنا ثم ذبحت الذبائح ونحرت النحائر وقدمت الموائد فقلنا ياسيد القوم لسنا بذائقين لك طعاما حتى تقضى حاجتنا وتردنا بمسرتنا قال وماحاجتكم أيها السادة قلنا نخطب عقيلتك الكريمة لعتبة ابن الحباب بن المنذر الطيب العنصر العالى المفخر فأطرق وقال ياأخوتاه ان التى تخطبونها أمرها الى نفسها وها أنا داخل اليها أخبرها ثم نهض مغضبا فدخل على ريا وكانت كاسمها فقالت ياأبتاه انى أرى الغضب بينا عليك فما الخبر قال لها ورد الانصار يخطبونك منى قالت سادات كرام وأبطال عظام استغفر لهم النبى صلى الله عليه وسلم فلمن الخطبة منهم قال لفتى يعرف بعتبة بن الحباب قالت بالله لقد سمعت عن عتبة هذا أنه يفى بما وعد ويدرك اذا قصد ويأكل ماوجد ولا يأسف على ما فقد قال الغطريف أقسم بالله لا أزوجك به أبدا فقد نما الى بعض حديثك معه فقالت ماكان ذلك ولكن اذا أقسمت فان الانصار لايردون

﴿ مجنون ليلى ﴾

وقد خبروني أن تيماء منزل * لليلى اذا ما الليل ألقى المراسيا * فهذى شهور الصيف عنا ستنقضي
فما للنوى يرمى بليلى المراميا * أعد الليالي ليلة بعد ليلة * وقد عشت دهراً لا أعد اللياليا
وأخرج من بين البيوت لعلني * أحدث عنك النفس بالليل خاليا * ألا أيها الركب اليمانون عرجوا
علينا فقد أمسى هوانا يمانيا * يمينا اذا كانت يمينا فان تكن * شمالا ينازعني الهوى عن شماليا
أصلي فما أدري اذا ما ذكرتها * أثنتين صليت الضحى أم ثمانيا * خليلي لا والله لا أملك الهوى
إذا علم من أرض ليلى بداليا * خليلي لا والله لا أملك الذي * قضى الله في ليلى ولا ماقضى ليا

قضاها لغيري وابتلاني بحبها * فهلا بشيء غير ليلى ابتلانيا
ولو أن واش باليمامة داره * وداري بأعلى حضرموت اهتدى ليا
وددت على حبي الحياة لو انه * يزاد لها في عمرها من حياتيا
على أنني راض بان أحمل الهوى * وأخلص منه لا على ولا ليا
اذا ما شكوت الحب قالت كذبتني * فمال أرى الاعضاء منك كواسيا
فلا حب حتى يلصق الجلد بالحشى * وتخرس حتى لا تجيب المناديا

(وقال آخر) قالت لطيف خيال زارني ومضى * بالله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقال خلفته لو مات من ظمأ * وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
قالت عهدت الوفا والصدق سيمته * يا برد ذاك الذي قالت على كبدي

﴿ كمال الدين بن النبيه ﴾

أما وبياض مبسمك النقي * وسمرة مسكة اللعس الشهي * ورمان من الكافور تعلو
عليه طوالع الند الندي * وقد كالقضيب اذا تثنى * خشيت عليه من ثقل الحلي
لقد أسقمت بالهجران جسمي * وأعطشني وصالك بعد ري * الى كم أكتم البلوى ودمعي
يبوح بمضمر السر الخفي * وكم أشكو للاهية غرامي * فويل للشجي من الخلي

﴿ صفي الدين الحلي ﴾

أبت الوصال مخافة الرقباء * وأتتك تحت مدارع الظلماء * أصفتك من بعد الصدود مودة
وكذا الدواء يكون بعد الداء * أحيت بزورتها النفوس وطالما * ضنت بها فقضت على الاحياء
أمت بليل والنجوم كأنها * در بباطن خيمة زرقاء * أمست تعاطيني المدام وبيننا
عتب غنيت به عن الصهباء * آبت الى جسدي لتنظر ما انتهت * من بعدها فيه يد البرحاء
ألفت به وقع الصفاح فراعها * جزعا وما نظرت جراح حشائي * أمصيبة منا بنبل لحاظها
ما أخطأته أسنة الاعداء * أعجبت مما قد رأيت وفي الحشا * أضعاف ما عاينت في الاعضاء
أمسى وليست بسالم من طعنة * نجلاء أو من مقلة نجلاء

﴿ وله رحمه الله تعالى ﴾

ففي ودعينا قبل وشك التفرق * فما أنا من يحيا الى حين نلتقي * قضيت وما أودى الحمام بمهجتي
وشبت وما حل البياض بمفرق * قنعت أنا بالذل في مذهب الهوى * ولم تفرقي بين المنعم والشقي

قرنت الرضا بالسخط والقرب بالنوى * ومزقت شمل الوصل كل ممزق
قبلت وصايا الهجر من غير ناصح * وأحببت قول الهجر من غير مشفق
قطعت زماني بالصدود وزرتني * عشية زمت للترحل أينقي

مرداً قبيحا فأحسن لهم الرد وادفع بالتي هي أحسن قال ياربا فأي شيء أقول قالت أغلظ لهم المهر ما استطعت فانهم يرجعون ولا يجيبون وقد أبررت قسمك وبلغت مأربك وراعيت أضيافك قال ما أحسن ماقلت ثم خرج مبادرا فقال يا إخوتاه ان فتاة الحي قد أجابت ولكن أريد لها مهر مثلها فمن القائم به قال عبد الله فقلت أنا القائم بما تريد فقال أريد ألف مثقال من الذهب الاحمر قلت لك ذلك قال وخمسة آلاف درهم من ضرب هجر قلت لك ذلك قال ومائة ثوب من الابراد والحبر قلت لك ذلك قال وعشرين ثوبا من الوشي المطرز قلت لك ذلك قال وأريد خمسة أكرشة من العنبر قلت لك ذلك قال وأريد مائة نافجة من المسك الاذفر قلت لك ذلك قال فهل أجبت قلت أجل ثم أجل قال عبد الله فانفذت نفرا من الانصار أتوا بجميع ما ضمنته وذبحت النعم والغنم واجتمع الناس لأكل الطعام فأقمنا هناك نحو أربعين يوما على هذا الحال ثم قال القطريف يا قوم خذوا فتاتكم وانصرفوا مصاحبين السلامة ثم حملها في هودج وجهز معها ثلاثين راحلة عليها التحف والطرف ثم ودعنا ورجع فسرنا حتى اذا بقي بيننا وبين المدينة مرحلة واحدة خرجت علينا خيل تريد الغارة وأحسب أنها من

قضى الدهر بالتفريق فاصطبرى له * ولا تذممى أفعاله وترفقى

﴿ وقال عفا الله عنه ﴾

جاءت لتنظر ما أبقت من المهج * فعطرت سائر الارجاء بالارج
جلت علينا محيا لو جلته لنا * فى ظلمة الليل أغنتنا عن السرج
جورية الخد تحمى ورد وجنتها * بحارس من نبال الغنج والدعج
جزت اساءة أفعالى بمغفرة * فكان غفرانها يغنى عن الحجج
جادت لعرفانها أنى المريض بها * فما على اذا أذنبت من حرج
جست يدى لترى مابى فقلت لها * كفى فذاك جوى لولاك لم يهج
جفوتنى فرأيت الصبر أجمل بى * والصمت فى الحب أولى بى من اللهج
جارت لحاظك فينا غير راحمة * ولذة الحب جور الناظر الغنج

(وقال ابن نباتة) رقت لنا حين هم السفر بالسفر * وأقبلت فى الدجى تسعى على حذر
راض الهوى قلبها القاسى فجاد لنا * وكان أبخل من تموز بالمطر
رأت غداة النوى نار الكليم وقد * شبت فلم تبق من قلبى ولم تذر
رشيقة لو تراها عند ماسفرت * والبدر ساء الها سهو معتذر
رأيت بدرين من وجه ومن قمر * فى ظل جنحين من ليل ومن شعر
رشفت در الحميا من مقبلها * إذ نبهتنى اليها نسمة السحر
رنت نجوم الدجى نحوى فما نظرت * من يرشف الراح قبلى من فم القمر
راق العتاب وابدت لى سرائرها * فى ليلة الوصل بل فى غرة القمر

(وقال ابن الساعاتى) قبلتها ورشفت خمرة ريقها * فوجدت نار صبابة فى كوثر
ودخلت جنة وجهها فاباحنى * رضوانها المرجو شرب المسكر

(وقال آخر) بكت للفراق وقد راعها * بكاء المحب لبعد الديار
كأن الدموع على خدها * بقية طل على جلنار

﴿ الوأواء الدمشقى تضمين ﴾

قالت متى الظعن ياهذا فقلت لها * اما غدا زعموا أولا فبعد غد
فامطرت لؤلؤا من نرجس وسقت * ورداً وعضت على العناب بالبرد

(لابن نباتة) عذولى لست أسمع منه قولا * على غيداء مثل البدر تما
له طرف ضرير عن سناها * ولى أذن عن الفحشاء صما

(وقال آخر) ورب ليال فى هواها سهرتها * أراعى نجوم الليل فيها إلى الفجر
حديثى عال فى السهاد لانى * رويت أحاديث السهاد عن الزهر

﴿ السراج الوراق ﴾

يالائمى فى هواها * أسرفت فى اللوم جهلا
مايعلم الشوق إلا * ولا الصبابة إلا

(وقال آخر) وعدت أن تزور ليلا فألوت * وأتت فى النهار تسحب ذيلا
قلت هلا صدقت فى الوعد قالت * كيف صدقت أن ترى الشمس ليلا

(لعز الدين الموصلى) قد سلونا عن الغزال بخود * ذات وجه بها الجمال تفنن
ورجعنا عن التهتك فيه * ودفعناه بالتى هى أحسن

(وقال آخر) قالت وناولتها سواكا * ساد بفيها على الاراك
سواى ماذاق طعم ريقى * قلت لها ذاقه سواكى

(وقال آخر) سألتها ان تعيد لفظا * قالت محب دعوه يهذر
حديثها سكر شهى * وأحسن السكر المكرر

بنى سليم فحمل عليها عتبة بن الحباب فقتل منها عدة من رجالها وردها وانحرف راجعا وبه طعنة تفور دما حتى سقط الى الارض فلم يلبث عتبة أن قضى نحبه فقلنا ياعتباه فسمعت الجارية فألقت نفسها عليه وجعلت تقبله وتصيح بحرقة وتقول

تصبرت لا أنى صبرت وانما * أعلل نفسى انها بك لاحقه
ولو أنصفت نفسى لكانت الى الردى * أمامك من دون البرية سابقه
فما احد بعدى و بعدك منصف * خليلا ولا نفس لنفس مصادقه

ثم شهقت شهقة واحدة قضت فيها نحبها فاخترنا لهما مكانا وجدنا وواريناها فيه ورجعت الى ديار قومى وأقمت سبع سنين بعدها ثم عدت الى الحجاز ووردت الى زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم فقلت والله لاعودن إلى قبر عتبة فأزوره فأتيت إلى القبر فاذا عليه شجرة نابتة عليها أوراق حمر وصفر وخضر و بيض فقلت لارباب الجهة مايقال لهذه الشجرة فقالوا شجرة العروسين فأقمت عند القبر يوما وليلة وانصرفت (حكى) أن شخصا جاء الى الشيخ عز الدين عبد العزيز ابن عبد السلام الشافعى رحمه الله تعالى سلطان العلماء فقال رأيتك فى المنام تنشد

وكنت كذى رجلين رجل صحيحة * ورجل رمى فيها الزمان فشلت

قال

سنى وهو شيعى وطويل وهو قصير وشاعر واست بشاعر وأنا سلمى وهو خزاعى وشامى وهو حجازى فلم يبق الا السن فأعيش مثله فكان ذلك انتهى

(ومن ظرف ما يحكى) أن الجاحظ قال عبرت يوما على معلم كتاب فوجدته فى هيئة حسنة وقماش مليح فقام الى وأجلسنى معه ففاتحته فى القرآن فاذا هو ماهر ففاتحته فى شىء من النحو فوجدته ماهرا ثم أشعار العرب واللغة فاذا به كامل فى جميع ما يراد منه فقلت قد وجب على تقطيع دفتر المعلمين فكنت كل قليل أتفقده وأزوره قال فأتيت بعض الأيام الى زيارته فوجدت الكتاب مغلقا فسألت جيرانه فقالوا مات عنده ميت فقلت أروح أعزيه فجئت الى بابه فطرقته فخرجت الى جارية وقالت ما تريد قلت مولاك فقالت مولاى جالس وحده فى العزاء ما يعطى لأحد الطريق قلت قولى له صديقك فلان يطلب يعزيك فدخلت وخرجت وقالت بسم الله فعبرت إليه فاذا هو جالس وحده فقلت أعظم الله أجرك لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة وهذا سبيل لابد منه فعليك بالصبر

(ابن نباتة) وملولة فى الحب لما أن رأت * أثر السقام بجسمى المنهاض
قالت تغيرنا فقلت لها نعم * أنا بالسقام وأنت بالاعراض

﴿ وقال أبو الطيب المتنبى ﴾

بابى الشموس الجانحات غواربا * اللابسات من الحرير جلاببا * الناهبات عيوننا وقلوبنا وجناتهن الناهبات الناهبا * الناعمات القاتلات المحييا * ت المبديات من الدلال غرائبا حاولن تفديتى وخفن مراقبا * فوضعن أيديهن فوق ترائبا * وبسمن عن برد خشيت أذيبه من حر أنفاسى فكنت الذائبا * ياحبذا المتجملون وحبذا * واد لثمت به الغزالة كاعبا
كيف الرجاء من الخطوب تخلصا * من بعد أن أنشبن فى مخالبا

﴿ وله أيضا من جملة قصيدة ﴾

ولما التقينا والنوى ورقيبنا * غفولان عنا ظلت أبكى وتبسم
فلم أر بدرا ضاحكا قبل وجهها * ولم تر قبلى ميتا يتكلم

﴿ الشريف الرضى ﴾

وتميس بين مزعفر ومعصفر * ومعنبر وممسك ومصندل * هيفاء إن قال الشباب لها انهضى قالت روادفها اقعدى وتمهلى * واذ اسأت الوصل قال جمالها * جودى وقال دلالها لا تفعلى

﴿ ابن اسرائيل ﴾

وعدت بوصل والزمان مسوف * حوراء ناظرها حسام مرهف * نشوانة خصباء منهل ثغرها در وريقتها سلاف قرقف * وتخال بين البدر منها والنقا * غصنا يميس به النسيم مهفهف لا تحسبن الخلف شيمة مثلها * وعدت ولكن الزمان يسوف * يابانة قد أطلعت أغصانها ورداً جنيا باللواحظ يقطف * وغزالة يحكى الغزالة وجهها * و يعير ناظرها الحسام الاوطف ما تأمرين لمغرم تسطو به * اجفانك المرضى ولا تستعطف * قسما بوجهك وهو صبح مشرق وسواد شعرك وهو ليل مسدف * و بهز غصن البان منك على النقا * مالى إلى أحد سواك تشوق (ولنذكر) إن شاء الله تعالى فى هذا الباب نبذة من ملح النظم ورقائق الشعر من غير تبويب ولا ترتيب

﴿ للشيخ شمس الدين بن البديوى ﴾

ولما نأت سلمى وشط بها النوى * وأيقنت أنى بالغرام أذوب * علقت بأخرى غيرها متلاهيا ليطفى ضرام فى الحشا ولهيب * وكان هيامى والهوى وصبابتى * لمن هو فى الأولى الى حبيب

(وله فى المعنى) تلاهيت عنها فى الغرام بغيرها * وقلت لقلبى هذه هى زينب
وقبلت فاها مبرداً لصبابتى * فأضرمت نارا فى الحشا تتلهب
فكنت كمن هو غريقا بلجة * تمسك بالموج الذى يتقلب

(وقال أيضا) سألت القلب هل ميل لليلى * وهل عند الفؤاد لها التفات فقال الآن لا لكن تأنى * فقلت الحب فيه تقلبات * فان الحب يهجم بعد يأس و يعتاد المحب تغيرات * فلا تظهر لها يوما سلوا * فتفضحك التصابى الواردات
وترمى بالصدود و بالتجنى * وتنحلك الوعود الكاذبات
فكن جلدا ولا تك ذا لجاج * فما يغنيك ان فات الفوات

(وقال البيطار) يقولون هذى أم عمرو قريبة * دنت بك أرض نحوها وسماء
ألا إنما قرب الحبيب و بعده * إذا هو لم يوصل إليه سواء

(وقال)

(وقال غيره) وقالوا بع حبيبك وابغ عنه * حبيبا آخر تحيا سعيدا
اذا كان القديم هو المصافى * وخان فكيف آمن الجديدا
(وقال آخر) لم أنس إذ قلت من وجدى لها غلطا * ووجهها مشرق فى حندس الظلم
سلوت عنك فقالت وهى ضاحكة * لتقرعن على السن من ندم
(وقال آخر) أمن المروءة أن أبيت مسهدا * قلقا أبل ملابسى بدموعى
وتبيت ريان الجفون من الكرى * وأبيت منك بليلة الملسوع
(وقال آخر) الى الله أشكو جور أهيف شادن * وقعت فمالى من يديه خلاص
جرحت بعينى خده وهو جارح * بعينيه قلبى والجروح قصاص
(وقال آخر) قد كنت أسمع بالهوى فأكذب * وأرى المحب وما يقول فأعجب
حتى رميت بحلوه وبمره * من كان يتهم الهوى فيجرب
(وقال آخر) سألتها التقبيل من خدها * عشرا وما زاد يكون احتساب
فمذ تلاقينا وقبلتها * غلطت فى العد وضاع الحساب
(وقال آخر) يا من سقامى من سقام جفونه * وسواد حظى من سواد عيونه
قد كنت لا أرضى الوصال وفوقه * واليوم أقنع بالخيال ودونه
(وقال آخر) صبحته عند المساء فقال لى * تهزى بقدرى أو تريد مزاحا
فأجبته إشراق وجهك غرنى * حتى توهمت المساء صباحا

﴿ أبو عبد الله الغواص ﴾

من عذيرى من عذول فى رشا * قامر القلب هواه فقمر
قمر لم يبق منى حسنه * وهواه غير مقلوب قمر
(وقال آخر) جاذبتها والريح تجذب برقعاً * من فوق خد مثل قلب العقرب
وطفقت ألثم ثغرها فتحجبت * وتسترت عنى بقلب العقرب
(وقال آخر) لومت من كثرة الأشواق وابتدلت * مدامعى بدم من كثرة السهر
ما اخترت عنك سلواً لا ولا نظرت * عينى لغير محيا وجهك القمر

﴿ ابراهيم بن العباس ﴾

تمر الصبا صفحا بساكن ذى الغضى * ويصدع قلبى إذ يهب هبوبها
قريبة عهد بالحبيب وانما * هوى كل نفس أين حل حبيبها
(وقال النوفلى) اذا اختلجت عينى رأت من تحبه * فدام لعينى ماحييت اختلاجها
وما ذقت كأسا مذ علقت بحبها * فأشربه إلا ودمعى مزاجها

﴿ وقال آخر رحمه الله تعالى ﴾

ياذا الذى زار وما زارا * كأنه مقتبس نارا قام بباب الدار من تيهه * ماضره لو دخل الدارا
(وقال آخر) ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثى * وأبحت منى ظاهرى جليسى
فالكل منى للجليس مؤانس * وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيسى
(ابن نباتة) أناشده الرحمن فى جمع شملنا * فيقسم هذا لا يكون الى الحشر
اذا ماغدا مثل الحديد فؤاده * فوالعصر إن العاشقين لفى خسر

نفسى هذا أول المناحس وقلت له سبحان الله تجد غيرها وتقع عينك على أحسن منها فقال وكأنى بك وقد ظننت انى رأيتها فقلت فى نفسى هذه منحسة ثانية ثم قلت وكيف عشقت من لا رأيته فقال اعلم انى كنت جالسا واذا رجل عابر يغنى وهو يقول
يا أم عمرو جزاك الله مكرمة
ردى على فؤادى أينما كانا
فقلت فى نفسى لولا أن أم عمرو هذه ما فى الدنيا مثلها ما كان الشعراء يتغزلون فيها فلما كان بعد يومين عبر على ذلك الرجل وهو يغنى ويقول
اذا ذهب الحمار بأم عمرو
فلا رجعت ولا رجع الحمار
فعلمت أنها ماتت فحزنت عليها وقعدت فى العزاء منذ ثلاثة أيام فقال الجاحظ فعادت عزيمتى وقويت على كتابة الدفتر لحكاية أم عمرو (ومن غريب مايحكى) ماحكاه القاضى أبو على المحسن بن على التنوخى فى كتاب الفرج بعد الشدة أن منارة صاحب الخلفاء قال رفع الى هرون الرشيد أن رجلا بدمشق من بقايا بنى أمية عظيم المال كثير الجاه مطاع له فى البلدان جماعة وأولاد ومماليك وموال

﴿ أمين الدين بن أبي الوفاء ﴾

يا نازلا مني فؤاداً راحلا * ومن العجائب نازلا في راحل
أضرمت قلب متيم أهلكته * وسكنته والنار مثوى القاتل

(وقال آخر) يا عاذلي في هواه * اذا بدا كيف أسلو يمر بي كل وقت * وكلما مر يحلو

(الحاجري) ملأت فؤادي من محبة فاتن * أميل اليه وهو كالظبي رائع
وقلت لقلبي قم لتعشق شادنا * سواه فقال القلب ما أنا فارغ

(وقال ديك الجن) ولي كبد حرى ونفس كأنها * بكف عدو ما يريد سراحها
كأن على قلبي قطاة تذكرت * على ظما ورداً فهزت جناحها

﴿ وقال عبد الله بن طاهر ﴾

أقام ببلدة ورحلت عنه * كلانا بعد صاحبه غريب
أقل الناس في الدنيا سروراً * محب قد نأى عنه الحبيب

(وقال آخر) ما اخترت ترك وداعكم يوم النوى * والله لا مللا ولا لتجنب
لكن خشيت بأن موت صبابة * فيقال أنت قتلته فتقاد بي

﴿ وقال ابن المعتز ﴾

هب لعيني رقادها * وانف عنها سهادها * وارحم المقلة التي
كنت فيها سوادها * كن صلاحا لها كما * كنت دهراً فسادها

(وقال آخر) وقالوا دع مراقبة الثريا * ونم فالليل مسود الجناح
فقلت وهل أفاق القلب حتى * أفرق بين ليلي والصباح

(وقال آخر) ولي فؤاد إذا طال النزاع به * طار اشتياقاً إلى لقيا معذبه
يفديك بالنفس صب لو يكون له * أعز من نفسه شيء فداك به

(وقال آخر) وما هجرتك النفس يا مى انها * قلتك ولا أن قل منك نصيبها
ولكنهم يا أحسن الناس أولعوا * بقول اذا ما جئت هذا حبيبها

(وقال المحاربي) اذا أنت لم توقن بما صنع الهوى * بأهل الهوى فافقد حبيبا وجرب
ترى حرقات يلدغ القلب حرها * بأنضج من كي الغضى المتلهب

﴿ وقال الاقرع بن معاذ ﴾

أقول لمفت ذات يوم لقيته * بمكة والانضاء ملقى رحالها * بحقك أخبرني أما تأثم التي
أضر بجسمي منذ مر خيوالها * فقال بلى والله أوسيصيبها * من الله بلوى في الزمان تنالها
فقلت ولم أملك سوابق عبرة * سريع على جيب القميص انهمالها
عفا الله عنها كل ذنب ولقيت * مناها وان كانت قليلا نوالها

(وقال آخر) بالله ربكما عوجا على سكني * وعاتباه لعل العتب يعطفه
وعرضا بي وقولا في حديثكما * ما ضر لو بوصال منك تسعفه * فان تبسم قولا عن ملاطفة
ما بال عبدك بالهجران تتلفه * وان بدا لكما من سيدي غضب * فغالطاه وقولا ليس نعرفه

﴿ وقال عبد الله بن أبي الشيص ﴾

ومعرضة تظن الهجر فرضا * تخال لحاظها للضعف مرضى
كأني قد قتلت لها قتيلا * فما مني بغير الهجر ترضى

يركبون الخيول ويحملون السلاح ويغزون الروم وانه سمح جواد كثير البذل والضيافة وانه لا يؤمن من فتق بعد رتقه فعظم ذلك على الرشيد قال منارة وكان وقوف الرشيد على هذا وهو بالكوفة في بعض حججه في سنة ١٨٦ وقد عاد من الموسم وبايع للأمين والمأمون والمؤتمن أولاده فدعاني وهو خال وقال اني دعوتك لأمر يهمني وقد منعني النوم فانظر كيف تعمل ثم قص على خبر الأموي وقال اخرج الساعة فقد أعددت لك الجائزة والنفقة والآلة ويضم اليك مائة غلام واسلك البرية وهذا كتابي الى أمير دمشق وهذه قيود فادخل فابدأ بالرجل فان سمع وأطاع فقيده وجئني به وان عصى فتوكل به أنت ومن معك وأنفذ هذا الكتاب الى نائب الشام ليركب في جيشه ويقبضوا عليه وجئني به وقد أجلتك لذهابك ستا ولمجيئك ستا وهذا محمل تجعله في شقة اذا قيدته وتقعد أنت في الشق الآخر ولا تكل حفظه الى غيرك حتى تأتيني به في اليوم الثالث عشر من خروجك فاذا دخلت داره فتفقدها وجميع ما فيها وأهله وولده وحشمه وغلمانه وقدر النعمة والحال والمحل واحفظ ما يقوله الرجل حرفا بحرف من

﴿ وقال

﴿ وقال الحسين بن الضحاك ﴾

بعضى بنار الهجرمات حريقا * والبعض أضحى بالدموع غريقا

لم يشك عشقا عاشق فسمعته * الا ظننتك ذلك المعشوقا

(وقال آخر) وأجيل فكرى فى هوا * ك بلا لسان ناطق * أدعو عليك بحرقة * من غير قلب صادق

(وقال آخر) ياويح من خبل الأحبة قلبه * حتى اذا ظفروا به قتلوه

عزوا ومال به الهوى فاذله * ان العزيز على الذليل يتيه

أنظر الى جسد أضربه الهوى * لولا تقلب طرفه دفنوه

من كان خلوا من تباريح الهوى * فانا الهوى وحليفه وأخوه

(وقال أحمد بن طاهر) تقول العاذلات تسل عنها * وداو غليل صبرك بالسلو

فكيف ونظرة منها اختلاسا * ألذ من الشماتة بالعدو

﴿ وقال اسحق مولى المهلب ﴾

هبينى يامعذبتى أسأت * وبالهجران قبلكم بدأت

فاين الفضل منك فدتك نفسي * على اذا أسأت كما أسأت

(وقال أبو العتاهية) يقول أناس لو نعت لنا الهوى * ووالله ما أدرى لهم كيف أنعت

سقام على جسمى كثير موسع * ونوم على عينى قليل مفوت

اذا اشتد مابى كان أفضل حيلتى * له وضع كفى فوق خدى وأسكت

(وقال بشار) ياقرة العين انى لاأسميكى * أكنى باخرى أسميها وأعنيك

أخشى عليك من الجارات حاسدة * أوسهم عيران يرمينى ويرميك

لولا الرقيبان اذ ودعت غادية * قبلت فاك وقلت النفس تفديك

ياأطيب الناس ريقا غير مختبر * الاشهادة أطراف المساويك

قد زرتنا مرة فى الدهر واحدة * بالله لاتجعليها بيضة الديك

(وقال آخر) ألم تعلم ياأحسن الناس اننى * أحبك حبا مستكنا وباديا

أحبك مالو كان بين قبائل * من الناس أعداء لجر التصافيا

(وقال آخر) أقول لشادن فى الحسن أضحى * يصيد بطرفه قلب الكمى

ملكت الحسن أجمع فى نصاب * فأدز كاة منظرك البهى * وذاك بأن تجود لمستهام

برشف من مقبلك الشهى * فقال أبو حنيفة لى امام * يرى أن لازكاة على الصبي

(وقال آخر) سقى الله ربعا كنت أخلو بوجهكم * وثغر الهنا فى روضة الحسن ضاحك

أقمنا زمانا والعيون قريرة * وأصبحت يوما والجفون سوافك

(وقال آخر) ألم تعلمى ياعذبة الماء أننى * أظل اذا لم اسق ماءك صاديا

ومازلت بى يا بين حتى لو اننى * من الوجد أستبكى الحمام بكاليا

(أبو العباس الشهير بالنفيس)

ياراحلا وجميل الصبر يتبعه * هل من سبيل الى لقياك يتفق

ماأنصفتك جفونى وهى دامية * ولا وفى لك قلبى وهو يحترق

(الوزير ظهير الدين الملقب بابى شجاع)

لأعذبن العين غير مفكر * فيها بكت بالدمع أو فاضت دما * ولأهجرن من الرقاد لذيذه

ألقاه من حين وقوع طرفك عليه الى أن تأتينى به واياك ان يشذ عنك شيء من أمره انطلق قال منارة فودعته وخرجت وركبت الابل وسرت أطوى المنازل أسير الليل والنهار ولا أنزل الا للجمع بين الصلاتين والبول وتنفيس النفس قليلا الى أن وصلت دمشق فى أول الليلة السابعة وأبواب البلد مغلقة فكرهت الدخول ليلا فنمت بظاهر البلد الى أن فتح الباب فدخلت على هيئتى حتى أتيت دار الرجل وعليها صف عظيم وحاشية كثيرة فلم أستأذن ودخلت بغير اذن فلما رأى القوم ذلك سألوا بعض غلمانى فقالوا هذا منارة رسول أمير المؤمنين الى صاحبكم فلما صرت فى صحن الدار أنزلت ودخلت مجلسا رأيت فيه قوما جلوسا فظننت أن الرجل فيهم فقاموا ورحبوا بى فقلت أفيكم فلان قالوا الانحن أولاده وهو فى الحمام فقلت استعجلوه فمضى بعضهم يستعجله وأنا أتفقد الدار والاحوال والحاشية فوجدتها قدماجت بأهلها موجا شديدا فلم أزل كذلك حتى خرج الرجل بعد أن طال واستربت به واشتد قلقى وخوفى من أن يتوارى الى ان رأيت شيخا بزى الحمام يمشى فى الصحن وحواليه جماعة كهول واحداث وصبيان وهم أولاده وغلمانه فعلمت انه الرجل فجاء حتى جلس فسلم على سلاما خفيا

حتى يعود على الجفون محرما * هي أوقعتني في حبائل فتنة * لولم تكن نظرت لكنت مسلما
سفكت دمي فلأسفحن دموعها * وهي التي بدأت فكانت أظلما
(وقال العتبي) أضحت بخدي للدموع رسوم * أسفا عليك وفي الفؤاد كلوم
والصبر يحمد في المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم
(الرقاء الاندلسي) ومهفهف كالغصن الا انه * تتحير الالباب عند لقائه
أضحى ينام وقد تكلل خده * عرقا فقلت الورد رش بمائه
(وقال آخر) أخضر وأصفر لاعتلال * فصار كالنرجس المضعف * كأن نسرين وجنتيه
بشعر أصداغه مغلف * يرشح منه الجبين ماء * كأنه لؤلؤ منصف
(وقال آخر) مازال ينهل من صرف الطلا قمري * حتى غدت وجنتاه البيض كالشفق
وقام يخطر والارداف تقعده * طوراوحاول أن يسعى فلم يطق * فمائل فعلت فعل الشمول به
فعل النسيم بغصن البانة الورق * جاذبته لعناقي فانثنى خجلا * وكللت وجنتاه الحمر بالعرق
وقال لي بفتور من لواحظه * ان العناق حرام قلت في عنقي
(وقال آخر) بأركان هذا البيت اني لطائف * وفي الكون أسرار وفيه لطائف
رعى الله أياما وناسا عهدتهم * جيادا ولكن الليالي صيارف * وبي ذهبي اللون صيغ لمحتني
يريد امتحانا بي وما أنا زائف * يذيب فؤادا وهو لاغش عنده * فياذهبي اللون انك حائف
(وقال آخر) أسنى ليالي الدهر عندي ليلة * لم أخل فيها الكاس من أعمالي
فرقت فيها بين جفني والكرى * وجمعت بين القرط والخلخال
(ومما قيل في الرقباء) لو أن لي في الحب أمرا نافذا * وملكت بسط الأمر في التعذيب
لقطعت ألسنة العواذل كلها * ولكنت أقلع عين كل رقيب
(وقال اعرابي) بسهم الحب كلم في فؤادي * ولا كالكلم من عين الرقيب
تمكن ناظراه به وأضحى * مكان الكاتبين من الذنوب * ومن حذر الرقيب اذا التقينا
نسلم كالغريب على الغريب * ولولاه تشاكينا جميعا * كما يشكو المحب الى الحبيب
(وقال آخر) من عاش في الدنيا بغير حبيب * فحياته فيها حياة غريب
عين الرقيب غرقت في البحر العمى * لا أنت لا لي عين كل رقيب
(وقال أحمد بن أبي سلمة) يعذلني فيه جميع الورى * كأنني جئت بأمر عجيب
ظن نفسي لو تعشقتها * بليت فيها بملام الرقيب
وأنا الغريب فلا ألام على البكا * ان البكا حسن بكل غريب
(وقال آخر) وما فارقت سعدى عن قلاها * ولكن شقوة بلغت مداها
بكيت نعم بكيت وكل الف * إذا بانت حبيبته بكاها
(وقال آخر) وقائلة ما بال دمعك أبيض * فقلت لها ياعلو هذا الذي بقي
ألم تعلمي أن البكا طال عمره * فشابت دموعي عند ماشاب مفرق
وعما قليل لادموع ولا دما * ولم يبق إلا لوعتي وتحرقي
(وقال آخر) ولم أر مثلي غار من طول ليله * عليه لأن الليل يعشقه معي
وما زلت أبكي في دجى الليل صبوة * من الوجد حتى ابيض من فيض أدمعي
(وقال آخر) رجوت طيف خيال * وكيف لي بهجوع

وسألني عن أمير المؤمنين واستقامة أمر حضرته فأخبرته كما وجب وما قضى كلامه حتى جاؤا بأطباق فاكهة فقال تقدم يامنارة وكل معنا فقلت مالي الى ذلك من حاجة فلم يعاودني وأقبل يأكل هو ومن عنده ثم غسل يديه ودعا بالطعام فجاؤا بمائدة عظيمة لم أر مثلها الا للخليفة فقال تقدم يامنارة فساعدنا على الأكل لايزيدني على أن يدعوني باسمي كما يدعوني الخليفة فامتنعت عليه فما عاودني وأكل هو ومن عنده وكانوا تسعة من أولاده فتأملت أكله في نفسه فوجدته أكل الملوك ووجدت جأشه رابطا وذلك الاضطراب الذي في داره قد سكن ووجدتهم لايرفعون من بين يديه شيئا قد وضع على المائدة الا نهبا وقد كان غلمانه أخذوا المال لما نزلت الدار جمالي وجميع غلماني بالمنع من الدخول فما أطاقوا ممانعتهم وبقيت وحدي ليس بين يدي الا خمسة أو ستة غلمان وقوف على رأسي فقلت في نفسي هذا جبار عنيد وان امتنع على من الشخوص لم أطق أشخاصه بنفسي ولا بمن معي ولا أطيق حفظه الى أن يلحقني أمير البلد فجزعت جزعا شديدا ورابني منه استخفافه بي في الاكل ولايسألني عما جئت به ويأكل مطمئنا وأنا مفكر في ذلك فلما فرغ من أكله وغسل يديه دعا ببخور فتبخر وقام

والذاريات جفوني * والمرسلات دموعي

(وقال آخر) يا نازح الطيف من نومي يعاودني * فقد بكيت لفرط النازحين دما
أوجبت غسلا على عيني بأدمعها * فكيف وهي التي لم تبلغ الحلما

(وقال آخر) ارحم رحمت للوعتي * وابعث خيالك في الكرى
ودموع عيني لا تسل * عن حالها ياما جرى

(وقال آخر) أملت أن تتعطفوا بوصالكم * فرأيت من هجرانكم مالا أرى
وعلمت أن فراقكم لا بد أن * يجري به دمعي دما وكذا جرى

(وقال آخر) ان عيني مذ غاب شخصك عنها * يأمر السهد في كراها وينهى
بدموع كأنهن الغوادي * لا تسل ما جرى على الخد منها

(وقال آخر) يقولون لي والدمع قرح مقلتي * بنار أسى من حبة القلب تقدح
أدمعك جمر قلت لا تتعجبوا * فكل وعاء بالذي فيه ينضح

(وقال البدر الذهبي) قالوا تباكى بالدموع وما بكى * بدم على عيش تصرم وانقضى
فأجبتهم هو من دمي لكنه * لما تصاعد صار يقطر أبيضا

﴿قال ابن مطروح في الغيرة﴾

ولو أمسى على تلفي مصرا * لقلت معذبي بالله زدني
ولا تسمح بوصلك لي فاني * أغار عليك منك فكيف مني

(وقال آخر) أغار عليك من نظري ومني * ومنك ومن مكانك والزمان
ولو أني خبأتك في جفوني * إلى يوم القيامة ما كفاني

﴿المظفر بن عمر الآمدي﴾

قلت للذين جفوني اذ لهجت بهم * دون الانام وخير القول أصدقه
أحبكم وهلاكي في محبتكم * كعابد النار يهواها وتحرقه

(وقال غيره) لم أنس أيام الصبا والهوى * لله أيام النجا والنجاح
ذاك زمان مر حلو الجنى * ظفرت فيه بحبيب وراح

(الشريف الرضي) عللاني بذكركم واسقياني * وامزجالي دمعي بكأس دهاق
وخذا النوم من جفوني فاني * قد خلعت الكرى على العشاق

(وقال آخر) قالوا أترقد مذ غبنا فقلت لهم * نعم وأشفق من دمعي على بصري
ما حق طرف هداني نحو حسنكم * أني أعذبه بالدمع والسهر

(عز الدين الموصلي) فسدت لطول بعادكم أحلامنا * وعقولنا وجفا الجفون منام
والطيف قد وعد الجفون بزورة * ياحبذا ان صحت الاحلام

(ومما قيل في السهر وطول الليل ونحو ذلك) قال الشاعر

ورب ليل سهرناه وقد طلعت   بقية البدر في أولى تساوره
كانما أدهم الظلماء حين نجا   من أشهب الصبح ألقى نعل حافره

(وقال آخر) ليل المحبين مطوي جوانبه * مشمر الذيل منسوب الى القصر

إلى الصلاة فصلى الظهر وأكثر من الدعاء والابتهال فرأيت صلاته حسنة فلما انتقل من المحراب أقبل علي وقال ما أقدمك يامنارة فقلت أمر لك من أمير المؤمنين وأخرجت الكتاب ودفعته اليه فقرأه فلما استتم قراءته دعا أولاده وحاشيته فاجتمع منهم خلق كثير فلم أشك أنه يريد أن يوقع بي فلما تكاملوا ابتدأ فحلف أيمانا غليظة فيها الطلاق والعتاق والحج وأمرهم أن ينصرفوا ويدخلوا منازلهم ولا يجتمع منهم اثنان في مكان واحد ولا يظهروا إلى أن يظهر لهم أمر يعملون عليه وقال هذا كتاب أمير المؤمنين يأمرني بالتوجه اليه ولست أقيم بعد نظري فيه لحظة واحدة فاستوصوا بمن ورائي من الحرم خيرا وما بي حاجة من أن يصحبني غلام هات قيودك يامنارة فدعوت بها وكانت في سفط فأحضر حدادا فمد ساقيه فقيدته وأمرت غلماني بحمله في المحمل وركبت في الشق الآخر وسرت من وقتي ولم ألق أمير البلد ولا غيره فسرت بالرجل ليس معه أحد إلى أن صرنا بظاهر دمشق فابتدأ يحدثني بانبساط حتى انتهينا إلى بستان حسن في الغوطة فقال لي ترى هذا قلت نعم قال انه لي وقال ان فيه من غرائب الاشجار كيت وكيت ثم انتهى الى آخر فقال مثل ذلك ثم انتهى إلى مزارع حسان وقرى سنية وقال هذه لي فاشتد غيظي منه فقلت له اعلم أني شديد التعجب منك قال ولم تعجب قلت أليس تعلم أن أمير المؤمنين قد أهمه أمرك حتى أرسل اليك من انتزعك من

بين أهلك ومالك وولدك وأخرجك عن جميع مالك فريدا وحيدا مقيدا ماتدري إلى مايصير اليه أمرك ولا كيف يكون
وأنت فارغ القلب من هذا تصف ضياعك ويساتينك هذا وقد رأيتك وقد جئت وأنت لا تعلم فيم جئت

ماذاك الا لأن الصبح نم بنا * فاطلع الشمس من غيظ على القمر
(وقال غيره) فلم أر مثل ليل ذوي التصابي * وكل يشتكيه بكل حال
فيشكو طوله أهل التجافي * ويشكو قصره أهل الوصال
(وقال آخر) ليلي وليلى سواء في اختلافهما * قد صيراني جميعا في الهوى مثلا
يجود بالطول ليلي كلما بخلت * بالطول ليلى وان جادت به بخلا
(وقال آخر) ان الليالي للأنام مناهل * تطوى وتنشر بينها الأعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة * وطوالهن مع السرور قصار
(وقال غيره) رب ليل لم أذق فيه الكرا * حظ عيني فيه دمع وسهر
كلما هيج ليلي حرقي * صحت ياليل أما فيك سحر
(وقال آخر) ياليل طل أولا تطل * لابد لي من سهرك * لو بات عندي قمري * مابت أرعى قمرك
(وقال بشار بن برد)
خليلي مابال الدجى لا يزحزح * ومابال ضوء الصبح لا يتوضح
أضل اليها المستنير طريقه * أم الدهر ليل كله ليس يبرح
وقال آخر) كأن الثريا راحة تشبر الدجى * ليعلم طال الليل أم قد تعرضا
فليلي تراه بين شرق ومغرب * يقاس بشبر كيف يرجى له انقضا
(وقال ابن منقذ) لما رأيت النجم ساه طرفه * والقطب قد ألقى عليه سباتا
وبنات نعش في الحداد سوافر * أيقنت أن صباحهم قد ماتا
(وقال آخر في ليلة ممطرة)
أقول والليل في امتداد * وأدمع الغيث في انسفاح
أظن ليلي بغير شك * قد بات يبكي على الصباح
(ومما جاء في الاشعار الخمرية قول صفي الدين الحلي)
بدت لنا الراح في تاج من الحبب * فخرقت حلة الظلماء باللهب
بكر اذا زوجت بالماء أولدها * أطفال در على مهد من الذهب
بقية من بقايا قوم نوح اذا * لاحت جلت ظلم الاحزان والكرب
بعيدة العهد بالمعصار لو نطقت * لحدثتنا بما في سالف الحقب * باكرتها برفاق قد ذهت بهم
قبل السلاف سلاف العلم والادب * بكل متشح بالفضل مؤتزر * كان في لفظه ضربا من الضرب
بل رب ليل غدا في الاهاب غدت * تنقض فيه كؤس الراح كالشهب
بذلت عقلي صداقا حين بت به * أزوج ابن سحاب بابنة العنب
بتنا بكاساتها صرعى ومطربنا * يعيد أرواحنا من شدة الطرب
بعث ألم فلم نعلم لفرحتنا * من نفخة الصور أم من نفخة القصب
بروضة طل فيها الطل أدمعه * والزهر مبتسم عن ثغره الشنب
(وقال أيضا) تاب الزمان من الذنوب فوات * واغنم لذيذ العيش قبل فوات
تم السرور وفقم بنا ياصاحبي * نستدرك الماضي بنهب الآتي * توج بكاسات الطلا هام الربا

وأنت ساكن القلب قليل الفكر لقد كنت عندي شيخا فاضلا فقال لي مجيبا إنا لله وإنا اليه راجعون أخطأت فراستي فيك ظننتك رجلا كامل العقل وانك ماحللت من الخلفاء هذا المحل إلا بعد أن عرفوك بذلك فانا والله رأيت عقلك وكلامك يشبه كلام العوام وعقلهم والله المستعان أما قولك في أمير المؤمنين وازعاجه واخراجه اياي الى بابه على صورتي هذه فاني على ثقة من الله عز وجل الذي بيده ناصيتي ولا يملك أمير المؤمنين لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضرا إلا باذن الله ومشيئته ولا ذنب لي عند أمير المؤمنين أخافه وبعد فاذا عرف أمري وعلم سلامتي وصلاحي وبعد ناحيتي وان الحسدة والاعداء رموني عنده بما ليس في وتقولوا علي الاباطيل الكاذبة لم يستحل دمي وتحلل من أذاي وازعاجي وردني مكرما وأقامني ببابه معظما وان كان سبق في علم الله عز وجل أنه يبدر إلي منه بادرة سوء وقد حضر أجلي وكان سفك دمي على يده فلو اجتمعت الانس والجن والملائكة وأهل الارض وأهل السماء على في
صرف ذلك عني ما استطاعوه فلم أتعجل الغم وأتسلف الفكر فيما قد فرغ الله منه واني حسن الظن بالله عز وجل الذي

خلق ورزق وأحيا وأمات وأحسن وأجمل وان الصبر والرضا والتفويض والتسليم إلى من يملك الدنيا والآخرة أولى وقد كنت أحسب أنك تعرف هذا فاذ قد عرفت مبلغ فهمك فاني لأكلمك بكلمة واحدة حتى تفرق حضرة أمير المؤمنين بيننا إن شاء الله تعالى قال ثم أعرض عني فما سمعت منه لفظة غير القرآن والتسبيح أو حاجة أو ما يجرى مجراها حتى شارفنا الكوفة في اليوم الثالث عشر بعد الظهر والنجب قد استقبلتني على فراسخ من الكوفة يتجسسون خبري فحين رأوني رجعوا عني بالخبر الى أمير المؤمنين فانتهينا الى الباب في آخر النهار فحططت ودخلت على الرشيد فقبلت الارض بين يديه ووقفت فقال هات ما عندك يامنارة واياك أن تغفل منه لفظة واحدة فسقت الحديث من أوله إلى آخره حتى انتهيت إلى ذكر الفاكهة والطعام والغسل والبخور والصلاة وما حدثت به نفسي من امتناعه والغضب يظهر في وجه الرشيد ويتزايد حتى انتهيت الى فراغ الاموى من الصلاة والتفاته ومسئلته عن سبب قدومي ودفعي الكتاب اليه ومبادرته الى احضار ولده وأهله وحلفه عليهم أن لا يتبعه أحد منهم وصرفه اياهم ومد رجليه حتى قيدته فما زال وجه الرشيد يسفر حتى انتهيت الى ماخاطبني به عند توبيخه إياي لما ركبنا المحمل قال صدق والله ماهذا الا رجل محسود على النعمة مكذوب عليه ولعمري لقد أزعجناه وآذيناه وروعنا أهله فبادر بنزع قيوده عنه وائتني به قال فخرجت

في روضة مطلولة الزهرات * تغدو سلاف القطر دائرة بها * والكاس دائرة بكف سقاة
تلف النضار على العقار غنيمتي * وفراغ راحاتي على الراحات * تركي لاكياس النضار جهالة
من ذا أحق بها من الكاسات * تبت يدا من تاب عن رشف الطلا * والكاس متقد كخد فتاة
تابع الى أوقاتها داعي الصبا * واعجب لما فيها من الآيات
تم بها نقص السرور فانها * عند الكرام تتمة اللذات

(وقال أيضا) حي الرفاق وطف بكاس الراح * واطرز بكاسك حلة الافراح
حث الكؤس على جسوم أصبحت * فيها المدام شريكة الارواح
حاش الانام وعاطني مشمولة * ظنت فسادي وهي عين صلاحي
حمراء لو ترك السقاة مزاجها * أغنى تلألؤها عن المصباح
حبب تظل به الكؤس كأنها * خصر الفتاة ممنطق بوشاح * حجب الحباب شعاعها فكأنه
شفق تلهب تحت ذيل صباح * حكم الزمان وغض عنا طرفه * ياصاح لا تقنع بأنك صاح

(وقال آخر) قد قلت اذ أضحى يعبس كلما * دارت عليه بالمدام الاكؤس
تالله ما أنصفتها ياسيدي * تأتيك باسمة وأنت تعبس

(عز الدين الموصلي)

ائن شبه الساقي المدام بعسجد * فقد مال بالتشبيه عن صيغة الادب
ولكن رآها جوهرا سميت طلا * فميز ماقد حلت الكاس بالذهب

(يزيد بن معاوية)

وشمسة كرم برجها قعر دنها * وطلعتها الساقي ومغربها فمي
مدام كتبر في اناء كفضة * وساق كبدر مع ندامى كانجم

(وقال آخر) كأن الندامى والسقاة ودننا * وكاساتنا في الروض تملي وتشرب
شموس وأقمار وفلك وأنجم * ونور ونوار وشرق ومغرب

(وقال آخر) فكأنها وكأن حامل كأسها * اذ قام يجلوها على الندماء
شمس الضحى رقصت فنقط وجهها * بدر الدجى بكواكب الجوزاء

(وقال كشاجم)

صدح الديك في الدجى فاسقنيها * خمرة تترك الحليم سفيها
لست أدري من رقة وصفاء * هي في الكاس أم هو الكاس فيها

(كمال الدين بن النبيه)

قم ياغلام ودع مقالة من نصح * فالديك قد صدع الدجى لما صدح * خفيت تباشير الصباح فأسقني
ماضل في الظلماء من قدح القدح * صهباء ما لمعت بكف مديرها * لقطب الا تهلل وانشرح
تالله ما مزج المدام بمائها * لكنه مزج المسرة بالفرح * هي صفوة الكرم الكريم فما سرت
سراؤها في باخل الا سمح * من كف فتان اللحاظ بوجهه * عذر لمن خلع العذار أو افتضح
وقال غيره) وليلة أوسعتني * حسنا ولهوا وأنسا ما زلت ألثم بدرا * بها وأشهد شمسا

(عبدالله بن محمد العطار وقيل يزيد بن معاوية)

وكاس يريناآية الصبح فى الدجى * فأولها شمس وآخرها بدر
مقطبة مالم يزرها مزاجها * فان جاءها جاء التبسم والبشر
فياعجبا للدهر لم يخل مهجة * من العشق حتى الماء يعشقه الخمر

(وقال ابن تميم)

وليلة بت أسقى من غياهبها * راحا تسل شبابى من يد الهرم
مازلت أشربها حتى نظرت الى * غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

(ابن مكانس) نزل الطل بكرة * وتوالى تجددا * والندامى تجمعوا * فاجل كاسى على الندى

(الشيخ شهاب الدين الحجازى)

كأسنا ياصاح صرفا * جليت بين الندامى لم نجد ماء لمزج * فقنعنا بالندامى

(صفى الدين الحلى) كيف لاتخضع العقول لديها * وهى سلطان سائر المسكرات
الفوا فى الكؤس اذ مزجوها * بين ماء الحيا وماء المهات

(غيره) صبها فى الكاس صرفا * غلبت ضوء السراج ظنها فى الكاس نارا * فطفاها بالمزاج

(مجد الدين بن تميم)

نديمى لا تسقنى * سوى الصرف فهو الهنى ودع كاسها أطلسا * ولا تسقنى مع دنى

(تقى الدين بن حجة)

حيابها عاصرها فى كاسها * مشرقة باسمة كالثغر
وقال هذى تحفة فى عصرنا * قلت اسقنيها يا إمام العصر

(أبو الطيب المتنبى)

ياصاحبى امزجا كأس المدام لنا * كيما يضىء لنا من أفقها الغسق
خمرا اذا ما نديمى هم يشربها * أخشى عليه من اللألاء يحترق
لوراح يحلف ان الشمس ماغربت * فى فيه كذبه فى وجهه الشفق

(وقال آخر) بنت كرم يتموها أمها * وأهانوها بدوس بالقدم
ثم داروا حكموها فيهم * ويلهم من جور مظلوم حكم

(وقال آخر) عناقيد على قضب تدلت * حكى منظومها عقد اللآلى
اذا عصرت بدا فى الكاس منها * دوالى قد تربت فى دوالى

(برهان الدين بن المعمار) باكر لكرم العنب المجتنى * واستجنه من عند عنابه
واعصره واستخرج لنا ماءه * لكى تزيل الهم عنابه

(جولان العاذلى) اذا ما الخمر فى الكاسات صبت * رأيت لها شموسا فى بروج
وان جليت على الندمان يوما * تراحمت الهموم على الخروج

(وقال فى الشراب المطبوخ)

يامن يعذب ماء الكرم يحرقه * بالنار فى أى شىء تظلم العنبا
ان التى طبختها الشمس أنفع لى * ولست أخسر لاقدرا ولاحطبا

(وقال

فنزعت قيوده وأدخلته إلى الرشيد فما هو الا أن رآه حتى رأيت ماء الحياء يجول فى وجه الرشيد فسأله عن حاله ثم قال بلغنا عنك فضل هيئة وأمور

أحببنا معها أن نراك ونسمع كلامك ونحسن اليك فاذكر حاجتك فأجاب الاموى جوابا جميلا وشكر ودعا فقال مالى الا حاجة واحدة قال مقضية ماهى قال ياأمير المؤمنين تردنى الى بلدى وأهلى وولدى قال نحن نفعل ذلك ان شاء الله تعالى ولكن سل ما تحتاج اليه فى مصالح جاهك ومعاشك فان مثلك لايخلو أن يحتاج الى شىء من هذا فقال عمال أمير المؤمنين منصفون وقد استغنيت بعدله عن مسئلته فامورى منتظمة وأحوالى مستقيمة وكذلك أمور أهل بلدى بالعدل الشامل فى ظل أمير المؤمنين فقال الرشيد انصرف محفوظا الى بلدك واكتب الينا بأمر ان عرض لك فودعه فلما ولى خارجا قال الرشيد يامنارة احمله من وقتك وسر به راجعا الى أهله كما جئت به حتى اذا أوصلته الى محله الذى أخذته منه فدعه فيه وانصرف ففعلت والله أعلم (وحكى) فى الكتاب المذكور قال حدثنى أبو الربيع سليمان بن داود قال كان فى جوار القاضى قديما رجل انتشرت عنه حكاية وظهر فى يده مال جليل بعد فقر طويل وكنت أسمع أن أبا عمر حماه من السلطان فسألته عن الحكاية فأطرق طويلا ثم حدثنى قال ورثت مالا جزيلا فاسرعت فى اتلافه وأتلفته حتى أفضيت الى

بيع أبواب داري وسقوفها ولم يبق لي حيلة و بقيت مدة لاقوت لي الا من بيع والدتي لما تغزله وتطعمني وتأكل منه تمنيت الموت فرأيت ليلة في منامي كأن قائلا يقول لي غناك بمصر

فاخرج اليها فبكرت إلى دار أبي عمر القاضي وتوسلت اليه بالجوار وبالخدمة وكان أبي قد خدمه أياما وسألته أن يزودني كتابا الى مصر لاتصرف فيها ففعل وخرجت فلما حصلت بمصر أوصلت الكتب وسألت التصرف فسدالله على باب الرزق حتى لم أظفر بتصرف ولا لاح لي شغل ونفدت نفقتي فبقيت متفكرا في أن أسأل الناس فلم أستبح المسئلة ولم يحملني الجوع عليها وأنا ممتنع الى أن مضى من الليل صدر صالح فلقيني الطائف فقبض علي ووجدني غريبا فانكر حالي فسألني فقلت رجل ضعيف فلم يصدقني وبطحني وضربني مقارع فصحت وقلت أنا أصدقك فقال هات فقصصت عليه قصتي من أولها الى آخرها وحديث المنام فقال مارأيت أحمق منك والله لقد رأيت منذ كذا وكذا سنة في النوم كأن رجلا يقول لي ببغداد في الشارع الفلاني في المحلة الفلانية قال فذكر شارعي ومحلتي وأصغيت فتم الشرطي الحديث فقال دار يقال

(وقال أيضا) وعتيقة رقت وراق مزاجها * لطفا وأنحلها الزمان الغابر
لم يبق منها غير نور ساطع * لايستطيع يجول فيه الناظر
ترنو اليك من الحباب بأعين * خلقت ولم تخلق لهن محاجر
(وقال غيره) لاتعصرن زبيبا واعتصر عنبا * فبين هذين فرقنا بتصريح
هذا من الحي للاحياء معتصر * وذاك يعصر من جسم بلاروح
(وقال غيره) عابوا على مداما * أخرتها لصبوحي * واستنكروها وقالوا * تحالت قلت روحي

(وقال آخر في الشراب على الرعد والبرق)

أماترى الرعد بكى فاشتكى * والبرق قد أومض فاستضحكا * فاشرب على غيم كصبغ الدجى
أضحك وجه الروض لما بكى * وانظر لماء النيل في مده * كأنه صندل أو مصطكا
(وقال آخر) ياليلة جمعت لنا الاحبابا * لوشئت دام لنا النعيم وطابا
بتنا بها نسقى سلافا قرقفا * يذر الصحيح بعقله مرتابا
من كف غانية كأن بنانها * من فضة قد قمت عنابا
(وقال آخر) أماترى الغيث كالباكي بادمعه * والأرض تضحك والازهار في فرح
فقم فديتك نشكو مانكابده * من الزمان وما نلقى الى القدح
(ابن نباتة) أماترى الليل قد ولت غياهبه * وعارض الفجر بالاشراق قد طلعا
فاشرب على وردة وردية قدمت * كأنها خد ريم ريم فامتنعا
(ومن شعر عضد الدولة) طربت الى الصبوح مع الصباح * وشرب الراح والغرر الملاح
وكان الثلج كالكافور نثرا * وناري بين نارنجي وراحي * فشموعي ومشروبي وناري
وثلجي والصباح مع الصباح * لهيب في لهيب في لهيب * صباح في صباح في صباح
(ابن وكيع) وصفراء من ماء الكروم كأنها * فراق عدو أولقاء صديق
كأن الحباب المستدير بطوقها * كواكب در في سماء عقيق
صببت عليها الماء حتى تعوضت * قميص بهار من قميص شقيق
(وقال آخر) وحمراء قبل المزج صفراء بعده * أتت بين ثوبي نرجس وشقائق
حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا * عليها مزاجا فاكتست لون عاشق
(وقال آخر) اذا الكروان صاح على الرمال * وحل البدر في برج الكمال
وجعد وجه بركتنا هبوب * تمر به الجنوب مع الشمال * وحركت الغصون فشابهتها
قدود سقاتنا في كل حال * فهات الكأس مترعة ودعني * أبادر لذتي قبل ارتحالي
فكل جماعة لاشك يوما * يفرق بينهم صرف الليالي

(وقال آخر في الشراب على الغيم)

أرى غيما تؤلفه جنوب * ويوشك أن يوافقنا بهطل
فوجه الرأي أن تدعو برطل * فتشربه وتدعو لي برطل
(وقال آخر) فيا بكر باكر بكرة بكر كرمة * تغز ببكور باكرتك بها بكر
وداو خمار الخمر بالخمر انما * دواء خمار الخمر من دائها الخمر

لها دار فلان فذكر داري واسمي وفيها بستان وفيه سدرة تحتها مدفون ثلاثون ألف دينار فامض وخذها فما فكرت في هذا الحديث ولا التفت اليه وأنت ياأحمق فارقت وطنك وجئت الى مصر بسبب منام قال فقوي قلبي وأطلقني الطائف

فبت في مسجد وخرجت من الغد من مصر وقدمت بغداد فقلعت السدرة وأثرت مكانها فوجدت جرابا فيه ثلاثون ألف درهم فأخذتها وأمسكت يدي وتدبرت أمري وأنا أعيش من تلك الدنانير ومن فضل ما ابتعته منها من ضياع وعقار الى الآن

(وحكى القاضي أبو علي المحسن بن علي التنوخي في كتابه في أخبار المذاكرة ونشوان المحاضرة) قال حدثني أبو محمد يحيى بن محمد بن فهمة قال حدثني بعض الكتاب قال سافرت أنا وجماعة من أصدقائي تريد مصر للتصرف فلما حصلنا بدمشق وكان معنا عدة بغال عليها ثقل غلمان لنا ونحن على دوابنا أقبلنا نخترق الطرق لا لا ندري أين ننزل فاجتزنا برجل شاب حسن الوجه جالس على باب دار شاهقة وبناء فسيح وغلمان بين يديه فقام الينا وقال أظنكم سفرا وردتم الآن فقلنا نحن كذلك قال فتنزلون علينا وألح علينا فاستحيينا من محله وحسن ظاهره وهيئته فحططنا على بابه ودخلنا وأقبل أولئك الغلمان يحملون ثقلنا ويدخلونه الدار ولا يدخلون أحدا من غلماننا يخدمنا حتى حملوه بأسره في أسرع وقت وجاؤا بالطسوت والأباريق فغسلنا وجوهنا وأجلسونا في مجلس حسن مفروش بأنواع الفرش التي لم تر مثلها واذا الدار في نهاية الحسن والفخر والكبر وفيها دور وبستان عظيم وصاحب الدار يخدمنا بنفسه قلت وعرض علينا الحمام فقلنا نحن اليه محتاجون فأدخلنا الى الحمام في الدار في غاية السرور ودخل الينا غلامان أمردان وصبيان في نهاية

(وقال الصنوبري) لا تبكين على الاطلال والدمن * ولا على منزل أقوى من السكن
وقم بنا نصطبح صهباء صافية * تنفي الهموم ولا تبقي على الحزن * بكرا معتقة عذراء واضحة
تبدو فتخبرنا عن سالف الزمن * حمرا مروقة صفراء فاقعة * كأنما مزجت من طرفك الوسني
يسعى بها غنج في خده ضرج * في ثغره فالج ينمي الى اليمن * في ريقه عسل قلبي به خبل
في مشيه ميل أربى على الغصن * كأنه قمر ما مثله بشر * في طرفه حور يرنو فيجرحني
سبحان خالقه ياويح عاشقه * يهدي لرامقه صنفا من الشجن * في روضة زهرت بالنبت قد حسنت
كأنها فرشت من وجهها الحسن * ياطيب مجلسنا والطير يطربنا والعود يسعد ناعم منشد السن

﴿ كمال الدين بن النبيه ﴾

طاب الصبوح لنا فهاكوهات * واشرب هنيئا يا أخا اللذات * كم ذا التواني والزمان مساعد
والدهر سمح والحبيب مواتي * قم واغتبق من شمس كاسك واصطبح بكواكب طلعت من الكاسات
حمراء صافية توقد نورها * فعجبت للنيران في الجنات * ينسل في قار الظروف حبابها
والدر مجتلب من الظلمات * عذراء واقعها المزاج أما ترى * منديل عذرتها بكف سقاة
يسعى بها عبل الروادف أهيف * خنث الشمائل شاطر الحركات * يهوى فتسبقه ذوائب شعره
ملتفة كأساود الحيات * لو قسمت أرزاقنا بيمينه * عدل الزمان على ذوي الحاجات
(وقال أيضا) * باكر صبوحك أهنى العيش باكره * فقد ترنم فوق الأيك طائره
والليل تجري الدراري في مجرته * كالروض تطفو على نهر أزاهره * وكوكب الصبح نجاب على يده
مخلق تملأ الدنيا بشائره * فانهض الى ذوب ياقوت لها حبب * تنوب عن ثغر من تهوى جواهره
حمراء من وجنة الساقي لها شبه * فهل جناها من العنقود عاصره * ساق تكون من صبح ومن غسق
فابيض خداه واسودت غدائره * بيض سوالفه لعس مراشفه * نعس نواظره خرس أساوره
مفلج الثغر معسول اللمى غنج * مؤنث الجفن فحل اللحظ شاطره * مهفهف القد يبدي جسمه ترفا
مخصر الخصر عبل الردف وافره * تعلمت بانة الوادي شمائله * وزورت سحر عينيه جآزره
كأنه بسواد اللحظ مكتحل * وركبت فوق صدغيه محاجره * فلو رأت مقلتاها روت آيته الـ
ـكبرى لآمن بعد الكفر ساحره * خذ من زمانك ما أعطاك مغتنما * وأنت ناه لهذا الدهر آمره
فالعمر كالكاس تستحلي أوائله * لكنه ربما مرت أواخره
واجسر على فرص اللذات محتقرا * عظيم ذنبك ان الله غافره
(وقال آخر) شربنا بالبواطي ثم رحنا * نعلل بالكؤس وبالقناني
ولولا ضيفة الاجرام قلنا * لساقيها أدرها بالدنان
(برهان الدين القيراطي) أرى جرار الخمر تغلو وقد * عزت وبالافلاس حالي عجيب
جئنا لخمار وقلنا له * احمل الينا جرة كي نطيب * قال زبيبا تريدون أم
خمرا فان الكل مني قريب * قلنا له خمرا فنادى زنو * في جرة عشرين قلنا الزبيب
(وقال أيضا) صرف الزبيب لصرف همي * نص على نفعه طبيبي
آها على سكرة لعلي * أن أخلط الهم بالزبيب
(وقال) قالوا اترك الخمر واجتنبها * لا تتعد الحرام حدا

الحسن فخدموننا بدلا من القين وأخرجنا من الحمام الى غير ذلك المجلس فقدم إلينا مائدة حسنة جليلة عليها من الحيوان وفاخر
الطعام والألوان ونادر الخبز وغريب البوادر من كل شيء واذا بغلامين أمردين في نهاية الحسن
والزي قد دخلوا الينا فغمزوا أرجلنا فلحقنا من ذلك مع الغربة وطول العهد بالجماع عنت فأمرناهم بالانصراف وفينا من لم يستحل التعرض لهم وتعففنا عن ذلك لنزولنا على صاحبهم ثم انتهينا الى مجلس في بستان حسن وأخرج إلينا من آلات النبيذ كل ظريف وأحضر من الأنبذة كل شيء طيب حسن وشربنا أقداحا يسيرة ثم ضرب بيده على ستارة ممدودة واذا جوار خلفها فقال غنين فغنت الجواري اللواتي كن خلفها أحسن غناء وأطيبه فلما توسطنا الشرب قال ماهذا الاحتشام لأضيافنا أعزهم الله أخرجن وهتك الستارة قال فخرج علينا جوار لم يرقط أحسن ولا أملح ولا أظرف منهن ما بين عوادة وطنبورية زامرة وصناجة ورقاصة ودفافة بفاخر الثياب والحلي فغنيننا واحتطن بنا في المجلس فاشتدت محبتنا ولكن ضبطنا أنفسنا فلما كدنا أن نسكر ومضى قطعة من الليل أقبل صاحب الدار علينا
وقال ياسادة ان تمام الضيافة وحقها الوفاء بشرطها وأن يقوم المضيف بحق الضيف في جميع ما يحتاج إليه من طعام وشراب وجماع وقد أنفذت إليكم نصف النهار الغلمان فأخبروني بعفافكم عنهم فقلت هم أصحاب نساء فأخرجت

قلت أراها للروح قوتا وطالب القوت ما تعدى

﴿ ومما قيل في شرب الفقهاء ﴾

يحمون بالفقه عرض الدين من سفه * علما بتصريف أحوال وتحقيق
وبعضهم يكرع الصهباء مغتبقا * تحت الظلام بأفواه الأباريق

﴿ فيمن يطيل الحديث والكأس في يده ﴾

وشادن نطقه جار إذا شفعت * في مجلس الشرب كاسات بطاسات
يظل يحكي وكاس الراح في يده * حكاية عرضها عرض السموات

﴿ ومما قيل في كريم السكر لئيم الصحو ﴾

إذا هز اللئيم السكر يوما * بدا في بذل مال فيه ضنا
يجود بماله في الشرب سكرا * ويأكل كفه في الصحو حزنا

﴿وقيل في شجاع السكر﴾ إذا شرب الجبان الخمر يوما * أعارته الشجاعة باللسان
وعند الصحو تلقاه جزوعا * إذا اشتد اللقا يوم الطعان

(وفيه أيضا) يقول جبان القوم في حال سكره * وقد شرب الصهباء هل من مبارز
وأين الخيول الأعوجيات في الوغى * أناقل فيها كل ليث مناهز * ومن لي بحرب ليس تخمد ناره
لعمري إني لست فيها بعاجز * ففي السكر قيس وابن معدي وعامر * وفي الصحو تلقاه كبعض العجائز

(وقال في شرب الثلاثة) ثلاثة في مجلس طيب * وعيشهم ما فيه تكدير
هذا يغني ذا وهذا الذي * يسقي وذا بالشرب مسرور

(وقيل في شرب الأربعة) ألا إنما خير المجالس مجلس * به وله صفو الزمان مساعد
فتاة وساق والمغني وصاحب * وخامسهم هم على الكل زائد

﴿ وقيل في شرب الستة ﴾

خير المجالس خمسة أو ستة * أوسبعة وعلى الكثير ثمانيه * فاذا تعدى صار شغلا شاغلا
وتكسرت بين الرجال الآنيه * فاهرب إذا ما كنت تاسع مجلس * وائن أتيت به فأمك زانيه

﴿ ومما قيل في الشرب مع التجار ﴾

شربت مع التجار وكان يوما * جعلت حضورنا فيه وداعا * فذاك يقول كم أطلقت بيعا
ووفيت الذي بعت الذراعا * وهذا قال عندي كل شيء * ولكن لا أبيع ولا أباعا
فلا تجعلهمو أبدا ندامى * فتكسب من مجالسهم صداعا

(فيمن أكل على الشراب) وندمان إذا ما الكأس دارت * بغير الأكل ارتعدت يداه
يديم دأبه في السكر أكل * فلا يبقى على شيء يراه

(وقيل في قدح) غرامي ووجدي بالذي كان في الثرى * مهانا فأضحى في المجالس حاكما
قضى ما عليه من رود جهنم * فصار لجنات النعيم ملازما

(محمد بن جعفر الانصاري يستدعى بعض أصدقائه إلى الشراب)

بساط الأرض مسك أو عبير * وزهر الروض وشي أو حرير * وقد صفى الدنان الخرحتى
لقد عادت لدينا وهي نور * ومن يرد السرور يعش هنيأ * إذا العيش الهني هو السرور

هؤلاء فرأيت من انقباضكم عن ممازحتهن ما لو خلوتم بهن كانت الصورة واحدة فما هذا فقلنا ياسيدى أجللناك عن تبذل مافى دارك وفينا من لم يستحل الحرام فقال هؤلاء مماليكى وهن أحرار لوجه الله تعالى ان كان بد من أن يأخذ كل واحد منكم بيد واحدة يتمتع بها ليلة فمن شاء زوجته بها ومن شاء غير ذلك فهو أبصر لا كون قد قضيت حق الضيافة فلما سمعنا بهذا وقد انتشينا طربا أخذ كل واحد منا بيد واحدة فأجلسها الى جانبه وأقبل يقبلها و يقرصها و يمازحها فتزوجت أنا بواحدة منهن وغيرى ممن رغب فى ذلك و بعضنا لم يفعل وجلس معنا بعد ذلك ساعة ثم نهض فاذا بخدم قد جاؤا فأدخلوا كل واحد وصاحبته الى بيت فى نهاية الحسن والطيب مفروش بفاخر الفرش الوطيئة فبخرونا عليها ونمنا والجوارى الى جنوبنا وتركوا معنا شمعة فى البيت وما نحتاج اليه من آلة البيت وأغلقوا علينا وانصرفوا فبتنا فى أرغد عيش ليلتنا فلما كان السحر بادر الخدم فقالوا ما رأيكم فى الحمام فقد أصلح فقمنا ودخلنا ودخل المردان معنا فمنا من أطلق نفسه معهم فيما كان امتنع منه بالامس وخرجنا فبخرونا بالند الفتيق وأعطينا الماورد والمسك والكافور وقدمت الينا المرآة المجلاة وأخبرنا غلماننا أن صورتهم ضى فى ليلتهم كصورتنا وأنهم أتوا بجوارى الخدمة الروميات فوطؤهن فأقبل بعضنا على بعض يعجب من قضيتنا و بعضنا

وعندى اليوم فتيان كرام * وجوههم شموس أو بدور * وقطب الامر أنت وهل لأمر
بغير القطب فيه رحى تدور * فرأيك فى الحضور وحق يومى * عليك وقد دعاك له الحضور

(وقال آخر) باكر صبوحك واشربها مشعشعة * واهنأ بعيش حميد غير مذموم
حمراء من بعد ما احمرت موردة * طافت علينا فسرت كل مهموم * كأن فى كاسها والماء يقرعها
أكارع النمل أو نقش الخواتيم * لاصاحبتنى يد لم تغن ألف يد * ولم ترد القنا حمر الخياشيم
بادر بجودك بادر قبل عائقه * فان خلف الفتى عندى من اللوم

﴿ سيف الدولة بن حمدان فى ساق ﴾

وساق صبيح للصبوح دعوته * فقام وفى أجفانه سنة الغمض * يطوف بكاسات العقار كانجم
فما بين منقض علينا ومنقض * وقد نشرت أيدى النجوم مطارفا * على الجو دكنا والحواشى على الارض
يطرزها قوس السماء بأصفر * على أحمر فى أخضر تحت مبيض
كأذيال خود أقبلت فى غلائل * مصبغة والبعض أقصر من بعض

(ابن نباتة) سقى وواعدنى وصلا ألذ به * عند المنام ولا والله ما وصلا
قبيلة الله من ساق مواعده * كانت مواعيد عرقوب لها مثلا

(وقال آخر فى ساق) وساق كالهلال سعى بكاس * لربة نرجس فسقى وحيا
فقلت تأملوا بدرا منيرا * سقى شمسا وحيا بالثريا

(وفيه لابن النبيه) ساق صحيفة خده ما سودت * عبثا بلام عذاره و بنونه
حمد الذى بيمينه فى خده * وجرى الذى فى خده بيمينه

(فى جارية ساقية) نديمتى جارية ساقية * ونزهتى ساقية جاريه
جارية أعينها جنة * وجنة أعينها جاريه

(فيمن حبس الكاس فى يده) قالوا الذى تهواه يحبس كاسه * فى كفه من غير ذنب موجب
فأجبتهم كفوا الملام فانه * قمر يديره طرفه فى كوكب

﴿ وقال آخر فى مجلس أنس ﴾

ومجلس راق من واش يكدره * ومن رقيب له باللوم ايلام
مافيه ساع سوى الساقى وليس له * على الندامى سوى الريحان نمام

(صفى الدين الحلى فى عود) وعود به عاد السرور * لأنه حوى اللهو قدما وهو ريان ناعم
يغرب فى تغريده فكأنه * يعيد لنا ما لقنته الحمائم

(وقال آخر فى زامرة) وناطقة بالنفخ عن روح ربها * تعبر عما دوننا وتترجم
سكتنا وقالت للقلوب فأطربت * فنحن سكوت والهوى يتكلم

(ومما قيل فى فانوس لابن تميم) انظر الى الفانوس تلق متيما * ذرفت على فقد الحبيب دموعه
يبدو تلهب جسمه لنحوله * وتعد من تحت القميص ضلوعه

(وفيه لابن قزل) وكأنما الفانوس فى غسق الدجى * دنف براه شوقه وسهاده
أضلاعه خفيت ورق أديمه * وجرت مدامعه وذاب فؤاده

(ولبعضهم فى شمعة) حكتنى وقد أودى بى السقم شمعة * وان كنت صبا دونها متوجعا

ضنى وسهاد واصفرار ورقة * وصبرا وصمتا واحتراقا وأدمعا

(ومما قيل في الربيع والرياض والبساتين والمياه والنواعير ونحو ذلك) قال الشاعر

هذا الربيع وهذه أزهاره * متجاوب في أيكه أطياره * وبدا البنفسج والشقائق مونق
والورد يضحك بينها وبهاره * فاشرب على وجه الحبيب وغن لي * هذا هواك وهذه آثاره

(وقال غيره) غدونا على الروض الذي طله الندى * سحيرا وأوداج الأباريق تسفك
فلم نر شيئا كان أحسن منظرا * من النور يجرى دمعه وهو يضحك

(وقال آخر) أماترى الارض قد أعطتك زهرتها * بخضرة واكتسى بالنور عاريها
فللسماء بكاء في جوانبها * وللربيع ابتسام في نواحيها

(غيره) ان السماء اذا لم تبك مقلتها * لم تضحك الارض عن شيء من الزهر
والارض لا تنجلي أنوارها أبدا * الا اذا رمدت من شدة المطر

(وقال ابن قرناص) أيا حسنها من رياض غدا * جنوني فنونا بأفنانها
مشى الماء فيها على رأسه * لتقبيل أقدام أغصانها

(وقال آخر) أنظر الى الأغصان كيف تعانقت * وتفارقت بعد التعانق رجعا
كالصب حاول قبلة من الفه * فرأى المراقب فانثنى متوجعا

(وقال ابن تميم) وحديقة ينساب فيها جدول * طرفي برونق حسنها مدهوش
يبدو خيال غصونها في مائه * فكأنما هو معصم منقوش

(وقال أيضا عفا الله عنه) لم لا أهيم الى الرياض وحسنها * وأظل منها تحت ظل ضافي
والزهر حياني بثغر باسم * والماء وافاني بقلب صافي

(وقال آخر) قد سعينا نبغي زيارة دوح * قد حبانا باللطف والاكرام
ناولتنا أيدي الغصون ثمارا * أخرجتها لنا من الاكمام

(ومما قيل في الأزهار والثمار) قال بعضهم في الورد

ياراقدا ونسيم الصبح منتبه * في روضة القصف والاطيار تنتحب * الورد ضيف فلا تجهل كرامته
فهاتها قهوة في الكأس تلتهب * سقيا له زائرا تحيا النفوس به * يجود بالوصل شهرا ثم يحتجب

(وقال آخر فيه) طاب الزمان وجاء الورد فاصطبحا * مادام للورد أنوار وأزهار
واستقبلا عيشنا بالكاس مترعة * لاطولت للئام الناس أعمار

(وقال آخر) اشرب على الورد من حمراء صافية * شهرا وعشرا وخمسا بعدها عددا
واستوف بالكاس من لهو ومن طرب * فلست تأمن صرف الحادثات غدا

(وقال آخر) اشرب على ورد الخدود فانها * أيام ورد والصبوح يطيب
ماالورد أحسن منظرا من وجنة * حمراء جاد بها عليك حبيب

(وقال بعضهم) ولقد رأيت الورد يلطم خده * ويقول وهو على البنفسج يحنق
لاتقربوه وان تضوع نشره * من بينكم فهو العدو الازرق

(ومما قيل في البنفسج) قال ابن المعتز

ولازوردية وافت بزورتها * بين الرياض على زرق اليواقيت

يقول هذا في النوم نراه ونحن في الحديث اذ أقبل صاحب الدار فقمنا اليه وعظمناه فأكبر بذلك وأخذ يسألنا عن ليلتنا فوصفناها له وسألنا عن خدمة الجوارى لنا فأجبناه بحسنها فقال أيما أحب اليكم الركوب إلى بعض البساتين للتفرج إلى أن يدرك الطعام أو اللعب بالشطرنج والنرد أو النظر في الدفاتر فقلنا أما الركوب فلا نؤثره ولكن الشطرنج والنرد والدفاتر فأحضر لنا ذلك وتشاغل كل منا بما اختاره ولم يكن الا ساعتان أو ثلاثة من النهار حتى أحضر لنا مائدة كالمائدة الامسية فأكلنا وقمنا الى الفرش وجاء المردان فغمزونا وغمزهم منا من كان يدخل في ذلك وزالت المراقبة فلما انتبهنا حملنا إلى الحمام وخرجنا فتبخرنا وجلسنا في مجالسنا بالأمس وجاء أولئك الجوارى ومعهن غيرهن ممن هو أحسن منهن وقصدت كل واحدة صاحبها بالأمس بغير احتشام وشربنا إلى نصف الليل وحملوا معنا إلى الفراش وكانت هذه حالتنا مدة الأسبوع فقلت لأصحابي ويحكم أرى الأمر متصلا ومن المحال أن يقول لنا الرجل ارتحلوا عني وقد استطبتم أنتم مواضعكم وانقطعتم عن سفركم في هذا فقالوا ماترى فقلت أرى أن نستأنس الرجل فننظر أي شيء هو فان كان ممن يقبل هدية أو برا أعملنا على تكرمته وارتحلنا عنه وان كان بخلاف ذلك كنا معتقدين له المكافأة في وقت ثان وسألناه أن يحضر لنا من نكرى منه ورحلنا فتقرر رأينا على ذلك فلما جلسنا تلك الليلة على الشرب

قلنا له قد طال مقامنا عندك وما أضاف أحد أحدا أحسن مما ضفتنا ونريد الرحيل الى مصر لما أردناه من طلب التصرف
وأنا فلان بن فلان فعرفته نفسي والجماعة وقد حملتنا من أياديك ومننك مالا يسعنا معه أن نجهلك ونحب
أن تعرفنا بنفسك لنأتي بشكرك ونقضي حقك ونعمل على الرحيل فقال أنا فلان بن فلان أحد أهل دمشق فلم نعرفه فقلنا إن رأيت تزيدنا في الشرح فقال جعلت فداءكم ان لفادتي خبرا أظرف مما شاهدتموه فقلت ان رأيت أن تخبرنا فقال نعم أنا رجل كان أبي تاجرا عظيم النعمة والاموال وانتهت النعمة اليه وكان ممسكا مكثرا ونشأت له فكنت متخرقا مبذرا محبا للفساد والنساء والمغنيات والشرار فاتلفت مالا عظيما من مال أبي الا أنه لم يؤثر في ماله لعظمه ثم اعتل وأيس من نفسه فدعاني فقال يا بني اني قد خلفت لك النعمة وقيمتها مائة الف دينار بعد أن أتلفت على خمسين الف دينار وأن الانفاق لا آخر له إذا لم يكن بازائه داخل ولو أردت أن أتلف هذا المال عليك في حياتي أو الآن حتى لا تصل الى شيء منه لفعلت ولكن هو ذا أتركه عليك فاقض حقي
بحاجة تقضيها الي لا اضرر عليك فيها فقلت افعل فقال أنا أعلم أنك ستتلف المال في مدة يسيرة فعرفني إذا افتقرت ولم وقيل
يبق معك شيء أتقتل نفسك ولا تعيش في الدنيا فقلت لا قال فعرفني من اين تعيش قال ففكرت ساعة فلم يقع لي الا ان قلت اصير قوادا قال

كأنها فوق طاقات صففن بها * أوائل النار في أطراف كبريت

(وقال آخر) اشرب على زهر البنفسج قهوة * تهدي السرور لكل صب مكمد
فكأنه قرص بخد مهفهف * أو أعين زرق كحلن بأثمد

(ولبعضهم في الورد) للورد فضل على زهر الربيع سوى * ان البنفسج أزكى منه في المهج
كأنه وعيون الناس ترمقه * آثار قرص يد في خدذي غنج

(وقال آخر) يا مهديا لي بنفسجا ارجا * يرتاح صدري له وينشرح
بشرني عاجلا مصحفه * بان ضيق الامور ينفسح

(وقال غيره في النرجس) وقضب زمرد تعلو عليها * عيون لم تذق طعم الغماض
توهمت الغمام لها رقيبا * فنكست الرءوس الى الرياض

(وقال آخر فيه) أنت يا نرجس روض * لزهور الارض ست
ودليل القول فيك * أن أوراقك ست

(وقال آخر) أقول وطرف النرجس الغض شاخص * الي وللنمام حول المنام
أيا رب حتى في الحدائق أعين * علينا وحتى في الرياحين نمام

(وقال أيضا فيه) لما تمادى الورد في زهره * وراح من اعجابه برأس
تلون المنثور مما به * واصفر من غيظ به النرجس

﴿ومما قيل في اللينوفر لابن المعز المصري﴾

وبركة تزهو بلينوفر * نسيمه يشبه نشر الحبيب * مفتح الاجفان في نومه
حتى اذا الشمس دنت للغيب * أطبق جفنيه على خده * وغاص في البركة خوف الرقيب

﴿وقال تميم بن المعز المصري﴾

رأيت في البركة لينوفرا * فقلت ما شأنك وسط البرك * فقال لي غرقت في أدمعي
وصادني ظبي الفلا بالشرك * فقلت ما بال اصفرار بدا * فيك وما هذا الذي غيرك
فقال لي ألوان أهل الهوى * صفر ولو ذقت الهوى صفرك

(ومما قيل في البان)

قد أقبل الصيف وولى الشتا * وعن قليل تسأم الحرا
أما ترى البان باغصانه * قد قلب الفروالى برا

(وقال آخر فيه)

أما ترى البان الذي يزهو على * كل الغصون بقده المياس
وافى يبشر بالربيع وقربه * يختال في السنجاب والبرطاس

(وقال في الشقيق)

حييته بشقائق في مجلس * ورأى الرقيب فشق ذاك عليه
فاحمر من خجل فانبت خده * أضعاف ما حملت يداي اليه

(وقال آخر) لو لم أعانق من أحب بروضة * أحداق نرجسها الينا تنظر
ما انشق جيب شقيقها حسدا ولا * بات النسيم بذيله يتعثر

وقيل ان ابن الرومى الشاعر زار قبر أخيه يوما فوجد الشقائق قد نبتت على قبره فأنشد يقول

قالت شقائق قبره * ولرب أخرس ناطق فارقته ولزمته * فأنا الشقيق الصادق

(ومما قيل فى المنثور)

تخال منثورها فى الدوح منتثرا * كأنما صيغ من در وعقيان
والطير ينشد فى أغصانه سحرا * هذا هو العيش الا أنه فانى

(وقال آخر) قد أقبل المنثور ياسيدى * كالدر والياقوت فى نظمه
ثناك لازال كأنفاسه * وخ من يشناك مثل اسمه

(ولبعضهم فيه) ولقد خلوت مع الاحبة مرة * فى روضة للزهر فيها معرك
مابين منثور أقام ونرجس * مع اقحوان وصفه لا يدرك
هذا يشير بأصبع وعيون ذا * ترنو اليه وثغر هذا يضحك

(ومما قيل فى الياسمين)

والأرض تبسم عن ثغور رياضها * والافق يسفر تارة ويقطب
وكأن مخضر الرياض ملاءة * والياسمين لها طراز مذهب

(وقال آخر) رأيت الفأل بشرنى بخير * وقد أهدى الى الياسمين
فلا تحزن فان الحزن شين * ولا تيأس فان اليأس مين

﴿ ومما قيل فى السوسن للاخطل الاهوازى ﴾

سقيا لأرض اذا مانمت نبهنى * بعد الهدو بها قرع النواقيس
كأن سوسنها فى كل شارقة * على الميادين أذناب الطواويس

﴿ ومما قيل فى الاقحوان لعبد القادر بن مهنا المغربى ﴾

أفدى الذى زارنى سرا فاتحفنى * باقحوان يحاكى ثغر مبتسم
فبت من فرحى أفنى مقبله * لثما وأرشف من ريق له شبم

(ولبعضهم فيه) ان فاه ثغر الاقاحى فى تشبهه * بثغر حبك واستولى به الطرب
فقل له عند ما يحكيه مبتسما * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

﴿ومما قيل فى الجلنار﴾ وجلنار مشرق * على أعالى شجره * كأن فى غصنه
أحمره وأصفره * قراضة من ذهب * فى خرقة معصفره

﴿ومما قيل فى الآس﴾ أهديت مشبه قدك المياس * غصنا نضيرا ناعما من آس
فكأنما يحكيك فى حركاته * وكأنما تحكيه فى الأنفاس

(ومما قيل فى الريحان)

وغصن من الريحان أخضر ناضر * نما بين غصنى نرجس وشقائق
يريك اذا كف الصبا عبثت به * شمائل معشوق وذلة عاشق

(وفيه أيضا) وريحان يميس بحسن قد * يلذ بشمه شرب الكؤس
كسودان لبسن ثياب خز * وقد قاموا مكاشيف الرؤس

(وقال آخر) قضيب من الريحان شاكل لونه * اذا مابدا للعين لون الزبرجد

فبكى ساعة ثم مسح عينيه وقال لست بصارف عنك هذه الصناعة فانها ماجرت على لسانك الا وقد دارت فى فكرك ولا دارت فى فكرك الا وأنت لا تنصرف عنها أبدا بعدى ولكن اخبرنى كيف يتم لك المعاش منها فقلت قد تدبرت بكثرة دعواتى القحبات والمغنيات ومعاشرتى اشراب النبيذ فأجمعهم على الرسم فيقيمون فى بيتى ويعملون مايريدون وآخذ أنا منهم الدراهم وأعيش بها فقال اذا يبلغ السلطان خبرك فى جمعة فيحلقون رأسك ولحيتك وينادى عليك ويفرق جمعك ويبطل معاشك ويقول أهل بلدك انظروا الى فلان كيف ينادى عليه وقد صار بعد موت أبيه قوادا ولكن اذا أردت هذه الصناعة فانا أعلمك وان كنت لا أحسنها فلا تستغنى فيها ولا تفتر ولا يتطرق عليك السلطان بشىء فقلت افعل قال اذا أنا مت فاعمل على أنك قد أنفقت جميع مالك وافتقرت وتكون قوادا ولك ضياع وعقار وأثاث ودور وجوار وآلة وقماش وخدم وجاه وتجارات واعمل على ما كان فى نفسك أن تعمله اذا افتقرت فاعمله وأنت مستظهر على زمانك بما معك وهبه عند اخوانك واعمل أنك قد أنفقته واجعل معيشتك ماتريد أن تجعله اذا افتقرت فانك تستفيد بذلك أمورا منها أنك تبتدىء أمرك بهذا فلاينكر عليك فى آخره ومنها أنك تفعل ذلك بجاه وعقار وضياع وأحوال قوية فلايطمع فيك سلطان وان طمع فيك سلطان بذلت أوأعطيت من ناوأك فتخلصت فقلت كيف أفعل قال

تجلس اذا أنامت ثلاثة أيام للعزاء الى أن تنقضى المصيبة فاذا انقضت نفذت وصيتى وتجملت بذلك عند الناس وقضيت
حتى ثم تظهر أنك قد تركت اللعب وأنك تريد حفظ مالك مع ضرب من اللذة ثم تبتدىء فتشترى من
الجوارى المغنيات والسرارى كل لون ومن الغلمان المردان والخدم السود والبيض ماتحتاج اليه وتشتهيه ودارك كما تحب فى السرور وتنوف على سرور من تريد أن تعاشره ولا تدخل الا الامير والعاقل وادعهما مرة فى شهر أو شهرين وهادهما أيام الاعياد بالالطاف الحسنة والقهما فى كل أسبوع مرة واجتهد أن تعاشرهما على النبيذ فى دورهما والقهما بالسلام وقضاء الحاجة واتخذ فى كل يوم مائدة حسنة وادع القوم ومن يتفق معهم وليكن ذلك بعقل وترتيب فان ذلك أولا لا يظهر مدة فاذا ظهر صدق به أعداؤك وكذب به اخوانك وقالوا هذه على سبيل المجون والشهوة على طريق التخالع أو مسامحة الاخوان والا فأى لذة له فى ذلك وليس هو بمجنونا ولا مخنثا ولا فقيرا ولا محتاجا الى هذا فيبقى الخلاف فيك مدة أخرى وقد اتصلت مع سلطانك ولعل العشرة بينكما قد وقعت فيستدعى مغنياتك ويسمعهن فى
منزله فيصير لك بمنادمته رسم وجاهك باق بملاقاتك لهم فهم يحتاجون اليك وسيحافظ
عليك الأمير فتصير فى مراتب ندمائه وفى جملته وتصير قيادتك نفعا عليك بغير ضرر وتخرج عن حد القواد المحض الذين

فشبهته لما بدا متجعدا * عذار تبدى فى سوالف أغيد

(ومما قيل فى الفواكه والثمار على اختلافهما فى الاترج) قال ابن الرومى

كل الخلال التى فيكم محاسنكم * تشابهت منكم الأخلاق والخلق
كأنكم شجر الاترج طاب معا * حملا ونشرا وطاب العود والورق

(ولبعضهم فيه) حياك من تهوى بأترجة * ناعمة مقدودة غضه
فجلدها من ذهب أصفر * وجسمها الناعم من فضه

(وقال آخر) ياحبذا أترجة * تحدث للنفس الطرب كأنها كافورة * لها غشاء من ذهب

(فى الليمون قول أبى الحسن رئيس الرؤساء)

ياحسن ليمونة حيا بها قمر * حلو المقبل ألمى بارد الشنب
كأنها أكرة من فضة خرطت * واستودعوها غلافا صيغ من ذهب

و(فيه أيضا) وصاحب ناديته * والطير لم يغرد * انهض الى الراح ولا
ترضى بعيش نكد * واشرب سلافا قرقفا * من كف ساق أغيد
قد اكتست تلهبا * من خده المورد ولاتدع مجتهدا * لذة يوم لغد
أماترى الليمون فى * غصن من الزبرجد كاكرة من فضة * مملوءة من عسجد

(فى النارنج لعبد الله بن المعتز)

نظرت الى نارنجة فى يمينه * كجمرة نار وهى باردة اللمس
فقربها من خده فتألفت * فشبهتها المريخ فى دارة الشمس

(وقال آخر) ونارنجة بين الرياض نظرتها * على غصن رطب كقامة أغيد
اذا ميلتها الريح مالت كاكرة * بدت ذهبا فى صولجان زبرجد

(وقال آخر) ونارنج يلوح على غصون * ومنه مانرى كالصولجان
أشبهها ثديا ناهدات * غلائلها صبغن بزعفران

(وقال آخر) وأشجار نارنج كأن ثمارها * حقاق عقيق قد ملئن من الدر
تطالعها بين الغصون كأنها * قدود عذارى فى ملاحفها الخضر
أتت كل مشتاق برياحيبيه * فهاجت له الاشجان من حيث لايدرى

(فى التفاح لبعضهم) ولما بدا التفاح أحمر مشرقا * دعوت بكاسى وهى ملأى من الشفق
وقلت لساقيها أدرها فعندنا * خدود الاغانى قد جمعن على طبق

(وقال آخر فى تفاحة) وتفاحة من سندس صيغ نصفها * ومن جلنار نصفها وشقائق
كأن الهوى قد ضم من بعد فرقة * بها خد معشوق الى خد عاشق

(ولبعضهم فيه) تفاحة كسيت لونين خلتهما * خدى محب ومحبوب قد التصقا
تعانقا فبداواش فراعهما * فاحمر ذا خجلا واصفر ذا فرقا

(وقال آخر) وتفاحة وردية ذهبية * تجلى عن المهموم ليل همومه
كأن سلاف الخمر روى أديمها * بخمر فجاءت باحمرار أديمه
تذكرنى شكل الحبيب وحسنه * وتوريد خديه وطيب نسيمه

(وقال

يؤذنون وتكبس منازلهم قال فاعتقدت في الحال أن الصواب ما قاله ومات في علته فجلست ثلاثة أيام ثم أنفذت وصيته ما فيها
كما أمرني ثم بيضت الدور وهي هذه وزدت فيها ما اشتهيت واستزدت في الآلات والفرش والأبنية
كما أردت وابتعت هذه الجواري والغلمان والخدم من بغداد ودبرت أمري على ما قاله لي من غير مخالفة لشيء منه وأنا أفعل هذا منذ سنين كثيرة ما لحقني منه ضرر ولا خسران ولا فيه أكثر من إسقاط المروءة وقلة الاكتراث بالعيب وأنا أعيش أطيب عيش وأهنأه وأمر معاشي عليهم ودخلي بهم أكثر من خرجي ونعمتي الموروثة باقية بأسرها ما بعت منها شيئا بحبة قط فما فوقها وقد اشتريت من هذه الصناعة عقارا جليلا أضفته إلى ما خلف علي وأمري يمشي كما ترون فقلنا يا هذا فرجت والله عنا وأريتنا طريقا إلى قضاء حقك وأخذنا نمازحه ونقول فضلك في هذه الصناعة غير مدفوع لأنك قواد ابن قواد وما كان الشيخ ليدبر لك هذا الأمر إلا وهو بالقيادة أحذق منك فضحك وضحكنا وكان الفتى أديبا خفيف الروح وبتنا ليلتنا على تلك الحالة فلما كان من الغد جمعنا له من بيننا ثلثمائة دينار وحملناها إليه ورحلنا عنه (وحكى أحمد ابن يحيى بن فضل العمري) في كتابه المسمى مسالك الأبصار في ممالك الأمصار في ترجمة صفي الدين عبد المؤمن بن يوسف بن فاخر الموسيقي قال ذكر العم حسن الإربلي في تاريخه قال جلست مع صفي الدين عبد المؤمن بالمدرسة المستنصرية

(وقال آخر) حمرة التفاح في خضرته * أشبه الألوان من قوس قزح
فعلى التفاح فاشرب قهوة * واسقنيها بنشاط وفرح
(وفيه أيضا) أهدى لنا التفاح من كفه * من لم يزل يجنيه من خده
وخط بالمسك على بعضها * قد عطف المولى على عبده
(قيل في السفرجل) حاز السفرجل لذات الورى فغدا * على الفواكه بالتفضيل مشهورا
كالراح طعما وشم المسك رائحة * والتبر لونا وشكل البدر تدويرا
(وقال آخر) سفرجلة صفراء تحكي بلونها * محبا شجاه للحبيب فراق
إذا شمها المشتاق شبه ريحها * بريح حبيب لذ منه عناق
وطيبة عند المذاق كطعمها * كريق حبيب طاب منه مذاق
(وقال آخر) سفرجلة جمعت أربعا * فكان لها كل معنى عجيب
صفار النضار وطعم العقار * ولون المحب وريح الحبيب
(وقيل في الكمثرى) وكمثرى لذيذ الطعم حلو * شهي جاء من دوح الجنان
مناقير الطيور إذا اقتتلنا * مغبرة بلون الزعفران
(ابن برغش متغزلا) وكمثرى سباني منه طعم * كطعم الشهد شيب بماء ورد
لذيذ خلقه لما أتانا * نهود السمر في معنى وقد
(وما قيل في المشمش) بدا مشمش الأشجار يذكو شهابه * على غض أغصان من الروض ميد
حكى وحكت أشجاره في اخضراره * جلاجل تبر في قباب زبرجد
(ما قيل في الإجاص) انظر إلى شجر الإجاص قد حملت * أغصانه ثمرا ناهيك من ثمر
تراه في أخضر الأوراق مستترا * كما اختبى الزنج في خضر من الأزر
(ما قيل في الخوخ) أهدي إلى الصديق خوخا * منظره منظر أنيق
من كل مخصوصة بحسن * معناه في مثلها دقيق * حمراء صفراء مستعير
بهجتها التبر والعقيق * كوجنة مسها خلوق * فزال عن بعضها الخلوق
(ما قيل في الفستق) تفكرت في معنى الثمار فلم أجد * لها ثمرا يبدو بحسن مجرد
سوى الفستق الرطب الجني فإنه * زها بمعان زينت بتجرد
غلالة مرجان على جسم فضة * وأحشاء ياقوت وقلب زبرجد
(ما قيل في البندق) ولقد شربت مع الحبيب مدامة * حمراء صافية بغير مزاج
فتفضل الظبي البهي ببندق * شبهته ببنادق من ساج
فكسرته فوجدت ثوبا أحمرا * قد لف فيه بنادق من عاج
(ومما قيل في النبق) وسدرة كل يوم * من حسنها في فنون * كأنما النبق فيها
وقد حلا في العيون * جلاجل من نضار * قد علقت في الغصون
(ومما قيل في اللوز) ومهد الينالوزة قد تضمنت * لمبصرها قلبين فيها تلاصقا
كأنهما جبان فازا بخلوة * على رقبة في مجلس فتعانقا
(في العنب لبعضهم) هدية شرفتنا من أخ ثقة * نعم الهدية إذ وافتك من يده

وجرى ذكر واقعة بغداد فاخبرني أن هلاكو طلب رؤساء البلد وعرفاءها وطلب منهم أن يقسموا دروب بغداد ومحالها وبيوت ذوي يسارها على أمراء دولته فقسموها وجعلوا كل محلة أو محلتين أو سوقين باسم أمير كبير فوقع الدرب الذي كنت أسكنه في حصة أمير مقدم على عشرة آلاف فارس اسمه نانوين وكان هلاكو قد رسم لبعض الامراء أن يقتل ويأسر وينهب مدة ثلاثة أيام ولبعضهم يومين ولبعضهم يوما واحدا على حسب طبقاتهم فلما دخل الامراء الى بغداد كان أول درب جاء اليه الامير الدرب الذي أنا ساكنه وقد اجتمع فيه خلق كثير من ذوي اليسار واجتمع عندي نحو خمسين جارية من أرباب المغاني وذوات الحسن والجمال فوقف نانونين على باب الدرب وهو متترس بالاخشاب والتراب وطوقوا الباب وقالوا افتحوا لنا وادخلوا في الطاعة ولكم الامان والا أحرقنا الباب وقتلناكم ومعه النجارون وخلافهم وأصحابه بالسلاح قال صفي الدين عبد المؤمن فقلت السمع والطاعة أنا أخرج اليه ففتحت الباب وخرجت اليه وحدي وعلى أثواب وسخة وأنا أنتظر الموت فقبلت الارض بين يديه فقال للترجمان قل له أنت كبير هذا الدرب فقلت نعم فقال ان أردتم السلامة من الموت فاحملوا لنا كذا وكذا وطلب شيئا كثيرا فقبلت الأرض مرة ثانية وقلت كل ما طلبه الامير يحضر وصار كل ما في هذا الدرب بحكمك ومن تريد من خواصك فانزل لأجمع فكأنما

نوعان من عنب جا آعلى طبق * كأن طيبها من طيب محتده
فأبيض العين يحكي لون أبيضه * وأسود العين يحكي لون أسوده

(في قصب السكر) ورماح لغير طعن وضرب * بل لأكل ومص لب ورشف
كملت في استوائها واستقامت * باعتدال وحسن قد ولطف

﴿ ومما قيل في البطيخ الاصفر ﴾

أتانا غلام فاق حسنا على الورى * ببطيخة صفراء في لون عاشق
فشبهته بدرا يقد أهلة * من الشمس ما بين النجوم بيارق

(وقال آخر) وبطيخة وفي بها فوق كفه * الينا غلام فاق كل غلام
فخيل لي شمس الأصيل أهلة * يقطعها بالبرق بدر تمام

﴿ ومما قيل في البطيخ الأخضر ﴾

وظبي أتى في الكف منه بمدية * وقد لاح في خديه شبه شقيق * فمال الى بطيخة ثم شقها وفرقها ما بين كل صديق * فشبهتها لما بدت في أكفهم * وقد عملت فيهم كؤس رحيق
صفائح بلور بدت في زبرجد * مرصعة فيها فصوص عقيق

(وقال آخر) وبطيخة خضراء في كف أغيد * أتانا بها فارتاح ذو الهم وابتهج
وأقبل يفريها بمديته وقد * فرى طرفه الساجي القلوب مع المهج

(ومما قيل في القثاء) أنظر اليها أنابيبا منضدة * من الزمرد خضرا ما لها ورق
اذا قلبت اسمها بانت ملاحتها * وصار في عكسه اني بكم اثق

(ومما قيل في الباذنجان) وكأنما الابذنج سود حمائم * أوكاره حمل الربيع المبكر
نقرت مناقره الزمرد سمسما * فاستودعته حواصلا من عنبر

﴿ ومما قيل في الانهار والبرك والنواعير ﴾

أما ترى البركة الغراء قد كسيت * نورا من الشمس في حافاتها طلعا * والنهر من فوقه يلهيك منظره شهب سماوية فارتج والتمعا * كأنه السيف مصقولا يقلبه * كف الكمي الى ضرب الكماة سعى

(وقال آخر في البركة) يامن يرى البركة الحسناء رؤيتها * والآنسات اذا لاحت معانيها فلو تمر بها بلقيس عن عرض * قالت هي الصرح تمثيلا وتشبيها * كأنها الفضة البيضاء سائلة من السبائك تجري في مجاريها * اذا علتها الصبا أبدت لها حبكا * مثل الجواشن مصقولا حواشيها
فحاجب الشمس أحيانا يضاحكها * ورونق الغيث أحيانا يباكيها
اذا النجوم تراءت في جوانبها * ليلا حسبت سماء ركبت فيها

(وقال آخر) وبركة للعيون تبدو * في غاية الحسن والصفاء
كأنها اذ صفت وراقت * في الأرض جزء من السماء

﴿ وقال محمد بن سارة المغربي ﴾

النهر قد رقت غلالة صبغه * وعليه من صبغ الاصيل طراز
تترقرق الامواج فيه كأنها * عكن الخصور تهزها الاعجاز

(وقال آخر) يوم لقا بالنيل مختصر * ولكل وقت مسرة قصر

لك كل ماطلبت فشاور أصحابه ونزل في نحو ثلاثين رجلا من خواصه فأتيت به داري وفرشت له الفرش الحليفية الفاخرة والسرر المطرزة بالزركش وأحضرت له في الحال أطعمة فاخرة وشواء (١٩٩) وحلواء وجعلتها بين يديه فلما فرغ من الاكل عملت له مجلسا ملوكيا وأحضرت الاواني المذهبة من الزجاج الحلبي وأواني فضة فيها شراب مروق فلما دارت الاقداح وسكر قليلا أحضرت عشر مغنيات كل واحدة تغني بملهاة غير ملهاة الاخرى فغنين كلهن فارتج المجلس وطرب وانبسطت نفسه فضم واحدة من المغنيات أعجبته فواقعها في المجلس ونحن نشاهده وأتم يومه في غاية الطيبة فلما كان وقت العصر وحضر أصحابه بالنهب والسبايا قدمت له ولاصحابه الذين كانوا معه تحفا جليلة من أواني الذهب والفضة ومن النقد ومن الاقمشة الفاخرة شيئا كثيرا سوى العليق ووهبت له الغواني التي كن بين يديه واعتذرت من التقصير وقلت جاء الأمير على غفلة لكن غدا إن شاء الله تعالى أعمل للامير دعوة أحسن من هذه فركب وقبلت ركابه ورجعت فجمعت أهل الدرب من ذوى النعمة واليسار وقلت لهم انظروا لانفسكم هذا الرجل غدا عندي وكذا

فكانما أمواجه عكن ❊ وكأنما داراته سرر

﴿ وقال آخر في نهر يسبح فيه الغلمان ﴾

خليج كالحسام له صقال ❊ ولكن فيه للرائي مسره

رأيت به الملاح تجيد عوما ❊ كأنهم نجوم في المجره

﴿ وقال آخر في النيل ﴾

النيل قال وقوله ❊ اذ قال ملء مسامعي ❊ في غيظ من طلب العلا

عم البلاد منافعي ❊ وعيونهم بعد الوفا ❊ قلعتها باصابعي

(وقال آخر) كأن النيل ذوفهم ولب ❊ لما يبدو لعين الناس منه

فيأتي عند حاجتهم اليه ❊ ويمضي حين يستغنون عنه

(وقال آخر فيه) وفت أصابع نيلنا ❊ وطغت وطافت في البلاد

وأتت بكل مسرة ❊ ماذي أصابع ذي أيادي

(وقال آخر) سد الخليج بكسره جبر الورى ❊ طرا فكل قد غدا مسرورا

والماء سلطانا فكيف تواترت ❊ عنه البشائر اذ غدا مكسورا

(وقال آخر) ونهر خالف الاهواء حتى ❊ غدت طوعا له في كل أمر

اذا عصفت على الاغصان ألقت ❊ اليه بها فيأخذها ويجري

(وقال آخر في ناعورة) وكريمة سقت الرياض بدرها ❊ فغدت تنوب عن الغمام الهامع

بلسان محزون ومدمع عاشق ❊ ومسير مشتاق وانة جازع

(وقال آخر) وناعورة قالت وقد حال لونها ❊ وأضلعها كادت تعد من السقم

أدور على قلبي لأني فقدته ❊ وأما دموعي فهي تجري على جسمي

(وفيها أيضا) وحنانة من غير شوق ولا وجد ❊ يفيض لها دمع كمنتثر العقد

أحن اذا حنت وأبكي اذا بكت ❊ فليس لنا من ذلك الفعل من بد ❊ ولكنها تبكي بغير صبابة

وأبكي بافراط الصبابة والوجد ❊ وأدمعها من جدول مستعارة ❊ ودمعي من عيني يفيض على خدي

﴿ وفيها أيضا قال الخطيري ﴾

رب ناعورة كأن حبيبا ❊ فارقته فقد غدت لي تحكي ❊ أبدا هكذا تئن بشجو ❊ وعلى إلفها تدور وتبكي

(ابن تميم) تأمل الى الدولاب والنهر اذا جرى ❊ ودمعهما بين الرياض غدير

كأن نسيم الجو قد ضاع منهما ❊ فأصبح ذا يجري وذاك يدور

﴿ فصل في ذكر أرباب الصنائع والحرف والأسماء وما أشبه ذلك ﴾

(لابن عفيف في قاض مليح) ورب قاض لنا مليح ❊ يعرب عن منطق لذيذ

اذا رنا لي بسهم لحظ ❊ قلنا له دائم النفوذ

(وقال في فقيه مليح) ومهجتي ظبي غدا متفقها ❊ وهو المهذب في الرشاقة والحور

أمسى بسيط الشعر منه مطولا ❊ لكن وجيز الخصر منه المختصر

(وقال في محدث مليح) علقته محدثا ❊ شرد عن جفني الوسن

حديثه ووجهه ❊ كلاهما عندي حسن

بعد غد وكل يوم أزيد أضعاف اليوم المتقدم فجمعوا الى من بينهم مايساوى خمسين ألف دينار من انواع الذهب والاقمشة الفاخرة والسلاح فما طلعت الشمس الاوقد وافاني فرأى ما أذهله وجاء في هذا اليوم ومعه نساؤه فقدمت له ولنسائه من الذخائر

والذهب النقد ماقيمته عشرون ألف دينار وقدمت له في اليوم الثالث لآلىء نفيسة وجواهر ثمينة وبغلة جليلة بآلات خليفية وقلت هذه من مراكب الخليفة وقدمت لجميع من معه وقلت هذا الدرب صار بحكمك وان تصدقت على أهله بأرواحهم فيكون لك وجه أبيض عندالله وعندالناس فما بقي عندهم سوى أرواحهم فقال قد عرفت ذلك من أول يوم وهبتهم أرواحهم وما حدثتني نفسي بقتلهم ولا سلبهم لكن أنت تجهز معي إلى حضرة الامير فقد ذكرتك وقدمت له شيئا من المستظرفات التي قدمتها الي فأعجبته ورسم بحضورك فخفت على نفسي وعلى أهل الدرب وقلت هذا يخرجني الى خارج بغداد ويقتلني وينهب الدرب فظهر على الخوف وقلت ياخوند هلا كوملك كبير وأنا رجل حقير مغن أخشى منه ومن هيبته فقال لاتخف مايصيبك الا الخير فانه رجل يحب أهل الفضائل فقلت في ضمانك أنه لا يصيبني مكروه قال نعم فقلت لاهل الدرب ماعندكم من النفائس فأتوني بكل ماتقدرون عليـه فاخذت معي من المغنيات الجليلة ومن النقد الكثير من الذهب والفضة وهيأت مأكل كثيرة طيبة وشرابا كثيرا عتيقا فائقا وأواني فاخرة كلها من الفضة المنقوشة بالذهب وأخذت معي ثلاث جوار مغنيات من أجل من كان عندي وأنفسهن للضرب ولبست بدلة من القماش الخليفي وركبت بغلة جليلة كنت أركبها إذا رحت الى الخليفة فلما رآني نانو نوين قد

(وقال في امام) جاء يسعى الى الصلاة بوجه * يخجل البدر في ليالي السعود
فتمنيت أن وجهي أرض * حين يومي بوجهه للسجود

(ابن الرومي في عروضي وأجاد) بي عروضي مليح * موتتي فيـه حيـاة
عاذلاني في هواه * فاعـلات فاعـلات

(في مؤذن مليح) ومؤذن أضحى كريما وجهه * لكنه بالوصل أي شحيح
أبدا أموت بهجره لكنني * من بعد ذاك أعيش بالتسبيح

(لابن عربي) وبنفسي مؤذن قد سباني * لم يفدني شكوى الغرام اليه
كيف أصغي لما يقول حبيب * واضع أصبعيه في أذنيه

﴿ وقال آخر في مريد ﴾

مراد قلبي مريد * مخبأ في الزوايا * وليس ذا بعجيب * ففي الزوايا خبايا

(وفي فقير مليح) بي فقير يتغني * بسنا وجه منير * لا تلمني في افتضاحي * فغرامي بالفقير

(في أمير شكار لابن دانيال) بي من امير شكار * وجد يذيب الجوارح
لما حكى الظبي حسنا * حنت اليه الجوارح

(في مليح مغن) أضحى يخر لوجهه قمر الدجا * وغدا يلين لحسنه الجلمود
فاذا بدا فكأنما هو يوسف * واذا شدا فكأنه داود

(في مليح عواد) غنى على العود ظبي سهم ناظره * أمسى به قلبي المضنى على خطر
دنا الى وجست كفه وترا * فراحت الروح بين السهم والوتر

(في مليح كاتب) بروحي كاتبا كالبدر حسنا * بديعا مارأينا منه أجمل
على ريحان عارضه المفـدى * بوجنته غدا دمعي مسلسل

(غيره) ووراقنا المفدى * فيه تزايد عشقي * فلو يجود بوصل * لكان مالك رقي

(وفيه أيضا) يا حسن وراق أرى خده * قد راق في التقبيل عندي ورق
تميل في الدكان أعطافه * ما أحسن الأغصان بين الورق

﴿ للسيد الشريف صلاح الدين الاسيوطي فيه أيضا ﴾

فديتك أيها الوراق قلبي * لمطلك بالوصال يكاد يبلى
وقد طلب الوفاء وغـير بدع * محب يسأل الوراق وصلا

(في مليح صيرفي)

يا سائلا عن حالي ما حال من * أمسى بعيد الدار فاقد الفه
بي صيرفي لايرق لحـالتي * قدمت من جور الزمان وصرفه

(في مليح بخاتي)

تسلطن في المـلاح بخاتي * ولا يرضى ببـدر التم نائب
وقد صفت له الأتراك جندا * وأصبح راكبا تحت العصائب

(في مليح فراء)

قلت لفراء فرى أديمي * وزاد صـدا وطال هجرا

بهذه الحالة قال لى أنت وزير قلت لا أنا مغنى الخليفة ونديمه ولكن لما خفته منك لبست القماش الوسخ ولما سرت من رعيتك أظهرت نعمتى وأمنت وهذا الملك هلاكو ملك عظيم وهو أعظم من الخليفة فما ينبغى أن أدخل عليه إلا بالحشمة والوقار فأعجبه منى هذا وخرجت معه الى مخيم هلاكو فدخل عليه وأدخلنى معه وقال لهلاكو هذا الرجل الذى ذكرته لك وأشار الى فلما وقعت عين هلاكو على قبلت الارض وجلست على ركبتى كما هو من عادة التتار فقال نانوين هذا كان مغنى الخليفة وقد فعل معى كذا وكذا وقد أتاك بهدية فقال قد قبلتها فقبلت الارض مرة ثانية ودعوت له وقدمت له ولخواصه الهدايا التى كانت معى فكلما قدمت شيئا منها يفرقه ثم فعل بالمأكول كذلك ثم قال لى أنت مغنى الخليفة فقلت نعم فقال أى شىء أجود ما تعرف قلت أحسن أن أغنى غناء إذا سمعه الانسان ينام فقال غن لى الساعة حتى أنام فندمت وقلت ان غنيت له ولم ينم قال هذا كذاب وربما قتلنى ولا بد من الخلاص منها بحيلة فقلت ياخوند الطرب بأوتار العود لا يطيب الا بشرب الخمر ولا بأس بأن يشرب الأمير قدحين أو ثلاثة حتى يقع الطرب فى موقعه فقال أنا مالى فى الخمر رغبة لأنه يشغلنى عن مصالح ملكى ولقد أعجبنى من نبيكم تحريمه ثم شرب ثلاثة أقداح كبار فلما احمر وجهه أخذت عوداً وغنيته وكان معى مغنية اسمها ضياء لم يكن فى بغداد أحسن منها صورة ولا

قد فر نومى وفر صبرى * فقال لما عشقت فرا

(سيدى أبو الفضل بن أبى الوفاء فى مزين)

حيى المزين وافى * بعد البعاد بنشطه * ومص دمل قلبى * بكأس راح وبطه

(فى مليح قصاص)

أشكو إلى الله قصاصا يجرعنى * بالهجر والصد أنواعا من الغصص

ان تحسن القص يمناه فقلت له * أيضا تقص علينا أحسن القصص

(فى مليح صياد)

ومولع بفخاخ * يمدها وشراك * قالت له العين ماذا * تصيد قال كراك

(فى مليح رامى بندق)

وأهيف القد ذى دلال * طائر قلبى عليه واجب

كالشمس فى كفه هلال * يرمى الى البدر بالكواكب

(وقال آخر فى راع)

أفديه من راع كبدر الدجى * قوامه فاق الغصون الرشاق

ضيفنى بالجدى ناديته * ما القصد يامولاى الا العناق

(القيراطى فى مليح طحان)

حسن طحان سبانى * بلحاظ وبقامه * خاف من واش فأضحى * يجعل الغمز علامه

(القاضى بدر الدين البلقينى فى تراب)

رب تراب مليح * أورث القلب عذابا قلت لما أن بدالى * ليتنى كنت ترابا

(وقال آخر فى مليح عوام)

ياحسن عوام كغصن النقا * يبخل بالوصل لمن هاما

وتقنع العشاق منه بأن * يريهم الأرداف إن عاما

(ابن نباتة فى مليح حبشى)

بروحى مشروطا على الخد أسمرا * دنا ووفى بعد التجنب والسخط

وقال على اللثم اشترطنا فلا ترد * فقبلته ألفاً على ذلك الشرط

(وله أيضا) ومن عجب تدعى للطفك سنبلا * ونشرك كافور وذكرك عنبر

وسعدك اقبال وحسنك مرشد * وخلقك ريحان ولفظك جوهر

(وقال آخر فيمن به صفرة)

قالوا به صفرة شانت محاسنه * فقلت ماذاك من عيب به نزلا

عيناه مطلوبة فى ثأر من قتلت * فلست تلقاه إلا خائفا وجلا

(للشيخ شهاب الدين بن حجر فى مليح اسمه زائد)

وزائر قال قلبى * للطرف ياطرف شاهد مدحته فتجنى * تيها على بزائد

(وقال آخر فى مليح أرمد)

شكا رمداً فقلت الآن كلت * لواحظه من الفتكات فينا

أطيب منها صوتا فأصلحت أنغام العود وضربت ضربا جالبة للنوم مع زمر رخيم الصوت وغنيت فلم أتم النوبة حتى رأيته قد نعس فقطعت الغناء بغتة وقويت ضرب الاوتار فانتبه فقبلت الارض وقلت نام الملك فقال صدقت تمن على فقلت أتمنى على الملك أن يطلق لي على السمكية قال وأي شيء هي السمكية قلت بستان للخليفة فتبسم وقال لأصحابه هذا مسكين مغن قصير الهمة وقال للترجمان قل له لم لا تمنيت قلعة أو مدينة أي شيء هذا البستان فقبلت الارض وقلت ياملك العالم هذا البستان يكفيني وأنا مايجيء مني صاحب قلعة ولا صاحب مدينة فرسم لي بالبستان وبجميع ما كان لي من الراتب في أيام الخليفة وزاد لي علوفة تشمل على خبز ولحم وعليق دواب تساوي دينارين وكتب بذلك فرمانا مكمل العلائم وخرجت من بين يديه وأخذ لي نانونوين أميرا بخمسين فارسا ومعهم علم أسود هو كان علم هلاكو الخاص به برسم حماية داري فجلس الامير على باب الدرب ونصب العلم الاسود على أعلى باب الدرب فبقي الامر كذلك الى أن رحل هلاكو عن بغداد قال الاربلي فقلت له كم نابك من المغارم في الثانية قال أكثر من ستين ألف دينار وذهب أكثرها ممن كان انزوى الى دربي ذوي اليسار والباقي من نعم موفره كانت عندي من صدقات الخليفة فسألته عن المرتب والبستان فقال البستان أخذه مني أولاد الخليفة وقالوا هذا ارث من أبينا والعلوفة قطعها عني الصاحب شمس الدين الجويني وعوضني عنها وعن البستان في السنة مائة

فصل

وقالوا سيف مقلته قصدي * فقلت نعم اقتل العاشقينا

(لمجد الدين بن مكانس فيه)

تورمت مقلة المحبوب من رمد * وبات يشكو لهيب القلب والألما
وبات يرمي محبيه بأسهمه * فياله من حبيب قد شكا ورما

(لابن أبي حجلة في أعور)

ماشان من أهواه عين أصبحت * مقلوعة بمحاسن متزايده
لولا استخف العالمين بأسرهم * ما ظل ينظرهم بعين واحده

(وقال آخر في مليح راهب)

رأيته يضرب الناقوس قلت له * من علم البدر ضربا بالنواقيس
وقلت للنفس أي الضرب يؤلمك * ضرب النواقيس أم ضرب النوى قيسي

(القيراطي في مليح اسمه بدر)

سموه بدرا وذاك لما * أن فاق في حسنه وتما وأجمع الناس اذ رأوه * بأنه اسم على مسمى

(وآخر في مليح اسمه حمزة) متى يبدو لحمزة ما بقلبي * ويرثي لي وينظر في بلائي
وأشفي بالمبرد من لماه * وأجمع بين حمزة والكسائي

(وقال آخر) كلفت به ولم أبلغ مرادي * غزال قد تحكم في قيادي
فتصحيف اسمه في وجنتيه * وفي معسول فيه وفي فؤادي

(في مليح سروجي) فتنت به سروجيا بديعا * به قد ذبت وجدا من ضجيجي
إذا جذب الغرام له عناني * يلذ لي الركوب على السروج

(وقال آخر في مليح محموم) قالوا حبيبك محموم فقلت لهم * أنا الذي كنت في حمائه السببا
عانقته ولهيب النار في كبدي * فأثرت فيه تلك النار فالتهبا

(لابي نواس في مليح ألثغ) ومهفهف دنف الصبا ذي لثغة * تصبو اليه ذوي العقول الرجح
قبلت فاه فقال لي متخوفا * من كاشح متدللا بالثا اثتحي

(وقال في مليح خباز) ان خبازنا المليح المفدى * في حشا الصب من جفاه كلوم
خلت دكانه البديع سماء * وهو بدر والخبز فيه نجوم

(وقال في مليح حائك) وحائك ياصاح أبصرته * كالبدر في كفيه ماسوره
فلم أرح الا وروحي لما * عاينت في كفيه ماسوره

(وقال في مليح لاعب شطرنج)

لعبت بالشطرنج مع أهيف * رشاقة الاغصان من قده
أحل عقد البند من خصره * وألثم الشامات من خده

(وفيه أيضا قال) تلاعبت بالشطرنج مع من أحبه * فنادمني حتى سكرت من الوجد
وأنشدني مالي أراك مفكرا * تدور على الشامات وهي على الخد

(في مليح خياط) خياطنا الفاتن المفدى * بديع حسن فريد شكل

ألف درهم (وقال) كان بمدينة السلام مغن يعرف بالغيور وكان عنده من الجوارى عدد كثير ذوات حسن وكان خبره فاشيا يقصده المتصون وغيره فبلغ رجلا من الكتاب المشهورين خبره فتشوقت نفسه إلى قصده ثم تجنبته لما شهر به فحمل نفسه على أن جعل بينه و بين الرجل حالا بأن دعاه و بره ووصله وكان قصد الناس منزله آثر عندهم من دعاء من يدعونه من جواريه لما يجتمع لهم فيه قال الكاتب فكان يسألنى المصير اليه وأقشعر لشناعة لقبه إلى أن لقينى بالقرب من منزله فحلف على أن لا أفارقه فكان ذلك صادف منى موافقة فمضيت معه فرأيت أحسن منزل وآلة فلما استقر بنا الجلوس قال لغلمانى إذا كان فى غد بكروا فجيئوا بالدواب فاستوحشت وقلت بلى يقيم بعضهم عندى و يعود الباقون ليلا للانصراف إلى منزلى فأبى وحلف فاتبعت ماأراد فأحضر أحسن طعام وألطفه وأكلنا وأتى بأنواع الأشربة والفواكه والرياحين وأخذنا فى أمرنا وخرجت وجوه كالشموس وكنت عند دخولى إلى الدار قد رأيت على بعض الأبواب طبلا معلقا فظننته لبعض الجوارى فلم أسأل عنه فلما صرنا

فصل للجسم ثوب سقم * لما جفانى وكف وصلى

(وقال غيره) فتنت بخياط بديع ملاحة * له طلعة أبهى ضياء من الشمس
تراه على الكرسى للثوب خائطا * فتقسم حقا انه آية الكرسى

(الصفى الحلى فى مليح قلع ضرسه) لحا الله الطبيب لقد تعدى * وجاء اقلع ضرسك بالمحال
أعاق الظبى فى كلتا يديه * وسلط كلبتين على غزال

(وقال فى مليح سلم عليه)

تنبا فيك قلبى فاستزابت * به قوم وعمهم الضلال * وصدهم الهوى أن يؤمنوا بى
وقالوا ان معجزة محال * ومذ سلمت سلمت البرايا * إلى وقيل كلمه الغزال

(وقال فى مليح يرمى بالسهام) وظبى بشعر فوق طرف مفوق * بقوس رمى فى النقع وحشا بأسهم
كبدر بافق فوق برق بكفه * هلال رمى فى الليل جنا بأنجم

(وقال فى مليح يضرب بالعود) فتن الانام بعوده و بشدوه * شاد تجمعت المحاسن فيه
حتى كأن لسانه بيمينه * وكأن ما بيمينه فى فيه

(وقال أيضا فيه) وأغن قدابدى لنا من عوده * نغما أصح به القلوب وأمرضا
بيد إذا سخطت على أوتاره * نال الرفاق بسخطها عين الرضا

(وقال فى مليح مشبب) يانافخ الصور بل يا باعث الصور * من رقدة السكر لا من رقدة الحفر
قرنت حسنك بالاحسان فيه لنا * فكان فيك مراد السمع والبصر
ضمنت للصحب اقبال السرور كما * ضمنت نايك نأى الهم والفكر
صوت بسيط به أرواحنا انبسطت * إذ جئت فى اللفظ والمعنى على قدر

(وقال فى مليح ساق) وساق من بنى الاتراك طفل * أتيه به على جمع الرفاق
أملكه قيادى وهو رقى * وأفديه بعينى وهو ساقى

﴿وقال أيضا فى رسول مليح أتاه من عند من يحبه﴾

من كنت أنت رسوله * كان الجواب قبوله * يا طلعة الشمس الذى
جاء الصباح دليله * لم يبد وجهك قبلة * الا ارتقبت وصوله
فلذاك أف واجهتى * بل الفؤاد غليله

(فى مليح قارىء) نفسى الفداء لشادن شاهدته * يوم الزيارة قارئا فى المصحف
فتن الانام ببهجة و بلهجة * تسبى وتضنى كل صب مدنف
فتلا مليا جل سورة يوسف * وجلا محيا مثل صورة يوسف

(وقال آخر فى مليح مكتمل العذار) وكامل العارض قبلته * فصدنى وازور من قبلتى
وقال كم أنهاك عن مثل ذا * وأنت ماتفكر فى لحيتى

(وقال آخر فى مليح حجام) كلفت بحجام تحكم طرفه * فغدا على سفك الدماء يواطى
أضحى كثير الاشتطاط ولم تكن * منه اللحاظ كليلة المشراط

﴿فصل فى الالغاز﴾

(فى غزال) اسم من قد هويته * ظاهر فى صروفه فاذا زال ربعه * زال باقى حروفه

على حالنا وأخذ النبيذ منا أحضر عمودا فجعله بين يديه فأوحشنى جدا وقلت رجل غيور كما لقب وجوار حسان ونبيذ شديد ولست آمن أن أعبث بهن فيضربنى بالعمود قال أخبرك ياأخى أنى رجل غيور كما قد بلغك ويحضر منزلى

قوم معهم سوء أدب فما هو الا أن تغنى الجارية حتى أرى الواحد منهم قد لاحظها وضحك فى وجهها وضحكت فى وجهه فأقول أقوم بهذا العمود فانما هي ضربة له وضربة لها فاقتلهما وأستريح الا أنى على ماترى رحل معى تأن شديد فأقول شرب الرجل فسر وضحك ولعله بعد يعرفها وتعرفه فضحكت اليه وضحك اليها قال فلما ذكر هذا الحديث طابت نفسى وأصغيت الى حديثه فقلت ثم ماذا قال ثم ان الامر يزيد حتى أراه قد دنا فسارها وسارته فتقوم على القيامة وأقول ضحك اليها وضحكت اليه للمعرفة فما وضع السر ثم أهم بالعمود والتأنى الذى فى يقول لعله طالبها بصوت تغنيه فامسك فلا يطول الامر بينهما حتى أراه قد أدخل يده فى ثوبها فقرصها وعبث بثديها فتداخلنى الغيرة وأقول ما بعد هذا شىء وأهم بضربهما بالعمود لكن على ماترى عندى تأن فأقول بعد لم يبلغ الامر بهما الى القتل وهى أوائل وسيكون لها أواخر فان أتى بما يوجب القتل قتلتهما فاسترحت فامسك فيطول الأمر حتى أرى الواحدة قد قامت وقام الرجل فى أثرها فيدخلان ذلك البيت وبابه وثيق جدا فاسعى خلفهما بهذا العمود لاقتلهما البتة فيسبقانى فيغلقان الباب وأبقى أنا خارجه وأنا غيور كما قد علمت فأقول متى علمت حركتهما مت أو قتلت نفسى فلا يكون والله يا أخى لى اعتصام الا بذلك الطبل المعلق فاتناوله وأضعه فى عنقى فلا أزال أضرب أبدا حتى يخرجا قال فقمت

(فى كوز فقاع) ومحبوس بلا ذنب جناه * له فى السجن ثوب من رصاص
اذا أطلقته وثب ارتفاعا * يقبل فاك من فرح الخلاص

(فى زر موزة) مطية فارسها راجل * تحمله وهو لها حامل
واقفة بالباب مزبولة * لاتشرب الدهر ولا تاكل

(وقال فى طاحون) ومسرعة فى سيرها طول دهرها * تراها مدى الايام تمشى ولا تتعب
وفى سيرها ماتقطع الاكل ساعة * وتأكل مع طول المدى وهى لاتشرب
وماقطعت فى السير خمسة أذرع * ولاثلث ثمن من ذراع ولاأقرب

(فى دواة) ومرضعة أولادها بعد ذبحهم * لها لبن مالذ قط لشارب
وفى بطنها السكين والثدى رأسها * وأولادها مدخورة للنوائب

(فى دواة أيضا) ومأم يجامعها بنوها * وليس عليهم تجب الحدود
كأنهم اذا ولجوا حشاها * أفاعى فى أماكنها رقود

(فى قلم) وأهيف مذبوح على صدر غيره * يترجم عن ذى منطق وهو أبكم
تراه قصيرا كلما طال عمره * ويضحى بليغا وهو لا يتكلم

(وفيه أيضا) بصير بما يوحى اليه وماله * لسان ولاقلب ولاهو سامع
كأن ضمير القلب باح بسره * اليه اذا ماحركته الاصابع

(وفيه أيضا) وأصفر عار أنحل السقم جسمه * يشتت شمل الخطب وهو جموع
حمى الجيش مفطوما كما كان تحتمى * به الاسد فى الغابات وهو رضيع

(وفيه أيضا) وذى نحول راكع ساجد * أعمى بصير دمعه جارى
ملازم الخمس لأوقاتها * مجتهد فى طاعة البارى

(فى مرملة) معشوقة لذوات العز قد صنعت * حزينة ماتراها قط تبتسم
كأنها من صروف الدهر خائفة * تبكى دماء على ماسطر القلم

(فى كتاب) وذى أوجه لكنه غير بائح * بسر وذو الوجهين للسر يظهر
تناجيك بالاسرار أسرار وجهه * فتسمعها بالعين مادمت تبصر

﴿ فى سلطان حسن لابن أبى حجلة ﴾

ما اسم محبب للقلوب لانه * حسن الحروف يجود بالاحسان * تصحيفة أمسى حبيبا كلما
صحفت أحرفه بحسن بيان * لو جادلى يوما برؤية وجهه * نلت المراد وعشت بالسلطان

(فى شبابة) وما صفراء شاحبة ولكن * تزينها النضارة والشباب
مكتبة وليس لها بنان * منقبة وليس لها نقاب * تصيح لها إذا قبلت فاها
أحاديث تلذ وتستطاب * ويحلو المدح والتشبيب فيها * وليست لاسعاد ولا الرباب

(وفيها أيضا) ومقروحة الاجفان مثلى شجية * تناءت عن الاهلين أسقمها البعد
تزوجها عشر وذاك محرم * ولاحرج كلا ولاوجب الحد
اذا ماوطئها القوم تصرخ صرخة * يلين اليها القلب لو أنه صلد

(وفيها أيضا) منقبة مهما خلت مع محبها * يزودها لثما وينظرها شزرا

وتصحيفها

والله وأنا أرى أوفى منه قولا وفعلا (قال صلاح الدين الصفدي في الجزء الخامس والثلاثين من التذكرة ومن خطه نقلت) حجت جميلة الموصلية بنت ناصر الدولة أبي محمد بن حمدان أخت **(٢٠٥)** أبي ثعلب سنة ست وثمانين وثلثمائة فسقت أهل الموسم كلهم السويق بالطبرزذ والثلج واستصحبت البقول المزروعة في المراكب وعلى الجمال وأعدت خمسمائة راحلة للمنقطعين ونثرت على الكعبة عشرة آلاف دينار ولم تستصبح عندها وفيها الا بشموع العنبر وأعتقت ثلثمائة عبد ومائتي جارية وأغنت الفقراء والمجاورين * وحج عبد الله بن جعفر ومعه ثلاثون راحلة وهو يمشي على رجليه حتى وقف بعرفات فأعتق ثلاثين مملوكا وحملهم على ثلاثين راحلة وأمر لهم بثلاثين ألفا وقال أعتقهم لله تعالى لعل الله أن يعتقني من النار (وكان حكيم بن حزام رضي الله عنه يقيم عشية عرفة مائة بدنة ومائة رقبة فيعتق الرقاب عشية عرفة وينحر البدن يوم النحر وكان يطوف بالبيت ويقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له نعم الرب ونعم الاله أحبه وأخشاه (عمر بن زر الهمداني) لما قضى مناسكه أسند ظهره الى الكعبة الشريفة ثم قال مودعا للبيت ما زلنا نحل لك عروة ونشد أخرى ونصعد أكمة ونهبط واديا وتخفضنا أرض وترفعنا أخرى حتى أتيناك غير محجوب بين فليت شعري بم يكون منصرفنا أبذنب مغفور فأعظم بها من نعمة أم بعمل مردود فأعظم بها من مصيبة فيا من اليه خرجنا واليه قصدنا وبحرمه

وتصحيفها في كف حاملها فقل * اذا شئت في اليمنى وان شئت في اليسرى

(في دملج) الى النساء يلتجي * وعندهن يوجد * الجسم منه فضة * والقلب منه جلمد

(في خلخال) أيا عجبا من صابر صامت ولم * يفه بكلام قط في ساعة الضرب
أقام ولم يبرح مكانا ثوى به * على أنه أضحى يدور على الكعب

(في شعر اللحية) وذي عدد كالرمل سام محله * جميل على كل الملاح له حق
يحاذر من موسى ويرهب باسمه * وفي قلب هرون له الهلك والمحق

(في التين) أي شيء لذ طعما * ناعم اللمس ولين * كيف لا يبدو وضوحا * وهو في التصحيف بين

(في الموز) مااسم لشيء حسن شكله * تلقاه عند الناس موزونا
تراه معدودا فان زدته * واوا ونونا صار موزونا

(في حمزة) من لي بمعتدل القوام مهفهف * أزرى بغصن البان لينة قده
في فيه تصحيف اسمه وبخده * وبقلب عاشقه لشدة صده

(وفيه أيضا) اسم الذي أنا أهواه وأعشقه * وطول دهري أخشى من تجنيه
تصحيفه في فؤادي دائما أبدا * يبدو وفي خده أيضا وفي فيه

(في ساقية) وجارية لولا الحوافر ماجرت * أشاهدها تجري وليس لها رجل
وترضع أطفالا ولا هي أمهم * وليس لها ثدي وليس لها بعل

(وفيها أيضا) وجارية تبكي اذا الليل جنها * بلا ألم فيها ولا ضرب ضارب
عليها رجال شنقوا بعد حرقهم * وما كان شنق القوم الا بواجب

(في زر وعروة) وما أخت يجامعها أخوها * وليس عليهما فيه جناح
ترى بجوازه الحكام طرا * وفي أعناقهم ذاك النكاح

(في راوية) وسوداء تشرب من رأسها * وان شئت تسقيك من فرد يد
ولون لها مثل لون أختها * وثنتاهما واحد في العدد
وتحبل في الوقت هي واختها * وفي ساعة يضعان الولد

(في شطرنج) ياذا النهى مااسم له حالة * يحار فيها الذهن والفكر
له حروف خمسة انما * ثلاثة منها له شطر

(في فيل) أيما اسم تركيبه من ثلاث * وهو ذو أربع تعالى الاله
حيوان والقلب منه نبات * لم يكن عند جوعه يرعاه
فيك تصحيفه ولكن اذا ما * رمت عكسا يكون لي ثلثاه

(في بجع) ماطائر في قلبه * يلوح للناس عجب * منقاره في بطنه * والعين منه في الذنب

(في نار) وما اسم ثلاثي به النفع والضر * له طلعة تغني عن الشمس والقمر
وليس له وجه وليس له قفا * وليس له سمع وليس له بصر * يمد لسانا يختشى الرمح بأسه
ويهزأ يوم الضرب بالصارم الذكر * يموت اذا ما قمت تسقيه عامدا * ويأكل ما يلقى من النبت والشجر
فيا قارئ الابيات دونك شرحها * والا فنم عنها ونبه لها عمر

(وفيها أيضا) وآكلة بغير فم وبطن * لها الاشجار والحيوان قوت

أخذنا ارحم املاق الوفد لغنائك فقد أتيناك بعيسنا معراة جلودها ذابلة أسنمتها نقبة أخفافها وان أعظم الرزية أن نرجع وقد اكتفينا الغيبة اللهم وان للزائرين حقا فاجعل حقنا غفران ذنوبنا فانك جواد ماجد لاينقصك نائل

اذا أطعمتها انتعشت وعاشت * وان أسقيتها ماء تموت

(فى يد الهاون) قل لى فما شىء يرى ناعما * منتصب القامة طول الزمان
أطول من شبر له حزة * مفيشل الرأس قوى الجنان
يسمع فى القعر له رنة * ويظهر الصفق بأعلى مكان

(وفيه أيضاً) خبرونى أى شىء * أوسع مافيه فمه * وابنه فى بطنه
يرفسه ويلكمه * وقد علا صياحه * ولم يجد من يرحمه

(فى خشخاش) وماقبة مبنية فوق شاهق * لها علم يحكى الملاحة بالظرف
وأولادها فى بطنها فى جماعة * يكونون ألفاً أو يزيدون عن ألف
ويأخذها الطفل الصغير بجهله * ويقلبها عسفا على راحة الكف

(فى كوززير) وذى أذن بلا سمع * له قلب بلا أب
اذا استولى على صب * فقل ماشئت فى الصب

(فى اسم على) اسم الذى أعشقه * أوله فى ناظره * ان فاتنى أوله * فان لى فى آخره

(فى موسى للصفدى) وما شىء له حد وخد * يكلم من يلامسه بحلقه
وكل حلقه من تحت راس * وهذا الرأس صارت تحت حلقه

﴿فى حلب لابن الفارض رحمه الله تعالى﴾

مابلدة بالشام قلب اسمها * تصحيفة أخرى بأرض العجم
وثلثه ان زال من قلبه * وجدته طيرا شجى النغم

(وقال فى سمر قند) وما اسم سداسى اذا ما محته * ترى فيه أجزاء تذم وتشكر
له ثلث يأتى به الموت فجأة * وثلث مع الكتاب يطوى وينشر * وثلث رعاك الله ياصاحبى له
على مدد الأيام نشر معطر * وفى نصفه لما تحرك بعضه * حديث شهى فى الليالى يذكر
وفى نصفه الثانى اذا ما أعدته * الى النار للتحليل والعقد سكر
ففسر لنا ذا اللغز ان كنت ذا حجى * فليس على ذى العقل لغز معسر

(وقال فى كمون) ياأيها العطار أعرب لنا * عن اسم شىء قل فى سومك
تراه بالعين فى يقظة * كما ترى بالقلب فى نومك

﴿وقال فى قالب الطوب﴾

وما آكل فى قعدة ألف لقمة * ولقمته اضعاف أضعاف وزنه
اذا نزل المأكول جنبيه لم يقم * سوى لحظة أو لحظتين ببطنه

(فى العين) وباسطة بلا عصب جناحا * وتسبق مايطير ولاتطير
اذا ألقمتها الحجر اطمأنت * وتجزع أن يباشرها الحرير

ويكفى من ذلك ما أشرت اليه وما نبهت من هذا الفن عليه وقد مضى القول من الفنون السبعة على فن الشعر القريض ومافيه من الفنون المتقدم ذكرها (ولنذكر) ان شاء الله تعالى بقية الفنون السبعة على وجه الاختصار والفنون السبعة المذكورة عند الناس هى الشعر القريض والموشح والدوبيت والزجل والمواليات والكان وكان والقوما ومنهم من جعل الحماق من السبعة وفى ذلك اختلاف وعند جميع المحققين أن هذه الفنون السبعة منها ثلاثة معربة أبدا لا يغتفر اللحن فيها وهى الشعر القريض

والموشح

لايخصبك سائل (ونقلت) من خط الشيخ صلاح الدين الصفدى من الجزء الثامن والثلاثين من تذكرته ماصورته نقلت من خط شيخنا الشيخ الامام الحافظ علم الدين البرزلى رحمه الله تعالى ماصورته قرأت فى بعض الكتب الواردة من القاهرة المحروسة أنه لما كان بتاريخ يوم الخميس رابع جمادى الآخرة فى سنة اثنين وسبعمائة ظهرت دابه عجيبة من بحر النيل الى أرض المنوفية صفة لونها لون الجاموس بلا شعر وآذانها كآذان الجمال وعيناها وفرجها مثل الناقة يغطى فرجها ذنب طوله شبر ونصف طرفه كذنب السمكة ورقبتها مثل غلظ التيس المحشو تبنا وفمها وشفاهها مثل الكربال ولها أربعة أنياب اثنان من فوق واثنان من أسفل طولهن دون الشبر وعرض أصبعين وفى فمها ثمانية وأربعون ضرسا وسنا مثل بيادق الشطرنج وطول يدها من باطنها الى الارض شبران ونصف ومن ركبتها الى حافرها مثل بطن الثعبان أصفر مجعد ودور حافرها مثل السكرجة بأربعة أظافير مثل أظافير الجمل وعرض ظاهرها مقدار ذراعين ونصف وطولها من فمها الى ذنبها خمسة عشر قدما وفى بطنها ثلاث كروش ولحمها أحمر وزفرته مثل السمك وطعمه

والموشح والدو بيت ومنها ثلاثة ملحونة أبدا وهى الزجل والكان وكان والقوما ومنها واحد وهو البرزخ بينهما يحتمل الاعراب واللحن وهو المواليا وقيل لا يكون البيت منه بعض ألفاظه معربة و بعضها ملحونة فان هذا من أقبح العيوب التي لا تجوز وانما يكون المعرب منه نوعا بمفرده ويكون الملحون فيه ملحونا لا يدخله الاعراب وقد أوضح قاعدة الجميع وأمثلتها صفى الدين أبو المحاسن الحلى فى ديوانه وسماه بالعاطل الحالى والمرخص الغالى ولو بسطت المقال لا تسع المجال وكثر القال ولكن الاختصار يذهب الأوجال والحمد لله رب العالمين على كل حال

﴿ فصل فى بيان الفن الثانى وهو الموشح ﴾

(لابن المبارك) قد أنحل الجسم أسمر أكحل * وأوحل القلب فيه مدخل

(دور) أميل له فلا يميل * يحول وعنه لا أحول * أقول اذا زاد بى النحول

أما حل عقد الصدود ينحل * ويرحل عن نجم المزحل

(دور) كم أبعدوكم أبيت مكمد * ويعمد بهجره لافقد * وأجهد لارتصاد من قد

تحمل والحاسدون رحل * تمحل والوعد منه ماحل

(دور) متوج بالحسن هذا الأبلج * مدبج عذاره البنفسج * مفلج وطرفه ذا الأدعج

مكحل وثغره منحل * مخلخل بعنبر معجل

(دور) برغمى من يستحل ظلمى * و يرمى بحربه لسلمى * وجسمى من التزام سقمى

منحل وقد غدا مرحل * فمن حل سفك دمى وما حل

(دور) قلانى واشتط ذا الفلانى * غزانى بطرفه اليمانى * ترانى أنشد لمن يرانى

قد انحل الجسم أسمر أكحل * وأوحل القلب فيه مدخل

(لابن سناء الملك) كللى ياسحب تيجان الربا بالحلى * واجعلى سوارك المنعطف الجدول

(دور) ياسما فيك وفى الارض نجوم وما * كلما أخفيت نجما أظهرت أنجما

وهى ما تهطل الا بالطلى والدما

فاهطلى على قطوف الكرم كى تمتلى * وانقلى للدن طعم الشهد والقرنفل

(دور) تنعقد كالكوكب الدرى للرتصد * يعتقد فيها المجوسى بما يعتقد

فانتقد يا ساقى الراح بها واعتمد

وامل لى حتى ترانى عنك فى معزل * قل لى فالراح كالعشق ان يزد يقتل

(دور) لا أليم فى شرب صهبا وفى عشق ريم * فالنعيم عيش جديد ومدام قديم

لا أهيم الا بهذين فقم يانديم

واجل لى من أكؤس صيرت من فوفل * ألذ لى من نكهة العنبر والمندل

(دور) خذهى واعطنى كاسى مثل كاسك هنى * واسقنى على رضاب الفطن الملسن

والهنى ببعض ماصيغ من الألسن

لو تلى مدح سناه مع رشا أكحل * لذلى على سنا الصهباء والسلسل

(دور) أزهرت ليلتنا بالوصل مذ أسفرت * أصدرت بزورة المحبوب اذ بشرت

كعظم الجمل وغلظ جلدها أربعة أصابع ماتعمل فيه السيوف وحمل جلدها على خمسة جمال فى مقدار ساعة من ثقله على جمل بعد جمل وأحضروه الى القلعة المعمورة بحضرة السلطان وحشوه تبنا وأقاموه بين يديه (ونقلت منه أيضا) كتب الى زين الدين الرحبى انه وجد بالقاهرة بالقرب من المشهد كلبة ميتة ولها جروان يرضعان مقدار عشرين يوما بعد موتها و يلعبان حولها واللبن يخرج من أبزازها من الجانب الأعلى وأما الجانب الأسفل فانه يبس وكان الناس يمرون بها و يتعجبون فسبحان من لا يعجزه شيء وهو على كل شيء قدير (وذكر الشيخ فى حوادث سنة ٧٢٦) قال قال شيخنا علم الدين رحمه الله تعالى نقلت من خط الصدر بدر الدين الفرازى قال فى السابع من ذى الحجة سنة (٧٢١) أخبرنى شخص أن كلبة ولدت بالقاهرة ثلاثين جروا وأنها أحضرت بين يدى السلطان فلما رآها أعجب من أمرها وسأل المنجمين عن ذلك فاعترفوا أنهم ليس لهم علم بذلك (يحكى) ان المهدى خرج يتصيد فلقيه الحسين بن مطير الأسدى فأنشده

أضحت يمينك من جود مصورة * لابل يمينك منها صورة الجود

من حسن وجهك تضحى الارض مشرقة * ومن بنانك يجرى الماء فى العود

فقال المهدى كذبت يافاسق وهل تركت فى شعرك موضعا لاحد مع قولك فى معن بن زائدة

ألما بمعن ثم قولا لقبره

أخرت فقلت للظلماء مذ قصرت

طولى ياليلة الوصل ولا تبخلى * واسبلى سترك فالمحبوب فى منزلى

(دور) من ظلم فى دولة الحسن اذا ما حكم * فالألم يجول فى باطنه والندم
والقلم يكتب فيه عن لسان الامم

من ولى فى دولة الحسن ولم يعدل * يعزى لالحاظ الرشا الأكحل

(وله أيضا) ترى هل يشتفى منك الغليل * و يشفى من صبابته العليل

(دور) لقد أسرفت فى هجرى وصدى * بلا سبب سوى كلفى ووجدى
وماذا فى سلو عنك يجدى

خضاب الوجد ليس له نصول * وأسياف الهوى فينا تصول

(دور) لئن شحيت عنى بالسلام * وطيفك قد جفا لجفا المنام * فقد جادت بأربعة سجام
جفون بالبكا كادت تحول * على خد أسف به النحول

(دور) لقد أرسلت فى طى النسيم * حديث هوى عن الوجد القديم * فعادت وهى عاطرة الشميم
تخبر أن ظعنهم نزول * بدار لايلم لها نزيل

(دور) تلقته الموالى والموالى * بألحاظ وزرق من نصال * وأعطاف وسمر من عوالى
فكم بطل هناك وكم قتيل * بسيف من لواحظه قتيل

(وله أيضا) . شمس المحيا أم القمر * أم بارق الثغر يابشر أم البها حفه الخفر * بطرز خديك مستطر
(سلسلة) قم تباها بما تباها ولا تلاها

(قفلة) فكل أحبابنا حضروا * والعود يشجيك والوتر

(الدور) أفديك بالسمع والبصر * ياأهيف وصله وطرى
بدر بدا فى دجى الشعر * قد لذ فى حبه سهرى

(سلسلة) اذا تجلى وقد تحلى عليك يحلى

(قفلة) تحير فى وصفه الفكر * والعقل والسمع والنظر

(الدور) فهاك حدث عن الطرب * وعن سلاف ابنة العنب
اذا سقاها مع الضرب * بدر بأفق الجمال ربى

(سلسلة) فى ظل بان على المثانى من غير ثانى

(قفلة) الا الندامى اذا سكروا * والروض والماء والشجر

﴿ وقال رحمه الله تعالى ﴾

وانسيم السحر هل لك خبر * عن عريب هم بالمنحنى * فارقونى ولم أقض الوطر
من لقاهم ولا نلت المنى * قلت ياقلب صبرا ماصبر * والنبى ماالهوى الاعنا
ما كتمت الهوى الا ظهر * من شهود المدامع والضنى

(دور) ليش تمنع وصالك ياحبيب * عن محبك ولا يعشق سواك
راقب الله وارجع من قريب * قبل يبلى جسمه فى هواك * لست ألقى لدائى من طبيب
غير رشف حبيبى من لماك * لو رأى حالى العاذل عذر * حينما ينظر جمالك والسنا

(دور)

سقتك الغوادى مربعاثم مربعا فياقبر معن كنت أول حفرة * من الارض خطت للمكارم مضجعا ويا قبر معن كيف واريت جوده * وقد كان منه البر والبحر مترعا ولكن حويت الجود والجود ميت ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا
وما كان الا الجود صورة وجهه
فعاش ربيعا ثم ولى فودعا
فلما مضى معن مضى الجود والندى
وأصبح عرنين المكارم أجدعا
فأطرق الحسين وقال يا أمير المؤمنين وهل معنى الاحسنة من حسناتك فرضى عنه وأمر له بألفى دينار (قال سعيد بن مسلم) لما ولى المنصور معن بن زائدة أذربيجان قصده قوم من أهل الكوفة فلما صاروا ببابه استأذنوا عليه فدخل الآذن فقال أصلح الله الامير وفد من أهل العراق قال من أى أهل العراق قال من الكوفة قال ائذن لهم فدخلوا عليه فنظر اليهم معن فى هيئة مزرية ووثب على أريكته وأنشد يقول
اذا نوبة نابت صديقك فاغتنم
ترقبها فالدهر بالناس قلب
فاحسن ثوبيك الذى هو لابس
وأفره مهريك الذى هو راكب
وبادر بمعروف اذا كنت قادرا
زوال اقتدار فهو عنك يعقب
قال فوثب اليه رجل من القوم فقال أصلح الله الأمير ألا أنشدك أحسن من هذا قال لمن قال لابن عمك هرمة قال هات

فأنشد يقول   وللنفس تارات تحل بها العرى   وتسخو عن المال النفوس الشحائح   إذا المرء لم ينفعك حيا فنفعه
أقل إذا ضمت عليك الصفائح   لأية حال يمنع المرء ماله   (٢٠٩)   غدا فغدا والموت غاد ورائح

(دور) ياقمرفوق غصن من نقا * أتخذتنا مطالك والصدود * يارعى الله لو يلات اللقا
ليتها ياخل يوما لي تعود * ليلة السعد مافيها شقا * كيف تشقى وطالعها سعود
صفوها لايمازجه كدر * بالمسرات وأوقات الهنا

(غيره) حملت مذ سارت الحمول * وجدا مضى العمر وهو باق

(دور) ساروا وسار الفؤاد لكن * جسمي مقيم على المساكن * وعني الحب صار ظاعن
مالي الى وصله وصول * لوسرت بالبرق والبراق

(دور) وغادت كالقضيب قدا * والورد والياسمين خدا * كأنها البدر إذ تبدى
وشعرها أسود طويل * كأنه ليلة الفراق

(دور) هونا أتتنا تميل ميلا * سحابة كالسحاب ذيلا * فقلت شمس تزور ليلا
وما درى كاشح عذول * فذاك من أعجب اتفاق

(دور) وسدتها ساعدي لسعدي * وبت أرعى رياض وردي * وخمر ريق كذوب شهد
لو ذاقها مدنف عليل * لعاش والروح في التراقي

(دور) لما رأتني أذوب سقما * ومن ورد الرضاب أظما * قالت كمت الخدود لثما
ما يشتفي منك ذا الغليل * بغير نومي وشيل ساقي

﴿ فصل في الفن الثالث وهو الدو بيت ﴾

﴿ لسيدي شرف الدين بن الفارض رحمه الله تعالى ﴾

أهوى قمرا له المعاني رق * من صبح جبينه أضاء الشرق
تدري بالله ما يقول البرق * ما بين ثناياه وبيني فرق

(وقال أيضا) أهوى رشا كل الاسى لي بعثا * مذ عاينته تصبري ما لبثا
ناديت وقد فكرت في خلقته * سبحانك ما خلقت هذا عبثا

(وقال أيضا) عرج بطويلع فلي ثم هوى * واذكر خبر الغرام واسنده الى
واقصص قصصي عليهم وابك على * قل مات ولم يحظ من الوصل بشي

(وقال أيضا) روحي لك يازائرا في الليل فدا * يا مؤنس وحدتي إذا الليل هدا
ان كان فراقنا مع الصبح بدا * لا أسفر بعد ذاك صبح أبدا

(وقال آخر) ياشمس ضحى جبينه وضاح * ساعات وصالك كلها أفراح
عشاقك لو فعلت ما شئت بهم * ماتوا كمدا وبالهوى ماباحوا

(وقال آخر) أهواه مهفهفا ثقيل الردف * كالبدر يجل حسنه عن وصف
ما أحسن واو صدغه حين بدت * يارب عسى تكون واو العطف

(وقال التلعفري) قلبي ذهبت لبعدكم راحته * ما الصبر على بعادكم عادته
بالتم فرني لما به شامته * لا كان فراقكم ولا ساعته

(وقال المنشد) احسانك طول الدهر لا أنساه * لا اذكر بعد خالقي إلا هو
ان أبعدك الزمان عني حسدا * مولاي خليفتي عليك الله

(وقال آخر) ان جئت ربا الحمى ولاحت نجد * فاذكر ولهي وماجناه البعد

فقال معن أحسنت والله وان كان الشعر لغيرك ياغلام اعطهم أربعة آلاف يستعينون بها على أمورهم الى أن يتهيأ لنا فيهم ماتريد فقال الغلام أجعلها دنانير أم دراهم فقال معن والله لا تكون همتك أرفع من همتي (مدح) مطيع ابن اياس معن بن زائدة فقال له معن ان شئت مدحتك وان شئت أثبتك فاستحيى من اختيار الثواب وكره اختيار المدح فقال

ثناء من أمير خير كسب * لصاحب مغنم وأخي ثراء
ولكن الزمان برى عظامي * وما مثل الدراهم من دواء

فأمر له بألف دينار (ولما) قدم معن بن زائدة أتاه الناس فأتاه ابن أبي جحفة فاذا المجلس غاص بأهله فدق بعصاه الباب ثم قال

وما أحجم الأعداء عنك تقية * عليك ولكن لم يروا فيك مطمعا
له راحتان الجود والحتف فيهما * أبى الله الا أن يضر وينفعا

فقال معن تحكم ياأبا السمط فقال عشرة آلاف فقال معن وزيدك الفا (أتى) اعرابي الى معن بن زائدة ومعه نطع فيه صبي حين ولد فاستأذن عليه فلما دخل جعل الصبي بين يديه وقال سميت معن بمعن ثم قلت له هذا سمي فتى في الناس محمود

أنت الجود ومنك الجود نعرفه ومبل جودك فينا غير معهود أمست يمينك من جود مصورة لأبل يمينك منها
صورة الجود قال كم الابيات قال ثلاثة قال أعطوه ثلثمائة دينار ولو كنت زدتنا لزدناك قال حسبك

قد كنت أقاسي الصد حتى رحلوا * ياليتهم عادوا وعاد الصد

﴿ فصل في الفن الرابع وهو الزجل ﴾

(حمل للغباري) قل لغزلان وادي مصر والشام يقصر واذا النفار
لهم اجمل حشاشتي مرعى وفؤادي قفار
(دور) مصر والشام فيها ملاح أقمار بالمحاسن تسود
ذا ابيض وذا أحمر وذا مليح أسمر لو عيون نجل سود وذا غزال صار يفوق على الغزلان و يصيد الاسود
وذا غصن بان أهيف قوام قدو قد الاغصان جهار وذا بدر الكمال قد ظهر في الليل وذا شمس النهار
(دور) تدر بالله ايش قالت مليح الشام بعد ذاك الصدود
قد سمينا بصحة الابدان واعتدال القدود وتخضب تفاحنا الاحمر فوق بياض الخدود
وانتم ياعشاق لكم قلنا والحسود راح بنار أنتم التفاح وما نقصد منكم الا الخيار
(دور) وملاح مصر قالت احنا اصحاب الوجوه الملاح
والحلاوة وطيبة الاخلاق في الخلائق مباح احنا أقمار واحنا بدور الليل وشموس الصباح
وفي الالفاظ والظرف والمعنى ليس لنا حد صار وورثنا الحسن من يوسف وا كتسبنا الفخار
(دور) حسن حي الفرارجي فرحه بدر في السعد لاح
فرخ ناجب خرج من القشره فاق ملاح الملاح كلما أعمل على رضاه يفسد بجفاه الصلاح
ومن البيضه قد خرج نافر رد جفني بنار وجفاني وخد بياض جسمي خلطوا بالاصفار
(دور) وقع الطل خط بالابيض في اخضرار الطروس
قم ياساقي على بساط زهري تحت ظل الغروس هاتها شمس راح شمول قرقف بكر عذرا عروس
عروس لها صفو والنسيم ولطف الما وابتهاج الثمار قد جلوها في كاس زجاج أبيض فا كتسى باحمرار
(دور) خمر فيه سر لو جعل أشياف رد الاعمى بصير
اقطع القطف أسود يحاكي الليل شفق أحمر يصير ياترى ذا السر في كرمه أو يكون في العصير
وترى النور داعليه يلمع ذاك من ايش استنار   وكذا الكاس يحاكي ياسمير من كساه جلنار
(دور) فهو عطار عندو شراب هندي   وبراني جفاه
كل من مص من لسانو ريقو يلتقي فيه شفاه   ورد خدو وحبتو سودا شبه خال في صفاه
جبل آس عارضو أسر قلبي والكبار والصغار   في المحب غاروا على حسنو وكل من حب غار
(دور) دوروني الملاح على كعبي   ونصوا نصوص
بلادعوى التف لف اليسير في هواهم خصوص   وعليا صار نقشهم قاعد مثل نقش الفصوص
والبساط انطوى وحين مار أواحلف له همه ولو اصطبار   قمروني في عشق هذا القمر والمحبه قمار
(دور) لحبيبي ثغر من جوهر   والشفيفات عقيق
وعوارض ماضرهم عارض غير نبات الشقيق   وخدود وردمن غير نمش ووصفنا عن حقيق
يحرس الورد خال عنبر تحت أهداب غزار   في صفا وجهو أنزه طرفي عند خلع العذار
(دور) في رياض صفوف من الازهار   قابلتها صفوف
كيف لا ترقص والنسيم بها موصول وورقها دفوف   واعجب من النهر اذ صفق لو من الموج كفوف

ماسمعت وحسبي ماأخذت
(أخبرنا) الشيخ الجليل
العدل الاصيل شهاب
الدين أبو العباس أحمد
ابن ابراهيم بن غانم بن واقد
المهدي قال أخبرنا المشايخ
الثلاثة الامام فخر الدين
أبو الحسن على بن أحمد
ابن عبدالواحد البخاري
وأبو العباس أحمد بن شيبان
ابن ثعلب الشيباني وأم
حميدي زينب بنت مكي
ابن علي بن كامل الحراني
قال أخبرنا أبو حفص
عمر بن عمر بن محمد بن أبي نصر
الحميد قال أنشدني
أبو غالب محمد بن سهل
النحوي الواسطي المعروف
بابن شبران بواسط قال
أنشدني الامير أبو الهيجاء
محمد بن عمران بن شاهين
قال أنشدني علي بن زريق
الكاتب البغدادي لنفسه
هذه القصيدة الى آخره
وقد أنشدنيها جماعة
بالمغرب وقال لي أبو محمد
علي بن أحمد بن سعيد
وغيره يقال من تختم
بالعقيق وقرأ لأبي عمرو
وحفظ قصيدة ابن زريق
فقد استكمل الظرف
وهي

لا تعذليه فان العذل يوجعه   قد قلت حقاً ولكن ليس يسمعه
جاوزت في لومه حداً أضربه   من حيث قدرت أن اللوم ينفعه

والغيوم

والغيوم نقطت وحين جا النسيم طار أعلى مطار باختلاف الألحان سحر فى الروض صاح على عود وطار

(دور) أشرف الخلق بين الاسلام والهدى والضلال
والشرائع والحق والباطل والحرام والحلال نبى من بين أصابعه تحقيق نبع الماء الزلال
ولو أن النبات جميعه أقلام والمداد والبحار والخلايق تكتب مديحو تاه كل كاتب وحار

(دور) خلف أستاذ فى الفن ماينطاق ذاق عداه المنون
مايعيبوا فى الفن غير ناقص عقل زايد جنون شيخ مصدر لبيب قيم فى جميع الفنون
باتضاعو مع الصغار مرفوع فوق رؤس الكبار وأهل الفنون تجرى وما تلحق للغبارى غبار

(غيره لناصر الغيطى)

كنز روضى طالبو يسعد ياخليع قم فى دجى الأسحار تلتقى در الندى يرهج فوق فصوص غرائب النوار

(دور) كنز روضى نزهة الطالب جوهرو بين الندى يرهج
ولجين الما بيتكسر ياخليع هيا تعا اتفرج بين عنابر تلتقى الخلع كل حدمع إلفو يدرج
وامش فى عرض الرياض وارتع بين اغصان وماواطيار فوق بساط زمرد وقضبان كل وردها حكت لنا دينار

(درو) وترى الياسمين بحال فضه ضربت لأهل النزه صلبان
والشحارير لابسين أسود وقلانس كنهم رهبان وكذا الكيتان وهو أصفر بعمائم زرق للناس بان
وانجلت بين القسوس فى الحان وعلينا دارها الخمار والقطيع الراهبى يحكى لشماس لابس الزنار

(دور) الفراق نار والوصال جنه والخلائق بعضهم يعشق
دا حبيب قلبوا عليه راضى ودا محبوبو عليه يشفق ولهيب الهجر يتوقد والوصال من الملاح يشتق
والمليح عندى وأنا امطمن وسط روض ازهارها معطار فى نعيم مع حور ومع ولدان والعذول مسكين صبح فى نار

(دور) وعمل فى الروض سماع باكر بين الاغصان والزهور أنغام
والنسيم شبب والغدير صفق والخليع من كثر وجدو هام والنخيل باكامها ترقص واقبل الريحان بحال أعجام
والعصافير شيخهم زريق لو طريق بين الأزاهر طار والبلبل بالغنا يشجى فكأنو ناى أو مزمار

(دور ناصر الغيطى) ياخلايا صحبت انسان أنكر الصحبة وعادانى
و بغضنى حين بقيت مسمى والاله بالفضل أسمانى فى بلاد قبلى وأرض الشام يشكرونى ساير أقرانى
والشجيع الشاطر المذكور فى جميع الارض لو تذكار والبلطيو قع لو تعلق مايحصل شىء مع الشطار

(للغبارى) جار حبيبي فقلت ذا الحجاج جايجور أو يزيد
لو عدل عشت بو مسرور ويكون الرشيد

(دور) اقلع القلب فى هوى العشاق والدموع فى انحدار
وبحور الهوى إذا هاجت ليس لها من قرار كنت أحسب قلبي معور يس غرتو ذا البحار
صحت لما وحلت يا محبوب بحر عشقك يزيد خفت فيه الغرق فقال افرح من غرق مات شهيد

(دور) أنا يوم فى الغبوق باتفرج على شط الغدير
إذ رأيت على الشط واحد واقف شب صياد صغير نظرت مقلتى إلى منظر ما لحسنو نظير
قلت ياعين ان غرك الصياد بالجمال المصيد يوقعك فى فخاخ شباك عشقو وكراكى يصيد

(دور) من نحبو جديد حبيب قلبي يوم صدفتو صدف

فاستعملى الرفق فى تأنيبه بدلا من عنفه فهو مضني القلب موجعه
قد كان مضطلعا بالبين يحمله فضلعت بخطوب البين أضلعه
يكفيه من لوعة التنفيذ أن له من النوى كل يوم ما يروعه
ما آب من سفر إلا وأزعجه رأى إلى سفر بالرغم يتبعه
كأنما هو فى حل ومرتحل موكل بفضاء الأرض يذرعه
إذا الزماع أراه بالرحيل غنى ولو إلى السد أضحى وهو يزمعه
تأبى المطامع إلا أن تجشمه للرزق كدا وكم ممن يودعه
وما مجاهدة الانسان واصلة رزقا ولادعة الانسان تقطعه
والله قسم بين الناس رزقهم لم يخلق الله مخلوقا يضيعه
لكنهم ملؤا حرصا فلست ترى مسترزقا وسوى الغايات تقنعه
والحرص فى المرء والارزاق قد قسمت بغى ألا ان بغى المرء يصرعه
والدهر يعطى الفتى ما ليس يطلبه حقا و يطمعه من حيث يمنعه
استودع الله فى بغداد لى قمراً بالكرخ من فلك الأزرار مطلعه
ودعته وبودى لو يودعنى طيب الحياة وأنى لا أودعه

قلت لين ياقاسى لمن دمعو سال وحالو وقف   دار وقال لى ما لا سم بالانجيل قلت اسمى خلف
قال علينا يكتب ومن يسمع ذا الكلام يستفيد   فى الحقيقة من لا يكون داود مايلين لو الحديد
(دور) لك عوارض فى الخد سرقومه   ليس لها من مثال
وجفاك صار حماق وباب وصالك كان وكان ياغزال   وأنت دو بيت موشح القاما ياعزيز الدلال
ولك الفاظ صارت مواليا بالزجل والنشيد   و بشعرك متوج القاما وأنت بيت القصيد
(دور) عن محرم شرا بناصمنا   ونفطر بالثمار
حين وجدنا سفرجل البستان يذهب الاصفرار   وغنا الطير به الجماد يطرب وكذا الجلنار
فى ربيع حين رأى الثمر قاعد فيه تعاليق عقيد   حسب الروض النص من شعبان صار يقيد فيه وقيد
(دور) من لهيب مدمعى جرى الطوفان   للهيب ماطفى
وا ناهوى الغبارى فى العشاق ماجرى لى كفى   حين عليا بالصد والهجران والبعاد والجفا
جار حبيبى فقلت ذا الحجاج جا يجور أو يزيد   لو عدل عشت بو مسرور ويكون الرشيد
(غيره) حين سكنت القلب ياعيسى   أمسى من بعدك الحزين فرحان
وتقدس بك ولكنو   ماجرت فيه ياابن عين سلوان
(دور) عارضوا لما عشق خدو   غرت من وجدى بقيت حاير
جيت الى طرفو وناديت لو احرسوو كون عليه ناظر   بعد حين نظرت فى خدو التقى العارض وهو داير
وعليه قد دب بالسرقه جيت لطرفو قلت يا كسلان   هكذا فى عادة الحراس قال لى اعذرنى انا نعسان
(دور) بدر شعبان منيتى لما   فى بروض السعد لاح نجمو
فقلت لو اقضى بفيض دمعى اطلقو واجراه على رسمو قلت لو دام الله اطلاقك فالحزين قلبو المشوم قسمو
ايش قد أذنب حين قطرتو   دايغلط قول بالبهتان
قال لى صوم عن الوصال ناديت   ليش أصوم يابدر فى شعبان
(دور) حين تدبج احمرار خدو   باحضرار العارض أسبانى
ضحك فابيض واتبسم واسود ادشعرى وأبكانى وحين اضحيت باصفرار لونى أشعث أغبر فى هواه عانى
قال لى لونك قد صبح حايل وقد أبصر مدمعى طوفان ذقت تبريح الغرام ناديت فى هواك ذقت الهوان الوان
(دور) قلت لو حين عنى تخلف   لله كن لى يارشيد مهدى
قد تلون دمعى من بعدك وتجرى اليوم على خدى دار إلى انسان مقلتى قال لو أنت ماعندك نظر بعدى
ماترى ماقد جرى منك على الخدود قال يافتان   جرى الماء تحت من بعدك راقب الله فيا انسان
(دور) ذا الغزال النافر الانسى   للغزاله قد أعار النور
كسر قلبى كسير جفنو فاعجبوا للكاسر المكسور   وبخمر الدن قد عربد وادعى أنى أنا المخمور
وابتسم لى عن نقا ثغرو وخطر والبشر فياباان   صحت ياقلبى صفا وردك أنت مابين النقا والبان
(للصفى الحلى) أنت ياقبلة الكرام   زينة المال والبنين
الله يعطيك فوق ذا المقام   ويعيدك على السنين
(دور) أنت شاما بين الانام   الله يحرس شمايلك
ويزيدك بالدوام كى نعيش فى فواضلك   ماينطوى ذكر الكرام لما تنشر فضايلك

بالبين عنه وقلبى لا يوسعه
أعطيت ملكا فلم أحسن سياسته
كذاك من لا يسوس الملك يخلعه
ومن غدا لابسا ثوب النعيم بلا
شكر عليه فان الله ينزعه
اعتضت من وجه خلى بعد فرقته
كاسا تجرع منها ما أجرعه
كم قائل لى ذنب البين قلت له
الذنب والله ذنبى لست أدفعه
الا أقمت مكان الرشد اجمعه
لو اننى يوم بان الرشد أتبعه
أن لا أقطع أياما وأنفذها
بحسرة منه فى قلبى تقطعه
بمن اذا هجع النوام بت به
بلوعة منه ليلى لست أهجعه
لا يطمئن بجنبى مضجع وكذا
لا يطمئن له مذ بنت مضجعه
ما كنت أحسب ريب الدهر يفجعنى
به ولا أظن بى الايام تفجعه
حتى جرى البين فيما بيننا بيد

عسراء تمنعنى حظى وتمنعه   وكنت من ريب دهرى جازعا فرقا   وتهنيك
فلم أوق الذى كنت أجزعه   بالله يامنزل الانس الذى درست   آثاره وعفت مذ بنت اربعه

هل الزمان معيد فيك لذتنا   أم الليالى التى أمضته ترجعه

فى ذمة الله من أصبحت منزله   وجادت غيث على مغناك يمرعه

ونهنيك لكل عام والخلائق تقول آمين   قد بقينا بك فى أمان الله يحييك طول السنين

(دور)   مارأينا تحت ذا الفلك من ندى كفك أعم

كل من جا ليسألك ليس تقول له سوى نعم أملك أنت آو ملك ضاعف الله لك النعم

أنت فى الجود كالغمام وسماك فوق ماردين در غيثك فى انسجام عم كل السائلين

(دور)   لا عدمنا كل صوم ذا السحور فيك والهنا كل ليلة وكل يوم ينشر الذكر

والثناء   الله يحييك من خير قوم بالغ القصد والمنى

(دور) حتى تقضى ذا الصيام ويليه باقى السنين وتعيش ياذا الهمام بين ولدان وعين

(غيره) خال عبد الرحيم نقطة حبر من غير قاف ولام وميم ثغر معشوقى الفتان نون وعين وميم

شال السعد فوق راسو عين ولام وميم داللى قد هواه قلبى صاد وبا ويا

مليح مارأيت مثله ظاوبا ويا ما أحـلاه عند ما يلبس قاف وبا ويا

ذقت من صـدود حبى غين وصاد وصاد ولما رأيت صبرى نون وقاف وصاد

النوم من جفون عينى خا ولام وصاد وأصبحت وجود فكرى عين ودال وميم

قلت يوم لمن كان لى سين ونون ودال اعدل فى الذى صبر ونون وفا ودال

ولا تهجر العشاق با وعين ودال ما أفلح قط ياناس من ظا ولام وميم

(حمل فى الألغاز)

(المطلع فى العين)

وما طير أكلو الحجر ياكرام * وجوهر حبابه يفسد أهل الصلاح

ولبس الحرير يؤذيه وريش النعام * يصول بين جناحين سود كبيض الصفاح

(دور فى السراج) ومابحر ماهوماوفى الليل يزيد * وينقص ولاهوخوض ولا هو غريق

وفيه شيء صفات حيه بلاوكراستفيد * لهـا جوهره فى فمها يارفيق

بلا شك ينظره القريب والبعيد * ويخفى ويظهر كل يوم عن حقيق

يغيب فى النهار لكن اذا جا الظلام * تشوفو يضيء بين الوجوه الصباح

ويسهر بحال عاشق حليف الغرام * قتيل الهوى بين الربا والبطاح

(دور فى جوزة الكنافة)

وماهى التى تركب على ستين ألف * وما مثل ذاك فسرلنا ياخبير * مليحه وقصيفه وتلبس ترف

وتحمل وتوضع كل يوم فى السعير * لها عشرة أعوان حالهم مختلف * يشيلو أودها الكبير والصغير

لها فحل يخدمها عليه السلام * يحادى سراها فى المجى والرواح

وأكثر تعبها فى ليالى الصيام * وذا اللغز قلته ومن غير مزاح

(دور فى الغربال)

وما هو الذى ياسعد كله عيون * ولا يعتلم ضوء الظلام والضيا

وهو بين خشب مصلوب لتلك الفتون * وميت وهو يحيى أصول الحيا

إذا غاب عن أهله فرد يوم مايهون * ولا حد يعوض موضعه لوعيا

وكم من رقيص فى صنعته باهتمام * مكابد عجاجه فى المسا والصباح

من عنده لى عهد لا يضيع كما عنـدى له عهـد ود لاأضيعه

ومن يصدع قلبى ذكره وإذا جرى على قلبه ذكرى يصدعه

لأصبرن لدهر لا يمتعنى به ولا بى فى حال يمتعه

علما بأن اصطبارى معقب فرجا فأضيق الأمر ان فكرت أوسعه

عسى الليالى التى أضنت بفرقتنا جسمى ستجمعنى يوما وتجمعه

وان تنل أحـدا منا منيته فما الذى بقضـاء الله يصنعه

(يحكى) أنه وقع فى ليلة الجمعة خامس عشر المحرم سنة (٨٣١) أن حضرت صـلاة العشاء بالجامع النورى بحماة فتقدم أمامه للصلاة بعد الاقامة وكـبر تكبيرة الافتتاح وقرأ دعاء الافتتاح والفاتحة ثم قرأ الم السـجدة ولما أتى على آية السجدة سـجد ثم أتمهـا إلى آخرها

وركع وسجد السجدتين ثم قام الى الركعة الثانية وقرأ الفاتحة ثم قرأ سورة النحل و بنى اسرائيل والكهف ومريم

وجانبا من طه فارتج عليه فركع ثم اعتدل واقفا ثم سـجد السجدتين وتشهد وسـلم على رأس الركعتين

ويحتاج له الناس كل يوم في الدوام * على شان فنونه دول فنون ملاح

﴿الفن الخامس في المواليا وله وزن واحد وأربع قوافي﴾ فمن تلك الأربعة واحد لصفي الدين الحلي)

ياطاعن الخيل والأبطال قد غارت * والمخصب الربع والامواه قد غارت

هواطل السحب من كفيك قد غارت * والشهب مذ شاهدت أضواك قد غارت

(وقال أيضا) سل مقلتيك الكحال عمن سلا سلها * ومن شفيك من رشف منها سلاسلها

وعارضيك التي مدت سلاسلها * كم من أسود ضواري في سلاسلها

(وقال آخر) قد أوعدونا الغضا بأنا نخلو * في ظل بستان حافف بالثمر نخلو

والظل من فوقنا قد بلنا نخلو * ومن كلام الأعادي قط مانخلو

(وقال آخر) قسما وبالله مفرقها وجامعها * ومن أمرنا بمسجدها وجامعها

لو حل مع بغيتي عابد وجامعها * كان افتتن في محاسنها وجامعها

(ومن اثنين واثنين قال آخر)

قوم اسقني ماتبقى في أباريقو * أماترى الصبح قد لاحت أباريقو

مع شادن كلما دارت شقاريقه * سقى المداما وان عزت سقى ريقو

(وقال) البارحه ريت بعيني في الدجا جيين * اثنين مثل البدوره في الدجى جيين

ناديتهم فين كنتم ياخفاجيين * قالوا لمن قد وعدنا في الخفاجيين

(وقال) قد زدت هجرك فجد بالعفو عن صبك * وارحم خضوعي وخف في قتلتي ربك

يكفيك تهجر تكدر قلب من حبك * ماظن في الناس أقسى قلب من قلبك

(غيره خمري عاطل)

كاس الطلا اطلاها طال الماسر * وصار لما حوى حمراء مكال در

مدام لو طعم كله حلو ماهو مر * ماحل مملوك الا صار ملك حر

(غيره حربي) لك ياامام الوغى في كل موقع حرب * سماع يطرب له السامع وينفي الكرب

هذا ولك كلما دارت رحاة الحرب * سيوف تفني وكفك لايمل الضرب

الصفي الحلي في المدح)

أغنت وأقنت كفوفك في الندى والحرب * في القرب والبعد من في شرقها والغرب

وفيض جودك وسيفك بالعطا والضرب * ذا الكرب فرج وهذا قد رمى في الكرب

(وقال أيضا) من قال جودة كفوفك والحيا مثلين * أخطا القياس وفي قوله جمع ضدين

ماجدت الا وثغرك مبتسم يازين * وذاك ماجاد الا وهو باكي العين

﴿وقال في التهنئة﴾

رأيت ذا العيد أول يوم في عصرك * ورأيت ذا اليوم مع ذا الشهر في نصرك

وديت ذا الشهر مع ذا العام طوع أمرك * والكل بالكل أول مبتدا عمرك

(في المعاتبة) عني تسليت وأسياف الجفا سليت * ومذ توليت عن طرق الوفا وليت

لما تمليت بالاعمال لي مليت * إذا تخليت تعرف قدر من خليت

(وقال أيضا) ياقلب ان غدروا فاغدر وان خانوا * نحن وانهم قسوا فاقسا وان لانو

(حكي) الدينوري في المجالسة في ترجمة أبي عبد الله سعيد بن يزيد البناجي قال سمعت أبي يقول قال قال خالي أحمد بن محمد بن يوسف سمعت محمد بن يوسف يقول كان أبو عبد الله البناجي مجاب الدعوة وله آيات وكرامات بينما هو في بعض أسفاره اما حاجا واما غازيا على ناقة وكان في الطريق رجل عائن قلما ينظر إلى شيء إلا أتلفه وأسقطه وكانت ناقة أبي عبد الله ناقة فارهة فقيل له احفظها من العائن فقال أبو عبد الله ليس له إلى ناقتي سبيل فاخبر العائن بقوله فتحين غيبة أبي عبد الله فجاء إلى رحله وعان ناقته فاضطربت وسقطت تضطرب فأتى عبد الله فقيل قد عان ناقتك وهي كما تراها تضطرب قال دلوني على العائن فدل عليه فقال بسم الله حبس حابس وحجر يابس وشهاب قابس رددت عين العائن عليه وعلى أحب الناس اليه في كليتيه رشيق وفي ماله يليق فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير فخرجت حدقة العائن وقامت الناقة لا بأس بها (وله في أسماء الولائم)

وليمة أعراس وخرس ولادة عقيقة مولود نقيعة قادم وضيمة حزن والبناء وكيرة عذيرة ختن مأدبات المكارم (وله أيضا في أسماء أيام العجوز على الترتيب) فلن

بصن وصنبر وو بر معلل بمطفيء جمر آمر ثم مؤتمر تولت عجوز ثم أعقب بعدها شباب ربيع زهره يانع نضر

فلن وان قربوا فاقرب وان بانوا * فبن وكن لي معاهم كيفما كانوا

(وقال آخر) حلف عليا جكاره أن يقاطعني * وصدعني واقسم مايطاوعني

كم ذا يصدوكم يرجع يصدعني * ان كنت أنا هو المطلق لا يراجعني

﴿وقال آخر هجوا﴾

قطع قفا ابن أخت خالك وابن أخو عمك * والحق يصفع أبو بنتك أو ابن أمك

وان تكلمت تصفع بل يسيل دمك * وان كنت تسكت يبول الكلب في فمك

(وقال آخر) ان ردت تسلم بطول الدهر ماتبرح * لاتيأسن ولا تقنط ولا تمرح

واستعمل الصبر لاتحزن ولاتفرح * وان ضاق صدرك ففكر في ألم نشرح

(وقال آخر) ان كنت عاقل ورب بالتقى برك * ادفع أذاك وهات خيرك ودع شرك

وان تعدى حسودك والحسد ضرك * ناديه يا أيها الانسان ما غرك

(وقال آخر) ياقلب ان خانك المحبوب لاتدبر * عنو وعن قصة السلوان لاتخبر

واستعمل الصبر دائم للعدا تقهر * فان والله ماخاب الذي يصبر

﴿الفن السادس كان وكان﴾ وله وزن واحد وقافية واحدة ولكن الشطر الاول من البيت أطول من الثاني فمنه هذه الوعظيات

ياقاسي القلب مالك تسمع وماعندك خبر ومن حرارة وعظي قد لانت الاحجار

أفنيت مالك وحالك في كل مالا ينفعك ليتك على ذي الحالة تقلع عن الاصرار

تحضر ولكن قلبك غايب وذهنك مشتغل فكيف يامتخلف تحسب من الحضار

ويحك تنبه فتى وافهم مقالي واستمع ففي المجالس محاسن تحجب عن الابصار

يحصي دقائق فعلك وغمز لحظك يعلمه وكيف تعزب عنه غوامض الاسرار

تلوت قولي ونصحي لمن تدبر واستمع مافي النصيحة فضيحه كلا ولا انكار

﴿وقال أيضا﴾

صرح بذكر المحبة مافي المعمى فائدة وقل نعم انا عاشق صادق بلا تمويه

ودع حديث العواذل ليس الخبر مثل النظر أنا عاشق لحبيب كل المعاني فيه

من أين للبدر حسن يحكيه أو شمس الضحى حاشا لذاك المحيا من مشبه يحكيه

ان غبت فهو أنيسي وان حضرت نديمي وان شربت مدامي فالكاس هو ساقيه

فمنه روحي وراحي اذا سكرت وراحتي وفيه عزي وذلي بمهجتي أفديه

قولوا لمن يلحاني في الحب قصر واعتبر هذا الذي قد عشقته قد حار وصفي فيه

(الصفي الحلي)

شاهدت في الليل طيري وقمت حتى انصب شركي ماكل صيد يحصل يفرح الصياد

طيري الذي كان الفي لوردت مثله ماحصل وهو على معود وأنا عليه معتاد

قد كان شرطي وخلقي لبرج غيري ماعرف كانا في الصحبه جينا على ميعاد

من قبلي ماأبصبص له يجي ويدخل قصوري وأنا أرصده في مطاره خائف عليه يتصاد

﴿ولغيره في أسماء خيل الحلبة﴾ سبق المجلي والمصلي والمسلـ لي بعد تاليه ترى المرتاحا و بعاطف و بفسكل وحطيه حلب اللطيم على السكيت صباحا

سأل فقلت مقصدنا سعيد فكان اسم الأمير لهن فالا

اذا ماالغيم لم يمطر بلادا فان له على يدك اتكالا

ولو أن الرياح تهب غربا وقلت لها هلا هبت شمالا

وأقسم لو غضبت على ثبير لأزمع عن محلته ارتحالا

(نبذة لغوية يفتقر كل متأدب اليها) (البلج) هو أن ينقطع الحاجبان فلا يكون بينهما تضام للشعر وكانت العرب تمدح البلج ويقال رجل أبلج وامرأة بلجاء (ثم العين) فجملة العين المقلة وهي الشحمة التي تجمع البياض والحدقة والناظر وهو موضع البصر وفيه الانسان والانسان ليس بخلق له حجم والحجم ماوجدت مسه والعين كالمرآة اذا استقبلتها بشيء رأيت شخصه فيها وفيها الناظران وهما عرقان على حرف الانف يسيلان من الموقين الى الوجه وفيها الاجفان وهي غطاء المقلة من أعلى وأسفل وفيها الاشفار وهي حروف الاجفان التي تلتقي عند الغمض الواحد شفر والشفر الذي ينبت فيه الهدب الواحد هدب فاذا طالت الاهداب قيل رجل أهدب وامرأة هدباء ورجل أوطف وامرأة وطفاء وكذلك أذن هدباء اذا كانت كثيرة الشعر ووطفاء والكل دليل على الطول والمحجر ماخرج من النقاب من الرجل والمرأة من الجفن الاسفل وفي العين الحماليق والواحد حملاق

والخاليق النواحى وفيها اللحاظ وهي مؤخرها الذى يلى الصدغ والموق طرفها الذى يلى الانف وهو مخرج الدمع وفى العين الخوص وهو ضيق فى مؤخرها (٢١٦) يقال رجل أحوص وامرأة حوصاء وفيها النجل وهو سعة العين وعظم المقلة وكثرة البياض وفيها الخنس وهو ضعف فى النظر وفيها الكحل وهو سواد العين بين الحمرة والسواد والدعج السواد فى العين بين الحمرة والسواد والشهل أن يشوب سوادها زرقة يقال رجل أشهل وامرأة شهلاء ويقال نظر الى شزرا وذلك اذا نظر عن يمينه أو عن شماله ولم يستقبله بنظره فى النظر الاغضاء وهو أن يطبق جفنه على حدقته فيقال رأيته مغضيا (تم الفم) وفى الفم الثنايا والرباعيات والضواحك والارحاء والنواجذ فالضواحك أربعة أضراس تلى الانياب الى جنب كل ناب من أسفل الفم وأعلاه ضاحك وأما الارحاء فهى ثمانية اضراس من أسفل الفم وأعلاه وفى الاسنان الظلم ساكن وهو ماء الاسنان وفى الاسنان الشنب وهو برد وعذوبة فى المذاق والفلج تباعد ما بين الاسنان (تم اللثة) وهو اللحم ينبت فيه الاسنان وفى اللثة اللمى وهو سمرة تضرب الى سواد وكذلك الحوة واللهاة اللحمة الحمراء المعلقة على الحنك (نقلت من الجزء الثالث والعشرين من التذكرة للصفدى) ان شهاب الدين غيرى
أحمد الحموى النقاش ورد الى القاهرة سنة ٧٣٢ وكتب الختمة الشريفة على خوصة من أولها الى آخرها مفصلة الاجزاء

(وقال آخر)

ماذقت عمرى جرعه أمر من طعم لهوى الله يصبر قلبي على الذى يهواه
الناس تعلم منى حال الجلاده والقوى وما أطيق التجلد على أليم جفاه
لى حب مثل الخوخه لولون وطعم وريحه ماأكثر مغابن حبيبي وما أقل وفاه
أنا عرفتو حظى وكل ما أحسن لويسى لوكنت أعشق ظلى ما كنت قط اراه

(وله فى الفراقيات)

ياسادة هجرونى وهم نزول بخاطرى لاأوحش الله منكم فى سائر الاوقات
أوحشتم العين منى وأنسكم فى خاطرى والقلب فى نورمنكم والعين فى ظلمات
قدانتهى الصبر منى وما بقى فيا رمق هيهات انى أحيا من بعدكم هيهات
لم يبق غير خيالى يلوح كالشبح الخفى أعد بين الأحيا وأنا مع الاموات
ودعتمونى وسرتم والقلب يتبع ركبكم ايش ضر لوكان جسمى من جملة التبعات
ماص ماريت ضدى يقول لى من فرحته هنا تشق المراير وتسكب العبرات
لولم أسلى روحى وأرض نفسى بالمنى لكان قلبي تقطع من بعدكم حسرات
وقفت لما رحلتم حيران بين أظعانكم أخفض جناح المذله وأرفع الاصوات
طولى الليالى أساهر كنى أريد الكيميا أقطر الدمع منى وأصعد الزفرات
ماأطول ليالى جفاكم ساعاتها مثل السنه وما أقصر أيام وصلى كأنها ساعات
مالى أرى حسناتى بالسيآت تبدلت وسيآت لاعادى اتبدلت حسنات
خالفتمونى وعمرى مازلت أتبع أمركم كذا العبيد تتابع أوامر السادات
أسكت وأصبر عنكمو ويفعل الله مايشاء والد هر من عاداته يقلب الحالات

﴿الفن السابع فى فن القوما﴾ قيل أول من اخترعه ابن نقطة برسم الخليفة الناصر والصحيح أنه مخترع من قبله وكان الناصر يطرب له وكان لابن نقطة ولد صغير ماهر فى نظم القوما فلما مات أبوه أراد أن يعرف الخليفة بموت أبيه ليجريه على مفروضه فتعذر عليه ذلك فصبر الى دخول شهر رمضان ثم أخذ أتباع والده من المسحرين ووقف أول ليلة من الشهر تحت الطيارة وغنى القوما بصوت رقيق فأصغى الخليفة اليه وطرب له فكان أول ماقاله قوله

ياسيد السادات * لك بالكرم عادات * أنا بنى ابن نقطه * تعيش أبويا مات

فاعجب الخليفة منه هذا الاختصار فاستحضره وخلع عليه وفرض له ضعفى ما كان لأبيه

(ومنها للصفى الحلى)

من كان يهوى البدور * ووصل بيض الخدور * بالبيض والصفر يسخو * وقد جلس فى الصدور
من حب بيض الخدور * ورام لزوم الصدور * يسمح والا فيبقى * من بينهم مهدور
كم بين سجف الخدور * من عاشق مصدور * يرعى الكواكب لعلو * يرى جمال البدور
بين الحلل والخدور * وجوه مثل البدور * اشراقها فى المعاجز * وغربها فى الصدور
قد كنت فوق الصدور * بين الظبا والبدور * فصرت أحسد من أبصر * خيامهم والخدور
نوائب المقدور * مثل الكواكب تدور * بعد طيب الخواطر * يقضى بضيق الصدور

والسور أخبرني بذلك الموالى السادة الموقعون بالباب الشريف وقدمها لمولانا السلطان الملك الصالح وسألته عن مولده فقال في سنة ٦٩٩ وله نظم رائق عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه

غيرى يلازم الصدور * وأنا عليكم أدور * وأصطلى الصد وأنا * من بينهم مهدور

(وقال أيضا)

حال الهوى مخبور * يريد جلد صبور * يصون سره وإلا * يبقى من أهل القبور
من كان هواه مستور * يحظى برفع الستور * ومن هتك سرحبو * يمحى من الدستور
أبذل لبيض النحور * أموال مثل البحور * إن أردت تملك وتظفر * ولدانهم والحور
قم فابذل المذخور * وفي العطا لا تجور * تريد هذي المحبة * قلوب مثل الصخور
كم حول تلك الخدور * من عاشق مذعور * مثل الدواليب تجرى * دموعها وتدور
من يركب المحذور * هو في الهوى معذور * يظفر بحبه ويبلغ * قصده ويوفى النذور
كن بالهوى مسرور * ولا تبيت مغرور * واجعل تراب أعتابهم * لاجفان عينك درور
طرق المحبه وعور * كم بينها معذور * من فتك بيض السوالف * على سواد الشعور
كم عاشق مدعور * فى حب بيض الثغور * يغار قلبه ولكن * مدامعه ما تغور
كم بينهم يعفور * كالظبى أنس نفور * من أهل بدر فديته * ايش ماعمل مغفور

(ومن ذلك) ما نظمه بعضهم ليسحر بعض الخلفاء في رمضان

لا زال سعدك جديد * دائم وجدك سعيد * ولا برحت مهنى * بكل صوم وعيد
فى الدهر أنت الفريد * وفى صفاتك وحيد * والخلق شعر منقح * وأنت بيت القصيد
يامن جنابه شديد * ولطف رأيه سديد * ومن يلاقى الشدائد * بقلب مثل الحديد
لا زلت فى تأييد * فى الصوم والتعييد * ولا برحت مهنى * بكل عام جديد
نحن لذكرك نشيد * بقولنا والنشيد * ونبعث أوصاف مدحك * على خيول البريد
ظلك علينا مديد * مافوق جودك مزيد * وكم غمرت بفضلك * قريبنا والبعيد
لا زلت فى كل عيد * تحظى بجد سعيد * عمرك طويل وقدرك * وافر وظلك مديد
لا زال قدرك مجيد * وظل جودك مديد * ولا برحت موقى * كما يوقى الوليد
ما زال برك يزيد * على أقل العبيد * وما برح جود كفك * منا كحبل الوريد
لا زال برك مزيد * دائم وبأسك شديد * ولا عدمنا نوالك * فى صوم فطر وعيد

﴿ ومما قيل فى فن الحماق ﴾

أنا ما عبورى الحمام * لجسمى لكى ينظف * الا لدمع جارى * على الما ولا يوقف
وديك المجارى تجرى * ودمعى يسابقها * تقول الانام فى الحمام * له أحباب فارقها
(وقال آخر) ترى كل من نعشقو * علينا يقيم أنفه * فاسلاه واترك هواه * وسد الطريق خلفه
وان زاد على عشقو * وزاد بى الهوى والذل * تركتو ولو كان يحيى * لأهل القبور الكل

وقد انتهى الكلام فيما أشرت اليه من الفنون السبعة وذكرت منها ما تبتهج به النفوس وتقر به العيون واختصرت ذلك إلى الغاية فجاء بتوفيق الله فى الحسن نهاية وأسأل الله التوفيق بمنه وكرمه والمزيد من بره ونعمه وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب الثالث والسبعون فى ذكر النساء وصفاتهن ونكاحهن وطلاقهن وما يحمد ويذم من عشرتهن وفيه فصول ﴾

عشر تورث النسيان كثرة الهم والحجامة فى النقرة والبول فى الماء الراكد وأكل التفاح الحامض وأكل الكسفرة وأكل سؤر الفأرة وقراءة ألواح القبور والنظر الى المصلوب والمشى بين القطارين والقاء القملة حية والله أعلم هذا آخر التذييل

﴿ وهذا تذييل آخر ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

أما بعد حمد الله على نعمائه والصلاة والسلام على خير أنبيائه * فيقول العبد الفقير الى عفو مولاه الكريم ابراهيم ابن الحاج على الاحدب قد رأيت أن أذيل الثمرات بما جنيته من الثمار الدانية والفوائد العالية وبالله التوفيق (فمن ذلك ما يحكى) أن الصاحب بدر الدين وزير اليمن كان له أخ بديع الجمال وكان شديد الحرص عليه فأتى له بشيخ ذى دين وعفة وهيبة وعقل ليعلمه فأسكنه فى منزل قريب منه فأقام على ذلك مدة ثم ان الشيخ امتحن بمحبة ذلك الشاب وقوى غرامه فيه فشكا يوما له حاله فقال له ما حيلتى وأنا لا أستطيع مفارقة أخى لا ليلا ولا نهارا أما الليل فان سريرى بجانب سريره وأما النهار فكما ترى تلازمنا فقال الشيخ ان منزلى ملاصق لداركم فيمكن إذا غمضت عين أخيك أن تقوم لتستعمل ماء فتأتى إلى الحائط وأنا أتناولك من وراء الجدار فتجلس عندى لحظة لطيفة من غير

﴿الفصل الأول في النكاح وفضله والترغيب فيه﴾ قال الله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع الآية وقال تعالى وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم وقال تعالى ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم الآية وقال رسول الله ﷺ يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء وقال رسول الله ﷺ استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوار عندكم وقال رسول الله ﷺ تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة وقال ﷺ سوداء ولود خير من حسناء عقيم وقال رسول الله ﷺ أحسن النساء بركة أحسنهن وجها وأرخصهن مهراً فينبغي للرجل اذا أراد أن يتزوج أن يرغب في ذات الدين وأن يختار الشرف والحسب كما حكي أن نوح بن مريم قاضي مرو أراد أن يزوج ابنته فاستشار جاراله مجوسيا فقال سبحان الله الناس يستفتونك وأنت تستفتيني قال لابد أن تشير علي قال ان رئيسنا كسرى كان يختار المال ورئيس الروم قيصر كان يختار الحسب والنسب ورئيسكم محمد كان يختار الدين فانظر أنت بايهم تقتدي وقال رجل للحسن ان لي ابنة فمن ترى أن أزوجها له قال زوجها ممن يتقي الله عز وجل فان أحبها أكرمها وان أبغضها لم يظلمها وقيل لرجل من الحكماء فلان يخطب فلانة فقال أموسر من عقل ودين فقالوا نعم قال فزوجوه اياها ويستحب أن يختار البكر لقوله ﷺ عليكم بالأبكار فانهن أطيب أفواها وأنتق أرحاما وقالوا أشهى المطي ما لم يركب وأحب اللآلىء ما لم يثقب وأنشد بعضهم

قالوا نكحت صغيرة فاجبتهم * اشهى المطي إلى ما لم يركب
كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة * نظمت وحبة لؤلؤ لم تثقب

(فأجابته امرأة) إن المطية لايلذ ركوبها * حتى تذلل بالزمام وتركبا
والدر ليس بنافع أربابه * حتى يؤلف بالنظام ويثقبا

(قال خالد بن صفوان) عليك اذا ما كنت في الناس ناكحا * بذات الثنايا الغر والاعين النجل

وقيل استشار رجل داود عليه السلام في التزويج فقال له سل سليمان وأخبرني بجوابه فصادفه ابن سبع سنين وهو يلعب مع الصبيان راكبا قصبة فسأله فقال عليك بالذهب الاحمر أو الفضة البيضاء واحذر الفرس لا يضربك فلم يفهم الرجل ذلك فقال له داود عليه الصلاة والسلام الذهب الاحمر البكر والفضة البيضاء الثيب الشابة ومن وراءها كالفرس الجموح وقال رسول الله ﷺ تخيروا لنطفكم وقال ﷺ انظر في أي شيء تضع ولدك فان العرق دساس وقال عليه الصلاة والسلام اياكم وخضراء الدمن قالوا وما خضراء الدمن يارسول الله قال المرأة الحسناء في المنبت السوء وأنشدوا فيه

إذا تزوجت فكن حاذقا * واسأل عن الغصن وعن منبته

(وقال بعضهم) وأول خبث الماء خبث ترابه * وأول خبث القوم خبث المناكح

وعن علي رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال لا تسترضعوا الحمقاء ولا العمشاء فان اللبن يعدي وقيل ان جعفر بن سليمان بن علي عاب يوما على أولاده وأنهم ليسوا كما يحب فقال له ولده أحمد بن جعفر انك عمدت الى فاسقات مكة والمدينة وأماء الحجاز فاوعيت فيهن نطفك ثم تريد أن ينجبن وانما نحن كصاحب الحجاز هلا فعلت في ولدك ما فعل أبوك فيك حين اختار لك عقيلة قومها فزوجها منك وأنشدوا

صفات من يستحب الشرع خطبتها * جلوتها لأولي الألباب مختصراً * صبية ذات دين زانه أدب

ان يشعر أخوك بشيء فقال السمع والطاعة وتواعدا على ليلة فهيأ له الشيخ من التحف والظرف ما يليق بمقامه فلما نام الصاحب واستغرق في النوم وأمن انتباهه قام الشاب وتمشي خطوات وفتح بابا يتوصل منه الى الحائط فوجد شيخه واقفا ينتظره فتناوله وصار عنده في المنزل وكانت ليلة البدر وتنادما ودارت بينهما كؤس الشراب ممزوجة ببرد الرضاب وانتشى الشيخ وأخذ في الغناء وقد رمى القمر جرمه عليهما وانتبه الصاحب فلم يجد أخاه فقام فزعا مرعوبا ووجد الباب الذي استطرق منه أخوه مفتوحا فقال من ههنا جاء الشر فدخل منه وصعد الحائط فوجد نورا ساطعا من البيت ونظر فرآهما على هذه الحالة والكاس بيد الشيخ وهو ينشد أحسن صوت

سقاني خمرة من ريق فيه * وحيا بالعذار وما يليه
وبات معانقا خدا بخد * غزال في الانام بلا شبيه
وبات البدر مطلعا علينا * سلوه لا ينم على أخيه

فكان من لطافة الصاحب أن قال والله لا أنم عليكما وتركهما وانصرف انتهى (ومن بديع ذلك ما حكاه ابن خلكان في تاريخه) في ترجمة شرف الدين المعروف بابن المستوفي قال قد وصل الى اربل بعض الشعراء وهو الشريف عبد الرحمن ابن أبي الحسين بن عيسى ابن علي بن يعرب في سنة ثمان وعشرين وستمائة وشرف الدين يومئذ وزير فسير له مثلوما على يد بكر شخص كان في خدمته يقال له الكمال بن الشعار الموصلي صاحب التاريخ والمثلوم عبارة عن دينار يقطع منه قطعة صغيرة وقلم

جرت عادتهم فى العراق وتلك البلاد أن يفعلوا مثل هذا لأنهم يتعاملون بالقطع الصغار ويسمونها القراضة ويتعاملون أيضا المثلوم وهذا كثير الوجود بأيديهم فجاء الكمال إلى ذلك الشاعر وقال له الصاحب يقول لك أنفق الساعة هذا حتى يجهز لك شيئا فتوهم الشاعر أن الكمال يكون قد قرض القطعة من الدينـــار وأن شرف الدين ما سيره الا كامـلا وقصد استعلام الحال من جهة شرف الدين فكتب اليه

يا أيها المولى الوزير ومن به ... فى الجود حقا تضرب الامثال

أرسلت بدر التم عند كماله ... حسنا فوافى العبد وهو هلال

ما غاله النقصان الا أنه ... بلغ الكمال كذلك الآجال

فأعجب شرف الدين بهذا المعنى وحسن الاتفاق وأجاز الشاعر وأحسن اليه انتهى (ومنه ماحكى) أن ابراهيم بن سهل الاشبيلى كان يهوديا فأسلم وحسن اسلامه حتى أنه مدح النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم وكان يقرأ مع المسلمين ويخالطهم وكان يحب يهوديا اسمه موسى وأكثر شعره فيه فلما أسلم أحب شابا اسمه محمد وترك هوى اليهودى فقيل له فى ذلك فأنشد

تركت هوى موسى بحب محمد ... هديت ولولا الله ما كنت أهتدى

وما عن قلى ترك هواه وانما ... شريعة موسى عطلت بمحمد

وكان ابراهيم هـذا شاعرا مجيدا اتفق له فى صباه أن الهيثم نظم قصيدة مدح بها المتوكل على الله بن يوسف بن هود ملك الاندلس وقد كانت أعلامه

بكر ولو دحكت فى نفسها القمرا * غريبة لم تكن من أهل خاطبها * تلك الصفات التى أجلو المن نظرا

فيها أحاديث جاءت وهى ثابتة * أحاط علما بها من فى العلوم قرا

(وقال آخر) مطيات السرور فويق عشر * الى العشرين ثم قف المطايا

فان جزت المسير فسر قليلا * وبنت الاربعين من الرزايا

(وقال آخر) فاياك اياك العجوز ووطأها * فما هو الامثل سم الاراقم

واعلم أن العيش كله مقصور على الحليلة الصالحة والبلاء كله موكل بالقرينة السوء التى لا تسكن النفس الى عشرتها ولا تقر العيون برؤيتها وفى حكمة سليمان بن داود عليهما السلام المرأة العاقلة تعمر بيت زوجها والمرأة السفيهة تهدمه وروى أنه لما حضر أبو طالب نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم على خديجة بنت خويلد رضى الله عنها ومعه بنوها ثم ورؤساء مضر خطب فقال الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان محمد بن عبدالله ابن أخى من لا يوزن به رجل من قريش الا رجح به برا وفضلا وكرما ومجدا ونبلا فان كان فى المال قل فالمال ظل زائل ورزق حائل وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما عاجله وآجله من مالى كذا وكذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل * ولما خطب عمرو بن حجر الكندى الى عوف بن محلم الشيبانى ابنته أم اياس وأجابه الى ذلك أقبلت عليها أمها ليلة دخوله بها توصيها فكان مما أوصتها به أن قالت أى بنية انك مفارقة بيتك الذى منه خرجت وعشك الذى منه درجت الى رجل لم تعرفيه وقرين لم تألفيه فكونى له أمة ليكون لك عبدا واحفظى له خصالا عشرا يكن لك ذخرا فأما الأولى والثانية فالرضا بالقناعة وحسن السمع له والطاعة وأما الثالثة والرابعة فالتفقد لمواقع عينيه وأنفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم أنفه منك الا أطيب الريح وأما الخامسة والسادسة فالتفقد لوقت طعامه ومنامه فان شدة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة وأما السابعة والثامنة فالاحراز لماله والارعاء على حشمه وعياله وأما التاسعة والعاشرة فلا تعصى له أمرا ولا تفشى له سرا فانك ان خالفت أمره أوغرت صدره وان أفشيت سره لم تأمنى غدره واياك ثم اياك والفرح بين يديه إذا كان مهتما والكآبة لديه إذا كان فرحا فقبلت وصية أمها فانجبت وولدت له الحرث بن عمرو جد امرىء القيس الملك الشاعر * وعن الهيثم بن عدى الطائى عن الشعبى قال لقينى شريح فقال لى يا شعبى عليك بنساء بنى تميم فانى رأيت لهن عقولا فقلت وما رأيت من عقولهن قال اقبلت من جنازة ظهرا فمررت بدورهن واذا أنا بعجوز على باب دار والى جانبها جارية كأحسن ما رأيت من الجوارى فعدلت اليها واستسقيت وما بى عطش فقالت لى أى الشراب أحب اليك قلت ما تيسر قالت ويحك يا جارية ائتيه بلبن فانى أظن الرجل غريبا فقلت للعجوز ومن تكون هذه الجارية منك قالت هى زينب بنت جرير إحدى نساء بنى حنظلة قلت هى فارغة أم مشغولة قالت بل فارغة قلت أتزوجينيها قالت ان كنت كفأ (ولم تقل كفوا) وهى لغة بنى تميم فتركتها ومضيت الى منزلى لأقيل فيه فامتنعت منى القائلة فلما صليت الظهر أخذت بيد إخوانى من العرب الأشراف علقمة والأسود والمسيب ومضيت أريد عمها فاستقبلنا وقال ما شأنك أبا أمية قلت زينب ابنة أخيك قال ما بها عنك رغبة فزوجنيها فلما صارت فى حبالى ندمت وقلت أى شىء صنعت بنساء بنى تميم وذكرت غلظ قلوبهن فقلت أطلقها ثم قلت لا ولكن أدخل بها فان رأيت

سودا لأنه كان بايع الخليفة ببغداد فأرسل اليه بالتولية والالوية والنيابة ولا يعلم أحد من ملوك الاندلس قبله ولا بعده بايع بنى العباس قط فوقف ابراهيم بن

سهل والهيثم ينشد قصيدته لبعض أصحابه فقال ابراهيم للهيثم زد بين البيت الفلانى والبيت الفلانى

أعلامه السود أعلام بسودده
كأنهن بخد الملك خيلان

فقال الهيثم أهذا البيت شيء ترويه أم نظمته فقال بل نظمته الساعة فقال الهيثم ان عاش هذا الغلام فسيكون أشعر أهل الاندلس (ومنه ما اتفق) سنة ثمان وستمائة أن الملك المعظم عيسى سار إلى أخيه الملك الاشرف فاستعطفه على أخيه الكامل محمد وكان فى نفسه موجدة عليه فأزالها وسارا جميعا نحو الديار المصرية لمعاونة الكامل على الافرنج الذين قد أخذوا دمياط واستحكم أمرهم هناك من سنة أربع عشرة بعد حروب كثيرة يطول شرحها حتى عرض عليهم فى بعضها أن يرد عليهم بيت المقدس وجميع ما كان صلاح الدين فتحه فى الساحل و يتركوا دمياط فامتنعوا من ذلك فقدر الله سبحانه وتعالى ان قدمت عليهم مراكب فيها ميرة لهم فأخذتها مراكب المسلمين وأرسلت من أراضي دمياط المياه من كل ناحية فلم يمكن الافرنج أن ينصرفوا بأنفسهم وحصرهم المسلمون من الجهة الأخرى حتى اضطروهم الى أضيق الأماكن فعند ذلك أنابوا إلى المصالحة من غير مفاوضة فجاء مقدمهم الى الملك الكامل وعنده أخواه

ماأحب والا كان ذلك فلو شهدتنى ياشعبي وقد أقبلت نساؤها يهدينها حتى أدخلت على فقلت ان من السنة اذا دخلت المرأة على زوجها أن يقوم و يصلى ركعتين و يسأل الله تعالى من خيرها ويتعوذ من شرها فتوضأت فاذا هي تتوضأ بوضوئى وصليت فاذا هي تصلى بصلاتى فلما قضيت صلاتى أتتنى جواريها فأخذن ثيابى وألبسننى ملحفة قد صبغت بالزعفران فلما خلا البيت دنوت منها فمددت يدى الى ناصيتها فقالت على رسلك أبا أمية ثم قالت الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلى على محمد وآله أما بعد فانى امرأة غريبة لا علم لى بأخلاقك فبين لى ما تحب فآتيه وما تكره فأجتنبه فانه قد كان لك منكح فى قومك ولى فى قومى مثل ذلك ولكن اذا قضى الله أمرا كان مفعولا وقد ملكت فاصنع ماأمرك الله تعالى به اما امساك بمعروف أو تسريح باحسان أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لى ولك ولجميع المسلمين قال فأحوجتنى والله ياشعبي الى الخطبة فى ذلك الموضع فقلت الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلى على محمد وآله أما بعد فانك قلت كلاما ان ثبت عليه يكن ذلك حظالى وان تدعيه يكن حجة عليك أحب كذا وأكره كذا ومارأيت من حسنة فابثيها وما رأيت من سيئة فاستريها فقالت كيف محبتك لزيارة الأهل قلت ماأحب أن يملنى أصهارى قالت فمن تحب من جيرانك يدخل دارك آذن له ومن تكرهه أكرهه قلت بنو فلان قوم صالحون و بنوفلان قوم سوء قال فبت معها ياشعبي بأنعم ليلة ومكثت معى حولا لاأرى منها الا ماأحب فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء واذا أنا بعجوز فى الدار تأمر وتنهى قلت من هذه قالوا فلانة أم حليلتك قلت مرحبا وأهلا وسهلا فلما جلست أقبلت العجوز فقالت السلام عليك ياأبا أمية فقلت وعليك السلام ومرحبا بك وأهلا قالت كيف رأيت زوجتك قلت خير زوجة وأوفق قرينة لقد أدبت فأحسنت الأدب وريضت فأحسنت الرياضة فجزاك الله خيرا فقالت ياأبا أمية ان المرأة لايرى أسوأ حالا منها فى حالتين قلت وماهما قالت اذا ولدت غلاما أوحظيت عند زوجها فان رابك مريب فعليك بالسوط فوالله ماحاز الرجال فى بيوتهم أشر من الروعاء المدللة فقلت والله لقد أدبت فأحسنت الأدب وريضت فأحسنت الرياضة قالت كيف تحب أن يزورك أصهارك قلت ماشاءوا فكانت تأتينى فى رأس كل حول فتوصينى بتلك الوصية فمكثت معى ياشعبي عشرين سنة لم أعب عليها شيئا وكان لى جار من كندة يفزع امرأته ويضربها فقلت فى ذلك

رأيت رجالا يضربون نساءهم * فشلت يمينى يوم تضرب زينب *
أأضربها من غير ذنب أتت به * فما العدل منى ضرب من ليس بذنب *
فزينب شمس والنساء كواكب * اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وخطب الحجاج بن يوسف الى عبدالله بن جعفر ابنته أم كلثوم على ألفى ألف فى السر وخمسمائة ألف فى العلانية فأجابه الى ذلك وحملها إلى العراق فأقامت عنده ثمانية أشهر فلما خرج عبدالله بن جعفر الى عبدالملك بن مروان وافدا نزل بدمشق فأتاه الوليد بن عبدالملك على بغلة ومعه الناس فاستقبله ابن جعفر بالترحيب فقال له الوليد لكنك أنت لا مرحبا بك ولا أهلا قال مهلا ياابن أخى فلست أهلا لهذه المقالة منك قال بلى والله و بشر منها قال وفيم ذلك قال لأنك عمدت الى عقيلة نساء العرب وسيدة نساء بنى عبد مناف فعرضتها عبد ثقيف يتفخذها قال وفى هذا عتبت على ياابن أخى قال نعم فقال عبد الله والله ماأحق

الناس

المذكوران وكانا قائمين بين يديه وكان يوما مشهورا وأمرا محمودا فوقع الصلح على ما أراد الكامل محمد وملوك الافرنج والعساكر
كلها واقفة بحضرته ومد سماطا عظيما اجتمع عليه المؤمن والكافر والبر والفاجر فقام المحلى الشاعر وأنشد

هنيئا فان السعد راح مخلدا
وقد أنجز الرحمن بالنصر موعدا
حبانا اله الخلق فتحا به المنى
مبينا وانعاما وعزا مؤيدا
تهلل وجه الأرض بعد قطوبه
وأصبح وجه الشرك بالظلم أسودا
ولما طغا البحر الخضم بأهله الطغاة وأضحى بالمراكب مزبدا
أقام لهذا الدين من سل عزمه
صقيلا كما سل الحسام مجردا
فلم ينج الا كل شلو مجدل
ثوى منهم أو من تراه مقيدا
ونادى لسان الكون فى الأرض رافعا
عقيرته فى الخافقين مشيدا
أعباد عيسى ان عيسى وقومه
وموسى جميعا يخدمون محمدا

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة بلغني أنه وقت الانشاد أشار عند قوله عيسى الى المعظم وعند قوله موسى الى الأشرف وعند قوله محمد الى الكامل وهذا من أحسن الاتفاق انتهى (ومنه ما حكي عن جمال الدين) كاتب سر الملك المعظم عيسى أنه كان بينه وبين السلطان

الناس أن لا يلومني فى هذا الا أنت وأبوك لأن من كان قبلكم من الولاة يصلون رحمي ويعرفون حقي وإنك وأباك منعتماني رفدكما حتى ركبني الدين أما والله لو أن عبدا حبشيا مجدعا أعطاني بها ما أعطاني عبد ثقيف لزوجتها منه انما فديت بها رقبتي فما راجعه كلمة حتى عطف عنانه ومضى حتى دخل على عبد الملك فقال مالك يا أبا العباس قال انك سلطت عبد ثقيف وملكته حتى تفخذ نساء بني عبد مناف فادركت عبد الملك غيرة فكتب إلى الحجاج يقسم عليه أن لا يضع كتابه من يده حتى يطلقها ففعل قال ولم يكن يقطع الحجاج عنها رزقا ولا كرامة يجريها عليها حتى خرجت من الدنيا وما زال واصلا لعبد الله بن جعفر حتى مات وما كان يأتي عليه حول الا وعنده عير مقبلة من عند الحجاج عليها أموال وكسوة وتحف (وحكي) أن المغيرة بن شعبة لما ولي الكوفة سار الى دير هند بنت النعمان وهي فيه عمياء مترهبة فاستأذن عليها فقالت من أنت قال المغيرة بن شعبة الثقفي قالت ما حاجتك قال جئت خاطبا قالت انك لم تكن جئتني لجمال ولا لمال ولكنك أردت أن تتشرف فى محافل العرب فتقول تزوجت بنت النعمان بن المنذر والا فأي خير فى اجتماع عمياء وأعور * وكان عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قد تزوج عاتكة بنت عمرو بن نفيل وكانت من أجمل نساء قريش وكان عبد الرحمن من أحسن الناس وجها وأبرهم بوالديه فلما دخل بها غلبت على عقله وأحبها حبا شديدا فثقل ذلك على أبيه فمر به أبو بكر يوما وهو فى غرفة له فقال يا بني اني أرى هذه المرأة قد أذهلت رأيك وغلبت على عقلك فطلقها قال لست أقدر على ذلك فقال أقسمت عليك الا ما طلقتها فلم يقدر على مخالفة أبيه فطلقها فجزع عليها جزعا شديدا وامتنع من الطعام والشراب فقيل لأبي بكر أهلكت عبد الرحمن فمر به يوما وعبد الرحمن لا يراه وهو مضطجع فى الشمس ويقول هذه الأبيات

فوالله لا أنساك ما ذر شارق * وما ناح قمري الحمام المطوق * فلم أر مثلي طلق اليوم مثلها
ولا مثلها فى غير شيء يطلق * لها خلق عف ودين ومحتد * وخلق سوي فى الحياء ومنطق

فسمعه أبوه فرق له وقال له ارجعها يا بني فراجعها وأقامت عنده حتى قتل عنها يوم الطائف مع رسول الله ﷺ أصابه سهم فقتله فجزعت عليه جزعا شديدا وقالت ترثيه

فآليت لا تنفك نفسي حزينة * عليك ولا ينفك جلدي اغبرا
فتى طول عمري ما أرى مثله فتى * أكر وأحمى فى الهياج وأصبرا
اذا شرعت فيه الأسنة خاضها * الى القرن حتى يترك الرمح أحمرا

ثم تزوجها بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه فى خلافته ودعا الناس الى وليمته فأتوه فلما فرغ من الطعام وخرج الناس قال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه يا أمير المؤمنين ائذن لي فى كلام عاتكة حتى اهنيها وأدعو لها بالبركة فذكر عمر ذلك لعاتكة فقالت ان أبا الحسن فيه مزاح فائذن له يا أمير المؤمنين فأذن له فرفع جانب الخدر فنظر اليها فاذا ما بدا من جسدها مضمخ بالخلوق فقال لها يا عاتكة ألست القائلة

فآليت لا تنفك نفسي حزينة * عليك ولا ينفك جلدي أغبرا

وقيل ان عمر لما قتل عنها جزعت عليه جزعا شديدا وتزوجت بعده الزبير بن العوام وكان رجلا غيورا وكانت تخرج الى المسجد كعادتها مع أزواجها فشق ذلك عليه وكان يكره أن ينهاها عن الخروج الى الصلاة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا إماء الله مساجد الله فعرض لها ليلة فى ظهر

مداعبة ومنادمة فاتفق انه حضر في بعض الليالي عنده فلما رجع إلى منزله قالت له زوجته أين انعام السلطان فقال ما أنعم على الليلة بشيء فقالت أنا أعوض عنه وقامت اليه هي وجواريها في الحال وتناولته بالخفاف الثقال إلى
أن ألانت أعطافه
وأدارت في حالة الصفع
سلافه فكتب للمعظم
رقعة في ذلك منها
وتخالفت بيض الأكف كأنها الت
صفيق عند مجالس الاعراس
وتتابعت سود الخفاف كأنها
وقع المطارق من يدى نحاس
وقال أجب عنها فأجابه
بما في آخره فاصبر على
أخفافهن ولا تكن
متخلقا إلا بخلق الناس
واعلم ان اختلفت عليك بأنه
مافى وقوفك ساعة من باس
(وضمنه أبو جعفر الاندلسي فقال) ومورد
الوجنات دب عذاره
فكأنه خط على قرطاس
لما رأيت عذاره مستعجلا
قد رام يخفى الورد منه بآس
ناديته قف كى أودع ورده
مافى وقوفك ساعة من باس
(ومن البديع ما يحكى) ان
الشيخ بن كثير صاحب
التاريخ كان له صفة على
باب داره يجلس ويطالع فيها استئناسا بالمارة لسآمة الوحدة والى جواره جار له رث الثياب وكان إذا الشرف
رأى الشيخ جالسا على الصفة يجيء ويركب أكتافه فتفوح منه رائحة فيتأذى منها ويستحى أن يصرفه فاشتد غيظه يوما فقال له

المسجد وهي لا تعرفه فضرب بيده عجيزتها ثم انصرف فقعدت بعد ذلك عن الخروج إلى
المسجد وكان يقول لها ألا تخرجين ياعاتكة فتقول كنا نخرج إذ الناس ناس ومابهم من باس
وأما الآن فلا ثم قتل عنها الزبير قتله عمرو بن جرموز بوادي السباع وهو نائم ثم تزوجها بعده محمد بن
أبي بكر فقتل عنها بمصر فقالت لا أتزوج بعده أبدا إني لأحسبني أني لو تزوجت جميع أهل الأرض
لقتلوا عن آخرهم (وحكي) عن الحرث بن عوف بن أبي حارثة انه قال لخارجة بن سنان أترى اني أخطب
إلى أحد فيردني قال نعم قال ومن هو قال أوس بن حارثة بن لام الطائي قال اركب بنا اليه فركبنا اليه حتى
أتينا أوس بن حارثة في بلاده فوجدناه في فناء منزله فلما رأى الحرث بن عوف قال مرحبا بك ياحارث ثم
قال ماجاء بك قال جئت خاطبا قال لست هناك فانصرف ولم يكلمه فدخل أوس على امرأته مغضبا
فقالت له من الرجل الذي سلم عليك فلم تطل معه الوقوف ولم تكلمه فقال ذلك سيد العرب الحرث بن
عوف فقالت فما لك لا تستنزله قال انه استهجنني قالت وكيف قال لأنه جاءني خاطبا قالت ألست
تزعم انه سيد العرب قال نعم قالت إذا لم تزوج سيد العرب في زمانه فمن تزوج قال قد كان ذلك قالت
فتدارك ما كان منك قال فبماذا قالت بأن تلحقه فترده قال وكيف وقد فرط مني اليه مافرط قالت تقول
له انك لقيتني وأنا مغضب لأمر فلك المعذرة فيما فرط مني فارجع ولك عندي كل ماطلبت قال
فركب في أثرهما قال خارجة بن سنان فوالله انا لنسير اذ حانت مني التفاتة فرأيته فقلت للحرث وهو
مايكلمني هذا أوس في أثرنا فقال ماأصنع به فلما رآنا لا نقف قال ياحارث أربع على فوقفنا له
وكلمه بذلك الكلام فرجع مسرورا قال خارجة بن سنان فبلغني أن أوسا لما دخل منزله قال لزوجته
ادعي لي فلانة أكبر بناته فأتته فقال لها أي بنية هذا الحرث بن عوف سيد من سادات العرب جاءني
خاطبا وقد أردت أن أزوجك منه فما تقولين قالت لا تفعل قال ولم قالت لأن في خلقي رداءة وفي لساني
حدة ولست بابنة عمه فيراعي رحمي ولا هو بجار لك في البلد فيستحي منك ولا آمن أن يرى مني مايكره
فيطلقني فيكون علي بذلك مسبة قال لها قومي بارك الله فيك ثم دعا بابنته الأخرى فقال لها مثل قوله
لأختها فأجابته بمثل جوابها فقال لها قومي بارك الله فيك ثم دعا بالثالثة وكانت أصغرهن سنا فقال لها
مثل ماقال لأختيها فقالت له أنت وذاك فقال لها اني عرضت ذلك على أختيك فأبتاه ولم يذكر لها
مقالتهما فقالت له والله إني الجميلة وجها الرفيعة خلقا الحسنة رأيا فان طلقني فلا أخلف الله عليه فقال
لها بارك الله فيك ثم خرج اليه فقال زوجتك ياحارث بابنتي هنيسة قال قد قبلت نكاحها
وأمر أمها أن تهيئها له وتصلح شأنها ثم أمر ببيت فضرب له وأنزله اياه ثم بعثها اليه فلما دخلت
عليه لبث هنيهة ثم خرج إلي فقلت له أفرغت من شأنك قال لا والله قلت وكيف ذلك
قال لما مددت يدي اليها قالت مه أعند أبي واخوتي هذا والله لا يكون ثم أمر بالرحلة
فارتحلنا بها معنا وسرنا ماشاء الله ثم قال لي تقدم فتقدمت فعدل عن الطريق فما لبث أن
لحقني فقلت أفرغت من شأنك قال لا والله قلت ولم قال قالت تفعل بي كما يفعل بالأمة السبية
الأخيذة لا والله حتى تنحر الجزر والغنم وتدعو العرب وتعمل مايعمل مثلك لمثلي فقلت والله
اني لأرى همة وعقلا فقال صدقت قال وأرجو الله أن تكون المرأة النجيبة فوردنا إلى بلادنا فأحضر
الابل والغنم ونحر وأولم ثم دخل عليها وخرج إلي فقلت أفرغت من شأنك قال لا والله قلت ولم
ذاك قال دخلت عليها أريدها فقلت لها قد أحضرت من المال ماتريدين قالت والله لقد ذكرت من

الشرف بما ليس فيك قلت ولم ذاك قالت أتستفرغ لنكاح النساء والعرب يقتل بعضها بعضا وكان ذلك في أيام حرب قيس وذبيان قلت فماذا تقولين قالت اخرج إلى القوم فاصلح بينهم ثم ارجع إلى أهلك فلن يفوتك ماتريد فقلت والله انى لأرى عقلا ورأيا سديدا قال فاخرج بنا فخرجنا حتى أتينا القوم فمشينا بينهم بالصلح فاصطلحوا على أن يحسبوا القتلى ثم تؤخذ الدية فحملنا عنهم الديات فكانت ثلاثة آلاف بعير فانصرفنا بأجمل ذكر ثم دخل عليها فقالت له أما الآن فنعم فأقامت عنده في ألذ عيش وأطيبه وولدت له بنين و بنات وكان من أمرهما ما كان والله أعلم بالصواب (وحكى) الفضل أبو محمد الطيبي قال حدثنا بعض أصحابنا أن رجلا من بني سعد مرت به جارية لأمية بن خالد بن عبد الله بن أسد ذات ظرف وجمال وكان شجاعا فارسا فلما رآها قال طوبى لمن كان له امرأة مثلك ثم أتبعها رسولا يسألها ألها زوج ويذكره لها وكان جميلا فقالت للرسول وما حرفته فابلغه الرسول ذلك فقال ارجع اليها وقل لها

وسائل ما حرفتي قلت حرفتي * مقارعة الأبطال في كل شارق * إذا عرضت خيل لخيل رأيتني

أمام رعيل الخيل أحمي حقائقي * أصبر نفسي حين لم أر صابرا * على ألم البيض الرقاق البوارق

فلحقها الرسول فأنشدها ماقال فقالت له ارجع اليه وقل له أنت أسد فاطلب لك لبوة فلست من نسائك وأنشدته تقول

ألا انما أبغي جوادا بماله * كريما محياه كثير الصدائق

فتى همه مذ كان خود خريدة * يعانقها في الليل فوق النمارق

وحدث يحيى بن عبد العزيز عن محمد بن الحكم عن الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه قال تزوج رجل امرأة جديدة على امرأة قديمة فكانت جارية الجديدة تمر على بيت القديمة فتقول

وما يستوي الرجلان رجل صحيحة * وأخرى رمى فيها الزمان فشلت

ثم تعود وتقول وما يستوي الثوبان ثوب به البلى * وثوب بأيدي البائعين جديد

فمرت جارية القديمة على باب الجديدة يوما وقالت

نقل فؤادك ما استطعت من الهوى * ما الحب إلا للحبيب الأول

كم منزل في الأرض يألفه الفتى * وحنينه أبدا لأول منزل

وقال عمرو بن العلاء وكان أعلم الناس بالنساء

فان تسألوني بالنساء فانني * بصير بادواء النساء طبيب

إذا شاب رأس المرء أو قل ماله * فليس له في ودهن نصيب

وسئل المغيرة بن شعبة عن صفة النساء فقال بنات العم أحسن مواساة والغرائب أنجب وما ضرب رؤس الاقران مثل ابن السوداء وقال عبد الملك بن مروان من أراد أن يتخذ جارية للمتعة فليتخذها بربرية ومن أراد أن يتخذها للولد فليتخذها فارسية ومن أراد أن يتخذها للخدمة فليتخذها رومية قال الشاعر

لا تشتمن امرأ ممن يكون له * أم من الروم أو سوداء عجماء

فانما أمهات القوم أوعية * مستودعات وللانساب آباء

وقال الأصمعي أتاني رجل من قريش يستشيرني في امرأة يتزوجها فقلت يا ابن أخي أقصيرة النسب أم طويلته فلم يفهم عني فقلت يا ابن أخي أما القصيرة النسب فالتي إذا ذكرت أباها اكتفت به والطويلة النسب فهي التي لا تعرف حتى تطيل في نسبها فاياك أن تقع مع قوم قد أصابوا كثيرا من الدنيا مع دناءة

ياشيخ أما تستحي كلما تراني جالسا تجيء تركب أكتافي وأنت لست تعرف ما أطالعه ولا لك شعور به فلما أخجله بهذا التعنيف قال له ياسيدي الشيخ ماهذا الذي تطالع فيه من العلوم فقال شيء في الاقتباس فقال له انشدني منه شيئا ففكر ابن كثير ساعة واقتبس في مطالعة الحال وقال

كيد حسودي وهنا * ولي سرور وهنا

الحمد لله الذي * أذهب عنا الحزنا

فلما فرغ من انشاده قال له هذا الذي أفكرت فيه وتتكبر به استمع ما أقول فأنشد ارتجالا من غير وقفة قلبي إلى الرشد يسير وعنده النظم يسير

الحمد لله الذي * فضلنا على كثير

فقام الشيخ له اجلالا وأجلسه واعتذر له وقال له إياك أن تزدري بأحد فان مواهب الله تعالى في الصدور لا في الثياب اه (ومن اللطائف ما حكى) أن بعض الملوك حاصر ملكا وأطال في حصاره فلما اشتد به المحاصرة استدعى بوزرائه فقال ما ترون وقد تأخرت بنا هذه الحال هل نسلمه أم نخرج عليه ليلا ويفعل الله بنا ما يشاء فقال بعض وزرائه قد بدى لي رأي أرى انهم ينصرفون به عنا من غير قتال فقال ماهو قال يجمع مولاي مافي خزائنه من الذهب ويحضره فلما أحضره استدعى بالصياغ وأمرهم أن يصوغوه جميعه سهاما زنة كل سهم قدر معلوم فعملت على الأمر المذكور فكتب الوزير على كل نصل سطرين ثم أمر أن

فيهم فتضيع نسبك فيهم وخرج رجل من أهل الكوفة فى غزاة فكسب جارية وفرسا وكان مملكا على ابنة عمه فكتب اليها يعيرها ويقول

ألا بلغوا أم البنين باننا * غنينا وأغنتنا الغطارفة النجد
بعيد مناط المنكبين اذا جرى * وبيضاء كالتمثال زينها العقد
فهذا لأيام العدو وهذه * لحاجة نفسى حين ينصرف الجند

فلما ورد عليها كتابه وقرأته قالت ياغلام هات الدواة وكتبت جوابه تقول

ألا فاقره منى السلام وقل له * غنينا وأغنتنا غطارفة المرد * اذا شئت أغنانى غلام مرجل
ونازعته فى ماء معتصر الورد * وان شاء منهم ناشئ مد كفه * الى عكن ملساء أو كفل نهدى
فما كنتم تقضون حاجة أهلكم * شهودا فتقضوها على التأنى والبعد * فعجل الينا بالسراج فانه
مناناولا ندعو لك الله بالرد * فلا قفل الجند الذى أنت فيهم * وزادك رب الناس بعدا على بعد

فلما ورد عليه كتابها لم يزد على أن ركب الفرس وأردف الجارية خلفه ولحق ابنة عمه فكان أول شئ بدأها به بعد السلام أن قال لها بالله عليك هل كنت فاعلة ذلك فقالت له الله فى قلبى أعظم وأجل وأنت فى عينى أذل وأحقر من أن أعصى الله فيك فكيف ذقت طعم الغيرة فوهب لها الجارية وانصرف الى الغزاة والله تعالى أعلم بالصواب

﴿ الفصل الثانى فى صفات النساء المحمودة ﴾ كتب الحجاج الى الحكم بن أيوب أن اخطب لعبد الملك بن مروان امرأة جميلة من بعيد مليحة من قريب شريفة فى قومها ذليلة فى نفسها مؤاتية لبعلها فكتب اليه قد أصبتها لولا عظم ثديها فكتب اليه لا يكمل حسن المرأة حتى يعظم ثدياها فتدفى الضجيع وتروى الرضيع وقال عبد الملك بن مروان لرجل من غطفان صف لى أحسن النساء قال خذها يا أمير المؤمنين ملساء القدمين ردماء الكعبين ناعمة الساقين ضخماء الركبتين لفاء الفخذين ضخمة الذراعين رخصة الكفين ناهدة الثديين حمراء الخدين كحلاء العينين زجاء الحاجبين لمياء الشفتين بلجاء الجبين شماء العرنين شنباء الثغر محلولكة الشعر غيداء العنق مكسرة البطن فقال ويحك وأين توجد هذه قال تجدها فى خالص العرب وفى خالص فارس * وقال حكيم عليكم بمن تربت فى النعيم ثم أصابتها فاقة فأترفها الغنى وأدبها الفقر * وقال رجل لخاطب ابغ لى امرأة لا تؤنس جارا ولا توطن دارا يعنى لا تدخل على الجيران ولا تدخل الجيران عليها وفى مثل هذه قال الشاعر

هيفاء فيها اذا استقبلتها صلف * عيطاء غامضة الكعبين معطار
خود من الخفرات البيض لم يرها * بساحة الدار لا بعل ولا جار

(وقال الأعشى) لم تمش ميلا ولم تركب على جمل * ولم تر الشمس الا دونها الكلل

وكانت امرأة عمران بن قيحطان من أجمل الناس وجها وكان هو من أقبح الناس وجها فقال لها يوما أنا واياك فى الجنة ان شاء الله تعالى فقالت له وكيف ذلك فقال لأنى أعطيت مثلك فشكرت وأعطيت مثلى فصبرت والصابر والشاكر فى الجنة وقال بعضهم رأيت فى طريق مكة اعرابية ما رأيت أحسن منها وجها فقعدت أنظر اليها وأتعجب من جمالها فجاء شيخ قصير فأخذ بردائها وسار بها ومضى فلقيتها مرة أخرى فقلت لها من هذا الشيخ قالت زوجى قلت كيف يرضى مثلك

تركب السهام فلما ركبت أمر حاشية الملك بأن يأخذ كل واحد سهما وأمرهم أن يرموها عن قوس واحد على العسكر المحتاط بهم فيلا لا لمعان نصالها حتى أدهش العيون فأمر الملك أن تجمع فلما جمعت بين يديه أمر أن يقرأ ما عليها فاذا هو مكتوب

ومن جوده يرمى العفاة بأسهم * من الذهب الابريز صيغت نصولها
لينفقها مجروحها فى دوائه * ويشترى الاكفان منها قتيلها

فلما سمع ذلك أمر بالرحيل من ساعته وقال مثل هذا لا يحاصر ولا يقاتل (ومن ذلك ما يحكى) ان الشيخ شمس الدين المعروف بالدجوى رحمه الله تعالى كان يتعشق مليحا فرآه بعد مدة وهو يتوجع من دمل طلعت فى دبره فسأله فقال دمل فى ذلك المحل فضحك الشيخ ضحكا شديدا وقال ما رأيت أعجب من هذا الدمل فقال له الشاب ولم قال الدمامل تطلع فى أضيق المواضع وهذا على غير القياس جاء فى أوسع المواضع فتبسم الشاب خجلا ومضى انتهى (لطيفة) يحكى أن نقيب الاشراف ببغداد كان يهوى غلاما اسمه صدقة فأخذه ابن المنير الطرابلسى يوما وأضافه وجلس فى طبقة له فذهب اليهم على خفية وقال

يامن هم فى الطبقه * هل عندكم من شفقه
لسائل متيم * يطلب منكم صدقه

فأجابه ابن المنير ارتجالا فى الحال بقوله

يامن أتانا سرقه * بمهجة محترقه
جدك ياذا المجز * أخذك منا صدقه

بمثله

بمثله فأنشدت

أيا عجبا للخوديجري وشاحها * تزف الى شيخ بأقبح تمثال

دعاني اليـه أنه ذو قرابة * يعزعلينا من بني العم والخال

وسمع بعضهم قائلا يقول

ومن لايرد مدحي فان مدائحي * توافق عند الاكرمين نوامي

نوافق عندالمشتري الحمدبالندى * نفاق بنات الحرث بن هشام

فقال ياابن أخي ما بلغ من نفاق بنات الحرث بن هشام قال كن من أجمل الناس وجوها وكان أبوهن اذا زوجهن يسوقهن ومهورهن الى بعولتهن فقال ياابن أخي لو فعل هذا ابليس ببناته لتنافست فيهن الملائكة المقربون * وقال عبد الملك لابن أبي الرقاع كيف علمك بالنساء قال أنا والله أعلم الناس بهن وجعل يقول

قضاعية الكعبين كندية الحشا * خزاعية الاطراف طائية الفم

لها حكم لقمان وسورة يوسف * ومنطق داود وعفـة مريم

وقالوا الوجه الحسن أحمر وقد تضرب فيه الصفرة مع طول المكث في الكن والتضمخ بالطيب وقالوا ان الوجه الرقيق البشرة الصافي الاديم اذا خجل يحمر واذا فرق يصفر ومنه قولهم ديباج الوجه يريدون تلونه من رقته قال علي بن زيد في وصفه

حمرة خلط صفرة في بياض * مثل ماحاك حائك ديباجا

(وقال علي بن عبدربه) بيضاء يحمر خداها إذا خجلت * كما جرى ذهب في صفحتي ورق

وقالوا إن الجارية الحسناء تتلون بتلون الشمس فهي بالضحى بيضاء وبالعشي صفراء فقال ذو الرمة

بيضاء صفراء قد تنازعها * لونان من فضة ومن ذهب

قالوا ليس المرأة الجميلة التي تأخذ ببصرك جملة على بعد فاذا دنت منك لم تكن كذلك بل الجميلة التي كلما كررت بصرك فيها زادتك حسنا وقالوا ان أردت أن يتجب ولدك فاغضبها ثم قع عليها قال الشاعر

ممن حملن به وهن عواقد * حبك النطاق فعاش غير مهبل

حملت به في ليـلة مزؤودة * كرها وعقـد نطاقها لم يحلل

﴿الفصل الثالث في صفة المرأة السوء نعوذ بالله تعالى منها﴾ في حكمة داود عليه السلام أن المرأة السوء مثل شرك الصياد لا ينجو منها الا من رضي الله تعالى عنه وقيل المرأة السوء غل يلقيه الله تعالى في عنق من يشاء من عباده * وقيل لاعرابي كان ذا تجربة للنساء صف لنا شر النساء فقال شرهن النحيفة الجسم القليلة اللحم المحياض الممراض المصفرة الميشومة العسرة المبشومة السلطة البطرة النفرة السريعة الوثبة كأن لسانها حربة تضحك من غير عجب وتبكي من غير سبب وتدعو على زوجها بالحرب أنف في السماء واست في الماء عرقوبها حديد منتفخة الوريد كلامها وعيد وصوتها شديد تدفن الحسنات وتفشي السيآت تعين الزمان على بعلها ولا تعين بعلها على الزمان ليس في قلبها عليه رأفة ولا عليها منه مخافة ان دخل خرجت وان خرج دخلت وان ضحك بكت وان بكى ضحكت كثيرة الدعاء قليلة الارعاء تأكل لما وتوسع ذما ضيقة الباع مهتوكة القناع صبيها مهزول وبيتها مزبول إذا حدثت تشير بالاصابع وتبكي في المجامع بادية من حجابها نباحة عند بابها تبكي وهي ظالمة وتشهد وهي غائبة

الحجل الشريف وذهب انتهى (ومن المستعذب مايحكى عن الفضل)قال دخلت على الرشيد و بين يديه طبق ورد وعنده جاريته مارية وكانت تحسن الشعر والادب مع الحسن والجمال فقال يافضل قل في هذا الورد فانشدته بديها

كأنه فم محبوب يقبله فم الحبيب وقد أبدى به خجلا

فقال الرشيد ماتقولين يامارية فأنشدته

كأنه لون خدي حين تدفعني كف الرشيد لامر يوجب الغسلا

فقال الرشيد قم يافضل فقد هيجتني هذه الماجنة فقمت وقد أرخيت الستور اه (ومن الغايات التي لاندرك) ماحكاه الشريف المقري في شرح بديعته ان صائغا نصرانيا اسمه نجم صاغ خاتما لبعض أولاد وزراء بيت المقدس وكان اسمه يحيي فنقش عليه نجم عشق يحيي ودفعه له فلما قرأه طاش عقله وامتلأ غيظا وذهب الى أبيه وقال له اقرأ ما على هذا الخاتم فلما قرأه حصل في نفسه تأثير فأرسل خلفه وعقد مجلسا لدى القاضي وأراد قتله فلما حضر أعلم بذلك فقال ماذنبي وأنتم تروون عن نبيكم من قتل ذميا كنت خصمه يوم القيامة فقيل له أو تنكم وخطك يشهد عليك كيف تكتب نجم عشق يحيي فقال والله

 ما كتبت الا ما تتبركون به في كتابكم فكتبت نجم عسق يحيي فطرب المجلس لذلك واستحسنوا ذكاءه وأشاروا عليه بالاسلام فهذا من الاتفاق العجيب اه (ومثـل ذلك) قول أبي نواس يهجو خالصة

قد دلى لسانها بالزور وسال دمعها بالفجور ابتلاها الله بالويل والثبور وعظائم الامور ويقال ان المرأة اذا كانت مبغضة لزوجها فان علامة ذلك أن تكون عند قربها منه مرتدة الطرف عنه كأنها تنظر الى انسان غيره من ورائه وان كانت محبة له لا تقلع عن النظر اليه قال بعضهم

لقد كنت محتاجا الى موت زوجتى * ولـكن قرين السوء باق معمر
فياليتها صارت الى القبر عاجلا * وعذبها فيه نكير ومنكر

(وقال زيد بن عمير) أعاتبها حتى اذا قلت أقلعت * أبى الله الا خزيها فتعود
فان طمثت قادت وان طهرت زنت * فهاتيك تزنى دائما وتقود

وقال داود عليه الصلاة والسلام المرأة السوء على بعلها كالحمل الثقيل على الشيخ الكبير والمرأة الصالحة كالتاج المرصع بالذهب كلما رآها قرت عينه برؤيتها والله أعلم

﴿ الفصل الرابع فى مكر النساء وغدرهن وذمهن ومخالفتهن ﴾ فى حكمة داود عليه الصلاة والسلام وجدت فى الرجال واحدا فى ألف ولم أجد واحدة فى جميع النساء وقيل ان عيسى عليه الصلاة والسلام لقى ابليس وهو يسوق أربعة أحمرة عليها أحمال فسأله فقال أحمل تجارة وأطلب مشترين فقال ما أحدها قال الجور قال من يشتريه قال السلاطين قال فما الثانى قال الحسد قال فمن يشتريه قال العلماء قال فما الثالث قال الخيانة قال فمن يشتريها قال التجار قال فما الرابع قال الكيد قال فمن يشتريه قال النساء وقال حكيم النساء شر كلهن وشر ما فيهن قلة الاستغناء عنهن وقالت الحكماء لا تثق بامرأة ولا تغتر بمال وان كثر وقال النساء حبائل الشيطان قال الشاعر

تمتع بها ما ساعفتك ولا تكن * جزوعا إذا بانت فسوف تبين * وخنها وان كانت تفى لك إنها
على قدم الايام سوف تخون * وان هى أعطتك الليان فانها * لغيرك من طلابها ستلين
وان حلفت أن ليس تنقض عهدها * فليس لمخضوب البنان يمين
وان سكبت يوم الفراق دموعها * فليس لعمر الله ذاك يقين

(وقال ابن بشار) رأيت مواعيد النساء كأنها * سراب لمرتاد المناهل حافل
ومنتظر الموعود منهن كالذى * يؤمل يوما أن تلين الجنادل

قال بعض الحكماء لم تنه المرأة عن شئ قط الا فعلته وقال الغنوى

ان النساء متى ينهين عن خلق * فانه واقع لا بد مفعول

وقال النخعى من اقتراب الساعة طاعة النساء ويقال من أطاع عرسه فقد أضاع نفسه وقال على رضى الله تعالى عنه إياك ومشاورة النساء فان رأيهن الى أفن وعزمهن الى وهن اكفف أبصارهن بالحجاب فان شدة الحجاب خير لهن من الارتياب وليس خروجهن باضر من دخول من لا يوثق به عليهن فان استطعت أن لا يعرفن غيرك فافعل قال السمعانى

لا تأمنن على النساء ولو أخا * ما فى الرجال على النساء أمين
ان الأمين وان تحفظ جهده * لا بد أن بنظرة سيخون

(وقال غيره) لا تركنن الى النساء * ولا تثق بعهودهن فرضاؤهن جميعهن * معلق بفروجهن
وقال على رضى الله تعالى عنه لا تطلعوا النساء على حال ولا تأمنوهن على مال ولا تذروهن الا لتدبير العيال ان تركن وما يردن أوردن المهالك وأفسدن الممالك ينسين الخير ويحفظن الشر يتهافتن فى البهتان

جارية الرشيد لقد ضاع شعرى على بابكم * كما ضاع در على خالصه فلما بلغ الرشيد أنكر عليه وهدده فقال لم أقل الاضاء فاستحسن مواربته وقال بعض من حضر هذا البيت قلعت عينه فأبصر اه (حكى) عن أبى العيناء أنه قال رأيت جارية مع النخاس وهى تحلف أن لا ترجع لمولاها فسألتها عن ذلك فقالت ياسيدى أنه يواقعنى من قيام ويصلى من قعود ويشتمنى باعراب ويلحن فى القرآن ويصوم الخميس والاثنين ويفطر رمضان ويصلى الضحى ويترك الفرض فقلت لا أكثر الله مثله فى المسلمين اه (وقيل) زنى رجل بجارية فأحبلها فقيل له ياعدو الله هلا اذا ابتليت بفاحشة عزلت قال قد بلغنى أن العزل مكروه قالوا فما بلغك أن الزنا حرام (وقيل) لاعرابى كان يتعشق قينة ما يضرك لو اشتريتها ببعض ما تنفق عليها قال فمن لى اذ ذاك بلذة الخلسة ولقاء المسارقة وانتظار الموعد (وحكى) أن علية بنت المهدى كانت تهوى غلاما خادما اسمه طل فحلف الرشيد أن لا تكلمه ولا تذكره فى شعرها فاطلع الرشيد يوما عليها وهى تقرأ فى سورة البقرة فان لم يصبها وابل فالذى نهى عنه أمير المؤمنين (قيل) دخلت امرأة على هرون الرشيد وعنده جماعة من وجوه أصحابه فقالت ياأمير المؤمنين أقر الله عينك وفرحك بما آتاك وأتم سعدك لقد حكمت فقسطت فقال لها من تكونين أيتها المرأة فقالت من آل برمك ممن قتلت رجالهم وأخذت أموالهم وسلبت نوالهم فقال اما الرجال فقد مضى فيهم

أمر الله ونفذ فيهم قدره وأما المال فمردود اليك ثم التفت الى الحاضرين من أصحابه فقال أتدرون ماقالت المرأة فقالوا مانراها قالت إلاخيرا قال ما أظنكم فهمتم ذلك أما قولها أقر الله عينك فتعني أسكنها عن الحركة

وإذا أسكنت العين عن الحركة عميت وأما قولها وفرحك بما آتاك فأخذته من قوله تعالى حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة وأما قولها وأتم الله سعدك فأخذته من قول الشاعر إذاتم أمر بدا نقصه ترقب زوالا إذا قيل تم وأما قولها لقد حكمت فقسطت فأخذته من قوله تعالى وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا فتعجبوا من ذلك (وحكى) أن المأمون ولى عاملا على بلاد وكان يعرف منه الجور في حكمه فأرسل اليه رجلا من أرباب دولته ليمتحنه فلما قدم عليه أظهر له أنه قدم في تجارة في نفسه ولم يعلمه أن أمير المؤمنين عنده علم منه فأكرم نزله وأحسن اليه وسأله أن يكتب كتابا إلى أمير المؤمنين المأمون يشكر سيرته عنده ليزداد فيه أمير المؤمنين رغبة فكتب كتابا فيه بعد الثناء على أمير المؤمنين أما بعد فقد قدمنا على فلان فوجدناه آخذاً بالعزم عاملا بالحزم قد عدل بين رعيته وساوى في قضيته أغنى القاصد وأرضى الوارد وأنزلهم منه منازل الأولاد وأذهب ما

ويمادين في الطغيان وقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه ذل من أسند أمره إلى امرأة * وقيل ان صياداً أتى أبرويز بسمكة فأعجبه حسنها وسمنها فأمرله بأربعة آلاف درهم فخطأته سيرين زوجته فقال لها ماذا أفعل فقالت له إذا جاءك فقل له أذكرا كانت أم أنثى فان قال لك ذكرا فاطلب منه الأنثى وان قال لك أنثى فاطلب منه الذكر فلما أتاه سأله فقال كانت أنثى فقال ائتني بذكرها فقال عمر الله الملك كانت بكراً لم تتزوج فقال زه وأمرله بثمانية آلاف درهم وقالوا اكتبوا في الحكمة الغدر ومطاوعة النساء يؤديان إلى الغرم الثقيل وقال حكيم اعص النساء وهواك وافعل ماشئت * وقال عمر رضي الله تعالى عنه أكثروا لهن من قول لافان نعم تغريهن على المسئلة وقال استعيذوا بالله من شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر

﴿ومما قيل في الباءة﴾ ذكر الجماع عند الامام مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه قال هو نور وجهك ومخ ساقك فاقلل منه أو أكثر وقال معاوية رضي الله تعالى عنه ما رأيت نهما في النساء إلا عرفت ذلك في وجهه وخلا تمام بجارية له فعجز عنها فقال ما أوسع حرك فأنشأت تقول

أنت الفداء لمن قد كان يملؤه * ويشتكي الضيق منه حين يلقاه

(وقال آخر) شفاء الحب تقبيل ولمس * وسحب بالبطون على البطون

ورهز تذرف العينان منه * وأخذ بالمناكب والقرون

وقالت امرأة من أهل الكوفة دخلت على عائشة بنت طلحة فسألت عنها فقيل هي مع زوجها في القيطون فسمعت شهيقا وشخيرا لم أسمع مثله ثم خرجت إلي وجبينها يتصبب عرقا فقلت لها ماظننت حرة تفعل هذا بنفسها فقالت ان الخيل تشرب بالصفير وعاتبت امرأة زوجها على قلة إتيانها فأجابها يقول

أنا شيخ ولى امرأة عجوز * تراودني على مالا يجوز

وقالت رق أيرك مذ كبرنا * فقلت بلى قد اتسع القفيز

وكان لرجل امرأة تخاصمه وكلما خاصمته قام اليها فواقعها فقالت ويحك كلما تخاصمني تأتيني بشفيع لا أقدر على رده وأتى رجل إلى علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وقال ان لي امرأة كلما غشيتها تقول قتلتني فقال اقتلها بهذه القتلة وعلي اثمها وقالوا من قل جماعه فهو أصح بدنا وأنقى جلدا وأطول عمراً ويعتبر ذلك بذكور الحيوان وذلك انه ليس في الحيوان أطول أعمارا من البغال ولا أقصر أعمارا من العصافير وهي أكثرها سفاداً والله تعالى أعلم بالصواب

﴿الفصل الخامس في الطلاق وما جاء فيه﴾ عن عبد الرحمن بن محمد ابن أخي الأصمعي قال قال عمي للرشيد في بعض حديثه يا أمير المؤمنين بلغني ان رجلا من العرب طلق في يوم واحد خمس نسوة قال وكيف ذلك وانما لايجوز للرجل غير أربعة قال يا أمير المؤمنين كان متزوجا بأربعة فدخل عليهن يوما فوجدهن متنازعات وكان شريراً فقال الى متى هذا النزاع ما أظن هذا إلا من قبلك يا فلانة لامرأة منهن اذهبي فأنت طالق فقالت له صاحبتها عجلت عليها بالطلاق ولو أدبتها بغير ذلك لكان أصلح فقال لها وأنت أيضا طالق فقالت له الثالثة قبحك الله فوالله لقد كانتا اليك محسنتين فقال لها وأنت أيضا أيتها المعددة أياديهما طالق فقالت الرابعة وكانت هلالية ضاق صدرك الا أن تؤدب نساءك بالطلاق فقال لها وأنت طالق أيضا فسمعته جارة له فأشرفت عليه وقالت له والله ماشهدت العرب عليك ولا على قومك بالضعف الالما بلوه منكم ووجدوه فيكم أبيت الاالطلاق نسائك في ساعة واحدة فقال لها وأنت أيتها المتكلمة فيما لايعنيك طالق ان أجازني بعلك فأجابه زوجها قد أجزت لك ذلك

بينهم من الضغائن والاحقاد وعمر منهم المساجد الدائرة وأفرغهم من عمل الدنيا وشغلهم بعمل الآخرة يعني أن الكل صاروا فقراء لايملكون شيئا من الدنيا يريدون النظر إلى وجه أمير المؤمنين أي ليشكو حالهم

فعجب الرشيد من ذلك وطلق رجل امرأته فلما أرادت الارتحال قال لها اسمعى وليسمع من حضر اني والله اعتمدتك برغبة وعاشرتك بمحبة ولم أجد منك زلة ولم يدخلني عنك ملة ولكن القضاء كان غالبا فقالت المرأة جزيت من صاحب ومصحوب خيرا فما استقللت خيرك ولا شكوت ضيرك ولا تمنيت غيرك ولا أجد لك في الرجال شبها وليس لقضاء الله مدفع ولا من حكمه علينا ممنع وقال رجل لابن عباس رضى الله تعالى عنهما ماتقول في رجل طلق امرأته عدد نجوم السماء فقال يكفيه من ذلك عدد نجوم الجوزاء

﴿ ذكر من طلق امرأته فتبعتها نفسه ﴾ قال الهيثم بن عدى كانت تحت ابن الغربان بن الأسود بنت عم له فطلقها فتبعتها نفسه فكتب اليها يعرض لها بالرجوع فكتبت اليه تقول

ان كنت ذا حاجة فاطلب لها بدلا * ان الغزال الذى ضيعت مشغول

(فكتب اليها يقول) ان كان ذا شغل فالله يكلؤه * فقد لهونا به والحبل موصول

وقد قضينا من استطرافه وطرا * وفي الليالى وفي أيامها طول

وطلق الوليد بن يزيد زوجته سعدى فلما تزوجت اشتد ذلك عليه وندم على ما كان منه فدخل عليه أشعب فقال له هل لك أن تبلغ سعدى عنى رسالة ولك عشرة آلاف درهم قال أقبضنيها فأمر له بها فلما قبضها قال له هات رسالتك قال ائتها فأنشدها

أسعدى هل اليك لنا سبيل * ولا حتى القيامة من تلاق

بلى ولعل دهرا أن يؤاتى * بموت من خليلك أو فراق

قال فأتاها أشعب فاستأذن عليها فأذنت له فدخل فقالت له مابدا لك في زيارتنا ياأشعب فقال ياسيدتى أرسلنى اليك الوليد برسالة ثم أنشدها الشعر فقالت لجواريها عليكن بهذا الخبيث فقال ياسيدتى انه دفع لى عشرة آلاف درهم فهى لك واعتقينى لوجه الله فقالت والله لا أعتقتك أو تبلغ اليه ماأقول لك قال ياسيدتى فاجعلى لى جعلا قالت لك بساطى هذا قال قومى عنه فقامت فأخذه وألقاه على ظهره وقال هات رسالتك فقالت

أتبكى على سعدى وأنت تركتها * فقد ذهبت سعدى فما أنت صانع

فلما بلغه الرسالة ضاقت عليه الأرض بما رحبت وأخذته كظمة فقال لأشعب اختر منى احدى ثلاث اما أن أقتلك واما أن أطرحك من هذا القصر واما أن ألقك إلى هذه السباع فتفترسك فتحير أشعب وأطرق مليا ثم قال ياسيدى ما كنت لتعذب عينا نظرت إلى سعدى فتبسم وخلى سبيله *

وممن طلق امرأته فتبعتها نفسه الفرزدق الشاعر طلق النوار ثم ندم على طلاقها وقال

ندمت ندامة الكسعى لما * غدت منى مطلقة نوار * فأصبحت الغداة ألوم نفسى بأمر ليس لى فيه اختيار * وكانت جنتى فخرجت منها * كآدم حين أخرجه الضرار

ولو انى ملكت بها يمينى * لكان على للقدر الخيار

وممن طلق امرأته فتبعتها نفسه فندم قيس بن ذريح وكان أبوه أمره بطلاقها فطلقها وندم على ذلك فأنشد يقول فنى صبرى وعاودونى ردائى * وكان فراق لبنى كالخداع

تكنفنى الوشاة فأزعجونى * فيا للناس للواشى المطاع * فأصبحت الغداة ألوم نفسى على أمر وليس بالمستطاع * كمغبون يعض على يديه * تبين غبنه عند البياع

وما نزل بهم فلما جاء الكتاب إلى المأمون عزله عنهم لوقته وولى عليهم غيره (وحكى) أن بعض الملوك طلع يوما إلى أعلى قصره يتفرج فلاحت منه التفاتة فرأى امرأة على سطح دار إلى جانب قصره لم ير الراؤن أحسن منها فالتفت الى بعض جواريه فقال لها لمن هذه فقالت يامولاى هذه زوجة غلامك فيروز قال فنزل الملك وقد خامره حبها وشغف بها فاستدعى بفيروز وقال له خذ هذا الكتاب وامض به إلى البلد الفلانية وائتنى بالجواب فأخذ فيروز الكتاب وتوجه إلى منزله فوضع الكتاب تحت رأسه فلما أصبح ودع أهله وسار طالبا لحاجة الملك ولم يعلم بما قد دبره الملك فانه لما توجه فيروز قام مسرعا وتوجه مختفيا الى دار فيروز فقرع الباب قرعا خفيفا فقالت امرأة فيروز من بالباب قال أنا الملك سيد زوجك ففتحت له فدخل وجلس فقالت له أرى مولانا اليوم عندنا فقال جئت زائرا فقالت أعوذ بالله من هذه الزيارة وماأظن فيها خيرا فقال لها ويحك انى أنا الملك سيد زوجك وماأظنك عرفتينى فقالت يامولاى لقد علمت أنك الملك ولكن سبقتك الأوائل فى قولهم

سأترك ماءكم من غير ورد * وذاك لكثرة الوراد فيه

إذا سقط الذباب على طعام * رفعت يدى ونفسى تشتهيه

وتجتنب الاسود ورود ماء * إذا كان الكلاب ولغن فيه

ويرتجع الكريم خميص بطن * ولا يرضى مساهمة السفيه

وحدث ... وما أحسن يامولاى قول الشاعر

وحدث العتبي قال جاء رجل بامرأة كأنها برج من فضة الى عبد الرحمن بن الحكم وهو على الكوفة فقال ان امرأتي هذه شجتني فسألها عبد الرحمن فقالت نعم يا مولاي غير متعمدة لذلك كنت أعالج طيبا فوقع الفهر من يدي على رأسه وليس عندي علم ولا يقوى بدني على القصاص فقال للرجل علام تمسكها وقد فعلت بك ما أرى فقال يا مولاي ان صداقها على أربعة آلاف درهم ولا تطيب نفسي بفراقها قال فان أعطيتك الأربعة آلاف درهم تفارقها قال نعم قال هي لك قال فهي اذن طالق فقال لها عبد الرحمن احبسي علينا نفسك وأنشأ يقول

ياشيخ ياشيخ من دلالك بالغزل * قد كنت ياشيخ عن هذا بمعزل
رضت الصعاب فلم تحسن رياضتها * فعمد لنفسك نحو القرح الذالل

والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب الرابع والسبعون في تحريم الخمر وذمها والنهي عنها ﴾

قد أنزل الله تعالى في الخمر ثلاث آيات الاولى قوله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس الآية فكان من المسلمين من شارب ومن تارك الى أن شرب رجل فدخل في الصلاة فهجر فنزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فشربها من شربها من المسلمين وتركها من تركها حتى شربها عمر رضي الله تعالى عنه فأخذ بلحي بعير وشج به رأس عبد الرحمن بن عوف ثم قعد ينوح على قتلى بدر بشعر الاسود بن يعفر يقول

وكائن بالقليب قليب بدر * من الفتيان والعرب الكرام
أيوعدني ابن كبشة ان سنحيا * وكيف حياة اصداء وهام
أيعجز أن يرد الموت عني * وينشرني اذا بليت عظامي
ألا من مبلغ الرحمن عني * بأني تارك شهر الصيام
فقل لله يمنعني شرابي * وقل لله يمنعني طعامي

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج مغضبا يجر رداءه فرفع شيئا كان في يده فضربه به فقال أعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فأنزل الله تعالى انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون فقال عمر رضي الله تعالى عنه انتهينا انتهينا * ومن الاخبار المتفق عليها في تحريمها قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة مدمن خمر وقوله صلى الله عليه وسلم أول ما نهاني ربي بعد عبادة الأوثان عن شرب الخمر وملاحاة الرجال * وممن تركها في الجاهلية عبد الله بن جدعان وكان جوادا من سادات قريش وذلك أنه شرب مع أمية بن أبي الصلت الثقفي فضربه على عينه فأصبحت عين أمية مخضرة يخاف عليها الذهاب فقال له عبد الله ما بال عينك فسكت فألح عليه فقال ألست ضاربها بالأمس فقال أو بلغ مني الشراب ما أبلغ معه الى هذا لا أشربها بعد اليوم ثم دفع له عشرة آلاف درهم وقال الخمر علي حرام لا أذوقها بعد اليوم أبدا * وممن حرمها في الجاهلية أيضا قيس بن عاصم وذلك أنه سكر ذات ليلة فقام لابنته أو لاخته فهربت منه فلما أصبح سأل عنها فقيل له أوما علمت ما صنعت البارحة فأخبر بالقصة فحرم الخمر على نفسه * وممن حرمها في الجاهلية أيضا العباس بن مرداس وقيس بن عاصم وذلك أن قيسا شرب ذات ليلة فجعل يتناول القمر ويقول والله لا أبرح حتى أنزله ثم يثب الوثبة بعد الوثبة ويقع على وجهه فلما أصبح وأفاق قال مالي هكذا فاخبروه بالقصة فقال والله لا أشربها أبدا وقيل للعباس

...ال للذي شفه الغرام بنا وصاحب الغدر غير مصحوب
والله لاقال قائل أبدا قد أكل الليث فضلة الذيب
...م قالت أيها الملك تأتي الى موضع شرب كلبك تشرب منه فاستحى الملك من كلامها وخرج وتركها فنسي نعله في الدار هذا ما كان من الملك وأما فيروز فانه لما خرج وسار تفقد الكتاب فلم يجده معه في رأسه فتذكر أنه نسيه تحت فراشه فرجع الى داره فوافق وصوله عقب خروج الملك من داره فوجد نعل الملك في الدار فطاش عقله وعلم أن الملك لم يرسله في هذه السفرة الا لأمر يفعله فسكت ولم يبد كلاما وأخذ الكتاب وسار الى حاجة الملك فقضاها ثم عاد اليه فانعم عليه بمائة دينار فمضى فيروز الى زوجته فسلم عليها وقال لها قومي الى زيارة بيت أبيك قالت وما ذاك قال ان الملك أنعم علينا وأريد أن تظهري ولاهلك ذلك قالت حبا وكرامة ثم قامت من ساعتها الى بيت أبيها ففرحوا بها وبما جاءت به معها فأقامت عند أهلها مدة أشهر فلم يذكرها زوجها ولا ألم بها فأتى اليه أخوها وقال له يا فيروز إما أن تخبرنا بسبب غضبك واما أن تحاكمنا الى الملك فقال ان شئتم الحكم فافعلوا فما تركت لها على حقا فطلبوه الى الحكم فأتى معهم وكان القاضي اذ ذاك عند الملك جالسا الى جانبه فقال أخو الصبية أيد الله مولانا قاضي القضاة اني أجرت هذا الغلام بستانا سالم الحيطان بيئر ماء معين عامرة وأشجار مثمرة فأكل ثمره وهدم حيطانه وأخرب بئره فالتفت

ابن مرداس لم تركت الشراب وهو يزيد فى سماحتك فقال أكره أن أصبح سيد قومى وأمسى سفيههم * ودخل نصيب على عبد الملك بن مروان فأنشده فأعجبه انشاده وشعره ووصله ثم دعا بالطعام فطعم منه فقال له عبد الملك يا نصيب هل لك فيما ينادم عليه قال يا أمير المؤمنين جلدى أسود وخلقى مشوه ووجهى قبيح وتكفينى مجالستك ومؤاكلتك ولم يوصلنى الى ذلك الا عقلى وأنا أكره أن يدخل عليه ما ينقصه فأعجبه كلامه ووصله وقال الوليد بن عبد الملك للحجاج فى وفدة وفدها عليه هل لك فى الشراب فقال يا أمير المؤمنين لا اختلاف لما أمرت ولكن أنا أمنع أهل عملى منه وأكره أن أمنعهم عن شىء ولا أمتنع منه وقد قال الله تعالى وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه وقال تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وقيل لاعرابى لم لا تشرب النبيذ فقال لا أشرب ما يشرب عقلى وقال الضحاك بن مزاحم لرجل ما تصنع بشرب النبيذ قال يهضم طعامى قال أما انه يهضم من دينك وعقلك أكثر وقال ابن أبى أوفى لقومه حين نهاهم عن الخمر

الا يا لقومى ليس فى الخمر رفعة * فلا تقربوا منها فلست بفاعل

فانى رأيت الخمر شينا ولم يزل * أخو الخمر دخالا لشر المنازل

وقال الحسن لو كان العقل يشترى لتغالى الناس فى ثمنه فالعجب ممن يشترى بماله ما يفسده وقال عليه السلام حب الدنيا رأس كل خطيئة والنساء حبائل الشيطان والخمر داعية الى كل شر وقال بعضهم

بلوت نبيذ الخمر فى كل بلدة * فليس لاخوان النبيذ حفاظ

اذا دارت الارطال أرضوك بالمنى * وان فقدوها فالوجوه غلاظ

وقال حكيم اياك واخوان النبيذ فبينما أنت متوج عندهم مخدوم مكرم معظم اذ زلت بك القدم فجروك على شوك السلم فاحفظ قول القائل فيه

وكل اناس يحفظون حريمهم * وليس لأصحاب النبيذ حريم

فان قلت هذا لم أقل عن جهالة * ولكننى بالفاسقين عليم

(وللاعرج الطائى) تركت الشعر واستبدلت منه * اذا داعى صلاة الصبح قاما

كتاب الله ليس له شريك * وودعت المدامة والندامى

(وقال الصفدى) دع الخمر فالراحات فى ترك راحها * وفى كأسها للمرء كسوة عار

وكم ألبست نفس الفتى بعد نورها * مدارع قار فى مدار عقار

(نكتة) اجتمع نصرانى ومحدث فى سفينة فصب النصرانى خمرا من زق كان معه فى شربة وشرب ثم صب فيها وعرض على المحدث فتناولها من غير فكر ولا مبالاة فقال النصرانى جعلت فداءك انما هى خمر قال من أين علمت أنها خمر قال اشتراها غلامى من يهودى وحلف أنها خمر فشربها المحدث على عجل وقال للنصرانى يا أحمق نحن أصحاب الحديث نضعف مثل سفيان بن عيينة ويزيد بن هرون أفنصدق نصرانيا عن غلامه عن يهودى والله ما شربتها الا لضعف الاسناد * ومن المجون فى ذلك ما حكى أن سكرانا استلقى على طريق فجاء كلب فلحس شفتيه فقال خدمك بنوك ولا عدموك فبال على وجهه فقال وماء حارا أيضا بارك الله فيك وقيل حالة السكارى ثلاثة قرد حرك رأسه فرقص وكلب هارش فنبح وحية زويت فنامت ومر عقال الناسك بمرداس بن خدام الاسدى فاستسقاه لبنا فصب له خمرا وعلاه بلبن فشرب به وسكر ولم يتحرك ثلاثة أيام فقال

سقيت

القاضى الى فيروز وقال له ما تقول يا غلام فقال فيروز أيها القاضى قد استلمت هذا البستان وسلمته اليه أحسن ما كان فقال القاضى هل سلم اليك البستان كما (٢٣٠) كان قال نعم ولكن أريد منه السبب لرده قال القاضى ما قولك قال والله يا مولاى ما رددت البستان كراهية فيه وانما جئت يوما من الأيام فوجدت فيه أثر الاسد فخفت أن يغتالنى فحرمت دخول البستان اكراما للاسد قال وكان الملك متكئا فاستوى جالسا وقال يا فيروز ارجع إلى بستانك آمنا مطمئنا فوالله ان الأسد دخل البستان ولم يؤثر فيه أثرا ولا التمس منه ورقا ولا ثمرا ولا شيئا ولم يلبث فيه غير لحظة يسيرة وخرج من غير بأس والله ما رأيت مثل بستانك ولا أشد احترازا من حيطانه على شجره قال فرجع فيروز إلى داره ورد زوجته ولم يعلم القاضى ولا غيره بشىء من ذلك اه (وحكى) ان الحجاج سأل يوما الغضبان بن القبعثرى عن مسائل يمتحنه فيها من جملتها أن قال له من أكرم الناس قال أفقههم فى الدين وأصدقهم لليمين وأبذلهم للمسلمين وأكرمهم للمهانين وأطعمهم للمساكين قال فمن ألأم الناس قال المعطى على الهوان المقتر على الاخوان الكثير الالوان قال فمن شر الناس قال أطولهم جفوة وأدومهم صبوة وأكثرهم خلوة وأشدهم قسوة قال فمن أشجع الناس قال أضربهم بالسيف وأقراهم للضيف وأتركهم للحيف قال فمن أجبن الناس قال المتأخر عن الصفوف المنقبض عن الزحوف المرتعش

سقيت عقالا بالعشية شربة * فمالت بعقلى الكاهلى عقالى

قرعت بأم الخل حبة قلبه * فلم ينتعش منها ثلاث ليالى

ويقال الخمر مصباح السرور ولكنها مفتاح الشرور اللهم تب علينا وعلى العصاة والمذنبين برحمتك يا أرحم الراحمين آمين

﴿ الباب الخامس والسبعون فى المزاح والنهى عنه وماجاء فى الترخيص فيه والبسط والتنعم وفيه فصول ﴾

﴿ الفصل الاول فى النهى عن المزاح ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المزاح استدراج من الشيطان واختلاع من الهوى وعن على مامزح أحد مزحة إلا مج الله من عقله مجة وعنه إياك أن تذكر من الكلام مايكون مضحكا وان حكيت ذلك عن غيرك وكتب عمر رضى الله تعالى عنه الى عماله امنعوا الناس من المزاح فانه يذهب بالمروءة ويوغر الصدور وقال بعض الحكماء تجنب سوء المزح ونكد الهزل فانهما بابان اذا فتحا لم يغلقا الا بعد غم وقال آخر لكل شىء بذرو بذر العداوة المزاح وعن محمد بن المنكدر قال قالت لى أمي لاتمازح الصبيان تهن عندهم وخرج اعرابى بالليل فاذا بجارية جميلة فراودها فقالت أمالك زاجر من عقلك اذا لم يكن لك واعظ من دينك فقال والله مايرانا الا الكواكب فقالت له ياهذا وأين مكوكبها فاخجله كلامها فقال لها انما كنت مازحا فقالت

فاياك إياك المزاح فانه * يجرى عليك الطفل والرجل النذلا

ويذهب ماء الوجه بعد بهائه * ويورث بعد العز صاحبه ذلا

وقال الاحنف كثرة الضحك تذهب الهيبة وكثرة المزاح تذهب المروءة ومن لزم شيئا عرف به ومماروى عن الصحابة رضوان الله عليهم أنهم كانوا يتحادثون ويتناشدون الاشعار فاذا جاء ذكر الله انقلبت حماليقهم كأنهم لم يعرفوا أحدا

﴿ الفصل الثانى فيما جاء فى الترخيص فى المزاح والبسط والتنعم ﴾ لا بأس بالمزح مالم يكن سفها والله تعالى وعد فى اللمم بالتجاوز والعفو فقال الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم وقيل ان يحيى بن زكريا لقى عيسى عليه الصلاة والسلام فقال مالى أراك لاهيا كأنك آمن فقال له عيسى مالى أراك عابسا كأنك آيس فقالا لانبرح حتى ينزل علينا الوحى فأوحى الله اليهما ان أحبكما الى أحسنكما ظنا بى ويروى ان أحبكما الى الطلق البسام وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لجارية خلقنى خالق الخير وخلقك خالق الشر فبكت الجارية فقال عمر لا بأس عليك فان الله خالق الخير والشر قال الشاعر

ان الصديق يريد بسطك طمازحا * فاذا رأى منك الملالة يقصر

وترى العدو اذا تيقن انه * يؤذيك بالمزح العنيف يكثر

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقا فمن مزحه صلى الله عليه وسلم أنه جاءه رجل فقال يارسول الله احملنى على جمل فقال عليه الصلاة والسلام لأحملك الا على ولد الناقة فقال يارسول الله انه لايطيقنى فقال له الناس ويحك وهل الجمل الا ولد الناقة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرأة من الانصار الحقى زوجك ففى عينيه بياض فسعت الى زوجها مرعوبة فقال لها ماده‍اك قالت ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لى ان فى عينيك بياضا فقال نعم والله وسوادا وأتته أيضا عجوز أنصارية فقالت يارسول الله ادع الله لى أن يدخلنى الجنة فقال لها ياأم فلان ان الجنة لايدخلها عجوز فولت المرأة تبكى فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال لها أماقرأت قوله

عند الوقوف المحب ظلال السقوف الكاره لضرب السيوف قال فمن أثقل الناس قال المتفنن فى الملام الضنين بالسلام المهذار فى الكلام المقبقب على الطعام قال فمن خير الناس قال أكثرهم إحسانا وأقومهم ميزانا وأدومهم غفرانا وأوسعهم مدانا قال لله أبوك فكيف يعرف الرجل الغريب أحسيب هو أم غير حسيب قال أصلح الله الأمير إن الرجل الحسيب يدلك أدبه وعقله وشمائله وعزة نفسه وكثرة احتماله وبشاشته وحسن مداراته على أصله فالعاقل البصير بالاحساب يعرف شمائله والنذل الجاهل يجهله فمثله كمثل الدرة اذا وقعت عند من لايعرفها ازدراها واذا نظر اليها العقلاء عرفوها وأكرموها فهى عندهم لمعرفتهم بها حسنة عظيمة فقال الحجاج لله أبوك فمن العاقل والجاهل قال أصلح الله الامير العاقل الذى لايتكلم هذرا ولا ينظر شزرا ولا يضمر غدرا ولا يطلب عذرا والجاهل هو المهذار فى كلامه المنان بطعامه الضنين بسلامه المتطاول على امامه الفاحش على غلامه قال لله أبوك فمن الحازم الكيس قال المقبل على شانه التارك لمالا يعنيه قال فمن العاجز قال المعجب بآرائه الملتفت الى ورائه قال هل عندك من النساء خبر قال أصلح الله الامير انى بشأنهن خبير ان شاء الله ان النساء من أمهات الاولاد بمنزلة الاضلاع ان عدلتها انكسرت ولهن جوهر لايصلح الا على المداراة فمن داراهن انتفع بهن

تعالى انا أنشأ ناهن انشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها سابقت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته فلما كثر لحمي سابقته فسبقني فضرب بكتفي وقال هذه بتلك وعنها أيضا قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل وأنا ألعب مع صويحباتي ولا يعيب علي وسئل النخعي هل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون قال نعم والايمان في قلوبهم مثل الجبال الرواسي وكان نعمان الصحابي من أولع الناس بالمزاح والضحك قيل إنه يدخل الجنة وهو يضحك فمن مزحه أنه مر يوما بمخرمة بن نوفل الزهري وهو ضرير فقال له قدني حتى أبول فاخذ بيده حتى أتى به الى المسجد فأجلسه في مؤخره فصاح به الناس انك في المسجد فقال من قدني قالوا نعمان قال لله علي نذر أن أضربه بعصاي هذه ان وجدته فبلغ ذلك نعمان فجاء اليه وقال له يا أبا المنور هل لك في نعمان قال نعم قال ها هو قائم يصلي وأخذ بيده وجاء به الى عثمان بن عفان وهو يصلي وقال هذا نعمان فعلاه بعصاه فصاح الناس أمير المؤمنين فقال من قادني قالوا نعمان فقال والله لا تعرضت له بسوء بعدها وقال عطاء بن السائب كان سعيد بن جبير يقص علينا حتى يبكينا وربما لم يقم حتى يضحكنا وكان رجل يسمى تاج الوعظ يعظ الناس ويقص عليهم حتى يبكيهم ثم لم يقم حتى يضحكهم ويبسط آمالهم فمن لطائفه أنه حكى يوما بعد ما فرغ من ميعاده قال سمعت الناس يتكلمون في التصحيف وكنت لا أعرفه فوقع في قلبي أن أتعلمه فدخلت في سوق الكتبية واشتريت كتابا في التصحيف فأول ما تصفحته وجدت فيه سكباج تصحيفه بك تاج فرميت الكتاب من يدي وحلفت أني لا أشتغل به أبدا فضحك الناس حتى غشي عليهم ودخل عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان فوجده يتأوه فقال يا أمير المؤمنين لو أدخلت عليك من يؤنسك بأحاديث العرب ويباسطك استرحت فقال لست بصاحب لهو فقال ما الذي تشكوه يا أمير المؤمنين قال هاج بي عرق النسا في ليلتي هذه فبلغ مني ما ترى فقال ان بديحا مولاي أرقى الخلق منه فامر باحضاره فلما مثل بين يديه قال عبد الملك يا بديح ارق رجلي فقال يا مولاي أنا أرقى الناس لها ثم وضع يده عليها وجعل يقول مالا يسمع فقال عبد الملك قد وجدت راحة بهذه الرقية أين فلانة ائتوني بها تكتبها لئلا يهيج بي الوجع بالليل فقال بديح الطلاق يلزمه ما أكتبها الا بتعجيل جائزتي فامر له باربعة آلاف درهم فقال يا أمير المؤمنين الطلاق يلزمه ما أكتبها حتى تحمل جائزتي الي بيتي قال تحمل فحملت فقال يا أمير المؤمنين الطلاق يلزمه ما رقيت رجلك الا مباسطة بقول نصيب حيث قال

ألا ان ليلى العامرية أصبحت * على البعد مني ذنب غيري تنقم

فقال ويلك ما تقول فقال الطلاق يلزمه ما رقيتك الا بها فقال اكتمها علي فقال كيف وقد سارت بها الركبان الى أخيك بمصر فضحك حتى فحص برجليه وأعجبه هذا البسط وروى أن ابن سيرين كان ينشد قول الشاعر

أنبئت أن فتاة كنت أخطبها * عرقوبها مثل شهر الصوم في الطول

ثم يضحك حتى يسيل لعابه (ومما جاء في الشطرنج واللعب به والنهي عنه والترخيص فيه) أما النهي عنه فقد قيل ان عليا كرم الله وجهه مر بقوم يلعبون الشطرنج فقال لهم ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون وكان أبو القاسم الكسروي يقول لا ترى شطرنجيا غنيا الا بخيلا ولا فقيرا الا طفيليا ولا تسمع نادرة باردة الا على الشطرنج * واحتضر شطرنجي فصار يقول شاه مات شاه مات مكان الشهادتين حتى مات * وأما الترخيص فيه فقد سئل الشعبي عن اللعب

وقرت عينه ومن شاورهن كدرن عيشته وتكدرت عليه حياته وتنغصت لذاته فأكرمهن أعفهن وأفخر أحسابهن العفة فاذا زلن عنها فهن أنتن من الجيفة فقال له الحجاج ياغضبان انى موجهك الى ابن الأشعث وافدا فماذا أنت قائل له قال أصلح الله الامير أقول ما يرديه ويؤذيه ويضنيه فقال انى أظنك لا تقول له ما قلت وكأني بصوت خلاخلك تجلجل في قصري هذا قال كلا أصلح الله الامير سأحدد له لساني وأجريه في ميداني فعند ذلك أمره بالمسير الى كرمان فلما توجه الى ابن الأشعث وهو على كرمان بعث الحجاج عينا عليه أي جاسوسا وكان يفعل ذلك مع جميع رسله فلما قدم الغضبان على ابن الأشعث قال له ان الحجاج قد هم بخلعك وعزلك فخذ حذرك وتغد به قبل أن يتعشى بك فأخذ حذره عند ذلك ثم أمر للغضبان بجائزة سنية وخلع فاخرة فأخذها وانصرف راجعا فأتى الى رملة كرمان في شدة الحر والقيظ وهي رملة شديدة الرمضاء فضرب قبته فيها وحط عن رواحله فبينما هو كذلك اذا باعرابي من بني بكر بن وائل قد أقبل على بعير قاصدا نحوه وقد اشتد الحر وحميت الغزالة وقت الظهيرة وقد ظمئ ظمأ شديدا فقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال الغضبان هذه سنة وردها فريضة قد فاز قائلها وخسر تاركها ما حاجتك يا اعرابي قال أصابتني الرمضاء وشدة الحر والظمأ فتيممت قبتك أرجو بركتها قال الغضبان

اللعب بالشطرنج فقال لا بأس به اذا لم يكن هناك تقامر وتبادل وقال بعضهم كنا فى السجن مع ابن سيرين فكان يرانا ونحن نلعب بالشطرنج فيقوم فيأتى و يقول ارفع الفرس ارفع كذا افعل كذا ولا يعيب علينا وعن سعيد بن المسيب قال كنت ألعب بالشطرنج مع صديقى فى بيته حين خفت الحجاج ومما قيل لعلى بن الجهم فى الشطرنج وقيل للمأمون

أرض مربعة حمراء من أدم * ما بين حربين معروفين بالكرم
تذكرا الحرب فاحتالا لها فطنا * من غير أن يأثما فيها بسفك دم
هذا يغير على هذا وذاك على * هذا يغير وعين الحزم لم تنم
فانظر الى همم جاشت بمعركة * فى عسكرين بلا طبل ولا علم

قالوا ان سبب وضع الشطرنج أن ملوك الهند ما كانوا يرون بقتال فاذا تنازع ملكان فى كورة أو مملكة تلاعبا بالشطرنج فيأخذها الغالب من غير قتال وقيل إنه كان لبعض ملوك الفرس شطرنج من ياقوت أحمر وأصفر القطعة منه بثلاثة آلاف دينار ﴿ومما جاء فى لعب الغلمان﴾ ما حكى ان غلمانا من أهل البحرين خرجوا يلعبون بالصوالجة وأسقف البحرين قاعد فوقعت الاكرة على صدره فأخذها فجعلوا يطلبونها منه فأبى فقال غلام منهم سألتك بحق محمد ﷺ الارددتها علينا فأبى لعنه الله وسب رسول الله ﷺ فأقبلوا عليه بصوالجهم فما زالوا يخبطونه حتى مات لعنة الله عليه فرفع ذلك الى عمر رضى الله تعالى عنه فوالله ما فرح بفتح ولا غنيمة كفرحته بقتل الغلمان لذلك الاسقف وقال الآن عز الاسلام ان أطفالا صغارا شتم نبيهم فغضبوا له وانتصروا وأهدر دم الاسقف والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب السادس والسبعون فى النوادر وفيه فصول﴾

﴿الفصل الأول من هذا الباب فى نوادر العرب﴾ خرج المهدى يتصيد فغار به فرسه حتى وقع فى خباء اعرابى فقال يا اعرابى هل من قرى فأخرج له قرص شعير فأكله ثم أخرج له فضلة من لبن فسقاه ثم أتاه بنبيذ فى ركوة فسقاه فلما شرب قال أتدرى من أنا قال لا قال أنا من خدم أمير المؤمنين الخاصة قال بارك الله لك فى موضعك ثم سقاه مرة أخرى فشرب فقال

فهلا تيممت قبة أكبر من هذه وأعظم قال أيتهن تعنى قال قبة الامير بن الأشعث قال تلك لا يوصل اليها قال ان هذه أمنع منها فقال الاعرابى ما اسمك يا عبد الله قال آخذ فقال وما تعطى قال أكره أن يكون لى اسمان قال بالله من أين أنت قال من الأرض قال فأين تريد قال أمشى فى مناكبها فقال الاعرابى وهو يرفع رجلا و يضع أخرى من شدة الحر أتقرض الشعر قال انما يقرض الشعر الفأر فقال أفتسجع قال انما تسجع الحمامة فقال ياهذا ائذن لى أن أدخل قبتك قال خلفك أوسع لك فقال قد أحرقتنى الشمس قال مالى عليها من سلطان فقال الرمضاء أحرقت قدمى قال بل عليها تبرد فقال انى لا أريد طعامك ولا شرابك قال لا تتعرض لما لا تصل اليه ولو طلعت روحك فقال الاعرابى سبحان الله قال نعم من قبل أن تطلع أضراسك فقال الاعرابى ما رأيت رجلا أقسى منك أتيتك مستغيثا فحجبتنى وطردتنى هلا أدخلتنى قبتك وطارحتنى القريض قال مالى بمحادثتك من حاجة فقال الاعرابى بالله ما اسمك ومن أنت فقال أنا الغضبان بن القبعثرى فقال اسمان منكران خلقا من غضب قال قف متوكئا على باب قبتى برجلك هذه العوجاء فقال قطعها الله ان لم تكن خيرا من رجلك هذه الشنعاء فقال الغضبان لو كنت حاكما لجرت فى حكومتك لأن رجلى فى الظل قاعدة و رجلك فى الرمضاء قائمة فقال الاعرابى انى لأظنك حروريا قال اللهم اجعلنى ممن يتحرى الخير ويريده فقال انى لأظن عنصرك فاسدا قال ما أقدرنى على اصلاحه فقال الاعرابى لا أرضاك الله ولا حياك ثم ولى وهو يقول

لا بارك الله فى قوم تسودهم * انى أظنك والرحمن شيطانا
أتيت قبته أرجو ضيافته * فأظهر الشيخ ذو القرنين حرمانا

فلما قدم الغضبان على الحجاج وقد بلغه الجاسوس ما جرى بينه و بين ابن الاشعث و بين الاعرابى قال له الحجاج يا غضبان كيف وجدت أرض كرمان قال أصلح الله الامير أرضا يابسة الجيش بها ضعاف هزلاء ان كثروا جاعوا وان قلوا ضاعوا فقال له الحجاج ألست صاحب الكلمة التى بلغتنى انك قلتها لابن الأشعث تغد بالحجاج قبل أن يتعشى بك فوالله لأحبسنك عن الوساد ولأنزلنك عن الجياد ولأشهرنك فى البلاد قال الامان أيها الأمير فوالله ما ضرت من قيلت فيه ولا نفعت من قيلت له فقال له ألم أقل لك كأنى بصوت خلاخلك تجلجل فى قصرى هذا اذهبوا به إلى السجن فذهبوا به فقيد وسجن فمكث ما شاء الله ثم ان الحجاج ابتنى الخضراء بواسط فأعجب بها فقال لمن حوله كيف ترون قبتى هذه و بناءها فقالوا أيها الامير انها حصينة

مباركة منيعة نضرة بهجة قليل عيبها كثير خيرها قال لم لم تخبروني بنصح قالوا لا يصفها لك الا الغضبان فبعث الى الغضبان فأحضره وقال كيف ترى قبتي هذه و بناءها قال أصلح الله الأمير بنيتها في غير بلدك لا لك ولا لولدك لا تدوم لك ولا يسكنها وارثك ولا تبقى لك وما أنت لها بباق فقال الحجاج قد صدق الغضبان ردوه إلى السجن فلما حملوه قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين فقال انزلوه فلما أنزلوه قال رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين فقال اضربوا به الأرض فلما ضربوا به الارض قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى فقال جروه فأقبلوا يجرونه وهو يقول بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم فقال الحجاج و يلكم اتركوه فقد غلبني دهاء وخبثا ثم عفا عنه وأنعم عليه وخلى سبيله (وقيل) (٢٣٤) بينما كثير عزة مار بالطريق يوما إذ هو بعجوز عمياء على قارعة الطريق تمشي فقال لها تنحي عن الطريق فقالت له و يحك ومن تكون قال أنا كثير عزة قالت قبحك الله وهل مثلك يتنحى له عن الطريق قال ولم قالت ألست القائل

وما روضة بالحسن طيبة الثرى
يمج الندى جثجاثها وعرارها
باطيب من أردان عزة موهنا
إذا أوقدت بالمجمر اللدن نارها

ويحك ياهذا لو تبخر بالمجمر اللدن مثلي ومثل أمك لطاب ريحها لم لا قلت مثل سيدك امرىء القيس

وكنت إذا ماجئت بالليل طارقا
وجدت بها طيبا وان لم تطيب

فقطعته ولم يرد جوابا (حكى عبدالله بن المبارك رحمه الله تعالى) فان
قال خرجت حاجا الى بيت الله الحرام وزيارة نبيه عليه الصلاة والسلام فبينما أنا في الطريق اذ أنا بسواد على الطريق فتميزت ذاك فاذا هي عجوز عليها درع من صوف وخمار من صوف فقلت السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقالت سلام قولا من رب رحيم قال فقلت لها رحمك الله ماتصنعين في هذا المكان قالت ومن يضلل الله فلا هادي له فعلمت أنها ضالة عن الطريق فقلت لها أين تريدين قالت سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فعلمت أنها قد قضت حجها وهي تريد بيت المقدس فقلت لها أنت منذ كم في هذا الموضع قالت ثلاث ليال سويا فقلت ماأرى معك طعاما تأكلين قالت هو يطعمني و يسقين فقلت فبأي شيء تتوضئين قالت فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا

ياأعرابي أتدري من أنا قال زعمت أنك من خدم أمير المؤمنين الخاصة قال لا أنا من قواد أمير المؤمنين قال رحبت بلادك وطاب مرادك ثم سقاه الثالثة فلما فرغ قال ياأعرابي أتدري من أنا قال زعمت أنك من قواد أمير المؤمنين قال لا ولكنني أمير المؤمنين قال فأخذ الاعرابي الركوة فوكأها وقال اليك عني فوالله لو شربت الرابعة لادعيت انك رسول الله فضحك المهدي حتى غشي عليه ثم أحاطت به الخيل ونزلت اليه الملوك والاشراف فطار قلب الاعرابي فقال له لا بأس عليك ولا خوف ثم أمر له بكسوة ومال جزيل ووجد اعرابي يأكل و يتغوط و يقلي ثوبه فقيل له في ذلك فقال أخرج عتيقا وأدخل جديدا وأقتل عدوا * وقيل لبعض الاعراب ان شهر رمضان قدم فقال والله لأبددن شمله بالاسفار * وسمع اعرابي قارئا يقرأ القرآن حتى أتى على قوله تعالى الاعراب أشد كفرا ونفاقا فقال لقد هجانا ثم بعد ذلك سمعه يقرأ ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر فقال لا بأس هجا ومدح هذا كما قال شاعرنا

هجوت زهيرا ثم اني مدحته * ومازالت الاشراف تهجى وتمدح

وحضر اعرابي على مائدة يزيد بن مزيد فقال لاصحابه افرجوا لاخيكم فقال الاعرابي لا حاجة لي بافراجكم إن أطنابي طوال يعني سواعده فلما مد يده ضرط فضحك يزيد فقال ياأخا العرب أظن أن طنبا من أطنابك قد انقطع * و رؤي اعرابي يغطس في البحر ومعه خيط وكلما غطس غطسة عقد عقدة فقيل له ماهذا قال جنابات الشتاء أقضيها في الصيف * وسرق اعرابي غاشية على سرج ثم دخل المسجد يصلي فقرأ الامام هل أتاك حديث الغاشية فقال يافقيه لاتدخل في الفضول فلما قرأ وجوه يومئذ خاشعة قال خذوا غاشيتكم ولا يخشع وجهي لابارك الله لكم فيها ثم رماها من يده وخرج * وحضر اعرابي مجلس قوم فتذاكروا قيام الليل فقيل له ياأبا أمامة أتقوم الليل فقال نعم قالوا ماتصنع قال أبول وأرجع أنام * وسرق اعرابي صرة فيها دراهم ثم دخل المسجد يصلي وكان اسمه موسى فقرأ الامام وما تلك بيمينك ياموسى فقال الاعرابي والله انك لساحر ثم رمى الصرة وخرج ﴿ وحكى ﴾ الاصمعي قال ضلت لي ابل فخرجت في طلبها وكان البرد شديدا فالتجأت إلى حي من أحياء العرب واذا بجماعة يصلون و بقربهم شيخ ملتف بكساء وهو يرتعد من البرد و ينشد

أيارب ان البرد أصبح كالحا * وأنت بحالي ياالهي أعلم

فقلت لها ان معى طعامافهل لك فى الأكل قالت ثم أتموا الصيام إلى الليل فقلت قد أبيح لنا الافطار فى السفر قالت وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون فقلت لم لا تكلميني مثل ما أكلمك قالت مايلفظ من قول الالديه رقيب عتيد فقلت فمن أى الناس أنت قالت ولاتقف ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا فقلت قد أخطأت فاجعليني فى حل قالت لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم فقلت فهل لك أن أحملك على ناقتى فتدركى القافلة قالت وماتفعلوا من خير يعلمه الله قال فأنخت الناقة قالت قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم فغضضت بصرى عنها وقلت لها اركبى فلما أرادت أن تركب نفرت الناقة فمزقت ثيابها فقالت وماأصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم فقلت لها اصبرى قالت سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون قال فأخذت بزمام الناقة وجعلت أسعى وأصيح فقالت واقصد فى مشيك واغضض من صوتك فجعلت أمشى رويدا رويدا وأترنم بالشعر فقالت فاقرأوا ماتيسر من القرآن فقلت لها لقد أوتيت خيرا كثيرا فقالت وما يذكر إلا أولوا الألباب فلما مشيت بها قليلا قلت ألك زوج قالت ياأيها الذين آمنوا لاتسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم فسكت ولم أكلمها حتى أدركت بها القافلة فقلت لها هذه القافلة فمن لك فيها فقالت المال والبنون زينة الحياة الدنيا فعلمت أن لها أولادا فقلت وماشأنهم فى الحج قالت وعلامات وبالنجم هم يهتدون فعلمت أنهم أدلاء الركب فقصدت القباب والعمارات فقلت هذه القباب فمن لك فيها قالت واتخذ الله ابراهيم خليلا وكلم الله موسى تكليما يايحيي خذ الكتاب بقوة فناديت ياابراهيم ياموسى يايحيي فاذا أنا بشبان كأنهم الأقمار قد أقبلوا فلما استقر بهم الجلوس قالت فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه فمضى أحدهم فاشترى طعاما فقدموه بين يدى فقالت كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية فقلت الآن طعامكم على حرام حتى تخبرونى بأمرها فقالوا هذه أمنا لها منذ أربعين سنة لم تتكلم الا بالقرآن مخافة أن تزل فيسخط عليها الرحمن فسبحان القادر على مايشاء فقلت ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴿ قيل ﴾ ان معن بن زائدة دخل على المنصور فقال له هيه يامعن تعطى مروان بن أبى حفصة مائة ألف درهم على قوله

معن بن زائدة الذى زادت به * شرف على شرف بنو شيبان

فان كنت يوما فى جهنم مدخلى * فق مثل هذا اليوم طابت جهنم

قال الاصمعى فتعجبت من فصاحته وقلت له ياشيخ ماتستحى تقطع الصلاة وأنت شيخ كبير فأنشد يقول

أيطمع ربى أن أصلى عاريا * ويكسو غيرى كسوة البرد والحر

فوالله لاصليت ماعشت عاريا * عشاء ولاوقت المغيب ولا الوتر

ولا الصبح الايوم شمس دفيئة * وان غيمت فالويل للظهر والعصر

وان يكسنى ربى قميصا وجبة * أصلى له مهما أعيش من العمر

قال فأعجبنى شعره وفصاحته فنزعت قميصا وجبة كانا على ودفعتهما اليه وقلت له البسهما وقم فصل فاستقبل القبلة وصلى جالسا وجعل يقول

اليك اعتذارى من صلاتى جالسا * على غير طهر موميا نحو قبلتى

فمالى ببرد الماء يارب طاقة * ورجلاى لاتقوى على ثنى ركبتى

ولكننى أستغفر الله شاتيا * وأقضيكها يارب فى وجه صيفتى

وان أنا لم أفعل فأنت محكم * بماشئت من صفعى ومن نتف لحيتى

قال فعجبت من فصاحته وضحكت عليه وانصرفت وصلى اعرابى مع قوم فقرأ الامام قل أرأيتم ان أهلكنى الله ومن معى أو رحمنا فقال الاعرابى أهلكك الله وحدك ايش كان ذنب الذين معك فقطع القوم الصلاة من شدة الضحك وقيل دخلت اعرابية على قوم يصلون فقرأ الامام فانكحوا ماطاب لكم من النساء وجعل يرددها فجعلت الاعرابية تعدو وهى هاربة حتى جاءت لأختها فقالت ياأختاه مازال الامام يأمرهم أن ينكحونا حتى خشيت أن يقعوا على وصلى اعرابى خلف امام فقرأ الامام ألم نهلك الأولين وكان فى الصف الاول فتأخر الى الصف الآخر فقرأ ثم نتبعهم الآخرين فتأخر فقرأ كذلك نفعل بالمجرمين وكان اسم البدوى مجرما فترك الصلاة وخرج هاربا وهو يقول والله ماالمطلوب غيرى فوجده بعض الأعراب فقال له مالك يامجرم فقال ان الامام أهلك الأولين والآخرين وأراد أن يهلكنى فى الجملة والله لارأيته بعد اليوم * وجلس بعض الاعراب يشرب مع ندمائه فاحتاج إلى بيت الخلاء فدلوه عليه فلما دخل جعل يضرط ضراطا شنيعا فضحكوا عليه فانشد يقول

إذا ما خلا الانسان فى بيت غائط * تراخت بلاشك مصاريع فقحته

فمن كان ذا عقل فيعذر ضارطا * ومن كان ذا جهل ففي وسط لحيته

وكان لسابور ملك فارس نديم مضحك يسمى مرزوان فظهر له من الملك جفوة فلما زاد ذلك عليه تعلم نبيح الكلاب وعوى الذئاب ونهيق الحمير وصهيل الخيل وصوت البغال ثم احتال حتى دخل موضعا يقرب خلوة الملك وأخفى أمره فلما خلا الملك بنفسه نبح نبيح الكلاب فلم يشك الملك في أنه كلب فقال انظروا ماهذا فعوى عوى الذئاب فنزل الملك عن سريره فنهق نهيق الحمير فمضى الملك هاربا ومضت الغلمان يتبعون الصوت فلما دنوا منه صهل صهيل الخيل فاقتحموا عليه وأخرجوه عريانا فلما وصلوا به الى الملك ورآه مرزبان ضحك الملك ضحكا شديدا وقال له ماحملك على ماصنعت قال ان الله عز وجل مسخني كلبا وذئبا وحمارا وفرسا لما غضب علي الملك قال فأمر الملك أن يخلع عليه وأن يرد الى مرتبته الاولى ومن الملح قول بعض الشعراء

أيا من فاق حسنا واعتدالا * وولج في عطيته الشبابا
أما في مال ردفك من زكاة * فتدخل فيه لي هذا النصابا

(وحكى) الاصمعي ان عجوزا من الاعراب جلست في طريق مكة الى فتيان يشربون نبيذا فسقوها قدحا فطابت نفسها فتبسمت فسقوها قدحا آخر فاحمر وجهها وضحكت فسقوها ثالثا فقالت خبروني عن نسائكم بالعراق أيشربن من هذا النبيذ قالوا نعم قالت زنين ورب الكعبة والله ان صدقتم مافيكم من يعرف أباه وصلى اعرابي خلف امام فقرأ انا أرسلنا نوحا الى قومه ثم وقف وجعل يرددها فقال الاعرابي أرسل غيره يرحمك الله وأرحنا وأرح نفسك وصلى آخر خلف امام فقرأ فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي ووقف وجعل يرددها فقال الاعرابي يافقيه اذ لم يأذن لك أبوك في هذا الليل نظل وقوفا الى الصباح ثم تركه وانصرف ولزم اعرابي سفيان بن عيينة مدة يسمع منه الحديث فلما أن جاء ليسافر قال له سفيان يااعرابي ماأعجبك من حديثنا قال ثلاثة أحاديث حديث عائشة رضي الله تعالى عنها عن النبي ﷺ انه كان يحب الحلوى والعسل وحديثه عليه الصلاة والسلام اذا وضع العشاء وحضرت الصلاة فابدؤا بالعشاء وحديث عائشة أيضا ليس من البر الصوم في السفر وقيل لاعرابية ماصفة الاير عندكم قالت عصبة ينفخ فيها الشيطان فلا يرد أمرها وانفرد الرشيد وعيسى بن جعفر ومعه الفضل بن يحيي فاذا هو بشيخ الاعراب على حمار

فقال كلا يا أمير المؤمنين انما أعطيته على قوله

مازلت يوم الهاشمية معلنا   بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حوزته وكنت وقاءه   من وقع كل مهند وسنان

فقال أحسنت والله يامعن وأمر له بالجوائز والخلع ﴿ ووفد ﴾ ابن أبي محجن على معاوية فقام خطيبا فأحسن فحسده معاوية فقال له أنت الذي أوصاك أبوك بقوله

اذا مت فادفني الى جنب كرمة   وترى عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفنني في الفلاة فانني   أخاف اذا مامت أن لا أذوقها

قال بل أنا الذي يقول أبي

لا تسأل الناس مامالي وكثرته   وسائل الناس ماجودي وماخلقي
أعطي الحسام غداة الروع حصته   وعامل الرمح أرويه من العلق
وأطعن الطعنة النجلاء عن عرض   وأكتم السر فيه ضربة العنق
ويعلم الناس أني من سراتهم   اذا سما بصر الرعديد بالفرق

فقال له معاوية أحسنت والله يا ابن أبي محجن وأمر له بصلة وجائزة (وقيل) دخل مجنون الطاق يوما الى الحمام وكان بغير مئزر فرآه أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه وكان في الحمام فغمض عينيه فقال له المجنون متى أعماك الله فقال منذ هتك سترك * (ومن ذلك) مايحكى أن الحجاج خرج يوما متنزها فلما فرغ من نزهته انصرف عنه أصحابه وانفرد بنفسه فاذا هو بشيخ من بني عجل فقال له من أين أيها الشيخ قال من هذه القرية قال كيف ترون عمالكم قال شر عمال يظلمون الناس ويستحلون أموالهم قال فكيف قولك في الحجاج قال ذاك ماولي العراق شر منه قبحه الله وقبح من استعمله قال أتعرف من أنا قال لا قال أنا الحجاج قال جعلت فداك أوتعرف من أنا قال لا   وهو قال أنا فلان بن فلان مجنون بني عجل أصرع في كل يوم مرتين قال فضحك الحجاج منه وأمر له بصلة ﴿ وحكى أبو محمد الحسين بن محمد الصالحي ﴾ قال كنا حول سرير المعتضد بالله ذات يوم نصف النهار فنام بعد أن أكل فانتبه منزعجا وقال ياخدم فأسرعنا الجواب فقال ويلكم أعينوني وألحقوا بالشط فأول ملاح ترونه منحدرا في سفينة فارغة فاقبضوا عليه وائتوني به ووكلوا بالسفينة من يحفظها فاسرعنا فوجدنا ملاحا في سفينة فجئنا به المعتضد فلما رآه الملاح كاد يتلف فصاح عليه صيحة عظيمة كادت روحه تذهب منها وقال أصدقني ياملعون عن قضيتك مع المرأة التي قتلتها اليوم والا ضربت عنقك فتلعثم وقال نعم كنت سحرا في المشرعة الفلانية فنزلت امرأة لم أر مثلها عليها ثياب فاخرة وحلي كثيرة

وجواهر فطمعت فيها واحتلت عليها حتى سددت فمها وغرقتها وأخذت جميع ما كان عليها ثم طرحتها فى الماء ولم أجسر على حمل سلبها الى دارى لئلا يفشوا الخبر على فعولت على الهروب والانحدار الى واسط فصبرت الى أن خلا الشط فى هذه الساعة من الملاحين فاخذت فى الانحدار فتعلق بى هؤلاء القوم فحملونى اليك فقال أين الحلى والسلب قال فى صدر السفينة تحت البوارى قال المعتضد على به الساعة فحضروا به فامر بتغريق الملاح ثم أمر أن ينادى ببغداد من خرجت له امرأة الى المشرعة الفلانية سحرا وعليها ثياب فاخرة وحلى فليحضر فحضر فى اليوم الثانى أهلها واعطوا صفاتها وصفة ما كان عليها فسلم ذلك اليهم قال فقلت يامولاى من أعلمك أأوحى اليك بهذه الحالة وأمر هذه الصبية فقال بل رأيت فى منامى رجلا شيخا أبيض الرأس واللحية والثياب وهو ينادى ياأحمد أول ملاح ينحدر الساعة فاقبض عليه وقرره على المرأة التى قتلها اليوم ظلما وسلبها ثيابها وأقم عليه الحد ولا يفتك فكان ماشهدتم ﴿وحكى﴾ ان بهرام الملك خرج يوما للصيد فانفرد عن أصحابه فرأى صيدا فتبعه طامعا فى لحاقه حتى بعد عن عسكره فنظر الى راع تحت شجرة فنزل عن فرسه يبول وقال للراعى احفظ على فرسى حتى أبول فعمد الراعى الي العنان وكان ملبسا ذهبا كثيرا فاستغفل بهرام وأخرج سكينا فقطع أطراف اللجام وأخذ الذهب الذى عليه فرفع بهرام نظره اليه فرآه فغض بصره وأطرق برأسه الى الارض وأطال الجلوس حتى أخذ الرجل حاجته ثم قام بهرام فوضع يده على عينيه وقال للراعى قدم الى فرسى فانه قد دخل فى عينى من سافى الريح فلا أقدر على فتحهما فقدمه اليه فركب وسار الى أن وصل الى عسكره فقال لصاحب مراكبه ان اطراف اللجام قد وهبتها فلا تتهمن بها أحدا (قيل) مرض أحمد بن أبى دؤاد فعاده المعتصم وقال نذرت ان عافاك الله تعالى أن اتصدق بعشرة آلاف دينار فقال له أحمد ياأمير المؤمنين فاجعلها فى أهل الحرمين فقد لقوا من غلاء الاسعار شدة فقال نويت أن أتصدق بها على من ههنا وأطلق لاهل الحرمين مثلها فقال أحمد متع الله الاسلام وأهله بك ياأمير المؤمنين فانك كما قال النميرى لابيك الرشيد رحمة الله تعالى عليه ان المكارم والمعروف أودية أحلك الله منها حيث تجتمع من لم يكن بامين الله معتصما فليس بالصلوات الخمس ينتفع ﴿ومن محاسن الاخلاق﴾ ماحكى عن القاضى يحيي بن أكثم قال كنت نائما ذات ليلة عند المأمون فعطش فامتنع أن يصيح

وهو رطب العينين فقال له الفضل هل أدلك على دواء لعينيك قال ماأحوجنى الى ذلك قال خذ عيدان الهواء وغبار الماء فصيره فى قشر بيض الذر واكتحل به ينفعك فانحنى الشيخ وضرط ضرطة قوية وقال خذ هذه فى لحيتك أجرة وصفك وان زدت زدناك فضحك الرشيد حتى استلقى على ظهر دابته * وخرج معن بن زائدة فى جماعة من خواصه للصيد فاعترضهم قطيع ظباء فتفرقوا فى طلبه وانفرد معن خلف ظبي حتى انقطع عن أصحابه فلما ظفر به نزل فذبحه فرأى شيخا مقبلا من البرية على حمار فركب فرسه واستقبله فسلم عليه فقال من أين والى أين قال أتيت من أرض لها عشرون سنة مجدبة وقد اخصبت فى هذه السنة فزرعتها مقثأة فطرحت فى غير وقتها فجمعت منها مااستحسنه وقصدت به معن بن زائدة لكرمه المشكور وفضله المشهور ومعروفه المأثور واحسانه الموفور قال وكم أملت منه قال ألف دينار قال فان قال لك كثير قال خمسمائة قال فان قال لك كثير قال ثلثمائة قال فان قال لك كثير قال مائة قال فان قال لك كثير قال خمسين قال فان قال لك كثير قال فلا أقل من الثلاثين قال فان قال لك كثير قال أدخل قوائم حمارى فى حرامه وأرجع الى أهلى خائبا فضحك معن منه وساق جواده حتي لحق باصحابه ونزل فى منزله وقال لحاجبه اذا أتاك شيخ على حمار بقثاء فادخل به على فأتى بعد ساعة فلما دخل عليه لم يعرفه لهيبته وجلالته وكثرة حشمه وخدمه وهو متصدر فى دسته والخدم والحفدة قيام عن يمينه وشماله و بين يديه فلما سلم عليه قال ماالذى أتى بك اخا العرب قال أملت الامير وأتيته بقثاء فى غير أوان فقال كم أملت فينا قال ألف دينار قال كثير فقال والله لقد كان ذلك الرجل ميشوما على ثم قال خمسمائة دينار قال كثير فما زال الى أن قال خمسين دينارا فقال له كثير فقال لا أقل من الثلاثين فضحك معن فعلم الاعرابى انه صاحبه فقال ياسيدى ان لم تجب الى الثلاثين فالحمار مربوط بالباب وها معن جالس فضحك معن حتى استلقى على فراشه ثم دعا بوكيله فقال أعطه ألف دينار وخمسمائة دينار وثلثمائة دينار ومائة دينار وخمسين دينارا وثلاثين دينارا ودع الحمار مكانه فتسلم الاعرابى المال وانصرف

﴿الفصل الثانى فى نوادر القراء والفقهاء﴾ عن محمد بن عبد الله قال كنا فى دهليز عثمان بن شيبة فخرج الينا فقال ن والقلم فى أى سورة * ومر بعضهم بقارىء يقرأ الم غلبت الترك فى أدنى الارض فقال له الروم فقال له كلهم أعداؤنا قاتلهم الله وكان جماعة يجلسون الى أبى العيناء وفيهم رجل لا يتكلم فقيل له يوما كيف

بغلام يسقيه وأنا نائم فينغص على نومى فرأيته قد قام يمشى على أطراف أصابعه حتى أتى موضع الماء وبينه وبين المكان الذى فيه الكيزان نحو من ثلثمائة خطوة فاخذ منها كوزا فشرب ثم رجع على أطراف أصابعه حتى قرب من الفراش الذى أنا عليه يخطى خطوات خائفا لئلا ينبهنى حتى صار الى فراشه ثم رأيته آخر الليل قام يبول وكان يقوم فى أول الليل وآخره فقعد طويلا يحاول أن أتحرك فيصيح بالغلام فلما تحركت وثب قائما وصاح ياغلام وتأهب للصلاة ثم جاءنى فقال لى كيف أصبحت ياأبا محمد وكيف كان مبيتك قلت خير مبيت جعلنى الله فداءك ياأمير المؤمنين قد خصك الله تعالى بأخلاق الانبياء وأحب لك سيرتهم فهناك الله تعالى بهذه النعمة وأتمها عليك فامر لى بالف دينار فاخذتها وانصرفت (قال) وبت عنده ذات ليلة فانتبه وقد عرض له (٢٣٨) السعال حتي غلبه فسعل وأكب على الارض لئلا يعلو صوته فانتبه

(وكنت) معه يوما فى بستان ندور فيه فجعلنا نمر بالريحان فيأخذ منه الطاقة والطاقتين ويقول لقيم البستان أصلح هذا الحوض ولا تغرس فى هذا الحوض شيئا من البقول قال يحيى ومشينا فى البستان من أوله الى آخره وكنت أنا مما يلى الشمس والمأمون مما يلى الظل فكان يجذبنى أن أتحول أنا فى الظل ويكون هو فى الشمس فامتنع من ذلك حتى بلغنا آخر البستان فلما رجعنا قال يايحيى والله لتكونن فى مكانى ولأكونن فى مكانك حتى آخذ نصيبى من الشمس كما أخذت نصيبك وتأخذ نصيبك من الظل كما أخذت نصيبى فقلت والله ياأمير المؤمنين لو قدرت ان اقيك يوم الهول بنفسى لفعلت فلم يزل بى حتى تحولت الى الظل وتحول هو الى الشمس ووضع يده على عاتقى وقال بحياتى عليك إلا وضعت يدك على عاتقى مثل مافعلت أنا فانه لاخير فى صحبة من لاينصف اه (وحكى) ان أحمقين اصطحبا فى طريق فقال أحدهما تعال نتمن على الله فان الطريق تقطع بالحديث فقال أحدهما أنا أتمنى قطائع غنم أنتفع بلبنها ولحمها وصوفها وقال الآخر أنا أتمنى قطائع ذئاب أرسلها على غنمك حتى لاتترك منها شيئا قال ويحك أهذا من حق الصحبة وحرمة العشرة فتصايحا واشتدت الخصومة بينهما حتى تماسكا بالاطواق ثم تراضيا على أن أول من يطلع عليهما يكون حكما بينهما فطلع عليهما شيخ بحمار عليه زقان من عسل فحدثاه بحديثهما فنزل بالزقين وفتحهما حتى سال العسل على التراب ثم قال صب الله دمى مثل هذا العسل ان لم تكونا أحمقين (وقال الاصمعى) بينما أنا أطوف بالبيت ذات ليلة اذ رأيت شابا متعلقا بأستار الكعبة

علمك بكتاب الله قال أنا عالم به فقيل له هذه الآية فى أى سورة الحمد لله لاشريك له فقال له فى سورة الحمد فضحكوا عليه * وجاء رجل الى فقيه فقال أفطرت يوما فى رمضان فقال اقض يوما مكانه قال قضيت وأتيت أهلى وقد عملوا مأمونية فسبقتنى يدى اليها فاكلت منها فقال اقض يوما آخر مكانه قال قضيت وأتيت أهلى وقد عملوا هريسة فسبقتنى يدى اليها فقال أرى أن لا تصوم الا ويدك مغلولة الى عنقك * وجاء رجل الى بعض الفقهاء فقال له أنا أعبد الله على مذهب ابن حنبل وانى توضأت وصليت فبينما أنا فى الصلاة اذ أحسست ببلل فى سراويلى بتلزق فشممته فاذا رائحته كريهة خبيثة قال الفقيه عافاك الله خريت باجماع المذاهب * وجاء رجل الى فقيه قال أنا رجل أفسو فى ثيابى حتى تفوح روائحى فهل يجوز لى أن أصلى فى ثيابى قال نعم لكن لا كثر الله فى المسلمين مثلك * ووقع بين الأعمش وبين امرأته وحشة فسأل بعض أصحابه من الفقهاء أن يرضيها ويصلح بينهما فدخل اليها وقال ان أبا محمد شيخ كبير فلا يزهدنك فيه عمش عينيه ودقة ساقيه وضعف ركبتيه ونتن ابطيه وبخر فيه وجمود كفيه فقال له الأعمش قم قبحك الله فقد أريتها من عيوبى مالم تكن تعرفه * وسكن بعض الفقهاء فى بيت سقفه يقرقع فى كل وقت فجاءه صاحب البيت يطلب الأجرة فقال له أصلح السقف فانه يقرقع قال لاتخف فانه يسبح الله تعالى قال أخشى أن تدركه رقة فيسجد

﴿ الفصل الثالث فى نوادر القضاة ﴾ كان لبعض القضاة بغلة فقرأ يوما فى المصحف وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها فقال لغلامه اطلق البغلة ورزقها على الله فصارت البغلة تدور الأسواق والأزقة وتأكل من قشور الباذنجان وقشور الرمان وقشور البطيخ وقمامات الطريق فماتت فأمر الغلام باحضار المشاعلية ليحملوها لظاهر المدينة فاحضرهم فطلبوا من القاضى عشرة دراهم أجرة حملها وقالوا ليس لنا شىء نرتزق منه الا من مثل هذا وسيدنا رجل غنى وله أشياء كثيرة العدالة والتزويج والعقود والوراقة والسجن والاطلاق وجامكية الحكم وأجرة اليمين والتدريس والأوقاف فقال لهم القاضى المثلى يقال هذا وأنتم لكم اثنا عشر بابا من المنافع منها الوسخ والزفر والهلع والولع وبيت النبذة وشركة النفوس وجباية الاسواق وحرق النار وسلب الشطار ولكم الصياح وثمن الاصلاح وماتروحوا من هذه البغلة بلا شىء جلدها للدباغين وذنبها للغرابلية ومعرفتها للشعار وتطبيقتها للبيطار قال فتقدم أحدهم اليه وقال بحق من تاب عليك ورد عاقبتك الى خير وأراحك من هذا المعاش تصدق

وهو يقول يامن يجيب دعا المضطر فى الظلم ياكاشف الضر والبلوى مع السقم قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا

وأنت ياحى ياقيوم لم تنم أدعوك ربى حزينا هائما قلقا فارحم بكائى بحق البيت والحرم

ان كان جودك لايرجوه ذوسفه فمن يجود على العاصين بالكرم ثم بكى بكاء شديدا وأنشد يقول

ألا أيها المقصود فى كل حاجة شكوت اليك الضر فارحم شكايتى ألا يارجائى أنت تكشف كربتى

فهب لى ذنوبى كلها واقض حاجتى أتيت بأعمال قباح رديئة وما فى الورى عبد جنى كجنايتى

أتحرقنى بالنار ياغاية المنا فأين رجائى ثم أين مخافتى ثم سقط على الارض مغشيا عليه فدنوت منه فاذا هو زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم أجمعين فرفعت (٢٣٩) رأسه فى حجرى وبكيت فقطرت دمعة من دموعى على خده ففتح عينيه وقال من هذا الذى يهجم علينا قلت عبيدك الأصمعى سيدى ماهذا البكاء والجزع وأنت من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة أليس الله تعالى يقول إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا قال هيهات هيهات يا أصمعى ان الله خلق الجنة لمن أطاعه ولو كان عبدا حبشيا وخلق النار لمن عصاه ولو كان حرا قرشيا أليس الله تعالى يقول فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون انتهى (وكان) أبو العباس السفاح يعجبه السمر ومنازعة الرجال بعضهم بعضا فحضر عنده ذات ليلة ابراهيم بن مخرمة الكندى وخالد بن صفوان ابن الاهيم فخاضوا فى الحديث وتذاكروا مضر واليمن فقال ابراهيم بن مخرمة ياأمير المؤمنين ان أهل اليمن هم العرب الذين دانت لهم الدنيا ولم يزالوا ملوكا ورثوا الملك كابرا عن كابر وآخرا من أول منهم النعمان والمنذر ومنهم عياض صاحب البحرين ومنهم من كان يأخذ كل سفينة غصبا وليس من شىء له خطر إلا اليهم ينسب إن سئلوا أعطوا وان نزل بهم ضيف أقروه فهم العرب العاربة وغيرهم المتعربة فقال أبو العباس ماأظن التميمى رضى بقولك ثم قال ماتقول أنت ياخالد قال ان أذن لى أمير المؤمنين فى الكلام تكلمت قال تكلم ولاتهب أحدا قال أخطأ المقتحم بغير علم ونطق بغير صواب وكيف يكون ذلك لقوم ليس لهم ألسن فصيحة ولا لغة صحيحة نزل بها كتاب ولاجاءت بها سنة يفتخرون علينا بالنعمان والمنذر ونفتخر عليهم بخير الانام

تصدق علينا بشىء ولاتدعنا نروح بلاش * تفسير هذه الألفاظ الزفر النساء الزانيات والوسخ المراحيض والهلع جباية الأسواق والولع القمار وبيت النبذة محل المزر وشركة النفوس كل من حمل ميتا ولحقوه قبل أن يخرج من باب البلد كانوا شركاءه وسلب الشطار كل من شنقوه لهم سلبه * وولى يحيى ابن اكثم قاضيا على أهل جبلة فبلغه أن الرشيد انحدر الى البصرة فقال لأهل جبلة اذا اجتاز الرشيد فاذكرونى عنده بخير فوعدوه بذلك فلما جاء الرشيد تقاعدوا عنه فسرح القاضى لحيته وكبر عمته وخرج فرأى الرشيد فى الحراقة ومعه أبو يوسف القاضى فقال ياأمير المؤمنين نعم القاضى قاضى جبلة عدل فينا وفعل كذا وكذا وجعل يثنى على نفسه فلما رآه أبو يوسف عرفه فضحك فقال له الرشيد مم تضحك فقال ياأمير المؤمنين المثنى على القاضى هو القاضى فضحك الرشيد حتى فحص برجله الأرض ثم أمر بعزله فعزل * وأحضر رجل ولده الى القاضى فقال يامولانا ان ولدى هذا يشرب الخمر ولا يصلى فأنكر ولده ذلك فقال أبوه ياسيدى أفتكون صلاة بغير قراءة فقال الولد انى أقرأ القرآن فقال له القاضى اقرأ حتى أسمع فقال

علق القلب الربابا * بعد ماشابت وشابا إن دين الله حق * لاأرى فيه ارتيابا

فقال أبوه انه لم يتعلم هذا الا البارحة سرق مصحف الجيران وحفظ هذا منه فقال القاضى وأنا الآخر أحفظ آية منها وهى

فارحمى مضنى كئيبا * قد رأى الهجر عذابا

ثم قال القاضى قاتلكم الله يعلم أحدكم القرآن ولا يعمل به * وتقدم اثنان الى أبى ضمضامة القاضى فادعى أحدهما على الآخر طنبورا فأنكر فقال للمدعى ألك بينة فقال لى شاهدان فأحضر رجلين يشهدا له فقال المدعى عليه سلهما ياسيدى عن صناعتهما فأخبر أحدهما انه نباذ وقال الآخر انه قواد فالتفت القاضى الى المدعى عليه وقال أتريد على طنبور أعدل من هذين ادفع اليه طنبوره * وتحاكم الرشيد وزبيدة الى أبى يوسف القاضى فى الفالوذج واللوزينج أيهما أطيب فقال أبو يوسف أنا لاأحكم على غائب فأمر الرشيد باحضارهما وقدما بين يدى أبى يوسف فجعل يأكل من هذا مرة ومن هذا مرة حتى نصف الجامين ثم قال ياأمير المؤمنين مارأيت اعدل منهما كلما أردت أن أحكم لاحدهما أتى الآخر بحجته * وأتى بعض المجان لبعض القضاة فقال ياسيدى ان امرأتى قحبا نا فقال له القاضى طلقها نا فقال عشقا نا فقال قوها نا *

وادعى رجل عند قاض على امرأة حسناء بدين فجعل القاضي يميل اليها بالحكم فقال الرجل أصلح الله القاضي حجتي أوضح من هذا النهار فقال له القاضي اسكت ياعدو الله فان الشمس أوضح من النهار قم لا حق لك عليها فقالت المرأة جزاك الله عن ضعفي خيرا فقد قويته فقال الرجل لاجزاك الله عن قوتي خيرا فقد أوهيتها * ورفعت امرأة زوجها الى القاضي تبغي الفرقة وزعمت أنه يبول في الفراش كل ليلة فقال الرجل للقاضي ياسيدي لا تعجل علي حتى أقص عليك قصتي اني أرى في منامي كأني في جزيرة في البحر وفيها قصر عالي وفوق القصر قبة عالية وفوق القبة جمل وأنا على ظهر الجمل وان الجمل يطأطئ برأسه ليشرب من البحر فاذا رأيت ذلك بلت من شدة الخوف فلما سمع القاضي ذلك بال في فراشه وثيابه وقال ياهذه أنا قد أخذني البول من هول حديثه فكيف بمن يرى الأمر عيانا ﴿ وحكي ﴾ أن تاجراً عبر الى حمص فسمع مؤذنا يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن أهل حمص يشهدون أن محمداً رسول الله فقال والله لأمضين الى الامام وأسأله فجاء اليه فرآه قد أقام الصلاة وهو يصلي على رجل ورجله الاخرى ملوثة بالعذرة فمضى الى المحتسب ليخبره بهذا الخبر فسأل عنه فقيل انه في الجامع الفلاني يبيع الخمر فمضى اليه فوجده جالسا وفي حجره مصحف وبين يديه باطية مملوءة خمرا وهو يحلف للناس بحق المصحف أن الخمرة صرف ليس فيها ماء وقد ازدحمت الناس عليه وهو يبيع فقال والله لأمضين الى القاضي وأخبره فجاء الى القاضي فدفع الباب فانفتح فوجد القاضي نائما على بطنه وعلى ظهره غلام يفعل فيه الفاحشة فقال التاجر قلب الله حمص فقال القاضي لم تقول هذا فأخبره بجميع مارأى فقال ياجاهل أما المؤذن فان مؤذننا مرض فاستأجرنا يهوديا صيتا يؤذن مكانه فهو يقول ماسمعت وأما الامام فانهم لما أقاموا الصلاة خرج مسرعا فتلوثت رجله بالعذرة وضاق الوقت فأخرجها من الصلاة واعتمد على رجله الاخرى ولما فرغ غسلها وأما المحتسب فان ذلك الجامع ليس له وقف إلا كرم وعنبه مايؤكل فهو يعصره خمرا ويبيعه ويصرف ثمنه في مصالح الجامع وأما الغلام الذي رأيته فان أباه مات وخلف مالا كثيراً وهو تحت الحجر وقد كبر وجاء جماعة شهدوا عندي أنه بلغ فأنا أمتحنه فخرج التاجر من البلد وحلف أنه لا يعود اليها أبدا

﴿ الفصل الرابع في نوادر النحاة ﴾ وقف نحوي على بياع يبيع أرزاً بعسل وبقلا بخل فقال بكم الأرز بالأعسل والأخلل بالأبقل فقال بالأصفع في الارؤس والاضرط في الاذقن * ووقع

نحوى

وأكرم الكرام سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فلله المنة به علينا وعليهم فمنا النبي المصطفى والخليفة المرتضى ولنا البيت المعمور وزمزم والحطيم والمقام والحجابة والبطحاء ومالا يحصى من المآثر ومنا الصديق والفاروق وذو النورين والوصي والولي وأسد الله وسيد الشهداء وبنا عرف الدين وأتاهم اليقين فمن زاحمنا زاحمناه ومن عادانا اضطلمناه ثم أقبل خالد على ابراهيم فقال ألك علم بلغة قومك قال نعم قال فما اسم العين عندكم قال الجمجمة قال فما اسم السن قال الميدن قال فما اسم الاذن قال الصنارة قال فما اسم الأصابع قال الشناتير قال فما اسم الذئب قال الكنع قال أفعالم أنت بكتاب الله عز وجل قال نعم قال فان الله تعالى يقول انا أنزلناه قرآنا عربيا وقال بلسان عربي مبين وقال تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه فنحن العرب والقرآن بلساننا أنزل ألم تر أن الله تعالى قال والعين بالعين ولم يقل والجمجمة بالجمجمة وقال تعالى والسن بالسن ولم يقل والميدن بالميدن وقال تعالى والأذن بالأذن ولم يقل والصنارة بالصنارة وقال تعالى يجعلون أصابعهم في آذانهم ولم يقل شناتيرهم في صناراتهم وقال تعالى فأكله الذئب ولم يقل فأكله الكنع ثم قال لابراهيم اني أسألك عن أربع ان أقررت بهن مهرت وان جحدتهن كفرت قال وماهن قال الرسول منا أو منكم قال منكم قال والقرآن أنزل علينا أو عليكم قال عليكم قال فالمنبر فينا أو فيكم قال فيكم قال فالبيت لنا أو لكم قال لكم قال فاذهب فما كان بعد هؤلاء فهو لكم بل ما أنت الا سائس قرد أو دابغ جلد أو ناسج برد قال فضحك أبو العباس وأقر لخالد وحباهما جميعا (وحكى) ان الحجاج أخذ يزيد بن المهلب بن أبي صفرة وعذبه واستأصل موجوده وسجنه فتوصل يزيد بحسن تلطفه وأرغب السجان واستماله وهرب هو والسجان وقصد الشام الى سليمان بن عبد الملك فلما وصل يزيد بن المهلب الى سليمان بن عبد الملك أكرمه وأحسن اليه وأقامه عنده فكتب الحجاج الى الوليد يعلمه ان يزيد هرب من السجن وانه عند سليمان بن عبد الملك أخي أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين وان أمير المؤمنين أعلى رأيا فكتب الوليد الى أخيه سليمان بذلك فكتب سليمان الى أخيه يقول ياأمير المؤمنين اني ماأجرت يزيد بن المهلب الا لأنه هو وأبوه واخوته من صنائعنا قديما وحديثا ولم أجر عدوا لامير المؤمنين وقد كان الحجاج قصده وعذبه وغرمه أربعة آلاف ألف درهم ظلما ثم طالبه بثلاثة آلاف ألف درهم وقد صار الي واستجار بي فاجرته وأنا أغرم عنه هذه الثلاثة آلاف ألف درهم فان رأى أمير المؤمنين أن لا يجزني

فى ضيقى فليفعل فانه أهل الفضل والكرم فكتب اليه الوليد أنه لابد أن ترسل إلى يزيد مغلولا مقيدا فلما ورد ذلك على سليمان أحضر ولده أيوب فقيده ودعا يزيد بن المهلب فقيده ثم شد قيد هذا الى قيد هذا بسلسلة وغلهما جميعا بغلين وأرسلهما إلى أخيه الوليد وكتب اليه أما بعد يا أمير المؤمنين فقد وجهت اليك يزيد وابن أخيك أيوب بن سليمان ولقد هممت أن أكون ثالثهما فان هممت يا أمير المؤمنين بقتل يزيد فبالله عليك ابدأ بأيوب من قبله ثم اجعل يزيد ثانيا واجعلني اذا شئت ثالثا والسلام فلما دخل يزيد بن المهلب وأيوب بن سليمان فى سلسلة واحدة أطرق الوليد استحياء وقال لقد أسأنا الى أبى أيوب اذ بلغنا به هذا المبلغ فأخذ يزيد يتكلم ويحتج لنفسه فقال له الوليد ما نحتاج الى الكلام فقد قبلنا عذرك وعلمنا ظلم الحجاج ثم انه أحضر حداد وأزال عنهما الحديد وأحسن اليهما ووصل أيوب ابن أخيه بثلاثين (٢٤١) ألف درهم ووصل يزيد بن المهلب بعشرين ألف درهم وردهما الى سليمان وكتب كتابا الى الحجاج يقول له لاسبيل لك على يزيد بن المهلب فاياك أن تعاودنى فيه بعد اليوم فسار يزيد الى سليمان بن عبد الملك وأقام عنده فى أعلى المراتب وأرفع المنازل انتهى ﴿ وحكى أبو على المصرى ﴾ قال كان لى جار شيخ يغسل الموتى فقلت له يوما حدثنى بأعجب ما رأيت من الموتى فقال جاءنى شاب فى بعض الأيام مليح الوجه حسن الثياب فقال لى أتغسل لنا هذا الميت قلت نعم فتبعته حتى أوقفنى على باب فدخل هنيهة فاذا بجارية هى أشبه الناس بالشاب قد خرجت وهى تمسح عينيها فقالت أنت الغاسل قلت نعم قالت بسم الله ادخل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فدخلت الدار واذا بالشاب الذى جاءنى يعالج سكرات الموت وروحه فى لبته وقد شخص بصره وقد وضع كفنه وحنوطه عند رأسه فلم أجلس اليه حتى قبض فقلت سبحان الله هذا ولى من أولياء الله تعالى حيث عرف وقت وفاته فأخذت فى غسله وأنا أرتعد فلما أدرجته أتت الجارية وهى أخته فقبلته وقالت أما انى سألحق بك عن قريب فلما أردت الانصراف شكرت لى وقالت أرسل الى زوجتك ان كانت تحسن ما تحسنه أنت فارتعدت من كلامها وعلمت أنها لاحقة به فلما فرغت من دفنه جئت أهلى فقصصت عليها القصة وأتيت بها إلى تلك الجارية فوقفت بالباب واستأذنت فقالت بسم الله تدخل زوجتك فدخلت زوجتى فاذا بالجارية مستقبلة القبلة وقد ماتت فغسلتها زوجتى وأنزلتها على أخيها رحمة الله عليهما

نحوى فى كنيف فجاء كناس ليخرجه فصاح به الكناس ليعلم أهو حى أم لا فقال له النحوى أطلب لى حبلا دقيقا وشدنى شدا وثيقا واجذبنى جذبا رفيقا فقال له الكناس امرأته طالق ان أخرجتك منه ثم تركه وانصرف وكان لبعضهم ولد نحوى يتقعر فى كلامه فاعتل أبوه علة شديدة أشرف منها على الموت فاجتمع عليه أولاده وقالوا له ندعو لك فلانا أخانا قال لا ان جاءنى قتلنى فقالوا نحن نوصيه أن لا يتكلم فدعوه فلما دخل عليه قال له يا أبت قل لا إله إلا الله تدخل الجنة وتفوز من النار يا أبت والله ما أشغلنى عنك الا فلان فانه دعانى بالأمس فاهرس وأعدس واستبذج وسكبج وطهيج وأفرج ودجج وأبصل وأمضر ولوزج وافلوزج فصاح أبوه غمضونى فقد سبق ابن الزانية ملك الموت الى قبض روحى * وجاء نحوى يعود مريضا فطرق بابه فخرج اليه ولده فقال كيف وجدت أباك قال يا عم ورمت رجليه قال لا تلحن قل رجلاه ثم ماذا قال ثم وصل الورم الى ركبتاه قال لا تلحن قل الى ركبتيه ثم ماذا قال مات وأدخله الله فى بظر عيالك وعيال سيبويه ونفطويه وجحشويه * وعاد بعضهم نحويا فقال ما الذى تشكوه قال حمى جاسية نارها حامية منها الاعضاء واهية والعظام بالية فقال له لا شفاك الله بعافية يا ليتها كانت القاضية

﴿ الفصل الخامس فى نوادر المعلمين ﴾ قال الجاحظ مررت بمعلم صبيان وعنده عصا طويلة وعصا قصيرة وصولجان وكرة وطبل وبوق فقلت ما هذه قال عندى صغار أوباش فأقول لأحدهم اقرأ لوحك فيصفر لى بضرطة فأضربه بالعصا القصيرة فيتأخر فأضربه بالعصا الطويلة فيفر من بين يدى فأضع الكرة فى الصولجان وأضربه فأشجه فتقوم الى الصغار كلهم بالألواح فأجعل الطبل فى عنقى والبوق فى فمى وأضرب الطبل وأنفخ فى البوق فيسمع أهل الدرب ذلك فيسارعون الى ويخلصونى منهم ﴿ وحكى ﴾ الجاحظ أيضا قال مررت على خربة فاذا بها معلم وهو ينبح نبيح الكلاب فوقفت أنظر اليه واذا بصبى قد خرج من دار فقبض عليه المعلم وجعل يلطمه ويسبه فقلت عرفنى خبره فقال هذا صبى لئيم يكره التعليم ويهرب ويدخل الدار ولا يخرج وله كلب يلعب به فاذا سمع صوتى ظن انه صوت الكلب فيخرج فأمسكه وجاءت امرأة الى المعلم بولدها تشكوه فقال لها أما أن تنتهى والا فعلت بامك فقالت يا معلم هذا صبى ما ينفع فيه الكلام فافعل ما شئت لعله ينظر بعينه ويتوب فقام وفعل بها أمام ولدها * وقال الجاحظ رأيت معلما فى الكتاب وحده

أأحبابنا بنتم عن الدار فاشتكت لبعدكم آصالها وضحاها وفارقتم الدار الأنيسة فاستوت
رسوم مبانيها وفاح كلاها كأنكم يوم الفراق رحلتم بنومى فعينى لا تصيب كراها
وكنت شحيحا من دموعى بقطرة فقد صرت سمحا بعدكم بدماها يرانى بساما خليلى يظن بى
سرورا وأحشائى السقام ملاها وكم ضحكة فى القلب منها حرارة يشب لظاها لو كشفت غطاها
رعى الله أياما بطيب حديثكم تقضت وحياها الحيا وسقاها فما قلت أيها بعدها لمسامر
من الناس الا قال قلبى آها قيل لقيس بن سعد هل رأيت قط إسخى منك قال نم نزلنا بالبادية
على امرأة فجاء زوجها فقالت له إنه نزل بنا ضيفان فجاء بناقة فنحرها وقال شأنكم فلما كان من الغد جاء
بأخرى فنحرها وقال شأنكم فقلنا ما أكلنا من التى نحرت البارحة الا القليل فقال انى لا أطعم ضيفانى الغائت فبقينا عنده أياما والسماء تمطر وهو يفعل كذلك فلما أردنا الرحيل وضعنا مائة دينار فى بيته وقلنا للمرأة اعتذرى لنا اليه ومضينا فلما ارتفع النهار إذا برجل يصيح خلفنا قفوا فوقفنا فلما دنا منا قال خذوا دنانيركم فانى لا آخذ على اكرامى ثمنا وان لم تأخذوها طعنتكم برمحى هذا فأخذناها وانصرفنا (وكان) يزيد بن المهلب من الأجواد الأسخياء وله أخبار فى الجود عجيبة من ذلك ماحكاه عقيل ابن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال لما أراد يزيد بن المهلب الخروج
إلى واسط أتيته فقلت أيها الأمير ان رأيت أن تأذن لى فأصحبك قال إذا قدمت واسط فعلمت
فائتنا إن شاء الله تعالى فسافر وأقمت فقال لى بعض إخوانى إذهب اليه فقلت كان جوابه فيه ضعف قال أتريد من يزيد
جوابا أكثر مما قال فسرت حتى قدمت عليه فلما كان فى الليل دعيت إلى السمر فتحدث القوم حتى ذكروا الجوارى فالتفت إلى
يزيد وقال ايه ياعقيل فقلت أفاض القوم فى ذكر الجوارى فأما الأعزبون فلن يقولوا
قال انك لا تبقى عزبا فلما رجعت إلى منزلى إذا أنا بخادم قد أتانى ومعه جارية وفرش بيت و بدرة عشرة آلاف درهم وفى
الليلة الثانية كذلك فمكثت عشر ليال وأنا على هذه الحالة فلما رأيت ذلك دخلت عليه فى اليوم العاشر فقلت أيها الأمير
قد والله أغنيت وأقنيت فان رأيت أن تأذن لى فى الرجوع فأكبت عدوى وأسر صديقى فقال إنما أخيرك بين خلتين إما أن

فسألته فقال الصغار داخل الدرب يتصارعون فقلت أحب أن أراهم فقال ما أشير عليك بذلك فقلت
لابد قال فاذا جئت إلى رأس الدرب اكشف رأسك لئلا يعتقدوك المعلم فيصفعونك حتى تعمى وقال
بعضهم رأيت معلما وقد جاء صغيران يتماسكان فقال أحدهما هذا عض أذنى فقال الآخر لا والله
ياسيدنا هو الذى عض أذن نفسه فقال المعلم ياابن الزانية هو كان جمل يعض أذن نفسه * وقال بعضهم
رأيت معلما وهو يصلى العصر فلما ركع أدخل رأسه بين رجليه ونظر إلى الصغار وهم يلعبون وقال ياابن
البقال قد رأيت الذى عملت وسوف أكافئك إذا فرغت من الصلاة ﴿ وحكى ﴾ عن الجاحظ أنه
قال ألفت كتابا فى نوادر المعلمين وماهم عليه من التغفل ثم رجعت عن ذلك وعزمت على تقطيع ذلك الكتاب
فدخلت يوما مدينة فوجدت فيها معلما فى هيئة حسنة فسلمت عليه فرد على أحسن رد ورحب بى
فجلست عنده وباحثته فى القرآن فاذا هو ماهر فيه ثم فاتحته فى الفقه والنحو وعلم المعقول وأشعار
العرب فاذا هو كامل الآداب فقلت هذا والله مما يقوى عزمى على تقطيع الكتاب قال فكنت أختلف
اليه وأزوره فجئت يوما لزيارته فاذا بالكتاب مغلق ولم أجده فسألت عنه فقيل مات له ميت فحزن عليه
وجلس فى بيته للعزاء فذهبت إلى بيته وطرقت الباب فخرجت إلى جارية وقالت ماتريد قلت سيدك
فدخلت وخرجت وقالت باسم الله فدخلت اليه وإذا به جالس فقلت عظم الله أجرك لقد كان لكم فى
رسول الله أسوة حسنة كل نفس ذائقة الموت فعليك بالصبر ثم قلت له هذا الذى توفى ولدك قال لا
قلت فوالدك قال لا قلت فأخوك قال لا قلت فزوجتك قال لا فقلت وماهو منك قال حبيبتى فقلت فى
نفسى هذه أول المناحس فقلت سبحان الله النساء كثير وستجد غيرها فقال أتظن انى رأيتها
قلت وهذه منحسة ثانية ثم قلت وكيف عشقت من لم تر فقال اعلم انى كنت جالسا فى هذا المكان وأنا
أنظر من الطاق إذ رأيت رجلا عليه برد وهو يقول

ياأم عمرو جزاك الله مكرمة * ردى على فؤادى ايما كانا
لا تأخذين فؤادى تلعبين به * فكيف يلعب بالانسان انسانا

فقلت فى نفسى لولا أن أم عمرو هذه مافى الدنيا أحسن منها ماقيل فيها هذا الشعر فعشقتها فلما كان
منذ يومين مر ذلك الرجل بعينه وهو يقول

لقد ذهب الحمار بأم عمرو * فلا رجعت ولا رجع الحمار

نقيم فنوليك أو ترحل فنغنيك فقلت أو لم تغنى أيها الأمير قال إنما هذا أثاث المنزل ومصاحة القدوم فنالني من فضله مالا أقدر على وصفه (وحدث) أبو اليقظان عن أبيه قال حج يزيد بن المهلب فطلب حلاقا يحلق رأسه فجاؤه بحلاق فحلق رأسه فأمر له بخمسة آلاف درهم فتحير الحلاق ودهش وقال آخذ هذه الخمسة آلاف وأمضى إلى أم فلان أخبرها أنى قد استغنيت فقال أعطوه خمسة آلاف أخرى فقال امرأته طالق إن حلقت رأس أحد بعدك (وقيل) ان الحجاج حبسه على خراج وجب عليه مقداره مائة ألف درهم فجمعت له وهو فى السجن فجاءه الفرزدق يزوره فقال للحاجب استأذن لى عليه فقال إنه فى مكان لا يمكن الدخول عليه فيه فقال الفرزدق إنما أتيت متوجعا لما هو فيه ولم آت ممتدحا فاذن له فلما أبصره قال أيا خالد ضاقت خرسان بعدكم ✻ وقال ذووا الحاجات أين يزيد (٢٤٣) فما قطرت بالشرق بعدك قطرة ولا اخضر بالمروين بعدك عود

وما السرور بعد عزك بهجة وما لجواد بعد جودك جود

فقال يزيد للحاجب ادفع اليه المائة ألف درهم التى جمعت لنا ودع الحجاج ولحمى يفعل فيه مايشاء فقال الحاجب للفرزدق هذا الذى خفت منه لما منعتك من دخولك عليه فأخذوها وانصرف (ومر) يزيد بن المهلب عند خروجه من سجن عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه بعجوز اعرابية فذبحت له عنزا فقال لابنه مامعك من النفقة قال مائة دينار قال ادفعها اليها فقال هذه يرضيها اليسير وهي لا تعرفك قال إن كان يرضيها اليسير فانا لا أرضى الا بالكثير وان كانت لا تعرفنى فانا أعرف نفسى (وقال أبو العيناء) تذاكروا السخاء فاتفقوا على آل المهلب فى الدولة المروانية وعلى البرامكة فى الدولة العباسية ثم اتفقوا على أن أحمد بن داود أسخى منهم جميعا وأفضل (وسئل) اسحق الموصلى عن سخاء أولاد يحيي بن خالد فقال أما الفضل فيرضيك فعله وأما جعفر فيرضيك قوله وأما محمد فيفعل بحسب مايجد وفى يحيي يقول القائل

سألت الندى هل أنت حر فقال لا ... ولكننى عبد ليحيي بن خالد

فقلت شراء قال لا بل وراثة ... توارثنى عن والد بعد والد

(وفى الفضل يقول القائل) إذا نزل الفضل بن يحيي ببلدة ... رأيت بها غيث السماحة ينبت

فليس بسعال اذا سيل حاجة ... ولا بمكب فى ثرى الأرض ينكت

فعلمت أنها ماتت فحزنت عليها وأغلقت المكتب وجلست فى الدار فقلت ياهذا انى كنت ألفت كتابا فى نوادركم معشر المعلمين وكنت حين صاحبتك عزمت على تقطيعه والآن قد قويت عزمى على ابقائه وأول ما أبدأ بك إن شاء الله تعالى

﴿ الفصل السادس فى نوادر المتنبئين ﴾ ادعى رجل النبوة فى أيام الرشيد فلما مثل بين يديه قال له ماالذى يقال عنك قال انى نبي كريم قال فأى شيء يدل على صدق دعواك قال سل عما شئت قال أريد أن تجعل هذه المماليك المرد القيام الساعة بلحى فاطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال كيف يحل أن أجعل هؤلاء المرد بلحى وأغير هذه الصورة الحسنة وانما أجعل أصحاب هذه اللحى مردا فى لحظة واحدة فضحك منه الرشيد وعفا عنه وأمر له بصلة ✻ وتنبأ انسان فطالبوه بحضرة المأمون بمعجزة فقال أطرح لكم حصاة فى الماء فتذوب قالوا رضينا فاخرج حصاة معه وطرحها فى الماء فذابت فقالوا هذه حيلة ولكن نعطيك حصاة من عندنا ودعها تذوب فقال لستم أجل من فرعون ولا أنا أعظم حكمة من موسى ولم يقل فرعون لموسى لم أرض بما تفعله بعصاك حتى أعطيك عصا من عندى تجعلها ثعبانا فضحك المأمون وأجازه ✻ وتنبأ رجل فى أيام المعتصم فلما حضر بين يديه قال أنت نبي قال نعم قال والى من بعثت قال اليك قال أشهد أنك لسفيه أحمق قال إنما يبعث إلى كل قوم مثلهم فضحك المعتصم وأمر له بشيء ✻ وتنبأ رجل فى أيام المأمون وادعى أنه إبراهيم الخليل فقال له المأمون ان ابراهيم كانت له معجزات وبراهين قال وما براهينه قال أضرمت له نار وألقى فيها فصارت عليه بردا وسلاما ونحن نوقد لك نارا ونطرحك فيها فان كانت عليك كما كانت عليه آمنا بك قال أريد واحدة أخف من هذه قال فبراهين موسى قال وما براهينه قال ألقى عصاه فاذا هي حية تسعى وضرب بها البحر فانفلق وأدخل يده فى جيبه فأخرجها بيضاء قال وهذه على أصعب من الأولى قال فبراهين عيسى قال وما هي قال إحياء الموتى قال مكانك قد وصلت أنا أضرب رقبة القاضى يحيي بن أكثم وأحييه لكم الساعة فقال يحيي أنا أول من آمن بك وصدق ✻ وتنبأ آخر فى زمن المأمون فقال المأمون أريد منك بطيخا فى هذه الساعة قال أمهلنى ثلاثة أيام قال ما أريده إلا الساعة قال ما أنصفتنى يا أمير المؤمنين إذا كان الله تعالى الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام مايخرجه الا فى ثلاثة أشهر فما تصبر أنت على ثلاثة أيام فضحك منه ووصله . وتنبأ آخر فى زمن المأمون فلما مثل بين يديه قال له من أنت قال أنا أحمد النبى

(وفي محمد يقول القائل) سألت الندى والجود مالي أراكما تبدلتما عزا بذل مؤبد وما بال ركن المجد أمسى مهدما
فقالا أصبنا بابن يحيي محمد فقلت فهلا متما بعد موته وقد كنتما عبديه في كل مشهد
فقالا أقمنا كي نعزي بفقده مسافة يوم ثم نتلوه في غد وقال علي بن أبي طالب رضي الله
تعالى عنه وكرم الله تعالى وجهه من كانت له الى حاجة فليرفعها الى في كتاب لأصون وجهه عن المسئلة (وجاءه) رضي الله تعالى عنه اعرابي
فقال له ياأمير المؤمنين ان لي اليك حاجة الحياء يمنعني أن أذكرها فقال خطها في الارض فكتب إني فقير فقال ياقنبر
اكسه حلتي فقال الاعرابي
كسوتني حلة تبلى محاسنها فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا
إنه أبا حسن قد نلت مكرمة (٢٤٤) ولست تبغي بما قدمته بدلا ان الثناء ليحيي ذكر صاحبه
كالغيث يحيي نداه السهل والجبلا
لاتزهد الدهر في عرف بدأت به
كل امرىء سوف يجزى بالذي فعلا
فقال ياقنبر زده مائة دينار فقال ياأمير المؤمنين لو فرقتها في المسلمين لأصلحت بها من شأنهم فقال رضي الله تعالى عنه صه ياقنبر فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول اشكروا لمن أثنى عليكم واذا أتاكم كريم قوم فأكرموه (وسئل) اسحق الموصلي عن المخلوع فقال كان أمره كله عجبا كان لايبالي أين يقعد مع جلسائه وكان عطاؤه عطاء من لايخاف الفقر كان عنده سليمان بن أبي جعفر يوما فأراد الرجوع الى أهله فقال له سفر البر

قال لقد ادعيت زورا فلما رأى الاعوان قد أحاطت به وهو ذاهب معهم قال ياأمير المؤمنين أنا أحمد النبي فهل تذمه أنت فضحك المأمون منه وخلى سبيله * وتنبأ آخر في زمن المتوكل فلما حضر بين يديه قال له أنت نبي قال نعم قال فما الدليل على صحة نبوتك قال القرآن العزيز يشهد بنبوتي في قوله تعالى إذا جاء نصر الله والفتح وأنا اسمي نصر الله قال فما معجزتك قال ائتوني بامرأة عاقر أنكحها تحمل بولد يتكلم في الساعة ويؤمن بي فقال المتوكل لوزيره الحسن بن عيسى أعطه زوجتك حتى تبصر كرامته فقال الوزير أما أنا فاشهد أنه نبي الله وانما يعطي زوجته من لايؤمن به فضحك المتوكل وأطلقه * وادعى رجل النبوة في زمن خالد بن عبد الله القسري وعارض القرآن فأتي به الى خالد فقال له ماتقول فقال عارضت القرآن قال بماذا قال قال الله تعالى إنا أعطيناك الكوثر الآية وقلت إنا أعطيناك الجماهر فصل لربك وجاهر ولا تطع كل ساحر فأمر به خالد فضرب عنقه وصلب فمر به خلف بن خليفة الشاعر فضرب بيده على الخشبة وقال انا أعطيناك العود فصل لربك من قعود وأنا ضامن لك أن لاتعود * وأتي المأمون برجل ادعى النبوة فقال له ألك علامة على علامتي اني أعلم مافي نفسك قال ومافي نفسي قال في نفسك أني كاذب قال صدقت ثم أمر به الى السجن فأقام فيه أياما ثم أخرجه فقال هل أوحي اليك بشيء قال لا قال ولم قال لأن الملائكة لاتدخل الحبوس فضحك منه وخلى سبيله وأتي بامرأة تنبأت في أيام المتوكل فقال لها أنت نبية قالت نعم قال أتؤمنين بمحمد قالت نعم قال فانه ﷺ قال لانبي بعدي قالت فهل قال لانبية بعدي فضحك المتوكل وأطلقها * وتنبأ رجل يسمى نوحا وكان له صديق نهاه فلم يقبل فأمر السلطان بقتله فصلب فمر به صديقه فقال له يانوح ماحصلت من السفينة الا على الصاري

(الفصل السابع في نوادر السؤال) وقف اعرابي بباب يسأل فقال له صغير من باب الدار بورك فيك فقال قبح الله هذا الفم لقد تعلمت الشر صغيرا * ووقف سائل على باب فقال ياأصحاب المنزل فبادر صاحب الدار قبل أن يتم كلامه وقال فتح الله عليك فقال السائل ياقرنان كنت تصبر لعلي جئت أدعوك الى وليمة * وقال أبو عثمان الجاحظ وقف سائل بقوم فقال اني جائع فقالوا له كذبت فقال جربوني برطلين من الخبز ورطلين من اللحم * ووقف سائل على باب فقالوا يفتح الله لك فقال كسرة فقالوا مانقدر عليها قال فقليل من بر أو فول أو شعير قالوا لانقدر عليه قال فقطعة دهن أو قليل زيت أو لبن

أحب اليك أم سفر البحر قال البحر ألين علي فقال أوقروا الزورق ذهبا وأمر له بألف ألف درهم (وشكا) سعيد بن عمرو بن عثمان بن عفان موسى بن شهوان الى عبد الملك وقال قد هجاني ياأمير المؤمنين فاستحضره سليمان وقال لاأم لك تهجو سعيدا قال ياأمير المؤمنين أخبرك الخبر عشقت جارية مدنية وأتيت سعيدا فقلت اني أحب هذه الجارية وان مولاتها أعطيت فيها مائتي دينار وقد أتيتك فقال لي بورك فيك قال فاتيت ياأمير المؤمنين سعيد بن خالد فذكرت له حالي فقال ياجارية هاتي مطرفا فأتته بمطرف خز فصر لي في زاويته مائتي دينار فخرجت وأنا أقول

أبا خالد أعني سعيد بن خالد أخا العرف لاأعني ابن بنت سعيد ولكنني أعني ابن عائشة الذي
أبو أبويه خالد بن أسيد عقيد الندى ماعاش يرضى به الندى فان مات لم يرض الندى بعقيد

ذروه ذروه انكم قد رقدتمو   وما هو عن احسانكم برقود   فقال سليمان قل ما شئت وكتب كلثوم بن عمر الى بعض الكرماء رقعة فيها

اذا تكرهت أن تعطى القليل ولم   تقدر على سعة لم يظهر الجود
بث النوال ولا تمنعك قلته   فكل ما سد فقرا فهو محمود

فشاطره ماله حتى بعث اليه بنصف خاتمه وفرد نعله (ودخل) طلحة بن عبد الله بن عوف السوق يوما فوافق فيه الفرزدق فقال يا أبا فراس اختر عشرا من الابل ففعل فقال ضم اليها مثلها فلم يزل يقول مثل ذلك حتى بلغت مائة فقال هي لك فقال

ياطلح أنت أخو الندى وعقيده   ان الندى مامات طلحة ماتا
ان الندى أتى اليك رحاله   فبحيث بت من المنازل باتا

(ووفد أبو الشمقمق) الى مدينة سابور يريد محمد بن عبد السلام فلما دخلها توجه الى منزله فوجده فى دار الخراج يطالب فدخل عليه يتوجع فلما رآه محمد قال

ولقد قدمت على رجال طالما   قدم الرجال عليهم فتمولوا
أخنى الزمان عليهم فكأنما   كانوا بأرض أقفرت فتحولوا

فقال أبو الشمقمق

الجود أفلسهم وأذهب مالهم   فاليوم ان راموا السماحة يبخلوا

قال فخلع محمد ثوبه وخاتمه ودفعهما اليه فكتب بذلك مستوفى الخراج الى الخليفة فوقع الى عامله باسقاط الخراج عن محمد ابن عبد السلام تلك السنة واسقاط ماعليه من البقايا وأمر له بمائة ألف درهم معونة على مروءته (وحكى عن أبى العيناء أنه قال) حصلت لى ضيقة شديدة فكتمتها عن أصدقائى فدخلت يوما على يحيى بن أكثم القاضى فقال ان أمير المؤمنين المأمون جلس للمظالم وأخذ القصص فهل لك فى الحضور قلت نعم فمضيت معه الى دار أمير المؤمنين فلما دخلنا عليه أجلسه وأجلسنى ثم قال يا أبا العيناء بالألفة والمحبة ما الذى جاء بك فى هذه الساعة فانشدته

لقد رجوتك دون الناس كلهم   وللرجاء حقوق كلها تجب
ان لم يكن لى أسباب أعيش بها   ففى العلا لك أخلاق هى السبب

فقال ياسلامة انظر أى شىء فى بيت مالنا دون مال المسلمين فقال بقية من مال قال فادفع له مائة ألف درهم وابعث له بمثلها فى كل شهر فلما كان بعد أحد عشر شهرا مات المأمون فبكى عليه أبو العيناء حتى تقرحت أجفانه فدخل عليه بعض أولاده فقال يا أبتاه بعد ذهاب العين ماذا ينفع البكاء فانشأ أبو العيناء يقول

أو لبن قالوا لا نجده قال فشربة ماء قالوا وليس عندنا ماء قال فاجلوسكم ههنا قوموا فاسألوا فأنتم أحق منى بالسؤال

(الفصل الثامن فى نوادر المؤذنين) قيل لمؤذن ما نسمع أذانك فلو رفعت صوتك فقال انى اسمع صوتى من مسيرة ميل * وقال بعضهم رأيت مؤذنا أذن ثم غدا يهرول فقلت له الى أين فقال أحب أن أسمع أذانى أين بلغ * واختصم رجلان فى جارية فأودعاها عند مؤذن فلما أصبح وفرغ من الأذان قال لا إله إلا الله ذهبت الأمانة من الناس فقالوا له كيف ذهبت الأمانة من الناس قال هذه الجارية التى وضعت عندى قيل انها بكر فلما أتيتها وجدتها ثيبا * وسمع مؤذن حمص يقول فى سحور رمضان تسحروا فقد أمرتكم وعجلوا فى أكلكم قبل أن أؤذن فيسخم الله وجوهكم * وشوهد مؤذن يؤذن من رقعة فقيل له ما تحفظ الأذان فقال سلوا القاضى فأتوه فقالوا السلام عليكم فاخرج دفترا وتصفحه وقال وعليكم السلام فعذروا المؤذن * وسمعت امرأة مؤذنا يؤذن بعد طلوع الشمس و يقول الصلاة خير من النوم فقالت النوم خير من هذه الصلاة * ومر سكران بمؤذن ردىء الصوت فجلد به الأرض وجعل يدوس بطنه فاجتمع اليه الناس فقال والله ما بى رداءة صوته ولكن شماتة اليهود والنصارى بالمسلمين

(الفصل التاسع فى نوادر النواتية) حكى أن بعض النواتية تولى أحد الكراسى السلطانية لمساعدة الزمان فبينما هو جالس فى داره اذ سمع صوتا وراء الباب فقال لزوجته إنى اسمع غاغة فى البر حلى قلوعى واعملى أسفيرتى على جامورى وقدمى الى اسقالة الرجل وقيمينى بمدرة فامتثلت كلامه فنزل وجلس على مصطبته وقد علت مرتبته واصطفت المقدمون بين يديه ووقفت الجبرتية حواليه واذا بشيخ قد أقبل وثيابه مقطعة وعمامته فى حلقه والدم نازل من أنفه وهو يصيح بصوت عال انا بالله و بالوالى فقال له تعال ياشيخ مالى أرى أرطمونك فى حلقك وشبورتك مكسورة وأنت بتزلع ماء متغير وتقيم الهليلا فى الساحل دخل عليك شرد غربى والا دخلت على بواجى فقال الشيخ والله ياسيدى بعض نواتية البحر عمل بى هذا فقال يا أولاد جيبوا غريموا بخنسوا عدته وقشطوا ظهره وجروه على مقدمه فامتثلوا كلام الامير وجاءوا بالغريم فلما مثل بين يديه قال له و يلك هو أنت بغنوس بسفر البحر أنت الذى قطعت القلس وخرجت فى الشعث حتى لقيت هذا الرجل نطحت مخطمته وكسرت اسقالته

شيآن لو بكت الدماء عليهما عيناى حتى يؤذنا بذهاب لم يبلغا المعشار من حقيهما

فقد الشباب وفرقة الأحباب (وقال الأعمش) كانت عندى شاة فمرضت وفقدت الصبيان لبنها فكان خيثمة بن عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشى ويسألنى هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها وكان تحتى لبد أجلس عليه فكان إذا خرج يقول خذ ماتحت اللبد حتى وصل الى من غلة الشاة أكثر من ثلثمائة دينار من بره حتى تمنيت أن الشاة لم تبرأ (وحكى أبو القدامة العشيرى) قال كنا مع يزيد بن مزيد يوما فسمع صائحا يقول يايزيد بن مزين فطلبه فأتى به اليه فقال ماحملك على هذا الصياح قال فقدت دابتى ونفدت نفقتى وسمعت قول الشاعر

إذا قيل من للجود والمجد والندى (٢٤٦) فنادى بصوت يايزيد بن مزيد فأمر له بفرس أبلق كان معجبا به وبمائة دينار وخلعة سنية فأخذها وانصرف (ومن الغرائب) ماحكى أن قوما من العرب جاؤا الى قبر بعض أسخيائهم يزورونه فباتوا عند قبره فرأى رجل منهم صاحب القبر فى المنام وهو يقول له هل لك أن تبيعنى بعيرك بنجيبى وكان الميت قد خلف نجيبا وكان للرائى بعير سمين فقال نعم وباعه فى النوم بعيره بنجيبه فلما وقع بينهما عقد البيع عمد صاحب القبر الى البعير فنحره فى النوم فانتبه الرائى من نومه فوجد الدم يسيح من نحر بعيره فقام وأتم نحره وقطع لحمه وطبخوه وأكلوه ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم الثانى وهم فى الطريق سائرون استقبلهم ركب فتقدم منهم شاب فنادى هل فيكم فلان بن فلان فقال صاحب البعير نعم هاأنا فلان بن فلان فقال هل بعت من فلان الميت شيئا قال نعم بعته بعيرى بنجيبه فى النوم فقال هذا نجيبه فخذه وأنا ولده وقد رأيته فى النوم وهو يقول ان كنت ولدى فادفع نجيبى الى فلان فانظر الى هذا الرجل الكريم كيف أكرم أضيافه بعد موته (قيل) ان شاعرا قصد خالد بن يزيد فأنشد شعرا يقول فيه

سألت الندى والجود حران أنتما فقالا يقينا اننا لعبيد
فقلت ومن مولاكما فتطاولا الى وقالا خالد ويزيد

فقال ياغلام أعطه مائة ألف درهم وقل له ان زدتنا زدناك فأنشد يقول

كريم كريم الأمهات مهذب تدفق كفاه الندى وشمائله
هو البحر من أى الجهات أتيته فلجته المعروف والجود ساحله

لو انصلح كنت عملتك فى بدراوة وعلقتك فى الصارى فلما سمع الرجل كلام الوالى علم أنه من أولاد المعيشة فقال له بهمترة النواتية والله ياخوندهو كارزنى فى معاشي اجصطن على الوحسة وأنا عايم فى الليل إلا وشرد جانى من الشرق كابس هز أطرافى وكسر شابورتى وقطع لبانى وهاهو بحمد الله على برالسلامة وان كان انصلح فيه شىء فأنا بمرسوم الأمير أجيب له القلفاط أسدفتحه وأعيدله وسقه وأخليه يروح فى طريقه فقال له الوالى أنت بتقدف فى وجهى وتطرح مقاديفك حتى نعبر على الحجر يارجالة الصارى سلسلوا أطرافه وعروا مقاديفه وبلوا شيبنة اللبان وانزلوا عليه وأوسقوه الجنبين والظهر حتى تلعب الميه على بطونسته هيا قوامك خلوا اجنب براوجنب جوا قدام الخن وراء الصارى فأكل علقة من كعبه الى أذنه فقالت النواتية ياخونداهو خنفست عليه الطمية البحرية قال مدراتين وقيموه فلما أقاموه باس يد الأمير وقال ياخوندسألتك بهبوب الرياح وطيب النسيم الرب لا يبليك بجر اللبان فى الحلافى وأنت حافى فى الصيافى ويكفيك شر الار بعينيات قال فرق عليه قلب الامير وقال له وحق من ضرب القلع باللبان الحلفا عند بخنسة الريح وفروغ الزاد بعيد من البلاد وعياط الركاب عند قيام الموجه وبعد البر فى أيام النيل لولا شفاعة الركاب لكنت أهدا سقالتك وأقعد فى زوايدك حتى أخلى ظهرك جيفة فقال له والله ياخوندا ما بقى جنبى يحمل هذا الوسق العظيم ولكن ان عدت أعبر لهذا الوجه اخسف من أضلاعى لوح وغرقنى بالقايم فقال له الأمير احمد الله على السلامة واخرج فى دى الطيابة وكتب له مرسوم وعلم عليه علامة الرياس البحرية للنواتية الله لك الله لى ياعملات على أبوس

﴿الفصل العاشر فى نوادر جامعة﴾ سمعت امرأة فى الحديث أن صوم يوم عاشوراء كفارة سنة فصامت إلى الظهر ثم أفطرت وقالت يكفينى كفارة ستة أشهر منها شهر رمضان * وأسلم مجوسى فى شهر رمضان فثقل عليه الصيام فنزل إلى سرداب وقعد يأكل فسمع ابنه حسه فقال من هذا فقال أبوك الشقى يأكل خبز نفسه ويفزع من الناس * وسئل بعض القصاص عن نصرانى قال لا إله إلا الله لا غير إذا مات أين يدفن قال يدفن بين مقابر المسلمين والنصارى ليكون مذبذبا لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء * وأهدى إلى سالم القصاص خاتم بلافص فقال ان صاحب هذا الخاتم يعطى فى الجنة غرفة بلاسقف * وبنى بعض المغفلين نصف دار وبنى رجل آخر النصف الآخر فقال المغفل يوما قد عوات على بيع النصف الذى لى وأشترى به النصف الآخر لتكمل لى الدار كلها * وسئل

جامع

جامع الصيدلانى عن عمر ابنته فقال لاأدرى الاأن أمها ذكرت أنها ولدتها فى أيام البراغيث
* وقيل لطفيلى أى سورة تعجبك فى القرآن قال المائدة قال فأى آية قال ذرهم يأكلوا ويتمتعوا
قيل ثم ماذا قال آتنا غداءنا قيل ثم ماذا قال ادخلوها بسلام آمنين قيل ثم ماذا قال وماهم منها
بمخرجين * وقيل لعثمان بن دراج الطفيلى يوما كيف تصنع بدار العرس اذا لم يدخلك أصحابها قال
أنوح على بابهم فيتطيرون من ذلك فيدخلونى وقيل له أتعرف بستان فلان قال أى والله انه
الجنة الحاضرة فى الدنيا قيل لم لا تدخله وتأكل من ثماره وتستظل باشجاره وتسبح فى أنهاره
قال لان فيه كلبا لايتمضمض الابدماء عراقيب الرجال وقيل له يوما ماهذه الصفرة التى فى
لونك قال من الفترة من المضيفين وقال مرت بنا جنازة يوما ومعى ابنى ومع الجنازة امرأة تبكى
وتقول الآن يذهبون بك الى بيت لافراش فيه ولاغطاء ولا وطاء ولاخبز ولاماء فقال ابنى
ياأبت الى بيتنا والله يذهبون (وحكى) عن هرون الرشيد أنه أرق ذات ليلة أرقا شديدا فقال لوزيره
جعفر بن يحيى البرمكى انى أرقت فى هذه الليلة وضاق صدرى ولم أعرف ما أصنع وكان خادمه مسرور
واقفا امامه فضحك فقال له ما يضحكك استهزاء بى أم استخفافا فقال وقرابتك من سيد المرسلين
صلى الله عليه وسلم ما فعلت ذلك عمدا ولكن خرجت بالأمس أتمشى بظاهر القصر الى أن جئت الى جانب
الدجلة فوجدت الناس مجتمعين فوقفت فرأيت رجلا واقفا يضحك الناس يقال له ابن المغازلى فتفكرت
الآن فى شئ من حديثه وكلامه فضحكت والعفو يا أمير المؤمنين فقال له الرشيد ائتنى الساعة به فخرج
مسرورا مسرعا الى أن جاء الى ابن المغازلى فقال له أجب أمير المؤمنين فقال سمعا وطاعة فقال له
بشرط أنه اذا أنعم عليك بشئ يكون لك منه الربع والبقية لى فقال له بل اجعل لى النصف ولك النصف
فأبى فقال الثلث ولك الثلثان فأجابه الى ذلك بعد جهد عظيم فلما دخل على الرشيد سلم فأبلغ
وترجم فأحسن ووقف بين يديه فقال له أمير المؤمنين ان أنت أضحكتنى أعطيتك خمسمائة دينار
وان لم تضحكنى أضربك بهذا الجراب ثلاث ضربات فقال ابن المغازلى فى نفسه وما عسى أن تكون
ثلاث ضربات بهذا الجراب وظن فى نفسه أن الجراب فارغ فوقف يتكلم ويتمسخر وفعل أفعالا
عجيبة فضحك الجلمود فلم يضحك الرشيد ولم يتبسم فتعجب ابن المغازلى وضجر وخاف فقال له
الرشيد الآن استحققت الضرب ثم انه أخذ الجراب ولفه وكان فيه أربع زلطات كل واحدة وزنها

جواد بسيط الكف حتى لوانه ذعاها لقبض لم تجبه أنامله فقال ياغلام أعطه مائة ألف درهم وقل له ان زدتنا
زدناك فأنشد يقول تبرعت لى بالجود حتى نعشتنى وأعطيتنى حتى حسبتك تلعب
وأنبت ريشا فى الجناحين بعد ما تساقط منى الريش أو كاد يذهب فأنت الندى وابن الندى وأخو الندى حليف
الندى ماللندى عنك مذهب فقال ياغلام اعطه مائة ألف درهم وقل له ان زدتنا زدناك فقال حسب الأمير ماسمع وحسبى
ماأخذت وانصرف (وجاء) الى خالد بن عبد الله بعض الشعراء ورجله فى الركاب يريد الغزو فقال له انى قلت فيك
بيتين من الشعر فقال فى مثل هذا الحال قال نعم فقال هاتهما فانشد يقول
ياواحد العرب الذى مافى الأنام له نظير لوكان مثلك آخر ما كان فى الدنيا فقير
فقال ياغلام أعطه عشرين ألف دينار فأخذها وانصرف (وحيث ذكرنا) نبذة من أخبار الكرماء فلنذكر نبذة من أخبار البخلاء (فمن ذلك) ان رجلا من البخلاء اشترى دارا وانتقل اليها فوقف ببابه سائل فقال له فتح الله عليك ثم وقف ثان فقال له مثل ذلك ثم وقف ثالث فقال له مثل ذلك ثم التفت الى ابنته فقال لها ماأكثر السؤال فى هذا المكان فقالت ياأبت مادمت متمسكا لهم بهذه الكلمة فما تبالى كثروا أم قلوا (وألأم اللئام وأبخلهم) حميد الارقط الذى يقال له هجاء الاضياف وهو القائل فى ضيف له يصف أكله من قصيدة
مابين لقمته الأولى إذا انحدرت وبين أخرى تليها قيد أظفور
(وقال فيه أيضا)
تجهز كفاه ويحسك حلقه الى الزور ماضمت عليه الأنامل (وأكل) اعرابى مع أبى الاسود رطبا فاكثر ومد
أبو الاسود يده الى رطبة ليأخذها فسبقه الاعرابى اليها فسقطت منه فى التراب فأخذها أبو الاسود وقال لا أدعها
للشيطان يأكلها فقال الاعرابى والله ولا لجبريل وميكائيل لونزلا من السماء ماتركتها (وقال اعرابى) لنزيل نزل به نزلت
بواد غير ممطور ورجل بك غير مسرور فاقم بعدم أو ارحل بندم (وللحمدونى) رأيت أبا زرارة قال يوما
لحاجبه وفى يده الحسام لئن وضع الخوان ولاح شخص لاختطفن رأسك والسلام فقال سوى أبيك فذاك شيخ
بغيض ليس يردعه الكلام فقام وقال من حنق عليه بييت لم يرد فيه القيام

رطلان فضربه ضربة فلما وقعت الضربة فى رقبته صرخ صرخة عظيمة وافتكر الشرط الذى شرطه عليه مسرور فقال العفو يا أمير المؤمنين اسمع منى كلمتين قال قل ما بدالك قال ان مسرورا شرط على شرطا واتفقت أنا واياه على مصلحة وهو أن ما حصل لى من الصدقات يكون له فيه الثلثان ولى فيه الثلث وما أجابنى الى ذلك الا بعد جهد عظيم وقد شرط على أمير المؤمنين ثلاث ضربات فنصيبى منها واحدة ونصيبه اثنتان وقد أخذت نصيبى وبقى نصيبه قال فضحك الرشيد ودعا مسرورا فضربه فصاح وقال يا أمير المؤمنين قد وهبت له ما بقى فضحك الرشيد وأمر لهما بألف دينار فأخذ كل واحد منهم خمسمائة ورجع ابن المغازلى شاكرا والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب السابع والسبعون فى الدعاء وآدابه وشروطه وفيه فصول ﴾

﴿ الفصل الأول فى الدعاء وآدابه ﴾ قال الله تعالى واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان * اختلف فى سبب نزولها فقال مقاتل ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه واقع امرأته بعد ما صلى العشاء فى رمضان فندم على ذلك وبكى وجاء الى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك ورجع مغتما وكان ذلك قبل الرخصة فنزلت هذه الآية واذا سألك عبادى عنى فانى قريب وروى الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال قالت اليهود كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء خمسمائة عام وغلظ كل سماء مثل ذلك فنزلت هذه الآية وقال الحسن ان قوما قالوا للنبى ﷺ أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت هذه الآية قوله تعالى أجيب دعوة الداع اذا دعان أى أقبل عبادة من عبدنى فالدعاء بمعنى العبادة والاجابة بمعنى القبول وقال قوم ان الله تعالى يجيب كل الدعاء فاما أن يعجل الاجابة فى الدنيا وإما أن يكفر عن الداعى واما أن يدخر له فى الآخرة لما رواه أبو سعيد الخدرى قال قال رسول الله ﷺ ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة رحم الا أعطاه الله بها احدى ثلاث إما أن يعجل له دعوته وإما أن يدخر له ثوابها واما أن يكف عنه من السوء بمثلها وروى أنه اذا كان يوم القيامة واستقر أهل الجنة فى الجنة فبينما العبد المؤمن فى قصره واذا ملائكة من عند ربه يأتونه بتحف من عند الله فيقول ما هذا أليس الله قد أنعم على وأكرمنى فيقولون ألست كنت تدعو الله فى الدنيا هذا دعاؤك الذى كنت تدعوه قد ادخره لك ﴿واعلم﴾ أن إجابة الدعاء

أبى وابنا أبى والكلب عندى بمنزلة اذا حضر الطعام
وقال له ابن لى يا ابن كلب على خبزى أصادر أو أضام
اذا حضر الطعام فلا حقوق على لوالدى ولا ذمام
فما فى الارض أقبح من خوان عليه الخبز يحضره الزحام

(ويعجبنى قول بعضهم)

زففت الى نبهان من صفو فكرتى * عروسا غدا بطن الكتاب لها صدرا فقبلها عشرا وهام بحبها فلما ذكرت المهر طلقها عشرا

(ومن أخبار البخلاء) ماحكاه بعضهم قال كنت فى سفر فضللت فى الطريق فرأيت بيتا فى الفلاة فاتيته فاذا به اعرابية فلما رأتنى قالت من تكون قلت ضيف قالت أهلا ومرحبا بالضيف أنزل على الرحب والسعة قال فنزلت فقدمت لى طعاما فأكلت وماء فشربت فبينما أنا على ذلك اذا أقبل صاحب البيت فقال من هذا فقالت ضيف فقال لا أهلا ولا (٢٤٨) مرحبا مالنا وللضيف فلما سمعت كلامه ركبت من ساعتى وسرت فلما كان من الغد رأيت بيتا فى الفلاة فقصدته فاذا فيه اعرابية فلما رأتنى قالت من تكون قلت ضيف قالت لا أهلا ولا مرحبا بالضيف مالنا وللضيف فبينما هى تكلمنى اذ أقبل صاحب البيت فلما رآنى قال من هذا قالت ضيف قال مرحبا وأهلا بالضيف ثم أتى بطعام حسن فأكلت وماء فشربت فتذكرت ما مر بى بالامس فتبسمت فقال مم تبسمك فقصصت عليه ما اتفق مع تلك الاعرابية وبعلها وما سمعت منه ومن زوجته فقال لا تعجب زوجته فقال لا تعجب ان تلك الاعرابية التى رأيتها هى أختى وان بعلها أخو امرأتى هذه فغلب على كل طبع أهله ﴿ وقال عمر بن ميمون ﴾ مررت ببعض طرق الكوفة فاذا أنا برجل يخاصم جاراله فقلت ما بالكما فقال أحدهما ان صديقا لى زارنى فاشتهى رأسا فاشتريته وتغدينا وأخذت عظامه فوضعتها على باب دارى أتجمل بها فجاء هذا فأخذها ووضعها على باب داره يوهم الناس أنه هو الذى اشترى الرأس (وقال) رجل من البخلاء لاولاده اشتروا لى لحما فاشتروه فأمر بطبخه فلما استوى أكله جميعه حتى لم يبق فى يده الا عظمة وعيون أولاده ترمقه فقال ما أعطى أحدا منكم هذه العظمة حتى يحسن وصف أكلها فقال ولده الاكبر امشمشها يا أبت وأمصها حتى لا أدع للذر فيها مقيلا قال لست بصاحبها فقال الأوسط ألوكها يا أبت وألحسها حتى لا يدرى احد ألعام هى أم لعامين قال لست بصاحبها فقال الاصغر يا أبت أمصها ثم أدقها وأسفها سفا قال انك صاحبها وهى لك زادك الله معرفة وحزما (وقيل) خرج اعرابى قد ولاه الحجاج بعض النواحى فأقام بها مدة طويلة فلما كان فى بعض الايام ورد عليه اعرابى من حيه فقدم اليه الطعام وكان

إذ ذاك جائعا فسأل عن أهله وقال ما حال ابنى عمير قال على ما تحب قد ملأ الأرض والحى رجالا ونساء قال فما فعلت أم عمير قال صالحة أيضا قال فما حال الدار قال عامرة بأهلها قال وكلبنا ايقاع قال قد ملأ الأرض نباحا قال فما حال جملى زريق قال على ما يسرك قال فالتفت الى خادمه وقال ارفع الطعام فرفعه ولم يشبع الاعرابى ثم أقبل عليه يسأله وقال يا مبارك الناصية أعد على ما ذكرت قال سل عما بدا لك قال فما حال كلبى ايقاع قال مات قال وما الذى أماته قال اختنق بعظمة من عظام جملك زريق فمات قال أومات جملى زريق قال نعم قال وما الذى أماته قال كثرة نقل اللبن الى قبر أم عمير قال أو ماتت أم عمير قال نعم قال وما الذى أماتها قال كثرة بكائها على عمير قال أومات عمير قال نعم قال وما الذى أماته قال سقطت عليه الدار قال أوسقطت الدار قال نعم قال فقام اليه بالعصا ضاربا فولى من بين يديه هاربا (وقال دعبل) كنا عند (٣٤٩) سهل بن هرون فلم نبرح حتى كاد يموت من الجوع فقال ويلك يا غلام آتنا غداءنا فأتى بقصعة فيها ديك مطبوخ تحته ثريد قليل فتأمل الديك فرآه بغير رأس فقال لغلامه وأين الرأس فقال رميته فقال والله انى لأكره من يرمى برجله فكيف برأسه ويحك أما علمت أن الرأس رئيس الأعضاء ومنه يصيح الديك ولولا صوته ما أريد وفيه فرقه الذى يتبرك به وعينه التى يضرب بها المثل فيقال شراب كعين الديك ودماغه عجيب لوجع الكلية ولم نر عظما أهش تحت الأسنان من عظم رأسه وهبك ظننت أنى لا آكله ماقلت عنده من يأكله أنظر فى أى مكان رميته فائتنى به فقال لا أعرف أين رميته فقال

لكنى أنا أعرف أين رميته فقد رميته فى بطنك الله حسبك (واشتكى رجل مروزى) صدره من سعال فوصفوا له سويق اللوز فاستثقل النفقة ورأى الصبر على الوجع أخف عليه من الدواء فبينما هو يماطل الأيام ويدفع الآلام أتاه بعض أصدقائه فوصف له ماء النخالة وقال له انه يجلو الصدر فأمر بالنخالة فطبخت له وشرب من مائها فجلا صدره ووجده يعصم فلما حضر غداؤه أمر به فرفع الى العشاء وقال لامرأته اطبخى لاهل بيتنا النخالة فانى وجدت ماءها يعصم ويجلو الصدر فقالت لقد جمع الله لك بهذه النخالة بين دواء وغذاء فالحمد لله على هذه النعمة (وعن خاقان بن صبيح) قال دخلت على رجل من أهل خراسان ليلا فأتانا بمسرجة فيها فتيلة فى غاية الرقة وقد علق فيها عودا بخيط فقلت له ما بال هذا العود مربوطا قال قد شرب الدهن واذا ضاع ولم نحفظه احتجنا الى غيره فلا نجد الا عودا عطشان ونخشى أن يشرب الدهن قال بينما أنا

الدعاء لابد لها من شروط فشرط الداعى أن يكون عالما بأن لا قادر الا الله وأن الوسائط فى قبضته ومسخرة بتسخيره وأن يدعو بنية صادقة وحضور قلب فان الله تعالى لا يستجيب دعاء من قلب لاه وأن يكون متجنبا لأكل الحرام ولا يمل من الدعاء ومن شروط المدعو فيه أن يكون من الامور الجائزة الطلب والفعل شرعا كما قال عليه الصلاة والسلام ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم فيدخل فى الاثم كل ما يأثم به من الذنوب ويدخل فى الرحم جميع حقوق المسلمين ومظالمهم قال ابن عطاء الله ان للدعاء أركانا وأجنحة وأسبابا وأوقاتا فان وافق أركانه قوى وان وافق أجنحته طار الى السماء وان وافق مواقيته فاز وان وافق أسبابه نجح فأركانه حضور القلب والخشوع وأجنحته الصدق ومواقيته الاسحار وأسبابه الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ومن شروط الدعاء أن يكون سليما من اللحن كما قال بعضهم

ينادى ربه باللحن ليث * كذاك اذا دعاه لا يجاب

وقيل ان الله تعالى لا يستجيب دعاء عريف ولا شرطى ولا جاب ولا عشار ولا صاحب عرطبة وهى الطنبور ولا صاحب كوبة وهى الطبل الكبير الضيق الوسط * ومن آداب الدعاء أن يدعو الداعى مستقبل القبلة ويرفع يديه لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله حى كريم ليستحى من عبده اذا رفع يديه أن يردهما صفرا وأن يمسح بهما وجهه بعد الدعاء لما روى عن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مد يديه فى الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه وأن لا يرفع بصره الى السماء لقوله صلى الله عليه وسلم لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم الى السماء عند الدعاء أو ليخطفن الله أبصارهم وأن يخفض الداعى صوته بالدعاء لقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية وعن أبى عبد الرحمن الهمدانى قال صليت مع أبى اسحق الغداة فسمع رجلا يجهر فى الدعاء فقال كن كزكريا اذ نادى ربه نداء خفيا وينبغى للداعى ان لا يتكلف وأن يأتى بالكلام المطبوع غير المسجوع لقوله صلى الله عليه وسلم اياكم والسجع فى الدعاء بحسب أحدكم أن يقول اللهم انى أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل وقيل ادعوا بلسان الذلة والاحتقار ولا تدعوا بلسان الفصاحة والانطلاق وكانوا لا يزيدون فى الدعاء على سبع كلمات فما دونها كما فى آخر سورة البقرة وعن سفيان بن عيينة لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فقد أجاب الله دعاء شر الخلق ابليس اذ قال رب أنظرنى الى يوم يبعثون وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذا سأل أحدكم مسئلة فتعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ومن أبطأ عليه من ذلك شىء

أتعجب وأسأل الله العافية إذ دخل علينا شيخ من أهل مرو فنظر الى العود فقال للرجل يافلان لقد فررت من شيء ووقعت فيما هو شر منه أما علمت أن الريح والشمس يأخذان من سائر الأشياء و ينشفان هذا العود لم لا تتخذت مكان هذا العود إبرة من حديد فان الحديد أماس وهو مع ذلك غير نشاف والعود أيضا ربما يتعلق به شعرة من قطن الفتيلة فينقصها فقال له الرجل الخراساني أرشدك الله ونفع بك فلقد كنت في ذلك من المسرفين (وقال الهيثم بن عدي) نزل على أبي حفصة الشاعر رجل من اليمامة فأخلى له المنزل ثم هرب مخافة أن يلزمه قراه في هذه الليلة فخرج الضيف واشترى ما احتاج اليه ثم رجع وكتب له

يا أيها الخارج من بيته   وهاربا من شدة الخوف

ضيفك قد جاء بزاد له   فارجع وكن ضيفا على الضيف

فليقل الحمد لله على كل حال وعن سلمة بن الاكوع قال سمعت رسول الله ﷺ يستفتح الدعاء الا قال سبحان ربي الأعلى الوهاب وعن أبي سليمان الداراني من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على رسول الله ﷺ و ينبغي للمؤمن أن يجتهد في الدعاء وأن يكون على رجاء من الاجابة ولا يقنط من رحمة الله لانه يدعو كريما * وللدعاء أوقات وأحوال يكون الغالب فيها الاجابة وذلك وقت السحر ووقت الفطر وما بين الاذان والاقامة وعند جلسة الخطيب بين الخطبتين الى أن يسلم من الصلاة وعند نزول الغيث وعند التقاء الجيش في الجهاد في سبيل الله تعالى وفي الثلث الاخير من الليل لما جاء في الحديث ان في الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله شيئا الا أعطاه وفي حالة السجود لقوله عليه الصلاة والسلام أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء وما بين الظهر والعصر في يوم الاربعاء وأوقات الاضطرار وحالة السفر والمرض هذا كله جاءت به الآثار قال جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه دعا رسول الله ﷺ في مسجد الفتح ثلاثة أيام يوم الاثنين و يوم الثلاثاء واستجيب له يوم الاربعاء بين الصلاتين فعرفت السرور في وجهه قال جابر ما نزل بي أمر مهم غليظ الا توخيت تلك الساعة فادعو فيها فاعرف الاجابة وفي بعض الكتب المنزلة يا عبدي اذا سألت فاسألني فاني غني واذا طلبت النصرة فاطلبها مني فاني قوي واذا أفشيت سرك فافشه الى فاني وفي واذا أقرضت فأقرضني فاني ملي واذا دعوت فادعني فاني حفي وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له وقال وهب بن منبه بلغني أن موسى مر برجل قائم يبكي و يتضرع طويلا فقال موسى يارب أما تستجيب لعبدك فأوحى الله تعالى اليه ياموسى لو أنه بكى حتى تلفت نفسه ورفع يديه حتى بلغ عنان السماء ما استجبت له قال يارب لم ذلك قال لان في بطنه الحرام * ومر ابراهيم بن أدهم بسوق البصرة فاجتمع الناس اليه وقالوا يا أبا اسحق مالنا ندعوا فلا يستجاب لنا قال لان قلوبكم ماتت بعشرة أشياء الاول انكم عرفتم الله فلم تؤدوا حقه الثاني زعمتم أنكم تحبون رسول الله ﷺ ثم تركتم سنته الثالث قرأتم القرآن ولم تعملوا به الرابع أكلتم نعمة الله ولم تؤدوا شكرها الخامس قلتم ان الشيطان عدوكم ووافقتموه السادس قلتم ان الجنة حق فلم تعملوا لها السابع قلتم ان النار حق ولم تهربوا منها الثامن قلتم ان الموت حق فلم تستعدوا له التاسع

وكان أبو العتاهية ومروان ابن أبي حفصة بخيلين يضرب ببخلهما المثل قال مروان ما فرحت بشيء أشد مما فرحت بمائة ألف درهم وهبها الى المهدي فوزنتها فرجحت درهما واشترى لحما بدرهم فلما وضعه في القدر دعاه صديقه فرد اللحم على القصاب بنقصان دانقين فجعل القصاب ينادي على اللحم و يقول هذا لحم مروان * واجتاز يوما باعرابية فأضافته فقال ان وهب لي أمير المؤمنين مائة ألف درهم وهبت لك درهما فوهبه سبعين ألف درهم فوهبها أربعة دوانق (ومن الموصوفين بالبخل آل مرو) يقال ان من عادتهم اذا ترافقوا في سفر أن يشتري كل واحد منهم قطعة لحم و يشبكها في خيط و يجمعون اللحم كله في قدر و يمسك كل واحد منهم طرف خيطه فاذا استوى جر كل منهم خيطه وأكل لحمه وتقاسموا المرق (وكان) عمر بن يزيد الاسدي بخيلا جدا أصابه القولنج في بطنه فحقنه الطبيب بدهن كثير فانحل ما في بطنه في الطست فقال لغلامه اجمع الذي نزل من الحقنة وأسرج به (وكان) المنصور شديد البخل جدا مر به مسلم الحادي في طريقه الى الحج فحدا له يوما بقول الشاعر

أغر بين الحاجبين ونوره   يزينه حياؤه وخيره
ومسكه يشوبه كافوره   اذا تغدى رفعت ستوره

فطرب حتى ضرب برجله المحمل وقال يا ربيع اعطه نصف درهم فقال نصف درهم يا أمير المؤمنين والله لقد حدوت لهشام فأمر لي بثلاثين ألف درهم فقال تأخذ من بيت مال المسلمين ثلاثين ألف درهم ياربيع وكل به من يستخلص منه هذا المال قال الربيع فمازلت

أمشي بينهما وأروضه حتى شرط مسلم على نفسه أن يحوله في ذهابه وإيابه بغير مؤنة وأخبار البخلاء كثيرة وفيما أوردناه كفاية (نادرة) قيل لأبي الحرث ما تقول في الفالوذجة قال وددت لو أنها وملك الموت اختلجا في صدري والله لو أن موسى أتى فرعون بالفالوذجة لآمن به ولكنه لقيه بعصا (ودخل) ابن قزعة يوما على عز الدولة وبين يديه طبق فيه موز فتأخر عن استدعائه فقال مابال مولانا ليس يدعوني الى الفوز بأكل الموز فقال صفه حتى أطعمك فقال ما الذي أصف من حسن لونه فيه سبائك ذهبية كأنها حشيت زبداً وعسلا وأطيب الثمر كأنه مخ الشحم سهل المقشر لين المكسر عذب المطعم بين الطعوم سلس في الحلقوم ثم مد يده وأكل (وسمع) رجلا يذم الزبد فقال له ما الذي ذممت منه سواد لونه أم بشاعة طعمه أم صعوبة مدخله أم خشونة ملمسه (وقيل) له ما تقول في الباذنجان

قال أذناب المحاجم وبطون العقارب وبزور الزقوم قيل له انه يحشى باللحم فيكون طيبا فقال لو حشي بالتقوى والمغفرة ما أفلح (وصنع) الحجاج وليمة واحتفل فيها ثم قال لزاذان هل عمل كسرى مثلها فاستعفاه فاقسم عليه فقال أولم عبد عند كسرى فأقام على رؤس الناس ألف وصيفة في يد كل واحدة ابريق من ذهب فقال الحجاج أف والله ما تركت فارس لمن بعدها من الملوك شرفا (وقال) معاوية لرجل على مائدته خذ الشعرة من لقمتك فقال وإنك تراعيني مراعاة من يرى الشعرة في لقمتي لا أكلت لك طعاما أبدا (وحضر) اعرابي على مائدة بعض الخلفاء فقدم جدي مشوي فجعل الاعرابي يسرع في أكله منه فقال له الخليفة أراك تأكله بحرد كأن أمه نطحتك فقال أراك تشفق عليه كأن أمه أرضعتك (ودعت) أبا الحرث صبية له فحادثته ساعة فجاع فطلب الاكل فقالت له أما في وجهي مايشغلك عن الاكل قال جعلت فداك فلو أن جميلا وبثينة قعدا ساعة لا يأكلان لبصق كل منهما في وجه صاحبه وافترقا (وقال الشمردل) وكيل عمرو بن العاص قدم سليمان ابن عبد الملك الطائف فدخل هو وعمر بن عبد العزيز الي وقال ياشمردل ماعندك ماتطعمني قلت عندي جدي كأعظم ما يكون سمنا قال عجل به فاتيته به كأنه عكة سمن فجعل يأكل منه ولا يدعو عمر حتى اذا لم يبق منه الا فخذا قال هلم ياأبا جعفر فقال اني صائم فأكله ثم قال ياشمردل ويلك أما عندك شيء قلت ست دجاجات كأنهن أفخاذ نعام فاتيته بهن فاتى عليهن ثم قال ياشمردل أما عندك شيء قلت سويق كأنه قراضة الذهب فاتيته به فعبه حتى

التاسع انتبهتم من النوم واشتغلتم بعيوب الناس وتركتم عيوبكم العاشر دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم وكان يحيى بن معاذ يقول من أقر الله باساءته جاد الله عليه بمغفرته ومن لم يمن على الله بطاعته أوصله إلى جنته ومن أخلص لله في دعوته من الله عليه باجابته وقال علي رضي الله تعالى عنه ارفعوا أفواج البلايا بالدعاء وعن أنس رضي الله تعالى عنه يرفعه لا تعجزوا عن الدعاء فانه لن يهلك مع الدعاء أحد

﴿الفصل الثاني في الادعية وما جاء فيها﴾ كان من دعاء شريح رحمه الله تعالى اللهم اني أسألك الجنة بلا عمل عملته وأعوذ بك من النار بلا ذنب تركته ودعت اعرابية عند البيت فقالت الهي لك أذل وعليك أدل وكان من دعاء بعض الصالحين اللهم إن كنا عصيناك فقد تركنا من معاصيك أبغضها اليك وهو الاشراك وان كنا قصرنا عن بعض طاعتك فقد تمسكنا بأحبها اليك وهو شهادة أن لا إله الا أنت وان رسلك جاءت بالحق من عندك * ومن دعاء سلام بن مطيع اللهم ان كنت بلغت أحدا من عبادك الصالحين درجة ببلاء فبلغنيها بالعافية وقيل لفتح الموصلي ادع الله لنا فقال اللهم هبنا عطاءك ولا تكشف عنا غطاءك وكان من دعاء بعض السلف اللهم لا تحرمني خير ما عندك لشر ما عندي فان لم تقبل تعبي ونصبي فلا تحرمني أجر المصاب على مصيبته اللهم لا تكلنا الى أنفسنا ولا الى الناس فنضيع وقال الحسن من دخل المقابر فقال اللهم رب الأرواح الفانية والأجساد البالية والعظام النخرة التي خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة أدخل عليها روحا من عندك وسلاما مني كتب الله بعدد من مات من لدن آدم الى أن تقوم الساعة حسنات ﴿وحكى﴾ عن معروف القاضي ان الحجيج كانوا يجتهدون في الدعاء وفيهم رجل من التركمان ساكت لا يحسن ان يدعو فخشع قلبه وبكى فقال بلغته اللهم انك تعلم أني لا أحسن شيئا من الدعاء فأسألك ما يطلبون منك بما دعوا فرأى بعض الصالحين في منامه ان الله قبل حج الناس بدعوة ذلك التركماني لما نظر الى نفسه بالفقر والفاقة وقال الاصمعي حسدت عبد الملك على كلمة تكلم بها عند الموت وهي اللهم إن ذنوبي وان كثرت وجلت عن الصفة فانها صغيرة في جنب عفوك فاعف عني وركب ابراهيم بن أدهم في سفينة فهاجت الريح وبكى الناس وأيقنوا بالهلاك وكان ابراهيم نائما في كساء فاستوى جالسا وقال أريتنا قدرتك فأرنا عفوك فذهب الريح وسكن البحر وقال الثوري كان من دعاء السلف اللهم زهدنا في الدنيا ووسع علينا فيها ولا تزوها عنا ولا ترغبنا فيها وكان بعض الاعراب اذا أوى الى فراشه قال اللهم اني أكفر بكل ما كفر به محمد وأومن بكل ما آمن به ثم

أتى عليه ثم قال يا غلام أفرغت من غدائنا قال نعم قال ما هو قال نيف وثلاثون قدرا قال ائتني بقدر قدر فأتاه بها ومعه الرقاق فأكل من كل قدر ثلثه ثم مسح يده واستلقى على فراشه وأذن للناس فدخلوا وصف الخوان وأكل مع الناس (ونزل رجل) بصومعة راهب فقدم اليه الراهب أربعة أرغفة وذهب ليحضر اليه العدس فحمله وجاء فوجده قد أكل الخبز فذهب وأتى بخبز فوجده قد أكل العدس ففعل معه ذلك عشر مرات فسأله الراهب أين مقصدك قال الى الاردن قال لماذا قال بلغني أن بها طبيبا حاذقا أسأله عما يصلح معدتي فاني قليل الشهوة للطعام فقال له الراهب ان لي اليك حاجة قال وما هي قال إذا ذهبت وأصلحت معدتك فلا تجعل رجوعك من ههنا (يحكى) أن زيادا أمر بضرب عنق رجل فقال أيها الامير ان لي بك حرمة قال (٢٥٢) وماهي قال ان أبي جارك بالبصرة قال ومن أبوك قال يا مولاي اني نسيت اسم نفسي فكيف لا أنسى اسم أبي فرد زياد كمه على فمه وضحك وعفا عنه (وحكى) عن جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه ان غلاما له وقف يصب الماء على يديه فوقع الابريق من يد الغلام في الطست فطار الرشاش في وجهه فنظر جعفر اليه نظر مغضب فقال يا مولاي والكاظمين الغيظ قال قد كظمت غيظي قال والعافين عن الناس قال عفوت عنك قال والله يحب المحسنين قال اذهب فانت حر لوجه الله الكريم (وقيل) لما قدم نصر بن منيع بين يدي الخليفة وكان قد أمر بضرب عنقه قال يا أمير المؤمنين اسمع مني كلمات أقولهن قال قل فانشأ يقول

زعموا بأن الصقر صادف مرة * عصفور بر ساقه التقدير
فتكلم العصفور تحت جناحه صن * والصقر منقض عليه يطير
انى لمثلك لا أتم لقمة * ولئن شويت فانني لحقير
فتهاون الصقر المدل بصيده * كرما وأفلت ذلك العصفور

قال فعفا عنه وخلى سبيله (وكتب) عبد الملك بن مروان الى الحجاج يأمره يبعث اليه برأس عباد بن أسلم البكري فقال له عباد أيها الأمير أنشدك الله لا تقتلني فو الله اني لأعول أربعا وعشرين امرأة ما لهن كاسب غيري فرق لهن واستحضرهن فاذا واحدة منهن كالبدر فقال لها الحجاج ما أنت منه قالت انا ابنته فاسمع يا حجاج مني ما أقول ثم قالت

أحجاج اما أن تمن بتركه * علينا واما ان تقتلننا معا

يضع رأسه وسمعت بدوية تقول في دعائها يا صباح يا مناح يا مطعم يا عريض الجفنة يا أبا المكارم فزجرها رجل فقالت دعني أصف ربي وأمجد الهي بما تستحسنه العرب وقال الزمخشري في كتابه ربيع الابرار سمعت أنا من يدعو من العرب عند الركن اليماني يا أبا المكارم يا أبيض الوجه وهذا ونحوه منهم انما يتصدون به الثناء على الله تعالى بالكرم والنزاهة على القبيح على طريق الاستعارة لانه لا فرق عندهم بين الكريم وأبي المكارم ولا بين الجواد والعريض الجفنة ولا بين المنزه والأبيض الوجه وقيل لاعرابي أتحسن أن تدعو ربك قال نعم ثم قال اللهم انك أعطيتنا الاسلام من غير أن نسألك فلا تحرمنا الجنة ونحن نسألك وذكر لعبد السلام بن مطيع أن الرجل تصيبه البلوى فيدعو فتبطىء عنه الاجابة فقال بلغني ان الله تعالى يقول كيف أرحمه من شيء به أرحمه وقال طاوس بينما أنا في الحجر ذات ليلة اذ دخل علي بن الحسين فقلت رجل صالح من أهل بيت الخير لأسمعن دعاءه فسمعته يقول عبيدك بفنائك مسكينك بفنائك فقيرك بفنائك فما دعوت بهما في كرب الا فرج عني ودعا اعرابي فقال اللهم انا نبات نعمتك وقال ابن المسيب سمعت من يدعو بين القبر والمنبر اللهم اني أسألك عملا بارا ورزقا دارا وعيشا قارا فدعوت به فما وجدت الا خيرا ودعت اعرابية بالموقف فقالت أسألك سترك الذي لا تزيله الرياح ولا تخرقه الرماح وقيل اتقوا مجانيق الضعفاء أي دعواتهم ودعا أعرابي فقال اللهم امح ما في قلبي من كذب وخيانة واجعل مكانه صدقا وأمانة وصلى رجل الى جنب عبد الله بن المبارك وبادر القيام فجذب ثوبه وقال أما لك الى ربك حاجة وقال سفيان الثوري سمعت اعرابيا يقول اللهم ان كان رزقي في السماء فأنزله وان كان في الأرض فأخرجه وان كان بعيدا فقربه وان كان قريبا فيسره وان كان قليلا فكثره وان كان كثيرا فبارك لي فيه (وقال أبو نواس)

أحببت من شعر بشار وكلمته * بيتا لهجت فيه من شعر بشار
يا رحمة الله حلي في منازلنا * وجاورينا فدتك النفس من جار

وكان بشار يعني بذلك جارية بصرية كان يحبها ويتغزل فيها ونعني بها هنا رحمة الله التي وسعت كل شيء وسمع علي بن أبي طالب رضى الله عنه رجلا يقول وهو متعلق باستار الكعبة يا من لا يشغله سمع عن سمع ولا تغلطه المسائل ولا يبرمه الحاح الملحين أذقني برد عفوك وحلاوة مغفرتك فقال علي والذي نفسي بيده لو قلتها وعليك ملء السموات والأرض من الذنوب لغفر لك ومن دعائه رضى الله عنه اللهم

حجاج لاتفجع به ان قتلته * ثمانا وعشرا واثنتين وأربعا　　أحجاج لاتترك عليه بناته　　وخالاته يندبنه الدهر أجمعا

بكى الحجاج ورق له واستوهبه من أمير المؤمنين عبد الملك وأمر له بصلة (وحكى) ان رجلا زور ورقة عن خط فضل بن الربيع تتضمن أنه أطلق له ألف دينار ثم جاء بها الى وكيل الفضل فلما وقف الوكيل عليها لم يشك انها خط فضل فشرع فى أن يبذل له الألف دينار واذا بالفضل قد حضر ليتحدث مع وكيله فى تلك الساعة فى أمر مهم فلما جلس خبره الوكيل بأمر الرجل وأوقفه على الورقة فنظر الفضل فيها ثم نظر فى وجه الرجل فرآه كاد يموت من الوجل والخجل اطرق الفضل بوجهه ثم قال للوكيل أتدرى لم أتيتك فى هذا الوقت قال لا قال جئت لأستنهضك حتى تعجل لهذا الرجل عطاء المبلغ الذى فى هذه الورقة فاسرع عند ذلك الوكيل فى وزن المال وناوله الرجل فقبضه وصار متحيرا فى أمره فالتفت اليه الفضل وقال له طب نفسا فقال له سترتنى سترك الله فى الدنيا والآخرة ثم أخذ المال ومضى

﴿ ومن اللطائف والغرائب الدالة على الوفاء بالذمم ﴾

ماحكاه بعض خدم أمير المؤمنين المأمون قال طلبنى أمير المؤمنين ليلة وقد مضى من الليل ثلثه فقال لى خذ معك فلانا وفلانا وسماها أحدهما على بن محمد والآخر دينار الخادم واذهب مسرعا لما أقول لك فانه قد بلغنى ان شيخا يحضر ليلا الى دور البرامكة وينشد شعراً ويذكرهم ذكرا كثيرا ويندبهم ويبكى عليهم ثم ينصرف فامض الآن أنت وعلى ودينار حتى تروا هذه الخربات فاستتروا فى بعض الجدران فاذا رأيتم الشيخ قد جاء وبكى وندب وأنشد شيئا فائتونى به قال فأخذتهما ومضينا حتى أتينا الخربات واذا نحن بغلام قد أتى ومعه بساط وكرسى جديد واذا بشيخ وثيم له جمال وعليه مهابة ووقار قد أقبل فجلس على الكرسى وجعل يبكى وينتحب ويقول

ولما رأيت السيف جندل جعفرا　　ونادى مناد للخليفة فى يحي
بكيت على الدنيا وزاد تأسفى　　عليهم وقلت الآن لاتنفع الدنيا

مع أبيات أطالها وردها فلما قبضنا عليه وقلنا له أجب أمير المؤمنين فزع فزعا شديدا وقال دعونى حتى أوصى وصية فانى لاأوقن بعدها بحياة ثم تقدم الى بعض الدكاكين فاستفتح وأخذ ورقة وكتب فيها وصية ودفعها الى غلامه ثم سرنا به فلما مثل بين يدى أمير المؤمنين زجره وقال له ومن أنت وبماذا استوجبت البرامكة

صن وجهى باليسار ولا تبدل جاهي بالاقتار فأسترزق طالب رزقك من غيرك وأستعطف شرار خلقك وأبتلى بحمد من أعطانى وأفتتن بذم من منعنى وأنت من وراء ذلك كله ولى الاجابة والمنع وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال ما انتهيت إلى الركن اليمانى قط الا وجدت جبريل قد سبقنى اليه يقول قل يا محمد اللهم انى أعوذ بك من الكفر والفقر والفاقة وهى من مواقف الخزى وهبط جبريل على يعقوب فقال يا يعقوب ان الله تعالى يقول لك قل يا كثير الخير يا دائم المعروف رد على ابنى فقالها فأوحى الله تعالى اليه وعزتى لو كانا ميتين لنشرتهما لك وكان أبو مسلم الخراسانى إذا نابه أمر قال يا مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين وقال جعفر بن محمد ما المبتلى الذى اشتد بلاؤه باحق بالدعاء من المعافى الذى لايأمن وقوع البلاء وكان الزهرى يدعو بعد الحديث بدعاء جامع فيقول اللهم انى أسألك من خير ما أحاط به علمك فى الدنيا والآخرة وأعوذ بك من شر ما أحاط به علمك فى الدنيا والآخرة وعن عقبة بن عبد الغافر دعوة فى السر أفضل من سبعين دعوة فى العلانية واعلم أن التوحيد والدعاء عند نوازل الملمات هو سفينة النجاة من الحوادث المهلكات وعن أبى الدرداء قال صلى بنا رسول الله ﷺ العصر فمر بنا كلب فما بلغت يده رجله حتى وقع ميتا فلما انصرف رسول الله ﷺ من صلاته قال من الداعى على الكلب آنفا قال رجل من القوم أنا يا رسول الله قال لقد دعوت الله باسمه الذى إذا دعى به أجاب واذا سئل به أعطى كيف دعوت الله قال قلت اللهم انى أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام وقيل انه دخلت أذن رجل من أهل البصرة حصاة فعالجها الأطباء فلم يقدروا عليها حتى وصلت الى صماخه فأتى الى رجل من أصحاب الحسن فشكا له ما أصابه من الحصاة فدعا له بدعاء العلاء بن الحضرمى وهو ياعلى ياعظيم ياحليم ياعليم قال الراوى فما برحنا حتى خرجت الحصاة من أذنه ولها طنين حتى ضربت الحائط وعن انس اذا قال العبد يارب يارب يقول الله عز وجل لبيك عبدى وعنه قال مر رسول الله ﷺ برجل وهو يقول يا أرحم الراحمين فقال له رسول الله ﷺ سل حاجتك فقد نظر الله اليك وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال اذا فتح الله على عبد الدعاء فليكثر فان الله يستجيب له وروى عن على بن أبى زفر عن أخ له وكان فاضلا صالحا فقال دعوت الله أن يرينى الاسم الأعظم الذى إذا دعى به أجاب فقمت ليلة أصلى فسمعت قعقعة فى سقف البيت ثم هبط نور حتى صار تلقاء وجهى واذا مكتوب بالنور فقرأته يا ألله يارحمن ياذا الجلال

منك ما تفعله في خرائب دورهم وما تقوله فيها فقال يا أمير المؤمنين إن للبرامكة عندي أيادي خطيرة أفتأذن لي أن
أحدثك حديثي معهم قال قل قال يا أمير المؤمنين أنا المنذر بن المغيرة من أولاد الملوك وقد زالت عني نعمتي كما تزول
عن الرجال فلما ركبني الدين واحتجت الى بيع مسقط رأسي ورؤس أهلي أشاروا علي بالخروج الى البرامكة
فخرجت من دمشق ومعي نيف وثلاثون امرأة وصبي وصبية وليس معنا ما يباع ولا ما يوهب حتى دخلنا بغداد
ونزلنا في بعض المساجد فدعوت بثويبات لي كنت قد أعددتها لأستمنح بها الناس فلبستها وخرجت وتركتهم جياعا
لا شيء عندهم ودخلت شوارع بغداد سائلا عن دور البرامكة فاذا أنا بمسجد مزخرف وفيه مائة شيخ
بأحسن زي وزينة وعلى الباب خادمان فطمعت في القوم وولجت المسجد وجلست بين
أيديهم وأنا أقدم وأؤخر والعرق يسيل مني لأنها لم تكن صناعتي واذا بخادم قد أقبل فدعا القوم فقاموا وأنا معهم فدخلوا دار يحيى بن خالد ودخلت معهم واذا بيحيى جالس على دكة له في وسط بستان فسلمنا وهو يعدنا مائة وواحدا وبين يديه عشرة من ولده واذا بغلام أمرد قد عذر خداه أقبل من بعض المقاصير بين يديه مائة خادم ممنطقون في وسط كل خادم منطقة من ذهب يقرب وزنها من ألف مثقال ومع كل خادم مجمرة من ذهب في كل مجمرة قطعة من عود كهيئة الفهر قد قرن بها مثلها من العنبر السلطاني فوضعوه بين يدي الغلام الى جنب يحيى ثم قال يحيى للقاضي تكلم
وزوج بنتي عائشة من ابن عمي هذا فخطب القاضي وزوجه وشهد أولئك الجماعة
وأقبلوا علينا بالنثار ببنادق المسك والعنبر فالتقطت والله يا أمير المؤمنين ملء كمي ونظرت فاذا نحن في المكان ما بيني والمشايخ
وولده والغلام مائة واثنا عشر رجلا فخرج الينا مائة واثنا عشر خادما مع كل خادم صينية من فضة عليها ألف دينار فوضعوا
بين يدي كل رجل منا صينية فرأيت القاضي والمشايخ يصبون الدنانير في أكمامهم ويجعلون الصواني تحت آباطهم ويقوم
الأول فالأول حتى بقيت وحدي بين يدي يحيى لا أجسر على أخذ الصينية فغمزني الخادم فجسرت وأخذتها وجعلت الذهب
في كمي وأخذت الصينية في يدي وقمت وجعلت ألتفت الى ورائي مخافة أن أمنع من الذهاب بها فبينا أنا كذلك في صحن الدار
ويحيى يلاحظني اذ قال للخادم ائتني بذلك الرجل فرددته اليه فأمر بصب الدنانير والصينية وما كان في كمي ثم أمرني بالجلوس

والاكرام ومن دعاء الكرب ما روي عن وهب أن ابن عباس رضي الله عنهما قال له هل تجد فيما تقرأ
من الكتب دعاء تدعو به عند الكرب قال نعم اللهم اني أسألك يا من يملك حوائج السائلين ويعلم
ضمير الصامتين فان لكل مسألة منك سمعا حاضرا وجوابا عتيدا ولكل صامت منك علما ناطقا
محيطا أسألك بمواعيدك الصادقة وأياديك الفاضلة ورحمتك الواسعة أن تفعل بي كذا وكذا فقال
ابن عباس هذا دعاء علمته في النوم ما كنت أرى أن أحدا يحسنه وعن وهب أيضا قال لما أهبط الله
تعالى آدم من الجنة الى الارض استوحش لفقد أصوات الملائكة فهبط اليه جبريل وقال يا آدم هل
أعلمك شيئا تنتفع به في الدنيا والآخرة قال بلى قال قل اللهم أتم النعمة حتى تهنيني المعيشة اللهم اختم
لي بخير حتى لا تضرني ذنوبي اللهم اكفني مؤنة الدنيا وكل هول في القيامة حتى تدخلني الجنة معافى
وعن معروف الكرخي قال اجتمعت اليهود أخزاهم الله على قتل عيسى عليه الصلاة والسلام
بزعمهم وأهبط الله تعالى عليه جبريل وفي باطن جناحيه مكتوب اللهم اني أدعوك باسمك
الأجل الأعز وأدعوك اللهم باسمك الأحد الصمد وأدعوك اللهم باسمك العظيم الوتر
وأدعوك اللهم باسمك الكبير المتعالي الذي ملأ الأركان كلها أن تكشف عني ضرما أصبحت
وأمسيت فيه فأوحى الله عز وجل الى جبريل أن ارفع عبدي الي فقال رسول الله ﷺ لأصحابه
عليكم بهذا الدعاء ولا تستبطئوا الاجابة فان ما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون
اسناد هذا متصل الى معروف الكرخي ثم هو منقطع ولو لم يكن فيه من البركة الا رواية معروف
لكان كافيا في قوله والعمل به * حدث عبد الله بن ابان الثقفي رضي الله عنه قال وجهني الحجاج
ابن يوسف في طلب أنس بن مالك فظننت أنه يتوارى عني فأتيته بخيلي ورجلي فاذا هو جالس على
باب داره مادا رجليه فقلت له أجب الأمير فقال أي الامراء فقلت أبو محمد الحجاج فقال غير مكترث
به قد أذله الله ما أراني أعزه لان العزيز من عز بطاعة الله والذليل من ذل بمعصية الله وصاحبك
قد بغى وطغى واعتدى وخالف كتاب الله والسنة والله لينتقم الله منه فقلت له أقصر عن
الكلام وأجب الأمير فقام معنا حتى حضر بين يدي الحجاج فقال له أنت أنس بن مالك قال نعم قال
أنت الذي تدعو علينا وتسبنا قال نعم قال ومم ذاك قال لانك عاص لربك مخالف لسنة نبيك تعز
أعداء الله وتذل أولياء الله فقال له أتدري ما أريد أن أفعل بك قال لا قال أريد أن أقتلك شر قتلة قال
أنس

فجلست فقال لي ممن الرجل فقصصت عليه قصتي فقال للخادم ائتني بولدي موسى فاتى به فقال يابني هذا رجل غريب نفذه اليك واحفظه بنفسك و بنعمتك فقبض موسي على يدي وأدخلني الى دار من دوره فاكرمني غاية الاكرام وأقمت عنده يومي وليلتي في ألذ عيش وأتم سرور فلما أصبح دعا بأخيه العباس وقال ان الوزير قد أمرني بالعطف على هذا الرجل وقد علمت اشتغالي في دار أمير المؤمنين فاقبضه اليك واكرمه ففعل ذلك وأكرمني غاية الاكرام فلما كان من الغد تسلمني أخوه ثم لم أزل في أيدي القوم يتداولونني عشرة أيام لاأعرف خبر عيالي وصبياني أفي الأموات هم أم في الأحياء فلما كان اليوم الحادي عشر جاءني خادم ومعه جماعة من الخدم فقالوا لي قم فاخرج الى عيالك بسلام فقلت واويلاه سلبت الدنانير والصينية وأخرج إلي عيالي على هذه الحالة انا لله وانا اليه راجعون فرفع الستر الأول ثم الثاني ثم الثالث (٢٥٥) ثم الرابع فلما رفع الخادم الستر الأخير قال لي مهما كان لك من الحوائج فارفعها الى فاني مأمور بقضاء جميع ماتأمرني به فلما رفع الستر رأيت حجرة كالشمس حسنا ونورا واستقبلني منها رائحة الند والعود ونفحات المسك واذا بصبياني وعيالي يتقلبون في الحرير والديباج وحمل الي ألف الف درهم وعشرة آلاف دينار ومنشورين بضيعتين وتلك الصينية التي كنت أخذتها بما فيها من الدنانير والبنادق وأقمت ياأمير المؤمنين مع البرامكة في دورهم ثلاث عشرة سنة لايعلم الناس أمن البرامكة أنا أم رجل غريب اصطنعوني فلما جاءتهم البلية ونزل بهم من أمير المؤمنين الرشيد مانزل أجحفني عمرو بن مسعدة وألزمني في هاتين الضيعتين من الخراج مالايفي دخلها فلما تحامل على الدهر كنت في أواخر الليل أقصد خربات القوم فأندبهم وأذكر حسن صنيعهم الي وأشكرهم على احسانهم فقال المأمون علي بعمرو بن مسعدة فلما أتي به قال له ياعمرو أتعرف هذا الرجل قال نعم ياأمير المؤمنين هو بعض صنائع البرامكة قال كم ألزمته في ضيعته قال كذا وكذا قال رد له كل ما استأديته منه في مدته وقع له بهما ليكونا له ولعقبه من بعده قال فعلا نحيب الرجل وبكاؤه فلما رأى المأمون كثرة بكائه قال ياهذا قد أحسنا اليك فلم تبكي قال ياأمير المؤمنين وهذا أيضا من صنائع البرامكة اذ لو لم آت خرباتهم وأندبهم حتى اتصل خبري بأمير المؤمنين ففعل بي مافعل فمن أين كنت أصل الى أمير المؤمنين قال ابراهيم بن ميمون لقد رأيت المأمون وقد دمعت عيناه وظهر عليه حزنه وقال لعمري هذا من صنائع البرامكة فعليهم فابك واياهم فاشكر ولهم فاوف ولاحسانهم فاذكر (ومن ذلك) انه خرج سليمان بن عبد الملك ومعه يزيد بن المهلب في بعض جبانات الشام فاذا امرأة جالسة على قبر تبكي قال سليمان فرفعت البرقع عن وجهها

أنس لو علمت أن ذلك بيدك لعبدتك من دون الله قال الحجاج ولم ذاك قال لان رسول الله صلى الله عليه وسلم علمني دعاء وقال من دعا به في كل صباح لم يكن لأحد عليه سبيل وقد دعوت به في صباحي هذا فقال الحجاج علمنيه فقال معاذ الله أن أعلمه لأحد مادمت أنت في الحياة فقال الحجاج خلوا سبيله فقال الحاجب أيها الامير لنا في طلبه كذا وكذا يوما حتى أخذناه فكيف نخلي سبيله قال رأيت على عاتقه أسدين عظيمين فاتحين أفواههما ان أنسا رضي الله عنه لما حضرته الوفاة علم الدعاء لاخوانه وهو * بسم الله الرحمن الرحيم باسم الله خير الاسماء باسم الله الذي لايضر مع اسمه اذى باسم الله الكافي باسم الله المعافي باسم الله الذي لايضر مع اسمه شيء في الارض ولافي السماء وهو السميع العليم باسم الله على نفسي وديني باسم الله على أهلي ومالي باسم الله على كل شيء أعطانيه ربي الله أكبر الله أكبر الله أكبر أعوذ بالله مما أخاف وأحذر الله ربي لاأشرك به شيئا عز جارك وجل ثناؤك وتقدست أسماؤك ولا إله غيرك اللهم اني أعوذ بك من شر كل جبار عنيد وشيطان مريد ومن شر قضاء السوء ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم * وهذا دعاء مشهور الاجابة وله شرح طويل تركناه لطوله وهو * اللهم كما لطفت في عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت ماتحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر في علمك وانقاد كل شيء لعظمتك وخضع كل ذي سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك لابيد غيرك اجعل لي من كل هم وغم أصبحت أو أمسيت فيه فرجا ومخرجا إنك على كل شيء قدير اللهم ان عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك عن قبيح عملي أطمعني ان أسألك مالاأستوجبه منك مما قضيته لي أدعوك آمنا وأسألك مستأنسا لاخائفا ولاوجلا لانك أنت المحسن إلي وأنا المسيء الى نفسي فيما بيني وبينك تتودد الي بالنعم مع غناك عني وأتبغض اليك بالمعاصي مع فقري اليك فلم أر مولى كريما أعطف منك على عبد لئيم مثلي لكن الثقة بك حملتني على الجراءة على الذنوب فأسألك بجودك وكرمك واحسانك وطولك أن تصلي على محمد وآله وأن تفتح لي باب الفرج بطولك وتحبس عني باب الهم بقدرتك ولاتكلني الى نفسي طرفة عين فاعجز ولاالى الناس فاضيع برحمتك ياأرحم الراحمين * وروى الحافظ النسفي باسناده عن الزهري عن أبي مسلمة عن أبي هريرة قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل ساجد وهو يقول في سجوده اللهم اني أستغفرك وأتوب اليك

فحكت شمسا عن متون غمامة فوقفنا متحيرين ننظر اليها فقال لها يزيد بن المهلب يا أمة الله هل لك فى أمير المؤمنين فنظرت الينا ثم أنشأت تقول

فان تسألانى عن هواى فانه ... يحول بهذا القبر يافتيان
وانى لأستحييه والترب بيننا ... كما كنت أستحييه وهو يرانى

(ومن ذلك ماذكره عبد الله بن عبد الكريم) قال ان أحمد بن طولون وجد عند سقاية طفلا مطروحا فالتقطه ورباه وسماه أحمد وشهره باليتيم فلما كبر ونشأ كان أكثر الناس ذكاء وفطنة وأحسنهم زيا وصورة فصار يرعاه ويعلمه حتى تهذب وتمرن فلما حضرت أحمد بن طولون الوفاة أوصى ولده أبا الجيش خمرويه به فأخذه اليه فلما مات أحمد بن طولون أحضره الامير أبو الجيش اليه وقال له أنت عندى بمكانة أرعاك بها ولكن عادتى أنى آخذ العهد على كل أحد أعرفه أن لايخوننى فى شىء فعاهده ثم حكمه فى أمواله وقدمه فى أشغاله فصار أحمد اليتيم مستحوذا على المقام حاكما على جميع الحاشية الخاص والعام والأمير أبو الجيش بن طولون يحسن اليه فلما رأى أحواله متصفة بالنصح ومساعيه متسمة بالنجح ركن اليه واعتمد فى أمور بيوته عليه فقال له يوما يا أحمد امض الى الحجرة الفلانية فى المجلس حيث أجلس سبحة جوهر فائتنى بها فمضى أحمد فلما دخل الحجرة وجد جارية من مغنيات الامير وحظاياه مع شاب من الفراشين ممن هم من الامير بمحل قريب فلما رآه خرج الفتى وجاءت الجارية الى أحمد وعرضت نفسها عليه ودعته الى قضاء وطره فقال معاذ الله أن أخون الامير وقد أحسن الى وأخذ العهد على ثم تركها وأخذ السبحة وانصرف الى الامير وسلمها اليه وبقيت الجارية شديدة الخوف من أحمد بعد ما أخذ السبحة وخرج من الحجرة لئلا يذكر حالها للأمير فأقامت أياما لم تجد من الأمير ما غيره عليها ثم اتفق أن الامير اشترى جارية غيرها وقدمها على حظاياه وغمرها بعطاياه واشتغل بها عمن سواها وأعرض لشغفه بها عن كل من عنده حتى كاد لا يذكر جارية غيرها ولا يراها وكان أولا مشغولا بتلك الجارية الخائنة العاهرة فلما أعرض عنها اشتغالا بالجارية الجديدة وصرف لبهجة محاسنها وكثرة آدابها وجهه عن ملاعبة أترابها وشغلته بعذوبة رضابها عن ارتشاف ضرب أضرابها وكانت تلك الجارية الأولى لحسنها متآمرة على تأميره لا تخاف من وليه ولا نصيره كبر عليها اعراضه عنها ونسبت ذلك الى أحمد اليتيم لاطلاعه على ما كان منها فدخلت على الامير وقد ارتدت من الكآبة بجلباب نكرها وأعانت البكاء بين يديه لاتمام كيدها ومكرها وقالت ان أحمد اليتيم راودنى عن نفسى فلما سمع الامير ذلك استشاط

من مظالم كثيرة لعبادك قبلى فأيما عبد من عبادك أو أمة من امائك كانت له قبلى مظلمة ظلمتها إياه فى مال أو بدن أو عرض علمتها أو لم أعلمها ولم أستطع أن أحللها فأسألك أن ترضيه عنى بما شئت وكيف شئت ثم تهبها لى من لدنك انك واسع المغفرة ولديك الخير كله يارب ما تصنع بعذابى ورحمتك وسعت كل شىء فلتسعنى رحمتك فانى لاشىء وأسألك يارب أن تكرمنى برحمتك ولا تهنى بذنوبى وما عليك أن تعطينى الذى سألتك يارب ياالله فقال رسول الله ﷺ ارفع رأسك فقد غفر الله لك ان هذا دعاء أخى شعيب عليه السلام * وقال صالح المزنى قال لى قائل فى منامى إذا أحببت أن يستجاب لك فقل اللهم انى أسألك باسمك المخزون المكنون المبارك الطيب الطاهر المطهر المقدس فما دعوت بها فى شىء إلا تعرفت الاجابة (وقيل) ان هذا الدعاء فيه اسم الله الأعظم وهو بسم الله الرحمن الرحيم اللهم انى أسألك بالعزة التى لاترام والملك الذى لايضام والعين التى لاتنام والنور الذى لايطفأ وبالوجه الذى لايبلى وبالديمومية التى لاتفنى وبالحياة التى لاتموت وبالصمدية التى لاتقهر وبالربوبية التى لاتستذل أن تجعل لنا فى أمورنا فرجا ومخرجا حتى لانرجو غيرك ياأرحم الراحمين * وقال سعيد ابن المسيب دخلت المسجد فى ليلة مقمرة وأظن أنى قد أصبحت واذا الليل على حاله فقمت أصلى وجلست أدعو واذا بهاتف يهتف من خلفى ياعبد الله قل قلت ما أقول قال قل اللهم انى أسألك بأنك ملك وأنت على كل شىء قدير وما تشاء من أمر يكون قال سعيد فما دعوت به قط فى شىء الا رأيت نجحه * وعن الشيخ كمال الدين الدميرى قال روينا عن قاضى القضاة عز الدين بن جماعة قال أنبأنا الشيخ شرف الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم بن مناع الفزارى خطيب دمشق قال أنبأنا الشيخ زين الدين أبو البقاء خالد بن يوسف النابلسى بقراءتى عليه قال أنبأنا الحافظ بهاء الدين ناصر السنة محمد بن الامام أبى محمد بن الحافظ أبى القاسم على بن الحسين بن هبة الله بن عساكر قراءة عليه وأنا أسمع قال رويت بالاسناد وذكر اسناده الى الامام الحجة التابعى الجليل محمد بن سيرين قال نزلنا بنهر تيرا فأتانا أهل ذلك المنزل فقالوا لنا ارحلوا فانه لم ينزل هذا المنزل أحد الا أخذ متاعه فرحل أصحابى وتخلفت فلما أمسينا قرأت آيات فما تممت حتى رأيت أقواما قد أقبلوا وجاؤا الى جهتى أكثر من ثلاثين نفرا وقد جردوا سيوفهم فلم يصلوا الى فلما أصبحت رحلت فلقينى شيخ على فرس ومعه قوس عربية فقال لى ياهذا أنسى أنت أم جنى فقلت بل أنا من بنى آدم قال فما بالك لقد أتيناك فى هذه الليلة أكثر

من

غضبا وهم فى الحال بقتله ثم عاوده حاكم عقله فتأنى فى فعله واستحضر خادما يعتمد عليه وقال إذا أرسلت اليك انسانا ومعه طبق من ذهب وقلت لك على لسانه املأ هذا الطبق مسكا فاقتل ذلك الانسان واجعل رأسه فى الطبق وأحضره مغطى ثم ان الأمير أبا الجيش جلس لشربه وأحضر عنده ندماءه الخواص وأدناهم لمجلس قربه وأحمد اليتيم واقف بين يديه آمن فى سربه لم يخطر بخاطره شيء فلما مثل بين يدى الأمير وأخذ منه الشراب شرع فى التذكير فقال يا أحمد خذ هذا الطبق وامض به إلى فلان الخادم وقل له يقول لك أمير المؤمنين املأ هذا الطبق مسكا فأخذه أحمد اليتيم ومضى فاجتاز فى طريقه بالمغنين وبقية الندماء والخواص فقاموا اليه وسألوه الجلوس معهم فقال أنا ماض فى حاجة الأمير أمرنى باحضارها فى هذا الطبق فقالوا له أرسل من ينوب عنك فى احضارها وخذها أنت وادخل بها على الأمير فادار عينيه فرأى الفتى الفراش الذى كان مع الجارية وأعطاه الطبق وقال له امض الى فلان الخادم وقل له يقول لك الامير املأ هذا الطبق مسكا فمضى ذلك الفراش الى الخادم فذكر له ذلك فقتله وقطع رأسه وغطاه وجعله فى الطبق وأقبل به فناوله لاحمد اليتيم فأخذه وليس عنده علم من باطن الامر فلما دخل به على الامير كشفه وتأمله وقال ما هذا فقص عليه خبره وقعوده مع المغنين وبقية الندماء وسؤالهم له الجلوس معهم وما كان من انفاذ الطبق وارساله مع الفراش وأنه لا علم عنده غير ما ذكر قال أتعرف لهذا الفراش خبرا يستوجب به ما جرى عليه فقال أيها الامير ان الذى تم عليه بما ارتكبه من الخيانة وقد كنت رأيت الاعراض عن أعلام الامير بذلك وأخذ أحمد يحدثه بما شاهده وبما جرى له من حديث الجارية من أوله الى آخره لما أنفذه لاحضار السبحة الجوهر فدعا الأمير أبو الجيش بتلك الجارية واستقررها فأقرت بصحة ما ذكره أحمد فاعطاه اياها وأمره بقتلها ففعل وازدادت مكانة أحمد عنده وعلت منزلته لديه وضاعف احسانه اليه وجعل أزمة جميع ما يتعلق بيديه (قلت) ويقرب من ذلك ما حكي ان ملكا من ملوك الفرس يقال له ازدشير وكان ذا مملكة متسعة وجند كثير وكان ذا بأس شديد قد وصف له بنت ملك بحر الأردن بالجمال البارع وان هذه البنت ذات خدر فسير أزدشير من يخطبها من أبيها فامتنع من اجابته ولم يرض بذلك فعظم ذلك على أزدشير وأقسم بالايمان المغلظة ليغزون الملك أبا البنت وليقتلنه هو وابنته شر قتلة وليمثلن بهما أخبث مثلة فسار اليه أزدشير فى جيشه فقاتله فقتله أزدشير وقتل سائر خواصه ثم سأل عن ابنته المخطوبة فبرزت اليه جارية من القصر من أجمل النساء وأكمل البنات حسنا وجمالا وقدا واعتدالا فبهت أزدشير

من سبعين مرة وفى كل ذلك يحال بيننا وبينك بسور من حديد قلت حدثنى ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال من قرأ فى ليلة ثلاثا وثلاثين آية لم يضره فى تلك الليلة لص طار ولا سبع ضار وعوفى فى نفسه وأهله وماله حتى يصبح فنزل عن فرسه وكسر قوسه وأعطى الله تعالى عهداً أن لا يعود لهذا الامر وهذه الآيات وهي أن تقرأ بعد الفاتحة ألم ذلك الكتاب إلى قوله المفلحون وآية الكرسي الي قوله هم فيها خالدون وآمن الرسول الى آخر السورة وان ربكم الله الذى إلى قوله المحسنين وقل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن إلى آخر السورة والصافات صفا إلى قوله لازب ويامعشر الجن والانس ان استطعتم الى قوله فلا تنتصران لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا الى آخرها وأنه تعالى جد ربنا الى قوله شططا زاد البونى الى قوله شهابا رصدا والله من ورائهم محيط الى قوله محفوظ قال محمد بن سيرين فذكرت هذا الحديث لشعيب بن حرب فقال كنا نسميها آيات الحرز ويقال ان فيها شفاء من مائة داء وعدوا منها الجذام وغير ذلك قال محمد بن على قرأتها على شيخ لنا قد أفلج فأذهب الله تعالى عنه ذلك الفالج قال البونى هذه الآيات شرفها مشهور وفضلها مذكور لا ينكرها الا غبي أو غيور وقد جربها المشايخ وعرف سرها من له فى العلم قدم راسخ وقدر شامخ وهى على ما رويناه بل ما رأيناه أولها الفاتحة ثم أول البقرة الى آخر الآيات * وقال أبو العباس أحمد القسطلانى سمعت الشيخ أبا عبد الله القرشى يقول سمعت أبا زيد القرطبي يقول فى بعض الآثار إن من قال لا إله إلا الله سبعين ألف مرة كانت فداءه من النار فعملت ذلك رجاء بركة الوعد فعملت منها لأهلى وعملت أعمالا ادخرتها لنفسى وكان إذ ذاك يبيت معنا شاب يكاشف بالجنة والنار وكانت الجماعة ترى له فضلا على صغر سنه وكان فى قلبي منه شيء فاتفق أن استدعانا بعض الاخوان الى منزله فنحن نتناول الطعام والشاب معنا اذ صاح صيحة منكرة واجتمع فى نفسه وهو يقول يا عم هذه أمى فى النار ويصيح بصياح عظيم لا يشك من سمعه أنه عن أمر فلما رأيت ما به من الانزعاج قلت اليوم أجرب صدقه فألهمني الله تعالى السبعين ألفا ولم يطلع على ذلك الا الله تعالى فقلت فى نفسى الأثر حق والذين رووه لنا صادقون اللهم ان هذه السبعين ألفا فداء أم هذا الشاب من النار فما استتممت هذا الخاطر فى نفسى أن قال يا عم هذه أمى أخرجت من النار والحمد لله فحصل عندى فائدتان امتحانى لصدق الأثر وسلامتى من الشاب وعلمى بصدقه * ومن خاف انسانا فليصل ركعتين بعد صلاة المغرب ثم يضع

من رؤيتها اياها فقالت له أيها الملك انى ابنة الملك الفلانى ملك المدينة الفلانية وان الملك الذى قتلته أنت قد غزا بلدنا وقتل أبى وقتل سائر أصحابه قبل أن تقتله أنت وأنه أسرنى فى جملة الاسارى وأتى بى فى هذا القصر فلما رأتنى ابنته التى أرسلت تخطبها أحبتنى وسألت أباها أن يتركنى عندها لتأنس بى فتركنى لها فكنت أنا وهى كأننا روحان فى جسد واحد فلما أرسلت تخطبها خاف أبوها عليها منك فأرسلها الى بعض الجزائر فى البحر الملح عند بعض أقاربه من الملوك فقال أزدشير وددت لو أنى ظفرت بها فكنت أقتلها شر قتلة ثم انه تأمل الجارية فرآها فائقة فى الجمال فمالت نفسه لها فأخذها للتسرى وقال هذه أجنبية من الملك ولا احنث فى يمينى بأخذها ثم انه واقعها وأزال بكارتها فحملت منه فلما ظهر عليها الحمل اتفق انها تحدثت معه يوما وقد رأته منشرح الصدر فقالت له أنت غلبت أبى (٢٥٨) وأنا غلبتك فقال لها ومن أبوك فقالت له هو ملك بحر الاردن وأنا ابنته التى خطبتها منه وانى سمعت انك أقسمت لتقتلنى فتحيلت عليك بما سمعت والآن هذا ولدك فى بطنى فلا يتهيأ لك قتلى فعظم ذلك على أزدشير إذ قهرته امرأة وتحيلت عليه حتى تخلصت من بين يديه فانتهرها وخرج من عندها مغضبا وعول على قتلها ثم ذكر لوزيره ما اتفق له معها فلما رأى الوزير عزمه قويا على قتلها خشى أن يتحدث الملوك عنه بمثل هذا وانه لا يقبل فيها شفاعة شافع فقال أيها الملك ان الرأى هو الذى خطر لك والمصلحة هى التى رأيتها أنت وقتل هذه الجارية فى هذا الوقت أولى وهو عين الصواب لانه أحق من أن يقال ان امرأة قهرت رأى الملك وحنثته فى يمينه لاجل شهوة النفس ثم قال أيها الملك ان صورتها مرحومة وحمل الملك معها وهى أولى فى الستر ولا أرى فى قتلها فلائق أهون ولا أستر عليها من الغرق فقال له الملك نعم ما رأيت خذها فاغرقها فأخذها الوزير ثم خرج ليلا إلى بحر الاردن ومعه ضوء ورجال وأعوان فتحيل الى أن طرح شيئا فى البحر أوهم من كان معه أنها الجارية ثم انه أخفاها عنده فلما أصبح جاء الى الملك فاخبره انه غرقها فشكره على فعله ثم ان الوزير ناول الملك حقا مختوما وقال أيها الملك انى نظرت مولدى فرأيت أجلى قد دنا على ما يقتضيه حساب حكماء الفرس فى النجوم وان لى أولادا وعندى مال قد ادخرته من نعمتك فخذه اذا مت ان رأيت وهذا الحق فيه جوهر أسأل الملك أن يقسمه بين أولادى بالسوية فانه إرثى الذى قد ورثته عن أبى وليس عندى شىء اكتسبته منه الا هذا الجوهر فقال له الملك يطول الرب فى عمرك ومالك لاولادك سواء كنت حيا أو ميتا فألح عليه الوزير أن يجعل

جبهته على التراب ويقول ياشديد المحال ياعزيز أذللت بعزتك جميع من خلقت صل على محمد وآله واكفنى فلانا بما شئت كفاه الله تعالى شره وروى الثقفى رحمه الله تعالى باسناده الى محمد ابن على بن الحسين رضى الله تعالى عنه انه كان يقول لولده يابنى من أصابته مصيبة فى الدنيا أو نزلت به نازلة فليتوضأ وليحسن الوضوء وليصل أربع ركعات أو ركعتين فاذا انصرف من صلاته يقول ياموضع كل شكوى وياسامع كل نجوى وياشاهد كل بلوى ويامنجى موسى والمصطفى محمد والخليل ابراهيم عليهم السلام أدعوك دعاء من اشتدت فاقته وضعفت حركته وقلت حيلته دعاء الغريب الغريق الفقير الذى لا يجد لكشف ما هو فيه الا أنت يا أرحم الراحمين لا إله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين قال على بن الحسين رضى الله عنهما لا يدعو به مبتلى الا فرج الله عنه وقيل الاسم الاعظم هو بسم الله الرحمن الرحيم اللهم انى أسألك يامؤنس كل وحيد ياقريبا غير بعيد ياشاهدا غير غائب ياغالبا غير مغلوب ياحى ياقيوم يابديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم وأسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذى عنت له الوجوه وخشعت له الاصوات ووجلت له القلوب أن تصلى على محمد وعلى آله وأن تعطينى كذا وكذا انك على كل شىء قدير * وهذه أبيات الفرج لاحمد بن حمزة البونى قيل ان فيها اسم الله الاعظم وهى هذه

انى لارجو عطفة الله ولا * أقول ان قيل متى ذاك متى * لابدان ينشر ما كان طوى
جودا وأن يطر ما كان خوى * وربما ينشر ما كان زوى * وربما قدر ما كان لوى
وكل شىء ينتهى الى مدى * والشىء يرجى كشفه اذا انتهى * لطائف الله وان طال المدى
كلمحة الطرف اذا الطرف رمى * كم فرج بعد اياس قد أتى * وكم سرور قد أتى بعد الاسى
من لاذ بالله نجا فيمن نجا * من كل ما يخشى ونال مارجا * سبحان من نهفوا ويعفو دائما
ولم يزل مهما هفا العبد عفا * يعطى الذى يخطى ولا يمنعه * جلاله من العطا الذى الخطا

﴿ ومن المنظوم أيضا ﴾

يامن يرى ما فى الضمير ويسمع * أنت المعد لكل ما يتوقع * يامن يرجى للشدائد كلها
يامن اليه المشتكى والمفزع * يامن خزائن رزقه فى قول كن * أمنن فان الخير عندك أجمع
مالى سوى فقرى اليك وسيلة * فبالافتقار اليك فقرى أدفع * مالى سوى قرعى لبابك حيلة

الحق عنده وديعة فاخذه الملك وودعه عنده فى صندوق ثم مضت أشهر الجارية فوضعت ولدا ذكرا جميلا حسن الخلقة مثل القمر فلاحظ الوزير جانب الادب فى تسميته فرأى أنه ان اخترع له اسما وسماه به وظهر لوالده بعد ذلك فيكون قد أساء الادب وان هو تركه بلا اسم لم يتهيأ له ذلك فسماه شاه بور ومعناه بالفارسية ابن ملك فان شاه ابن ملك وبور ابن والفهم مبنية على تأخير المتقدم وتقديم المتأخر وهذه تسمية ليس فيها مؤاخذة ولم يزل الوزير يلاطف الجارية والولد الى أن بلغ الولد حد التعليم فعلمه كل ما يصلح لاولاد الملوك من الخط والحكمة والفروسية وهو يوهم أنه مملوك له اسمه شاه بور الى أن راهق البلوغ هذا كله وأزدشير ليس له ولد وقد طعن فى السن وأقعده الهرم فمرض وأشرف على الموت فقال للوزير أيها الوزير قد هرم جسمى وضعفت قوتى وانى أرى انى ميت لامحالة وهذا

الملك يأخذه بعدى من قضى له به فقال الوزير لو شاء الله أن يكون للملك ولد كان قد ولى بعده الملك ثم ذكره بأمر بنت ملك بحر الاردن وبحملها فقال الملك لقد ندمت على تغريقها ولو كنت أبقيتها حتى تضع فلعل حملها يكون ذكرا فلما شاهد الوزير من الملك الرضا قال أيها الملك انها عندى حية وقد ولدت ذكرا من أحسن الغلمان خلقا وخلقا فقال الملك أحق ماتقول فاقسم الوزير أن نعم ثم قال أيها الملك ان فى الولد روحانية تشهد بأبوة الاب وفى الوالد روحانية تشهد ببنوة الابن لا يكاد ذلك ينخرم أبدا وانى آتى بهذا الغلام بين عشرين غلاما فى سنه وهيئته ولباسه وكلهم ذوو آباء معروفين خلا أباه وانى أعطى كل واحد منهم صولجانا وكرة وآمرهم أن يلعبوا بين يديك فى مجلسك هذا وتتأمل الملك صورهم وخلقتهم وشمائلهم فكل من مالت اليه نفسك وروحانيتك فهو هو فقال الملك نعم التدبير الذى قلت فاحضرهم الوزير على هذه الصورة ولعبوا بين يدى الملك فكان الصبى فيهم اذا ضرب الكرة وقربت من مجلس الملك تمنعه الهيبة ان يتقدم ليأخذها الا شاه بور فانه كان اذا ضربها وجاءت عند مرتبة أبيه تقدم فاخذها ولا تأخذه الهيبة منه فلاحظ أزدشير ذلك منه مرارا فقال أيها الغلام مااسمك قال شاه بور فقال له صدقت أنت ابنى حقا ثم ضمه اليه وقبله بين عينيه فقال له الوزير هذا ابنك أيها الملك ثم أحضر بقية الصبيان ومعهم عدول فاثبت لكل صبى منهم والدا بحضرة الملك فتحقق الصدق فى ذلك ثم جاءت الجارية وقد تضاعف حسنها وجمالها فقبلت يد الملك فرضى عنها فقال الوزير أيها الملك قد دعت الضرورة فى الوقت الى احضار الحق المختوم فامر الملك

فلئن رددت فأى باب أقرع * ومن الذى أدعو وأهتف باسمه * ان كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشا لجودك أن تقنط عاصيا * الفضل أجزل والمواهب أوسع
ثم الصلاة على النبى وآله * خير الانام ومن به يتشفع

(وقال آخر) ياخالق الخلق يارب العباد ومن * قد قال فى محكم التنزيل أدعونى
انى دعوتك مضطرا فخذ بيدى * ياجاعل الامر بين الكاف والنون
نجيت أيوب من بلواه حين دعا * بصبر أيوب ياذا اللطف نجينى
واطلق سراحى وامنن بالخلاص كما * نجيت من ظلمات البحر ذا النون

ثم يقرأ وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين قال بعضهم

يارب مازال لطف منك يشملنى * وقد تجدد بى ما أنت تعلمه
فاصرفه عنى كما عودتنى كرما * فمن سواك لهذا العبد يرحمه

(وقال آخر)

يامن تحل بذكره * عقد النوائب والشدائد ... يامن اليه المشتكى * واليه أمر الخلق عائد
ياحى ياقيوم يا * صمد تنزه عن مضادد ... أنت الرقيب على العبا * د وأنت فى الملكوت واحد
أنت المعز لمن أطا * عك والمذل لكل جاحد ... انى دعوتك والهمو * م جيوشها نحوى تطارد
فافرج بحولك كربتى * يامن له حسن العوائد ... بخفى لطفك يستعا * ن به على الزمن المعاند
أنت الميسر والمسبـ * ب والمسهل والمساعد ... يسر لنا فرجا قريبا يا إلهى لا تباعد
كن راحمى فلقد يئست من الاقارب والاباعد ... ثم الصلاة على النبى وآله الغر الاماجد
وعلى الصحابة كلهم * ماخر للرحمن ساجد

(دعاء عظيم مأثور)

اللهم انى أشكو اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس أنت رب المستضعفين وأنت ربى الى من تكلنى الى بغيض يتجهمنى أو الى قوى ملكته أمرى ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى ولكن عافيتك أوسع لى أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا

باحضاره ثم أخذه الوزير وفتح ختمه وفتحه فاذا فيه ذكر الوزير وأنثياه مقطوعة مصانة فيه من قبل أن يتسلم الجارية من الملك وأحضر عدولا من الحكماء وهم الذين كانوا فعلوا به ذلك فشهدوا عبد الملك بان هذا الفعل فعلناه به من قبل أن يتسلم الجارية بليلة واحدة قال فدهش الملك أزدشير وبهت لما أبداه الوزير من قوة النفس فى الخدمة وشدة نصحه فزاد سروره وتضاعف فرحه لصيانة الجارية واثبات نسب الولد ولحوقه به ثم ان الملك عوفى من مرضه الذى كان به وصح جسمه ولم يزل يتقلب فى نعمه وهو مسرور بابنه الى أن حضرته الوفاة ورجع الملك الى ابنه شاه بور بعدموت أبيه وصار ذلك الوزير يخدم ابن الملك أزدشير وشاه بور يحفظ مقامه ويرى منزلته حتى توفاه الله تعالى (٢٦٠) ومن بديع ماجاء فى المكافأة على الصنيع ماحكى عن الحسن بن سهل قال كنت عند يحيى بن خالد البرمكى وقد خلا فى مجلسه لاحكام أمر من أمور الرشيد فبينما نحن جلوس اذ دخل عليه جماعة من أصحاب الحوائج فقضاها لهم ثم توجهوا لشأنهم فكان آخرهم قياما أحمد ابن أبى خالد الاحول فنظر يحيى اليه والتفت الى الفضل ابنه وقال يابنى ان لابيك مع أبى هذا الفتى حديثا فاذا فرغت من شغلى هذا فاذكرنى أحدثك به فلما فرغ من شغله قال له ابنه الفضل أعزك الله ياأبى أمرتنى أن أذكرك حديث أبى خالد الاحول قال نعم يابنى لما قدم أبوك من العراق أيام المهدى كان فقيرا لايملك شيئا فاشتدبى الامر الى ان قال لى من فى منزلى اناقد كتمنا حالنا وزاد ضررنا ولنا ثلاثة أيام ماعندنا شىء نقتاته قال فبكيت يابنى لذلك بكاء شديدا وبقيت ولهان حيران مطرقا مفكرا ثم تذكرت منديلا كان عندى فقلت لهم ماحال المنديل فقالوا هو باق عندنا فقلت ادعوه الى فأخذته ودفعته الى بعض أصحابى وقلت له بعه بما تيسر فباعه بسبعة عشر درهما فدفعتها الى أهلى وقلت أنفقوها الى أن يرزق الله غيرها ثم بكرت من الغد الى باب أبى خالد وهو يومئذ وزير المهدى فاذا الناس وقوف على داره ينتظرون خروجه فخرج عليهم راكبا فلما رآنى سلم على وقال كيف حالك فقلت ياأبا خالد ماحال رجل يبيع من منزله بالامس منديلا بسبعة عشر درهما فنظر الى نظرا شديدا وما أجابنى جوابا فرجعت الى أهلى كسير القلب وأخبرتهم بما اتفق لى مع أبى خالد

والآخرة من ان يحل بى غضبك أو ينزل بى سخطك فلك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة لنا الا بك يارب العالمين

﴿ومما جاء فى أدعية الناس بعضهم لبعض﴾ دعا رجل لآخر فقال سرك الله بما ساءك ولا ساءك فيما سرك ودعا رجل لآخر فقال لا أخلاك الله تعالى من ثناء صادق باق ودعاء صالح واق * ودعا أعرابى لآخر فقال رحب واديك وعز ناديك ولا ألم بك ألم ولا طاف بك عدم وسلمك الله ولا أسلمك وسمعت بعض العرب يدعو لرجل ويقول سلمك الله تعالى من الرهق والوهق وعافاك الله تعالى من الوحل والزحل وسلمك الله من الشاردات والواردات وسلمك الله بين الاعنة والاسنة ودعا أعرابى لعبدالله بن جعفر رضى الله عنه فقال لا ابتلاك الله تعالى ببلاء يعجز عنه صبرك وأنعم عليك نعمة يعجز عنها شكرك وأبقاك ماتعاقب الليل والنهار وتناسخت الظلم والانوار * ودعا بعضهم لآخر فقال زودك الله تعالى الأمن فى مسيرك والسعد فى مصيرك ولا أخلاك من شهر تستجده وخير من الله تستمده وعزى شبيب بن شبة يهوديا فقال أعطاك الله على مصيبتك أفضل ماأعطى أحدا من أهل ملتك

﴿ومما جاء فى الدعاء على الاعداء والظلمة ونحوهم﴾ دعا اعرابى على ظالم فقال لاترك الله لك شفرا ولا ظفرا أى عينا ولا يدا ومن دعاء العرب فته الله فتا وحته حتا وجعل أمره شتى وخرج اعرابى الى سفر وكانت له امرأة تكرهه فاتبعته نواة وقالت شط نواك ونأى سفرك ثم أتبعته روثة وقالت رثتك أهلك وورث خيرك ثم أتبعته حصاة وقالت حاص رزقك وحص أثرك ودعا اعرابى على آخر فقال أطفأ الله ناره وخلع نعليه أى جعله أعمى مقعدا ودعا اعرابى على آخر فقال سقاه الله دم جوفه أى قتل ابنه وأخذ ديته فشرب لبنها ودعا اعرابى على آخر فقال بعث الله عليه سنة قاشورة تحلقه كما يحلق الشعر بالنورة ودعا رجل على أمير فقال

أزال الله دولته سريعا * فقد ثقلت على عنق الليالى

(وقالت امرأة من بنى ضبة فى زوجها)

وما دعوت عليه حين ألعنه * الاوآخر يتلوه بآمين

فليته كان أرض الروم منزله * وليتنى قبله قدصرت للصين

وقال رسول الله ﷺ فى خطبته يوم الاحزاب اللهم كل سلاحهم واضرب وجوههم ومزقهم فى

البلاد

فقالوا بئس والله مافعلت توجهت الى رجل كان يرتضيك لأمر جليل فكشفت له سرك وأطلعته على مكنون أمرك فأزريت عنده بنفسك وصغرت عنده منزلتك بعد أن كنت عنده جليلا فما يراك بعد اليوم الا بهذه العين فقلت قد مضى الامر الآن بما لا يمكن استدراكه فلما كان من الغد بكرت الى باب الخليفة فلما بلغت الباب استقبلني صاحب أبي خالد فقال لى أين تكون وقد أمرني أبو خالد باجلاسك الى أن يخرج من عند أمير المؤمنين فجلست حتى خرج فلما رآني دعاني وأمر لى بمركوب فركبت وسرت معه الى منزله فلما نزل قال على بفلان وفلان الخياطين فاحضرا فقال لهما ألم تشتريا مني غلات السواد بثمانية عشر ألف ألف درهم قالا نعم قال ألم أشترط عليكما شركة رجل معكما قالا بلى قال هو هذا الرجل الذى اشترطت شركته لكما ثم قال لى قم معهما فلما خرجنا قالا لى ادخل معنا بعض المساجد حتى نكلمك فى أمر يكون لك

فيه الربح الهنىء فدخلنا مسجدا فقالا لى انك تحتاج فى هذا الأمر الى وكلاء وأمناء وكيالين وأعوان ومؤن لم تقدر منها على شىء فهل لك أن تبيعنا شركتك بمال نعجله لك فتنتفع به ويسقط عنك التعب والكلف فقلت لهما وكم تبذلان لى فقالا مائة ألف درهم فقلت لا أفعل فما زالا يزيدانى وأنا لا أرضى إلى أن قالا لى ثلثمائة ألف درهم ولا زيادة عندنا على هذا فقلت حتى أشاور أبا خالد قالا ذلك لك فرجعت اليه وأخبرته فدعا بهما وقال لهما هل وافقتماه على ماذكر قالا نعم قال اذهبا فاقبضاه المال الساعة ثم قال لى أصلح أمرك وتهيأ قد قلدتك العمل فاصلحت شأنى وقلدنى ماوعدنى به فما زلت فى زيادة حتى صار أمرى إلى ماصار ثم قال لولده الفضل يابنى فما تقول فى ابن من فعل بأبيك هذا الفعل وماجزاؤه قال حق لعمرى وجب عليك له فقال والله ياولدى ما أجد له مكافأة غير أن أعزل نفسى وأوليه ففعل ذلك وهكذا تكون المكافأة ﴿ومن ذلك ماحكى عن العباس صاحب شرطة المأمون﴾ قال دخلت يوما إلى مجلس أمير المؤمنين ببغداد وبين يديه رجل مكبل بالحديد فلما رآنى قال لى ياعباس قلت لبيك ياأمير المؤمنين قال خذ هذا اليك فاستوثق منه واحتفظ وبكر به الى فى غد واحترز عليه كل الاحتراز قال العباس فدعوت جماعة فحملوه ولم يقدر أن يتحرك فقلت فى نفسى مع هذه الوصية التى أوصانى بها أمير المؤمنين من الاحتفاظ به مايجب الا أن يكون معى فى بيتى فأمرتهم فتركوه فى مجلس لى فى دارى ثم أخذت أسأله عن قضيته وعن حاله ومن أين هو فقال من دمشق فقلت جزى

البلاد تمزيق الريح للجراد ودعا رجل فقال اللهم اكفنا أعداءنا ومن أرادنا بسوء فلتحط به ذلك السوء إحاطة القلائد بترائب الولائد ثم ارسخه على هامته كرسوخ السجيل على هام أصحاب الفيل وحسبنا الله ونعم الوكيل * ولنختم هذا الباب بهذا الدعاء المبارك وهو اللهم انك عرفتنا بربوبيتك وغرقتنا فى بحار نعمتك ودعوتنا الى دار قدسك ونعمتنا بذكرك وأنسك إلهى ان ظلمة ظلمنا لنفوسنا قد عمت وبحار الغفلة على قلوبنا قد طمت والعجز شامل والحصر حاصل والتسليم أسلم وأنت بالحال أعلم إلهى ماعصيتك جهلا بعقابك ولا تعرضا لعذابك ولكن سولتها نفوسنا وأعانتنا شقوتنا وغرنا سترك علينا وأطمعنا فى عفوك برك بنا فالآن من عذابك من ينقذنا وبحبل من نعتصم ان قطعت حبلك عنا واخجلتاه غدا من الوقوف بين يديك وافضيحتاه ان عرضت فعالنا القبيحة عليك اللهم اغفر ماعلمت ولا تهتك ماسترت الهى ان كنا عصيناك بجهل فقد دعوناك بعقل حيث علمنا أن لنا ربا يغفر لنا ولا يبالى الهى تحرق بالنار وجها كان لك مصليا ولسانا كان لك ذاكرا وداعيا الا بالذى دلنا عليك وأمرنا بالخشوع بين يديك وهو محمد ﷺ خاتم أنبيائك وسيد أصفيائك فان حقه علينا أعظم الحقوق بعد حقك كما أن منزلته لديك أشرف المنازل سيد خلقك ومعدن أسرارك صل يارب على محمد وآله وأصحابه وارحم عبادا غرهم طول امهالك وأطمعهم كثرة افضالك فقد ذلوا لعزك وجلالك ومدوا أكفهم لطلب نوالك ولولا ذلك لم يصلوا الى ذلك اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولكل المسلمين أجمعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثامن والسبعون فى القضاء والقدر وأحكامه والتوكل على الله عز وجل﴾

اعلم ان كل مايجرى فى العالم من حركة وسكون وخير وشر ونفع وضر وايمان وكفر وطاعة ومعصية فكل بقضاء الله وقدره وكذلك فلا طائر يطير بجناحيه ولا حيوان يدب على بطنه ورجليه ولا تطن بعوضة ولا تسقط ورقة الا بقضائه وقدره وارادته ومشيئته كما لا يجرى شىء من ذلك الا وقد سبق علمه به واعلم أن كل ماقضاه الله تعالى وقدره فهو كائن لامحالة كما أن مافى علم الله تعالى يكون فهو كائن قريب وماقدر الله وصوله اليك بعد الطلب فهو لا يصل اليك الا بالطلب والطلب أيضا من القدر فان تعسر شىء فبتقديره وان اتفق شىء فبتيسيره فمن رام أمرا من الأمور وليس الطريق فى تحصيله انه يغلق بابه عليه ويفوض أمره لربه وينتظر حصول ذلك الامر بل الطريق أن يشرع فى طلبه على الوجه

الله دمشق وأهلها خيرا فمن أنت من أهلها قال وعمن تسأل قلت أتعرف فلانا قال ومن أين تعرف ذلك الرجل فقلت وقع لى معه قضية فقال ما كنت بالذى أعرفك خبره حتى تعرفنى قضيتك معه فقال ويحك كنت مع بعض الولاة بدمشق فبغى أهلها وخرجوا علينا حتى أن الوالى تدلى فى زنبيل من قصر الحجاج وهرب هو وأصحابه وهربت فى جملة القوم فبينما أنا هارب فى بعض الدروب واذا بجماعة يعدون خلفى فمازلت أعدو أمامهم حتى فتهم فمررت بهذا الرجل الذى ذكرته لك وهو جالس على باب داره فقلت أغثنى أغاثك الله قال لا بأس عليك أدخل الدار فدخلت فقالت زوجته ادخل تلك المقصورة فدخلتها ووقف الرجل على باب الدار فما شعرت الا وقد دخل الرجال معه يقولون هو والله عندكم فقال دونكم الدار ففتشوها حتى لم يبق سوى تلك المقصورة وامرأته فيها فقالوا ههنا فصاحت بهم المرأة ونهرتهم

فانصرفوا وخرج الرجل وجلس على باب داره ساعة وأنا قائم أرجف ما تحملنى رجلاى من شدة الخوف فقالت المرأة اجلس لا بأس عليك فجلست فلم ألبث حتى دخل الرجل فقال لا تخف قد صرف الله عنك شرهم وصرت الى الأمن والدعة ان شاء الله تعالى فقلت له جزاك الله خيرا فما زال يعاشرنى أحسن معاشرة وأجملها وأفردلى مكانا فى داره ولم يحوجنى الى شىء ولم يفتر عن تفقد أحوالى فاقمت عنده أربعة أشهر فى أرغد عيش وأهنئه الى أن سكنت الفتنة وهدأت وزال أثرها فقلت له أتأذن لى فى الخروج حتى أتفقد حال غلمانى فلعلى أقف منهم على خبر فأخذ على المواثيق بالرجوع فخرجت وطلبت غلمانى فلم أرهم أثرا فرجعت اليه وأعلمته الخبر وهو مع هذا كله لا يعرفنى ولا يسألنى ولا يعرف اسمى ولا يخاطبنى الا بالكنية فقال لى علام تعزم فقلت له قد عزمت على التوجه الى بغداد فقال ان القافلة بعد ثلاثة أيام تخرج وها أنا قد أعلمتك فقلت له انك قد تفضلت على هذه المدة ولك على عهد الله انى لا أنسى لك هذا الفضل ولأوفينك مهما استطعت قال فدعا غلاما له أسود وقال له أسرج الفرس الفلانى ثم جهز آلة السفر فقلت فى نفسى أظن أنه يريد أن يخرج الى ضيعة له أو ناحية من النواحى فاقاموا يومهم ذلك فى كد وتعب فلما كان يوم خروج القافلة جاءنى فى السحر وقال لى يا فلان قم فان القافلة تخرج الساعة وأكره أن تنفرد عنها فقلت فى نفسى كيف أصنع وليس معى ما أتزود به ولا ما أكرى به مركوبا ثم قمت فاذا هو وامرأته يحملان بقجة من أفخر الملابس وخفين جديدين وآلة السفر ثم جاءنى بسيف ومنطقة فشدها

الذى شرعه له فيه وقد ظاهر النبى ﷺ بين درعين واتخذ خندقا حول المدينة حين تحزبت عليه الاحزاب يحترس به من العدو وأقام الرماة يوم أحد ليحفظوه من خالد بن الوليد وكان يلبس لأمة الحرب ويهيء الجيوش ويأمرهم وينهاهم لما فيه من مصالحهم واسترقى وأمر بالرقية وتداوى وأمر بالمداواة وقال الذى أنزل الداء أنزل الدواء فان قيل قد روى أن النبى ﷺ قال من استرقى أو اكتوى فهو برىء من التوكل قلنا أليس قد قال اعقلها وتوكل فان قيل فما الجمع بين ذلك قلنا معناه من استرقى أو اكتوى متكلا على الرقية أو الكى وأن البرء من قبلهما خاصة فهذا يخرجه عن التوكل وانما يفعله كافر يضيف الحوادث الى غير الله وقد أمرنا بالكسب والتسبب ألا ترى أن الله قال لمريم عليها السلام وهزى إليك بجذع النخلة فهلا أمرها بالسكون وحمل الرطب الى فمها وأنشدوا فى ذلك

ألم تر أن الله قال لمريم * وهزى إليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أن تجنيه من غير هزها * جنته ولكن كل شىء له سبب

وقد تقدم هذا الشعر فى باب الكسب والتسبب ولهذا قال رسول الله ﷺ لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا فلم يحمل أرزاقها اليها فى أوكارها بل ألهمها طلبه بالغدو والرواح وقد جمعوا بين الطلب والقدر فقالوا انهما كالعدلين على ظهر الدابة ان حمل فى واحد منهما أرجح مما فى الآخر سقط حمله وتعب ظهره وثقل عليه سفره وان عادل بينهما سلم ظهره ونجح سفره وتمت بغيته وضربوا فيه مثلا عجيبا فقالوا ان أعمى ومقعدا كانا فى قرية بفقر وضر لا قائد للأعمى ولا حامل للمقعد وكان فى القرية رجل يطعمهما قوتهما فى كل يوم احتسابا لله تعالى فلم يزل الا بنعمة الى أن هلك ذلك الرجل فلبثا بعده أياما واشتد جوعهما وبلغ الضر منهما جهده فأجمع رأيهما على أن الأعمى يحمل المقعد فيدله المقعد على الطريق ببصره فاشتغل الاعمى بحمل المقعد ويدور به ويرشده الى الطريق وأهل القرية يتصدقون عليهما فنجح أمرهما ولولا ذلك لهلكا فكذلك القدر سببه الطلب والطلب سببه القدر وكل واحد منهما معين لصاحبه ألا ترى أن من طلب الرزق والولد ثم قعد فى بيته لم يطأ زوجته ولم يبذر أرضه معتمدا فى ذلك على الله واثقا به أن تلد امرأته من غير مواقعة وأن ينبت الزرع من غير بذر كان عن المعقول خارجا ولأمر الله كارها قال الغزالى أما المعيل فلا يخرج عن حد التوكل بادخار قوت سنة لعياله جبرا لضعفهم وتسكينا لقلوبهم وقد ادخر

رسول

فى وسطى ثم قدم بغلا تحمل عليه صندوقين وفوقهما فرش ورفع الى نسخة مافى الصندوقين وفيها خمسة آلاف درهم وقدم الى الفرس الذى كان جهزه وقال اركب وهذا الغلام الاسود يخدمك ويسوس مركوبك وأقبل هو وامرأته يعتذران الى من التقصير فى أمرى وركب معى يشيعنى وانصرفت الى بغداد وانا أتوقع خبره لأفى بعهدى له فى مجازاته ومكافأته واشتغلت مع أمير المؤمنين فلم اتفرغ ان أرسل اليه من يكشف خبره فلهذا أنا أسأل عنه فلما سمع الرجل الحديث قال لقد أمكنك الله تعالى من الوفاء له ومكافأته على فعله ومجازاته على صنعه بلا كلفة عليك ولا مؤنة تلزمك فقلت وكيف ذلك قال أنا ذلك الرجل وانما الضر الذى أنا فيه غير عليك حالى وما كنت تعرفه منى ثم لم يزل يذكر لى تفاصيل الاسباب حتى أثبت معرفته فما تمالكت ان قمت وقبلت رأسه ثم قلت له فما الذى آل بك الى ما أرى

رسول الله صلى الله عليه وسلم قوت سنة ونهى أم أيمن وغيرها ان تدخر شيئا وقال أنفق يا بلال ولا تخش من ذى العرش اقلالا وقال عبد الله بن الفرج اطلعت على ابراهيم بن أدهم وهو فى بستان بالشام فوجدته مستلقيا على قفاه وإذا بحية فى فمها باقة نرجس فمازالت تذب عنه حتى انتبه فحسبك توكل يؤدى الى هذا * وعن عبد الله الهروى قال كنا مع الفضيل بن عياض على جبل أبى قبيس فقال لو ان رجلا صدق فى توكله على الله ثم قال لهذا الجبل اهتز لاهتز فوالله لقد رأيت الجبل اهتز وتحرك فقال له الفضيل رحمه الله تعالى لم أعنك رحمك الله فسكن وفى الاسرائيليات ان رجلا احتاج الى أن يقترض ألف دينار فجاء الى رجل من المتمولين فسأله فى ذلك وقال له تمهل على بدينك الى أن أسافر الى البلد الفلانى فان لى مالا آتيك به وأوفيك منه وتكون مدة الاجل بينى وبينك كذا وكذا فقال له هذا غرر فانا ما أعطيك مالى إلا أن تجعل لى كفيلا ان لم تحضر طلبته منه فقال الرجل الله كفيل بذلك وشاهد على أن لا أغفل عن وفائك فان رضيت فافعل فداخل الرجل خشية الله تعالى وحمله التوكل على أن دفع المال للرجل فاخذه ومضى الى البلد الذى ذكره فلما قرب الاجل الذى بينه وبين صاحبه جهز المال وقصد السفر فى البحر فعسر عليه وجود مركب ومضت المدة وبعدها أيام وهو لا يجد مركبا فاغتم لذلك وأخذ الالف دينار وجعلها فى خشبة وسمر عليها ثم قال اللهم انى جعلتك كفيلا بايصال هذه الى صاحبها وقد تعذر على وجود مركب وعزمت على طرحها فى البحر وتوكلت عليك فى ايصالها اليه ثم نقش على الخشبة رسالة إلى صاحبها بصورة الحال طرحها فى البحر بيده وأقام فى البلد مدة بعد ذلك الى أن جاءت مركب فسافرفيها الى صاحب المال فابتدأه وقال أنت سيرت الالف دينار فى خشبة صفتها كيت وكيت وعليها منقوش كذا وكذا قال نعم قال قد أوصلها الله تعالى الى والله نعم الكفيل فقال فكيف وصلت اليك قال لما مضى الاجل المقدر بينى وبينك بقيت أتردد الى البحر لاجدك أو أجد من يخبرنى عنك فوقفت ذات يوم الى الشط واذا بالخشبة قد استندت الى ولم أرلها طالبا فأخذها الغلام ليجعلها حطبا فلما كسرها وجد ما فيها فاخبرنى بذلك فقرأت ما عليها فعلمت ان الله تعالى حقق أملك لما توكلت عليه حق التوكل وقيل ان سبب بداية ذى النون المصرى رحمه الله تعالى أنه رأى طيرا أعمى بعيدا عن الماء والمرعى فبينما هو يتفكر فى أمر ذلك الطائر فاذا هو بسكرجتين برزتا من الارض إحداهما ذهب والاخرى فضة هذه فيها ماء والاخرى فيها قمح فلقط

فقال هاجت بدمشق فتنة مثل الفتنة التى كانت فى أيامك فنسبت الى وبعث أمير المؤمنين بجيوش فاصلحوا البلد وأخذت أنا وضربت الى أن أشرفت على الموت وقيدت وبعث بى إلى أمير المؤمنين وأمرى عنده عظيم وخطبى لديه جسيم وهو قاتلى لا محالة وقد أخرجت من عند أهلى بلا وصية وقد تبعنى من غلمانى من ينصرف الى أهلى بخبرى وهو نازل عند فلان فان رأيت أن تجعل من مكافأتك لى ان ترسل من يحضره حتى أوصيه بما أريد فاذا أنت فعلت ذلك فقد جاوزت حد المكافأة وقمت لى بوفاء عهدك قال العباس قلت يصنع الله خيرا ثم أحضر حدادا فى الليل فك قيوده وأزال ما كان فيه من الانكال وأدخله حمام داره والبسه من الثياب ما احتاج اليه ثم أرسل من أحضر اليه غلامه فلما رآه جعل يبكى ويوصيه فاستدعى نائبه وقال على بالفرس الفلانى والبغلة الفلانية حتى عد عشرة ثم عشرة ومن الصناديق ومن الكسوة كذا وكذا ومن الطعام كذا وكذا قال ذلك الرجل وأحضر لى بدرة عشر آلاف درهم وكيسا فيه خمسة آلاف دينار وقال لنائبه فى الشرط خذ هذا الرجل وشيعه الى حد الانبار فقلت له ان ذنبى عند أمير المؤمنين عظيم وخطبى جسيم وان أنت احتججت بأنى هربت بعث أمير المؤمنين فى طلبى كل من على بابه فأرادوا قتلى فقال لى انج بنفسك ودعنى أدبر أمرى فقلت والله لا ابرح من بغداد حتى أعلم ما يكون من خبرك فان احتجت الى حضورى حضرت فقال لصاحب الشرطة ان كان الامر على ما يقول فليكن

فى موضع كذا فان أنا سلمت فى غداة غـد أعلمته وان أنا قتلت فقد وقيته بنفسى كما وقانى بنفسه وأنشدك الله ان لا
يذهب من ماله درهم وتجتهد فى اخراجه من بغـداد قال الرجل فأخذنى صاحب الشرطة وصيرنى فى مكان أثق به وتفرغ
العباس لنفسه وتحنط وجهز له كفنا قال العباس فلم أفرغ من صلاة الصبح الاورسل المأمون فى طلبي يقولون يقول لك
أمير المؤمنين هات الرجـل معك وقم قال فتوجهت الى دار أمير المؤمنين فاذا هو جالس عليه ثيابه وهو ينتظرنا فقال أين
الرجل فسكت فقال ويحك أين الرجل فقلت ياأمير المؤمنين اسمـع منى فقال لله على عهد لئن ذكرت أنه هرب لأضربن
عنقك فقلت لا والله ياأمير المؤمنين ماهرب ولـكن اسمع حديثى وحديثه ثم شأنك وماتريد أن تفعله فى أمرى فقال قل
فقلت ياأمير المؤمنين كان من حديثى معه كيت وكيت وقصصت عليه القصة جميعها وعرفته أنى أريد أن
أوفى له وأكافئه على مافعله
معى وقلت أنا وسيدى
ومولاى أمـير المؤمنين
بين أمرين اما أن يصفح
عنى فأكون قد وافيت
وكافأت واما أن يقتلنى
فأقيه بنفسى وقد تحنطت
وها كفنى ياأمير المؤمنين
فلما سمع المأمون الحديث
قال ويلك لاجزاك الله عن
نفسك خيرا انه فعل بك
مافعل من غير معرفة وتكافئه
بعد المعرفة والعهد بهـذا
لا غير هلا عرفتنى خبره
فكنا نكافئه عنك ولا
نقصر فى وفائك له فقلت
ياأمير المؤمنين انه ههنا
قد حلف أن لايبرح
حتى يعرف سلامتى فان
احتجت الى حضوره
حضر فقال المأمون وهذه
منـة أعظم من الاولى
اذهب الآن اليه فطيب
نفسه وسكن روعه وائتنى
به حتى أتولى مكافأته قال العباس فأتيت اليه وقلت له ليزل خوفك ان أمير المؤمنين قال كيت قال
وكيت فقال الحمد لله الذى لايحمد على السراء والضراء سواه ثم قام فصلى ركعتين ثم ركب وجئنا فلما مثل بين يدى أمير المؤمنين
أقبل عليه وأدناه منه وحدثه حتى حضر الغداء وأكل معه وخلع عليه وعرض عليه أعمال دمشق فاستعفى فأمر له المأمون بعشرة
أفراس بسروجها ولجمها وعشرة بغال بآلاتها وعشر بدر وعشرة آلاف دينار وعشرة مماليك بدوابهم وكتب الى عامله بدمشق بالوصية
به واطلاق خراجه وأمره بمكاتبته بأحوال دمشق فصارت كتبه تصل الى المأمون وكلما وصلت خريطة البريد وفيها كتابه يقول لى
ياعباس هذا كتاب صديقك والله تعالى أعلم (ومن عجائب هذا الاسلوب وغرائبه) ماأورده محمد بن القاسم الانبارى رحمه الله تعالى أن
سوارا صاحب رحبة سوار وهو من المشهورين قال انصرفت يوما من دار الخليفة المهدى فلما دخلت منزلى دعوت بالطعام فلم تقبله نفسى

القمح وشرب الماء ثم غاب بعد ذلك فذهل ذوالنون وانقطع الى الله تعالى من ذلك الوقت
(وحكى) ان رجلا من أبناء الناس كانت له يد فى صناعة الصياغة وكان أوحد أهل زمانه فساء حاله وافتقر
بعد غناه فكره الاقامة فى بلده فانتقل الى بلد آخر فسأل عن سوق الصاغة فوجد دكان المعلم السلطنة
وتحت يده صناع كثيرة يعملون الاشغال للسلطنة وله سعادة ظاهرة ما بين مماليك وخدم وقماش وغير ذلك
فتوصل الصائغ الغريب الى أن بقى من أحد الصناع الذين فى دكان هذا المعلم وأقام يعمل عنده مدة وكلما
فرغ النهار دفع له درهمين من فضة وتكون أجرة عمله تساوى عشرة دراهم فيكسب عليه ثمانية دراهم فى
كل يوم فاتفق أن الملك طلب المعلم وناوله فردة سوار من ذهب مرصعة بفصوص فى غاية من الحسن قد
عملت فى غير بلاده كانت فى يد احدى محاظيه فانكسرت فقال له الحمها فأخذها المعلم وقد اضطرب
عليه فى عملها فلما أخذها وأراها للصناع الذين عنده وعند غيره فما قال له أحد إنه يقدر على عملها فازداد
المعلم لذلك غما ومضت مدة وهى عنده لا يعلم مايصنع فاشتد الملك على احضارها وقال هذا المعلم نال
من جهتنا هذه النعمة العظيمة ولا يحسن أن يلحم سوارا فلما رأى الصائغ الغريب شدة ما نال المعلم قال فى
نفسه هذا وقت المروءة اعملها ولا أؤاخذه ببخله على وعدم انصافه ولعله يحسن الى بعد ذلك فحط يده
فى درج المعلم وأخذها وفك جواهرها وسبكها ثم صاغها كما كانت ونظم عليها جواهرها فعادت
أحسن ما كانت فلما رآها المعلم فرح فرحا شديدا ثم مضى بها الى الملك فلما رآها استحسنها وادعى
المعلم انها صنعته فاحسن اليه وخلع عليه خلعة سنية فجاء وجلس مكانه فبقى الصائغ يرجو مكافأته عما
عامله به فما التفت اليه المعلم ولما كان النهار مازاده على الدرهمين شيئا فما مضت الأيام قلائل واذا الملك
اختار أن يعمل زوجين أساور على تلك الصورة فطلب المعلم ورسم له بكل مايحتاج اليه وأكد عليه فى
تحسين الصفة وسرعة العمل فجاء الى الصائغ وأخبره بما قال الملك فامتثل مرسومه ولم يزل منتصبا الى أن
عمل الزوجين وهو لا يزيده شيئا على الدرهمين فى كل يوم ولا يشكره ولا يعده بخير ولا يتجمل معه
فرأى المصلحة أن ينقش على زوج منهما أبياتا يشرح فيها حاله ليقف عليها الملك فنقش فى باطن
أحدهما هذه الابيات نقشا خفيفا يقول

مصائب الدهر كفى * ان لم تكفى فعفى   خرجت أطلب رزقى * وجدت رزقى توفى
فلا برزقى أحظى * ولا بصنعة كفى   كم جاهل فى الثريا * وعالم متخفى

فأمرت به فرفع ثم دعوت جارية كنت أحبها وأحب حديثها وأشتغل بها فلم تطب نفسي فدخل وقت القائلة فلم يأخذني النوم فنهضت وأمرت ببغلة لي فأسرجت فركبتها فلما خرجت من المنزل استقبلني وكيل لي ومعه مال فقلت ماهذا فقال ألفا درهم جبيتها من مستغلك الجديد قلت أمسكها معك واتبعني وأطلقت رأس البغلة حتى عبرت الجسر ثم مضيت في شارع دار الرقيق حتى انتهيت الى الصحراء ثم رجعت الى باب الانبار وانتهيت الى باب دار نظيف عليه شجرة وعلى الباب خادم فعطشت فقلت للخادم أعندك ماء تسقينيه قال نعم ثم دخل وأحضر قلة نظيفة طيبة الرائحة عليها منديل فناولني فشربت وحضر وقت العصر فدخلت مسجدا على الباب فصليت فيه فلما قضيت صلاتي اذ أنا بأعمى يلتمس فقلت ماتريد ياهذا قال إياك أريد قلت فما حاجتك فجاء حتى جلس

الى جانبي وقال شممت منك رائحة طيبة فظننت انك من أهل النعيم فأردت أن أحدثك بشيء فقلت قل قال ألا ترى الى باب هذا القصر قلت نعم قال هذا قصر كان لأبي فباعه وخرج الى خراسان وخرجت معه فزالت عنا النعم التي كنا فيها وعميت فقدمت هذه المدينة فأتيت صاحب هذه الدار لأسأله شيئا يصلني به وأتوصل الى سوار فانه كان صديقا لأبي فقلت ومن أبوك قال فلان ابن فلان فعرفته فاذا هو كان من أصدق الناس الي فقلت له ياهذا ان الله تعالى قد أتاك بسوار منعه من الطعام والنوم والقرار حتى جاء به فاقعده بين يديك ثم دعوت الوكيل فأخذت الدراهم منه فدفعتها اليه وقلت له اذا كان الغد فسر الى منزلي ثم مضيت وقلت ماأحدث أمير المؤمنين بشيء أظرف من هذه فأتيته فاستأذنت عليه فأذن لي فلما دخلت عليه حدثته بما جرى لي فأعجبه ذلك وأمر لي بألفي دينار فأحضرت فقال ادفعها الى الأعمى فنهضت لأقوم فقال اجلس فجلست فقال أعليك دين قلت نعم قال كم دينك قلت خمسون ألفا فحادثني ساعة وقال امض الى منزلك فمضيت إلى منزلي فاذا أنا بخادم معه خمسون ألفا وقال يقول لك أمير المؤمنين اقض بها دينك قال فقبضت منه ذلك فلما كان من الغد أبطأ على الاعمى وأتاني رسول المهدي يدعوني فجئته فقال قد فكرت البارحة في أمرك فقلت يقضى

قال وعزم الصانع على انه إن ظهرت الابيات للعلم شرح له ماعنده وان غم عليه ولم يرها كان ذلك سبب توصله الى الملك ثم لفهما في قطن وناولهما للمعلم فرأى ظاهرهما ولم ير باطنهما لجهله بالصنعة ولما سبق له في القضاء فأخذهما المعلم ومضى بهما فرحا إلى الملك وقدمهما اليه فلم يشك الملك في انهما صنعته فخلع عليه وشكره ثم جاء فجلس مكانه ولم يلتفت الى الصانع ومازاده في آخر النهار شيئا على الدرهمين فلما كان اليوم الثاني خلا خاطر الملك فاستحضر الحظية التي عمل لها السوارين الذهب فحضرت وهما في يديها فأخذهما ليعيد نظره فيهما وفي حسن صنعتهما فقرأ الابيات فتعجب وقال هذا شرح حال صانعهما والمعلم يكذب فغضب عند ذلك وأمر باحضار المعلم فلما حضر قال له من عمل هذين السوارين قال أنا أيها الملك قال فما سبب نقش هذه الأبيات قال لم يكن عليهما أبيات قال كذبت ثم أراه النقش وقال ان لم تصدقني الحق لاضربن عنقك فاصدقه الحق فأمر الملك باحضار الصانع فلما حضر سأله عن حاله فحكى له قصته وماجرى له مع المعلم فرسم الملك بعزل المعلم وأن تسلب نعمته وتعطى للصانع وأن يكون عوضا عنه في الخدمة ثم خلع عليه خلعة سنية وصار مقدما سعيدا فلما نال هذه الدرجة وتمكن عند الملك تلطف به حتى رضي عن المعلم الاول وصارا شريكين ومكثا على ذلك الى آخر العمر ورحم الله من قال

إذ كان سعد المرء في الدهر مقبلا * تدانت له الاشياء من كل جانب

(وقال آخر) ماسلم الله هو السالم * ليس كما يزعم الزاعم

تجري المقادير التي قدرت * وأنف من لا يرتضي راغم

﴿ وقال كعب بن زهير ﴾

لو كنت أعجب من شيء لأعجبني * سعي الفتى وهو مخبوء له القدر * يسعى الفتى لامور ليس يدركها والنفس واحدة والهم منتشر * والمرء ماعاش ممدود له أمل * لا ينتهي ذاك حتى ينتهي العمر

وروى في الاسرائيليات أن نبيا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام مر بفخ منصوب واذا بطائر قريب منه فقال له الطائر يا نبي الله هل رأيت أقل عقلا ممن نصب هذا الفخ ليصيدني به وأنا أنظر اليه قال فذهب عنه ذلك النبي ﷺ ثم رجع واذا بالطائر في الفخ فقال له عجبا لك ألست القائل كذا وكذا آنفا فقال يا نبي الله إذا جاء الحين لم يبق أذن ولا عين * ويروى ان رجلا قال لبزرجمهر

دينه ثم يحتاج إلى القرض أيضا وقد أمرت لك بخمسين ألفا أخرى قال فقبضتها وانصرفت فجاءنى الأعمى فدفعت اليه الألفى دينار وقلت له قد رزقك الله تعالى بكرمه وكافأك على احسان أبيك وكافأنى على اسداء المعروف اليك ثم أعطيته شيئا آخر من مالى فأخذه وانصرف والله سبحانه وتعالى أعلم ﴿ ومن ذلك ماحكاه القاضى يحيي بن أكثم رحمة الله تعالى عليه ﴾ قال دخلت يوما على الخليفة هرون الرشيد ولد المهدى وهو مطرق مفكر فقال لى أتعرف قائل هذا البيت

الخير أبقى وان طال الزمان به * والشر أخبث ماأوعيت من زاد فقلت ياأمير المؤمنين إن لهذا البيت شأنا مع عبيد ابن الأبرص فقال على بعبيد فلما حضر بين يديه قال له أخبرنى عن قضية هذا البيت فقال ياأمير المؤمنين كنت فى بعض السنين حاجا فلما توسطت البادية فى يوم شديد الحر سمعت ضجة عظيمة فى القافلة ألحقت أولها بآخرها فسألت عن القصة فقال لى رجل من القوم تقدم ترما بالناس فتقدمت الى أول القافلة فاذا أنا بشجاع أسود فاغر فاه كالجذع وهو يخور كما يخور الثور ويرغو كرغاء البعير فهالنى أمره وبقيت لا أهتدى ما أصنع فى أمره فعدلنا عن طريقه الى ناحية أخرى فعارضنا ثانية فعلمت أنه لسبب ولم يجسر أحد من القوم أن يقربه فقلت أفدى هذا العالم بنفسى وأتقرب الى الله تعالى بخلاص هذه القافلة من هذا فأخذت قربة من الماء تقلدتها وسللت سيفى وتقدمت فلما رآنى قربت منه سكن وبقيت متوقعا منه وثبة يبتلعنى فيها فلما رأى القربة فتح فاه فجعلت فم القربة فى فيه وصببت الماء كما يصب فى الاناء فلما فرغت القربة تسيب فى الرمل ومضى فتعجبت من تعرضه لنا وانصرافه عنا من غير سوء لحقنا منه ومضينا لحجنا ثم عدنا فى طريقنا ذلك وحططنا فى منزلتنا تلك فى ليلة مظلمة مدلهمة فأخذت شيئا من الماء وعدلت الى ناحية عن الطريق فقضيت حاجتى ثم توضأت وصليت وجلست أذكر الله تعالى فأخذتنى عينى فنمت مكانى فلما استيقظت من النوم لم أجد للقافلة حسا وقد ارتحلوا وبقيت منفردا لم أر أحدا ولم أهتد الى ماأفعله وأخذتنى حيرة وجعلت أضطرب فاذا بصوت هاتف أسمع صوته ولاأرى شخصه يقول

يا أيها الشخص المضل مركبه * ماعنده من ذى رشاد يصحبه

تعال نتناظر فى القدر قال وماتصنع بالمناظرة قال رأيت شيئا ظاهرا استدللت به على الباطن رأيت جاهلا مبرورا وعالما محروما فعلمت أن التدبير ليس للعباد * ولما قدم موسى بن نصر بعد فتح الأندلس على سليمان بن عبد الملك قال له يزيد بن المهلب أنت أدهى الناس وأعلمهم فكيف طرحت نفسك فى يد سليمان فقال ان الهدهد ينظر الى الماء فى الأرض على ألف قامة ويبصر القريب منه والبعيد على بعد فى التخوم ثم ينصب له الصبى الفخ بالدودة أو الحبة فلا يبصره حتى يقع فيه وأنشدوا فى ذلك

واذا خشيت من الأمور مقدرا * وفررت منه فنحوه تتوجه

(وقال آخر) أقام على المسير وقد أنيخت * مطاياه وغرد حاديها

وقال أخاف عادية الليالى * على نفسى وأن ألقى رداها

مشيناها خطا كتبت علينا * ومن كتبت عليه خطا مشاها

ومن كانت منيته بأرض * فليس يموت فى أرض سواها

(ولما) قتل كسرى بزرجمهر وجد فى منطقته كتاب فيه اذا كان القضاء حقا فالحرص باطل واذا كان الغدر فى الناس طباعا فالثقة بكل أحد عجز واذا كان الموت بكل أحد نازلا فالطمأنينة الى الدنيا حمق وقال ابن عباس وجعفر بن محمد رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى وكان تحته كنز لهما انما كان الكنز لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يوقن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يوقن بالرزق كيف ينصب وعجبت لمن يوقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يوقن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله (وحكى) الطرطوشى رحمه الله تعالى فى كتابه سراج الملوك قال من عجيب ما اتفق بالاسكندرية أن رجلا من خدم نائب الاسكندرية غاب عن خدمته أياما فنى بعض الايام قبض عليه صاحب الشرطة وحمله الى دار النائب فانفلت فى بعض الطرق وترامى فى بئر والمدينة اذ ذاك مسردبة بسرداب يمشى الماشى فيه قائما فازال الرجل يمشى الى أن لاحت له بئر مضيئة فطلع منها فاذا البئر فى دار النائب فلما طلع أمسكه النائب وأدبه فكان فيه المثل السائر الفار من القضاء الغالب كالمتقلب فى يد الطالب وأنشدوا فيه

قالوا أتقيم وقد أحا * ط بك العدو ولا تفر

لأنك خير أان بقيـ * ـت ولا عدانى الدهر شر

ان

ان كنت أعلم أن غير الله ينفع أو يضر

﴿ الباب التاسع والسبعون في التوبة والاستغفار ﴾

قد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة واجماع الأمة على وجوب التوبة وأمر الله تعالى بالتوبة فقال وتوبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون * ووعد بالقبول فقال تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده وفتح باب الرجاء فقال ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم * وروى في الصحيح عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول يا أيها الناس توبوا الى الله تعالى فاني أتوب إلى الله تعالى في اليوم مائة مرة * وروى أحمد بن عبد الرحمن السلماني قال اجتمع أربعة من أصحاب رسول الله ﷺ فقال أحدهم سمعت رسول الله ﷺ يقول ان الله تعالى يقبل التوبة من عبده قبل أن يموت بيوم فقال الثاني أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ قال نعم قال وأنا سمعته يقول ان الله تعالى يقبل توبته قبل أن يموت بنصف يوم فقال الثالث أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ قال نعم قال وأنا سمعته يقول ان الله تعالى يقبل توبة العبد قبل موته بضحوة أوقال بضجعة فقال الرابع أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ قال نعم قال وأنا سمعته يقول ان الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال لله أفرح بتوبة عبده من رجل نزل بأرض دوية مهلكة معه راحلته فنام واستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا أدركه الموت قال أرجع إلى المكان الذي ضللتها فيه وأموت في مكانه فغلبته عينه فاستيقظ واذا راحلته عند رأسه فيها طعامه وشرابه وزاده ومايصلحه فالله أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن من هذا براحلته وزاده وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول والله اني لأستغفر الله وأتوب اليه في اليوم أكثر من سبعين مرة رواه البخاري وعن أبي موسى عبد الله بن قيس الاشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال ان الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها رواه مسلم وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه رواه مسلم وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال كان فيمن قبلكم رجل قتل

وتك هذا البكر منا تركبه   وبكرك الميمون حقا تجنبه   حتى اذا ماالليل غاب غيهبه   عند الصباح في الفلا تسيبه

نظرت فاذا أنا ببكر قائم عندي وبكري الى جانبي فانخته وركبته وجنبت بكري فلما سرت قدر عشرة أميال لاحت لي القافلة وانفجر الفجر ووقف البكر فعلمت أنه قد حان نزولي فتحولت الى بكري وقلت

يا أيها البكر قد أنجيت من كرب   ومن هموم تضل المدلج الهادي
ألا تخبرني بالله خالقنا   من الذي جاء بالمعروف في الوادي
وارجع حميدا فقد أبلغتنا مننا   بوركت من ذي سنام رائح غادي

فالتفت البكر الي وهو يقول

أنا الشجاع الذي ألفيتني رمضا   والله يكشف ضر الحائر الصادي
فجدت بالماء لما ضن حامله   تكرما منك لم تمنن بانكاد
فالخير أبقى وان طال الزمان به   والشر أخبث ماأوعيت من زاد
هذا جزاؤك مني لا أمن به   فاذهب حميدا رعاك الخالق الهادي

فعجب الرشيد من قوله وأمر بالقصة والابيات فكتبت عنه وقال لا يضيع المعروف أين وضع (موعظة) حكي أنه كان بمدينة بغداد رجل يعرف بأبي عبد الله الاندلسي وكان شيخا لكل من بالعراق وكان يحفظ ثلاثين ألف حديث عن رسول الله ﷺ وكان يقرأ القرآن بجميع الروايات فخرج في بعض السنين الى السياحة ومعه جماعة من أصحابه مثل الجنيد والشبلي وغيرهما من مشايخ العراق قال الشبلي فلم نزل في خدمته ونحن مكرمون بعناية الله تعالى الى أن وصلنا قرية من قرى الكفار فطلبنا ماء نتوضأ به فلم نجد فجعلنا ندور بتلك القرية واذا نحن بكنائس وبها شمامسة وقساوسة ورهبان وهم يعبدون الأصنام والصلبان فتعجبنا منهم ومن قلة عقلهم ثم انصرفنا إلى بئر في آخر القرية واذا نحن بجوار يستقين الماء على البئر وبينهن جارية حسنة الوجه مافيهن أحسن ولا أجمل منها وفي عنقها قلائد الذهب فلما رآها الشيخ تغير وجهه وقال هذه ابنة من فقيل له هذه ابنة ملك هذه القرية فقال الشيخ فلم لايدللها أبوها ويكرمها ولايدعها تستقي الماء فقيل له أبوها يفعل ذلك بها حتى إذا تزوجها رجل أكرمته وخدمته ولاتعجبها نفسها فجلس الشيخ ونكس رأسه ثم أقام ثلاثة أيام لايأكل ولايشرب ولايكلم أحدا غير أنه يؤدي الفريضة والمشايخ واقفون بين يديه ولايدرون مايصنعون قال الشبلي

فتقدمت اليه وقلت له ياسيدى ان أصحابك ومريديك يتعجبون من سكوتك ثلاثة أيام وأنت ساكت لم تكلم أحدا قال فأقبل علينا وقال ياقوم اعلموا أن الجارية التى رأيتها بالامس قد شغفت بها حبا واشتغل قلبى بها وما بقيت أقدر أفارق هذه الارض قال الشبلى فقلت له ياسيدى أنت شيخ أهل العراق ومعروف بالزهد فى سائر الآفاق وعدد مريديك اثنا عشر ألفا فلا تفضحنا واياهم بحرمة الكتاب العزيز فقال ياقوم جرى القلم بما حكم ووقعت فى بحار العدم وقد انحلت منى عرى الولاية وطويت أعلام الهداية ثم أنه بكى بكاء شديدا وقال ياقوم انصرفوا فقد نفذ القضاء والقدر فتعجبنا من أمره وسألنا الله تعالى أن يجيرنا من مكره ثم بكينا وبكى حتى أروى التراب ثم انصرفنا عنه راجعين الي بغداد فخرج الناس الى لقائه ومريدوه فى جملة الناس فلم يروه فسألونا عنه فعرفناهم بما جرى فمات من مريديه جماعة كثيرة حزنا عليه وجعل الناس يبكون ويتضرعون الى الله تعالى أن يرده عليهم وأغلقت الرباطات والزوايا والخوانق ولحق الناس حزن عظيم فاقمنا سنة كاملة وخرجت مع بعض أصحابى نكشف خبره فأتينا القرية فسألنا عن الشيخ فقيل لنا انه فى البرية يرعى الخنازير قلنا وما السبب فى ذلك قالوا انه خطب الجارية من أبيها فأبى أن يزوجها الا ممن هو على دينها ويلبس العباءة ويشد الزنار ويخدم الكنائس ويرعى الخنازير ففعل ذلك كله وهاهو فى البرية يرعى الخنازير قال الشبلى فانصدعت قلوبنا وانهملت بالبكاء عيوننا وسرنا اليه واذا به قائم قدام الخنازير فلما رآنا نكس رأسه واذا عليه قلنسوة النصارى وفى وسطه زنار وهو متوكيء على العصا التى كان يتوكأ عليها اذا قام فى الخطبة فسلمنا عليه فرد علينا السلام فقلنا ياشيخ ماذاك وماذا وما هذه الكروب والهموم بعد تلك الأحاديث والعلوم فقال يا اخوانى ليس لى من الامر شىء سيدى تصرف فى كيف شاء وحيث أراد أبعدنى عن بابه بعد ان كنت من جملة أحبابه فالحذر الحذر يا أهل وداده من صده وابعاده والحذر الحذر يا أهل المودة والصفاء من القطيعة والجفاء ثم رفع طرفه الى السماء وقال يامولاى ما كان ظنى فيك هذا ثم جعل يستغيث ويبكى ونادى ياشبلى اتعظ بغيرك فنادى الشبلى بأعلى صوته بك المستعان وأنت المستغاث وعليك التكلان اكشف عنا هذه الغمة بحلمك فقد دهمنا أمر لا كاشف له غيرك قال فلما سمعت الخنازير بكاءهم وضجيجهم أقبلت اليهم وجعلت تمرغ وجوهها بين أيديهم وزعقت زعقة واحدة دوت منها

تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعبد أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة قال لا فقتله وكمل به المائة ثم سأل عن أعلم أهل الارض فدل على رجل عالم فأتاه وقال له انه قد قتل مائة نفس فهل له من توبة قال نعم ومن يحل بينك وبين التوبة انطلق الى أرض كذا وكذا فان بها أناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله تعالى معهم ولا ترجع الى أرضك فانها أرض سوء فانطلق حتى كان نصف الطريق أدركه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاءنا تائبا متبلا بقلبه الى الله تعالى وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فأتاهم ملك فى صورة آدمى فحكموه بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين فالى أيتهما كان أدنى فهو أقرب لها فقاسوه فوجدوه أدنى الى الارض التى أراد فقبضته ملائكة الرحمة متفق عليه وفى الصحيحين فكان أدنى الى أرض التوبة الصالحة بشبر فجعل من أهلها * وعن أبى نجيد بضم النون وفتح الجيم عمران بن الحصين الخزاعى رضى الله عنه ان امرأة من جهينة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى حبلى من الزنا فقالت يارسول الله أصبت حدا فأقمه على فدعا نبى الله صلى الله عليه وسلم فشدت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها فقال عمر يارسول الله تصلى عليها وقد زنت قال لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم وهل وجدت أفضل ممن جادت بنفسها لله عز وجل رواه مسلم وعن أبى بصرة قال لقيت مولى لابى بكر رضى الله عنه فقلت له سمعت من أبى بكر شيئا قال نعم سمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصر من استغفر ولو عاد الى الذنب فى اليوم سبعين مرة (وحكى) أن نبهان التمار وكنيته أبو مقبل أتته امرأة حسناء تشترى تمرا فقال لها هذا التمر ليس بجيد وفى البيت أجود منه فذهب بها الى بيته وضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فأنزل الله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة الى آخر الآية وعن أسماء بن الحكم الفزارى قال سمعت عليا يقول انى كنت رجلا اذا سمعت من رسول الله حديثا ينفعنى الله منه بما شاء ينفعنى واذا حدثنى أحد من أصحابه استحلفته فاذا حلف لى صدقته وانه حدثنى أبو بكر وصدق أبو بكر أنه سمع رسول الله يقول مامن عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ويصلى ثم يستغفر الله الا غفر له وروى فى الصحيح عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا أذنب العبد ذنبا فقال يارب أذنبت ذنبا فاغفره لى قال الله عز وجل علم عبدى ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له ثم اذا مكث ماشاء الله

وأصاب

الجبال قال الشبلي فظننت أن القيامة قد قامت ثم ان الشيخ بكى بكاء شديدا قال الشبلي فقلنا له هل لك أن ترجع معنا الى بغداد فقال كيف لى بذلك وقد استرعيت الخنازير بعد أن كنت أرعى القلوب فقلت يا شيخ كنت تحفظ القرآن وتقرؤه بالسبع فهل بقيت تحفظ منه شيئا فقال نسيته كله الا آيتين فقلت وماهما قال قوله تعالى ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل مايشاء والثانية قوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل فقلت ياشيخ كنت تحفظ ثلاثين ألف حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل تحفظ منها شيئا قال حديثا واحدا وهو قوله صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه قال الشبلي فتركناه وانصرفنا ونحن متعجبون من أمره فسرنا ثلاثة أيام واذا به أمامنا قد تطهر من نهر وطلع وهو يشهد شهادة الحق ويجدد اسلامه فلما رأيناه لم نملك أنفسنا من الفرح والسرور فنظر الينا وقال ياقوم (٢٦٩) اعطونى ثوبا طاهرا فأعطيناه ثوبا فلبسه ثم صلى وجلس فقلنا له الحمد لله الذى ردك علينا وجمع شملنا بك فصف لنا ماجرى لك وكيف كان أمرك فقال ياقوم لما وليتم من عندى سألته بالوداد القديم وقلت له يامولاى أنا المذنب الجانى فعفا عنى بجوده وبستره غطانى فقلت له بالله نسألك هل كان لمحنتك من سبب قال نعم لما وردنا القرية وجعلتم تدورون حول الكنائس قلت فى فى نفسى ماقدر هؤلاء عندى وأنا مؤمن موحد فنوديت فى سرى ليس هذا منك ولو شئت عرفناك ثم أحسست بطائر قد خرج من قلبى فكان ذلك الطائر هو الايمان قال الشبلي ففرحنا به فرحا شديدا وكان يوم دخولنا يوما عظيما مشهودا وفتحت الزوايا والرباطات والخوانق ونزل الخليفة للقاء الشيخ وأرسل اليه الهدايا وصار يجتمع عنده لسماع علمه أربعون ألفا وأقام على ذلك زمانا طويلا ورد الله عليه ما كان نسيه من القرآن والحديث وزاده على ذلك فبينما نحن جلوس عنده فى بعض الايام بعد صلاة الصبح اذا بطارق يطرق باب الزاوية فنظرت من الباب فاذا شخص ملتف بكساء أسود فقلت له ماالذى تريد فقال قل لشيخكم ان الجارية الرومية التى تركتها بالقرية الفلانية قد جاءت لخدمتك قال فدخلت فعرفت الشيخ فاصفر لونه وارتعد ثم أمر بدخولها فلما دخلت عليه بكت بكاء شديدا فقال لها الشيخ كيف مجيئك ومن أوصلك الى ههنا قالت ياسيدى لما وليت من قريتنا جاءنى من أخبرنى بك فبت ولم يأخذنى قرار فرأيت فى منامى شخصا وهو يقول ان احببت أن تكونى من المؤمنات فاتركى ماانت عليه من عبادة الاصنام واتبعى ذلك الشيخ وادخلى فى دينه فقلت ومادينه قال دين الاسلام قلت وماهو قال شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فقلت كيف لى بالوصول اليه قال اغمضى عينيك واعطينى

وأصاب ذنبا آخر فقال يارب أذنبت ذنبا فاغفره لى قال ربه علم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدى فليفعل ماشاء وكان قتادة رضى الله تعالى عنه يقول القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم امادواؤكم فالاستغفار وأما داؤكم فالذنوب وكان على رضى الله تعالى عنه يقول العجب لمن هلك ومعه كلمة النجاة قيل وماهي قال الاستغفار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال عشرا حين يصبح وحين يمسي أستغفر الله العظيم الذى لا إله الا هو الحى القيوم وأتوب اليه وأسأله التوبة والمغفرة من جميع الذنوب غفرت ذنوبه ولو كانت مثل رمل عالج ومن قال سبحانك ظلمت نفسى وعملت سوءا فاغفر لى ذنوبى فانه لا يغفر الذنوب الا أنت غفرت ذنوبه ولو كانت مثل دبيب النمل وقال أبو عبد الله الوراق لو كان عليك من الذنوب مثل عدد القطر وزبد البحر محيت عنك اذا استغفرت بهذا الاستغفار وهو هذا اللهم انى أسألك وأستغفرك من كل ذنب تبت اليك منه ثم عدت فيه وأستغفرك من كل ماوعدتك من نفسى ثم لم أوف لك به وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطه غيرك وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها على فاستعنت بها على معصيتك يقول الله عز وجل لملائكته ويح ابن آدم يذنب الذنب ثم يستغفرنى فاغفر له ثم يذنب الذنب فيستغفرنى فاغفر له لاهو يترك الذنب من مخافتى ولا ييأس من مغفرتى أشهدكم ياملائكتى انى قد غفرت له وقال بشر الحافى بلغنى ان العبد اذا عمل الخطيئة أوحى الله تعالى الى الملائكة الموكلين ترفقوا عليه سبع ساعات فان استغفرنى فلا تكتبوها وان لم يستغفرنى فاكتبوها ﴿نكتة﴾ قيل انقطع الغيث عن بنى اسرائيل فى زمن موسى عليه الصلاة والسلام حتى احترق النبات وهلك الحيوان فخرج موسى عليه الصلاة والسلام فى بنى اسرائيل وكانوا سبعين رجلا من نسل الانبياء مستغيثين إلى الله قد بسطوا أيدى صدقهم وخضوعهم وقربوا قربان تذللهم وخشوعهم ودموعهم تجرى على خدودهم ثلاثة أيام فلم تمطرهم فقال موسى اللهم أنت القائل ادعونى أستجب لكم وقد دعوتك وعبادك على ماترى من الفاقة والحاجة والذل فاوحى الله تعالى اليه ياموسى ان فيهم من غذاؤه حرام وفيهم من يبسط لسانه بالغيبة والنميمة وهؤلاء استحقوا أن أنزل عليهم غضبي وأنت تطلب لهم الرحمة كيف يجتمع موضع الرحمة وموضع العذاب فقال موسى ومن هم يارب حتى نخرجهم من بيننا فقال الله تعالى ياموسى لست بهتاك ولا نمام ولكن ياموسى توبوا كلكم بقلوب خالصة فعساهم يتوبوا معكم فاجود بانعامى عليكم فنادى منادى موسى فى بنى اسرائيل ان اجتمعوا

فاجتمعوا فاعلمهم موسى عليه الصلاة والسلام بما أوحى اليه والعصاة يسمعون فذرفت أعينهم ورفعوا مع بنى اسرائيل أيديهم الى الله عزوجل وقالوا الهنا جئناك من أوزارنا هاربين ورجعنا إلى بابك طالبين فارحمنا يا أرحم الراحمين فما زالوا كذلك حتى سقوا بتوبتهم الى الله تعالى اللهم تب علينا وعلى سائر العصاة والمذنبين يارب العالمين * أوحى الله الى داود عليه الصلاة والسلام ياداود لو يعلم المدبرون عنى كيف انتظارى لهم ورفقى بهم وشوقى الى ترك معاصيهم لما تواشوقا الى وتقطعت أوصالهم من محبتى ياداود هذه ارادتى فى المدبرين عنى فكيف ارادتى بالمقبلين على ولقد أحسن من قال

أسىء فيجزى بالاساءة افضالا * وأعصى فيوليني براوامهالا * فحتى متى أجفوه وهو يبرنى وأبعد عنه وهو يبدل ايصالا * وكم مرة قدزغت عن نهج طاعة * ولا حال عن ستر القبيح ولا زالا وهذا آخر ما يسره الله تعالى في هذا الباب والله أعلم بالصواب

﴿ الباب الثمانون فيما جاء فى ذكر الأمراض والعلل والطب والدواء وما جاء فى السنة من العيادة وما أشبه ذلك وفيه فصول ﴾

﴿ الفصل الأول فى الامراض والعلل وماجاء فى ذلك من الاجر والثواب ﴾ روى عن عبد الله بن أنيس رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال أيكم يحب أن يصح جسمه فلا يسقم فقالوا كلنا يارسول الله قال أتحبون أن تكونوا كالحمير الصوالة ألا تحبون أن تكونوا أصحاب بلايا وأصحاب كفارات والذى بعثنى بالحق نبيا ان الرجل لتكونن له الدرجة فى الجنة فلا يبلغها بشىء من عمله فيبتليه الله تعالى ليبلغ درجة لا يبلغها بعمله وقال ﷺ مامن مسلم يمرض مرضا الاحط الله من خطاياه كما تحط الشجرة ورقها وكان يقول لاتزال الاوصاب والمصائب بالعبد حتى تتركه كالفضة البيضاء النقية المصفاة وقيل ان الناس قدحموا فى فتح خيبر فشكوا الى رسول الله ﷺ فقال أيها الناس ان الحمى رائد الموت وسجن الله فى الأرض وقطعة من النار فاذا وجدتم ذلك فبردوا لها الماء فى الشنان ثم صبوا عليكم بين المغرب والعشاء ففعلوا ذلك فزالت عنهم وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال دخل رسول الله ﷺ على شاب وهو فى الموت فقال له كيف تجدك فقال أرجو الله وأخاف ذنوبى فقال عليه الصلاة والسلام هما لا يجتمعان فى قلب عبد فى هذا الموطن الا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف وعن عفيرة بنت الوليد البصرية العابدة الزاهدة رحمها الله تعالى أنها سمعت رجلا يقول ما أشد العمى على من كان بصيرا فقالت

يدك ففعلت فمشى قليلا ثم قال افتحى عينيك ففتحتهما فاذا أنا بشاطىء دجلة فقال امضى الى تلك الزاوية واقرئى الشيخ منى السلام وقولى له ان أخاك الخضر يسلم عليك قال فادخلها الشيخ الى جواره وقال تعبدى ههنا فكانت أعبد أهل زمانها تصوم النهار وتقوم الليل حتى نحل جسمها وتغير لونها فمرضت مرض الموت وأشرفت على الوفاة ومع ذلك لم يرها الشيخ فقالت قولوا للشيخ يدخل على قبل الموت فلما بلغ الشيخ ذلك دخل عليها فلما رأته بكت فقال لها لا تبكى فان اجتماعنا غدا فى القيامة فى دار الكرامة ثم انتقلت الى رحمة الله تعالى فلم يلبث الشيخ بعدها إلا أياما قلائل حتى مات رحمة الله تعالى عليه قال الشبلى فرأيته فى المنام وقد تزوج بسبعين حوراء وأول ما تزوج بالجارية وهما مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما اه

(فليتأمل) العاقل فى ذلك ولا ير له فضلا على أحد من خلق الله تعالى فهو الفاعل المختار يعطى من يشاء ويمنع فالكل منه واليه

(موعظة) قيل عشش ورشان فى شجرة فى دار رجل فلما همت أفراخه بالطيران زينت امرأة ذلك الرجل له أخذ أفراخ ذلك الورشان ففعل ذلك مرارا وكلما خرج الورشان أخذ أفراخه فشكا الورشان ذلك الى سليمان عليه الصلاة والسلام وقال يارسول الله أردت أن يكون لى أولاد يذكرون الله تعالى من بعدى فأخذها الرجل بأمر امرأته ثم أعاد الورشان الشكوى فقال سليمان لشيطانين إذا رأيتماه يصعد الشجرة له

فشقاه نصفين فلما أراد الرجل أن يصعد الشجرة اعترضه سائل فاطعمه كسرة من خبز شعير ثم صعد وأخذ الافراخ على عادته فشكا الورشان ذلك الى سليمان عليه الصلاة والسلام فقال للشيطانين ألم تفعلا ما أمرتكما به فقالا اعترضنا ملكان فطرحانا فى الخافقين اه (وكان الحسن بن صالح) إذا جاءه سائل فان كان عنده ذهب أوفضة أوطعام أعطاه فان لم يكن عنده من ذلك شىء أعطاه دهنا أو غيره مما ينتفع به فان لم يكن عنده شىء أعطاه كحلا أو أخرج ابرة وخيطا فرقع بهما ثوب السائل (وحكى) أن رجلا جلس يوما يأكل هو وزوجته وبين أيديهما دجاجة مشوية فوقف سائل ببابه فخرج اليه وانتهره وذهب فاتفق بعد ذلك أن الرجل افتقر وزالت نعمته وطلق زوجته وتزوجت بعده برجل آخر فجلس يأكل معها فى بعض الأيام وبين

أيديهما دجاجة مشوية واذا بسائل يطرق الباب فقال الرجل لزوجته ادفعي اليه هذه الدجاجة فخرجت اليه فاذا هو زوجها الاول فدفعت اليه الدجاجة ورجعت وهي باكية فسألها زوجها عن بكائها فاخبرته أن السائل كان زوجها وذكرت له قصتها مع ذلك السائل الذى انتهره زوجها الأول فقال لها أنا والله ذلك السائل (ومما وقفت عليه) ماحكي أن بعضهم قال دخلت البادية فاذا أنا بعجوز بين يديها شاة مقتولة والى جانبها جرو ذئب فقلت أتدرى ماهذا فقلت لا قالت هذا جرو ذئب أخذناه صغيرا وأدخلناه بيتنا وربيناه فلما كبر فعل بشاتي ماترى وأنشدت

بقرت شويهتى وفجعت قلبي ... وأنت لشاتنا ابن ربيب
غذيت بدرها ونشأت معها ... فمن أنباك ان أباك ذيب
اذا كان الطباع طباع سوء ... فلا أدب يفيد ولا أديب

(قيل) مر عمرو بن عبيد بجماعة وقوف فقيل ماهذا قيل السلطان يقطع سارقا فقال لا إله إلا الله سارق العلانية يقطع سارق السر (ومن ذلك ماحكى) أن رجلا من العرب دخل على المعتصم فقربه وأدناه وجعله نديمه وصار يدخل على حريمه من غير استئذان وكان له وزير حاسد فغار من البدوى وحسده وقال فى نفسه ان لم أحتل على هذا البدوى فى قتله أخذ بقلب أمير المؤمنين وأبعدنى منه فصار يتلطف بالبدوى حتى أتى به الى منزله فطبخ له طعاما وأكثر فيه من الثوم فلما أكل البدوى منه قال له احذر أن تقرب من أمير المؤمنين فيشم منك رائحة الثوم فيتأذى من ذلك فانه يكره رائحته ثم ذهب الوزير الى أمير المؤمنين فخلا به وقال يا أمير المؤمنين ان البدوى يقول عنك للناس إن أمير المؤمنين أبخر وهلكت من رائحة فمه فلما دخل البدوى على أمير المؤمنين جعل كمه على فمه مخافة أن يشم منه رائحة الثوم فلما رآه أمير المؤمنين كتب كتابا الى بعض عماله يقول له فيه اذا وصل اليك كتابى هذا فاضرب رقبة حامله ثم دعا بالبدوى ودفع الكتاب اليه وقال له امض به الى فلان وائتني بالجواب فامتثل البدوى مارسم به أمير المؤمنين وأخذ الكتاب وخرج به من عنده فبينما هو بالباب اذ لقيه الوزير فقال أين تريد فقال أتوجه بكتاب أمير المؤمنين الى عامله فلان فقال الوزير هذا البدوى يحصل له من هذا التقليد مال جزيل فقال له يا بدوى ماتقول فيمن يريحك من هذا التعب الذى يلحقك فى سفرك ويعطيك ألفى دينار فقال له أنت الكبير وأنت الحاكم ومهما أردت افعل فقال أعطنى الكتاب فدفعه اليه فأعطاه الوزير ألفى دينار وسار بالكتاب الى المكان

له يا عبد الله عمى القلب عن الله أشد من عمى العين عن الدنيا والله لوددت ان الله وهب لى كنه معرفته ولم يبق منى جارحة الا أخذها * وكتب مبارك لاخيه سفيان الثورى يشكو اليه ذهاب بصره فكتب اليه أما بعد فقد فهمت كتابك فيه شكاية ربك فاذكر الموت يهن عليك ذهاب بصرك والسلام * وقيل لعطاء فى مرضه ماتشتهى قال ماترك خوف جهنم فى قلبي موضعا للشهوة وأصاب ابن أدهم بطن فتوضأ فى ليلة سبعين مرة وقيل لاعرابى فى مرضه ماتشتهى قال الجنة فقيل أفلا ندعو لك طبيبا قال طبيبي هو الذى أمرضنى

﴿الفصل الثانى من هذا الباب فى ذكر العلل كالبخر والعرج والعمى والصمم والرمد والفالج وغير ذلك نسأل الله العفو والعافية والمعافاة الدائمة فى الدنيا والآخرة﴾

قيل تسارر أبخر وأصم فقال له الأصم قد فهمت ثم فارقه فسأله رجل فقال والله لا أدرى غير أنه فسا فى أذنى وقيل ان عبد الملك بن مروان كان أبخر فعض يوما على تفاحة ورمى بها الى زوجته فدعت بسكين فقال ماتصنعين بها قالت أميط الاذى عنها فشق عليه ذلك منها فطلقها وسارر أبو الأسود الدؤلى سليمان ابن عبد الملك وكان أبو الاسود أبخر فستر سليمان أنفه بكمه فعبر أبو الاسود وهو يقول لا يصلح للخلافة من لا يقدر على مناجاة الشيوخ البخر وقيل طول انطباق الفم يورث البخر وكل رطب الفم سائل اللعاب سالم منه وقيل ان الزنج أطيب الناس أفواها والسباع موصوفة بالبخر والمثل مضروب بالاسد والصقر فى البخر والكلب من بينهما طيب الفم وليس فى البهائم أطيب أفواها من الظباء ﴿وحكى﴾ أن أبخر تزوج بامرأة فلما ضاجعها عافته وتولت عنه بوجهها ثم أنشدت تقول

ياحب والرحمن ان فاكا * اهلكنى فولنى قفاكا * اذا غدوت فاتخذ مسواكا
من عرفط ان لم تجد أراكا * لا تقربنى بالذى سواكا * انى أراك ماضغا خراكا

وفى ديوان المنثور كم من ذى عرج فى درج المعالى عرج وكم من صحيح قدم ليس له فى الخير قدم وقيل ان من الصم من يسمع السر فاذا رفعت اليه الصوت لم يسمعه ورأيت من العمش من لا ينظر صورة الانسان من قريب ولكن يقرأ الخط الرقيق الحواشى وقيل ان طريفا الشاعر مدح عمرو بن هداب وكان أبرص فلما انتهى الى قوله * أبرص فياض اليدين مهذب * صاح به الناس وقالوا اقطع الله لسانك فقال عمرو مه ان البرص مما تتفاخر به العرب اما سمعتم قول سهل حيث قال

الذي هو قاصده فلما قرأ العامل الكتاب أمر بضرب رقبة الوزير فبعد أيام تذكر الخليفة في أمر البدوي وسأل عن الوزير فأخبر بأن له أياما ما ظهر وأن البدوي بالمدينة مقيم فتعجب من ذلك وأمر باحضار البدوي فحضر فسأله عن حاله فأخبره بالقصة التي اتفقت له مع الوزير من أولها الى آخرها فقال له أنت قلت للناس عني أني أبخر فقال يا أمير المؤمنين أنا أتحدث بما ليس لي به علم انما كان ذلك مكراً منه وحسداً وأعلمه كيف دخل به الى بيته وأطعمه الثوم وماجرى له معه فقال أمير المؤمنين قاتل الله الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله ثم اتخذ البدوي وزيراً وراح الوزير بحسده انتهى (وحكي) أن معاوية ابن أبي سفيان رضي الله تعالى عنه لما مرض مرضه الذي مات فيه دخل عليه بعض بني هاشم ليعوده فلما استأذن عليه قام وجلس وأظهر القوة والتجلد وأذن للهاشمي فدخل عليه ثم قال متمثلا بقول أبي ذؤيب الهذلي من قصيدة رثى بها أولاده لما ماتوا بالطاعون

وتجلدي للشامتين أريهم * أني لريب الدهر لا أتضعضع

فأجابه الهاشمي على الفور من القصيدة المذكورة بعينها

وإذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

(ومما يشاكل ذلك ما حكاه لي سيدي ومولاي عمدة العلماء الاعلام ونتيجة قضايا الادباء الفخام الشيخ عبدالغني أفندي الرافعي حفظه الله تعالى أنه حكى له عبد الله أفندي ابن قاضي الموصل أن بعض علماء بغداد وفد على دار الخليفة العلية في أيام السلطان سليم بن السلطان عثمان خان ونزل في دار صاحب المشيخة العظمى إذ ذاك فاتفق له أن رأى السلطان سليما في القائق عينا بين أسكي دارو اسلامبول فمر قائق الشيخ بالقرب من قائق السلطان فلما وقع عليه نظر الملك ورأى عليه سيما أهل العلم أحب أن يداعبه فقال عند ما ناداه

فما اقتحامك لج البحر تركبه * وأنت يكفيك منه مصة الوشل

فأجابه على الفور من القصيدة

أريد بسطة كف أستعين بها * على قضاء حقوق للعلا قبلي

فعند ذلك سأله عن مكانه فأخبره أنه نزيل شيخ الاسلام ثم مر كل منهما بقائقه وبعد أيام اجتمع السلطان سليم بشيخ الاسلام سأله عن الشيخ وذكر له صفته ثم أمره أن يسأله عن مراده فسأله من غير أن يعلمه أن ذلك عن أمر الملك فقال بغيتي القرية الفلانية في محل كذا كذا ان أقطعنيها كفتني ولا أريد سواها فأخبر الملك بذلك فأقطعه القرية وعاد وقدر تحت تجارته ببضاعة

أيشتمني زيد بأن كنت أبرصاً * وكل كريم لا أبالك أبرص

(وقال) كفى حزناً أني أعاشر معشراً * يخوضون في بعض الحديث وأمسك

وما ذاك من عي ولا من جهالة * ولكنه مافي للصوت مسلك

فان سد مني السمع فالله قادر * على فتحه والله للعبد أملك

(ومما جاء في العمى) ما روي عن النبي ﷺ أنه قال من عدم إحدى كريمتيه ضمنت له على الله الجنة وكان أبو عبد الرحمن بن الحرث بن هشام مطعم الطعام وكان أعور فجعل أعرابي يطيل النظر إليه حابسا نفسه عن طعامه فكلمه المغيرة في ذلك فقال له والله إني ليعجبني طعامك وتريبني عينك قال فما يريبك من عيني قال أعور وأراك تطعم الطعام وهذه صفة الدجال فقيل له إن عينه أصيبت في فتح الروم فقال إن الدجال لا تصاب عينه في سبيل الله وعن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ انه قال من قاد أعمى أربعين خطوة لم تمسه النار وقال علي كرم الله وجهه ربما أخطأ البصير قصده وأصاب الأعمى رشده وقال أبو علي البصير

لئن كان يهديني الغلام لوجهتي * ويقتادني في السير إذ أنا راكب

لقد يستضيء القوم بي في وجوههم * ويخبو ضياء العين والقلب ثاقب

(وقال) إذا عدمت طلابة العلم ما لها * من العلم إلا ما تسطر في الكتب

غدوت بتشمير وجد عليهم * ومحبرتي سمعي وها دفتري قلبي

(وقال) ان يأخذ الله من عيني نورهما * ففي لساني وسمعي منهما نور

فهمي ذكي وقلبي غير ذي غفل * وفي فمي صارم كالسيف مشهور

(وقال) عزاءك أيها العين السكوب * وحقك إنها نوب تنوب

وكنت كريمتي وسراج وجهي * وكانت لي بك الدنيا تطيب

على الدنيا السلام فما لشيخ * ضرير العين في الدنيا نصيب

يموت المرء وهو يعد حياً * ويخلف ظنه الأمل الكذوب

إذا ما مات بعضك فابك بعضاً * فان البعض من بعض قريب

(وحكي) أن ربيعة رمدت عينه فأرسل الى امرأة كان يحبها ثم أنشد يقول

أدبه (ومن هذا القبيل) ماوقع في عصرنا لعوض بيك الأسعد رحمه الله تعالى أنه حين بدا تغير ابراهيم باشا سر عسكر الدولة المصرية على بكوات عكا وكان جالسا على دكان في سوق العقادين من طرابلس الشام وكان أحد أمراء الالايات جالسا على دكان يقابله فكتب له أمير الالاي يهدده ضمنا بقول عنترة من قصيدة وأرسل يقول له انظر خطي وهو

لي النفوس وللطير اللحوم وللوحش العظام وللخيالة السلب

فأجابه بقوله من القصيدة بعينها وأرسل يقول له انظر خط من أحسن

ان كنت تعلم يانعمان أن يدي قصيرة عنك فالأحوال تنقلب

(وكتب العلامة زين الدين بن الوردي) الى قاضي القضاة الكمال البارزي وقد كان عزله من منصب القضاء وولى أخاه

حملتني وأخي تباريح البلا
وتركتنا ضدين مختلفين
ياحي عالم عصرنا وزماننا
ألك التصرف في دم الاخوين

فأجابه بقوله

أبا عمر انزجر عن مثل هذا
فأحمد بالولاية مطمئن
فان يك فيك معرفة وعدل
فأحمد فيه معرفة ووزن

(قال صاحب التالد والطريف) وأذكر لك هنا حكاية لطيفة فيها لفظ أمرع من كلام الخصيب أبي محمد أغرب فيه وأبدع كنت أقرأ عليه زمن الحداثة فذكر له أنني أزن الشعر فاخبرني بكلام هذا نصه أدام الله عزك ان بيني و بينك ماشددت عليه من بعد ذلك راحتي و بحق ذاكم علينا فاعلموا من ود أمرع والحمد لله وقال لي اخرج من هذا الكلام بيتين تامين فقلت له هذا الشعر من بحر الوافر وآخر البيت الأول حرف العين من بعده وآخره أمرع فقال أحسنت انتهى (وذكر ابن خلكان في تاريخه) أنه كان بين الملك العادل نور الدين و بين أبي الحسن سنان صاحب قلاع الاسماعيلية ومقدم الفرق الباطنية مكاتبات ومحاورات فكتب اليه نور الدين كتابا يهدده فيه و يتوعده بسبب اقتضى ذلك فشق على سنان فكتب جوابه نثرا وأبياتا منها

يا ذا الذي بقراع السيف هددني * لاقام مصرع جنبي حين تصرعه
قام الحمام الى البازي يهدده * واستيقظت لاسود البر أضبعه

وقفنا على تفصيله وجمله وعلمنا ماهددنا به من قوله وعمله فيالله العجب من ذبابة تطن في أذن فيل و بعوضة تعض في التماثيل ولقد قالها من قبلك قوم آخرون فدمرنا عليهم وما كان لهم ناصرون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وهي عجيبة طويلة

عينا ربيعة رمداوان فاحتسي * بنظرة منك تشفيه من الرمد
ان تكتحل بك عيناه فلا رمد * على ربيعة يخشى آخر الأمد

وعن عبد الرحمن بن قيس عن النبي ﷺ أنه قال داء الأنبياء الفالج واللقوة قال الجاحظ ومن المفاليج سيد ادريس عليه الصلاة والسلام وأكثر مايعتري المتوسطين من الناس لأن الشاب كثير الحرارة والشيخ كثير اليبس وقيل ان أبان بن عثمان كان أفلج حتى صار مثلا فكانت الناس تقول لارماك الله بفالج ابن عثمان وكان معاوية ألوق وعبد الملك بن مروان أبخر وحسان أعمى وابن سيرين أصم وممن فلج ابن أبي داود قاضي قضاة المعتصم كان من الشرف والكرم بمنزلة عظيمة قد ضرب المثل بفالجه قال الشاعر في رجل ضرب غلامه

أتضرب مثله بالسوط عشرا * ضربت بفالج ابن أبي داود

وشجة عبد الحميد كانت مثلا في الحسن وهو عبد الحميد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهم وكان بارعا في الحسن والجمال فزادته حسنا الى حسنه حتى أن النساء كن يخططن في وجوههن شجة عبد الحميد وكان يقال لعمر بن عبد العزيز أشج بني أمية وكان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول ان من ولدي رجلا بوجهه أثر في جبهته قال أصبغ الله أكبر هذا أشج بني أمية يملأ الارض عدلا وقال أعور لأبي الاسود ما الشيء ونصف الشيء ولاشيء فقال أما الشيء فالبصير كأنا وأما اللاشيء فالأعمى وأما نصف الشيء فأنت ياأعور اللهم اكفنا شر العاهات برحمتك ومنك وكرمك آمين

(الفصل الثالث من هذا الباب في التداوي من الأمراض والطب) قال رسول الله ﷺ تداووا فان الذي أنزل الداء أنزل الدواء وقال ﷺ ما أنزل الله داء الا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله وسئل رسول الله ﷺ عن الدواء والرقى هل يردان شيئا من قضاء الله تعالى قال هما من قدر الله تعالى وقال عبد الله بن عكرمة عجبت لمن يحتمي من الطعام خوف الداء ولا يحتمي من الذنوب خوف النار وقيل ان الربيع بن خيثم لما مرض قالوا الا ندعو لك طبيبا فقال لهم ان مرضي من الطبيب وانه متى أراد عافاني ولا حاجة لي بطبيبكم وأنشد

فأصبحت لا أدعو طبيبا لطبه * ولكنني أدعوك يامنزل القطر

غريبة (قال صاحب التالد والطريف) أنشدت بعض الاخوان الظرفاء بيتى ذى القرنين بن حمدان الحمدانى وهما

انى لاحسد لافى أسطر الصحف اذا رأيت اعتناق اللام للالف

وما أظنهما طال اعتناقهما الا لما لقيا من شدة الشغف

فلما سمعهما قال وقد وقع لى فى هذين البيتين حكاية لطيفة غريبة ظريفة وهى أنى كنت أحب غلاما لطيفا أديبا ظريفا فكتبت له صورة لام ألف لا وقصدت بها ماقاله الشاعر فى البيتين فكتب ل ا مفترقين هكذا وقصد أذيق بها وأرسلها الى كأنه يقول لاأمكنك من عناق أبدا فكتبت له لفظ لام هكذا وأردت مقلوب ذلك فكتب لامتصلة هكذا وأرسلها الى فعلمت بذلك رضاه وتعجبت (٢٧٤) من فهمه وحذقه فلما اجتمعنا عتب على وقال عميت الامر على وأتعبتنى قلت

﴿ وعاد الفرزدق مريضا فقال ﴾

ياطالب الطب من داء تخوفه * ان الطبيب الذى أبلاك بالداء

فهو الطبيب الذى يرجى لعافية * لامن يذيب لك الترياق بالماء

قال ولما مرض بشر الحافى رحمه الله تعالى قالوا ندعوا لك طبيبا فقال انى بعين الطبيب يفعل بى مايريد وألح عليه أهله وقالوا لابد أن ندفع ماءك الى الطبيب فقال لاخته ادفعى اليهم الماء فى قارورة وكان بالقرب منهم رجل ذمى وكان حاذقا فى الطب فاتوه بمائه فى القارورة فلما رآه قال حركوه فحركوه ثم قال ضعوه ثم قال ارفعوه فقالوا له مابهذا وصفت لنا قال وبم وصفت لكم قالوا بالحذق والمعرفة قال هو كما تقولون غير أن هذا الماء ان كان ماء نصرانى فهو راهب قد فتتت كبده العبادة وان كان مسلما فهو ماء بشر الحافى فانه أوحد أهل زمانه فى السلوك مع الله تعالى قالوا هو ماء بشر الحافى فاسلم النصرانى وقطع زناره فلما رجعوا الى بشر قال لهم أسلم الطبيب فقالوا ومن أعلمك قال لما خرجتم من عندى هتف بى هاتف وقال يا بشر ببركة مائك أسلم الطبيب وصار من أهل الجنة * وفلج الربيع بن خيثم فقيل له هلا تداويت فقال قد عرفت أن الدواء حق ولكن عاد وثمود وقرون بين ذلك كثيرا كانت فيهم الاوجاع كثيرة والاطباء أكثر فلم يبق المداوى ولا المداوى وقد أبادهم الموت ثم قال هذا المفرد

هلك المداوى والمداوى والذى * جلب الدواء وباعه والمشترى

وقيل لجالينوس حين نهكته العلة أما تتعالج فقال اذا كان الداء من السماء بطل الدواء من الارض واذا نزل قضاء الرب بطل حذر المربوب ومرقوه بماء من مياه العرب فوصف لهم ثلاث بنات مطيبات وهن من أجمل الناس فاحبوا أن يروهن فحكوا ساق أحدهم حتى أدموها ثم قصدوهن فقالوا هذا جريح مريض فهل من طبيب فخرجت صغراهن وهى كأنها الشمس الطالعة فلما رأت جرحه قالت ليس هو بمريض بل خدشه عود بالت عليه حية فاذا طلعت الشمس مات فكان الامر كما قالت وقيل دواء كل مريض بعقاقير أرضه فان الطبيعة تتطلع لهوائها وقالوا من قدم الى أرض غير أرضه وأخذ من ترابها وجعله فى مائها وشربه لم يمرض فيها وعوفى من وبائها واحتمى أحمد بن المعدل لعلة أصابته فبرىء فقال الحمية طالع الصحة لاهل الدنيا تبرئهم من المرض ولاهل الآخرة تبرئهم من النار وقيل ان الابدان المعتادة بالحمية آفتها التخليط والمعتادة بالتخليط آفتها

مثلك يصلح للمنادمة والمجالسة اه (قلت) وهذه الحكاية تشبه أن تكون عن أبى زيد السروجى أو من باب التجريد (قلت) مثل هذين البيتين المتقدمين قول القائل

يامن اذا قرأ الانجيل ظل به قلب الحنيف عن الاسلام منحرفا

انى رأيتك فى نومى تعانقنى كما تعانق لام الكاتب الالفا

وقولى من قصيدة

ان تنأ عمن يعانى فيك كل عنا

فحسبه صوب دمع للنوى وكفا

بالحب صيرت لاماقامتى أترى يوما تعانق من أعطافك الالفا

(وما أرق قول بعضهم فى المعنى)

حكت قامتى لاماوقامة منيتى

حكت ألفا والوصل قلت مسائلا اذا اجتمعت لامى مع الالف * التى حكتك قواما مايصير فقال لا الحمية

(ذكر ابن خلكان فى تاريخه) انه اجتمع الامام أبو بكر محمد بن الامام داود الظاهرى وأبو العباس بن شريح فى مجلس الوزير الجراح فتناظرا فقال ابن شريح أنت الذى تقول من كثرة لحظاته دامت حسراته أنا أبصر منك بالكلام فقال له أبو بكر لئن قلت ذلك فانى أقول أنزه فى روض المحاسن مقلتى وأمنع نفسى أن تنال المحرما وأحمل من ثقل الهوى مالوانه يصب على الصخر الاصم تهدما * وينطق طرفى عن مترجم خاطرى * فلولا اختلاسى رده لتكلما * رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم فما ان أرى حبا صحيحا مسلما فقال له ابن شريح ولم تفتخر على ولو شئت أنا أيضا لقلت ومسامر بالغنج من لحظاته

قد بت أمنعه لذيذ سناته ضنا بحسن حديثه وغنائه وأكرر اللحظات فى وجناته

حتى اذا ما الصبح لاح عموده ولى بخاتم ربه وبراته

فقال أبو بكر يحفظ الوزير عليه ذلك حتى يقيم شاهدى عدل انه ولى بخاتم ربه فقال ابو العباس بن شريح يلزمنى من ذلك ما يلزمك فى قولك أنزه فى روض المحاسن مقلتى * وأمنع نفسى أن تنال المحرما فضحك الوزير وقال جمعتما لطفا وظرفا وفهما وعلما اه (وذكر أبو بكر الخطيب) أنه كان فى مدينة بغداد محلة تسمى باب الطاق كان بها سوق الطير يزعمون أنه من عسر عليه أمر أطلق طيرا فتيسر أمره فمر عبدالله بن طاهر وقد طال مكثه فى بغداد ولم يأذن له الخليفة بالذهاب فمر بذلك السوق فرأى قمرية تنوح فأمر بشرائها فامتنع صاحبها فدفع له بها خمسمائة درهم فاشتراها وأطلقها فى ذلك السوق وأنشد يقول

ناحت مطوقة بباب الطاق * فجرت سوابق دمعى المهراق
كانت تغرد بالاراك وربما * كانت تغرد فى فروع الساق
فرمى الفراق بها العراق فأصبحت * بعد الاراك تنوح فى الأسواق
فجعت بافراغ فاسبل دمعها * ان الدموع تبوح بالاشواق
تعس الفراق وبت حبل متينه * وسقاه من سم الاساود ساق
ماذا أراد بقصده قمرية * لم تدر ما بغداد فى الآفاق
بى مثل ما بك ياحمامة فاسألى * من فك أسرك أن يحل وثاقى

قيل انه فى ثانى يوم أطلق ورجع إلى بلاده (وحكى عن خالد الكاتب) انه قال جاءنى يوما رسول ابراهيم فسرت اليه فوجدته على فرش قد غاص فيها فاستجلى وقال أنشدنى من أجود شعرك فأنشدته

رأت منه عينى منظرين كما رأت * من الشمس والبدر المنير على الأرض
عشية حيانى بورد كأنه * خدود أضيفت بعضهن الى بعض
ونازعنى كاسا كأن حبابها * دموعى لما صد عن مقلتى غمضى
وراح فكل الراح فى حركاته * كفعل نسيم الريح فى الغصن الغض

فزحف حتى صار فى ثلثى الفراش وقال يافتى شبهوا الخدود بالورد وأنت شبهت الورد بالخدود فزدنى فأنشدته

عاتبت نفسى فى هواك فلم أجدها تقبل * وأطعت داعيها اليك ولم أطع من يعذل
لا والذى جعل الوجو * ه بحسن وجهك تمثل لاقلت ان الصبر عنك من الصبابة أجمل

فزحف حتى انحدر من الفراش واستخف طربا ثم قال لخادمه كم معك لنفقتنا قال ثمانمائة وخمسون درهما فقال له اقسمها بينى وبين خالد فدفع لى نصفها وانصرفت (لطيفة) جاز بعض اللطفاء على باب دار فعزمه شيخها وأدخله عنده وأجلسه فى المكان منفردا ثم استدعى بجاريتين احداهما صفراء والاخرى سوداء ودفع لكل واحدة مزهرا وقال لهما أضربا له عليهما وغنيا وشاغلاه ثم ذهب الشيخ وبقى الضيف

الحمية لان الحكماء تقول عودوا كل جسد بما اعتاد وكان كسرى أنوشروان يمسك عما تميل اليه شهوته ولا ينهمك عليه ويقول تركنا ما نحبه لنستغنى عن العلاج بما نكرهه وقال لقمان لا تطيلوا الجلوس على الخلاء فانه يورث الباسور وكانت هذه الحكمة مكتوبة على أبواب الحشوش أى الكنف وقيل كفى بالمرء عاراً أن يكون صريع مأكله وقتيل أنامله

فكم أكلة أكلت نفس حر * وكم أكلة جلبت كل ضر

وقيل من غرس الطعام أثمر الاسقام وعن بعض أهل البيت النبوى عليهم السلام انه كان اذا أصابته علة جمع بين ماء زمزم والعسل واستوهب من مهر أهله شيئا وكان يقول قال الله تعالى وأنزلنا من السماء ماء مباركا وقال تعالى فيه شفاء للناس وقال عليه الصلاة والسلام ماء زمزم لما شرب له وقال تعالى فان طبن لكم عن شىء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا فمن جمع بين ما بورك فيه وبين ما فيه شفاء وبين الهنى المرى يوشك أن يلقى العافية وقيل خمسة من المهلكات دخول الحمام على الشبع والمجامعة على الشبع وأكل القديد وشرب الماء البارد على الريق ومجامعة المرأة العجوز وقال لا تنكح العجوز ولا تخرج الدم وأنت مستغن عن اخراجه وقال الامام على رضى الله عنه

توق مدى الأيام ادخال مطعم * على مطعم من قبل هضم المطاعم
وكل طعام يعجز السن مضغه * فلا تقربنه فهو شر المطاعم
ووفر على الجسم الدماء فانها * لقوة جسم المرء خير الدعائم
واياك أن تنكح طواعن سنهم * فان لها سما كسم الاراقم
وفى كل أسبوع عليك بقيئة * تكن آمناً من شر كل البلاغم

ومما يورث الهزل النوم على غير وطاء وكثرة الكلام برفع الصوت وقال النظام رحمه الله تعالى ثلاثة تخرب العقل طول النظر فى المرآة وكثرة الضحك والنظر الى النجوم وفى الحديث احتجم رسول الله ﷺ فى أم مغيث وهى وسط الرأس وكان ﷺ يحتجم فى الأخدعين ونهى عن الحجامة فى نقرة القفا فانها تورث النسيان وأمر بالاستنجاء بالماء البارد فانه أمان من الباسور وخطب المأمون بمسجد مروان فوجد غالب أهل المسجد يشكون السعال فقال فى آخر خطبته من كان يشكو سعالا فليتداو بالخل ففعلوا فعافاهم الله وقال بعض الحكماء اياك أن تطيل النظر فى عين أرمد واياك أن تسجد

والجاريتان فلما اشتد به الجوع ومضى النهار ولم ير للطعام رائحة كتب فى مكان الشيخ هذين البيتين

يادعوة كانت علينا دعوة * عز الطعام بها وغيض الماء
سودا وصفرا كلما غنين لى * لعبت بى السوداء والصفراء

(يحكى) أن شهاب الدين الخفاجى المصرى شرب الدخان هو وجماعة فاعترض عليهم شيخى زاده فكتب له الشهاب بقوله

اذا شرب الدخان فلا تلمنا * وجد بالعفو ياروض الامانى
تريد مهذبا لاعيب فيه * وهل عود يفوح بلا دخان

(فأجابه شيخى أفندى بقوله)

إذا شرب الدخان فلا تلمنى * على لومى لأبناء الزمان
أريد مهذبا من غير ذنب * كريح المسك فاح بلا دخان

(وحكى) عن شرف الدين بن الشريحى أنه اجتمع هو وشهاب الدين فى ليلة أنس عند الملك الناصر فاتفق ان قام شرف الدين الى الطهارة وعاد فأمره الناصر بالاشارة ان يصفع شهاب الدين فلما صفعه أمسك التلعفرى بذقن شرف الدين وأنشد سريعا وذقنه بيده

قد صفعنا بذا المحل الشريف * وهو ان كان يرتضى تشريفى
فارث للعبد من مصيف طباع * يار بيع الندى والا خريفى

فانقلب المجلس ضحكا (وروى) أن ابن القطان الشاعر البغدادى دخل ذات يوم على الوزير الرضى وعنده الحيص بيص الشاعر المشهور فقال ابن القطان قد نظمت بيتين لا يمكن أن يعمل لهما ثالث لانى قد استوفيت المعنى فيهما فقال له الوزير ماهما فانشده

زار الخيال بخيلا مثل مرسله * فما شفانى منه الضم والقبل
مازارنى قط إلا كى يوافقنى * على الرقاد فينفيه ويرتحل

فقال الوزير للحيص بيص ومادرى أن نومى حيلة نصبت لطيفه حين أعيا اليقظة الحيل (ومما يشاكل ذلك) ماتفق للوزير القوصى وقد أنشد ابن المرصص بيتين بين يديه نظمهما فى جارية حسناء كاملة المعانى والاوصاف وزعم أنه لاثالث لهما وهما

تبدت فهذا البدر منكسف بها * وحقك مثلى فى دجى الليل حائر
وماست فشق الغصن غيظا ثيابه * ألست ترى أوراقه تتناثر

فاطرق الوزير يسيرا وقال

وفاحت فألقى العود فى النار نفسه * كذا نقلت عنه الحديث المجامر
وقالت فغار الدر واصفر لونه * كذلك مازالت تغار الضرائر

على حصير جديدة قبل ان تمسها بيدك فرب شظية حقيرة قلعت عينا خطيرة وقيل كانت الادوية تنبت فى محراب سليمان عليه الصلاة والسلام ويقول كل دواء يانبى الله انا دواء لكذا وكذا وقال جالينوس البطنة تقتل الرجال وتورث الفالج والاسهال الذريع والاقعاد وصنفا من الجذام يقال له الفهد لايسمع صاحبه ولا يبصر نسأل الله العفو والعافية وقيل البطنة تورث الصداع والكنة فى العينين والضربان فى الاذنين والقولنج فى البطن فعليك ايها الانسان بالطريقة الوسطى واتق الليل وطعامه جهدك وقال جالينوس الغم المفرط يميت القلب ويجمد الدم فى العروق فيهلك صاحبه والسرور المفرط يلهب حرارة الدم حتى يغلب الحرارة الغريزة فيهلك صاحبه وقيل انه وضع على مائدة المأمون فى يوم عيد أكثر من ثلاثين لونا فكان يصف وهو على المائدة منفعة كل لون ومضرته فقال يحيى بن أكثم ياأمير المؤمنين ان خضنا فى الطب فانت جالينوس فى معرفته أو فى النجوم فانت هرمس فى صناعته أو فى الفقه فانت على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فى علمه أو فى السخاء فانت حاتم فى كرمه أو فى الحديث فانت أبو ذر فى صدق لهجته أو فى الوفاء فانت السموءل بن عادياء فى وفائه فسر بكلامه وقال ياأبا محمد انما فضل الانسان على غيره بالعقل ولولا ذلك لكانت الناس والبهائم سواء وقال طبيب الهند إن منفعة الحقنة للجسد كمنفعة الماء للشجر وقال سفيان بن عيينة أجمع أطباء فارس على ان الداء ادخال الطعام على الطعام وقالوا ادخال اللحم على اللحم يقتل السباع فى البر وقيل الشرب فى آنية الرصاص أمان من القولنج وعرض رجل على طبيب قارورته فقال له ماهى قارورتك لانه ماء ميت وأنت حى تكلمنى فما فرغ من كلامه حتى خر الرجل ميتا وقيل ان ملكا من الملوك حصل عنده صداع فى رأسه فأحضر الطبيب فأمره أن يضع قدميه فى الماء الحار وكان عنده خصى فقال أين القدمان من الرأس فقال له الطبيب وأين وجهك من خصيتيك نزعتا فذهبت لحيتك وقيل ان المأمون حصل له صداع بطرسوس فأحضر طبيبا كان عنده فلم ينفعه علاجه فبلغ قيصر فأرسل اليه قلنسوة وكتب له بلغنى صداعك فضعها على رأسك يزل مابك فخاف ان تكون مسمومة فوضعها على رأس القاصد فلم يصبه شىء ثم إنه احضر رجلا به صداع فوضعها على رأسه فزال مابه فتعجب المأمون ثم انه فتحها فوجد فيها رقعة مكتوبا فيها بسم الله الرحمن الرحيم كم من نعمة لله تعالى فى عرق ساكن وغير ساكن حمعسق لايصدعون عنها ولا ينزفون من كلام الرحمن خمدت النيران

وكان فى المجلس النواجى الشاعر فأنشد ارتجالا وغنت فظل الجنك يطرق نفسه وجادت لها بالروح منهـا المزامر
ومن لحظهـا الهنـدى فى غمـده اختفى وظبى الفلا فى لفتة وهو نافر ومن وجنتيها الورد راح بخجلة
ألست تراه أحمـر أو هـو فاتر ومن ريقها الصهبا شكت نارشوقها فاطفأهـا بالماء ساق مساعر

﴿ ذكر ابن شاكر الكتبى ﴾ فى تاريخه فى ترجمة شمس الدين بن عفيف الدين التلمسانى أن جماعة من أهل الأدب اجتمعوا وعملوا سماعا وفيهم غلمان حسان فبعثوا منهم غلاما مليحا إلى الشيخ عفيف الدين يطلبون شمس الدين للحضور فلما جاء الرسول كتب عفيف الدين على يده أرسلتما لى رسولا فى رسالته حلو المراشف والاعطاف والهيف وقد تمادى يسير اذاك انكما أوقدتما النار فى أحشاء ذى دنف فلما حضر والده شمس الدين وأخبره بالقضية كتب إلى ولده مولاى كيف انثنى عنك الرسول ولم تكن لوردة خديه بمقتطف جاءتك من بحر ذاك الحسن لؤلؤة فكيف ردت بلا ثقب إلى الصدف

(ومما نقلته من التاريخ المذكور) أن علية بنت المهدى العباسية أخت أمير المؤمنين هرون الرشيد كانت من أحسن خلق الله وجها وأظرف النساء وأعقلهن ذات صيانة وأدب بارع تزوجها موسى ابن عيسى العباسى وكان الرشيد يبالغ فى اكرامها واحترامها ولها ديوان شعر عاشت خمسين سنة وتوفيت سنة عشر ومائتين وكان سبب موتها أن المأمون سلم عليها وضمها إلى صدره وجعل يقبل رأسها ووجهها مغطى فشرقت من ذلك وماتت بعد أيام يسيرة وكانت تتغزل بشعرها فى خادمين اسم الواحد طل والآخر رشاء فمن قولها فى طل وصحفت اسمه

أيا سروة البستان طال تشوقى فهل لى الى ظل لديك سبيل
متى يلتقى من ليس يقضى خروجه وليس لمن يهوى اليه وصول

فبلغ الرشيد ذلك فحلف أنها لا تذكره أبدا ثم تسمع عليها الرشيد يوما فوجدها وهى تقرأ فى آخر سورة البقرة حتى بلغت قوله تعالى فان لم يصبها وابل فقالت فان لم يصبها وابل فالذى نهى عنه أمير المؤمنين فدخل الرشيد وقبل رأسها وقال لها قد وهبتك طلا ولا منعتك بعد هذا عما تريدين وكانت من أعف الناس كانت إذا طهرت لازمت المحراب وان لم تكن طاهرة غنت ولما خرج الرشيد الى الرى أخذها معه فلما وصل الى المرج نظمت قولها ومغتر بالمرج يبكى لشجوه وقد غاب عنه المسعدون على الحب

النيران ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وقال على رضى الله تعالى عنه ادهنوا بالبنفسج فانه حار فى الشتاء بارد فى الصيف وقال أيضا رضى الله عنه عليكم بالزيت فانه يذهب البلغم ويشد العصب ويحسن الخلق ويطيب النفس ويذهب الغم وعنه رضى الله عنه ان لم يكن فى شئ شفاء ففى شرطة حاجم أو شربة من عسل وقال الحجاج لطبيبه أخبرنا بجوامع الطب فقال لا تنكح الا فتاة ولا تأكل من اللحم الا فتيا واذا تغديت فنم واذا تعشيت فامش ولو على الشوك ولا تدخل بطنك طعاما حتى تستمرئ مافيه ولا تأو الى فراشك حتى تدخل الخلاء وكل الفاكهة فى اقبالها وذرها فى ادبارها وأوصى حكيم خليفته وصية ووعده اذا لازمها لا يمرض الا مرض الموت فقال اياك أن تدخل طعاما على طعام ولا تمش حتى تعيا ولا تجامع عجوزا ولا تدخل حماما على شبع واذا جامعت فكن على حال وسط من الغذاء وعليك فى كل أسبوع بقيئة ولا تأكل الفاكهة الا فى أوان نضجها ولا تأكل القديد من اللحم واذا تغديت فنم واذا تعشيت فامش أربعين خطوة ونم على يسارك لتقع الكبد على المعدة فينهضم مافيها وتستريح الكبد من حرارة المعدة ولا تنم على يمينك فيبطئ الهضم ولا تأكل بشهوة عينيك بعد الشبع ولا تنم ليلا حتى تعرض نفسك على الخلاء ان احتجت الى ذلك أو لم تحتج واقعد على الطعام وأنت تشتهيه وقم عنه وأنت تشتهيه قال بعضهم

شره النفوس على الجسوم بلية * فتعوذوا من كل نفس تشره
مامن فتى شرهت له نفس وان * نال الغنى الا رأى مايكره

وقال أبو الفيض القضاعى يمدح الفضل وقد فصد

أرقت دما لو تسكب المزن مثله * لأصبح وجه الارض أخضر زاهيا
دما طيبا لو يطلق الشرع شربه * لكان من الأسقام للناس شافيا

﴿ الفصل الرابع فيما جاء فى العيادة وفضلها ﴾ قال رسول الله ﷺ ثلاثة فى ظل العرش عائد المريض ومشيع الموتى وطائع والديه وفى رواية ومعزى الثكلى ومن السنة تخفيف الجلوس فى العيادة * مرض بكر بن عبد الله المزنى فعاده أصحابه فأطالوا الجلوس عنده فقال المريض يعاد والصحيح يزار قال الشاعر

يعدن مريضا هن هيجن داءه * ألا انما بعض العوائد دائيا

اذا ما أتاه الركب من نحو أرضه * تنشق يستسقى برائحة الركب

وغنت بهما فلما سمع الرشيد الصوت علم أنها قد اشتاقت الى العراق وأهلها فأمر بردها ومن شعرها

انى كثرت عليه فى زيارته فمل والشىء مملول اذا كثرا ورابنى منه أنى لا أزال أرى فى طرفه قصرا عنى اذا نظرا

انتهى ﴿لطيفة﴾ يحكى ان عبد الملك بن مروان جمع عمر بن أبى ربيعة وكثير عزة وجميل بثينة وأحضر لديه ناقة موقرة دراهم وقال ينشد كل واحد منكم بيتا فى الغزل فايكم كان أبدع فهى له بما عليها فقال جميل

ولو أن راقى الموت يرقى جنازتى بمنطقها فى العالمين حييت

وقال كثير

وسعى الى بعيب عزة نسوة جعل الاله خدودهن نعالها

(وقال عمر بن أبى ربيعة)

فليت الثريا فى المنام ضجيعتى لدى الجنة الخضراء أو فى جهنم

فقال له عبد الملك خذها ياصاحب جهنم والثريا هى بنت على بن عبد الله والاموية تزوجها سهل ابن عبد الرحمن بن عوف الزهرى فقال فيه عمر

أيها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان

هى شامية اذا ما استقلت وسهيل اذا استقل يمانى

وكان يتشبب بذكرها كثيرا (وحكى) أنها وعدته يوما فجاءت فى الوقت الذى وعدته به فصادفت أخاه الحرث قد نام مكانه فلم يشعر الحرث الا والثريا قد ألقت نفسها عليه فانتبه وجعل يقول أعزبى عنى فلست بالفاسق أخزاكما الله فانصرفت فلما جاء عمر أخبره الحرث بذلك فاغتم لفواتها وقال له أيم الله لا تمسك أبدا وقد ألقت نفسها عليك فقال له الحرث عليك وعليها لعنة الله ومات عمر بعد أن تاب وأحسن التوبة وقد عاش ثمانين سنة ويقال انه تغزل أربعين سنة وتنسك أربعين سنة رحمه الله تعالى * روى أنه عرضت جارية على الرشيد ليشتريها فطلب بها البائع مبلغا جليا فقال الرشيد أنا أعرض عليها بيتا ان أجابت عنه أعطيتك ما تقول وزدتك والتفت اليها وقال ماذا تقولين فيمن أرق من أجل حبك حتى صار حيرانا فقالت بديها

اذا رأينا محبا قد أضر به أمر الصبابة أوليناه احسانا

فاعجبه جوابها واشتراها ﴿ومن اللطائف﴾ ماحكى عن الشيخ يحيى المساحلى انه لما قدم دمشق الشام وقرأ فى الجامع

وقيل اذا دخل العواد على الملك فحقهم أن لا يسلموا عليه فيحوجوه الى رد السلام ويتعبوه فاذا علموا أنه لا حظهم دعواله وانصرفوا * قيل مرض انسان فكتب اليه بعض أصدقائه كشف الله عنك ما بك من السقم وطهرك بالعلة من الخطايا ومتعك بانس العافية وأعقبك دوام الصحة * ومرض انسان فكتب اليه صديقه

باخوانك الأدنين لا بك كل ما * شكوت الى القيام من ألم الورد

فكل امرىء منهم بقدر احتماله * وان عجزوا عنه تحملته وحدى

(وقال آخر) بى السوء والمكروه لا بك كلما * أراداك كانا بى وكان لك الأجر

﴿وقال عبد الله بن مصعب﴾

مالى مرضت فلم يعدنى عائد * منكم ويمرض كلبكم فأعود

فسمي بعد ذلك عائد الكلاب * وعاد مالك بن أنس رضى الله تعالى عنه بعض المرضى فقال

عادنى مالك فلست أبالى * بعد من عادنى ومن لم يعدنى

(وقال على بن الجهم) أراقد الليل مسرور أعدمت اذا * عيشى وأحمد يرعى ليله وصبا

الله يعلم أنى قد نذرت له * صيام شهر إذا ما أحمد ركبا

(وقال آخر) اذا مرضتم أتيناكم نعودكم * وتذنبون فنأتيكم ونعتذر

(وقال آخر) أعاذك الله من أشياء أربعة * الموت والعشق والافلاس والجرب

وقيل ان حق العيادة يوم بعد يوم أو يوم بعد يومين وعلى الاول قول الشاعر

قالت مرضت فعدتها فتبرمت * فهى الصحيحة والعليل العائد

والله لو أن القلوب كقلبها * مارق للولد الصغير الوالد

﴿وعلى الثانى قول بعضهم﴾

حق العيادة يوم بعد يومين * وجلسة مثل خلس اللحظ بالعين

لا تبرمن عليلا فى مساءلة * يكفيك من ذاك تسآل بحرفين

وفضل العيادة مشهور وشرفها مذكور وبها تعظم الأجور * وهذا ما انتهى الينا من هذا الباب والله الموفق للصواب

الباب

﴿الباب الحادى والثمانون فى ذكر الموت وما يتصل به من القبر وأحواله﴾

(روى) عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال قال رسول الله ﷺ إذ مات لاحدكم ميت فحسنوا كفنه وعجلوا انجازوصيته وأعمقوا له فى قبره وجنبوه جار السوء قيل يارسول الله وهل ينفع الجار الصالح فى الآخرة قال وهل ينفع فى الدنيا قالوا نعم قال وكذلك فى الآخرة ومن وصية على رضى الله عنه لأبى ذر زر القبور تذكر بها الآخرة ولا تزرها بالليل وغسل الموتى يتحرك قلبك وصل على الجنائز لعل ذلك يحزنك فان الحزين فى ظل الله تعالى ويقال جزعك فى مصيبة صديقك أحسن من صبرك وصبرك فى مصيبتك أحسن من جزعك * ونظر فيلسوف إلى ميت يحمل الى قبره فقال حبيب تحمله أهله الى حبس الأبد ودخل عمرو بن العاصى رضى الله عنه على معاوية فى مرضة مرضها فقال له أعائد أنت أم شامت فقال له عمرو لم تقول هذا والله ما كلفتنى رهقا ولا أصدعتنى زلقا ولا جرعتنى علقا فلم استطل حياتك ولم استبطىء وفاتك فأنشد معاوية يقول

فهل من خالدين إذا هلكنا * وهل فى الموت بين الناس عار

لما مرض معاوية رضى الله عنه مرضه الذى مات فيه وفد اليه الناس يعودونه فقال لأهله مهدوا الى فراشا واسندونى وأوسعوا رأسى دهانا ثم اكحلوا عينى بالاثمد ثم ائذنوا للناس يدخلوا ويسلموا على قياما ولا تجلسوا عندى أحداً ففعلوا ذلك فلما خرجوا من عنده أنشد يقول

وتجلدى للشامتين أريهم * أنى لريب الدهر لا أتضعضع
واذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

وقيل لما دنا منه الموت تمثل بهذا البيت

هو الموت لا منجى من الموت والذى * نحاذر بعد الموت أدهى وأفظع

قال ثم رفع يديه وقال اللهم أقل العثرة واعف عن الزلة وعد بحلمك على من لم يرج غيرك ولا يثق الا بك فانك واسع المغفرة وليس لذى خطيئة منك مهرب ومات رحمه الله تعالى * وذكر بو العباس الشيبانى قال وفد على أبى دلف عشرة من أولاد على بن أبى طالب رضى الله عنه فى العلة التى مات فيها فأقاموا ببابه شهرا لا يؤذن لهم لشدة العلة التى أصيب بها ثم أفاق فقال لخادمه بشر إن قلبى يحدثنى ان بالباب قوما لهم الينا حوائج فافتح الباب ولا تمنعن أحدا قال فكان أول من دخل آل على رضى الله عنه فسلموا عليه ثم

الأموى نظر الى غلام بديع الجمال فوقع حبه فى قلبه فافتتن به فسأل عنه فأخبر عن أبيه وكان ممن يتردد الى الشيخ فاجتمع معه وقال له لم لا تحضر ولدك يتعلم عندى العلم فقال له انه يحضر علم الحساب عند بعض المشايخ فقال أنا أقرأ قبل شيخه فاذا حضر عندى يكون محصلا للفضيلتين فأجابه لذلك وأمر ابنه بما ذكر فتوجه الغلام عند الشيخ يحيى فأجلسه بجانبه وأطال القراءة فى ذلك اليوم أكثر من الأيام الماضية فلما انقضى الدرس وأراد الغلام الانصراف لقراءة علم الحساب دفع له الشيخ يحيى رقعة وقال له ادفعها الى شيخك فلما حضر قال له ما أبطأك عن الحضور فأخبره بالقصة ودفع له الرقعة فاذا فيها

يا جاعلا علم الحساب وسيلة * تصطاد فيه فاتن الالباب
كنت فى علم الحساب رزقته * فالله يرزقنا بغير حساب

فكتب له على ظهر الرقعة وأمره أن لا يحضر عنده بعدها فأخذ الغلام الرقعة ودفعها للشيخ يحيى فاذا فيها

لهوت به ظبيا غريرا مهفهفا * ومذ صار تيسا بعته المساكى

(ومما نقلته) أن أحد امراء العرب كان عنده جماعة من أجلاء العرب فقام صاحب المنزل الى الطهارة وعاد وهو قابض بيده على شىء من تحت ثوبه كهيئة المستبرىء من البول ودخل على الجماعة وهو على تلك الصفة وقال من يأخذ الذى بيده الى زوجته فأطرق القوم خجلا فقام رجل منهم وقال زوجتى أولى به يا أمير العرب فأطلق الأمير يده وقال هو لك خذه واذا بعقد مجوهر فى يده فبهت القوم وحسدوا الرجل فقال الأمير للرجل ما أجرأك على ذلك قال ثقتى انه لا يظهر منك الا الكمال فدفع له ألف دينار ﴿ ذكر ابن خلكان ﴾ فى تاريخه فى ترجمة يحيى ابن أكثم ما نصه رأيت فى بعض المجاميع أنه أى يحيى بن أكثم مازح الحسن بن وهب وهو يومئذ صبى ثم جمشه فغضب الحسن فانشد يحيى

أياقمرا أجمشته فتغضبا * وأصبح لى من تيهه متجنبا
إذا كنت للتجميش والعض كارها * فكن أبدا ياسيدى متنقبا
ولا تظهر الاصداغ للناس فتنة * وتجعل منها فوق خديك عقربا
فتقتل مشتاقا وتفتن ناسكا * وتترك قاضى المسلمين معذبا

﴿ قال صاحب التالد والطريف ﴾ أنشد الشيخ أبو اسحق الشيرازى إمام الشافعية لنفسه

جاء الربيع وحسن ورده * ومضى الشتاء وقبح برده
فاشرب على وجه الحبيـ * ـب وجنتيه وحسن خده

قال ابن السمعانى قال لى المظفر شعيب بن الحسين القاضى أنشدنى الشيخ

أبواسحق الشيرازى هذين البيتين لنفسه ثم بعدمدة كنت جالساعند الشيخ فذكر بين يديه أن هذين البيتين أنشدا عند القاضى عين الدولة حاكم صور بلد على ساحل بحر الروم فقال لغلامه أحضر ذاك الشأن يريدالشراب فقد أفتانا به الامام أبو اسحق فبكى الشيخ ودعا على نفسه وقال ليتنى لم أقل هذين البيتين ثم قال لى كيف تردها من أفواه الناس فقلت ياسيدى هيهات وقد سار بهما الركبان أورد ذلك ابن النجار فى تاريخه واسمه محمد و يلقب بمحب الدين انتهى (لطيفة) حكى الصفدى رحمه الله بالوافى فى الوفيات أن أباالحسين الجزار رحمه الله تعالى سأله طلبته يوما التنزه فقالوا له ياسيدى أنت أجدر بشراء اللحم منا فتقدم للجزار وأطلعه من مكانه ووقف هو وأخذ السكين وقطع قطعا ثم انه قطع قطعة رديئة فقالوا له ياسيدى هذه ليست جيدة فقال الشيخ معتذرا والله ياأولادى لما وقفت خلف القرمة أدركنى لؤم الجزارين ﴿ قصد ﴾ ابن عيينة قبيصة المهلبى واستماحه فلم يسمح له بشىء فانصرف مغضبا فتوجه اليه داود بن زيد ابن حاتم فترضاه وأحسن إليه فقال فى ذلك

داود محمود وأنت مذمم * عجبا لذاك وأنتما من عود

ولرب عود قد يشق لمسجد * نصفا وباقيه لحش يهودى

فالحش له أنت وذاك بمسجد * كم بين موضع مسلح وسجود

(وله هجاء فى خالد)

أبوك لنا غيث نعيش بوبله * وأنت جراد لست تبقى ولا تذر

له أثر فى المكرمات يسرنا * وأنت تعفى دائما ذلك الأثر

﴿ ولما قتل ﴾ جعفر بن يحيى بكى عليه أبى نواس فقيل له أتبكى على جعفر وأنت هجوته فقال كان ذلك لركوبه الهوى وقد بلغه والله إنى قلت

ولست وان أطنبت فى وصف جعفر * بأول إنسان خرى فى ثيابه

فكتب يدفع اليه عشرة آلاف درهم يغسل بها ثيابه

(ودخل) أبودلامة على المهدى وعنده اسماعيل بن على وعيسى بن موسى والعباس بن محمد وجماعة من بنى هاشم فقال له المهدى والله ان لم تهج واحدا ممن فى هذا البيت لاقطعن لسانك فنظر الى القوم وتحير فى أمره وجعل ينظر الى كل واحد فيغمزه بأن عليه رضاه قال أبودلامة فازددت حيرة فما رأيت أسلم لى من أن أهجو نفسى فقلت

ألا بلغ لديك أبا دلامه * فلست من الكرام ولا كرامه

جمعت دمامة وجمعت لؤما * كذاك اللؤم تتبعه الدمامه

دعا

ابتدأ الكلام رجل منهم من ولد جعفر الطيار فقال أصلحك الله من أهل بيت رسول الله ﷺ وفينا من ولده وقد حطمتنا المصائب وأجحفت بنا النوائب فان رأيت أن تجبر كسيرا وتغنى فقيرا لا يملك قطميرا فافعل فقال لخادمه خذ بيدى وأجلسنى ثم أقبل معتذرا اليهم ودعا بداوة وقرطاس وقال ليكتب كل منكم بيده انه قبض منى ألف دينار قالوا فبقينا والله متحيرين فلما أن كتبنا الرقاع ووضعناها بين يديه قال لخادمه على بالمال فوزن لكل واحد منا ألف دينار ثم قال لخادمه يابشر اذا أنا مت فادرج هذه الرقاع فى كفنى فاذا لقيت محمدا ﷺ فى القيامة كانت حجة لى أنى قد أغنيت عشرة من ولده ثم قال ياغلام ادفع لكل واحد منهم ألف درهم ينفقها فى طريقه حتى لا ينفق من الألف دينار شيئا حتى يصل الى موضعه قال فأخذناها ودعونا له وانصرفنا ثم مات رحمه الله وقيل لما دفن عمر بن عبد العزيز نزل عند دفنه مطر من السماء فوجدوا بردة مكتوبا فيها بالنور (بسم الله الرحمن الرحيم أمان لعمر بن عبد العزيز من النار) وقيل لاعرابى انك تموت قال والى أين أذهب قالوا إلى الله تعالى فقال لا أكره أن أذهب الى من لا أرى الخير الا منه وبكى الخولانى عند موته فقيل له ما يبكيك قال أبكى لطول السفر وقلة الزاد وقد سلكت عقبة ولا أدرى الى أين أهبط والى أى مكان أسقط ودخل ملك الموت على داود عليه السلام فقال له من أنت قال أنا الذى لا يهاب الملوك ولا تمنع منه القصور ولا يقبل الرشا فقال اذن أنت ملك الموت وانى لم أستعد بعد فقال له ياداود أين فلان جارك أين فلان قريبك قال ماتا قال أما كان لك فى موت هؤلاء عبرة لتستعد بها ثم قبضه عليه السلام (وفى الخبر) من حديث حميد الطويل عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال ان الملائكة تكتنف العبد وتحتبسه ولولا ذلك لكان يعدو فى الصحراء والبرارى من شدة سكرات الموت وقد أجمعت الامة على ان الموت ليس له زمن معلوم فليكن المرء على أهبة من ذلك * وقيل بينما حسان جالس وفى حجره صبى يطعمه الزبد بالعسل اذ شرق الصبى فمات فقال

اعمل وأنت صحيح مطلق فرح * مادمت ويحك يامغرور فى مهل

يرجو الحياة صحيح ربما كمنت * له المنية بين الزبد والعسل

وقيل ان المأمون لما قربت وفاته دخل عليه بعض أصدقائه فوجده قد فرش له جل دابة وبسط عليه الرماد وهو يتمرغ فيه ويقول يامن لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه (ولما) احتضر عمرو بن العاص

دعا ببغل وقيد وقال ألبسوني اياهما فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان التوبة مقبولة مالم يغرغر ابن آدم بنفسه ثم استقبل القبلة وقال اللهم إنك أمرتنا فعصينا ونهيتنا فارتكبنا وهذا مقام العائذ بك فان تعف فأنت أهل العفو وان تعاقب فبما قدمت يداى لا إله إلا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين ثم مات وهو مغلول مقيد فبلغ ذلك الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما فقال استسلم الشيخ ولعلها تنفعه (ولما) احتضر المعتصم جعلوا يهونون عليه فقال هان على النظارة ما يمر بظهر الجلود * سمع أبو الدرداء رجلا فى جنازة يقول من هذا فقال أنت فان كرهت فأنا وقيل مات عكرمة مولى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وكثير عزة فى يوم واحد فقال رجل اللهم كما جمعتهما فى زيارة القبور فلا تفرق بينهما يوم النشور فما بقى فى المدينة أحد الا استحسن كلامه (ولما احتضر ابراهيم الخليل) عليه الصلاة والسلام قال هل رأيت خليلا يقبض روح خليله فأوحى الله اليه هل رأيت خليلا يكره لقاء خليله قال فاقبض روحى الساعة * وقيل اذا قضى الله لرجل أن يموت بأرض جعل له اليها حاجة فيسيره اليها وقال بعضهم

اذا ماحمام المرء كان ببلدة * دعته اليها حاجة فيطير

(حكى) أن شابا نقيا من بنى اسرائيل كان يجتمع مع سليمان عليه السلام ويحضر مجالسه فبينما هو عند سليمان فى مجلسه اذ دخل ملك الموت عليه فلما رآه الشاب اصفر لونه وارتعدت فرائصه وقال يانبى الله انى خفت من هذا الرجل فمر الريح أن تذهب بى الى الهند فأمر سليمان الريح فذهبت به فما كان الا قليل حتى دخل ملك الموت على سليمان وهو متعجب فقال له سليمان مم تعجب قال أعجب أنى أمرت بقبض روح الشاب الذى كان عندك بأرض الهند ودخلت عليك فوجدته عندك فصرت متعجبا ثم توجهت الى الهند فرأيته هناك وقبضت روحه فهذا عجبى فقال له سليمان انه لما رآك خاف وانزعج وطلب منى أن تحمله الريح الى الهند فأمرتها فحملته وفى ذلك المعنى قال محمد بن الحسن

ومتعب الروح مرتاح الى بلد * والموت يطلبه فى ذلك البلد

وقيل ان الانسان يحصل له عند الموت قوة حركة نحو مايحصل للسراج عند انطفائه من حركة سريعة وضياء ساطع وتسميها الأطباء النعشة الأخيرة والله أعلم * وقيل ان الرشيد ماتت له جارية وكانت من خواص محاظيه فجزع عليها جزعا شديدا فقال لبعض أصدقائه أماترى ما بليت به ما احببت أحدا الامات فقال ياأمير المؤمنين أحببنى فقال ويحك ان الحب ليس هو شىء يصنع انما هو شىء يقع فى القلب تسوقه الأسباب فقال قل أنا أحبك قال نعم أنا أحبك قال فحم من وقته ومات وفى الحديث المرفوع كسر عظم الميت ككسره فى حياته وقال يزيد بن أسلم لقد كان يمضى فى الزمن الأول أربعمائة سنة مايسمع فيها بجنازة وعن ميمون بن مهران قال شهدت جنازة ابن عباس رضى الله عنه بالطائف فلما وضع ليصلى عليه جاء طائر أبيض حتى وقف على أكفانه ثم دخل فيها فالتمسناه فلم نجده ولما سوينا عليه التراب سمعنا من يسمع صوته ولا نرى شخصه يقول ياأيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك الآية وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان قبر آدم عليه السلام بمسجد الخيف بمنى وقال عطاء بلغنى أن قبره تحت المنارة التى وسط الخيف وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه اذا وقف على قبر بكى مالا يبكيه عند ذكر الجنة والنار فقيل له فى ذلك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول القبر أول منازل الآخرة فان نجا العبد منه فما بعده أيسر منه وعن معاذ بن رفاعة الزرقى قال أخبرنى رجل من رجال قومى أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جوف الليل معتجرا بعمامة من استبرق فقال يامحمد من هذا الميت الذى فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش فقام رسول الله

اذا لبس العمامة قلت قرد * وخنزير اذا نزع العمامه فضحك القوم ولم يبق منهم أحد الا أجازه (وكان) لأعرابى امرأتان فولدت إحداهما جارية والأخرى غلاما فرقصته أمه يوما وقالت معيرة لضرتها

الحمد لله الحميد العالى
أنقذنى اليوم من الجوالى
من كل شوهاء كشن بالى
لاتدفع الضيم عن العيال

فسمعتها ضرتها فاقبلت ترقص ابنتها وتقول

وماعلى أن تكون جاريه
تغسل رأسى وتكون الفاليه
وترفع الساقط من خماريه
حتى اذا ما بلغت ثمانيه
أزرتها بنقبة يمانيه
أنكحتها مروان أو معاويه
أصهار صدق ومهور غاليه

قال فسمعها مروان فتزوجها على مائة ألف مثقال وقال ان أمها حقيقة أن لا يكذب ظنها ولا يخان عهدها فقال معاوية لولا مروان سبقنا اليها لأضعفنا لها المهر ولكن لانحرم الصلة فبعث اليها بمائة ألف درهم (قيل) ان رجلا قال لولده وهو فى المكتب فى أى سورة أنت فقال لا أقسم بهذا البلد ووالدى بلا ولد فقال لعمرى من كنت ولده فهو بلا ولد (وأرسل) رجل ولده يشترى له رشاء للبئر طوله عشرون ذراعا فوصل الى نصف الطريق ثم رجع فقال يا أبت عشرون ذراعا فى عرض كم

صلى الله عليه وسلم يجر ثوبه مبادرا الى سعد بن معاذ رضى الله عنه فوجده قد قبض وقال الحسن رضى الله عنه مامن يوم الا وملك الموت يتصفح وجوه الناس خمس مرات فمن رآه على لهو ولعب أو معصية أوضاحكا حرك رأسه وقال له مسكين هذا العبد غافل عما يراد به ثم يقول له اعمل ماشئت فان لى فيك غمزة أقطع بها وتينك وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لرجاء بن حيوة يارجاء إذا وضعت فى لحدى فاكشف الثوب عن وجهى فان رأيت خيرا فاحمد الله وان رأيت غير ذلك فاعلم أن عمر قد هلك قال رجاء فلما دفناه كشفت عن وجهه فرأيت نورا ساطعا فحمدت الله تعالى ان قد صار الى خير وقال أيضا دخلت على عمر ابن عبد العزيز وهو محتضر فقال يارجاء انى أرى وجوها كراما ليست بوجوه إنس ولا جان وهو يقلب طرفه يمينا وشمالا ثم رفع يده فقال اللهم أنت ربى أمرتنى فقصرت ونهيتنى فعصيت فان غفرت فقد مننت وان عاقبت فما ظلمت الا أنى أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك المصطفى ونبيك المرتضى بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الامة فعليه السلام والرحمة ثم قضى نحبه رحمه الله وعن أسماء بنت عميس قالت كنت عند أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه بعد ماضربه ابن ملجم إذ شهق شهقة بعد أن أغمى عليه ثم أفاق وقال مرحبا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فقيل له ماترى قال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أخى جعفر وعمى حمزة وأبواب السماء مفتحة والملائكة ينزلون على يبشروننى بالجنة وهذه فاطمة قد أحاط بها وصائفها من الحور العين وهذه منازلى لمثل هذا فليعمل العاملون (ولما) احتضر عبد الملك بن مروان قال لابنه الوليد إذا أنا مت إياك أن تجلس وتعصر عينيك كالمرأة الوكعاء لكن ائتزر وشمروا لبس جلد النمر وضعنى فى حفرتى وخلنى وشانى وعليك شأنك وادع الناس الى بيعتك فمن قال برأسه هكذا فقل له بسيفك هكذا ثم بعث إلى محمد وخالد ابنى يزيد بن معاويه فقال هل عندكما ندامة فى بيعة الوليد فقالوا لا نعرف أحدا أحق منه بالخلافة فقال أما انكما لو قلتما غير هذا لضربت الذى فيه أعينكما ثم رفع كنار فراشه فاذا تحته سيف مسلول تحت يمينه كل هذا وروحه تتردد فى حنجرته وهو يقول الحمد لله الذى لا يبالى أصغيرا أخذ أم كبيرا لا إله إلا الله محمد رسول الله ثم بعد ساعة نفذت روحه فدخل عليه الوليد ومعه بناته يبكون فتمثل بقول الشاعر

ومستخبر عنا يريد بنا الردى * ومستخبرات والعيون سواكن

وقال محمد بن هرون

كأنى بأخوانى على جنب حفرتى * يهيلون فوقى والعيون دما تجرى

فيا أيها المذرى على دموعه * ستعرض فى يومين عنى وعن ذكرى

عفا الله عنى أنزل القبر ثاويا * ازار فلا أدرى وأجفى فلا أدرى

وكان يزيد الرقاشى يقول من كان الموت موعده والقبر بيته والثرى مسكنه والدود أنيسه وهو مع هذا ينتظر الفزع الاكبر كيف تكون حالته ثم يبكى حتى يغشى عليه فيجب على العاقل أن يحاسب نفسه بنفسه على مافرط من عمره ويستعد لعاقبة أمره بصالح العمل ولا يغتر بالامل فان من عاش مات ومن مات فات وكل ماهو آت آت نسأل الله أن يلهمنا رشدنا ويوفقنا لاتباع أوامره واجتناب نواهيه وأن يجعل الموت خير غائب ننتظره وأن يختم لنا بالخير وأن يتغمدنا برحمته إنه على مايشاء قدير وبالاجابة جدير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب الثانى والثمانون فى الصبر والتأسى والتعازى والمراثى ونحو ذلك وفيه فصول ﴾

﴿الفصل الأول فى الصبر﴾ قال الله تعالى وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون وقال صلى الله عليه وسلم مامن مسلم يصاب بمصيبة وان قل عهدها فاحدث استرجاعا إلا أحدث الله له

مثله

قال فى عرض مصيبتى فيك يابنى (وكان لرجل من الاعراب ولد اسمه حمزة) فبينماهو يوما يمشى مع أبيه اذا برجل يصيح بشاب ياعبد الله فلم يجبه ذلك الشاب فقال ألا تسمع فقال ياعم كلنا عبيد الله فأى عبد الله تعنى فالتفت أبو حمزة اليه وقال ياحمزة فقال حمزة بن الاعرابى كلنا حاميز الله فأى حمزة تعنى فقال أبوه أعنيك يامن أخمد الله به ذكر أبيه ﴿ ويعجبنى قول الصفدى ﴾

لولا شفاعة شعره فى صبه
ما كان زار ولا أزال سقاما
لكن تنازل فى الشفاعة عنده
وغدا على أقدامه يترامى

(وقال ابن الصائغ)

ثنى غصنا ومد عليه فرعا
كحظى حين أطلب منه وصلا
وبلبله على الارداف منه
فلم أر مثل ذاك الفرع أصلا

(وقول الآخر)

بدت ثريا قرطها وشعرها
متصل بكعبها كما ترى
ياعجبا لشعرها لما ابتدى
من الثريا فانتهى الى الثرى

(وقول ابن نباتة)

ويهجنى رشأ يميس قوامه
فكأنه نشوان من شفتيه
شغف العذار بخده ورآه قد
نعست لواحظه فدب عليه

(وقوله أيضا مضمنا)

وضعت سلاح الصبر عنه فماله
يغازل بالالحاظ من لا يغازله * وسال عذار فوق خديه سائل
على خده فليتق الله سائله (ولبعضهم فى ذم العذار) غدا لما التحى ليلا بهيا

كان كأنه قمر منير   وقد كتب السواد بعارضيه   لمن يقرا   وجاءكم النذير   (ولآخر)

مثله وأعطاه مثل أجره ذلك يوم أصيب بها وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح حزينا أصبح ساخطا على ربه ومن أصبح يشكو مصيبة فكأنما يشكو الله ومن تواضع لغني سأله مافي يده أحبط الله ثلثي عمله ومن أعطى القرآن ولم يعمل به وتهاون به حتى دخل النار أبعده الله عن رحمته لأنه هو الذي فعل ذلك بنفسه حيث لم يعرف حرمة القرآن * وروى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من مات له ثلاثة من الولد يلج النار إلا تحلة القسم يعني قوله تعالى وان منكم إلا واردها وعن أم سلمة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أصيب بمصيبة فقال كما أمر الله إنا لله وإنا اليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي وأعقبني خيرا منها الا فعل الله به ذلك وروى أنه لما مات ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذرفت عيناه فقال له عبد الرحمن بن عوف يارسول الله ألم تنه عن البكاء قال انما نهيت عن الغناء والصوتين الأحمقين والندب ولكن هذه رحمة جعلها الله تعالى في قلوبنا ومن لايرحم لايرحم فان القلب يخشع والعين تدمع وإنا بك ياابراهيم لمحزونون ولا نقول إلا مايرضي الله ربنا إنا لله وإنا اليه راجعون وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أول شيء كتبه الله في اللوح المحفوظ انني أنا الله لا إله إلا أنا محمد عبدي ورسولي من استسلم لقضائي وصبر على بلائي وشكر نعمائي كتبته صديقا وبعثته مع الصديقين ومن لم يستسلم لقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي فليتخذ ربا سوائي وقال ابن المبارك إن المصيبة واحدة فاذا جزع صاحبها فهما اثنتان لأن إحداهما المصيبة بعينها والثانية ذهاب أجره وهو أعظم من المصيبة وعن العلاء بن عبد الرحمن أن النبي صلى الله عليه وسلم لما حضرته الوفاة بكت فاطمة فقال لاتبكي يابنتاه قولي إذا مت إنا لله وإنا اليه راجعون فان لكل انسان مصيبة معوضة قالت ومنك يارسول الله قال ومني وعن عطاء بن أبي رباح قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصابته مصيبة فليذكر مصيبته بي فانها من أعظم المصائب وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال من أخذت حبيبتاه يعني عينيه فصبر واحتسب أدخله الله الجنة وقيل ان امرأة أيوب عليه الصلاة والسلام قالت له لو دعوت الله تعالى أن يشفيك فقال لها ويحك كنا في النعماء سبعين عاما أفلا نصبر على الضراء مثلها فلم يلبث إلا يسيرا أن عوفي وقيل الصبر مفتاح الظفر والتوكل على الله تعالى رسول النجاح وقيل من لم يلق نوائب الدهر بالصبر طال عتبه عليه * وقيل ان معاوية رضي الله تعالى عنه خرج يوما ومعه عبد العزيز بن زرارة الكلبي وكان ذامنصب وشرف وعقل وأدب فقال له معاوية ياعبد العزيز أتاني نعي سيد شباب العرب فقال له ابني أو ابنك قال بل ابنك قال للموت تلد الوالدة ومما قيل اصبر لحكم من لاتجد معولا إلا عليه ولامفزعا إلا اليه وقال سويد السدوسي

فأوصيكما يابني سدوس كلاكما * بتقوى الذي أعطاكما وبراكما

بشكر إذا ماأحدث الله نعمة * وصبر لأمر الله فيما ابتلاكما

(وقال) أياصاحبي ان رمت أن تكسب العلا * وترقى الى العلياء غير مزاحم

عليك بحسن الصبر في كل حالة * فما صابر فيما يروم بنادم

(وقال آخر) هو الدهر قد جربته وبلوته * فصبرا على مكروهه وتجلدا

وحدث الزبير قال قامت عائشة بعدمادفن أبوها أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فقالت نضر الله وجهك وشكر صالح سعيك فقد كنت للدنيا مذلا بادبارك عنها وللآخرة معزا باقبالك عليها ولئن كان رزؤك أعظم المصائب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكبر الاحداث بعده فان كتاب الله تعالى قد وعدنا بالثواب على الصبر في المصيبة وأنا تابعة له في الصبر فأقول انا لله وانا اليه راجعون ومستعيضة بأكثر الاستغفار

مازال ينتف ريحانا بعارضه
حتى استطال عليه صار يحلقه
كأنما طور سينا فوق عارضه
طول الزمان فموسى لايفارقه
(برهان الدين القيراطي)

شبه السيف والسنان بعيني
من لقتلي بين الانام استحلا
فأبى السيف والسنان وقالا
حدنا دون ذاك حاشا وكلا
(ابن الصائغ)

لمثلي من لواحظها سهام
لها في القلب فتك أي فتك
إذا رامت تشك به فؤادا
يموت المستهام بغير شك
(الصلاح الصفدي)

ياعادلا لي على عين محجبة
خف سحر ناظرها فالسحر فيه خفي * وخذ
فؤادي ودعه نصب مقلتها
لاترم نفسك بين السهم والهدف
(آخر)

أنفقت كنز مدامعي في ثغره
وجمعت فيه كل معنى شارد
وطلبت منه جزاء ذلك قبلة
فمضى وراح تغزلي في البارد
(عز الدين الموصلي)

كالزرد المنظوم أصداغه * وخده كالورد لما ورد   بالغت في اللثم وقبلته * في الخد تقبيلا يفك الزرد

لك فسلام الله عليك توديع غير قالية لحياتك ولا رازئة على القضاء فيك (ولما) مات زر الهمدانى جاء أبوه فوجده ميتا وكان موته فجأة وعياله يبكون عليه فقال مالكم والله ماظلمناه ولاقهرناه ولا ذهب لنا بحق ولا أصابنا فيه ماأخطأ من كان قبلنا فى مثله ولما وضعه فى حفرته قال رحمك الله يابنى وجعل أجرى فيك لك والله ما بكيت عليك وانما بكيت لك فوالله لقد كنت بى بارا ولى نافعا وكنت لك محبا ومابى اليك من وحشة ومابى الى أحد غير الله من فاقة وماذهبت لنا بعزة وماأبقيت لنا من ذل ولقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك يا ذر لولا هول المطلع لتمنيت ماصرت اليه فليت شعرى ماذا قلت وماذا قيل لك ثم رفع رأسه الى السماء وقال اللهم انك وعدت الصابرين على المصيبة ثوابك ورحمتك اللهم وقد وهبت ماجعلت لى من الاجر الى ذر صلة منى له فلا تحرمنى ولا نعرفه قبيحا وتجاوز عنه فانك رحيم بى وبه اللهم قد وهبت لك إساءته لى فهب لى إساءته اليك فانك أجود منى وأكرم اللهم انك قد جعلت لك عليه حقا وجعلت لى عليه حقا قرنته بحقك فقلت اشكر لى ولوالديك الى المصير اللهم انى قد غفرت له ماقصر فيه من حقى فاغفر له ماقصر فيه من حقك فانك أولى بالجود والكرم فلما أراد الانصراف قال ياذر قد انصرفنا وتركناك ولو أقمنا عندك ما نفعناك * وفى الحديث اذا مات ولد العبد يقول الله تعالى للملائكة ماذا قال عبدى عند قبض روح ولده وثمرة فؤاده فيقولون الهنا حمدك واسترجع فيقول الله تعالى اشهدكم ياملائكتى أنى بنيت له بيتا فى الجنة وسميته بيت الحمد وعن عبد الله ابن عمر رضى الله تعالى عنهما انه دفن ابناله وضحك عند قبره فقيل له اتضحك عند القبر قال أردت أن ارغم أنف الشيطان فينبغى للعبد أن يتفكر فى ثواب المصيبة فتسهل عليه فاذا أحسن الصبر استقبله يوم القيامة ثوابها حتى يود أن أولاده وأهله وأقاربه ماتوا قبله لينال ثواب المصيبة وقد وعد الله تعالى فى المصيبة ثوابا عظيما اذا صبر صاحبها واحتسب وقال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين وقال تعالى ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الآية اللهم رضنا بقضائك وصبرنا على بلائك واغفر لنا ولوالدينا ولكل المسلمين يارب العالمين

﴿الفصل الثانى من هذا الباب فى التعازى والتأسى﴾ روى الترمذى فى كتاب السنن للبيهقى عن عبد الله ابن مسعود عن النبى ﷺ قال من عزى مصابا فله مثل اجره وروينا فى كتاب الترمذى أيضا بسند متصل الى رسول الله ﷺ قال من عزى ثكلى كسى بردا فى الجنة وروينا فى سنن ابن ماجه والبيهقى باسناد حسن عن عمرو بن حزم عن النبى ﷺ قال مامن مؤمن يعزى أخاه بمصيبته الا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة ﴿واعلم﴾ أن التعزية هى التصبير وذكر مايسلى صاحب الميت ويخفف حزنه ويهون مصيبته وهى مستحبة فانها مشتملة على الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وهى أيضا داخلة فى قوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وهى من أحسن مايستدل به فى التعزية وثبت فى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال الله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه * واعلم ان التعزية مستحبة قبل الدفن وبعده وتكره بعد ثلاثة أيام لأن التعزية لتسكين قلب المصاب والغالب سكونه بعد ثلاثة أيام فلا يجدد الحزن هكذا قال الجماهير من أصحاب الشافعى رضى الله تعالى عنه وقيل انها لاتفعل بعد ثلاثة أيام الا فى صورتين وهما اذا كان المعزى او صاحب المصيبة غائبا حال الدفن فاتفق رجوعه بعد الثلاثة وأما لفظ التعزية فلاحجر فيه فبأى لفظ عزاه حصلت واستحب أصحاب الشافعى ان يقول فى تعزية المسلم بالمسلم عظم الله اجرك وأحسن عزاءك وغفر لميتك وفى المسلم بالكافر أعظم الله أجرك وأحسن عزاءك وفى الكافر بالكافر

(ابن نباتة)

انسية فى مثال الجن تحسبها شمسا بدت بين تشريق وتغميم

شقت لها الشمس ثوبا من محاسنها فالوجه للشمس والعينان للريم

(آخر)

بصدرها كوكبادر كانهما ركنان لم يدنسا من لمس مستلم

صانتهما بستور من غلائلها فالناس فى الحل والركنان فى الحرم

(الصلاح الصفدى)

تقول له الاغصان مذهز عطفه أتزعم أن اللين عندك ماقوى

فقم نحتكم للروض عند نسيمه ليقضى على من مال منا الى الهوى

(وكانه ينظر الى قول السراج)

ومهفهف عنى يميل ولم يمل يوما الى فصحت من ألم الجوى

لم لا تميل الى ياغصن النقى فأجاب كيف وأنت من جهة الهوى

(أراد ملك الروم) أن يباهى أهل الاسلام فبعث الى معاوية رجلين أحدهما طويل والثانى قصير شديد القوة فدعا للطويل بقيس بن سعد بن عبادة فنزع قيس سراويله ورمى بها اليه فلبسها الطويل فبلغت

بالكافر أخلف الله عليك ولا نقص لك عدداً * روى أن النبي صلى الله عليه وسلم فقد بعض أصحابه فسأل عنه فقالوا يارسول الله بنيه الذى رأيته هلك فلقيه النبي صلى الله عليه وسلم فسأل عن بنيه فقالوا يارسول الله هلك فعزاه فيه ثم قال يافلان أيما كان أحب اليك أن تتمتع به عمرك أولا تأتى غدا بابا من أبواب الجنة الا وجدته وقد سبقك اليه فيفتحه لك فقال يارسول الله سبقه الى باب الجنة أحب الى من التمتع به فى دار الدنيا قال ذلك لك وروى البيهقى باسناده فى مناقب الشافعى رحمهما الله أن الشافعى قد بلغه أن عبد الرحمن بن مهدى مات له ابن فجزع عليه جزعا شديدا فبعث اليه الشافعى رحمه الله يقول ياأخى عز نفسك بما تعز به غيرك واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك واعلم أن أمض المصائب فقد سرور وحرمان أجر فكيف اذا اجتمعا مع اكتساب وزر ألهمك الله عند المصائب صبرا وأجزل لنا ولك بالصبر أجراً وروى عن ابن المبارك قال مات لى ابن فمر بى مجوسى وقال ينبغى للعاقل أن يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام فقال اكتبوها منه وعن معاذ بن جبل أنه قال مات لى ابن فكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ بن جبل سلام عليكم فانى أحمد الله الذى لا إله إلا هو أما بعد فعظم الله لك الاجر وألهمك الصبر ورزقنا واياك الشكر ثم اعلم ان أنفسنا وأموالنا وأهلنا وأولادنا من مواهب الله تعالى الهنية وعواريه المستودعة يمتعنا بها الى اجل معدود ويقبضها لوقت معلوم ثم فرض الله تعالى علينا الشكر اذا أعطى والصبر اذا ابتلى وكان ابنك من مواهب الله الهنية وعواريه المستودعة متعك الله به فى غبطة وسرور وقبضه باجر كبير ان صبرت واحتسبت فاصبر واحتسب واعلم أن الجزع لا يرد ميتا ولا يطرد حزنا وروى أن أبا بكر رضى الله تعالى عنه كان اذا عزى مرزأ قال ليس مع العزاء مصيبة ولا مع الجزع فائدة والموت أشد مما قبله وأهون مما بعده فاذكر مصيبتك برسول الله صلى الله عليه وسلم تهن عليك مصيبتك وعزى الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه صديقا له فقال

إنا نعزيك لا أنا على ثقة * من الحياة ولكن سنة الدين
فما المعزى بباق بعد ميته * ولا المعزى ولو عاشا الى حين

وكتب بعضهم الى أخ له يعزيه أنت ياأخى أعزك الله عالم بالدنيا وما خلقت له من الفناء وانها لم تعط الا أخذت ولم تسر الا أحزنت وان الموت سبيل محتوم على الاولين والآخرين لا دافع عنه ولا مؤخر لما قضى الله عز وجل منه وانا لله وانا اليه راجعون * وعزى رجل بعض الخلفاء بابن له فكتب اليه يقول

تعز أمير المؤمنين فانه * لما قد ترى يغدو الصغير ويولد
هل الابن الا من سلالة آدم * لكل على حوض المنية مورد

وكتب بعضهم الى صديق له وقد ماتت ابنته فقال

الموت أخفى سوأة للبنات * ودفنها يروى من المكرمات
أما رأيت الله سبحانه * قد وضع النعش بجنب البنات

وكتب بعضهم الى صديق له يعزيه بأخيه ويسليه ما تصنع ياأخى والقضاء نازل والموت حكم شامل وان لم تلذ بالصبر فقد اعترضت على مالك الأمر وأنت تعلم ان نوائب الدهر لا تدفع الا بعزائم الصبر فاجعل بين هذه اللوعة الغالبة والدمعة الساكبة حاجبا من فضلك وحاجزا من عقلك ودافعا من دينك ومانعا من يقينك فان المحن اذا لم تعالج بالصبر كانت كالمنح إذا لم تقابل بالشكر فصبرا صبراً ففحول الرجال لا تستفزها الايام بخطوبها كما أن متون الجبال لا تهزها العواصف بهبوبها فعزيز على أن أخاطب مولاى معزيا وأكاتبه مسليا عن كبير أو صغير مما يتعلق بخدمته أو ينتمى الى جملته فكيف بالصنو الاكرم والذخر الاعظم والركن الاشد والسهم الاسد والشهاب الاسطع والحسام الاقطع لكن

بنيه فلاموا قيسا على نزع السراويل فقال

أردت لكيما يعلم الناس أنها * سراويل قيس والوفود شهود
وكيلا يقولوا خان قيس وهذه * سراويل عاد أحرزتها ثمود
وانى من القوم اليمانين سيد * وما الناس الا سيد ومسود

ثم دعا معاوية للرجل الشديد القوة بمحمد بن الحنفية فخيره بين أن يقعد فيقيمه أو يقوم فيقعده فغلبه فى الحالتين وانصرفا مغلوبين (وحكى الجاحظ) ما أخجلنى قط الا امرأة مرت بى الى صائغ فقالت له اعمل مثل هذا فبقيت مبهوتا ثم سألت الصائغ فقال هذه امرأة أرادت أن أعمل لها صورة شيطان فقلت لا أدرى كيف أصوره فأتت بك الى لأصوره على صورتك وفى الجاحظ يقول بعضهم

لو يمسخ الخنزير مسخا ثانيا * ما كان الا دون قبح الجاحظ
رجل ينوب عن الجحيم بوجهه * وهو القذى فى عين كل ملاحظ
ولو أن مرآة جلت تمثاله * ورآه كان له كأعظم واعظ

(قيل) انه قدم تاجر إلى المدينة يحمل من خمر العراق فباع الجميع الا السود فشكا إلى الدارمى وقد تنسك وتعبد فعمل بيتين وأمر من يغنى

التعزية سير سائرة وسنة ماضية غابرة وقدر الله هو المقدر وأجل الله إذا جاء لا يؤخر ولولا أن الذكرى تنفع والتعزية يستوي فيها الأشرف والأوضع لأجللت مولاي أن أفاتحه معزيا وأخاطبه مسليا ولكن بحمد الله العالم لا يعلم والسابق لا يتقدم فبمولاي يقتدى في الصبر على النوائب وبنوره يهتدى في مشكلات المذاهب وكل ما كان من الرزء أوجع كان الأجر عليه أوسع جعل الله مولاي من الصابرين على المصيبة وأعظم أجره وجعل الجنة نصيبه * وعزى رجل فتى عن أبيه فلم يجده كما أحب فقال يا بني سوء الخلف أضر علينا من فقد السلف * ومات لبعض ملوك كندة ابنة فوضع بين يديه بدرة من المال وقال من بالغ في تعزيته فهي له فدخل عليه أعرابي وقال عظم الله أجر الملك كفيت المؤنة وسترت العورة ونعم الصهر القبر فقال قد أبلغت وأوجزت ثم دفعها إليه * وعزت أعرابية قوما فقالت جافى الله عن ميتكم الثرى وأعانه على طول البلى وآجاركم ورحمه وكان لعلي بن الحسين جليس مات له ابن فجزع عليه جزعا شديدا فعزاه علي بن الحسين رحمه الله ووعظه فقال يا ابن رسول الله إن ابني كان مسرفا على نفسه فقال لا تجزع فإن من ورائه ثلاث خلال أولهن شهادة أن لا إله إلا الله وأن سيدنا محمدا رسول الله والثانية شفاعة جدي ﷺ والثالثة رحمة الله التي وسعت كل شيء فأين يخرج ابنك عن واحدة من هذه الخلال وقال سليمان بن عبد الملك عند موت ابنه لعمر بن عبد العزيز ورجاء بن حيوة ان في كبدي جمرة لا يطفئها الا عبرة فقال عمر اذكر الله يا أمير المؤمنين وعليك بالصبر فنظر الى رجاء كالمستريح بمشورته فقال رجاء أفضها يا أمير المؤمنين فما بذلك من بأس لقد دمعت عينا رسول الله ﷺ على ابنه ابراهيم وقال ان العين لتدمع وان القلب ليخشع ولا نقول ما يسخط الرب وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون فأرسل سليمان عينيه حتى قضى أربه ثم أقبل عليهم وقال لولا نزفت هذه العبرة لانصدع كبدي ثم انه لم يبك بعدها * وكتب الاسكندر إلى أمه قبل وفاته بقليل إذا وصل إليك كتابي هذا فاجمعي أهل بلدك وأعدي لهم طعاما ووكلي بالأبواب من يمنع من أصابته مصيبة في أم أو أب أو أخ أو أخت أو ولد ففعلت فلم يدخل إليها أحد فعلمت أن الاسكندر عزاها في نفسه * ولما قتل الفضل بن سهل دخل المأمون على أمه يعزيها فيه فقال لها يا أماه لا تحزني على الفضل فأنا خلف منه فقالت كيف لا أحزن على ولد عوضني عنه خليفة مثلك فعجب المأمون من جوابها وكان يقول ما سمعت قط أحسن منه ولا أجلب للقلوب فقال لها عليك بالصبر فان فيه مزيد الأجر * وممن جزع على ولده جعفر بن علبة لما قتله الحرث قام نساء الحي يبكون عليه وقام أبوه الى ولد كل شاة وناقة فذبحه وألقاها بين أيديها وقال لها أبكين معي على جعفر فمازالت النوق ترغو والشياه تيعر والنساء يصرخن ويبكين وهو يبكي معهن فلم ير مأتم كان أوجع منه * وقال يحيى بن خالد التعزية بعد ثلاثة أيام تجديد للحزن والتهنئة بعد سنة تجديد للفرح ﴿ ومما قيل في التأسي والتسلي بالخلف عن السلف ﴾ قيل عزى بعض الشعراء يزيد بن معاوية في والده فقال

اصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة * واشكر إلهك من بالملك حاباكا

لا رزء أصبح في الأيام نعرفه * كما رزئت ولا عقبى كعقباكا

(وقال آخر) لابد من فقد ومن فاقد * هيهات ما في الناس من خالد

(وقال آخر) تبصر فلو أن البكا رد هالكا * على أحد فاكثر بكاك على عمر

وكتب بعضهم إلى أولاد صديقه يعزيهم ويسليهم في والدهم فقال

فلو كان فيض الدمع ينفع باكيا * لعلمت غرب الدمع كيف يسيل

فان غاب بدر فالنجوم طوالع * ثوابت لا يقضى لهن أفول

قد كان شمر للعبادة ذيله حتى وقفت له بباب المسجد

فشاع الخبر في المدينة أن الدارمي رجع عن زهده وتعشق صاحبة الخمار الأسود فلم تبق في المدينة مليحة الا اشترت لها خمارا أسود فلما أنفذ التاجر ما كان معه رجع الدارمي إلى تعبده وعمد إلى ثياب نسكه فلبسها (ومر) رجل أشمط بامرأة عجيبة في الجمال فقال ياهذه ان كان لك زوج فبارك الله لك فيه والا فاعلمينا فقالت كأنك تخطبني قال نعم فقالت ان في عيبا قال وما هو قالت شيب في رأسي فثنى عنان دابته فقالت على رسلك فلا والله ما بلغت عشرين سنة ولكنني أحببت أن أعلمك أني أكره منك مثل ما تكره مني (وقال عبد الله الماجشون) وهو من فقهاء المدينة قال لي المهدي يوما ياماجشون ما قلت حين فارقت أحبابك قال قلت يا أمير المؤمنين

لله باك على أحبابه جزعا قد كنت أحذر هذا قبل أن يقعا

ما كان والله شؤم الدهر يتركني حتى يجرعني من بعدهم جزعا

إن الزمان رأى الف السرور لنا فدب بالبين فيما بيننا وسعى

يغاث بها في ظلمة الليل حائر * ويسرى عليها بالرفاق دليل

(ودخل) عبد الملك بن صالح على الرشيد وقدمات له ولد وولد له في تلك الليلة ولد فقال سرك الله يا أمير المؤمنين فيما ساءك ولا ساءك فيما سرك وجمع لك بين أجر الصابر وثواب الشاكر وقال بعضهم

أليس لهذا صار آخر أمرنا * فلا كانت الدنيا القليل سرورها

فلا تعجبي يانفس مما ترينه * فكل أمور الناس هذا مصيرها

وسئل الاصمعي عن قول الخنساء في نعيها صخر حين مات ونعته فقالت

يذكرني طلوع الشمس صخرا * واندبه لكل غروب شمس

فقالوا له لماذا انها خصت الشمس دون القمر والكواكب فقال لكونه كان يركب عند طلوع الشمس يشن الغارات وعند غروبها يجلس مع الضيفان فذكرته بهذا مدحا لانه كان يغير على أعدائه ويتقيد بضيفه وقد رثته بعد البيت الأول بأبيات منها

ألا يانفس لاتنسيه حتى * أفارق عيشتي وأزور رمسي * ولولا كثرة الباكين حولي

على أمواتهم لقتلت نفسي * ومايبكون مثل أخي ولكن * أسلي النفس عنه بالتأسي

(وقال آخر) ولولا الأسى ماعشت في الناس ساعة * ولكن اذا ناديت جاوبني مثلي

(وقال آخر) وهون وجدي عن خليلي أنني * اذا شئت لاقيت الذي أنا صاحبه

(وقال آخر) ومما يؤديني الى الصبر والعزا * تردد فكري في عموم المصائب

(الفصل الثالث في المراثي) لما توفي رسول الله ﷺ رثاه جماعة من أصحابه وآله بمراث كثيرة * منها ماروي عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فانه كان أقرب الناس اليه وهو أول من رثاه فقال

لما رأيت نبينا متجندلا * ضاقت علي بعرضهن الدور * فارتاع قلبي عند ذاك لموته

والعظم مني ماحييت كسير * أعتيق ويحك ان خلك قدتوى * والصبر عندك مابقيت يسير

ياليتني من قبل مهلك صاحبي * غيبت في لحد عليه صخور

فلتحدثن بدائع من بعده * تعيا بهن جوانح وصدور

(وقال آخر)

فقدت أرضنا هناك نبيا * كان يغدو به النبات زكيا * خلقا عاليا ودينا كريما

وصراطا يهدي الانام سويا * وسراجا يجلو الظلام منيرا * ونبيا مؤيداً عربيا

حازما عازما حليما كريما * عائدا بالنوال برا تقيا * ان يوما أتى عليك ليوم

كورت شمسه وكان خليا * فعليك السلام منا جميعا * دائم الدهر بكرة وعشيا

ورثاه ﷺ أبو سفيان بن الحرث فقال

أرقت فبات ليلي لايزول * وليل أخي المصيبة فيه طول * وأسعدني البكاء وذاك فيما

أصيب المسلمون به قليل * لقد عظمت مصيبتنا وجلت * عشية قيل قد قبض الرسول

وأضحت أرضنا مما عراها * تكاد بنا جوانبها تميل * فقدنا الوحي والتنزيل فينا

يروح به ويغدو جبرئيل * وذاك أحق ماسالت عليه * نفوس الناس أو كادت تسيل

نبي كان يجلو الشك عنا * بما يوحى اليه وما يقول * ويهدينا فلانخشى ملاما

علينا والرسول لنا دليل * أفاطم ان جزعت فذاك عذر * وان لم تجزعي فهو السبيل

فقبر أبيك سيد كل قبر * وفيه سيد الناس الرسول

عشرة آلاف دينار (وحكى بعضهم) قال دخلنا الى دير هرقل فنظرنا الى مجنون في شباك وهو ينشد شعرا فقلنا له أحسنت فأومأ بيده الى حجر يرمينا به وقال لمثلي يقال أحسنت ففررنا منه فقال أقسمت عليكم الامارجعتم حتى أنشدكم فان أنا أحسنت فقولوا أحسنت وان أنا أسأت فقولوا أسأت فرجعنا اليه فأنشد يقول

لما أناخوا قبيل الصبح عيسهم
وحملوها وسارت بالدمى الابل * وقلبت بخلال السجف ناظرها
ترنو الي ودمع العين ينهمل
وودعت ببنان زانها عنم
ناديت لاحملت رجلاك ياجمل
ياحادي العيس عرج كي أودعهم
ياحادي العيس في ترحالك الاجل
اني على العهد لم أنقض مودتهم
ياليت شعري لطول البعد مافعلوا

فقلنا له ماتوا فقال وأنا والله أموت ثم شهق شهقة فاذا هو ميت (قيل) لما وفد المهدي من الري الى العراق امتدحه الشعراء فقال أبو دلامة

(ولمامات) أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه رثاه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بهذه الأبيات حين رجع من دفنه فقال

ذهب الذين أحبهم * فعليك يادنيا السلام

لاتذكرن العيش لي * فالعيش بعدهم حرام * اني رضيع وصالهم * والطفل يؤلمه الفطام

ورثى بعضهم محمد بن يحيى بعد موته فقال

سألت الندى والجود مالي أراكما * تبدلتما عزاً بذل مؤبد * ومابال ركن المجد أمسى مهدما
فقالا اصبنا بابن يحيى محمد * فقلت فهلا متما بعد موته * وقد كنتما عبديه في كل مشهد
فقالا أقمنا كي نعزى بفقده * مسافة يوم ثم نتلوه في غد

(وقال آخر) ولاأرتجي في الموت بعدك طائلا * ولا أتقي للدهر بعدك من خطب

﴿وفي المعنى لبعضهم﴾

لقد آمنت نفسي المصائب بعده * فأصبحت منها آمنا أن أروعا
فما أتقي للدهر بعدك نكبة * ولا أرتجي للعيش بعدك مرتعا

ورثى أشجع السلمي عبد الله بن سعيد فقال

مضى ابن سعيد حيث لم يبق مشرق * ولامغرب إلا له فيه مادح
وما كنت أدري مافواضل كفه * على الناس حتى غيبته الصفائح
وأصبح في لحد من الأرض ميتا * وكانت به حيا تضيق الصحاصح
سأبكيك مافاضت دموعي فان تغض * فحسبك مني ماتكن الجوانح
وما أنا من رزء وان جل جازع * ولا بسرور بعد فقدك فارح
لئن حسنت فيك المراثي بذكرها * فقد حسنت من قبل فيك المدائح

(وقال آخر) الى الله أشكو لاالى الناس انني * أرى الارض تبقى والاخلاء تذهب
أخلاي لو غير الحمام أصابكم * عتبت ولكن ما على الدهر معتب

﴿وقال العباس الاحنف﴾

إذا ما دعوت الصبر بعدك والبكا * أجاب البكا طوعا ولم يجب الصبر
فان ينقطع منك الرجاء فانه * سيبقى عليك الحزن مابقي الدهر

﴿وقال آخر يرثي صديقه﴾

خليلي ماأزداد الا صبابة * اليك وما تزداد الا تنائيا * خليلي لونفس فدت نفس ميت
فديتك مسروراً بنفسي وماليا * وقد كنت أرجو أن تعيش وان أمت * فحال رجاء الله دون رجائيا
ألا فليمت من شاء بعدك انما * عليك من الاقدار كان حذاريا

(أخذها بعضهم فقال) كنت السواد لمقلتي * يبكي عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت * فعليك كنت أحاذر

﴿وقال آخر يرثي بعض أولاده﴾

وقاسمني دهري بني مشاطراً * فلما تقضى شطره عاد في شطري * ألا ليت أمي لم تلدني وليتني
سبقتك إذ كنا إلى غاية نجري * وقد كنت ذاناب وظفر على العدا * فأصبحت لايخشون نابي ولاظفري

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للخنساء أخبريني بأفضل بيت قلته في أخيك فقالت

وكنت أعير الدمع قبلك من بكى * فأنت على من مات بعدك شاغله

فقال المهدي صلى الله على محمد فقال أبو دلامة ما أسرعك للاولى وأبطأك عن الثانية فضحك وأمر ببدرة فصبت في حجره (وتزوج) مغن بنائحة فسمعها تقول اللهم أوسع لنا في الرزق فقال لها ياهذه انما الدنيا فرح وحزن وقد أخذنا بطرفي ذلك فان كان فرح دعوني وان كان حزن دعوك (وكان عروة بن الزبير صبوراً حين يبتلى) حتى أنه خرج الى الوليد ابن يزيد فوطىء عظما فما بلغ دمشق حتى بلغ به كل مذهب فجمع له الوليد الاطباء فاجمع رأيهم على قطع رجله فقالوا له اشرب مرقداً فقال ماأحب أن أغفل عن ذكر الله تعالى فاحمي له المنشار وقطعت رجله فقال ضعوها بين يدي ولم يتوجع ثم قال لئن كنت ابتليت في عضو فقد عوفيت في أعضاء فبينما هو كذلك إذ أتاه خبر ولده أنه أطلع من سطح على دواب الوليد فسقط بينها فمات فقال الحمد لله على كل حال لئن أخذت واحداً لقد أبقيت جماعة (وقدم) على الوليد وفد من عبس فيهم شيخ ضرير فسأله عن حاله وسبب ذهاب بصره فقال خرجت مع رفقة مسافرين ومعي مالي وعيالي ولا أعلم عبسيا يزيد ماله على مالي فعرسنا في بطن واد فطرقنا سيل فذهب

ولأبي المحاسن الشواء في صديق له مات وسقط الثلج عقب موته

لم أنسه وبنو الملوك أمامه * يدمون للاسف الا كف عضاضا
والثلج قد غطى الربا فكأنها * من حزنها لبست عليه بياضا

(وقال آخر) وليس صرير النعش ماتسمعونه * ولكنه أصلاب قوم تقصفوا
وليس نسيم المسك ريا حنوطه * ولكنه ذاك الثناء المخلف

﴿ وقال مقاتل بن عطية يرثي الوزير نظام الملك ﴾

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة * يتيمة صاغها الرحمن من شرف
عزت ولم تعرف الأيام قيمتها * فردها غيرة منه الى الصدف

(وقال آخر) وقبرت وجهك وانصرفت مودعا * بابي وأمي وجهك المقبور
وأرى ديارك بعد وجهك قفرة * والقبر منك مشيد معمور * فالناس كلهم لفقدك واجد
في كل بيت رنة وزفير * عجبا لأربع أذرع في خمسة * في جوفها جبل أشم كبير

وكان رجل توفي ولده يوم عيد فقال

لبس الرجال جديدهم في عيدهم * ولبست حزن أبي الحسين جديدا * أيسرني عيد ولم أر وجهه
فيه ألا بعداً لذلك عيدا * فارقته وبقيت أخلد بعده * لا كان ذاك بقاء ولا تخليدا
من لم يمت جزعا لفقد حبيبه * فهو الخؤون مودة وعهودا * مت مع حبيبك ان قدرت ولا تعش
من بعده ذا لوعة مكمودا * مالم خشف قد ملا أحشاءها * حذرا عليه وجفنها تسهيدا
ان نام لم تهجع وطافت حوله * فيبيت مكلوءا بها مرصودا * مني بأوجع اذ رأيت نوائحا
لأبي الحسين وقد لطمن خدودا * ولقد عدمت أبا الحسين جلادتي * لما رأيت جمالك المفقودا
كنت الجليد على الرزايا كلها * وعلى فراقك لم أجد تجليدا * ولئن بقيت وما هلكت فان لي
أجلا وان لم أحصه معدودا * لاموت لي الا اذا الأجل انقضى * فهناك لا أتجاوز المحدودا
حزني عليك بقدر حبك لا أرى * يوما على هذا وذاك مزيدا * ماهدركني بالسنين وانما
اصبحت بعدك بالاسى مهدودا * ياليت اني لم أكن لك والدا * وكذاك انت لم تكن مولودا
فلقد شقيت وربما شقي الفتى * بفراق من يهوى وكان سعيدا * من ذم جفنا باخلا بدموعه
فعليك جفني لم يزل محمودا * فلا نظمن مراثيا مشهورة * تنسي الأنام كثيرا ولبيدا
وجميع من نظم القريض مفارق * ولدا له أو صاحبا مفقودا

وقال الفقيه منصور بن اسمعيل المصري

سألت رسوم القبر عمن ثوى به * لأعلم مالاقى فقالت جوانبه
أتسأل عمن عاش بعد وفاته * باحسانه اخوانه وأقاربه

وقال الامام السبكي رحمه الله تعالى يرثي فضل الله العالم

مصاب ليس يشبهه مصاب * لذي الألباب اذ فقد الشهاب * امام قد حوى من كل علم
كنوزاً نحوها يسعى الركاب * ليبكي كل ذي علم عليه * فكم علم له ضم التراب
وكم كلم موانع قد أتته * ثناها وهي عاصية صعاب * فسلطان البلاغ بغير شك
شهاب الدين مافيه ارتياب * سقى الله الكريم ثراه صوبا * له من كل رضوان رضاب

(وقال الصدفي) ياغائبا في الثرى تبلى محاسنه * الله يوليك غفرانا واحسانا
ان كنت جرعت كأس الموت واحدة * في كل يوم أذوق الموت ألوانا

ما كان لي من أهل ومال وولد غير صبي صغير وبعير فشرد البعير فوضعت الصغير على الارض ومضيت لآخذ البعير فسمعت صيحة الصغير فرجعت اليه فاذا رأس الذئب في بطنه وهو يأكل فيه فرجعت الى البعير فحطم وجهي برجليه فذهبت عيناي فأصبحت بلا عينين ولا ولد ولا مال ولا أهل فقال الوليد اذهبوا به الى عروة ليعلم ان في الدنيا من هو أعظم مصيبة منه (ومما نقلته) ماحكي عن مسلم بن الوليد انه قال كنت يوما جالسا عند خباء لي بازاء منزلي فرأيت انسانا أعرفه فقمت اليه وسلمت عليه وجئت به الى منزلي لأضيفه وليس معي دراهم بل كان عندي زوج أخفاف فأرسلتهما مع جاريتي لبعض معارفي فباعهما بتسعة دراهم واشترى بها ماقلته لها من الخبز واللحم فجلسنا نأكل واذا بالباب يطرق فنظرت من شق الباب واذا بانسان يسأل هذا منزل فلان ففتحت الباب وخرجت فقال أنت مسلم بن الوليد قلت نعم وأشهدت له بالضيف على ذلك فاخرج لي كتابا وقال هذا من الامير يزيد بن مزيد فاذا فيه قد بعثنا لك بعشرة آلاف درهم لتكون في منزلك

﴿ وقال محمد بن عبد الله العتبي يرثي ابنا له ﴾

أضحت بخدي للدموع رسوم * أسفاً عليك وفي الفؤاد كلوم
والصبر يحمد في المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم

وكتب أحمد بن يوسف الى عمر بن سعيد يرثي بنتا له فقال

عجبا للمنون كيف أتتها * وتخطت عبد الحميد أخاكا
شملتنا مصيبتان جميعا * فقدنا هذه ورؤية ذاكا

(وله يرثي الأمير بليغا) ألا انما الدنيا غرور وباطل * فطوبى لمن كفاه منها تفرغا
وما عجبي الالمن بات واثقا * بأيام دهر ما وعى حق بليغا

(وقال آخر) الى الله أشكو أن كل قبيلة * من الناس قد أفنى الحمام خيارها

(وقال رجل يرثي صديقا له توفي وكان من الكرماء)

مادرى نعشه ولا حاملوه * ما على النعش من عفاف وجود

(ولبعض الكتاب في ابن مقلة) استشعر الكتاب فقدك سالفا * وقضت بصحة ذلك الأيام
فلذاك سودت الدواة * كآبة أسفا عليك وشقت الأقلام

وقال الحسن بن مطير الأسدي يرثي معن بن زائدة رحمه الله تعالى
ألما على معن وقولا لقبره * سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا * فياقبر معن كنت أول حفرة
من الأرض خطت للسماحة مضجعا * ويا قبر معن كيف واريت جوده * وقد كان منه البر والبحر مترعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت * ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا * فتى عاش في معروفه بعد موته
أناس لهم بالبر قد كان أوسعا * ولما مضى معن مضى الجود كله * وأصبح عرنين المكارم أجدعا

(وقال آخر) عجبت لصبري بعده وهو ميت * وقد كنت أبكيه دما وهو غائب
(وقال آخر) فديتك لم أصبر ولي فيك حيلة * ولكن دعاني اليأس منك الى الصبر

﴿ وقالت ريطة بنت عاصم ﴾

وقفت فأبكتني ديار عشيرتي * على رزئهن الباكيات الحواسر * غدوا كسيوف الهند وراد حومة
من الموت أعيا وردهن المصادر * فوارس حاموا عن حريمي وحافظوا * بدار المنايا والقنا متشاجر
ولو أن سلمى نالها مثل رزئنا * لهدت ولكن تحمل الرزء عامر

ولما قتل ابراهيم بن عبد الله بن الحسين وحمل رأسه الى المنصور أنفذها المنصور مع الربيع الى عميه ادريس ومحمد وكانا في حبسه وكان أبوه قائما يصلي فقال له محمد أوجز فأوجز وسلم فلما أتاه وضع الرأس في حجره فقال أهلا وسهلا يا أبا القاسم تالله لقد كنت من الناس الذين قال الله تعالى في حقهم « الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق » ثم قبله بين عينيه وأنشأ يقول

فتى كان يحميه من العار سيفه * ويكفيه سوآت الأمور اجتنابها

ثم قال للربيع قل لصاحبك المنصور قد مضى من بؤسنا أيام ومن نعمتك أيام والملتقى غداً بين يدي الله تعالى فكان ذلك فألا على المنصور ولم ير بعد ذلك اليوم راحة * وقيل لحسان مابالك لم ترث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم أر شيئا الا رأيته يقصر عنه والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الباب الثالث والثمانون في ذكر الدنيا وأحوالها وتقلبها بأهلها والزهد فيها ﴾

قال الله تعالى قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى فوصف سبحانه وتعالى جميع الدنيا بأنها متاع

قليل

وثلاثة آلاف درهم تتجمل بها لقدومك علينا فأدخلته الى داري وزدت في الطعام واشتريت فاكهة وجلسنا فأكلنا ثم وهبت لضيفي شيئا يشتري به هدية لأهله وتوجهنا الى باب يزيد بالرقة فوجدناه في الحمام فلما خرج استؤذن لي عليه فدخلت فاذا هو جالس على كرسي وبيده مشط يسرح به لحيته فسلمت عليه فرد أحسن رد وقال ما الذي أقعدك عنا قلت ذات اليد وأنشدته قصيدة مدحته بها قال أتدري لم حضرتك قلت لا أدري قال كنت عند الرشيد منذ ليال أحادثه فقال لي يا يزيد من القائل فيك هذه الأبيات

سل الخليفة سيفا من بني مضر * يمضي فيخترق الاجسام والهاما
لا ينثني عما يهم به كالدهر * قد أوسع الناس انعاما وارغاما

فقلت والله لا أدري يا أمير المؤمنين فقال سبحان الله أيقال فيك مثل هذا ولا تدري من قاله فسألت فقيل لي هو مسلم بن الوليد فأرسلت اليك فانهض بنا الى الرشيد فسرنا اليه واستؤذن لنا فدخلنا عليه فقبلنا الارض وسلمت

قليل وأنت أيها الانسان تعلم أنك ماأوتيت من القليل الا قليلا ثم ان القليل ان تمتعت به فهو لعب ولهو لقوله تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وقال تعالى وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون فلا تبغ أيها العاقل حياة قليلة تفنى بحياة كثيرة تبقى كما قال ابن عياض لو كانت الدنيا ذهبا يفنى والآخرة خزفا يبقى لوجب علينا أن نختار ما يبقى على ما يفنى ثم تأمل بعقلك هل آتاك الله من الدنيا مثل ما أوتى سليمان عليه الصلاة والسلام حيث ملكه الله تعالى جميع الدنيا من انس وجن وسخر له الريح والطير والوحوش ثم زاده الله تعالى أحسن منها حيث قال هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب فوالله ما عدها نعمة مثل ما عددتموها ولا حسبها رفعة مثل ما حسبتموها بل خاف أن يكون استدراجا من حيث لا يعلم فقال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر وهذا فصل الخطاب لمن تدبر هذا وقد قال لك ولجميع أهل الدنيا فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون وقال تعالى وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال لى رسول الله ﷺ ألا أريك الدنيا بما فيها قلت بلى يارسول الله فأخذ بيدى وأتى الى واد من أودية المدينة فاذا مزبلة فيها رؤس الناس وعذرات وخرق بالية وعظام البهائم فقال يا أبا هريرة هذه الرؤس كانت تحرص حرصكم وتأمل آمالكم وهى اليوم صارت عظاما بلا جلد ثم هى صائرة عظامها رميما وهذه العذرات ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبتموها فى الدنيا فأصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية رياشهم أصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التى كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه دخل على النبى ﷺ وهو على سرير من الليف وقد أثر الشريط فى جنبه فبكى عمر رضى الله تعالى عنه فقال رسول الله ﷺ ما يبكيك يا عمر فقال تذكرت كسرى وقيصر وما كانا فيه من سعة الدنيا وأنت رسول الله وقد أثر الشريط بجنبيك فقال ﷺ هؤلاء قوم عجلت لهم طيباتهم فى حياتهم الدنيا ونحن قوم أخرت لنا طيباتنا فى الآخرة وروى عن الضحاك قال لما أهبط الله آدم وحواء الى الأرض ووجدا ريح الدنيا وفقدا ريح الجنة غشى عليهما أربعين يوما من نتن الدنيا وعن ابن معاذ قال الحكمة تهوى من السماء الى القلوب فلا تسكن فى قلب فيه أربع خصال ركون الى الدنيا وهم غد وحسد أخ وحب شرف وعن النبى ﷺ أنه قال لعلى يا على أربع خصال من الشقاء جمود العين وقسوة القلب وبعد الامل وحب الدنيا وروى ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال يؤتى بالدنيا يوم القيامة على صورة عجوز شمطاء زرقاء العينين أنيابها بادية مشوهة الخلق لا يراها أحد الا هرب منها فتشرف على الخلائق أجمعين فيقال لهم أتعرفون هذه فيقولون لا نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التى تفاخرتم بها وتقاتلتم عليها وعن الفضيل بن عياض انه قال جعل الخير كله فى بيت واحد وجعل مفتاحه الزهد فى الدنيا وجعل الشر كله فى بيت واحد وجعل مفتاحه حب الدنيا وقيل إن الدنيا مثل ظل الانسان ان طلبته فر وان تركته تبعك وفيه قال بعضهم

انما الرزق الذى تطلبه * يشبه الظل الذى يمشى معك
أنت لا تدركه متبعا * وهو وان وليت عنه تبعك

(وقد شبهها بعضهم بخيال الظل فقال)

رأيت خيال الظل أعظم عبرة * لمن كان فى علم الحقائق راقى
شخوصا وأصواتا يخالف بعضها * لبعض واشكالا بغير وفاق

فرد على السلام فأنشدته ما لى فيه من شعر فأمر لى بمائتى ألف درهم وأمر لى يزيد بمائة وتسعين ألف درهم وقال ما ينبغى لى أن أساوى أمير المؤمنين فى العطاء انتهى (نادرة) قيل ترافق رجلان فى طريق فلما قربا من مدينة من المدن قال أحدهما للآخر قد صار لى عليك حق وانى رجل من الجان ولى اليك حاجة قال وما هى قال اذا وصلت الى المكان الفلانى من هذه المدينة فهنالك عجوز عندها ديك فاشتره منها واذبحه فقال له الآخر وأنا أيضا لى اليك حاجة قال وما هى قال اذا ركب الجنى انسانا ما يعمل له قال تشد ابهاميه بسير من جلد اليحمور وتقطر فى أذنيه من ماء السذاب أربعا وفى اليسرى ثلاثا فان الراكب له يموت ثم تفرقا ودخل الانسى ففعل ما أمره به الجنى من شراء الديك وذبحه فلم يشعر بعد أيام الا وقد أحاط به أهل صبية من تلك البلدة وقالوا له أنت ساحر ومن حين ذبحت الديك سلبت صبية عندنا عقلها فلا تفلتك الا الى صاحب المدينة قال فقلت لهم ائتونى بسير

تجيء وتمضي بابة بعد بابة * وتفنى جميعا والمحرك باقى

(وماأحسن ماقال سليمان بن الضحاك)

ماأنعم الله على عبد * بنعمة أوفى من العافيه * وكل من عوفى فى جسمه
فانه فى عيشة راضيه * والمال حلو حسن جيد * على الفتى لكنه عاريه
ماأحسن الدنيا ولكنها * مع حسنها غدارة فانيه

وتوفى رجل من كندة فكتب على قبره هذه الأبيات

ياواقفين ألم تكونوا تعلموا * ان الحمام بكم علينا قادم * لو تنزلون بشعبنا لعرفتمو
أن المفرط فى التزود نادم * لاتستعزوا بالحياة فانكم * تبنون والموت المفرق هادم
ساوى الردى مابيننا فى حفرة * حيث المخدم واحد والخادم

(وقال آخر) عن قليل أصير كوم تراب * وتقول الرفاق هذا فلان
صار تحت التراب عظما رميما * وجفاه الأصحاب والخلان

(وماأحسن ماقال عبدالله بن طاهر)

أليس الى ذا صار آخر أمرنا * فلا كانت الدنيا القليل سرورها
فلا تعجبي يانفس مما ترينه * فكل أمور الناس هذا مصيرها

(وقال شرف الدين بن أسد)

يامن تملك ملكا لابقاء له * حملت نفسك آثاما وأوزارا
هل الحياة بذى الدنيا وان عذبت * الا كطيف خيال فى الكرا زارا

(وقال بعضهم) وغاية هذى الدار لذة ساعة * و يعقبها الأحزان والهم والندم
وهاتيك دار الأمن والعز والتقى * ورحمة رب الناس والجود والكرم

(وقال غيره) حسنت ظنك بالايام اذ حسنت * ولم تخف سوء مايأتى به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها * وعند صفو الليالى يحدث الكدر

(وقال آخر) فان كنت لاتدرى متى الموت فاعلمن * بأنك لاتبقى الى آخر الدهر

ابن آدم أين الأولون والآخرون أين نوح شيخ المرسلين أين ادريس رفيع رب العالمين أين ابراهيم خليل الرحمن أين موسى الكليم من بين سائر النبيين أين عيسى روح الله وكلمته رأس الزاهدين وامام السائحين أين محمد خاتم النبيين أين أصحابه الابرار أين الامم الماضية أين الملوك السالفة أين القرون الخالية أين الذين نصبت على مفارقهم التيجان أين الذين قهروا الابطال والشجعان أين الذين دانت لهم المشارق والمغارب أين الذين تمتعوا باللذات والمشارب أين الذين تاهوا على الخلائق كبرا وعتيا أين الذين راحوا فى الحلل بكرة وعشيا أين الذين اغتروا بالاجناد أين أصحاب الوزراء والقواد أين أصحاب السطوة والاعوان أين أصحاب الامرة والسلطان أين أصحاب الاعمال والولايات أين الذين خفقت على رؤسهم الالوية والرايات أين الذين قادوا الجيوش والعساكر أين الذين عمروا القصور والدساكر أين الذين أعطوا النصر فى موطن الحروب والمواقف أين الذين آمنوا بسطوتهم كل خائف أين الذين ملؤا مابين الخافقين فخرا وعزا أين الذين فرشوا القصور حريرا وقزا أين الذين تضعضعت لهم الارض هيبة وعزا هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا أفناهم الله مفنى الامم وأبادهم مبيد الرمم وأخرجهم من سعة القصور الى ضيق القبور تحت الجنادل والصخور فأصبحوا لاترى الا مساكنهم لم ينفعهم ماجمعوا ولا أغنى عنهم ماكتسبوا أسلمهم الاحباء والاولياء وهجرهم الاخوان والاصفياء

من جلد اليحمور وقليل من ماء السذاب ودخلت على الصبية فربطت ابهاميها وقطرت ماء السذاب فى أذنيها فسمعت صوتا يقول آه علمتك على نفسى ثم مات من ساعته وشفى الله تلك الشابة واليحمور دابة وحشية لها قرنان طويلان كأنهما منشاران تنشر بهما الشجر وقيل هو كالابل يلقى قرنيه كل سنة وهما صامتان وقال الجوهرى هو الحمار الوحشى (ومن اللطائف) ماحكاه أبو الفرج فى كتاب النساء وابن الكرديوس فى الاكتفاء قالا كانت عند أبى العباس السفاح أم سلمة بنت يعقوب بن عبدالله المخزومي وكان قد أحبها حبا شديدا ووقعت فى قلبه موقعا عظيما فحلف لها أن لايتخذ عليها سرية ولايتزوج عليها امرأة فوفى لها بذلك فخلا به خالد بن صفوان يوما وقال له ياأمير المؤمنين فكرت فى أمرك وسعة ملكك وأنك قد ملكت نفسك امرأة واقتصرت عليها فاذا مرضت مرضت واذا حاضت حضت وحرمت نفسك التلذذ بالسرارى واستطراف

والاصفياء ونسيهم الأقرباء والبعداء لو نطقوا لأنشدوا

مقيم بالحجون رهين رمس * وأهلى راحلون بكل واد
كأنى لم أكن لهمو حبيبا * ولا كانوا الاحبة فى السواد
فعوجوا بالسلام فان أبيتم * فأوموا بالسلام على البعاد

وقالوا لافخر فيما يزول ولاغنى فيما لا يبقى وهل الدنيا إلا كما قال بعض الحكماء المتقدمين قدر يغلى وكنيف يملى وفى هذا المعنى قال الشاعر

ولقد سألت الدار عن أخبارهم * فتبسمت عجبا ولم تبدى
حتى مررت على الكنيف فقال لى * أموالهم ونوالهم عندى

ولقد أصاب ابن السماك حيث قال للرشيد لما قال له عظنى وكان بيده شربة ماء فقال له يا أمير المؤمنين لو حبست عنك هذه الشربة أكنت تفديها بملكك قال نعم قال يا أمير المؤمنين لو شربتها وحبست عن الخروج أكنت تفديها بملكك قال نعم فقال له لاخير فى ملك لا يساوى شربة ولا بولة وقال ابن شبرمة إذا كان البدن سقيما لم ينفعه الطعام واذا كان القلب مغرما لم تنفعه الموعظة * وروى أن أبا العتاهية مر بدكان وراق واذا بكتاب فيه

لا ترجع الأنفس عن غيها * مالم يكن منها لها زاجر

فقال لمن هذا البيت فقيل لابى نواس قاله للخليفة هرون الرشيد حين نهاه عن حب الجمال وعشق الملاح فقال وددت أنه لى بنصف شعرى (وممن) استبصر من أبناء الملوك فرأى عيب الدنيا وتقضيها وزوالها ابراهيم بن أدهم بن منصور كان من أبناء ملوك خراسان من كورة بلخ لما زهد الدنيا زهد فى ثمانين سريرا قال ابن بشار سألت ابراهيم بن أدهم كيف كان بدء أمرك حتى صرت الى هذا فقال كان أبى من ملوك خراسان وكان قد حبب الى الصيد فبينا أنا راكب فرسى وكلبى معى اذ رأيت ثعلبا أو أرنبا فحركت فرسى نحوه فسمعت نداء من ورائى يا ابراهيم مالهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت أنظر يمنة ويسرة فلم أر أحدا فقلت لعن الله الشيطان ثم حركت فرسى فسمعت نداء أعلى من الاول يا ابراهيم مالهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت انظر يمنة ويسرة فلم أر شيئا فقلت لعن الله الشيطان ثم حركت فرسى فسمعت النداء من قربوس سرجى يا ابراهيم مالهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت وقلت هيهات جاءنى النذير من رب العالمين والله لاعصيت ربى ما عصمنى بعد يومى هذا فتوجهت الى أهلى وخلفت فرسى وجئت الى بعض رعاة ابى فأخذت جبته وكساءه والقيت اليه ثيابى فلم أزل أرض تقلنى وأرض تضعنى حتى صرت الى العراق فعملت بها أياما فلم يصف لى شىء من الحلال فسألت بعض المشايخ عن الحلال فقال عليك بالشام قال فانصرفت الى بلد يقال لها المنصورية فعملت بها أياما فلم يصف لى شىء من الحلال فسألت بعض المشايخ فقال ان أردت الحلال فعليك بطرسوس فان المباحات بها والعمل فيها كثير فانصرفت اليها قال فبينا أنا قاعد على باب البحر إذ جاءنى رجل فاكترانى أنظر له بستانا فتوجهت معه فاقمت فى البستان أياما كثيرة فاذا خادم له قد أقبل ومعه اصحاب له ولو علمت أن البستان لخادم ما نظرته فقعد فى مجلسه ثم قال يا ناطورنا فاجبته قال اذهب فأتنا بأكبر رمان تقدر عليه وأطيبه فاتيته برمان فكسر الخادم واحدة فوجدها حامضة فقال يا ناطورنا انت منذ كذا وكذا فى بستاننا تأكل من فاكهتنا ورماننا ولا تعرف الحلو من الحامض فقلت والله ما أكلت من فاكهتكم شيئا ولا أعرف الحلو من الحامض قال فغمز الخادم أصحابه وقال ألا تعجبون من هذا ثم قال لى لو كنت ابراهيم بن أدهم ما كنت بهذه الصفة قال ثم تحدث

الجوارى ومعرفة اختلاف حالاتهن وأجناس التمتع بما تشتهى منهن فمنهن يا أمير المؤمنين الطويلة الغيداء والعنيقة الادماء والزهية السمراء والمولدات المغنيات اللواتى يفتن بحلاوتهن ولو رأيت يا أمير المؤمنين السمراء واللعساء من مولدات البصرة والكوفة وذوات الالسن العذبة والقدود المهفهفة والاوساط المختصرة والثدى النواهد المحققة وحسن زيهن وشكلهن لرأيت فتنا ومنظرا حسنا وأين أنت يا أمير المؤمنين من بنات الاحرار والنظر الى ماعندهن من الحياء والتخفر والدلال والتعطر ولم يزل خالد يجيد فى الوصف ويكثر فى الاطناب بحلاوة لفظه وجودة كلامه فلما فرغ قال له أبو العباس ويحك والله ماسلك مسامعى قط كلام أحسن مما سمعته منك فاعده على فاعاده عليه وزاد فيه ثم انصرف خالد وبقى العباس متفكرا مغموما فدخلت عليه أم سلمة وكانت تبره كثيرا وتتحرى مسرته وموافقته فى جميع ما أراده فقالت له مالى أراك مغموما يا أمير المؤمنين فهل حدث أمر

الناس بذلك وجاءوا الى البستان فلما رأيت كثرة الناس اختفيت والناس داخلون وأنا هارب منهم
وكان يأكل من كسب يده وكان يحصد و يحفظ البساتين و يعمل فى الطين فبيناهو يوما يحرس كرما اذ
مر به جندى فقال اعطنا من هذا العنب فقال له إن صاحبه لم يأذن لى فضربه بالسوط فطأطأ رأسه
وقال اضرب رأسا طالما عصى الله ياسيدى الجندى فاستحى الرجل وتركه ومضى * وروى أن
داود عليه الصلاة والسلام بيناهو يسيح فى الجبال اذمر على غار فيه رجل عظيم الخلقة من بنى آدم
ملقى على ظهره وعندرأسه حجر محفور مكتوب فيه انا دوسم الملك تملكت ألف عام وفتحت ألف مدينة
وهزمت ألف جيش وافتضيت ألف بكر من بنات الملوك ثم صرت الى ماترى التراب فراشى والحجر
وسادى فمن رآنى فلا تغره الدنيا كما غرتنى * وقال وهب بن منبه خرج عيسى عليه الصلاة والسلام
ذات يوم مع أصحابه فلما ارتفع النهار مروا بزرع قد أفرك فقالوا يانبى الله انا جياع فأوحى الله تعالى
اليه ان ائذن لهم فى قوتهم فأذن لهم فتفرقوا فى الزرع يفركون و يأكلون فبيناهم كذلك اذ جاء
صاحب الزرع يقول زرعى وأرضى ورثتهما من أبى وجدى فباذن من تأكلون ياهؤلاء قال فدعا عيسى ربه
أن يبعث جميع من ملكها من لدن آدم الى تلك الساعة فاذا عندكل سنبلة ماشاء الله من رجل وامرأة يقولون
أرضنا ورثناها عن آبائنا وأجدادنا ففر الرجل منهم وكان قد بلغه أمر عيسى ولكن لا يعرفه فلما عرفه
قال معذرة اليك يانبى الله انى لم أعرفك فزرعى ومالى حلال لك فبكى عيسى عليه الصلاة والسلام وقال ويحك
هؤلاء كلهم ورثوها وعمروها ثم ارتحلوا عنها وأنت مرتحل عنها ولاحق بهم ليس لك أرض ولا مال *
ولمامات اسكندر قال ارسطاطاليس أيها الملك لقد حركتنا بسكونك وقال بعض الحكماء من أصحابه
لقد كان الملك أمس أنطق منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس أخذه أبو العتاهية فقال

كفى حزنا بدفنك ثم انى * نفضت تراب قبرك من يديا
وكانت فى حياتك لى عظات * وأنت اليوم أوعظ منك حيا

(وقال عبدالله بن المعتز)

نسير الى الآجال فى كل ساعة * فأيامنا تطوى وهن مراحل
ولم أر مثل الموت حقا كأنه * اذا ماتخطته الأمانى باطل
وما أقبح التفريط فى زمن الصبا * فكيف به والشيب فى الرأس شاعل
ترحل من الدنيا بزاد من التقى * فعمرك أيام تعد قلائل

(وقال) عبدالله بن المعلم خرجنا من المدينة حجاجا فاذا أنا برجل من بنى هاشم من بنى العباس بن
عبدالمطلب قدرفض الدنيا وأقبل على الآخرة فجمعتنى واياه الطريق فأنست به وقلت له هل لك ان
تعادلنى فان معى فضلا من راحلتى فجزانى خيرا وقال لو أردت هذا لكان سهلا ثم أنس الى فجعل يحدثنى
فقال أنا رجل من ولد العباس كنت أسكن البصرة وكنت ذا كبر شديد ونعمة طائلة ومال كثير
و بذخ زائد فأمرت خادما لى أن يحشولى فراشا من حرير ومخدة بورد نثير ففعل فانى لنائم اذا
بقمع وردة قد نسيه الخادم فقمت اليه فأوجعته ضربا ثم عدت الى مضجعى بعد اخراج القمع من
المخدة فأتانى آت فى منامى فى صورة فظيعة فهزنى وقال أفق من غشيتك وانتبه من رقدتك ثم أنشأ يقول

يا خل انك ان توسد لينا * وسدت بعد اليوم صم الجندل
فامهد لنفسك صالحا تسعد به * فلتندمن غدا اذا لم تفعل

فانتبهت مرعوبا وخرجت من ساعتى هاربا الى ربى كما ترانى ثم أنشأ يقول

تكرهه أو أتاك أمر
ارتعت قال لم يكن شىء
من ذلك قالت فما قصتك
فجعل يكتم عنها فلم تزل
به حتى أخبرها بمقالة
خالد قالت فما قلت لابن
الفاعلة قال سبحان الله
ينصحنى وتشتمينه فخرجت
من عنده وأرسلت
الى خالد عبيدا وأمرتهم
بضربه والتنكيل به قال
خالد وانصرفت الى منزلى
مسرورا بما رأيت من
اصغاء أمير المؤمنين الى
كلامى واعجابه بما ألقيت
اليه وأنا لا أشك فى
الصلة فلم ألبث ان جاء
العبيد فلما رأيتهم أقبلوا
نحوى أيقنت بالجائزة
فوقفوا على وسألوا عنى
فعرفتهم نفسى فأهوى
الى أحدهم بعمود كان
فى يده فبادرت الى الدار
وأغلقت الباب ومكثت
أياما لا أخرج من منزلى
وطلبنى أمير المؤمنين طلبا
شديدا فلم أشعر ذات
يوم الا بقوم هجموا على
فقالوا أجب أمير المؤمنين
فأيقنت بالموت وقلت لم
أر دم شيخ أضيع من
دمى وركبت فلم أصل
الى الدار حتى استقبلنى
عدة رسل فدخلت على
أمير المؤمنين فوجدته
جالسا فأومأ الى بالجلوس

من كان يعلم أن الموت يدركه * والقبر مسكنه والبعث يخرجه * وانه بين جنات مزخرفة
يوم القيامة أو نار ستنضجه * فكل شيء سوى التقوى به سمج * ومن أقام عليه منه أسمجه
ترى الذى اتخذ الدنيا له وطنا * لم يدر أن المنايا سوف تزعجه

قال وهب بن منبه أصبت على قصر غمدان وهو قصر سيف بن ذى يزن بأرض صنعاء اليمن وكان من الملوك الاجلة مكتوبا بالقلم المسندى فترجم بالعربى فاذا هى أبيات جليلة وموعظة عظيمة جميلة وهى هذه الابيات

باتوا على قلل الاجبال تحرسهم * غلب الرجال فلم تنفعهم القلل * واستنزلوا من أعالى عز معقلهم
فاسكنوا حفرة يا بئس ما نزلوا * ناداهم صارخ من بعد ما دفنوا * أين الاسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التى كانت محجبة * وكان من دونها الاستار الكلل * فافصح القبر عنهم حين ساءلهم
تلك الوجوه عليها الدود يقتتل * قد طالما أكلوا دهرا وما شربوا * فأصبحوا بعد ذاك الاكل قد أكلوا

وروى ان عيسى عليه الصلاة والسلام كان معه صاحب فى بعض سياحاته فأصابهما الجوع وقد انتهيا الى قرية فقال عيسى عليه الصلاة والسلام لصاحبه انطلق فاطلب لنا طعاما من هذه القرية وأعطاه ما يشترى به فذهب الرجل وقام عيسى عليه الصلاة والسلام يصلى فجاء الرجل بثلاثة أرغفة فقعد ينتظر انصراف عيسى من الصلاة فأبطأ عليه فأكل رغيفا وكان عيسى عليه الصلاة والسلام رآه حين جاء ورأى الارغفة ثلاثة فلما انصرف من صلاته لم يجد الا رغيفين فقال له أين الرغيف الثالث فقال الرجل ما كانا الا رغيفين فأكلاهما ثم مرا على وجوههما حتى أتيا على ظباء ترعى فدعا عيسى عليه الصلاة والسلام واحدا منها فجاءه فذكاه وأكلا منه فقال له عيسى بالذى أراك هذه الآية من أكل الرغيف الثالث فقال ما كانا الا اثنين ثم مرا على وجوههما حتى جاآ قرية فدعا عيسى ربه أن ينطق له من يخبره عن حال هذه القرية فانطق الله له لبنة فسألها عيسى فاخبرته بكل ما أراد وصاحبه يتعجب مما رأى فقال له عيسى بحق من أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث فقال ما كانا الا اثنين فمرا على وجوههما حتى انتهيا الى نهر عجاج فأخذ عيسى صلوات الله عليه بيد الرجل ومشى به على الماء حتى جاوز النهر فقال الرجل سبحان الله فقال عيسى عليه الصلاة والسلام بالذى أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث فقال ما كانا الا اثنين فمرا على وجوههما حتى أتيا قرية عظيمة خربة واذا قريب منها ثلاث لبنات عظام وقيل ثلاثة أكوام من الرمل فقال لها كونى ذهبا باذن الله فكانت فلما رآها الرجل قال هذا مال فقال عيسى نعم واحدة لى وواحدة لك وواحدة لصاحب الرغيف الثالث فقال الرجل أنا صاحب الرغيف الثالث فقال عيسى عليه الصلاة والسلام هى لك كلها ثم فارقه عيسى وأقام الرجل ليس معه ما يحملها عليه فمر به ثلاثة نفر فقتلوه فقال اثنان منهما للثالث انطلق الى القرية فأتنا بطعام فانطلق فلما غاب قال أحدهما للآخر إذا جاء قتلناه واقتسمنا المال بيننا فقال الآخر نعم وأما الذى ذهب ليشترى الطعام فانه أضمر لصاحبيه السوء وقال اجعل لهما فى الطعام سما فاذا أكلاه ماتا وآخذ المال لنفسى فوضع السم فى الطعام وجاء فقاما اليه فقتلاه وأكلا الطعام فماتا فمر بهم عيسى عليه الصلاة والسلام وهم مصروعون حولها فقال هكذا الدنيا تفعل بأهلها *

وقال الهيثم بن عدى وجد غار فى جبل لبنان زمن الوليد بن عبد الملك وفيه رجل مسجى على سرير من الذهب وعند رأسه لوح من الذهب أيضا مكتوب فيه بالرومية أنا سبأ بن نواس خدمت عيصو ابن اسحق بن ابراهيم خليل الرب الاكبر وعشت بعده دهرا طويلا ورأيت عجبا كثيرا ولم أر فيما رأيت أعجب من غافل عن الموت وهو يرى مصارع آبائه ويقف على قبور أحبابه ويعلم أنه صائر اليهم ثم لا يتوب وقد علمت أن الاجلاف الجفاة يستنزلونى عن سريرى ويتولونه وذلك حين يتغير الزمان

فتاب الى عقلى وفى المجلس باب عليه ستور وقد أرخيت وخلفه حركة فقال لى ياخالد مذ ثلاث لم أرك قلت كنت عليلا يا أمير المؤمنين قال أنت وصفت فى آخر دخلة لى من أمر النساء والجوارى ما لم يطرق سمعى قط كلام أحسن منه فاعده على قلت نعم يا أمير المؤمنين أعلمتك ان العرب انما اشتقت اسم الضرة من الضرر وان أحدا لم يك عنده امرأتان الا كان فى ضرر وتنغيص قال ويحك لم يكن هذا فى حديثك قلت نعم يا أمير المؤمنين ان الثلاث من النساء كاثافى القدر تغلى عليها أبدا وان الاربع شر مجموع لصاحبه يهرمنه ويسقمنه ويضعفنه وان أبكار الاماء رجال ولكن لا خصى لهن قال فقال أبو العباس برئت من قرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سمعت منك من هذا شيئا قط قال خالد بلى والله يا أمير المؤمنين وعرفتك ان بنى مخزوم ريحانة قريش وان عندك ريحانة الرياحين وأنت تطمع بعينك الى الاماء والسرارى قال خالد فقال لى أبو العباس

و يكثر الهزيان و يترأس الصبيان فمن أدرك هذا الزمان عاش قليلا ومات ذليلا وعن عمرو بن ميمون انه قال افتتحنا مدينة بفارس فدللنا على مغارة فيها بيت فيه سرير من الذهب عليه رجل عند رأسه لوح مكتوب فيه أنا بهرام ملك فارس كنت أعتاهم بطشا وأقساهم قلبا وأطولهم أملا وأحرصهم على الدنيا قد ملكت البلاد وقتلت الملوك وهزمت الجيوش وأذللت الجبابرة وجمعت من الأموال مالم يجمعه أحد قبلي ولم أستطع أن أفتدى به من الموت اذ نزل بى و يروى فى الاسرائيليات أن عيسى عليه الصلاة والسلام بينا هو فى سياحته اذ مر بجمجمة نخرة فسأل الله فى أن تتكلم فأنطقها الله له فقالت يا نبى الله أنا بلوان بن حفص ملك اليمن عشت ألف سنة و رزقت ألف ولد وافتضضت ألف بكر وهزمت ألف جيش وفتحت ألف مدينة فما كان كل ذلك الا كحلم النائم فمن سمع قصتى فلا يغتر بالدنيا فبكى عيسى عليه الصلاة والسلام بكاء شديدا حتى غشي عليه و وجد مكتوب على قصر قد خربت أركانه وبادت أهله وأظلمت نواحيه هذه الأبيات

هذى منازل أقوام عهدتهم * يوفون بالعهد مذ كانوا وبالذمم
تبكى عليهم ديار كان يطربها * ترنم المجد بين الجود والكرم

(وقيل فى المعنى) بالله ربك كم قصر مررت به * قد كان أعمر باللذات والطرب
نادى غراب المنايا فى جوانبه * وصاح من بعده بالويل والحرب

(وفيه) أيها الرافع البناء رويدا * لا يرد المنون عنك البناء

﴿وحكي﴾ ان رجلين تنازعا فى أرض فانطق الله تعالى لبنة من جدار تلك الارض فقالت انى كنت ملكا من الملوك ملكت الدنيا ألف سنة ثم صرت رميما ألف سنة ثم أخذنى خزاف وعملنى اناء فاستعملت ألف سنة حتى تكسرت وصرت ترابا فأخذنى طواب وعملنى لبنا وأنا فى هذا الجدار كذا وكذا سنة فلم تتنازعان فى هذه الارض وأنتم عنها زائلون والى غيرها منقلبون والله سبحانه وتعالى أعلم (و روى) أن ملكا بنى قصرا وقال انظروا إن كان فيه عيب فاصلحوه فقال رجل أرى فيه عيبين فقالوا له وما هما قال يموت الملك و يخرب القصر قال صدقت ثم أقبل على الله وترك القصر والدنيا * وقيل سئل الخضر عليه السلام عن أعجب شيء رآه فى الدنيا مع طول سياحته وقطعه للقفار والفلوات فقال أعجب شيء رأيته أنى مررت بمدينة لم أر على وجه الارض أحسن منها فسألت بعض أهلها متى بنيت هذه المدينة فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا متى بنيت ومازالت كذلك من عهد الطوفان ثم غبت عنها خمسمائة سنة ومررت بها فاذا هي خاوية على عروشها ولم أر أحدا أسأله واذا رعاة غنم فدنوت منهم فقلت أين المدينة التى ههنا فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا أنه كان ههنا مدينة ثم غبت خمسمائة سنة ومررت بها واذا موضع تلك المدينة بحر واذا غواصون يخرجون منه شبه الحلية فقلت للغواصين منذ كم هذا البحر ههنا فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا الا أن هذا البحر من عهد الطوفان فغبت خمسمائة سنة وجئت فاذا البحر قد غاض ماؤه واذا مكانه غيضة وصيادون يصيدون فيها السمك فى زوارق صغار فقلت لبعضهم أين البحر الذى كان ههنا فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا انه كان ههنا بحر فغبت خمسمائة عام ثم جئت الى ذلك فاذا هو بمدينة على الحالة الأولى والحصون والقصور والاسواق قائمة فقلت لبعضهم أين الغيضة التى كانت ههنا ومتى بليت هذه المدينة فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا الا أن هذه المدينة على حالها من عهد الطوفان فغبت عنها نحو خمسمائة سنة ثم أتيت اليها فاذا عاليها سافلها وهى تدخن بدخان شديد فلم أر أحدا أسأله ثم أتيت راعيا فسألته أين المدينة قال سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا

ويحك أتكذبنى قالت أفتقتلنى يا أمير المؤمنين قال فسمعت ضحكا من وراء الستر وقائلا يقول صدقت والله ياعماه هذا الذى حدثته ولكنه بدل وغير ونطق على لسانك بما لم تنطق به قال خالد فقمت عنهما وتركتهما يتراودان فى أمرها فما شعرت الا برسل أم سلمة معهم المال وتخوت ثياب فقالوا لى تقول لك أم سلمة اذا حدثت أمير المؤمنين فحدثه بمثل حديثك هذا انتهى ﴿ومن البدائع﴾ ما يحكى أن السلطان الملك الكامل أصبح متمرضا فأشار عليه الأطباء باستعمال شراب ليمون شتوى فأمر بعض الخدام باحضاره فمضى الخادم وأحضر شراب ليمون سائل فقال الطبيب ماطلبت الا شتويا وهذا سائل ردوه فقال الأمير صلاح الدين والله ما من عادة مولانا السلطان أن يرد سائلا فقال السلطان والله ما أردسائلا ها توه أحسنت والله ياصلاح الدين فأكله وكان الشفاء فيه (ونظير ذلك) ما حكي أنه كان بالقاهرة شاب حسن الوجه يسمى بركن الدين وله معلم اسمه ابراهيم كان ربما يتهم به وكان بعض

الا أن هذا المكان هكذا منذ كان فهذا أعجب شيء رأيته في سياحتي فسبحان مبيد العباد ومفني البلاد ووارث الأرض ومن عليها وباعث من خلق منها بعد رده اليها (ولبعضهم)

قف بالديار فهـذه آثارهم * تبكي الاحبة حسرة وتشوقا
كم قد وقفت بها أسائل أهلها * عن حالها مترحما أو مشفقا
فاجابني داعي الهوى في رسمها * فارقت من تهوى وعز الملتقى

(ولبعضهم) أيها الربع الذي قد دثرا * كان علينا ثم أضحى أثرا * أين سكانك ماذا فعلوا
خبرن عنهم سقيت المطرا * فلقد نادى منادي دارهم * رحلوا واستودعوني عبرا

وقال عيسى عليه الصلاة والسلام أوحى الله الي الدنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه يا دنيا مري على أوليائي ولا تحلي لهم فتفتنيهم وقال بعض الحكماء الدنيا كالماء المالح كلما ازداد صاحبها شربا ازداد عطشا أو كالكأس من عسل وفي أسفله سم فالذائق منه حلاوة عاجلة وفي أسفله الموت أو كحلم النائم يفرح في منامه فاذا استيقظ زال فرحه أو كالبرق يضيء قليلا ثم يذهب * ولما بنى المأمون قصره الذي ضرب به المثل نام فيه فسمع قائلا يقول

أتبني بناء الخالدين وانما * بقاؤك فيها ان عقلت قليل
لقد كان في ظل الاراك كفاية * لمن كل يوم يقتضيه رحيل

قال فلم يلبث بعدها الا قليلا ومات وقال

ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض * على الماء خانته فروج الاصابع

ووجد مكتوب على قصر باد أهله

هذي منازل أقوام عهدتهم * في خفض عيش نفيس ماله خطر
صاحت بهم نائبات الدهر فانقلبوا * الى القبور فلا عين ولا أثر

ولو قيل للدنيا صفي نفسك ماعدت ماوصفها به أبو نواس بقوله

وما الناس الا هالك وابن هالك * وذو نسب في الهالكين عريق
اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو في ثياب صديق

(وروى) أن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه لما رجع من صفين ودخل أوائل الكوفة رأى قبرا فقال قبر من هذا فقالوا قبر خباب بن الارت فوقف عليه وقال رحم الله خبابا أسلم راغبا وهجر طائعا وعاش مجاهدا وابتلي في جسمه آخرا ألا وان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا ثم مشى فاذا هو بقبور فجاء حتى وقف عليها وقال السلام عليكم أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع وبكم عما قليل لاحقون اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز عنا وعنهم طوبى لمن ذكر المعاد وعمل ليوم الحساب وقنع بالكفاف ورضي عن الله تعالى ثم قال يا أهل القبور أما الأزواج فقد نكحت وأما الديار فقد سكنت وأما الأموال فقد قسمت وهذا ما عندنا فما عندكم ثم التفت الى أصحابه وقال أما أنهم لو تكلموا لقالوا وجدنا خير الزاد التقوى والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿الباب الرابع والثمانون فيما جاء في فضل الصلاة على رسول الله ﷺ وهو آخر الأبواب وبه يختم الكتاب﴾

﴿ولنذكر أربعين حديثا في فضل الصلاة على النبي ﷺ﴾

﴿الحديث الأول﴾ عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ من صلى على صلت عليه الملائكة ومن صلت عليه الملائكة صلى الله عليه ومن صلى الله عليه لم يبق شيء في السموات ولا في

الأدباء يميل الى هذا الصبي وله فيه غزل حسن قال الناقل فركبت يوما مع الأمير صلاح الدين فمررنا على باب ذلك الصبي فوجدت ذلك الأديب قريبا من الباب فقلت له أي شيء تصنع ههنا فقال أطوف بالبيت فاعلي أستلم الركن أو أصل إلى مقام ابراهيم فاستحسنت ذلك منه وسألني الأمير صلاح الدين ما معنى ذلك فغالطته في الجواب فأقسم أن لابد أن أخبره فأخبرته فاستحسن ذلك منه وأمر باحضاره الى مجلسه ونال منه راحة (ذكر ابن الجوزي في كتاب تلقيح فهوم الادباء) عن محمد بن عثمان بن أبي خيثمة السلمي عن أبيه عن جده قال بينما عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يطوف ذات ليلة في سكك المدينة إذ سمع امرأة تقول

هل من سبيل الى خمر فأشربها
أم من سبيل إلى نصر ابن حجاج
الى فتى ماجد الاعراق مقتبل
سهل المحيا كريم غير ملجاج

الأرض إلا صلى عليه ﴿ الحديث الثاني ﴾ قال رسول صلى الله عليه وسلم من صلى على صلاة
واحدة أمر الله حافظيه أن لا يكتبا عليه ذنبا ثلاثة أيام ﴿ الحديث الثالث ﴾ قال رسول الله ﷺ
من صلى على مرة خلق الله من قوله ملكا له جناحان جناح بالمشرق وجناح بالمغرب رأسه وعنقه
تحت العرش وهو يقول اللهم صل على عبدك مادام يصلي على نبيك ﴿ الحديث الرابع ﴾ قال
رسول الله ﷺ من صلى على مرة صلى الله عليه بها عشرا ومن صلى على عشرا صلى الله عليه بها مائة
ومن صلى على مائة صلى الله عليه بها الفا ومن صلى على الفا لم يعذبه الله بالنار ﴿ الحديث الخامس ﴾
قال رسول الله ﷺ من صلى على مرة كتب الله له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر
درجات ﴿ الحديث السادس ﴾ قال رسول الله ﷺ أتاني جبريل يوما قال يا محمد جئتك ببشارة لم
آت بها أحدا قبلك وهي ان الله تعالى يقول لك من صلى عليك من أمتك ثلاث مرات غفر الله له ان
كان قائما قبل ان يقعد وان كان قاعدا غفر له قبل أن يقوم فعند ذلك خر ساجدا لله شاكرا ﴿ الحديث
السابع ﴾ قال رسول الله ﷺ من صلى على في الصباح عشرا محيت عنه ذنوب أربعين سنة ﴿ الحديث
الثامن ﴾ قال رسول الله ﷺ من صلى على ليلة الجمعة أو يوم الجمعة مائة مرة غفر الله له خطيئة
ثمانين سنة ﴿ الحديث التاسع ﴾ قال رسول الله ﷺ من صلى على ليلة الجمعة أو يوم الجمعة مائة مرة
قضى الله له مائة حاجة ووكل الله به ملكا حين يدفن في قبره يبشره كما يدخل أحدكم على أخيه بالهدية
﴿ الحديث العاشر ﴾ قال رسول الله ﷺ من صلى على في يوم مائة مرة قضيت له في ذلك اليوم مائة
حاجة ﴿ الحديث الحادي عشر ﴾ قال رسول الله ﷺ أقربكم مني مجلسا أكثركم على صلاة ﴿ الحديث
الثاني عشر ﴾ قال رسول الله ﷺ من صلى على ألف مرة بشر بالجنة قبل موته ﴿ الحديث الثالث
عشر ﴾ قال رسول الله ﷺ جاءني جبريل عليه السلام وقال لي يا رسول الله لا يصلي عليك أحد
إلا و يصلي عليه سبعون الفا من الملائكة ﴿ الحديث الرابع عشر ﴾ قال رسول الله ﷺ الدعاء بعد
الصلاة على لا يرد ﴿ الحديث الخامس عشر ﴾ قال رسول الله ﷺ الصلاة على نور على الصراط
وقال عليه الصلاة والسلام لا يلج النار من يصلي على ﴿ الحديث السادس عشر ﴾ قال رسول الله
ﷺ من جعل عبادته الصلاة على قضى الله له حاجة الدنيا والآخرة ﴿ الحديث السابع عشر ﴾
قال رسول الله ﷺ من نسي الصلاة على أخطأ طريق الجنة ﴿ الحديث الثامن عشر ﴾ قال
رسول الله ﷺ ان لله ملائكة في الهواء بأيديهم قراطيس من نور لا يكتبون الا الصلاة على وعلى
أهل بيتي ﴿ الحديث التاسع عشر ﴾ قال رسول الله ﷺ لو أن عبدا جاء يوم القيامة بحسنات
أهل الدنيا ولم تكن فيها الصلاة على ردت عليه ولم تقبل منه ﴿ الحديث العشرون ﴾ قال رسول الله
ﷺ أولى الناس بي أكثرهم على صلاة ﴿ الحديث الحادي والعشرون ﴾ قال رسول الله ﷺ
من صلى على في كتاب لم تزل الملائكة تصلي عليه مالم يندرس اسمي من ذلك الكتاب ﴿ الحديث
الثاني والعشرون ﴾ قال رسول الله ﷺ ان لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني الصلاة
على من أمتي فاستغفر لهم ﴿ الحديث الثالث والعشرون ﴾ قال رسول الله ﷺ من صلى على كنت
شفيعه يوم القيامة ومن لم يصل على فأنا بريء منه ﴿ الحديث الرابع والعشرون ﴾ قال رسول الله
ﷺ يؤمر بقوم الى الجنة فيخطئون الطريق قالوا يا رسول الله ولم ذاك قال سمعوا اسمي ولم يصلوا
على ﴿ الحديث الخامس والعشرون ﴾ قال رسول الله ﷺ يؤمر برجل الى النار فأقول ردوه
الى الميزان فأضع له شيئا كالأنملة معي في ميزانه وهو الصلاة على فترجح ميزانه و ينادي سعد فلان

تنميه أعراق صدق حين
تنسبه
أخي وفاء عن المكروب فراج
فقال عمر رضي الله تعالى
عنه لا أدري معي بالمدينة
رجلا تهتف به العواتق في
خدورهن على بنصر بن
حجاج فلما أصبح أتي
بنصر بن حجاج فاذا هو
من أحسن الناس وجها
وأحسنهم شعرا فقال عمر
عزمة من أمير المؤمنين
لتأخذن من شعرك فأخذ
من شعره فخرج من عنده
وله وجنتان كأنهما شقتا
قمر فقال له اعتم فاعتم
فافتتن الناس بعينيه فقال
له عمر والله لا تساكنني
في بلدة أنا فيها فقال يا أمير
المؤمنين ماذنبي قال هو
ما أقول لك ثم سيره الى
البصرة وخشيت المرأة
التي سمع منها عمر ماسمع
أن يبدو من عمر اليها شيء
فدست اليه أبياتا وهي
قل للامام الذي تخشى
بوادره
مالي وللخمر أو نصر بن
حجاج
لا تجعل الظن حقا أن تبينه
ان السبيل سبيل الخائف
الراجي
ان الهوى ذم بالتقوى لتحجبه
حتى يقر بالجام واسراج
قال فبكى عمر رضي الله

﴿الحديث السادس والعشرون﴾ قال رسول الله ﷺ ما اجتمع قوم فى مجلس ولم يصل على فيه الا تفرقوا كقوم تفرقوا عن ميت ولم يغسلوه ﴿الحديث السابع والعشرون﴾ قال رسول الله ﷺ ان الله تعالى وكل بقبرى ملكا أعطاه اسماء الخلائق كلها فلا يصلى على أحد الى يوم القيامة إلا بلغنى اسمه وقال يارسول الله ان فلان بن فلانة صلى عليك ﴿الحديث الثامن والعشرون﴾ عن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه انه قال الصلاة على النبى ﷺ أمحى للذنوب من الماء لسواد اللوح ﴿الحديث التاسع والعشرون﴾ قال رسول الله ﷺ ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام ان أردت أن أكون اليك أقرب من كلامك الى لسانك ومن روحك لجسدك فاكثر الصلاة على النبى الأمى ﷺ ﴿الحديث الثلاثون﴾ قال رسول الله ﷺ ان ملكا أمره الله تعالى باقتلاع مدينة غضب عليها فرحمها ذلك الملك ولم يبادر الى اقتلاعها فغضب الله عليه وأكسر أجنحته فمر به جبريل عليه السلام فشكا له حاله فسأل الله فيه فامره أن يصلى على النبى ﷺ فصلى عليه فغفر الله له ورد عليه أجنحته ببركة الصلاة على النبى ﷺ ﴿الحديث الحادى والثلاثون﴾ عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت من صلى على رسول الله ﷺ عشر مرات وصلى ركعتين ودعا الله تعالى تقبل صلاته وتقضى حاجته ودعاؤه مقبول غير مردود ﴿الحديث الثانى والثلاثون﴾ عن زيد بن حارثة قال سألت رسول الله ﷺ عن الصلاة عليه فقال ﷺ صلوا على واجتهدوا فى الدعاء وقولوا اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد ﴿الحديث الثالث والثلاثون﴾ عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ صلوا على فان صلاتكم على زكاة لكم واسألوا الله لى الوسيلة ﴿الحديث الرابع والثلاثون﴾ عن سهل بن سعد الساعدى أن النبى ﷺ قال لاصلاة لمن لم يصل على نبيه ﷺ ﴿الحديث الخامس والثلاثون﴾ عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على ﴿الحديث السادس والثلاثون﴾ عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله ﷺ من قال جزى الله عنا محمدا خيرا وجزى الله نبينا محمدا بما هو أهله فقد أتعب كاتبيه ﴿الحديث السابع والثلاثون﴾ عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ لا تجعلوا بيوتكم قبورا وصلوا على فان صلاتكم تبلغنى حيثما كنتم ﴿الحديث الثامن والثلاثون﴾ عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ مامن أحد يصلى على الا رد الله على روحى حتى أرد عليه ﴿الحديث التاسع والثلاثون﴾ قال رسول الله ﷺ أقربكم منى منزلا يوم القيامة أكثركم على صلاة ﴿الحديث الاربعون﴾ نقل الشيخ كمال الدين الدميرى رحمه الله تعالى عن شفاء الصدور لابن سبع ان النبى ﷺ قال من سره أن يلقى الله وهو عليه راض فليكثر من الصلاة على فانه من صلى على فى كل يوم خمسمائة مرة لم يفتقر أبدا وهدمت ذنوبه ومحيت خطاياه ودام سروره واستجيب دعاؤه وأعطى أمله وأعين على عدوه وعلى أسباب الخير وكان ممن يرافق نبيه فى الجنان اللهم صل على سيد المرسلين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين الذى أنزل عليه فى محكم الكتاب العزيز تعظيماله وتوقيرا يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا فهذا خطاب خاص الخاص ولم يخاطب الله أحدا من المرسلين ولا من الانبياء ولا رسولا بالرسالة الا سيد خلقه محمد ﷺ فان الله تعالى نادى أبا البشر يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ويا نوح اهبط بسلام منا ويا إبراهيم أعرض عن هذا ويا داود إنا جعلناك خليفة فى الارض ويا عيسى اذكر نعمتى وقال لمحمد ﷺ يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك يا أيها الرسول لايحزنك يا أيها النبى حسبك الله يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين يا أيها النبى إذا طلقتم النساء يا أيها النبى لم تحرم

تعالى عنه وقال الحمد لله الذى ذم الهوى بالتقوى قال وطال مكث نصر بن حجاج بالبصرة فخرجت أمه يوما بين الاذان والاقامة متعرضة لعمر فاذا هو قد خرج فى ازار ورداء وبيده الدرة فقالت يا أمير المؤمنين والله لأقفن أنا وأنت بين يدى الله تعالى وليحاسبنك الله أيبيتن عبد الله وعاصم الى جنبيك وبينى وبين ابنى الفيافى والاودية فقال لها ان ابنى لم تهتف بهما العواتق فى خدورهن ثم أرسل عمر الى البصرة بريدا الى عتبة فقال عتبة من أراد أن يكتب الى أمير المؤمنين فليكتب فان البريد خارج فكتب نصر بن حجاج بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليك يا أمير المؤمنين أما بعد فاسمع منى هذه الابيات

يا أيها النبي اتق الله يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشراً ونذيراً وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وما
ناداه باسمه يا محمد كغيره الا في أربع مواضع اقتضت الحكمة أن يذكر هناك باسمه محمد ﷺ * الأول
قوله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل لان سبب انزالها أن الشيطان صاح يوم أحد
قد قتل محمد وكان ما كان فأنزل الله تعالى هذه الآية ولو قال وما رسولي لقال الاعداء ليس هو
محمد فذكره باسمه لانهم ما كانوا ينكرون أن اسمه محمد * الثاني قوله عز وجل ما كان محمد أبا أحد من رجالكم
ولكن رسول الله وخاتم النبيين * الثالث قوله عز وجل الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم
والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد فلو قال وآمنوا بما نزل على رسولي لقال الاعداء
ليس هو فعرفه باسم محمد ﷺ * الرابع قوله عز وجل محمد رسول الله والحكمة في ذكره هنا باسمه أنه
سبحانه وتعالى قال قبلها هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله فكان من
الاعداء من يقول من هو رسوله الذي أرسله فعرفه باسمه فقال محمد رسول الله وسماه تعالى باسمه أحمد
في موضع واحد وله حكمة وهي ان الله تعالى لما أرسل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام قال
لقومه من بني اسرائيل يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة التي أنزلت
على موسى ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد لانهم كانوا يعرفونه في التوراة أحمد فما ناداه سبحانه
وتعالى باسمه محمد ولا أحمد وانما ذكر ذلك اعلاما به وتعريفا له وما ناداه الا بالنبوة والرسالة فقال يا أيها
النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشراً ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا أي شاهدا بالايمان للمؤمنين
ومبشراً لاهل التمجيد ونذيراً لاهل التجحيد وقيل شاهداً لاهل القرآن ومبشراً لهم بالغفران ونذيراً
لأهل الكفر والعصيان وقيل شاهداً لامتك ومبشراً بشفاعتك ونذيراً لمن ارتكب مخالفتك وقيل شاهد
بالمنة ومبشراً بالجنة وقوله وداعيا الى الله باذنه أي يدعو الناس بامر الله تعالى الى لا إله إلا الله قال
تعالى وأنه لما قام عبد الله يدعوه وسمى رسول الله ﷺ نفسه داعيا فقال أنا الداعي الى الله وقوله تعالى
وسراجا منيرا أي يهتدي به كما يهتدي بالسراج في ظلمة الليل (فان قلت) ما الحكمة في قوله تعالى وسراجا
منيرا ولم يقل قمرا منيرا * فالجواب عن ذلك أن السراج أعم من القمر لان المراد بالسراج هنا الشمس
قال تعالى وجعل الشمس سراجا والشمس أعم نفعا ونوراً من القمر وقيل المراد بقوله تعالى وسراجا
منيرا السراج الذي يقتبس منه لان القمر لا تصل اليه الايدي حتى يقتبسون منه والسراج اذا كان
في بلد يملأ ذلك البلد نوراً لان كل من جاء يقتبس منه والقمر ليس كذلك ولهذا كانت الدنيا قبل ولادته
ﷺ ظلاما فلما ولد ظهر سراج دينه بمكة فكان أول من اقتبس من الرجال أبو بكر ومن النساء
خديجة ومن الشباب علي ومن الموالي زيد ومن العبيد بلال رضي الله تعالى عنهم أجمعين وجاء سلمان
من أرض فارس فاقتبس وصهيب من الروم و بلال من الحبشة ووفد الوفود واقتبسوا وأبو لهب
الى جانب البيت ولم يقتبس واقتبس الناس من مشارق الأرض ومغاربها حتى امتلأت الارض من
نور سراجه فهو ﷺ أعظم الانبياء وأكرم المرسلين وسيد الخلق أجمعين لم يخلق الله أحسن ولا
أجمل ولا أكمل ولا أفضل ولا أفصح ولا أرجح ولا أسمح ولا أصبح ولا أجل ولا أعظم ولا أسخى
ولا أكرم ولا أبهى ولا أنصف ولا أعدل منه ﷺ فلو أن البحار مداد والنبات أقلام وجميع الخلق
تكتب معجزاته ﷺ لعجزوا عن وصف نزر النزر من معجزاته ﷺ اللهم اجعلنا من
خالص أمته واحشرنا في زمرته وأمتنا على محبته ولا تخالف بنا عن ملته ولا عمن جاء به برحمتك يا أرحم
الراحمين آمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون

لعمري لئن سيرتني أو حرمتني
وما نلت من عرضي عليك
حرام
فأصبحت منفيا ملوما بمنية
وبعض أماني النساء غرام
ظننت بي الظن الذي ليس
بعده
بقاء ومالي جرمة فألام
فيمنعني مما تقول تكرمي
وآباء صدق سالفون كرام
ويمنعها مما تقول صلاتها
وحالي لها في قومها وصيام
فهاتان حالان فهل أنت
راجعي
فقد جب مني كاهل وسنام
قال فلما قرأ عمر رضي الله
تعالى عنه هذه الابيات
قال أما ولي السلطان فلا
وأقطعه دارا بالبصرة في
سوقها فلما مات عمر
ركب راحلته وتوجه نحو
المدينة اه (قيل) دخل
بعض الشعراء على الاديب
جمال الدين بن نباتة فرأى

في نواحي منزله نملا كثيرا فأنشد يقول

مالي أرى ومنزل المولى الأديب به
نمل تجمع في أرجائه زمرا

(فأجابه ابن نباتة بقوله

لا تعجبن اذن من نمل منزلنا
فالنمل من شأنها أن تتبع الشعرا

هذا آخر ما أردت ايراده في هذا الذيل مما وقفت عليه من المستطرف والنكات المفتخرة والزند الواري والتالد والطريف وغير ذلك والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

يقول مصححه الفقير اليه تعالى عبد رب النبي سعيد الحسيني

نحمدك يامن هيأت لكسب الآداب جميع المعدات. وفتحت للتحلي بأنوار آياتك سبل الخيرات ونصلي ونسلم على من كملت آدابه. ورشحت بكمال البيان واعجاز التبيان جنابه. سيدنا محمد القائل ان من البيان لسحرا. وعلى آله وصحبه ما أطلعت حدائق الاتباع زهرا * أما بعد فقد تم بحمده تعالى طبع كتاب المستطرف في كل فن مستظرف تأليف العلامة الفاضل واللوذعي الكامل الشيخ شهاب الدين أحمد الأبشيهي رحمه الله. وأعلى منزله في دار رضاه. وقد حليت طررا لجزء الأول منه بكتاب ثمرات الأوراق في المحاضرات لمن اسمه يكفي عن التنويه بشانه. ومحاسن مؤلفاته أكبر شاهد على تفرده في بيانه. العلامة تقي الدين أبو بكر بن علي المعروف بابن حجة الحموي تغمده الله برحمته وأسكنه فراديس جنته. ووشيت غرر الجزء الثاني منه ببقية الكتاب المذكور ثم ذيلت هذه البقية بكتابين في الأدب حويا من هذا الشأن لمسرح النظر فيهما كل طرب أحدهما يسمى طراز الأدب لعلامة زمانه وفريد أوانه الامام تقي الدين بن حجة المذكور. ضاعف الله له الأجور وثانيهما للفهامة الأديب واللوذعي الأريب الفاضل الشيخ ابراهيم بن الأحدب عامله الله من احسانه بكل ما يحب. فجاء هـذا الكتاب حاويا من أساليب البلاغة كل طريف وتالد. جامعا من سرار الآداب كل معنى على انفراد في بابه شاهد. وقد لاح بدر تمامه وفاح مسك ختامه في شهر جمادى الثانية من شهور سنة ١٣٥٤ هجرية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التحية

﴿ هذه فهرست مافى النصف الثانى من كتاب المستطرف فى كل فن مستظرف من الأبواب والفصول المعرف جميعها فى ديباجة الكتاب وهى أربعة وثمانون بابا منها فى هذا النصف اثنان وأربعون كما هو موضوع بهذه الفهرست المجعولة للاستدلال على أى باب من الابواب أوفصل من الفصول فى أى صحيفة من صحائف هذا النصف ﴾

﴿ تمت ﴾

﴿ فهرست بقية كتاب ثمرات الاوراق الموشى بهامش كتاب المستطرف ﴾

فهرست الذيل الاول من كتاب ثمرات الاوراق

فهرست الذيل الثانى للثمرات أيضا

﴿ تمت ﴾